

الجزء الثالث

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني

التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة وعلم

الائمة ناصر الشريعة ومحبي السنة علاه

الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي

الصوفي المعروف بالخازن

تعمده الله برحمته

آمين

وقد حلى هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمدارك التنزيل وحقائق
التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود
النسفي عليه سحائب الرحمة والرضوان

(طبع بمطبعة)

دار الكتب العلمية

على نفقة اصحابها

مصطفى الباني الخالي وأخويه بكرى وعيسى

(بمصر)

(سورة يوسف عليه السلام وهي مائة واحد عشر آية شاموا اثنتا عشرة مكي)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (التي تارة آيات الكتاب المبين) تلك إشارة إلى آيات هذه السورة وآيات الكتاب المبين السورة أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر مرهافي

اعجاز العرب أو التي تبين لمن نذرها أنهم من عند الله لا من عند البشر أو الواضحة التي لا تشبه على العرب معانيها الغزولها بالمعنى أو قد أبين في ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام فقد روى أن علماء اليهود قالوا للمشركين سلوا محمدا لم تنتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام (أنا أنزلناه قرآنا عربيا) أي أنزلناه هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف عليه السلام في حال كونه قرآنا عربيا ومعنى بعض القرآن قرآنا لأنه اسم جنس يقع على كل واحد وبعضه

(أعالمكم تعقلون) التي تفهموا ما عليه بلوجه لناه قرآنا محمدا قالوا للوفاصت آياته

نحن نقص عليك أحسن القصص نبين لك أحسن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام)

وهي مكية بإجماعهم وهي مائة واحد عشر آية وألف وستة وستون حرفا قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى وفي سبب نزولها قولان أحدهما روى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال لما أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو عهدت لنا أن نزل الله عز وجل أنه نزل أحسن الحديث فقلوا يا رسول الله لو قصصت علينا فنزل الله تعالى أن تلك آيات الكتاب المبين التي أنزلت عليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر مرهافي اعجاز العرب أو التي تبين لمن نذرها أنهم من عند الله لا من عند البشر أو الواضحة التي لا تشبه على العرب معانيها الغزولها بالمعنى أو قد أبين في ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام فقد روى أن علماء اليهود قالوا للمشركين سلوا محمدا لم تنتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام (أنا أنزلناه قرآنا عربيا) أي أنزلناه هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف عليه السلام في حال كونه قرآنا عربيا ومعنى بعض القرآن قرآنا لأنه اسم جنس يقع على كل واحد وبعضه (أعالمكم تعقلون) التي تفهموا ما عليه بلوجه لناه قرآنا محمدا قالوا للوفاصت آياته نحن نقص عليك أحسن القصص نبين لك أحسن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (التي تقدم تفسيره في أول سورة نونس عليه الصلاة والسلام) تلك إشارة إلى آيات هذه السورة أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة السورة المسماة بالهذه (آيات الكتاب المبين) وهو القرآن أي البين حلاله وحرامه وحدوده وأحكامه وقال قتادة مبين بينه الله بربكته وهداه ورضاه فهذا من بان أي ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من أبان بمعنى أظهر وقيل أنه مبين فيه قصص الأولين ومشرح أحوال المتقدمين (أنا أنزلناه) يعني هذا الكتاب (قرآنا عربيا) أي أنزلناه بلغتك لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه وقيل لما قالت اليهود لمشركي مكة سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن أمر يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود بالعبانية فنزل الله هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف بالعربية لتفهمها العرب ويعرفوا معانيها والتقدير أنا أنزلناه هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه عربيا فعلى هذا القول يجوز إطلاق اسم القرآن على بعضه لأنه اسم جنس يقع على السنين والبعض واختلف العلماء هل يمكن أن يقال في القرآن شيء بالعربية فقال أبو عبيدة من زعم أن في القرآن لسانا غير العربية فقد قال يعقوب بن مهران وأعظم على الله القول واحتج به هذه الآية أنا أنزلناه قرآنا عربيا وروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة أن فيه من غير لسان العربية مثل محيل والمشكاة واليم واستبرق ونحو ذلك وهذا هو الصحيح المختار لأن هؤلاء أعلم من أبي عبيدة بلسان العرب وكذا القولين صواب أن شاء الله تعالى ووجه الجمع بينهما أن هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على ألسنتهم صارت عربية فصحة وإن كانت غير عربية في الأصل لكنهم لما تكلموا بها صارت لهم لغة فظاهر به هذا البيان صحة القولين وأمكن الجمع بينهما (أعالمكم تعقلون) يعني تفهموا أيها العرب لأنه نازل بلغتكم قوله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) الأصل في معنى القصص اتباع الخبر بعضه بعضا وانقاص هو الذي يأتي بالخبر على وجهه وأمله في اللغة من قص لا تراذاته تبعه وانما سميت الحكاية قصة لأن الذي يقص الحديث بذلك القصة شيئا فشيئا والتي نحن نبين لك يا محمدا أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان وقيل المراد منه قصة

البيان والقاص الذي يأتي بالقصة على حقيقتها عن الزجاج وقيل القاص يكون صدره بمعنى الاقتصار تقول قص الحديث يقصه قصا فيكون فعلا بمعنى مفعول كالتقص والحسب فعلى الاول معناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصار (بما أوحينا إليك هذا القرآن) أي بإيجازنا إليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوب بانصب المصدر لاضافته اليه والمخصوص محذوف لان بما أوحينا إليك هذا القرآن مفن عنه والمراد باحسن الاقتصار انه اقتصر على ابداع طريقة وأعجب أسلوب فانك لا ترى اقتصاصة في كتب الاولين مقار بالاقصاصة في القرآن وان أراد بالقصص المقصوص فعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الاحاديث وانما كان أحسن لما يتضمن من العبر والحكم والمجائب التي است في غيره والظاهر انه أحسن (٣) ما يقتص في بابها كما يقال فلان أعلم الناس أي في

فنه واشتقاق القاص من قص أثره اذا تبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا (وان كنت من قبيله) الضمير يرجع الى ما أوحينا (لمن الغافلين) عنه ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية يعني وان الشأن والحديث كنت من قبل ايجازنا إليك من الجاهلين به (اذقال) بدل اشتمال من أحسن القصص لان الوقت مشتمل على القصص أو التقدير اذ قال (يوسف) اسم عبراني لا عربي اذ لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف (لايه) يعقوب (ياأبت) أبت شامى وهي ناء التانيث عوضت عن ياء الاضافة لتناسبهما لان كل واحدة منهما زائدة في آخر الاسم ولهذا قلبت هاء في الوقف وجاز

يوسف عليه الصلاة والسلام خاصة وانما سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من الفوائد المذكرة في هذه السورة الشريفة قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكهما أهل الجنة في الجنة وقال عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الاستراح اليها وقوله تعالى (بما أوحينا إليك) يعني بإيجازنا إليك يا محمد (هذا القرآن وان كنت) أي وقد كنت (من قبيله) يعني من قبل وحيننا إليك (لمن الغافلين) يعني عن هذه القصة وما فيها من المجائب قال سعد بن أبي وقاص أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثنا فانزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص فقالوا يا رسول الله لو ذكرنا فانزل الله عز وجل ألم يا أن الذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله قوله عز وجل (اذ قال يوسف لايه) أي اذ كر يا محمد اقومك قول يوسف لايه يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين (خ) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ويوسف اسم عبري ولذلك لا يجري فيه الصرف وقيل هو عربي سئل أبو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف أشد الحزن والاسيف العبد واجتمعا في يوسف فسمى به (ياأبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) معناه قال أهل التفسير رأيت يوسف في منامه كأن أحد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له وكانت هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر وكان النجوم في التأويل اخوته وكانوا أحد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس أبوه والقمر أمه في قول قتادة وقال السدي القمر خالته لان أمه راحيل كانت قدماءت وقال قتادة وابن جريج القمر أبوه والشمس أمه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر وكان يوسف عليه الصلاة والسلام ابن اثنتي عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة وقيل سبع سنين وأراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت أمره وقيل أراد به حقيقة السجود لانه كان في ذلك الزمان التحية فيما بينهم السجود فان قلت ان الكواكب جراد لا يعقل فكيف عبر عنها بكناية من يعقل في قوله رأيتهم ولم يقل رأيتها وقوله ساجدين ولم يقل ساجدات قلت لما خبر عنها بفعل من يعقل وهو السجود كنى عنها بكناية من يعقل فهو كقوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وقيل ان الفلاسفة والمنجمين يزعمون أن الكواكب أحياء نواطق حساسة فيجوز أن يعبر عنها بكناية من يعقل وهذا القول ليس بشئ والاول أصح فان قلت قد قال انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر

الحاق ناء التانيث بالمد كرك في رجل ربعة وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة ومن فتح التاء فقد حذف الالف من ياء التاء واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام (انى رأيت) من الرؤيا لان الرؤية (أحد عشر كوكبا) أسماءها بيان النبي عليه السلام جريان والذيل والطارق وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرع ووثاب وذوالكتفين (والشمس والقمر) هما أبواه أو أبوه وخالته والكواكب اخوته قيل الواو بمعنى مع أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر وأجريت مجرى العقلاء في (رأيتهم لي ساجدين) لانه وصفها بما هو المختص بالعقلاء وهو السجود وكررت الرؤيا لان الاولى تتعلق بالذات والثانية بالحال أو الثانية كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابه كأن أباه قال له كيف رأيتها فقال رأيتهم لي ساجدين أي متواضعين وهو حال وكان ابن اثنتي عشرة سنة يومئذ

وكان بين رؤيا يوسف
ومصراخوته اليه أربعون
سنة أو ثمانون (قال يانبي)
بالفتح حيث كان حفص
(لاتقص رؤياك) هي
بمعنى الرؤية لأنها مختصة بما
كان منتهي المنام دون اليقظة
وفرق بينهما بحر في التانيث
كقافي القرية والقري (على
اخوتك فيكيد واللك)
جواب النهي أي ان
قصتها عليهم كادوك
عرف يعقوب عليه السلام
ان الله يصطفيه للنبوته وينعم
عليه بشرف الدارين
لخاف عليه حسد الاخوة
وانما يقل فيكيدوك كما
قال فيكيدوني لانه ضمن
معنى فعل يتعدى باللام
ليفيد معنى فعل الكيد مع
افادة معنى الفعل المضمن
فيكون أكد وأبلغ في
التخويف وذلك نحو
فيحتالوا لك الأتري الى
تأكيده بالمصدر وهو
(كيدا ان الشيطان
للانسان عدومبين) ظاهر
العداوة فيحملهم على الحسد
والكيد (وكذلك) ومثل
ذلك الاجتباء الذي دل
عليه رؤياك (بجتيك
ربك) يصطفيك والاجتباء
والاصطفاء افتعال من
جيت الشيء اذا حصلته
لنفسك وجيت الماء في
الحوض جمته (ويعلمك)
كلام مبتدأ غير داخل في

ثم أعاد لفظ الرؤيا ثانية فقال رأيتهم لي ساجدين فما فائدة هذا التكرار قلت معنى الرؤيا الاولى أنه رأى أجرام
الكواكب والشمس والقمر ومعنى الرؤيا الثانية أنه أخبر بسجودها له وقال بعضهم معناه انه لما قال
رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر فكانه قيل له وكيف رأيت قال رأيتهم لي ساجدين وانما أفرد
الشمس والقمر بالذكريان كأنهما من جملة الكواكب للدلالة على فضلها وشر فهمما على سائر الكواكب
قال أهل التفسير ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان شديد الحب ليوسف عليه الصلاة والسلام فحده
اخوته لهذا السبب وظهر ذلك اي يعقوب فلهما رأى يوسف هذه الرؤيا وكان تائها ان اخوته وأبويه يخضعون
له فلهذا (قال) يعقوب (يانبي لاتقص رؤياك على اخوتك) يعني لاتخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تائها بلها
(فيكيد واللك كيدا) أي فيحتالوا في اهلاك كما فامرهم بكتمان رؤياه عن اخوته لان رؤيا الانبياء وحى وحق
واللام في فيكيد واللك كيدا تأكيد للصلة كقولك نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك (ان الشيطان
للانسان عدومبين) يعني انه بين العداوة لان عداوته قديمة فهم ان أقدموا على الكيد كان ذلك مضافا
الى تزيين الشيطان ووسوسته (ق) عن أبي قتادة قال كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الرؤيا يا الصالحة من الله والرؤيا بالسوء من الشيطان فاذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها
الامن يحب واذا رأى أحدكم ما يكره فليتنفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرها فانها
لن تضره (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى
أحدكم الرؤيا يحبها فانها من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هي من
الشيطان فليستعذ بالله من الشيطان من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لن تضره (م) عن جابر رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله
من الشيطان الرجيم ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه عن أبي رزين العقيلي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن جزء من أر بعين وفي رواية جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وهي على
رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا حدث بها سقطت قال وأحسبه قال ولا يحدث بها الا ليبيبا أو حبيبا أخرجه
الترمذي ولا يبي داود نحوه قال الشيخ محي الدين النووي قال المازري مذهب أهل السنة في حقيقة الرؤيا
ان الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء
لا يعمه نوم ولا يقظة فاذا خلق هذه الاعتقادات فكانه جعلها على ما يريد من الأمور أخرجه في ثانی الحال والجميع
خلق الله تعالى ولكن يخاف الرؤيا والاعتقادات التي يجعلها على ما يسر بغير حضرة الشيطان فاذا
خلق ما هو علم على ما يضر يكون بحضرة الشيطان فينسب الى الشيطان مجازا وان كان لا فعل له في الحقيقة
فهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان لا على أن الشيطان يفعل شيئا
والرؤيا اسم للمحبوب والحلم اسم للمكروه وقال غيره اضافة الرؤيا بالمحبة الى الله تعالى اضافة تشریف بخلاف
الرؤيا بالمكروهة وان كانتا جميعا من خلق الله وتبدبيره وارادته ولا فعل للشيطان فيها ولكنه يحضر
المكروهة ويرتضيها فيستحب اذا رأى الرجل في منامه ما يحب أن يحدث به من يحب واذا رأى ما يكره
فلا يحدث به وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شرها وايتنفل ثلاثا وليتحول الى جنبه الآخر فانها لا تضره
فان الله تعالى جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة سببا لوقاية المال وغيره من البلاء
وانه أعلم بقوله تعالى (وكذلك بجتيك ربك) يعني يقول يعقوب ايوسف عليه الصلاة والسلام أي وكارفع
منزلتك بهذه الرؤيا الشريفة العظيمة كذلك بجتيك ربك يعني يصطفيك ربك واجتباء الله تعالى العبد
تخصيصه اياه بفيض الهى تحصل له منه أنواع الكرامات بلا سعي من العبد وذلك مختص بالانبياء أو ببعض
من يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين (ويعلمك من تأويل الاحاديث) يعني به تعبير الرياسمي

حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك (من تأويل الاحاديث) أي تأويل الرؤيا وتأويلها عبارتها وتفسيرها تأويلا

وكان يوسف أعبى الناس بالرؤيا وتاويل أحاديث الانبياء وكتب الله وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثه (ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب) بان وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة أى جعلهم أنبياء في الدنيا وماو كما ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وآل يعقوب أهل وهم نسله وغيرهم وأصل آل أهل بدليل تصغيره على أهيل الا انه (٥) لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحجام

ولكن أهله وانما علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذا قال وعلى آل يعقوب (كما أنها على أبويك من قبل) أراد الجرد وأبالجد (ابراهيم واسحق) عطف بيان لأبويك (ان ربك عليم) يعلم من يحق له الاجتهاد (حكيم) يضع الاشياء مواضعها (لقد كان في يوسف واخوته) أى في قصتهم وحديثهم (آيات) علامات ودلالات على قدرة الله وحكمته في كل شئ آية مكي (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم وعرفها أو آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فاخبرهم من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب وأسماؤهم يهوذا وربين وشمعون ولاوى وزبولون وشجر وأمههم ليابنت ليدان ونفثالى وجاد وآشمن سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت لياتزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف (اذ قالوا ليوسف

تاويل لانه يؤل أمره الى ما رأى في منامه يعنى يعلمك تاويل احاديث الناس فيما يروونه في منامهم وكان يوسف عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بتعمير الرؤيا وقال الزجاج تاويل أحاديث الانبياء والامم السالفة والكتب المنزلة وقال ابن زيد يعلمك العلم والحكمة (ويتم نعمته عليك) يعنى بالنبوة قاله ابن عباس لان منصب النبوة أعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الانبياء فهذا من تمام النعمة عليهم لان جميع الخلق دونهم في الرتب والمناصب (وعلى آل يعقوب) المراد بال يعقوب أولاده فانهم كانوا أنبياء وهو المراد من تمام النعمة عليهم (كما أنها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق) بان جعلها أنبياء وهو المراد من تمام النعمة عليهما وقيل المراد من تمام النعمة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم بان خلصه الله من النار واتخذته خليلا والمراد من تمام النعمة على اسحق بان خلصه من الذبح وهذا على قول من يقول ان اسحق هو الذبيح وليس بشئ والقول الاوّل هو الاصح بان تمام النعمة عليهم ما بالنبوة لانه لأعظم من منصب النبوة فهو من أعظم النعم على العبد (ان ربك عليم) يعنى بمصالح خلقه (حكيم) يعنى انه تعالى لا يفعل شئاً الا بحكمة وقيل انه تعالى حكم بوضع النبوة في بيت ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنهما كان بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصر واجتماعه بابويه واخوته أربعين سنة وهذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن البصرى كان بينهما ثمانون سنة فلما باغت هذه الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضى أن يسجد له اخوته حتى يسجد له أبواه ﴿ قوله عز وجل (لقد كان في يوسف واخوته) يعنى في خبره وخبر اخوته وأسماؤهم رويل وهو أكبرهم وشمعون ولاوى ويهوذا وزبولون وشجر وأمههم ليابنت ليدان وهى ابنة خال يعقوب وولد يعقوب من سريتين اسم احدهما زلفة والاخرى بلهة أربعة أولاد وأسماؤهم دان ونفثالى وجاد وآشمن ثم توفيت لياتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فهؤلاء بنو يعقوب هم الاسباط وعددهم اثنا عشر نفرا (آيات للسائلين) وذلك ان اليهود لما سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل سألوه عن سبب انتقال ولدي يعقوب من أرض كنعان الى أرض مصر ذكر قصة يوسف مع اخوته ووجدوها موافقة لما في التوراة فحججوا منه فمضى على هذا تكون هذه القصة دالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يجالس العلماء والاحبار ولم يأخذ عن أحد منهم شئاً فدل ذلك على ان ما أتى به وحى سماوى وعلم قدسى أو حاه الله اليه وشرفه به ومعنى آيات للسائلين أى عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على أنواع من العبر والمواعظ والحكم ومنها رؤيا يوسف وما حقق الله فيها ومنها حسد اخوته له وما آل اليه أمرهم من الحسد ومنها صبر يوسف على اخوته وبلواه مثل القائه في الجب وبيعه عبداً وسجنه بعد ذلك وما آل اليه أمره من الملك ومنها ما تشتمل عليه من حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل اليه أمره من بلوغ المراد وغير ذلك من الآيات التى اذا فكر فيها الانسان اعتبر واتعظ (اذ قالوا) يعنى اخوة يوسف (ليوسف) اللام فيه لام القسم تقديره والله ايوسف (وأخوه) يعنى بنيامين ومهما من أم واحدة (أحب الى أئبنا منا ونحن عصبية) انما قالوا هذه المقالة حسداً منهم ليوسف وأخيه لما رأوا ان ميل يعقوب اليه وكثرة شفقتة عليه والعصبية الجماعية وكانوا عشرة قال القراء العصبية هى العشرة فإزاد وقيل هى ما بين الواحد الى العشرة وقيل ما بين الثلاثة الى العشرة وقال مجاهد هى ما بين العشرة الى خمسة عشر وقيل الى الاربعين وقيل الاصل فيه أن كل جماعة يتعصب بعضهم

وأخوه أحب الى أئبنا منا) اللام لام الابتداء وفيها توكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا ان زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه وانما قالوا وأخوه وهم اخوته أيضاً لان أمهما كانت واحدة وانما قيل أحب في الاثنين لان أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكور والمؤنث ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا أضيف ساغ الامر ان والواو فى (ونحن عصبية) للحال أى انه يفضلهم فى المحبة علينا وهما صغيران لا كفاية فيهما ونحن عشرة رجال كفاة تقوم برفقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما بفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما

بعض يسمون عصبة والعصبة لا واحد لها من لفظها كالرط والنفر (ان ابانالى ضلال ميين) يعني لفي خطا بين في اثاره حب يوسف علينا مع صغره لانفع فيه ونحن عصبة ننفعه ونقوم بمصالحه من امر دنياه واصلاح امر مواشييه وليس المراد من ذكر هذا الضلال الضلال عن الدين اذ لو ارادوا ذلك لكفروا به ولكن ارادوا به الخطا في امر الدنيا وما يصلحها يقولون نحن انفع له من يوسف فهو مخطى في صرف محبة اليه لانا كبر منه سنا واشد قوة واكثر منفعة وغاب عنهم المقصود الاعظم وهو ان يعاقب عليه الصلاة والسلام ما فضل يوسف واغاه على سائر الاخوة الا في المحبة المحضة ومحبة القلب ليس في وسع البشر دفعها ويحتمل ان يعاقب انما خص يوسف بمزيد المحبة والشفقة لان امه ماتت وهو صغير اولانه رأي فيه من آيات الرشد والنجاة ما لم يره في سائر اخوته فان قلت الذي فعله اخوة يوسف بيوسف هو محض الحسد والحسد من امهات الكبار وكذلك نسبة ابيهم الى الضلال هو محض العقوق وهو من الكبار ايضا وكل ذلك قاذح في عصمة الانبياء فالجواب عنه قلت هذه الافعال انما صدرت من اخوة يوسف قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبر في عصمة الانبياء هو وقت حصول النبوة لاقبلها وقيل كانوا وقت هذه الافعال مراهقين غير بالغين ولان كيف عليهم قبل البلوغ فعلى هذا لم تكن هذه الافعال قاذحة في عصمة الانبياء في قوله تعالى حكاية عن اخوة يوسف (اقتلوا يوسف واطرحوه ارضنا يخل لكم وجهه ايكم) لما قوى الحسد وبلغ النهاية قال اخوة يوسف فيما بينهم لا بد من تباعد يوسف عن ابيه وذلك لا يحصل الا باحد طريقين اما القتل مرة واحدة او التغريب الى ارض يحسد الياس من اجتماعه بابيه بان تفرسه الاسد والسباع او يموت في تلك الارض البعيدة ثم ذكروا العلة في ذلك وهي قوله يخل لكم وجهه ايكم والمعنى انه قد شغله حب يوسف عنكم فاذا فعلتم ذلك بيوسف اقبل يعاقب بوجهه عليكم وصرف محبته اليكم (وتكونوا من بعده) يعني من بعد قتل يوسف او ابعاده عن ابيه (قوما صالحين) يعني تائبين فتوبوا الى الله يعف عنكم فتكونوا قوما صالحين وذلك انهم لما علموا ان الذي عزموا عليه من الذنوب الكبار قالوا اتوبوا الى الله من هذا الفعل ونكون من الصالحين في المستقبل وقال مقاتل معناه يصلح لكم امركم فيما بينكم وبين ايكم فان قلت كيف يليق ان تصدر هذه الافعال منهم وهم انبياء قلت الجواب ما تقدم انهم لم يكونوا انبياء في ذلك الوقت حتى تكون هذه الافعال قاذحة في عصمة الانبياء وانما اقدموا على هذه الافعال قبل النبوة وقيل ان الذي اشار بقتل يوسف كان اجنبيا شاوروه في ذلك فاشار عليهم بقتله (قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف) يعني قال قائل من اخوة يوسف وهو يهودا وقال قتادة هور وبييل وهو ابن خالته وكان اكبرهم سنا واحسنهم رأيا فيه فنهاهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة والاصح ان قائل هذه المقالة هو يهودا لانه كان اقربهم اليه سنا (والقوة في غيابت الجب) يعني القوة في أسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر شيا وغيبه عن النظر والجب البئر الكبيرة غير مطوية سمي بذلك لانه جب أي قطع ولم يطو واذا ذكر الغيابة مع ذكر الجب ان المشير اشار بطرحه في موضع من الجب مظلم لا يراه احدواختلفوا في مكان ذلك الجب فقال قتادة هو بئر بيت المقدس وقال وهب هو في ارض الاردن وقال مقاتل هو في ارض الاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وانما عينوا ذلك الجب لليلة التي ذكروها وهي قولهم (يلتقطه بعض السيارة) وذلك ان هذا الجب كان معروفا ويرد عليه كثير من المسافرين والالتقاط اخذ الشئ من الطريق او من حيث لا يحتسب ومنه اللقطة بعض السيارة ياخذها بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية اخرى فتسبر بحون منه (ان كنتم فاعلين) فيه اشارة الى ترك الفعل فكأنه قال لا تفعلوا شيئا من ذلك وان عزمتم على هذا الفعل فافعلوا هذا القدر ان كنتم فاعلين ذلك قال البعوي كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا انبياء

فصاعدا (اقتلوا يوسف) من جهة ما حكى بعد قوله اذ قالوا كأنهم اطبقوا على ذلك الامن قال لا تقتلوا يوسف وقيل الامر بالقتل شامون والباقون كانوا اراضين فجعلوا امرين (او اطرحوه ارضا) منكورة مجهولة بعيدة عن العمران وهو معنى تكبيرها واخلائها عن الوصف ولهذا الابهام نصبت نصب الظروف المهمة (يخل لكم وجهه ايكم) يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم من يشاركهم فيها فكان ذكر الوجه لتصور معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشئ اقبل بوجهه وجاز ان يراد بالوجه الذات كما قالوا يسي وجهه ربك (وتكونوا) مجزوم عطفًا على يخل لكم (من بعده) من بعد يوسف أي من بعد كفايته بالقتل او التغريب او من بعد قتله او طرحه فيرجع الضمير الى مصدر اقتلوا واطرحوا (قوما صالحين) تائبين الى الله مما جنبتهم عليه او يصلح حالكم عند ايكم (قال قائل منهم) هو يهودا

وكان احسنهم فيه رأيا (لا تقتلوا يوسف) فان القتل عظيم (والقوة في غيابت الجب) في قعر البئر وما غاب منه عن

عين الناظر غيابات وكذا ما بعده مدني (يلتقطه بعض السيارة) بعض الاقوام الذين يسرون في الطريق (ان كنتم فاعلين) به شيا

(قالوا يا ابا نمالك لا تأمناعلى يوسف وانا له لناصحون) أى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونشفق عليه وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاه عن رأيه وعادته فى حذقه منهم وفيه دليل على أنه أحسن منهم بما أوجب ان لا يأمنهم عليه (ارسله معنا غدا نزرع) نفع فى أكل القواكه وغيرها والرعة السمة (ونلعب) نتفرج بما يباح كالصيد والرمى والر كض وبالبايع فيهما مدنى وكوفى بالنون فيهما مكى وشامى وأبو عمرو بكسر العين مخارجى من ارتعى رعى افتعال من الرعى (واناله لحافظون) من ان يناله (V) مكروه (قال انى ليحزنى أن تذهبوا

به) أى يحزنى ذهابكم به واللام لام الابتداء (واخاف أن يأكله الذئب وأتم عنه غافلون) اعتذر اليهم بان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة وانه يخاف عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم (قالوا لئن أكله الذئب) اللام موطئة للقسم والقسم محذوف تقديره والله لئن أكله الذئب والواو فى (ونحن عصبه) أى فرقة مجتمعة مقتدرة على الدفع للحال (انا اذا لخاسرون) جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط أى ان لم ندر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها وأجابوا عن عذره الثانى دون الاول لان ذلك كان يغيظهم (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب) أى عزموا على القائه فى البئر وهى بئر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف تقديره فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى

الابعد وقيل لم يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل أنهم قالوا وتكونوا من بعده قوموا صالحين وقالوا يا ابا ناستغفر لاناذنو بنا انا كنا خاطئين والصغير لا ذنب له قال محمد بن اسحق اشتمل فعلهم هذا على جرائم كثيرة من طبيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأفة بالصغير الذى لا ذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع أيهم وعفا الله عن ذلك كله حتى لا يياس أحد من رحمة الله تعالى وقال بعض أهل العلم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة بهم ولو فعلوا ذلك هلكوا جميعا وكل ذلك كان قبل أن نبأهم الله فلما أجمعوا على التفريق بين يوسف وبين والده بضرب من الخيل (قالوا) يعنى قال اخوة يوسف ليعقوب (يا ابا نمالك لا تأمناعلى يوسف) بدو بالانكار عليه فى ترك ارسال يوسف معهم كأنهم قالوا تخافنا عليه اذا أرسلته معنا (واناله لناصحون) المراد بالنصح هنا القيام بالصلحة وقيل البر والعطف والمعنى وانا لاطفون عليه قائمون بمصلحته و بحفظه وقال مقاتل فى الكلام تقديم وتأخير وذلك انهم قالوا لا يهيم أرسله معنا فقال يعقوب انى ليحزنى أن تذهبوا به فينذ قالوا مالك لا تأمناعلى يوسف وانا له لناصحون ثم قالوا (أرسله معنا غدا) يعنى الى الصحراء (نزرع) الزرع هو الاتساع فى الملاذ يقال رتع فلان فى ماله اذا أنفق فى شهواته والاصل فى الزرع أكل البهائم فى الخصب زمن الربيع ويستعار للانسان اذا أريد به الاكل الكثير (ونلعب) اللعب معروف قال الراغب يقال لعب فلان اذا كان فعله غير قاصد به مقصدا صحيجا سئل أبو عمرو بن العلاء كيف قالوا نلعب وهم أنبياء فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء ويحتمل أن يكون المراد باللعب هنا الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه هلا بكر اتلاعها وتلاعبك وأيضا فان لعبهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح لما فيه من الممارسة والاقدام على الاقران فى الحرب بدليل قوله نستبق وانما سموه لعبا لانه فى صورة اللعب وقيل معنى نزرع وناعب ننتقم ونأكل ونلهو وننشط (واناله لحافظون) يعنى نجهد فى حفظه غاية الاجتهاد حتى نرده اليك سالما (قال) يعنى قال لهم يعقوب عليه الصلاة والسلام (انى ليحزنى أن تذهبوا به) أى ذهابكم به والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب ومعنى الآية أنه لما طلبوا منه أن يرسل معهم يوسف عليه الصلاة والسلام اعتذر يعقوب عليه الصلاة والسلام بعذرين أحدهما أن ذهابهم به ومفارقة اياه يحزنه لانه كان لا يقدر أن يصبر عنه ساعة والثانى قوله (واخاف أن يأكله الذئب وأتم عنه غافلون) يعنى اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم وذلك أن يعقوب عليه الصلاة والسلام كان رأى فى المنام أن ذنبا شد على يوسف عليه الصلاة والسلام فكان يعقوب يخاف عليه من ذلك وقيل كانت الذئاب فى أرضهم كثيرة (قالوا) يعنى قال اخوة يوسف مجيبين ليعقوب (اننا أكله الذئب ونحن عصبه) أى جماعة عشرة رجال (انا اذا لخاسرون) يعنى عجزه ضعفاء وقيل انهم خافوا أن يدعو عليهم يعقوب بالخسار والبوار وقيل معناه انا اذا لم تقدر على حفظ أخي نأف كيف تقدر على حفظ مواشينا فنحن اذا خاسرون ﴿ قوله عز وجل (فلماذهبوا به) فيه اضممار واختصار تقديره فارسله معهم فلماذهبوا به (وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب) يعنى وعزموا على أن يلقوه فى غيابة الجب

﴿ ذكر قصة ذهابهم بيوسف عليه الصلاة والسلام ﴾

انهم لما برزوا به الى البرية أظهر والى العداوة وضر بوه وكادوا يقتلونه فنعهم يهودا فلما أرادوا القاءه فى الجب تعلق بشياهم فترعوه ما من يده فتعلق بحائط البئر فبطوا يديه ونزعوا قيصة ليلطخوه بالدم فيحتالوا به على أيهم ودلوه فى البئر وكان فيها ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكى وكان يهودا يأتية بالطعام ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب فى تيمة علقها فى عنق يوسف فاخرجه جبريل وألبسه اياه

قال وهب وغيره من أهل السير والخبار ان اخوة يوسف قالوا له أمانتنا اق أن تخرج معنا الى واشينا فنصيد ونسبق قال بلى قالوا له أنسأل أبك أن يرسلك معنا قال يوسف افعلوا فقد خلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا أبانا ان يوسف قد أحب أن يخرج معنا الى واشينا فقال يعقوب ما تقول يا بني قال نعم يا أبتي اني أرى من اخوتي اللين واللطيف فأحب أن تأذن لي وكان يعقوب يكره مفارقتهم ويحب مرضاه فاذن له وأرسله معهم فلما خرجوا به من عنده يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا الى الصحراء ألقوه على الارض وأظهروا له ما في أنفسهم من العداوة وأغلظوا له القول وجعلوا يضربونه فجعل كلما جاء الى واحد منهم واستغاث به ضرب به فلما فطن لما عزمو عليه من قتله جعل ينادى يا ابتاه يا يعقوب لو رأيت يوسف وما نزل به من اخوته لآخزتك ذلك وأبكاك يا ابتاه ما أسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكي بكاء شديدا فاخذوه وييل وجلبده به الارض ثم جثم على صدره وأراد قتله فقال له يوسف مهلا يا أخي لا تقتلني فقال له يا ابن راحيل أنت صاحب الاحلام قل لرؤياك تخاصك من أيدينا ولوي عنقه فاستغاث يوسف يهودا وقال له اتق الله في رحل بيني وبين من يريد قتلي فادركته رحمة الاخوة وورق له فقال يهودا يا اخوتي ما على هذا عاهدتموني ألا أدلكم على ما هو أهون لكم وأرفق به فقالوا وما هو قال تلقونه في هذا الجب اما ان يموت أو يتلقطه بعض السيارة فانطلقوا به الى بئر هناك على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الرأس فجعلوا يدلون به في البئر فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قيصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قيصى لاستر به في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخاصك وتونسك فقال اني لم أر شيئا قالوه فيها ثم قال لهم يا اخوتاه أتدعونني فيها فربطوا يديه واقتلوا يوسف في دلو ثم أرسلوه فيها فلما بلغ نصفها ألقوه ارادة أن يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة كانت في البئر فقام عليها وقيل نزل عليه ملك فخل يديه واخرج له صخرة من البئر فجلس عليها وقيل انهم لما ألقوه في الجب جعل يبكي فنادوه فظن أنهم ارادة أن يتركهم فاجابهم فأرادوا أن يرضخوه بصخرة ليقتلوه فنعهم يهودا من ذلك وقيل ان يعقوب لما بعثه مع اخوته أخرج له قيص ابراهيم الذي كساه الله اياه من الجنة حين أتى في النار فجعله يعقوب في قصبة فضة وجعلها في عنق يوسف فالبسه الملك اياه حين أتى في الجب فاضاء له الجب وقال الحسن لما أتى يوسف في الجب عذب ماؤه فكان يكفيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فانس به فلما أمسى نهض جبريل ليذهب فقال له انك اذا خرجت استوحشت فقال له اذا رهبت شيئا فقل يا صريح المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب الماكرو وبين قدر ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من أمري فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس في الجب وقال محمد بن مسلم الطائي لما أتى يوسف في الجب قال يا شاهد اغبر غائب ويا قري يا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي فرجا مما أتاه فيه فماتت فيه واختلقتوا في قدر عمر يوسف يوم أتى في الجب فقال الضحاك ست سنين وقال الحسن اثنتا عشرة سنة وقال ابن السائب سبع عشرة سنة وقيل ثمان عشرة سنة وقيل مكث في الجب ثلاثة أيام وكان اخوته يرعون حوله وكان يهودا ياتي به الطعام فذلك قوله تعالى (وأوحينا اليه لتنبئهم بأمسهم هذا) يعني لتخبرن اخوتك قال أكثر المفسرين ان الله أوحى اليه وحيا حقيقة فبعث اليه جبريل يؤنسه ويشره بالخروج ويخبره أنه سينبئهم بما فعلوا ويحاز بهم عليه هذا قول طائفة عظيمة من المحققين ثم القائلون بهذا القول اختلفوا هل كان بالغا في ذلك الوقت أو كان صبيا صغيرا فقال بعضهم انه كان بالغا وكان عمره خمس عشرة سنة وقال آخرون بل كان صغيرا لأن الله عز وجل أكمل عقله ورشده وجعله صالحا لقبول الوحي والنبوة كما قال في حق عيسى عليه الصلاة والسلام فان قلت كيف جعله نبيا في ذلك الوقت ولم يكن أحد يبلغه رسالته به لان فائدة النبوة والرسالة تبليغها الى من أرسل اليه قلت لا يمنع ان الله يشرفه بالوحي ويكرمه بالنبوة والرسالة في ذلك الوقت وفائدة ذلك تطيب قلبه وازالة الهم والنم والوحشة عنه ثم به ذلك

(وأوحينا اليه) قيل أوحى اليه في الصغر كما أوحى الى يحيى وعيسى عليهما السلام وقيل كان اذذاك مدركا (لتنبئهم بامرهم هذا) أي اتحدثن اخوتك بما فعلوا بك

(وهم لا يشعرون) انك يوسف اعلاوشانك وكبرياء سلطانك وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرّفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فظن فقال انه ليخبرني هذا الجمام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وانكم اقيتموه في غيابة الجب وقتلتم لايه اكله الذئب وبعتموه بثمن نحس او يتعلق وهم لا يشعرون باوحينا أي آتسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك (وجاؤا بأباهم عشاء) للاستتار والتجسر على الاعتذار (يكون) (٩) حال عن الاعمش لاتصدق باكية بعد اخوة يوسف

فلماسمع صوتهم فزع وقال مالكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما بالكم وأين يوسف (قالوا يا اباانا انا ذهبنا نستبق) أي تسابق في العدو وفي الرمي والافتعال والتفاعل يشتركان كالارتقاء والترامي وغير ذلك (وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سي الظن بنا غير واثق بقولنا (وجاؤا على قيصه بدم كذب) ذي كذب ووصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته روي انهم ذبحوا سخلة واطخوا القميص بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته

يا مره بتبليغ الرسالة في وقتها وقيل ان المراد من قوله وأوحينا اليه وحى الهام كما في قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل وأوحينا الى أم موسى والقول الاول أولى وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) يعني باحساننا اليك وأنت في البئر بانك ستخبرهم بصنيعهم هذا والفائدة في اخفاء ذلك الوحي عنهم انهم اذا عرفوه فز بما ازداد حسدهم له وقيل ان الله تعالى أوحى الى يوسف لتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بانك أنت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه الصلاة والسلام وانه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصير مستوليا عليهم ويصيرون تحت أمره وقهره ﴿ قوله تعالى (وجاؤا بأباهم عشاء يكون) قال المفسرون لما طرحوا يوسف في الجب رجعوا الى أبيهم وقت العشاء ليكونوا في الظلمة اجترأ على الاعتذار بالكذب فلما قربوا من منزل يعقوب جعلوا يبكون ويصرخون فسمع أصواتهم ففزع من ذلك وخرج اليهم فلما رآهم قال بالله سألتمكم يا بني هل اصابكم شيء في غنمكم قالوا لا قال فما اصابكم وأين يوسف (قالوا يا اباانا انا ذهبنا نستبق) قال ابن عباس يعني نتفضل وقال الزجاج يسابق بعضنا بعضا في الرمي والاصل في السبق الرمي بالسهم وهو التناضل أيضا وسمى المتراميان بذلك يقال تسابقوا واستبقوا اذا فعلا ذلك ليتبين أيهما أبعد سهما وقال السدي يعني نشدوا وعدوا والمعنى نستبق على الاقدام ليتبين أينا أسرع عدوا وأخف حركة وقال مقاتل تصيد والمعنى نستبق الى الصيد (وتركنا يوسف عند متاعنا) يعني عند ثيابنا (فأكله الذئب) يعني في حال استباقنا وغفلتنا عنه (وما أنت بمؤمن لنا) يعني وما أنت بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) يعني في قولنا والمعنى انا وان كنا صادقين لكنك لاتصدق لنا قولنا لشدة محبتك ليوسف فانك تهمني في قولنا هذا وقيل معناه انا وان كنا صادقين فانك لم تصدقنا لانه لم تظهر عندك أمانة تدل على صدقنا (وجاؤا على قيصه) يعني قيص يوسف (بدم كذب) أي مكذوب فيه قال ابن عباس انهم ذبحوا سخلة وجعلوا دماها على قيص يوسف ثم جاؤا بأباهم وفي القصة انهم اطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب لهم كيف اكله الذئب ولم يشق قيصه فاتهمهم بذلك وقيل انهم أتوه بذئب وقالوا هذا اكله فقال يعقوب أبها الذئب أنت أكلت ولدي وعمرة فوادي فأنطقه الله عز وجل وقال والله ما أكلته ولا رأيت ولدك قط ولا يحل لنا ان ناكل لحوم الانبياء فقال يعقوب فكيف وقعت بارض كنعان فقال جئت لاصلة الرحم وهي قرابة لي فأخذوني وأتوا بي اليك فأطلقه يعقوب ولما ذكرا خوة يوسف يعقوب هذا الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملتصق بالدم (قال) يعقوب (بل سولت لكم أنفسكم أمرا) يعني بل زينت لكم أنفسكم أمرا وأصل التسويل تقدير معنى في النفس مع الطمع في اتمامه وقال صاحب الكشاف سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء أي سهلت لكم أنفسكم أمرا عظاما ركبتموه من يوسف وهو تيموه في أنفسكم وأعينكم فعلى هذا يكون معنى قوله بل رد القولهم فأكله الذئب كأنه قال ليس الامر كما تقولون أكله الذئب بل سولت لكم أنفسكم أمرا آخر غير ما تصفون (فصبر جيل) أي فسأني صبر جيل وقيل معناه فصبري صبر جيل والصبر الجليل الذي لا شكوى فيه ولا جزع وقيل من الصبر ان لاتتحدث بمصبتك ولا تزكين

(٢ - (خازن) - ثالث) وقال ابن القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال نالته ما رأيت كالיום ذنبا أحلم من هذا كل ابني ولم يمزق عليه قيصه وقيل كان في قيص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قومه من دبره ومحل على قيصه النصب على الظرف كأنه قيل وجاؤا فوق قيصه بدم (قال) يعقوب عليه السلام (بل سولت) زينت أو سهلت (لكم أنفسكم أمرا) عظاما ركبتموه (فصبر جيل) خبر أو مبتدأ لكونه موصوفا أي فامرئ صبر جيل أو فصبر جيل أجل وهو لا شكوى فيه الى الخلق

رفقة تسير من قبل مدين
الى مصر وذلك بعد ثلاثة
أيام من القاء يوسف في
الجب فأخطوا الطريق
فزلوا قري يمامه وكان الجب
في قفرة بعيدة من العمران
وكان ماؤه ملحاً فغضب
حين أتى فيه يوسف
(فارسوا واردهم) وهو
الذي يرد الماء ليستقي
للقوم اسمه مالك بن زعر
الخرزاعي (فادلى دلوه)
أرسل الدلو ليملاءها ففتشت
يوسف بالدلو فترعده (قال
يا بشرى) كوفي نادى
البشرى كأنه يقول تعالى
فهذا أو انك غيرهم بشرى
على اضافتها الى نفسه وهو
اسم غلامه فناداه مضافاً
الى نفسه (هذا غلام) قيل
ذهب به فلما نادى من أصحابه
صاح بذلك يبشرهم به
(وأسروه) الضمير للوارد
وأصحابه أخفوه من الرفقة
أولاً خوفاً يوسف فاتهم
قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد
أبق فاشروه منا وسكت
يوسف مخافة أن يقتلوه
(بضاعة) حال أي أخفوه
متاعاً للتجارة والبضاعة
ما يوضع من المال للتجارة
أي قطع (والله عليم بما
يعملون) بما يعمل أخوة
يوسف بأيهم وأخيهم من
سوء الصنيع (وشروه)

نفسك (والله المستعان على ماتصفون) يعني من التول الكذب وقيل معناه والله المستعان على حمل
ماتصفون قوله عز وجل (وجاءت سيارة) وهم القوم المسافرون سمو سيارة لسيرهم في الارض وكانوا
رفقة من مدين يريدون مصر فأخطوا الطريق فزلوا قري يمامه الجب الذي كان فيه يوسف وكان في قفرة
بعيدة من العمران ترده الرعاة والمارة وكان ماؤه ملحاً فلما أتى يوسف فيه غضب فلما نزلوا أرسلوا رجلاً
من أهل مدين يقال له مالك بن زعر الخزاعي يطلب لهم الماء فذلك قوله عز وجل (فارسوا واردهم)
(فادلى دلوه) قال والوارد الذي هو يتقدم الرفقة الى الماء فيهب الارضية والدلاء يقال أدليت الدلو اذا
أرسلتها في البئر ودلوها اذا أخرجتها قال فتعلق يوسف عليه الصلاة والسلام بالجبال وكان يوسف عليه
السلام أحسن ما يكون من الغلمان وذكر البغوي بسند متصل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطى
يوسف شطر الحسن ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد أعيت سدس الحسن قال محمد
ابن اسحق ذهب يوسف وأمه بنتى الحسن وحكى الثعلبي عن كعب الاحبار قال كان يوسف حسن الوجه
جعد الشعر ضخيم العينين مستوي الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خيصر البطن
صغير السرة وكان اذا تبسم رأيت النور من ضواحه واذا تكلم رأيت شعاع النور من ثناياه ولا يستطيع
أحد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه الصلاة والسلام يوم خلقه الله وصورته قبل
أن يصب الخطيئة قالوا فلما خرج يوسف ورآه مالك بن زعر كما حسن ما يكون من الغلمان (قال) يعني
الوارد وهو مالك بن زعر (يا بشرى) يعني يقول الوارد لأصحابه أبشروا (هذا غلام) وقرئ يا بشرى
بغير اضافة ومعناه ان الوارد نادى رجلاً من أصحابه اسمه بشرى كما تقول يا زيدا ان جدران البئر
بكت على يوسف حين خرج منها (وأسروه بضاعة) قال مجاهد أسره مالك بن زعر وأصحابه من التجار
الذين كانوا معهم وقالوا انه بضاعة استبضعناه ليهض أهل المال الى مصر وانما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا
منهم الشركة فيه وقيل ان اخوة يوسف أسروا شأن يوسف يعني انهم أخفوا أمر يوسف وكونه أخاهم بل قالوا
هو عبد لنا ابق وصدقهم يوسف على ذلك لانهم توعدوه بالقتل سران مالك بن زعر وأصحابه والقول
الاول أصح لان مالك بن زعر هو الذي أسره بضاعة وأصحابه (والله عليم بما يعملون) يعني من ارادة اهلاك
يوسف فجعل ذلك سبباً لنجاته وتحقيق الرؤيا ان يصير ملك مصر بعد ان كان عبداً قال أصحاب الاخبار ان
يهوداً كان يأتي يوسف بالطعام فأتاه فلم يجده في الجب فأخبر اخوته بذلك فطلبوه فاذا هم بمالك بن زعر
وأصحابه نزلوا قري يمامه البئر فانوهم فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبدنا ابق منا ويقال انهم هددوا
يوسف حتى يكتم ما ولا يعرفها وقال لهم مثل قولهم ثم انهم باعوه منهم فذلك قوله تعالى (وشروه) أي باعوه
وقد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت الشيء بمعنى بعته وانما وجب حمل هذا الشراء على البيع لان
الضمير في وشروه وفي وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى شيء واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل
ان الضمير في وشروه يعود على مالك بن زعر وأصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشراء على باه (بمن نحس)
قال الحسن والضحاك ومقاتل والسدي نحس أي حرام لان ثمن الحرام ويسمى الحرام نحساً لانه مبغوس
البركة يعني منقوصها وقال ابن مسعود وابن عباس نحس أي زبوف ناقصة العيار وقال قتادة نحس أي ظلم
والظلم نقصان الحق يقال ظلمه اذا نقصه حقه وقال عكرمة والشعبي نحس أي قليل وعلى الاقوال كلها فالنحس
في اللغة هو نقص الشيء على سبيل الظلم والنحس والباحس الشيء الطفيف (دراهم معدودة) فيه اشارة الى
قلة تلك الدراهم لانهم في ذلك الزمان ما كانوا يزنون أقل من أربعين درهماً كما كانوا يأخذون مادونها
عدد افاذا بلغت أربعين درهماً هي أوقية وزنها واختلفوا في عدد تلك الدراهم فقال ابن مسعود وابن

و باعوه (بمن نحس) مبغوس ناقص عن القيمة نقصاناً ظاهراً أو زيف (دراهم) بدل من ثمن (معدودة) قليلة
تعد عدداً ولا توزن لانهم كانوا يعدون مادون الأربعين و يزنون الاربعين وما فوقها وكانت عشرين درهماً

(وكانوا فيه من الزاهدين) ممن يرغب عموماً في يد فبيعه بالثمن الطفيف أو معنى وشروه واشتروه بمعنى الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين أي غير راغبين لانهم اعتقدوا انه آبق ويروي ان اخوته ابعوه وهم وقالوا استوثقوا منه لا يابق وفيه ليس من صلة الزاهدين أي غير راغبين لان الصلة لا تتقدم على الوصول وانما هو بيان كانه قيل في (١١) أي شيء زهدوا فيه (وقال الذي اشتراه من

مصر) هو قطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد وقد آمن بيوسف ومات في حياته واشتراه العزيز بزنته ورقا وحريرا ومسكا وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة (لامراته) راعيل أوزليخا واللام متعلقة يقال لا باشتراه (أ كرمي مشواه) اجعلني منزله ومقامه عندنا كرمي أي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي أحسن مشواي وعن الضحاك بطيب معاشه ولين لباسه ووطيء فراشه (عسى أن ينفعنا) اعلمه من تأويل الاحاديث يعني عبارة الرؤيا وتفسيرها (والله غالب على أمره) قيل الكفاية في أمره راجعة الى الله تعالى ومعناه والله غالب على أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يدفع لامر ولا راد لقضائه ولا يغلبه شيء وقيل هي راجعة الى يوسف ومعناه ان الله مستول على أمر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يكله الى أحد سواه حتى يبلغ منتهى ما علمه فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني ما هو صانع بيوسف وما يريد منه (ولما بلغ أشده) يعني منتهى شبابه وشدة وقوته قال مجاهد ثلاثة وثلاثون سنة وقال الضحاك عشرون سنة وقال السدي ثلاثون سنة وقال الكلبي الأشد ما بين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الأشد فقال هو الحلم (آتيناه حكاما وعلماء) يعني آتيناه

عباس وقتادة كانت عشرين درهما فاقسموها درهمين درهمين فعلى هذا القول لم يأخذ أخوه من أمه وأبيه شيئا منها وقال مجاهد كانت اثنتين وعشرين درهما فعلى هذا أخذ أخوه منها درهمين لانهم كانوا أحد عشر أخا وقال عكرمة كانت أربعين درهما (وكانوا فيه من الزاهدين) يعني وكان أخوة يوسف في يوسف من الزاهدين وأصل الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يكن له فيه رغبة والضمير في قوله وكانوا فيه من الزاهدين ان قلنا انه يرجع الى اخوة يوسف كان وجه زهدهم فيه انهم حسدوه وأرادوا ابعاده عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن وان قلنا ان قوله وشروه وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى معنى واحد وهو ان الذين شروه كانوا فيه من الزاهدين كان وجه زهدهم فيه انهم اشتروه بثمن بخس قليل ويحتمل أن يقال ان اخوته لما قالوا انه عبدنا وقد أبق أظهر المشتري قلة الرغبة فيه لهذا السبب قال أصحاب الاخبار ثم ان مالك بن ذعر وأصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به الى مصر وتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لا يابق منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس وكان قطفير صاحب أمر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك بمصر ونواحيها اسمه الريان بن الوليد بن نزان وكان من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات ويوسف عليه الصلاة والسلام حي قال ابن عباس لما دخلوا مصر لقي قطفير مالك بن ذعر فاشترى يوسف منه بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين أبيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه أربعائة رطل وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة أو سبع عشرة سنة فابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك قوله تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر) يعني قطفير من أهل مصر (لامراته) وكان اسمها راعيل وقيل زليخا (أ كرمي مشواه) يعني أ كرمي منزله ومقامه عندك والمتوى موضع الإقامة وقيل أ كرميه في المطعم والملبس والمقام (عسى أن ينفعنا) يعني ان أردنا يبعه بعناه يرجع أو يكفينا بعض أمورنا ومصالحنا اذا قوى وبلغ (أو تتخذوه ولدا) يعني تبناه وكان حضور اليس له ولد قال ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة العزيز بن يوسف حيث قال لامراته أ كرمي مشواه عسى أن ينفعنا أو تتخذوه ولدا وابنة شعيب في موسى حيث قالت لا يبالها استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وأبو بكر في عمر حيث استخلفه بعده (وكذلك مكننا يوسف في الارض) يعني كما مننا على يوسف بان نقدرناه من القتل وأخرجناه من الجب كذلك مكنناه في الارض يعني أرض مصر فجعلناه على خزائنها (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) أي مكناله في الارض لكي نعلمه من تأويل الاحاديث يعني عبارة الرؤيا وتفسيرها (والله غالب على أمره) قيل الكفاية في أمره راجعة الى الله تعالى ومعناه والله غالب على أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يدفع لامر ولا راد لقضائه ولا يغلبه شيء وقيل هي راجعة الى يوسف ومعناه ان الله مستول على أمر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يكله الى أحد سواه حتى يبلغ منتهى ما علمه فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني ما هو صانع بيوسف وما يريد منه (ولما بلغ أشده) يعني منتهى شبابه وشدة وقوته قال مجاهد ثلاثة وثلاثون سنة وقال الضحاك عشرون سنة وقال السدي ثلاثون سنة وقال الكلبي الأشد ما بين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الأشد فقال هو الحلم (آتيناه حكاما وعلماء) يعني آتيناه

(وكذلك) اشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف (مكننا يوسف) أي كما أنجينا وعطفنا عليه العزيز كذلك مكناله (في الارض) أي أرض مصر وجعلناه مسلكا يتصرف فيها بأمره ونهييه (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) كان ذلك الانجاء والتمكين (والله غالب على أمره) لا يمنع عموماً أو على أمر يوسف بقبليغه ما أراد له دون ما أراد اخوته (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما بلغ أشده) منتهى استعداده (ولما بلغ أشده) منتهى شبابه وشدة وقوته (آتيناه حكاما وعلماء) حكماء

وهو العلم مع العمل واجتناب ما يبطل فيه أو حكمايين الناس وفقها (وكذلك تجزي المحسنين) تنبيه على أنه كان محسنا في عمله متقبيا
 عنقوان أمره (وراودته التي هوفى ببتها عن نفسه) أي طلبت يوسف أن يواقعها والمرادة مغايلة من رادبرودا إذا جاء وذهب وكان المعنى
 خادعته عن نفسه أي فعات فعل الخادع اصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج من يده بمحتال أن يغلبه عليه و يأخذه منه وهي عبارة عن
 التمهيل لمواقفته ايها (وغلقت الابواب) وكانت سبعة (وقالت هيت لك) هو اسم لتعال وأقبل وهو مبني على الفتح هيت مكي بناء على الضم
 هيت مدني وشامي والمالام للبيان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هلم لك (قال معاذ الله) أعوذ بالله معاذنا (أنه) أي ان الشأن والحديث
 (ربي) سيدي ومالكي يريد (١٢) فظنير (أحسن مثواي) حين قال لك أكرمي مثواه فاجزأه أن أخونه في أهله

(أنه لا يفلح الظالمون)
 الخائون أو الزناة أو أراد
 بقوله انه ربي الله تعالى لانه
 مسبب الاسباب (ولقد
 همت به) هم عزم (وهم
 بها) هم الطباع مع الامتناع
 قاله الحسن وقال الشيخ
 أبو منصور رحمه الله وهم
 بها هم خطرة ولا صنع
 للعبد فيها يخطر بالقلب ولا
 مؤاخذة عليه ولو كان همه
 كهمها لما مدحه الله تعالى
 بانه من عباده المخلصين
 وقيل وهم بها وشارف أن
 بهم بها يقال هم بالامر اذا
 قصده وعزم عليه وجواب
 (لولا أن رأى برهان ربه)
 محذوف أي لكان ما
 كان وقيل وهم بها جوابه
 ولا يصح لان جواب لولا
 لا يتقدم عليها لانه في حكم
 الشرط وله صدر الكلام
 والبرهان الحجة ويجوز ان
 يكون وهم بها داخل في حكم
 القسم في قوله ولقد همت به

يوسف بعد بلوغ الاشد نبوة وفتحها في الدين وقيل حكما يعني اصابة في القول وعلمها بتأويل الرؤيا وقيل الفرق
 بين الحكيم والعالم ان العالم هو الذي يعلم الاشياء بحقائقها والحكيم هو الذي يعمل بما يوجبه العلم وقيل
 الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عما لا ينبغي والعلم هو العلم النظري (وكذلك) يعني وكما نعمنا على
 يوسف بهذه النعم كلها كذلك (تجزي المحسنين) قال ابن عباس يعني المؤمنين وعنه أيضا المهتدين وقال
 الضحاك يعني الصابر بن علي النواب كما صبر يوسف (وراودته التي هوفى ببتها عن نفسه) يعني ان امرأة
 العزيز طلبت من يوسف الفعل القبيح ودعته الى نفسها ليواقعها (وغلقت الابواب) أي أطبقتها وكانت
 سبعة لان مثل هذا الفعل لا يكون الا في ستر وخفية وانها أغلقتها لشدة خوفها (وقالت هيت لك) أي هلم
 وأقبل قال أبو عبيدة كان الكسائي يقول هي اغتلاهل حوران رفعت الى الحجاز معناها تعال وقال عكرمة
 أيضا بالحوران هلم وقال مجاهد وغيره هي لغة عربية وهي كلمة حث واقبال على الشيء وقيل هي بالعبرانية
 وأصلها هيت أي تعال فربت فقيل هيت لك فن قال انها لغة يراد بها يقول ان العرب وافقت أصحاب
 هذه اللغة فكلمت بها على وفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الروم في القسطاس ولغة العرب الفرس في
 التنوير ولغة العرب الترك في الفساق ولغة العرب الحبشة في ناشئة الليل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة
 صارت لغة طوارق هي هيت لك بكسر الهاء مع الهمزة ومعناها هيت لك (قال) يعني يوسف (معاذ الله) أي
 أعوذ بالله وأعتصم به وألجأ اليه فيما دعوتني اليه (انه ربي) يعني ان العزيز بز قظنير سيدي (أحسن مثواي)
 أي أكرم منزاتي فلا أخونه وقيل ان الهاء في انه ربي راجعة الى الله تعالى والمعنى يقول ان الله ربي أحسن
 مثواي يعني انه آواني ومن بلاء الجب نجاني (انه لا يفلح الظالمون) يعني ان فعلت هذا الفعل فانا ظالم ولا يفلح
 الظالمون وقيل معناه انه لا يسعد الزناة قوله عز وجل (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) الآية
 هذه الآية الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها في مقامين الاول في ذكر أقوال
 المفسرين في هذه الآية قال المفسرون الهم هو المقاربه من الفعل من غير دخول فيه وقيل الهم مصدر همت
 بالشيء اذا أردته وحدثت نفسك به وقاربه من غير دخول فيه فعنى قوله ولقد همت به أي ارادته وقصدته
 فكان همها به عزمها على المعصية والزنا وقال الرمحشري هم بالامر اذا قصد وعزم عليه قال الشاعر وهو عمرو
 ابن صابئ البرجمي همت ولم أفلح وكذبت وليفتي * تركت على عثمان تبكي حلاله
 وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها أي وهم بمخالطتها لولا أن رأى برهان ربه جوابه
 محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه بمخالطتها قال البغوي وأما هم بها فروى عن ابن عباس انه قال حل

ويجوز أن يكون خارجا ومن حق القاري اذا قدر خروج من حكم القسم وجعله كلاما برأسه ان يقف على به ويتدى بقوله الهميان
 وهم بها وفيه أيضا اشعار بالفرق بين الهميان وفسرهم يوسف بانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قضاها وفسر
 البرهان بانه سمع صوتا يابك واياها مرتين فسمع ثالثا عرض عنها فلم يجمع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على أمانته وهو باطل ويدل على بطلانه
 قوله هي راودتني عن نفسي ولو كان ذلك منه أيضا لما برأ نفسه من ذلك وقوله كذلك لتصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان كذلك لم يكن السوء
 مصروفاعنه وقوله ذلك ليعلم أي لم أخنه بالغيب ولو كان كذلك لخانه بالغيب وقوله ما علمنا عليه عن سوء الآن حصحص الحق أناراودته عن
 نفسه وانه لمن الصادقين ولانه لو وجد منه ذلك لذكرت نوبته واستغفاره كما كان لآدم ونوح وذو النون وداود عليهم السلام وقد ساء الله
 مخلصا فلي بالقطم انه ثبت في ذلك المقام وجاهد نفسه مجاهدة أولى العزم ناظر في دلائل التحريم حتى استحق من الله الثناء وعمل الكافي في

الهميان وجلس منها مجلس الخائن وقال مجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول أكثر المفسرين
 منهم سعيد بن جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهم ما ضرب يده الى جيد يوسف ويده
 الاخرى الى جيد المرأة حتى جمع بينهما قال أبو عبيدة القاسم بن سلام وقد أنكر قوم هذا القول قال البغوي
 والقول ما قاله قدماء هذه الامة وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الانبياء من غير علم قال السدي وابن اسحق لما
 أرادت امرأة العزيز من يوسف عن نفسه جعلت تذكرة محاسن نفسه وتشوقه الى نفسه ما فقالت يا
 يوسف ما أحسن شرك قال هو أول ما ينتثر عن جسدي قالت ما أحسن عيفيك قال هي أول ما يسيل على خدي
 في قبري قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله وقيل انها قالت له ان فراش الحر يرمسوط قم فاقض
 حاجتي قال اذا يذهب نصيبي من الجنة فلم تزل تطامعه وتدعوه الى اللذة وهو شاب يجدم من شبق الشباب ما يجده
 الرجل وهي امرأة حسناء جميلة حتى لان لها المايري من كلفها به فهم بها ثم ان الله تدارك عبده يوسف
 بالبرهان الذي ذكره وسيأتي الكلام على تفسير البرهان الذي رآه يوسف عليه الصلاة والسلام فهذا ما قاله
 المفسرون في هذه الآية أما المقام الثاني في تنزيه يوسف عليه الصلاة والسلام عن هذه الذبلة وبيان عصمته
 من هذه الخطيئة التي ينسب اليها قال بعض المحققين اهتم ههنا فهم ثابت وهو ما كان معه عزم وقصد وعقيدة
 رضامثل هم امرأة العزيز فالعبد مأخوذ به وهم عارض وهو الخطرة في القلب وحديث النفس من غير
 اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فالعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل به ويدل على صحة هذا ما روي عن
 أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا هم عبدي بسينة
 فلان كتبوها عليه فان عملها فاكتبوها عليه سينة واحدة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فان
 عملها فاكتبوها له عشرة لفظ مسلم والبخاري معناه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال فيما يروي به عن ربه عز وجل قال ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم
 بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فان هم بها وعملها كتبها الله له عشر حسنات الى سبع مائة
 ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسينة ولم يعملها كتبها الله له عنده حسنة وان هو هم بها فعلمها كتبها الله
 عليه سينة واحدة زائدة رواية أو محمولة على الله الاهاك قال القاضي عياض في كتابه الشفاء فعلى
 مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليس سينة وذکر الحديث المتقدم فلامعية
 في هم يوسف اذا ما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان اهتم اذا وطنت عليه النفس كان سينة
 وأما ما لم توطن عليه النفس من همها وخواطرها فهو المعفو عنه هذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم
 يوسف من هذا ويكون قوله وما أبرئ نفسي الآية أي ما أبرئها من هذا اهتم أو يكون ذلك على طريق
 التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما ذكره برئ فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة ان يوسف
 عليه الصلاة والسلام لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير أي ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لم يهم بها وقال
 تعالى ما كيا عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء
 وقال تعالى وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله الآية وقيل في قوله وهم بها أي يزجرها ووعظها وقيل
 هم بها أي همها امتناعه وقيل هم بها أي نظر اليها وقيل هم بضر بها ودفعه او قيل هذا كما كان قبل نبوته وقد
 ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة زليخا حتى نبأه الله فالتقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبتة
 كل من رآه عن حسنه هذا آخر كلام القاضي عياض رحمه الله وأما الامام نجر الدين فذكر في هذا المقام كلاما
 طويلا مبسوطا وأنا أذكر بعضه ملخصا فاقول قال الامام نجر الدين الرازي ان يوسف عليه الصلاة والسلام
 كان بريثامن العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذب
 فان الدلائل قد دلت على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يلتفت الى ما نقله بعض المفسرين عن الأئمة

المتقدمين فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام متى صدرت منهم زلة أو هفوة استعظموها واتبعوها باظهار
 الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر عن آدم عليه السلام في قوله بناظلمنا أنفسنا الآية وقال في حق داود
 عليه الصلاة والسلام فاستغفر ربه وخر را كما وأتاب وأما يوسف عليه الصلاة والسلام فلم يحك عنه شيئا من
 ذلك في هذه الواقعة لانه لو صدر منه شيء لاتبعه بالتوبة والاستغفار ولو أتى بالتوبة لحكى الله ذلك عنه في كتابه
 كما ذكر عن غيره من الانبياء وحيث لم يحك عنه شيئا علمنا ببراءته مما قيل فيه ولم يصد عنه شيء كما نقله أصحاب
 الاخبار ويدل على ذلك أيضا ان كل من كان له تعلق بهذه الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام عما نسب
 اليه واعلم ان الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف والمرأة وزوجها والنسوة اللاتي قطعن أيديهن والمولود الذي
 شهد على القميص شهدوا ببراءته والله تعالى شهد ببراءته من الذنب أيضا أما بيان ان يوسف ادعى براءته مما
 نسب اليه فقوله هي راودتني عن نفسي وقوله رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه وأما بيان ان المرأة
 اعترفت على نفسها واعترفت ببراءة يوسف ونزاهته فقوله أنا راودته عن نفسه فاستعصم وقوله الآن
 حمص الحق أنا راودته عن نفسه وأنه ان الصادقين وأما بيان ان زوج المرأة اعترف أيضا ببراءة يوسف
 فقوله انه من كيد كن ان كيد كن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفر لي ذنبك انك كنت من الخاطئين
 وأما شهادة المولود ببراءته فقوله وشهد شاهد من أهلها الآية وأما شهادة الله بذلك فقوله تعالى كذلك
 لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا الخالصين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل
 قوله لا غوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وبطل هذا قول من قال ان الشيطان جرى بينهما حتى أخذ
 بجيده وجيد المرأة حتى جمع بينهما فانه قول منكر لا يجوز لاحد أن يقول ذلك وأما ما روى عن ابن عباس أنه
 جلس منها مجلس الخائن فاشي ابن عباس أن يقول مثل هذا عن يوسف عليه الصلاة والسلام واعلم بعض
 أصحاب القصة وأصحاب الاخبار وضعوه على ابن عباس وكذلك ما روى عن مجاهد وغيره أيضا فانه لا يكاد
 يصح بسند صحيح وبطل ذلك كما وثبت ما بيناه من براءة يوسف عليه الصلاة والسلام من هذه الرذيلة والله أعلم
 بمراده وأسرار كتابه وما صدر من انبيائه عليهم الصلاة والسلام فان قلت فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله عز
 وجل لولا أن رأى برهانه فأنه قلت فيه أعظم الفوائد وبيانه من وجهين أحدهما انه تعالى أعلم يوسف
 أنه لوهم بدفعها لقاتته فاعلمه بالبرهان أن الامتناع من ضربها أولى صوتا لنفسه عن اهلاك الوجه الثاني
 أنه عليه الصلاة والسلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه لتعلقت به فكاد في ذلك أن يتمزق ثوبه من قدام وكان في
 علم الله أن الشاهد يشهد بان ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الخائن واذا تمزق من خلف كانت هي
 الخائنة فاعلمه الله بالبرهان هذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عن نفسه بل رلى هار باقابت بذلك الشاهد حمله لا
 عليه وأما نفس البرهان على ما ذكره المفسرون في قوله تعالى لولا أن رأى برهانه فأنه ففقال قتادة وأكثر
 المفسرين ان يوسف رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو يقول له يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت
 مكتوب من الانبياء وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى
 يعقوب عاضا على أصبعه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده في صدره فخرجت
 شهوته من أنامله وقال السدي نودي يا يوسف أتواقعها أم أمثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جوف السماء لا يطاق عليه
 وان أمثلك ان واقعها كمثلها اذا وقع على الارض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئا ومثلك ما لم تواقعها مثل
 الثور الصعب الذي لا يطاق ومثلك ان واقعها كمثلها اذا مات ودخل الخمل في قرنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه
 وقيل انه رأى معصما بلا عضة عليه مكتوب وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فولى هاربا
 ثم جمع فعاد المعصم وعليه مكتوب ولا تقر بوالزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فولى هاربا ثم عاد فرأى ذلك
 الكف وعليه مكتوب واتقوا يوم ترجعون فيه الى الله الآية ثم عاد فقال الله تعالى لجريل عليه السلام أدرك

(كذلك) نصب أى مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو رفع أى الامر مثل ذلك (لتصرف عنه السوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنا (انه من عبادنا المخلصين) بفتح اللام حيث كان مدنى وكوفى أى الذين أخلصهم الله لطاعته وبكسر ها غيرهم أى الذين أخلصوا دينهم لله ومعنى من عبادنا بعض عبادنا أى هو مخلص من جملة المخلصين (واستبقا الباب) وتسبقا الى (١٥) الباب هى للطلب وهو للهرب على

حذف الجار وايصال
الفعل كقوله واختر موسى
قومه أو على تضمين استبقا
معنى ابتدر افر منها يوسف
فاصرع يريد الباب ليخرج
وأسرعت وراءه لتمنعه
الخروج ووجد الباب وان
كان جمعه فى قوله وغلقت
الابواب لانه أراد الباب
البرانى الذى هو المخرج من
الدار ولما هرب يوسف جعل
فراش القفل يتناثر ويسقط
حتى خرج (وقدت قيصة
من دبر) اجتنبته من
خلفه فالتقى أى انشق حين
هرب منها الى الباب وتبعته
تمنعه (وألصق سيدها لى
الباب) وصادقا بعلمها قطفير
مقبلا يريد أن يدخل فلما
رأته احتالت لتبرته ساحتها
عند زوجها من الريبة
ولتخون يوسف يوسف طمعا فى
أن يواطئها خيفة منها
ومن مكرها حيث (قالت
ماجزاء من أراد باهلك
سواء الآن يسجن أو عذاب
أليم) مانافية أى ليس
جزاؤه الا السجن أو
عذاب أليم وهو الضرب
بالسياط ولم تصرح بذكر

عبدى يوسف قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على أصبعه يقول يا يوسف أنت عمل السفهاء وأنت
مكتوب عند الله من الانبياء وقيل انه مسه بجناحه فخرجت شهوته من أنامله قال محمد بن كعب القرظى رفع
يوسف رأسه الى سقف البيت فرأى كتابا فى حائط فيه ولا تقر بوزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وفى رواية
عن ابن عباس انه رأى مثال ذلك الملك وعن علي بن الحسن قال كان فى البيت صنم فقامت المرأة اليه وسترته
بثوب فقال لها يوسف عليه السلام لم فعلت هذا فقالت استحييت منه أن يرانى على معصية فقال لها يوسف
تستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه شيئا فانا أرى أن استحيى من ربى فهرب فذلك قوله لولا أن رأى
برهان ربه وأما المحققون فقد فسروا البرهان بوجوه الاوّل قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النبوة التى
جعلها الله تعالى فى قلبه حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل الثانى البرهان شجة الله عز وجل على العبدى
تحريم الزنا والعلم بما على الزانى من العقاب الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام
من الاخلاق الذميمة والافعال الرذيلة وجعلهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة فتلك الاخلاق
الطاهرة الشريفة تحجزهم عن فعل ما لا يليق فعله (كذلك) يعنى كما أرينا البرهان كذلك (لتصرف عنه
السوء) يعنى الأثم (والفحشاء) يعنى الزنا وقيل السوء مقدمات الفحشاء وقيل السوء الثناء القبيح فصرف
الله عنه ذلك كله وجعله من عباده المخلصين وهو قوله (انه) يعنى يوسف (من عبادنا المخلصين) قرئ بفتح اللام
ومعناه انه من عبادنا الذين اصطفيناهم بالنبوة واخترناهم على غيرهم وقرئ بكسر اللام ومعناه انه من عبادنا
الذين اخلصوا الطاعة لله عز وجل قوله تعالى (واستبقا الباب) وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما
رأى البرهان قام هاربا بمبادر الى الباب وتبعته المرأة لتمسك عليه الباب حتى لا يخرج والمسابقة طلب السبق
فسبق يوسف وأدركته المرأة فتعلقت بقميصه من خلفه وجذبه اليها حتى لا يخرج فذلك قوله عز وجل
(وقدت قيصة من دبر) يعنى شقته من خلف فغلبها يوسف فخرج وخرجت خلفه (وألصق سيدها لى الباب)
يعنى فلما خرجا ووجد الزوج المرأة قطفير وهو العزيز عند الباب جالس مع ابن عم المرأة فلما رآته المرأة هابت
وخافت التهمة فسبقت يوسف بالقول (قالت) يعنى لزوجها (ماجزاء من أراد باهلك سوا) يعنى الفاحشة
ثم خافت عليه أن يقتل وذلك لشدة حبه اليه فقالت (الا أن يسجن) أى يحبس فى السجن ويمنع التصرف (أو
عذاب أليم) يعنى الضرب بالسياط وانما بدأت بذكر السجن دون العذاب لان الحب لا يشتهى الا لام المحبوب
وانما أرادت أن يسجن عندها يوما أو يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فافهمها فلما سمع يوسف
مقاتها أراد ان يبرهن عن نفسه (قال) يعنى يوسف (هى راودتنى عن نفسى) يعنى طلبت منى الفحشاء
فايت وفررت وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام ما كان يريد أن يذكر هذا القول ولا يهتك سترها
ولكن لما قالت هى ما قالت واطمعت عرضه احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه فقال هى راودتنى عن نفسى
(وشهد شاهد من أهلها) يعنى وحكم حاكم من أهل المرأة واختلفوا فى ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبير
والضحاك كان صبيبا فى المهد فانطقه الله عز وجل وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن
مريم ذكره البغوى وغير سند والذى جاء فى الصحيحين ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وابن المرأة وقصتهم

يوسف وانه أرادها سوا لانها قصدت العموم أى كل من أراد باهلك سوا فحقه أن يسجن أو يعذب لان ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف
يوسف ولما عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه (قال هى راودتنى عن نفسى) ولولا ذلك لكتّم عليها ولم يفضحها (وشهد
شاهد من أهلها) هو ابن عم لها وانما أتى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لانه يكون أوجب للحجة عليها وأوثق ابراءة يوسف وقيل كان
ابن خال لها وكان صبيبا فى المهد وسمى قوله شهادة لانه أدى مؤدى الشهادة فى ان ثبت قول يوسف وبطل قولها

(ان كان قيصة قدم من قبل صدقت وهو من الكاذبين وان كان قيصة قدم من دبر فكذبت وهو من الصادقين) والتقدير وشهد شاهد فقال ان كان قيصة وانما دل قد قيصة من قبل على انها صادقة لانه يسرع خلفها يلحقها فيعثر في مقدم قيصة فيشقه ولانه يقبل عليها وهي تدفعه عن نفسها فيتخرق القميص من قبل وامانتك يقبل ودبر فعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وانما جمع بين ان التي للاستقبال وبين كان لان المعنى ان يعلم انه كان (١٦) قيصة قد (فلما رأى) قطير (قيصة قدم من دبر) وعلم براءة يوسف وصدقه

وكذبها (قال انه) ان قولك ماجزاء من أراد باهلك سواء أو ان هذا الامر وهو الاحتيال ليل الرجال (من كيدكن) الخطاب لها ولها (ان كيدكن عظيم) لانهم أظف كيدا وأعظم حيلة وبذلك يغابن الرجال والقصريات ممن معهن مالبس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء اني أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لان الله تعالى قال ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال لمن ان كيدكن عظيم (يوسف) حذف منه حرب النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله (اعرض عن هذا) الامر واكتمه ولا تحدث به ثم قال لراعيل (واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين لذنب يقال خطي اذا اذنب متعمدا وانما قال بلفظ التذكير

مخرجة في الصحيح قيل كان هذا الصبي شاهد يوسف ابن خال المرأة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم يكن صبيا ولكنه كان رجلا حكما ذارأى وقال السدي هو ابن عم المرأة حكيم فقال (ان كان قيصة قدم من قبل) أي من قدام (صدقت وهو من الكاذبين وان كان قيصة قدم من دبر) أي من خلف (فكذبت وهو من الصادقين) وانما كان هذا الشاهد من أهل المرأة ليكون أقوى في نفي التهمة عن يوسف عليه الصلاة والسلام مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدق يوسف عليه الصلاة والسلام ونفي التهمة عنه من وجوه منها انه كان في الظاهر مملوك هذه المرأة والمملوك لا يسط يديه الى سيدته ومنها انهم شاهدوا يوسف بعد وهاهنا بالطلاب لا يهرب ومنها انهم رأوا المرأة قد تزينت باكمل الوجوه فكان الحاق التهمة بها أولى ومنها انهم عرفوا يوسف في المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب اقدمه على مثل هذه الحالة فكان مجموع هذه العلامات دلالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقها أيضا (فلما رأى قيصة قدم من دبر) يعني فلما رأى قطير زوج المرأة قيصة يوسف عليه الصلاة والسلام قدم من خلفه عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام (قال) يعني قال لها زوجها قطير (انه) يعني هذا الصنيع (من كيدكن) يعني من حيلكن ومكركن (ان كيدكن عظيم) فان قلت كيف وصف كيد النساء بالعظيم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وهلا كان مكر الرجال أعظم من مكر النساء قلت أما كون الانسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة الى خلق ما هو أعظم منه كخلق الملائكة والسموات والارض والجبال ونحو ذلك وأما عظيم كيد النساء ومكرهن في هذا الباب فهو أعظم من كيد جميع البشر لان هن من المكر والحيل والكيد في تمام مرادهن ما لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل ان قوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم من قول الشاهد وذلك انه لما ثبت عنده خيانة المرأة وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام قال هذه المقالة (يوسف) يعني يا يوسف (أعرض عن هذا) يعني اترك هذا الحديث فلان ذكره لاحد حتى لا يفسد ويشيع وينتشر بين الناس وقيل معناه يا يوسف لانك كثرت بهذا الامر ولا تهتم به فقد بان عذرك وبراءتك ثم التفت الى المرأة فقال لها (واستغفري لذنبك) يعني توبى الى الله بما رميت يوسف به من الخطيئة وهو بري منها وقيل ان هذا من قول الشاهد يقول لامرأة سلي زوجك أن يصفح عنك ولا يعاقبك بسبب ذنبك (انك كنت من الخاطئين) يعني من المذنبين حين خنت زوجك ورميت يوسف بالتهمة وهو بري وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تغليباً لجنس الرجال على النساء وقيل انه لم يقصد به الخبر عن النساء بل قصد الخبر عن كل من يفعل هذا الفعل تقديره انك كنت من القوم الخاطئين فهو كقوله وكانت من القاتين ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وقال نسوة في المدينة امرات العزيز تراود فتاها عن نفسه) يعني وقال جماعة من النساء وكن خسا وقيل كن اربعا وذلك لما شاع خبر يوسف والمرأة في مدينة مصر وقيل هي مدينة عين الشمس وتحدثت النساء فيها بينهم بذلك وهن امرأة حاجب الملك وامرأة صاحب الدواب وامرأة خبازة وامرأة ساقية وامرأة صاحب سجنه وقيل نسوة من اشراف مصر امرأة العزيز يعني زليخا تراود فتاها عن نفسه يعني تراود عبدها الكنعاني عن نفسه لانها تطلب منه الفاحشة وهو يمتنع منها والفتى الشاب الحديث السن (قد شغفها حبا) يعني قد

تغلبت كور على الاناث وكان العزيز رجلا قليلا الغيرة حيث اقتصر على هذا القول (وقال نسوة) جماعة من النساء علقها وكن خسا امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأتيها غير حقيقي ولذا لم يقل قالت وفيه لغتان كسر التون وضمها (في المدينة) في مصر (امرات العزيز) يرذن قطير والعزيز الملك بلسان العرب (تراود فتاها) غلامها يقال فتاى وفتاى أى غلامى وجارى بنى (عن نفسه) لتنال شهوتها منه (قد شغفها حبا) تميز أى قد شغفها حبه يعني خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى القواد والشغاف حجاب القلب أو جلدة رفيقة يقال لها لسان القلب

(انالزاهافي ضلال ميين) في خطاؤه بعد عن طريق الصواب (فلما سمعت) راعيل (بمكرهن) باغتيابهن وقولهن امرأة العزيز عشقت
عبدها الكنعاني ومقتها وسمى الاغتياب مكر الانه في خفية وحال (١٧) غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن

سرها فافشينه عليها
(أرسلت اليهن) دعتهن
قيل دعت أربعين امرأة
منهن الخمس المذكورات
(وأعدت) وهيات
افتعلت من العتاد (لهن
متكاً) ما يتكأن عليه
من نمارق قصدت بتلك
الهيئة وهي قعودهن
متكئات والسكاكين في
أيديهن أن يدهشن عند
رؤيته ويشغلن عن
نفوسهن فتقع أيديهن
على أيديهن فيقطعنها لان
المتكئ اذا بهت لشيء وقعت
يده على يده (وآتت كل
واحدة منهن سكيناً) وكانوا
لا ياكون في ذلك الزمان
الا بالسكاكين كفعل الاعاجم
(وقالت اخرج عليه من)
بكر التاء بصري وعاصم
وحزرة وبضمها غيرهم (فلما
رأيناه أكبره) أعظمه
وهين ذلك الحسن الرائق
والجمال الفائق وكان فضل
يوسف على الناس في
الحسن كفضل القمر ليلة
البدر على نجوم السماء
وكان اذا سار في أزقة
مصري تلاً لوجهه
على الجدران وكان يشبه
آدم يوم خلقه ربه وقيل
ورث الجمال من جدته
سارة وقيل أكبرن بمعنى

علقها حباً والشغاف جلدة محيطه بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى ان حبه دخل الجلدة حتى أصاب
القلب وقيل ان حبه قد أحاط بقلها كاحاطة الشغاف بالقلب قال الكلبى حجب حبه قابها حتى لا تعقل
شيأ سواه (انالزاهافي ضلال ميين) يعني في خطابين ظاهر حيث تركت ما يجب على أمثالها من العفاف
والستر وأجبت فتاها (فلما سمعت بمكرهن) يعني فلما سمعت زليخا بقولهن وما تحدثن به وانما سمي
قولهن ذلك مكر لانهن طابن بذلك رؤية يوسف وكان وصفهن حسنه وجماله فقصدن أن يركبته
وقيل ان امرأة العزيز أفتت اليهن سرها واستكتمتهن فافشين ذلك عليها فلذلك سماه مكر (أرسلت
اليهن) يعني انها لما سمعت بانهن يلمن على محبتها ليوسف أرادت أن تقيم عذرها عندهن قال وهب اتخذت
مائدة يعني صنعت لهن وليمة وضيافة ودعت أربعين امرأة من أشرف مدينتها فيهن هؤلاء اللاتي عبرنهما
(وأعدت لهن متكاً) يعني ووضعت لهن نمارق ومساند يتكأن عليها وقال ابن عباس وابن جبير
والحسن وقتادة ومجاهد متكاً يعني طعاماً وانما سمي الطعام متكاً لان كل من دعوته ليطلع عندك فقد
أعدت له وسأند يجلس ويتكئ عليها فسمى الطعام متكاً على الاستعارة ويقال أتكا ناعبد
فلان أي طعمنا عنده والمتكأ ما يتكأ عليه عند الطعام والشراب والحديث ولذلك جاء النهي عنه في
الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا آكل متكاً وقيل المتكأ الانرج وقيل هو كل شيء يقطع
بالسكين أو يحز بها يقال ان المرأة زينت البيت بالوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسايد ودعت النسوة
اللاتي عبرنهما محب يوسف (وآتت كل واحدة منهن سكيناً) يعني وأعطت كل واحدة من النساء سكيناً
لتأكل بها وكان من عادتهن أن يأكلن اللحم والفواكه بالسكين (وقالت اخرج عليهن) يعني وقالت
زليخا ليوسف اخرج على النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج عليهن يوسف وكانت قد زينت واختبأته
في مكان آخر (فلما رأينه) يعني النسوة (أكبرنه) يعني أعظمه ودهشن عند رؤيته وكان يوسف قد
أعطى شطر الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على
سائر النجوم وروى أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت
ليلة أسرى في السماء يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال اسحق بن أبي فروة كان
يوسف اذا سار في أزقة مصر تلاً لأوجهه على الجدران ويقال انه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل
قبل أن يخرج من الجنة وقال أبو العالية هالطن أمره و بهتن اليه وفي رواية عن ابن عباس قال أكبرنه أي
حضن ونحوه عن مجاهد والضحاك قال حضن من الفرح وأنكرأ كثر أهل اللغة هذا القول قال الزجاج
هذه اللفظة ليست معروفة في اللغة والهاء في أكبرنه تمنع من هذا لانه لا يجوز أن يقال النساء قد حضنه لان
حضن لا يتعدى الى مفعول قال الأزهرى ان صححت هذه اللفظة في اللغة فلها مخرج وذلك ان المرأة اذا
حاضت أول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغار الى حد الكبار فيقال لها أكبرت أي حاضت على هذا
المعنى فان صححت الرواية عن ابن عباس ساءناله وجعلنا الهاء في قوله أكبرنه هاء الوقف لاهاء الكناية
وقيل ان المرأة اذا خافت أو فرغت فرجاً سقطت ولدها وتحيض فان كان ثم حيض فرجاً كان من
فرعهن وماهاطن من أمر يوسف حين رأينه قال الامام نجر الدين الرازي وعندى أنه يحتمل وجهاً آخر وهو
انهم انما أكبرنه لانهم رأين عليه نور النبوة وسما الرسالة وآثار الخضوع والاختبات وشاهدن فيه مهابة
وهيبة ملكية وهي عدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان ذلك الجمال العظيم
مقروناً بتلك الهيبة والهيئة فتعجبن من تلك الحالة فلا جرم أكبرنه وأعظمه ووقع الرعب والمهابة في قلوبهن

(٣ - (خازن) - ثالث) حضن والهاء للسكت اذا لا يقال النساء قد حضنه لانه لا يتعدى الى مفعول يقال أكبرت المرأة اذا

حاضت وحقيقته دخات في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر وكان أباطيب أخذ من هذا التفسير قوله خف الله واسترذا الجمال ببرقع

فان لحت حاضت في الخدور العوانق (وقطعن أيديهن) وجرحها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي نر بد جرحه أي أردن ان يقطعن
 الطعام الذي في أيديهن فدهشن لما رأينه خدشن أيديهن (وقلن حاش لله) حاشا كلمة تفيده معنى التزبه في باب الاستثناء تقول أسماء لقوم
 حاشا زيد وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التزبه والبراءة في حاشا الله براءة الله وتزبه الله وقرأ أبو عمر وحاشا الله نحو قولك
 سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ ويتره وغيره حاش لله بحذف الالف الاخيرة والمعنى تزبه الله من صفات العجز والتعجب من
 قدرته على خلق جيل مثله (ما هذا بشرا ان هـ الاملك كريم) نفين عنه البشرية لغرابه جماله وأثبتن له الملكية وبتن به الحكم
 لما ركز في الطباع ان لأحسن من الملك كما ركز فيها أن لا قبح من الشيطان (قالت فذا كن الذي لتني فيه) تقول هو ذلك العبد
 الكنعاني الذي صورتني في (١٨) أنفسكن ثم لتني فيه تعني انكن لم تصورنه حق صورته والالعذرتني في الافتتان

به (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) والاستعصام بقاء مبالغة يدل على الامتناع البالغ والتحفظ الشديد كأنه في عصية وهو يجتهد في الاستزادة منها وهذا بيان جلي على أن يوسف عليه السلام برئ مما فسره به أولئك الفريق المهم والبرهان ثم قلن له أطع مولانا فقلت لا راعيل (ولئن لم يضعل ما أمره) الضمير راجع الى ما وهي موصولة والمعنى ما أمره به فحذف الجار كما في قوله أمرتك الخيرا وما صدر به والضمير يرجع الى يوسف أي ولئن لم يفعل أمرى اياه أي موجب أمرى ومقتضاه (ليسجنن) ليسجنن والالف في وليكونا بدل من نون التأكيده الخفيفة (من الصاغرين) مع السراق والسفك والاياق كما سرق

قال وحمل الآية على هذا الوجه أولى (وقطعن أيديهن) يعني وجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التي معهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الاترج ولم يجدن الا لم الدهشتن وشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهدنا أحسن الابلاء وقال قتادة أن أيديهن حتى ألقينها والاصح انه كان قطعان غير ابانة وقال وهب مات جماعة منهم (وقلن) يعني النسوة (حاش لله ما هذا بشرا) أي معاذ الله أن يكون هذا بشرا (ان هذا الاملك كريم) يعني على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه قدر كزفي النفوس أن لا تثنى أحسن من الملك فلذلك وصفه بكونه ملكا وقيل لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة وجميع الآفات والحوادث التي تحصل للبشر وصفن يوسف بذلك (قوله تعالى) الذي لتني فيه) يعني قالت امرأة العزيز لما رأين يوسف ودهشن عند رؤيته فذلك الذي لتني في محبته وانما قالت ذلك لاقامة عذرها عندهن حين قلن ان امرأة العزيز قد شغفها فتأها الكنعاني حبا وانما قالت فذلك الح بعد ما قام من المجلس وذهب وقال صاحب الكشاف قالت فذلك ولم تقل فهذا وهو حاضر فعلمت زنته في الحسن واستحقة أن يحب ويفتن به ويجوز أن يكون اشارة الى المعنى بقولن عشقت عبده الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتني في أنفسكن ثم لتني فيه ثم ان امرأة العزيز صرحت بما فعلت فقات (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) يعني فامتنع من ذلك الفعل الذي طلبته منه وانما صرحت بذلك لانها علمت انه لا ملامة عليها منهن وانهن قد أصابهن ما أصابها عند رؤيته ثم ان امرأة العزيز قالت (ولئن لم يفعل ما أمره) يعني وان لم يطاوعني فيما دعوته اليه (ليسجنن) أي ليه اقبين بالسجن والحبس (وليكونا من الصاغرين) يعني من الاذلاء المهانين فقال النسوة ليوسف أطع مولانا ففما دعوتك اليه فاختر يوسف السجن على المعصية حين توعدته المرأة بذلك (قال رب) أي يارب (السجن أحب الى مما يدعونني اليه) قيل ان الدعاء كان من اخاصة وانما أضافه اليهن جميعا خوفا من التصريح الى التعريض وقيل انهن جميعا دعونه الى أنفسهن وقيل انهن لما قلن له أطع مولانا صحت اضافة الدعاء اليهن جميعا اولانه كان بمحضرتهن قال بعضهم لولم يقل السجن أحب الى لم يبتل بالسجن والاولى بالعبدان يسأل الله العافية (والانصرف عني كيدهن) يعني ما أردن مني (أصب اليهن) أي أمل اليهن يقال صبأ فلان الى كذا اذا مال اليه واشتاقه (وأكن من الجاهلين) يعني من المنذنين وقيل معناه أكن ممن يستحق صفة الذم والجهل وفيه دليل على أن من ارتكب ذنبا انما يرتكبه عن جهالة (فاستجاب له ربه) يعني فاجاب الله تعالى دعاء يوسف (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) يعني لدعاء يوسف وغيره (العليم) يعني بحاله وفي

قلبي وأبق مني وسفك دمي بالفراق فلا يهنا ليوسف الطعام والشرب والنوم هذا كما معنى هنا كل ذلك ومن لم يرض بمثل الآيه في الحرير على السرير أميرا حصل في الحصر على الحصر حيرا فلما مع يوسف تهديدها (قال رب السجن أحب الى مما يدعونني اليه) أسند الدعوة اليهن لانهن قلن له ما عليك لو أجبتم مولانا أو افتنت كل واحدة به فدعته الى نفسها سرا فاتجا الى ربه قال رب السجن أحب الى من ركوب المعصية (والانصرف عني كيدهن) فزع منه الى الله في طلب العصمة (أصب اليهن) أمل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبالان النفوس تصبو اليها الطيب بسيمها وروحها (وأكن من الجاهلين) من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لم يعلم سواء أو من السفهاء فلما كان في قوله والانصرف عني كيدهن معنى طلب الصبر والدعاء قال (فاستجاب له ربه) أي أجاب الله دعاءه (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) الدعوات للمتحنن اليه (العليم)

بحاله وحالهن (ثم بدأ لهم) فاعله مضمرة لدلالة ما يفسره عليه وهو ليس جنة والمعنى بدأ لهم بدءاً أي ظهر لهم رأي والضمير في لهم للعزير وأهله
(من بعد ما رأوا الآيات) وهي الشواهد على برائه كقصد القميص وقطع الأيدي وشهادة الصبي وغير ذلك (ليس جنة) لا بداء عند الحال
وارضاء السرة على القيل والقال وما كان ذلك الا باستئصال المرأة لزوجها (١٩) وكان مطواها لها وحيلاً ذلولاً لازمامه في يدها

وقد طمعت أن يذله
السجن ويسخره لها أو
خافت عليه العيون وظنت
فيه الظنون فالجأها الخجل
من الناس والوجل من
الياس إلى أن رضيت بالحجاب
كان خوف الذهاب
لتشتي بخبره إذا منعت من
نظره (حتى حين) إلى زمان
كانها اقترحت أن يسجن
زمانا حتى تبصر ما يكون
منه (ودخل معه السجن
فتيان) عبدان للملك خبازه
وشراييه بتهمة السم فادخلا
السجن ساعة أدخل يوسف
لأن مع يدل على معسني
الصيغة تقول خرجت مع
الأمير تريد مصاحباً له
فيجب أن يكون دخولهما
السجن مصاحبين له (قال
أحدهما) أي شراييه (اني
أراني) أي في المنام وهي
حكاية حال ماضية (أعصر
خرا) أي عنبة تسمية للعنب
بما يؤل إليه أو الخمر بلغة
عمان اسم للعنب (وقال
الآخر) أي خبازه (اني
أراني أحل فوق رأسي خبزاً
تاكل الطير منه بنشأ
بتأويله) بتأويل ما رأيتاه
(اناراك من المحسنين)

الآية دليل على أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما أظلمت البلية بكيد النساء ومطالبتهن إياه بما لا يليق بحاله لجأ
إلى الله وفتح إلى الدعاء رغبتاً إلى الله ليكشف عنه ما نزل به من ذلك الأمر مع الاعتراف بأنه ان لم يعصمه من
المعصية وقع فيها فدل ذلك على أنه لا يقدر أحد على الانصراف عن المعصية إلا بعصمة الله ولطفه به ﴿ قوله
عز وجل (ثم بدأ لهم) يعني للعزير وأصحابه في الرأي وذلك أنهم أرادوا أن يقتصروا من أمر يوسف على
الاعراض وكنتم الحال وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان ذلك العبد العبراني قد فضحني عند الناس بخبرهم باني
قد روادته عن نفسه فاما أن تأذن لي فاخرج وأعتذر إلى الناس واما أن تحبسه فرأي حبسه (من بعد ما رأوا
الآيات) يعني الدالة على صدق يوسف وبرائه من قدام القميص وكلام الطفل وقطع النساء أيديهن وذهاب
عقولهن عند رؤيته (ليس جنة) أي ليحبسن يوسف في السجن (حتى حين) يعني إلى مدة يرون رأيهم فيها
وقال عطاء إلى أن تنقطع مقالة الناس وقال عكرمة إلى سبع سنين وقال السكبي خمس سنين فحبسه قال السدي
جعل الله ذلك الحبس تطهيراً ليوسف من همه بالمرأة (ودخل معه السجن فتيان) وهما غلامان كانا لوليد بن
نزوان العماليق ملك مصر الا كبراً أحدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد
غضب عليهما الملك فحبسهما وكان السبب في ذلك أن جماعة من أشرف مصر أرادوا المكسر بالملك واغتياه
وقتله فضمنوا للذين الغلامين ما لا على أن يسما الملك في طعامه وشرابه فاجابا إلى ذلك ثم ان الساقى ندم فرجع
عن ذلك وقبل الخباز الرشوة رسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدي الملك قال الساقى لانا كل أيها الملك فان
الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان لشراب مسموم فقال للساقى اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز
كل من طعامك فاني فاطم من ذلك الطعام دابة فهلكت فامر الملك بحبسهما فحبسهما مع يوسف وكان يوسف
لما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول اني أعبر الاحلام فقال أحد الغلامين اصاحبه هلم فلنجرب هذا
الغلام العبراني فترأى باله رؤى فاسألاه من غير أن يكونا قد رأيا شيئاً قال ابن مسعود ما رأيا شيئاً انما حالما يجربا
يوسف وقال قوم بل كانا قد رأيا رؤى يا حقيقة فرآهما يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما فذكر أنهما
غلامان للملك وقد حبسهما وقد رأيا رؤى يا قد غتمتهما فقال يوسف فصاعلي ما رأيتما فقصا عليه ما رأياه فذلك
قوله تعالى (قال أحدهما) وهو صاحب شراب الملك (اني أراني أعصر خراً) يعني عنبة اسمي العنب خمر باسم
ما يؤل إليه يقال فلان يطبخ الآجر أي يطبخ الابن حتى يصير آجر أو قيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك انه قال
اني رأيت في المنام كاني في بستان واذا فيه أصل حبله وعليها ثلاثة عناقيد عنبت فخبثتها وكان كاس الملك في
يدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه (وقال الآخر) وهو صاحب طعام الملك (اني أراني أحل فوق رأسي
خبزاً تاكل الطير منه) وذلك انه قال اني رأيت في المنام كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان الاطعمة
وسباع الطير تنهش منها (بنشأ بتأويله) أي أخبرنا بتفسير ما رأينا وما يؤل إليه أمر هذه الرؤيا (اناراك من
المحسنين) يعني من العالمين بعبرة الرؤيا والاحسان هنا بمعنى العلم وسئل الضحاك ما كان احسانه فقال
كان اذا مرض انسان في الحبس عاده وقام عليه واذا ضاق على أحد وسع عليه واذا احتاج أحد جمع له شيئاً
وكان مع هذا يجتهد في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة وقيل انه لما دخل السجن وجد فيه قوما
اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال خزيمهم جعل يسليهم ويقول اصبروا وابشروا فقالوا بارك الله فيك يا فتى
ما أحسن وجهك وخالقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك فمن أين أنت قال أنا يوسف بن صفي الله

من الذين يحسنون عبارة الرؤيا أو من المحسنين إلى أهل السجن فانك تداوى المريض وتعزي الحزين وتوسع على الفقير فأحسن الينا
بتأويل ما رأينا وقيل انهما تجالما ليمتحناه فقال الشرايى اني رأيت كاني في بستان فاذا باصل حبله عليها ثلاثة عناقيد من عنبت فقطفتها
وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الاطعمة فاذا سباع الطير تنهش منها

(قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نباتا كما بتأويله) أي بيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل (فيل أن يأتيكما) ولما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترض ذلك (٢٠) فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وأنه ينبتهما بما

يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما وإصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفة كيت وكيت فيكون كذلك وجعل ذلك تخلصا الى أن يذكر طعام التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منهم يكن من باب التزكية (ذلكما) اشارة لهما الى التأويل أي ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات (مما علمني ربي) وأوحى به الى ولم أقله عن تكهن وتنجيم (اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) يجوز أن يكون كلاما مبتدأ وأن يكون تعليلا لما قبله أي علمني ذلك وأوحى به الى لاني رفضت ملة أولئك وهم أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم (واتبع ملة آباء إبراهيم واسحق ويعقوب) وهي الملة الخيفية وتكريرهم للتوكيد وذكر الآباء ليربهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره

يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يا فتى والله لو استطعت تخليت سديك ولكن سأرفق بك وأحسن جوارك واخترأي بيوت السجن شئت وقيل ان الفتيان لما رأيا يوسف قالوا انقادا حينذاك منذ رأيناك فقال لهما يوسف أشد كما بالله أن لا تخباني فوالله ما أحبني أحد قط الا دخل على من حبه بلاه لقد أحبني عمي فدخل على من ذلك بلاه وأحبني أبي فأقبت في الحب وأحبني امرأة العزيز فحسبت فلما صاع عليه رؤياهما كره يوسف أن يعبرها لهما حين سألاه لما علم ما في ذلك من المكروه لاحدهما وأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره من اظهار المعجزة والنبوة والدعاء الى التوحيد وقيل انه عليه السلام أراد أن يبين لهما أن درجته في العلم أعلى وأعظم مما اعتقد فيه وذلك أنهم اطلبوا منه علم التفسير ولا شك أن هذا العلم مبني على الظن والتخمين فأراد أن يعلمهما أنه يمكنه الاخبار عن المغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك مما يعجز الخلق عنه واذا قدر على الاخبار عن الغيوب كان أقدر على تعبير الرؤيا بطريق الاولي وقيل انما عدل عن تعبير رؤياهما الى اظهار المعجزة لانه علم أن أحدهما سيصلب فأراد أن يدخله في الاسلام ويخلصه من الكفر ودخول النار فأظهر له المعجزة لهذا السبب (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نباتا كما بتأويله) قيل أراد به في النوم يقول لا يأتيكما طعام ترزقانه في نومكما الا أخبرتكما خبره في اليقظة وقيل أراد به في اليقظة يقول لا يأتيكما طعام من منازلكما ترزقانه يعني طعامه وتأنى لانه الا نباتا كما بتأويله يعني أخبرتكما بقدره ولونه والوقت الذي يصل اليكما فيه (قبل أن يأتيكما) يعني قبل أن يصل اليكما وأي طعام أكرمكم أكرم ومنى أكرم وهذا مثل معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام حيث قال وأنتنم بماتنا كلون وماتنم خرون في بيوتنم فقال ليوسف عليه الصلاة والسلام هذا من علم العرافين والكهنة فمن أين لك هذا العلم فقال ما أنا بكاهن ولا عراف وإنما ذلك اشارة الى المعجزة والعلم الذي أخبرهما به (ذلكما علمني ربي) يعني ان هذا الذي أخبرتكما به ووحى من الله أوحاه الى وعلم علمنيه (اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) فان قلت ظاهر قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله انه عليه الصلاة والسلام كان داخل في هذه الملة ثم تركها وليس الامر كذلك لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من حين ولدوا وظهروا الى الوجود هم على التوحيد فامعنى هذا الترك في قوله تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء والاتفات اليه بالمرّة وليس من شرطه أن يكون قد كان داخل فيه ثم تركه ورجع عنه الوجه الثاني وهو الاقرب أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما كان عند العزيز وهو كافر وجيع من عنده كذلك وقد كان بينهم وكان يوسف على التوحيد والايمان الصحيح صح قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله (وهم بالآخرة هم كافرون) فترك ملتهم وأعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه وتكرر لفظهم في قوله وهم بالآخرة هم كافرون للتوكيد لشدة انكارهم للمعاد وقوله (واتبع ملة آباء إبراهيم واسحق ويعقوب) لما ادعى يوسف عليه السلام النبوة وأظهر المعجزة أظهر انه من أهل بيت النبوة وان آباءه كلهم كانوا انبياء وقيل لما كان إبراهيم واسحق ويعقوب مشهورين بالنبوة والرسالة وهم السرجة العليا في الدنيا عند الخلق والمنزلة الرفيعة في الآخرة فأظهر يوسف عليه الصلاة والسلام انه من أولادهم وانه من أهل بيت النبوة لسمعوا قوله ويطيعوا أمره فيما يدعوهم اليه من التوحيد (ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) معناه ان الله سبحانه وتعالى لما اختارنا للنبوة واصطفانا لرسالته وعصمنا من الشرك فما كان ينبغي لنا أن نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التي اختصنا بها قال الواحدى لفظه من في قوله من شيء زائدة مؤكدة كقولك ما جاءني من أحد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء أن نشرك بالله من شيء أي شيء كان

(ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) فضل الله في شركون به ولا يشتهون (يا صاحبي السجن) ياسا كنى السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أرأيت متفرقون خير أم الله الواحد القهار) يريد التفرق في العدد والتكاثر أي أن تكون أرباب شتى يستعبد كما هذا ويستعبد كما هذا خير كما أم يكون لكرب واحد قهار لا يغالب ولا يشرك في الربوبية وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام (ما تعبدون) خطاب لهم أولم يكن على (٢١) دينهم من أهل مصر (من دونه) من دون الله (الا

أسماء سميت وهاتم وآبؤكم) أي سميت ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقت تعبدونها فكانكم لا تعبدون الأسماء لا سميات لها ومعنى سميتوها سميت بها يقال سميت زيداً وسميته يزيد (ما أنزل الله بها) بتسميتها (من سلطان) حجة (ان الحكم) في أمر العبادة والدين (الان الله) ثم بين ما حكم به فقال (أمر ألا تعبدوا الاياه ذلك الدين القيم) الثابت الذي دات عليه البراهين (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وهذا يدل على ان العقوبة تلزم العبد وان جهل اذا امكن له العلم بطريقه ثم عبر الرؤيا فقال (يا صاحبي السجن اما احذك) يريد الشرايبي (فيسقي ربه) سيده (خرا) أي يعود الى عمله (واما الآخر) أي الخباز (فيصل فتأكل الطير من رأسه) روى أنه قال للاول ما رأيت من الكرامة وحسنها هو الملك وحسن حاله عنده وأما القضيان الثلاثة فانهما ثلاثة أيام

من ملك أو جنى أو انسى فضلاً أن يشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر (ذلك من فضل الله) يعني ذلك التوحيد وعدم الاشرار والعلم الذي رزقنا من فضل الله (علينا وعلى الناس) يعني بما نصب لهم من الادلة الدالة على وحدانيته وبين لهم طريق الهداية اليه فكل ذلك من فضل الله على عباده (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يعني ان أكثرهم لا يشكرون الله على هذه النعم التي أنعم بها عليهم لانهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهما الى الاسلام فقال (يا صاحبي السجن) يريد يا صاحبي في السجن فأضافهما الى السجن كما تقول ياسارق الليلة لان الليلة مسروقة فيها غير مسروقة ويجوز أن يريد ياسا كنى السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة (أرأيت متفرقون) يعني آلهة شتى من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون في الصفة وهي مع ذلك لا تضر ولا تنفع (خير أم الله الواحد القهار) يعني ان هذه الاصنام أعظم صفة في المدح واستحقاق اسم الالهية والعبادة أم الله الواحد القهار قال الخطابي الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده وقيل هو المنقطع عن القرين والمعدوم الشريك والنظير وليس هو كسائر الآحاد من الاجسام المؤلفة لان ذلك قديكثير بانضمام بعضها الى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذي لا مثل له ولا يشبهه شيء من خلقه القهار قال الخطابي القهار هو الذي قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كاهم بالموت وقال غيره القهار هو الذي قهر كل شيء وذلك فاستسلم وانقاد وذل له والمعنى ان هذه الاصنام التي تعبدونها ذليلة مقهورة اذا أراد الانسان كسرها واهانتها فقدر عليه والله هو الواحد في ملكه القهار لعباده الذي لا يغلبه شيء وهو الغالب لكل شيء سبحانه وتعالى ﴿ ثم بين عجز الاصنام وأنها لا تشي البتة فقال (ما تعبدون من دونه) يعني من دون الله وانما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد ابتدأ بالثنائية في المخاطبة لانه أراد جميع من في السجن من المشركين (الأسماء سميتوها) يعني سميتوها آلهة وأرباب وهي حجارة جادات خالية عن المعنى لا حقيقة لها (أنتم وآبؤكم) يعني من قبلكم سموها آلهة (ما أنزل الله بها من سلطان) يعني ان تسمية الاصنام آلهة لا حجة لكم بها ولا برهان ولا أمر الله بها وذلك انهم كانوا يقولون ان الله أمرنا بهذه التسمية فرد الله عليهم بقوله ما أنزل الله بها من سلطان (ان الحكم الا لله) يعني ان الحكم والقضاء والامر والنهي لله تعالى لا شريك له في ذلك (أمر ألا تعبدوا الاياه) لانه هو المستحق للعبادة لانه الاصنام التي سميتوها آلهة (ذلك الدين القيم) يعني عبادة الله هي الدين المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك ولما فرغ يوسف عليه الصلاة والسلام من الدعاء الى الله وعبادته رجع الى تعبير رؤياهما فقال (يا صاحبي السجن اما احذك) يعني ان صاحب شراب الملك يرجع الى منزلته ويسقى الملك خمر كما كان يسقيه أولاً والعناقيد الثلاثة هي ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يدعوه به الملك ويرده الى منزلته التي كان عليها (واما الآخر فيصل) يعني صاحب طعام الملك والسلال الثلاثة ثلاثة أيام ثم يدعوه به الملك فيصلبه (فتأكل الطير من رأسه) قال ابن مسعود رضي الله عنه فلما سمع قول يوسف عليه الصلاة والسلام قال اماراً ينشأ انما كان يعب قال يوسف (قضى الامر الذي فيه تستفتيان) يعني فرغ من الامر الذي سألتما عنه ووجب حكم الله عليهما بالذي أخبرتكما به رأيتما شيئاً لم تر يا (وقال) يعني يوسف (الذي ظن) يعني علم وتحقق فالظن بمعنى العلم (انه ناج منهما) يعني ساقى الملك (اذ كرتي عند ربك) يعني سيدك وهو الملك الا كبر فقل له ان في

تغني في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل ولما سمع الخباز صلبه قال ما رأيت شيئاً فقال يوسف (قضى الامر الذي فيه تستفتيان) أي قطع وتم باستفتيان فيه من أمر كما وشأن كما أي ما يجري اليه من العاقبة وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر (وقال للذي ظن انه ناج منهما) الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرايبي أو يكون الظن بمعنى اليقين (اذ كرتي عند ربك) صفتي عند الملك بصفتي وفص عليه فوصي له برحمتي ويخلصني من هذه

الورطة (فأناها الشيطان) فأنسى الشراقي (ذكر به) ان يذكر به أو عند ربه أو فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره الى غيره وفي الحديث
رحم الله أخى يوسف لولم يتل اذ كرتي عند بك لما لبث في السجن سبع سنين (فلبت في السجن بضع سنين) أي سبعا عند الجمهور والبضع ما بين
الثلاث الى التسع (وقال الملك اني (٢٢) أرى سبع بقرات سمان يأ كاهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) لما دنا

فرج يوسف رأى ملك
مصر الريان بن الوليد رؤيا
عجيبة هاتته رأى سبع بقرات
سمان خرجن من نهر يابس
وسبع بقرات عجاف
فابتلعت العجاف السمان
ورأى سبع سنبلات
خضر قد انه قد حبا وسبعا
أخر يابسات قد استحصدت
وأدركت فالتوت اليابسات
على الخضر حتى غابن عليها
فاستعبرها فلم يجد في قومه
من يحسن عبارتها وقيل
كان ابتداء بلاء يوسف
في الرؤيا ثم كان سبب نجاة
أيضا الرؤيا سمان جمع
سمين وسمينة والعجاف
المهازيل والعجف الهزال
الذي ليس بعده سمان
والسبب في وقوع عجاف
جمع العجفاء وأفعال وفلاء
لا يجمعان على فعل حله
على تقيضه وهو سمان ومن
دأبهم حمل التظير على التظير
والنقيض على النقيض
وفي الآية دلالة على ان
السنبلات اليابسة كانت
سبعا كالحضر لان الكلام
مبني على انصابه الى هذا
العدد في البقرات السمان
والعجاف والسنايل الخضر
فوجب أن يتناول معنى الآخر

السجن غلاما محبوسا مظلوما طال حبسه (فأناها الشيطان ذكر به) في هاء الكتابة في فأنساه الى من تعود
قولان أحدهما انها ترجع الى الساق وهو قول عامة المفسرين والمعنى فأنسى الشيطان الساقى أن يذكر
يوسف عند الملك قالوا لان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقى حتى أنساه ذكر يوسف أولى من
صرفها الى يوسف واقول الثاني وهو قول أكثر المفسرين ان هاء الكتابة ترجع الى يوسف والمعنى ان
الشيطان أنسى يوسف ذكر به عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله في دفع الضرر
وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام فان الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر جائزة الا أنه لما كان مقام
يوسف أعلى المقامات ورتبة أشرف المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لاجرم صار يوسف مؤاخذا بهذا
القدر فان حسنات الابراشيات المقربين فان قلت كيف تمكن الشيطان من يوسف حين أنساه ذكر
ربه هاتت بشغل خاطر ولقاء الوسوسة فانه قد صح في الحديث ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم
فاما النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر وازالته عن القلب بالكافة فلا يقدر عليه وقوله سبحانه وتعالى
(فلبت في السجن بضع سنين) اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث الى السبع وقال قتادة هو
ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية
سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبلا في السجن خمس سنين فجملة ذلك اثنتا عشرة سنة وقال وهب أصاب
أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار قال يوسف للساقى اذ كرتي
عند بك قيل له يا يوسف انخذت من دوني وكيلا لاطيان حبسك فبكى يوسف وقال يا رب أنسى قلبي ذكرك
كثرة البلوى فقالت لمة قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا كلمته التي قالها ما لبث
في السجن ما لبث يعني قوله اذ كرتي عند بك ثم بكى الحسن وقال نحن اذا نزل بنا أمر فرزنا الى الناس ذكره
النعلي مرسلوا وغير سندر قيل ان جبريل دخل على يوسف في السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف
يا أخ المنذر بن مالي أراك بين الخاطئين فقال له جبريل يا طاهر ابن الطاهر ين يقرأ عليك السلام رب العالمين
ويقول لك أما استحييت مني أن استغثت بالأميين فوعزتي وجلالي لا لبس لك في السجن بضع سنين قال
يوسف وهو في ذلك عنى راض قال نعم قال اذا الأبالى وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل لك
من خلقك قال الله قال فمن رزقك قال الله قال فمن حبسك الى أيك قال الله قال فمن نجاك من كرب البثر قال الله
قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فمن صرف عنك سوء والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بأدمي
مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكاهن وهذه السبع سوى الخمس سنين التي كانت قبيل ذلك ودنا
فرج يوسف وأراد الله عز وجل اخراجه من السجن رأى ملك مصر الا كبر رؤيا عجيبه هالته وذلك انه رأى
في منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقيهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلع
العجاف السمان ودخان في بطونهم ولم يبرهنهم شيء ولم يقبلن على العجاف منها شيء ورأى سبع سنبلات خضر
قد انعقد حبا وسبع سنبلات أخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم
يبق من خضرتها شيء فجمع السمرة والكهنة والمعبدين وقص عليهم رؤيا التي رآها فذاك قوله تعالى (وقال
الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأ كاهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يأ بها الملاء
أفتوني في رؤياي) يعني يأ بها الاشراف أخبروني بتأويل رؤياي (ان كنتم للرؤيا تعبرون) يعني ان كنتم

السبع ويكون قوله وأخر يابس بمعنى وسبعا أخر (يأ بها الملاء) كأنه أراد الاعيان من العلماء والحكام (أفتوني في
رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون) اللام في الرؤيا بالبيان كقولوه وكانوا فيه من الزاهدين أولان المفعول به اذا تقدم على الفعل لم يكن في قوته على
العمل فيه مثله اذا تأخر عنه فاضربها تقول عبرت الرؤيا بالرؤيا باعتبار أو يكون للرؤيا خبر كان كقولك كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به

تمت كئامنه وتعبرون خبراً أو حالاً وحقيقة عبرت الرؤيا إذ كرت عاقبتها وأخراً أمرها كما تقول عبرت النه إذا قطعت حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه أو أت الرؤيا إذا كرت ما لها وهو مرجمها وعبرت الرؤيا بابتغيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر (قالوا أضغاث أحلام) أي هي أضغاث أحلام أي تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الاضغاث ما جمع من أخلط النبات وحزم من أنواع الحشيش الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من أي أضغاث من أحلام وإنما جمع وهو حلم واحد تزيد في وصف الحلم بالطلان وجزان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا يرؤيا غيرها (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) أرادوا بالاحلام المنامات الباطلة فغالبوا وليس لها عندنا تأويل إنما (٢٣) التأويل للمنامات الصحيحة أو

اعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تأويل الاحلام بخابرين (وقال الذي نجا) من القتل (منهما) من صاحبي السجن (واذكر) بالبدال هو الفصيح وأصله اذ نكر فأبدلت الذال ذالا والتاء دالا وأدغمت الاولى في الثانية لتقارب الحرفين وعن الحسن واذكر وجهه أنه قلب التاء ذالا وأدغم أي تذكر يوسف وما شاهد منه (بعدمه) بعدمه أو بلة وذلك أنه حين استفتى الملك في رؤياه وأعضل على الملك تأويلها تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك (أنا أنبتكم بتأويله) أنا أخبركم به عن عنده علمه (فارسلون) وبالياء يعقوب أي فابعثوني اليه

تحسنون علم العبارة وتفسيرها وعلم التعبير مختص بتفسير الرؤيا وسمى هذا العلم تعبير الان المفسر للرؤيا عابراً من ظاهرها الى باطنها ليستخرج معناها وهذا أخص من التأويل لان التأويل يقال فيه وفي غيره (قالوا) يعني قال جماعة الملأ وهم السحرة والكهنة والمعبرون مجيبين للملك (أضغاث أحلام) يعني أخلط مشبهة واحداً ضغث وأصله الحزمة المختلطة من أنواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا التي يراها الانسان في منامه (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) لما جعل الله هذه الرؤيا سبباً للخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن وذلك ان الملك لما رأى أفاق واضطرب وذلك لأنه قد شاهد الناقص الضعيف قد استولى على القوى الكامل حتى قهره وغلبه فأراد ان يعرف تأويل ذلك فجمع سحرته وكهنته زمعبريه وأخبرهم بما رأى في منامه وسألهم عن تأويلها فأعجز الله بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تأويل هذه الرؤيا ومنهم عن الجواب ليكون ذلك سبباً للخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن فذلك قوله تعالى (وقال الذي نجا من السجن) يعني وقال الساقى الذي نجا من السجن والقتل بعد هلاك صاحبه الخباز (واذكر بعدمه) يعني أنه تذكر قول يوسف اذ كرتي عندك بعد أمة يعني بعد حين وهو سبع سنين وسمى الحين من الزمان أمة لأنه جماعة الايام والامة الجماعة (أنا أنبتكم) يعني أخبركم (بتأويله) وقوله أنا أنبتكم بلفظ الجمع اما أنه أراد به الملك مع جماعة السحرة والكهنة والمعبرين أو أراد به الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان الفتى الساقى جثا بين يدي الملك وقال ان في السجن رجلاً عالماً بعبر الرؤيا (فارسلون) فيه اختصار تقدير فارسلى أيها الملك فإرساله فأتى السجن قال ابن عباس ولم يكن في المدينة (يوسف) أي يايوسف (أيها الصديق) انما سماه صديقاً لأنه لم يجرب عليه كذبا قط والصديق الكثير الصدق والذي لم يكتب قط وقيل سماه صديقاً لأنه صدق في تعبير رؤياه التي رآها في السجن (أفتنا في سبع بقرات سمان باكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) فان الملك رأى هذه الرؤيا (لعلى أرجع الى الناس) يعني أرجع بتأويل هذه الرؤيا الى الملك وجماعته (اعلمهم بعلمون) يعني بتأويل هذه الرؤيا وقيل لعلمهم بعلمون منزلتك في العلم (قال) يعني قال يوسف معبر تلك الرؤيا أما البقرات السمان والسنبلات الخضر سبع سنين مخصبة وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات سبع سنين مجذبة فذلك قوله تعالى (تزرعون) وهذا خبر بمعنى الامر أي ازرعوا (سبع سنين دأباً) يعني عادتكم في الزراعة والدأب العادة وقيل ازرعوا بجد واجتهاد (فاحصدتم فذروه في سنبله) انما أمرهم بترك ما حصدوه من الحنطة في سنبله لئلا يفسد ويقع فيه السوس وذلك أبقى له على طول الزمان (الاقليلا مما أنا كلون) يعني ادرسوا قليلاً من الحنطة لا كل بقدر الحاجة وأمرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة أيضاً وهو وقت السنين المجذبة وهو قوله

لاساله فارسلاه الى يوسف فأنه فقال (يوسف أيها الصديق) أيها البليغ في الصدق وإنما قال له ذلك لأنه ذاق وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أول (أفتنا في سبع بقرات سمان باكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع الى الناس) الى الملك وأتباعه (اعلمهم بعلمون) فضلك ومكانك من العلم في طلبوك ويخلصوك من محنتك (قال تزرعون سبع سنين) هو خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون دليلاً قوله فذروه في سنبله وانما يخرج الامر في صورة الخبر المبالغة في وجود المأمور به فيجعل كأنه موجود فهو يخبر عنه (دأباً) بسكون الهمزة وحذف بحركه وهم مصدر أدب في العمل وهو حال من المأمورين أي دائبين (فاحصدتم فذروه في سنبله) كي لا يأكله السوس (الاقليلا مما أنا كلون) في تلك السنين

(ثم يأتي من بعد ذلك سبع شدادياً كان) هو من اسناد المجاز جعلاً كأنه مسند اليهن (ما قدمتم لهن) أي في السنين المحصبة (الاقليلاً ما
 تحضون) نحرزون ونحجون (ثم يأتي من بعد ذلك عام) أي من بعد أربع عشرة سنة عام (فيه يغاث الناس) من الغوث أي بحباب مستغِيثهم
 أو من الغيث أي بطرون يقال غيشت البلاد إذا مطرت (وفيه يعصرون) العنب والزيتون والسمسم فيتخذون الاشرقة والادهان يعصرون
 حزة فأول البقرات السماء والسبلات الخضريتين محاصيب والجفاف واليابسات بسنين مجدية ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بان
 العام الثامن بحجى مباركا كثيرا الخير (٢٤) غزير النعم وذلك من جهة الوحي (وقال الملك اتنوني به فلما جاءه الرسول) ايخرجه من السجن

(ثم يأتي من بعد ذلك) يعني من بعد السنين المحصبة (سبع شداد) يعني سبع سنين مجدية بمحلة شديدة على
 الناس (يا كان) يعني يفتين (ما قدمتم لهن) يوكل فيهن كل ما أعدتم وادخرتم لهن من الطعام وانما
 أضاف الاكل الى السنين على طريق التوسع في الكلام (الاقليلاً ما تحضون) يعني نحرزون وندخرون
 للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع (ثم يأتي من بعد ذلك) يعني من
 بعد هذه السنين المجدية (عام فيه يغاث الناس) أي بطرون من الغيث الذي هو المطر وقيل هو من فوطهم
 استغثت من فلان فأغاثني من الغوث (وفيه يعصرون) يعني يعصرون العنب خراوا الزيتون زيتا
 والسمسم دهنا أراد به كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب في الزرع والثمار وقيل يعصرون معناه
 ينجون من الكرب والشدة والجذب قوله عز وجل (وقال الملك اتنوني به) وذلك أن الساقى لما رجع
 الى الملك وأخبره بفتيا يوسف وما عبر به رؤياه استحسنته الملك وعرف أن الذي قاله كأن لا محالة فقال
 اتنوني به حتى أبصر هذا الرجل الذي قد عبر رؤياي بهذه العبارة فرجع الساقى الى يوسف وقال له أجب الملك
 فذلك قوله تعالى (فلما جاءه الرسول) فأبى أن يخرج معه حتى تظهر براءته للملك ولا يراه بعين النقص (قال)
 يعني قال يوسف للرسول (ارجع الى ربك) يعني الى سيدك وهو الملك (فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن
 أيديهن) ولم يصرح بذلك امرأة العزيز بأذبار احترامها (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ابنت في السجن طول لبث يوسف لاجبت الداعي أخرجه الترمذي وزاد فيه
 ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن هذا الحديث فيه بيان
 فضل يوسف عليه الصلاة والسلام وبيان قوة صبره وثباته والمراد بالداعي رسول الملك الذي جاء من عنده
 فلم يخرج معه مبادر الى الراحة ومفارقة ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل فلبث في السجن وراسل
 الملك في كشف أمره الذي سجن بسببه تظهر براءته عند الملك وغيره فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 على يوسف عليه الصلاة والسلام وبين فضيلته وحسن صبره على المحنة والبلاء وقوله (ان ربي بكيدهن
 عليم) يعني ان الله تعالى عالم بصنيعهن وما احتملن في هذه الواقعة من الخيل العظيمة فرجع الرسول من عند
 يوسف الى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن و(قال) لهن (ما خطبكن) أي
 ما شأنكن وأمركن (اذ راودتن يوسف عن نفسه) أي ما خطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد
 بذلك امرأة العزيز وزوجدها ليكون أسترها وقيل ان امرأة العزيز راودته عن نفسه وحدها وسائر
 النسوة امرأته بطاعتها فلذلك خطبهن بهذا الخطاب (قلن) يعني النسوة جميعا بحبيبات للملك (حاش الله)
 يعني معاذ الله (ما علمنا عليه من سوء) يعني من خيانة في شيء من الاشياء (قالت امرأت العزيز الآن
 حصص الحق) يعني ظهر وتبين وقيل ان النسوة أقبلن على امرأة العزيز فغزرنها وقيل خافت أن يشهدن
 عليها فأقرت فقالت (أنا راودته عن نفسه وأنه لمن الصادقين) يعني في قوله هي راودتنني عن نفسي واختلفوا

(قال ارجع الى ربك) أي
 الملك (فأسأله ما بال النسوة)
 أي حال النسوة (اللاتي
 قطعن أيديهن) انما ثبت
 يوسف وتأني في اجابة الملك
 وقدم سؤال النسوة ليظهر
 براءة ساحته عما رمى به
 وسجن فيه ثلاثا يسبق به
 الحامدون الى تصحيح أمره
 عنده ويحملهوه سهما الى حط
 منزلته لديه ولثلا يقولوا
 ما خلف في السجن سبع
 سنين الا الامر عظيم وجرم
 كبير وفيه دليل على ان
 الاجتهاد في نفي التهم واجب
 وجوب اتقاء الوقوف في
 موافقها وقال عليه السلام
 لقد عجبنا من يوسف وكرمه
 وصبره والله يغفر له حين
 سئل عن البقرات العجاف
 والسمان ولو كنت مكانه
 ما أخبرتكم حتى اشترط أن
 يخرجوني ولقد عجبنا منه
 حين أتاه الرسول فقال ارجع
 الى ربك ولو كنت مكانه
 ولبثت في السجن ما لبثت
 لاسرعت الاجابة وبأدبرت
 الباب ولما ابنت العذران

كان حليما إذا أناة ومن كرمه وحسن أدبه انه لم يذك كرسيدته مع ما صنعت به وتبعت فيه من السجن والعذاب
 واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن (ان ربي بكيدهن عليم) أي ان كيدهن عظيم لا يعلمه الا الله وهو محاز بهن عليه فرجع الرسول الى
 الملك من عند يوسف برسالة فدعا الملك النسوة المقطعات أيديهن ودعا امرأة العزيز ثم (قال) لهن (ما خطبكن) ما شأنكن (اذ راودتن
 يوسف عن نفسه) هل وجدتن منه ميلا ليكن (قلن حاش الله) تعجبنا من قدرته على خلق عفيف مثله (ما علمنا عليه من سوء) من ذنب
 (قالت امرأت العزيز الآن حصص الحق) ظهر واستقر (أنا راودته عن نفسه وأنه لمن الصادقين) في قوله هي راودتنني

عن نفسى ولا مزيد على
شهادتهم له بالبراءة والزاهة
واعترافهم على أنفسهم
بأنه لم يتعلق بشئ مما قذف
به ثم رجع الرسول الى
يوسف وأخبره بكلام
النسوة واقرار امرأة
العزير وشهادتها على
نفسها فقال يوسف (ذلك)
أى امتناعى من الخروج
والتثبت لظهور البراءة
(ليعلم) العزير (أنى لم
أخنه بالغيب) بظهر الغيب
في حرمة وبالغيب حال
من الفاعل أو المفعول على
معنى وأنا غائب عنه أو هو
غائب عنى أو ليعلم الملك أنى
لم أخن العزير (وأن الله)
أى وليعلم أن الله (لا يهدى
كيد الخائنين) لا يسدده
وكانه تعريض بامرأته
في خيانتها أمانة زوجها ثم
أراد أن يتواضع لله
ويهضم نفسه لئلا يكون
طامعاً كما وليبين أن ما فيه
من الامانة بتوفيق الله
وعصمته فقال (وما برئ)
نفسى) من الزال وما أشهد
ها بالبراءة الكلية ولا
أزكها في عموم الاحوال
أوفى هذه الحادثة لما ذكرنا
من الهم الذى هو الخطرة
البشرية لاعن طريق
القصد والعزم (ان النفس
لامارة بالسوء) أراد
الجنس أى ان هذا الجنس
يأمر بالسوء وعمل عليه لما فيه من الشهوات

في قوله (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب) على قولين أحدهما أنه من قول المرأة ووجه هذا القول ان هذا
كلام متصل بما قبله وهو قول المرأة الآن حصص الحق أمارا ودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ثم قالت
ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف أنى لم أخنه في حال غيبته وهو في السجن ولم أكذب
عليه بل قلت أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وان كنت قد قلت فيه ما قلت في حضرته ثم بالغت في
تأكيدها هذا القول فقالت (وأن الله لا يهدى كيد الخائنين) يعنى انى لما أقدمت على هذا الكيد
والمكر لاجرم انى افتضحت لان الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثانى انه من قول يوسف عليه
الصلاة والسلام وهذا قول الاكثرين من المفسرين والعلماء ووجه هذا القول أنه لا يبعد وصل كلام
انسان بكلام انسان آخر اذا ذات القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الآية أنه لما بلغ يوسف قول المرأة
أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين قال يوسف ذلك أى الذى فعلت من ردى رسول الملك اليه ليعلم يعنى
العزير أنى لم أخنه في زوجته بالغيب يعنى في حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بقوله امرأة
العزير أنا راودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين لمعرفة السامع ان ذلك مع غموض فيه لانه ذكر
كلام انسان ثم أتبعه بكلام انسان آخر من غير فصل بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى يريد أن يخرجكم
من أرضكم هذا من قول الملا فاذ انامرون من قول فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة هذا
من قول بلقيس وكذلك يفعلون من قوله عز وجل تصديقها وعلى هذا القول اختلفوا أين كان يوسف
حين قال هذه المقالة على قولين أحدهما أنه كان في السجن وذلك أنه لما رجع اليه رسول الملك وهو في
السجن وأخبره بمجواب امرأة العزير للملك قال حينئذ ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وهذه رواية أبى صالح
عن ابن عباس وبه قال ابن جرير والقول الثانى أنه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية
عطاء عن ابن عباس * فان قلت فعلى هذا القول كيف خاطبهم بلفظة ذلك وهي اشارة للغائب مع حضوره
عندهم * قات قال ابن الانبارى قال اللغويون هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع لقرب الخبر من أصحابه
فصار كالمشاهد الذى يشار اليه بهذا وقيل ذلك اشارة الى ما فعله بقول ذلك الذى فعلته من ردى الرسول ليعلم
أنى لم أخنه بالغيب أى لم أخن العزير في حال غيبته ثم ختم هذا الكلام بقوله وأن الله لا يهدى كيد الخائنين
يعنى أنى لو كنت خائناً لما خلصنى الله من هذه الورطة التى وقعت فيها لان الله لا يهدى أى لا يرشد ولا يوفق كيد
الخائنين واختلفوا في قوله (وما برئ نفسى) من قول من على قولين أيضاً أحدهما أنه من قول المرأة وهذا
التفسير على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب من قول المرأة فعلى هذا يكون المعنى وما برئ
نفسى من مرادنى يوسف عن نفسه وكذبت عليه والثول الثانى وهو الاصح وعليه أكثر المفسرين انه من
قول يوسف عليه الصلاة والسلام وذلك انه لما قال ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت
بها فقال يوسف عند ذلك وما برئ نفسى وهذه رواية عن ابن عباس أيضاً وهو قول الاكثرين وقال الحسن
ان يوسف لما قال ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب خاف أن يكون قد زكى نفسه فقال وما برئ نفسى لان الله
تعالى قال فلا تزكوا أنفسكم ففى قوله وما برئ نفسى هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل فان رؤية
النفس في مقام العصمة والتركيب ذنب عظيم فاراد ازالة ذلك عن نفسه فان حسنات الابرار سيئات المقربين
(ان النفس لامارة بالسوء) والسوء لفظ جامع لكل ما يهيم الانسان من الامور الدنيوية والاخروية والسبب
الفعله القبيحة واختلفوا في النفس الامارة بالسوء ما هى قاله على أكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم
ان النفس الانسانية واحدة ولها صفات منها الامارة بالسوء ومنها اللوامة ومنها المطمئنة فهذه الثلاث
المراتب هى صفات النفس واحدة فاذا دعت النفس الى شهواتها ومالت اليها فهى النفس الامارة بالسوء
فاذا فعلتها أتت النفس اللوامة فلامتها على ذلك الفعل التبيح من ارتكاب الشهوات ويحصل عند ذلك

(الامارحمر ربي) الا البعض الذي رحمة ربي بالعصمة ويجوز ان يكون مارحمر في معنى الزمان أي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت الا وقت العصمة وهو استثناء منقطع أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل هو من كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت لي علم يوسف أي لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة ووجت بالصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسي مع ذلك من الحيانة فاني قد خنته حين قدفته وقلت ما جزاء من أراد باهلك سوا الأنا يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار عما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الامارحمر ربي الانفسارحها الله بالعصمة كنفس (٢٦) يوسف (ان ربي غفور رحيم) استغفرت ربها واسترحته مما ارتكبت وانما

جعل من كلام يوسف ولادليل عليه ظاهر لان المعنى يقود اليه وقيل هذا من تقديم القرآن وتأخيره أي قوله ذلك اعلم متصل بقوله فاستله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن (وقال الملك اتوني به أستخلصه لنفسي) أجعله خالصا لنفسي (فلما كلمه) وشاهد منه ما لم يحاسب (قال) الملك ليوسف (انك اليوم لدينا مكين أمين) ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شيء روى أن الرسول جاء ومعه سبعون حاجبا وسبعون مرسكاو بعث اليه لباس الملوك فقال أجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تم عليهم الاخبار ففهم أعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلواء وقبور الاحياء وشهامة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن

الندامة على ذلك الفعل التبيح وهذا من صفات النفس الماخذة وقيل ان النفس امارة بالسوء بطبعها فاذا تزكت وصفت من أخلاقها الذميمة صارت مطمئنة وقوله (الامارحمر ربي) قال ابن عباس معناه الامن عصم ربي فتكون ما يعني من فهو كقوله ما طاب لكم من النساء يعني من طاب لكم وقيل هذا الاستثناء منقطع معناه لكن من رحمة ربي فعصمه من متابعة النفس الامارة بالسوء (ان ربي غفور) يعني غفور لذنوب عباده (رحيم) بهم قوله تعالى (وقال الملك اتوني به أستخلصه لنفسي) وذلك انه لما تبين للملك عن يوسف وعرف أماته وعلمه طلب حضوره اليه فقال اتوني به يعني يوسف أستخلصه لنفسي أي أجعله خالصا لنفسي والاستخلاص طلب خلوص الشيء من جميع شوائب الاشتراك وانما طلب الملك أن يستخلص يوسف لنفسه لان عادة الملوك أن ينفردوا بالاشياء النفيسة العزيزة ولا يشاركون فيها أحد من الناس وانما قال الملك ذلك لما عظم اعتقاده في يوسف لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره واحسانه الى أهل السجن وحسن أدبه وثباته على الحق كلها فلقد احسن اعتقاد الملك فيه واذا أراد الله تعالى أمرا هيا أسبابه فاهم الملك ذلك فقال اتوني به أستخلصه لنفسي (فلما كلمه) فيه اختصار تقديره فلما جاء الرسول الى يوسف فقال له أجب الملك الآن بالامعاودة فاجابه روى أن يوسف لما قام ليخرج من السجن دعا لاهله فقال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تم عليهم الاخبار ففهم أعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا بيت البلواء وقبور الاحياء وشهامة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما أبصر الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره وأعود بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم يوسف عليه بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له وما هذا اللسان أيضا قال يوسف هذا لسان آباءي قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لغة فلم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان أجابه يوسف وزاد عليه بالعربية والعبرانية فلما رأى الملك منه ذلك أعجبه ما رأى مع حدائته من يوسف عليه السلام وكان له من العمر يومئذ ثلاثون سنة فاجلسه الى جنبه فذلك قوله تعالى فلما كلمه يعني فلما كلم الملك يوسف لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد أن يبدأ بالكلام فيها وانما يبدأ الملك فيها بالكلام وقيل معناه فلما كلم يوسف الملك قال الساقى أي الملك هذا الذي علم تاويل رؤياك مع عجز السحرة والكهنة عنها فاقبل عليه الملك و (قال انك اليوم لديك أمين) يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة أي منزلة وهي الحالة التي يتمكن بها صاحبها بما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت أمانتك ومنزلاتك وصدقك وبراءتك مما نسبت اليه وقوله مكين أمين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضائل والمناقب في أمر الدين والدنيا روى ان الملك قال ليوسف عليه الصلاة والسلام أحب أن أسمع تاويل رؤياي منك شفاها فقال نعم أيها

السجن ولبس ثيابا جدد فلما دخل على الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره وأعود بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آباءي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فدهج منده وقال أيها الصديق اني أحب أن أسمع رؤياي منك قال رأيت بقرات فوصف لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك وقال له من حقلك أن تجمع الطعام في الاهراء فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجمع لك من الكنوز ما لم يجمع لاحد قبلك قال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه

الملك

(قال) يوسف (اجعلني
 على خزائن الارض) ولي
 على خزائن ارضك يعني
 مصر (اني حفيظ) أمين
 أحفظ ما تستحفظنيه
 (عليم) عالم بوجوه
 التصرف وصف نفسه
 بالامانة والكفاية وهما
 طلبه الملوك ممن يولونه وانما
 قال ذلك ليتوصل الى
 امضاء أحكام الله واقامة
 الحق وبسط العدل
 والتمكن مما لاجله بعث
 الانبياء الى العباد ولعلمه ان
 احدا غيره لا يقوم مقامه
 في ذلك فطلبه ابتغاء وجه
 الله لالحب الملك والدنيا
 وفي الحديث رحم الله
 أخي يوسف لولم يقل اجعلني
 على خزائن الارض
 لاستعمله من ساعته ولكنه
 أخر ذلك سنة قالوا فيه
 دليل على انه يجوز ان
 يتولى الانسان عمالة من
 يد سلطان جائر وقد كان
 السلف يتولون القضاء من
 جهة الظلمة واذاعلم النبي
 أو العالم انه لا سبيل الى
 الحكم بامر الله ودفع الظلم
 الا بتسكين الملك الكافر
 أو الفاسق فله ان يستظهر
 به وقيل كان الملك يصدر
 عن رأيه ولا يعترض عليه
 في كل ما رأى وكان في حكم
 التابع له

الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب غر حسان غير عجاف كشف لك عنهن النيل فطامن من شاطئه
 تشعب أخلافهن لبنافينما أنت تنظر اليهن وقد أعجبتك حسنهن اذ نصب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه فخرج
 من حائه سبع بقرات عجاف شعث غير ملصقات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن أنياب
 وأضراس وأكف ككف الكلاب وخراطيم نحر اطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسن السمان
 كافتراس السبع فاكن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومشمشن مخهن فينما أنت تنظر
 وتتهجت كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر منهن سمن ولا زيادة بعدأ كاهن اذ سبع سنبلات خضر طريبات
 ناعمات ممتلئات حبا وما عوالى جانبهن سبع أخر سوديا بسات في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فينا
 أنت تقول في نفسك أى شئ هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سوديا بسات والمنبت واحد وأصولهن في الثرى
 والماء اذ هبت ريح فذرت أوراق اليا بسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن
 فصرن سودا فهذا ما رأيت أيها الملك ثم انتهت مدعورا فقال الملك والله ما أخطأت منها شيئا فأتان هذه الرؤيا
 وان كان عجبا فها هو باعجب مما سمعت منك وما ترى في تأويل رؤياي أيها الصديق قال يوسف عليه الصلاة
 والسلام أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المنخصة وتجعل ما يتحصل من ذلك الطعام
 في الخزائن بقصبه وسنبله فإنه أبقى له فيكون ذلك القصب والسنبل علفاً للدواب وتأمراً للناس فليرفعوا
 الخس من زروعهم أيضاً فيكفيك ذلك الطعام الذي جمعه لاهل مصر ومن حولها وتأتيك الخلق من سائر
 النواحي للميرة ويجمع عندك من الكوز والاموال ما لا يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لى بهذا ومن
 يجمعه ويبيعه لى ويكفينى العمل فيه فعند ذلك (قال) يعنى يوسف (اجعلني على خزائن الارض) يعنى على
 خزائن الطعام والاموال وأراد بالارض أرض مصر أى اجعلني على خزائن ارضك التى تحت يدك وقال الربيع
 ابن أنس اجعلني على خزائن خراج مصر ودخلها (انى حفيظ عليم) أى حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها
 وقيل معناه انى حاسب كاتب وقيل حفيظ لما استودعتهنى عليم بما وليتني وقيل حفيظ للحساب عليم أعلم لغة
 من ياتينى وقال السكبي حفيظ بتقديره في السنين المنخصة للسنين المجدة بة عليم بوقت الجوع حين يقع فقال
 الملك عند ذلك ومن أحق بذلك منك وولاه ذلك وروى البغوى باسناد الثعلبي عن ابن عباس رضى الله عنهما
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لولم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله
 من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة فان قلت كيف طلب يوسف عليه الصلاة والسلام الامارة والولاية مع ما ورد
 من النهى عنهما مع كراهية طلبها المصاح من حديث عبد الرحمن بن سمره قال قال لى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أو تبتها عن مسألة وكات اليها وان أو تبتها عن غير مسألة أعنت
 عليها أخرجاه في الصحيحين قلت انما يكره طلب الامارة اذالم يتعين عليه طلبها فاذا تين عليه طلبها وجب
 ذلك عليه ولا كراهية فيه فاما يوسف عليه الصلاة والسلام فكان عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله تعالى
 والرسول أعلم بمصالح الامة من غيره واذا كان مكافراً بعبادة المصالح ولا يمكنه ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه
 طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل قحط وشدة ما يطريق الوحي من الله أو بغيره ورما أفضى ذلك الى هلاك
 معظم الخلق او كان في طلب الامارة ايصال الخير والراحة الى المستحقين وجب عايه طلب الامارة لهذا السبب
 فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله انى حفيظ عليم والله تعالى يقول فلا تزكوا أنفسكم قلت انما يكره
 تزكية النفس اذ اقصد به الرجل التطاول والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل فهذا القدر المذموم في تزكية
 النفس أما اذا قصد بتزكية النفس ومدحها ايصال الخير والنفع الى الغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه
 ذلك مثاله أن يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فإنه يجب عليه أن يقول أنا عالم ولما كان الملك قد
 علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح الدنيا به يوسف بقوله انى حفيظ عليم على انه عالم

بما يحتاج اليه في مصالح الدنيا يضمع كمال علمه بمصالح الدين **﴿** قوله عز وجل **﴾** (وكذلك مكننا يوسف في الارض) وكذلك اشارة الى ما تقدم يعني وكما انعمنا على يوسف بان نجيناها من الجب وخلصناه من السجن وزيناه في عين الملك حتى قر به وادنى منزله كذلك مكننا في الارض يعني أرض مصر ومعنى التمكين هو أن لا ينازعه منازع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة بقوله **﴿** يتبوأ منها حيث يشاء **﴾** لانه تيسر للتمكين قال ابن عباس وغيره لما اقتضت السنة من يوم سأل يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلته فخاضه ووضع له سريرا من ذهب مكال بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع ووضع له عليه ثلاثين فراشا وستين ماريبا وضرب له عليه كفة من استبرق وأمره أن يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وقوض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قبطير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان للملك مصر خزائن كثيرة فسلمها الى يوسف وسلم له سلطانه كله وجعل أمره وقضاه نافذا في مملكته قالوا ثم هلك قبطير عز يز مصر في تلك الليالي فزوج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدين قالت له أيها الصديق لانتمني فاني كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى في ملك ودينا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيتك فغلبتني نفسي وعصمك الله قالوا فوجدها يوسف عند راء فاصابها فولدت له ولدين ذكر بن افرائيم وميشا وهما ابنا يوسف منها واستوثق ليوسف ملك مصر وأقام فيه العدل وأحبه الرجال والنساء فلما اطمان يوسف في ملكه دب في جمع الطعام أحسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجدية وأنفق المال المعروف حتى خلت السنين المحصبة ودخلت السنين المجدية بهول وشدة لم ير الناس مثله وقيل انه دب في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنين القحط كان أول من أصابه الجوع الملك فجاء نصف النهار فنادى يا يوسف الجوع فقال يوسف هذا أول أو ان القحط فهلك في السنة الاولى من أول سنين القحط كل ما أعدوه في السنة المحصبة فجعل أهل مصر يتاعون الطعام من يوسف فباعهم في السنة الاولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا أخذوه منهم وباعهم في السنة الثانية بالخل والجواهر حتى لم يبق بمصر في أيدي الناس منها شيء وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي والانعام حتى لم يبق دابة ولا ماشية الا احتوى عليها كلها وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبق في أيدي الناس عبدا ولا أمة وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى أتى عليها كلها وباعهم في السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم في السنة السابعة براقبهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكه فصاروا جميعهم عبيدا ليوسف عاياه الصلاة والسلام فقال أهل مصر مارأينا كما يوم ملكنا أجلا ولا أعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما حوكتي فماترى في هؤلاء قال الملك الرأي رأيك ونحن لك تبع قال فاني أشهد الله وأشهدك أني قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملا كما هم وقيل ان يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال أخاف ان شبعت أنسى الجائع وأمر يوسف طبأخي الملك أن يجعلوا غداءه نصف النهار وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار قال مجاهد ولم يزل يوسف يدعو الملك الى الاسلام وبتلطف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس فذلك قوله سبحانه وتعالى وكذلك مكننا يوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء **﴿** نصيب برحمتنا من نشاء **﴾** يعني نختص بنعمتنا وهي النبوة من نشاء يعني من عبادنا **﴿** ولا نضيع أجر المحسنين **﴾** قال ابن عباس يعني الصابرين **﴿** ولا اجر الآخرة **﴾** يعني وثواب الآخرة **﴿** خير **﴾** يعني أفضل

(وكذلك) ومثل ذلك التمكين الظاهر (مكننا ليوسف في الارض) أرض مصر وكانت أربعين فرسخا في أربعين والتمكين الاقدار واعطاء المكنة (يتبوأ منها حيث يشاء) أي كل مكان أراد أن يتخذ منزلا لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه نشاء مكي (نصيب برحمتنا) بعبادتنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم (من نشاء) من اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك (ولا نضيع أجر المحسنين) في الدنيا (ولا اجر الآخرة) خير

للمؤمنين آمنوا) يريد يوسف وغيره من المؤمنين الى يوم القيامة (وكانوا يتقون) الشرك والفواحش قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يجزل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق وتلا الآية روى أن الملك توج يوسف وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكال بالدر والياقوت فقال أما السرير فاشد به ملكك وأما الخاتم (٢٩) فأدبر به أمرك وأما التاج فليس

من لباسي ولا لباس آبائي
جلس على السرير وودانت
له الملوك وفوض الملك اليه
أمره وعزل قطفير ثم مات
بعده فزوجه الملك امرأته
فلما دخل عليها قال أليس
هذا خيرا مما طلبت فوجدتها
عذراء فولدت له ولدين
افرائيم وميشاو أقام العدل
بمصر وأحبته الرجال والنساء
واسلم على يديه الملك وكثير
من الناس وباع من أهل
مصر في سني القحط الطعام
بالدراهم والدنانير في السنة
الاولى حتى لم يبق معهم شيء
منها ثم بالحلى والجواهر
في الثانية ثم بالدواب في
الثالثة ثم بالعبيد والاماء في
الرابعة ثم بالدور والعقار في
الخامسة ثم بالولادهم في
السادسة ثم برقابهم في
السابعة حتى استرقهم جميعا
ثم أعتق أهل مصر عن
آخرهم ورد عليهم أملاكهم
وكان لا يبيع لاحد من
المتارين أكثر من حمل
بعير وأصاب أرض كنعان
نحو ما أصاب مصر فارسل
يعقوب بنيه ليمتاروا وذلك
قوله (وجاء اخوة يوسف
فدخلوا عليه فعرّفهم) بلا

من أجر الدنيا (للمؤمنين آمنوا وكانوا يتقون) يعني يتقون ما نهى الله عنه وفيه دليل على أن الذي أعد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام في الآخرة من الاجر والثواب الجزيل أفضل مما أعطاه الله في الدنيا من الملك ﴿ قوله تعالى (وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرّفهم وهم له منكرون) قال العلماء لما اشتد القحط وعظم البلاء وعم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام قصد الناس مصر من كل مكان للميرة وكان يوسف لا يعطي أحدا أكثر من حمل بعير وان كان عظيما تقسيطا ومساواة بين الناس ونزل بال يعقوب ما نزل بالناس من الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة وأمسك عنده بنيامين أخا يوسف لأمه وأبيه وأرسل عشرة فذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعربيات من أرض فلسطين والعربيات تغور الشام وكانوا أهل بادية وابل وشياه فدعاهم يعقوب عليه الصلاة والسلام وقال بلغني أن بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا له واقصدوه لئلا تشتر وأمنه ما تحتاجون اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف فعرّفهم قال ابن عباس ومجاهد بآول نظرة نظر اليهم عرّفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه وهم له منكرون يعني لم يعرفوه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان بين أن قد فوه في الجب وبين دخولهم عليه مدة أربعين سنة فذلك أنكره وقال عطاء انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان على رأسه تاج الملك وقيل لانه كان قد لبس زى ملوك مصر عليه ثياب حرير وفي عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الاسباب مانع من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرفان انما يقع في القلب بخاق الله تعالى له فيه وان الله سبحانه وتعالى لم يخاق ذلك العرفان في تلك الساعة في قلوبهم تحقيقا لما أخبر أنه سينبئهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون فكان ذلك معجزة ليوسف عليه الصلاة والسلام فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية كلمهم بلسانهم فقال لهم اخبروني من أتم وما أمركم فاني قد أنكرت حالكم قالوا نحن قوم من أرض الشام رعاة قد أصابنا من الجهد ما أصاب الناس فجتنا نمتار قال يوسف لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادى قالوا لا والله ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبي من أنبياء الله تعالى قالوكم أتم قالوا كنا اثني عشر فذهب أخ لنا معنا الى البرية فهلك فيها وكان أحبنا الى أئبنا قال فكم أتم الآن قالوا عشرة قالوا أين الآخر قالوا هو عند أئبنا لانه أخو الذي هلك لأمه فابونا يتسلى به قال فن يعلم ان الذي تقولون حق قالوا أيها الملك اننا بلاد غربة لا يعرفنا فيها احد قال فاتوني بأخيكم الذي من أئبكم ان كنتم صادقين فانا راض بذلك منكم قالوا ان أبانا يحزن لفراقه وسزاوده عنه قال فدعوا بعضهم عندي رهينة حتى تأتوني به فاقترعوا فيما بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا في يوسف فحلفوه عنده فذلك قوله تعالى (ولما جهزهم بجهازهم) يقال جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز سفرهم وهو ما يحتاجون اليه في وجوههم والجهاز بفتح الجيم هي اللغة الفصيحة الجيدة وعليها الاكثر من أهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست بجيدة قال ابن عباس حمل لكل واحد منهم بعير من الطعام وأكرمهم في النزول وأحسن ضيافتهم وأعطاهم ما يحتاجون اليه في سفرهم (قال اتوني بأخيكم من أئبكم) يعني الذي خلفتموه عنده وهو بنيامين (الآنرون اني أوفى الكيل) يعني اني أتمه ولا أبخس منه شيئا وأزيدكم حمل بعير آخر لاجل أخيكم أكرمكم بذلك

تعريف (وهم له منكرون) لتبدل الزى ولانه كان من وراء الحجاب واطول المدة وهو أر بعون سنة وروى انه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من أتم وما شأنكم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجتنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيوننا تنظرون عورة بلادى فقالوا معاذ الله نحن بنو نبي حزين لفقد ابن كان أحبنا اليه وقد أمسك أخاله من أمه يستأنس به فقال اتوني به ان صدقتم (ولما جهزهم بجهازهم) أعطى كل واحد منهم حمل بعير وقرى بكسر الجيم شادا (قال اتوني بأخيكم من أئبكم الآنرون اني أوفى الكيل) أتمه

فدعوا بعضكم رهنا فتركوا
عنده شعرون وكان
أحسنهم رأيا في يوسف
(وقال لفتياناه) كوفي غير
أبي بكر لفتيته غيرهم وهما
جمع فتى كاخوة واخوان
في أخ وفعلة للقلعة وفعالان
للكثرة أي لغلمان الكياليين
(اجعلوا بضاعتهم في رحالهم)
أو عينهم وكانت نعالا
أواد مأوورا وهو أليق
بالدس في الرحال (اعلمهم
يعرفونها) يعرفون حق
ردها وحق التكرم باعطاء
البدلين (إذا انقلبوا إلى
أهلهم) وفرغوا وظروهم
(اعلمهم يرجعون) لعل
معرفتهم بذلك تدعوهم إلى
الرجوع بنا أو ربما
لا يجدون بضاعة بها يرجعون
أو ما فيهم من الهداية يعيدهم
لرد الأمانة أو لم يرم الكرم
أن يأخذ من أبيه واخوته
عنا (فلمارجعوا إلى أبيهم)
بالطعام وأخبروه بما فعل
(قالوا يا أبا نافع من الكيل)
يريدون قول يوسف فان
لم تأتوني به فلا كيل لكم
عندي لأنهم إذا أذروا
بمع الكيل فقد منع الكيل
(فارسل معنا أمانا نكتل)
ترفع المانع من الكيل

(وأنا خير المنزلين) كان قد أحسن انزالهم وضيافتهم رغبتهم بهذا الكلام على الرجوع إليه (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي) فلا
أبيعكم طعاما (ولا تقر بون) أي فان لم تأتوني به فخرموا ولا تقر بوافيه وداخل في حكم الجزاء مجزوم معطوف على محل قوله فلا كيل لكم أو هو
بمعنى النهي (قالوا سزاود عنه (٣٠) أباه) سزاود عنه ونحوه حتى تزرعه من يده (وانا لفاعلون) ذلك لا محالة لانقرط فيه ولا تنواني قال

(وأنا خير المنزلين) يعني خيرا اضعفين لانه كان قد أحسن ضيافتهم مدة اقامتهم عنده قال الامام نضر الدين
الرازي هذا الكلام يضعف قول من يقول من المفسرين انه انهمهم ونسبهم إلى انهمهم جواسيس ومن
يشافهم بهذا الكلام فلا يليق به أن يقول لهم الأتروون أي أوفى الكيل وأنا خير المنزلين وأيضا يبعد من
يوسف عليه الصلاة والسلام مع كونه صديقا أن يقول لهم أتم جواسيس وعيون مع أنه يعرف برائتهم من
هذه التهمة لان البهتان لا يليق بالصدق ثم قال يوسف (فان لم تأتوني به) يعني يا خيكم الذي من أيبكم (فلا
كيل لكم عندي) يعني لست أكيل لكم طعاما (ولا تقر بون) يعني ولا ترجعوا ولا تقر بوابلا دي وهذا
هو نهاية التخويف والترهيب لانهم كانوا محتاجين إلى تحصيل الطعام ولا يمكنهم تحصيله الا من عنده فاذا
منعهم من العود كان قد ضيق عليهم فعند ذلك (قالوا) يعني اخوة يوسف (سزاود عنه أباه) يعني
سنجته ونحوه حتى تزرعه من عنده (وانا لفاعلون) يعني ما أمرتنا به ﴿ قوله عز وجل (وقال لفتياناه)
يعني وقال يوسف لفتياناه وهم غلمان وأتباعه (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أراد بالبضاعة ثمن الطعام الذي
أعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكي الضحاك عن ابن عباس انها كانت النعال والادم والرحال جمع رحل
وهي الاوعية التي يحمل فيها الطعام وغيره (اعلمهم يعرفونها) يعني يعرفون بضاعتهم (إذا انقلبوا إلى أهلهم)
يعني إذا رجعوا إلى أهلهم (اعلمهم يرجعون) الينا واختلفوا في السبب الذي من أجله رد يوسف عليه
الصلاة والسلام عليهم بضاعتهم فتيل انهم اذا فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم علموا ان ذلك
من كرم يوسف وسخائه فيبغضهم ذلك على الرجوع اليه سر يعاقب ان لا يكون عند أبيه شيء
آخر من المال لان الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل انه رأى أن أخذ ثمن الطعام من أبيه واخوته لثوم
لشدة حاجتهم اليه وقيل أراد أن يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم فيه لوم ولا عيب وقيل أراد أن يرهبهم به
وكرمه واحسانه اليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك ادعى إلى العود اليه وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم
وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة اليه اذا وجدوها في رحالهم لانهم أنبياء وأولاد أنبياء وقيل أراد بربد البضاعة
اليهم أن يكون ذلك عونا لابيهم ولاخوته على شدة الزمان (فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبا نافع) انما قدمنا على
خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة عظيمة لو كان رجلا من أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال لهم
يعقوب اذ رجعتكم إلى ملك مصر فاقروا عليه مني السلام وقولوا له ان أبا نافع صلى عليك ويدعوك بما أوليتنا
ثم قال لهم أين شعرون قالوا ارثنه ملك مصر عنده وأخبروه بالقصة ثم قالوا يا أبا نافع (منع منا الكيل) وفيه قولان
أحدهما انهم لما أخبروا يوسف باخيهم من أبيهم طلبوا منه الطعام لا يهيم وأخيهم المتخلف عندهم فنعهم من
ذلك حتى يحضر فتقوم منع منا الكيل إشارة اليه وأراد بالكيل الطعام لانه يكال والقول الثاني انه سيمنع
منا الكيل في المستقبل وهو إشارة إلى قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقر بون وقال
الحسن يمنع منا الكيل ان لم نحمل معنا خانا وهو قوله تعالى اخبار عنهم (فارسل معنا أمانا) يعني بنيامين
(نكتل) قرى بالياء يعني يكتل لنفسه وقرى بالنون يعني نكتل نحن جميعا واياها معنا (واناله لحافظون) يعني
زده اليك فلما قالوا ليعقوب هذه المقالة (قال) يعني يعقوب (هل آمنكم عليه الا كما آمنتم على أخيه من قبل)
يعني كيف آمنكم على ولدي بنيامين وقد فعلتم باخيه يوسف ما فعلتم وانكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه
في يوسف وضمنتم لي حفظه وقتتم واناله لحافظون فما فعلتم فلما لم يحصل الامان والحفظ هنالك فكيف
يحصل ههنا قال (فان الله خير حافظا) يعني ان حفظ الله خير من حفظكم له ففقيه التفويض إلى الله تعالى

ونكتل من الطعام ما يحتاج اليه يكتل حزة على أي يكتل أخونا فينضم ا كتياله إلى ا كتيالنا (واناله لحافظون) عن أن والاعتماد
يناله مكروه (قال هل آمنكم عليه الا كما آمنتم على أخيه من قبل) يعني انكم قلتم في يوسف أرسله معنا غدا يرتع ويلعب واناله لحافظون كما
تقولونه في أخيه ثم ختمت بضاعتكم فما يا مني من مثل ذلك ثم قال (فان الله خير حافظا) كوفي غير أبي بكر فتوكل على الله فهو ودفعه اليهم وهو حال

أوتيميز ومن قرأ حفظاً فهو تيميز لا غير (وهو أرحم الراحمين) فارجو أن ينعم على بحفظه ولا يجمع على مصيبتين قال كعب لما قال فأنه خير حفظاً قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا ردن عليك كأيها (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبا ناسبني) ما لنتي أي ما نبني في القول ولا نتجاوز الحق أو ما نبني شيئاً وراء ما فعل بنا من الاحسان أو ما نرى يدملك بضاعة أخرى أو لا استفهام أي أي شيء نطلب وراء هذا (هذه بضاعتنا ردت إلينا) جلة مستأنفة موضحة لقوله ما نبني والجل بعد ما عطوفة عليها أي ان بضاعتنا ردت إلينا فنستظهر بها (وغير أهلنا) في رجوعنا إلى الملك أي نجلب لهم ميرة وهي طعام يحمل من غير بلدك (ونحفظ أخانا) في ذهابنا ومجيئنا في أي صيبه شيء مما تخافه (وزداد كيل بعير) زداد وسق بعير باستصحاب أخينا (ذلك كيل يسير) سهل عليه متيسر (٣١) لا يتعاطيه (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون) وبالبيان مكى (موثقاً) عهداً (من الله) والمعنى حتى تعطوني ما تؤتون به من عند الله أي أراد أن يحلفوا بالله وإنما جعل الحلف بالله موثقاً منه لأن الحلف به مما يؤكده العهود وقد أذن الله في ذلك فهو أذن منه (لتأنتني به) جواب اليمين لأن المعنى حتى تحلفوا لتأنتني به (الأن يحاط بكم) الأأن تغلبوا فلم تطبقوا الايمان به فهو مفعول واللام المنبت وهو قوله لتأنتني به في تأويل النسي أي لا تمتنعوا من الايمان به الا لا احاطة بكم يعني لا تمتنعوا منه لعله من العلة الالفة واحدة وهي أن يحاط بكم فهو استثناء من أعم العام في المفعول له والاستثناء من العام لا يكون الا في النفي فلا بد من تأويله بالنفي (فلما آتوه موثقهم) آتوه موثقهم قيل حلفوا بالله رب محمد عليه السلام

والاعتماد عليه في جميع الامور (وهو أرحم الراحمين) وظاهر هذا الكلام يدل على انه أرسله معهم وإنما أرسله معهم وقد شاهد ما فعلوا يوسف لأنه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل ما كان بينهم وبين يوسف وأن يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبر وأفارسه معهم أو أن شدة القحط وضيق الوقت أحوجه إلى ذلك ﴿ قوله تعالى (ولما فتحوا متاعهم) يعني الذي حملوه من مصر فيحتمل أن يكون المراد به الطعام أو أوعية الطعام (وجدوا بضاعتهم ردت إليهم) يعني انهم وجدوا في متاعهم عن الطعام الذي كانوا قد أعطوه ليوسف قدر عليهم ودس في متاعهم (قالوا يا أبا ناسبني) يعني ما ذانبني وأي شيء نطلب وذلك أنهم كانوا قد ذكروا ويعقوب احسان ملك مصر إليهم وحسوا يعقوب على ارسال بنيامين معهم فلما فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت إليهم قالوا أي شيء نطلب من الكلام بعد هذا العيان من الاحسان والاكرام أوتى لنا الكيل ورد علينا الثمن وأرادوا بهذا الكلام تطيب قلب أبيهم (هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا) يقال ما رأه بغيرهم ميرا اذا حمل لهم الطعام وجلبه من بلد آخر إليهم والمعنى أنا نشترى لاهلنا الطعام ونحمله إليهم (ونحفظ أخانا) يعني بنيامين مما تخاف عليه حتى يرده اليك (وزداد كيل بعير) يعني وزداد لاجل أخينا على أجالنا حمل بعير من الطعام (ذلك كيل يسير) يعني ان ذلك الحمل الذي زداده من الطعام هين على الملك لأنه قد أحسن إلينا وأكرمنا يا كثر من ذلك وقيل معناه ان الذي حملناه معنا كيل يسير قليل لا يكفيننا وأهلنا (قال) يعني قال لهم يعقوب (لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله) يعني ان أرسل معكم بنيامين حتى تؤتوني عهد الله وميثاقه والموثق العهد الموثق كد باليمين وقيل هو الموثق كد باشهاد الله عليه (لتأنتني به) دخات اللام هنا لاجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا بالله لتأنتني به (الأن يحاط بكم) قال مجاهد الأأن تهلكوا جميعاً فيكون عندكم عندي لأن العرب تقول أحيط بفلان اذا هلك أو قارب هلاكه وقال قتادة الأأن تغلبوا جميعاً فلا تقدر واعي الرجوع (فلما آتوه موثقهم) يعني فلما أعطوه عهدهم وحلفوا له (قال الله على ما تقول وكيل) يعني قال يعقوب الله شاهد على ما تقول كان الشاهد وكيل يعني انه موكل اليه هذا العهد وقيل وكيل بمعنى حافظ قال كعب الاحبار لما قال يعقوب فأنه خير حفظاً قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا ردن عليك كأيها ما بعد ما توكأت على وفوضت أمرك إلى وذلك انه لما اشتد بهم الامر وضاق عليهم الوقت وجهدوا وأشد الجهد لم يجد يعقوب بدا من ارسال بنيامين معهم فأرسله معهم متوكلاً على الله ومفوضاً امره إليه ﴿ قوله عز وجل اخباراً عن يعقوب (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) وذلك انهم لما خرجوا من عند يعقوب قاصدين مصر قال لهم يا بني لا تدخلوا يعني مدينة مصر من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ ثمانية أبواب وقال السدي أراد الطرق لا الابواب يعني من طرق متفرقة وإنما أمرهم بذلك لأنه خاف عليهم العين لانهم كانوا قد

(قال) بعضهم يسكت عليه لان المعنى قال يعقوب (الله على ما تقول) من طلب الموثق واعطائه (وكيل) رقيب مطاع غير ان السكتة تفصل بين القول والمقول وذا لا يجوز فالاولى أن يفرق بينهما بالصوت فيقصد بقوة النعمة اسم الله (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) الجمهور على أنه خاف عليهم العين لجلالهم وجلالة أمرهم ولم يأمرهم بالترقيق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين في الكرة فالعين حق عندنا وجوده بان يحدث الله تعالى عند النظر إلى الشيء والاعجاب به نقصا فيه وخلا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ بالحسن والحسين رضي الله عنهما فيقول أعينكم الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وأنكر الجبائي العين وهو مردود بما ذكرنا وقيل انه أحب أن لا يفتن بهم أعداؤهم فيحتالوا بالاهل بهم

أعطوا جلالاً وقوة وامتداداً قامت وكانوا أولاد رجل واحد فامرهم أن يتفرقوا في دخولهم المدينة لكي لا يصابوا بالعين فإن العين حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجهور المفسرين (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن العين حق زاد البخاري ونسب عن الوشم (م) عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه العين أخرجه أبو داود وقال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله تعالى قال المازري أخذ جواهر العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وأنكره طوائف من المتدعة والدليل على فساد عقولهم أن كل معنى يكون مخالفاً في نفسه ولا يؤدي إلى قلب حقيقة ولا فساد دليل فإنه من مجوزات العقول وإذا أخبر الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه وإنكاره وقيل لا بد من فرق بين تكذيبهم بهذا وتكذيبهم بما يخبر به من أمور الآخرة قال وقد زعم بعض الأطباء المنبئين للعين تأثير أن العائن تنبعث من عينه قوة سمية تتصل بالعين فيهلك أو يفسد قالوا ولا يمتنع هذا كما لا يمتنع انبعاث قوة سمية من الأفعى والعقرب تتصل بالمدوغ فيهلك وإن كان غير محسوس لنا فكذلك العين قال المازري وهذا غير مسلم لأننا بينا في كتب علم الكلام أنه لا فاعل إلا الله تعالى وينافس القول بالطبائع وبين أن المحدث لا يفعل في غيره شيئاً فإذا انقرب هذا بطل ما قالوه ثم نقول هذا المنبعث من العين إما جوهر وإما عرض فباطل أن يكون عرضاً لأنه لا يقبل الانتقال وباطل أن يكون جوهر إلا أن الجواهر متجانسة فليس بعضها بأن يكون مفسد البهض باولى من عكسه فبطل ما قالوه وأقرب طريقتهم من ينصل الإسلام منهم أن قالوا لا بعد أن تنبعث جواهر لطيفة غير مرئية من عين العائن لتتصل بالعين فتدخل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة أجزاها الله عز وجل وليست ضرورة ولا طبيعية الجأ الفعل إليها قال ومذهب أهل السنة أن العين إنما يفسد ويمهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى أجرى الله تعالى العادة بأن يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص شخصاً آخر وهل ثم جواهر أم لا فهذا من مجوزات العقول لا يقطع فيه بواحد من الأمرين وإنما يقطع بنفي الفعل عنها وإضافته إلى الله تعالى فمن قطع من أطباء الإسلام بانبعث الجواهر فقد أخطأ في قطعه وإنما هو من الجائزات هذا ما يتعاق بعلم الأصول وأما ما يتعاق بعلم الفقه فإن الشرع قد ورد بالوضوء وهذا الأمر في حديث سهل بن حنيف لما أصيب بالعين عند اغتساله رواه مالك في الموطأ وأما صفة وضوء العائن فقد كور في كتب شروح الحديث ومعروف عند العلماء فيطلب من هناك فليس هذا وضعه والله أعلم وقال وهب بن منبه في قوله لا تدخلوا من باب واحد ودخلوا من أبواب متفرقة أنه خاف أن يغتالوا لما ظهر لهم في أرض مصر من التهمة حكاها ابن الجوزي عنه وقيل إن يعقوب عليه الصلاة والسلام كان قد علم أن ملك مصر هو ولده يوسف عليه الصلاة والسلام الآن الله تعالى لم ياذن له في إظهاره ذلك فلما بعث أبناءه إليه قال لهم لا تدخلوا من باب واحد ودخلوا من أبواب متفرقة وكان غرضه أن يصل بنيامين إلى أخيه يوسف في وقت الخلوة قبل أخوته والقول الأول أصح أنه خاف عليهم من العين ثم رجع إلى علمه وفوض أمره إلى الله تعالى بقوله (وما أغنى عنكم من الله من شيء) يعني إن كان الله قد قضى عليكم بقضاء فهو يصيبكم بمجمعين كنتم أو متفرقين فإن المقدور كائن ولا ينفع حذر من قدر (إن الحكم إلا لله) يعني وما الحكم إلا لله وحده لا شريك له فيه وهذا تقويض من يعقوب في أموره كلها إلى الله تعالى (عليه توكلت) يعني عليه اعتمدت في أموري كلها الأعلى غيره (وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) يعني من الأبواب المتفرقة وكان لمدينة مصر وقيل مدينة الفرماة أربعة أبواب فدخلوا من أبوابها كلها (ما كان يغنى عنهم من الله من شيء) وهذا تصديق من الله سبحانه وتعالى ليعقوب فيما قال وما أغنى عنكم من الله من شيء (الاحاجة في نفس يعقوب قضاها) هذا استثناء

(وما أغنى عنكم من الله من شيء) أي إن كان الله أراد بكم سوالم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أثمرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة (إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) التوكل تقويض الأمر إلى الله تعالى والاعتماد عليه (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أي متفرقين (ما كان يغنى عنهم) دخولهم من أبواب متفرقة (من الله من شيء) أي شيئاً قط حيث أصابهم ما شاءهم مع تفرقهم من إضافة السرفة إليهم واقتضاهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف الإصابة على أبيهم (إلا حاجة) استثناء منقطع أي ولكن حاجة (في نفس يعقوب قضاها) وهي شفقتهم عليهم

(وانه لدوعلم) يعني قوله وما اغنى عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر (لما علمناه) لتعلمنا اياه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) ضم اليه بنيامين وروى انهم قالوا له

(٣٣)

هذا أخونا فقد جئناك به فقال لهم أحسنتم فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي أخوك وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤا كاه وقال له أتعب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وعانقه ثم (قال) له (اني أنا أخوك) يوسف (فلاتبتئس) فلا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيها مضى فان الله قد أحسن الينا وجعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك وروى انه قال له فانا لأفارقك قال لقد علمت اغتنام والدي بي فان حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الآن أنسبك الى مالا محمد قال لأبالي فافعل ما بدالك قال فاني أدس صاعى في رحلك ثم أنادى عليك بانك سرقتك ليتيألى ودك بعد تسريحك معهم فقال افعل (فلما جهزهم بجهازهم) هيا أسبا بهم السقاية هي مشربة يسقي بها

منقطع ليس من الاول في شيء ومعناه لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو انه أشفق عليهم اشفاق الآباء على الابناء وذلك انه خاف عليهم من العين أو خاف عليهم من حسد أهل مصر أو خاف أن لا يردوا عليه فاشفق من هذا كله أو بعضه (وانه) يعني يعقوب (لدوعلم) يعني صاحب علم (لما علمناه) يعني لتعلمنا اياه ذلك العلم وقيل معناه وان لدوعلم للشيء الذي علمناه والمعنى اننا لما علمناه هذه الاشياء حصل له العلم بتلك الاشياء وقيل وان لدو حفظ لما علمناه وقيل انه كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل وقيل انه لما عمل بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما ألهم الله أوليائه ﴿قوله تعالى﴾ (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) قال المفسرون لما دخل أخوة يوسف على يوسف قالوا أيها الملك هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به فقد جئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي ثم أنزلهم وأكرمهم ثم انه أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له أخ فهلاك قال لهم فانا أجلسه معي فاخذه فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤا كاه فلما كان الليل أمرهم بمثل ذلك وقال كل اثنين منكم ينمان على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه اليه ويشمر ويحبه حتى أصبح فلما أصبح قال لهم اني أرى هذا الرجل وحيدا ليس معه ثمان وسأضمه الي فيكون معي في منزلي ثم انه أنزلهم وأجرى عليهم الطعام فقال روييل مارأيتنا مثل هذا فذلك قوله آوى اليه أخاه يعني ضمه وأنزله معه في منزله فلم يخاله قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال ابن المثلكل وذلك انه لما ولدته أمه هلكت قال وما اسم أمك قال راحيل قال فهل لك من ولد قال عشر بنين قال فهل لك من أخ لأمك قال كان لي أخ فهلك قال يوسف أتعب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد أخا مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه الصلاة والسلام وقام اليه وعانقه (وقال) له (اني أنا أخوك) يعني يوسف (فلاتبتئس) يعني لا تحزن وقال أهل اللغة تبتئس تفتعل من البؤس وهو الضرر والشدة والابتئاس اجتلاب الحزن والبؤس (بما كانوا يعملون) يعني فلا تحزن بشيء فعلموه بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا ونجاننا من الهلاك وجمع بيننا وقيل ان يوسف صفع عن اخوته وصفاهم فأراد ان يجعل قلب أخيه بنيامين مثل قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لأخيه بنيامين لا تعلم اخوتك بشيء مما أعلمتك به ثم انه أوفى لآخوته الكيل وزاد لكل واحد حل يعبر ولبنيا بن حل يعبر باسمه ثم أمر بسقاية الملك فجعلت في رحل أخيه بنيامين قال السدي وهو لا يشعر وقال كعب لما قال له يوسف اني أنا أخوك قال بنيامين انما لأفارقك فقال يوسف قد علمت اغتنام والدي علي فاذا حبستك عندي ازداد غمه ولا يمكنني هذا الا بعد أن أشهرك بامر فظيع وأنسبك الى مالا محمد قال لأبالي فافعل ما بدالك فاني لأفارقك قال فاني أدس صاعى في رحلك ثم أنادى عليكم بالسرقه ليتيألى ردك بعد تسريحك قال فافعل ما شئت فذلك قوله عز وجل (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه) وهي المشربة التي كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر جعلها يوسف مكيا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب فيها والسقاية والصواع اسم لانه واحد وجعلت في وعاء طعام أخيه بنيامين ثم ارتحلوا راجعين الى بلادهم فامهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى

(٥ - (خازن) - ثالث) وأوى الكيل لهم (جعل السقاية في رحل أخيه)

وهي الصواع قيل كان يسقي بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به لعزة الطعام وكان يشبه الطاس من فضة أو ذهب

وأهلهم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا ثم أمر بهم فأدركوا وحبسهم ثم قيل لهم (أيتها العير) هي الابل التي عليها الاحمال لانها تعبر أى تذهب ونحى والمراد أصحاب العير (انكم لسارقون) كناية عن سرقتهم اياه من أيبه (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا تفقد صواع الملك) هو الصاع (ولمن جاء به حل بعير وأتابه زعيم) بقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كقيل أوديه الى من جاء به وأراد وسق بعير من طعام جملا لمن حصله (قالوا نالله) قسم فيه معنى التجب عما أضيف اليهم (لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض) استشهدوا بملهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأما تم حيث دخلوا وأقواه واحلهم مشدودة لثلاث تداول زرعاً وطعاماً لاحد من أهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم (وما كنا سارقين) وما كنا نوصف قط بالسرقة (قالوا فما جزاؤه) الضمير للصواع أى فاجزاء سرقته (ان كنتم كاذبين) في جحودكم وادعائكم البراءة منه (قالوا جزاؤه من وجد في رحله) أى جزاء سرقته

خرجوا من العمارة ثم أرسل خلفهم من استوقفهم وحبسهم (ثم أذن مؤذن) يعنى نادى مناد واعلم معلم والاذان فى اللغة الاعلام (أيتها العير) وهى القافلة التى فيها الاحمال وقال مجاهد العير الحير والبغال وقال الهيثم كل ما سير عليه من الابل والحير والبغال فهى عير وقول من قال انها الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التى تحمل عليها الاحمال سميت بذلك لانها تعبر أى تذهب ونحى وقيل هى قافلة الحير ثم كثر ذلك فى الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وقوله أيتها العير اراد أصحاب العير (انكم لسارقون) ففقوا والسرقة أخذ ما ليس له أخذه فى خفاء فان فات هل كان هذا النداء بامر يوسف أم لافان كان بامرء فكيف يليق يوسف مع علو منصبه وشريف رتبته من النبوة والرسالة ان يتهم أقواما وينسبهم الى السرقة كندبا مع علمه ببراءتهم من ذلك وان كان ذلك النداء بغير أمره فهلا أظهر براءتهم عن تلك التهمة التى نسبوا اليها قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة أحدها ان يوسف لما أظهر لآخيه انه أخوه قال لست أقارئك قال لاسبيل الى ذلك الا بتدبير حيلة أنسبك فيها الى ما لا يبق قال رضى بذلك فعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام بل قد رضى به فلا يكون ذنباً الثانى أن يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف من أيبه الا أنهم ما ظهر وهذا الكلام فهو من المعارض وفى المعارض مندوحة عن الكذب الثالث يحتمل أن يكون المنادى ر بما قال ذلك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا الرابع ليس فى القرآن ما يدل على أنهم قالوا ذلك بامر يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم وغلب على ظنهم أنهم هم الذين أخذوها فقاوا ذلك بناء على غلبة ظنهم (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون) قال أصحاب الاخبار لما وصل الرسل الى اخوة يوسف قالوا لهم ألم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوف اليكم الكيل ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وماذا لك قالوا فقدنا سقاية الملك ولانهم عليها غيركم فذلك قوله تعالى قالوا وأقبلوا عليهم أى عطفوا على المؤذن وأصحابه ماذا أى ما الذى تفقدون والفقدان ضد الوجود (قالوا) يعنى المؤذن وأصحابه (تفقد صواع الملك) الصاع الاناء الذى يكال به وجمعه أصوع والصواع لغة فيه وجمعه صيعان (ولمن جاء به) يعنى بالصواع (حل بعير) يعنى من الطعام (وأتابه زعيم) أى كقيل قال الكلبى الزعيم هو الكفيل بلسان أهل اليمن وهذه الآية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة فى شرعهم وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فى قوله الحيل غارم والحيل الكفيل فان قلت كيف تصح هذه الكفالة مع ان السارق لا ينطق شيئا قلت لم يكونوا سراقا فى الحقيقة فيحمل ذلك على مثل رد الضائع فيكون جماعاً ولعل مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم فى ذلك الزمان فيحمل عليه (قالوا) يعنى اخوة يوسف (نالله) التاء بدل من الواو ولا تدخل الاعلى اسم الله فى اليمين خاصة تقديره والله (لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين) قال المفسرون ان اخوة يوسف حلفوا على أمرين أحدهما أنهم ما جاؤا لاجل الفساد فى الارض والثانى أنهم ما جاؤا سارقين وانما قالوا هذه المقالة لانه كان قد ظهر من أحوالهم ما يدل على صدقهم وهو أنهم كانوا مواظبين على أنواع الخير والطاعة والبرحتى بلغ من أمرهم أنهم شدوا أقواه ودوابهم لثلاث توذى زرع الناس ومن كانت هذه صفته فالفساد فى حته ممتنع وأما الثانى وهو أنهم ما كانوا سارقين فلانهم قد كانوا ردوا البضاعة التى وجدوها فى رحالهم ولم يستحلوا أخذها ومن كانت هذه صفته فليس بسارق فلاجل ذلك قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين فما بيئت براءتهم من هذه التهمة (قالوا) يعنى أصحاب يوسف وهو المنادى وأصحابه (فما جزاؤه ان كنتم كاذبين) يعنى فاجزاء السارق ان كنتم كاذبين فى قولكم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين (قالوا) يعنى اخوة يوسف (جزاؤه من وجد فى رحله) يعنى جزاء السارق الذى وجد فى رحله أن يلم برقبته الى المسروق منه فيمترقه منه وكان ذلك منه آل يعقوب فى حكم السارق وكان فى حكم ملك مصر ان يضرب السارق ويغرم ضعف قيمة المسروق وكان هذا فى شرعهم فى ذلك الزمان بحرى بحرى القطع فى شرعنا

(فهو جزاؤه) تقرير
 للحكم أي فاخذ السارق
 نفسه هو جزاؤه لا غير جزاؤه
 مبتدأ والجملة الشرطية كما
 هي خبره (كذلك نجزي
 الظالمين) أي السراق
 بالاسترقاق (فبدأ بأوعيتهم
 قبل وعاء أخيه) فبدأ
 بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء
 بنيامين لنفي التهمة حتى
 بلغ وعاءه فقال ما ظن هذا
 أخذت ما أقالوا والله
 لا أتركه حتى تنظر في رحله
 فإنه أطيب لنفسك وأفسنا
 (ثم استخرجها) أي
 الصواع (من وعاء أخيه)
 ذكر ضمير الصواع مرار
 ثم أشه لان التأنيت يرجع
 الى السقاية أولان الصواع
 يذكر ويؤت الكاف
 في (كذلك) في محل
 النصب أي مثل ذلك الكيد
 العظيم (كيدنا ليوسف)
 يعني علمناه إياه (ما كان
 ليأخذ أخاه في دين الملك)
 تفسير للكيد وبيان له لان
 الحكم في دين الملك أي
 في سيرته للسارق أن يغرم
 مثلي ما أخذ لان يستعبد
 (الآن يشاء الله) أي ما
 كان ليأخذه إلا بمشيئة الله
 وإرادته فيه (ترفع درجات)
 بالتسوية كوفي (من
 نشاء) أي في العلم كما رفعنا
 درجة يوسف فيه (وفوق
 كل ذي علم عليم) فوقعه أرفع

فأراد يوسف أن يأخذ بحكم أبيه في السارق فلذلك رد الحكم إليهم والمعنى أن جزاء السارق أن يستعبد سنة
 جزاء له على جرمه وسرقته (فهو جزاؤه) يعني هذا الجزاء جزاؤه (كذلك نجزي الظالمين) يعني مثل هذا
 الجزاء وهو أن يسرق السارق سنة نجزي الظالمين ثم قيل هذا الكلام من بقية كلام أخوة يوسف وقيل هو من
 كلام أصحاب يوسف فعلى هذا أن أخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق أن يسرق سنة قال أصحاب يوسف
 كذلك نجزي الظالمين يعني السارقين ﴿قوله عز وجل﴾ (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) قال أهل التفسير إن
 أخوة يوسف لما قرأوا أن يسرق سنة قال أصحاب يوسف لا بد من تفتيش رجالكم فردوهم
 إلى يوسف فامر بتفتيشها بين يديه فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه لازالة التهمة فجعل يفتش أوعيتهم
 واحدا واحدا قال قتادة ذكرا لنا أنه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر وعاء إلا استغفر الله نائما ما قد فهم به حتى
 لم يبق إلا رحل بنيامين قال ما ظن هذا أخذت ما أقالوا أخوته والله لا أتركه حتى تنظر في رحله فإنه أطيب
 لنفسك وأفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله تعالى (ثم استخرجها من وعاء أخيه) إنما
 أنت الكناية لانه ردها إلى السقاية وقيل إن الصواع بذكر ويؤت فلما أخرج الصواع من رحل بنيامين
 نكس أخوة يوسف رؤسهم من الحياء وأقبلوا على بنيامين يابسون ويقولون له ما صنعت بنا فضحتنا وسودت
 وجوهنا يا بني را حيل ما زال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنور ارحيل ما زال لهم
 منكم بلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه في البرية إن الذي وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في
 رحلكم قالوا فخذ بنيامين رقيقا وقيل إن المنادي وأصحابه هم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين
 استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فاخذوه برقبته وردوه إلى يوسف (كذلك كيدنا ليوسف) يعني
 ومثل ذلك الكيد كيدنا ليوسف وهو إشارة إلى الحكم الذي ذكره أخوة يوسف باسترقاق السارق أي مثل
 ذلك الحكم الذي ذكره أخوة يوسف حكما به ليوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا في حق
 الله عز وجل محال فيجب تأويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد هنا جزاء
 الكيد يعني كما فعلوا بيوسف في الابتداء فعلمناهم فالكيد من الخلق الحيلة ومن الله التدبير بالحق والمعنى كما
 ألهمنا أخوة يوسف بان حكموا أن يسرق أن يسرق كذلك ألهمنا يوسف حتى دس الصواع في رحل
 أخيه ليضمه إليه على ما حكم به أخوته وقال ابن الأعرابي الكيد التدبير بالباطل وبحق فعلى هذا يكون المعنى
 كذلك دبرنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال ابن الأنباري كيدنا وقع خبرا من الله عز وجل على خلاف
 معناه في أوصاف المخلوقين فإنه إذا أخبر به عن مخلوق كان تحت احتيال وهو في موضع فعل الله معرى من
 المعاني المدمومة ويخلص بانه وقع بمن يكيد به يدبر ما يريد به من حيث لا يشعر ولا يقدر على دفعه فهو من
 الله مشبته بالذي يكون من أجل أن المخلوق إذا كاد المخلوق ستر عنه ما ينويه ويضمه له من الذي يقع به
 من الكيد فهو من الله تعالى أستراد هو ما ختم الله به عاقبته والذي وقع بأخوة يوسف من كيد الله هو ما انتهى
 إليه شأن يوسف من ارتفاع المنزلة وتعام النعمة وحيث جرى الأمر على غير ما قدروا من اهلا كه وحلوص
 أيهم له بعده وكل ذلك جرى بتدبير الله تعالى وخفي لطفه سماه كيد الاله أشبه كيد المخلوقين فعلى هذا يكون
 كيد الله عز وجل ليوسف عليه الصلاة والسلام عائدا إلى جميع ما أعطاه الله وأنعم به عليه على خلاف تدبير
 أخوته من غير أن يشعر بذلك ﴿وقوله تعالى﴾ (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) يعني في حكم الملك وقضائه
 لانه كان في حكم الملك إن السارق يضرب ويغرم ضعف قيمة المسروق يعني في حكم الملك وقضائه فلم يتمكن
 يوسف من حبس أخيه عنده في حكم الملك فالله تعالى ألهم يوسف ما دبره حتى وجد السبيل إلى ذلك (الآن
 يشاء الله) يعني أن ذلك الأمر كان بمشيئة الله وتدبيره لان ذلك كله كان إلهاما من الله ليوسف وأخوته حتى
 جرى الأمر على وفق المراد (ترفع درجات من نشاء) يعني بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على أخوته وفي هذه
 الآية دلالة على أن العلم الشريف أشرف المقامات وأعلى الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته

درجة منه في علمه أو فوق العلماء كلهم عليهم هم دوره في العلم وهو الله عز وجل (قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل) أرادوا يوسف من ذهب كانوا يبيعونه فدقته وقيل كان في المنزل دجاجة فأعطاها

لسائل وقيل كانت منطقة لبراهيم عليه السلام يتوارثها كبر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت كبراً ولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه فلما شب أراد يعقوب أن ينزعه منها فعمدت الى المنطقة فزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما شئت منه فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وروى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياهم وأقبلوا عليه وقالوا له فضحنتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصاع فقال بنور راحيل الذين لا يزال منكم عليهم بلاء ذهبتم باخي فاهلك قوه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم (فامرهما) أي مقاتلهم انه سرق كانه لم يسمعها (يوسف في نفسه ولم يبيدها لهم قال أتم شرمكانا) تميز أي أتم شرمكة في السرقة لانكم سرقتم أنا كما يوسف من أيه (والله أعلم بما تصفون) تقولون أو تكذبون (قالوا يا أيها العزيز ان له أباشيخا كبيرا) في السن أو في القدر

على اخوته بالعلم وبما أطمعه على وجه الطداية والصواب في الامور كلها (وقول كل ذي علم عليم) قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى أن ينتهي العلم الى الله تعالى فانه تعالى فوق كل عالم لانه هو الغني بعلمه عن التعليم وفي الآية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف أعلم منهم قال ابن الانباري يجب أن ينهم العالم نفسه ويستشعر التواضع لو اهب ربه تعالى ولا يطمع نفسه في الغيبة لانه لا يتخلو عالم من عالم فوقه ﴿ قوله تعالى (قالوا) يعني اخوة يوسف (ان يسرق) يعني بنيامين الصواع (فقد سرق أخ له من قبل) يعني يوسف ظاهر الآية يقتضي ان اخوة يوسف قالوا للملك ان هذا الامر ليس بغريب منه فان أخاه الذي هلك كان سارقاً أيضاً وكان غرضهم من هذا الكلام ان السنا على طريقته ولا على سيرته بل هذا وأخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهما من أم أخرى غير أمنا واختلفوا في السرقة التي نسبوها الى يوسف عليه الصلاة والسلام فقال سعيد بن جبيرة وقادة كان لجدته أبي أمه صنم وكان يعبده فاخذته يوسف سرا وكسره وألقاه في الطريق لثلاثي عشرين يوماً فاجاءه سائل يوماً فاخذ بيضه من البيت فناوطاه وقال سفيان بن عيينة أخذ دجاجة من الطير الذي كان في بيت يعقوب فأعطاها سائلين وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وذكري محمد بن اسحق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحق بعد موت أمه راحيل فحضنته عمته وأحبته حباً شديداً فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فأحبه فقال لاخته يا اختاه سامي الى يوسف فوالله ما أقدر على ان يقرب عني ساعة واحدة فقالت لأعطيكيه فقال طاب والله ما أتاتاركه عندك فقالت دعه عندي أياماً أنظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة كانت لاسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت كبراً ولاداً لاسحق فكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق ففتشوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت انه لي سلم لي يعني يوسف فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته عندها حتى ماتت فلذلك قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون هذه السرقة قال ابن الانباري وليس في هذه الافعال كلها ما يوجب السرقة ولكنها شبه السرقة فعبروه بها عند الغضب (فامرهما يوسف في نفسه ولم يبيدها لهم) في هاء الكناية ثلاثة أقوال أحدها ان الضمير يرجع الى الكلمة التي بعدها وهي قوله تعالى (قال) يعني يوسف (أتم شرمكانا) روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس والثاني ان الضمير يرجع الى الكلمة التي قالوها في حقه وهي قولهم فقد سرق أخ له من قبل وهذا المعنى قول أبي صالح عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فامر يوسف جواب الكلمة التي قالوها في حقه ولم يجيبهم عليها والثالث ان الضمير يرجع الى اللمحة فيكون المعنى على هذا القول فامر يوسف الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة ولم يبيدها لهم (قال أتم شرمكانا) يعني منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة في الحقيقة وخيانتكم حقيقة (والله أعلم بما تصفون) يعني بحقيقة ما تقولون ﴿ قوله عز وجل (قالوا) يعني اخوة يوسف (يا أيها العزيز) يخاطبون بذلك الملك (ان له أباشيخا كبيرا) قال أصحاب الاخبار والسيران يوسف عليه الصلاة والسلام لما استخرج الصواع من رحل أخيه بنيامين فقره وأدناه الى أذنه ثم قال ان صواعي هذا يخبرني انكم اثنا عشر رجلاً لاب واحد وانكم انطلقتم باخ لكم من أيكم فبعتموه قال بنيامين أيها الملك سل صواعك هذا من جعله في رحلي فنقره ثم قال ان صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي وقد ذريت مع من كنت قالوا فغضب روييل لذلك وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روييل اذا غضب لم يرقم لغضبه شيء وكان اذا صاح ألق كل حامل حملها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذا مسه أحد من ولد

يعقوب

شرمكة في السرقة لانكم سرقتم أنا كما يوسف من أيه (والله أعلم بما تصفون) تقولون أو تكذبون (قالوا يا أيها العزيز ان له أباشيخا كبيرا) في السن أو في القدر

(نقداً حدنا مكانه) أبدله على وجه الاسترهان أو الاستبعاد فإن أباه يتسلى به عن أخيه المفقود (اناراك من المحسنين) الينا فأنتم احسانك أو من عادتكم الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها (قال معاذ الله أن نأخذ الامن وجدنا متاعنا عنده) أي نعوذ بالله معاذ من أن نأخذ قاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من (انا اذا الظالمون) اذا جواب لهم وجزاء لان (٣٧) المعنى ان أخذنا بد ظلمنا وهذا انه

وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد الصاع في رحله واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظالمنا في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم أنه ظلم (فلما استياسوا) يشواوز زيادة السين والتاء للبالغه كما مر في استعصم (منه) من يوسف واجابته اياهم (خلصوا) انفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم (نجيا) ذوى نجوى أو فوجانجيا أي مناجيا المناجاة بعضهم بعضاً أو تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضهم فيه بجدواهتمام كلهم في أنفسهم صوره التناجى وحقيقته فالنجى يكون بمعنى المناجى كالسمير بمعنى المسامر وبمعنى المصدر الذى هو التناجى وكان تناجيهم في تدبير امرهم على أي صفة يذهبون وماذا يقولون لا يهتم في شأن أخيه (قال كبيرهم) في السن وهو روبيل أو في العقل والرأى وهو يهودا أو رئيسهم وهو شمعون (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في

يعقوب يسكن غضبه وكان أقوى الاخوة وأشدهم وقيل كانت هذه صفة شمعون بن يعقوب وقيل انه قال لاخوته كم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة قال كفو في أتم الاسواق وأنا كفيكم الملك أو كفو في أتم الملك وأنا كفيكم الاسواق فدخا لواعلى يوسف فقال روبيل أيها الملك لتردنا علينا أنا وأولادنا صبيحة لا يبق بمصر امرأة حامل الا وضعت ولدها وقات كل شعرة في جسدي روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب هذا فسه أو خذ بيده فأتى له فلما سمع سكن غضبه فقال لاخوته من منى منكم قالوا لم يصبك منا أحد فقال روبيل ان هذا بذر من بذري يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فقام اليه يوسف فوكزه برجله وأخذ بتلابيبه فوقع على الارض وقال أتم يا عشر العبرانيين تزعمون أن لا أحد أشد منكم فلما رأوا ما نزل بهم ورأوا أن لا سبيل الى تخلصه خضعوا وذلوا وقالوا يا أيها العزيز ان له أباشيخا كبيرا يعنى في السن ويحتمل أن يكون كبيرا في القدر لانه نبي من أولاد الانبياء (نقد أحدنا مكانه) يعنى بدلا عنه لانه يحبه ويتسلى به عن أخيه الهالك (اناراك من المحسنين) يعنى في أفعالك كلها وقيل من المحسنين الينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة الينا وقيل ان رددت بنيامين الينا وأخذت أحدنا مكانه كنت من المحسنين (قال معاذ الله) يعنى قال يوسف أعوذ بالله معاذاً (أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) لم يقل من سرق نحرزاعن الكذب لانه يعلم أن أخاه ليس بسارق (انا اذا الظالمون) يعنى ان أخذنا بربيتنا بذنب غير ذنب فان قلت كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذه الاعمال بابيه ولم يخبره بمكانه وجلس أخاه أيضا عنده مع علمه بشدة وجدأبيه عليه ففيه ما فيه من العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة وكيف يجوز ليوسف مع علمه منصبه من النبوة والرسالة ان يزور على اخوته ويروج عليهم مثل هذا ما فيه من الايذاء لهم فكيف يليق به هذا كماهات قد ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة كثيرة وأحسنها وأصحها أنه انما فعل ذلك باصر الله تعالى له لاعتن أمره وانما أمره الله بذلك ليزيد بلاء يعقوب فيضاعف له الاجر على البلاء ويلحقه بدرجة آياته الماضين ولله تعالى اسرار لا يعلمها أحد من خلقه فهو المتصرف في خلقه بما يشاء وهو الذى أخفى خبر يوسف عن يعقوب في طول هذه المدة مع قرب المسافة لما يريد أن يدبره فيهم والله أعلم باحوال عباده ﴿ قوله عز وجل ﴾ (فلما استياسوا منه) يعنى أيسوا من يوسف أن يجيبهم لما سألوه وقيل أيسوا من أخيهم أن يرد عليهم وقال أبو عبيدة استياسوا أي استيقنوا ان الاخ لا يرد اليهم (خلصوا نجيا) يعنى خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون ليس فيهم غيرهم (قال كبيرهم) يعنى في العقل والعلم لاني السن قال ابن عباس الكبير هو يهودا وكان أعقلهم وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرئاسة على اخوته وقال قتادة والسدي والضحاك هو روبيل وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا في يوسف لانه نهاهم عن قتله (ألم تعلموا أن أباكم) يعنى يعقوب (قد أخذ عليكم موثقا) يعنى عهدا (من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف) يعنى قصرتم في أمر يوسف حتى ضيعتموه (فلن أبرح الارض) يعنى الارض التي أنا فيها وهي أرض مصر والمعنى فلن أخرج من أرض مصر ولا أفرقها على هذه الصورة (حتى يأذن لي أبي) يعنى في الخروج من أرض مصر فيدعوني اليه (أو يحكم الله لي) بردأخي على أو بخروجي معكم وترك أخي أو يحكم الله لي بالسيف فاقتلهم حق استدأخي (وهو خير الحاكمين) لانه يحكم بالحق والعدل والانصاف والمراد من هذا الكلام الالتجاء الى الله تعالى في اقامة عذره عند والده يعقوب عليه الصلاة والسلام (ارجعوا الى أبيكم) يعنى يقول الاخ الكبير

يوسف) ماصلة أي ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم أو مصدرية ومحل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل نفر يطكم في يوسف (فلن أبرح الارض) فلن أفرق أرض مصر (حتى يأذن لي أبي) في الانصراف اليه (أو يحكم الله لي) بالخروج منها أو بالموت أو بقتلهم (وهو خير الحاكمين) لانه لا يحكم الا بالعدل (ارجعوا الى أبيكم

فقولوا يا ابنا ان ابنك سرق) وقرئ سرق أي (٣٨) نسب الى السرقة (وما شهدنا) عليه بالسرقة (الاباعلمنا) من سرقة وتيقنا اذا الصواع استخرج

الذي عزم على الإقامة بمصر لاختوته الباقيين ارجعوا الى أبيكم يعقوب (فقولوا) له (يا ابنا ان ابنك سرق) انما
قالوا هذه المقالة ونسبوه الى السرقة لانهم شاهدوا الصواع وقد اخرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم انه
سرق فلذلك نسبوه الى السرقة في ظاهر الامر لافي حقيقة الحال وبدل على انهم لم يقطعوا عليه بالسرقة
قوله (وما شهدنا الاباعلمنا) يعني ولم نقل ذلك الا بعد ان رأينا اخراج الصواع وقد اخرج من متاعه وقيل
معناه ما كانت مناشدته في عمرنا على شيء الاباعلمنا وهذه ليست بشهادة انما هو خبر عن صنيع ابنك انه
سرق بزعمهم فيكون المعنى ان ابنك سرق في زعم الملك واصحابه لا انما شهد عليه بالسرقة وقرأ ابن عباس
والضحاك سرق بضم السين وكسر الراء وتشديد هاء أي نسب الى السرقة وانهم بها وهذه القراءة لا تحتاج الى
تأويل ومعناه ان القوم نسبوه الى السرقة الا ان هذه القراءة ليست مشهورة فلا تقوم بها حجة والقراءة
الصحيحة المشهورة هي الاولى وقوله وما شهدنا الاباعلمنا يعني وما قلنا هذا الاباعلمنا فانما رأينا اخراج
الصواع من متاعه وقيل قال له يعقوب هب انه سرق فبايدري هذا الرجل ان السارق يؤخذ بسرقة الا
بقولكم قالوا وما شهدنا عنده ان السارق يسترق الاباعلمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الانبياء قبله
ويعقوب وبنيه وأورد على هذا القول كيف جاز يعقوب اخفاء هذا الحكم حتى ينكر على بنيه ذلك وأجيب
عنه بأنه محتمل ان يكون ذلك الحكم كان مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مسامحا فلذلك انكر عليهم اعلام
الملك بهذا الحكم لظنه انه كافر (وما كنا للغيب حافظين) قال مجاهد وقتادة يعني ما كنا نعلم ان ابنك يسرق
ويصير امرنا الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا وما قلنا ونحفظ انا ما لنا الى حفظه منه سبيل وقال ابن
عباس ما كنا ليله ونهاره ومحيطه وذهابنا به حافظين وقيل معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب
لا يعلمه الا الله ففعل الصواع دس في رحله ونحن لانعلم بذلك (واسئل القرية التي كنا فيها) يعني واسئل
أهل القرية الا أنه حذف المضاف للايجاز ومثل هذا النوع من المجاز مشهور في كلام العرب والمراد
بالقرية مصر وقال ابن عباس هي قرية من قرى مصر كان قد جرى فيها حديث السرقة والتفتيش (والعبر
التي اقبلنا فيها) يعني واسأل القافلة التي كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب (وانا
لصادقون) يعني فيما قلناه وانما امرهم اخوهم الذي أقام بمصر بهذه المقالة مبالغة في ازالة التهمة عن
انفسهم عند أيهم لانهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف (قال بل سولت لكم انفسكم امرا) فيه
اختصار تقديره فرجعوا الى أيهم فاخبروه بما جرى لهم في سفرهم ذلك وبما قال لهم كبيرهم وأمرهم
ان يقولوه لا يهيم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت يعني بل زينت لكم انفسكم امرا وهو جل أخيك
معكم الى مصر اطلب نفع عاجل قال امركم الى ما آل وقيل معناه بل خيلت لكم انفسكم انه سرق وما سرق
(فصبر جميل) تقدم تفسيره في أول السورة وقوله (عسى الله ان يأتيهم جميعا) يعني بيوسف
وبنيامين والاخ الثالث الذي أقام بمصر وانما قال يعقوب هذه المقالة لانه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحت
علم ان الله سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز وجل لانه اذا اشتد
البلاء وعظم كان اسرع الى الفرج وقيل ان يعقوب علم بما يجري عليه وعلى بنيه من اول الامر وهو رؤيا
يوسف وقوله ياتي لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما تنهاى الامر قال عسى الله ان
يأتيهم جميعا (انه هو العليم) يعني بحزني ووجدني عليهم (الحكيم) فبايدبره ويقضيه قوله
تعالى (وتولى عنهم) يعني وأعرض يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين فيئذ تنهاى حزنه واشتد
بلاؤه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فعند ذلك أعرض عنهم (وقال يا أسفا على يوسف) الاسف أشد
الحزن وانما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة لان الحزن القديم اذا صادفه حزن آخر كان ذلك

من وعائه (وما كنا للغيب حافظين) وما علمنا انه سرق
حين أعطيناك الموثق
(واسئل القرية التي كنا
فيها) يعني مصر أي أرسل
الى أهلها فاسألهم عن كنه
القصة (والعبر التي اقبلنا
فيها) واصحاب العبر وكانوا
قوما من كنعان من جيران
يعقوب عليه السلام (وانا
لصادقون) في قولنا
فرجعوا الى أيهم وقالوا
له ما قال لهم أخوهم (قال
بل سولت لكم انفسكم
امرا) أردتموه والافن
أدري ذلك الرجل ان
السارق يسترق لولا فتواكم
وتعليمكم (فصبر جميل
عسى الله ان يأتيهم
جميعا) بيوسف وأخيه
وكبيرهم (انه هو العليم)
بحالي في الحزن والاسف
(الحكيم) الذي لم يتلنى بذلك
الاحكام (وتولى عنهم)
وأعرض عنهم كراهة لما جاؤا
به (وقال يا أسفا على يوسف)
أضاف الاسف وهو أشد
الحزن والحسرة الى نفسه
والا لف بدل من ياء الاضافة
والتجانس بين الاسف
ويوسف غير متكلف ونحوه
انما قلتم الى الارض أرضيتهم
وهم ينهون عنه وينأون
عنه وبحسبون أنهم يحسنون
صنعا من سبابنا وانما اسف

على يوسف دون أخيه وكبيرهم لئلا يدى أسفه على يوسف دون الآخرين وفيه دليل على ان الزرع فيه مع تقادم عهد كان غضا اوجع
هذه طريا (وايضا عيناه) اذا كثرت الاستعبار ومحت العبرة سواد العين وقلته الى يياض كدر وقيل قد عمى بصره وقيل كان قد يدرك

ادراك ضعيفا (من الحزن)
 لان الحزن سبب البكاء
 الذي حدث منه البياض
 فكانه حدث من الحزن
 قيل ماجفت عينا يعقوب
 من وقت فراق يوسف الى
 حين لقائه ثمانين عاما وما على
 وجه الارض اكرم على
 الله من يعقوب ويجوز للنبى
 عليه السلام ان يبلغ به
 الجزع ذلك المبلغ لان
 الانسان مجبول على ان
 لا يملك نفسه عند الحزن
 فذلك جد صبره ولقد بكى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 على ولده ابراهيم وقال
 القلب يجزع والعين تدمع
 ولا تقول ما يسخط الرب
 وانا عليك يا ابراهيم لمخزونون
 وانما المدموم الصياح
 والنياحة ولطم الصدر
 والوجوه وتمزيق الثياب
 (فهو كظيم) مملوء من
 الغيظ على اولاده ولا يظهر
 ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول
 بدليل قوله اذ نادى وهو
 مكظوم من كظم السقاء اذا
 شده على ملته (قالوا والله
 تفتوا) أى لا تفتأ حذف
 حرف التثنية لانه لا يلتبس
 اذ لو كان اثباتا لم يكن بد
 من اللام والنون ومعنى
 لا تفتأ لا تزال (تذكر يوسف
 حتى تكون جرضا) مشفيا
 على اهلاك مرضا (أو
 تكون من الهالكين

أوجع للقلب وأعظم طبعان الحزن الاول كما قال متمم بن نويرة رأيت قبر اجديدا جدد خزنه على أخيه مالك
 يقول أتبكي كل قبر رأيت به • لقبر نوى بين اللوى والدكادك
 فقلت له ان الاسى يبعث الاسى • فدعنى فهذا كله قبر مالك

فاجاب بان الحزن يجدد الحزن وقيل ان يوسف وبنيامين لما كانا من أم واحدة كان يعقوب يتسلى عن
 يوسف بينيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد خزنه عليه ووجدته وجدد خزنه على يوسف لان يوسف كان
 أصل المصيبة وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب عليه السلام في قوله يا أسفا على يوسف فقال هذه شكاية
 واظهار جزع فلا يلقى بعلم منصبه ذلك وليس الامر كما قال هذا الجاهل المعترض لان يعقوب عليه الصلاة
 والسلام شكالى الله لانه فقوله يا أسفا على يوسف معناه يارب ارحم أسنى على يوسف وقد ذكر ابن الانبارى
 عن بعض اللغويين انه قال نداء يعقوب بالاسف في اللفظ من المجازية بمعنى به غير المظهر في اللفظ وتلخيصه يا الهى
 ارحم أسنى أو أنت رأيت أسنى أو هذا أسنى فنادى الاسف في اللفظ والمنادى سواه في المعنى ولا مآثم اذ لم ينطق
 اللسان بكلام مؤثم لانه لم يشك الا الى ربه عز وجل فلما كان قوله يا أسفا على يوسف شكوى الى ربه كان غير
 مألوم في شكواه وقيل ان يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت محنته قال يا أسفا على يوسف أى
 اشكو الى الله شدة أسنى على يوسف ولم يشك الى أحد من الخلق بدليل قوله انما اشكو بنى وحزنى الى الله
 (وابيضت عيناه من الحزن) أى عمى من شدة الحزن على يوسف قال مقاتل لم يبصر شيئا ست سنين وقيل انه
 ضعف بصره من كثرة البكاء وذلك ان الدمع يكثر عند غلبة البكاء فتصير العين كانه يبيض من ذلك الماء الخارج
 من العين (فهو كظيم) أى مكظوم وهو الممتلىء من الحزن الممسك عليه لا يثمه قال قتادة وهو الذى يردد
 خزنه في جوفه ولم يقل الا خيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر أبيه الى يوم التقيا ثمانون سنة
 لم تجف عينا يعقوب وما على وجه الارض يومئذ اكرم على الله منه وقال ثابت البناني ووهب بن منبه
 والسدى ان جبريل عليه الصلاة والسلام دخل على يوسف وهو فى السجن فقال هل تعرفنى أيها الصديق
 قال يوسف أرى صورة طاهرة قال انى رسول رب العالمين وأنا الروح الامين فقال يوسف فما أدخلك مدخل
 المذنبين وأنت أطيب الطيبين ورأس المقر بين وأمين رب العالمين قال ألم تعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض
 بطهر النبیین وان الارض التى يدخلونها هى أطهر الارضين وان الله قد طهر بك الارض والسجن وما حوله
 يا أطهر الطاهرين وابن الصالحين الخالصين قال يوسف كيف لبى باسم الصديقين وتعذنى من الصالحين
 المخلصين الطاهرين وقد أدخلت مدخل المذنبين قال انه لم يفتن قلبك ولم تطع سيدتك فى عصية ربك
 فذلك سماك الله من الصديقين وعدك من المخلصين وألحقك باآبائك الصالحين قال يوسف فهل لك علم من
 يعقوب أيها الروح الامين قال نعم قد ذهب بصره وابتلاه الله بالحزن عليك فهو كظيم ووهب له الصبر الجليل
 قال فما قدر خزنه قال حزن سبعين شكلاء قال فإله من الاجر يا جبريل قال أجر مائة شهيد قال افترانى لاقية
 قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما أبالى مما لقيت ان رأيت • قوله عز وجل (قالوا) يعنى اخوة يوسف
 عليه الصلاة والسلام لا يهيم (تالله تفتوا نذكر يوسف) يعنى لا تزال تذكر يوسف ولا تفتقر عن حبه يقال ما فتىء
 يفعل كذا أى مازال ولا محذوفة فى جواب القسم لان موضعها معلوم حذفت لتخفيف كقول امرئ القيس

فقلت يمين الله أبرح قاعدا • ولو قطعوا رأسى ليديك وأوصالى

أى لأبرح قاعدا • وقوله (حتى تكون جرضا) قال ابن عباس يعنى دنفا وقال مجاهد الحرص مادون الموت
 يعنى قريبا من الموت وقال ابن اسحق يعنى فاسد الاعقل له والحرص الذى فسد جسمه وعقله وقيل ذائب من
 الهم وأصل الحرص الفساد فى الجسم والعقل من الحزن أو الهم ومعنى الآية حتى تكون دنفا الجسم
 مجبول العقل يعنى لا تنتفع بنفسك من شدة الحزن والهم والاسف (أو تكون من الهالكين) يعنى من

الاموات فان قلت كيف حلقوا على شيء لم يعلموا حقيقته قطعاً قلت انهم بنوا الامر على الاغلب الظاهر أي
تقوله ظناً منا ان الامر يصير الى ذلك (قال) يعني يعقوب عند ما رأى قومه له وغلظتهم عليه (انما أشكوا بني
وحزني الى الله) أصل البت اثاره الشيء ونفر يقه وبث النفس ما انطوت عليه من الغم والشر قال ابن قتيبة
البت أشد الحزن وذلك لان الانسان اذا ستر الحزن وكفه كان عما فاذا ذكره لغيره كان بنا فالبت أشد الحزن
والحزن الهم فعلى هذا يكون المعنى انما أشكوا حزني العظيم وحزني القليل الى الله لا اليكم قال ابن الجوزي
روى الحاكم أبو عبد الله في صحيحه من حديث أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان
لي يعقوب أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال أما الذي
أذهب بصري فالبكاء على يوسف وأما الذي قوس ظهرى فالحزن على بنيامين فأتاه جبريل فقال يا يعقوب
ان الله يقرئك السلام ويقول لك اما تستحي ان تشكوا الى غيري فقال انما أشكوا بني وحزني الى الله فقال
جبريل الله أعلم بما تشكروا وقيل انه دخل على يعقوب جاره فقال له يا يعقوب مالي أراك قد تهتمت بالضعف
وفيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبواك فقال هتمني وأقناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فأوحى الله اليه
يا يعقوب أشكوني الى خلقي فقال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي قال قد غفرت لك فكان بعد ذلك اذا
سئل يقول انما أشكوا بني وحزني الى الله وقيل ان الله أوحى اليه وعزني وجلالي لا أكشف ما بك حتى
تدعوني فعند ذلك قال انما أشكوا بني وحزني الى الله ثم قال أي رب أما ترحم الشيخ الكبير أذهبت بصري
وقوس ظهرى فأردد على ربحاتي أشمها شمة قبل ان أموت ثم اصنع ماشيت فأناه جبريل فقال يا يعقوب
ان الله يقرئك السلام ويقول لك أبشر فوعزني لو كانا ميتين لشرتهما لك أتدري لم وجدت عليك لانكم
ذبحتم شاة فقام على بابكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه منها شيئاً وان أحب عبادي الى الانبياء ثم
المساكين اصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاماً ثم قال من كان صائماً فليطفر الليلة عند آل يعقوب وكان
بعد ذلك اذا تغدى أمر مناديا ينادي من أراد ان يتغدى فليأت آل يعقوب واذا أظطر أمر ان ينادي من
اراد ان يظفر فليأت آل يعقوب فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين وقال وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى
يعقوب أتدري لم عاقبتك وحبت عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يارب قال لانك شويت عناقا وقرت على
جارك وأكلت ولم تطعمه وقيل ان سبب ابتلاء يعقوب انه ذبح عجلا بين يدي أمه وهي تخور فلم يرجها فان قلت
هل في هذه الروايات ما يقدح في عصمة الانبياء قلت لا وانما عوقب يعقوب بهذا لان حسنات الابراشيات
المقربين وانما يطلب من الانبياء من الاعمال على قدر منصفهم وشر يفرض عليهم ويعقوب عليه الصلاة والسلام
من أهل بيت النبوة والرسالة ومع ذلك فقد ابتلى الله كل واحد من انبيائه بمحنة فصبر وفوض أمره الى الله
فابراهيم عليه الصلاة والسلام ألقى في النار فصبر ولم يشك الى أحد واسماعيل ابتلى بالنج فصبر وفوض أمره
الى الله واسحق ابتلى بالعمى فصبر ولم يشك الى أحد ويعقوب ابتلى بفقد ولده يوسف وبعده بنيامين ثم عمي
بعد ذلك أو ضعف بصره من كثرة البكاء على فقد عمه وهو مع ذلك صابر لم يشك الى أحد شيئاً مما نزل به وانما
كانت شكايته الى الله عز وجل بدليل قوله انما أشكوا بني وحزني الى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم
والثناء الجميل في الدنيا والدرجات العلافى الآخرة مع من سلف من أبويه ابراهيم واسحق عليهم الصلاة
والسلام وأما مدح العين وحزن القلب فلا يستوجب به ذم ولا عقوبة لان ذلك ليس الى اختيار الانسان فلا
يدخل تحت التكليف بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم بكى على ولده ابراهيم عند موته وقال ان العين لتدمع
وان القلب ليحزن وما تقول الاما يرضى بنا فهذا القدر لا يقدر الانسان على دفعه عن نفسه فصار مباحا
لا حرج فيه على أحد من الناس وقوله (وأعلم من الله ما لا تعلمون) يعني أنه تعالى من رحمة واحسانه يأتي
بالفرج من حيث لا أحسب وفيه اشارة الى انه كان يعلم حياة يوسف وتوقع رجوعه اليه وروى ان ملك

قال انما أشكوا بني وحزني
الى الله) البت أصعب الهم
الذي لا يصبر عليه صاحبه
فيته الى الناس أي ينشره
أي لا أشكوا الى أحد منكم
ومن غيركم انما أشكوا الى
ربي داعياله وملتجئ اليه
خلفوني وشكايته وروى انه
أوحى الى يعقوب انما
وجدت عليكم لانكم ذبحتم
شاة فوقف ببابكم مسكين
فلم تطعموه وان أحب خلقي
الى الانبياء ثم المساكين
فاصنع طعاما وادع عليه
المساكين وقيل اشترى
جارية مع ولدها فباع
ولدها فبكت حتى عميت
(وأعلم من الله ما لا تعلمون)
وأعلم من رحمة انه يأتيني
بالفرج من حيث
لا أحسب وروى انه رأى
ملك الموت في منامه فساله
هل قبضت روح يوسف
فقال لا والله هو حي فأطلبه
وعلمه هذا الدعاء اذا
المعروف الدائم الذي
لا ينقطع معرفته أبدا ولا
يحصى غيرك فرج عني

الموت زار يعقوب فقال له يعقوب أيها الملك الطيب ربح الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت روح
ابني يوسف في الارواح فقال لا فطابت نفس يعقوب وطمع في رؤيته فلذلك قال وأعلم من الله ما لا تعلمون
وقيل معناه واعلم ان رؤيا يوسف حق وصدق وانى وأتم سنسجد له وقال السدي لما أخبره بنوه بسيرة ملك
مصر وكما حاله في جميع أقواله وأفعاله أحست نفس يعقوب وطمع أن يكون هو يوسف فعند ذلك قال يعني
يعقوب (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) التحسس طلب الخبر بالحاسة وهو قريب من التجسس
بالجيم وقيل ان التحسس بالخاء يكون في الخير وبالجيم يكون في الشر ومنه الجاسوس وهو الذي يطلب
الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس التمسوا قال ابن الانباري يقال تحسست عن فلان ولا يقال من
فلان وقال هنا من يوسف وأخيه لأنه أقيم من مقام عن قال ويجوز أن يقال من للتبويض ويكون المعنى
تحسسوا أخبرا من أخبار يوسف وأخيه روى عن عبد الله بن يزيد عن أبي فروة أن يعقوب كتب كتابا إلى
يوسف عليهما الصلاة والسلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب إسرائيل الله ابن اسحق ذبح الله ابن
إبراهيم خليل الله إلى ملك مصر أما بعد فانا أهل بيت وكل بنا البلاء أما جدى إبراهيم فشدت بداهه ورجلاه
وألقي في النار فخطها الله عليه بردا وسلاما وما أنى فشدت بداهه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله
وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادى إلى فذهب به أخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا
قدأكله الذئب فذهبت عيناى ثم كان لي ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنت أنسلى به وانك حبسته وزعمت
أنه سرق وأنا أهل بيت لا نسرق ولا نلدسار قافان رددته إلى والادعوت عليك دعوة تدرك السابع من
ولديك فلما قرأ يوسف كتاباً به اشتد بكاهة وعيل صبره وأظهر نفسه لأخوته على ما سئد كره ان شاء الله تعالى
فذلك قوله تعالى يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه (ولا تياسوا) أى ولا تقنطوا (من روح الله) يعنى
من رحمة الله وقيل من فضل الله وقيل من فرج الله (انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون) يعنى ان
المؤمن على خير يرجوه من الله فيصبر عند البلاء فينال به خيرا ومحمد عند الرخاء فينال به خيرا والكافر بضد
ذلك قوله تعالى (فلما دخلوا عليه) فيه حذف واختصار تقديره فخرجوا من عند أيهم قاصدين مصر فلما
دخلوا عليه يعنى على يوسف (قالوا يا أيها العزيز) يعنون يا أيها الملك والعزيز القادر الممتنع وكان العزيز
لقب ملك مصر يومئذ (مسنا وأهلنا الضر) أى الشدة والفقير والجوع وأرادوا بأهلهم من خلفهم ومن
وراءهم من العيال (وجئنا ببضاعة مزجاة) أى ببضاعة رديئة كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام الا بتجاوز من
البائع وأصل الازجاء في اللغة الدفع قليلا قليلا والترجية دفع الشيء لينساق كترجية الريح السحاب ومنه
قول الشاعر * وحاجة غير مزجاة من الحاج * يعنى هى قليلة يسيرة يمكن دفعها وسوقها القلة الاعتناء
بها وانما وصفوا تلك البضاعة بأنها مزجاة اما نقصانها أو لرداءتها أو لمجموعهما فلذلك اختلفت عبارات
المفسرين فى معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوف وقيل كانت خلق الغرائر
والحبال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقطوق قال الكلبي ومقاتل كانت حبة الخضراء وقيل
كانت سويق المقل وقيل كانت الادم والنعال وقال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الرديئة مزجاة من
قولهم فلان يزجى العيش أى يدفع الزمان بالقليل من العيش والمعنى جئنا ببضاعة مزجاة لندافع بها الزمان
ولست مما يتسع بها وقيل انما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لانها صر دودة مدفوعة غير مقبولة ممن يدفعها
(فأوف لنا السكيل) يعنى أعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد الوافى والمعنى اننا نريد أن نقيم لنا الزائد
مقام الناقص والجيد مقام الرديء (وتصدق علينا) يعنى وتفضل علينا بما بين الثمين الجيد والرديء ولا
تنقصنا هذا قول أكثر المفسرين قال ابن الانباري وكان الذى يسألونه من المسأحة يشبه الصدقة وليس به
واختلف العلماء هل كانت الصدقة حلالا للانبيا قبل نبينا أم لا فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت

(يا بني اذهبوا فتحسسوا
من يوسف وأخيه) فتعرفوا
منهما وتطلبوا خبرهما وهو
تفعل من الاحساس وهو
المعرفة (ولا تياسوا من روح
الله) ولا تقنطوا من رحمة
الله وفرجه (انه) ان الامر
والشأن (لا يياس من روح
الله الا القوم الكافرون)
لان من آمن يعلم انه متقلب
فى رحمة الله ونعمته وأما
الكافر فلا يعرف رحمة الله
ولا تقبله فى نعمته فيياس
من رحمة فخرجوا من عند
أيهم راجعين الى مصر
(فلما دخلوا عليه) على
يوسف (قالوا يا أيها العزيز
مسنا وأهلنا الضر) الهزال
من الشدة والجوع (وجئنا
ببضاعة مزجاة) مدفوعة
يدفعها كل تاجر رغبة عنها
واحتقار لها من أزجيتها
اذا دفعته وطرده قيل
كانت دراهم زيوف لا تؤخذ
الا ببضاعة وقيل كانت
صوفا وسمنا (فأوف لنا
السكيل) الذى هو حقنا
(وتصدق علينا) وتفضل
علينا بالمسأحة والاعراض
عن رداءة البضاعة وزدنا
على حقنا أو هب لنا أخانا

حلالا لانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الآية وانكر جمهور العلماء ذلك وقالوا ان حال
 الانبياء كلهم واحد في تحريم الصدقة عليهم لانهم ممنوعون من الخضوع للمخلوقين والاختصاص بهم والصدقة
 اوساخ الناس فلا تحل لهم لانهم مستغنون بالله عن سواه واجيب عن قوله وتصديق علينا انهم طلبوا منه ان
 يجريهم على عادتهم من المساحة وايفاء الكيل ونحو ذلك مما كان يفعل بهم من الكرامة وحسن الضيافة
 لانفس الصدقة وكره الحسن ومحاهد ان يقول الرجل في دعائه اللهم تصدق علينا لان الصدقة لا تكون الا
 من يتقى الثواب وروى ان الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق علي فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق من
 يتقى الثواب قل اللهم اعطني وتفضل علي وقال ابن جريج والضحاك وتصدق علينا يعني بردا علينا علينا
 (ان الله يجزي المتصدقين) يعني بالثواب الجزيل وقال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا انه
 مؤمن (قال) يعني قال يوسف لاختوته (هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه) وقد اختلفوا في السبب الذي من
 اجله حمل يوسف وهيججه على هذا القول فقال ابن اسحق ذكر لي انهم لما ظفوه بهذا الكلام ادر كتر رقة على
 اخوته فباح بالذي كان يكتم وقيل انه اخرج لهم نسخة الكتاب الذي كتبوه بييعه من مالك وفي آخره وكتبه
 يهودا فلما قرؤا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا يا ايها الملك انه كان لنا عبد فبعناه منه ففاظ ذلك يوسف وقال
 انكم تستحقون العقوبة وامر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلوهم قال يهودا كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد
 واحد منا فكيف اذا اتاه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابعت بامتعتنا الى اين فانه يمكن
 كذا وكذا فذلك حين ادر كتر الرقة عليهم والرحمة فبكي وقال هذا القول وقيل ان يوسف لما قرأ كتاب ابيه
 اليه لم يتمالك ان يبكي وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم امر هذه الواقعة
 ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم من امر يوسف وما اقبلتم عليه من قطيعة الرحم وتفرقة من ابيه وهذا
 كما يقال للذنب هل تدري من عصيت وهل تعرف من خالفت ولم يرد بهذا نفس الاستفهام ولكنه اراد تفضيع
 الامر وتعظيمه ويجوز ان يكون المعنى هل علمتم عقبي ما فعلتم بيوسف واخيه من تسليم الله اياهما من
 المكروه واعلم ان هذه الآية تصديق لقوله تعالى واوحينا اليه لتبئتهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون فان
 قلت الذي فعله يوسف معلوم ظاهر فالذي فعلوه باخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانهم لم
 يسعوا في حبه ولا ارادوا ذلك قلت انهم لما فرقوا بينه وبين اخيه يوسف تفصوا عليه عيشه وكانوا يؤذونه
 كلما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا له لما اتهم بأخذ الصواع ما رأينا منكم يا بني راحيل خيرا (اذا تم جاهلون)
 هذا مجرى مجرى العذر لهم يعني انكم انما اقدمتم على هذا الفعل القبيح المنكر حال كونكم جاهلين وهو
 وقت الصبا وحالة الجهل وقيل جاهلون بما يؤول اليه امر يوسف قوله عز وجل (قالوا انك لانت يوسف)
 قرئ على سبيل الاستفهام ووجه هذه القراءة قال ابن عباس لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
 تبسم فرأوا ثنابيه كاللؤلؤ تشبه ثنابيه يوسف فشبوهه بيوسف فقالوا استفهاما انك لانت يوسف وقرئ على
 الخبر ووجه ما قال ابن عباس ايضا في رواية اخرى عنه ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه
 وكان له في قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلها ولاسحق مثلها ولسارة مثلها فعرفوه بها وقالوا انت
 يوسف وقيل قالوه على سبيل التوهم ولم يعرفوه حتى (قال أنا يوسف) قال بعض العلماء انما اظهر الاسم في
 قوله أنا يوسف ولم يقل أنا هو تعظيما لما نزل به من ظلم اخوته له وما عوضه الله من النصر والظفر والملك
 فكانه قال أنا يوسف المظلوم الذي ظلمتموني وقصدتم قتلي بان التيموني في الجب ثم بعتموني يا محسن الايمان
 ثم صرت الى ماترون فكان تحت ظهور الاسم هذه المعاني كلها ولهذا قال (وهذا أخي) وهم يعرفونه لانه
 قصد به ايضا وهذا أخي المظلوم كما ظلمتموني ثم صرت أنا هو الى ماترون وهو قوله (قدم من الله علينا)
 بان جمع بيننا وقيل من علينا بكل عز وخير في الدنيا والآخرة وقيل من علينا بالسلامة في دينا ودنيا (انه)

(ان الله يجزي المتصدقين)
 ولما قالوا منا وأهلنا الضر
 ونصر عوا اليه وطلبوا منه
 أن يتصدق عليهم ارفضت
 عيناه ولم يتمالك أن عرفهم
 نفسه حيث قال (قال هل
 علمتم ما فعلتم بيوسف) أي
 هل علمتم قبح ما فعلتم
 بيوسف (واخيه اذا تم
 جاهلون) لانهم لم يعلموا
 او اذا تم في حد السفة
 والطيش وفعلهم باخيه
 نعر بعضهم اياه للغم بافراده
 عن اخيه لا يبيد وأمه
 واذا اؤهم له بانواع الاذى
 (قالوا انك) بهمزتين
 كوفي وشامي (لانت
 يوسف) اللام لام الابتداء
 وانت مبتدأ ويوسف خبره
 والجملة خبران (قال أنا
 يوسف وهذا أخي) وانما
 ذكر أخاه وهم قد سألوه عن
 نفسه لانه كان في ذكراخيه
 بيان لما سألوه عنه (قدم من
 الله علينا) بالالف بعد
 الفرقه وذكرا نعمة الله
 بالسلامة والكرامة ولم
 يبدأ باللامه (انه)

من يتق (و يصبر) عن المعاصي وعلى الطاعة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أي أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابر بن وقيل من يتق مولاة ويصبر على بلواه لا يضيع أجره في دنياه وبعقباه (قالوا والله لقد آثرنا الله علينا) اختارك وفضلك علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر والحسن (وان كنا خاطئين) وان شأنا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم تتق ولم نصبر لاجرم ان الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسك بين يديك (قال لا تريب عليكم) (٤٣) لا تعير عليكم (اليوم) متعلق بالثريب أو يغفر والمعنى لا أثر بكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة الثريب فإظنكم بغيره من الايام ثم ابتداء فقال (يغفر الله لكم) فدعاهم بغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر لك على لفظ الماضي والمضارع أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني فاعلابكم قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ما قال أخي يوسف لا تريب عليكم اليوم وروى ان أباسفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا أتيت رسول الله فأتل عليه قال لا تريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولن علمك و يروى ان اخوته لما عرفوه أرسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك لما فرط منافعك

من يتق ويصبر) يعني يتق الزنا ويصبر على العزوبة قاله ابن عباس وقال مجاهد يتق المعصية ويصبر على السجن وقيل يتق الله باداء فرائضه ويصبر عما حرم الله (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعني أجر من كان هذا حاله (قالوا) يعني قال اخوة يوسف معتذرين اليه بمصادرهم في حقه (تالله لقد آثرنا الله علينا) أي اختارك وفضلك علينا يقال آثر الله أي أشار إلى اختارك ويستعار الاثر للفضل والايثار للتفضيل والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل وقال الضحاك عن ابن عباس بالملك وقال أبو صالح عنه بالصبر وقيل بالحلم والصفح علينا وقيل بالحسن ومائر الفضائل الذي أعطاها الله عز وجل له دون اخوته وقيل فضله عليهم بالنسبة وأورد على هذا القول بان اخوته كانوا أنبياء أيضا فليس له عليهم فضل في ذلك وأجيب عنه بان يوسف فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان أفضل منهم بهذا الاعتبار لان من جمعت له النبوة والرسالة كان أفضل ممن خص بالنبوة فقط (وان كنا خاطئين) يعني وما كنا في صنعنا بك الا خاطئين ولهذا اختير لفظ الخاطيء على المخطيء والفرق بينهما ان يقال خطيء خطأ اذا تعمداً وأخطأ اذا كان غير متعمداً وقيل يجوز ان يكون أثر لفظ خاطئين على مخطئين لموافق رؤس الآي لان خاطئين أشبه بما قبلها (قال) يعني يوسف (لا تريب عليكم) يعني لا تعير ولا توبخ عليكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت أمة أحدم فليجلدها الحد ولا يوبخها ولا يثرب أي لا يعيرها بالزنا بعد اقامة الحد عليها وفي محل قوله (اليوم) قولان أحدهما انه يرجع الى ما قبله فيكون التقدير لا تريب عليكم اليوم والمعنى ان هذا اليوم هو يوم الثريب والتقريب والتوبيخ وأنالا أقرعكم اليوم ولا أوبخكم ولا أثر ب عليكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تريب عليكم اليوم ويبدأ بقوله (يغفر الله لكم) والقول الثاني ان اليوم متعلق بقوله يغفر الله لكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تريب عليكم ويبدأ باليوم يغفر الله لكم كأنه لما نفي عنهم التوبيخ والتقريب بقوله لا تريب عليكم بشرهم بقوله اليوم يغفر الله لكم (وهو أرحم الراحمين) ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن حال أبيه فقال ما حال أبي بعدى قالوا ذهب بصره من كثرة البكاء عليك فاعطاهم قميصه وقال (اذهبوا بقميصي هذا) قال الضحاك كان هذا القميص من نسج الجنة وقال مجاهد أمره جبريل أن يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم وذلك انه لما جرد من ثيابه وألقى في النار عر يانا أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فلبسه اياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم فامامات ورثه اسحق فامامات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في قصبة من فضة وسدر أسها وجعلها في عنق يوسف كالتعاويذ لما كان يخاف عليه من العين وكانت لا تفارقه فلما ألقى يوسف في البئر عر يانا أتاه جبريل وأخرج له ذلك القميص وألبسه اياه فلما كان هذا الوقت جاءه جبريل فامر ان يرسل هذا القميص الى أبيه لان فيه ربح الجنة فلا يقع على مبتلى ولا سقيم الاعوفى في الوقت فدفع ذلك القميص يوسف الى اخوته وقال اذهبوا بقميصي هذا (فالتقوه على وجه أبي يات بصيرا) قال المحققون ان علم يوسف ان القاء ذلك القميص على وجه يعقوب يوجب رد البصر كان بوحى الله اليه ذلك ويمكن أن يقال ان يوسف لما علم أن أباه قد عمى من كثرة البكاء عليه وضيق الصدر بعث اليه فقال يوسف ان أهل مصر وان ملكت فيهم فأنهم ينظرون الى العين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبد ابيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد سرفت الآن بكم حيث علم الناس أني من حفدة ابراهيم (وهو أرحم الراحمين) أي اذا رجتم وأنا الفقير القنور فإظنكم بالفضي الغفور ثم سألهم عن حال أبيه فقالوا انه عمى من كثرة البكاء قال (اذهبوا بقميصي هذا) قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله اليه فان فيه ربح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الاعوفى (فالتقوه على وجه أبي يات بصيرا) يصر بصيرا تقول جاء البناء محكا أي صار أو يات الى وهو بصير قال يهودا أنا أجل قميص الشفاء كما ذهب بقميص الحفاء وقيل جله وهو حاف حاسر من مصر الى

فقال يوسف ان أهل مصر وان ملكت فيهم فأنهم ينظرون الى العين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبد ابيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد سرفت الآن بكم حيث علم الناس أني من حفدة ابراهيم (وهو أرحم الراحمين) أي اذا رجتم وأنا الفقير القنور فإظنكم بالفضي الغفور ثم سألهم عن حال أبيه فقالوا انه عمى من كثرة البكاء قال (اذهبوا بقميصي هذا) قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله اليه فان فيه ربح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الاعوفى (فالتقوه على وجه أبي يات بصيرا) يصر بصيرا تقول جاء البناء محكا أي صار أو يات الى وهو بصير قال يهودا أنا أجل قميص الشفاء كما ذهب بقميص الحفاء وقيل جله وهو حاف حاسر من مصر الى

كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا (واتوني باهلكم أجمعين) لينعموا بآثار ملكي كما اغنموا باخبار ملكي (ولما فصلت العير) خرجت من عريش مصر يقال (٤٤) فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه (قال أبوهم) لولد له

قيصه ليجدر بحه فيزول بكأوه وينشرح صدره ويفرح قلبه فعند ذلك يزول الضعف ويقوى البصر فهذا القدرة تكن معرفته من جهة العقل وقوله (واتوني باهلكم أجمعين) قال الكلبي كانوا نحو من سبعين انسانا وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين مابين رجل وامرأة (ولما فصلت العير) يعني خرجت من مصر وقيل من عريش مصر متوجهين الى أرض كنعان (قال أبوهم) يعني قال يعقوب لولد له (اني لاجد ربح يوسف) قيل ان ربح الصبا استأذنت ربه ان تأتي يعقوب ربح يوسف قبل أن يأتيه البشير وقال مجاهد أصابت يعقوب ربح يوسف من مسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عباس من مسيرة ثمان ليال وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هبت ربح فاحتلت ربح القميص الى يعقوب فوجد يعقوب ربح الجنة فعمل أنه ليس في الأرض من ربح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فعمل بذلك انه من ربح يوسف فلذلك قال اني لاجد ربح يوسف (لولا أن تفندون) أصل التفنيد من الفند وهو ضعف الرأي وقال ابن النباري أفند الرجل اذا خرف وفند اذا جهل ونسب ذلك اليه وقال الاصمعي اذا كثرت كلام الرجل من خرف فهو الفنيد والنفد فيكون المعنى لولا أن تفندوني أي تنسبوني الى الخرف وقيل تسفهوني وقيل تلوموني وقيل تجهلوني وهو قول ابن عباس وقال الضحاك تهرموني فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله (قالوا) يعني أولاد أولاد يعقوب وأهله الذين عنده لان أولاده اصلبه كانوا غائبين عنه (تالله انك لني ضلالك القديم) يعني من ذكر يوسف ولا تنسائه لانه كان عندهم ان يوسف كان قد مات وهلك ويرون أن يعقوب قد طبع بذكره فلذلك قالوا تالله انك لني ضلالك القديم يعني من ذكره والضلال الذهاب عن طريق الصواب (فلما أن جاء البشير) وهو البشير بنجر يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بين يدي العير قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه هو يهودا قال السدي قال يهودا أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب وأخبرته ان يوسف أكل الذئب فانا ذهب اليوم بالقميص وأخبره انه حي فأفرجه كما أحرته قال ابن عباس حمله يهودا وخرج به حافيا حاسرا بعدو ومعه سبعة أرغفة فلم يستوفأ كلها حتى أتى أباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا (القاء على وجهه) يعني فالتى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب (فارتد بصيرا) يعني فرجع بصيرا بعد ما كان قد عمى وعادت اليه قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن (قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون) يعني من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وروى ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال يعقوب ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة ﴿ قوله تعالى (قالوا يا انا استغفر لنا ذنوبنا) يعني قال أولاد يعقوب حين وصلوا اليه وأخذوا يعتذرون اليه مما صنعوا به ويوسف استغفر لنا أي اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله (انا كنا خاطئين) يعني في صنيعنا (قال سوف استغفر لكم ربى) قال أكثر المنصرين ان يعقوب أخر الدعاء والاستغفار لهم الى وقت السحر لانه أشرف الاوقات وهو الوقت الذي يقول الله فيه هل من داع فاستجب له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله تعالى فلما فرغ ورفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لي جزى على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لاولادي ما أتوا الى أخيه يوسف فأوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم أجمعين قال عكرمة عن ابن عباس انه أخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانها أشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة نيفا وعشرين سنة وقال طاوس أخر الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبي سوف

ومن حوله من قومه (اني لاجد ربح يوسف) أوجده الله ربح القميص حين أقبل من مسيرة ثمانية أيام (لولا أن تفندون) التفنيد النسبة الى الفند وهو الحزن وانكار العقل من هرم يقال شيخ فند والمعنى لولا تفنيدكم اياي لعدت قموني (قالوا) أي أسباطه (تالله انك لني ضلالك القديم) لني ذهابك عن الصواب قديم في افراط محبتك ليوسف أوفى خطتك القديم من حب يوسف وكان عندهم انه قد مات (فلما أن جاء البشير) أي يهودا (القاء على وجهه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه يعقوب (فارتد) فرجع (بصيرا) يقال رده فارتد وارنده اذا ارتجعه (قال ألم أقل لكم) يعني قوله اني لاجد ربح يوسف أو قوله ولاتيا سوا من روح الله وقوله (اني أعلم من الله ما لا تعلمون) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول أو وقع عليه والمراد قوله انما أشكوا بنى وحزنى الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون وروى انه سأل البشير كيف يوسف قال هو ملك مصر فقال ما أصنع بالملك على أي دين تركته

استغفر (قالوا يا انا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) أي سل الله مغفرة ما ارتكبناني حقا وحق ابنك انا بنينا واغفر لنا يا انا (قال سوف استغفر لكم ربى)

نه هو الغفور الرحيم) أخر الاستغفار الى وقت السحر أو الى ليلة الجمعة أو ليتعرف حالهم في صدق التوبة أو الى أن يسأل يوسف هل عفا عنهم
م أن يوسف وجهه الى أبيه جهازاً ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه فلما بلغ قريبا من مصر خرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجنود
والعظماء وأهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو عشي يتوكأ على يهودا (فلما دخلوا) (٤٥) على يوسف آوى اليه) ضم اليه

(أبو به) واعتنقهما قبل
كانت أمه باقية وقيل ماتت
وتزوج أبوه خالته والخالة
أم كان العم أب ومنه قوله
واله آباءك إبراهيم
واسماعيل واسحق ومعنى
دخولهم عليه قبل دخولهم
مصر أنه حين استقبالهم
أنزلهم في مضرب خيمة
أو قصر كان له ثمة فدخولوا
عليه وضم اليه أبو به
(وقال) لهم بعد ذلك
(ادخلوا مصر ان شاء الله
آمنين) من ملوكها وكانوا
لا يدخلونها الا بجوار أو
من القحط وروى انه لما
لقيه قال يعقوب عليه
السلام السلام عليك
يامذهب الازنان وقال له
يوسف يا بني بكيت على
حتى ذهب بصرك ألم تعلم
ان القيامة تجمعنا فقال بلى
ولكن خشيت أن يسلب
دينك في حال بيني وبينك
وقيل ان يعقوب وولده
دخلوا مصر وهم اثنان
وسبعون مابين رجال
ونساء وخرجوا منها مع
موسى ومقاتلهم ستائة ألف
وخسمائة وبضعة وسبعون
رجلا سوى الذرية والهرمي

استغفر لكم ربى قال حتى أسأل يوسف فان كان قد عفا عنكم استغفرت لكم ربى (انه هو الغفور) يعنى
لذنوب عباده (الرحيم) بجميع خلقه قال عطاء الخراسانى طلب الخواص الى الشباب أسهل منه الى الشيوخ
الأثرى الى قول يوسف لاخوته لا تريب عليكم الآية وقول يعقوب سوف أستغفر لكم ربى قال أصحاب
الخبار ان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع اخوته الى أبيه مائتي راحلة وجهازا كثيرا لياتوه يعقوب
وجميع أهله الى مصر فلما أتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع أهله وهم يومئذ اثنان وسبعون مابين
رجل وامرأة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما نادى يعقوب من مصر كام يوسف الملك الا كبر يعنى ملك
مصر وعرفه بجىء أبيه وأهله فخرج يوسف ومعه الملك في أربعة آلاف من الجنود وركب أهل مصر معهم
يتلقون يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب عشي وهو يتوكأ على يده ابنة يهودا فلما نظر الى الخيل
والناس قال يا يهودا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما نادى كل واحد من صاحبه أراد يوسف
أن يبدأ يعقوب بالسلام فقال له جبريل لا حتى يبدأ يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يامذهب
الازنان وقيل انهما نزلا وتعانقا وفعلا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده وبكيا وقيل ان يوسف قال لابي
يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت أن يسلب دينك في حال
بينى وبينك فذلك قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه) يعنى ضم اليه (أبو به) قال أكثر المفسرين
هو أبوه يعقوب وخالته ليا وكانت أمه قد ماتت في نفاس بنيامين وقال الحسن هما أبوه وأمّه وكانت حية بعد
وقيل ان الله أحيها ونشرها من قبرها حتى تسجد ليوסף تحقيقا لرؤياه والاول أصح (وقال ادخلوا مصر)
قيل المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا على يوسف أرض مصر وذلك حين استقبالهم ثم قال ادخلوا
مصر يعنى البلاد وقيل انه أراد بالدخول الاول دخولهم مصر وأراد بالدخول الثانى الاستيطان بها أى ادخلوا
مصر مستوطنين فيها (ان شاء الله آمنين) قيل ان هذا الاستثناء عائد الى الامن لالى الدخول والمعنى ادخلوا
مصر آمنين ان شاء الله وقيل انه عائد الى الدخول فعلى هذا يكون قد قال ذلك لهم قبل أن يدخلوا مصر وقيل
ان هذا الاستثناء يرجع الى الاستغفار فعلى هذا يكون فى الكلام تقديم وتأخير تقديره سوف أستغفر لكم
ربى ان شاء الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها أحد الا بجوارهم فقال لهم يوسف
ادخلوا مصر آمنين على أنفسكم وأهلكم ان شاء الله فعلى هذا يكون قوله ان شاء الله للتبرك فهو كقوله صلى
الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع علمه انه لاحق بهم (ورفع أبويه على العرش) يعنى على السرير
الذى كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل الى العلو (وخروا له سجدا) يعنى يعقوب وخالته ليا واخوته
وكانت تحية الناس يومئذ السجود وهو الانحناء والتواضع ولم يرد به حقيقة السجود من وضع الجبهة على
الارض على سبيل العبادة فان قلت كيف استجاز يوسف عليه السلام أن يسجد له أبوه وهو أكبر منه وأعلى
منصبا في النبوة والشيخوخة قلت يحتمل ان الله تعالى أمره بذلك لتحقيق رؤياه ثم فى معنى هذا السجود
قولان أحدهما انه كان انحناء على سبيل التحية كما تقدم فلا اشكال فيه والقول الثانى انه كان حقيقة
السجود وهو وضع الجبهة على الارض وهو مشكل لان السجود على هذه الصورة لا ينبغى أن يكون الا لله
تعالى وأجيب عن هذا الاشكال بان السجود كان فى الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وانما كان يوسف

وكانت الذرية ألف ألف ومائة ألف (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا) قيل لما دخلوا مصر وجلس فى مجلسه مستويا على سرير
واجتمعوا اليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير وخروا له يعنى الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا وكانت السجدة عندهم جارية بحرى
التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد وقال الزجاج سنة التعظيم فى ذلك الوقت ان يسجد للمعظم وقيل ما كانت الانحناء دون
تقبير الجباه وخروا لهم سجدا ليا به وقيل وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وفيه نبوة أيضا واختلف فى استنباطهم

(وقال ياأبت هذاناو يسيل
 رؤياي من قبل قد جعلها)
 أي الرؤيا (ربى حقا) أي
 صادقة وكان بين الرؤيا
 وبين التأويل أربعون
 سنة أو ثمانون أو ست
 وثلاثون أو ثمان وعشرون
 (وقد أحسن بي) يقال
 أحسن اليه وبه وكذلك
 أساء اليه وبه (إذا خرجني
 من السجن) ولم يذكر
 الجب لقوله لا تريب عليكم
 السوم (وجاء بكم من
 البدو) من البادية لانهم
 كانوا أصحاب مواش
 ينتقلون في المياه والمناجم
 (من بعد أن نزع الشيطان
 بيني وبين اخوتي) أي
 أفسد بيننا وأغرى (ان
 ربى لطيف لما يشاء) أي
 لطيف التدبير (انه هو
 العليم الحكيم) بتأخير
 الآمال الى الآجال أو حكم
 بالاختلاف بعد الاختلاف

كالقبلة كما سجد الملائكة لآدم و يدل على صحة هذا التأويل قوله ورفع أبويه على العرش وخروا للمسجد
 وظاهر هذا يدل على انهم لما صعدوا على السرير خروا وسجدوا لله تعالى ولو كان ليوسف لكان قبل الصعود لان
 ذلك أبلغ في التواضع فان قلت يدفع صحة هذا التأويل قوله رأيتهم لي ساجدين وقوله خروا لله سجدا فان الضمير
 يرجع الى أقرب المذكورات وهو يوسف عليه الصلاة والسلام قلت يحتمل أن يكون المعنى خروا لله سجدا
 لاجل يوسف واجتماعهم به وقيل يحتمل ان الله أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهي ان اخوة
 يوسف ربما احتملتهم الانفة والتكبر عن السجود ليوسف فلما رأوا أن أباهم قد سجد له سجدوا له أيضا
 فتكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع لا على سبيل العبادة وكان ذلك حائزا في ذلك الزمان فلما
 جاء الاسلام نسخت هذه الفعلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه (وقال) يعني وقال يوسف عندما رأى ذلك
 (ياأبت هذاناو يسيل رؤياي من قبل) يعني هذا تصديق الرؤيا التي رأيت في حال الصغر (قد جعلها ربى حقا)
 يعني في اليقظة واختلفوا فيما بين رؤياه وتأويلها فقال سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد أبو يعون سنة وقال
 أبو صالح عن ابن عباس اثنتان وعشرون سنة وقال سعيد بن جبيرة وعكرمة والسدي ست وثلاثون سنة وقال
 قتادة خمس وثلاثون سنة وقال عبد الله بن سودون سبعون سنة وقال الفضيل بن عياض ثمانون سنة حتى
 هذه الأقوال كلها ابن الجوزي وزاد غيره عن الحسن ان يوسف كان عمره حين ألقى في الجب سبع عشرة
 سنة وأقام في العبودية والسجن والملك مدة ثمانين سنة وأقام مع أبيه واخوته وأقاربه مدة ثلاث وعشرين
 سنة وثوفاه الله وهو ابن مائة وعشرين سنة ﴿ وقوله (وقد أحسن بي) يعني أنعم عليّ يقال أحسن بي وإلى
 بمعنى واحد (إذا خرجني من السجن) انما ذكر انعام الله عليه في اخراجه من السجن وان كان الجب أصعب
 منه استعمالا للادب والكرم لئلا يخجل اخوته بعد أن قال لهم لا تريب عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه في
 اخراجه من السجن كانت أعظم من اخراجه من الجب وسبب ذلك ان خروجه من الجب كان سببا لحصوله
 في العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا لوصوله الى الملك وقيل ان دخوله الجب كان لحسد اخوته
 ودخوله السجن كان لزال التهمة عنه وكان ذلك من أعظم نعمه عليه (وجاء بكم من البدو) يعني من البادية
 وأصل البدو هو البسيط من الارض يبدو الشخص فيه من بعد يعني يظهر البدو وخلاف الحضرة والبادية
 خلاف الحاضرة وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية فسكنوا البادية (من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين
 اخوتي) يعني أفسد ما بيننا بسبب الحسد وأصل النزغ دخول في أمر لافساده واستدل بهذه الآية من يرى
 بطلان الجبر من المتدعة قالوا لان يوسف أضاف الاحسان الى الله وأضاف النزغ الى الشيطان ولو كان من
 فعل الله لوجب أن ينسب اليه كما في الاحسان والنعم والجواب عن هذا الامتدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان
 واضافته اليه على سبيل المجاز وان كان ظاهر اللفظ يقتضي اضافة الفعل الى الشيطان لا على الحقيقة لان
 الفاعل المطلق المتخار هو الله تعالى في الحقيقة قل لو كان فيهما آفة الا الله لفسدنا فثبت بذلك ان الكل من
 عند الله بقضائه وقدره ليس للشيطان فيه مدخل الا بالقائه الوسوسة والتحرش لافساد ذات البين وذلك
 باقدار الله اياه على ذلك (ان ربى لطيف لما يشاء) يعني انه تعالى ذو لطف عالم بدقائق الامور وخفياتها قال
 صاحب المفردات وقد يعبر باللفظ عما تدركه الحاسة ويصح أن يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه
 وأن يكون لعرفته بدقائق الامور وأن يكون لرفقه بالعبادة في هدايتهم وقوله ان ربى لطيف لما يشاء أي
 حسن الاستخراج نفسها على ما وصل الى يوسف حيث ألقاه اخوته في الجب وقيل ان اجتماع يوسف بابيه
 واخوته بعد طول الفارقة وحسد اخوته له وازالة ذلك مع طيب الانفس وشدة المحبة كان من لطف الله بهم
 حيث جعل ذلك كله لان الله تعالى اذا أراد امر احياء أسبابه (انه هو العليم) يعني بمصالح عباده (الحكيم) في
 جميع أفعاله قال أصحاب الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه الصلاة والسلام أقام عند يوسف بمصر أربعين

(رب قد آتيتني من الملك) ملك مصر (وعلمتني من تأويل الاحاديث) تفسير كتب الله أو تعبير الرؤيا ومن فيهما للتبويض اذ لم يوت الا بعض ملك الدنيا وبعض التأويل (فاطر السموات والارض) اتعابه على النداء (أنت ولي في الدنيا والآخرة) أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الثاني بالملك الباقي (توفني مسلما) طلب الوفاة على حال الاسلام كقول يعقوب لولده ولا تموتن الا و أنت مسلمون وعن الضحاك مخلصا وعن التستري مسلما اليك أمرى وفي عصمة الانبياء انما دعا به يوسف ليقتدى به قومه ومن بعده ممن ليس بمؤمن العاقبة لان ظواهر الانبياء انظر الام اليهم (وألقني بالصالحين) من آباءي أو على العموم (٤٧) روى ان يوسف أخذ يدي يعقوب

قطاف به في خزائنه فادخله خزائن الذهب والفضة وخزائن الثياب وخزائن السلاح حتى أدخله خزائنه القراطيس قال يابني ما أعفك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمانية مراحل فقال أمرني جبريل قال أو ما تسأله أنت قال أنت أبسط اليه مني فأسأله فقال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب فهلا خفتني وروى ان يعقوب أقام معه أربعين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام الى جنب أبيه اسحق فضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثة وعشرين سنة فلما تم أمره طلبت نفسه الملك الدائم فقضى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر وتشاحوا في

وعشرين سنة في أهنأ عيش وأنعم بالوأحسن حال فلما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه يوسف أن يحمل جسده حتى يدفنه عند قبر أبيه اسحق في الارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب عليه الصلاة والسلام به صرف فعل يوسف ما أمره به أبوه فحمل جسده في تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت العيص أخى يعقوب وكان قد ولد في بطن واحد فدفن في قبر واحد وكان عمرهما مائة وسبعاً وأربعين سنة فلما دفن يوسف أباه وعمه ورجع الى مصر قالوا لما جمع الله شمل يوسف عليه الصلاة والسلام بابيه واخوته علم ان نعيم الدنيا زائل سريع الفناء لا يدوم فسأل الله حسن العاقبة والخاتمة الصالحة فقال (رب) أي يارب (قد آتيتني من الملك) يعني من ملك مصر ومن هنا للتبويض لانه لم يوت ملك مصر كله بل كان فوقه ملك آخر والملك عبارة عن الاتساع في المقدور لمن له السياسة والتدبير (وعلمتني من تأويل الاحاديث) يعني تعبير الرؤيا (فاطر السموات والارض) يعني الخالق وأبدعه (أنت ولي) يعني معيني ومتولى أمرى (في الدنيا والآخرة توفني مسلما) أي اقبضني اليك مسلما واختلفوا أهل هو طلب للوفاة في الحال أم لا على قولين أحدهما انه سأل الله الوفاة في الحال قال قتادة لم يسأل نبي من الانبياء الموت الا يوسف قال أصحاب هذا القول وانه لم يأت عليه أسبوع حتى توفى القول الثاني انه سأل الوفاة على الاسلام ولم يتمن الموت في الحال قال الحسن انه عاش بعد هذه سنين كثيرة فعلى هذا القول يكون معنى الآية توفني اذا توفيتني على الاسلام فهو طلب لان يجعل الله وفاته على الاسلام وليس في اللفظ ما يدل على انه طلب الوفاة في الحال قال بعض العلماء وكلا القولين محتمل لان اللفظ صالح للامرين ولا يبعد من الرجل العاقل الكامل أن يتمنى الموت لعلمه ان الدنيا ولذاتها فانية زائلة سريعة الذهاب وان نعيم الآخرة باق دائم لانفادله ولا زوال ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمن أحدكم الموت لضر نزل به فان تمنى الموت عند وجود الضر ونزول البلاء مكره والصر عليه أولى وقوله (وألقني بالصالحين) أراد به بدرجة آباءه وهم ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام قال علماء التاريخ عاش يوسف مائة وعشرين سنة وفي التوراة مائة وعشرين سنة وولد ليوسف من امرأة العزيز ثلاثة اولاد افرائيم وميشا ورحمة امرأة أيوب وقيل عاش بعد أبيه ستين سنة وقيل أكثر ولما مات يوسف عليه الصلاة والسلام دفنوه في النيل في صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر وذلك انه لما مات يوسف تشاح الناس فيه فطلب كل أهل محلة ان يدفن في محلتهم وجاء بركته حتى هموا أن يقتتلوا ثم رأوا ان يدفنوه في النيل بحيث يجري الماء عليه ويتفرق عنه وتصل بركته الى جميعهم وقال عكرمة انه دفن في الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب الاخر فنقل الى الجانب الايسر فاخصب وأجدب الجانب الايمن فدفنوه في وسط النيل وقدروه بسلسلة فاخصب الجانبان فبقي الى ان أخرجه موسى عليه الصلاة والسلام وحمله معه حتى دفنه بقرب آباءه بالشام في الارض المقدسة قوله عز وجل (ذلك) يعني الذي ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وما جرى له مع اخوته ثم انه صار الى الملك بعد الرق (من انبياء الغيب) يعني أخبار الغيب (نوحيه اليك) يعني الذي

دفنه كل يجب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فأرأوا ان يعملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا حتى نقل موسى عليه السلام بعد أربعين سنة تابوته الى بيت المقدس وولده افرائيم وميشا وولده لافرائيم ونون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت القراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ (من انبياء الغيب نوحيه اليك) خبران

(وما كنت لديهم) لدى بني يعقوب (إذا جمعوا أمرهم) عزموا على ما هموا به من القاء يوسف في البئر (وهم يكفرون) بيوسف ويبنون له الفوائت والمعنى أن هذا النباغير لم يحصل لك الأمن جهة الوحي لأنك لم تحضر بني يعقوب حين انفقوا على القاء أخيه في البئر (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) أراد العموم أو أهل مكة أي وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على إيمانهم (وما نسألكم عليه) على التبليغ أو على القرآن (من أجر) (٤٨) جعل (إن هو إلا كرم) ما هو إلا موعظة (للعالمين) وحث على طلب النجاة على لسان

رسول من رسله (وكأين من آية) من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده (في السموات والأرض يرون عليها) على الآيات أو على الأرض ويشاهدونها (وهم عنها) عن الآيات (معرضون) لا يعتبرون بها والمراد ما يرون من آثار الأمم الطالكة وغير ذلك من العبر (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) أي وما يؤمن أكثرهم في إقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهم مشرك بعبادة الوثن الجاهل وعلى أنها نزلت في المشركين لأنهم يقرون بالله خالقهم ورازقهم وإذا حرمهم أمر شديد دعوا الله ومع ذلك يشركون به غيره ومن جملة الشرك ما يقوله القدرة من آيات قدرة الخلق للعباد والتوحيد المحض ما يقوله أهل السنة وهو أنه لا خالق إلا الله (أفامنوا أن تأتيهم غاشية) عقوبة تغشاهم وتشملمهم

أخبرناك به من أخبار يوسف وحي أو حينئذ اليك يا محمد وفي هذه الآية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه كان رجلاً أمياً لم يقرأ الكتاب ولم يلق العلماء ولم يسافر إلى بلد آخر غير بلده الذي نشأ فيه صلى الله عليه وسلم وأنه نشأ بين أمة أمية مثله ثم أنه صلى الله عليه وسلم أتى بهذه القصة الطويلة على أحسن ترتيب وأبين معان وأصح عبارة فعلم بذلك أن الذي أتى به هو وحي إلهي ونور قدسي سماوي فهو معجزة له قائمة إلى آخر الدهر ﴿وقوله تعالى (وما كنت لديهم) يعني وما كنت يا محمد عند أولاد يعقوب (إذا جمعوا أمرهم) يعني حين عزموا على القاء يوسف عليه الصلاة والسلام في البئر (وهم يكفرون) يعني بيوسف (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وما أكثر الناس يا محمد ولو حرصت على إيمانهم بمؤمنين وذلك أن اليهود يقرن يسألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما أخبرهم بها على وفق ما عندهم في التوراة لم يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فقيل له إنهم لا يؤمنون ولو حرصت على إيمانهم ففيه تسلية له (وما نسألكم عليه من أجر) يعني على تبليغ الرسالة والدعاء إلى الله من أجر يعني أجر أوجعلا على ذلك (إن هو) أي ما هو يعني القرآن (الاذكر) يعني عظة وتذكيراً (للعالمين وكأين من آية) يعني وكما من آية دالة على التوحيد (في السموات والأرض يرون عليها) يعني لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وهم عنها معرضون) أي لا يلتفتون إليها والمعنى ليس اعراضهم عن هذه الآيات الظاهرة الدالة على وحدانية الله تعالى بالعجب من اعراضهم عنك يا محمد (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) يعني أن من إيمانهم أنهم إذا سئلوا من خلق السموات والأرض قالوا الله وإذا قيل لهم من ينزل المطر قالوا الله وهم مع ذلك يعبدون الأصنام وفي رواية عن ابن عباس أنهم يقولون إن الله خالقهم فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره فذلك شركهم وفي رواية أخرى عنه أيضاً أنها نزلت في تلبية مشركي العرب وذلك أنهم كانوا يقولون في تلبيةهم ليك ليك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك وقال عطاء هذا في الدعاء وذلك أن التكفير نسوار بهم في الرخاء فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء (أفامنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) يعني عقوبة مجللة تعذبهم وقال مجاهد عذاب يغشاهم وقال قتادة وقيلة وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع (أو تأتيهم الساعة بغتة) يعني فجأة (وهم لا يشعرون) يعني بقيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس وهم في أسواقهم (قل) أي قل يا محمد طهوا المشركين (هذه سبيلي) يعني طريق التي (أدعو) إليها وهي توحيد الله عز وجل ودين الإسلام وسمى الدين سبيلاً لأنه الطريق المؤدي إلى الله عز وجل وإلى الثواب والجنة (إلى الله) يعني إلى توحيد الله والإيمان به (على بصيرة) يعني على يقين ومعرفة والبصيرة هي المعرفة التي عيز بها بين الحق والباطل (أنا ومن اتبعني) يعني من آمن بي وصدق بما جئت به أيضاً يدعو إلى الله وهذا قول الكلبي وابن زيد قال حق على من اتبعه وآمن به أن يدعو إلى ما دعا إليه ويندرك بالقرآن وقيل تم الكلام عند قوله أدعو إلى الله ثم استأنف على بصيرة أنا ومن اتبعني يعني أنا على بصيرة ومن اتبعني أيضاً على بصيرة قال ابن عباس إن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا على أحسن طريقة وأفضل هداية وهم معدن العلم وكثر الإيمان وجند الرحمن وقال ابن مسعود ومن كان مستنفاً فاستن بمن قدمته أو تلك أصحاب محمد صلى الله

(من عذاب الله أو تأتيهم الساعة) القيامة (بغتة) حال أي فجأة (وهم لا يشعرون) باتيانها (قل هذه سبيلي) هذه السبيل عليه التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله (أدعو إلى الله على بصيرة) أي أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء (أنا) نا كيداً للمستتر في ادعو (ومن اتبعني) عطف عليه أي أدعو إلى سبيل الله أنا و يدعو إليه من اتبعني أو أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبر مقدم ومن اتبعني عطف على حجة وبرهان لا على هوى

عليه وسلم كانوا خير هذه الامة وأبرها قلوبا وأعظمها علما وأقلها تكلفا قوم اختارهم الله اصحبه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطريقهم فهو لاء كانوا على الصراط المستقيم ﴿وقوله (وسبحان الله) أي وقل سبحان الله يعني تزيهه عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب والنقائص والشركاء والاضداد والانداد (وما أنامن المشركين) يعني وقل يا محمد وما أنامن المشركين الذين أشركوا بالله غيره ﴿وقوله عز وجل (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا) يعني وما أرسلنا قبلك يا محمد الا رجالا مثلك ولم يكونوا ملائكة (نوحى اليهم) هذا جواب لاهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا من ارسالنا اياك يا محمد وسائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك عالم كحالك (من أهل القرى) يعني انهم من أهل الامصار والمدن لامن أهل البوادي لان أهل الامصار أفضل وأعلم وأكمل عقلا من أهل البوادي قال الحسن لم يبعث نبي من بدو ولا من الجن ولا من النساء وقيل انما يبعث الله نبيا من البادية لغلظهم وجفافهم (أفلم يسيروا في الارض) يعني هؤلاء المشركين المكذبين (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعني كانت عاقبتهم الهلاك لما كذبوا رسلنا فاعتبر هؤلاء بهم وما حل بهم من عذابنا (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) يعني فعلنا هذا باولياءنا وأهل طاعتنا اذا تجبناهم عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما في الدار الآخرة خير لهم يعني الجنة لانها خير من الدنيا وانما أضاف الدار الى الآخرة وان كانت هي الآخرة لان العرب تضيف التثنية الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه (أفلا يعقلون) يعني يتفكرون ويعتبرون بهم فيؤمنون ﴿وقوله عز وجل (حتى اذا استيأس الرسل) قال صاحب الكشاف حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فتراخي نصرهم حتى اذا استيأس الرسل عن النصر وقال الواحدى حتى هنا حرف من حروف الابتداء يستأنف بعدها والمعنى حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم (وظنوا أنهم قد كذبوا) قرأ أهل الكوفة وهم عاصم وجزرة والكسائي كذبوا بالتخفيف ووجه هذه القراءة على ما قاله الواحدى ان معناه ظن الامم ان الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقال أهل المعاني كذبوا من قولهم كذبتك الحديث أى لم أصدقك ومنه قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قال أبو علي والضمير في قوله وظنوا على هذه القراءة للرسل اليهم والتقدير وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك أعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس انهم لم يؤمنوا بهم حتى نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال الله اياهم ولا يمتنع حمل الضمير في وظنوا على المرسل اليهم وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل اليهم وان شئت قلت ان ذكرهم جري في قوله أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم أى مكذبي الرسل والظن هنا على معنى التوهم والحسبان وهذا معنى ما روى عن ابن عباس انه قال حتى اذا استيأس الرسل من قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا فبإيادى وعدوا من نصرهم واهلاك من كذبهم وقيل معناه وتيقن الرسل انهم قد كذبوا في وعد قومهم اياهم الايمان أى وعدوا وأن يؤمنوا ثم لم يؤمنوا وقال صاحب الكشاف وظنوا أنهم قد كذبوا أى كذبتهم أنفسهم حتى حدثتهم بانهم لا ينصرون أو رجأؤهم كقولهم رجاء صادق ورباء كاذب والمعنى أن مدته التكذيب والعداوة وانتظار النصر من الله تعالى وتأمله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد أخلفوا ما وعدهم الله به من النصر قال وكانوا بشرًا وتلا قوله وزلزوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكشاف فان صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهيج في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه

(وسبحان الله) وأنزهه
عن الشركاء (وما أنامن
المشركين) مع الله غيره
(وما أرسلنا من قبلك
الا رجالا) لاملائكة لانهم
كانوا يقولون لو شاء ربنا
لا نزل ملائكة أو ليست
فيهم امرأة (نوحى) بالنون
حفص (اليهم من أهل
القرى) لانهم أعلم وأحلم
وأهل البوادي فيهم الجهل
والجفاء (أفلم يسيروا في
الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم
ولدار الآخرة) أى ودار
الساعة الآخرة (خير للذين
اتقوا) الشرك وأمنوا به
(أفلا يعقلون) وبالياء مكى
وأبو عمرو وجزرة وعلى
(حتى اذا استيأس الرسل)
يشوا من ايمان القوم
(وظنوا أنهم قد كذبوا)
وأيقن الرسل ان قومهم
كذبوهم وبالتخفيف
كوفى أى وظن المرسل
اليهم ان الرسل قد كذبوا
أى أخلفوا أو وظن المرسل
اليهم أنهم كذبوا من جهة
الرسل أى كذبتهم الرسل
في انهم ينصرون عليهم
ولم يصدقوهم فيه

الطبيعة البشرية وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فإبالي
رسول الله الذين هم أعرف الناس برهم وأنه متعال عن خلف المعاد وحكي الواحدى عن ابن الانبارى أنه
قال هذا غير معمول عليه من جهتين احدا عثمان التفسير ليس عن ابن عباس لكنه من متأول تأوله عليه
والاخرى ان قوله جاءهم نصر نادال على ان أهل الكفر ظنوا ما لا يجوز مثله واستضعفوا رسل الله ونصر الله
لرسل ولو كان الظن للرسل كان ذلك منهم خطأ عظيما ولا يستحقون ظفرا ولا نصر او تبرئة الانبياء وتطهيرهم
واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا وقرأ الباقون وهم نافع وابو كثير وابو عمرو وابن عامر وظنوا
أنهم قد كذبوا بالنفس يدو وجهه ظاهر وهو أن معناه حتى اذا استياس الرسل من ايمان قومهم وظنوا
يعنى وأيقنوا يعنى الرسل أن الامم قد كذبوهم تكديبا لا يرجى بعده ايمانهم فالظن بمعنى اليقين
وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى اذا استياس الرسل من كذبهم من قومهم أن يصدقوهم وظنوا
أن من قد آمن بهم من قومهم قد فارقوهم وارعدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء واستبطوا النصر اتاهم
النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى الحساب والتكذيب مظنون من جهة من آمن بهم يعنى وظنوا بالرسل
ظن حساب ان ربهم قد كذبهم فى وعد الظفر والنصر لا بطائه وتأخره عنهم واطول البلاء بهم لأنهم
كذبوهم فى كونهم رسلا وقيل ان هذا التكذيب لم يحصل من أتباعهم المؤمنين لأنه لو حصل لكان نوع
كفر ولكن الرسل ظنت بهم ذلك لبطاء النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب المتيقن هو
من جهة الكفار وعلى القواين جميعا فالكتابة فى وظنوا للرسل (خ) عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن
قوله تعالى حتى اذا استياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا وكذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد
استيقنوا أن قومهم كذبوهم وما هو بالظن فقالت يا عروة تأجل اقد استيقنوا بذلك فقلت لعلها قد كذبوا
فقلت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك برها قلت فها هذه الآية قالت هم اتباع الرسل الذين آمنوا برهم
وصدقوهم فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى اذا استياس الرسل من كذبهم من قومهم وظنوا ان
أتباعهم كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك وفى رواية عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة قال قال ابن عباس
حتى اذا استياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا خفيفة قال ذهب لها هنالك وتلا حتى يقول الرسول والذين
آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب قال فقلت عروة بن الزبير وذكرت ذلك له فقال قالت عائشة معاذ
الله والله ما وعد الله رسوله من شئ قط الا علم انه كائن قبل ان يموت ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن
يكون من معهم من قومهم يكذبوهم فكانت تقرؤها وظنوا أنهم قد كذبوا مشقة ﴿ وقوله تعالى (جاءهم
نصرنا) يعنى جاء نصر الله النبيين (فنجى من نشاء) من عبادنا يعنى عند نزول العذاب بالكافرين فننجى
المؤمنين المطيعين (ولا يرد بأسنا) يعنى عذابنا (عن القوم المجرمين) يعنى المشركين ﴿ قوله تعالى (لقد كان
فى قصصهم) يعنى فى خبر يوسف واخوته (عبرة) أى موعظة (لاولى الالباب) يعنى يتعظ بها اولو الالباب
والعقول الصحيحة ومعنى الاعتبار والعبرة الحالة التى يتوصل بها الانسان من معرفة المشاهد الى ما ليس
بمشاهد والمراد منه التأمل والتفكر ووجه الاعتبار بهذه القصة ان الذى قدر على اخراج يوسف من الحب
بعد قتائه فيه واخراجه من السجن وتمليك مصر بعد العبودية وجمع شمله بابيه واخوته بعد المدة الطويلة
والياس من الاجتماع لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته واظهار دينه وان الاخبار بهذه
القصة الجيبة جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى قال
فى أول هذه السورة نحن نقص عليك أحسن القصص وقال فى آخرها لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب
فدل على ان هذه القصة من أحسن القصص وأن فيها عبرة لمن اعتبرها (ما كان حديثا يفترى) يعنى ما كان
هذا القرآن حديثا يفترى ويختلق لان الذى جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه أن

(جاءهم نصرنا) للانبياء
والمؤمنين بهم نجاة من
غير احتساب (فنجى)
بنون واحدة وتشد يد الجيم
وقتح الياء شامى وعاصم
على لفظ الماضى المبني
للمفعول والقائم مقام
الفاعل الباقون
فنجى (من نشاء) أى
التي ومن آمن به (ولا يرد
بأسنا) عذابنا (عن القوم
المجرمين) الكافرين
(لقد كان فى قصصهم) أى
فى قصص الانبياء وأهمهم
أوفى قصة يوسف واخوته
(عبرة لاولى الالباب)
حيث نقل من غاية الحب الى
غيابة الحب ومن الحصر
الى السرى فصارت عاقبة
العبر سلامة وكرامة ونهاية
المكر وخاتمة وندامة (ما
كان حديثا يفترى) ما كان
القرآن حديثا يفترى كما
زعم الكفار

(ولكن تصديق النبي بين يديه) ولكن تصديق الكتب التي تقدمت (وتفصيل كل شيء) يحتاج اليه في الدنيا لانه القانون الذي تستداليه السنة والاجاع والقياس (وهدي) من الضلال (ورحة) من العذاب (لقوم يؤمنون) بالله وأنبياؤه وما نصب بعد لكن معطوف على خبر كان * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرقاء كم سورة يوسف (٥١) فإما عبدت لها وعلماؤها أهلها وما ملكت

يمينه هون الله عليه مكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما قال الشيخ أبو منصور رحمه الله في ذكر قصة يوسف عليه السلام وأخوته تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أذى قريش كأنه يقول

ان أخوة يوسف مع موافقتهم آياه في الدين ومع الأخوة عملوا يوسف ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك فانت مع مخالفتهم اياك في الدين أخرى أن تصبر على أذاهم وقال وهب ان الله تعالى لم ينزل كتابا الا وفيه سورة يوسف عليه السلام تامة كما هي في القرآن العظيم والله أعلم

سورة الرعد مكية وهي ثلاث وأربعون آية كوفي وخمس وأربعون آية شامي

(بسم الله الرحمن الرحيم) (المر) أنا الله أعلم وأرى عن ابن عباس رضي الله عنهما (تلك) إشارة إلى آيات السورة (الكتاب) أريد بالكتاب السورة أي تلك الآيات

يفترية أو يختلقه لانه لم يقرأ الكتاب ولم يخالط العلماء ثم انه جاء بهذا القرآن المجز فدل ذلك على صدقه وانه ليس بفتري (ولكن تصديق النبي بين يديه) يعني ولكن كان تصديق النبي بين يديه من الكتب الالهية المنزلة من السماء من التوراة والانجيل وفيه إشارة إلى أن هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة يوسف (وتفصيل كل شيء) يعني ان في هذا القرآن المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شيء يحتاج اليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد في أمر دينهم ودنياهم (وهدي) يعني إلى كل خير (ورحة) يعني أنزلناه رحمة (لقوم يؤمنون) لانهم هم الذين ينتفعون به والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الرعد﴾

قال ابن الجوزي اختلفوا في نزولها على قولين أحدهما انها مكية رواه أبو طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبيرة وعطاء وقتادة وروى أبو صالح عن ابن عباس انها مكية الآيتين أحدهما قوله ولا يزال الدين كفرا وتصيبهم بما صنعوا قارعة والآخرى قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلنا والقول الثاني انها مدنية رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروى عن ابن عباس انها مدنية الآيتين نزلا بمكة وهما قوله ولو أن قرأنا سيرت به الجبال إلى آخر الآيتين وقال بعضهم المدني منها قوله هو الذي يريك البرق إلى قوله دعوة الحق وهي ثلاث وقيل خمس وأربعون آية وثمانمائة وخمس وخسون كلمة وثلاثة آلاف وخمسة وستة وأحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (المر) قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه أنا الله أعلم وأرى وروى عطاء عنه أنه قال ان معناه أنا الله الملك الرحمن (تلك آيات الكتاب) الإشارة بتلك إلى آيات السورة المسماة بالمر والمراد بالكتاب السورة أي آيات السورة الكاملة المحيية في بابها ثم قال تعالى (والذي أنزل اليك من ربك الحق) يعني من القرآن كله هو الحق الذي لا مز يد عليه وقيل المراد بالإشارة في قوله تلك الاخبار والقصص أي الاخبار والقصص التي قصتها عليك يا محمد هي آيات التوراة والانجيل والكتب الالهية القديمة المنزلة والذي أنزل اليك يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك يا محمد من ربك الحق أي هو الحق فاعتصم به وقال ابن عباس وقتادة أراد بآيات الكتاب القرآن والمعنى هذه آيات الكتاب الذي هو القرآن ثم قال والذي أنزل اليك من ربك الحق يعني وهذا القرآن الذي أنزل اليك من ربك هو الحق الذي لا شك فيه ولا تناقض (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يعني مشركي مكة نزلت هذه الآيات في الرد عليهم حين قالوا ان محمد يقول من تلقاء نفسه ثم ذكر من دلائل ربوبيته وعجائب قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد) جمع عمود وهي الاساطين والدعائم التي تكون تحت السقف وفي قوله (ترونها) قولان أحدهما ان الرؤية ترجع إلى السماء يعني وأتم ترون السموات مرفوعة بغير عمد من تحتها يعني ليس من دونها دعامة تدعمها ولا من فوقها علاقة تمسكها والمراد نبي العمدة الكلية قال اياس بن معاوية السماء مقببة على الارض مثل القبة وهذا قول الحسن وقتادة وجهور المفسرين واحدى الروايتين عن ابن عباس والقول الثاني ان

السورة الكاملة المحيية في بابها (والذي أنزل اليك من ربك) أي القرآن كله (الحق) خبر والذي (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) فيقولون تقوله محمد ثم ذكر ما يوجب الايمان فقال (الله الذي رفع السموات) أي خلقها مرفوعة لأن تكون موضوعة فرفعها والله مبتدأ والخبر الذي رفع السموات (بغير عمد) حال وهو جمع عماد وعمود (ترونها) الضمير يعود إلى السموات أي ترونها كذلك فلا حاجة إلى البيان أو إلى عمد فيكون في موضع جر على أنه صفة لعمد أي بغير عمد مرئية

(ثم استوى على العرش)
استولى بالاقطار ونفوذ
السلطان (وسخر الشمس
والقمر) لمنافع عباده
ومصالح بلاده (كل يجري
لاجل مسمى) وهو قضاء
الدنيا (بدر الأمر) أمر
ملكونه وربوبته
(يفصل الآيات) بين آياته
في كتبه المنزلة (لعلمكم
بإتقار بكم توفنون)
لعلمكم توفنون بان هذا
المدير والمفصل لا بد لكم
من الرجوع اليه (وهو
الذي مد الارض) بسطها
(وجعل فيها رواسي)
جبالا ثوابت (وأنهارا)
جارية (ومن كل الثمرات
جعل فيها زوجين اثنين)
أي الاسود والابيض
والخلو والحامض والصغير
والكبير وما أشبه ذلك
(يعنى الليل النهار) يلبسه
مكانه فيصير أسود مظلم بعد
ما كان أبيض منيرا يعنى
حزة وعلى وأبو بكر (ان
في ذلك آيات لقوم
يتفكرون) فيعلمون ان
لهما صنعا عليهما حكما قادرا
(وفي الارض قطع
متجاورات) بقاع مختلفة
مع كونها متجاورة متلاصقة
طيبة الى سبخة وكريمة الى
زهيدة وصلبة الى رخوة
وذلك دليل على قدر
مدير صمد موقع لافعاله
على وجه دون وجه

الرؤية ترجع الى العمدة والمعنى ان طامع اولاكن لا تزونها اتم ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على
جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدياوالسما عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية
الاشري عن ابن عباس والقول الاول أصح وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) تقدم تفسيره والكلام
عليه في سورة الاعراف بما فيه كفاية (وسخر الشمس والقمر) يعنى ذللهما للمنافع خلقه فهما مقهوران
يجريان على ما يريد (كل يجري لاجل مسمى) يعنى الى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وقال ابن
عباس أراد بالاجل المسمى درجاتها وما نزلها يعنى انهما يجريان في منازلها ودرجاتها ما الى غاية ينتهيان
اليها ولا يجاوزانها وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار
خاص من السرعة والبطء والحركة (بدر الأمر) يعنى انه تعالى يدبر أمر العالم العلوي والسفلي ويصرفه
ويقضيه بمشيئته وحكمته على أكمل الاحوال لا يشغله شأن عن شأن وقيل يدبر الأمر بالاجاد والاعدام
والاحياء والامانة ففيه دليل على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاجون الى تدبيره ورحمته داخلون
تحت قهره وقضائه وقدرته (يفصل الآيات) يعنى انه تعالى بين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وقيل
ان الدلائل الدالة على وجود الصانع قسما الاول الموجودات المشاهدة وهي خالق السموات والارض وما فيها
من العجائب وأحوال الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثاني الموجودات الخادثة في
العالم وهي الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنى والضعف بعد القوة الى غير ذلك من أحوال هذا العالم وكل ذلك مما
يدل على وجود الصانع وكمال قدرته (لعلمكم ببقا بكم توفنون) يعنى انه تعالى بين الآيات الدالة على وحدانيته
وكمال قدرته لكي توفنوا وصدقوا ببقائه والمصير اليه بعد الموت لان من قدر على ايجاد الانسان بعد عدمه
قادر على ايجاد وحيائه بعد موته واليقين صفة من صفات العلم وهو فوق المعرفة والدراية وهو سكون
الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك يقال منه استيقن وأيقن بمعنى علم وقوله تعالى (وهو الذي مد الارض)
لما ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات بغير عمد وذكروا حوال الشمس
والقمر اورد فيها ذكر الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض أى بسطها على وجه الماء وقيل كانت
الارض مجتمعة فدها من تحت البيت الحرام وهذا القول انما يصح اذا قيل ان الارض منسطة كالا كف
وعند أصحاب الهيئة الارض كرة ويمكن أن يقال ان الكرة اذا كانت كبيرة عظيمة فكل قطعة منها شاهد
مدودة كالسطح الكبير العظيم فحصل الجمع ومع ذلك فانه تعالى قد أخبرنا بمد الارض وانه دحاها و بسطها
وكل ذلك يدل على التسطيع والله تعالى أصدق قائل وأبين دليلا من أصحاب الهيئة (وجعل فيها) يعنى في
الارض (رواسي) يعنى جبالا ثابتة يقال رسا الشيء رسوا اذا ثبت ورساه غيره اثبتة قال ابن عباس كان
أبو قيس أول جبل وضع على الارض (وأنهارا) يعنى جعل في الارض أنهارا جارية لمنافع الخلق (ومن
كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) يعنى صنفين اثنين أحمر وأصفر وحوار وحامض (يعنى الليل النهار)
يعنى يلبس النهار ظلمة الليل ويلبس الليل ضوء النهار (ان في ذلك) يعنى الذي تقدم ذكره من عجائب صنعه
وغرائب قدرته الدالة على وحدانيته (آيات) أى دلالات (لقوم يتفكرون) يعنى فيستدلون بالصنعة
على الصانع وبالسبب على المسبب والفكر هو تصرف القلب في طلب الاشياء وقال صاحب المفردات
الفكر قوة مطرقة للعالم الى المعلوم والتفكير جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون
الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب ولهذا روي تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في
الله اذ كان الله منزها أن يوصف بصورة وقال بعض الادباء الفكر مقلوب عن الفرك لانه يستعمل في طلب
المعاني وهو فرك الامور وعنها طلب الوصول الى حقيقتها وقوله عز وجل (وفي الارض قطع متجاورات)
عنى متقاربات بعضها من بعض وهي مختلفة في الطباع فهذه طيبة تنبت وهذه سبخة لا تنبت وهذه قليلة

على قطع غيرهم بالجر
بالعطف على أعناب
والصنوان جمع صنو وهي
النخلة طاراً سان وأصلها
واحد وعن حفص بضم
الصاد وهم الغتان (تسقى
بماء واحد) وبالياء عاصم
وشامى (وتفضل بعضها على
بعض) وبالياء حزة وعلى
(في الاكل) في الثمر
وبسكون الكاف نافع
ومكى (ان في ذلك آيات
لقوم يعقلون) عن الحسن
مثل اختلاف القلوب في
آثارها وأنوارها وأسرارها
باختلاف القطع في أنهارها
وأزهارها وثمارها (وان
تعجب) يا محمد من قولهم في
انكار البعث (فجذب
قولهم) خبر ومبتدأ أى
فقولهم حقيق بأن تعجب
منه لان من قدر على انشاء
ما عدد عليك كانت الاعادة
أهون شئ عليه وأيسره
فكان انكارهم أعجوبة
من الاعاجيب (أنذا كنا
ترايا أننا في خلق جديد)
في محل الرفع بدل من قولهم
قرأ عاصم وحزة كل واحد
بهمزتين (أولئك الذين
كفروا برهم) أولئك
الكافرون المتأدون في
كفرهم (وأولئك الاغلال
في أعناقهم) وصفهم
بالاصرار أو من جملة الوعيد

الريع وهذه كثيرة الريع (وجنات) يعنى بساتين والجنة كل بستان ذى شجر من نخيل وأعناب وغير ذلك
سمى جنة لانه يستر بأشجاره الارض واليه الاشارة بقوله (من أعناب وزرع ونخيل صنوان) جمع صنو
وهي النخلات يجتمعن من أصل واحد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس عم الرجل صنواً بيه يعنى
انهم من أصل واحد (وغير صنوان) هي النخلة المنفردة باصلها فالصنوان المجتمع وغير الصنوان المتفرق
(يسقى بماء واحد) يعنى أشجار الجنات وزروعها والماء جسم رقيق مانع به حياة كل نام وقيل في حده
جوهر سيال به قوام الارواح (وتفضل بعضها على بعض في الاكل) يعنى في الطعم ما بين الحلو والحامض
والعفص وغير ذلك من الطعام عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
وتفضل بعضها على بعض في الاكل قال الدقل والنسيان والحوا والحامض أخرجه الترمذى وقال حديث
حسن غريب قال مجاهد هذا كمثل بنى آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضرب به الله
لقلوب بنى آدم كانت الارض طينة واحدة في يد الرحمن فسطحها فصارت قطعاً متجاورات وأنزل على وجهها
ماء السماء فتخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبخها وما جعلها وخبيثها
وكل يسقى بماء واحد ولو كان الماء قليلاً قيل انما هذا من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم
من السماء تذكرة فتفرق قلوب قوم فتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم فتأهو ولا تسمع وقال الحسن والله
ما جالس القرآن أحد الا قام من عنده بزادة أو نقصان قال الله تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً وقوله تعالى (ان في ذلك) يعنى الذى ذكر (لآيات لقوم يعقلون)
يعنى فيتدبرون ويتفكرون في الآيات الدالة على وحدانيته ﴿ قوله تعالى (وان تعجب فحجب قولهم)
الحجب تبعيد النفس رؤية المستبعد في العادة وقيل الحجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب ولهذا قال
بعض الحكماء الحجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل الحجب في حق الله محال لانه تعالى علام الغيوب لا تخفى عليه
خافية والخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه وانك يا محمد ان تعجب من تكذيبهم اياك بعد ان
كنت عندهم تعرف باسناد الامين فحجب أمرهم وقيل معناه وان تعجب من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم
ولا ينفعهم آله يعبدونها مع اقرارهم بان الله تعالى خالق السموات والارض وهو يضر وينفع وقدر أو
من قدرة الله وما ضرب لهم به الامثال ماراً وافحجب قولهم وقيل وانك ان تعجب من انكارهم النشأة الآخرة
والبعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله فحجب قولهم وذلك ان المشركين كانوا ينكرون
البعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتداء الخلق من الله وقد تقرر في النفوس ان الاعادة أهون من الابتداء
فهذا موضع التعجب وهو قولهم (أنذا كنا تراباً) يعنى بعد الموت (أنا لى خلق جديد) يعنى نعاد خلقاً
جديداً بعد الموت كما كنا قبله ﴿ ثم ان الله تعالى قال في حقهم (أولئك الذين كفروا برهم) وفيه دليل على
ان كل من أنكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى لان من أنكر البعث بعد الموت فقد أنكر القدرة وان
الله على كل شئ قدير ومن أنكر ذلك فهو كافر (وأولئك الاغلال في أعناقهم) يعنى يوم القيامة والاعلال
جمع غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق وقيل أراد بالاعلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما يقاد الاسير
ذليلاً بالغل (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعنى انهم مقيمون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون
(ويستجولونك بالسينة قبل الحسنة) الاستجبال طلب تعجيل الامر قبل محي عوقته والمراد بالسينة هنا هي
العقوبة وبالْحسنة العافية وذلك ان مشركى مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم وهو
قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء واتنا بعذاب اليم (وقد خلت
من قبلهم المثلاث) يعنى وقد مضت في الامم المكذبة العقوبات بسبب تكذيبهم رسالتهم والمثلة بفتح الميم وضم

(وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) دل تكراراً ولئلا على تعظيم الامر (ويستجولونك بالسينة قبل الحسنة) بالنقمة قبل العافية وذلك
انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره (وقد خلت من قبلهم المثلاث) أى عقوبات أمثالهم من

المكذبين فالهم لم يعتبروا بها فلا ينهزوا والمثلة العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها (وان ربك لظفر
 مغفرة للناس على ظلمهم) أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال أي ظالمين لانفسهم قال السدي يعني المؤمنين وهي أرحم آية في كتاب
 الله حيث ذكر المغفرة مع العظم وهو بدون التوبة فان التوبة تزيلها وترفعها (وان ربك لشديد العقاب) على الكافرين أو هما جميعا
 المؤمنين لكنه معلق بالشيئة فهما (٥٤) أي يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (ويتول الذين كفروا والولا أنزل عليه آية من

ربه) لم يعتقدوا بالآيات
 المنزلة على رسول الله صلى
 الله عليه وسلم عنادا
 فافترحوا نحو آيات موسى
 وعيسى من انقلاب العصا
 حية واحياء الموتى فقبيل
 لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم (انما أنت منذر) انما
 أنت رجل أرسلت منذرا
 مخوفاهم من سوء العاقبة
 وناصحا كغيرك من الرسل
 وما عليك الا الاتيان بما
 يصح به انك رسول منذر
 وصحة ذلك حاصلة بآية
 كانت والآيات كلها سواء في
 حصول صحة الدعوى بها
 (ولكل قوم هاد) من
 الانبياء يهديهم الى الدين
 ويدعوهم الى الله بآية
 خص بها الانبياء يريدون
 ويتحكمون (الله يعلم
 ما تعمل كل أمتي وما تنقص
 الارحام وما تزداد) ما في
 هذه المواضع الثلاثة
 موصولة أي يعلم ما عمله من
 الولي على أي حال هو من
 ذكورة وأتونة وتعام
 وخذاج وحسن وقبح

الثناء المثلثة نعمة تنزل بالانسان فيجعل مثلا ليرتدع غيره به وذلك كالسكال وجمعه مثلات بفتح الميم وضمها
 مع ضم الثناء فهما لغتان (وان ربك لظفر مغفرة للناس على ظلمهم) قال ابن عباس معناه انه ليدون تجاوز عن
 المشركين اذا آمنوا (وان ربك لشديد العقاب) يعني للمصرين على الشرك الذي ماتوا عليه وقال مجاهد انه
 ليدون تجاوز عن شركهم في تاخير العذاب عنهم وانه لشديد العقاب اذا عاقب ﴿ قوله تعالى (ويقول الذين
 كفروا) يعني من أهل مكة (لولا) أي هلا (أنزل عليه) يعني على محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) يعني
 مثل عصا موسى وناقته صالح وذلك لانهم لم يقتنعوا بما رأوا من الآيات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم (انما
 أنت منذر) أي ليس عليك يا محمد غير الانذار والتخويف واسلكك من الآيات شيئا (ولكل قوم هاد) قال
 ابن عباس الهادي هو الله وهذا قول سعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعي والمعنى انما عليك
 الانذار يا محمد والهادي هو الله بهدي من يشاء وقال عكرمة في رواية أخرى عنه وأبو الضحى الهادي هو
 رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انما أنت منذر وأنت هاد وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني ولكل
 قوم نبي يهديهم وقال أبو العالية الهادي هو العمل الصالح وقال أبو صالح الهادي هو القائد الى الخير لا الى
 الشر ﴿ قوله عز وجل (الله يعلم ما تعمل كل أمتي) لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات أخبرهم
 الله عز وجل عن عظيم قدرته وكمال علمه وانه عالم بما تعمل كل أمتي يعني من ذكر أو أمتي سوى الخلق أو ناقص
 الخلق واحدا أو اثنين أو أكثر (وما تنقص) يعني وما تنقص (الارحام وما تزداد) قال أهل التفسير غيض
 الارحام الحيض على الحمل فاذا احضت الحامل كان ذلك نقصا في الولد لان دم الحيض هو غذاء الولد في الرحم
 فاذا خرج الدم نقص الغذاء فينقص الولد واذا لم تحض يزداد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج
 الدم والزيادة تمام خلقه باستمساك الدم وقيل اذا احضت المرأة في وقت حملها ينقص الغذاء وتزداد مدة
 الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرة فان رأت خمسة أيام دما وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام فالنقصان
 في الغذاء وزيادة في مدة الحمل وقيل النقصان السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن غيضا نقصانها من
 تسعة أشهر والزيادة يزيد ما على تسعة أشهر فاقبل مدة الحمل ستة أشهر وقيل لطف هذه المادة ويعيشوا واختلفوا
 في أكثره فقال قوم أكثر مدة الحمل ستان وهو قول عائشة وبه قال أبو حنيفة وقيل ان الضحاك ولد
 لستين وقال جماعة أكثرها أربع سنين واليه ذهب الشافعي وقال حماد بن أبي سلمة انما سمى هرم بن
 حيان هرا لانه بقي في بطن أمه أربع سنين وعند مالك ان أكثر مدة الحمل خمس سنين (وكل شيء عنده
 بمقدار) يعني بتقدير واحد لا يجاوزه ولا ينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شيء وكيفيته على أكمل الوجوه
 وقيل معناه وانه تعالى خص كل حادثة من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك بمشيئته الازلية وارادته
 وتقديره الذي لا يقدر عليه غيره (عالم الغيب والشهادة) يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما يشاهدونه
 وقيل الغيب هو المعدوم والشاهد هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر في الحس
 (الكبير) أي العظيم الذي يصغر كل كبير بالاضافة الى عظيمته وكبريائه فهو يعود الى معنى كبر قدرته
 وانه تعالى المستحق لصفات الكمال (المتعال) يعني المنزه عن صفات النقص المتعالي عن الخلق وفيه

وطول وقصر وغير ذلك وما تنقصه الارحام أي ويعلم ما تنقصه يقال غاض الماء وغضته أنا وما تزداده والمراد عدد الولد فانها دليل
 تشمل على واحد واثنين وثلاثة وأربعة أو جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومدة الولادة فانها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها الى
 ستين عندنا والى أربع سنين عند الشافعي والى خمس عند مالك أو مصدر به أي يعلم كل شيء ويعلم غيض الارحام وازديادها (وكل شيء عنده
 بمقدار) بتقدير واحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه لقوله انما كل شيء خلقناه بقدر (عالم الغيب) ما غاب عن الخلق (والشهادة) ما شاهدوه (الكبير)
 العظيم الشأن الذي كل شيء دونه (المتعال) المستعلى على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها وبالياء في الحالين مكي

دليل على أنه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وتنزيهه عن جميع النقص **﴿ قوله تعالى ﴾**
 (سواء منكم من أمر القول ومن جهر به) أي مستومنكم من أخفى القول أو كتمه ومن أظهره وأعلنه
 والمعنى أنه قد استوى في علم الله تعالى السر بالقول والجاهر به (ومن هو مستخف بالليل) أي مستتر بظلمته
 (وسار بالليل) أي ذهب بالليل في سر به ظاهر أو السرب بفتح السين وسكون الراء الطريق وقال
 القتيبي السارب المتصرف في حوائجهم قال ابن عباس في هذه الآية هو صاحب ربة مستخف بالليل وإذا
 خرج بالليل يرى الناس أنه يرى من الأثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت الشيء إذا أظهرته
 وأخفيت إذا كتمته وسار بالليل أي متوارد دخل في السرب مستخفياً ومعنى الآية سواء ما أضمرت
 به القلوب أو نطقت به اللسان وسواء من أقدم على القبائح مستترافي ظلمات الليل أو أتى بها ظاهرافي
 النهار فإن علمه تعالى محيط بالكل (له معقبات) يعني لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فإذا صعدت
 ملائكة الليل عتبتهم ملائكة النهار والتعقيب العود بعد البدء وانما ذكر معقبات بلفظ التأنيث وإن
 كان الملائكة ذكوراً لأن واحداهم عقب وجعلها معقبة ثم جمع المعقبة معقبات كما قيل ابناوات سعد
 ورجالات بكر **(ق)** عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم
 ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يرجع الذين باتوا فيكم فيسألهم
 وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون وقيل إن مع كل واحد
 من بني آدم ملكين ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن شماله وهو كاتب السيئات وكاتب
 الحسنات أمين على كتاب السيئات فإذا عمل العبد حسنة كتبها له به شراً مما لها وإذا عمل سيئة
 قال صاحب الشمال لصاحب اليمين كتبها عليه فيقول أنظر له عمله يتوب أو يستغفر فيستأذنه ثلاث
 مرات فإن هو تاب منها أو لا قال كتبها عليه سيئة واحدة وملك موكل بنصية العبد فإذا تواضع العبد لله
 عز وجل رفعه بها وإن تجبر على الله عز وجل وضعه بها وملك موكل بعينيه يحفظهما من الأذى وملك
 موكل بفيه لا يدعه يدخل في فيه شيء من الهوام يؤذيه فهو لاء خمسة أملاك موكلون بالعبد في ليله وخسة
 غيرهم في نهاره فانظر إلى عظمة الله تعالى وقدرته وكما شفقتك عليك أيها العبد المسكين وهو قوله تعالى (من
 بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) يعني يحفظون العبد من بين يديه ومن وراء ظهره ومعنى من أمر
 الله بأمر الله وأذنه عالم بحجى القدر فإذا جاء خلوا عنه وقيل معناه أنهم يحفظونه بما أمر الله به من الحفظ له
 قال مجاهد ما من عبد إلا ملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما من شيء يأتيه
 يؤذيه إلا قال له الملك وراءك الاثنى باذن الله فيه فيصيبه وقال كعب الأحبار لولا أن الله تعالى وكل بكم ملائكة
 يذوبون عنكم في مطعمكم ومشر بكم وعوراتكم لم تحفظتم الجن وقال ابن جرير معنى يحفظونه أي يحفظون
 عليه الحسنات والسيئات وهذا على قول من يقول إن الآية في الملكين القاعدتين عن اليمين وعن الشمال
 يكتبان الحسنات والسيئات وقال عكرمة الآية في الأمر وحرسهم يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم
 والضمير في قوله راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في معنى هذه الآية لمحمد صلى الله عليه
 وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن
 ابن زيد نزلت هذه الآية في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما من بني عامر بن زيد وكانت قصتهما على
 ما رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال أقبل عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما من بني عامر بن
 زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في نفر من أصحابه فدخل المسجد فاستشرف
 الناس لجمال عامر وكان من أجل الناس وكان أعور فقال رجل يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد أقبل
 نحوك فقال دعه فإن يرد الله به خيراً يهده فاقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد مالي إن

(سواء منكم من أمر
 القول ومن جهر به) أي
 في علمه (ومن هو مستخف
 بالليل) متوار (وسار
 بالليل) ذهب في سر به
 أي في طريقه ووجهه يقال
 سرب في الأرض سروا
 وسارب عطف على من
 هو مستخف لعل مستخف
 أو على مستخف غير أن
 من في معنى الاثنين والضمير
 في (له) مردود على من
 كانه قيل لمن أسرو من
 جهر ومن استخفى ومن
 سرب (معقبات) جماعات
 من الملائكة تعقب في
 حفظه والاصل معقبات
 فادغمت التاء في القاف أو
 هو مفعلات من عقبه إذا
 جاء على عقبه لان بعضهم
 يعقب بعضاً أولانهم يعقبون
 ما يتكلم به فيكتبونه
 (من بين يديه ومن خلفه)
 أي قدامه ووراءه (يحفظونه
 من أمر الله) هما صفتان
 جميعاً وليس من أمر الله
 بصلة للحفظ كانه قيل له
 معقبات من أمر الله أو
 يحفظونه من أجل أمر الله
 أي من أجل أن الله تعالى
 أمرهم بحفظه أو يحفظونه
 من بأمر الله وتقمته إذا
 أذنب بدعائهم له

(واذا اراد الله بقوم سوا) عذابا (فلا مرد له) فلا يدفعه شيء (وما لهم من دونه من وال) من دون الله من يلى امرهم ويدفع عنهم (هو الذي يرىكم البرق خوفا وطمعا) اتصبا على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع أو من المخاطبين أي خائفين وطماعين والمعنى يخاف من وقوع الصواعق عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال أبو الطيب فتي كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرحى الحيامنه وتخشى الصواعق أو يخاف المطر من له فيه ضرر كالسافر ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا يفتق أهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له تقع فيه (وينشئ السحاب) هو اسم جنس والواحدة سحابة (الثقال) بالماء وهو جمع ثقيلة تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال (ويسبح الرعد بحمده) قيل يسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر أي يصعقون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والصوت الذي

أسمت قال لك ما المسلمون وعليك ما على المسلم قال تجعل الأمر لي بعدك قال ليس ذلك لي إنما ذلك إلى الله تعالى يجعله حيث يشاء قال فتجعلني على الوبر وأنت على المدر قال لا قال فما تجعل لي قال أجعل لك أجنة الخيل تغزو عليهم قال وأيس ذلك لي اليوم قم معي أملك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قد أوصى إلى أربدين ربيعة إذا رأيتني أكله فدر من خلفه فاضرب به بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار أربدين من خافر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضرب به فاخترط شبرا من سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومئ إليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربدين وما صنع بسيفه فقال اللهم اكفني ما عاشرت فأرسل الله على أربدين صاعقة في يوم صحو فاقظا فاحرقته فولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل أربدين والله لا ملأناهم عليك خيلا جردا وشبابا مردا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بمنعني الله من ذلك وابتغاية بر يد الأوس والخزرج فززل عامر بت امرأة سلوية فلما أصبح ضم إليه سلاحه فخرج له خراج في أصل أذنه أخذه منه مثل النار فاشتد عليه فقال غدة كغدة البعير وموت في بيت سلوية ثم ركب فرسه وجعل يركض في الصحراء ويقول ادن يا ملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لئن أبصرت محمدا وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما برحى فأرسل الله إليه ملكا فلفظمه فارداه في التراب ثم عاد فركب جواده حتى مات على ظهره وأجاب الله عز وجل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في عامر بن الطفيل فمات بالطنين وأربدين ربيعة مات بالصاعقة وأنزل الله عز وجل في شأن هذه القصة سواء منكم من أسر القول ومن جهر به إلى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله أي بأمر الله وقيل ان تلك المعقبات من أمر الله وفيه تقديم وتأخير تقديره له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه قوله (ان الله لا يغير ما بقوم) خطاب لذين عامر ابن الطفيل وأربدين ربيعة يعني لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة التي أنعم بها عليهم (حتى يغيروا ما بانفسهم) يعني من الحالة الجميلة فيعصون ربهم ويحجدون نعمه عليهم فعند ذلك تحل نعمتهم بهم وهو قوله تعالى (واذا اراد الله بقوم سوا) يعني هلا كما وعذابا (فلا مرد له) يعني لا يقدر أحد أن يرد ما أنزل الله بهم من فضائه وقدره (وما لهم من دونه من وال) يعني وليس لهم من دون الله من وال يلى أمرهم ونصرهم وينزع العذاب عنهم قوله عز وجل (هو الذي يرىكم البرق خوفا وطمعا) لما خوف الله عز وجل عباده بقوله وإذا اراد الله بقوم سوا ذكر في هذه الآية من عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجهه ويشبه العذاب من وجهه فقال تعالى هو الذي يرىكم البرق والبرق معروف وهو لما ان يظهر من خلال السحاب وفي كونه خوفا وطمعا وجوه الأول ان عند لمعان البرق يخاف من الصواعق ويطمع في نزول المطر الثاني انه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالسافر ومن في جريته يعني يديره التمر والزبيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له في نزول المطر نفع كالزراع ونحو الثالث ان المطر يخاف منه اذا كان في غير مكانه وزمانه ويطمع فيه اذا كان في مكانه وزمانه فان من البلاد ما اذا أمطرت فحطت واذا لم تمطر أخصبت (وينشئ السحاب الثقال) يعني بالمطر يقال أنشأ الله السحابة فنشأت أي أبدأها فبدت والسحاب جمع سحابة والسحاب غر بالماء قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيل السحاب النعم فيه ماء أولم يكن فيه ماء ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالي من الماء وأصل السحب الجروسى السحاب سحابة ما لجر الريح له أو لجره الماء أولا يجراره في سيره (ويسبح الرعد بحمده) أكثر المفسرين على أن الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تبجيحه وأورد على هذا القول ما عطف عليه وهو قوله (والملائكة من خيفته) واذا كان المعطوف مغاير للمعطوف عليه وجب أن يكون غيره وأجيب عنه أنه لا يبعد أن يكون الرعد اسم للملك من الملائكة وإنما أفرد به بالذكري ثم يقال على غيره من الملائكة فهو كقوله وملائكته

وجبريل وميكايل قال ابن عباس أقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوقه بها حيث يشاء الله قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع قال زجره السحاب حتى تنتهي حيث أمرت قالوا صدقت أخرجه الترمذي مع زيادة فيه المخاريق جمع مخراق وهو في الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا وأراد به هنا آلة تزجر بها الملائكة السحاب وقد جاء تفسيره في حديث آخر وهو صوت من نور تزجر الملائكة به السحاب قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فان أصابه صاعقة فعلى دية وكان عبد الله بن الزبير اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وكان يقول ان الوعيد لاهل الارض شديد وفي بعض الاخبار ان الله تعالى يقول لو ان عبادي أطاعوا في لسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد وروى جوهر عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وان يحور الماء في نقرة ابهامه وان يسبح الله فاذا سبح لا يبقى ملك في السماء الا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر وقيل ان الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد يسبح الله عز وجل لان التسبيح والتقديس عبارة عن تزييه الله عز وجل عن جميع النقائص ووجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه دليل على وجود موجود خالق قادر متعال عن جميع النقائص وان لم يكن ذلك في الحقيقة تسبيحا ومنه قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وقيل المراد من تسبيح الرعد ان من سمعه سبح الله فلهاذا المعنى أضيف التسبيح اليه وقوله والملائكة من خيفته يعني ويسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وهيبته وخشيته وقيل المراد بهذه الملائكة أعوان السحاب جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب أعوانا من الملائكة وهم خائفون خاضعون طائعون وقيل المراد بهم جميع الملائكة وحمله على العموم أولى (ويرسل الصواعق) جمع صاعقة وهي العذاب النازل من البرق فيحترق من تصيبه وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجوثم يكون فيه ناراً وعذاباً وموت وهي في ذاتها شئ واحد وهذه الاشياء الثلاثة تنشأ منها (فيصيب بها) يعني بالصواعق (من يشاء) يعني فيهلك بها كما أصاب أربدين ربيعة قال محمد الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذمى (وهم يجادلون في الله) يعني يخاصمون في الله وقيل المجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل اذا أحكمت فتله نزلت في شأن أربدين ربيعة حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم مم ربك أم من درأم من ياقوت أم من ذهب فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته وسئل الحسن عن قوله ويرسل الصواعق الآية فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه يدعونه الى الله والى رسوله فقال لهم أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعونني اليه هل هو من ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما رأينا رجلاً ككفر قلبا ولا أعتى على الله منه فقال ارجعوا اليه فارجعوا اليه فلم يزد هم على مقاله الاولى شيأ بل قال أجيء محمد الى رب لأراه ولا أعرفه فانصرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقاله الاولى شيأ بل قال أخبرني فقال ارجعوا اليه فارجعوا اليه فبينما هم عنده يدعونه وينازعون وهو لا يزال يدهم على مقاله شيأ اذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرق الكافر وهم جلوس عنده فارجعوا اليه أخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا استقبلهم نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم احترق صاحبكم قالوا من أين علمتم ذلك قالوا قد أوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله واختلفوا في هذه الواو فقيل واو الحال فيكون المعنى فيصيب بها من يشاء في حال جداله في الله وذلك ان أربداً جادل في الله

(ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) الصاعقة نار تسقط من السماء لما ذكره الناقد في كل شئ واستواء الظاهر والخبى عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته قال (وهم يجادلون في الله) يعني الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصف به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء ويجعلونه بعض الاجسام بقولهم الملائكة بنات الله والواو للحال أي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان أربداً خا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بفضة كفضة البعير وموت في بيت سلوية وأرسل على أربد صاعقة فقتله أخبرني عن ربنا أمن نحاس هوأم من حديد

(وهو شديد المحال) أي المباحة وهي شدة المماكرة والمكابدة ومنه محمل لكذا إذا تكلف استعمال الخيلة واجتهد فيه ومحمل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان والمعنى أنه شديد المكر والكيد لا عداوته بأثمهم بالهلكة من حيث لا يحسبون (له دعوة الحق) أضيفت إلى الحق الذي هو ضد الباطل للدلالة على أن الدعوة ملازمة للحق وإنما يعزل من الباطل والمعنى أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعي سؤاله فكانت دعوة

(٥٨)

والنفع بخلاف ما لا يتنفع ولا يجدي دعاؤه واتصال شديد المحال وله دعوة الحق بما قبله على قصة أريد ظاهر لان إصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وعلى الأول وعيد للكفرة على مجادلتيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محالهم واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم ان دعا عليهم (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دونه) من دون الله (لا يستجيبون لهم بشئ) من طلباتهم (الا كاسط كفيه إلى الماء ليلبغ فاه) الاستثناء من المصدر أي من الاستجابة التي دل عليها لا يستجيبون لان الفعل محروفة بدل على المصدر بصيغته وعلى الزمان وبالضرورة على المكان

أهلكه الله بالصاعقة وقيل إنها أو الاستئناف فيكون المعنى أنه تعالى لما تم ذكر الدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله (وهو شديد المحال) أي شديد الأخذ بالعقوبة من قوطي محمل به محلا إذا أراد به سوء أو قيل هو من قوطي محمل به إذا سعى به إلى السلطان وعرضه للهلاك وتمحل إذا تكلف استعمال الخيلة واجتهد فيه فيكون المعنى أنه سبحانه وتعالى شديد المحال باعدائه حتى يهلكهم بطريق لا يعرفونه ولا يتوقعونه وقيل المحمل من المحول وهو الخيلة والميم زائدة ثم اختلفت عبارات المفسرين في معنى قوله شديد المحال فقال الحسن معناه شديد النعمة وقال مجاهد وقتادة شديد القوة وقال ابن عباس شديد الحول وقيل شديد العقوبة وقيل معناه شديد الجدال وذلك أنه لما أخبر عنهم أنهم يجادلون في الله أخبر أنه أشد جدا منهم قوله تعالى (له دعوة الحق) يعني لله دعوة الصادق قال على دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا إله الا الله قال صاحب الكشاف دعوة الحق فيها وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة إلى الحق الذي هو تقيض الباطل كما تضاف لكلمة إليه في قولك كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة ملازمة للحق مختصة به وإنما يعزل من الباطل والمعنى أن الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعي سؤاله ان كان مصلحة له فكانت دعوته ملازمة للحق لكونه حقيقة ابان بوجه إليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا تنفع فيه ولا جدوى فيرد دعاءه الثاني ان تضاف إلى الحق الذي هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الله هو الحق وكل دعاء إليه دعوة الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبلها ما قلت أما على قصة أريد فظاهر لان إصابته بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دعا عليه وعلى صاحبه عامر ابن الطفيل فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما على قوله وهم يجادلون في الله فوعيد للكفار على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابة دعائه ان دعاءهم وقيل في معنى الآية الدعاء بالاخلاص والدعاء الخاص لا يكون الا لله تعالى (والذين يدعون من دونه) يعني والذين يدعوهم آلهة من دون الله وهي الاصنام التي يعبدونها (لا يستجيبون لهم بشئ) يعني لا يجيبونهم بشئ يردونه من نفع أو دفع ضرر ان يدعوهم (الا كاسط كفيه إلى الماء ليلبغ فاه وما هو بياغه) يعني الاستجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه يطلب منه أن يلبغ فاه والماء جاد لا يشعر بسط كفيه ولا يعطشه ولا يقدر أن يجيب دعاءه أو يلبغ فاه وكذلك ما يدعو به جاد لا يحس بدعائه ولا يستطيع اجابته ولا يقدر على نفعهم وقيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لا شئهم عن أراد أن يعرف الماء بيديه ليشربه فيسقطها فانه أصابعه فلم تلق كفاه منه شيا ولم يبلغ طلبته من شربه وقيل ان القابض على الماء ناسرا أصابعه لا يكون في يده منه شئ ولا يبلغ إلى فيه منه شئ كذلك الذي يدعو الاصنام لانها لا تنفع ولا يفيد منها شئ وقيل شبه بالرجل العطشان الذي يرى الماء من بعيد بعينه فهو بشر بكفيه إلى الماء ويدعو به لسانه فلا ياتيه أبدا هذا معنى قول مجاهد وعن عطاء كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يدب يديه إلى البئر فلا هو يبلغ إلى قعر البئر يخرج الماء ولا الماء يرتفع إليه فلا ينفعه بسط الكف إلى الماء ودعاؤه ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعوون الاصنام لا ينفعهم ذلك وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه في الماء لا ينفعه ذلك ما لم يعرف بهما من الماء ولا يبلغ الماء

والحال بخلاف استثناء كل منها من الفعل فصار التقدير لا يستجيبون استجابة الاستجابة فاه كاستجابة باسط كفيه إلى الماء أي كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جاد لا يشعر بسط كفيه ولا يعطشه وحاجته إليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعو به جاد لا يحس بدعائه ولا يستطيع اجابته ولا يقدر على نفعهم واللام في ليلبغ متعلق بياسط كفيه (وما هو بياغه) وما الماء بياغ فاه

فانه مادام باسط كفيه وهذا مثل ضرب به الله تعالى للكفار ودعائهم الاصنام حين لا ينفعهم البتة ﴿ ثم ختم هذا بقوله (ومادعاء الكافرين) يعني أصنامهم (الافى ضلال) يعني يضل عنهم اذا احتاجوا اليه قال ابن عباس في هذه الآية أصواتهم محجوبة عن الله تعالى ﴿ قوله عز وجل (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها) في معنى هذا السجود قولان أحدهما ان المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول ففي معنى الآية وجهان أحدهما ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الخصوص فقوله ولله يسجد من في السموات يعني الملائكة ومن في الارض من الانس يعني المؤمنين طوعا وكرها يعني من المؤمنين من يسجد لله طوعا وهم المؤمنون المخلصون لله العبادة وكرها يعني المنافقين الداخلين في المؤمنين وليسوا منهم فان سجودهم لله على كره منهم لانهم لا يرجون على سجودهم ثوابا ولا يخافون على تركه عقابا بل سجودهم وعبادتهم خوف من المؤمنين الوجه الثاني هو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا في اللفظ اشكال وهو ان جميع الملائكة والمؤمنين من الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم وأما الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة فهذا وجه الاشكال والجواب عنه ان المعنى انه يجب على كل من في السموات ومن في الارض أن يسجد لله فعباد بالوجوب عن الوقوع والحصول وجواب آخر وهو أن يكون المراد من هذا السجود هو الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من في السموات من ملك ومن في الارض من انس وجن فانهم يقرون لله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى واثن سألهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والقول الثاني في معنى هذا السجود هو الاتقياد والخضوع وترك الامتناع فكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيئته نافذة في الكل فهم خاضعون مقادون له ﴿ وقوله تعالى (وظلالهم بالغدو والآصال) الغدوة والغداة أول النهار وقيل الى نصف النهار والغدو بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والآصال جمع أصل وهو العشية والآصال العشايا جمع عشية وهي ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون ان ظل كل شخص يسجد لله سواء ظل المؤمن والكافر وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن النباري لا يبعد أن يخلق الله تعالى للظلال عقولا وأفهاما تسجد بها وتخشع كما جعل للجبال أفهاما حتى سبحت لله مع دارد وقيل المراد بسجود الظلال ميلانها من جانب الى جانب آخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خص الغدو والآصال بالذكور لان الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل لانها طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما

﴿فصل﴾ وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة والله أعلم ﴿ قوله تعالى (قل من رب السموات والارض) أي قل يا محمد طرؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والارض يعني من مالك السموات والارض ومن مدبرهما وخالقهما فسيقولون الله لانهم مقرون بان الله خالق السموات وما فيها والارض وما فيها فاذا أجابوك بذلك فقل أنت يا محمد الله رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا أجب أنت فامرء الله أن يجيبهم بقوله (قل الله) أي قل يا محمد الله وقيل انما جاء السؤال والجواب من جهة واحدة لان المشركين لا ينكرون ان الله خالق كل شيء فلما لم ينكروا ذلك وأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الله فكانهم قالوا ذلك أيضا ثم أزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام بقوله (قل) أي قل يا محمد للمشركين (أفأخذتم من دونه) يعني من دون الله (أولياء) يعني الاصنام والولي الناصر والمعنى توليتهم غير رب السموات والارض واتخذتموهم انصارا يعني الاصنام (لا يملكون) يعني وهم لا يملكون (لانفسهم نفعا ولاضرا)

لم تستطع اجابتهم (ولله يسجد من في السموات والارض) سجود تعبد واتقياد (طوعا) حال يعني الملائكة والمؤمنين (وكرها) يعني المنافقين والكافرين في حال الشدة والضيق (وظلالهم) معطوف على من جمع ظل (بالغدو) جمع غداة كقنى وقناة (والآصال) جمع أصل جمع أصيل قيل ظل كل شيء يسجد لله بالغدو والآصال وظل الكافر يسجد كرها وهو كاره وظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع (قل من رب السموات والارض قل الله) حكاية لاعترا فهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله دليله قراءة ابن مسعود وأبي قالوا الله أو هو تلقين أي فان لم يجيبوا فلقنهم فانه لا جواب الا هذا (قل أفأخذتم من دونه أولياء) أبعاد أن علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه آلهة (لا يملكون لانفسهم نفعا ولاضرا) لا يستطيعون لانفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا ضرر عنها فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق

المتبب المعاقب فما بين ضلالتكم

الظلمات والنور) ملل الكفر والايمان يستوي كوفي غير حفص (أم جعلوا لله شركاء) بل جعلوا ومعنى الهمة الانكار (خلقوا خلقه) خلقوا مثل خلقه وهو صفة لشركاء أي أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله (فتشابه الخلق عليهم) فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى قولوا قدره هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبدوا لكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شيء) أي خالق الاجسام والاعراض لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة ومن قال ان الله لم يخلق أفعال الخلق وهم خلقوها فتشابه الخلق على قولهم (وهو الواحد) التوحيد بالربوبية (القهار) لا يغالب وما عداه مر بوب ومفهور (أنزل) أي الواحد القهار وهو الله سبحانه (من السماء) من السحاب (ماء) مطرا (فسال أودية) جمع واد وهو الموضوع الذي يسيل فيه الماء

فكيف لعبهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام والمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى (قل هل يستوي الاعمي والبصير) قال ابن عباس يعني المشرك والمؤمن (أم هل نستوي الظلمات والنور) يعني الشرك والايمان والمعنى كما لا يستوي الاعمي والبصير كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن وكما لا تستوي الظلمات والنور كذلك لا يستوي الكفر والايمان وانما شبه الكافر بالاعمي لان الاعمي لا يهتدي سبيلا كذلك الكافر لا يهتدي سبيلا (أم جعلوا لله شركاء) هذا استفهام انكار يعني جعلوا لله شركاء (خلقوا خلقه) يعني خلقوا سموات وأرضين وشمسا قرا وحبالا وبحارا وجنات وانما (فتشابه الخلق عليهم) من هذا الوجه والمعنى هل رأوا غير الله خلق شيئا فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى وبخهم بقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا خلقا مثل خلقه فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم وهذا الاستفهام انكاري أي ليس الامر كذلك حتى يشبه عليهم الامر بل اذا تفكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الاشياء والشركاء مخلوقون له أيضا لا يخلقون شيئا حتى يشبه خلق الله بخلق الشركاء واذا كان الامر كذلك فقد لزمتهم الحجة وهو قوله تعالى (قل الله خالق كل شيء) أي قل يا محمد طولا للمشركين الله خالق كل شيء مما يصح أن يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شيء من العموم الذي يراد به الخصوص لان الله تعالى خلق كل شيء وهو غير مخلوق (وهو الواحد) يعني والله تعالى هو الواحد المنفرد بخلق الاشياء كلها (القهار) لعباده حتى يدخلهم تحت فضائه وقدره وارادته وقوله عز وجل (أنزل من السماء ماء) لما شبه الله عز وجل الكافر بالاعمي والمؤمن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والايمان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى أنزل من السماء ماء يعني المطر (فسال أودية بقدرها) أودية جمع واد وهو المخرج بين الجبلين يسيل فيه الماء وقوله فسال أودية فيه اتساع وحذف تقديره فسال في الوادي فهو كما يقال جرى النهر والمراد جرى الماء في النهر فحذف في دلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد بملها وقال ابن جريج الصغير بقدره والكبير بقدره وقيل بمقدار ماؤها وانما كرا أودية لان المطر اذا نزل لا يعم جميع الارض ولا يسيل في كل الاودية بل ينزل في أرض دون أرض ويسيل في واد دون واد فلهذا السبب جاء هذا بالتشكيرو قال ابن عباس أنزل من السماء ماء يعني قرأنا وهذا مثل ضرب به الله تعالى فسال أودية بقدرها يريد بالودية القلوب شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر لان المطر اذا نزل عم نفعه وكذلك نزول القرآن وشبه القلوب بالودية لان الاودية يستكن فيها الماء وكذلك القلوب يستكن فيها الايمان والعرفان ببركة نزول القرآن فيها وهذا خاص بالمؤمنين لانهم الذين اتفقوا بنزول القرآن (ق) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلا والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى اناهي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فتعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله وغيره في معنى هذا الحديث وشرحه أما الكلا فبالضم يقع على الرطب واليابس من الخشيش وأما قوله وكان منها أجادب فبالجيم والذال المهملة والياء الموحدة كذا في الصحيحين وهي الارض التي لا تنبت الكلا جمع جذب على غير قياس وقياسه جذب والجذب ضد الخصب وقال الخطابي هي التي تمسك الماء ولم يسرع فيه النضوب وفي رواية الهروي أخذات بانحاء المجمة والذال المجمة جمع اخاذة وهي القدير الذي يمسك الماء وقوله ورعوا كذا في صحيح مسلم من الرعي ووقع في صحيح البخاري وزرعوا بزيادة زاي من الزرع والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوى من الارض وقوله فذلك مثل من فقه في دين الله يروي بضم القاف وهو المشهور وروي بلسر ها ومعناه فهم الاحكام وأما معنى الحديث ومقصوده فهو ان النبي صلى

الذي علم الله انه نافع للمطور عليهم غير ضار (فاحتمل السيل) أي رفع (زبدا) هو ما علا على وجه الماء من الرغوة والمعنى علاه زبد (راييا) منتفخا مر تفعاعلى وجه السيل (وماتوقدون عليه) وبالياء كوفي غير أبي بكر ومن لا ابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء والتبعيض أي وبعضه زبد (في النار) حال من الضمير في عليه أي وماتوقدون عليه ثابتا في النار (ابتغاء حلية) مبتغين حلية فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في توقدون (أومتاع) من الحديد والنحاس والرصاص يتخذ منها الاواني وما يمتنع به في الخضر السفر وهو معطوف على حلية أي زينة من الذهب والفضة (زبد) خبث وهو مبتدأ (مثله) نعت له وماتوقدون خبر له أي لهذه الفلزات اذا أغليت زبد مثل زبد الماء (كذلك يضرب الله الحق والباطل (٦١) (فاما الزبد فيذهب جفاء) حال أي

متلاشيا وهو ما انقذه
القدم عند الغليان والبحر
عند الطغيان والجنف الرمي
وجفوت الرجل صرعه
(وأما ما ينفع الناس) من
الماء والحلي والواني
(فيمكت في الارض)
فيثبت الماء في العيون
والآبار والحبوب والثمار
وكذلك الجواهر تبقى في
الارض مدة طويلة
(كذلك يضرب الله
الامثال) ليظهر الحق من
الباطل وقيل هذا مثل
ضربه الله للحق وأهله
والباطل وخزبه فمثل الحق
وأهله بالماء الذي ينزل من
السماء فتسيل به أودية
الناس فيصيون به وينفعهم
بانواع المنافع والفلز الذي
ينتفعون به في صوغ الحلي
منه واتخاذ الاواني والآلات
المختلفة وذلك ما كت
في الارض ببقية ما عظمها
يثبت الماء في منفعه
وكذلك الجواهر تبقى

الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من الهدى والعلم بالارض التي أصابها المطر قال العلماء والارض ثلاثة أنواع وكذلك الناس لانهم منها خلقوا فالنوع الاول من أنواع الارض الطيبة التي تنتفع بالمطر فتنبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعي وغير ذلك وكذلك النوع الاول من الناس من يبلغه الهدى وغير ذلك من العلم فيحيا به قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع به وينفع غيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالآخاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم بما رزقت من صفاء الفهوم النوع الثاني من أنواع الارض أرض لا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة لغيرها وهي امساك الماء لغيرها لينتفع به الناس والدواب وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليس لهم أفهام ناقبة فيبقى ما عندهم من العلم حتى يجيئ المحتاج اليه المتعطف لما عندهم من العلم فيأخذونه منهم فينتفع به هو وغيره النوع الثالث من أنواع الارض أرض سبخة لا تنبت مرعى ولا تمسك ماء كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا أفهام ناقبة فاذا بلغهم شيء من العلم لا ينتفعون به في أنفسهم ولا ينفعون غيرهم والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (فاحتمل السيل زبدا) الزبد ما يعال على وجه الماء عند الزيادة كالخبث وكذلك ما يعال على القدر عند غليانها والمعنى فاحتمل السيل الذي حدث من ذلك الماء زبدا (راييا) يعني عاليا مر تفعاعلى الماء طافيا عليه وههنا تم المثل ثم ابتداء بمثل آخر فقال تعالى (وماتوقدون عليه في النار) الايقاد جعل الحطب في النار لتتقد تلك النار تحت الشيء الذي لا يدوب (ابتغاء حلية) يعني لطلب زينة والضمير في قوله عليه يعود على الذهب والفضة وان لم يكونا مذكورين لان الحلية لا تطلب الا منهما (أومتاع) يعني أو لطلب متاع آخر مما ينتفع به كالحديد والنحاس والرصاص ونحوه مما يذاب وتتخذ منه الاواني وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل ما يمتنع به ويقال لكل ما ينتفع به في البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك من الاواني متاع (زبد مثله) يعني ان ذلك الذي يوقد عليه في النار اذا أذيب فله أيضا زبد مثل زبد الماء فالصافي من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي ينتفع به وهو مثل الحق والزبد من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي لا ينتفع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى (كذلك يضرب الله الحق والباطل) فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد الطافي الذي لا ينتفع به وهو قوله (فاما الزبد فيذهب جفاء) يعني ضائعا باطلا وجفاء ماري به الوادي من الزبد الى جوانبه وقيل الجفاء المتفرق يقال جفأت الرج الغيم اذا فرقتة والمعنى ان الباطل وان علا في وقت فانه يضمحل ويذهب (وأما ما ينفع الناس) يعني الماء الصافي والجوهر الجيد من هذه الاجسام التي تذاب (فيمكت في الارض) يعني يثبت ويبقى ولا يذهب (كذلك يضرب الله الامثال) قال أهل التفسير والمعاني هذا مثل ضرب به الله للحق والباطل فالباطل وان علا على الحق في بعض الاوقات

أزمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله بزبد السيل الذي يرمى به ويزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا أذيب قال الجمهور وهذا مثل ضرب به الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل فالماء القرآن نزل لحياة الجنان كالماء للابدان والارضية التي لوب ومعنى بقدرها بقدر سعة القلب وضيقه والزبد هو اجس النفس ووساوس الشيطان والماء الصافي المنتفع به مثل الحق فكما يذهب لزبد باطلا ويبقى صفو الماء كذلك تذهب هو اجس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو وأما حلية الذهب والفضة فللأحوال السنية والاخلاق الزكية وأما متاع الحديد والنحاس والرصاص فمثل الأعمال الممددة بالاخلاص الممددة للخلاص فان الأعمال جالبة للأرواح دافعة للعقاب كما ان تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع في الحرب وأما الزبد فالرصاص والحل والمثل والسكر واللام في

(للذين استجابوا) أي أجابوا متعلقة بيضرب أي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسنى) وهي صفة لصدر استجابوا أي استجابوا الاستجابة الحسنى (والذين لم يستجيبوا له) أي ولللكافرين الذين لم يستجيبوا أي عمدا مثلا الفر يقين وقوله (وأن لهم ما في الارض جميعا ومثله (٦٢) . مع لا فتدوا به) كلام مبتدأ أي ذكر ما أعد الله للمستجيبين أي لوملكوا أموال

والاحوال فان الله يحققه ويظهره ويجعل العاقبة للحق وأهله كالزبد الذي يعلى الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافي الذي ينتفع به وكذلك الصوف من هذه الجواهر يبقى وبذهب العلو الذي هو الكدر وهو ما ينفيه الكبر عما يذاب من جواهر الارض كذلك الحق والباطل فالباطل وان علا في وقت فانه يذهب هو وأهله والحق يظهر هو وأهله وقيل هذا مثل للمؤمن واعتقاده وانتفاعه بالايمان كمثل الماء الصافي الذي ينتفع به الناس ومثل الكافر وخبت اعتقاده كالزبد الذي لا ينتفع به البتة وقيل هذا مثل ضرب به الله للنور الذي يحصل في قلوب العباد على ما قسم طر في الازل لان الوادي اذا سال كنس كل شئ فيه من النجاسات والمستفترات كذلك اذا سال وادي قلب العبد بالنور الذي قسم له على قدر ايمانه ومعرفة كنه كل ظلمة وغفلة فيه فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينتفع الناس فيمكن في الارض يعني بذهب الباطل وهي الاخلاق المذمومة وتبقى الحقائق وهي الاخلاق الحميدة كذلك يضرب الله الامثال وقوله تعالى (للذين استجابوا لربهم الحسنى) قيل الام في للذين متعاقبة بيضرب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم يعني أجابوه الى ما دعاهم اليه من توحيد الله والايمان به ورسوله ولللكافرين الذين لم يستجيبوا فاعلى هذا يكون قوله كذلك يضرب الله الامثال للفر يقين من المؤمنين واللكافرين وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال ثم استأنف بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى قال ابن عباس وجهور المقربين يعني الجنة وقيل الحسنى هي المنفعة العظمى في الحسن وهي المنفعة الخالصة الخالية عن شوائب المضرة والاقطاع (والذين لم يستجيبوا له) يعني الكفار الذين اسقروا على كفرهم وشركهم وما كانوا عليه (لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله مع لا فتدوا به) يعني ليدلوا ذلك كله فداء لانفسهم من عذاب النار يوم القيامة (أولئك) يعني الذين لم يستجيبوا لربهم (لهم سوء الحساب) قال ابراهيم النخعي سوء الحساب ان يحاسب الرجل بذنبه كما ولا يغفر له منه شئ (وماواهم) يعني في الآخرة (جهنم وبئس المهاد) يعني وبئس ما مهد لهم في الآخرة وقيل المهاد الفراش يعني وبئس الفراش يفرش لهم في جهنم وقوله تعالى (أفمن يعلم أن ما أنزل اليك من ربك الحق) يعني فيؤمن به ويعمل بما فيه (كن هو أعمى) يعني أعمى البصيرة لا أعمى البصر وهو الكافر فلا يؤمن بالقرآن ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في جزرة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل بن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل فالاول هو جزرة أو عمار والثاني هو أبو جهل وحمل الآية على العموم أولى وان كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوى من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه وإنما شبه الكافر والجاهل بالاعمى لان الاعمى لا يهتدى لرشدور بما وقع في مهلكة وكذلك الكافر والجاهل لا يهتديان للرشدور عما واقعان في المهلكة (انما يتذكروا لولا الباب) يعني انما يتعظ ذور العقول السليمة الصحيحة وهم الذين ينتفعون بالمواعظ والاذكار وقوله عز وجل (الذين يوفون بعهد الله) يعني الذي عاهدتهم عليه وهو القيام بما أمرهم به وفرضه عليهم وأصل العهد حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال وقيل أراد بالهد ما أخذ على اولاد آدم حين أخرجهم من صلبه وأخذ عليهم العهد والميثاق (ولا ينقضون الميثاق) بل يوفون به فهو توكيد لقوله الذين يوفون بعهد الله (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسول يعني يصل

الدنيا وملكوها معها مثلها ليدلوه ليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله والوجه أن الكلام قد تم على الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لومع ما في حيزه (أولئك لهم سوء الحساب) المناقشة في الحديث من نوقش الحساب عذب (وماواهم جهنم) ومرجعهم بعد المحاسبة النار (وبئس المهاد) المصكان المهد والمذموم محذوف أي جهنم دخلت همزة الانكار على الفاء في (أفمن يعلم) لانكار أن تقع شبهة ما بعد ما ضرب من المثل في أن حال من علم (أن ما أنزل اليك من ربك الحق) فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله (كن هو أعمى) كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز (انما يتذكروا لولا الباب) أي الذين عملوا على قضايا عقولهم

فنظر واواستبصروا (الذين يوفون بعهد الله) مبتدأ والخبر أولئك لهم عقبي الدار كقوله والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة وقيل هو صفة لاولى الباب والاول وجه وعهد الله ما عاقده على أنفسهم من الشهادة برؤيتهم وأشهدهم على أنفسهم التبرير بكم قالوا بلى (ولا ينقضون الميثاق) ما أوثقوه على أنفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد نصيب بعد تخصيص (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الارحام والقربات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

بسبب الايمان ائمة المؤمنون
اخوة بالا حسان اليهم على
حسب الطاقة ونصرتهم
والذب عنهم واشفقة عليهم
وافشاء السلام عليهم
وعيادة مرضاهم ومنه
مراعاة حرق الاصحاب
والخدم والجيران والرفقاء
في السفر (ويخشون
رهم) أي وعيده كله
(ويخافون سوء الحساب)
خصوصا فيحاسبون
أنفسهم قبل أن يحاسبوا
(والذين صبروا) مطلق
فيما يصبر عليه من المصائب
في النفوس والاموال
ومشاق التكاليف (ابتغاء
وجه ربه) لا يقال ما
أصبره وأجمله للنوازل
وأقره عند الزلازل والاللا
يعاب في الجزع (وأقاموا
الصلاة) داوموا على اقامتها
(وأنفقوا مما رزقناهم)
أي من الحلال وان كان
الحرام رزقا عندنا (مرا
وعلائية) يتناول النوافل
لانها في السر أفضل
وانفراض لان المجاهرة
بها أفضل نفيا للثمة
(ويدرون بالحسنة السيئة)
ويدفعون بالحسن من
الكلام ما يرد عليهم من
سيئ غيرهم أو اذا حرما
أعطوا واذا ظلموا عفاوا
واذا قطعوا وصلوا واذا أذنبوا

يتنهم بالايمان ولا يفرق بين أحد منهم والا كثرون على ان المراد به صلة الرحم عن عبد الرحمن بن عوف قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت
لها اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وأقال بته أخرجه أبو داود والترمذي (ق) عن عائشة
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن
قطعني قطعته الله (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط له في
رزقه وان ينسأله في أثره فليصل رحمه صلة الرحم مبرة الاهل والاقارب والاحسان اليهم وضده القطع قوله وان
ينسأله في أثره الاثر هنا الاجل وسمى الاجل اثر الاله تابع للحياة وسابقها ومعنى ينسأ يؤخر والمراد به تأخير
الاجل وهو على وجهين أحدهما ان يبارك الله له في عمره فكانما قد زاد فيه والثاني ان يزيد في عمره
زيادة حقيقية والله يفعل ما يشاء (ق) عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة
قاطع زاد في رواية قال سفيان يعني قاطع رحم (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها عن أبي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من انسا بكم ما تاملون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل
ومثراة في المال ومنسأة في الاثر أخرجه الترمذي وقوله تعالى (ويخشون رهم) يعني انهم مع وفائهم
بعهد الله وميثاقه والقيام بما أمر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر
ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه (ويخافون سوء الحساب) تقدم معناه (والذين صبروا) يعني على
طاعة الله وقال ابن عباس على أمر الله وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن
المعاصي وقيل حمله على العموم أولى فيدخل فيه الصبر على جميع النوائب والمأمورات من سائر العبادات
والطاعات وجميع أعمال البر وترك جميع المنهيات فيدخل فيه ترك جميع المعاصي من الحسد والحقد والغيبة
وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل جميع الشهوات والصبر على ما نزل به من
الامراض والمصائب وأصل الصبر حبس النفس عما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه
فالصبر لفظ عام يدخل تحته جميع ما ذكر وانما قيد الصبر بقوله (ابتغاء وجه ربه) لان الصبر ينقسم الى
نوعين الاول الصبر المذموم وهو ان الانسان قد يصبر ليقال ما أكل صبره وأشد قوته على ما تحمل من
النوازل وقد يصبر لايام على الجزع وقد يصبر لثلاث شمت به لا عدا وكل هذه الامور وان كان ظاهرها
الصبر فليس ذلك داخل تحت قوله ابتغاء وجه ربه لانها لغير الله تعالى النوع الثاني الصبر المحمود وهو ان
يكون الانسان صابرا لله تعالى راضيا بما نزل به من ان الله طالب في ذلك الصبر ثواب الله محتسبا أجره على الله
فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ابتغاء وجه ربه يعني صبروا على ما نزل بهم تعظيما لله وطلب رضوانه
(وأقاموا الصلاة) يعني الصلاة المفروضة وقيل حمله على العموم أولى فيدخل صلاة الفرض والنفل
والمراد باقامتها اتمام أركانها وهياتها (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلائية) قال الحسن المراد به الزكاة
المفروضة فان لم يتهم بترك أداء الزكاة فالاولى ان يؤدبها سرا وان كان متهم بترك أداء الزكاة فالاولى ان
يؤدبها علانية وقيل ان المراد بالسرا ما يخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية ما يؤديه الى الامام وقيل
المراد بالسرا صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وحمله على العموم أولى (ويدرون بالحسنة
السيئة) قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح العمل السيئ وهو معنى قوله ان الحسنات يذهبن
السيئات ويبدل على صحة هذا التأويل ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال واذا عملت
سيئة فاعمل بحسنة تحمها السر بالسر والعلانية بالعلانية وروي البغوي بسنده عن عقبة
ابن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل

تابوا واذا هم بوابوا واذا راوا منكرا امرا وبغيره فهذه ثمانية اعمال تشير الى ثمانية ابواب الجنة

(أولئك لهم عقبي الدار) بدل من عقبي الدار (يدخلونها ومن صلح) أي آمن (من آباؤهم وأزواجهم وذرياتهم) وفري صلح والفتح أفصح ومن في محل الرفع بالعطف على الضمير في يدخلونها وساغ ذلك وان لم يؤكد لان ضمير المفعول صار فاصلا وأجاز الزجاج أن يكون مفعولا معه ووصفهم بالصلاح ليعلم ان الانساب لا تنفع بنفسها والمراد أبوكل واحد منهم فكانه قيل من آباؤهم وأمهاتهم (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) في قدر كل بوابه وليلة ثلاث مرات بالهدايا وبشارات الرضا (سلام عليكم) في موضع الحال اذ المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين (بما صبرتم) متعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم أي هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات أو على أمر الله أو بسلام أي نسل عليكم ونكرمكم بصبركم والاول أوجه (فعم عقبي الدار) الجنات (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل

رجل عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل أخرى فانفكت أخرى حتى خرج الى الارض وقال ابن كيسان يدفعون الله بأتوبة وقيل لا يكافون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال القتيبي معناه اذا سلفه عليهم اموال السفة السيئة والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم ردا معروفا وقال الحسن اذا حرموا أعطوا واذا اظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة الى أبواب الجنة الثمانية قلت انما هي تسع خلال فيحتمل انه عد خلتين بواحدة ولما ذكر الله عز وجل هذه الخلال من أعمال البر ذكر بعدها ما أعد للعامرين بها من الثواب فقال تعالى (أولئك) يعني من أتى بهذه الاعمال (لهم عقبي الدار) يعني الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الثواب (جنات عدن) بدل من عقبي الدار يعني بساكن اقامة يقال عدن بالمسكان اذا أقام به (يدخلونها) يعني الدار التي تقدم وصفها (ومن صلح من آباؤهم وأزواجهم وذرياتهم) يعني ومن صدق من آباؤهم بما صدقوا به وان لم يعمل باعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج ان الانسان لا ينتفع بغير أعماله الصالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن وروى علي قول الزجاج معناه أصلح في عمله قال الواحدي والصحيح ما قاله ابن عباس لان الله تعالى جعل ثواب المطيع سروره بما رآه في أهله حيث بشره بدخوله الجنة مع هؤلاء فدل على انهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل الآتي بالاعمال الصالحة ولو كان دخوله الجنة باعماله الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به اذ كل من كان صالحا في عمله فهو يدخل الجنة قال الامام غفر الدين الرازي قوله تعالى وأزواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة واصل الاولى من مات عنها أو مات عنه وروى انه لما كبرت سودة أراد النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها فسأته ان لا يفعل ووهبت يومها لعائشة فامسكها رجاها ان تحسرفي جملة أزواجه فهو كالدليل على ما ذكرناه وقوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) يعني من أبواب الجنة وقيل من أبواب القصور قال ابن عباس يريد به التحية من الله والتعظيم والهدايا (سلام عليكم) يعني يقولون سلام عليكم فاضم القول هذه الدلالة الكلام عليه (بما صبرتم) يعني يقولون لهم سلمكم الله من الآفات التي كنتم تخافونها في الدنيا ودخلكم بما صبرتم في دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات الجنة وقيل ان السلام قول والصبر فعل ولا يكون القول ثوابا لفعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دعاء من الملائكة لهم يعني سلمكم الله بما صبرتم قال مقاتل ان الملائكة يدخلون عليهم في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتعظيم من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم وروى البيهقي بسنده عن أبي أمامة موقوفا عليه قال ان المؤمن ليسكون متسكنا على أركبته اذا دخل الجنة وعنده سباطان من خدم وعند طرف السباطين باب مبوب فيقبل الملاك من ملائكة الله يستأذن فيقوم أدنى الخدم الى الباب فاذا بالملاك يستأذن فيقول للذي يليه ملك يستأذن ويقول الآخر كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول انذنوا له فيقول له فيدخل فيسلم ثم ينصرف (فعم عقبي الدار) يعني فعم العقبي الدار وقيل معناه فعم عقبي الدار ما أتم فيه (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) لما ذكر الله أحوال السعداء وما أعد لهم من الكرامات والخيرات ذكر بعده أحوال الأشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ونقض العهد ضد الوفاء به وهذا من صفة الكفار لانهم هم الذين نقضوا عهد الله يعني خالفوا أمره ومعنى من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه به على أنفسهم بالاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يعني ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم والترابطة (ويفسدون في الارض) يعني بالكفر والمعاصي (أولئك) يعني من هذه صفته (لهم اللعنة) يعني الطرد عن رحمة الله يوم القيامة (ولهم سوء الدار) يعني النار لان منقلب

الناس

ويفسدون في الارض) بالكفر والظلم (أولئك لهم اللعنة) الابعاد من

الرحمة (ولهم سوء الدار) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبي الدار وان يراد بالدار جهنم ويسوئها عذابها

غيره (وفرحو بالحياة الدنيا) بما بسط لهم من الدنيا فرح بطروا بشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجروا بنعيم الآخرة (وما الحياة الدنيا في الآخرة الامتاع) وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس الاشياء أنزرا يتمتع به كجملته الركب وهو ما يتجمله من نعيمات أو شربة سويق (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) أي الآية المقترحة (قل ان الله يضل من يشاء) باقراخ الآيات بعد ظهور المعجزات (ويهدى اليه من أناب) ويرشد الى دينه من رجع اليه بقلبه (الذين آمنوا) هم الذين أو محله النصب بدل من من (ونطمئن قلوبهم) تسكن (بذكر الله) على الدوام أو بالقرآن أو بوعده (الابذكر الله نطمئن القلوب) بسبب ذكره نطمئن قلوب المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ (طوبى لهم) خبرة وهو صدر من طاب كبشرى ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك واللام في لهم

الناس في العرف الى دوره ومنزلهم فالؤمنون لهم عقبي الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار وهي النار (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله ويضيق على من يشاء من عباده فيفقروه ويقتر عليه وهذا أمر اقتضته حكمة الله (وفرحو بالحياة الدنيا) يعني مشركي مكة لما بسط الله عليهم الرزق أشروا واطروا والفرح لذة تحصل في القاب بنيل المشتهى وفيه دليل على ان الفرحة بالدنيا والركون اليها حرام (وما الحياة الدنيا في الآخرة) يعني بالنسبة الى الآخرة (الامتاع) أي قليل ذاهب قال الكافي المتاع مثل السكرجة والقصة والتدر ينتفع به في الدنيا ثم تذهب كذلك الحياة الدنيا لانها ذاهبة لا بقاء لها (ويقول الذين كفروا) يعني من أهل مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) يعني هلا أنزل على محمد آية ومجزة مثل مجزة موسى وعيسى (قل) أي قل لهم يا محمد (ان الله يضل من يشاء) فلا ينفعه نزول الآيات وكثرة المعجزات ان لم يهده الله عز وجل وهو قوله (ويهدى اليه من أناب) يعني ويرشد الى دينه والايان به من أناب بقلبه ورجع اليه بكايته (الذين آمنوا) بدل من قوله من أناب (ونطمئن قلوبهم) يعني وتسكن قلوبهم (بذكر الله) قال مقاتل بالقرآن لانه طمأنينة القلوب المؤمنين والطمأنينة والسكون انما تكون بقوة اليقين والاضطراب انما يكون بالشك (الابذكر الله تطمئن القلوب) يعني بذكره تسكن قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا في الحلف وذلك ان المسلم اذا حلف بالله على شيء سكنت قلوب المؤمنين اليه فان قلت أليس قد قال الله تبارك وتعالى في أول سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمأنينة فكيف وصفهم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما في حال واحد قلت انما يكون الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة انما تكون عند الوعد والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه ونطمئن اذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه واحسانه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم) اختلف العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقررة أعين وقال عكرمة نعيم لهم وقال قتادة حسن لهم وفي رواية أخرى عنه ان هذه الكلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك أي أصبت خيرا وقال ابراهيم النخعي خير لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطيب وقيل تأويلها الحال المستطاب لهم وهو كل ما استطابه هؤلاء في الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الازهرى تقول طوبى لك وطوباك لحن لانقوله العرب وهو قول أكثر النحويين وقال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحشية وروى عن أبي امامة وأبي هريرة وأبي الدرداء ان طوبى اسم شجرة في الجنة تظل الجنان كماها وقال عبيد بن عمير هي شجرة في جنة عدن أصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها منه الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينسج من أصلها عينان الكافور والسلسبيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل أمة عليهم املك يسبح الله بانواع التسبيح وروى عن أبي سعيد الخدري ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال هي شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكامها وعن معاوية بن قررة عن أبيه يرفعه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الخلى والحال وان أغصانها الترى من وراء سور الجنة هكذا ذكر البغوي هذين الحديثين بغير سند وروى بسنده موقوفان على أبي هريرة قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرؤا ان شتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعب الاحبار فقال صدق والذي أنزل التوراة على موسى والقرآن على محمد لو أن رجلا ركب فرسا أو حقة أو جذعة ثم دار بارض تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرمان الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان أفنانها من وراء سور الجنة وما في الجنة نهر الا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة قال البغوي وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن الأشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب

(وحسن ما ب) مرجع
 بلرفع والنصب تملك على
 عملها (كذلك أرسلناك)
 مثل ذلك الأرسال أرسلناك
 إرساله شأنه وفضل على
 سائر الأرسال ثم قدر
 كيف أرسله فقال (في أمة قد
 خلت من قبها أمة) أي
 أرسلناك في أمة قد تقدمتها
 أمة كثيرة فهي آخر الأمم
 وأنت خاتم الأنبياء (لتنزلوا
 عليهم الذي أوحينا إليك)
 لتقرأ عليهم الكتاب العظيم
 الذي أوحينا إليك (وهم
 يكفرون) وحال هؤلاء أنهم
 يكفرون (بالرحمن) بالبالغ
 الرحمة الذي وسعت رحمته
 كل شيء (قل هوربي) ورب
 كل شيء (لا اله الا هو) أي
 هور بي الواحد المتعالى عن
 الشركاء (عابه توكلات) في
 نصر في عليكم (واليه متاب)
 مرجع هي فيني بنى على
 معابر نكم متبى وتقبى
 وما آتى في الحلين يعقوب
 (ولو أن قرأ ناسيرت به
 الجبال) عن مقارها (أو
 قطعت به الأرض) حتى
 تصدع وتغير بل قطع (أو كما
 به الموتى) فسمع وتجب
 لكان هذا القرآن لكونه
 غاية في التدبير ونهاية في
 الانذار والتحوير فجواب
 لو محذوف أو معناه ولو أن
 قرأنا وقع به نسيير الجبال
 رتة طبع الأرض وتكليم
 الموتى وتبديهم لما آمنوا به
 ولما ظهروا عليه كقولهم ولو
 أنما نزلنا بهم الملائكة

عن أبي هريرة قال ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله لها انتقى امسدى عما يشاء فتفتق له عن
 فرس مسروجة بالحمام وهيتها كبيتها وتفتق له عن الراحلة برحها وزمامها وهيتها كبيتها وعن
 الثياب (ق) عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في
 ظلالها مائة عام لا يقطعها (ق) وعن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
 في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلالها مائة عام ما يقطعها (ق) وعن أبي هريرة
 رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلالها مائة سنة زاد
 البخارى في روايته واقرؤا ان شتم وظل مدبره وقوله تعالى (وحسن ما ب) يعنى ولهم حسن منقلب
 ومرجع ينقلبون ويرجعون اليه في الآخرة وهى الجنة قوله عز وجل (كذلك أرسلناك في أمة قد
 خلت من قبها أمة) يعنى كما أرسلناك يا محمد الى هذه الامة كذلك أرسلنا نبياء قبلك الى أمة قد خلت ومضت
 (لتنزلوا عليهم الذي أوحينا إليك) يعنى لتقرأ على أمة التي أوحينا اليك من القرآن وشرائع الدين (وهم
 يكفرون بالرحمن) قال قتادة وهو ذئب وان جرجج هذه الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك ان سهيل
 ابن عمرو لما جاءنا صلح وانفقوا على ان يكتبوا كتاب الصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى
 طالب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب
 اكتب كما كتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن يعنى أنهم ينكرونه ويحسدونه
 والمعروف ان الآية مكية وصوب زوطان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو ويقول
 في دعائه يا الله يا رحمن فرجع أبو جهل الى المشركين وقال ان محمدا يدعو الهين يدعو الله ويدعو الهاء آخر
 سمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الا الرحمن اليمامة فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله وادعوا
 الرحمن أيما تدعوا فله الاسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في كفار قريش حين قال لهم
 النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقال الله تعالى (قل) أي قل يا محمد ان الرحمن الذي
 أنكرتم معرفته (هور بي لا اله الا هو عليه توكلات) يعنى عليه اعتمدت في أمورى كلها (واليه متاب) يعنى
 واليه توبتى ورجوعى قوله تعالى (ولو أن قرأ ناسيرت به الجبال) الآية نزلت في نفر من مشركى قريش
 منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبى أمية جاسوا خلف الكعبة وأرسلوا خاف النبي صلى الله عليه وسلم
 فأتاهم وقيل انه مر بهم وهم جالوس فدعاهم الى الله عز وجل فقال له عبد الله بن أبى أمية ان سرك ان تبصرك
 فيرجبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تفتتح فانها أرض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا لنفرض
 الأشجار ونزرع ونسجد البساتين فلبست كازعمت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال نسيير
 معه أو سخر لنا الريح انز كهاى الشام لم يرتنا وحوأنا ونرجع في يومنا كما سخرت سليمان كازعمت
 فلبت باهون على ربك من سليمان أو أوحى لنا جددك قصيا أو من شئت من موتانا نسأله عن أمرك أحق
 أو باطل فان عيسى كان يحيى الموتى ولست باهون على الله من عيسى فانزل الله هذه الآية ولو أن قرأ ناسيرت به
 الجبال فاذهبت عن وجه الأرض (أو قطعت به الأرض) يعنى شقت فجعلت أنهارا وعيونا (أو كما به
 الموتى) فاحياها واختلفوا في جواب لو فقال قوم جواب لو محذوف وانما حذف ا كتفاء بمعرفة السامع
 مراده وتقديره ولو أن قرأنا فعل به كذا وكذا لكان هذا القرآن فهو كقول الشاعر
 فاقم لو شئنا أنا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

أراد لو شئنا أنا رسوله سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة فإنه قال معناه لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفضل
 بقرآنكم وقال آخرون جواب لو تقدم تقدير الكلام وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرأ ناسيرت به الجبال أو
 قطعت به الأرض أو كما به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا به لما سبق في علمنا فيهم كما قال ولو أنما نزلنا بهم

الآية (بل الله الامر جميعا) بل الله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي افترحوها (أفلم يئس الذين آمنوا) أفلم يعلم وهي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليأس عن

(٦٧)

في معنى الترك لتضمن ذلك دليله قراءة على رضى الله عنه أفلم يتبين وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى السنة وهذه والله قرية ما فيها صرية (أن لو يشاء الله طدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وسوء أعمالهم (قارعة) داهية تفرعهم بما عمل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم (أو تحل قريبا من دارهم) أو تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويتطير عليهم شررها ويتعدى اليهم شرورها (حتى يأتي وعد الله) أى موتهم أو القيامة أو ولا يزال كفار مكة نصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لان جيش رسول الله يغير حول مكة ويختطف منهم أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم بحيثك يوم الحديبية حتى يأتي وعد الله أى فتح مكة (ان الله لا يخلف الميعاد) أى لا يخلف في مواعده (ولقد استهزى برسول من قبلك فأمليت للذين كفروا) الاملاء الامهال وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض

الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا يؤمنون ثم قال تعالى (بل الله الامر جميعا) بمعنى في هذه الاشياء وفي غيرها ان شاء فقل وان شاء لم يفعل (أفلم يئس الذين آمنوا) قال أكثر المفسرين معناه أفلم يعلم قال الكلبي هذه لغة النخع وقيل هي لغة هوازن واختلف أهل اللغة في هذه اللفظة فقال الليث وأبو عبيد ألم يئس ألم يعلم واستدلوا بهذه اللغة بقول الشاعر
أقول لهم بالشعب اذ يأسروني * ألم يئسوا أنى ابن فارس زهدم
بمعنى ألم تعلموا واستدلوا عليه أيضا بقول شاعر آخر
ألم يئس الاقوام انى أنا ابنه * وان كنت عن أرض العشيرة قائبا
بمعنى ألم يعلم الاقوام قال قطرب يشس بمعنى علم لغة للعرب قالوا ووجه هذه اللغة انه انما وقع اليأس في مكان العلم لان علمك بشئ ويقينك به يئسك من غيره وقيل لم يرد ان اليأس في موضع من كلام العرب لالعلم وانما قصد ان يئس الذين آمنوا من ذلك يقتضى أن يحصل العلم بانتفائه فاذا معنى يئسهم يقتضى حصول العلم وقال الكسائي ما وجدت العرب تقول يشس بمعنى علمت قال وهذا الحرف في القرآن من اليأس المعروف لامن العلم وذلك ان المشركين لما طالبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات اشرب المسمومون لذلك وأرادوا أن يظهر لهم آية ليجتمعوا على الايمان فقال الله تعالى أفلم يئس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء ويعلموا علمها يئسنا (أن لو يشاء الله طدى الناس جميعا) بمعنى من غير ظهور آية وقال الزجاج القول عندي ان معناه أفلم يئس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء لان الله لو شاء طدى الناس جميعا وحاصله ان في معنى الآيات قولين أحدهما ان يشس بمعنى علم والقول الثاني انه من اليأس المعروف وتقدير القولين ما تقدم وتمسك أهل السنة بقوله أن لو يشاء الله طدى الناس جميعا على ان الله لم يشأ هداية جميع الخلائق (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) يعنى من الكفر والاعمال الخبيثة (قارعة) أى نازلة وداهية تفرعهم بانواع البلايا أحيانا مرة بالجدب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والاسر وقال ابن عباس أراد بالقارعة السرايا التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث اليهم (أو تحل) يعنى السرايا والبليّة (قريبا من دارهم) وقيل معناه أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم (حتى يأتي وعد الله) يعنى النصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل أراد بوعد الله يوم القيامة لان الله يجمعهم فيه فيجازيهم بأعمالهم (ان الله لا يخلف الميعاد) والغرض منه تشجيع قلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن عنه لعلمه بأن الله لا يخلف الميعاد ﴿ قوله عز وجل (واند استهزى برسول من قبلك) وذلك ان كفار مكة انما سألو هذه الاشياء على سبيل الاستهزاء فانزل الله هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم انما طلبوا منك هذه الآيات على سبيل الاستهزاء وكذلك قد استهزى برسول من قبلك (فأمليت للذين كفروا) يعنى فامهلتهم وأطلت لهم المدة (ثم أخذتهم) يعنى بالعذاب بعد الامهال فعذبتهم في الدنيا بالقتل والاسر وفي الآخرة بالنار (فكيف كان عقاب) يعنى فكيف كان عقابى لهم (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) يعنى أفمن هو حافظها ورزاقها وعالم بها وما عملت من خيرا وشروا يجازيها بما كسبت فيثيبها ان أحسنت ويعاقبها ان أساءت وجوابه محذوف وتقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره أعجزوهى الاصنام التى لا تضر ولا تنفع (وجعلوا لله شركاء) يعنى وهو المستحق للعبادة لاهذه الاصنام التى جعلوا لله شركاء (قل سموهم) يعنى له وقيل صفوهم بما

وأمّن (ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزائه وتسلية له (أفمن هو قائم) احتجاج عليهم في اشرا كهم بالله يعنى أفالله الذى هو قريب (على كل نفس) صالحة أو طالحة (بما كسبت) يعلم خبره وشروه ويهد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ثم استأنف فقال (وجعلوا لله شركاء) أى الاصنام (قل سموهم) أى سموهم له من هم ونبؤه باسمائهم ثم قال

(أم تنبؤونه بما لا يعلم في الأرض) على أم المنقطعة أي بل أننبؤونه بشركاء لا يعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السموات والأرض فإذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشئ والمراد في أن يكون له شركاء (أم بظاهر من القول) بل أن أسموهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم (٦٨) ما تعبدون من دونه الأسماء سميتقوها (بل زين للذين كفروا مكرهم) كيدهم للإسلام

يستحقون ثم انظر واهل هي اهل لان تعبد (أم تنبؤونه) يعني أم تخبر ون الله (بما لا يعلم في الأرض) يعني انه لا يعلم ان نفسه شر يكلم من خلقه وكيف يكون الخلق شر يكال للخالق وهو العالم بما في السموات والأرض ولو كان اعلمه والمراد من ذلك نبي العلم بان يكون له شركاء (أم بظاهر من القول) يعني انهم يتعلقون بظاهر من القول مسموع وهو في الحقيقة باطل لأصل له وقيل معناه بل بظن من القول لا يعلمون حقيقته (بل زين للذين كفروا مكرهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر وانما فسر المكر بالكفر لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزين في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على الاطلاق لا يقدر احد ان يتصرف في الوجود الا بانه فتر بين الشيطان والقاء الوسوسة فقط ولا يقدر على اضلال احد وهدايتة الا الله تعالى ويدل على هذا ما ياتي في الآيات وهو قوله ومن يضل الله فانه من هاد وقوله (وصدوا عن السبيل) قرئ بضم الصاد ومعناه صرفوا عن سبيل الدين وارشاد الهداية ومنعوا من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه انهم صدوا عن سبيل الله غيرهم أي عن الايمان (ومن يضل الله فانه من هاد) الوقف عليه بسكون الهمزة وحذف الياء في قراءة أكثر القراء (لهم عذاب في الحياة الدنيا) يعني بالقتل والاسر ونحو ذلك مما فيه غيظهم (وامذاب الآخرة أشق) يعني أشد وأغلظ لان المشقة غلظ الامر على النفس وشدة مما يكاد يصدع القلب من شدته فهو من الشق الذي هو الصدع (وما لهم من الله) يعني من عذاب الله (من واق) يعني من مانع عنهم من عذابه ﴿ قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون) أي صفة الجنة التي وعد المتقون (تجري من تحتها الأنهار) كما هادائم) لا ينقطع أبدا (وظلها) يعني انه دائم أبدا لا ينقطع وليس في الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول وفي الآية رد على جهنم وأصحابه فانهم يقولون ان نعيم الجنة ينفى وينقطع وفي الآية دليل على ان حركات أهل الجنة لا تنتهي الى سكون دائم كما يقوله أبو الهذيل واستدل القاضي عبد الجبار المعتزلي بهذه الآية على ان الجنة لم تخلق بعد وقال ووجه الدليل انها لو كانت مخلوقة لوجب أن تنفي وينقطع أكلها لقوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه فوجب أن لا تكون الجنة مخلوقة لقوله أكلها دائم يعني لا ينقطع قال ولا ينكر أن تكون في السموات جنات كثيرة تمتع بها الملائكة ومن بعد حيا من الانبياء والشهداء وغيرهم على ما روي الآن الذي نذهب اليه ان الجنة الخلد لم تخلق بعد والجواب عن هذا ان حاصل دليلهم مركب من آيتين احدهما قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه والاخرى قوله أكلها دائم وظلها فاذا أدخلنا التخصص على هذين العمومين سقط دليلهم فنخص هذين الدليلين بالدلائل الدالة على ان الجنة مخلوقة منها قوله تعالى وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴿ وقوله تعالى (تلك عقي الذين اتقوا) يعني ان عاقبة أهل التقوى هي الجنة (وعقي الكافرين النار) يعني في الآخرة ﴿ قوله عز وجل (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك) فالمراد بالكتاب هنا قولان أحدهما انه القرآن والذي أتوه المسلمون وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انهم يفرحون بما يتجدد من الاحكام والتوحيد والنبوة والحشر بعد الموت بتجدد نزول القرآن (ومن الأحزاب) يعني الجماعات الذين نجزوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى (من ينكر بعضه) وهذا قول الحسن وقتادة فان قلت ان الأحزاب من المشركين وغيرهم من أهل الكتاب ينكرون القرآن كله فكيف قال ومن

بشركهم (وصدوا عن السبيل) عن سبيل الله (ومن يضل الله فانه من هاد) من احد يقدر على هدايته (لهم عذاب في الحياة الدنيا) بالقتل والاسر وأنواع المحن (ولهذاب الآخرة أشق) أشد لهوامه (وما لهم من الله من واق) من حافظ من عذابه (مثل الجنة التي وعد المتقون) صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف أي فيما يتلى عليكم مثل الجنة أو الخبر (تجري من تحتها الأنهار) كما تقول صفة زيد أسمر (أكلها دائم) ثم هادائم الوجود لا ينقطع (وظلها) دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس (تلك عقي الذين اتقوا) أي الجنة الموصوفة بعقي تقواهم يعني منتهى أمرهم (وعقي الكافرين النار) والذين آتيناهم الكتاب يريد من أسلم من اليهود كابن سلام ونحوه ومن النصارى بارض الجنة (يفرحون بما أنزل اليك)

ومن الأحزاب) أي ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين نجزوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الأشرف وأصحابه والميد والعاقب وأشبايعهما (من ينكر بعضه) لانهم كانوا لا ينكرون الا قاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم وكانوا ينكرون نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما حرموا بدلوه من الشرائع

الاحزاب من ينكر بعضه قلت ان الاحزاب لا ينكرون القرآن بجمته لانه قد ورد فيه آيات دلالت على توحيد الله واثبات قدرته وعلمه وحكمته وهم لا ينكرون ذلك أبدا والقول الثاني ان المراد بالكتاب التوراة والانجيل والمراد باهله الذين أسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا ربهون من نجران وثلاثون من الحبشة وعشرة من سواهم فرحوا بالقرآن لكونهم آمنوا به وصدقوه ومن الاحزاب يعني بقية أهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه وقيل كان ذكر الرحمن قايلا في القرآن في الابتداء فلما أسلم عبد الله بن سلام ومن معه من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ساءهم فلهذا ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فلما كرر الله تعالى ذكر لفظه الرحمن في القرآن فرحوا بذلك فانزل الله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب يعني مشركي مكة من ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعمنون مسيما للكذاب فانزل الله وهم يكفرون بالرحمن فل هو زبي وانما قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرحمن (قل) أي قل يا محمد (انما امرت ان أعبد الله) يعني وحده (ولا أشرک به) شيا (اليه ادعو) أي الى الله والى الايمان به ادعوا الناس (واليه ما ب) يعني مرجعي يوم القيامة (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) أي كما أنزلنا الكتب على الانبياء بلغاتهم ولسانهم أنزلنا اليك يا محمد هذا الكتاب وهو القرآن عربيا بلسانك ولسان قومك وانما سمي القرآن حكما لان فيه جميع التكليف والاحكام والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان القرآن سببا للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل ان الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القرآن والعمل بمقتضاه سماه حكما لذلك المعنى (ولئن اتبعت أهواءهم) قال جمهور المفسرين ان المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملة آباءهم فتوعده الله على اتباع أهواءهم في ذلك وقال ابن السائب المراد به متابعة آباءهم في الصلاة لبيت المقدس (بعد ما جاءك من العلم) يعني بانك على الحق وان قبلك الكعبة هي الحق وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حث للنبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام بما أمر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لان من هو أرفع منزلة وأعظم قدرا وأعلى مرتبة اذا حذر كان غيره ممن هو دونه بطريق الاولى (مالك من الله من ولي ولا واق) يعني من ناصر ولا حافظ ﴿قوله تعالى لا رقد أرسلنا رسلا من قبلك﴾ روى ان اليهود وقيل المشركين قالوا ان هذا الرجل يعنون النبي صلى الله عليه وسلم ليس له همة الا في النساء فعابوا عليه ذلك وقالوا لو كان كما يزعم انه رسول الله لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا فاجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وعماعابوه به بقوله عز وجل ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد (وجعلنا لهم أزواجا وذرية) فانه قد كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ثمانمائة امرأة حرة وسبع مائة سرية فلم يقدح ذلك في نبوته وكان لايه داود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة فلم يقدح ذلك أيضا في نبوته فكيف يعيبون عليك ذلك ويجعلونه قاذحا في نبوتك والمعنى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا كلون ويشربون وينكحون وما جعلناهم ملائكة لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون (وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) هذا جواب لعبد الله بن أبي أمية وغيره من المشركين الذين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا عليه أن يريهم المعجزات وتقرير هذا الجواب أن المعجزة الواحدة كافية في اثبات النبوة وقد أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزات كثيرة يجز عن مثلها البشر فإلهم أن يقترحوا عليه شيا واثبات الرسول بالمعجزات ليس اليه بل هو مفوض الى مشيئة الله عز وجل فان شاء أظهرها وان شاء لم يظهرها (لكل أجل

به فانما يكتم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وأن لا يشرك به (اليه ادعو) خصوصا لا ادعو الى غيره (واليه) لا الى غيره (ما ب) مرجعي وأتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الانزال أنزلناه أمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانداز بدار الجزاء (حكما عربيا) حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أمور يشاركونهم فيها فقيل (ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم) أي بعد ثبوت العلم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة (مالك من الله من ولي ولا واق) أي لا ينصرك ناصر ولا يقيقك منه واق وهذا من باب التهبيج والبعث للسامعين على الثبات في الدين وأن لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والافكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الثبات بمكان وكانوا يعيبونه بالزواج والولاد ويقترحون

عليه الآيات وينكرون النسخ فنزل (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلناهم أزواجا وذرية) نساء وأولادا (وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) أي ليس في وسعه اتيان الآيات على ما يقترحه قومه وانما ذلك الى الله (لكل أجل

كتاب) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلما استبطوا ذلك وقد كانوا يستهجون نزوله أخبر الله عز وجل أن لكل قضاء قضاءه كتابا قد كتبه فيه ووقتا يقع فيه لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى أن لكل أجل أجله الله كتابا قد أثبتته فيه وقيل في الآية تترجم وتأخير تقديره لكل كتاب أجل ومدة والمعنى أن الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه (بمحو الله ما يشاء ويثبت) وذلك أنهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إن محمدًا يأمر أصحابه بأمر اليوم ثم يأمرهم بخلافه غدًا وما سبب ذلك إلا أنه يقول من تلقاه نفسه أجاب المدعى عن هذا الاعتراض بقوله بمحو الله ما يشاء ويثبت قال سعيد بن جبير وقتادة بمحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء من ذلك فلا يبدله ولا يبدله وقال ابن عباس بمحو الله ما يشاء ويثبت إلا الرزق والأجل والسعادة والشقاوة وبدل على صحة هذا التأويل ما روى عن حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا أمر بالنعطة فندان وأمر بعون ليلة بعث الله ليهاملك كافصوركها وخلق سمعها وبصرها ووجدها وولمها أو عظامها ثم قال يا رب أذكر أم أنسى فيقتضيه ربك ما يشاء فيكتب الملك ثم يقول يا رب أجله فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول الملك يا رب رزقه فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزال يدعى أمر ولا ينقص أخرجه مسلم (ق) عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أر بهين يومئذ يكون خلقه مثل ذلك ثم يكون مضغًا مثل ذلك ثم يبعث الله ملكًا كبارًا مع كلمات يكتب رزقه وأجله وشرقي أو سعيدهم ينفخ فيه الروح فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فان قلت هذا الحديث والذي قبله صريح بان الآجال والأرزاق مقدرَةٌ وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير عمرًا قدره الله وعلمه في الأزل فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل أن ينقلب السعيد شقيًا والشقي سعيدًا وقد صح في فضل صلة الرحم أن صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الأحاديث وبين قوله تعالى بمحو الله ما يشاء ويثبت قلت قد تقرر بالدلائل القطعية أن الله عالم بالآجال والأرزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فإذا علم الله أن زيد يموت في وقت معين استحال أن يموت قبله أو بعده وهو قوله تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على أن الآجال لا تزبد ولا تنقص وأجاب العلماء عما ورد في الحديث في فضل صلة الرحم من أنها تزيد في العمر بإجوبة الصحیح منها أن هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره بالتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منها أنها بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ أن عمر زيد مثلاً ستون سنة الآن يصل رحمة فان وصاها زبدله أن بعون سنة وقد علم الله في الأزل ما يقع من ذلك وهو معنى قوله تعالى بمحو الله ما يشاء ويثبت أي بالنسبة لما يظهر للمخوفين من تصور الزيادة وأما انقلاب الشقي سعيدًا والشقي سعيدًا في تصور في الظاهر أيضًا لأن الكافر قد يسلم فينقلب من الشقاوة إلى السعادة وكذا العاصي ونحوه قد يتوب فينقلب من الشقاوة إلى السعادة وقد يرتد المسلم والعباد بالله تعالى فيموت على ردة فينقلب من السعادة إلى الشقاوة والأصل في هذا الاعتبار بالخاتمة عند الموت وما يحتم الله به له وهو المراد من علم الله الأزل الذي لا يتغير ولا يتبدل والله أعلم وأصل المحو اذهب أثر الكتابة وضده الأثبات فن العلماء من حمل الآية على ظاهرها جعلها عامة في كل شيء يقتضيه ظاهر اللفظ فيزيد الله ما يشاء في الرزق والأجل وكذا القول في السعادة والشقاوة والإيمان بالله والكفر ونقل نحو هذا عن عمر بن مسعود فأنهما قال لا يمحو السعادة والشقاوة ويمحو الرزق والأجل ويثبت ما يشاء وروى عن عمر أنه كان

كتاب) لكل وقت حكم يكتب على العباد أي يفرض عليهم على ما تقتضيه حكمته (بمحو الله ما يشاء) ينسخ ما يشاء ونسخه (ويثبت) بدله ما يشاء أو يتركه غير منسوخ أو يمحو من ديوان الحفظ ما يشاء ويثبت غيره أو يمحو كفر التائبين ويثبت إيمانهم أو يميت من كان أجله وعكسه ويثبت مدني وشامي وحزرة وتدي

يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كتبتني في أهل السعادة فاثبتني فيها وان كنت كتبتني من أهل الشقاوة فأعني. ثم اوثبتني في أهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود وقد ورد في بعض الآثار ان الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيمد الى ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى بسنده عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى في ثلاث ساعات بقين من الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ومن العلماء من حل معنى الآية على الخصوص في بعض الاشياء دون بعض فقال المراد بالمحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم آخر عوضا عن الحكم المتقدم وقيل ان الحفظه يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيمحو الله ما يشاء من ديوان الحفظه مما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القائل أ كات شربت دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك وقال الكافي يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله فهو الذي يمحو والذي يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو في طاعته فهو والذي يثبت وقال الحسن يمحو الله ما يشاء يعني من جاء أجله فيذهب ويثبت من لم يجئ أجله وقال سعيد بن جبير يمحو الله ما يشاء من ذنوب عباده فيمحوها ويثبت ما يشاء منها فلا يغفرها وقال عكرمة يمحو الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدي يمحو الله ما يشاء يعني القمر ويثبت الشمس وقال الربيع هذا في الارواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته محاه وأمسكه ومن أراد بقاءه أثبتته وورده الى صاحبه وقيل ان الله يثبت في أول كل سنة حكمها فاذا مضت السنة محاه وأثبت حكما آخر للسنة المستقبله وقيل يمحو الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل هو في المحن والمصائب فهي مثبتة في الكتاب ثم يمحوها بالدعاء والصدقة وقيل ان الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء لا اعتراض لاحد عليه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فان قلت من ذهب أهل السنة ان المقادير سابقة وقد جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة فكيف يستقيم مع هذا المحو والاثبات فالتحوي والاثبات مما جف به القلم وسبق به القدر فلا يمحو شيئا ولا يثبت شيئا الا ما سبق به علمه في الازل وعليه يترتب القضاء والقدر **مسئلة** استدل الرافضة على من ذهبهم في البداء بهذه الآية قالوا ان البداء جائز على الله وهو ان يعتقد شيئا ثم يظهر له خلاف ما اعتقده وتمسكوا بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت والجواب عن هذه المسئلة ان هذا من ذهب باطل ظاهر الفساد لان علم الله قديم أزلي وهو من لوازم ذاته الخصوصية وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه محالا كذا ذكره الامام نجر الدين الرازي في تفسيره هذه الآية وقوله تعالى (وعنده أم الكتاب) يعني أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل وسمى اللوح المحفوظ أم الكتاب لان جميع الاشياء مثبتة فيه ومنه تنسخ الكتب المنزلة وقيل ان العلوم كلها انفس اليه وتولد منه قال ابن عباس هما كتابان كتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت ما يشاء وأم الكتاب الذي لا يغير شيء منها وروى عطية عن ابن عباس قال ان لله لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوته لله فيه كل يوم ثمانمائة وستون لحظة يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وسأل ابن عباس كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خافي وما خلقه وما هم عاملون (واما زينك) يعني يا محمد (بعض الذي نعدهم) يعني من العذاب (أوتوفينك) يعني قبل أن تزينك ذلك (فانما عليك التبليغ الرسالة اليهم) والبلاغ اسم أقيم مقام التبليغ (وعلينا الحساب) يعني وعلينا أن نحاسبهم يوم القيامة فنجاز بهم بأعمالهم **قوله عز وجل** (أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها) يعني أولم يروا كفار مكة الذين سألو ابا محمد صلى الله عليه وسلم الآيات أنا نأتى الارض يعني أرض الشرك ننقصها من أطرافها قال أكثر المفسرين المراد منه

(وعنده أم الكتاب) أى أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه (واما زينك) بعض الذي نعدهم (أوتوفينك) وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم أوتوفينك قبل ذلك (فانما عليك التبليغ) فإياك (عنا الحساب) (وعلينا الحساب) وعلينا حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم لا عليك فلا يهمنك أعراضهم ولا تستجمل بعذابهم (أولم يروا أنا نأتى الارض) أرض الكفرة (ننقصها من أطرافها) بما فتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من آيات النصر والغلبة والمعنى عليك البلاغ الذي جلت له ولاتهم بما وراء ذلك فنحن نكفيك وتم ما وعدناك من النصر والظفر

فتصح دار الشرك فان ما زاد في دار الاسلام فقد نقص في دار الشرك والمعنى اولم يروا ان اتاني الارض فنفضها
 لمحمد صلى الله عليه وسلم ارض بعد ارض حوالى اراضيهم اولا يعتبرون فيتعظون وهذا قول ابن عباس
 وقيادة وجماعة من المفسرين وذلك ان المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار قهر او تخريبيا كان ذلك
 نقصا في ديارهم وزيادة في دار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من اقوى الدلائل على ان الله تعالى ينصر عبده
 ويعز جنده ويظهر دينه وينجز له ما وعده وقيل هو خراب الارض والمعنى اولم يروا ان اتاني الارض فنخر بها
 ونهلك أهلها اولا يخافون ان تفعل بهم مثل ذلك وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض أهلها وعن عكرمة
 والشعبي نحوه وهذا القول قريب من الاول وقال عطاء وجماعة من المفسرين نقصانها وت العلماء وذهاب
 الفقهاء (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض
 العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفي رواية من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ
 الناس رؤساء جهالا فلو افاقوا بغير علم فضلوا واولوا وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلثة
 في الاسلام لا يسدها شئ ما اختلف الليل والنهار وقال عبد الله ايضا عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبضه ذهاب
 أهله وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقى الاول حتى يتعلم الآخر فاذا هلك الاول ولم يتعلم الآخر هلك الناس
 وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك العلماء فعلى هذا القول فالمراد بالاطراف العلماء
 والاشراف من الناس حكى الجوهرى عن ثعلب قال الاطراف الاشراف واستدل الواحدى لهذه اللفظة
 بقول الفرزدق **واسأل بناو بكم اذا وردت منى * اطراف كل قبيلة من يتبع**
 قال يروى بـ اشراف كل قبيلة قال الواحدى والتفسير على القول الاول اولى لان هذا وان صح فلا يليق بهذا
 الموضوع قال الامام نجر الدين الرازى ويمكن ان يقال ايضا ان هذا الوجه لا يليق بهذا الموضوع وتقديره ان يقال
 اولم يروا ان كل ما يحدث في الدنيا من الاختلاف خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذل بعد عز ونقص بعد
 كمال واذا كانت هذه التغييرات مشاهدة محسوسة في الذي يؤمنهم ان يقبل الله الامر على هؤلاء الكفرة
 فيجعلهم ذليلين بعدما كانوا اعز بزين ومقهورين بعد ان كانوا اقهارين وعلى هذا الوجه ايضا يجوز اتصال
 الكلام بما قبله **وقوله تعالى (وان الله يحكم لامعقب الحكمه)** يعنى لاراد الحكمه ولا ناقض لقضائه والمعقب
 هو الذي يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل اصحاب الحق معقب لانه يعقب غيره بالافتضاء والطلب
 والمعنى وان الله يحكم نافذا حكمه خاليما من المدافع والمعارض والمنازع لا يتعقب حكمه احد غيره بتغيير ولا
 نقض **(وهو سريع الحساب)** قال ابن عباس يروى بسر يع الانتقام ممن حاسبه للمجازاة بالخير والشر
 فجازاة لكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بايصال الثواب اليهم وقد تقدم بسط الكلام في معنى
 سريع الحساب قبل هذا **(وقدمكر الذين من قباهم)** يعنى من قبل مشركى مكة من الامم الماضية الذين
 مكرروا بانبيائهم والمكررايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر مثل ما مكرنمرود باراهيم وفرعون
 بموسى واليهود بعباسى **(فقله المكر جميعا)** يعنى عند الله جزاء مكرهم وقال الواحدى يعنى جميع مكر الماكرين
 له ومنه اى هو من خلقه وارادته فالا مكر جميعا مخلوق له بيده الخير والشر واليه النفع والضر والمعنى ان المكر
 لا يضر الا باذنه وارادته وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وامان له من مكرهم كانه قيل قد فعل من كان
 قبلهم من الكفار مثل فعلهم وصنعوا مثل صنعهم فلم يضرهم الا من اراد الله ضره اذا كان الامر كذلك
 وجب ان لا يكون الخوف الا من الله لا من احد من المخلوقين **(يعلم ما تكسب كل نفس)** يعنى ان جميع
 اكتساب العباد وتأثيراتها معلومة لله وهو خالقها وخلاف المعلوم تمتنع الوقوع واذا كان كذلك فكل ما علم
 وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه كان تمتنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل
 والتترك فكان الكل من الله ولا يحصل ضرر الا باذنه وارادته وفيه وعيد للكفار الماكرين **(وسيعلم**

(وانه يحكم لامعقب الحكمه) لاراد الحكمه
 والمعقب الذي يكر على الشئ
 فيبطله وحقيقته الذي
 يعقبه اى يعقبه بالرد
 والابطال ومنه قيل اصحاب
 الحق معقب لانه يقضى
 غريمه بالافتضاء والطلب
 والمعنى انه حكم للاسلام
 بالقلبة والاقبال وعلى
 الكفر بالادبار والانتكاس
 ومحل لامعقب الحكمه
 النصب على الحال كانه قيل
وانه يحكم نافذا حكمه كما
 نقول جاءنى زيدا لعمامة
 على رأسه ولا قلنوة له
 تريد حاسرا (وهو سريع
 الحساب) فعما قليل
 يحاسبهم فى الآخرة بعد
 عذاب الدنيا (وقدمكر
 الذين من قباهم) اى كفار
 الامم الخالية بانبيائهم
 والمكرارادة المكروه فى
 خفية ثم جعل مكرهم كلامكر
 بالاضافة الى مكره فقال
(قله المكر جميعا) ثم فسر
 ذلك بقوله **(يعلم ما تكسب**
كل نفس وسيعلم

الكفار ان عقبي الدار) يعني العاقبة المحمودة لان من علم ما نكسب كل نفس وأعد لها جزاءها فهو المكركه لانه يأتهم من حيث لا يظنون وهم في غفلة عما يراد بهم الكافر على ارادة الجنس مجازي وأبو عمرو (ويقول الذين كفروا لست مرسل) المراد بهم كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود قالوا لست مرسل وهذا قال عطاء هي مكية الا هذه الآية (قل) كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) بما أظهر

من الادلة على رسالتي والباء دخلت على الفاعل وشهدا تميز (ومن عنده علم الكتاب) قيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ دليله لقراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب أي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقال ابن سلام في نزلت هذه الآية وقيل هو جبريل عليه السلام ومن في موضع الجر بالعطف على لفظ الله أو في موضع الرفع بالعطف على محل الجار والمجرور التقدير كفى الله وعلم الكتاب يرتفع بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف صلة لمن ومن هنا بمعنى الذي والتقدير من ثبت عنده علم الكتاب وهذا لان الظرف اذا وقع صلة يعمل عمل الفعل نحو مررت بالذي في الدار أخوه فآخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار أخوه وفي القراءة بكسر الميم يرتفع العلم بالابتداء

(الكافر) على التوحيد وقرئ وسيعلم الكفار على الجمع قال ابن عباس يعني أبا جهل وقيل أراد المستهزئين وهم خمسة نفر من كفار مكة (من عقبي الدار) والمعنى انهم وان كانوا جاهلا بالعواقب فسيعلمون ان العاقبة الحميدة للمؤمنين وهم العاقبة المذمومة في الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة ﴿قوله تعالى﴾ (ويقول الذين كفروا لست مرسل) لما أنكر الكفار كون محمد رسولا من عند الله أمره الله بقوله (قل) أي قل يا محمد طو لاء الكفار الذين أنكروا نبوتك (كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) المراد بشهادة الله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما أظهر على يديه من المعجزات الباهرات والآيات القاهرات الدالة على صدق وكونه نبيا مرسل من الله لما يجد من الدلائل الدالة على نبوته فيهما شهد بذلك من شهد به وأنكره من أنكره منهم وقيل انهم مؤمنوا أهل الكتاب يشهدون أيضا على نبوته قال قتادة هو عبد الله بن سلام وأنكر الشعبي هذا وقال هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة المنورة وقال يونس لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب أهو عبد الله بن سلام فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى كفى بالذي يستحق العبادة والذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيد بيني وبينكم قال الزجاج الاشبه ان الله لا يشهد على صحة حكمه لغيره وهذا قول مشكل لان عطف الصفة على الموصوف وان كان جائزا الا انه خلاف الاصل فلا يقال شهد به هذا زيد والفقير بل يقال شهد به هذا زيد الفقير لكن يشهد لصحة هذا القول قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وهي قراءة ابن عباس وغيره على البناء للمفعول والمعنى ومن عنده علم الكتاب ودليل هذه القراءة قوله وعلمناه من لدنا علما وقيل معناه ان من علم أن القرآن الذي جئتكم به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والاختبار عن القيوب وعن الامم الماضية فن علم بهذه الصفة كان شهيدا بيني وبينكم والله أعلم بما راده وأسرار كتابه ﴿تفسير سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام﴾ وهي مكية سوي آيتين وهما قوله سبحانه وتعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الى آخرة آيتين وهي احدى وقيل اثنتان وخسون آية وثمانمائة واحدى وستون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (الكتاب أنزلناه اليك) يعني هذا كتاب أنزلناه اليك يا محمد والكتاب هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (لتخرج الناس من الظلمات الى النور) يعني بهذا القرآن والمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الايمان قال الامام غفر الدين الرازي رحمه الله وفيه دليل على ان طريق الكفر والبدع كثيرة وطريق الحق ايسر الا واحد لانه تعالى قال لتخرج الناس من الظلمات الى النور فبعب عن الجهل والكفر والضلال بالظلمات وهي صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق الكفر والجهل كثيرة وأما طريق العلم والايمان فليس الا واحدا

(١٠ - (خازن) - ثالث) ﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية اثنتان وخسون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الكتاب) هو خبر مبتدأ محذوف أي هذا كتاب يعني السورة والجملة التي هي (أنزلناه اليك) في موضع الرفع صفة للنكرة (لتخرج الناس) بدعائك اياهم (من الظلمات الى النور) من الضلالة الى الهدى

(بأذن ربهم) بتيسيره وتسهيله مستعار من الأذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما ينحهم من التوفيق (الى صراط) بدل من النور
بتكرير العادل (العزير) الغالب بالانعام (الحديد) المحمود على الانعام (الله) بالرفع مدني وشامي على هو الله وبالجر غيرهما على أنه عطف
بيان للعزير بالحيد (الذي له مافي السموات ومافي الارض) خلقا وملكا ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان نوعا
الكافرين بالويل وهو تقيض الوال وهو (٧٤) النجاة وهو اسم معنى كاطلاك فقال (وويل للكافرين من عذاب شديد)

(بأذن ربهم) يعني بامر ربهم وقيل بعلم ربهم (الى صراط العزيز الحيد) يعني الى دين الاسلام وهو دينه
الذي أمر به عباده والعزيز هو الغالب الذي لا يغلب والحيد المحمود على كل حال المستحق لجميع المحامد
(الله) قرئ بالرفع على الاستئناف وخبر ما بعده وقرئ بالجر اعتال العزيز الحيد وقال أبو عمر وقراءة الخفض
على التقديم والتأخير تقديره الى صراط الله العزيز الحيد (الذي له مافي السموات ومافي الارض) يعني
ملكا وما فيها مع عباده (وويل للكافرين) يعني الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة الذي له مافي
السموات ومافي الارض وعبدا ومن لا يملك شيئا البتة بل هو مملوك لله لأنه من جملة خلق الله تعالى ومن جملة
مافي السموات ومافي الارض (من عذاب شديد) يعني معذبهم في الآخرة ثم وصفهم فقال تعالى (الذين
يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) يعني يختارون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة (ويصدون عن
سبيل الله) أي ويمنعون الناس عن قبول دين الله (ويبعونها عوجا) يعني ويطلبون لها زينا وميلا لا تحذف
الجار وأوصل الفعل وقيل معناه يطلبون سبيل الله حائذين عن القصد وقيل الهاء في ويبعونها راجعة الى الدنيا
ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق والميل الى الحرام (أولئك) يعني من هذه صفته (في ضلال
بعيد) يعني عن الحق وقيل يجوز أن يراد في ضلال بعيد ذي بعدا وفيه بعد لان الضال يبعد عن الطريق قوله
تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) يعني بلغة قومه ليفهموا عنه ما يدعوهم اليه وهو قوله تعالى
(ليبين لهم) يعني ما يأتون وما يذرون فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما
بعث الى الناس جميعا بدليل قوله تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل هو مبعوث الى الثقلين
الجن والانس وهم على السنة مختلفة ولفات شتى وقوله بلسان قومه وليس قومه سوى العرب يقتضي بظاها
انه مبعوث الى العرب خاصة فكيف يمكن الجمع قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ولسانهم
والناس تبع للعرب فكان مبعوثا الى جميع الخلق لانهم تبع للعرب ثم انه بعث الرسل الى الاطراف فيترجون
لهم بالسنتهم ويدعونهم الى الله تعالى بلغاتهم وقيل يحتمل انه أراد بقومه أهل بلده وفيهم العرب وغير العرب
فيدخل معهم من غير جنسهم في عموم الدعوى وقيل ان الرسول اذا أرسل بلسان قومه وكانت دعوته
خاصة وكان كتابه بلسان قومه كان أقرب لفهمهم عنه وقيام الحجية عليهم في ذلك فاذا فهموه ونقل عنهم
انتشر عنهم علمه وقامت التراجم ببيان وتفهمه لمن يحتاج الى ذلك ممن هو من غير أهلها واذا كان الكتاب
واحد بلغة واحدة مع اختلاف الأمم وتباين اللغات كان ذلك أبلغ في اجتهاد المجتهدين في تعليم معانيه وتفهم
فوائده وغوامضه وأسراره وعلومه ورجوع حدوده وأحكامه وقوله (فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء)
يعني ان الرسول ليس عليه الا التبليغ والتبيين والله هو الهادي المضل يفعل ما يشاء (وهو العزيز) يعني الذي
يغلب ولا يغلب (الحكيم) في جميع أفعاله ^{في} قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى باياتنا) المراد بالآيات
المعجزات التي جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام مثل العصا واليد وفاق البحر وغير ذلك من المعجزات
العظيمة الباهرة (أن أخرج قومك من الظلمات الى النور) أي أن أخرج قومك بالعودة من ظلمات الكفر

وهو مبتدأ وخبر وصفة
(الذين يستحبون) يختارون
ويؤثرون (الحياة الدنيا على
الآخرة) ويصدون عن سبيل
الله (عن دينه) ويبعونها
عوجا) يطلبون لسبيل الله
زيغا وعوجا جا والاصل
ويبعون لها خذف الجار
وأوصل الفعل الذين مبتدأ
خبره (أولئك في ضلال
بعيد) عن الحق ووصف
الضلال بالبعد من الاسناد
المجازي والبعد في الحقيقة
للضال لانه هو الذي يتباعد
عن طريق الحق فوصف
به فعله كما تقول جد جده
أو جرو وصفه للكافرين
أو منسوب على الذم أو
مرفوع على أعنى الذين
أوهم الذين (وما أرسلنا من
رسول الا بلسان قومه)
الامت كما بلغتهم (ليبين
لهم) ما هو مبعوث به وله
فلا يكون لهم حجة على الله
ولا يقولون له لم تفهم
ما حوطيناه فان قلت ان
رسولنا صلى الله عليه وسلم
بعث الى الناس جميعا بقوله
قل يا أيها الناس اني رسول

الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فغيرهم الحجية قلت لا يخلو ما أن ينزل بجميع الالسنه الى
أو بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنه لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فتعين أن ينزل بلسان واحد وكان لسان قومه
أولى بالتعيين لانهم أقرب اليه ولانه أبعدهم من التحريف والتبديل (فيضل الله من يشاء) من أترسبب الضلالة (ويهدي من يشاء) من أتر
سبب الاهتداء (وهو العزيز) فلا يزال على منيئته (الحكيم) فلا يخذل الأهل الخذلان (ولقد أرسلنا موسى باياتنا) التسع (أن أخرج
قومك) بان أخرج أو أي أخرج لان الارسال فيه معنى القول كأنه قيل أرسلناه وقلنا له أخرج قومك (من الظلمات الى النور

وذ كرمهم بايام الله) وأندرهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها وأيام الانعام حيث ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وفاق لهم البحر (ان في ذلك لآيات لكل صبار) على البلايا (شكور) على العطايا كأنه قال لكل مؤمن اذا الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (واذ قال موسى (٧٥) لقومه اذ كروا نعمة الله عليكم اذا أنجاكم من آل

فرعون يسومونكم سوء العذاب) اذ ظرف للنعمة بمعنى الانعام أي انعامه عليكم ذلك الوقت أو بدل اشتغال من نعمة الله أي اذ كروا وقت انجائكم (وذبحون أبناءكم) ذكر في البقرة يذبحون وي الأعراف يقتلون بلاوا ووهنا مع الواو والحاصل ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب و بيان له وحيث أثبت الواو جعل التذبيح من حيث انه زاد على جنس العذاب كأنه جنس آخر (ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) الاشارة الى العذاب والبلاء المحنة أو الى الانجاء والبلاء النعمة ونبأكم بالشرا والخبر فتنة (واذ تأذن ربكم) أي آذن ونظر تأذن وآذن توعدا وتوعدا ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل واذا آذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك والشبه وهو من جملة ما قال موسى لقومه واتصابه للعطف على نعمة الله عليكم كأنه قيل واذا قال موسى لقومه اذ كروا نعمة الله عليكم واذا كروا

الى نور الايمان (وذ كرمهم بايام الله) قال ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد وقتادة يعني نعم الله وقال مقاتل بوقائع الله في الامم السالفة يقال فلان عالم بايام العرب أي بوقائعهم وانما أراد بما كان في أيام الله من النعمة والنعمة فاخبر به ذكرا الايام عن ذلك لان ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظمهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد والترغيب والوعدان يذ كرمهم بما أنعم الله عليهم به من النعمة وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسول فيما مضى من الايام والترهيب والوعدان يذ كرمهم باسم الله وشدة انتقامه ممن خالف أمره وكذب رسوله وقيل بايام الله في حق موسى أن يذ كرمه بايام المحنة والشدة والبلاء حين كانوا تحت أيدي القبط يسومونهم سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم ملوكا بعد أن كانوا ملوكين (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وانما خص الشكور والصبور بالاعتبار بالآيات وان كان فيها عبرة لكافة لانهم هم المنتفعون بهادون غيرهم فلهذا خصهم بالآيات فكانها ليست لغيرهم فهو كقوله وهدى للمتقين ولان الانتفاع بالآيات لا يمكن حصوله الا لمن يكون صابرا شاكرا أما من لم يكن كذلك فلا ينتفع بها البته (واذ قال موسى لقومه اذ كروا نعمة الله عليكم) لما أمر الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام ان يذ كرمه بايام الله امثال ذلك الامر وذ كرمهم بايام الله فقال اذ كروا نعمة الله عليكم (اذ أنجاكم من آل فرعون) أي اذ كروا انعام الله عليكم في ذلك الوقت الذي أنجاكم فيه من آل فرعون (يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم) فان قلت قال في سورة البقرة يذبحون بغير واو وقال هنا ويذبحون بزيادة واو والفرق قلت انما حذف الواو في سورة البقرة لان قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو كما تقول جاءني القوم زيد وعمر واذا أردت تفسير القوم وأما دخول الواو هنا في هذه السورة فلان آل فرعون كانوا يذبحونهم بأنواع من العذاب غير التذبيح والتذبيح أيضا فقوله ويذبحون نوع آخر من العذاب لأنه تفسير للعذاب (ويستحيون نساءكم) يعني يتركونهن أحياء (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت نعم كينهم وامهاتهم حتى فعلوا ما فعلوا ببلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلكم اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم لان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا ومنه قوله ونبأكم بالشرا والخير فتنة وهذا الوجه أولى لانه موافق لاول الآية وهو قوله اذ كروا نعمة الله عليكم فان قلت هب ان تذييع الابناء فيه بلاء فكيف يكون استحياء النساء فيه بلاء قلت كانوا يستحيونهن ويتركونهن تحت أيديهم كالاماء فكان ذلك بلاء (واذ تأذن ربكم) هذا من جملة ما قال موسى لقومه كأنه قيل اذ كروا نعمة الله عليكم واذا كروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن أي أعلم ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل واذا آذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتزاح الشبه والمعنى واذا تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) يعني يابني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح (لا يزيدنكم) يعني نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم قيل شكر الموجود صيد المفقود وقيل لئن شكرتم بالطاعة لا يزيدنكم في الثواب وأصل الشكر تصور النعمة واظهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة وههنا دقيقة وهي ان العبد اذا اشتغل بمطالعة أقسام نعم الله عز وجل عليه وأنواع فضله وكرمه واحسانه اليه اشتغل بشكر تلك النعمة وذلك يوجب المزيد ويندو بذلك تتأ كد محبة العبد

حين تأذن ربكم والمعنى واذا تأذن ربكم فقال (لئن شكرتم) يابني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها (لا يزيدنكم) نعمة الى نعمة فالشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقيل اذا سمعت النعمة نعمة الشكر تاهبت للمزيد وقال ابن عباس رضي الله عنهما لئن شكرتم بالجد في الطاعة لا يزيدنكم بالجد في الثوبة

(والذين كفروا) ما أنعمت به عليكم (ان عذابى لشديد) لمن كفر نعمتى أما فى الدنيا فسلب النعمة وأما فى العقبى فتوالى النقم (وقال موسى ان تكفروا أتم) يابنى اسرائيل (ومن) (٧٦) فى الارض جميعا) والناس كلهم (فان الله لغنى) عن شكركم (حيد) وان لم

بعمده الحامدون وأتم ضررتهم أنفسهم حيث حرمتموها الخير الذى لا يدل لكم منه (الم يأتكم نبال الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) من كلام موسى لقومه أو ابتداء خطاب لاهل عصر محمد عليه السلام (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) جلة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضاً وعطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين عدنان واسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون وروى انه عليه السلام قال عند نزول هذه الآية كذب النسابون (جاءتهم رسالتهم بالبينات) بالهجرات (فردوا أيديهم فى أفواههم) وفى معنى الابدى والافواه قولان أحدهما ان المراد بهما هاتان الجارحتان المعلومتان ثم فى معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عنوا أيديهم غيظاً وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم الى أفواههم وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل ورددوا ما جاؤا به يقال رددت قول فلان فى فيه أى كذبتة وقال السكيتى يعنى ان الامم رددوا أيديهم الى أفواه أنفسهم يعنى انهم وضعوا الابدى على الافواه إشارة منهم الى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل رددوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم بذلك وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك رددوا أيديهم فى أفواههم كما يفعل الذى غلبه الضحك القول الثانى ان المراد بالابدى والافواه غير الجارحتين فقيل المراد بالابدى النعم ومعناه رددوا ما لوقبلوه لكان نعمة عليهم يقال لفلان عندى بدأى نعمة والمراد بالافواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بأفواههم ورددوا قلوبهم وقيل انهم كفوا عن قبول ما أمر وايقبلوه من الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رديده الى فيه اذا أمسك عن الجواب فلم يجب وهذا القول فيه بعد لانهم قد أجابوا بالكذب وهو أن الامم رددوا على رسالتهم (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) يعنى انا كفرنا بما أرسلتم به وان الله أرسلكم به لانهم لم يقرؤا بها وأرسلوا اليهم لانهم لو أقرؤا بان الرسل أرسلوا اليهم لكانوا مؤمنين (وانا لنى شك مما تدعوننا اليه مريب) يعنى يوجب الريبة أو يوقع فى الريبة والنهمة والريبة قلق النفس وأن لا تطمئن الى الامر الذى يشك فيه فان قلت انهم قالوا اولانا كفرنا بما أرسلتم به فكيف يقولون ثانياً وانا لنى شك والشك دون الكفر أو داخل فيه قلت انهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل فكانهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا ان لم ندع الجزم فى كفرنا فلا أقل من أن نكون شاكين مرتابين فى ذلك (قالت رسالتهم) يعنى محيين لا مهمم (أفى الله شك) يعنى هل تشكون فى الله وهو استفهام انكار ونفى لما اعتقدوه (فاطر السموات

بعمده الحامدون وأتم ضررتهم أنفسهم حيث حرمتموها الخير الذى لا يدل لكم منه (الم يأتكم نبال الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) من كلام موسى لقومه أو ابتداء خطاب لاهل عصر محمد عليه السلام (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) جلة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضاً وعطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين عدنان واسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون وروى انه عليه السلام قال عند نزول هذه الآية كذب النسابون (جاءتهم رسالتهم بالبينات) بالهجرات (فردوا أيديهم فى أفواههم) وفى معنى الابدى والافواه قولان أحدهما ان المراد بهما هاتان الجارحتان المعلومتان ثم فى معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عنوا أيديهم غيظاً وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم الى أفواههم وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل ورددوا ما جاؤا به يقال رددت قول فلان فى فيه أى كذبتة وقال السكيتى يعنى ان الامم رددوا أيديهم الى أفواه أنفسهم يعنى انهم وضعوا الابدى على الافواه إشارة منهم الى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل رددوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم بذلك وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك رددوا أيديهم فى أفواههم كما يفعل الذى غلبه الضحك القول الثانى ان المراد بالابدى والافواه غير الجارحتين فقيل المراد بالابدى النعم ومعناه رددوا ما لوقبلوه لكان نعمة عليهم يقال لفلان عندى بدأى نعمة والمراد بالافواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بأفواههم ورددوا قلوبهم وقيل انهم كفوا عن قبول ما أمر وايقبلوه من الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رديده الى فيه اذا أمسك عن الجواب فلم يجب وهذا القول فيه بعد لانهم قد أجابوا بالكذب وهو أن الامم رددوا على رسالتهم (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) يعنى انا كفرنا بما أرسلتم به وان الله أرسلكم به لانهم لم يقرؤا بها وأرسلوا اليهم لانهم لو أقرؤا بان الرسل أرسلوا اليهم لكانوا مؤمنين (وانا لنى شك مما تدعوننا اليه مريب) يعنى يوجب الريبة أو يوقع فى الريبة والنهمة والريبة قلق النفس وأن لا تطمئن الى الامر الذى يشك فيه فان قلت انهم قالوا اولانا كفرنا بما أرسلتم به فكيف يقولون ثانياً وانا لنى شك والشك دون الكفر أو داخل فيه قلت انهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل فكانهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا ان لم ندع الجزم فى كفرنا فلا أقل من أن نكون شاكين مرتابين فى ذلك (قالت رسالتهم) يعنى محيين لا مهمم (أفى الله شك) يعنى هل تشكون فى الله وهو استفهام انكار ونفى لما اعتقدوه (فاطر السموات

(مريب) موقع فى الريبة (قالت رسالتهم أفى الله شك) أدخلت همزة الانكار على الطرف والارض لان الكلام ليس فى الشك انما هو فى المشكوك فيه وان لا يحتمل الشك لظهور الادلة وهو جواب قولهم وانا لنى شك (فاطر السموات

الارض يدعوكم) الى الايمان (ليغفر لكم من ذنوبكم) اذا آمنتم ولم تجي مع من الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون
 يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا أجيوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة الى أن قال
 فراءكم ذنوبكم وغير ذلك مما يعرف بالاستقراء وكان ذلك للفرقة بين الخطابين ولتلاسيق بين الفريقين في الميعاد (ويؤخركم الى
 اجل مسمى) الى وقت قد سماه وبين مقداره (قالوا) أي القوم (ان أتم) ما أتم (الابشر مثلنا) لافضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا
 مخصصون بالنبوة دوننا (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) يعني الاصنام (فاتونا بسلطان مبین) بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم
 ليدينات وانما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتوا ولجأوا (٧٧) قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر

مثلكم) تسليم لقولهم
 انهم بشر مثلهم (ولكن
 الله يمين على من يشاء من
 عباده) بالايمان والنبوة
 كما من علينا (وما كان
 لنا أن نأتيكم بسلطان الا
 باذن الله) جواب اقولهم
 فاتونا بسلطان مبین
 والمعنى أن الايمان بالآية
 التي قد اقترحوها ليس
 لنا ولا في استطاعتنا
 وانما هو أمر يتعلق بمشيئة
 الله تعالى (وعلى الله
 فليتوكل المؤمنون) أمر
 منهم للمؤمنين كافة
 بالتوكل وقصدوا به أنفسهم
 قعدا أوليا كأنهم قالوا
 ومن حقنا أن نتوكل على
 الله في الصبر على معاندتكم
 ومعاداتكم وابدانكم
 ألا ترى الى قوله (ومالنا
 أن لا نتوكل على الله)
 معناه وأي عذر لنا في أن

الارض) يعني وهل تشكون في كونه خالق السموات والارض وخالق جميع ما فيها (يدعوكم ليغفر لكم
 من ذنوبكم) يعني ليغفر لكم ذنوبكم اذا آمنتم وصدقتم وحرف من صلة وقيل انها أصل ليست بصلة وعلى
 هذا انه يغفر لهم ما بينهم وبينه من الكفر والمعاصي دون مظالم العباد (ويؤخركم الى أجل مسمى) يعني الى
 حين انقضاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب (قالوا) يعني الامم مجيبين للرسول (ان أتم) يعني ما أتم (الابشر
 مثلنا) يعني في الصورة الظاهرة لستم ملائكة (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) يعني ما تريدون
 بقولكم هذا الاصدنا عن آطنتنا التي كان آباؤنا يعبدونها (فاتونا بسلطان مبین) يعني حجة بينة واضحة على
 صحة دعواكم (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم) يعني ان الكفار لما قالوا رسلهم ان أتم الا بشر مثلنا
 قالت لهم رسلهم مجيبين لهم هب ان الامر كما قلتم ووصفتم فنحن بشر مثلكم لانكرد ذلك (ولكن الله يمين
 على من يشاء من عباده) يعني بالنبوة والرسالة فيصطفى من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف
 (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) يعني وليس لنا مع ما خصنا الله من النبوة وشرفنا به من الرسالة
 أن نأتيكم بآية وبرهان ومجزة تدل على صدقنا الا باذن الله لنا في ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)
 يعني في دفع شرور أعدائهم عنهم (ومالنا أن لا نتوكل على الله) يعني أن الانبياء قالوا أيضا قد عرفنا أنه
 لا يصيننا شيء الا بقضاء الله وقدره فنحن نتق به وتوكل عليه في دفع شروركم عنا (وقد هدا ناسبنا) يعني
 وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشد (وانصبرن) اللام لام القسم تقديره والله لنصبرن (على
 ما آذيتونا) يعني به من قول أو فعل (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل وهل
 من فرق بين التوكلين قلت نعم التوكل الاول فيه اشارة الى استحداث التوكل والتوكل الثاني فيه اشارة الى
 السعي في التثبيت على ما استحدثوا من توكلهم وابقائه وادامته فحصل الفرق بين التوكلين ﴿ قوله تعالى
 (وقال الذين كفروا رسلهم لنخرجنكم من أرضنا ولنعودن في ملتنا) يعني ليكون أحد الامرين اما
 اخراجكم أي الرسل من بلادنا وأرضنا واما عودكم في ملتنا فان قلت هذا بوجه بظاهرة أنهم كانوا على ملتهم في
 أول الامر حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود هنا بمعنى الصبر وروية وهو كثير في كلام العرب وفيه
 وجه آخر وهو أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل الرسالة لم يظهر واخلاف أممهم فلما ارسلوا اليهم اظهروا
 مخالفتهم وودعهم الى الله فقالوا لهم لتعودن في ملتنا ظنا منهم أنهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم واجماع الامة
 على أن الرسل من أول الامر انما نشؤوا على التوحيد لا يعرفون غيره (فأوحى اليهم ربهم) يعني ان الله تعالى

لا نتوكل عليه (وقد هدا ناسبنا) وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل مناسبه الذي يجب عليه سلوكه في الدين
 قال أبو تراب التوكل طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والشكر عند العطاء والصبر عند البلاء (ولنصبرن على ما آذيتونا)
 جواب قسم مضمرا أي حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لا يمسكوا عن دعائهم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) أي فليثبت المتوكلون على
 توكلهم حتى لا يكون نكرا (وقال الذين كفروا رسلهم) سبنا رسلهم أبو عمرو (لنخرجنكم من أرضنا) من ديارنا (أولنعودن في
 ملتنا) أي ليكون أحد الامرين اخراجكم أو عودكم وحلفوا على ذلك والعود بمعنى الصبر وروية وهو كثير في كلام العرب وأخطبوا به كل
 رسول ومن آمن معه فغلبه في الخطاب الجماعة على الواحد (فأوحى اليهم ربهم)

لهلكن الظالمين) القول مضمراً أو جرى الإيحاء مجرى القول لأنه ضرب منه (ولسكنكم الأرض من بعدهم) أي أرض الظالمين وديارهم في الحديث من آدى جاره ورثه الله دارد (ذلك) الأهلك والاسكان أي ذلك الأمر حق (لمن خاف مقامى) موقفي وهو موقف الحساب أو المقام مقعهم أو خاف قيامي عليه بالعلم كقوله أمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى ان ذلك حق للمتقين (وخاف وعيد) عذابي وبالياه يعقوب (واستفتحوا) (٧٨) واستنصروا الله على أعدائهم وهو معطوف على أوحى إليهم (وخاب كل جبار)

وخسر كل متكبر بطر (عند) محاب للحق معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل الضمير للكفار ومعناه واستفتح الكفار على الرسل ظن منهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه (من ورائه) من بين يديه (جهنم) وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لأنه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حيث يبعث ويوقف (ويستقي) معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويستقي (من ماء صديد) ما يسيل من جلود أهل النار وصديد عطف بيان لما لأنه مبهم فبين بقوله صديد (يتجرعه) يشربه جرعة جرعة (ولا يكاد يسيغه) ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون

أوحى إلى رساله وأنبأه بعد هذه المخاطبات والمحاورات (لهلكن الظالمين) يعني أن عاقبة أمرهم إلى الهلاك فلا تخافوهم (ولسكنكم الأرض من بعدهم) يعني من بعد هلاكهم (ذلك) يعني ذلك الاسكان (لمن خاف مقامى) يعني خاف مقامه بين يدي يوم القيامة فاضاف قيام العبد إلى نفسه لأن العرب قد أضيف أفعالها إلى أنفسها كقولهم ندمت على ضربى أياك وندمت على ضربك مثله (وخاف وعيد) أي وخاف عذابي قوله عز وجل (واستفتحوا) يعني واستنصروا وقال ابن عباس يعني الامم وذلك أنهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا وقال مجاهد وقتادة واستفتح الرسل على أممهم وذلك أنهم لما أسول من إيمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب (وخاب) يعني وخسر وقيل هلك (كل جبار عنيد) والجبار في صفة الانسان يقال لمن تجر بنفسه بادعاء منزلة عالية لا يستعقها وهو صفة ذم في حق الانسان وقيل الجبار الذي لا يرى فوقه أحدا وقيل الجبار المتعظم في نفسه المتكبر على أقرانه والعنيد المعاند للحق ومجانبه قاله مجاهد وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة هو الذي يأتي أن يقول لا إله الا الله وقيل العنيد هو المحب بما عنده وقيل العنيد الذي يعاند ويخالف (من ورائه جهنم) يعني هي أمامه وهو صائر إليها قال أبو عبيدة هو من الأضداد يعني أنه يقال وراء بمعنى خلف وبمعنى أمام وقال الاخفش هو كما يقال هذا الأمر من ورائك يعني أنه سيأتيك (ويستقي) يعني في جهنم (من ماء صديد) وهو ما سأل من الجلد واللحم من القيح جعل ذلك شراب أهل النار وقال محمد بن كعب القرظي هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر وهو قوله (يتجرعه) أي يتحساه ويشربه لآبيرة واحدة بل جرعة بعد جرعة لآرته وحرارته وكراهته وثقلته (ولا يكاد يسيغه) أي لا يقدر على ابتلاعه يقال ساغ الشراب في الحلق اذا سهل انحداره فيه قال بعض المفسرين ان يكاد صلة والمعنى يتجرعه ولا يسيغه وقال صاحب الكشاف دخلت يكاد للمبالغة يعني ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساعة وقال بعضهم ولا يكاد يسيغه أي يسيغه بعد ابطاء لان العرب تقول ما كدت أقوم أي قمت بعد ابطاء فعلى هذا كاد على أصلها وليست بصلة وقال ابن عباس معناه لا يجيزه وقيل معناه يكاد لا يسيغه ويبيغه فيغلى في جوفه عن أبي امامة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويستقي من ماء صديد يتجرعه قال يقرب إلى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره قال وسقوا ماء حيا فقطع أمعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بشس الشراب وساءت مرتفقا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله وقعت فروة رأسه أي جلدة رأسه وانما شبهها بالفروة للشعر الذي عليها وقوله تعالى (ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت) يعني ان الكافر يجد ألم الموت وشدته من كل مكان من أعضائه وقال ابراهيم التيمي حتى من تحت كل شرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدمه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وما هو بميت فيستريح وقال ابن جرير تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فنسفه الحياة (ومن ورائه) يعني امامه (عذاب غليظ) أي شديد وقيل

الاساعة كقوله لم يكذبوا أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها (ورأيه الموت من كل مكان) أي أسباب الموت من كل جهة أو من كل مكان من جسده وهذا انظيغ لما يصيبه من الآلام أي لو كان ثمه موت لكان كل واحد منها مهلكا (وما هو بميت) لأنه لو مات لاستراح (ومن ورائه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) أي في كل وقت يستقبله بتلقى عذاب أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وجسها في الاجساد هو

(مثل الذين) متبداً محذوف الخبر أي فيما يتلى عليكم مثل الذين (كفروا برهم) والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابية وقوله (أعمالهم كرماد) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد (اشتدت به الريح) الريح مدني (في يوم عاصف) جعل العصف ليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك يوم ما طر وأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلاة الأرحام وعتق الرقاب وفداء الأسرى وعتق الأبل للضياف وغير ذلك شبهها في حبوطها لبنائها على غير أساس وهو الإيمان بالله (٧٩) تعالى بر ما طيرته الريح العاصف

(لا يقدر) يوم القيامة
(عما كسبوا) من أعمالهم
(على شيء) أي لا يرون له
أثر من ثواب كما لا يقدر
من الرماد المطير في الريح
على شيء (ذلك هو الضلال
البعيد) إشارة إلى بعد
ضلالهم عن طريق الحق
أو عن الثواب (ألم تر) ألم
تعمل الخطاب لكل أحد
(أن الله خلق السموات
والأرض) خالق مضافاً
جزءه على (بالحق) بالحكمة
والامر العظيم ولم يخلقهما
عبثاً (ان يشأ يذهبكم
ويأت بخلق جديد) أي
هو قادر على أن يعدم الناس
ويخلق مكانهم خلقاً آخر
على شكائهم أو على خلاف
شكائهم اعلاماً بأنه قادر
على اعدام الموجود وابتعاد
المعدوم (وما ذلك على الله
بعزيز) بتعذر (وبرزوا
لله جميعاً) ويرزون يوم
القيامة وانما جيء به بلفظ
الماضي لان ما أخبر به عز
وجل اصدقه كأنه قد كان
ووجد ونحوه ونادي
أصحاب الجنة ونادي أصحاب
النار وغير ذلك ومعنى

هو الخلود في النار ﴿قوله تعالى﴾ (مثل الذين كفروا برهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) هذا كلام مستأنف منقطع عما قبله وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سبويه تقديره فيما نقص أو فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة التي فيها غرابية وقوله أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقال أعمالهم كرماد وقال المفسرون والفراء مثل أعمال الذين كفروا برهم خذف المضاف اعتماداً على ما ذكره بعد المضاف اليه وقيل يحتمل أن يكون المعنى صفة الذين كفروا برهم أعمالهم كرماد كقولك في صفة زيد عرضة مصون وماله مبذول والرماد معروف وهو ما يسقط من الخطب والفحم بعد احراقه بالنار اشتدت به الريح يعني فسفتها وطيرته ولم تبق منه شيئاً في يوم عاصف وصف اليوم بالعصف والعصف من صفة الريح لان الريح تكون فيه كقولك يوم بارد وحر وليله ماطرة لان البرد والحر والمطر توجد فيهما وقيل معناه في يوم عاصف الريح خذف الريح لانه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضرب به الله تعالى لأعمال الكفار التي لم ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الاعمال هو ان الريح العاصف تطير الرماد وتذهب به وتفرق أجزاء بحيث لا يبقى منها شيء وكذلك أعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى منها شيء ثم اختلفوا في هذه الاعمال ما هي فقيل هي ما عملوه من أعمال الخير في حال الكفر كالصدقة وصلة الأرحام وفك الأسير وقرى الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من أعمال البر والصلاح فهذه الاعمال وان كانت أعمالاً ولكنها لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لان كفره أحبطها وأبطلها كما هو قيل المراد بالاعمال عبادتهم الاصنام التي ظنوا أنها تنفعهم فبطلت وحبطت ولم تنفعهم البتة ووجه خسرتهم أنهم اتبعوا أبدانهم في الدهر الطويل لكي ينتفعوا بها فصارت وبالاعمالهم وقيل أراد بالاعمال الاعمال التي عملوها في الدنيا وأشركوا فيها غير الله فانها لا تنفعهم لانها صارت كالرماد الذي ذرته الريح وصار هباءً لا ينتفع به وهو قوله تعالى (لا يقدر) (عما كسبوا) يعني في الدنيا (على شيء) يعني من تلك الاعمال والمعنى أنهم لا يجدون ثواب أعمالهم في الآخرة (ذلك هو الضلال البعيد) يعني ذلك الخسران الكبير لان أعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجع عودها والبعيد هنا الذي لا يرجع عوده (ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق) يعني لم يخلقهما باطلاً ولا عبثاً وانما خلقهما لامر عظيم وغرض صحيح (ان يشأ يذهبكم) يعني أيها الناس (ويأت بخلق جديد) يعني سواكم أطوع لله منكم والمعنى ان الذي قدر على خلق السموات والأرض قادر على افناء قوم وامانتهم وابتعاد خلق آخر سواهم لان القادر لا يصعب عليه شيء قيل هذا خطاب لكفار مكة يريد بمتكم الكفار ويخلق قوماً غيركم خيراً منكم وأطوع (وما ذلك على الله بعزيز) يعني بعمتة لان الأشياء كلها سهلة على الله وان جلت وعظمت ﴿قوله عز وجل﴾ (وبرزوا لله جميعاً) يعني وخرجوا من قبورهم الى الله ليحاسبهم ويجازيهم على قدر أعمالهم والبراز القضاء وبرز حصل في البراز وذلك ان يظهر بذاته كلها والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا الى القضاء وأورد بلفظ الماضي وان كان معناه الاستقبال لان كل ما أخبر الله عنه فهو حق وصدق وكان لا محالة فصارت كأنه قد حصل ودخل في الوجود (فقال الضعفاء) يعني الاتباع (لذين استكبروا) وهم القادة والرؤساء (انا كنا لكم نبعا) يعني في الدين

روزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرزه انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا ان الله لا تخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا للحساب الله وحكمه (فقال الضعفاء) في الرأي وهم السفلة والاتباع وكتب الضعفاء بواو قبل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو (لذين استكبروا) وهم السادة والرؤساء الذين استغفروهم وصدوهم عن الاستماع الى انبياء واتباعهم (انا كنا لكم نبعا) تابعين جمع تابع على تبع تكاد وخدم وغائب أو ذوى تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعاً

(فهل أتم مضمون عذاب الله من شيء) فهل تقدررون على دفع شيء مما نحن فيعمون من الأولى للتبيين والثانية للتبعض كأنه قيل فهل أتم مضمون عذاب الله الذي هو عذاب الله أو هما للتبعض أي فهل أتم مضمون عذاب الله هو بعض عذاب الله ولما كان قول الضعفاء توبيخاً لهم وعتاباً على استغوائهم لأنهم علموا أنهم لا يتقدرون على الإغناء عنهم (قالوا) لم نجيبين معتذرين (لوهدانا الله هدينا كم) أي لوهدانا الله إلى الإيمان في الدنيا هدينا كم إليه أي لوهدانا الله طريق النجاة من العذاب هدينا كم أي لا غيبنا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة (سواء علينا جزعنا أم صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية روي أنهم يقولون في النار نعالوا ونجزع فيجزعون خمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون نعالوا نصبر فيصبرون خمائة عام فلا ينفعهم الصبر ثم يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا وانصأله بما قبله من (٨٠) حيث إن عتابهم لم يكن جزعاً لهم فيه ففأوالوا لهم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون

والاعتقاد (فهل أتم) يعني في هذا اليوم (مضمون عذاب الله من شيء) من هنا للتبعض والمعنى هل تقدررون على أن تدفعوا عذاب الله الذي حل بنا (قالوا) يعني الرؤساء والقادة والمتبوعون للتابعين (لوهدانا الله هدينا كم) يعني لو أُرشدنا الله لأرشدناكم وودعوناكم إلى الهدى ولكن لما أضلادعوناكم إلى الضلالة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) يعني مستويان علينا الجزع والصبر والجزع أبلغ من الحزن لأنه بصرف الإنسان عما هو بعدده ويقطعه عنه (مالنا من محيص) يعني من مهرب ولا منجاة مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون في النار نعالوا ونجزع فيجزعون خمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون نعالوا نصبر فيصبرون خمائة عام فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص وقال محمد بن كعب القرظي بلغني أن أهل النار يستغيثون بالخزنة كما قال الله وقال الذين في النار خزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يومئذ من العذاب فردت الخزنة عليهم وقالوا ألم نك تأتكم رسالتكم بالبينات قالوا بلى فردت الخزنة وقالوا ادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال فلما يسوا عما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقتض علينا ربك سألوا الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوماً واليوم كالف سنة مما تعدون ثم يجيبهم بقوله انكم ما كنتم تعلمون فلما يسوا عما عنده قال بعضهم لبعض نعالوا فلنصبر كما صبر أهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا فصبروا واطال صبرهم فلم ينفعهم وجزعوا فلم ينفعهم فعند ذلك قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص (وقال الشيطان) يعني إبليس (لما قضى الأمر) يعني لما فرغ منه وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يقوم عند ذلك خطيباً على منبر من نار فيقول لأهل النار (إن الله وعدهم وعده الحق) وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفى لهم بما وعدكم (ووعدهم) بأن لا يبعث ولا حساب ولا جزاء (فاخلفتم) كذبتمكم (وما كان لي عليكم من سلطان) من تسلط واقتدار (الآن دعوتكم) لكني دعوتكم إلى الضلالة بوسوسة وتزيين والاستثناء منقطع لأن الدعاء ليس من جنس السلطان (فاستجبت لي) فامر عثم اجابني (فلاتلوموني) لأن من تجرد للعداوة لا يلام إذا دعاه إلى أمر فيبيح مع أن الرحمن قد قال لكم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبو بكر من الجنة (ولو موأ أنفسكم) حيث أتبعوني بلا حجة ولا برهان وقول المعتزلة هذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله إلا التمكين ولما من الشيطان إلا التزيين باطل لقوله لوهدانا الله أي إلى الإيمان هديناكم كما أمر (مأنا بمصرخكم) لا ينبغي بعضنا بعضاً من عذاب الله ولا يفينه والأصراخ الإغاثة بمصرخي حزمة أتباع الخفاء غيره بفتح الياء لثلاث جمع الكسرة والياء أن بعد كسرتين وهو جمع مصرخ فالياء الأولى الجمع والثانية ضمير المتكلم (إني كفرت بما أشركتكمون) أي كفرت بما أشركتكمون (من قبل) متعلق بأشركتكمون أي كفرت اليوم بما أشركتكمون

أنفسهم وإياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر (مالنا من محيص) منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعاً (وقال الشيطان لما قضى الأمر) حكم بالجنة والنار لأهلها وقرع من الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يقوم عند ذلك خطيباً على منبر من نار فيقول لأهل النار (إن الله وعدهم وعده الحق) وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفى لهم بما وعدكم (ووعدهم) بأن لا يبعث ولا حساب ولا جزاء (فاخلفتم) كذبتمكم (وما كان لي عليكم من سلطان) من تسلط واقتدار (الآن دعوتكم) لكني دعوتكم إلى الضلالة بوسوسة وتزيين والاستثناء منقطع لأن الدعاء ليس من جنس السلطان (فاستجبت لي) فامر عثم اجابني (فلاتلوموني) لأن من تجرد للعداوة لا يلام إذا دعاه إلى أمر فيبيح مع أن الرحمن قد قال لكم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبو بكر من الجنة (ولو موأ أنفسكم) حيث أتبعوني بلا حجة ولا برهان وقول المعتزلة هذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله إلا التمكين ولما من الشيطان إلا التزيين باطل لقوله لوهدانا الله أي إلى الإيمان هديناكم كما أمر (مأنا بمصرخكم) لا ينبغي بعضنا بعضاً من عذاب الله ولا يفينه والأصراخ الإغاثة بمصرخي حزمة أتباع الخفاء غيره بفتح الياء لثلاث جمع الكسرة والياء أن بعد كسرتين وهو جمع مصرخ فالياء الأولى الجمع والثانية ضمير المتكلم (إني كفرت بما أشركتكمون) أي كفرت بما أشركتكمون (من قبل) متعلق بأشركتكمون أي كفرت اليوم بما أشركتكمون

كفرت
سلطان) من تسلط واقتدار (الآن دعوتكم) لكني دعوتكم إلى الضلالة بوسوسة وتزيين والاستثناء منقطع لأن الدعاء ليس من جنس السلطان (فاستجبت لي) فامر عثم اجابني (فلاتلوموني) لأن من تجرد للعداوة لا يلام إذا دعاه إلى أمر فيبيح مع أن الرحمن قد قال لكم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبو بكر من الجنة (ولو موأ أنفسكم) حيث أتبعوني بلا حجة ولا برهان وقول المعتزلة هذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله إلا التمكين ولما من الشيطان إلا التزيين باطل لقوله لوهدانا الله أي إلى الإيمان هديناكم كما أمر (مأنا بمصرخكم) لا ينبغي بعضنا بعضاً من عذاب الله ولا يفينه والأصراخ الإغاثة بمصرخي حزمة أتباع الخفاء غيره بفتح الياء لثلاث جمع الكسرة والياء أن بعد كسرتين وهو جمع مصرخ فالياء الأولى الجمع والثانية ضمير المتكلم (إني كفرت بما أشركتكمون) أي كفرت بما أشركتكمون (من قبل) متعلق بأشركتكمون أي كفرت اليوم بما أشركتكمون

الله من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باسرا كهم اياه تبرؤ منه واستنكاره له كقوله
انار آمنتكم وما تعبدون من دون الله ككفرنا بكم اومن قبل متعلق بكفرت وما موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي
شركتمونه وهر الله عز وجل تقول أشركني فلان أي جعلني له شريكا ومعنى (٨١) اشرا كهم الشيطان بالله طاعتهم له

فيما كان بزينة لهم من عبادة
الاوثان وهذا آخر قول
الشيطان وقوله (ان الظالمين
لهم عذاب أليم) قول الله
عز وجل وقيل هو من تمام
كلام ابليس وانما حكي
الله عز وجل ما سيقوله في
ذلك الوقت ليكون لطفا
للسامعين (وأدخل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها
الانهار خالدون فيها) عطف
على برزوا (بأذن ربهم)
متعلق بادخل أي أدخلتهم
الملائكة الجنة بأذن الله
وأمره (تحتهم فيها سلام)
هو تسليم بعضهم على بعض
في الجنة وتسلم الملائكة
عليهم (ألم تر كيف ضرب
الله مثلا) أي وصفه وبينه
(كلمة طيبة) نصب بمضمر
أي جعل كلمة طيبة (كشجرة
طيبة) وهو تفسير لقوله
ضرب الله مثلا نحو شرف
الامير زيدا كسأه حلة
وحمله على فرس أو اتصب
مثلا وكلمة بضرب أي ضرب
كلمة طيبة مثلا يعني جعلها
مثلا ثم قال كشجرة طيبة
على أنها خبر مبتدأ محذوف
أي هي كشجرة طيبة

كفرت بجعلكم اياي شريكا له في عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى ان ابليس سجده ما يعتقد الكفار فيه من
كونه شريكا لله وتبرأت من ذلك (ان الظالمين لهم عذاب أليم) روى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر عن
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة وذكر الحديث الى قوله فيأتوني فيأذن الله لي ان أقوم فيثور من
مجلسي أطيب ريح شمسها أحد حتى آتي ربي فيشفعني ويجعل لي نورا من شعر رأسي الى ظهر قدمي ثم يقول
الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ما هو غير ابليس هو الذي أضلنا فيأتونه
فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فانك أنت أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه
أنتن ريح شمسها أحد ثم تعظم جهنم ويقول عند ذلك ان الله وعدكم وعد الحق الآية ﴿وقوله تعالى﴾ (وأدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) لما شرح الله عز وجل حال الكفار والاشقياء
بما تقدم من الآيات الكثيرة شرح أحوال المؤمنين السعداء وما أعد لهم في الآخرة من الثواب العظيم والاجر
الجزيل وذلك ان الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم والمنفعة الخاصة اليها الاشارة بقوله وأدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار وكونها دائمة أشير اليه بقوله (خالدون فيها)
والتعظيم حصل من وجهين أحدهما قوله (بأذن ربهم) لان تلك المنافع انما كانت تفضلا من الله بانعامه
الثاني قوله (تحتهم فيها سلام) فيحتمل ان بعضهم يحكي بعضها هذه الكلمة أو الملائكة تحييهم بها أو الرب
سبحانه وتعالى يحييهم بها ويحتمل أن يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الآفات لان السلام
مشتق من السلامة ﴿وقوله عز وجل﴾ (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) لما شرح الله عز وجل أحوال الاشقياء
وأحوال السعداء ضرب مثلا فيه حكم هذين القسمين فقال تعالى ألم ترأي بعين قلبك فتعلم علم يقين
باعلامي اياك فعلى هذا يحتمل أن يكون الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره فيه ويحتمل
أن يكون الخطاب فيه لكل فرد من الناس فيكون المعنى ألم ترأيها الانسان كيف ضرب الله مثلا يعني بين
شبهها والمثل عبارة عن قول في شيء يشبهه قول في شيء آخر بينهما مشابهة ليقين أحدهما من الآخر ويتصور
وقيل هو قول سائر لتشبيه شيء بشيء آخر (كلمة طيبة) هي قول لا اله الا الله في قول ابن عباس وجهور المفسرين
(كشجرة طيبة) يعني كشجرة طيبة الثمر قال ابن عباس هي النخلة وبه قال ابن مسعود وأنس ومجاهد
وعكرمة والضحاك (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
أخبروني عن شجرة شبه الرجل أو قال كالرجل المسلم لا يتحات ورقها توتى أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع
في نفسي انها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقلوا شيئا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هي النخلة قال فلما تناقلا لعمري آتاه الله لقد كان وقع في نفسي انها النخلة فقال ما منعك
ان تتكلم فقلت لم أركم تتكلمون فكرهت ان أتكلم أو أقول شيئا فقال عمر لان تكون قلتها أحب الي
من كذا وكذا وفي رواية أن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم خدثوني ما هي فوقع
الناس في شجر البوادي قال عبد الله بن عمر ووقع في نفسي انها النخلة فاستحييت أن أتكلم ثم قالوا حدثنا
ما هي يا رسول الله قال هي النخلة وفي رواية عن ابن عباس انها شجرة في الجنة وفي رواية أخرى عنه انها
المؤمن ﴿وقوله﴾ (أصلها ثابت) يعني في الارض (وفرعها) يعني أعلاها (في السماء) يعني ذاهبة في السماء

(١١ - (خازن) ثالث) (أصلها ثابت) أي في الارض ضارب بعروقها فيها (وفرعها) وأعلاها ورأسها (في السماء) والكلمة الطيبة كلمة
لتوحيد أصلها تصديق بالجنان وفرعها اقرار باللسان وأكلها عمل الاركان وكان الشجرة شجرة وان لم تكن حاملا للمؤمن مؤمن وان
يمكن عاملا ولكن الاشجار لا تواد الا للثمار فاقوات النار الامن الاشجار اذا اعتادت الاخفار في عهد الامار والشجرة كل شجرة
شجرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك والجمهور على انها النخلة فعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان

الله تعالى طرب مثل المؤمن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنتم صبيبا فوقع في قلبي أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقولها (٨٢) وأنا صغر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنها النخلة فقال عمر يا بني لو كنت

(توثق أكلها) يعني ثمرها (كل حين باذن ربها) يعني بامر ربها والحين في اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا في مقداره ههنا فقال مجاهد وعكرمة الحين هنا سنة كاملة لان النخلة تثمر في كل سنة مرة واحدة وقال سعيد بن جبيرة وقادة والحسن ستة أشهر يعني من وقت طلوعها الى حين صرامها وروى ذلك عن ابن عباس أيضا وقال علي بن أبي طالب نمانية أشهر يعني ان مدة حملها باطنها وظاهرها نمانية أشهر وقيل أربعة أشهر من حين ظهور حملها الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهر ان يعني من وقت أن يؤكل منها الى صرامها وقال الربيع بن أنس كل حين يعني غدوة وعشية لان ثمر النخل يؤكل أبدأ ليلا ونهارا وصيفا وشتاء فيؤكل منها الجمار والطلع والبلح والحلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس الى حين الطرى الرطب فاكلها دأتم في كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة في تمثيل هذه الكلمة التي هي كلمة الاخلاص وأصل الايمان بالنخلة حاصل من أوجه أحدها ان كلمة الاخلاص شديدة الثبوت في قاب المؤمن كشبوت أصل النخلة في الارض الوجه الثاني ان هذه الكلمة ترفع عمل المؤمن الى السماء كما قال تعالى اليه يصعد الكام الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع النخلة الذي هو عال في السماء الوجه الثالث ان ثمر النخلة يأتي في كل حين ووقت وكذلك ما يكسبه المؤمن من الاعمال الصالحة في كل وقت وحين يركب هذه الكلمة فالمؤمن كلما قال لا اله الا الله صعدت الى السماء وجاءته بركتها وثوابها وخيرها ومنفعتها الوجه الرابع ان النخلة شبيهة بالانسان في غالب الامر لانها خلقت من فضلة طينة آدم وانها اذا قطع رأسها تموت كالآدمي بخلاف سائر الشجر فانه اذا قطع نبت وانها لا تحمل حتى تلقح بطلع الذكر الوجه الخامس في وجه الحكمة في تمثيل الايمان بالشجر على الاطلاق لان الشجرة لا تسمى شجرة الا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل ثابت وفرع قائم وكذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان وقوله سبحانه وتعالى (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) يعني ان في ضرب الامثال زيادة في الافهام وتصوير الالهام في وتد كبيراً ومواعظ لمن تذكر واتعظ وقوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة) وهو الشرك (كشجرة خبيثة) يعني الخنظل قاله أنس بن مالك ومجاهد وفي رواية عن ابن عباس انها الكشوث وعنه أيضاً انها الثوم وعنه أيضاً انها الكافر لانه لا يقبل عمله فليس له أصل ثابت ولا يصعد الى السماء (اجتثت) يعني استوصلت وقطعت (من فوق الارض ما لها من قرار) يعني ما لهذه الشجرة من ثبات في الارض لانها ليس لها أصل ثابت في الارض ولا فرع صاعد الى السماء كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح ولا الاعتقاد أصل ثابت فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة عن أنس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصابها ثبات وفرعها في السماء توثق أكلها كل حين باذن ربها قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار قال هي الخنظة أخرجه الترمذي مرفوعاً وموقوفاً وقال الموقوف أصح وقوله سبحانه وتعالى (ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) لما وصف الله الكلمة الطيبة في الآية المنقمة أخيراً في هذه الآية انه ثبت الذين آمنوا بالقول الثابت والقول الثابت هي الكلمة الطيبة وهي شهادة أن لا اله الا الله في قول جمهور المفسرين ولما وصف الكلمة الخبيثة في الآية المنقمة بكلمة الشرك قال في هذه الآية ويضل الله الظالمين يعني بالكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك في قول جميع المفسرين وقوله (في الحيوة الدنيا) يعني في القبر عند السؤال (وفي الآخرة) يعني يوم

قلتها لكانت أحب الي من حر النعم (توثق أكلها كل حين) تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لا يمارها (باذن ربها) بتيسيرنا لقلها وتكويته (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتد كبير وتصوير للمعاني (ومثل كلمة خبيثة) هي كلمة الكفر (كشجرة خبيثة) هي كل شجرة لا يطيب ثمرها وفي الحديث انها شجرة الخنظل (اجتثت من فوق الارض) استوصلت جنتها وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها وهو في مقابلة أصلها ثابت (ما لها من قرار) أي استقرار يقال قرار الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت (ثبت الله الذين آمنوا) أي يديمهم عليه (بالقول الثابت) هو قول لا اله الا الله محمد رسول الله (في الحيوة الدنيا) حتى اذا فتنوا في دينهم لم يزوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الاخدود وغير ذلك (وفي الآخرة) الجمهور على ان المراد به في القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب

فمن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول رب في الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ثم يقول الملك ان عشت سعيدا امت جيداً ثم نومة العروس

القيامة عند البعث والحساب وهذا القول واضح ويدل عليه ما روى عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المسلم اذا سئل في القبر يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال نزلت في عذاب القبر زاد في رواية يقال له من ربك فيقول ربى الله ونبي محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه البخارى ومسلم (ق) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فاما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار أبدا لك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة ذكر لنا انه يفسح له في قبره ثم يرجع الى حديث أنس وأما المنافق وفي رواية وأما الكافر فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا نليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعه من يليه الا الثقلين لفظ البخارى ومسلم عنها زاد في رواية انه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملا عليه خضرا الى يوم يبعثون وأخرجه أبو داود عن أنس قال وهذا الفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا وضع في قبره أتاه ملك فيقول ما كنت تعبد فان هداه الله قال كنت أعبد الله فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فلا يستل عن شئ بعدها فينطلق به الى بيت كان له في النار فيقال له هذا كان مقعدك ولكن عصمك الله فأبدلك به بيتا في الجنة فيراه فيقول دعوني حتى أذهب فأبشر أهلى فيقال له اسكن وان الكافر والمنافق اذا وضع في قبره أتاه ملك فينهضه فيقول ما كنت تعبد فيقول لا أدري فيقال له لا دريت ولا نليت فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت أقول ما يقول الناس فيه فيضرب به بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعه الخلق غير الثقلين وأخرجه النسائي أيضا عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبر الميت أو قال اذا قبر أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لاحدهما المنكر وللاخر الكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت أقول هو عبد الله ورسوله أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له ثم فيقول ارجع الى أهلى فأخبرهم فيقولان ثم كنومة العروس الذى لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثلهم لا أدري فيقولان قد كنا نعلم انك كنت تقول ذلك فيقال للارض التثمي عليه فتلتم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك أخرجه الترمذى عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فأتته الى القبر ولما يلحد بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير ويده عود ينكت به في الارض فرفع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا زاد في رواية وقال ان الميت ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حين يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك وفي رواية يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول الله ربى فيقولان له وما دينك فيقول دينى الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت زاد في رواية فذلك قوله ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم لقناه قال فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فأفرشوا له من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيأتيه من ربه وطيبها ويفسح له في قبره مدبصره وان كان الكافر قد كرمته قال فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك

(ويجعل الله ما يشاء) فلا
اعتراض عليه في تثبيت
المؤمنين واضلال الظالمين
(ألم تر الى الذين بدلوا نعمت
الله) أي شكر نعمته الله
(كفرا) لان شكرها
الذي وجب عليهم وضعوا
مكانه كفرا فكانهم غيروا
الشكر الى الكفر وبدلوه
تبدلوا وهم أهل مكة
أكرمهم بمحمد عليه
السلام فكفروا نعمته الله
بدل ما لزمهم من الشكر
(وأحلوا قومهم) الذين
تابعوهم على الكفر (دار
البوار) دار الهلاك
(جهنم) عطف بيان
(بصلونها) بدخلونها
(وبشس القرار) وبشس
المقر جهنم (وجعلوا الله
أندادا) أمثالا في العبادة
أو في التسمية (ليضلوا عن
سبيله) وبتفتح الياء مكى
وأبو عمرو (قل تمتعوا) في
الدنيا والمراد به الخذلان
والثخالية وقال ذو النون
التمتع ان يقضى العبد
ما استطاع من شهوته (فان
مصيركم الى النار) مرجعكم
اليها (قل لعبادي الذين
آمنوا) خصهم بالاضافة اليه
تشريفا وبكون الياء
شاميا وحزة وعلى والاعشى
(يقيموا الصلاة وينفقوا

فيقول هاهاه لا أدري فيقولان ما دينك فيقول هاهاه لا أدري فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم
فيقول هاهاه لا أدري فينادي مناد من السماء ان قد كذب عبدي فافر شواله من النار والبسوه من النار
واقترحوا بها بالي النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاله زاد في رواية ثم
يقضي له أسمى أبكم أصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبالا لصارت ابا فيضربه بها ضربة يسمعها من بين
المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح أخرجه أبو داود عن عثمان بن عفان قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفر والاخيكم واسألو الله التثبيت فانه الآن
يستل أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن عاتمة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت فبكي
بكاء طويلا وحول وجهه الى الجدار وجعل ابنه يقول ما يبكيك يا ابتاه أما بشرك رسول الله صلى الله عليه
وسلم بكذا وكذا فأقبل بوجهه وقال ان أفضل ما نعد شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقد
الحديث بطوله وفيه فاذا أنامت فلا تصحبنى نائمة ولا نار فاذا دفتنموني فشنوا على التراب شنائم أقبحوا حول
قبري قدر ما تخرج روري ويقسم لهما حتى أستانس بكم وأنظر ماذا اراجع به رسل ربي أخرجه مسلم زيادة
طويلة فيه قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو أن الله تعالى انما يشتمهم في القبر بسبب كثرة مواظبتهم
على شهادة الحق في الحياة الدنيا وحبهم لها فن كانت مواظبتهم على شهادة الاخلاص أكثر كان رسوخها في
قلبه أعظم فينبغي للعبد المسلم أن يكثر من قول لا اله الا الله محمد رسول الله في جميع حالاته من قيامه وقعوده
ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكناته فلعن الله عز وجل أن يرزقه بركة مواظبته على شهادة الاخلاص
التثبيت في القبر ويسهل عليه جواب الملكين بما فيه خلاصه من عذاب الآخرة نسأل الله التثبيت في القبر
وحسن الجواب وتسهيله بفضله ومنه وكرمه واحسانه انه على كل شيء قدير ﴿ وقوله تعالى (ويضل الله
الظالمين) يعني أن الله تعالى لا يهدي المشركين الى الجواب بالصواب في القبر (ويجعل الله ما يشاء) يعني من
التوفيق والخذلان والطداية والاضلال والتثبيت وتركه لا اعتراض عليه في جميع أفعاله لا يستل عما يفعل
وهم يستلونك قوله عز وجل (ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا) ﴿ (سخ) عن ابن عباس في قوله ألم تر الى
الذين بدلوا نعمت الله كفرا قال هم كفار مكة وفي رواية قال هم والله كفار قريش قال عمرهم قريش ونعمة
الله هو محمد صلى الله عليه وسلم (وأحلوا قومهم دار البوار) قال النار يوم بدر وعن علي رضي الله عنه قال هم
كفار قريش فجر يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الاجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية
أما بنو المغيرة فقد كفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فقد تمتعوا الى حين فقوله بدلوا نعمت الله كفر امعناه ان
الله تعالى لما أنعم على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فارسله اليهم وأنزل عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات
الكفر الى نور الايمان اختاروا الكفر على الايمان وغيروا نعمته الله عليهم وقيل يجوز أن يكون بدلوا شكر
نعمته الله عليهم كفرا لانهم لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة أتوا بالكفر فكانهم غيروا الشكر
وبدلوه بالكفر وأحلوا قومهم يعني من تبعهم على دينهم وكفرهم دار البوار يعني دار الهلاك ثم فسرها
بقوله تعالى (جهنم بصلونها وبشس القرار) يعني المستقر (وجعلوا الله أندادا) يعني أمثالا وأشباها من
الاصنام وليس لله تعالى ند ولا شبه ولا مثيل تعالى الله عن النسو الشبيه والمثيل علوا كبيرا (ليضلوا عن سبيله)
يعني ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق (قل تمتعوا) أي قل يا محمد طولاء الكفار تمتعوا في الدنيا
أياما قلائل (فان مصيركم الى النار) يعني في الآخرة ﴿ قوله تعالى (قل لعبادي الذين آمنوا بيمينوا الصلاة)
يعني أقيموا وليقيموا الصلاة الواجبة واقامتها تمام أركانها (وينفقوا مما رزقناهم) قيل أراد بهما

عمار زقناهم) المقول محذوف لان قل تقتضى مقولا وهو أقبحوا وتقديره قل لهم أقيموا الصلاة وأنفقوا بيمينوا الصلاة الانفاق
وينفقوا وقيل انه أمر وهو المقول والتقدير ليقموا وينفقوا الحذف اللام لانه لقل عليهم ولو قيل بيمينوا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام

بجز (سراوعلائية) اتصبا على الحال أي ذوى سراوعلائية يعنى مسرين ومعلنين أو على الظرف أي وقتى سراوعلائية أو على المصدر أي انفاق سراوانفاق علائية والمعنى اخفاء التطوع وعلان الواجب (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه (٨٥) ولا حلال) أي لا انتفاع فيه بما يهتبه

ولا مخالفة والحلال المخالفة وإنما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله بفتحهم أمكى وبصرى والباقون بالرفع والتوين (الله) مبتدأ (الذى خلق السموات والارض) خبره (وأزل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو ثمرات أو من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حال من المفعول (وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) دائبين وهو حال من الشمس والقمر أي بدأبان فى سيرهما وانارتهم اودرهم الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلفه لمعاشكم وسبابكم (وأنا كم من كل ما سألتوه) من التبويض أي أنا كم بعض جميع ما سألتوه أو وأنا كم من كل شئ سألتوه وما لم تسألوه فما موصولة والجملة صفة لها وحذفت الجملة الثانية لان الباقي يدل على المحذوف كقوله سراييل نقيمكم الحر من كل عن أبي

الانفاق اخراج الزكاة الواجبة وقيل أراد به جميع الانفاق فى جميع وجوده الخير والبر وحمله على العموم أولى ليدخل فيه اخراج الزكاة والانفاق فى جميع وجوده البر (سراوعلائية) يعنى ينفقون أموالهم فى حال السر وحال العلانية وقيل أراد بالسراوة التطوع وبالعلانية اخراج الزكاة الواجبة (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه) قال أبو عبيدة البيع هنا الفداء يعنى لافداء فى ذلك اليوم (ولا حلال) يعنى ولا خلة وهى المودة والصداقة التى تسكون مخالفة بين اثنين وقال مقاتل إنما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخالفة ولا قرابة إنما هى الاعمال امان يثاب بها أو يعاقب عليها فان قلت كيف نفي الخلة فى هذه الآية وفى الآية التى فى سورة البقرة وأثبتها فى قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا للمتقين قلت الآية الدالة على نفي الخلة محمولة على نفي الخلة الحاصلة بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس والآية الدالة على حصول الخلة وثبوتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله الأتراء أثبتهم للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم وقيل ان ليوم القيامة احوالا مختلفة فى بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفى بعضها يتعاطف الاخلاء بعضهم على بعض اذا كانت تلك المخالفة فى محبة الله قوله عز وجل (الله الذى خلق السموات والارض وأزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) اعلم أنه تقدم تفسير هذه الآية فى مواضع كثيرة ونذ كرهننا بعض قوائده هذه الآية الدالة على وجود الصانع المختار القادر والذى لا يجهز شئ إلا بأمره فقولته تعالى الله الذى خلق السموات والارض إنما بدأ بذ كر خلق السموات والارض لانهما أعظم المخلوقات المشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وأزل من السماء ماء يعنى من السحاب سمي السحاب سماء لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض فأخرج به أى بذلك الماء من الثمرات رزقا لكم والثمر اسم يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع أيضا بدليل قوله كما ومن ثمره اذا أثمروا آتوا حقه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو الثمرات (وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره) لما ذكر الله سبحانه وتعالى انعامه بانزال المطر واخراج الثمر لاجل الرزق والانتفاع به ذ كر نعمته على عباده بتسخير السفن الجارية على الماء لاجل الانتفاع بها فى جلب ذلك الرزق الذى هو الثمرات وغيرها من بلد الى بلد آخر فهى من تمام نعمة الله على عباده (وسخر لكم الأنهار) يعنى ذلك الماء الذى تجرى منها حيث شئتم ولما كان ماء البحر لا ينتفع به فى سقى الزرع والثمرات ولا فى الشرب أيضا ذ كر نعمته على عباده فى تسخير الأنهار وتفجير العيون لاجل هذه الحاجة فهو من أعظم نعم الله على عباده (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) الدأب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة ودأب فى السير داوم عليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر يجريان دائما فيما يعود الى مصالح العباد لا يفتران الى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس ذرؤها فى طاعة الله عز وجل وقال بعضهم معناه بدأبان فى طاعة الله أى فى سير عمارة وتأثيرهما فى ازالة الظلمة واصلاح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانعامه على عباده وتسخيرهم (وسخر لكم الليل والنهار) يعنى يتعاقبان فى الضياء والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من انعام الله على عباده وتسخيرهم (وأنا كم من كل ما سألتوه) لما ذكر الله سبحانه وتعالى النعم العظام التى أنعم الله بها على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل أعطى عباده من المنافع والمرادات ما لا يأتى على بعضها العدو والحصر والمعنى وأنا كم من كل ما سألتوه شيا كتحذف شيئا كتحذف بدلالة الكلام على التبويض وقيل هو

عمر وما سألتوه نفي وحمله نصب على الحال أى أنا كم من جميع ذلك غير سائلين أو ما موصولة أى وأنا كم من كل ذلك ما احتجتم اليه فكانكم سائلتموه أو طلبتموه بلسان الحال

(وان تعدوا نعمت الله
 لا تحصوها) لا تطبقوا راعدها
 وبلوغ آخرها هذا اذا
 ارادوا أن يعدوها على
 الاجال وأما التفصيل فلا
 يعلمه الا الله (ان الانسان
 لظالم) يظلم النعمة باغفال
 شكرها (كفار) شديد
 الكفران طأ وظلوم في
 الشدة يشكو ويحزع
 كفار في النعمة يجمع
 ويمنع والانسان للجنس
 فيتناول الاخبار بالظلم
 والكفران من يوجدان
 منه (واذ قال ابراهيم)
 واذا كرأذ قال ابراهيم
 (رب اجعل هذا البلد)
 أي البلد الحرام (آمنا) ذا
 أمن والفرق بين هذه
 وبين ما في البقرة انه قد
 سأل فيها أن يجعله من جلة
 البلدان التي يامن أهلها
 وفي الثاني أن يخرجها من
 صفة الخوف الى الامن
 كأنه قال هو بلد مخوف
 فأجعله آمنا (واجنبي)
 وبعدي أي بتنتي وأدني
 على اجتناب عبادتها كما
 قال واجعلنا مسلمين لك
 أي بتتنا على الاسلام
 (ونبي) أراد بنيه من
 صلبه (أن تعبد الاصنام)
 من ان تعبد الاصنام

على التكبير يعني وآنا كم من كل شيء سألتموه وما لم نسالوه لان نعمه علينا أكثر من أن تحصى (وان تعدوا
 نعمت الله لا تحصوها) يعني ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر أحد على حصرها ولا عددها اكثرها
 (ان الانسان) قال ابن عباس يريد أبا جهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصد به الكافر (الظالم
 كفار) يعني ظلم لنفسه كفار بنعمة ربه وقيل الظالم الشاكر لغفر من أنعم عليه فيضع الشكر في غير
 موضعه كفار سجود لنعم الله عليه وقيل يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران طأ وقيل ظلم
 في الشدة يشكو ويحزع كفار في النعمة يجمع ويمنع ﴿ قوله سبحانه وتعالى (واذ قال ابراهيم رب
 اجعل هذا البلد آمنا) يعني ذا أمن يؤمن فيه وأراد بالبلد مكة فان قلت أي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا
 وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا قلت الفرق بينهما انه سأل في الاول أن يجعله من جلة البلاد التي يامن أهلها
 فيها ولا يخافون وسأل في الثاني أن يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن
 كأنه قال هو بلد مخوف فأجعله آمنا (واجنبي وني أن تعبد الاصنام) يعني أبعدي وني أن تعبد
 الاصنام فان قلت قد توجه على هذه الآية اشكالات وهي من وجوه الاول ان ابراهيم دعاه به أن يجعل
 مكة آمنة ثم ان جماعة من الجبابرة وغيرهم قد أغاروا عليها وأخافوا أهلها الوجه الثاني أن الانبياء عليهم
 وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام معصومون من عبادة الاصنام واذا كان كذلك فما الفائدة في قوله
 اجنبي عن عبادتها الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام سأل به أيضا أن يجنب بنيه عن عبادة الاصنام
 وقد وجد كثير من بنيه عبد الاصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينسب الى ابراهيم عليه السلام قلت
 الجواب عن الوجوه المذكورة من وجوه فالجواب عن الوجه الاول من وجهين أحدهما أن ابراهيم عليه
 السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب وهذا موجود بحمد
 الله ولم يقدر أحد على خراب مكة وأورد على هذا ما ورد في الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم تخرب الكعبة ذوا السويقتين من الحبشة أخرجاه في الصحيحين وأجيب عنه بان قوله اجعل
 هذا البلد آمنا يعني الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذى السويقتين فلا تعارض
 بين النصين الوجه الثاني أن يكون المراد اجعل أهل هذا البلد آمنين وهذا الوجه عليه أكثر العلماء من
 المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزيادة الامن في بلدهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله
 ويتخطف الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من ذلك حتى ان من التجأ الى مكة آمن على نفسه وماله من
 ذلك وحتى أن الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فاذا دخلت الحرم أمنت واستأنست
 لعلمها أنه لا يهيجها أحد في الحرم وهذا التمدد من الامن حاصل بحمد الله بمكة وحرمها وأما الجواب عن
 الوجه الثاني فن وجوه أيضا الوجه الاول أن دعاء ابراهيم عليه السلام لنفسه زيادة العصمة والتثبيت فهو
 كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام وان كان يعلم أن الله سبحانه وتعالى
 يعصمه من عبادة الاصنام الا أنه دعا بهذا الدعاء هضم النفس واظهار اللجج والحاجة والفاقة الى فضل الله
 تعالى ورجته وان أحد الا يقدر على نفع نفسه بشيء لم ينفعه الله به فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء وأما
 دعاؤه لبنيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات فالجواب عنه من وجوه الاول أن ابراهيم دعا لبنيه من
 صلبه ولم يعبد أحد منهم صناقط الوجه الثاني انه أراد اولاده وأولاد أولاده الموجودين حالة الدعاء ولا شك
 أن ابراهيم عليه السلام قد أجيب فيهم الوجه الثالث قال الواحدى دعلى أن الله أن يدعو له فكأنه قال
 وني الذين أذنت لي في الدعاء لهم لان دعاء الانبياء مستجاب وقد كان من بنيه من عبد الصنم فعلى هذا
 الوجه يكون هذا الدعاء من العام بخصوص الوجه الرابع ان هذا المختص بالمؤمنين من أولاده والدليل عليه
 أنه قال في آخر الآية فن تبغى فانه منى وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه فليس منه والله أعلم بما أراد وأسرار

كتابه ﴿ وقوله تعالى (رب انهن) يعني الاصنام (أضلن كثيرا من الناس) وهذا مجاز لان الاصنام جادات ونجارة لا تعقل شيئا حتى تضل من عبدها الا أنه لما حصل الاضلال بعبادتها أضيف اليها كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم وانما فتنتوا بها واغتروا بسببها (فن تبغى فانه منى) يعني فن تبغى على ديني واعتقادي فانه منى يعني المتدينين بدين المتسكين بحبلى كما قال الشاعر

اذا حاولت في أسد فجورا * فاني لست منك ولست منى

أراد ولست من المتسكين بحبلى وقيل معناه فانه منى حكمه حكمى جار مجراى فى القرب والاختصاص (ومن عصاني) يعني فى غير الدين (فانك غفور رحيم) قال السدى ومن عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصاني فيما دون الشرك فانك غفور رحيم وشرح أبو بكر بن الانبارى هذا فقال ومن عصاني تخالفنى فى بعض الشرائع وعقائد التوحيد فانك غفور رحيم ان شئت أن تغفر له غفرت اذا كان مسلما وذكر وجهين آخرين أحدهما ان هذا كان قبل أن يعلم الله انه لا يغفر الشرك كما استغفر لابويه وهو يقول ان ذلك غير محظور فلما عرف أنهما غير مغفور لهما تبرأ منهما وما الوجه الآخر ومن عصاني باقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعني انك قادر على أن تغفر له وترجيه بان تنقله من الكفر الى الايمان والاسلام وتهديه الى الصواب ﴿ قوله عز وجل اخبارا عن ابراهيم (ربنا انى أسكنت من ذريتى بوادى غير ذى زرع عند بيتك المحرم) (خ) عن ابن عباس قال أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطلقا لثى أثرها على سارة ثم جاءها ابراهيم وبنها اسمعيل وهى ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم فى أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بهما ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جراب فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم الى أين تذهب وتركننا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شئ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت آله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم فدعا بهذه الدعوات فرفع يديه فقال رب انى أسكنت من ذريتى بوادى غير ذى زرع حتى يبلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا تقدم ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا قرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبات الوادى فنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت منه حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم سمعت فسمعت صوتا أيضا فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تعرف من الماء فى سقاها وهو يفور بعدما تعرف وفى رواية قدما تعرف قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لولم تعرف من الماء لكانت زمزم عيننا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافى الضيعة فان ههنا بيت الله تعالى بينه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء ففتزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فارس لو اجر يا أوجر بين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا تأذنين لنا أن نزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم فى الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك أم اسمعيل وهى تحب الانس

(رب انهن أضلان كثيرا من الناس) جعلن مضلات على طريق التسيب لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن أضلانهم (فن تبغى) على ملئى وكان حنيفا مسلما مثلى (فانه منى) أى هو بعض لقرط اختصاصه بى (ومن عصاني) فيما دون الشرك (فانك غفور رحيم) أو ومن عصاني عصيان شرك فانك غفور رحيم ان تاب وآمن (ربنا انى أسكنت من ذريتى) بعض أولادى وهم اسمعيل ومن ولد منه (بوادى) هو وادى مكة (غير ذى زرع) لا يكون فيه شئ من زرع قط (عند بيتك المحرم) هو بيت اللهسمى به لان الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حراما لكانه أولاده لم يزل يمنعها به كل جبار أولاده محترم عظيم الحرمه لا يحل انتهاكها أولاده حرم على الطوفان أى منع منه كما سمى عتيقا لانه أعتق منه

(ر بنا ليقموا الصلاة)
 اللام متعلقة باسكنت أي
 ما أسكنتهم بهذا الوادي
 البلقع الالقيمو الصلاة
 عند بيتك المحرم ويعمره
 بذكرك وعبادتك
 (فاجعل أفئدة من الناس)
 أفئدة من أفئدة الناس
 ومن للتبويض لاروي
 عن مجاهد لو قال أفئدة
 الناس لزا حتمك عليه فارس
 والروم والترك والهند أو
 للابتداء كقولك القلب
 مني سقيم تريد قلبي فكانه
 قيل أفئدة ناس ونكرت
 المضاف اليه في هذا التمثيل
 لتكبر أفئدة لانها في الآية
 نكرة ليتناول بعض
 الافئدة (تهوى اليهم)
 تسرع اليهم من البلاد
 الشامة وتطير نحوهم
 شوقا (وارزقهم من
 الثمرات) مع سكتاهم
 وادبما فيه شئ منها بان
 تجلب اليهم من البلاد
 الشامة (لعلهم يشكرون)
 النعمة في أن يرزقوا أنواع
 الثمرات في واد ليس فيه
 شجر ولا ماء (ر بنا)
 النداء المكرر دليل
 التضرع واللجأ الى الله
 (انك تعلم ما تخفي وما نعلن)
 تعلم السر كما تعلم العان

فنزلا وأرسلوا الى أهلهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربيتهم
 وأنسهم وأعجبهم حين شب فلما أفرق زوجته بامرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج
 اسمعيل بطالع تركته أخرجه البخاري باطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله في تفسير سورة البقرة وأما
 تفسير الآية فقوله ر بنا اني أسكنت من ذريتي من للتبويض أي بعض ذريتي وهو اسمعيل عليه السلام
 بواد غير ذي زرع يعني ايس فيه زرع لانه وادي بين جبلين جبل أبي قبيس وجبل اجياد وهو وادي مكة عند
 بيتك المحرم سماه محرما لانه يحترم عنده ما لا يحترم عند غيره وقيل لان الله حرمه على الجبابرة فلم ينالوه بسوء
 وحرم التعرض له والنهاون به وبحرمته وجعل ما حوله محرما لمكانه وشرفه وقيل لانه حرم على الطوفان
 بمعنى امتنع منه وقيل سمي محرما لان الزائر ين له بحر من على أنفسهم أشياء كانت مباحة لهم من قبل
 وسمى عتيقا ايضا لانه اعتق من الجبابرة ومن الطوفان فان قلت كيف قال عند بيتك المحرم ولم يكن هناك
 بيت حينئذ وانما بناه ابراهيم بعد ذلك قلت يحتمل ان الله عز وجل أوحى اليه وأعلمه ان له هناك بيتا قد
 كان في الف الزمان وانه سيعمر فلذلك قال عند بيتك المحرم وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذي
 كان ثم رفع عند الطوفان وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذي جرى في سابق علمك أنه سيحدث
 في هذا المكان (ر بنا ليقموا الصلاة) اللام في ليقموا متعلقة باسكنت يعني أسكنت قوم من ذريتي وهم
 اسمعيل وأولاده بهذا الوادي الذي لا زرع فيه ليقموا أي لاجل أن يقيموا أولئك يقيموا الصلاة (فاجعل
 أفئدة من الناس) قال البغوي جمع الوفد (تهوى اليهم) تحن وتشتاق اليهم قال السدي رحمه الله أمل قلوبهم
 الى هذا الموضع وقال ابن الجوزي أفئدة من الناس أي قلوب جماعة من الناس فلماذا جعله جمع فواد قال ابن
 الانباري وانما عبر عن القلوب بالافئدة لجمعها ما جارحة واحدة واغظة من في قوله من الناس للتبويض قال
 الجوهري الفواد القلب والجمع أفئدة لجمعها ما جارحة واحدة واغظة من في قوله من الناس للتبويض قال
 مجاهد لو قال أفئدة الناس لزا حتمك فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لجت اليهود والنصارى
 والمجوس والسكنة قال أفئدة من الناس فهم المسلمون تهوى اليهم قال الاصمعي يقال هوى يهوى هو يا اذا سقط
 من علوا الى سفلى وقال الفراء تهوى اليهم تريدهم كما تقول رأيت فلانا يهوى نحوك معناه يريدك وقال أيضا
 تهوى تسرع اليهم وقال ابن الانباري معناه تنحط اليهم وتنحدر وتنزل هذا قول أهل اللغة في هذا الحرف
 وأما أقوال المفسرين فقال ابن عباس يريد تحن اليهم لزيارة بيتك وقال قتادة تسرع اليهم وفي هذا بيان أن
 حينئذ الناس اليهم انما هو لطلب حج البيت لا لاعتنائهم وفيه دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم حج البيت ودعاء
 لسان مكة من ذريته بانهم ينتفعون بمن يأتي اليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع ابراهيم عليه السلام في
 هذا الدعاء من أمر الدين والدنيا ما ظهر بيانه وعمت بركانه (وارزقهم من الثمرات) يعني كما رزقت سكان
 القرى ذوات الماء والزرع فيكون المراد عمارة قري بقرب مكة لتصل تلك الثمار وقيل يحتمل أن يكون
 المراد جاب الثمرات الى مكة بطريق النقل والتجارة فهو كقوله تعالى عجبى اليه ثمرات كل شئ ﴿١﴾ وقوله تعالى
 (لعلهم يشكرون) يعني لعلهم يشكرون هذه النعم التي أنعمت بها عليهم وقيل معناه لعلهم يوحّدونك
 ويعظمونك وفيه دليل على أن تحصيل منافع الدنيا انما هو ليستعان بها على أداء العبادات واقامة الطاعات
 (ر بنا انك تعلم ما تخفي وما نعلن) يعني انك تعلم السر كما تعلم العان علما لا تفاوت فيه والمعنى انك تعلم أحوالنا وما
 يصلحنا وما يفسدنا وانت أرحم بنا منا فلا حاجة بنا الى الدعاء والطلب انما ندعوك اظهار العبودية لك وتخشعا
 لعظمتك وتذلالا لعزتك واقتدارا الى ما عندك وقيل معناه تعلم ما تخفي من الوجد بفرقة اسمعيل وأمه حيث
 أسكنتم ما بواد غير ذي زرع وما نعلن يعني من البكاء وقيل ما تخفي يعني من الحزن المتمكن في القلب وما نعلن
 يعني ما جرى بينه وبين هاجر عند الوداع حين قالت لبراهيم عليه السلام الى من تكنا قال الى الله قالت اذا

(وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء) من كلام الله عز وجل تصديقا لبراهيم عليه السلام أو من كلام ابراهيم ومن للاستفراق
كانه قيل وما يخفى على الله شيء ما (الجد لله الذي وهب لي على الكبر) على بمعنى مع وهو في موضع الحال أي وهب لي وأنا كبير (اسماعيل
واسحق) روى ان اسماعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وروى انه ولد له اسماعيل لاربع
وستين واسحق لتسعين وانما ذكر حال الكبر لان المنتهية الولد فيها (٨٩) أعظم لانها حال وقوع اليأس من الولادة

والظفر بالحاجة على عقب
اليأس من أجل النعم ولان
الولادة في تلك السن العالية
كانت آية لبراهيم (ان ربي
لسميع الدعاء) عجيب الدعاء
من قولك سمع الملك كلام
فلان اذا تلقاه بالاجابة
والقبول ومنه سمع الله ان
جده وكان قد دعا ربه وسأله
الولد فقال رب هب لي من
الصالحين فشكر الله ما
كرمه به من اجابته وازفاده
السميع الى الدعاء من اضافة
الصفة الى مفعولها وأصله
لسميع الدعاء وقد ذكر
سيبويه فصيلا في جملة أبنية
المباغاة العاملة عمل الفعل
كقولك هذا رحيم أباه (رب
اجعلني مقيم الصلاة ومن
ذريتي) وبعض ذريتي
عظفا على المنصوب في
اجعلني وانما بعض لانه علم
باعلام الله انه يكون في
ذريته كقوله عن ابن عباس
رضي الله عنهما لا يزال من
ولد ابراهيم ناس على الفطرة
الى أن تقوم الساعة (ربنا
وتقبل دعاء) بالياء في الوصل
والوقف مكي وافقه أبو عمرو
وحزة في الوصل الباقون

لا يضيئنا (وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء) قيل هذا من تنمة قول ابراهيم يعني وما يخفى على
الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان وقال الا كثرون انه من قول الله تعالى تصديقا لبراهيم فيما قال
فهو كقوله وكذلك يفعلون (الجد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق) قال ابن عباس ولد
اسماعيل لبراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقال سيبويه
جبر ابراهيم باسمه واسحق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة ومعنى قوله على الكبر مع الكبر لان هبة الولد في
هذا السن من أعظم المن لان سن اليأس من الولد فلها شكر الله على هذه المنة فقال الجد لله الذي وهب
لي على الكبر اسماعيل واسحق فان قلت كيف جمع بين اسماعيل واسحق في الدعاء في وقت واحد وانما
بشر باسمه بعد اسماعيل بزمان طويل قلت يحتمل ان ابراهيم عليه السلام انما أتى بهذا الدعاء عند
ما بشر باسمه وذلك انه لما عظمت المنة على قلبه بهبة ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك الجد لله
الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق ولا يرد على هذا ما ورد في الحديث انه دعا بما تقدم عند مفارقة
اسماعيل وأمه لان الذي صح في الحديث انه دعا بقوله ربنا اني أسكنت من ذريتي الى قوله لعالمهم يشكرون
اذ ثبت هذا فيكون قوله الجد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق في وقت آخر والله أعلم بحقيقة
الحال (ان ربي لسميع الدعاء) كان ابراهيم عليه السلام قد دعا ربه وسأله الولد بقوله رب هب لي من
الصالحين فلما استجاب الله دعاءه ووهبه ما سأله شكر الله على ما أكرمه به من اجابة دعائه فعند ذلك قال
الجد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء وهو من قولك سمع الملك كلام
فلان اذا اعتد به وقبله (رب اجعلني مقيم الصلاة) يعني ممن يقيم الصلاة باركانها ويحافظ عليها في أوقاتها
(ومن ذريتي) أي واجعل من ذريتي ممن يقيم الصلاة وانما أدخل لفظة من التي هي للتبويض في قوله ومن
ذريتي لانه علم باعلام الله اياه انه قد يوجد من ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة فلهذا قال ومن
ذريتي وأراد بهم المؤمنين من ذريته (ربنا تقبل دعاء) سأله ابراهيم عليه السلام ربه ان يتقبل دعاءه
فاستجاب الله لبراهيم وقبل دعاءه بفضله ومنه وكرمه (ربنا اغفر لي) فان قلت طلب المغفرة من الله انما
يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة من ذلك الذنب وقد ثبتت عصمة الانبياء عليهم الصلاة
والسلام من الذنوب فما وجه طلب المغفرة قلت المقصود منه الاتجاء الى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من
كل شيء الا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والانكسار على رحمته (ولو الذي) فان قلت كيف
استغفر ابراهيم لابويه وكانا كافرين قلت أراد انهما ان أسلما وتابوا وقيل انما قال ذلك قبل أن يتبين له
أنهما من أصحاب الجحيم وقيل ان أمه أسلمت فدعا لها وقيل أراد بالديه آدم وحواء (وللمؤمنين) يعني
واغفر للمؤمنين كلهم (يوم يقوم الحساب) يعني يوم يبدو ويظهر الحساب وقيل أراد يوم يقوم الناس
للعساب فاكتفى بذلك أي بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة
والله سبحانه وتعالى لا يرد دعاء خليله ابراهيم عليه السلام ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة ﴿ قوله
سبحانه وتعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على

(١٢) (خازن) ثالث) بلايا أي استجب دعائي أو عبادتي وأعتزلكم وما تدعون من دون الله (ربنا اغفر لي ولوالدي) أي آدم وحواء وأقاله
قيل النهي والياس عن ايمان أبويه (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) أي يثبت أو أسند الى الحساب قيام أهله اسنادا مجازا بمثل واسأل القرية
(ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) تسلية للمظلوم وتهديد للظالم والخطاب لغير الرسول عليه السلام وان كان للرسول فالمراد تشييته عليه
السلام على ما كان عليه من انه لا تحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وكما جاء في الامر بأبها الذين آمنوا

آمنوا بالله ورسوله وقيل المراد به الايدان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شئ وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد
والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم (انما يؤخروهم) أي عقوبتهم (ليوم تشخص فيه الابصار) أي أبصارهم لا تفرق أما كثرة من
هول ما ترى (مهطعين) مسرعين الى الداعي (مقضى رؤسهم) رافعيها (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى أنفسهم
(وأفئدتهم هواء) صفر من الخيال لاني (٩٠) شيئا من الخوف والهواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب

فلان هواء اذا كان جباناً
لا قوة في قلبه ولا جراءة وقيل
جوف لا عقول لهم (وأندر
الناس يوم يأتئهم العذاب)
أي يوم القيامة ويوم مفعول
ثان لا تفر لا ظرف اذا انذار
لا يكون في ذلك اليوم
(فيقول الذين ظلموا) أي
الكفار (ربنا أخرنا الى أجل
قريب نجيب دعوتك وتب
الرسل) أي ردنا الى الدنيا
وأهلنا الى أمم وخدم من
الزمان قريب تدارك ما
فرطنا فيه من اجابة دعوتك
واتباع رسلك فيقال لهم
(أولم تكونوا اقستم من
قبل مالكم من زوال) أي
حلفتم في الدنيا انكم اذا تم
لاتزالون عن تلك الحالة
ولا تنتقلون الى دار اخرى
يعنى كفرتم بالبعث كقوله
وأقسموا بالله جهد أيمانهم
لا يبعث الله من يموت وما لكم
جواب القسم وانما جاء
بلفظ الخطاب كقوله
أقسمت ولو حكى لفظ المقسمين
لقيل ما لنا من زوال أو أريد
باليوم يوم هلا كههم بالعذاب
العاجل أو يوم موتهم
معنيين بشدة السكرات

حقائق الامور وقيل حقيقة العقلة وهو يعترى الانسان من قلة التحفظ واليقظ وهذا في حق الله محال
فلا بد من تأويل الآية فالمقصود منها انه سبحانه وتعالى ينتقم من الظالم للمظلوم وفيه وعيد وتهديد للظالم
واعلام له بان لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلاً قال سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم
وتهديد للظالم فان قلت تعالى عن السهو والعقلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم غافلاً وهو
أعلم الناس به أنه لم يكن غافلاً حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون قلت اذا كان المخاطب به
رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان أحدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحب الله غافلاً
فهو كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وكقوله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا
آمنوا أي ائتموا على ما أتم عليه من الايمان الوجه الثاني ان المراد بالنهي عن حسبان غافلاً الاعلام بانه
سبحانه وتعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شئ وانه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم
والمعنى ولا تحسبنه معاملة الغافل عنهم ولكن يعاملهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على
الصغير والكبير وان كان المخاطب غير النبي صلى الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سؤال لان أكثر الناس
غير عارفين بصفات الله فمن جوز أن يحسبه غافلاً فليجعله بصفاته (انما يؤخروهم ليوم تشخص فيه
الابصار) يقال شخص بصير الرجل اذا بقيت عيناه مفتوحين لا يطر فيها وشخص البصر يدل على الخبرة
والدهشة من هول ما ترى في ذلك اليوم (مهطعين) قال قتادة مسرعين وهذا قول أبي عبيدة فعلى هذا المعنى
ان الغالب من حال من بقي بصره شاخصاً من شدة الخوف أن يبقى واقفاً باهتافين الله سبحانه وتعالى في هذه
الآية ان أحوال أهل الموقف يوم القيامة بخلاف الحال المعتادة فاخبر سبحانه وتعالى انهم مع شخص
الابصار يكونون مهطعين يعنى مسرعين نحو الداعي وقيل المهطع الخاضع الذليل الساكت (مقضى رؤسهم)
الاقناع رفع الرأس الى فوق فأهل الموقف من صفتهم انهم رافعو رؤسهم الى السماء وهذا بخلاف المعتاد لان
من يتوقع البلاء فانه يطرُق ببصره الى الارض قال الحسن وجوه الناس يوم القيامة الى السماء لا ينظر أحد
الى أحد وهو قوله تعالى (لا يرتد اليهم طرفهم) أي لا ترجع اليهم أبصارهم من شدة الخوف فهي شاخص
لا يرتد اليهم قد شغلهم ما بين أيديهم (وأفئدتهم هواء) أي خالية قال قتادة خرجت قلوبهم من صدورهم
فصارت في حناجرهم فلا تخرج من أفواههم ولا تعود الى أما كنها ومعنى الآية ان أفئدتهم خالية فارغة لاني
شيأ ولا تعقل من شدة الخوف وقال سعيد بن جبير وأفئدتهم هواء أي مترددة تهوى في أجوافهم ليس
لها مكان تستقر فيه ومعنى الآية ان القلوب يومئذ راللة عن أما كنها والابصار شاخصة والرؤس مرفوعة
الى السماء من هول ذلك اليوم وشدة (وأندر الناس) يعنى وخوف الناس يا محمد بيوم القيامة وهو في قوله
سبحانه وتعالى (يوم يأتئهم العذاب فيقول الذين ظلموا) يعنى ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي (ربنا أخرنا
الى أجل قريب) يعنى أمهلنا مدة يسيرة قال بعضهم طلبوا الرجوع الى الدنيا حتى يؤمنوا فينتقمهم ذلك وهو
قوله تعالى (نجب دعوتك وتب الرسل) فاجيبوا بقوله (أولم تكونوا اقستم من قبل) يعنى في دار الدنيا
(مالكم من زوال) يعنى مالكم عنها تنفقال ولا بعث ولا نشور (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم)

ولقاء الملائكة بلا بشرى فانهم يسألون يومئذ ان يؤخروهم بهم الى أجل قريب يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه
(وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكسر لان السكنى من السكون وهو اللبث والاصل تعديته نى نحو فر في الدار وأقام فيها ولكنه
لما نقل الى سكن خاص نصرف فيه فقيل سكن في الدار كما قيل تبوأها أو يكون سكنوا من السكون أي قروا فيها وأطما أو اطمن
النفوس ساثرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يجد ثوبها بما في الاولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا

(وتبين لكم) بالاخبار أو المشاهدة وفاعل تبين مضمردل عليه الكلام أي تبين لكم حالهم (كيف) ليس بفاعل لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وانما نصب كيف بقوله (فعلنا بهم) أي أهل كآهم وانتقمنا منهم (وضربنا لكم الامثال) أي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في القرابة كلالامثال المضروبة لكل ظالم (وقدمكروا مكرهم) أي مكرهم العظيم (٩١) الذي استفرغوا فيه جهدهم وهو ما فعلوه

من تأييد الكفر وطلان
الاسلام (وعند الله مكرهم)
وهو مضاف الى الفاعل
كالاول والمعنى ومكتوب عند
الله مكرهم فهو مجاز بهم
عليه مكرهم هو اعظم منه أو الى
المفعول أي وعند الله مكرهم
الذي يمكرهم به وهو عند الله
الذي ياتهم من حيث
لا يشعرون (وان كان
مكرهم لتزول منه الجبال)
بكسر اللام الاولى ونصب
الثانية والتقدير وان وقع
مكرهم لزوال أمر النبي صلى
الله عليه وسلم فبعد عن أمر
النبي عليه السلام بالجبال
لعظم شأنه وكان تامة أو ان
نافية واللام مؤ كدتها
كقوله وما كان الله ليعذبهم
والمعنى ومحال أن تزول
الجبال بمكرهم على ان
الجبال مثل آيات الله
وشرائعه لانها بمنزلة الجبال
الراسية نباتا وتمكنا دليله
قراءة ابن مسعود وما كان
مكرهم وبفتح اللام الاولى
ورفع الثانية على أي وان
كان مكرهم من الشدة بحيث
تزول منه الجبال وتنقطع
عن أما كنها فان مخففة
من ان واللام مؤ كدة

يعنى بالكفر والمعاصي ممن كان قبلكم من كفار الامم الخالية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وتبين لكم
كيف فعلنا بهم) يعنى وقد عرفتم كيف كانت عقوبتنا ايهم (وضربنا لكم الامثال) يعنى الامثال التي
ضربها الله عز وجل في القرآن ليتدبروها ويعتبروا بها فيجب على كل من شاهد أحوال الماضين من الامم
الخالية والقرون الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف أهل كوا أن يعتبر بهم ويعمل في خلاص نفسه من العقاب
والهلاك ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وقدمكروا مكرهم) اختلفوا في الضمير الى من يعود في قوله وقد مكرروا
فقيل يعود الى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وهذا القول صحيح لان الضمير يجب عوده
الى أقرب مذكور وقيل ان المراد بقوله وقد مكرروا كفار قريش الذين مكرروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومكرهم ما ذكره الله تعالى بقوله تعالى واذا مكر بك الذين كفروا الآية والمعنى وانذر الناس يا محمد يوم ياتيهم
العذاب يعنى بسبب مكرهم بك وقوله تعالى (وعند الله مكرهم) يعنى جزاء مكرهم وقيل ان مكرهم مثبت
عند الله ليجازيهم به يوم القيامة (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) يعنى وان كان مكرهم لأضعف من أن
تزول منه الجبال وقيل معناه ان مكرهم لا يزال أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت كسبوت الجبال
وقد حكى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في الآية قول آخر وهو انها زلات في نمرود الجبار الذي
حاج ابراهيم في ربه فقال نمرود ان كان ما يقوله ابراهيم حقا فلا انتهى حتى أصدد الى السماء فاعلم ما فيها فعمد
الى أربعة أفراخ من النور فرباهن حتى كبرت وشببت واتخذن تابوتا من خشب وجعل له بابا من أعلى وبابا
من أسفل ثم جوع النور ونصب خشبات أربع في أطراف التابوت وجعل على رؤس تلك الخشبات لحما
أجر وقعد هو في التابوت وأقعد معه رجلا آخر وأمر بالنور فربطت في أطراف التابوت من أسفل فجعلت
النور كالمارات اللحم رغبت فيه وطارت اليه فطارت النور يوما أجمع حتى بعدت في الهواء فقال نمرود
لصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قرب بنا منها ففتح ونظر فقال له ان السماء كهيئتها فقال له
افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض كيف تراها ففعل فقال أرى الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان
قال فطارت النور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال نمرود لصاحبه افتح الباب
الاعلى ففعل فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة فنودي أيها الطاغى أين تريد
قال عكرمة وكان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والنشاب وأخذ معه الرمح ورمى بسهم فعاد اليه
السهم ملطخا بدم سمكة قد فت بنفسها في بحر في الهواء وقيل ان طائرا أصابه السهم فلما رجع اليه السهم
ملطخا بالدم قال كفيت الى السماء ثم أمر نمرود صاحبه أن يصب الخشبات الى أسفل ويتكس اللحم ففعل
فهبطت النور بالتابوت فسمعت الجبال خفيق التابوت والنور ففرعت وظنت انه قد حدث حدث من
السماء وان الساعة قد قامت فكادت تزول عن أما كنها فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال
واستبعد بعض العلماء هذه الحكاية وقال ان الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل أن يقدم على مثل هذا الامر
العظيم وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بتأويل الآية البتة (فلا تحسبن الله مخلف
وعده رسله) يعنى فلا تحسبن الله يا محمد مخلف ما وعده رسله من النصر واعلاء الكلمة واظهار الدين فانه ناصر
رسله وأوليائه ومهلك أعداءه وفيه تقديم وتأخير تقديره ولا تحسبن الله مخلف رسله وعده (ان الله عزيز) أي

(فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) يعنى قوله اننا لننصر رسلا كتب الله لاغلبين اننا ورسلى مخلف مفعول ثان لتحسبن وأضاف مخلف الى
وعده وهو المفعول الثاني له والاول رسله والتقدير مخلف رسله وعده وانما قدم المفعول الثاني على الاول ليعلم انه لا يخلف الوعد أصلا كقوله
ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده أحد فكيف يخلف رسله الذين هم خير منه وصفوته (ان الله عزيز) غالب

(ذوات تقام) لا وليا تمن أعدائه واتصاب (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) على الظرف للا تقام أو على اخبار اذ كر والشي
 يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها (٩٢) أرضاً أخرى غير هذه المعروفة وتبدل السموات غير السموات وانما حنق

له لالة ما قبله عليه والتبدل
 التغيير وقد يكون في
 الذوات كقولك بدلت
 الدراهم وانا تبروني
 الاوصاف كقولك بدلت
 الحلقة خاتما اذا اذنتها
 وسويتها خاتما فنقلتها
 من شكل الى شكل
 باختلاف في تبدل الارض
 السموات فقيل تبدل
 اوصافها وتبرعن الارض
 جبالها وتفجر بحارها
 وتسوي فلا ترى فيها عوجا
 ولا امتاوعن ابن عباس
 رضى الله عنهما هي تلك
 الارض وانما تغير وتبدل
 السماء بانشار كواكبها
 وكسوف شمسه وخسوف
 قرها وانشقاقها وكونها
 ابوابا وقيل تخلق بدلتها
 أرض وسموات أخرى عن
 ابن مسعود رضى الله عنه
 يحشر الناس على أرض
 بيضاء لم يخطئ عليها أحد
 خطيئة وعن علي رضى الله
 عنه تبدل أرض من فضة
 وسموات من ذهب
 (وبرزوا) وخرجوا من
 قبورهم (الله الواحد
 القهار) هو كقوله لمن
 الملك اليوم لله الواحد
 القهار لان الملك اذا كان
 لواحد غلاب لا يغالب فلا

غالب (ذوات تقام) بمعنى من أعدائه ﴿ قوله عز وجل (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) ذكر
 المفسرون في معنى هذا التبدل قولين أحدهما انه تبدل صفة الارض والسموات لاذانها فاما تبدل الارض
 فتغير صفتها وهي تتما مع بقاء ذاتها وهو ان تدكك جبالها وتسوي وهادها واوديتها وتذهب أشجارها
 وجميع ما عليها من عمارة وغيرها لا يبقى على وجهها من الاذهب وتدمر الادبم وأما تبدل السماء فهو ان
 تنتثر كواكبها وتطمس شمها او قرها ويكوران وكونها تارة كالدهان وتارة كالمهل وهذا القول قال جماعة
 من العلماء وابدل على صحة هذا القول ما روى عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر
 الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس بها علم لاحد اخرجاه في الصحيحين العفراء
 بالعين المهملة وهي البيضاء الى حررة ولهذا شبهها بقرصة النقي وهو الخبز الجيد البياض الفائق المسائل الى حررة
 كان النار مبيت بياض وجهها الى الحررة وقوله ليس بها علم لاحد يعني ليس فيها علامة لاحد بتبدل هيئتها
 وزوال جبالها وجميع بناتها فلا يبقى فيها أثر يستدل به والقول الثاني هو تبدل ذوات الارض والسموات
 وهذا قول جماعة من العلماء ثم اختلفوا في معنى هذا التبدل فقال ابن مسعود في معنى هذه الآية قال تبدل
 الارض بارض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك بها دم ولم يعمل عليها خطيئة وقال علي بن أبي طالب رضى الله
 تعالى عنه الارض من فضة والسموات من ذهب وقال أبي بن كعب في معنى التبدل بان تصير الارض نيرانا
 والسموات جنانا وقال أبو هريرة وسعيد بن جبير وعبد بن كعب القرظي تبدل الارض خبزة بيضاء يأكل
 المؤمن من تحت قدميه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم
 القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفؤا احدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة اخرجاه في
 الصحيحين بزيادة فيه قال الشيخ محي الدين النووي في شرح هذا الحديث اما البرزخ فبضم النون والزاي
 ويجوز اسكان الزاي وهو ما بعد للضيف عند نزوله وأما الخبزة فبضم الخاء وقال أهل اللغة هي الطلعة التي
 توضع في الملة يتكفؤها بالهمز بيده أي يميلها من يدها الى يدها حتى تجتمع وتسوي لانها ليست منبسطة كالرقعة
 وقد حققنا الكلام في اليد في حق الله سبحانه وتعالى وتأويلها مع القطع باستحالة الجارحة عليه ليس كمثل
 شيء ومعنى الحديث ان الله سبحانه وتعالى يجعل الارض كالطلعة أي الرغيف العظيم وتكون طعاما نزلا لاهل
 الجنة والله على كل شيء قدير فان قلت اذا فسرت التبدل بما ذكرت فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى
 يومئذ تحدث أخبارها وهو أن تحدث بكل ما عمل عليها قلت وجه الجمع بين الآيتين ان الارض تبدل أولا
 صفاتها مع بقاء ذاتها كما تقدم في يومئذ تحدث أخبارها ثم بعد ذلك تبدل بذاتها وتانيا وهو ان تبدل ذاتها بغيرها
 كما تقدم أيضا وابدل على صحة هذا التأويل ما روى عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال على
 الصراط اخرجهم مسلم وروى ثوبان ان حبر من اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين يكون الناس
 يوم تبدل الارض غير الارض قال هم في الظلمة دون الجسد كره البغوي بغير سند في هذين الحديثين
 دليل على ان تبدل الارض ثانی مرة يكون بعد الحساب والله أعلم بمراده وأما كتابه ﴿ وقوله تعالى
 (وبرزوا) يعني وخرجوا من قبورهم (الله) يعني لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب (الواحد القهار)
 صفتان لله تعالى فالواحد الذي لا ثاني له ولا شريك معه المبرز عن الشبه والضد والند والقهار الغالب الذي
 يهزم عباده على ما يريد ويفعل ما يشاء وبحكم ما يريد ﴿ قوله تعالى (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) يعني

مشدودين مستغان لاحد الى غيره كان الامر في غاية الشدة (وترى المجرمين) الكافر بن (يومئذ) يوم القيامة
 (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرننا أي يدهم الى أرجلهم مظلنين

(في الاصفاد) متعلق بمقرنين أي يقرون في الاصفاد وغيره متعلق به والمعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود والاعلال (سرايلهم) صهم (من قطران) هو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فيها به الابل الجرب فيحرق الجرب بحدته وحره ومن شأنه أن يسرع به اشتعال النار وهو أسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرايل ليجتمع عليهم لذع القطران وحرقت اسراع النار في جلودهم واللون الوحش وفتح الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله أو وعده به في الآخرة فيبينه وبين ما شاهد من جنسه ما لا يقدر قدره وكأنه ما عندنا منه (٩٣) الا الاسامي والمسمايات ثم نعوذ بالله من

سخطه وعذابه من قطران زيد عن يعقوب نحاس مذاب بلغ حره اناة (وتغشى وجوههم النار) تعالوها باشة عالها وخص الوجه لانه اعز موضع في ظاهر البدن كالقلب في باطنه ولذا قال تطلع على الافئدة (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) أي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزى كل نفس مجرمة ما كسبت أو كل نفس مجرمة أو مطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المؤمنين بطاعتهم (ان الله سريع الحساب) يحاسب جميع العباد في أسرع من لمح البصر (هذا) أي ما وصفه في قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب (بلاغ للناس) كفاية في التذكير والموعظة (ولينذروا به) بهذا البلاغ وهو معطوف على محذوف أي لينصحوا و لينذروا (وايعلموا انما هو اله واحد) لانهم اذا خافوا ما أنذروا به دعوتهم

مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت الشيء بالشيء اذا شدته معه في رباط واحد (في الاصفاد) يعني في القيود والاعلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع شيطانه في سالة وقال أبو زيد يقرن أي يديهم وأرجلهم الى رقابهم بالاصفاد وهي القيود وقال ابن قتيبة يقرن بعضهم الى بعض (سرايلهم) يعني قصصهم واحدها سر بال وقيل السربال كل ما لبس (من قطران) القطران دهن يتحلب من شجر الابهل والعرعر والتوت كالزفت تدهن به الابل اذا جرت وهو الهناء يقال هنأت البعير أهنته بالهناء وهو القطران قال الزجاج وانما جعل لهم القطران سرايل لانه يبالغ في اشتعال النار في الجلود ولو أراد الله المبالغة في احراقهم بغير ذلك لقد رولكنه حذرهم بما يعرفون وقرأ عكرمة و يعقوب من قطران على كلمتين منوئين فالقطر النحاس المذاب والآن الذي انتهى حره (وتغشى وجوههم النار) يعني تعالوها وتجلها (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) يعني من خير أو شر (ان الله سريع الحساب) يعني اذا حاسب عبادته يوم القيامة (هذا بلاغ للناس) يعني هذا القرآن فيه تبليغ وموعظة للناس (ولينذروا به) يعني وليخوفوا بالقرآن ومواعظه وزواجره (وايعلموا انما هو اله واحد) يعني وليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى (وليدكر أولو الالباب) يعني وليتعظ بهذا القرآن وما فيه من المواعظ أولو العقول والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن تعظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الحجر﴾

(مكية باجماعهم وهي تسع وتسعون آية وستة وأربع وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة وستون حرفاً)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله سبحانه وتعالى (الذالك آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والمراد بالكتاب وبالقرآن المبين الكتاب الذي وعد الله به محمد صلى الله عليه وسلم وتنكير القرآن للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتاباً وفي كونه قرآناً أي قرآن كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والقراءة في البيان وقيل أراد بالكتاب التوراة والانجيل لانه عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوي لانه لم يجز للتوراة والانجيل ذكر حتى يشار اليهما وقيل المراد بالكتاب القرآن وانما جعلا بوصفين وان كان الموصوف واحد الما في ذلك من الفائدة وهي التفخيم والتعظيم والمبين الذي يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل (ربما) قرئ بالتخفيف والتشديد وهما الغتان ورب للتقليل وكم للتكثير وانما زيدت ما مع رب ليلها الفعل تقول رب رجل جاءني بر بما جاءني زيد وان شئت جعلت ما بمنزلة شيء كأنك قلت رب شيء فيكون المعنى رب شيء (يود الذين كفروا) وقيل ما في رب بما يعني حين أي رب حين يود يعني يمتني الذين كفروا لان التمني هو تشهي حصول ما يودوه واختلف المفسرون في الوقت الذي يمتني الذين كفروا (لو كانوا مسلمين) على قولين أحدهما ان

خافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية أم الخير كما (ولينذروا بالالباب) ذور العقول ﴿سورة الحجر تسع وتسعون آية مكية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الذالك آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين سورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتاباً وفي كونه قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والقراءة في البيان (ربما) بالتخفيف مدني وعاصم وبالتشديد غيرهما وما هي الكافة لانها حرف يجز ما بعده ويختص بالاسم النكرة فاذا كفت وقع بعدها الفعل الماضي والاسم وانما جاز (يود الذين كفروا) لان المترقب في أخبار الله تعالى بمنزلة

الماضي المقطوع به في تحقيقه فكأنه قيلر بما ورد وودادتهم تكون عند النزاع أو يوم القيامة اذا عابوا حالهم وحال المسلمين أو اذاروا
المسلمين بخرجون من النار فيتمنى الكافر لو كان مسلما كذا روى عن ابن عباس رضي الله عنهما (لو كانوا مسلمين) حكاية وودادتهم وانما
جى بها على لفظ الغيبة لانهم محبر (٩٤) عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كانوا مسلمين لكان

حنا وانما قلل رب لان
أهوال القيامة تشغلهم
عن التمني فاذا أفاقوا من
سكرات العذاب ودوا لو
كانوا مسلمين وقول من
قال ان رب يعنى بها الكثرة
سهولانه ضدا ما يعرفه أهل
اللغة لانها وضعت للتقليل
(ذرهم) أمر اهانة أى
اقطع طمعك من
ارعواهم ودعهم عن
التهى عمائم عليه والصد
عنه بالتذكرة والنصيحة
وخلهم (ياكلوا
ويتمتعوا) بدنياهم
(ويلهم الأمل)
ويشغلهم أملهم وأمانهم
عن الإيمان (فسوف
يعلمون) سوء صنيعهم
وفيه تنبيه على أن ايثار
التلذذ والتنعيم وما يؤدى
اليه طول الأمل ليس من
أخلاق المؤمنين (وما
أهلكنا من قرية الا وهما
كتاب معلوم) وهما
كتاب جلة واقعة صفة
لقسرية والقياس أن
لا يتوسط الواو بينهما كما
في وما أهلكنا من قرية
الاها منذرون وانما
نوصفنا كيد لصوق

ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت الموت فينتدب العلم الكافر انه كان على الضلال فيقتنى لو كان مسلما
وذلك حين لا ينفعه ذلك التمني قال الضحاك هو عند حالة المعاينة والقول الثانى ان هذا التمني يكون في الآخرة
وذلك حين يعاينون أهوال يوم القيامة وشدها انه وما يصبرون اليه من العذاب فينتدب التمني الذين كفروا
لو كانوا مسلمين وقال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من أهوال العذاب ورأى حالا من أهوال المسلم
وذلك لو كان مسلما وقيل اذ رأى الكافر أن الله تعالى يرحم المسلمين ويشفع بعضهم في بعض حتى يقول من
كان من المسلمين فايدخل الجنة فينتدب يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور أن ذلك التمني
حين يخرج الله المؤمنين من النار عن أبى موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع أهل
النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة أستم مسلمين قالوا بلى
قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم وأنتم معناني النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغفرها الله لهم بفضل رحمته
فيا أمر الله بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها فينتدب يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
ذكره البغوي بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزي وقال واليه ذهب ابن عباس في رواية عنه وأمس بن مالك
ومجاهد وعطاء وأبو العالية وبرايم يعنى التمني فان قلت رب انما وضعت للتقليل وتمنى الذين كفروا لو كانوا
مسلمين يكثر يوم القيامة فكيف قالر بما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قلت قال صاحب الكشاف هو
وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك ور بما ندب الانسان على فعله ولا يشكون في تندمه
ولا يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكا فيه أو كان قابلا لخلق عليك أن لا تفعل هذا الفعل
لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما يتحرزون من
الكثير وقال غيره ان هذا التقليل أبلغ في التهديد ومعناه يكفيك قليل الندم في كونه زاجرا لك عن هذا
الفعل فكيف بكثيره وقيل ان شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة انما يخاطر ذلك بياهم فان قلت رب لا تدخل
الاعلى الماضي فكيف قالر بما يود وهو في المستقبل قلت لان المترقب في أخبار الله تعالى بمنزلة الماضي
المقطوع به في تحقيقه كأنه قالر بما ورد في قوله سبحانه وتعالى (ذرهم ياكلوا ويتمتعوا) يعنى دع يا محمد هؤلاء
الكفار ياكلوا في دنياهم ويتمتعوا بلذاتها (ويلهم الأمل) يعنى ويشغلهم طول الأمل عن الإيمان
والاخذ بطاعة الله تعالى (فسوف يعلمون) يعنى اذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا فيه تهديد
ووعيد لمن أخذ بحظه من الدنيا ولذاتها ولم يأخذ بحظه من طاعة الله عز وجل قال بعض أهل العلم ذرهم تهديد
وفسوف يعلمون تهديد آخر فتى بهما العيش بين تهديدين وهذه الآية منسوخة بآية القتال وفي الآية دليل
على ان ايثار التلذذ والتنعيم في الدنيا يؤدى الى طول الأمل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين قال على بن أبى
طالب انما أخشى عليكم اثنين طول الأمل واتباع الهوى فان طول الأمل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد
عن الحق (وما أهلكنا من قرية) يعنى من أهل قرية وأراد هلاك الاستئصال (الا وهما كتاب معلوم)
أى أجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يتأخر عنه ولا يأتهم الا في الوقت الذى حد لهم في
اللوح المحفوظ (ما سبق من أمة أجلها) من زائدة في قوله من أمة كقولك ما جاء في من أحد يعنى أحد وقيل
هى على أصلها لانها تبيد التبويض الى هذا الحكم فيكون ذلك في افادة عموم النبي آ كدومعنى الآية ان
الأجل المضروب لهم وهو وقت الموت أو نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله سبحانه وتعالى (وما

الصفة بالموصوف اذا الصفة ملتصقة بالموصوف بلا واو وفى بالواو تأ كيد ذلك والوجه أن تكون هذه الجملة
حالات قرينة لكونها في حكم الموصوفة كانه قيل وما أهلكنا قرية من القرى لا وصفنا قوله كتاب معلوم أى مكتوب معلوم وهو أجلها التى
كتب في اللوح المحفوظ وبين الأثرى الى قوله (ما سبق من أمة أجلها) في موضع كتابها (وما

يستأخرون) أي عنه وحذف لأنه معلوم وأنت الامتثال والامد كرها آخر اجلا على اللفظ والمعنى (وقالوا) أي الكفار (يا أيها الذي نزل عليه
الذي) أي القرآن (انك لمجنون) يعنون محمد عليه السلام وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل
اليكم مجنون وكيف يقرون بنزل الله كره عليه ونسبوه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهمك ساخ ومنه فبشرهم بعباب
اليم انك لانت الحليم الرشيد والمعنى انك لتقول قول المجانين حيث (٩٥) تدعى أن الله نزل عليك الذي ذكر

(لوما تأتينا باللائكة
ان كنت من الصادقين) لو
ركبت مع لاوما لامتناع الشيء
لوجود غيره أو للتخصيص
وهل ركبت مع لا للتخصيص
غيب المعنى هلا تأتينا
باللائكة يشهدون بصدقك
أو هلا تأتينا باللائكة
للعقاب على تكذيبنا لك
ان كنت صادقا (مانزل
اللائكة) كوفي غير أبي
بكر تنزل اللائكة أبو بكر
تنزل اللائكة أي تنزل
غيرهم (الابالحق) الانزلا
ملتبسا بالحكمة (وما
كانوا اذا منظرين)
اذا جواب لهم وجزاء
الشرط مقدر تقديره
ولو نزلنا اللائكة ما كانوا
منظرين اذا وما آخر
عذابهم (اننا نحن نزلنا
الذي ذكر) القرآن (واناله
لحافظون) وهو رد
لانكارهم واستهزائهم
في قولهم يا أيها الذي نزل
عليه الذي ذكر وان ذلك قال
اننا نحن فا كذب عليهم أنه
هو المنزل على القطع وأنه
هو الذي نزل محفوظا

يستأخرون) وانما أدخل الهاء في أجلها لارادة الامتثال وأخرجها من قوله وما يستأخرون لارادة الرجال
قوله عز وجل (وقالوا) يعني مشركي مكة (يا أيها الذي نزل عليه الذي ذكر) يعني القرآن وأرادوا به محمدا
صلى الله عليه وسلم (انك لمجنون) انما نسبوه الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عند نزول الوحي
عليه ما يشبه الغشي فظنوا ان ذلك جنون فلهذا السبب نسبوه الى الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما
مستغرابا من غيره فر بما ينسبه الى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله وآتى بهذا القرآن
العظيم أنكروه ونسبوه الى الجنون وانما قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذي ذكر على طريق الاستهزاء وقيل معناه
يا أيها الذي نزل عليه الذي ذكر في زعمه واعتقاده واعتقاد أصحابه وأتباعه انك لمجنون في ادعائك الرسالة (لوما)
قال الزجاج والفراء لوما ولولا لفتان ومعناها هلا يعني هلا (تأتينا باللائكة) يعني يشهدون لك بانك رسول
من عند الله حقا (ان كنت من الصادقين) يعني في قولك وادعائك الرسالة (مانزل اللائكة الابالحق) يعني
بالعذاب أو وقت الموت وهو قوله تعالى (وما كانوا اذا منظرين) يعني لو نزلت اللائكة اليهم لم يهملوا ولم
يؤخروا ساعة واحدة وذلك أن كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال اللائكة
عيانا فاجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا لزال عن الكفار الامهال وعذبوا في الحال ان لم يؤمنوا
ويصدقوا (اننا نحن نزلنا الذي ذكر) يعني القرآن أنزلناه عليك يا محمد وانما قال سبحانه وتعالى اننا نحن نزلنا الذي
جواب القولهم يا أيها الذي نزل عليه الذي ذكر فاخبر الله عز وجل انه هو الذي نزل الذي ذكر على محمد صلى الله
عليه وسلم (واناله لحافظون) الضمير في له يرجع الى الذي ذكر يعني وانالذي الذي أنزلناه على محمد لحافظون
يعني من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير والتبديل والتحريف فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء
كالا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والانس ان يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة
وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل
والزيادة والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصونا على الابد محروسا من الزيادة
والنقصان وقال ابن السائب ومقاتل الكناية في له راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم يعني واننا نحن لحافظون
عن ارادة بسوء فهو كقوله تعالى والله يعصمك من الناس ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر
الانزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحسن صرف الكناية اليه لكونه أمرا
معلوما الا ان القول الاول أصح وأشهر وهو قول الاكثرين لانه أشبه بظاهر التنزيل وورد الكناية الى أقرب
مذ كورا لي وهو الذي ذكر واذ قلنا ان الكناية عائدة الى القرآن وهو الاصح فاختلفوا في كيفية حفظ الله
عز وجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بان جعله معجزا باقيا مابينة الكلام البشر فجز الخلق عن الزيادة فيه
والنقصان منه لانهم لو أرادوا الزيادة فيه والنقصان منه لتغير نظمه وظهر ذلك لكل عالم عاقل وعلموا ضرورة
أن ذلك ليس بقرآن وقال آخرون ان الله حفظه وصانه من المعارضة فلم يقدر أحد من الخلق أن يعارضه
وقال آخرون بل أعجز الله الخلق عن ابطاله وفساده بوجه من الوجوه فقيض الله له العلماء الراسخين
يحفظونه ويذوبون عنه الى آخر الدهر لان دواعي جماعة من الملاحدة واليهود متوفرة على ابطاله وفساده

من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما
استحفظها الراسخين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فوقع التحريف فلم يكمل القرآن الى غير حفظه وقد جعل قوله واناله لحافظون دليلا على
انه منزل من عنده آية اذ لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه أو الضمير في له رسول
الله صلى الله عليه وسلم والله يعصمك

(واقدرسلنا من قبلك في شيع الاولين) أي ولقد أرسلنا من قبلك رسلا في الفرق الاولين والشيعة الفرقة اذا انفقوا على مذهب وطريقة (وماياتهم) حكاية حال ماضية (٩٦) لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال (من رسول

الا كانوا به يستهزؤن) يعزى نبيه عليه السلام (كذلك نسله في قلوب المجرمين) أي كما سلكتنا الكفر أو الاستهزاء في شيع الاولين نسله أي الكفر أو الاستهزاء في قلوب المجرمين من أمته من اختار ذلك يقال سلكت الخيط في الابرة وأسلكته اذا أدخلته فيها وهو حجة على المعتزلة في الاصح وخلق الافعال (لا يؤمنون به) باقة أو بالذكر وهو حال (وقد خلت سنة الاولين) مضطرب يقتم التي سنها الله في اهلا كههم حين كذبوا رسله وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء) ولو أظهرنا لهم أوضاع آية وهو فتح باب من السماء (فظلوا فيه يعرجون) يصعدون (لقالوا انما سكرت ابصارنا) حيرت أو حبت من الابصار من السكر أو من السكر سكرت مكي أي حبت كما يحبس النهر من الجري والمعنى أن هؤلاء المشركين بلغ من غلواهم في العناد ان لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه

فلم يقدروا على ذلك بحمد الله تعالى ﴿ قوله سبحانه وتعالى (واقدرسلنا من قبلك في شيع الاولين) لئلا نجرا كفار مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبوه بالسفاهة وهو قولهم انك لمجنون وأساؤ الادب عليه أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان عادة الكفار في قديم الزمان مع أنبيائهم كذلك فلك يا محمد اسوة في الصبر على اذى قومك بجميع الانبياء ففيه نسبية للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الآية محذوف تقديره واقدرسلنا رسلا من قبلك يا محمد حذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وقوله تعالى في شيع الاولين الشيعة هم القوم المجتمع المتفقة كلهم وقال الفراء الشيعة هم الاتباع وشيعة الرجل أتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان وقوله في شيع الاولين من باب اضافة الصفة الى الموصوف (وماياتهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسله في قلوب المجرمين) السلوك الفاذ في الطريق والدخول فيه والملك ادخال الشيء في الشيء كادخال الخيط في الخيط ومعنى الآية كما سلكتنا الكفر والتكذيب والاستهزاء في قلوب شيع الاولين كذلك نسله أي تدخله في قلوب المجرمين يعني مشركي مكة وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهي آية في ثبوت القدر لمن أذعن للحق ولم يعاند قال الواحدى قال أصحابنا أضاف الله سبحانه وتعالى الى نفسه ادخال الكفر في قلوب الكفار وحسن ذلك منه فن آمن بالقرآن فليست حسنة وقال الامام نجر الدين الرازى احتج أصحابنا بهذه الآية على انه تعالى يخلق الباطل والضلال في قلوب الكفار فقالوا قوله كذلك نسله أي كذلك نسلك الباطل والضلال في قلوب المجرمين وقالت المعتزلة لم يجر للضلال والكفر ذكرا فيما قبل هذا اللفظ فلا يمكن أن يكون الضمير عائدا اليه وأجيب عنه بأنه سبحانه وتعالى قال وماياتهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فالضمير في قوله كذلك نسله عائدا اليه والاستهزاء بالانبياء كفر وضلال فثبت صحة قولنا ان المراد من قوله كذلك نسله في قلوب المجرمين انه الكفر والضلال ﴿ وقوله تعالى (لا يؤمنون به) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقرآن (وقد خلت سنة الاولين) فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم أن ينزل بهم مثل ما نزل بالامم الماضية المكذبة للرسول والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل من الامم الماضية فأحذروا يا أهل مكة أن يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) يعني ولو فتحنا على هؤلاء الذين قالوا لو ماتنا نبتنا بالملائكة بابا من السماء فظلوا يقال ظل فلان يفعل كذا اذا فعله بالنهار كما يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل فيه معنى في ذلك الباب يعرجون يعني يصعدون والمعارج المصاعد وفي المشار اليه بقوله فظلوا فيه يعرجون قولان أحدهما أنهم الملائكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لو كشف عن أبصار هؤلاء الكفار فرأوا بابا من السماء مفتوحا والملائكة تصعد في ما آمنوا والقول الثاني انهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى فظل المشركون يصعدون في ذلك الباب فينظرون في ملكوت السموات وما فيها من الملائكة كلما آمنوا فعادهم وكفرهم ولقالوا انما سحرنا وهو قوله تعالى (لقالوا انما سكرت ابصارنا) قال ابن عباس حدثت ابصارنا ما خوذ من سكر النهر اذا حبس ومنع من الجرى وقيل هو من سكر الشراب والمعنى ان ابصارهم حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران من تغيير العقل وفساد النظر وقيل سكرت يعني غشيت ابصارنا وسكنت عن النظر وأصله من السكر يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن النظر (بل نحن قوم مسحورون) يعني سحرنا محمد وعمل فينا سحره وحاصل الآية ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم الملائكة فيروهم عيانا ويشهدوا بصدقه أخبر الله سبحانه وتعالى انه لو حصل لهم هذا وشاهدوه عيانا لما آمنوا ولقالوا سحرنا لما سبق لهم في الازل من الشقاوة ﴿ قوله سبحانه وتعالى

اليهاورأومن العيان مارأوا قالوا هو شئ تتخاطبه لاحة يفتقه ولقالوا

ولقد

(بل نحن قوم مسحورون) فسحرنا محمد بذلك أو الضمير للملائكة أي لو أريناهم الملائكة يصعدون في

(ولقد جعلنا في السماء بروجاً) البروج التي تنزلها الشمس في مسيرها واحد هـ ا ب ج وهي بروج الفلك
 الاثنا عشر برجاً وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب
 والقوس والجدي والدلو والحوت وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلاً لكل برج
 منزلان وثلاث منازل وقد تقدم ذكر منازل القمر في تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثمانية
 وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس في كل سنة مرة وبها تم دورة الفلك ويقطعها
 القمر في ثمانية وعشرين يوماً قال ابن عباس في هذه الآية يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلها وقال
 ابن عطية هي قصور في السماء عليها الحرس وقال الحسن ومجاهد وقتادة هي النجوم العظام قال أبو اسحق
 يريدون نجوم هذه البروج وهي نجوم على ما صورت به وسميت وأصل هذا كله من الظهور (وزيهاها)
 يعني السماء بالشمس والقمر والنجوم (للتاظرين) يعني المعتبرين المستدلين بها على توحيد خالقها
 وصانعها وهو الله الذي أوجد كل شيء وخلق صورته (وحفظناها) يعني السماء (من كل شيطان رجيم)
 أي من نجوم فعيل بمعنى مفعول وقيل ملعون مطرود من رحمة الله قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون
 عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها إلى الكهنة فيلقونها اليهم فلما ولد عيسى عليه السلام
 منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات أجمع فامنهم من احد يريد أن
 يسرق السمع الارمى بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكرنا ذلك لابليس فقال لقد حدث في الارض
 حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا هذا والله حدث (الامن
 استرق السمع) هذا استثناء منقطع معناه اكن من استرق السمع (فاتبعه) أي لحقه (شهاب مبین)
 والشهاب شعلة من نار ساطع سمي الكوكب شهاباً لاجل ما فيه من البريق شبه شهاب النار قال ابن عباس في
 قوله الامن استرق السمع يريد الخطفة اليسيرة وذلك ان الشياطين يركب بعضهم بعضاً إلى السماء يسترقون
 السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطى أباد انهم من تقاتله ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه
 أو يده أو حيث يشاء الله ومنهم من تخبله فصير غولاً يضل الناس في البوادي (خ) عن أبي هريرة أن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة
 على صفوان فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو
 السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان بكفه فرفها وبددين أصابعه فيسمع
 الكلمة فيلقها إلى من تحته ثم يلقها الآخر إلى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن فرمى
 أدركه الشهاب قبل أن يلقها ررمها ألقها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال له أليس قد قال لنا
 كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء

(فصل) اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترمي بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أم لا على قواين أحدهما انها لم تكن ترمي بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ظهر ذلك
 في بدء أمره فكان ذلك أساس النبوة صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس
 قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين
 وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب أخرجاه في الصحيحين فظاهر هذا الحديث يدل على ان هذا الرمي
 بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بعث حدث هذا الرمي وبعضه ما روى أن يعقوب بن
 الصيرفي بن الاخنس بن شريق قال أول من فرغ للرمي بالنجوم هذا الخي من ثقيف وانهم جاؤا إلى رجل
 منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج وكان أهدي العرب فقالوا له ألم تر ما حدث في السماء من القذف
 بالنجوم فقال بلى ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم التي تهتدي بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء

السماء عياناً لقالوا ذلك
 وذكر الظلول ليحتمل
 عروجهم بالنهار ليكونوا
 مستوضحين لما يرون وقال
 انما يدل على أنهم يبنون
 القول بان ذلك ليس الا
 تسكيراً للابصار (ولقد
 جعلنا في السماء) خلقنا
 فيها (بروجاً) نجوماً أو
 قصوراً فيها الحرس أو منازل
 للنجوم (وزيهاها) أي
 السماء (للتاظرين
 وحفظناها) أي السماء
 (من كل شيطان رجيم)
 ملعون أو رمى بالنجوم
 (الامن استرق السمع)
 أي المسموع ومن في محل
 النصب على الاستثناء
 (فاتبعه شهاب) نجم ينقض
 فيعود (مبين) ظاهر
 للمبصرين قيل كانوا
 لا يحجبون عن السموات
 كلها فلما ولد عيسى عليه
 السلام منعوا من ثلاث
 سموات فلما ولد محمد صلى الله
 عليه وسلم منعوا من
 السموات كلها

من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معاشهم هي التي يرمى بها قوس الله تعالى الدنيا وهلاك الخلق الذين فيها وان كانت نجومها غير هار هي ثابتة على حالها فهذا الامر اراده الله من الخلق قال الزجاج ويدل على انها كانت بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم ان شعراء العرب الذين ذكروا البرق والاشياء المبرعة لم يوجد في شعرهم ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولده صلى الله عليه وسلم استعملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمة

كانه كوكب في ارض غريبة • مسوم في سواد الليل منقض

والقول الثاني ان ذلك كان موجودا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما بعثت شدة ودغلظ عليهم قال معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت افرأيت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدها امرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال اخبرني رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار انهم بيناهم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمى بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية اذ رمى بثل هذا قالوا كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم او مات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها الموت احدث ولا الحياه ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى امر اسبح حلة العرش ثم سبح اهل السماء الذين بلونهم حتى يبلغ التسبيح الى اهل هذه السماء ثم قال الذين بلون حلة العرش حلة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم بما قال فيستخبر بعض اهل السماء بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتحطف الجن السمع فيقذفونه الى اولياهم ويرمون فاجازاه على وجهه فهو حق ولكنهم يقذفون فيه ويزيدون اخرجه مسلم وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعضه ولكن لم يكن في شدة الحرارة مثل بعد مبعضه قال وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قال بشر بن ابي حازم وهو جاهلي

قالعير يرهقها الغبار وجحشها • ينقض خلفها ما تقضاض الكوكب

وقال اوس بن حجر وهو جاهلي

فانقض كل درى يتعمه • تقع بشور تخاله طنبا

والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان موجودا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعثت شدة ذلك وزيد في حفظ السماء وحراستها صونا للاخبار الغيوب والله اعلم في قوله سبحانه وتعالى (والارض مددناها) يعني بسطانها على وجه الماء كما يقال انها حيت من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول اهل التفسير وزعم ارباب الهيئة انها كرة عظيمة بعضها في الماء وبعضها خارج عن الماء وهو الجزء المعمور منها واعتنروا عن قوله تعالى والارض مددناها بان الكرة اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم فثبت بهذا الامر ان الارض مدودة بسوطة وانها كرة وردها اصحاب التفسير بان الله اخبر في كتابه بانها مدودة وانها بسوطة ولو كانت كرة لاخبر بذلك والله اعلم براده وكيف مد الارض (واقينافها رواسي) يعني جبالا ثوابت وذلك ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الارض على الماء مادت ورجفت قائمتها بالجبال (وانبتنا فيها) أي في الارض لان انواع النبات المنتفع به تكون في الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال لانها اقرب مذكور ولقوله تعالى (من كل شئ موزون) وانما يوزن ما تولد في الجبال من المعادن وقال ابن عباس وسعيد بن جبير موزون أي معلوم وقال مجاهد وعكرمة أي مة دور فعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله تعالى لان الله سبحانه وتعالى يعلم القدر الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم وارضاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازا لان الناس لا يعرفون مقادير الاشياء الا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيد انه عني به الشئ الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد والسكحل ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن لان هذه

(والارض مددناها) بسطانها من تحت الكعبة والجمهور على انه تعالى مدها على وجه الماء (واقينافها رواسي) في الارض جبالا ثوابت (وانبتنا فيها من كل شئ موزون) وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان اوله وزن وقدر في ابواب المنفعة والنعمة او ما يوزن كالزعفران والذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها وخص ما يوزن لانه الكيل الى الوزن

الارض (معاش) بايش به من المطاعم جمع معيشة وهي بياض صريحة بخلاف الخبثات ونحوها فان تصرح الياء فيها ختلاً (ومن لستم له برازقين) من في محل النصب بالعطف على معاش أو على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معاش وجعلنا لكم من لستم له برازقين أو جعلنا لكم فيها معاش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والماليك والخدم الذين يظنون أنهم برزقونهم ويخطون فان الله هو الرزاق يرزقهم وايهم ويدخل فيه الانعام والدواب ونحو ذلك ولا يجوز ان يكون محل من جر بالعطف على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور الاباعادة الجار (وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شئ يتفجع به العباد الا ونحن قادرون على اجابته وتكوينه والانعام بهور نعطيها لا بمقدار معلوم فضررب الخزائن مثلاً لاقتداره على كل مقدور (وأرسلنا الرياح لواقح) جمع لاقحة أي وأرسلنا الرياح حوامل بالسحاب لانها تحمل السحاب في جوفها كانه لاقحة بها من

الاشياء كلها توزن وقيل معنى موزون متناسب في الحسن والهيئة والشكل تقول العرب فلان موزون الحركات اذا كانت حركاته متناسبة حسنة وكلام موزون اذا كان متناسباً حسناً بعيداً من الخطا والسخف وقيل ان جميع ما ينبت في الارض والجبال نوعان أحدهما ما يستخرج من المادن وجميع ذلك موزون والثاني النبات وبعضه موزون أيضاً وبعضه مكيل وهو يرجع الى الوزن لان الصاع والمد مقدران بالوزن (وجعلنا لكم فيها معاش) جمع معيشة وهو ما يشبه به الانسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم والمنسارب والملابس ونحو ذلك (ومن لستم له برازقين) يعني الدواب والوحش والطيروا تم منتفعون بها ولستم لها برازقين لان رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وتكون من في قوله تعالى ومن لستم بمعنى مالان من ان يعقل وما لن لا يعقل وقيل يجوز اطلاق لفظه من على من لا يعقل كقوله تعالى فهم من بشئ على بطنه وقيل أراد بهم العبيد والخدم فتكون من على أصلها ويدخل معهم ما لا يعقل من الدواب والوحش (وان من شئ الا عندنا خزائنه) الخزائن جمع خزانة وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء للحفاظ يقال خزن الشيء اذا حوزة فليل أراد مفاتيح الخزائن وقيل أراد بالخزائن المطر لانه سبب الارزاق والمعاش لبني آدم والدواب والوحش والطيروا معنى عندنا انه في حكمه وتصرفه وأمره وتديره قوله تعالى (وما ننزله الا بقدر معلوم) يعني بقدر الكفاية وقيل ان لكل أرض حداً ومقداراً من المطر يقال لا تنزل من السماء قطرة مطر الا و معها ملك بسوقها الى حيث يشاء الله تعالى وقيل ان المطر ينزل من السماء كل عام بقدر واحد لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يطر قوماً ويحرم آخرين وقيل اذا أراد الله بقوم خيراً أنزل عليهم المطر والرحمة واذا أراد بقوم شراً صرف المطر عنهم الى حيث لا ينتفع به كالبراري والقفار والرمال والبحار ونحو ذلك وحكي جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده انه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر وهو تأويل قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه (وأرسلنا الرياح لواقح) قال ابن عباس يعني للشجر وهو قول الحسن وقتادة وأصل هذا من قولهم لقمحت الناقة وألقحها الفحل اذا ألقى اليها الماء فحملته فكذلك الرياح كالفحل للسحاب وقال ابن مسعود في تفسير هذه الآية يرسل الله الرياح لتلقح السحاب فتحمل الماء فتجمعه في السحاب ثم تمر به فتدرك كاندرا لتقحه وقال عبيد بن عمير يرسل الله الرياح للبشرة فتحم الأرض قائم يرسل المنيرة فتثير السحاب ثم يرسل المولفة فتؤلف السحاب بعضها الى بعض فتجعلها ركاباً ثم يرسل الواقح فتلقح الشجر والاطهر في هذه الآية القاحها السحاب لقوله بعدد فانزلنا من السماء ماء قال أبو بكر بن عياش لا تقطر قطرة من السماء الا بعد أن تعمل الرياح الاربع فيها فالصبا تهيج السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه وقال أبو عبيد لواقح هنا بمعنى ملاقح جمع ملقحة حذف الميم وردت الى الاصل وقال الزجاج يجوز ان يقال لواقح وان ألقحت غيرها لان معناها النسبة كما يقال درهم وزن أي ذو وزن واعترض الواحد على هذا فقل هذا ليس بمن لان كان يجب أن يصح اللاقح بمعنى ذات لقح حتى يوافق قول المفسرين وأجاب الرازي عنه بان قال هذا ليس بشئ لان اللاقح هو المنسوب الى اللقحة ومن أفاد غير اللقحة فله نسبة الى اللقحة وقال صاحب المفردات لواقح أي ذات لقاح وقيل ان الريح في نفسها لاقح لانها حاملة للسحاب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى حتى اذا أقلت سحاباً تقف لأى حلت فعلى هذا تكون الريح لاقحة بمعنى حاملة تحمّل السحاب وقال الزجاج ويجوز ان يقال للريح لقمحت اذا أنت بالخير كما قيل لها عقيم اذا لم تأت بخير وورد في بعض الاخبار أن الملقح الرياح الجنوب وفي بعض الآثار ما هبت رياح الجنوب الا وانبتت عينا غدت (ق) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح قال اللهم اني أسألك خيراً وخير ما فيها وخيراً أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به وروى البغوي بسنده الى الشافعي الى ابن عباس قال ما هبت ريح قط الا جثا النبي صلى الله عليه وسلم على

(فأزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه فجعلناه لكم سقياً) وما أنتم له بخازنين) نفي عنهم ما أنبت له نفسه في قوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه كما قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما أنتم عليه بقادرين دلالة عظيمة على قدرته وعجزهم (وانا لنحن نحى ونميت) أي نحى بالابحار ونميت بالافناء أو نميت عند انقضاء الآجال ونحى لجزاء الاعمال على التقديم والتأخير إذا الواو للجمع المطلق (ومن الوارثون) الباقيون بعد هلاك الخلق كلهم وقيل للباقي وارث استعاره من وارث الميت لأن يبقى بعد فاته (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين) من تقدم ولادة وموتوا من تأخروا ومن خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الاسلام أو في الطاعة أو في صف الجماعة أو صف الحرب ومن تأخر (وان ربك هو بحشرهم) أي هو وحده يقدر على حشرهم ويحيط بحشرهم (انه حكيم عليهم) باهر الحكمة واسع العلم (ولقد خلقنا الانسان) أي آدم (من صلصال) طين يابس غير مطبوخ (من جأ) صفة

ركبته وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقاباً اللهم اجعلها راحة ولا تجعلها كره فجعنا الله عز وجل انا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فأرسلنا عليهم الريح العقيم وقال وأرسلنا الريح لواقع وقال يرسل الريح مبشرات ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (فأزلنا من السماء ماء) يعني المطر (فأسقيناكموه) يعني جعلنا لكم المطر سقياً يقال أسقى فلان فلاناً إذا جعل له سقياً وسقاء إذا أعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل ماءً ولبناً إذا كان أسقيه فإذا جعلوا له ماء اشرب أرضه أو ماشيته يقال أسقيناها (وما أنتم له) يعني للمطر (بخازنين) يعني أن المطر في خزائنا لا في خزائنكم وقيل وما أنتم له بمائمين (وانا لنحن نحى ونميت) يعني بيدنا احياء الخلق واماتهم لا يقدر على ذلك إلا الله سبحانه وتعالى لأن قوله تعالى واننا لنحن بقبض الحصير يعني لا يقدر على ذلك سوانا (ومن الوارثون) وذلك بان نميت جميع الخلق فلا يبقى أحد سوانا فيقول ملك كل مالك ويبنى جميع ملك المال كين لنا والوارث هو الباقي بعد ذهاب غيره والله سبحانه وتعالى هو الباقي بعد فناء خلقه الذين آمنتمهم بما آتاهم في الحياة الدنيا لان وجود الخلق وما آتاهم كان ابتداءً منه تعالى فإذا فنى جميع الخلائق رجع الذي كانوا يملكونه في الدنيا على المجاز الى مالكه على الحقيقة وهو الله تعالى وقيل مصير الحق اليه ﴿وقوله عز وجل﴾ (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين) عن ابن عباس قال كانت امرأة تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى يكون في الصف الاول للثلاث اراها وتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطنه فانزل الله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين أخرجه النسائي وأخرجه الترمذي وقال فيه وقد روى عن ابن الجوزي نحوه ولم يذكروه عن ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح قال البغوي وذلك أن النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فرمما كان من الرجال من في قلبه رية فيتأخر الى آخر صف الرجال ومن النساء من في قلبها رية فتتقدم الى أول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت هذه الآية فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها أخرجه مسلم عن أبي هريرة وقال ابن عباس أراد بالمستقدمين من خلق الله وبالمتأخرين من لم يخلق الله تعالى بعد وقال بجاهد المستقدمون القرون الاولى والمتأخرون أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن المستقدمون يعني في الطاعة والخير والمتأخرون يعني فيهما وقال الازاعي أراد بالمستقدمين المسلمين في أول الوقت والمتأخرين المؤخرين طهالى أخرجه وقال مقاتل أراد بالمستقدمين والمتأخرين في صف القتال وقال ابن عيينة أراد من يسلم أولاً ومن يسلم آخراً وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حرض على الصف الاول فاذا جوا عليه وقال قوم كانت بيوتهم قاصية عن المسجد لئيبين دورنا ونشترى دوراً قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الآية وعلها لتتماجزون على النيات فاطمأنوا وسكنوا فيكون معنى الآية على القول الاول المستقدم للتقوى والمتأخر للنظر وعلى القول الاخير المستقدم لطلب الفضيلة والمتأخر للعتذر ومعنى الآية ان علمه سبحانه وتعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتأخرهم طائفتهم وعاصبتهم لا ينجى عليه شيء من احوال خلقه (وان ربك هو بحشرهم انه حكيم عليهم) يعني على ما علم منهم وقيل ان الله سبحانه وتعالى يميت الكل ثم يحشرهم الاولين والاخرين على ما اتوا عليه (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (ولقد خلقنا الانسان) يعني آدم عليه السلام في قول جميع المفسرين سمي انساناً لظهوره وادراك البصريات وقيل من النسيان لانه عهد اليه نفسى (من صلصال) يعني من الطين اليابس الذي اذا تقرته سمعت له صلصلة يعني صوتاً وقال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذي اذا نصب عنه الماء تشقق فاذا حرك تقعقع وقال بجاهد هو الطين المنقن واختاره الكسائي وقال هو من صل اللحم اذا أنقن (من جأ) يعني من الطين الاسود

بالماء فصار طينا فكت فصار
 حيا فخلص فصار سلالا فصور
 ويس فصار صلصالا
 فلا تناقض (والجان) أبا
 الجن كما آدم للناس أو هو
 ابليس وهو منصوب بفعل
 مضمر يفسره (خلقناه من
 قبل) من قبل آدم (من نار
 السموم) من نار الحر
 الشديد الناقد في المسام قيل
 هذه السموم جزء من
 سبعين جزء من سموم النار
 التي خلق الله منها الجن
 (واذ قال ربك) واذ كر
 وقت قوله (للملائكة اني
 خالق بشر من صلصال من
 حيا مسنون فاذا سويته)
 أتممت خلقته وهياها النفخ
 الروح فيها (ونفخت فيه
 من روحي) وجعلت فيه
 الروح وأحييته وليس تمت
 نفخ وانما هو تمثيل
 والاضافة للتخصيص
 (فقعوا له ساجدين) هو
 أمر من وقع يقع أي اسقطوا
 على الارض يعني اسجدوا
 له ودخل الفاء لانه جواب
 اذا وهو دليل على أنه يجوز
 تقدم الامر عن وقت
 الفعل (فسجد الملائكة
 كلهم أجمعون) فالملائكة
 جمع عام محتمل للتخصيص
 فقطع باب التخصيص
 بقوله كلهم وذ كر الكل
 احتمل تاويل التفرقة فقطعه بقوله أجمعون

(مسنون) أي متغير قال مجاهد وقتادة هو المنتن المتغير وقال أبو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سننت
 الماء اذا صببته قال ابن عباس هو التراب المتبل المنتن جعل صلصالا كالفخار والجمع بين هذه الاقوال على
 ما ذكره بعضهم ان الله سبحانه وتعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض فبها بالماء
 حتى اسودت وأنتن ريحها وتغيرت واليه الاشارة بقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم
 ان ذلك التراب بله بالماء وخره حتى اسود وانتن ريحه وتغير واليه الاشارة بقوله من حيا مسنون ثم ذلك الطين
 الاسود المتغير صورته صورة انسان أجوف فله اجف ويس كانت تدخل فيه الريح فتسمع له صلصلة يعني صوتا
 واليه الاشارة بقوله من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس اذا تنفخ في الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان
 بشرا سويا **يا** قوله تعالى (والجان خلقناه من قبل) يعني من قبل آدم عليه السلام قال ابن عباس الجن أبو
 الجن كما أن آدم أبو البشر وقال قتادة هو ابليس وقيل الجن أبو الجن وابليس أبو الشياطين وفي الجن
 مسلمون وكافرون يأكلون ويشربون ويموتون ويموتون كبنى آدم وأما الشياطين فليس فيهم مسلمون
 ولا يموتون الا اذا مات ابليس وقال وهب ان من الجن من يولد له وياكلون ويشربون بمنزلة الآدميين ومن
 الجن من هو بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين نوع
 من الجن لا شترا كهم في الاستتار سمو اجنالتوار بهم واستتارهم عن الاعين من قولهم جن الليل اذا ستر
 والشيطان هو العاني المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر (من نار السموم) يعني من ریح حارة
 تدخل مسام الانسان من لطفها وقوة حرارتها فتقتله ويقال للريح الحارة التي تكون بالنهار السموم وللريح
 الحارة التي تكون بالليل الحرور وقال أبو صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين
 السماء والحجاب فاذا حدث أمر خرقت الحجاب فهوت الى ما أمرت به فاهدة التي تسمعون من خرقت ذلك
 الحجاب وهذا على قول أصحاب الهيئة ان الكرة الرابعة تسمى كرة النار وقيل من نار السموم يعني من نار جهنم
 وقال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزء من السموم التي خلق منها الجن وتلا هذه الآية وقال ابن
 عباس كان ابليس من حيا من الملائكة يسمون الجن خلقوا من نار السموم وخلق الجن الذين ذكروا في
 القرآن من مارح من نار وخلق الملائكة من النور **وقوله عز وجل** (واذ قال ربك للملائكة) أي واذ كر
 يا محمد اذ قال ربك للملائكة (اني خالق بشرا) سمي الآدمي بشرا لانه جسم كسيف ظاهر والبشرة ظاهر الجلد
 (من صلصال من حيا مسنون) تقدم تفسيره (فاذا سويته) يعني عدلت صورته وأتممت خلقه (ونفخت فيه
 من روحي) النفخ عبارة عن اجراء الريح في تجايف جسم آخر ومنه نفخ الروح في النشأة الاولى وهو المراد
 من قوله ونفخت فيه من روحي وأضاف الله عز وجل روح آدم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لما
 كما يقال بيت الله وناقة الله وعبد الله وسيأتي الكلام على الروح في تفسير سورة الاسراء عند قوله ويستلونك
 عن الروح ان شاء الله تعالى (فقعوا له ساجدين) الخطاب للملائكة الذين قال الله لهم اني خالق بشرا أمرهم
 بالسجود لآدم بقوله فقعو له ساجدين وكان هذا السجود سجود تحية لاسجود عبادة (فسجد الملائكة
 كلهم) يعني الذين أمروا بالسجود لآدم (أجمعون) قال سيبويه هذا تو كيد بعد تو كيد وسئل المبرد عن
 هذه الآية فقال لو قال فسجد الملائكة لاحتمل أن يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم لزم ازالة ذلك الاحتمال
 فظهر بهذا انهم سجدوا باسراهم عند هذا بقى احتمال آخر وهو انه سجدوا في اوقات متفرقة وفي دفعة
 واحدة فلما قال أجمعون ظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكي الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول
 التحليل وسيبويه أجمعون لان أجمعين معرفة فلا تكون حالاروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله سبحانه
 وتعالى أمر جماعة من الملائكة بالسجود لآدم فلم يفعلوا فامر الله عليهم نار افاحرقهم ثم قال لجماعة أخرى

(الابليس) ظاهر الاستثناء يدل على أنه كان من الملائكة لان المستثنى يكون من جنس المستثنى منه وعن الحسن ان الاستثناء مفعول
ولم يكن هو من الملائكة قلنا غير المأمور لا يصير الترك ملاما وقال في الكشف كان بينهم ما موراهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى
بعد الغلب كقولك رأيتم الاهندا (أنى أن يكون مع الساجدين) امتنع أن يكون معهم وأنى استثناف على تقدير قول قائل يقول هذا
سجد فقيل أنى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه وان امكن ابليس أنى (قال ابليس مالك لأنك تكون مع الساجدين) حرف الجر مع أن محذوف
تقديره مالك في أن لأنك تكون مع الساجدين أى أى غرض لك فى ابنتك السجود (قال لم أكن لاسجد) اللام لنا كيد النفى أى لا يصح منى
أن أسجد (بشر خلقته من صصال من حمامسون قال فاخرج منها) من السماء أو من الجنة أو من نجلة الملائكة (فانك رجيم) مطرود من رحمة
الله ومعناه ما هو لان اللعنة هو الطرد (١٠٢) من الرحمة والابعاد منها (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) ضرب

اسجدوا لآدم فسجدوا (الابليس أنى أن يكون مع الساجدين) يعنى مع الملائكة الذين أمروا بالسجود
لآدم فسجدوا (قال) يعنى قال الله (يا ابليس مالك لأنك تكون مع الساجدين قال) يعنى ابليس (لم أكن
لاسجد لبشر خلقته من صصال من حمامسون) أراد ابليس انه أفضل من آدم لان آدم طينى الاصل و ابليس
نارى الاصل والنار أفضل من الطين فيكون ابليس فى قياسه أفضل من آدم ولم يدرك الخبيث ان الفضل فيما
فضله الله تعالى (قال فاخرج منها) يعنى من الجنة رقيلا من السماء (فانك رجيم) أى طريد (وان عليك اللعنة
الى يوم الدين) قيل ان أهل السموات يلعنون ابليس كما لعنه أهل الارض فهو ملعون فى السماء والارض
فان قلت ان حرف الى لانتهاء الآية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذى هو يوم القيامة قلت لا بل يزداد
عذابا الى اللعنة التى عليه كانه قال تعالى وان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم تزداد معها بعد ذلك عذابا دائما
مستمر الانقطاع له (قال رب فانظرنى) يعنى آخرنى (الى يوم يعثون) يعنى يوم القيامة وأراد بهذا السؤال
انه لا يموت أبدا لانه اذا أمهل الى يوم القيامة ويوم القيامة لا يموت فيه أحد لزم من ذلك انه لا يموت أبدا فلهاذا
السبب سأل الا نظار الى يوم يعثون فاجابه الله سبحانه وتعالى بقوله (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت
المعلوم) يعنى الوقت الذى يموت فيه جميع الخلائق وهو النفخة الاولى فيقال ان مدة موت ابليس أربعون
سنة وهو ما بين النفختين ولم تكن اجابة الله تعالى اياه فى الامهال كما مال بل كان ذلك الامهال زيادة له فى
بلائه وشقائه وعذابه وانما سمي يوم القيامة بيوم الوقت المعلوم لان ذلك اليوم لا يعلمه أحد الا الله تعالى فهو
معلوم عنده وقيل لان جميع الخلائق يموتون فيه فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل لما سأل ابليس الا نظار الى يوم
يعثون اجابه الله بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعنى اليوم الذى عيقت وسألت الا نظار اليه
(قال رب بما أغويتنى) الباء للقسم فى قوله بما وما مصدرية وجواب القسم (لازينن) والمعنى فباغوائك
اي لا زينن لهم فى الارض وقيل هى باء السبب يعنى بسبب كونى غاويا لا زينن (لهم فى الارض) يعنى لا زينن
لهم حب الدنيا ومعاصيك (ولاغوينهم أجمعين) يعنى بالقاء الوسوسة فى قلوبهم وذلك ان ابليس لما علم انه
يموت على الكفر غير مغفور له حرص على اضلال الخلق بالكفر واغواهم ثم استثنى فقال (الاعبادك منهم
المخلصين) يعنى المؤمنين الذين أخلصوا لك التوحيد والطاعة والعبادة ومن فتح اللام من المخلصين يكون
المعنى الامن أخلصته واصطفيته لتوحيده وعبادتك وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم ان كيد
ووسوسته لا تعمل فيهم ولا يقبلون منه وحقيقة الاخلاص فعل الشئ خالصا عنه عن شائبة الغير فكل من أتى

يوم الدين حدا لللعنة لانه
أبعد غاية يضر بها الناس فى
كلامهم والمراد به انك
مذموم مدعو عليك باللعنة
فى السموات والارض الى
يوم الدين من غير أن تعذب
فاذا جاء ذلك اليوم عذبت
بما ينسى اللعن معه (قال رب
فانظرنى) فاخرنى (الى يوم
يعثون قال فانك من
المنظرين الى يوم الوقت
المعلوم) يوم الدين ويوم
يعثون ويوم الوقت المعلوم
فى معنى واحد ولكن خولف
بين العبارات سلوكا بالكلام
طريقة البلاغة وقيل انما
سأل الا نظار الى اليوم الذى
فيه يعثون لا يموت لانه
لا يموت يوم البعث أحد فلم
يجب الى ذلك وانظر الى
آخر أيام التكليف (قال
رب بما أغويتنى) الباء
للقسم وما مصدرية وجواب

القسم لا زينن لهم والمعنى أقسم باغوائك اي (لا زينن لهم) المعاصى ونحوه قوله
بما أغويتنى لا زينن لهم فبعضتك لاغوينهم فى أنه أقسام الأنا أحدهما أقسام بصفة الذات والثانى بصفة الفعل وقد فرق الفقهاء بينهما فقال
العراقيون الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة والعزة وبين والحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس يمين والاصح ان الايمان مبنية
على العرف فاعرف الناس الحلف به يكون بيمين او مالا فلا الآية منجزة على المعتزلة فى خلق الافعال وحملهم على التسبب عدول عن الظاهر
(فى الارض) فى الدنيا التى هى دار الضرور واراد انى أقدر على الاحتيال لآدم والتزين له الا كل من الشجرة وهو فى السماء فاما على التزين
لاولاده فى الارض أقدر (ولاغوينهم أجمعين الاعبادك منهم المخلصين) وبكسر اللام بصري ومكى وشامى استثنى المخلصين لانه علم ان
كيد لا يعمل فيهم ولا يقبلونه منه

بعمل

قال هذا صراط على مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين (١٠٣) أي هذا طريق حق على أن أراعيه وهو

أن لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقيل معنى على الى على يعقوب من علو الشرف والفضل (وان جهنم لموعدهم أجمعين) الضمير للغاوين (لها سبعة أبواب لكل باب منهم) من اتباع ابليس (جزء مقسوم) نصيب معلوم مفرز قيل أبواب النار الجباة وادراكها فاعلاها للموحدين يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين (ان المتقين في جنات وعيون) وبضم العين مدني وبصري وحفص المتقي على الاطلاق من يتقى ما يجب اتقاؤه انتهى عنه وقال في الشرح ان دخل أهل الكبراء في قوله لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم فالمراد بالمتقين الذين اتقوا الكبراء والافعال اذ به الذين اتقوا الشرك (ادخلوها) أي يقال لهم ادخلوها (بسلام) حال أي سالمين أو مسلمة اعليكم وسلم عليكم الملائكة (آمنين) من الخروج منها والآفات فيها وهو حال أخرى (ونزعنا ما في صدورهم من غل) وهو

يعمل من أعمال الطاعات فلا يخلو اما ان يكون مراده بتلك الطاعة وجه الله فقط أو غيراته أو مجموع الامرين أما ما كان لله تعالى فهو الخالص المقبول وأما ما كان لغير الله فهو الباطل المردود وأما من كان مراده مجموع الامرين فان ترجح جانب الله تعالى كان من المخلصين الناجين وان ترجح الجانب الآخر كان من الهالكين لان المثل يقابله المثل فيبقى القدر الزائد والى أي الجانبين رجح أخذ به (قال) يعني قال الله تبارك وتعالى (هذا صراط على مستقيم) قال الحسن معناه هذا صراط على مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعاليه طريقه لا يرجع الى شيء وقال الاخفش معناه على الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائي هذا على طريق التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه طريقك على أي لا تنفقت مني وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقيل هذا عائد الى الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق على والى يؤدي الى كرامتي ورضواني (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) أي قوة وقدرة وذلك ان ابليس لما قال لازين لهم في الارض ولا غوينهم أجمعين الاعبادك منهم المخلصين أو هم بهذا الكلام ان له سلطانا على غير المخلصين فبين الله سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على أحد من عبده سواء كان من المخلصين أو لم يكن من المخلصين قال أهل المعاني ليس لك سلطان على قلوبهم وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان ان تلقيهم في ذنب يضيق عنه عفوي وهو لا يخاصته أي الذين هداهم واجتباهم من عباده (الامن اتبعك من الغاوين) يعني الامن اتبع ابليس من الغاوين فان له عليهم سلطانا بسبب كونهم منقادين له فيما يامرهم به (وان جهنم لموعدهم أجمعين) يعني موعدا ابليس وأشياعه وأتباعه (لها) يعني لجهنم (سبعة أبواب) يعني سبع طبقات قال علي بن أبي طالب تدرجون كيف أبواب جهنم هكذا ووضع احدي يديه على الاخرى أي سبعة أبواب بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات وأطراف جهنم ثم لظي ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم جزء مقسوم) يعني لكل دركة قوم يسكنونها والجزء بعض الشيء وجزأه جعلته أجزاء والمعنى ان الله سبحانه وتعالى يجزي اتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل قسم منهم دركة من النار والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة فذلك اختافت مراتبهم في النار قال الضحاك في الدركة الاولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله سبحانه وتعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال جهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمي أو قال على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله سبحانه وتعالى (ان المنافقين في جنات وعيون) المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك في قول جمهور المفسرين وقيل هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي والجنات البساتين والعيون الانهار الجارية في الجنات وقيل محتمل أن تكون هذه العيون غير الانهار الجارية التي في الجنة وعلى هذا فهل يختص كل واحد من أهل الجنة بعيون أو تجرى هذه العيون من بعضهم الى بعض وكلا الامرين محتمل فيحتمل أن كل واحد من أهل الجنة يختص بعيون تجرى في جناته وقصوره ودوره فينتفع بها هو ومن يختص به من حوره وولده انه ويحتمل أنها تجرى من جنات بعضهم الى جنات بعض لانهم قد طهروا من الحسد والحقد (ادخلوها) أي يقال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى أو بعض ملائكته (بسلام آمنين) يعني ادخلوا الجنة مع السلامة والامن من الموت ومن جميع الآفات (ونزعنا ما في صدورهم من غل) الغل الحقد الكامن في القلب ويطلق على الشح والعداوة والبغضاء والحقد والحسد وكل هذه لخصال المذمومة داخلية في الغل لانها كامنة في القلب بروي ان المؤمنين يحسدون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى

لقد الكامن في القلب أي ان كان لاحدهم غل في الدنيا على آخر نزع الله ذلك في الجنة من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل وألقى فيها

التوابع والتعاب (أخوانا) حال (على سرر متقابلين) كذلك قيل تدور بهم الاسرة حيث اداروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضا (لا يسميهم فيها نصب) في الجنة تعب (وما هم منها بمخرجين) فتمام النعمة بالخلود ولما تم ذكر الوعد والوعيد أتبعه (نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم) (١٠٤) تقرير الماذكر وتذكيره في النفوس قال عليه السلام لو يعلم العبد

قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبغض نفسه في العبادة ولما أقدم على ذنب وعطف (ونبئهم) وأخبر أمتك على نبي عبادي ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم (عن ضيف ابراهيم) أي أضيفه وهو جبريل عليه السلام مع أحد عشر ملكا والضيف يجي واحدا وجعلانه مصدر ضافة (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أي نسلم عليك سلاما وسلمنا سلاما (قال) أي ابراهيم (انامنكم وجلون) خائفون لامتناعهم من الاكل أولدخولهم بغير اذن وبغير وقت (قالوا لا توجل) لا تخف (انا نبشرك) استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجع أي انك مبشر آمن فلا توجل وبالتخفيف وفتح النون حزة (بغلام عليم) هو اسحق لقوله في سورة هود فبشرناها باسحق (قال) بشرتموني على أن مسني

الجنة وقد تقويت قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد (أخوانا) يعني في المحبة والمودة والمخالطة وليس المراد منه اخوة النسب (على سرر) جمع سرر يقال بعض أهل المعاني السرير مجلس رفيع عال مهيا للسرور وهو ما خوذ منه لأنه مجلس سرور وقال ابن عباس على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل صنعاء الى الحامية (متقابلين) يعني يقابل بعضهم بعضا لا ينظر أحد منهم في قفا صاحبه وفي بعض الاخبار ان المؤمن في الجنة اذا أراد أن يلتقي أخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما الى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان (لا يسميهم فيها) يعني في الجنة (نصب) أي تعب ولا اعياء (وما هم منها) يعني من الجنة (بمخرجين) هذا نص من الله في كتابه على خلود أهل الجنة في الجنة والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكال بلا نقصان وفوز بلا حرمان ﴿ قوله سبحانه وتعالى (نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم) قال ابن عباس يعني لمن تاب منهم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يضحكون فقال أضحكون وبين أيديكم النار فتزل جبريل بهذه الآية وقال يقول لك ربك يا محمد تمقنط عبادي ذكره البغوي بغير سند (وأن عذابي هو العذاب الاليم) قال قتادة بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم العبد قدر عذابه لبغض نفسه يعني لقتل نفسه (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سبحانه وتعالى خلق الرحمة يوم خلقها ما ترحمة فامسك عنده تسع وتسعين رحمة وادخل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار وفي الآية لطائف منها انه سبحانه وتعالى أضاف العباد الى نفسه بقوله نبي عبادي وهذا شريف وتعظيم لهم ألا ترى انه لما أراد أن يشرف محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحانه الذي أسرى بعبد ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل في هذا الشرف العظيم ومنها انه سبحانه وتعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التأكيد بالفاظ ثلاثة أولها قوله أني وثانيها انا وثالثها ادخال الالف واللام في الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل اني أنا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وأن عذابي هو العذاب الاليم على سبيل الاخبار ومنها انه سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ عباده هذا المعنى فكانه أشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) هذا معطوف على ما قبله أي واخبر يا محمد عبادي عن ضيف ابراهيم وأصل الضيف الميل يقال ضفت الى كذا اذا ملت اليه والضيف من مال اليك نزولاً بك وصارت الضيافة متعارفة في القرى وأصل الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في عامة كلامهم وقد يجمع فيقال أضياف وضيوف وضيغان وضيف ابراهيم هم الملائكة الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى لبشر ابراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط (اذ دخلوا عليه) يعني اذ دخل الاضياف على ابراهيم عليه السلام (فقالوا سلاما) أي نسلم سلاما (قال) يعني ابراهيم (انامنكم وجلون) أي خائفون وانما خاف ابراهيم منهم لانهم لم يأكلوا طعامه (قالوا لا توجل) يعني لا تخف (انا نبشرك بغلام عليم) يعني أنهم بشروه بولد ذكر غلام في صغره عليم في كبره وقيل عليم بالاحكام والشرائع والمراد به اسحق عليه السلام فلما بشره بالولد عجب ابراهيم من كبره وكبر امرأته (قال) بشرتموني (يعني بالولد) (على أن مسني الكبر) يعني على حالة الكبر قاله على طريق التعجب (فبم تبشرون) يعني فبأي شيء تبشرون وهو

الكبر) أي بشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي أي ان الولادة أمر مستنكر عادة مع الكبر (فبم تبشرون) هي استفهام

ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قيل فبأي عجب تبشرون وبكسر النون والقشد يدمكي والاصل تبشروني فادغم نون الجمع في نون العبادتم حذف الياء وبقيت الكسرة دليلا عليها تبشرون بالتخفيف نافع والاصل تبشروني تحذفت الياء اجتزأ بالكسرة وحذف نون الجمع لاجتماع التوين والياقون بفتح النون وحذف المقول والنون نون الجمع

لوا بشرناك بالحق) باليقين الذي لا لبس فيه (فلان تكن من القانتين) من الآيسين من ذلك (قال) ابراهيم (ومن يقنط) وبكسر النون
 هري وعلى (من رحمة به الا الضالون) الا المخطون طريق الصواب والاكافرون كقوله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون أي
 استنكر ذلك فنوطا من رحمة ولكن استبعادا له في العادة التي أجراها (قال فما خطبكم) فاشأنكم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا إلى قوم
 رمين) أي قوم لوط (الآل لوط) يريد أهله المؤمنين والاستثناء منقطع لان القوم موصوفون بالأجرام والمستثنى ليس كذلك أو متصل فيكون
 استثناء من الضمير في مجرمين كأنه قيل الا قوم قد أجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم والمعنى يختلف باختلاف الاستثناءين لان آل لوط
 مخرجون في المنقطع من حكم الارسال يعني انهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلا ومعنى ارسالهم إلى القوم المجرمين
 كارسال السهم إلى المرمى في أنه في معنى التعذيب والهلاك كأنه قيل انا أهلكنا (١٥٥) قوما مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم

وأما في المتصل فهم داخلون
 في حكم الارسال يعني ان
 الملائكة أرسلوا إليهم جميعا
 ليهلكوا هؤلاء وينجوا
 هؤلاء واذا انقطع الاستثناء
 جرى (ان المنجوهوم أجمعين)
 مجرى خبر لكن في الاتصال
 بال لوط لان المعنى لكن
 آل لوط منجون واذا اتصل
 كان كلاما مستأنفا كان
 ابراهيم عليه السلام قال لهم
 فما حال آل لوط فقالوا انا
 لمنجوهوم (الا امرأته)
 مستثنى من الضمير المجرور
 في المنجوهوم وليس باستثناء
 من الاستثناء لان الاستثناء
 من الاستثناء إنما يكون فيما
 اتحد الحكم فيه بان يقول
 أهلكناهم الا آل لوط الا
 امرأته وهنا قد اختلف
 الحكم لان آل لوط
 متعلق بارسلنا وبمجرمين
 والا امرأته متعلق بمنجوهوم

استفهام بمعنى التعجب كأنه عجب من حصول الولد على الكبر (قالوا بشرناك بالحق) يعني بالصدق الذي
 قضاه الله بان يخرج منك ولدا ذكرا انك تذر به وهو اسحق (فلان تكن من القانتين) يعني فلان تكن من
 الآيسين من الخير والقنوط هو الا يياس من الخير (قال) يعني ابراهيم (ومن يقنط من رحمة به الا الضالون)
 يعني من يياس من رحمة به الا المكذبون وفيه دليل على ان ابراهيم عليه السلام لم يكن من القانتين
 ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظنت الملائكة ان به قنوطا فنفى ذلك عن نفسه وأخبر ان القانط
 من رحمة الله تعالى من الضالين لان القنوط من رحمة الله كبيرة كالامن من مكر الله ولا يحصل الا عند من
 يجمل كون الله تعالى قادرا على ما يريد ومن يجمل كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع المعلومات فكل هذه
 الامور سبب للضلالة (قال) يعني ابراهيم (فما خطبكم) يعني فاشأنكم وما الامر الذي جئتم فيه (أيها
 المرسلون) والمعنى ما الامر الذي جئتم به سوى ما بشرتموني به من الولد (قالوا) يعني الملائكة (انا أرسلنا
 إلى قوم مجرمين) يعني هلاك قوم مجرمين (الآل لوط) يعني أشياعه وأتباعه من أهل دينه (ان المنجوهوم
 أجمعين الامرأته) يعني امرأه لوط (قدرنا) يعني قضينا وانما أسند الملائكة القدر إلى أنفسهم وان كان
 ذلك لله عز وجل لا اختصاصهم بالله وقر بهم منه كما نقول خاصة الملك نحن أمرنا ونحن فعلنا وان كان قد
 فعلوه بأمر الملك (انهم المن الغابرين) يعني لمن الباقين في العذاب والاستثناء من النبي اثبات ومن الاثبات
 نفى فاستثناء امرأه لوط من الناجين بلحقها بالهالكين (فلما جاء آل لوط المرسلون) وذلك أن الملائكة
 عليهم السلام لما بشروا ابراهيم بالولد وعرفوه بما أرسلوا به ساروا إلى لوط وقومه فلما دخلوا على لوط (قال
 انكم قوم منكرون) وانما قال هذه المقالة لوط لانهم دخلوا عليه وهم في زى شبان مردان حسان الوجوه
 تخاف أن يهجم عليهم قومه فلهذا السبب قال هذه المقالة وقيل ان النكرة ضد المعرفة فقوله انكم قوم
 منكرون يعني لا أعرفكم ولا أعرف من أي الاقوام أنتم ولا لاى غرض دخلتم على فعند ذلك (قالوا) يعني
 الملائكة (بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) يعني جئناك بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه (وأنتناك بالحق)
 يعني باليقين الذي لا شك فيه (وانا لصادقون) يعني فيما أخبرناك به من اهلاكمهم (فأسر بأهلك بقطع من
 الليل) يعني آخر الليل والقطع القطعة من الشيء وبعضه (واتبع أديارهم) يعني واتبع آثار أهلك وسر
 خلفهم (ولا يلتفت منكم أحد) يعني حتى لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل المراد الاسراع

(١٤ - (خازن) - ثالث) فكيف يكون استثناء من استثناء لمنجوهوم بالتخفيف جزء وعلى (قدرنا) وبالتخفيف أبو بكر (انهم المن
 الغابرين) الباقين في العذاب قيل لولم تكن اللام في خبرها الوجوب فتح ان لانه مع اسمه وخبره مفعول قدرنا ولكنه كقوله ولقد علمت
 الجنة انهم لمحضرون وانما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله لقر بهم كما يقول خاصة الملك أمرنا بكذا والامر هو الملك
 (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون) أي لا أعرفكم أي ليس عليكم زى السفر ولا أتم من أهل الحضرة فأخاف أن تطرقوني
 بشر (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أي ما جئناك بما نكرنا لاجله بل جئناك بما فيه سرورك وتشفيك من أعدائك وهو العذاب
 الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه أي يشكون ويكذبونك (وأنتناك بالحق) باليقين من عذابهم (وانا لصادقون) في الاخبار بنزوله
 (فأسر بأهلك بقطع من الليل) في آخر الليل أو بعد ما مضى شيء صالح من الليل (واتبع أديارهم) وسر خلفهم لتكون مطالعا عليهم وعلى أحوالهم
 (ولا يلتفت منكم أحد) لتلا بروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم أو جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني

والتوقف لان من يلتفت لبدله في ذلك من أدنى وقفة (وامضوا حيث تؤمرون) حيث أمركم الله بالمضي اليه وهو الشام أو مصر (وقضينا اليه ذلك الامر) عدى قضينا بالي لانه ضمن معنى أو حيناً كانه قيل وأوحينا اليه مقضياً مبتوتاً وفسر ذلك الامر بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع) وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر ودابرهم آخرهم أي يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد (مصباحين) وقت دخولهم في الصبح وهو حال من هؤلاء (وجاء أهل المدينة) (١٠٦) سدوم التي ضرب بقاضها المثل في الجور (يستبشرون) بالملائكة طمعا

منهم في ركوب الفاحشة (قال) لوط (ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون) بفضيحة ضيفي لان من أساء الى ضيفي فقد أساء الى (واتقوا الله ولا تخزون) أي ولا تذولون باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان وبالياء فيهما يعقوب (قالوا أولم تهك عن العالمين) عن أن تحجرهم منهم أحدا أو تدفع عنهم فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان عليه السلام يقوم بالنهي عن المنكر والجحيز بينهم وبين المعرض له فواعدوه وقالوا لئن لم تنته بالوط لتكونن من المخرجين أو عن ضيافة الغرباء (قال هؤلاء بناتي) فانكحوهن وكان نكاح المؤمنات من الكفار جائزاً ولا تعرضوا لهم (ان كنتم فاعلين) ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم فقالت الملائكة للوط عليه السلام (لعمرك انهم لفي سكرتهم) أي في غوايتهم التي أذهبت عقولهم وتغيرهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب

في السير وترك الالتفات الى ورائه والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشأنك ولا تعرج على شيء وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من آل لوط ولشلا يتخلف أحد منهم فينال العذاب (وامضوا حيث تؤمرون) قال ابن عباس يعني الى الشام وقيل الاردن وقيل الى حيث يأمركم جبريل وذلك أن جبريل أمرهم أن يسيروا الى قرية معينة ما عمل أهلها عمل قوم لوط (وقضينا اليه ذلك الامر) يعني وأوحينا الى لوط ذلك الامر الذي حكمنا به على قومه وفرغنا منه ثم انه سبحانه وتعالى فسر ذلك الامر الذي قضاه بقوله (ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) يعني ان هؤلاء القوم يستأصلون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح وانما أبهم الامر الذي قضاه عليهم أولاً وفسره ثانياً تفخيماً له وتعظيماً لشأنه (وجاء أهل المدينة) يعني مدينة سدوم وهي مدينة قوم لوط (يستبشرون) يعني يبشر بعضهم بعضاً بأضياف لوط والاستبشار اظهار الفرح والسرور وذلك أن الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر أمرهم في المدينة وقيل ان امرأته أخبرتهم بذلك وكانوا شباناً مردداً في غابة الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط الى داره طمعا منهم في ركوب الفاحشة (قال) يعني قال لوط لقومه (ان هؤلاء ضيفي) وحق على الرجل اكرام ضيفه (فلا تفضحون) يعني فيهم يقال فضحه بفضحه اذا ظهر من أمره ما يلزمه العار بسببه (واتقوا الله) يعني خافوا الله في أمرهم (ولا تخزون) يعني ولا تخجلون (قالوا) يعني قوم لوط الذين جاؤا اليه (أولم تهك عن العالمين) يعني أولم تهك عن أن تضيف أحداً من العالمين وقيل معناه أولم تهك أن تدخل الغرباء الى بيتك فاننا نريد أن نركب منهم الفاحشة وقيل معناه السناقذ نهيناك أن تكلمنا في أحد من العالمين اذا قصدنا داب الفاحشة (قال) يعني قال لوط لقومه الذين قصدوا أضيافه (هؤلاء بناتي) أزوجكم اياهن ان أسلمتم فأتوا الحلال ودعوا الحرام وقيل أراد بالبنات نساء قومه لان النبي كالألدلته (ان كنتم فاعلين) يعني ما أمركم به (لعمرك) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس معناه وحياتك يا محمد وقال ما خلق الله نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما أقم بحياة أحد الا بحياته والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن الانسان بالحياة والروح وبقائه مدة حياته قال النحويون ارتفع لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسمي خذف الخبر لان في الكلام دلالة عليه (انهم لفي سكرتهم) يعني في حيرتهم وضلالتهم وقيل في غفلتهم (يعمهون) يعني يترددون متعجبين وقال قتادة يلعبون (فأخذتهم الصيحة مشرقين) يعني حين أضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب الذي نزل بهم وقت الصبح وتمامه وانهاؤه حين أشرقت الشمس (جعلناها ليا سافها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) تقدم تفسيره في سورة هود (ان في ذلك) يعني الذي نزل بهم من العذاب (آيات للمتوسمين) قال ابن عباس للناظرين وقال قتادة للمتعبين وقال مقاتل للمتفكرين وقال مجاهد للمتفرسين وبعض هذا التأويل ما روي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ ان في ذلك آيات للمتوسمين أخرجه الترمذي وقال حديث غريب الفراسة بالكسر اسم من قولك تفرست في فلان الخبر وهي على نوعين أحدهما ما دل عليه ظاهر الحديث

الذي يشير به عليهم من ترك البنين الى البنات (يعمهون) يتحيرون فكيف يقولون قولك ويصفون الى نصيحتك وهو أو الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قسم بحياته وما أقم بحياة أحد فقط تعظيماً له والعمر والعمر واحد وهو البقاء الا أنهم خصوا القسم بالفتوح اشارة بالاختلاف كثرة دور الخلف على السنهم ولذا حذفوا الخبر وتقديره لعمرك قسمي (فأخذتهم الصيحة) صيحة جبريل عليه السلام (مشرقين) داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس (جعلناها ليا سافها) رفعها جبريل عليه السلام الى السماء ثم قلبها والضمير لقري قوم لوط (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) ان في ذلك آيات للمتوسمين (للمتفرسين التأملين) كأنهم يعرفون بالطن الشيء بسمة ظاهرة

(وانها) وان هذه القرى يعني آثارها (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعدوهم يصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل (ان في ذلك آية للمؤمنين) لانهم المنتفعون بذلك (وان كان أصحاب الايكة) وان الامر والشأن كان أصحاب الايكة أي الفيضة (لظالمين) لكافرين وهم قوم شعيب عليه السلام (فانتم منا منهم) فاهلكناهم لما كذبوا شعيبا (وانهما) يعني قرى قوم لوط والايكة (لبامام مبين) لبطريق واضح والامام (١٠٧) اسم ما يؤتم به فسمى به الطريق ومطر البناء

لانهما مما يؤتم به (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) هم عمود والحجر واديهم وهو ما بين المدينة والشام المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا لان كل رسول كان يدعو الى الايمان بالرسول جميعا فن كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيثون في ابن الزبير وأصحابه (وآياتناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين) أي أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا) أي ينقبون في الجبال بيوتا ويننون من الحجارة (آمنين) لوثاق البيوت واستحكامها من ان تنهدم ومن نقب اللصوص والاعداء أو آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه (فاخذتهم الصيحة) العذاب (مصبحين) في اليوم الرابع وقت الصبح (فأغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة واقتناء

وهو ما يوقعه الله في قلوب أوليائه فيعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات واصابة الحدس والنظر والظن والتثبت والنوع الثاني ما يحصل بدلائل التجارب والخلق والاخلاق تعرف بذلك أحوال الناس أيضا وللناس في علم الفراسة تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج حقيقة المتوسمين في اللغة المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا سمة الشيء وصفته وعلامته فالتوسم الناظر في سمة الدلائل تقول توسمت في فلان كذا أي عرفت وسم ذلك وسمته (وانها) يعني قرى قوم لوط (لبسبيل مقيم) يعني بطريق واضح قال مجاهد بطريق معلم ليس يخفي ولا زائلي والمعنى ان آثار ما أنزل الله بهذه القرى من عذابه وغضبه لبسبيل مقيم ثابت لم يدثر ولم يخف والذين يعمرون عليهما من الحجاز الى الشام يشاهدون ذلك ويرون أثره (ان في ذلك) يعني الذي ذكر من عذاب قوم لوط وما أنزل بهم (آية للمؤمنين) يعني المصدقين بما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (وان كان أصحاب الايكة لظالمين) يعني كان أصحاب الايكة وهي الفيضة واللام في قوله لظالمين للتأكيدهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المقل وكانوا قوما كافرين فبعث الله عز وجل اليهم شعيبا رسولا فكذبوه فأهلكهم الله فهو قوله تعالى (فانتم منا منهم) يعني بالعذاب وذلك ان الله سبحانه وتعالى سلط عليهم الحر سبعة أيام حتى أخذوا بأنفاسهم وقرى بوا من الهلاك فبعث الله سبحانه وتعالى سحابة كالظلة فالتجوا اليها واجتمعوا تحتها يلمسون الروح فبعث الله عليهم نارا فأحرقتهم جميعا (وانهما) يعني مدينة قوم لوط ومدينة أصحاب الايكة (لبامام مبين) يعني بطريق واضح مستبين لمن صر بهما وقيل الضمير راجع الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما وانما سمي الطريق اماما لانه يؤتم ويتبع ولان المسافر يأتي به حتى يصير الى الموضع الذي يريد ﴿ قوله عز وجل (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) قال المفسرون الحجر اسم واد كان يسكنه عمود وهو معروف بين المدينة النبوية والشام وآثاره موجودة باقية يمر عليها ركب الشام الى الحجاز وأهل الحجاز الى الشام وأراد المرسلين صالحا وحده وانما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم اولانهم كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل (وآياتناهم آياتنا) يعني الناقة وولدها والآيات التي كانت في الناقة خرجها من الصخرة وعظم جنتها وقرب ولادها وغزارة لبنها وانما أضاف الآيات اليهم وان كانت لصالح لانه مرسل اليهم بهذه الآيات (فكانوا عنها) يعني عن الآيات (معرضين) يعني ناركين لها غير ملتفتين اليها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) يعني خوفا من الخراب أو ان يقع عليهم الجبل أو السقف (فاخذتهم الصيحة) يعني العذاب (مصبحين) يعني وقت الصبح (فأغنى عنهم ما كانوا يكسبون) يعني من الشرك والاعمال الخبيثة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ان يصيبكم ما أصابهم الا ان تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى جاوز الوادي ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) يعني لاظهار الحق والعذاب وهو ان يثاب المؤمن والمصدق ويعاقب الجاحد الكافر الكاذب (وان الساعة لآتية) يعني وان القيامة لتأتي ليجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته (فاصفح الصفح الجليل) الخطاب للنبي صلى الله عليه

الاموال النفيسة (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) الاخلاقا ملتبسا بالحق لا باطلا وعيشا أو بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال (وان الساعة) أي القيامة لتوقعها كل ساعة (لآتية) وان الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك (فاصفح الصفح الجليل) فاعرض عنهم اعراضا جيلا بهم واغضاه قيل هو منسوخ باية السيف وان أريد به المخالفة فلا يكون منسوخا

وهو بحكم ينسكم (ولقد آتيناك سبعا) أي سبع آيات وهي الفاتحة أو سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة بدليل عدم التسمية بينهما وقيل سورة يونس أو أسباع القرآن (من المثاني) هي من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما يتكرر في الصلاة أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة أو مثنية صفة لآية وأما السور الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعود والوعيد ولما فيها من الثناء كأنها تنسب على الله واذا جعلت السبع مثاني فن للتبيين واذا جعلت القرآن مثاني فن للتبويض (والقرآن العظيم) هذا ليس بعطف الشيء على نفسه لانه اذا أريد بالسبع الفاتحة أو الطوال فاورداهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا أريد به الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن

وسلم أي فاعرض عنهم يا محمد واعف عنهم عفو احسن واحتمل ما تلقى من أذى قومك وهذا الصفع والاعراض مذوخ بآية القتال وقيل فيه بعد لان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر الخلق الحسن وأن يعاملهم بالعضو والصفح الخالي من الجزع والخوف (ان ربك هو الخلاق العليم) يعني انه سبحانه وتعالى خلق خلقه وعلم ما هم فاعلمه وما يصلحهم ﴿ قوله عز وجل (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) قال ابن الجوزي سبب نزولها ان سبع قوافل وافت من بصري وأذرعان ليهود قر يظة والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البر والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقويناهم أو نقضناها في سبيل الله فانزل الله هذه الآية وقال قد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه السبع القوافل و يدل على صحة هذا قوله لا تمدن عينيك الآية قال الحسن بن الفضل قلت وهذا القول ضعيف أو لا يصح لان هذه السورة مكية باجماع أهل التفسير وليس فيها من المدني شيء ويهود قر يظة والنضير كانوا بالمدينة وكيف يصح أن يقال ان سبع قوافل جاءت في يوم واحد فيها أموال عظيمة حتى تمنها المسلمون فانزل الله هذه الآية وأخبرهم ان هذه السبع آيات هي خير من هذه السبع القوافل والله أعلم وفي المراد بالسبع المثاني أقوال أحدها انها فاتحة الكتاب وهذا قول عمرو بن علي وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية الاكثرين عنه وأبي هريرة والحسن وسعيد بن جبير وفي رواية عنه ومجاهد وعطاء وقتادة في آخرين و يدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني أخرجه أبو داود والترمذي (ق) عن أبي سعيد بن العلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته أخرجه البخاري وفيه زيادة أما السبب في تسمية فاتحة الكتاب بالسبع المثاني فلانها سبع آيات باجماع أهل العلم واختلفوا في سبب تسميتها بالمثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لانها تنسب في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل لانها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فنصفها الاول ثناء على الله ونصفها الثاني دعاء و يدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدتي نصفين الحديث منذ كور في فضل الفاتحة وقيل سميت مثاني لان كلماتها مثناة مثل قوله الرحمن الرحيم اياك نعبد و اياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين فكل هذه ألفاظ مثناة وقال الحسن بن الفضل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون ألف ملك قال مجاهد لان الله سبحانه وتعالى استثناهما وادخرها لهذه الامة فلم يعطها غيرهم وقال أبو زيد البلخي لانها تنسب أهل الشر من قول العرب ثبت عناني وقال الزجاج سميت فاتحة الكتاب مثاني لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكه واذا ثبت كون الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك على فضلها وشرفها وانها من أفضل سور القرآن لان افرادها بالذكر في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم مع انها جزء من أجزاء القرآن واحدى سورته لا بد وأن يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثاني في تفسير قوله سبعاً من المثاني انها السبع الطوال وهذا قول ابن عمرو ابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية عنه وسعيد بن جبير وفي رواية عنه السبع الطوال هي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف واختلفوا في السابعة فقيل الانفال مع براءة لانها كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة هي سورة يونس و يدل على صحة هذا القول ما روى عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المثني مكان الانجيل وأعطاني مكان الزبور المثاني وفضلني ربي بالمفضل أخرجه البيهقي باسناد الثعلبي قال ابن عباس انما سميت السبع الطوال مثاني لان الفرائض والحدود

(لا تمدن عينيك) أي لا
 تطمح ببصرك طموح
 راغب فيه متمن له (إلى
 ما تمتعنا به أزواجنا منهم)
 أصنافا من الكفار كاليهود
 والنصارى والمجوس يعني
 قد أوتيت النعمة العظمى
 التي كل نعمتان عظمت
 فهي إليها حقيرة وهي
 القرآن العظيم فعليك أن
 تستغنى به ولا تمدن عينيك
 إلى متاع الدنيا وفي الحديث
 ليس منا من لم يتغن بالقرآن
 وحديث أبي بكر من أوتي
 القرآن فرأى أن أحدا
 أوتي من الدنيا أفضل مما
 أوتي فقد صفر عظامها
 وعظم صغيرا (ولا تحزن
 عليهم) أي لا تمن أموالهم
 ولا تحزن عليهم انهم لم
 يؤمنوا فيتقوى بيمانهم
 الاسلام والمسلمون
 (واخفض جناحك
 للمؤمنين) وتواضع لمن
 معك من فقراء المؤمنين
 وطب نفسا عن إيمان
 الاغنياء (وقل) لهم (إني
 أنا النذير المبين) أذكركم
 ببيان وبرهان ان عذاب
 الله نازل بكم (كما أنزلنا)
 متعلق بقوله ولقد آتيناك
 أي أنزلنا عليك مثل ما
 أنزلنا (على المقسمين)
 وهم أهل الكتاب

الامثال والخبر والعبر ثبتت فيها وأورد على هذا القول ان هذه السور اطوال غالبها مدنيات فكيف يمكن
 تفسير هذه الآية بها وهي مكية وأجيب عن هذا الايراد بان الله سبحانه وتعالى حكم في سابق علمه بانزال هذه
 السور على النبي صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك صح ان تفسر هذه الآية بهذه السور القول
 الثالث ان السبع المثاني هي السور التي هي دون الطوال وفوق المفصل وهي المثني وسجدة هذا القول الحديث
 المتقدم وأعطاني مكان الزبور المثاني والقول الرابع ان السبع المثاني هي القرآن كله وهذا قول طاوس
 وسجدة هذا القول ان الله سبحانه وتعالى قال الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني وسمى القرآن كله
 مثاني لان الاخبار والقصص والامثال ثبتت فيه فان قلت كيف يصح عطف القرآن في قوله والقرآن العظيم
 على قوله سبع من المثاني وهل هو الا عطف الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع المثاني فاتحة الكتاب والسبع
 لطوال فاورداهن ينطلق عليه القرآن لان القرآن اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ألا ترى الى قوله
 ما أوحينا إليك هذا القرآن يعني سورة يوسف عليه السلام واذا عني بالسبع المثاني القرآن كله كان المعنى ولقد
 آتيناك سبع من المثاني وهي القرآن العظيم وانما سمي القرآن عظيما لانه كلام الله ووحيه أنزله على خير
 خلقه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله (لا تمدن عينيك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي لا تمدن
 عينيك يا محمد (إلى ما تمتعنا به أزواجنا) يعني اصنافا (منهم) يعني من الكفار متمنيا لها هي الله عز وجل
 رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومن اجتهأ أهلها عليها والمعنى انك قد أوتيت القرآن العظيم الذي
 فيه غنى عن كل شيء فلا تشغل قلبك وسرك بالالتفات الى الدنيا والرغبة فيها روى ان سفيان بن عيينة تأول
 قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن يعني لم يستغن بالقرآن فتناول هذه الآية قيل انما
 يكون ما دعا عينيه الى الشيء اذا دام النظر اليه مستحسنه فيحصل له من ذلك ثمنى ذلك الشيء المستحسن فكان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى الشيء من متاع الدنيا ولا يلتفت اليه ولا يستحسنه (ولا تحزن عليهم)
 يعني ولا تنغم على ما فانك من مشاركتهم في الدنيا وقل ولا تحزن على إيمانهم اذا لم يؤمنوا فيه النبي عن الالتفات
 الى أموال الكفار والالتفات اليهم ايضا وروى البغوي بسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لا تغبطن فاجرا بنعمة فانك لا تدري ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت قيل لابن ابي مرجم ما قاتلا
 لا يموت قال النار (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضل عليه
 في المال والخلق فليتنظر الى اسفل منه لفظ البخاري ولمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى
 من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم قال عوف بن عبد
 الله بن عتبة كنت أصعب الاغنياء فما كان احدا كثر هماني كنت أرى دابة خيرا من دابتي وثوبا خيرا
 من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحمت ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (واخفض جناحك)
 يعني لين جانبك (للمؤمنين) وارفق بهم لما نهاه الله سبحانه وتعالى عن الالتفات الى الاغنياء من الكفار
 أمر بالتواضع واللين والرفق بفقراء المسلمين وغيرهم من المؤمنين (وقل) أي وقل لهم يا محمد (إني أنا النذير
 المبين) لما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمؤمنين أمره بتبليغ
 ما أرسل به اليهم والندارة بتبليغ مع تخويف والمعنى اني أنا النذير بالعقاب لمن عصاني المبين بين الندارة
 (كما أنزلنا على المقسمين) يعني أذكركم عذابا كهذا انزلناه بالمقسمين قال ابن عباس أواد بالمقسمين
 اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة سمو بذلك لانهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه
 فما وافق كتبهم آمنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة انهم اقتسموا سور القرآن فقال واحد منهم
 هذه السورة لي وقال آخر هذه السورة لي وانما فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد انهم اقتسموا كتبهم
 فان بعضهم ببعضها وكفروا ببعضها وكفروا آخرون منهم بما آمن به غيرهم وقال قتادة وابن السائب أراد

(الذين جعلوا القرآن عضين) اجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء حيث قالوا بعنادهم بعه حتى موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لما اقتسموه إلى حق وباطل رعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لم يقرئ إلا سورة آل عمران لي أو أريد بالقرآن ما يقرؤه من كتبهم وقد اقتسموه فاليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الإنجيل وكذبت ببعض ويجوز (١١٠) أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوباً بالندبر أي انذر العضين الذين يجزئ

القرآن إلى سحر وسحر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فمعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منافاه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله ولا تمدن عينيك على الوجه الأول اعتراض بينهما لأنه لما كان ذلك تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعتراض بما هو مدار لمعنى التسليية من النهي عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الأمر بان يقبل بكليته على المؤمنين (فور بك لئسألهم أجمعين عما كانوا يعملون) أقسم بذاته وربوبيته ليسألن يوم القيامة واحداً واحداً من هؤلاء المقتسمين عما قالوه في رسول الله صلى الله عليه

بالمقتسمين كفار قرئش سمو بذلك لأن أقوالهم تقسمت في القرآن فقال بعضهم أنه كهانة وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين وقال ابن السائب سمو بالمقتسمين لأنهم اقتسموا عقاب مكة وطرفها وذلك ان الوليد بن المغيرة بعث رهطاً من أهل مكة قبيل ستة عشر وقيل أربعين فقال لهم انطلقوا فتفرقوا على عقاب مكة وطرفها حيث يمر بكم أهل الموسم فاذا سألوكم عن محمد فليقل بعضهم أنه كاهن وليقل بعضهم أنه شاعر وليقل بعضهم أنه ساحر فاذا جاؤا إلى صدقتكم فذهبوا وقعدوا على عقاب مكة وطرفها يقولون لمن مر بهم من حجاج العرب لا تغتروا بهذا الخارج الذي يدعى النبوة منافاه مجنون كاهن وشاعر وقد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا جاؤا وسأله عما قال أولئك المقتسمون قال صدقوا ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (الذين جعلوا القرآن عضين) ﴾ (خ) عن ابن عباس في قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى جزؤه أجزاء آمنوا ببعض وكفروا ببعض قيل هو جمع عضة من قولهم عضيت الشيء إذا فرقت وجعلته أجزاء وذلك لأنهم جعلوا القرآن أجزاء مفرقة فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو أساطير الأولين وقيل هو جمع عضة وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به العضة وهو السحر يعني أنهم جعلوا القرآن سحراً (فور بك لئسألهم أجمعين) أقسم الله بنفسه أنه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين (عما كانوا يعملون) يعني عما كانوا يقولونه في القرآن وقيل عما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي وقيل يرجع الضمير في لئسألهم إلى جميع الخلق المؤمن والكافر لان اللفظ عام فحمله على العموم أولى قال جماعة من أهل العلم عن لاله الا الله عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لئسألهم أجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لاله الا الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال أبو العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين فان قلت كيف الجمع بين قوله لئسألهم أجمعين وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه أنس ولا جان قلت قال ابن عباس لا يسأل هل عملتم لأنه أعلم به منهم ولكن يقول لم عملتم كذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام وسؤال توبيخ فقوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه أنس ولا جان يعني سؤال استعلام وقوله لئسألهم أجمعين سؤال توبيخ وتقرير وجواب آخر وهو مروي عن ابن عباس أيضاً أنه قال في الآيتين ان يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف فيستلون في بعض المواقف ولا يسئلون في بعضها نظيره قوله سبحانه وتعالى هذا يوم لا ينطقون وقال تعالى في آية أخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴿ قوله سبحانه وتعالى (فاصدع بما تؤمر) قال ابن عباس أظهر وبروي عنه أمضه وقال الضحاك اعلم وأصل الصدع الشق والفرق أي افرق بالقرآن بين الحق والباطل أمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية باظهار السعوة وتبليغ الرسالة إلى من أرسل اليهم قال عبد الله بن عبيدة مازال النبي صلى الله عليه وسلم مستغنيا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه (وأعرض عن المشركين) أي اكفف عنهم ولا تلتفت إلى لومهم على اظهار دينك وتبليغ رسالتك ربك وقيل أعرض عن الاهتمام باستهزائهم وقوله سبحانه وتعالى (انا كفيناك المستهزئين) أكثر

وسلم أو في القرآن أو في كتب الله (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به وأظهره يقال صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً من الصديق وهو المفسرين الفجر أو فاصدع فافرق بين الحق والباطل من الصدع في الزجاجية وهو الابانة بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع خذف الجار كقوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به (وأعرض عن المشركين) هو أمر استهزائهم (انا كفيناك المستهزئين) الجمهور على أنها نزلت في خمسة نفر كانوا يباغون في ابذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فاهلكهم الله وهم الوليد بن المغيرة من بنيال فتعلق بشوبه سهم فاصاب عرقاني عقبه فقطعه فاتوا المعاص بن وائل دخل في أخيه شوكة فاتمختر رجله فاتوا الاسود بن عبدالمطلب عمي والاسود بن عبدمنظور

المفسر بن علي ان هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقال بعضهم بالنسخ وجه لان معنى الاعراض ترك
المبالاة بهم والالتفات اليهم فلا يكون منسوخا وقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يقول الله عز وجل لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم فاصدع بما أمرتك به ولا تخف أحد اغيري فاني انا كافيك وحافظك ممن عاداك فانا
كفيناك المستهزئين وكانوا خمسة نفر من رؤساء كفار قريش كانوا يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم
وبالقرآن وهم الوليد بن المغيرة المخزومي وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمي والاسود بن المطلب بن الحرث
ابن أسد بن عبد العزى بن زمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم أعم بصره واثكله
بولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحرث بن قيس بن طلائة كذا ذكره
البعري وقال ابن الجوزي الحرث بن قيس بن عيطلة قال الزهري عيطلة أمه وقيس أبوه فهو منسوب الى أبيه
وأما قال المفسرون آتى جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزؤن يطوفون بالبيت
فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد
هذا قال بش عبد الله فقال قد كفيته وأومأ الى ساق الوليد فر الوليد برجل من خراطة نبال يرش نباله
وعليه برديماني وهو يجر ازاره فتعلقت شظية من النبل بازار الوليد فثغره الكبران يطأ طي رأسه فينزعهها
وجعلت تضربه في ساقه فخذشته فرفض منها فمات ومريم العاص بن وائل السهمي فقال جبريل كيف تجد
هذا يا محمد فقال بش عبد الله فاشار جبريل الى أخص قدمه وقال قد كفيته فخرج العاص على راحلة يتنزه
ومعه ابناه فنزل شعبان تلك الشعاب فوطئ شبرقة فدخل منها شوكة في أخص رجله فقال لدغت لدغت
فطلبوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومريم العاص بن وائل السهمي فقال جبريل
فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاشار جبريل بيده الى عينيه وقال قد كفيته فعمى قال ابن
عباس رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وفي
رواية الكلبى قال أتاه جبريل وهو قاعد في أصل شجرة ومعه غلام له وفي رواية جعل ينطح رأسه في الشجرة
ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال له غلامه ما أرى أحدا يصنع بك شيئا غيرك فمات وهو يقول
قتلني محمد ومريمهما الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بش عبد الله على أنه خالي
فقال جبريل قد كفيته وأشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات وفي رواية الكلبى أنه خرج من أهله فاصابه سموم
فأسود وجهه حتى صار حبشيا فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقت ابوابه الباب فمات وهو يقول قتلني رب محمد ومريم
بهما الحرث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاشار جبريل الى رأسه وقال قد كفيته
فامتخط قيحا فقتله وقال ابن عباس أنه أكل حوتا ملحا فاصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انقذ بطنه
فمات فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يعني بك وبالقرآن (الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف
يعلمون) يعني اذا نزل بهم العذاب ففيه وعيد وتهديد ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك
بما يقولون) يعني بسبب ما يقولون وهو ما كانوا يسمعون من الاستهزاء به والقول الفاحش والجلبة البشرية
تأتي ذلك فيحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر فعند ذلك أمره بالتسبيح والعبادة وهو قوله (فسبح بحمد
ربك) قال ابن عباس فصل بامر ربك (وكن من الساجدين) يعني من المتواضعين لله وقال الضحاك فسبح
بحمد ربك قل سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين يعني من المصلين روى أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا حز به أمر فزع الى الصلاة قال بعض العارفين من المحققين ان السبب في زوال الحزن عن القلب
اذا أتى العبد بهذه العبادات انه يتنور بطنه ويشرق قلبه وينفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر
الدنيا وحقارتها فلا يلتفت اليها ولا يتأسف على قوائها فيزول الهم والنم والحزن عن قلبه وقال بعض العلماء
اذا نزل بالعبد مكره ففزع الى الصلاة فكأنه يقول يا رب انما يجب على عبادتك سواء أعطيتني ما أحب أو

جعل ينطح رأسه بالشجرة
ويضرب وجهه بالشوك
حتى مات والحرث بن
قيس امتخط قيحا ومات
(الذين يجعلون مع الله الها
آخر فسوف يعلمون) عاقبة
أمرهم يوم القيامة (ولقد
نعلم أنك يضيق صدرك بما
يقولون) فيك أوفى القرآن
أوفى الله (فسبح بحمد
ربك وكن من الساجدين)
فأفزع فيما نابك الى الله
والفزع الى الله هو الذكر
الدائم وكثرة السجود
يكفك ويكشف عنك الغم

كفيتني ما أكره فانا عبدك و بين يديك فافعل في ما تشاء ﴿ قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) يعني الموت الموقن به الذي لا يشك فيه أحد والمعنى واعبد ربك في جميع أوقانك ومدة حياتك حتى يأتيك الموت وأنت في عبادة ربك وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا روي البغوي بسنده عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى إلي أن أسبح بحمد ربك وتكبر بحمده وتذكر أن الله خلقك وما يدريك ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا إلى هذا الذي نور الله قلبه لقد رأيت بين أبيه يغذيانه تطبق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا إلى هذا الذي نور الله قلبه لقد رأيت بين أبيه يغذيانه بإطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة ثراها وأقال شريته له بمائتي درهم فدعاها حب الله وحب رسوله إلى ما روي ذكره البغوي بغير سند والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة النحل ﴾

مكية الاقوله تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الى آخر السورة فانها نزلت بالمدينة في قتل حزة بن عباس وفي رواية أخرى عنه انها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله ولا تشركوا به الله ثمنا قليلا الى قوله يعملون وقال قتادة هي مكية الا خمس آيات وهي قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا وقوله ثم ان ربك للذنين هاجروا من بعد ما فتنوا وقوله تعالى وان عاقبتهم الى آخر السورة زاد مقاتل وقوله من كفر بالله من بعد ايمانه الآية وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الآية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم اكثره تعداد النعم فيها وهي مائة وثمان وعشرون آية والفقان ونعماتة وأربعون كلمة وسبعة آلاف وسبعماتة وسبعة أحرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله سبحانه وتعالى (أتى أمر الله) يعني جاء ودنا وقرب أمر الله تقول العرب أتاك الأمر وهو متوقع المحي به بما أتى ومعنى الآية أتى أمر الله وعدا (فلا تستجلبوه) يعني وقوا والمراد به محي القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله سبحانه وتعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن فلما رأوا انه لا ينزل شي قالوا ما نرى شيأ فنزل قوله تعالى اقتراب للناس حسابهم فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فنزل أتى أمر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم وظنوا انها قد أتت حقيقة فنزل فلا تستجلبوه فاطمأنوا والاستجبال طلب محي الشيء قبل وقته ولما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير باصبعه يدهما أخرجاه في الصحيحين من حديث سهل بن سعد (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة الى الوسطى وفي رواية بعثت في نفس الساعة فسبقها كفضل هذه على الاخرى قال ابن عباس كان مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة ولما مر جبريل بأهل السموات مبعوثا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا الله أكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر هنا عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيوف وذلك ان النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فاستجمل العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر يوم بدر صبرا (سبحانه وتعالى عما يشركون) يعني تنزه الله وتعظيمه بالاصناف الحميدة عما يصفه به المشركون ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ينزل الملائكة بالروح) يعني بالوحي (من أمره) وانما سمي الامر روحا لانه به تحيا القلوب من موت الجهالات وقال عطاء بن السجوة وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح هو جبريل والباء بمعنى مع يعني ينزل

(واعبد ربك) ودم على عبادة ربك (حتى يأتيك اليقين) أي الموت يعني ما دمت حيا فاشتغل بالعبادة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حز به أمر فرجع إلى الصلاة

﴿ سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

كما وباستجلبون ما وعدوا من قيام الساعة ونزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكديبا بالوعد فقيل لهم (أتى أمر الله) أي هو بمنزلة الآتي الواقع وان كان منتظرا القرب وقوعه (فلا تستجلبوه سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأجل وعز عن أن يكوله شركك وعن اشراكهم فما

موصولة أو مصدرية واتصال هذا باستجلبوا من حيث ان استجلبوا استهزاء وتكذيب وبذلك من الشرك (ينزل الملائكة) وبالتخفيف مكي وأبو عمرو (بالروح) بالوحي أو بالقرآن لان كلا منهما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد أو يحيي القلوب الميتة بالجهل (من أمره

على من يشاء من عباده أن أنذروا) أن مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى أنذروا (انه لا اله الا أنا فاتقون) اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى اعلموا الناس قولي لا اله الا أنا فاتقون خافون وبالياء يعقوب ثم دل على وحدانيته وان لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خالق السموات والارض وهو قوله (خالق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون) وبالتاء في الموضوعين جزءة على وخلق الانسان وما يكون منه وهو قوله (خالق الانسان من نطفة (١١٣) فاذا هو خصيم مبين) أي فاذا هو

منطوق مجادل عن نفسه مكافح لخصومه مبين لحجته بعدما كان نطفة لاحس به ولا حركة أو فاذا هو خصيم له به منكر على خالفه قائل من يحيي العظام وهي رميم وهو وصف للانسان بالوقاحة والتماذي في كفران النعمة وخلق ما لا بد له منه من خلق البهائم لا كاهور كونه وحمل أثقاله وسائر حاجاته وهو قوله (والانعام خلقها لكم هي الازواج الثمانية) وأكثر ما يقع على الابل واتصافها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه منازل أو بالعطف على الانسان أي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم أي ما خلقها لكم يا جنس الانسان (فيها دفء) وهو اسم ما يدفأ به من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر (ومنافع) وهي نسلها ودرها (ومنهاتنا كلون) قدم الظرف وهو يؤذن بالاختصاص وقد يؤكل

الملائكة مع الروح وهو جبريل (على من يشاء من عباده) يعني على من يصطفيه من عباده للنبوته والرسالة وتبليغ الوحي الى الخلق (أن أنذروا) يعني بان أعلموا (انه لا اله الا أنا فاتقون) أي خافون وقيل معناه صواب قول لا اله الا الله منذرين يعني مخوفين بالقرآن (خالق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون) تقدم تفسيره (خالق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) يعني انه جدل بالباطل بين الخصومة نزلت في أبي بن خلف الجحى وكان ينكر البعث فجاء بمعظم رميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزعم ان الله يحيي هذا العظام بعد ما رم فتزلت فيه هذه الآية ونزل فيه أيضا قوله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم والصحيح ان الآية عامة في كل ما يقع من الخصومة في الدنيا ويوم القيامة وحملها على العموم أولى وفيها بيان القدرة وان الله خلق الانسان من نطفة قدرة فصار جبارا كثيرا لخصومة وفيها كشف قبيح ما فعله الكفار من مجدهم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم ﴿ قوله عز وجل (والانعام خلقها) لما ذكر الله سبحانه وتعالى انه خلق السموات والارض ثم أتبعه بذكر خلق الانسان ذكر بعده ما ينتفع به في سائر ضروراته ولما كان أعظم ضرورات الانسان الى الاكل واللباس اللذين يقوم بهما بدن الانسان بدأ بذكر الحيوان المنتفع به في ذلك وهو الانعام فقال تعالى والانعام خلقها وهي الابل والبقر والغنم قال الواحدى تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتداء فقال تعالى (لكم فيها دفء) قال ويجوز أيضا ان يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتداء فقال تعالى فيها دفء قال صاحب النظم أحسن الوجهين يكون الوقف عند قوله خلقها ثم ابتدئ بقوله لكم فيها دفء والدليل عليه انه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال ولما كانت منافع هذه الانعام منها ضرورة ومنها غير ضرورة بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها دفء وهو ما يستدقأ به من اللباس والا كسية ونحوها المتخذة من الاصواف والاور باروالاشعار الحاصلة من النعم (ومنافع) يعني النسل والدرور الكوب والحمل عليها وسائر ما ينتفع به من الانعام (ومنهاتنا كلون) يعني من لحومها فان قلت قوله تعالى ومنهاتنا كلون يفيد الحصر لان تقديم الظرف مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الا كل من هذه الانعام هو الذي يعتقد الناس في معاشهم وأمالا كل من غيرها كالدجاج والبط والاوز وصيد البر والبحر فقير معتد به في الاغاب وأكله يجري مجرى التفككه به فخرج ومنهاتنا كلون مخرج الاغلب في الاكل من هذه الانعام فان قلت منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلم أخرج منفعة الاكل وقدم منفعة اللباس قلت منفعة اللباس أكثر وأعظم من منفعة الاكل فلهذا أقدم على الاكل ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ولكم فيها) أي في الانعام (جمال) أي زينة (حين تربحون وحين تسرحون) الراحة رد الابل بالعشى الى مراحيها حيث تأوى اليه بالليل ويقال سرح القوم ابلهم تسريحا اذا أخرجوها بالغداة الى المرعى قال أهل اللغة وأكثر ما تكون هذه الراحة أيام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب والكلاء وخرجت العرب للنعجة وأحسن ما تكون النعم في ذلك الوقت فن الله سبحانه وتعالى بالتجمل بها فيه كما من

(١٥ - (خازن) - ثالث) من غيرها لان الاكل منها هو الاصل الذي يعتقد الناس في معاشهم وأمالا كل من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر فكثير المعتد به وكالجارى مجرى التفككه (ولكم فيها جمال حين تربحون) تردونها من مراحيها الى مراحيها بالعشى (وحيث تسرحون) ترسلونها بالغداة الى مسارحها من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالاستفاد بها لانه من أغراض أصحاب المواشى لان الرعيان اذا روجوها بالعشى وسرحوها بالغداة تزيت باراحتها وتسريحها الاقنية وفرحت أربابها وأكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس وانما قدمت الراحة على التسريح لان الجمال في الراحة أظهر اذا قبلت ملائى البطون حافلة الضروع

المشقة وقيل المفتوح مصدر شق الامر عايه شقا وعقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع وأما الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما ينال من الجهد والمعنى وتعمل أنقالكم الى بلد لم تكونوا بالفيه لولم يخاق الابل الا بجهد ومشقة فضلا أن تحملوا أنقالكم على ظهوركم أو مناهم تكونوا بالفيه بها الا بشق الانفس وقيل أنقالكم أبدانكم ومنه الثقلان للجن والانس ومنه وأخرجت الارض أنقالها أي نى آدم (ان ربكم لرؤف رحيم) حيث رحكم بخاق هذه الحوامل وتيسر هذه المصالح (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) عطف على الانعام أي وخاق هذه للركوب والزينة وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله على حرمة أكل لحم الخيل لانه عائل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام ومنفعة الاكل أقوى والآية سبقت ايمان النعمة ولا يلقى بالحكيم أن يذكر في مواضع المنة أدنى نعمتين وشرك أعلاهما واتصاب زينة على المفعول له عطفًا على محل تركبوها وخلق

بالانتفاع بها لانه من أغراض أصحاب المواشي بل هو من معظمها لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالفداة الى المرعى وروحوها بالعيشى الى الافنية والبيوت يسمع للابل رغاء ولشاة تغاء ويجابوب بعضها ببعض فاعتند ذلك يفرح أربابها وتعمل بها الافنية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس فان قلت لم قدمت الراححة على التسريح قلت لان الجمال في الراححة وهو رجوعها الى البيوت أكثر من وقت التسريح لان النعم تقبل من المرعى ملائى البطون حافلة لضرور فيفرح أهلها بها بخلاف تسريحها الى المرعى فانها تخرج جائنة البطون ضامرة الضرور من اللبن ثم تأخذ في لتفرق والانتشار للمرعى في البرية فثبت بهذا البيان ان التجميل في الراححة أكثر منه في التسريح فوجب تقديمه وقوله سبحانه وتعالى (وتحمل أنقالكم) الانتقال جمع نقل وهو متاع السفر وما يحتاج اليه من آلات السفر (الى بلد) يعنى غير بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن والى الشام وإنما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب لاهل مكة وأكثر تجاراتهم وأسفارهم الى الشام واليمن وحمله على العموم أولى لانه خطاب عام فدخول الكافة فيه أولى من تخصيصه ببعض المخاطبين (لم تكونوا بالفيه) يعنى بالنى ذلك البلاد الذى تقصدونه (الابشق الانفس) يعنى بالمشقة والجهد والعناء والتعب والشق نصف الشئ والمعنى على هذا لم تكونوا بالفيه الا بشق ان قوة النفس وذهب نصفها (ان ربكم لرؤف رحيم) يعنى بخاقه حيث خلق لهم هذه المنافع وقوله سبحانه وتعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها) هذه الآية عطف على ما قبلها والمعنى وخاق هذه الحيوانات لاجل أن تركبوها والخيل اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط والنساء (وزينة) يعنى وجعها ازينت مع المنافع التى فيها (فصل) احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه الآية وقال هذه للركوب واليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله واستدلوا أيضا بان منفعة الاكل أعظم من منفعة الركوب فلما لم يذكر الله تعالى علمنا تحريم أكله فلو كان أكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى بالذکر لان الله سبحانه وتعالى خص الانعام بالاكل حيث قال ومنهاتا كلون وخص هذه بالركوب فقيل لتركبوها فعلمنا انها مخلوقة للركوب لا للاكل وذهب جماعة من أهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير واليه ذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وأحمد وامسحاق واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روى عن أسماء بنت أبى بكر الصديق أنها قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا فاكلناه وفي رواية قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فاكلناه أخرجه البخارى ومسلم (ق) عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الجر الاهلية وأذن في الخيل وفي رواية قال أكلنا من خير لحوم الخيل وحر الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الجر الاهلي هذه رواية البخارى ومسلم وفي رواية أبى داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا قد أصابتنا محمصة فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل وأجاب من أباح لحوم الخيل عن هذه الآية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان منفعتها مختصة بذلك وإنما خص هاتان المنفعتان بالذکر لانهما معظم المقصود قالوا وللهذا سكت عن حمل الانتقال على الخيل مع قوله في الانعام وتحمل أنقالكم ولم يلزم من هذا تحريم حمل الانتقال على الخيل وقال البغوى ايس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه وتذبيهم على كمال قدرته وحكمته والدليل الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم الخيل ان السنة مبينة للكتاب ولما كان نص الآية يقتضى ان الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوتا عنه دار الامر فيه على الاباحة والتصریم فوردت السنة باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير فاخذنا بها جميعا بين النصين والله أعلم وقوله تعالى (ويخلق ما لا تعلمون) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الحيوانات التى ينتفع بها الانسان في جميع حالاته

وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعناه ان هداية الطريق الموصل الى الحق عليه كقوله ان علينا للهدى وليس ذلك للوجوب اذ لا يجب على الله شيء ولكن يفعل ذلك تفضلا وقيل معناه والى الله وقال الزجاج معناه وعلى الله تبيين الطريق الواضح المستقيم والدعاء اليه بالجمع ومنها جائز أي من السبيل مائل عن الاستقامة (ولو شاء هداكم اجمعين) أراد هداية اللطف بالتوفيق والانعام بعد الهدى العام (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب) لكم متعلق بانزل أو خير شراب وهو ما يشرب (ومنه شجر) يعني الشجر الذي ترعاه المواشي (فيه نسيمون) من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) ولم يقل كل الثمرات لان كلها لا تكون الا في الجنة وانما أنبت في الارض بعض من كلها لتذكركم (ان في ذلك آيات لقوم يتفكرون) فيستدلون

شروريانه على سبيل التفصيل ذكر بعدها ما لا ينتفع به الانسان في الغالب على سبيل الاجمال لان مخلوقات عز وجل في البر والبحر والسموات أكثر من أن نحصى أو يحيط بها عقل أحد أو يفهمه فلهذا ذكرها على الاجمال وقل بعضهم ويخاف ما لا تعلمون يعني مما أعد الله لاهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ما عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة في قوله ويخاف ما لا تعلمون يعني السوس في نبات والود في الفواكه قوله سبحانه وتعالى (وعلى الله قصد السبيل) القصد استقامة الطريق يقال ريق قصد وقاصدا اذا أدك الى مطلوبك وفي الآية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالآيات والبراهين (ومنها جائز) يعني من السبيل سبيل جائز عن الاستقامة بل هو معوج فالقصد من السبيل هو دين الاسلام والجائز منها دين يهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر وقال جابر بن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جائز الا هواء والبدع (ولو شاء هداكم اجمعين) به دليل على ان الله تعالى ما شاء هداية الكفار وما أراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد استثناء الشيء لا تنفاه به فقوله ولو شاء هداكم اجمعين معناه ولو شاء هدايتكم هدايتكم اجمعين وذلك يفيد انه تعالى ما شاء هدايتهم ليجرم ما هداكم قوله عز وجل (هو الذي أنزل من السماء ماء) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمته على ابيه بمخلوق الحيوانات لاجل الارتفاع والزيادة عقبه بذكر انزال المطر من السماء وهو من أعظم النعم على ابياد فقال وهو الذي أنزل من السماء يعني والله الذي خلق جميع الاشياء هو الذي أنزل من السماء ماء يعني طر (لكم منه) يعني من ذلك الماء (شراب) يعني نثر بونه (ومنه) يعني ومن ذلك الماء (شجر) الشجر في لغة ما له ساق من نبات الارض ونقل الواحدى عن أهل اللغة انهم قالوا الشجر اصناف ما جل وعظم وهو أى يبقى على الشتاء ومادق وهو صنفان أحدهما تبقى له أدوحة في الشتاء وينبت في الربيع ومنها ما لا يبقى ساق في الشتاء كالبقول وقال أبو اسحاق كل ما ينبت على وجه الارض فهو شجر وأنشد نطعمه اللحم عز الشجر * أراد أنهم يسقون الخيل اللبن اذا جدت الارض وقال ابن قتيبة في هذه الآية يعني كلا ومعنى الآية انه ينبت بل الماء الذي أنزل من السماء ما ترعى الراعية من ورق الشجر لان الابل ترعى الشجر (فيه) يعني في الشجر (تسيمون) يعني ترعون مواشيتكم يقال أسمت السائمة اذا خلتها ترعى ما تهي اذا رعت حيث شاءت (ينبت لكم) أى ينبت الله لكم وقرئ نبت على التعظيم لكم (به) أى لكم الماء (الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) لما ذكر الله في الحيوان تفصيلا واجالا كرفي الثمار تفصيلا واجالا فبدأ بذكر الزرع وهو الحب الذي يقات به كالحنطة والشعير وما أشبههما به فوام بدن الانسان وثني بذكر الزيتون لانه من الادم والدهن والبركة وثالث بذكر النخيل لانها غذاء وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانها شبه النخلة في المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر الثمرات اجالا لانه على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده ثم قال تعالى (ان في ذلك آيات لقوم يذكرون) كرم من أنواع الثمار (آية) يعني علامة دالة على قدرتنا ووحدانيتنا (لقوم يتفكرون) فيما ذكر من دلائل قدرته ووحدانيته (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم) تقدم يره في سورة الاعراف (مسخرات) يعني مذلات مقهورات تحت قهره وارادته فيه رد على الفلاسفة يجمعين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هي الفعالة المتصرفة في العالم السفلى فاخبر الله تعالى ان هذه نجوم مسخرات في نفسها مذلات (بامرء) يعني بامر ربها مقهورات تحت قهره بصرفها كيف هو مختار وانها ليس لها تصرف في نفسها فضلا عن غيرها ولما ذكر الله سبحانه وتعالى انه خلق هذه النجوم

عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدالة الواضحة (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامرء) بنصب الكل وجعل النجوم مسخرات والنجوم مسخرات فقط حفص والشمس والقمر والنجوم مسخرات شامى على الابتداء والخبر

(ان في ذلك آيات لقوم يعقلون) جمع الآية وذ كر العقل لان الآثار العلوية أظهر دلالته على القدرة الباعرة وأبين شهادة للكبرياء والعلوية (وما ذرأ لكم في الارض) عطوف على الليل والنهار أي ما خاق قبا من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك (مختلفا) حال (ألوانه ان في ذلك آية لقوم يذكرون) يتعظون (وهو) (١١٦) الذي سخر البحر لنا كما وامنه لماطر يا) هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد

يسرع اليه فيؤكل سر يعا
طر يا خيفة الفساد وانما
لا بحث با كله اذا حلف
لا يا كل لجان مبي الايمان
على العرف ومن قال لعلامه
اشترى هذه السراهم لما
جاء بالسمك كان حقيقا
بالانكار (وتستخرجوا
منه حلية) هي اللؤلؤ
والمرجان (السونها) المراد
بليسهم ليس ناسهم
ولكنهن انما يترين بهامن
أجلهم فكانها زينتهم
ولباسهم (وترى الفلك
مواخر) جوارى تجرى
جويوتشق الماشقا والمخر
شق الماء بحيزومها (فيه)
في البحر (ولتبتغوا من
فضله) هو عطف على
مخذوف أي لتعتبروا
ولتبتغوا وابتغاء الفضل
التجارة (ولعلمكم تشكرون)
الله على ما أنعم عليكم به
(وأتى في الارض رواسي)
جبال انواب (أن تميد بكم)
سكراهية أن تميل بكم
وتضطرب أولئلا تميد بكم
لكن حذف المضاف أكثر
فيل خلق الله الارض
فجعلت تميد فقالت الملائكة
ما هي بمقرة أحد على
ظهرها فصاحت وقد

وجعلها مسخرات لمنافع عباده ختم هذه الآية بقوله (ان في ذلك آيات لقوم يعقلون) يعني أن كل من كان له عقل صحيح صحيح علم ان الله سبحانه وتعالى هو الفعال المختار وان جميع الخلق تحت قدرته وقهره ونسخيره لما أراد منها (وما ذرأ لكم في الارض) يعني وما خاق لكم في الارض وسخر لاجلكم من السواب والانعام والاشجار والثمار (مختلفا ألوانه) يعني في الخلق والطبيعة والكيفية واختلاف ألوان المخلوقات مع كثرتها حتى لا يشبه بعضها بعضا من كل الوجوه فيه دلائل قاطع على كمال قدرة الله ولذلك ختم هذه الآية بقوله تعالى (ان في ذلك آيات لقوم يذكرون) يعني فيعتبرون بذلك قوله سبحانه وتعالى (وهو الذي سخر لكم البحر) لماذا ذكر الله سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على قدرته ووحدانيته من خاق السموات والارض وخلق الانسان من نطفة وخلق سائر الحيوان والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من آثار قدرته وعجائب صنعته وذ كر انعامه في ذلك على عباده ذ كر بعد ذلك انعامه على عباده بتسخير البحر لهم نعمة من الله عليهم ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به اما بالركوب عليه أو بالنوص فيه أو الصيد منه قد ذكر هذه الثلاثة الاقسام من أنواع الانتفاع به فقال تعالى وهو الذي سخر البحر لنا كما وامنه لماطر يا فبد أن ذكر الاكل لانه أعظم المقصود لان به قوام البدن وفي ذ كر الطرى مزيد فائدة دالة على كمال قدرة الله تعالى وذلك ان السمك لو كان كله ما لحا لعرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطرى لانه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الطرى الذي لحمه في غاية العذوبة علم انه انما حدث بقدرة الله وخلق له لاجب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر على اخراج الضد من الضد • المنفعة الثانية قوله تعالى (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) يعني اللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم ليس ناسهم لان زينة النساء بالحلى وانما هو لاجل الرجال فكان ذلك زينة لهم • المنفعة الثالثة قوله تعالى (وترى الفلك) يعني السفن (مواخر فيه) يعني جوارى فيه قال قتادة مقبلة ومدبرة وذلك انك ترى سفينتين احدهما تقبل والاخرى تدبر تجريان بريح واحدة وأصل المخرف في اللغة الشق يقال شخرت السفينة مخر اذا شقت الماء بجؤجؤها وقال مجاهد تمخر الرياح السفن يعني أنها اذا جرت يسمع لها صوت قال أبو عبيدة يعني صواغ والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن المواخر يعني مواقر أي مملوءة متاعا (ولتبتغوا من فضله) يعني الارباح بالتجارة في البحر (ولعلمكم تشكرون) يعني انعام الله عليكم اذ ارأيتم نعم الله فبما سخر لكم (وأتى في الارض رواسي) يعني جبالا تقالا (أن تميد بكم) يعني لثلاثميل وتضطرب بكم والميد هو اضطراب الشيء العظيم كالارض وقال وهب لما خاق الله سبحانه وتعالى الارض جعلت تمور وتنحرك فقالت الملائكة ان هذه غير مقرة أحد على ظهرها فاصبحوا وقد أرسيت بالجبال فلم تدرك الملائكة م خلقت الجبال (وانهارا) يعني وجعل فيها أنهارا لان في ألقى معنى الجعل فقوله سبحانه وتعالى وانهارا معطوف على وألقى ولما ذكر الله الجبال ذ كر بعدها الانهار لان معظم عيون الانهار وأصولها تكون من الجبال (وسبلا) يعني وجعل فيها طرقا مختلفة تسلك ونها في أسفاركم والتردد في حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان (لعلمكم تهتدون) يعني بتلك السبل الى ما تريدون فلا تضلون (وعلامات) يعني وجعل فيها علامات تهتدون بها في أسفاركم قال بعضهم تم الكلام عند قولهم وعلامات ثم ابتداء (وبالنجم هم يهتدون) وقال محمد بن كعب والكبي أراد بالعلامات الجبال والنجوم فالجبال علامات النهار والنجوم

أرسيت بالجبال لم تدرك الملائكة م خلقت (وانهارا) وجعل فيها أنهارا لان ألقى فيه معنى جعل (وسبلا) طرقا (لعلمكم
تهتدون) الى مقاصدكم أو الى نوحيدركم (وعلامات) هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل وغير ذلك (وبالنجم هم يهتدون)
المراد بالنجم الجنس أو هو النور والفرقان وبنات نعش والجدى فان قلت وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم في النجم

مفهوم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصاً هو لا خصوصاً يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه أراد فر يشاقلهم اهتداء بالنجوم في سائرهم ولم
بذلك علم لم يكن مثله غيرهم فكان الشكر واجب عليهم والاعتبار (١١٧) ألزم لهم خصوصاً (أفن يخلق) أي الله

تعالى (كن لا يخلق) أي
الاصنام وحي من الذي
هو لاولي العلم لزعمهم حيث
سموها آله وعبدوها
فاجروها مجرى اولي العلم
اولان المعنى ان من يخلق
ليس كمن لا يخلق من اولي
العلم فكيف بما لا علم عنده
وانما يقل أفن لا يخلق
كن يخلق مع اقتضاء المقام
بظاهرة اياه لكونه الزاما
للذين عبدوا الاوثان
وسموها آله تشبيها بالله
لانهم حين جعلوا غير الله
مثل الله في تسميته باسمه
والعبادة له فقد جعلوا الله
من جنس المخلوقات وشبها
بها فانكر عليهم ذلك بقوله
أفن يخلق كمن لا يخلق
وهو حجة على المعتزلة في
خلق الافعال (أفلا
تذكرون) فتعرفون
فساد ما أتم عليه (وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها)
لانضبطوا عددها ولا تبلغه
طاقتم فضلا أن تطيقوا
القيام بحقها من أداء
الشكر وانما اتبع ذلك
ماعد من نعمه نفيها على
ان ما وراءها لا ينحصر
ولا يعد (ان الله لغفور
رحيم) يتجاوز عن تقصيركم
في أداء شكر النعمة ولا
يقطعها عنكم لتفريطكم

علامات الليل وقال مجاهد أراد بالكل النجوم فمنها ما يكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال السدي أراد
بالنجم الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدي فهذه يهتدى بها الى الطريق والقبلة وقال قتادة انما خلق الله
النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة السماء وعالم الطريق ورجوما للشياطين فن قال غير هذا فقد تكلف
ما لا علم له به ﴿ قوله سبحانه وتعالى (أفن يخلق كمن لا يخلق) لما ذكر الله عز وجل من عجائب قدرته
وغرائب صنعته وبديع خلقه ما ذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكمل وكانت هذه الاشياء المخلوقة
المذكورة في الآيات المتقدمة كلها لله على كمال قدرة الله تعالى ووحدايته وانه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعا
قال على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التي لا تنفع ولا تنفع ولا تقدر على
شيء أفن يخلق يعني هذه الاشياء الموجودة المرئية بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كمن لا يخلق يعني هذه
الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيئا البتة لانها جادات لا تقدر على شيء فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بعبادتها
ويترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله خالق هذه الاشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه الآية بقوله (أفلا
تذكرون) يعني ان هذا القدر ظاهر غير خاف على أحد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر بل مجرد التذكر
فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر بما ذكر بقى في الآية سؤال الاول كمن لا يخلق المراد به الاصنام وهي
جادات لا تعقل فكيف يعبر عنها بلفظة من وهي لمن يعقل والجواب عنه ان الكفار لما سمو هذه الاصنام آله
وعبدوها أجريت مجرى من يعقل في زعمهم ألا ترى الى قوله بعد هذا والذين تدعون من دون الله لا يخلقون
شيئا خاطبهم على قدر زعمهم وعقولهم السؤال الثاني قوله أفن يخلق كمن لا يخلق المقصود منه الزام الحجة على
من عبد الاصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق فكيف قال على سبيل الاستفهام أفن يخلق كمن
لا يخلق والجواب عنه انه ليس المراد منه الاستفهام بل المراد منه ان من خلق الاشياء العظيمة وأعطى هذه
النعمة الجزيلة كيف يسوي بينه وبين هذه الجادات الخبيثة في التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل أن
يترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشياء الظاهرة كلها ويشتغل بعبادة جادات لا تخلق
شيئا البتة والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) يعني ان نعم الله على العبد فيما خلق فيه
من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء النظر الصحيح والعقل السليم والسمع الذي يفهم به الاشياء وبتش
اليدين وسوى الرجلين الى غير ذلك مما أنعم به عليه في نفسه وفيما أنعم به عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج اليه
من أمر الدين والدنيا لا تحصى حتى لو رام أحد معرفة أدنى نعمة من هذه النعم لجز عن معرفتها وحصرها
فكيف بنعمة العظام التي لا يمكن الوصول الى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها يعني ولو اجتهدتم في ذلك وأتعبتم نفوسكم لا تقدررون عليه (ان الله لغفور)
يعني لتقصيركم في القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم (رحيم) يعني بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير
والمعاصي (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) يعني ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون أشياء وهو ما كانوا
يكررون بالنبى صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعني وما يظهرون من ايدائه فاخبرهم الله عز وجل انه عالم بكل
أحوالهم سرها وعلانيتها لا تخفى عليه خافية وان دقت وخفيت وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر الاصنام
وذكر عجزها في الآية المتقدمة ذكر في هذه الآية ان الاله الذي يستحق العبادة يجب أن يكون عالما بكل
الاعوامات سرها وعلانيتها وهذه الاصنام ليست كذلك فلان استحق العبادة ثم وصف الله هذه الاصنام
بصفات فقال تعالى (والذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام التي تدعونها آلهة من دون الله (لا يخلقون
شيئا وهم يخلقون) فان قلت قوله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة أفن يخلق كمن لا يخلق يدل على ان هذه

والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) من أقوالكم وأفعالكم وهو وعيد (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوه الكفار (من دون الله)
بالتاء غير عاصم (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون)

أموات) أي هم أموات (غير أحياء وما يشعرون أيان يعنون) نقي عنهم خصائص الالهية بنبي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخالق بأنهم مخلوقون أموات جاهلون بالبعث ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليهم الموت وأمره (١١٨) بالعكس من ذلك والضمير في يعنون للداعين أي لا يشعرون متى نبعث عبدتهم وفيه

نهمك بالشركين وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث (المحكم له واحد) أي ثبت بما مر ان الالهية لا تكون لغيراته وان معبودكم واحد (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) لا وحداية (وهم متكبرون) عنها وعن الاقرار بها (لاجرم) حقا (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أي سرهم وعلايتهم فيجازيم وهو وعيد (انه لا يحب المتكبرين) عن التوحيد يعني الشركين (واذا قيل لهم) طؤلاء الكفار (ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين) ماذا منصوب بانزل أي أي شئ أنزل ربكم أو مرفوع على الابتداء أي أي شئ أنزله ربكم وأساطير خير مبتدا محذوف قيل هو قول المتسمين الذين اقتصموا مدخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أساطير الاولين أي أحاديث

الاصنام لا تخلق شيئا فقلوه سبحانه وتعالى لا يخلقون شيئا وهم يخلقون هذا هو نفس المعنى المذكور في تلك الآية فمما فائدة التكرار فائدة ان المعنى المذكور في الآية المتقدمة أنهم لا يخلقون شيئا فقط والمذكور في هذه الآية أنهم لا يخلقون شيئا وانهم مخلوقون كغيرهم فكان هذا زيادة في المعنى وهو فائدة لتكرار (أموات) أي جنادات ميتة لا حياة فيها (غير أحياء) يعني كغيرها والمعنى لو كانت هذه الاصنام آلهة كما تزعمون لكانت أحياء غير جائز عليها الموت لان الاله الذي يستحق أن يعبد هو الحي الذي لا يموت وهذه أموات غير أحياء فلا تستحق العبادة فمن عبدها فقد وضع العبادة في غير موضعها وقوله (وما يشعرون) يعني هذه الاصنام (أيان يعنون) يعني متى يعنون وفيه دليل على أن الاصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تدبر من عابديهم او قيل معناه ما يدري الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يعنون ﴿ قوله سبحانه وتعالى (المحكم له واحد) يعني ان الذي يستحق العبادة هو الاله واحد وهذه أصنام متعددة فكيف تستحق العبادة (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) يعني جاحدة لهذا المعنى (وهم متكبرون) يعني عن اتباع الحق لان الحق اذا تبين كان تركه تكبرا (لاجرم) يعني حقا (ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المتكبرين) يعني عن اتباع الحق (م) عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس قوله بطر الحق هو أن يجعل ما جعله الله حقا من توحيد وعبادته باطلا وهذا على قول من جعل اصل البطر من الباطل ومن جعله من الحيرة فمعناه يتعبر عند سماع الحق فلا يقبله ولا يجعله حقا قيل البطر التكبر يعني أنه يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله وقوله وغمط الناس يقل غمطت حق فلان اذا احتقرته ولم تره شيئا وكذا معني غمضته أي انتقصت به وازدريته ﴿ قوله عز وجل (واذا قيل لهم) يعني طؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم كفار مكة الذين اقتصموا عقابها وطرقها اذا سألهم الحاج الذين يتبعون عليهم (ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين) يعني أحاديثهم وأباطيلهم (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة) اللام في ليحملوا الام العاقبة وذلك انهم لما رصفوا القرآن بكونه أساطير الاولين كانت عقابتهم بذلك أن يحملوا أوزارهم يعني ذنوب أنفسهم وانما قال سبحانه وتعالى كاملة لان البليات التي أصابتهم في الدنيا وأعمال البر التي عملوها في الدنيا لا تكفر عنهم شيئا يوم القيامة بل يعاقبون بكل أوزارهم قال الامام فخر الدين الرازي وهذا يدل على انه سبحانه وتعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى حاصل في حق الكل لم يكن تخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) يعني ويحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم وصدوهم عن الايمان مثل أوزار الاتباع والسبب فيه ما روى عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعالي هدي كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعالي ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثم من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا أخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث أن الرئيس أو الكبير اذا سن سنة حسنة أو سنة قبيحة فتبعه عليها جماعة فعملوا بها فان الله سبحانه وتعالى يعظم ثوابه أو عقابه حتى يكون ذلك الثواب أو العقاب مساويا لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بسنة الحسن أو القبيحة وليس المراد ان الله تعالى يوصل جميع

الاولين وأباطيلهم واحداً سطوراً واداروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر عنهم بصدقه وان نبي فيم الذين قالوا الثواب خيرا (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم) أي قالوا ذلك اضلالاً للناس فحملوا أوزار اضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزير الاضلال لان المضل والضال شريكان واللام للتعليل (بغير علم) حال من المفعول أي ضلون من لا يعلم أنهم ضلال

القواعد وهى الاساطين وهذا تمثيل يعنى أنهم سووا منصوبات لمكروا بهارسل الله فجعل الله هلاكهم فى تلك المنصوبات كحال قوم بنو انبياء وعمدوه بالاساطين فأتى البنيان من الاساطين بان ضعفت فسقط عليهم السقف وما تواروا هلكوا والجمهور على أن المراد به نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا فأتى الله أى أمره بالاستئصال (نخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون (ثم يوم القيامة يخزيهم) يذلمهم بعذاب الخزي سوى ماء مذبوا به فى الدنيا (ويقول ابن شركاى) على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم به على طريق الاستهزاء بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) تعادون وتخاصمون المؤمنين فى شأنهم تشاقون نافع أى تشاقونى فيهم لان مشاققة المؤمنين كأنها

الثواب أو العقاب الذى يستحقه الاتباع الى الرؤساء لان ذلك ليس بعدل وبدل عليه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى قال الواحدى ولفظة من فى قوله ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبويض لانها لو كانت للتبويض لانتقص عن الاتباع بعض الازرار وذلك غير جائز لقوله عليه الصلاة والسلام لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً ولكنك للجنس أى ليحملوا من جنس أوزار الاتباع وقوله بغير علم يعنى ان الرؤساء انما يقدرهون على اضلال غيرهم بغير علم بما يستحقونه من العقاب على ذلك الاضلال بل يقدمون على ذلك جهلاً منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد (الاسماء ما يزرون) يعنى الابتنى ما يحملون فقيه وعيد وتهديد لهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (قدمكر الذين من قبلهم) يعنى من قبل كفار قريش وهو نمرود بن كنعان الجبار وكان أكبر ملوك الارض فى زمن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكان من مكرهاته بنى صرحاً ببابل ايسعد الى السماء ويقا تل أهلها فى زعمه قال ابن عباس وكان طول الصرح فى السماء خمسة آلاف ذراع وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته وألقت رأسه فى البحر وخر عليهم الباقي فاعلكتهم وهم تحته ولما سقط تبللت السنة الناس من الفزع فتكاملوا يومئذ بثلاثة وسبعين لساناً فلذلك سميت ببابل وكان لسان الناس قبل ذلك السرىانية قلت هذا ذكره البغوى وفى هذا نظر لان صالحا عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالمر بية وكان أهل اليمن عرباً منهم جرهم الذى نشأ اسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكانت قبائل من العرب قديمة قبل ابراهيم عليه السلام مثل طسم وجديس وكل هؤلاء عرب تكاملوا فى قديم الزمان بالمر بية وبدل على صحة هذا قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الا ترى والله أعلم وقيل حل قوله قدمكر الذين من قبلهم على العموم أولى فتكون الآية عامة فى جميع الماكرين المبطلين الذين يحاؤون الحق الضرو والمكر بالغير ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (فأتى الله بنيانهم من القواعد) يعنى قصد تخريب بنيانهم من أصوله وذلك بان أتاهم ريح قصفت بنيانهم من أعلى وأتاهم بزلازل قلت بنيانهم من قواعدهم وأساسه هذا اذا جئنا تفسير الآية على القول الاول وهو ظاهر اللفظ وان جئنا تفسير الآية على القول الثانى وهو جعلها على العموم كان المعنى انهم لما رتبوا منصوبات لمكروا بها على أنبياء الله وأهل الحق من عباده أهلكتهم الله تعالى وجعل هلاك قوم بنو انبياءا وثيقاً شديد اود عموه بالاساطين فانهم ذلك البنيان وسقط عليهم فاهلكهم فهو مثل ضرب به الله سبحانه وتعالى لمن مكر باخر فاهلكه الله بمكره ومنه المثل السائر على السنة الناس من حفر بئر الاخيه أوقعه الله فيه ﴿ وقوله تعالى (نخر عليهم السقف من فوقهم) يعنى سقط عليهم السقف فاهلكهم وهوله من فوقهم للتأكيدي لان السقف لا يختر الامن فوقهم وقيل يحتمل انهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه فلما قال من فوقهم علم انهم كانوا تحتها وانه لما خر عليهم اهلكوا وما توا تحتها (وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعنى فى مأمنهم وذلك انهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشدهته كان ذلك البنيان سبب هلاكهم (ثم يوم القيامة يخزيهم) يعنى يهينهم بالعذاب وفيه اشعار بان العذاب يحصل لهم فى الدنيا والآخرة لان الخزي هو العذاب مع الهوان (ويقول) يعنى ويقول الله لهم يوم القيامة (ابن شركاى) يعنى فى زعمكم واعتقادكم (الذين كنتم تشاقون فيهم) يعنى كنتم تعادون وتخاصمون المؤمنين وتخاصمونهم فى شأنهم لان المشاققة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين فى شق غير شق صاحبه والمعنى ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب والهوان (قال الذين أوتوا العلم) يعنى المؤمنين وقيل الملائكة (ان الخزي) يعنى الهوان (اليوم) يعنى فى هذا اليوم وهو يوم القيامة (والسوء) يعنى العذاب (على الكافرين) وانما يقول المؤمنون هذا يوم القيامة لان الكفار كانوا يستهزؤن بالمؤمنين فى الدنيا وينكرون عليهم أحوالهم فاذا كان يوم القيامة ظهر أهل الحق وأكرموا

لعذاب (على الكافرين مشاققة الله) قال الذين أوتوا العلم) أى الانبياء والعلماء من أمهم الذين كانوا يبدعونهم الى الايمان ويعظونهم لا يلتفتون اليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شمانه بهم أو هم الملائكة (ان الخزي اليوم) الفضيحة (والسوء)

الذين تتوفاهم الملائكة) وبآيات حزمة وكذا ما بعدة (ظالمى أنفسهم) بالكفر بالله (فألقوا السلم) أى الصلح والاسلام أى اختبوا وجاهلوا
بمخلاف ما كانوا عليه فى الدنيا من (١٢٥) الشقاق وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) ونسجدوا وما وجد منهم من الكفران

بأنواع الكرامات وأهين أهل الباطل وعذبوا بأنواع العذاب فعند ذلك يقول المؤمنون إن الخزى اليوم
والسوء على الكافرين وفائدة هذا القول اظهار الشهادة بهم فيكون أعظم فى الهوان والخزى ﴿ قوله تعالى
(الذين تتوفاهم الملائكة) تقبض أرواحهم الملائكة وهم ملك الموت وأعوانه (ظالمى أنفسهم) بمعنى بالكفر
(فألقوا السلم) بمعنى أنهم استسلموا وانقادوا بإمر الله الذى نزل بهم وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) بمعنى
شركا وانما قالوا ذلك من شدة الخوف (بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون) بمعنى فإلا فائدة لكم فى انكاركم
قال عكرمة عنى بذلك ما حصل من الكفار يوم بدر (فادخلوا) أى فىقال لهم ادخلوا (أبواب جهنم خالدون
فيها) بمعنى مقبضين فيها لا يخرجون منها وانما قال ذلك لهم ليكون أعظم فى الغم والحزن وفيه دليل على أن
الكفار بعضهم أشد عذابا من بعض (فليس مشوى المتكبرين) بمعنى عن الإيمان ﴿ قوله عز وجل (وقيل
للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) وذلك أن أحياء العرب كانوا يعنون الى مكة أيام الموسم من يأتيهم
بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا جاء الوافد سأل الذين كانوا يقدعون على طرقات مكة من الكفار فيقولون هو
ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون وإذا لم تلقه خير لك فيقول الوافد أنا شر وافدان رجعت الى قومي من دون
أن أدخل مكة فالتقاءه فيدخل مكة فيرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألهم عنه فيخبرونه بصدقه
وأمانته وأنه نبي مبعوث من الله عز وجل فذلك قوله سبحانه وتعالى وقيل للذين اتقوا أى اتقوا الشرك
وقول الزور والكذب ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا أى أنزل خيرا فإن قلت لم رفع الاول وهو قوله أساطير
الاولين وأصب الثاني وهو قوله قالوا خيرا قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد وجواب
المقر المؤمن وذلك أنهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال
فقالوا هو أساطير الاولين وليس هو من الانزال فى شئ لانهم لم يعتقدوا كونه منزلا ولما سألوا المؤمنين عن
المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلغنمو وأطبقوا الجواب على السؤال يدنا مكشوفامعقولا لانزال
فقالوا خيرا أى أنزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدأ بقوله تعالى (للذين أحسنوا فى
هذه الدنيا حسنة) أى الذين أتوا بالاعمال الصالحة الحسنة ثوابا حسنة مضاعفة من الواحد الى العشرة الى
السبعمئة الى أضعاف كثيرة وقال الضحاك هى النصر والفتح وقال مجاهد هى الرزق الحسن فعلى هذا يكون
معنى الآية للذين أحسنوا ثواب احسانهم فى هذه الدنيا حسنة وهى النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك
عما أنعم الله به على عباده فى الدنيا وبدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى (ولدار الآخرة خير) أى ما لهم فى
الآخرة مما أعد الله لهم فى الجنة خير مما يحصل لهم فى الدنيا (ولنم دار المتقين) أى الجنة وقال الحسن هى الدنيا
لان أهل التقوى يتزودون منها الى الآخرة والقول الاول أولى وهو قول جمهور المفسرين لان الله فسره هذه
الدار بقوله (جنات عدن) أى بساكنة اقامة من قوهم عدن بالمسكان أى أقام به (يدخلونها) أى تلك
الجنات لا يدخلونها عنها ولا يخرجون منها (تجرى من تحتها الأنهار) أى تجري الأنهار فى هذه الجنان من
تحت دور أهلها وقصورهم ومساكنهم (لهم فيها) أى فى الجنات (ما يشاؤون) أى ما انتهى الانفس
وتلذذ الاعين معز يادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد الا فى الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاؤون لا يفيد
الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد كل ما يريد فى الدنيا (كذلك يجز الله المتقين) أى هكذا
يكون جزاء المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) أى مؤمنين
طاهرين من الشرك قال مجاهد زكاة أقوالهم وأفعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى
حسن فيدخل فيه أنهم أتوا بكل ما أمروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من

والعداوة فردد عليهم أولوا العلم
وقالوا (بلى إن الله عليم بما
كنتم تعملون) فهو
يجازيكم عليه وهذا أيضا
من الشهادة وكذلك
(فادخلوا أبواب جهنم
خالدون فيها فليس مشوى
المتكبرين) جهنم (وقيل
للذين اتقوا) الشرك (ماذا
أنزل ربكم قالوا خيرا) وانما
نصب هذا ورفع أساطير
لان التقدير هنا أنزل خيرا
فأطبقوا الجواب على
السؤال ونعم التقدير هو
أساطير الاولين فعدلوا
بالجواب عن السؤال
(للذين أحسنوا فى هذه
الدنيا) أى آمنوا وعملوا
الصالحات أو قالوا لا اله الا
الله (حسنة) بالرفع أى
ثواب آمن وغنيمة وهو
بدل من خيرا حكاية لقول
للذين اتقوا أى قالوا هذا
القول فقدم عليه تسميته
خيرا ثم حكاها وهو كلام
مستأنف عدة للقائلين
وجعل قولهم من جملة
احسانهم (ولدار الآخرة
خير) أى لهم فى الآخرة ما
هو خير منها كقولهم
فأنعم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة (ولنم
دار المتقين) دار الآخرة

خندق المخصوص بالمدح لتقدم ذكره (جنات عدن) خير لبتدأ محذوف أو هو مخصوص بالمدح (يدخلونها) المكروهات
حال (تجرى من تحتها الأنهار) أى فيها ما يشاؤون كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر

المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والحصول الحميدة والمباعدة من الاخلاق المذمومة والحصول
المكروهة القبيحة وقيل معناه ان اوقاتهم تكون طيبة سهلة لانهم يشرون عند قبض ارواحهم بالرضوان
والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك الفرح والسرور والابتهاج فيسهل عليهم قبض ارواحهم ويطيب
لهم الموت على هذه الحالة (يقولون) يعني الملائكة لهم (سلام عليكم) يعني تسلم عليهم الملائكة أو تبلة لهم
السلام من الله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من الاعمال الصالحة فان قلت كيف الجمع
بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله
قالوا ولأنت يا رسول الله قال ولأنا الا ان يتعمدني الله بفضله ورحمته أخرجه في الصحيحين من حديث أبي
هريرة قلت قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله في شرح مسلم اعلم ان مذهب أهل السنة انه لا يثبت
بالعقل ثواب ولا عقاب ولا اجر ولا عذاب ولا غير ذلك من أنواع التكليف ولا يثبت هذه الاشياء كلها ولا
غيرها الا بالشرع ومذهب أهل السنة أيضا ان الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بل العالم كله ملكه
والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء فلو عذب للطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان ذلك
عدلا منه واذا أكرمهم ورحمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان ذلك له
ومنه فضلا ولكنه سبحانه وتعالى أخبر وخبره صادق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة
برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه وأما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب
الاعمال ويوجبون الاصلح في ضبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المناهضة لنصوص الشرع وفي
ظاهر هذا الحديث دلالة لاهل الحق انه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته وأما قوله سبحانه وتعالى
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة التي أورتهموها بما كنتم تعملون ونحوها من الآيات التي تدل على
ان الاعمال الصالحة يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات ان دخلوا الجنة
بسبب الاعمال والتوفيق للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل
وهو مراد الحديث ويصح أنه دخل بالاعمال أي بسببها وهي من الرحمة والفضل والمنة والله أعلم بمراده
في قوله تعالى (هل ينظرون) يعني هؤلاء الذين أشركوا بالله ويحسدونك يا محمد (الا أن تأتيهم الملائكة)
يعني لقبض ارواحهم (أو يأتي أمر ربك) يعني بالعذاب في الدنيا وهو عذاب الاستئصال وقيل المراد به يوم
القيامة (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعني من الكفر والتكذيب (وما ظلمهم الله) يعني بتعذيبه اياهم
(ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني باكتسابهم المعاصي والكفر والاعمال القبيحة الخبيثة (فأصابهم
سيئات ما عملوا) يعني فأصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الاعمال الخبيثة (وحاق بهم ما كانوا يستهزؤن)
والمعنى ونزل بهم جزاء استهزائهم (وقال الذين أشركوا لولاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا)
يعني ان مشركي مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء والحاصل أنهم تمسكوا بهذا القول في انكار النبوة فقالوا
لولاء الله منا الايمان لحصل جنت أو لم تجيء ولولاء الله منا الكفر لحصل جنت أو لم تجيء واذا كان كذلك
قال كل من الله فلا فائدة في بعثة الرسل الى الامم والجواب عن هذا أنهم لما قالوا ان الكل من الله فكانت
بعثة الرسل عبثا كان هذا اعتراضا على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة في احكام الله وفي أفعاله وهو
باطل لان الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لاحد عليه في احكامه وأفعاله ولا يجوز
لاحد أن يقول له لم فعلت هذا ولم تفعل هذا وكان في حكم الله وسنته في عباده ارسال الرسل اليهم ليأمرهم
بعبادة الله تعالى وينهوهم عن عبادة غيره وان الهداية والاضلال اليه فن هداة فهو المهتدي ومن اضله فهو
الضال وهذه سنة الله في عباده أنه يأمر الكل بالايمان به وينهاهم عن الكفر ثم انه سبحانه وتعالى يهدي من
يشاء الى الايمان ويضل من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه ولما كانت سنة الله قديمة ببعثة الرسل الى الامم

لانه في مقابلة ظالمى أنفسهم
(يقولون سلام عليكم)
فيل اذا أشرف العبد المؤمن
على الموت جاءه ملك فقال
السلام عليك يا ولي الله الله
يقر أعليك السلام ويشره
بالجنة ويقال لهم في الآخرة
(ادخلوا الجنة بما كنتم
تعملون) بفعلكم (هل
ينظرون) ما ينتظر هؤلاء
الكفار (الا أن تأتيهم
الملائكة) لقبض ارواحهم
وبالياء على وحزة (أو
يأتي أمر ربك) أي
العذاب المتأصل أو
القيامة (كذلك) مثل
ذلك الفعل من الشرك
والتكذيب (فعل الذين
من قبلهم وما ظلمهم الله)
بتدميرهم (ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون) حيث
فعلوا ما استحقوا به التدمير
(فأصابهم سيئات
ما عملوا) جزاء سيئة
أعمالهم (وحاق بهم ما كانوا
به يستهزؤن) وأحاط بهم
جزاء استهزائهم (وقال
الذين أشركوا لولاء الله
ما عبدنا من دونه من شيء
نحن ولا آباؤنا) هذا كلام
صدر منهم استهزاء ولو
قالوه اعتقادا لكان صوابا

(ولا حرمنا من دونه من شيء) يعني البعيرة والسائبة ونحوهما (كذلك فعل الذين من قبلهم) أي كذبوا الرسل وحرموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) الا أن يبلغوا الحق ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله) بان وحدوه (واجتنبوا) (١٢٢) الطاغوت) الشيطان يعني طاعته (فمنهم من هدى الله) لاختيارهم الهدى

(ومنهم من حقت عليه الضلالة) أي لزمته لاختياره ايها (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) حيث أهلكهم الله وأخلى ديارهم عنهم ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إيمانهم وأعلمه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة فقال (ان نحرص على هدايتهم فان الله لا يهدي من يضل) بفتح الياء وكسر الدال كوفي الباقون بضم الياء وفتح الدال والوجه فيه أن من يضل مبتدأ ولا يهدي خبره (وما لهم من ناصرين) يمنعونهم من جريان حكم الله عليهم ويدفعون عنهم عذابه الذي أعد لهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) معطوف على وقال الذين أشركوا (لا يبعث الله من يموت بلى) هو إثبات لما بعد النبي أي بلى ببعثهم (وعدا عليه حقا) وهو مصدر مؤكداً عليه بلى لأن يبعث موعده من الله وبين أن الوفاء بهذا الوعد حق (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان

الكافرة المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا جاهلنا منهم لانهم اعتقدوا أن كون الامر كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم استحقوا عليه التمس والوعيد واما قوله تعالى (ولا حرمنا من دونه من شيء) يعني الوصيلة والسائبة والحام والمعنى فلولا أن الله فرضها لنا لغير ذلك وهدانا الى غيره (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعني ان من تقدم هؤلاء من كفار مكة ومن الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فأنكار بعثة الرسل كان قد بما في الامم الخالية (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) يعني ليس اليهم هداية أحد انما عليهم تبليغ ما أرسلوا به الى من أرسلوا اليه (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا) يعني كما بعثنا فيكم محمد صلى الله عليه وسلم رسولا (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) يعني ان الرسل كانوا يأمرونهم بان يعبدوا الله وان يجتنبوا عبادة الطاغوت وهو اسم كل معبود من دون الله (فمنهم) يعني فن الامم الذين جاءتهم الرسل (من هدى الله) يعني هداة الله الى الايمان به وتصديق رسوله (ومنهم من حقت عليه الضلالة) يعني ومن الامم من وجبت عليه الضلالة بالقضاء السابق في الازل حتى مات على الكفر والضلال وفي هذه الآية دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف في عبادة فيهدي من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لاحد عليه بما حكم به في سابق علمه (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يعني فسيروا في الارض معتبرين متفكرين لتعرفوا ما لكم من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك ولتعرفوا أن العذاب نازل بكم ان أصررتم على الكفر والتكذيب كما نزل بهم قوله سبحانه وتعالى (ان نحرص على هدايتهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان نحرص يا محمد على هدى هؤلاء وایمانهم وتجتهد كل الاجتهاد (فان الله لا يهدي من يضل) قرئ بفتح الياء وكسر الدال يعني لا يهدي الله من أضله وقيل معناه لا يهتدي من أضله الله وقرئ بضم الياء وفتح الدال ومعناه من أضله الله فلا هادي له (وما لهم من ناصرين) أي مانعين يمنعونهم من العذاب (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) قال ابن الجوزي سبب زوطا أن رجلا من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فأتاه يتقاضاه فكان فيما يتكلم به المسلم والذي أرجوه بعد الموت فقال المشرك انك لتزعم انك تبعث بعد الموت وأقسم بالله أن لا يبعث الله من يموت فترت هذه الآية قال أبو العالية وتقرر الشبهة التي حصلت للمشركين في انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الالهة البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت أجزاؤه وبلى امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم فقد فنى ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فناءه وعدمه فهذا هو أصل شبهتهم ومعتقدهم في انكار البعث بعد الموت فذلك قوله تعالى (أقسموا بالله جهد أيمانهم) (لا يبعث الله من يموت) فرد الله عليهم ذلك وكذبهم في قولهم فقال تعالى (بلى) يعني بلى ببعثهم بعد الموت لان لفظه بلى اثبات لما بعد النبي والجواب عن شبهتهم ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان وأوجده من العدم ولم يك شيئا فالذي أوجده بقدرته ثم أعده قادر على إيجاده بعد اعدامه لان الفناء الثانية أهون من الاولى (وعدا عليه حقا) يعني ان الذي وعده من البعث بعد الموت وعد حق لا خلف فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني لا يفهمون كيف يكون ذلك العود والله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء (ليبين لهم الذي يختلفون فيه) يعني من أمر البعث ويظهر لهم الحق الذي لا خلف فيه (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) يعني في قولهم لا يبعث بعد الموت (انما قولنا لنبي اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) يعني ان الله سبحانه وتعالى قادر اذا أراد أن يحيي الموتى

وعده حق أو انهم يبعثون (ليبين لهم) متعلق بما دل عليه بلى أي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو يشمل المؤمنين وبيعتهم والكافرين (الذي يختلفون فيه) هو الحق (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) في قولهم لا يبعث الله من يموت (انما قولنا لنبي اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) أي فهو يكون وبالنصب شامى وعلى على جواب كن قولنا مبتدأ وأن تقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود أي اذا أردناه وجود شيء فليس الا أن نقول له احدث فهو يحدث بلا توقف وهذه عبارة عن سرعة الابدان

ويعتبر للحساب والجزاء فلا تعب عليه في احيائهم وبعثهم انما يقول لشيء اراده كن فيكون على ما اراد لانه
 القادر الذي لا يجزه شيء اراده (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك
 وتعالى يستمني ابن آدم وما ينبغي له أن يستمني ويكذبني وما ينبغي له أن يكذبني أما شتمه اياي فيقول ان لي
 ولدا أو مات كذبه اياي فقوله ليس يعيدني كما بدأتي وفي رواية كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني
 ولم يكن له ذلك أما كذبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأتي وليس أول الخلق باهون على من اعادته وأما
 شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴿ وقوله تعالى
 (والذين هاجروا في الله من بعد ظلموا) يعني أودوا وعذبوا نزلت في بلال وصهيب وخباب وعابس وجبير
 وأبي جندل بن سهيل أخذهم المشركون بمكة فجعلوا يعذبونهم ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر وهم
 المستضعفون فاما بلال فكان أصحابه يخرجونه الى بطحاء مكة في شدة الحر ويندونه ويجعلون على صدره
 الحجارة وهو يقول أحد أحد فاشتره منهم أبو بكر الصديق وأعتقه واشترى معه ستة نفر آخرين وأما صهيب
 فقال لهم اني رجل كبير ان كنت معكم فلن أنفعكم وان كنت عليكم فلا أضركم فاشترى نفسه بماله فباعوه
 منه فربه أبو بكر الصديق فقال يا صهيب ربح البيع وأما باقيهم فاعطوهم بعض ما يريدون فخلوا عنهم وقال
 قتادة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم أهل مكة فاخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفة
 بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة فهاجروا اليها وجعل لهم أنصارا من المؤمنين
 فأروهم ونصروهم وواسوهم وهذه الآية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على أن
 الهجرة اذا لم تكن لله خالصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى آخر ومنه حديث الاعمال
 بالنيات وفيه من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو
 امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه الحديث أخرجه في الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب ﴿ وقوله
 تعالى (لنبوتهم في الدنيا حسنة) يعني لنبوتهم نبوة حسنة وهو انه تعالى أنزلهم المدينة وجعلها لهم دار
 هجرة والمعنى لنبوتهم في الدنيا دار حسنة أو بلدة حسنة وهي المدينة تروى عن عمر بن الخطاب رضي الله
 تعالى عنه كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له خذ هذا بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في
 الدنيا وما ادخلك في الآخرة أفضل ثم يقول هذه الآية وقيل معناها ليحسن اليهم في الدنيا بان يفتح لهم مكة
 ويمكنهم من أهلها الذين ظلموهم وأخرجوهم منها ثم ينصرهم على العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب
 وقيل المراد بالحسنة في الدنيا التوفيق والهداية في الدين (ولاجر الآخرة أكبر) يعني أعظم وأفضل وأشرف
 مما أعطاهم في الدنيا (لو كانوا يعلمون) قيل الضمير يرجع الى الكفار لان المؤمنين يعلمون ما لهم في الآخرة
 والمعنى لو كان هؤلاء الكفار يعلمون أن أجر الآخرة أكبر مما هم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا فيه وقيل انه
 راجع الى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما أعد الله لهم في الآخرة لزدوا في الجد والاجتهاد والصبر على
 ما أصابهم من أذى المشركين (الذين صبروا) يعني في الله على ما ما لهم من الأذى والمكروه فهو صفة مدح
 يعني صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل النفس والاموال في سبيل الله (وعلى ربهم
 يتوكلون) يعني في أمورهم كلها قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل في هذه الآية وهما مبدأ السلوك الى الله
 تعالى ومنتهاه أما الصبر فهو قهر النفس وجبسها على أعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الأذى من الخلق
 والصبر عن الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصائب وأما التوكل فالانقطاع عن الخلق بالكلية
 والتوجه الى الحق تعالى بالكلية فالاول هو مبدأ السلوك الى الله تعالى والثاني هو آخر الطريق ومنتهاه
 (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم) نزلت هذه الآية جوابا للمشركين مكة حيث أنكروا نبوة محمد صلى

على المأمور المطيع الممثل
 ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد
 كل مقدر على الله بهذه
 السهولة فكيف يمنع عليه
 البعث الذي هو من بعض
 المقادورات (والذين
 هاجروا في الله) في حقه
 ولو جهه (من بعد ما ظلموا)
 هم رسول الله وأصحابه
 ظلمهم أهل مكة ففروا
 بدينهم الى الله منهم من
 هاجر الى الحبشة ثم الى
 المدينة فجمع بين المهاجرين
 ومنهم من هاجر الى المدينة
 (لنبوتهم في الدنيا حسنة)
 صفة للمصدر أي نبوة
 حسنة أو لنبوتهم بمباعدة
 حسنة وهي المدينة حيث
 آواهم أهلها ونصروهم
 (ولاجر الآخرة أكبر)
 الوقف لازم عليه لان جواب
 (لو كانوا يعلمون)
 محذوف والضمير للكفار
 أي لو علموا ذلك لرغبوا في
 الدين أو للمهاجرين أي لو
 كانوا يعلمون لزدوا في
 اجتهادهم وصبرهم (الذين
 صبروا) أي هم الذين صبروا
 وأعنى الذين صبروا وكلاهما
 مدح أي صبر على مفارقة
 الوطن الذي هو حرم الله
 المحبوب في كل قلب فكيف
 بصلوب قوم هو مسقط
 رؤسهم وعلى المجاهدة
 وبذل الارواح في سبيل
 الله

الله (وعلى ربهم يتوكلون) أي يفوضون الامر الى ربهم ويرضون بما أصابهم في دين الله ولما قالت قریش بشر انزل (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم) على السنة الملائكة نوحى حفص

الله كونه موعظا وتنبية
 للغافلين (ان كنتم
 لا تعلمون بالبينات والزبر)
 أي بالمعجزات والكتب
 والباء بتعاقب رجال الصفة له
 أي رجالا ملتبسين بالبينات
 أو بارسلنا ضمرا كأنه
 قيل بم أرسل الرسل فقيل
 بالبينات أو يوحى أي
 يوحى اليهم بالبينات أو بلا
 تعلمون وقوله فاسئلوا أهل
 الذکر اعتراض على الوجوه
 للانقضية وقوله (وأزلنا
 اليك الذکر) القرآن
 (لتبين للناس ما نزل اليهم)
 في الذکر مما أمروا به ونهوا
 عنه ووعدوا به وأوعدوا
 (ولعلمهم تفكرون) في
 تنبيهاته فينتبهوا (أفمن
 الذين مكروا السيئات)
 أي المكرات السيئات
 وهم أهل مكة وما مكروا به
 رسول الله عليه السلام
 (أن يخسف الله بهم
 الأرض) كما فعل بمن
 تقدمهم (أو يأتيهم العذاب
 من حيث لا يشعرون)
 أي بفتنة (أو يأخذهم في
 قلوبهم) متقلبين في
 سائرهم ومتاجرهم
 (فاهم بمجزين أو
 يأخذهم على تخوف)
 متخوفين وهو أن يهلك
 قوما قبلهم فيتخوفوا
 فيأخذهم العذاب وهم

الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم وأجل من أن يكون رسوله بشرا فهلا بعث ملكا اليها فاجابهم الله عز وجل
 بقوله وما أرسلنا من قبلك يا محمد الا رجلا يعني مثلك نوحى اليهم والمعنى ان عادة الله عز وجل جاربه من أول
 مبدأ الخلق أنه لم يبعث الا رسولا من البشر فهذه عادة مستقرة وسنة جاربه قديمة (فاسئلوا أهل الذکر)
 يعني أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وإنما أمرهم الله بسؤال أهل الكتاب لان كفار مكة كانوا
 يعتقدون ان أهل الكتاب أهل علم وقد أرسل الله اليهم رسلا منهم مثل موسى وعيسى وغيرهم من الرسل
 وكانوا يشركونهم فاذا سألوهم فلا بد وأن يخبروهم بان الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا أخبروهم
 بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم (ان كنتم لا تعلمون) الخطاب لأهل مكة يعني ان كنتم ياهولاء لا تعلمون
 ذلك (بالبينات والزبر) اختلفوا في المعنى الجالب لهذه الباء فقيل المعنى وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر
 الا رجلا يوحى اليهم أرسلناهم بالبينات والزبر الذي هو العلم بالبينات والزبر ان كنتم لا تعلمون أتم ذلك والبينات والزبر
 العلم والمعنى فاسئلوا أهل الذکر الذي هو العلم بالبينات والزبر ان كنتم لا تعلمون أتم ذلك والبينات والزبر
 اسم جامع لكل ما يتكامل به أمر الرسالة لان مدار أمر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهي بالبينات
 وعلى بيان الشرائع والتكاليف وهي المراد بالزبر يعني الكتب المعزلة على الرسل من الله عز وجل (وأزلنا
 اليك الذکر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وأزلنا عليك يا محمد الذکر الذي هو القرآن وإنما
 سماه ذكرا لان فيه مواعظ وتنبيه للغافلين (لتبين للناس ما نزل اليهم) يعني ما أجل اليك من أحكام
 القرآن وبيان الكتاب يطلب من السنة والمبين لذلك المجمل هو الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم
 وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث لان القرآن مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الآية
 والمبين مقدم على المجمل وقال بعضهم القرآن منه محكم ومنه منشأه فالمحكم يجب أن يكون ميثاقا والمنتشأه
 هو المجمل ويطلب بيانه من السنة فقوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم محمول على ما أجل فيه دون المحكم
 المبين المفسر (ولعلمهم تفكرون) يعني فيما أنزل اليهم فيعملوا به (أفمن الذين مكروا السيئات)
 فيه حذف تقديره المكرات السيئات وهم كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه
 وبالغوا في أذيتهم والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفاء وقيل المراد بهذا المكر اشتغالهم
 بعبادة غير الله فيكون مكرهم على أنفسهم والصحيح أن المراد بهذا المكر السعي في أذى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا السيئات غرود ومن هو مثله والصحيح ان المراد بهم كفار
 مكة (أن يخسف الله بهم الأرض) يعني كما خسف بقرون من قبلهم (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون)
 يعني ان العذاب يأتيهم بفتنة فيهلكهم فجأة كما أهلك قوم لوط وغيرهم (أو يأخذهم في قلوبهم) يعني في
 تصرفهم في الاسفار فانه سبحانه وتعالى قادر على اهلاكم في السفر كما هو قادر على اهلاكم في الحضر
 وقال ابن عباس يأخذهم في اختلافهم وقال ابن جرير في اقباطهم وادبارهم يعني انه تعالى قادر على أن
 يأخذهم في ليلهم ونهارهم وفي جميع أحوالهم (فاهم بمجزين) يعني سابقين الله وبقوته بل هو قادر
 عليهم (أو يأخذهم على تخوف) قال ابن عباس ومجاهد يعني على تنقص قال ابن قتيبة التخوف التنقص
 ومثله التخون يقال تخوفه الدهر وتخونه اذا انتقصه وأخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة هذيل فعلى هذا
 القول يكون المراد به انه ينقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم وقيل هو على
 أصله من الخوف فيحقل انه سبحانه وتعالى لا يأخذهم بالعذاب أو لا بل يخوفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال
 الضحاك والكافي هو من الخوف يعني يهلك طائفة فيتخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم والحاصل
 انه سبحانه وتعالى يخوفهم يخسف يحصل في الأرض أو بعذاب ينزل من السماء أو بآفات تحدث دفعة أو
 بآفات تحدث قليلا قليلا الى ان يأتي الهلاك على آخرهم ثم انه سبحانه وتعالى ختم الآية بقوله (فان

متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون فان

وبصركم

ربكم لرؤف رحيم) حيث يعلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم والمعنى انه اذا لم ياخذكم مع ما فيكم فامار افته تقيم ورحمته تحبكم (اولم يروا) وبالتاء جزء وعلى وأبو بكر (الى ما خلق الله) ماموصولة بخلق الله وهو (١٢٥) مبهم بيانه (من شئ يتفيؤ ظلاله)

أى يرجع من موضع الى موضع وبالتاء بصري (عن الحسين) أى الايمان (والشمال) جمع شمال (سجد الله) حال من الظلال عن مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شئ (وهم داخرون) صاغرون وهو حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شئ له ظل وجع بالواو والنون لان الدخور من أوصاف العقلاء أولان في جملة ذلك من يعقل فقلب والمعنى أولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التى لها ظلال متفيدة عن ايمانها وشمالها أى ترجع الظلال من جانب الى جانب متفيدة لله تعالى غير متمنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام فى نفسها داخرة أيضا صاغرة متفيدة لافعال الله فيها غير متمنعة (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة) قال العلماء من بيان ما فى السموات وما فى الارض جميعا على أن فى السموات خلقا يدبون فيها كما تدب الاناسى فى الارض أو بيان لما فى الارض وحده والمراد بما فى السموات ملائكتهن وبقوله

ربكم لرؤف رحيم) يعنى انه سبحانه وتعالى لا يجمل بالعقوبة والعذاب في قوله سبحانه وتعالى (أولم يروا) قرى بالتاء على خطاب الحاضرين وبالياء على الغيبة (الى ما خلق الله من شئ) يعنى من جسم قائم له ظل وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالى لان المراد منها الاعتبار والاعتبار لا يكون الا بنفس الرؤية التى يكون معها نظر الى الشئ ليتأمل أحواله ويتفكر فيه فيعتبر به (تففيؤ ظلاله) يعنى تميل وتدور من جانب الى جانب فهى من أول النهار على حال ثم تقلص ثم تعود فى آخر النهار الى حالة أخرى ويقال للظل بالعشى لانه من فاء يفيء اذا رجع من المغرب الى المشرق والى الرجوع قال الازهرى تففيؤ الظلال رجوعها بعد اتصاف النهار بالتفيؤ لا يكون الا بالعشى وما انصرفت عنه الشمس والظل يكون بالغداة وهو ما لم تنله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وانما أضاف الظلال وهو جمع الى المفرد وهو قوله من شئ لانه يراد به الكثرة ومعناه الاضافة الى ذوى الظلال (عن اليمين والشمال) قال العلماء اذا طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوتت فى وسط السماء كان ظلك خلفك فاذا مالت الشمس الى الغروب كان ظلك عن يسارك وقال الضحاك أما اليمين فاول النهار وأما الشمال فآخر النهار وانما وحد اليمين وان كان المراد به الجمع للايجاز والاختصار فى اللفظ وقيل اليمين راجع الى لفظ الشئ وهو واحد والشمال راجع الى المعنى لان لفظ الشئ يراد به الجمع (سجد الله) فى معنى هذا السجود قولان أحدهما أن المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع يقال سجد البعير اذا طأ طأ رأسه ليركب وسجدت النخلة اذا مالت لكثرة الجمل والمعنى أن جميع الاشياء التى لها ظلال فهى متفيدة لله تعالى مستسلمة لامره غير متمنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ وغيره وقال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شئ لله والقول الثانى فى معنى هذا السجود أن الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها كالساجد على الارض فلما كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شئ ساجد لله سواء كان ذلك الشئ يسجد لله أو لا ويقال ان ظل الكافر ساجد لله وهو غير ساجد لله (وهم داخرون) أى صاغرون أذلاء والداخرون الصاغرون الذى يفعل ما ناصره به شاء أم أبى وذلك ان جميع الاشياء متفيدة لامر الله تعالى فان قلت الظلال ليست من العقلاء فكيف عبر عنها بلفظ من يعقل وجعها بالواو والنون قلت لما وصفها الله سبحانه وتعالى بالطاعة والانقياد لامره وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجعها بالواو والنون وهو جمع العقلاء في قوله عز وجل (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة) قال العلماء السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل وسجود انقياد وخضوع كسجود الظلال فقوله (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة) يحتمل النوعين لان سجود كل شئ بحسبه فسجود المسلمين والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع واتى بلفظ ما فى قوله ما فى السموات وما فى الارض للتغليب لان ما لا يعقل أكثر من يعقل فى العدد والحكم للاغلب كتغليب المذكور على المؤنث ولانه لو اتى بمن التى هى للعقلاء لم يكن فيها دلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء خاصة فأتى بلفظة ما يشمل الكل ولفظة الدابة مشتقة من الديب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم يقع على كل حيوان جسمانى يتحرك ويدب فيدخل فيه الانسان لانه مما يدب على الارض ولهذا أفرد الملائكة فى قوله (وللملائكة) لانهم أولوا جناحة يطرون بها وأفردهم بالذكور وان كانوا من جملة من فى السموات شرفهم وقيل أراد الله يسجد ما فى السموات من الملائكة وما فى الارض من دابة فسجود الملائكة والمسلمين طاعة وسجود غيرهم تدليلها وتسخيرها لما خلقت له وسجود ما لا يعقل وسجود الجمادات بدل على قدرة

(والملائكة) ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم قيل المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وسجود غيرهم انقيادهم لارادة الله معنى الانقياد جمعها فلا يختلفا فلذا جاز أن يعرضهما بلفظ واحد وبنى مما اذ هو صالح للعقلاء وغيرهم ولو جى بمن لتناول العقلاء خاصة

(وهم لا يستكبرون بخافون و بهم) هو حال من الضمير في لا يستكبرون أي لا يستكبرون خائفين (من فوقهم) ان علقته بيخافون فعنا
بخافونه أن يرسل عليهم عند ايمان فوقهم وان علقته برهم حالامنه فعنا بخافون ربهم غالبالم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده
(ويشعلون ما يؤمرون) وفيه (١٢٦) دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي وانهم بين الخوف

والرجاء (وقال الله لا تتخذوا
الطين اثنين انما هو واحد)
فان قلت انما جمعوا بين
العدد والمعدود في اوراقه
الواحد والاثنين فقالوا
عندي رجال ثلاثة لان
المعدود عار عن الدلالة على
العدد الخاص فاما رجل
ورجلان فعدودان فيهما
دلالة على العدد فلاحاجة
الى أن يقال رجل واحد
ورجلان اثنان قلت الاسم
الحامل لمعنى الافراد والتثنية
دال على شيئين على الجنسية
والعدد المخصوص فاذا
أريدت الدلالة على أن
المعنى به منهما هو العدد
شفع بما يؤكده فدله به
على القصد اليه والعناية به
الآتري أنك لو قلت انما
هو واحد ولم تؤكده بواحد
لم يحسن وخيل أنك تثبت
الالهية لا الوحدانية (فاياي
فارهبون) نقل للكلام
عن الغيبة الى التكلم وهو
من طريقة الالتفات وهو
أبلغ في لتهيب من قوله
فاياه فارهبوا فارهبوني
يعقوب (وله ما في السموات
والارض وله الدين) أي
الطاعة (واصبا) واجبا

الصانع سبحانه وتعالى فيدعو الغافلين الى السجود لله عند التأمل والتدبر (وهم لا يستكبرون) يعني
الملائكة (بخافون ربهم من فوقهم) هو كقوله وهو القاهر فوق عباده وقد تقدم تفسيره (ويشعلون
ما يؤمرون) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظن
السماء وحق لها أن تنطق ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا والله لو تعلمون ما أع
لضحكتكم قليلا ولبيكنم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش وخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى
قال أبو ذر لو ددت اني كنت شجرة تعضداً أخرجته الترمذي وقال عن أبي ذر موقوفا
(فصل) وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقاري والمستمع أن يسجد عند قراءته
وسماعها قوله سبحانه وتعالى (وقال الله لا تتخذوا الطين اثنين) لما أخبر الله عز وجل في الآية المتقدمة ان
كل ما في السموات والارض خاضعون لله منقادون لامره عابدون له وانهم في ملكه ونحت قدره وقبضته
نهي في هذه الآية عن الشرك وعن اتخاذ الطين اثنين فقال وقال الله لا تتخذوا الطين اثنين قال الزجاج ذك
الاثنين توكيد لقوله الطين وقال صاحب النظم فيه تقديم وتأخير تقديره لا تتخذوا اثنين الطين يعني ان
الاثنين لا يكون كل واحد منهما الها ولكن اتخذوا الها واحدا وهو قوله تبارك وتعالى (انما هو الواحد
لان الاطین لا يكونان الامتساويين في الوجود والقدم وصفات الكمال والقدرة والارادة فصارت الاثنين
منافية للالهية وذلك قوله تعالى انما هو الواحد يعني لا يجوز أن يكون في الوجود اثنان انما هو
واحد (فاياي فارهبون) يعني خافون والرهب مخافة مع حزن واضطراب وانما نقل الكلام من الغيبة الى
الحضور وهو من طريق الالتفات لانه أبلغ في التهيب من قوله فاياه فارهبوا فهو من بديع الكلام ويلي
وقوله فاياي فارهبون يفيد الحصر وهو أن لا يرهب الخلق الا منه ولا يرغبون الا اليه والى كرمه وقض
واحسانه (وله ما في السموات والارض) لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان اله العالم لا شريك
في الهية وجب أن يكون جميع المخلوقات عبيد اله في ملكه وتصرفه ونحت قدرته فذلك قوله تعالى وله ما
السموات والارض يعني عبيد او ملكا (وله الدين واصبا) يعني وله العباداة والطاعة واخلاص العمل دائماً
ثابتا والواصب الدائم قال ابن قتيبة ليس من أحد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك لسبب في حال الحياة أو بالموت
الا الحق سبحانه وتعالى فان طاعته واجبة أبداً ولانه المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة دائماً
أبداً (أفغير الله تتقون) يعني انكم عرفتم ان الله واحد لا شريك له في ملكه وعرفتم ان كل ما سواه محتا
اليه فبعد هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون سواه فهو استفهام بمعنى التعجب وقيل هو استفهام
على طريق الانكار قوله عز وجل (وما بكم من نعمه فن الله) يعني من نعمه الاسلام وصحة الابدان وسد
الارزاق وكل ما أعطاكم من مال أو ولد فكل ذلك من الله تعالى انما هو المتفضل به على عباده فيجب عليه
شكره على جميع انعامه ولما بين في الآية المتقدمة انه يجب على جميع العباد أن لا يخافوا الا الله تعالى بين في هذه
الآية ان جميع النعم منه فلا يشكر عليها الاياه لانه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها
اذا مسكم الضر) أي الشدة والامراض والاسقام (فاليه تجأرون) يعني اليه تستغيثون وتصيحون وتضجرون
بالدعاء ليكشف عنكم ما نزل بكم من الضر والشدة وأصل الجوار هو رفع الصوت الشديد ومنه جوار اليه

ثابتا لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه وهو حال
عمل فيه الظرف وأوله الجزاء دائماً يعني الثواب والعقاب (أفغير الله تتقون وما بكم من نعمه) وأي شيء اتصل بكم من نعمة عاقبة وغنى وخير
(فن الله) فهو من الله (ثم اذا مسكم الضر) المرض والفقير والجذب (فاليه تجأرون) فأتضرعون الا اليه والجوار رفع الصوت باله
والاستغاثة

(ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بر بهم يشركون) الخطاب في وما بكم من نعمه ان كان عاماً فالمراد بالفريق الكفرة وان كان
الخطاب للمشركين فقوله منكم للبيان لا للتبويض كانه قال فاذا فريق كافر وهم اتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى
البر ففهم مقتصد (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمه الكشف عنهم كانهم (١٢٧) جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة

ثم اوعدهم فقال (فتمتعوا
فسوف تعلمون) هو
عدول الى الخطاب على
التهديد (ويجعلون لما
لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم
أى لأهلهم ومعنى لا يعلمون
انهم يسمونها آلهة
و يعتقدون فيها انها تضر
وتنفع وتنفع عند الله
وليس كذلك لانها جاد
لا تضر ولا تنفع أو الضمير
في لا يعلمون للا آلهة أى
لاشياء غير موصوفة بالعلم
ولا تشعر أجعلوا لها نصيباً
في أنعامهم وزرورعهم أم
لا وكانوا يجعلون لهم لك
تقر باليهيم (ناله لتسئلن)
وعيد (عما كنتم تفترون)
أنها آلهة وانها أهل للتقرب
اليها (ويجعلون لله البنات)
كانت خزاعة وكنانة تقول
الملائكة بنات الله
(سبحانه) تنزيه لذاته
من نسبة الولد اليه أو نجب
من قوهم (ولهم ما
يشتهون) يعنى البنين
ويجوز في ما الرفع على
الابتداء ولهم الخبر والنصب
على العطف على البنات
وسبحانه اعتراض بين
عطف والمعطوف عليه

والمعنى ان النعم لما كانت كلها ابتداء منه فان حصل شدة وضر في بعض الاوقات فلا يلجأ الا اليه ولا يدعى
الاياه ليكشفها فانه هو القادر على كشفها وهو قوله تعالى (ثم اذا كشف الضر عنكم) يعنى ثم اذا ازال
الشدة والبلاء عنكم (اذا فريق منكم) يعنى طائفة وجماعة منكم (بر بهم يشركون) يعنى انهم يضيفون
كشف الضر الى العوائد والاسباب ولا يضيفونه الى الله عز وجل فهذا من جهة شركهم الذي كانوا عليه وانما
قسمهم فريقين لان فريق المؤمنين لا يرون كشف الضر الا من الله تعالى ثم قال تعالى (ليكفروا بما آتيناهم)
قيل ان هذه اللام لام كي ويكون المعنى على هذا انهم انما أشركوا بالله ليجحدوا نعمه عليهم في كشف
الضر عنهم وقيل انها لام العاقبة والمعنى عاقبة أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعماء وكشفنا عنهم
الضر والبلاء (فتمتعوا) لفظه أمر والمراد منه التهديد والوعيد يعنى فعيشوا في اللذة التي اتم فيها الى المدة
التي ضربها الله لكم (فسوف تعلمون) يعنى عاقبة أمركم الى ماذا تصيرون وهو نزول العذاب بكم قوله
سبحانه وتعالى (ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً) قيل الضمير في قوله لما لا يعلمون عائداً الى المشركين يعنى ان
المشركين لا يعلمون وقيل انه عائداً الى الاصنام يعنى ان الاصنام لا تعلم شيئاً البتة لانها جاد والجماد لا علم له
ومنهم من رجح القول الاول لان نفي العلم عن الحي حقيقة وعن الجماد مجاز فكان عود الضمير الى المشركين
أولى ولانه قال لما لا يعلمون فجمعهم بالواو والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثاني قال لانا اذا
قلنا انه عائداً الى المشركين احتجنا فيه الى اضرار فيكون المعنى ويجعلون يعنى المشركين لما لا يعلمون انه اله ولا له
حق نصيباً واذا قلنا انه عائداً الى الاصنام لم نحتاج الى هذا الاضرار لانها لا علم لها ولا فهم وقوله (عما رزقناهم)
يعنى ان المشركين جعلوا للاصنام نصيباً من حروتهم وأنعامهم وأموالهم التي رزقهم الله وتقدم تفسيره في سورة
الانعام (ناله) أقسم بنفسه على نفسه انه يسأله يوم القيامة وهو قوله تعالى (لتسئلن عما كنتم تفترون)
يعنى عما كنتم تكذبون في الدنيا في قولكم ان هذه الاصنام آلهة وان لها نصيباً من أموالكم وهذا التفات
من الغيبة الى الحضور وهو من بديع الكلام وبلغه (ويجعلون لله البنات) هم خزاعة وكنانة قالوا للملائكة
بنات الله وانما أطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستقارهم عن العيون كالنساء أو لدخول لفظ التأنيث
في تسميتهم (سبحانه) نزه الله نفسه عن الولد والبنات (ولهم ما يشتهون) يعنى ويجعلون لانفسهم ما يشتهون
يعنى البنين (واذا بشر أحدكم بالانثى) البشارة عبارة عن الخبر السار الذي يظهر على بشرة الوجه أو الفرح
به ولما كان ذلك الفرح والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه كان كذلك الحزن والغم يظهر أثره على الوجه
وهو الكمودة التي تعالو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا ان البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار
والخبر المحزن فصح قوله واذا بشر أحدكم بالانثى (ظل وجهه مسوداً) يعنى متغيراً من الغم والحزن والغيظ
والكراهة التي حصلت له عند هذه البشارة والمعنى ان هؤلاء المشركين لا يرضى أحدكم بالبنات لانثى ان
تنسب اليه فكيف يرضى أن ينسبها الى الله تعالى فقيه تكبيت لهم ونوب يخ وقوله سبحانه وتعالى (وهو
كظيم) يعنى انه ظل ممتلئاً غمًا وحزنًا (يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) يعنى انه يخفى من ذلك القول
الذي بشر به وذلك ان العرب كانوا في الجاهلية اذا قربت ولادة زوجة أحدكم توارى من القوم الى ان
يعلم ما ولد له فان كان ولداً ابتهج وسر بذلك وظهروا ان كانت أنثى حزن ولم يظهر أياما حتى يفكر ما يصنع بها

أى وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور (واذا بشر أحدكم بالانثى ظل وجهه مسوداً) أى صار فظلاً وأمسى وأصبح وبات تستعمل بمعنى
الصدور لان أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مفتاحاً مسوداً الوجه من الكآبة والحياة من الناس (وهو كظيم) ملوء حنقا على المرأة
(يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) يستخفى منهم من أجل سوء البشر به ومن أجل تعبيرهم ويحدث نفسه وينظر

يجعلون الولد الذي هذا
 عمله عندهم لله ويجعلون
 لانفسهم من هو على عكس
 هذا الوصف (للذين
 لا يؤمنون بالآخرة مثل
 السوء) صفة السوء وهي
 الحاجة الى الاولاد الذكور
 وكراهة الاناث ووادهن
 خشية الاملاق (ولله المثل
 الاعلى) وهو الغنى عن
 العالمين والنزاحة عن صفات
 المخلوقين (وهو العزيز)
 الغالب في تنفيذ ما اراد
 (الحكيم) في امهال العباد
 (ولو يؤاخذ الله الناس
 بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم
 (ما ترك عليها) على
 الارض (من دابة) قط
 ولاهلكها كلها بشؤم ظلم
 الظالمين عن ابي هريرة
 رضى الله عنه ان الحباري
 لموت في وكرها بظلم الظالم
 وعن ابن مسعود رضى الله
 عنه كاد جعل يهلك في
 شجرة بذيبن ابن آدم وعن
 ابن عباس رضى الله عنهما
 من دابة من مشرك يدب
 (ولكن يؤخرهم الى اجل
 مسمى) أى اجل كل
 أحد اذ وقت تقضيه
 الحكمة أو القيامة (فاذا
 جاء اجلهم لا يستأخرون
 ساعة ولا يستقدمون
 ويجعلون الله ما بكرهون)
 ما بكرهونه لانفسهم من

وهو قوله تعالى (أيمنك على هون) يعنى على هوان وانما ذكر الضمير في أيمنك لانه عائد الى ما بشر به في قوله
 واذا بشر أحدكم (أم يدسه في التراب) يعنى أم يخفي ذلك الذي بشر به في التراب والدمس اخفاء الشيء في
 الشيء قال اهل التفسير ان مضر وخراعة وتيمما كانوا يدفنون البنات أحياء والسبب في ذلك اما خوف الفقر
 وكثرة العيال ولزوم النفقة أو الخشية فيخافون عليهن من الاسر ونحوه أو طمع غير الاكفاء فيهن فكان
 الرجل من العرب في الجاهلية اذا ولدت له بنت وأراد أن يستحيها تركها حتى اذا كبرت ألبسها جبة من صوف
 أو شعر وجعلها ترعى الابل والغنم في البادية واذا أراد أن يقتلها تركها حتى اذا صارت مداسية قال لامهازنيها
 حتى اذهب بها الى احماها ويكون قد حفر لها حفرة في الصحراء فاذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها انظري الى
 هذه البئر فاذا انظرت اليها دفعها من خلفها في تلك البئر ثم يهيل التراب على رأسها وكان مصعصعهم (٢)
 المرزوق اذا أحس بشئ من ذلك وجهه بابل الى والد الميت حتى يحياها بذلك فقال الفرزدق يفتخر بذلك
 وعمى الذي منع الواثقات فاحيا الوئيد فلم توأد

عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموؤدة في النار أخرجه أبو داود وقوله تعالى
 (الاسماء ما يحكمون) يعنى بش ما يصنعون ويقضون حيث يجعلون لله الذي خلقهم البنات وهم
 يستكفون منهم ويجعلون لانفسهم البنين نظيره قوله سبحانه وتعالى ألم الذكرو له الاتى تلك اذا قسمه
 ضميرى وقيل معناه الاسماء ما يحكمون في واد البنات (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) يعنى صفة
 السوء من احتياجهم الى الولد الذكور وكراهتهم الاناث وقتلهم خوف الفقر (ولله المثل الاعلى) أى الصفة
 العليا المقدسة وهي أن له التوحيد وأنه المنزه عن الولد وأنه لا اله الا هو وأن له جميع صفات الجلال والكمال
 من العلم والقدرة والبقاء السرمدي وغير ذلك من الصفات التي وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس مثل
 السوء النار والمثل الاعلى شهادة أن لا اله الا الله (وهو العزيز) أى المتمنع في كبريائه وجلاله (الحكيم)
 يعنى في جميع أفعاله ﴿ قوله (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) يعنى بسبب ظلمهم فيعاجلهم بالعقوبة على
 ظلمهم وكفرهم وعصيانهم فان قلت الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال تعالى في آية أخرى فمن ظلم
 لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقسهم في تلك الآية ثلاثة أقسام فجعل الظالمين قسما واحدا
 من ثلاثة قلت قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص بتلك الآية الاخرى لان في جنس الناس
 الانبياء والصالحين ومن لا يطلق عليه اسم الظلم وقيل أراد بالناس الكفار فقط بدليل قوله ان الشرك لظلم
 عظيم وقوله (ما ترك عليها) يعنى على الارض كناية عن غير مذكور لان الدابة لا تدب الا على الارض (من
 دابة) يعنى أن الله سبحانه وتعالى لو يؤاخذ الناس بظلمهم لاهلك جميع الدواب التي على وجه الارض قال
 قتادة وقد فعل الله ذلك في زمن نوح عليه السلام فاهلك من كان على وجه الارض الا من كان في السفينة
 مع نوح عليه السلام ورزى ان أباه ربة سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بش ما قلت
 ان الحباري نموت هز الا بظلم الظالم وقال ابن مسعود ان جعل تعذب في حجرها بذيبن ابن آدم وقيل أراد
 بالدابة الكافر بدليل قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وقيل معنى الآية ولو يؤاخذ الله الآباء
 الظالمين بسبب ظلمهم لا تقطع النسل ولم توجد الابناء فلم يبق في الارض أحد (ولكن يؤخرهم)
 يعنى يمهلهم بفضله وكرمه وحلمه (الى أجل مسمى) يعنى الى انتهاء آجالهم وانقضاء أعمالهم (فاذا جاء
 أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعنى لا يؤخرون ساعة عن الاجل الذي جعله الله لهم
 ولا ينقصون عنه وقيل أراد بالاجل المسمى يوم القيامة والمعنى ولكن يؤخرهم الى يوم القيامة فيعذبهم
 فلا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون (ويجعلون الله ما بكرهون) يعنى لانفسهم وهي البنات

البنات ومن شر كاهن في رياضهم ومن الاستخفاف برسلهم ويجعلون له أرذل أموالهم ولا صنما لهم أكرمها
 (٢) قوله مصعصع كذا بالنسخة يدين الصواب جد وكذا قوله وعمى الذي وجدى الذي كما هو مقر في كتب الادب اه مصعصع

وتصف ألسنتهم الكذب) مع ذلك أي ويقولون الكذب (أن لهم الحسنى) عند الله وهي الجنة إن كان البعث حقا كقوله ولئن رجعت
إرني إن لي عذبة للحسنى وأن لهم الحسنى بدل من الكذب (لاجرم أن لهم النار وانهم مفرطون) مفرطون نافع مفرطون أبو جعفر
المفتوح بمعنى مقدمون إلى النار مجالون اليها من أفرطت فلانا وفرطته في طلب الماء إذا قدمت أو منسيون متروكون من أفرطت فلانا خلقني
تأخلفته ونسبته والمكسور الخفف من الإفراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات أي التقصير فيها (ثالثا لقد أرسلنا إلى أمم من
ملك) أي أرسلنا رسلا إلى من تقدمك من الأمم (فزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر (١٢٩) والتكذيب بالرسول (فهو وليهم

اليوم) أي قريتهم في الدنيا
تولى أضلالهم بالغرور أو
الضمير لمشركي قريش أي
زين للكفار قبلهم أعمالهم
فهو ولي هؤلاء لأنهم منهم
أو هو على حذف المضاف
أي فهو ولي أمثالهم اليوم
(ولهم عذاب أليم) في
القيامة (وما أنزلنا عليك
الكتاب) القرآن (الا
لتبين لهم) للناس (الذي
اختلفوا فيه) هو البعث
لأنه كان فيهم من يؤمن به
(وهدي ورجة) معطوفان
على محل لتبين الاثنيهما
اتصبا على انهما مفعول
لما لانهما فعلا الذي أنزل
الكتاب ودخلت اللام
على لتبين لأنه فعل المخاطب
لا فعل المنزل (لقوم يؤمنون
والله أنزل من السماء ماء
فاحياه به الأرض بعد موتها
إن في ذلك آية لقوم
يسمعون) سماع انصاف
وتدبر لان من لم يسمع
بقلبه فكانه لا يسمع (وان
لكم في الانعام لغيرة نسقيكم
مما في بطونه) وبفتح النون

(وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى) يعني ويقولون ان لهم البنين وذلك انهم قالوا لله البنات ولنا
بنون وهذا القول كذب منهم وافتراء على الله وقيل أراد بالحسنى الجنة والمعنى انهم مع كفرهم وقولهم
كذب يزعمون انهم على الحق وان لهم الجنة وذلك انهم قالوا ان كان محمد صادقا في البعث بعد الموت فان
الجنة لانا على الحق فا كذبهم الله تعالى فقال (لاجرم ان لهم النار) يعني في الآخرة لا الجنة (وانهم
مفرطون) قريء بكسر الراء مع التخفيف يعني مسرفون وقريء بكسر الراء مع التشديد يعني مضيعون لامر
الله وقراءة الجمهور بفتح الراء مع تخفيفها أي منسيون في النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير ومقاتل
متروكون وقال قتادة مجالون إلى النار وقال الفراء مقدمون إلى النار والفراط المتقدم إلى الماء قبل القوم
منه قوله صلى الله عليه وسلم أن أفرطكم على الحوض أي متقدمكم (ثالثا لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) يعني
كما أرسلناك إلى هذه الأمة لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فكان شأنهم مع رسالهم التكذيب ففيه تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم (فزين لهم الشيطان أعمالهم) يعني أعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزير في
الحقيقة هو الله تعالى هذا مذهب أهل السنة وإنما جعل الشيطان آفة بالقاء الوسوسة في قلوبهم وليس له
قدرة أن يضل أحدا أو يهدي أحدا وإنما الوسوسة فقط فمن أراد الله شقاوته سلطه عليه حتى يقبل وسوسته
(فهو وليهم) أي ناصرهم (اليوم) ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب مقهور وانما سماه
ليألمهم لطاعتهم إياه (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي
اختلفوا فيه) يعني في أمر الدين والاحكام فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحلال من
الحرام (وهدي ورجة) يعني وما أنزلنا عليك الكتاب الا لبيان الهدى ورجة (لقوم يؤمنون) لانهم هم
المتفعلون به ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (والله أنزل من السماء ماء) يعني المطر (فاحياه) يعني بالماء (الأرض)
عنى بالنبات والزرع (بعد موتها) يعني يبسها وجدوتها (ان في ذلك آية) يعني دلالة واضحة على كمال
قدرتنا (لقوم يسمعون) يعني سماع انصاف وتدبر وتفكر لان سماع القلوب هو النافع لاسماع الآذان
ان سمع آيات الله أي القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالآيات (وان لكم
في الانعام لغيرة) يعني اذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا على ذلك (نسقيكم مما في بطونه) الضمير عائدا إلى
لانعام وكان حقه ان يقال مما في بطونها واختلف النحويون في الجواب فقيل ان لفظ الانعام مفرد وضع لافادة
الجمع فهو بحسب اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو مذكور وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره
ضمير الجمع وهو مؤنث فلهذا المعنى قال هنا مما في بطونه وقال في سورة المؤمنين مما في بطونها وهذا قول أبي
عبيدة والاختصاص وقال الكسائي انه رده إلى ما ذكره يعني مما في بطون ما ذكرنا وقال غيره الكناية مردودة
في البعض وفيه اضمار كأنه قال نسقيكم مما في بطونه اللين فاضمر اللين اذ ليس لكها لين (من بين فرث)
هو مما في الكرش من الثقل فاذا خرج منها لا يسمى فرثا (ودم لبنا خالصا) يعني من الدم والفرث ليس عليه

١٧ - (خازن) - ثالث) نافع وشامخ وأبو بكر قال الزجاج سقيته وأسقيته بمعنى واحد كرسبويه الانعام في الاسماء المفردة
واردة على أفعال ولذا رجع الضمير اليه مفردا أو مما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع وهو استئناف كأنه قيل كيف العبرة فقال
نسقيكم مما في بطونه (من بين فرث ودم لبنا خالصا) أي يخلق الله اللين وسيطابين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينها رزخ لا ينبغي أحدهما عليه
ين ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا كانت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان أسفل فرثا وأوسطه لبنا وأعلى
ها والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش ثم ينحدر وفي
لك عبرة لمن اعتبر وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم

المروء في الخلق ويقال لم
بعض أحد بالبن قط ومن
الأولى للتبعيض لأن اللبن
بعض ما في بطونها والثانية
لابتداء العابة ويتعلق
(ومن ثمرات النخيل
والاعناب) بمخدوف
تقديره ونسبكم من ثمرات
النخيل والاعناب أي من
عصيرها وحذف للدلالة
نسبكم قبله عليه وقوله
(تخذون منه سكر) بيان
وكشف عن كنه الاسقاء
أو اتخذون منه من تكرير
الظرف للتوكيد والضمير
في منه يرجع إلى المضاف
المخدوف الذي هو العصير
والسكر الخمر سميت بالمصدر
من سكر سكر أو سكر نخو
رشد رشد أو رشدانم فيه
وجهان أحدهما أن الآية
سابقة على تحريم الخمر
فتكون منسوخة وثانيهما
أن يجمع بين العناب والمثمة
وقيل السكر النبيذ وهو
عصير العنب والزبيب
والتمر إذا طبخ حتى يذهب
ثلثاه ثم يترك حتى يشتد
وهو حلال عند أبي حنيفة
وأبي يوسف رحهما الله
إلى حد السكر ويحتجان
بهذه الآية وبقوله عليه
السلام الخمر حرام لعينها
والسكر من كل شراب
وبأخبار جة (ورزقاً حسناً)
هو الخل والرب والتمر
والزبيب وغير ذلك

لون الدم ولا رائحة الفم قال ابن عباس إذا أكلت الدابة العلف واستقر في كرشها وطبخته كان أسفله قرناً
وأوسطه لبناً وأعلىه دماً فالكبد مسطرة عليه تقسمه بتقدير الله سبحانه وتعالى فيجري الدم في العروق واللبن
في الضروع ويبقى الثفل كما هو (سائق الشاربين) يعني هنياً سهلاً يجري في الخلق بسهولة قيل أنه لم ينض
أحد باللبن قط هذا قول المفسرين في معنى هذه الآية وحكي الإمام غير الدين الرازي قول الحكماء في ذلك
فقال ولقائل أن يقول الدم واللبن لا يتولدان في الكرش البتة والدليل عليه الحس فان هذه الحيوانات تنضج
ذبحاً متوايلاً ما رأى أحد في كرشها وما ولا ينابل الخلق أن الحيوان إذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف إلى
معدته إن كان انساناً وإلى كرشه إن كان من الأنعام وغيرها فإذا طبخ وحصل الهضم الأول فيه ما كان منه
صافياً تجذب إلى الكبد وما كان كثيفاً نزل إلى الأمعاء ثم ذلك الذي حصل في الكبد ينطبخ فيها ويصير دماً
وهو الهضم الثاني ويكون ذلك مخلوطاً بالصفراء والسوداء وزيادة المائة فأما الصفراء فتذهب إلى المرارة
وأما السوداء فتذهب إلى الطحال وأما المائة فتذهب إلى الكلية ومنها إلى المثانة وأما الدم فيذهب في الأوردة
وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة
فيصحب الدم من تلك العروق إلى الضرع والضرع لحم غدي رخو أبيض فيقلب الله عز وجل ذلك الدم عند
انصبابه إلى ذلك اللحم الغدي الرخو الأبيض فيصير الدم لبناً فهذا صورة تكون اللبن في الضرع فاللبن
إنما يتولد من بعض أجزاء الدم والدم إنما يتولد من بعض الأجزاء اللطيفة من الأشياء المأكولة الحاصلة في
الكرش فاللبن تولد أولاً من الفم ثم من الدم ثانياً ثم صفاء الله سبحانه وتعالى بقدرته فجعله لبناً خالصاً من بين
فم ودم وعند تولد اللبن في الضرع يخلق الله عز وجل بلطيف حكمته في حلقة الثدي تقباً صفراً أو مسام
ضيقاً فيجعلها كأنها صفاة اللبن فكل ما كان لطيفاً من اللبن يخرج بالمص أو الحلب وما كان كثيفاً احتبس
في البدن وهو المراد بقوله خالصاً يعني من شوائب كدورة الدم والقرن سائق الشاربين يعني جاري في حلقهم
سهلاً لا يذأهني ثامر ينادي قوله عز وجل (ومن ثمرات النخيل والاعناب) يعني ولكم أيضاً عبرة فيما نسبكم
ونرزقكم من ثمرات النخيل والاعناب (تخذون منه) الضمير في منه يرجع إلى ما تقدّمه ولكم من ثمرات
النخيل والاعناب ما اتخذون منه (سكر أو رزقاً حسناً) قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبيرة
ومجاهد وإبراهيم وابن أبي ليلى والزجاج وابن قتيبة السكر الخمر سميت بالمصدر من قولهم سكر سكر أو سكر
والرزق الحسن ما رما يتخذ من ثمرات النخيل والاعناب مثل الدبس والتمر والزبيب والخل وغير ذلك فان
قلت الخمر محرمة فكيف ذكرها الله عز وجل في معرض الأنعام والامتنان قلت قال العلماء في الجواب عن
هذا أن هذه السورة مكية وتحريم الخمر إنما نزل في سورة المائدة وهي مدينة فكان نزول هذه الآية في الوقت
الذي كانت الخمر فيه غير محرمة وقيل إن الله عز وجل نهي في هذه الآية على تحريم الخمر أيضاً لأنه ميز بينها
وبين الرزق الحسن في الذكركر فوجب أن يقال الرجوع عن كونه حسناً يدل على التحريم وروى العوفي عن
ابن عباس أن السكر هو الخل باقعة الحبشة وقال بعضهم السكر هو النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب إذا اشتد
والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعي ومن يبيح شرب النبيذ ومن يحرمه يقول المراد من الآية
الأخبار لا الأحلال وأولى الأقاويل أن قوله اتخذون منه سكر منسوخ سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال
السكر ما حرم من ثمراتها والرزق الحسن ما حل قالوا قول بالنسخ فيه نظر لأن قوله ومن ثمرات النخيل
والاعناب اتخذون منه سكر ورزقاً حسناً خبر والأخبار لا يدخلها النسخ ومن زعم أنها منسوخة رأى أن
هذه الآية نزلت بمكة في وقت إباحة الخمر ثم إن الله تبارك وتعالى حرمها بالدينته فحكم على هذه الآية بأنها منسوخة
وقال أبو عبيدة في معنى الآية أن السكر الطعم يقال هذا سكر لك أي طعم لك وقال غيره السكر ما سدا الجوع
من قولهم سكرت النهر أي سدته والتمر والزبيب ما سدا الجوع وهذا شرح قول أبي عبيدة أن السكر

(ان في ذلك آية لقوم يعقلون وأوحى ربك الى النحل) وأهلهم (أن اتخذى من الجبال بيوتا) هي أن المفسرة لان الإيحاء فيه معنى القول قال الزجاج واحد النحل نحلة كنعخل ونحلة والتأنيث باعتبار هذا ومن في من الجبال (ومن الشجر وما يعرشون) يرفعون من سقوف البيت أو ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التي تصل فيها للتبعيض لانها لا تبنى بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش والضمير في يعرشون للناس وبضم الراء شامى وأبو بكر (ثم كلى من كل الثمرات) أى ابني البيوت ثم كلى كل ثمرة تشبهها فاذا أكلتها (فاسلكى سبل ربك) فادخلى الطرق التي أظلمك وأفهمك في عمل العسل أو اذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكى الى بيوتك راجعة سبل ربك لاتصلين فيها (ذلالا) جمع ذلول هي حال من السبل لان الله تعالى ذلها وسهلها أو من الضمير في فاسلكى أى وأنت ذلل منقاد لما أمرت به غير متمنعة (بمخرج من بطونها شراب) يريد العسل لانه ما يشرب تلقيه من فيها (مختلف ألوانه) منه أبيض وأصفر وأحمر من الشباب والكهول والشباب وعلى ألوان أغذيتها

الطم (ان في ذلك) يعنى الذى ذكر من انعامه على عباده (آية) يعنى دلالة وحجة واضحة (لقوم يعقلون) يعنى ان من كان عاقلا استدلل بهذه الآية على كمال قدرة الله تعالى ووجدانته وعلم بالضرورة ان هذه الاشياء خالقها مدبرها قادر على ما يريد قوله سبحانه وتعالى (وأوحى ربك الى النحل) لئلا ذكر الله سبحانه وتعالى دلائل قدرته ومعجائب صنعه الدالة على وحدانيته من اخراج اللين من بين فرث ودم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب ذكر في هذه الآية اخراج العسل الذى جعله شفاء للناس من دابة ضعيفة وهى النحلة فقال سبحانه وتعالى وأوحى ربك الى النحل الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكر يستدل به على كمال قدرة الله ووجدانته وانه الخالق لجميع الاشياء المدبر لها باطيف حكمته وقدرته وأصل الوحي الاشارة السريعة وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد ويقال لكلمة الالهية التى يلقيها الله الى أنبيائه وحى والى أوليائه الهام وتسخير الطير لما خلق له ومنه قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل يعنى أنه سخرها لما خلقها له وأهلها رشدها وقدر في أنفسها هذه الاعمال العجيبة التى يعجز عنها العقلاء من البشر وذلك ان النحل تبنى بيوتها على شكل سدس من أضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض مجرد طباعها لو كانت البيوت مدورة أو مثلثة أو مربعية أو غير ذلك من الاشكال لكان فيما بينها خلل ولما حصل المقصود فاهلها الله سبحانه وتعالى أن تبنىها على هذا الشكل السدس الذى لا يحصل فيه خلل وفرجة خالية ضائعة وأهلها الله تعالى أيضا أن تجعل عليها أميرا كبيرا نافذا للحكم فيها وهى تطيعه وتمثل أمره ويكون هذا الاميرا كبيرا جنة وأعظمها خلقه ويسمى بعسوب النحل يعنى ملكها كذا حكاها الجوهري وأهلها الله سبحانه وتعالى أيضا أن جعلت على باب كل خلية بوابا لا يمكن غير أهلها من الدخول اليها وأهلها الله سبحانه وتعالى أيضا أنها تخرج من بيوتها فتدور وترعى ثم ترجع الى بيوتها ولا تفضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والفطنة دل ذلك على الالهام الالهي فكان ذلك شبيها بالوحي فلذلك قال تبارك وتعالى وأوحى ربك الى النحل والنحل زنبور العسل ويسمى الدبر أيضا قال الزجاج يجوز أن يقال سمي هذا الحيوان نحلا لان الله سبحانه وتعالى نحل التام العسل الذى يخرج من بطونها يعنى أعطاهم وقال غيره النحل يذكر ويؤث وهى مؤنثة فى لغة الجاز وكذا أنها الله تعالى فقال (أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يعرشون) يعنى يبنون ويسقفون وذلك أن النحل منه وحشى وهو الذى يسكن الجبال والشجر ويأوى الى الكهوف ومنه أهلى وهو الذى يأوى الى البيوت ويربى به الناس عندهم وقد جرت العادة ان الناس يبنون للنحل الاماكن حتى تأوى اليها وقال ابن زيد أراد بالذى يعرشون الكروم (ثم كلى من كل الثمرات) يعنى من بعض الثمرات لانها لاتأكل من جميع الثمار فلنقله كل ههنا ليست للعموم (فاسلكى سبل ربك) يعنى الطرق التى أظلمك الله أن تسلكها وتدخل فيها لاجل طلب الثمرات (ذلالا) قيل انها نعت للسبل يعنى أنها مذلة لك الطرق مسهلة لك مسالكها قال مجاهد لا يتوعد عليها مكان تسلكه وقيل الذلل نعت للنحل يعنى انها مذلة مسخرة لاربابها مطيعة منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من مكانها الى مكان آخر حيث شاؤوا وأرادوا لاتستعصى عليهم (بمخرج من بطونها شراب) يعنى العسل (مختلف ألوانه) يعنى ما بين أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من ألوان العسل وذلك على قدر ما تأكل من الثمار والازهار ويستحيل فى بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب وزعم الامام غفر الدين الرازى انه رأى فى بعض كتب الطب أن العسل طل من السماء ينزل كالترنجيبين فيقع على الازهار وأوراق الشجر فتجمعه النحل فتأكل بعضه وتدخو بعضه فى بيوتها لانفسها للتغذى به فاذا اجتمع فى بيوتها من تلك الاجزاء الطلية شئ كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول أقرب الى العقل لان طبيعة الترنجيبين تقرب من طبيعة العسل وأيضا فاننا شاهدنا ان

من فيها (مختلف ألوانه) منه أبيض وأصفر وأحمر من الشباب والكهول والشباب وعلى ألوان أغذيتها

(فيه شفاء للناس) لانه من
 جملة الادوية النافعة وقل
 محبوب من المعاجين
 لم يذكر الاطباء فيه العسل
 وليس الغرض انه شفاء
 لكل مريض كما ان كل
 دواء كذلك وتنكبه
 لتعظيم الشفاء الذي فيه و
 لان فيه بعض الشفاء لان
 النكرة في الايات تخص
 وشكارجل استطلاق بطن
 أخيه فقال عليه السلام
 اسقه عسلا فجاهه وقال زاده
 ثم افعال عليه السلام
 صدق الله وكذب بطن
 أخيك اسقه عسلا فسقاه
 فصح وعن ابن مسعود
 رضي الله عنه العسل شفاء
 من كل داء والقرآن شفاء لما
 في الصدر فعليكم بالشفاء من
 القرآن والعسل ومن يدع
 الروافض ان المراد بالنحل
 على وقومه وعن بعضهم ان
 رجلا قال عند المهدي انما
 النحل بنو هاشم نخرج من
 بطونهم العلم فقال له رجل
 جعل الله طعامك وشرابك
 مما يخرج من بطونهم
 فضحك المهدي وحدث به
 المنصور فاتخذوهما ضحوة
 من أضحاحيكهم

النحل تتغذى بالعسل وأجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها بان كل تجويف في داخل البدن يسمى بطن
 فقوله يخرج من بطونها يعني من أفواهها وقول أهل الظاهر أولى وأصح لانا شاهد انه يوجد في طم العسل
 طم تلك الازهار التي تأكلها النحل وكذلك يوجد لونها ويربها وطعمها فيه أيضا وبعض هذا قول بعض
 أزواج النبي صلى الله عليه وسلم له أكت مغافير قال لا قالت فها هذه الريح التي أجد منك قال سقتني حفة
 شربة عسل قالت جوست نحل العرفط العرفط شجر الطلح وله صمغ يقال له المغافير كره الريح فغنى جوست
 نحل العرفط أكت ورعت بن العرفط الذي له الرائحة الكريهة فثبت بهذا الدليل صحة قول أهل الظاهر
 من المفسرين وانه يوجد في طم العسل ولونه ور يحمه طم مايا كلة النحل ولونه ور يحمه لاما قاله الاطباء من انه
 طل لانه لو كان طلالا كان على لون واحد وطبيعة واحدة وقوله ان طبيعة العسل تقرب من طبيعة الترنجيبين
 فيه نظر لان مزاج الترنجيبين معتدل الى الحرارة وهو الطيف من السكر ومزاج العسل حار يابس في الدرجة
 الثانية فينهما فرق كبير وقوله كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنافيه نظر لان لفظ البطن اذا أطلق
 لم يرده الا العضو المعروف مثل بطن الانسان وغيره والله أعلم وقوله تعالى (فيه) يعني في الشراب الذي
 يخرج من بطون النحل (شفاء للناس) وهذا قول ابن عباس وابن مسعود اذا الضمير في قوله فيه شفاء
 للناس يرجع الى العسل وقد اختلفوا في هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مرض أو على الخصوص
 لمرض دون مرض على قولين أحدهما ان العسل فيه شفاء من كل داء وكل مرض قال ابن مسعود العسل
 شفاء من كل داء والقرآن شفاء لنا في الصدور وفي رواية أخرى عنه عليكم بالشفاء من القرآن والعسل وروى
 نافع ان ابن عمر ما كانت تخرج به قرحة ولا شيء الا لطح الموضع بالعسل وبقرا يخرج من بطونها شراب
 مختلف ألوانه في شفاء للناس (ق) عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
 ان أخي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاءه فقال اني سقيته عسلا
 فلم يزد الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاءه الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم يزد الا استطلاقا
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرأ وقد اعترض بعض الملحدون
 ومن في قلبه مرض على هذا الحديث فقال ان الاطباء مجمعون على ان العسل سهل فكيف يوصفان
 به الاسهال فنقول في الرد على هذا المعترض الملحد الجاهل بعلم الطب ان الاسهال يحصل من أنواع كثيرة
 منها التخم والهيضات وقد أجمع الأطباء في مثل هذا على ان علاجه بان تترك الطبيعة وفعالها فان احتاجت
 الى معين على الاسهال أعينت مادامت القوة باقية فاما ما حبسها فضر عندهم واستحجال مرض فيحتمل
 أن يكون اسهال الشخص المذكور في الحديث أصابه من امتلاء أو هيضة فدواؤه بترك اسهاله على ما هو
 عليه أو تقويته فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب العسل فزاده اسهالا فزاده عسلا الى أن فثبت
 المادة فوقف الاسهال ويكون الخلط الذي كان به يوافق شرب العسل فثبت بما ذكرناه ان أمره صلى
 الله عليه وسلم لهذا الرجل يشرب العسل جار على صناعة الطب وان المعترض عليه جاهل طاول سنا قصد
 الاستظهار لتصديق الحديث بقول الاطباء بل لو كذبوه لكذبناهم وكفرتناهم بذلك وانما ذكرنا هذا
 الجواب الجاري على صناعة الطب دفعا لهذا المعترض بانه لا يحسن صناعة الطب التي اعترض بها والله أعلم
 وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم علم بالوحى الالهى أن
 العسل الذي أمره بشر به سيظهر نفعه بعد ذلك ففالم يظهر نفعه في الحال عندهم قال صدق الله يعني فيما وعد
 به من ان فيه شفاء وكذب بطن أخيك يعني باستحجالك للشفاء في أول مرة والله أعلم بما راد وأسرار رسول
 صلى الله عليه وسلم فان قالوا كيف يكون شفاء للناس وهو يضر باصحاب الصفراء ويهيج الحرارة ويضر
 بالشباب المحرورين ويعطش قلنا في الجواب عن هذا الاعتراض أيضا ان قوله فيه شفاء للناس مع أنه يضر

باصحاب الصفر اموهيج الحرارة انه خرج مخرج الاغلب وانه في الاغلب فيه شفاء ولم يقل انه شفاء لكل الناس لكل داء ولكنه في الجملة دواء وان نفعه أكثر من مضرته وقل مجنون من المعاجين الاوتمامه به والاشربة المتخذة من العسل نافعة لاصحاب البلغم والشيخوخة والبرودين ومنافعه كثيرة جدا والقول الثاني انه شفاء للاوجاع التي شفاؤها فيه وهذا قول السدي وقال مجاهد في قوله فيه شفاء للناس يعني القرآن لانه شفاء من امراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس والقول الاول اصح لان الضمير يجب ان يعود الى اقرب المذكورات واقر بها قوله تعالى يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو اولي ان يرجع الضمير اليه لانه اقرب مذكور وقوله سبحانه وتعالى (ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون) يعني فيعتبرون ويستدلون بمطذ كرناعلي وحدايتنا وقدرتنا قوله عز وجل (والله خلقكم) يعني اوجدكم من العدم واخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيئا (ثم توفاكم) يعني عند انقضاء آجالكم اما صبيانا واما شبانا واما كهولا (ومنكم من يرد الى اذل العمر) يعني اوداه واضعفه وهو الهرم قال بعض العلماء عمر الانسان له أربع مراتب اولها من النشور والنماء وهو من اول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة الى اربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل ثم المرتبة الثالثة سن الكهولة وهو من الاربعين الى الستين وهذه المرتبة يشرع الانسان في النقص لكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين الى آخر العمر وفيها يقين النقص ويكون الهرم والخرف وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اودل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة (ق) عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من الجوز والكسل والجبن والهرم والبخل واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة الحيا والممات وفي رواية اخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهذه الدعوات اللهم اني اعوذ بك من البخل والكسل واودل العمر وعذاب القبر وفتنة الحيا والممات وقوله تعالى (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) يعني ان الانسان يرجع الى حالة الطفولية بنسيان ما كان علم بسبب الكبر وقال ابن عباس لكي يصير كالصبي الذي لا عقل له وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالامور شيئا الشدة هرمه وقال الزجاج المعنى وان منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفا فيصير بعد ان كان عالما جاهلا ليرى الله من قدرته انه كما قدر على اماته واحيائه انه قادر على نقله من العلم الى الجهل هكذا وجدته منقولا عنه ولو قال ليرى الله من قدرته انه كما قدر على نقله من العلم الى الجهل انه قادر على احياؤه بعد اماته ليكون ذلك دليلا على صحة البعث بعد الموت لكان اجود قال ابن عباس ليس هذا في المسلمين لان المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء الا كرامة عند الله وعقلا ومعرفة وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد الى اذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئا وقال في قوله الا الذين آمنوا وعمالوا الصالحات هم الذين قرؤا القرآن وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين يريد الكافر ثم استثنى المؤمنين فقال تعالى الا الذين آمنوا وعمالوا الصالحات وقوله تعالى (ان الله عليم) يعني بما صنع باولياته واعدائه (قدير) يعني على ما يريد وقوله تعالى (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) يعني ان الله سبحانه وتعالى بسط على واحد وضيق وقتر على واحد وكثر لواحد وقلل على آخر وكافضل بعضكم على بعض في الرزق كذلك فضل بعضكم على بعض في الخلق والخلق والعقل والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك فهم متفاوتون ومتباينون في ذلك كله وهذا مما اقتضته الحكمة الالهية والقدرة الربانية (فالذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايماهم) يعني من العبيد حتى يستروا فيه هم وعبيدهم يقول الله سبحانه وتعالى هم لا يرضون ان يكونوا هم ويماليكم فيما رزقتمهم سواء وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني يلزم بهذه الجملة المشركين حيث جعلوا الاصنام شركاء لله قال قتادة هذا مثل ضر به الله عز وجل يقول هل

(ان في ذلك لاية) لقوم
يتفكرون) في عجب
امرها فيعلمون ان الله
اودعها علم ابداك وفظنها
كما اعطى اولي العقول
عقولهم (والله خلقكم ثم
توفاكم) بقبض ارواحكم
من ابدانكم (ومنكم من
يرد الى اذل العمر) الى
اخسه واحقره وهو خمس
وسبعون سنة او ثمانون
او تسعون (لكيلا يعلم بعد
علم شيئا) لينسى ما يعلم اولثلا
يعلم زيادة علم على علمه (ان
الله عليم) بحكم التحويل
الى الارذل من الاكمل او
الى الافناء من الاحياء
(قدير) على تبديل ما يشاء
كما يشاء من الاشياء (والله
فضل بعضكم على بعض
في الرزق) اي جعلكم
متفاوتين في الرزق فرزقكم
افضل مما رزق عماليكم
وهم بشر مثلكم (فالذين
فضلوا) في الرزق يعني الملاك
(برادى) يعطى (رزقهم
على ما ملكت ايماهم)
فكان ينبغي ان تردوا
فضل ما رزقتموه عليهم
حتى تتساوا في اللبس
والمطم

(فهم فيه سواء) جملة اسمية وقعت في موضع جملة فعلية في موضع نصب لانه جواب النبي بالفاء وتقديره مفا الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فاستووا مع عبدهم في الرزق وهو مثل ضربه الله للذين جعلوا اله شركاء فقال لهم اتم لا تسوون بينكم وبين عبديكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم في شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبدي لى شركاء (أفبنعمة الله بجدودهم) وبالثناء ما يربكوا جعل ذلك من جملة جود النعمة (١٣٤) (وانه جعل لكم من انفسكم أزواجا) أى من جنسكم (وجعل لكم من أزواجكم

بنين وحفدة) جمع حافة وهو الذي يحفد أى يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسى وتحفد واختاف فيه فقيل هم الاختان على البنات وقيل أولاد الأولاد والمعنى وجعل لكم حفدة أى خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم (ورزقكم من الطيبات) أى بعضها لان كل الطيبات في الجنة وطيبات الدنيا نموذج منها (أفبالباطل يؤمنون) هو ما يعتقدونه من منفعة الاصنام وشفاعتها (وبنعمة الله) أى الاسلام (هم يكفرون) أو الباطل الشيطان والنعمة محمد صلى الله عليه وسلم أو الباطل ما يبول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما وبنعمة الله ما أحل لهم (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا) أى الصنم وهو جاد لا يملك أن يرزق شيئا فالرزق يكون بمعنى المصدر ويعنى

منكم أحد يرضى أن يشركه بملوكه في جميع ماله فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده وقيل في معنى الآية ان المولى والمماليك الله رازقهم جميعا (فهم فيه) يعنى في رزقه (سواء) فلا تحسبن أن المولى يردون رزقهم على ممالكهم من عند انفسهم بل ذلك رزق الله أجراه على أيدي المولى للمماليك والمقصود منه بيان ان الرزق هو الله سبحانه وتعالى لجميع خلقه وان المولى والمماليك في الرزق سواء وان المالك لا يرزق المملوك بل الرزق للمماليك والممالك هو الله سبحانه وتعالى وقوله (أفبنعمة الله بجدودهم) فيه انكار على المشركين حيث جحدوا نعمة الله وعبدوا غيره وقوله عز وجل (وانه جعل لكم من انفسكم أزواجا) يعنى النساء خلقى من آدم حواء زوجته وقيل جعل لكم من جنسكم أزواجا لانه خطاب عام يعم الكل فتخصيصه بآدم وحواء خلاف الدليل (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) الحفدة جمع حافة وهو المسرع في الخدمة المسارع الى الطاعة ومنه قوله في الدعاء واليك نسى وتحفد أى تسرع الى طاعتك فهذا أصله في اللغة ثم اختلفت أقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنسفي الحفدة أختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود أيضا انهم أصهاره فهو بمعنى الاول فعلى هذا القول يكون معنى الآية وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيجعل لكم بسببهم الاختان والاصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل من أعانك فقد حفدك وقال عطاءهم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقيل هم أهل المهنة الذين يمتنون ويخدمون من الاولاد وقال مقاتل والكلبي البنين هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينون الرجل على عمله قال ابن عباس هم ولد الولد وفي رواية أخرى عنه انهم بنو امرأة الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الاقوال متقاربة لان اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك وبالجملة فان الحفدة هم غير البنين لان الله سبحانه وتعالى قال بنين وحفدة فجعل بينهم مغايرة (ورزقكم من الطيبات) يعنى نعم التي أنعم بها عليكم من أنواع الثمار والحبوب والحيوان والاشربة المستطابة الخلال من ذلك كله (أفبالباطل يؤمنون) يعنى بالاصنام وقيل بالشيطان يؤمنون وقيل معناه يصدقون أن لى شركا وصاحبه وولد او هذا استفهام انكارى أى ليس لهم ذلك (وبنعمت الله هم يكفرون) يعنى أنهم يضيفون ما أنعم الله به عليهم الى غيره وقيل معناه انهم يجددون ما أحل الله لهم (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض) يعنى الاصنام التي لا تقدر على انزال المطر الذي في السموات خزائنه ولا يقدرون على اخراج النبات الذي في الارض معدنه (شيئا) يعنى لا يملك من الرزق شيئا قليلا ولا كثيرا وقيل معناه يعبدون ما لا يرزق شيئا (ولا يستطيعون) يعنى ولا يقدرون على شىء يذ كر عجز الاصنام عن ايصال نفع أو دفع ضرر (فلا تضر بوالله الامثال) يعنى لا تشبهوا الله بخلقته فانه لا مثل له ولا شبهة ولا شريك من خلقه لان الخلق كلهم عبده وفي ملكه فكيف يشبه الخالق بالخلق أو الرزق بالرزق أو القادر بالعاجز (ان الله يعلم) يعنى ما أنعم الله به من ضرب الامثال له (وأتم لا تعلمون) خطأ ما تضر بون له من الامثال قوله تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شىء ومن رزقناه منارزقا حسنا) لما نهاهم الله سبحانه وتعالى عن ضرب الامثال لقلة علمهم ضرب هو سبحانه وتعالى لنفسه

ما يرزق فان أردت المصدر نصبت به شيئا أى لا يملك أن يرزق شيئا وان أردت المرزوق كان شيئا بدلا منه أى قليلا ومن السموات مثلا والارض صلة للرزق ان كان مصدرا أى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفة ان كان اسما للرزق والضمير في (ولا يستطيعون) لانه في معنى الآفة بعد ما قال لا يملك على اللفظ والمعنى لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم (فلا تضر بوالله الامثال) فلا تجسوا الله مثلافه لا مثل له أى فلا تجعلوا اله شركاء (ان الله يعلم) أنه لا مثل له من الخلق (وأتم لا تعلمون) ذلك أو ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وأتم لا تعلمون ذلك والوجه الاول تم ضرب المثل فقال (ضرب الله مثلا عبدا) هو بدل من مثلا (مملوكا لا يقدر على شىء ومن رزقناه منارزقا حسنا

عبد مملوك عاجز عن التصرف و بين حر مالك قدرزقه الله ما لا فهو يتصرف فيه وينفق منه ماشاء وقيد بالملوك ليميزه من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا اذ هما من عباد الله و بلا يقدر على شئ ليمتاز من المكاتب والمأذون فهما يقدران على التصرف ومن موصوفة أي وحر رزقناه لطابق عبدا أو موصولة (هل يستون) جمع الضمير لارادة الجمع أي لا يستوي القيلان (الجد لله بل أكثرهم لا يعلمون) بان الجد والعبادة لله ثم زاد في البيان فقال (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ) الأبكم الذي ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم (وهو كل على مولاه) أي ثقل وعيال على من يلي أمره ويعوله (أيما بوجهه لا يأت بخير) أيما بوجهه لا يأت بخير (هل يستوي) يعني من هذه صفته (هو) يعني صاحب هذه الصفات المذمومة (ومن يأمر بالعدل) يعني ومن هو سليم الخواص نفاع ذو كفايات ذو رشد وديانة يأمر الناس بالعدل والخير (وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) يعني على سيرة صالحة ودين قويم فيجب أن يكون الأمر بالعدل عالما قادرا مستقيما في نفسه حتى يتمكن من الأمر بالعدل وهذا مثل ثان ضرر به الله لنفسه ولما يفيض على عباده من انعامه ويشملهم به من آثار رحته وألطفه وللإصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي كل على عابديها لانها تحتاج الى كلفة الحبل والنقل والخدمة وقيل كلالا المثلين للمؤمن والكافر والمؤمن هو الذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم والكافر هو الأبكم الثقيل الذي لا يأمر بخير فلهذا القول تكون الآية على العموم في كل مؤمن وكافر وقيل هي على الخصوص فالذي يأمر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صراط مستقيم والذي يأمر بالظلم وهو أبكم أبو جهل وقيل الذي يأمر بالعدل عثمان بن عفان وكان له مولى يأمره بالاسلام وذلك المولى يأمر عثمان بالامساك عن الانفاق في سبيل الله تعالى فهو الذي لا يأتي بخير وقيل المراد بالأبكم صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضرر به الله لنفسه ولما يفيض على عباده من آثار رحته ونعمته وللإصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع

مثلا فقال تعالى مثلكم في انشراككم بالله الاوثان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف و بين حر مالك قادر قدرزقه الله ما لا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء فصرح العقل يشهد بأنه لا تجوز التسوية بينهما في التعظيم والاجلال فلهذا لم تجز التسوية بينهما في الخلق والصوره البشرية فكيف يجوز للعاقل أن يسوى بين الله عز وجل الخالق القادر على الرزق والافضال و بين الاصنام التي لا تملك ولا تقدر على شئ ألبتة وقيل هذا مثل ضرر به الله للمؤمن والكافر والمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شئ هو الكافر لانه لما كان محروما من عبادة الله وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز الذي لا يقدر على شئ وقيل ان الكافر لما رزقه الله ما لا فلم يقدم فيه خيرا صار كالعبد الذي لا يملك شيئا والمراد بقوله ومن رزقناه من رزقنا حسنا المؤمن لانه لما اشتغل بطاعة الله وعبوديته والانفاق في وجوه البر والخير صار كالحر المالك الذي ينفق سرا وجهرا في طاعة الله وابتغاء مرضاته وهو قوله سبحانه وتعالى (فهو ينفق منه سرا وجهرا) فاتا به الله الجنة على ذلك فان قلت لم قال عبدا ولو كالا يقدر على شئ وكل عبد هو مملوك وهو غير قادر على التصرف قلت انما ذكر المملوك ليقير من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله وقوله لا يقدر على شئ احتراز به عن المملوك المكاتب والمأذون له في التصرف لانهم لا يقدران على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الآية على ان العبد لا يملك شيئا (هل يستون) ولم يقل هل يستويان يعني هل يستوي الاحرار والعيبد والمعنى كما لا يستوي هذا الفقير البخيل والغني السخي كذلك لا يستوي الكافر العاصي والمؤمن الطائع وقال عطاء في قوله عبدا ولو كاهو أبو جهل بن هشام ومن رزقناه من رزقنا حسنا هو أبو بكر الصديق ثم قال تعالى (الجد لله) جد الله نفسه لانه المستحق لجميع الحمد لانه المنعم المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لاهذه الاصنام التي عبدها هؤلاء فانها لا تستحق الحمد لانها اجداد عاجزة لا يد لها على أحد ولا معروف فتحمد عليه انما الحمد الكامل لله لا غيره فيجب على جميع العباد حمد الله لانه أهل الحمد والثناء الحسن (بل أكثرهم) يعني الكفار (لا يعلمون) يعني أن الجد لله لاهذه الاصنام (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) هو الذي ولد أخرس فكل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم والابكم الذي لا يفهم ولا يفهم (لا يقدر على شئ) هو اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل (وهو كل على مولاه) أي ثقيل على من يلي أمره ويعوله وقيل أصله من الغلظ وهو تقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الامر اذا ثقل عليه فلم ينعث فيه فقوله وهو كل على مولاه أي غليظ ثقيل على مولاه (أيما بوجهه) أي حيثما يرسله ويصرفه في طلب حاجة أو كفاية مهم (لا يأت بخير) يعني لا يأت بنجح لانه أخرس عاجز لا يحسن ولا يفهم (هل يستوي) يعني من هذه صفته (هو) يعني صاحب هذه الصفات المذمومة (ومن يأمر بالعدل) يعني ومن هو سليم الخواص نفاع ذو كفايات ذو رشد وديانة يأمر الناس بالعدل والخير (وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) يعني على سيرة صالحة ودين قويم فيجب أن يكون الأمر بالعدل عالما قادرا مستقيما في نفسه حتى يتمكن من الأمر بالعدل وهذا مثل ثان ضرر به الله لنفسه ولما يفيض على عباده من انعامه ويشملهم به من آثار رحته وألطفه وللإصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي كل على عابديها لانها تحتاج الى كلفة الحبل والنقل والخدمة وقيل كلالا المثلين للمؤمن والكافر والمؤمن هو الذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم والكافر هو الأبكم الثقيل الذي لا يأمر بخير فلهذا القول تكون الآية على العموم في كل مؤمن وكافر وقيل هي على الخصوص فالذي يأمر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صراط مستقيم والذي يأمر بالظلم وهو أبكم أبو جهل وقيل الذي يأمر بالعدل عثمان بن عفان وكان له مولى يأمره بالاسلام وذلك المولى يأمر عثمان بالامساك عن الانفاق في سبيل الله تعالى فهو الذي لا يأتي بخير وقيل المراد بالأبكم

صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضرر به الله لنفسه ولما يفيض على عباده من آثار رحته ونعمته وللإصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع

(وقد غيب السموات والارض) أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخصي عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والارض لم يطلع عليه أحد منهم (وما أمر الساعة) في قرب كونها وسرعة قيامها (الا كلح البصر) كرجع طرف وانما ضرب به المثل لانه (١٣٦) لا يعرف زمان أقل منه (أوهو) أي الامر (أقرب) وليس هذا الشك المخاطب

والكن المعنى كونوا في كونها على هذا الاعتبار وقيل بل هو أقرب (ان الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على أن يقبم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) وبكسر الالف وفتح الميم على اتباعا لكسرة النون وبكسرهما حمزة والهاء مزيدة في أمهات للتوكيد كما زيدت في أراق فتصير اهراق وشدت زيادتها في الواحدة (لا تعلمون شيئا) حال أي غير عالين شيئا من حق الاسم الذي خلقكم في البطون (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون) أي وما ركب فيكم هذه الاشياء الآلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم به في الآخرة فان قلت ظاهر الآية يدل على أن جعل الحواس الثلاث بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه الحواس للانسان من جملة خلقه وهو في بطن أمه قلت ذكر العلماء ان تقديم الاخراج وتأخير ذكر هذه الحواس لا يدل على ان خلقها كان بعد الاخراج لان الواو لا توجب القرب ولان العرب تقدم وتؤخر في بعض كلامها وأقول لما كان الاتقاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكأنما خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه وان كانت قد خلقت قبل ذلك ﴿وقوله تعالى (اعلمكم تشكرون) يعني انما أنعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر من أنعم عليكم بها (ألم يروا الى الطير مسخرات) يعني مذلات (في جوار السماء) الجوار القضاء الواسع بين السماء والارض وهو الهواء قال كعب الاحبار ان الطير ترتفع في الجوائن عشرا ميلا ولا ترتفع فوق ذلك (ما يمكنهن الا الله) يعني في حال قبض أجنحتها وبسطها واصطفاها في الهواء وفي هذا حث على الاستدلال بها على ان طامس خراسخرها ومذللها لذلها ومسكأ مسكها في حال طيرانها ووقوفها في الهواء وهو الله تعالى (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) انما خص المؤمنين بالذكور لانهم هم الذين يعتبرون بالآيات ويتفكرون فيها وينتفعون بها دون غيرهم ﴿قوله سبحانه وتعالى (والله جعل لكم من بيوتكم) يعني التي هي من الحجر والمدر (سكننا) يعني مسكننا سكنونه والسكن ما سكنت اليه وفيه من ألف أو بيت (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) يعني الخيام والقباب والابخية والفساطيط المتخذة من الادم والانطاع

والكن المعنى كونوا في كونها على هذا الاعتبار وقيل بل هو أقرب (ان الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على أن يقبم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) وبكسر الالف وفتح الميم على اتباعا لكسرة النون وبكسرهما حمزة والهاء مزيدة في أمهات للتوكيد كما زيدت في أراق فتصير اهراق وشدت زيادتها في الواحدة (لا تعلمون شيئا) حال أي غير عالين شيئا من حق الاسم الذي خلقكم في البطون (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون) أي وما ركب فيكم هذه الاشياء الآلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم به في الآخرة فان قلت ظاهر الآية يدل على أن جعل الحواس الثلاث بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه الحواس للانسان من جملة خلقه وهو في بطن أمه قلت ذكر العلماء ان تقديم الاخراج وتأخير ذكر هذه الحواس لا يدل على ان خلقها كان بعد الاخراج لان الواو لا توجب القرب ولان العرب تقدم وتؤخر في بعض كلامها وأقول لما كان الاتقاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكأنما خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه وان كانت قد خلقت قبل ذلك ﴿وقوله تعالى (اعلمكم تشكرون) يعني انما أنعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر من أنعم عليكم بها (ألم يروا الى الطير مسخرات) يعني مذلات (في جوار السماء) الجوار القضاء الواسع بين السماء والارض وهو الهواء قال كعب الاحبار ان الطير ترتفع في الجوائن عشرا ميلا ولا ترتفع فوق ذلك (ما يمكنهن الا الله) يعني في حال قبض أجنحتها وبسطها واصطفاها في الهواء وفي هذا حث على الاستدلال بها على ان طامس خراسخرها ومذللها لذلها ومسكأ مسكها في حال طيرانها ووقوفها في الهواء وهو الله تعالى (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) انما خص المؤمنين بالذكور لانهم هم الذين يعتبرون بالآيات ويتفكرون فيها وينتفعون بها دون غيرهم ﴿قوله سبحانه وتعالى (والله جعل لكم من بيوتكم) يعني التي هي من الحجر والمدر (سكننا) يعني مسكننا سكنونه والسكن ما سكنت اليه وفيه من ألف أو بيت (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) يعني الخيام والقباب والابخية والفساطيط المتخذة من الادم والانطاع

السماع في غيرها (ألم يروا) وبالتاء شامى وحمزة (الى الطير مسخرات) مذلات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب واعلم الموازية لذلك (في جوار السماء) هو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو (ما يمكنهن) في قبضهن و بسطهن ووقوفهن (الا الله) يقدره وفيه نبي لما يصوره الوهم من خاصية القوى الطبيعية (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بان الخلق لا غنى به عن الخالق (والله جعل لكم من بيوتكم سكننا) هو فعل بمعنى مفعول أي ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت أو الف (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هي قباب الادم

(تستخفونها) ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل (يوم ظعنكم) بسكون العين كوفي وشامي و بفتح العين غيرهم والظعن بفتح العين وسكونها الارتحال (ويوم اقامتكم) قراركم في منازلكم (١٣٧) والمعنى انها خفيفة عليكم في اوقات السفر

والحضر على ان اليوم بمعنى الوقت (ومن اصوافها) أي اصواف الضأن (وأوبارها) وأوبار الابل (وأشعارها) وأشعار المعز (أثانا) متاع البيت (ومتاعا) وشياً ينتفع به (الى حين) مدة من الزمان (والله جعل لكم مما خلق ظلالات) كالاشجار والسقوف (وجعل لكم من الجبال أكنانا) جمع كن وهو ما سترك من كهف أو غار (وجعل لكم سرايل) هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن (تقيمكم الحر) وهي تقي البرد أيضا لأنه اكتفي باحد الضدين ولان الوقاية من الحر أهم عندهم لكون البرد يسيرا محتملا (وسرايل تقيمكم بأسكم) ودروعا من الحديد ترد عنكم سلاح عدوكم في قتالكم والبأس شدة الحرب والسربال عام يقع على ما كان من حديد أو غيره (كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) أي تنظرون في نعمته الفاضلة فتؤمنون به وتنقادون له (فان تولوا) أعرضوا عن الاسلام

واعلم ان المساكن على قسمين أحدهما ما لا يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهي البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوهما والقسم الثاني ما يمكن نقله من مكان الى مكان آخر وهي الخيام والفساطيط المتخذة من جلود الانعام واليه الاشارة بقوله تعالى (تستخفونها) يعني يخف عليكم حملها (يوم ظعنكم) يعني في يوم سيركم ورحيلكم في أسفاركم وظعن البادية هو لطلب ماء أو مرعى ونحو ذلك (ويوم اقامتكم) يعني وتخف عليكم أيضا في اقامتكم وحضركم والمعنى لا تثقل عليكم في الحالتين (ومن اصوافها وأوبارها وأشعارها) الكناية عائدة الى الانعام يعني ومن اصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز (أثانا) يعني تتخذون أثانا الاثا متاع البيت الكبير وأصله من أث اذا كثرت كاتف وقيل للمال أثا اذا كثر قال ابن عباس أثانا يعني مالا وقال مجاهد متاعا وقال القتيبي الاثا المال أجمع من الابل والغنم والعيبد والمتاع وقال غيره الاثا هو متاع البيت من الفرش والا كسبة ونحو ذلك (ومتاعا) يعني وبلاغوه ما يمتعون به (الى حين) يعني الى حين يبلى ذلك الاثا وقيل الى حين الموت فان قلت أي فرق بين الاثا والمتاع حتى ذكره بواو العطف والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق قلت الاثا ما كثر من آلات البيت وحوادثه وغير ذلك فيدخل فيه جميع أصناف المال والمتاع ما ينتفع به في البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظتين والله أعلم (والله جعل لكم مما خلق ظلالات) يعني جعل لكم ما تستظلون به من شدة الحر والبرد وهي ظلالات الابنية والجدران والاشجار (وجعل لكم من الجبال أكنانا) جمع كن وهو ما يستكن فيه من شدة الحر والبرد كالاسراب والغيران ونحوها وذلك لان الانسان اما أن يكون غنيا أو فقيرا فاذا سافر احتاج في سفره ما يقيه من شدة الحر والبرد فاما الغني فيستصحب معه الخيام في سفره ليستكن فيها واليه الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا وأما الفقير فيستكن في ظلالات الاشجار والحيطان والكهوف ونحوها واليه الاشارة بقوله والله جعل لكم مما خلق ظلالات وجعل لكم من الجبال أكنانا ولان بلاد العرب شديدة الحر وحاجتهم الى الظلال وما يدفع شدته وقوته أكثر لهذا السبب ذكر الله هذه المعاني في معرض الامتنان عليهم بها لان النعمة عليهم فيها ظاهرة (وجعل لكم سرايل تقيمكم الحر) يعني وجعل لكم قصا وثيابا من القطن والكتان والصوف وغير ذلك تمنعكم من شدة الحر قال أهل المعاني والبرد فاكتفي بذلك كراهة الدلالة الكلام عليه (وسرايل تقيمكم بأسكم) يعني الدروع والجواشن وسائر ما يلبس في الحرب من السلاح والبأس الحرب يعني تقيمكم في بأسكم السلاح أن يصيبكم قال عطاء الخراساني انما نزل القرآن على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال أكنانا وما جعل لهم من السهول أعظم وأكثروا كنهم كانوا أصحاب جبال كما قال ومن اصوافها وأوبارها وأشعارها وما جعل لهم من القطن والكتان أكثر ولكن كانوا أصحاب صوف ووبر وشعر وكما قال تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما أنزل من الثلج أكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج وقال تقيمكم الحر وما جعل لهم مما يقي من البرد أكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر وقوله سبحانه وتعالى (كذلك) يعني كما أنتم عليكم بهذه النعم (يتم نعمته عليكم) يعني نعم الدنيا والدين (لعلكم تسلمون) يعني لعلكم يا أهل مكة تخلصون لله الواحدانية والربوبية والعبادة والطاعة وتعلمون أنه لا يقدر على هذه الانعامات الا الله تعالى (فان تولوا) يعني فان أعرضوا عن الايمان بك وتصديقك يا محمد وآثر واما هم فيه من الكفر والذات الدنيوية فاما وبال ذلك عليهم لاعتك (فانما عليك البلاغ المبين) يعني ليس عليك في ذلك عتب ولا سمة بقصير انما عليك البلاغ وقد فعلت ذلك ثم ذمهم الله تعالى بقوله (يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها) قال

(١٨ - (خازن) - ثالث)

(فانما عليك البلاغ المبين) أي ولا تبعة عليك في ذلك لان الذي عليك هو التبليغ الظاهر وقد فعلت (يعرفون نعمت الله) التي عددناها باقوالهم فانهم يقولون انها من الله (ثم ينكرونها) بافعالهم حيث عبدوا غير المنعم أو في الشدة ثم في الرخاء

(وأكثرهم الكافرون) أي الجاحدون غير المعترفين أو نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا
وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم وهم يدل على أن إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لأن حق من عرف النعمة أن
يعترف لأن ينكر (ويوم) اتصاه (١٣٨) باذ كر (نبعث) نحشر (من كل أمة شهيدا) نبيا يشهد لهم وعابهم بالتصديق

السدى نعمة الله يعني محمد صلى الله عليه وسلم أنكره وكذبه وقيل نعمة الله هي الإسلام لأنه من أعظم النعم
التي أنعم الله بها على عباده ثم إن كفار مكة أنكروه ونجده وقال مجاهد وقتادة نعمة الله ما عده عليهم في
هذه السورة من النعم يقرون بها من الله ثم إذا قيل لهم صدقوا وامثلوا أمر الله فيها ينكرونها ويقولون
ورثناها عن آباءنا وقال الكلبي أنه لما ذكر هذه النعم قالوا هذه نعم كاهنا من الله تعالى لكنها بشفاعة آلهتنا
وقيل هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان لما كان كذا وقيل إنهم يعترفون بأن الله أنعم بهذه النعم
ولكنهم لا يستعملونها في طلب رضوانه ولا يشكرونه عليها (وأكثرهم الكافرون) إنما قال سبحانه وتعالى
وأكثرهم الكافرون مع أنهم كانوا كلهم كافرين لأنه كان فيهم من لم يبلغ بعد حد التكليف فغيره بالأكثر
عن البالغين وقيل أراد بالأكثر الكافرين الحاضرين المعاندين وقد كان فيهم من ليس بمعاند وإن كان كافرا
وقيل أنه عبر بالأكثر عن الكل لأنه قد يذكر الأكثر ويراد به الجمع في قوله سبحانه وتعالى (ويوم نبعث من
كل أمة شهيدا) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمه على الكافرين وإنكارهم لها وذكر أن أكثرهم كافرون
أنبعه بذكر الوعيد لهم في الآخرة فقال تعالى ويوم نبعث من كل أمة شهيدا يعني رسولا وذلك اليوم هو يوم
القيامة والمراد بالشهداء الأنبياء يشهدون على أممهم بإنكار نعم الله عليهم وبالكفر (ثم لا يؤذن للذين
كفروا) يعني في الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم في الكلام أصلا وقيل لا يؤذن لهم بالرجوع إلى دار الدنيا
فيعتذروا ويتوبوا وقيل لا يؤذن لهم في معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويقرونهم على ذلك (ولاهم
يستعجبون) الاستعجاب طلب العتاب والمعقبة هي الغلظة والموجدة التي يجدها الإنسان في نفسه على غيره
والرجل إنما يطلب العتاب من خصمه أيزيل ما في نفسه عليه من الموجدة والغضب ويرجع إلى الرضا عنه
وإذا لم يطلب العتاب منه دل ذلك على أنه ثابت على غضبه عليه ومعنى الآية أنهم لا يكفون أن يرضوا بهم في
ذلك اليوم لأن الآخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون إلى الدنيا فيفتوبوا ويرجعوا وراضوا بهم فلا استعجاب
التعرض لطلب الرضا وهذا باب منسد على الكفار في الآخرة (وإذا رأى الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم
بالكفر والمعاصي (العذاب) يعني عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) يعني العذاب (ولاهم ينظرون) يعني لا يؤخرون
ولا يمهلون (وإذا رأى الذين أشركوا) يعني يوم القيامة (شركاءهم) يعني أصنامهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا
(قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كان يدعو من دونك) يعني أربابا وكان يعبدهم وتتخذهم آلهة (فألقوا) يعني
الأصنام (اليوم) يعني إلى عابديها (القول انكم لكاذبون) يعني أن الأصنام قالت للكفار انكم لكاذبون يعني
في تسميتنا آلهة وما دعوناكم إلى عبادة تفان قات الأصنام جادا لا تتكلم فكيف يصح منها الكلام قلت
لا يبعد أن الله سبحانه وتعالى لما بعثها وأعادها في الآخرة خلق فيها الحياة والنطق والعقل حتى قالت
ذلك والمقصود من أعادتها وبعثها أن تكذب الكفار ويراه الكفار وهي في غاية الذلة والحقارة فيزدادون
بذلك غمما وحسرة (وألقوا) يعني المشركين (إلى الله يومئذ السلم) يعني أنهم استسلموا له وانقادوا لحكمه
فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيئا (وضل عنهم) يعني وزال عن المشركين (ما كانوا يضفرون) يعني ما كانوا
يكذبون في الدنيا في قوتهم أن الأصنام تشفع لهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) يعني ضلوا

والتكذيب والإيمان
والكفر (ثم لا يؤذن
للذين كفروا) في الاعتذار
والمعنى لا حجة لهم فدل
بترك الأذن على أن لا
حجة لهم ولا عذر (ولاهم
يستعجبون) ولا هم
يسترضون أي لا يقال لهم
ارضوا ربكم لأن الآخرة
ليست بدار عمل ومعنى ثم
إنهم يمنون أي يبتلون بعد
شهادة الأنبياء عليهم السلام
بما هو أطم وأغلب منها
وهو أنهم يمنعون الكلام
فلا يؤذن لهم في القاء
معذرة ولا ادلاء بحجة
(وإذا رأى الذين ظلموا)
كفروا (العذاب فلا يخفف
عنهم) أي العذاب بعد
الدخول (ولاهم ينظرون)
يمهلون قبله (وإذا رأى
الذين أشركوا شركاءهم)
أو أنهم التي عبدوها (قالوا
ربنا هؤلاء شركاؤنا) أي
آلهتنا التي جعلناها شركاء
(الذين كانوا يدعو من
دونك) أي يعبد (فألقوا
اليوم القول انكم لكاذبون)
أي أجابوهم بالتكذيب
لأنها كانت جادا لا تعرف

من عبدها ويحتمل أنهم كذبوهم في تسميتهم شركاء
وآلهة تنزيهاً عن الشرك (وألقوا) يعني الذين ظلموا (إلى الله يومئذ السلم) القاء السلم الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإياه
والاستكبار في الدنيا (وضل عنهم) وبطل عنهم (ما كانوا يضفرون) من أن الله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفون لهم حين كذبوهم
وتبرؤا منهم (الذين كفروا) في أنفسهم (وصدوا عن سبيل الله) وحلوا غيرهم على الكفر

زدناهم عذابا فوق العذاب) أي عذابا بكفرهم وعذابا بصددهم عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين الناس بالصد (ويوم
بعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) يعني نبينهم لانه كان يبعث (١٣٩) أنبياء الامم فيهم منهم (وجئنا بك) يا محمد

(شهدا على هؤلاء) على
أمتك (وزلنا عليك
الكتاب تبيانا) بليغا (لكل
شيء) من أمور الدين اما في
الاحكام المنصوصة فظاهر
وكذا فيما ثبت بالسنة أو
بالاجماع أو بقول الصحابة
أو بالقياس لان مرجع
الكل الى الكتاب حيث
امر نبيه باتباع رسوله عليه
السلام وطاعته بقوله أطيعوا
الله وأطيعوا الرسول وحثنا
على الاجماع فيه بقوله
ويتبع غير سبيل المؤمنين
وقدرضى رسول الله صلى
الله عليه وسلم لامته باتباع
أصحابه بقوله أصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم
اهتديتم وقد اجتهدوا
وقاسوا ووطؤا طرق
الاجتهاد والقياس مع انه
امر نابه بقوله فاعتبروا يا أولي
الابصار فكانت السنة
والاجماع وقول الصحابي
والقياس مستندة الى
تبيان الكتاب فتبين أنه
كان تبيانا لكل شيء
(وهدي ورحمة وبشرى
للمسلمين) ودلالة الى الحق
ورحة لهم وبشارة لهم بالجنة
(ان الله يامر بالعدل)
بالتسوية في الحقوق فيما
بينكم وترك الظلم وايصال
كل ذي حق الى حقه

كفرهم أنهم منعوا الناس عن الدخول في الايمان بالله ورسوله (زدناهم عذابا فوق العذاب) يعني
زدناهم هذه الزيادة بسبب صددهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الاصلى
واختلفوا في هذه الزيادة ما هي فقال عبد الله بن مسعود عقارب لها أنياب كأمثال النخل الطوال وقال
سعيد بن جبيرة حيات كالبعث وعقارب أمثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها ألمها أربعين
خريفا وقال ابن عباس ومقاتل يعني خمسة أشهر من صفر مذاب كالنار تسيل يعذبون بها ثلاثة على مقدار
الليل واثنان على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فيبادرون من شدة
الزمهرير الى النار مستغيثين بها وقيل يضاعف لهم العذاب ضعف بسبب كفرهم وضعف بسبب صددهم
الناس عن سبيل الله (بما كانوا يفسدون) يعني ان الزيادة انما حصلت لهم بسبب صددهم عن سبيل الله
وبسبب ما كانوا يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر (ويوم نبعت في كل أمة شهيدا عليهم)
قال ابن عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبي شاهد على أمته وهو عدل شاهد عليها (من أنفسهم)
يعني منهم لان كل نبي انما بعث من قومه الذين بعث اليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا من كفر وايمان وطاعة
وعصيان (وجئنا بك) يعني يا محمد (شهدا على هؤلاء) يعني على قومك وأمتك وتم الكلام هنا ثم قال
تبارك وتعالى (وزلنا عليك الكتاب) يعني القرآن (تبيانا لكل شيء) تبيانا اسم من البيان قال مجاهد
يعني لما أمر به وما نهى عنه وقال أهل المعاني تبيانا لكل شيء يعني من أمور الدين اما بالنص عليه أو بالاحالة
على ما يوجب العلم من بيان النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بين ما في القرآن من
الاحكام والحدود والحلال والحرام وجميع المأمورات والمنهيات واجماع الامة فهو أيضا أصل ومفتاح العلوم
الدين (وهدي) يعني من الضلالة (ورحة) يعني لمن آمن به وصدق به (وبشرى للمسلمين) يعني وفيه بشرى
للمسلمين من الله عز وجل قوله سبحانه وتعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان) قال ابن عباس العدل
شهادة أن لا اله الا الله والاحسان أداء الفرائض وفي رواية عنه قال العدل خلع الاعداد والاحسان أن تعبد
الله كأنك تراه وأن تحب للناس ما تحب لنفسك ان كان مؤمنا تحب أن يزداد ايمانا وان كان كافرا تحب
أن يكون أخاك في الاسلام وقال في رواية أخرى عنه العدل التوحيد والاحسان الاخلاص وأصل العدل
في اللغة المساواة في كل شيء من غير زيادة في شيء ولا علو ولا نقصان فيه ولا تقصير فالعدل هو المساواة في
المكافأة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان أن تقابل الخير بما كثر منه والشربان تعفو عنه وقيل
العدل الانصاف ولا انصاف أعظم من الاعتراف للمنع بانهامه والاحسان ان تحسن الى من أساء اليك
وقيل يامر بالعدل في الافعال وبالاحسان في الاقوال فلا يفعل الا ما هو عدل ولا يقول الا ما هو حسن (وايتاء
ذي القربى) يعني ويامر بصلة الرحم وهم القرابة الادنون والاعدون منك فيستحب ان تصلهم من فضل
ما رزقك الله فان لم يكن لك فضل فدعاء حسن وتودد (وينهى عن الفحشاء) قال ابن عباس يعني الزنا
وقال غيره الفحشاء ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الاقوال والافعال المذمومة
(والمنكر) قال ابن عباس يعني الشرك والكفر وقال غيره المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة (والبني)
يعني الكبر والظلم وقيل البني هو التطاول على الغير على سبيل الظلم والعدوان قال بعضهم ان أعجل المعاصي
البني ولو أن جبلين بني أحدهما على الآخر لك الباغى وقال ابن عيينة في هذه الآية العدل استواء
السرو والعلائية والاحسان أن تكون سريره أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبني أن
تكون علانيته أحسن من سريره وقال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى ذكر من المأمورات

(والاحسان) الى من أساء اليكم أوهما الفرض والندب لان الفرض لابد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب (وايتاء ذي القربى) واعطاء ذي
القربى وهو صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) عن الذنوب المفرطة في القبح (والمنكر) ما تنكره العقول (والبني) طلب التطاول بالظلم والكبر

(بظكم) حال أو مستأنف (علمكم تذكرون) تعظون بمواعظ الله وهذه الآية سبب إسلام عثمان بن مظعون فإنه قال ما كنت أسلمت
 الأحياء منه عليه السلام لكثرة ما كان يعرض على الإسلام ولم يستقر الإيمان في قلبي حتى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الإيمان في قلبي
 فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال (١٤٠) والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول البشر

وقال أبو جهل إن اله
 ليأمر بمكارم الأخلاق وهي
 أجمع آية في القرآن للخير
 والشرو وهذا يقرؤها كل
 خطيب على المنبر في آخر
 كل خطبة لتكون عظة
 جامعة لكل ما مورومهي
 (وأوفوا بعهد الله إذا
 عاهدتم) هي البيعة لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم على
 الإسلام إن الذين يبايعونك
 إنما يبايعون الله (ولا
 تنقضوا الإيمان) إيمان
 البيعة (بعد توكيدها)
 بعد توثيقها باسم الله وأكده
 ووكد لغتان فصيحتان
 والأصل الواو والهمزة بدل
 منها (وقد جعلتم الله عليكم
 كفيلاً) شاهداً ورقياً
 لأن الكفيل مراد لحل
 المكفول به مهيم عليه
 (إن الله يعلم ما تفعلون)
 من البر والحنث فيجازيكم
 به (ولا تكونوا) في نقض
 الإيمان (كأنى نقضت
 غزها من بعد قوة) كالمرأة
 التي انحنت على غزها
 بعد أن أحكمته وأبرمته
 فجعلته (أنكاثاً) جمع نكت
 وهو ما ينكت قتله قيل
 هي ربيعة وكانت حواء
 تغزل هي وجواربها من

ثلاثة أشياء ومن المنهيات ثلاثة أشياء فقد كر العدل وهو الانصاف والمساواة في الأقوال والأفعال وذك
 في مقابلته الفحشاء وهي ما قبح من الأقوال والأفعال وذك الاحسان وهو أن تعفو عن ظلمك وتحسن إلى
 من أساء إليك وذك في مقابلته المنكر وهو أن تنكر احسان من أحسن إليك وذك كرايتاء ذى القربى
 والمراد به صلة القرابة والتودد إليهم والشفقة عليهم وذك في مقابلته البغي وهو أن يتكبر عليهم أو يظلمهم
 حقوقهم ثم قال تعالى (يعظكم لعلمكم تذكرون) يعني إنما أمركم بما أمركم به ونهاكم عما نهاكم عنه لكي
 تعظوا وتذكروا فاعملوا بما فيه رضا الله تعالى قال ابن مسعود إن أجمع آية في القرآن خير وشهر هذه
 الآية وقال أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الأولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء بين في هذه الآية
 المأمور به والمنهى عنه على سبيل الاجمال فإما من شيء يحتاج إليه الناس في أمر دينهم مما يجب أن يؤتى أو يترك
 الا وقد اشتمت عليه هذه الآية وروى عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة إن الله
 يأمر بالعدل إلى آخر الآية فقال له يا ابن أخي أعد على فأعادها عليه فقال له الوليد والله إن له لحلاوة وإن عليه
 لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول البشر قوله عز وجل (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم)
 لماذا كر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة المأمورات والمنهيات على سبيل الاجمال ذك في هذه الآية
 بعض ذلك الاجمال على التفصيل فبدأ بالأمر بالوفاء بالعهد لأنه أكد الحقوق فقال تعالى وأوفوا بعهد الله إذا
 عاهدتم نزلت في الذين يبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام فأمرهم بالوفاء بهذه البيعة وقيل المراد
 منه كل ما يلتزمه الإنسان باختياره ويدخل فيه الوعد أيضاً إن الوعد من العهد وقيل العهد ههنا اليمين قال
 القتيبي العهد يمين وكفارته كفارة يمين فعلى هذا يجب الوفاء به إذا كان فيه صلاح أما إذا لم يكن فيه صلاح فلا
 يجب الوفاء به لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف بيمين ثم رأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن
 يمينه فيكون قوله وأوفوا بعهد الله من العام الذي خصته السنة وقال مجاهد وقادة نزلت في حلف أهل
 الجاهلية ويشهد لهذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام الا شدة
 (ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها) يعني تشديدها فتحشوا فيها وفيه دليل على أن المراد بالعهد غير اليمين
 لأنه أعم منها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً) يعني شهيداً بالوفاء بالعهد (إن الله يعلم ما تفعلون) يعني من
 وفاء العهد ونقضه ثم ضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً لنقض العهد فقال تعالى (ولا تكونوا) يعني في
 نقض العهد (كأنى نقضت غزها من بعد قوة) يعني من بعد إبرامه واحكامه قال الكلبى ومقاتل هذه
 امرأة من قريش يقال لها ربيعة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم وكانت خرقاء حواءها
 وسوسة وكانت قد انحنت مغزلاً قد ذراع وصرارة مثل الاصبع وفلانة عظيمة على قسرها وكانت تغزل
 الغزل من الصوف والشعراً والوبر وتأمّر جواربها بالغزل فكان يغزلن من الغداة إلى نصف النهار فإذا
 اتصف النهار أمرتهن بنقض جميع ما غزلن فكان هذا أباها والمعنى إن هذه المرأة لم تكف عن العمل ولا
 حين عملت كفت عن النقص فكذلك من نقض العهد لا تركه ولا حين عاهد وفيه (أنكاثاً) جمع نكت
 وهو ما ينقض من الغزل أو الحبل بعد الفتل (تخذون أيمانكم دخلا بينكم) يعني دخلاً وخيانة وخديعة
 والدخل ما يدخل في الشيء على سبيل الفساد وقيل الدخل والدغل إن يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويبطل
 نقضه (أن تكون) يعني لأن تكون (أمة هي أمة) يعني أكثر وأعلى من أمة قال مجاهد وذلك
 انهم كانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا قوماً أكثر من أولئك وأعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الاكثر

الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن (تخذون أيمانكم) حال كأنكاثاً (دخلاً) أحد معولى تصدأى ولا تنقضوا والمعنى
 أيمانكم متخذها دخلاً (بينكم) أي مفسدة وخيانة (أن تكون أمة) بسبب أن تكون أمة يعني جماعة قريش (هي أمة من أمة) هي أمة
 هذا وأوفر مالاً: أمة من جماعة المؤمنين هي أمة مبتدأ وخبر في موضع الرفع صفة لامة وأمة فاعل تكون وهي تامة وهي ليست بفصل

وقوعها بين نكرتين (انما يلوكم الله به) الضمير للصدر رأى انما يخبركم بكونهم أربى لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما وكدهم من
 عن البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم تغفرون بكثرة قريش وثروتهم وقلة المؤمنين وفقدهم (وليدنين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه
 مختلفون) اذا جازاكم على أعمالكم بالشواب والعقاب وفيه تحذير عن مخالفة ملة الاسلام (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) حنيفة مسلمة
 (ولكن يضل من يشاء) من علم منه اختيار الضلالة (ويهدي من يشاء) من علم منه (١٤١) اختيار الهداية (ولتسئلن عما كنتم
 تعملون) يوم القيامة

تعملون) يوم القيامة فتجزون به (ولا تتخذوا
 إيمانكم دخلا بينكم) كرر النهي عن اتخاذ الإيمان
 دخلا بينهم تأكيذا عليهم
 واطهار العظمة (فتزل قدم
 بعد ثبوتها) فتزل أقدامكم
 عن محجة الاسلام بعد
 ثبوتها عليها وانما وحدت
 القدم ونكرت لاستعظام
 أن تزل قدم واحدة عن
 طريق الحق بعد ان ثبت
 عليه فكيف بأقدام كثيرة
 (وتذوقوا السوء) في الدنيا
 (بما صدتم) بصدودكم
 (عن سبيل الله) وخروجكم
 عن الدين أو بصدكم غيركم
 لانهم لو تقضوا إيمان البيعة
 وارتدوا لاتخذوا نقضها
 سنة لغيرهم يستنون بها
 (ولكم عذاب عظيم) في
 الآخرة (ولاتشركوا) ولا
 تبدلوا (بعهد الله) وبيعة
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم (ثمنا قليلا) عرضا
 من الدنيا يسيرا كأن
 قوما ممن أسلم بمكة زين لهم
 الشيطان لجزعهم مما
 رأوا من غلبة قريش

المعنى انكم طلبتم العز بنقض العهد لان كانت أمة أي جماعة أكثر من جماعة فنهاهم الله عن ذلك
 أمرهم بالوفاء بالعهد لمن عاهدوا وحالفوا (انما يلوكم الله به) يعني يختبركم بما أمركم به من الوفاء بالعهد وهو
 علم بكم (وليدنين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه مختلفون) يعني في الدنيا فيثيب الطائع المحق ويعاقب المسيء
 لخالفه ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) يعني على ملة واحدة ودين واحد وهو دين
 الاسلام (ولكن يضل من يشاء) يعني بخذلانها اياه عدلانها منه (ويهدي من يشاء) بتوفيقه اياه فضلا منه وذلك
 ما اقتضته الحكمة الالهية لا يستل عما يفعل وهم يستلون وهو قوله تعالى (ولتسئلن عما كنتم تعملون)
 معنى في الدنيا فيجازي المحسن باحسانه ويعاقب المسيء باساءته أو يغفر له ﴿قوله عز وجل﴾ (ولا تتخذوا
 إيمانكم دخلا بينكم) يعني خديعة وفساد ايمنكم فتغروا بها الناس فيسكنوا الى إيمانكم ويامنوا اليكم ثم
 نقضونها وانما كرر هذا المعنى تاكيذا عليهم واطهار العظم أمر نقض العهد قال المفسرون وهذا في نهى
 الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام منهاهم عن نقض عهده لان الوعيد الذي بعده وهو قوله
 سبحانه وتعالى فتزل قدم بعد ثبوتها الا يلقى بنقض عهد غيره انما يلقى بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه
 وسلم على الإيمان به وبشرعته ﴿قوله﴾ (فتزل قدم بعد ثبوتها) مثل يذ كر لكل من وقع في بلاء ومحنة بعد
 آفة ونعمة أو سقط في ورطة بعد سلامة تقول العرب لكل واقع في بلاء بعد عافية زلت قدمه والمعنى فتزل
 أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها (وتذوقوا السوء) يعني العذاب (بما صدتم عن سبيل الله) يعني
 سب صدكم غيركم عن دين الله وذلك لان من نقض العهد فقد علم غيره نقض العهد فيكون هو أقدمه على
 ذلك (ولكم عذاب عظيم) يعني بنقضكم العهد (ولاتشركوا بعهد الله ثمنا قليلا) يعني ولا تنقضوا عهودكم وتطلبوا
 نقضها عوضا من الدنيا قليلا ولكن أو فوا بها (ان ما عند الله) يعني فان ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء
 بعهد (هو خير لكم) يعني من عاجل الدنيا (ان كنتم تعلمون) يعني فضل ما بين العوضين ﴿ثم بين ذلك فقال﴾
 ارك وتعالى (ما عندكم ينفد) يعني من متاع الدنيا ولذاتها ينفى ويذهب (وما عند الله باق) يعني من ثواب
 الآخرة ونعيم الجنة (ولنجزي الذين صبروا) يعني على الوفاء بالعهد على السراء والضراء (أجرهم) يعني
 إياهم صبرهم (باحسن ما كانوا يعملون) عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
 صب دنياه أضر بأخرته ومن أحب أخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما ينفى ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾
 من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن) فان قلت من عمل صالحا فيفيد العموم فافائدة الذكرا والانثى
 تهم بهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر وأطلق كان الظاهر تناوله للذكور دون الانثى ف قيل من
 ذكر أو أنثى على التبيين ليعم الوعد للنوعين جميعا وجواب آخر وهو ان هذه الآية واردة بالوعد بالثواب
 للبالغ في تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم والرحمة اثباتا لتأكيدها وإزالة لوهم التخصيص وقوله وهو
 من جعل الإيمان شرطا في كون العمل الصالح موجبا للثواب (فلنجزيه حياة طيبة) قال سعيد بن جبير
 طاء هي الرزق الحلال وقال مقاتل هي العيش في الطاعة وقيل هي حلاوة الطاعة وقال الحسن هي القناعة
 برب رزق يوم يوم واعلم ان عيش المؤمن في الدنيا وان كان فقيرا أطيب من عيش الكافر وان كان غنيا

تضعافهم المسلمين ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله (ان
 عند الله) من ثواب الآخرة (هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم) من أعراض الدنيا (ينفذ وما عند الله) من خزائن رحمته (باق)
 ينفذ (وليجزي) و بالنون مكى وعاصم (الذين صبروا) على أذى المشركين ومشاق الاسلام (أجرهم باحسن ما كانوا يعملون من عمل
 الحامن ذكرا أو أنثى) من مبهم يتناول النوعين الا ان ظاهره للذكور فينبى بقوله من ذكرا أو أنثى ليعم الموعد النوعين جميعا (وهو مؤمن)
 الا الإيمان لان أعمال الكفار غير معتد بها وهو يدل على ان العمل ليس من الإيمان (فلنجزيه حياة طيبة) أي في الدنيا بقوله

(ولنجز ينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون) وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فانهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا (١٤٢) كان أو معسرا عيش عيشا طيبا ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا فمأطوب

لان المؤمن لما علم ان رزقه من عند الله وذلك بتقديره وتديره وعرف ان الله محسن كريم متفضل لا يفعل الا الصواب فكان المؤمن راضيا عن الله وراضيا بما قدره الله له ورزقه ايا ما عرف ان له مصلحة في ذلك انقدر الذي رزقه اياه فاستراح نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك وأما الكافر أو الجاهل بهذه الاصول الحريص على طلب الرزق فيكون أبدا في حزن وتعب وعناء وحرص وكد ولا ينال من الرزق الا ما قدر له فظهر بهذا ان عيش المؤمن التمتع أطيب من غيره وقال السدي الحياة الطيبة انما تحصل في القبر لان المؤمن يستريح بالموت من تكبد الدنيا وتعبها وقال مجاهد وفائدة في قوله فلنحيينه حياة طيبة هي الجنة وروى عوف عن الحسن قال لا تطيب لاحد الحياة الا في الجنة لانها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملاك بلا هلاك وسعادة بلا شقاوة فثبت بهذا ان الحياة الطيبة لا تكون الا في الجنة ولقوله في سياق الآية (ولنجز ينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون) لان ذلك الجزاء انما يكون في الجنة قوله عز وجل (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من أمته لان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان غير محتاج الى الاستعاذة وقد أمر بها فقبره أولى بذلك ولما كان الشيطان ساعيا في القاء الوسوسة في قلوب بني آدم وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك فلهذا السبب أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستعاذة عند القراءة حتى تكون مصونة من وسواس الشيطان عن جبر بن مطعم انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمر ولا أدري أى صلاة هي قال الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخته ونفثته وهمزته قال نفخته الكبر ونفثته السحر وهمزته الموتة أخرجه أبو داود الموتة الجنون والفاء في قوله فاستعذ بالله للتعقيب فظاهر لفظ الآية يدل على ان الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول أبي هريرة واليه ذهب مالك وجماعة وداود الظاهري قالوا لان قارئ القرآن يستحق ثوابا عظيما ورى ما حصلت الوسواس في قلب القارئ هل حصل له ذلك الثواب أم لا فاذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك الوسواس وبقى الثواب مخلصا فاما مذهب الاكثرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة وفقهاء الامصار فقد اتفقوا على ان الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الآية أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله ومثله قوله سبحانه وتعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الخ ومثله من الكلام اذا أردت أن تأكل فقل بسم الله واذا أردت أن تسافر فتأهب وايضا فان الوسوسة انما تحصل في أثناء القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة لتذهب الوسوسة عنه أولى من تأخيرها عن وقت الحاجة اليها ومذهب عطاء انه يجب الاستعاذة عند قراءة القرآن سواء كانت في الصلاة أو في غيرها وانفق سائر الفقهاء على ان الاستعاذة سنة في الصلاة وغيرها وقد تقدمت هذه المسئلة والخلاف فيها في أول سورة الفاتحة والاستعاذة الاعتصام بالله والاتجاه اليه من شر الشيطان ووسوسته والمراد من الشيطان ابليس وقيل هو اسم جنس يطلق على جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على القاء الوسوسة في قلوب بني آدم باقدار الله اياهم على ذلك (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان فكان ذلك أوهم ان له قدرة على التصرف في أبدان بني آدم قال الله سبحانه وتعالى هذا الوهم بقوله انه ليس له سلطان يعني ليس له قدرة ولا ولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يقدر (٤) ويظهر من هذا ان الاستعاذة انما تنفذ اذا حضر بقلب الانسان كونه ضعيفا وانه لا يمكنه التحفظ من وسوسة الشيطان الا بصحة الله

ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمه الله تعالى وأما الفاجر فامر به بالعكس ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فالحرص لا يدعه أن يتهاون بعيشه وقيل الحياة الطيبة القناعة أو حلاوة الطاعة أو المعرفة بالله وصدق المقام مع الله وصدق الوقوف على أمر الله والاعراض عما سوى الله (فاذا قرأت القرآن) فاذا أردت قراءة القرآن (فاستعذ بالله) فعبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل لانها سبب له والفاء للتعقيب اذ القراءة المصدرة بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور (من الشيطان) يعني ابليس (الرجيم) المطرود أو الملعون قال ابن مسعود رضى الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا قرأني جبريل عليه السلام (انه ليس له) لا بليس (سلطان) تسلط وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) فالؤمن المتوكل لا يقبل منه وسوسه

(٤) قوله ويظهر من هذا اسم الاشارة راجع لما ذكره قبل قول سفيان كما يعلم من التخرقانه لم يذ كر في هذا المحل قول ولهذا سفيان وذكروا قبله وما بعده وعبارته صحيحة بخلاف ما هنا فانه يوهم رجوع اسم الاشارة لقول سفيان وهو غير ظاهر له

(انما سلطانه على الذين يتولونه) يتخذونه وليا ويتبعون وساوسه (والذين هم به مشركون) الضمير يعود الى ربهم اولى الشيطان اى بسببه (واذا بدلنا آية مكان آية) بتدليل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع (١٤٣) بالشرائع لحكمته رآها وهو معنى قوله

(والله أعلم بما ينزل) وبالتخفيف

مكي وأبو عمرو (قالوا انما

أنت مفتر) هو جواب اذا

وقوله والله أعلم بما ينزل

اعتراض كانوا يقولون ان

محمد ايسخر باصحابه

يا امرهم اليوم يا امر

و ينههم عنه غدا فيأتيهم

بما هو أهون ولقد افتروا

فقد كان ينسخ الاشق

بالاهون والاهون بالاشق

(بل أكثرهم لا يعلمون)

الحكمة في ذلك (قل نزله

روح القدس) اى جبريل

عليه السلام أضيف الى

القدس وهو الطهر كما يقال

حاتم الجود والمراد الروح

المقدس وحاتم الجود

والمقدس المطهر من المآثم

(من ربك) من عنده

وأمره (بالحق) حال اى نزله

ملتبسا بالحكمة (ليثبت

الذين آمنوا) ليبلوهم

بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو

الحق من ربنا والحكمة لانه

حكيم لا يفعل الا ما هو

حكمة وصواب حكم لهم

بثبات القدم وصحة اليقين

وطمأنينة القلوب (وهدى

وبشرى) مفعول لهما

معطوفان على محل ليثبت

والتقدير تثبتنا وارشادنا

وبشارة (للمسلمين) وفيه

ولهذا قال المحققون لاحول عن معصية الله الابعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ثم قال تعالى
(انما سلطانه على الذين يتولونه) يعنى يطيعونه ويدخلون في ولايته يقال توليته اذا اطعته وتوليت عنه اذا
أعرضت عنه (والذين هم به مشركون) يعنى بالله وقيل الضمير في به راجع الى الشيطان والمعنى هم من أجله
مشركون بالله قوله سبحانه وتعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل) وذلك ان المشركين من
أهل مكة قالوا ان محمد ايسخر بأصحابه يا امرهم اليوم يا امرهم غدا ما هو الا مفتر يتقوله من تلقاء
نفسه فانزل الله هذه الآية والمعنى واذا نسخنا حكم آية فابدلنا مكانه حكما آخر والله أعلم بما ينزل اعتراض
دخل في الكلام والمعنى والله أعلم بما ينزل من النسخ وبما هو أصل خلقه وبما يغيره ويبدل من أحكامه اى
هو أعلم بجميع ذلك مما هو من مصالح عبادته وهذا نوع توبيخ وتقرير لكفار على قولهم للنبي صلى الله عليه
وسلم وهو قوله تعالى (قالوا انما أنت مفتر) اى تخلقه من عندك والمعنى اذا كان الله تعالى أعلم بما ينزل
فما بالهم ينسبون محمد الى الافتراء والكذب لاجل التبديل والنسخ وانما فائدة ذلك ترجع الى مصالح العباد
كما يقال ان الطبيب يأمر المريض بشرب دواء ثم بعد ذلك ينهه عنه ويأمره بغيره لما يرى فيه من المصلحة
(بل أكثرهم لا يعلمون) يعنى لا يعلمون فائدة النسخ وتبديل المنسوخ (قل) اى قل لهم يا محمد (نزله) يعنى
القرآن (روح القدس) يعنى جبريل صلى الله عليه وسلم أضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود
وطلحة الخير والمعنى الروح المقدس المطهر (من ربك) يعنى ان جبريل نزل بالقرآن من ربك يا محمد (بالحق
ليثبت الذين آمنوا) يعنى لينتبت بالقرآن قلوب المؤمنين فيزدادوا ايمانا ويقينا (وهدى وبشرى) يعنى
وهو هدى وبشرى (للمسلمين) قوله عز وجل (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر) وذلك ان كفار
مكة قالوا انما يعلم هذه القصص وهذه الاخبار من انسان آخر وهو آدمى مثله وليس هو من عند الله كما يزعم
فأجابهم الله بقوله ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر واختلفوا في ذلك البشر من هو فقال ابن عباس كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم فينا بمكة اسمه بلعام وكان نصرانياً اعجمي اللسان فكان المشركون يرون
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده فكانوا يقولون انما يعلمه بلعام وقال عكرمة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاما بنى المغيرة يقال له يعيش فكان يقرأ الكتب فقالت
قريش انما يعلمه يعيش وقال محمد بن اسحق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى كثيرا ما يجلس
عند المروة الى غلام رومى نصرانى عبد لبعض بنى الحضرمي يقال له جبر وكان يقرأ الكتب وقال عبيد الله
ابن مسleme كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لأحدهما يسار ويكنى أبافكيهة ويقال للآخر جبر
وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن التوراة والانجيل بمكة فر بما مر بهما النبي صلى الله عليه وسلم وهما
يقرآن فيقفوا يستمع قال الضحاك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أذاه الكفار يقعد اليهما
فيترشح بكلامهما فقال المشركون انما يعلم محمد منهم ما وقال الفراء قال المشركون انما يتعلم محمد من عائش
عائش كان نحو يطب بن عبد العزى كان نصرانياً وقد أسلم وحسن اسلامه وكان أعجميا وقيل هو عداس
غلام عتبة بن ربيعة والحاصل أن الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انما يعلم هذه الكلمات
من غيره ثم انه يضيفها لنفسه ويزعم انه وحى من الله عز وجل وهو كاذب في ذلك فأجاب الله عنه وأنزل هذه
الآية تكذيبا لهم فيأمر مواه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى (لسان الذي يلحدون
اليه) يعنى يميلون ويشيرون اليه (أعجمي) يعنى هو أعجمي والاعجمي هو الذي لا يفصح في كلامه وان كان

نصرى يحصل اصداد هذه الحصال لغيرهم (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر) أرادوا به غلاما كان نحو يطب قد أسلم وحسن اسلامه
اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب أو هو جبر غلام رومى لعامر بن الحضرمي أو عبدان جبر ويسار كانا يقرآن التوراة والانجيل
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقرآن أو سلمان الفارسي (لسان الذي يلحدون اليه) وافتح الباء والحاء جزءة على (أعجمي

وهذا لسان عربي مبين) أي لسان الرجل الذي يميلون قلوبهم عن الاستقامة إليه لسان أعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين
ذو بيان وفصاحته القلوب وابطالا (١٤٤) لطفهم وهذه الجملة أعني لسان الذي يلحدون إليه أعجمي لا محل لها

يسكن البادية ومنه سمي زياد الأعجم لأنه كان في لسانه عجمة مع أنه كان من العرب والعجمي منسوب إلى
العجم وإن كان فصيحاً بالعربية والاعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الأمصار من بلاد العرب
وهو منسوب إلى العرب (وهذا لسان عربي مبين) يعني بين الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب هو أن الذي
يشيرون إليه رجل أعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الإتيان بفصيح الكلام ومحمد صلى الله عليه وسلم جاءكم بهذا
القرآن الفصيح الذي عجزتم أنتم عنه وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة فكيف يتقدم من هو أعجمي على مثله وأين
فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي يشيرون إليه فثبت بهذا البرهان أن الذي جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم وحى أو جاءه الله إليه وليس هو من تعليم الذي يشيرون إليه ولا هو أتى به من تلقاء نفسه بل هو وحى من
الله عز وجل إليه وروى أن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه (إن الذين لا يؤمنون بآيات
الله) يعني لا يصدقون أنها من عند الله (لا يهديهم الله) يعني لا يرشدهم ولا يوفقهم للإيمان (ولهم عذاب
أليم) يعني في الآخرة ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن الكفار هم المفترون فقال تعالى (إنما يفتري الكذب
الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعني إنما يقدم على فرية الكذب من لا يؤمن بآيات الله فهو رد لقول كفار
قريش إنما أنت مفتر (وأولئك هم الكاذبون) يعني في قلوبهم إنما يعلمه بشر لا محمد صلى الله عليه وسلم فإن
قلت قد قال تبارك وتعالى إنما يفتري الكذب فاعني قوله تعالى وأولئك هم الكاذبون والثاني هو الأول
قلت قوله سبحانه وتعالى إنما يفتري الكذب أخبر عن حال قلوبهم وقوله وأولئك هم الكاذبون نعت لازم
لهم كقول الرجل لغيره كذبت وأنت كاذب أي كذبت في هذا القول ومن عادتك الكذب وفي الآية دليل
على أن الكذب من أخس الذنوب الكبار لأن الكاذب المفتري هو الذي لا يؤمن بآيات الله روى البغوي
بإسناد الثعلبي عن عبد الله بن جرادة قال قلت يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق
قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله تعالى إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله
﴿ قوله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه الأمن) كرهه وقلبه مطمئن بالإيمان) نزلت في عمار بن ياسر
وذلك أن المشركين أخذوه وأباه يأسر وأمه سمية وصهيبا وبلا وخبايا وسالم فعدبوهم ليرجعوا عن
الإسلام فأمه سمية أم عمار فأتاهم بطت بين بعيرين ووجي قبلها بحر به فقتلت وقتل زوجها ياسر فهما أول
قتيلين قتلا في الإسلام وأما عمار فإنه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه مكرها قال قتادة أخذ بنو المغيرة
عماراً وغطوه في بئر ميمون وقالوا له ا كفر بمحمد فبايعهم على ذلك وقلبه كاره وأخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن عماراً كفر فقال كلاً إن عمار أملي إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه
فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراءك قال شر
يا رسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئناً بالإيمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
يمسح عينيه وقال إن عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت في أناس من أهل مكة آمنوا
فكتب إليهم بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن هاجروا إلىنا فإنا لنراكم منا حتى تهاجروا فخرجوا
يريدون المدينة فأدركتهم قریش في الطريق ففتنوهم عن دينهم فكفروا كارهين وهذا القول ضعيف
لأن الآية مكية وكان هذا في أول الإسلام قبل أن يؤمروا بالهجرة وقال مقاتل نزلت في جبرمولى عامر بن
الحضرمي أكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمئن بالإيمان ثم أسلم عامر بن الحضرمي مولى
جبر وحسن إسلامه وهاجر إلى المدينة والأولى أن يقال إن الآية عامة في كل من أكرهه على الكفر وقلبه
مطمئن بالإيمان وإن كان السبب خاصاً فإن قلت المكره على الكفر ليس بكافر فلا يصح استنساؤه من الكافر

لأنها مستأنفة جواب
لقولهم واللسان اللغة
ويقال ألد القبر ولحده
وهو ملحد وملحد إذا
أمال حفره عن الاستقامة
خفر في شق منه ثم استعير
لكل أمالة عن الاستقامة
فقالوا ألد فلان في قوله
وألد في دينه ومنه
الملحد لأنه أمال مذهبه
عن الأديان كلها (إن
الذين لا يؤمنون بآيات
الله) أي القرآن (لا يهديهم
الله) ماداموا مختارين
الكفر (ولهم عذاب
أليم) في الآخرة على
كفرهم (إنما يفتري
الكذب) على الله
(الذين لا يؤمنون بآيات
الله) أي إنما يليق افتراء
الكذب بمن لا يؤمن لأنه
لا يترب عفاً عليه وهو
رد لقولهم إنما أنت مفتر
(وأولئك) إشارة إلى
الذين لا يؤمنون أي
وأولئك (هم
الكاذبون) على الحقيقة
الكاملون في الكذب
لأن تكذيب آيات الله
أعظم الكذب أو أولئك
هم الكاذبون في قلوبهم
إنما أنت مفتر جوزوا أن
يكون (من كفر بالله من
بعد إيمانه) شرطاً مبتدأ وحذف جوابه لأن جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليه غضب
(الأمن) كرهه وقلبه مطمئن بالإيمان) ساكن به

(لكن من شرح بالكفر صدرا) أي طاب به نفسا واعتقده (فعلهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) وأن يكون بدلا من الذين لا يؤمنون
آيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضين البديل والمبدل منه والمعنى أنه يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه
استثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم افتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا فمليهم غضب من الله وأن يكون بدلا من المبتدأ الذي
وأولئك أي ومن كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون أو من الخبر (١٤٥) الذي هو الكاذبون أي وأولئك هم من

كفر بالله من بعد إيمانه
وان ينتصب على التمر روى
أن ناسا من أهل مكة فتنوا
فارتدوا وكان فيهم من أكره
فاجرى كلمة الكفر على
لسانه وهو معتقد للإيمان
منهم عمار وأما يواه ياسر
وسمية فقد قتلا وهما أول
فتيلين في الإسلام فقيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان عمارا كفر فقال
كلان عمارا ملي إيمان من
قرنه الى قدمه واختلط
الإيمان بلحمه ودمه فأتى
عمار رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يبكي فجعل
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يمسح عينيه وقال مالك
ان عادوا لك فعد لهم بما قلت
وما فعل أبو عمار أفضل
لان في الصبر على القتل
اعزازا للإسلام (ذلك)
إشارة الى الوعيد وهو لحوق
الغضب والعذاب العظيم
(بانهم استحبوا) آثروا
(الحياة الدنيا على الآخرة)
أي بسبب إشارتهم الدنيا
على الآخرة (وأن الله
لا يهدي القوم الكافرين)

فما معنى هذا الاستثناء في الامن أكره قلت المكر لما ظهر منه بعد الايمان ما شابه ما يظهر من الكافر طوعا
صح هذا الاستثناء لهذه المشابهة والمشاكلة والله أعلم
(فصل في حكم الآية) قال العلماء يجب أن يكون الاكراه الذي يجوز له أن يتلفظ معه بكلمة الكفر أن يعذب
بعذاب لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والايالات القوية مثل التحريق بالنار ونحوه
قال العلماء أول من أظهر الإسلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أبو بكر وخباب وصهيب وبلال
وعمار وأبو ياسر وأمه سمية فإما رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعاه الله من أذى المشركين بعمه أبي طالب وأما
أبو بكر فنعاه قومه وعشيرته وأخذ الآخرون وألبسوا أذراع الحديد وأجلسوا في حر الشمس بمكة فإما بلال
فكانوا يعذبونه وهو يقول أحدا حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه وقتل ياسر وسمية كما تقدم وقال خباب
لقد أوقدوا لي ناراً ما أطفأها الا ودك ظهري وأجمعوا على ان من أكره على الكفر لا يجوز له أن يتلفظ بكلمة
تصرح بحابل يأتي بالمعاريض وبما يوهم انه كفر فلوا كره على التصريح بباح له ذلك بشرط ما نبهنا القاب
على الايمان غير معتقد ما يقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان أفضل لان ياسرا وسمية قتلا
ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولان بلا الصبر على العذاب ولم يلم على ذلك قال العلماء من الافعال ما يتصور الاكراه
عليها كشرب الخمر أو كل لحم الخنزير والميتة ونحوها فنأكره بالسيف أو القتل على أن يشرب الخمر أو
ياكل الميتة أو لحم الخنزير أو نحوها جازله ذلك لقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك
ولو صبر كان أفضل ومن الافعال ما لا يتصور الاكراه عليه كالزنا لان الاكراه يوجب الخوف الشديد
وذلك يمنع انتشار الآلة فلا يتصور فيه الاكراه واختلف العلماء في طلاق المكره فقال الشافعي رضي الله
تعالى عنه وأكثر العلماء لا يقع طلاق المكره وقال أبو حنيفة يقع حجة الشافعي ومن وافقه قوله سبحانه وتعالى
لا اكراه في الدين ولا يمكن أن يكون المراد نفي ذاته لان ذاته موجودة فوجب حمله على نفي آثاره والمعنى انه
لا أثر له ولا عبرة به وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالإيمان فيه دليل على أن محل الايمان هو القلب (ولكن من
شرح بالكفر صدرا) يعني فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضى به (فعلهم غضب من الله ولهم عذاب
عظيم) يعني في الآخرة (ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) يعني يكون ذلك الاقدام على
الارتداد الى الكفر لاجل أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة (وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) يعني
لا يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل به (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) تقدم
تفسيره (وأولئك هم الغافلون) يعني عمار اذ بهم من العذاب في الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (لا جرم
أنهم في الآخرة هم الخاسرون) يعني أن الانسان انما يعمل في الدنيا ليربح في الآخرة فاذا دخل النار بان
خسرانه وظهر غيبه لانه ضيع رأس ماله وهو الايمان ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر قوله عز وجل (ثم ان
ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) يعني عذبوا ومنعوا من الدخول في الإسلام فتنهم المشركون (ثم جاهدوا

(١٩ - خازن - ثالث) ماداموا مختارين للكفر (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فلا
يتدبرون ولا يصغون الى المواعظ ولا يبصرون طريق الرشاد (وأولئك هم الغافلون) أي الكاملون في الغفلة لان الغفلة عن تدبر العواقب
هي غاية الغفلة ومنتهائها (لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربك) ثم يدل على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك (للذين هاجروا) من
مكة أي انه لم يعلو عليهم يعني انه وليهم وناصرهم لاعدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محييا منقوعا غير مضرور (من
بعد ما فتنوا) بالعذاب والاكراه على الكفر فتنوا شأى أي بعد ما عذبوا المؤمنين ثم أسلموا (ثم جاهدوا) المشركين بعد الهجرة

(ان ربك من بعدها) من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر (لغفور) لهم لما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر تقية (رحيم) لا يعذبهم على ما قالوه في حالة الاكراه (يوم تأتي) منصوب برحيم أو بذكر (كل نفس تجادل عن نفسها) وانما أضيفت النفس الى النفس لانه يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته لايهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا بنا اننا اطعنا ساداتنا وكبرائنا الآية والله ربنا ما كنا مشركين (وتوفى كل نفس ما عملت) تعطى جزاء عملها واقبى (وهم لا يظلمون) في ذلك (وضرب الله مثلا قرية) أى جعل القرية التي هذه حالها مثل كل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نعمته فيجوز أن يراد قرية مقدره على هذه الصفة وأن تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضر بها الله مثلاً لملكه انذار من مثل عاقبتها وقال الواحدى ضرب المثل ببيان المشبه والمشبه به وهما ذكر المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين والآية عند عامة المفسرين نازلة في أهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الامن والنعمة بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم فتقدير الآية ضرب

وصبروا) عن الايمان والهجرة والجهاد (ان ربك من بعدها) يعنى من بعد الفتنة التي فتنوها (لغفور) نزلت هذه الآية في عياش بن أبى ربيعة وكان أخا أبى جهل من الرضاة وقيل كان أخاه لأمه وفي أبى جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسامة بن هشام وعبد الله بن أسد الثقفي فتهم المشركون وعذبوهم فأعطوهم بعض ما أرادوا إليه وامن شرهم ثم انهم من بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبى سرح كان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان فارتد ولحقه بدار الحرب فلما كان يوم فتح مكة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجاره عثمان وكان أخاه لأمه فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وحسن اسلامه وهذا القول انما يصح اذا قلنا ان هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة فتكون من الآيات المدنية في السور المكيات والله أعلم بحقيقة ذلك **قوله** (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) يعنى تخاصم وتحتج عن نفسها أى بما أسلفت من خير وشر اشتغلت بالمجادلة لا تتفرغ الى غيرها فان قلت النفس هي نفس واحدة وليس لها نفس أخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها قلت ان النفس قد يراد بها بدن الانسان وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته فالنفس الاولى هي مجموع ذات الانسان وحقيقته والنفس الثانية هي بدنه فهي عينها وذاتها أيضاً والمعنى يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته ولا يهتمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لا يقبل منه كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات (وتوفى كل نفس ما عملت) يعنى جزاء ما عملت في الدنيا من خيراً وشر (وهم لا يظلمون) يعنى لا ينقصون من جزاء أعمالهم شيئاً يوفون ذلك كاملاً من غير زيادة ولا نقصان روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الاحبار خوفاً فقال يا أمير المؤمنين والذي نفسي بيده لو وافيت القيامة بمثل عمل سبعين نبياً لانت عليك ساعات وأنت لا يهملك الا نفسك وان جهنم لتزفر زفرة ما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جنا على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يا رب لا أسألك الا نفسي وان تصديق ذلك فيما نزل الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح يا رب لم تكن لي بدأ بطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها ويقول الجسد يا رب أنت خلقتني كالتحفة ليست لي بدأ بطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فبسه نطق لسانى وبه أبصرت عيناى وبه مشيت رجلاى فضرب الله لهما مثلاً عمى ومقعده دخلا حائطاً يعنى يستأفقيه ثم ارفالا عمى لا يبصر الثمر والمقعد لا يناله حمل الاعمى المقعد فاصابا من الثمر فعليهما العذاب **قوله** عز وجل (وضرب الله مثلاً قرية) المثل عبارة عن قول في شئ يشبه قولاً في شئ آخر بينهما مشابهة لبيان أحدهما الآخر ويصوره وقيل هو عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أى معنى كان وهو أعم الالفاظ الموضوعه للمشابهة قال الامام نجر الدين الرازى المثل قد يضرب بشئ موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشئ موجوداً أو لم يكن وقد يضرب بشئ موجود معين فهذه القرية التي ضرب الله بها المثل يحتمل أن تكون شيئاً مفروضاً ويحتمل أن تكون قرية معينة وعلى التقدير الثاني فتلك القرية يحتمل أن تكون مكة أو غيرها والاكثر من المفسرين على أنها مكة والاقر بانها غير مكة لانها ضربت مثلاً لمكة ومثل مكة يكون غير مكة وقال الزمخشري في كتابه الكشاف وضرب الله مثلاً قرية أى جعل القرية التي هذه حالها مثل كل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نعمته فيجوز أن يراد قرية مقدره على هذه الصفة وأن تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضر بها الله مثلاً لملكه انذار من مثل عاقبتها وقال الواحدى ضرب المثل ببيان المشبه والمشبه به وهما ذكر المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين والآية عند عامة المفسرين نازلة في أهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الامن والنعمة بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم فتقدير الآية ضرب

الله مثل القرية تكلم أي بين الله لها شيئا ثم قال قرية فيجوز أن تكون القرية بدلا من مثل لانها هي
 لمثل بها ويجوز أن يكون المعنى ضرب الله مثلا مثل قرية فخذ المضاف هذا قول الزجاج والمفسرون
 كلهم قالوا أراد بالقرية مكة يعنون أنه أراد مكة في تمثيلها بقرية صفتها ما ذكره وقال ابن الجوزي في هذه
 القرية قولان أحدهما أنها مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو الصحيح والثاني أنها قرية
 وسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخزف بعث الله عليهم الجوع قاله الحسن وأقول هذه الآية نزلت
 المدينة في قول مقاتل وبعض المفسرين وهو الصحيح لأن الله سبحانه وتعالى وصف هذه القرية بصفات
 ستة كانت هذه الصفات موجودة في أهل مكة فضر بهم الله مثلا لأهل المدينة محذرهم أن يصنعوا مثل
 صنعهم فيصيبهم ما أصابهم من الجوع والخوف ويشهد لصحة ما قلت أن الخوف المذكور في هذه الآية في
 قوله فاذا ذاقها الله لباس الجوع والخوف هو البعوث والسرايا التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعثها في قول
 جميع المفسرين لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالقتال وهو بمكة وإنما أمر بالقتال لما هاجر إلى المدينة
 فكان يبعث البعوث والسرايا إلى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله أعلم برأيه وأما تفسير قوله
 تعالى وضرب الله مثلا قرية يعني مكة (كانت آمنة) يعني ذات أمن لا يهاج أهلها ولا يغار عليهم (مطمئنة)
 معنى قارة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها للاحتجاج كما كان يحتاج إليه سائر العرب (يأتها رزقها رغدا)
 معنى واسعاً (من كل مكان) يعني يحمل إليها الرزق والميرة من البر والبحر نظيره قوله سبحانه وتعالى يجي
 ليه ثمرات كل شيء وذلك بدعوة إبراهيم صلى الله عليه وسلم وهو قوله وارزق أهلها من الثمرات (فكفرت)
 معنى هذه القرية والمراد أهلها (بأنعم الله) جمع نعمة والمراد بها سائر النعم التي أنعم الله بها على أهل مكة فلما
 أبلاوا نعم الله التي أنعم بها عليهم بالجحود والكفر لاجرم أن الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى (فاذا ذاقها الله
 لباس الجوع والخوف) وذلك أن الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت
 عنهم العرب الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا فاكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب
 الميتة والعهن وهو الوبر يعالج بالدم ويخلط به حتى يؤكل حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبيه
 لدخان من الجوع ثم ان رؤساء مكة كلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقالوا ما هذا هبك عادت
 لرجال فبال النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس في حل الطعام اليهم وهم بعد
 شركون والخوف يعني خوف بعوث النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه التي كان يبعثها للاغارة فكانت
 طيف بهم وتغير على من حولهم من العرب فكان أهل مكة يخافونهم فان قلت الاذقة واللباس استعارتان
 فأوجه صحتها والاذقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فأوجه صحة ايقاعها عليه وهو أن اللباس
 لا يذاق بل يلبس فيقال كساهم الله لباس الجوع أو يقال فاذا ذاقهم الله طعم الجوع قلت قال صاحب الكشاف
 ما الاذقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما عجز الناس منها فيقولون ذاق
 لأن البؤس والضر وأذقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر البشع وأما
 اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث وأما ايقاع الاذقة
 على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ولباس فكانه قيل فاذا ذاقهم ما غشيتهم من
 الجوع والخوف ثم ذكر بعده من علم المعاني والبيان ما يشهد لصحة ما قال وقال الامام غفر الدين الرازي
 موابه من وجوه الاول ان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان أحدهما ان المذوق هو الطعام فلما
 قدوا الطعام صاروا كأنهم يذوقون الجوع والثاني ان ذلك الجوع كان شديداً كاملاً فصار كأنه أحاط بهم
 من كل الجهات فاشبه اللباس والحاصل أنه حصل لهم في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس
 اعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فاذا ذاقها الله لباس الجوع والخوف الوجه الثاني ان التقدير ان الله عرفها
 بلباس الجوع والخوف لأنه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الاذقة وأصل الذوق بالفم ثم قد يستعار

(كانت آمنة) من القتل
 والسبي (مطمئنة) لا يزعمها
 خوف لان الطمأنينة مع
 الامن والازعاج والقلق
 مع الخوف (يأتها رزقها
 رغدا) واسعاً (من كل
 مكان) من كل بلد
 (فكفرت) أهلها (بأنعم
 الله) جمع نعمة على ترك
 الاعتداد بالتاء كدرع
 وأدرع أو جمع نعم كبؤس
 أبؤس (فاذا ذاقها الله لباس
 الجوع والخوف)

بما كانوا يصنعون) الاذاقة واللباس استعارتان والاذاقة المستعارة موقفة على اللباس المستعار ووجه صحة ذلك ان الاذاقة جاريت عندهم مجرى الحقيقة لشبوعها في البلايا والشدائد وما عسى الناس منها فية ولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضر والالم بما يدرك من طعم المر البشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على الثياب ما عسى الانسان والتبس به من بعض الحوادث وأما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يعنى منهما ويلبس فكانه قيل فاذا قههم ما عسىهم من الجوع والخوف (ولقد جاءهم رسول منهم) أي محمد صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون) أي في حال التباسهم بالظلم قالوا انه القتل بالسيوف يوم بدر روى أن رسول الله صلى الله (١٤٨) عليه وسلم وجهه الى أهل مكة في سني القحط بطعام ففرق فيهم فقال الله لهم بعد أن أذاقهم الجوع

(فكلوا مما رزقكم الله) على يدي محمد صلى الله عليه وسلم (حلالا طيبا) بدلا عما كنتم تأكلون حراما خبيثا من الاموال المأخوذة بالغارات والغنوب وخبائث الكسب (واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون) تطيعون أو ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاءكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم فقال (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) انما للحصر أي المحرم هذا دون البقرة وأخواتها وبقية الآية قد مر تفسيره (ولا تقولوا لما نصف ألسنتكم الكذب) وهو منصوب بلا تقولوا أي ولا تقولوا الكذب لما نصفه ألسنتكم من البهائم بالحلل والحرم في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة كورنا ومحرم

فيوضع موضع التعرف وهو الاختبار تقول ناظر فلانا وذوق ما عنده قال الشاعر
ومن يذوق الدنيا فاني طعمتها * وسيق اليها عذابها

ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغيير الحال وكسوف البال كما تقول تعرفت سوء أثر الجوع والخوف على فلان كذلك يجوز أن تقول ذقت لباس الجوع والخوف على فلان الوجه الثالث أن يحمل لفظ الذوق واللبس على المماساة فصارت التقدير فاذا قهها الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى (بما كانوا يصنعون) ولم يقل بما صنعت لانه أراد أهل القرية والمعنى فعلنا بهم ما فعلنا بسبب ما كانوا يصنعون وهذا مثل أهل مكة لانهم كانوا في الامن والطمأنينة والخصب ثم أنعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهي ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم وهو منهم فكفروا به وكذبوه وبالغوا في ايدائه وأرادوا قتله فاخرجه الله من بينهم وأمره بالهجرة الى المدينة وسلط على أهل مكة البلاء والشدائد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجه من بين أظهرهم قوله سبحانه وتعالى (ولقد جاءهم) يعني أهل مكة (رسول منهم) يعني محمد صلى الله عليه وسلم يعرفون نسبه ويعرفونه قبل النبوة وبعدها (فكذبوه فاخذهم العذاب) يعني الجوع والخوف وقيل القتل يوم بدر والقول الاول أولى لما تقدم في الآية (وهم ظالمون) يعني كفرون (فكلوا مما رزقكم الله) في المخاطبين بهذا قولان أحدهما انهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين والثاني انهم هم المشركون من أهل مكة قال الكلبي لما اشتد الجوع بأهل مكة كلم رؤسائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك انما عادت الرجال فإبال النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أن يحملوا الطعام اليهم حكاة الواحدى وغيره والقول الاول هو الصحيح قال ابن عباس فكلوا يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله ير بد الغنم (حلالا طيبا) يعني ان الله سبحانه وتعالى أحل الغنم لهذه الامة وطيبها لهم ولم تحل لاحد قبلهم (واشكروا نعمت الله) يعني التي أنعم بها عليكم (ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) تقدم تفسير هذه الآية وأحكامها في سورة البقرة فلم نعد هنا وقوله تعالى (ولا تقولوا لما نصف ألسنتكم الكذب) يعني ولا تقولوا لاجل وصفكم الكذب (هذا حلال وهذا حرام) يعني انكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب لا لغيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى وسبب الا الكذب فقط فلا تنفعوا ذلك قال مجاهد يعني البحيرة والسائبة وقال ابن عباس يعني قولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة كورنا ومحرم على أزواجنا وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يحلون أشياء ويحرمون أشياء من عند أنفسهم وينسبون ذلك الى الله تعالى وهو قوله تعالى (لتفتروا على الله الكذب) يعني لا تقولوا ان الله أمرنا بذلك فتكذبوا على الله لان وصفهم الكذب هو افتراء على الله ثم توعد المفتريين لا الكذب فقال سبحانه وتعالى (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) يعني

لا ينجون

على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى الوحي أو الى القياس المستنبط منه واللام مثلها

في قولك لا تقولوا لما أحل الله هو حرام وقوله (هذا حلال وهذا حرام) بدل من الكذب ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام وهذا الوصف ألسنتكم الكذب أي ولا تحرموا ولا تحلوا لاجل قول تنطق به ألسنتكم ويجوز في أفواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى بلا برهان وقوله تصف ألسنتكم الكذب من فصيح الكلام جعل قولهم كانه عين الكذب فاذا انطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولك وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر واللام في (لتفتروا على الله الكذب) من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون

متاع قليل ولهم عذاب أليم) هو خبر مبتدأ محذوف أي منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعته قليلة وعذابها عظيم (وعلى الذين هادوا
حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) في سورة الانعام يعني وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية (وما ظلمناهم) بالتحريم (ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون) فحرمنا عليهم عقوبة على معاصيهم (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) (١٤٩) في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين

غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ومرادهم لذة الهوى لأعصيان المولى (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) بتكفير ما كثروا قبل من الجرائم (رحيم) بتوثيق ما وثقوا بعد من العزائم (ان ابراهيم كان أمة) انه كان وحده أمة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفارا وكان أمة بمعنى مأموم يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير (قاتل الله) هو القائم بما أمره الله وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان معاذ كان أمة قاتل الله فقتله انما هو ابراهيم عليه السلام فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وقال عمر رضى الله عنه لو كان معاذ حيا لاستخلفته فاني سمعت

لا ينجون من العذاب وقيل لا يفوزون بخير لان الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين ان ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال تعالى (متاع قليل) يعني متاعهم في الدنيا متاع قليل فانه لا بقاء له (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة (وعلى الذين هادوا) يعني اليهود (حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعني ما سبق ذكره وبيانه في سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية (وما ظلمناهم) يعني بتحريم ذلك عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني انما حرمنا عليهم ما حرمنا بسبب بغيهم وظلمهم أنفسهم ونظيره قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله تعالى (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) المقصود من هذه الآية بيان فضل الله وكرمه وسعة مغفرته ورحمته لان السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصي وكل ما لا ينبغي وكل من عمل السوء فاعما يفعله بالجهالة لان العاقل لا يرضى بفعل القبيح فن صدر عنه فعل قبيح من كفر أو معصية فاعما يصدر عنه بسبب جهله اما جهله بقدر ما يترتب عليه من العقاب أو جهله بقدر من يعصيه فثبت بهذا ان فعل السوء انما يفعله بالجهالة ثم ان الله تعالى وعد من عمل سوءا بجهالة ثم تاب وأصلح العمل في المستقبل أن يتوب عليه ويرحمه وهو قوله تعالى (ثم تابوا من بعد ذلك) يعني من بعد عمل ذلك السوء (وأصلحوا) يعني أصلحوا العمل في المستقبل وقيل معنى الاصلاح الاستقامة على التوبة (ان ربك من بعدها) يعني من بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة منه (لغفور) يعني لمن تاب وآمن (رحيم) يعني بجميع المؤمنين والتائبين قوله سبحانه وتعالى (ان ابراهيم كان أمة) حكى ابن الجوزي عن ابن الانباري أنه قال هذا مثل قول العرب فلان رجة وفلان علامة ونسابة يقصدون بهذا التأنيث قصد التناهي في المعنى الذي يصفونه به والعرب توقع الاسماء المبهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله تبارك وتعالى فناده الملائكة وانما ناداه جبريل وحده وانما سمي ابراهيم صلى الله عليه وسلم أمة لانه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والاخلاق الحميدة ما اجتمع في أمة ومنه قول الشاعر ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

ثم للمفسرين في معنى هذه اللفظة أقوال أحدها قول ابن مسعود الامة معلم الخير يعني انه كان معلما للخير بآتم به أهل الدنيا الثاني قال مجاهد انه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فهذا المعنى كان أمة وحده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل بعثه الله أمة وحده وانما قال فيه هذه المقالة لانه كان قد فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الاصنام الثالث قال قتادة ليس من أهل دين الا وهم يتولونه ويرضونه وقيل الامة فعلة بمعنى مفعولة وهو الذي يؤتم به وكان ابراهيم عليه السلام اما ما يقتدى به دليله قوله سبحانه وتعالى انى جاءك للناس اماما وقيل انه عليه السلام هو السبب الذي لاجله جعلت أمته ومن تبعه ممتازين عن سواهم بالتوحيد لله والدين الحق وهو من باب اطلاق المسبب على السبب وقيل انما سمي ابراهيم عليه السلام أمة لانه قام مقام أمة في عبادة الله (قاتل الله) يعني مطيعا لله وقيل هو القائم بما أمر الله (حنيفا) مسلما يعني متبعا على دين الاسلام لا يميل عنه ولا يزول وهو أول من اختتن وضحي وأقام مناسك الحج (ولم يك من المشركين) يعني انه عليه السلام كان من الموحدين المخلصين من صغره الى كبره (شاكرا لانعمه) يعني انه كان شاكر الله على أنعمه التي أنعم بها عليه (اجتباها) أي اختاره لنبوته واصطفاه لخلته

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبو عبيدة أمين هذه الامة ومعاذ أمة لله قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون (حنيفا) مائلا عن الاديان الى ملة الاسلام (ولم يك من المشركين) نفي عنه الشرك تكذيبا للكفار قر يش لزعمهم انهم على ملة ابيهم ابراهيم وحذف النون للتشبيه بحروف الدين (شاكر الانعمه) روى انه كان لا يتغدى الامع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيالوا له ان بهم جدا فقال الآن وجبت مؤاكتكم شكر الله على انه عافاني وابتلاككم (اجتباها) اختصه

(وهدها الى صراط مستقيم) يعني هدها الى دين الاسلام لانه الصراط المستقيم والدين القويم (وآتيناه في الدنيا حسنة) يعني الرسالة والخلة وقيل هي لسان الصدق والثناء الحسن والقبول العام في جميع الامم فان الله حبه الى جميع خلقه فكل أهل الاديان يتولونه المسلمون واليهود والنصارى ومشركو العرب وغيرهم وقيل هو قول المصلي في التشهد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقيل انه آناه اولاد ابرار اعلى الكبر (وانه في الآخرة لمن الصالحين) يعني في أعلى مقامات الصالحين في الجنة وقيل معناه وانه في الآخرة لمن الصالحين يعني الانبياء في الجنة فتكون من بمعنى مع ولما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات الشريفة العالية أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم) يعني دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال أهل الأصول كان النبي صلى الله عليه وسلم مأمورا بشريعة ابراهيم الاما نسخ منها وما لم ينسخ صار شرعا له وقال أبو جعفر الطبري أمره باتباعه في التبري من الاوثان والتدين بدين الاسلام وهو قوله (حنيفا) مسلما (وما كان من المشركين) تقدم تفسيره وقوله تعالى (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) يعني انما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود وروى الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس قال أمرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة فقال نضر غوا الله في كل سبعة أيام يوما فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من صنعكم وستة أيام لصنعتكم فابوا عليه وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام أيضا بيوم الجمعة فقالت النصارى لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فأتخذوا الاحد فاعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الامة فقبلوها فبورك لهم فيها (ق) عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم أتوا الكتاب من قبلنا فاختلّفوا فيه وآتيناهم من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلّفوا فيه فهذا الله فهم لنا فيه تبع فعد لليهود وبعد عن النصارى وفي رواية لمسلم نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة وفي رواية أخرى له قال أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا اليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الآخرون في الدنيا الاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق قال الشيخ محي الدين النووي في شرح مسلم قال العلماء في معنى الحديث نحن الآخرون في الزمان والوجود السابقون في الفضل ودخول الجنة فتدخل هذه الامة الجنة قبل سائر الامم وقوله بيد انهم يعني غير انهم أو الا انهم وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلّفوا فيه فهذا ما الله له قال القاضي عياض الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكّل الى اجتهادهم لاقامة شرائعهم فيه فاختلّف اُخبارهم في تعيينه ولم يهدم الله له وفرضه على هذه الامة مينا ولم يكلمهم الى اجتهادهم فجازوا بفضيلته قال يعني القاضي عياض وقد جاء ان موسى عليه السلام أمرهم بيوم الجمعة وأعلمهم بفضله فناظروه ان السبت أفضل فقيل له دعهم قال القاضي ولو كان منصوبا عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ محي الدين النووي ويمكن أن يكونوا أمروا به صريحا ونص على عينه فاختلّفوا فيه هل يلزم تعيينه أم لهم ابداله فأبدلوه وغلطوا في ابداله قال الامام نخر الدين الرازي في قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه يعني على نبيهم موسى حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلّفوا في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم أي لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان اليهود اختلفوا فيهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود اتفقوا على ذلك رزاد الواحد على هذا فقال وهذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في السبت ان بعضهم قال هو أعظم الايام حرمة لان الله فرغ فيه من خلق الاشياء وقال الآخرون بل الاحد أفضل لان الله سبحانه وتعالى

واصطفاه للنبوّة (وهدها الى صراط مستقيم) الى ملة الاسلام (وآتيناه في الدنيا حسنة) نبوة وأموال وأولادا أو تنويه الله بذكره فكل أهل دين يتولونه أو قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم (وانه في الآخرة لمن الصالحين) لمن أهل الجنة (ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) في ثم تعظيم ملة نبينا عليه السلام واجلال محله والابدان بان أشرف ما أوتي خليل الله من الكرامة اتباع رسولنا ملته (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أي فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه

وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) روى ان موسى عليه السلام (١٥١) امرهم ان يجعلوا في الاسبوع

يوما للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الاشرذمة منهم قدرضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فاطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فسخهم الله دون أولئك وهو محكم بينهم يوم القيامة فيجازي كل واحد من الفريقين بما هو أهله (ادع الى سبيل ربك) الى الاسلام (بالحكمة) بالمقالة الصحيحة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (والموعظة الحسنة) وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بما تنصحه وتقصده ما ينفعهم فيها أو بالقرآن أي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة والحكمة المعرفة بمراتب الافعال والموعظة الحسنة أن يخاطب الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة (وجادلهم بالتي هي أحسن) بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من

ابتدأ فيه بنحاق الاشياء وهذا غلط لان اليهود انما اختاروا السبت وانما اختار الاحد النصارى بعدهم زمان طويل فان قلت ان اليهود انما اختاروا السبت لان أهل الملل اتفقوا على ان الله خلق الخلق في ستة ايام وبدأ بالخلق والتكوين في يوم الاحد وتم الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك العمل في هذا اليوم فاخترنا والسبت لهذا المعنى وقالت النصارى انما بدأ بنحاق الاشياء في يوم الاحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدنا وهذا الوجهان معاً ولان فواجه فضل يوم الجمعة حتى جعله أهل الاسلام عيداً قلت يوم الجمعة أفضل الايام لان كمال الخلق وتماهه كان فيه وحصول التمام والكمال ووجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيداً لهذا الوجه وهو أدنى ووجه آخر وهو ان الله عز وجل خلق فيه أشرف خلقه وهو آدم عليه السلام وهو أبو البشر وفيه تاب عليه فكان يوم الجمعة أشرف الايام لهذا السبب ولان الله سبحانه وتعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة وادخره لهم ولم يختاروا لانفسهم شيئاً وكان ما اختاره الله لهم أفضل مما اختاره غيرهم لانفسهم وقال بعض العلماء بعث الله موسى بتعظيم يوم السبت ثم نسخ بيوم الاحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت ويوم الاحد بيوم الجمعة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكان أفضل الايام يوم الجمعة كما ان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء وفي معنى الآية قول آخر قال قتادة الذين اختلفوا فيه اليهود استحلوه بعضهم وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله انما جعل السبت أي وبال السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فأحله بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا ونسخوا قرده وخنازير في زمن داود عليه السلام وقد تقدمت القصة في تفسير سورة الاعراف وبعضهم ثبت على تحريمه فلم يصطد فيه شيئاً وهم الناهون والقول الاول أقرب الى الصحة ﴿وقوله تعالى (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعني في أمر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازي المحقين بالثواب والمبطلين بالعقاب ﴿وقوله عز وجل (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) يعني ادع الى دين ربك يا محمد وهو دين الاسلام بالحكمة يعني بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة يعني وادعهم الى الله بالترغيب والترهيب وهو انه لا يخفى عليهم انك تنصحه وتقصده ما ينفعهم (وجادلهم بالتي هي أحسن) يعني بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير غظاظ ولا تعنيف وقيل ان الناس اختلفوا وجعلوا ثلاثة أقسام القسم الاول هم العلماء الكاملون أصحاب العقول الصحيحة والبصائر الثابتة الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها فهؤلاء هم المشار اليهم بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعني ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشياء بحقائقها حتى يتفهموا وينفعوا الناس وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم القسم الثاني هم أصحاب الفطرة السليمة الخلق الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم أوسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله والموعظة الحسنة أي ادع هؤلاء بالموعظة الحسنة والقسم الثالث هم أصحاب جدال وخصام ومعاودة وهؤلاء هم المشار اليهم بقوله وجادلهم بالتي هي أحسن حتى ينقادوا الى الحق يرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة القرآن يعني ادعهم بالقرآن الذي هو حكمة وموعظة حسنة وقيل المراد بالحكمة النبوة أي ادعهم بالنبوة والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين في الدعوة وجادلهم بالتي هي أحسن أي اعرض عن اذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق فعلى هذا القول قال بعض علماء التفسير هذا منسوخ بآية السيف (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) يعني انما عليك محمد تبليغ ما أرسلت به اليهم ودعاهم بهذه الطرق الثلاثة وهو أعلم بالفريقين الضال والمهتدي فيجازي

فق واللين من غير غظاظ أو بما يوقظ القلوب ويعظ النفوس ويجلو العقول وهو رد على من يأبى المناظرة في الدين (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أي هو أعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل

كل عامل بعمله ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) نزلت هذه الآية بالدين في سبب شهداء أحد وذلك ان المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلى المسلمين يوم أحد من تبقي البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين الا مثل به غير حنظلة بن أبي عامر الراهب وذلك أن أباه أبا عامر الراهب كان مع أبي سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك لئن أظهرنا الله عليهم لئربن على صنيعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها أحد من العرب بأحد ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حزة بن عبد المطلب وقد جددوا أنفه وآذانه وقطعوا مئذنا كبره وبقروا بطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فضفتها ثم استرطبتها تارة كلها فلم تنزل في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال أما أنهاروا أكتها لم تدخل النار أبدا حزة أكرم على الله من أن يدخل شيئا من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه حزة نظر الى شيء لم ينظر الى شيء قط كان أوجع لقلبه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليك فانك ما علمنا ما كنت الافعال للخيرات وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسرفى أن أدعك حتى تحشر من أفواج شتى اما والله لئن أظفر في الله بهم لامثلن بسبعين منهم مكانك فانزل الله عز وجل وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نصبر وأمسك عما أراد وكفر عن يمينه عن أبي بن كعب قال لما كان يوم أحد أصيب من الانصار أربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حزة فقتلوا بهم فقالت الانصار لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لئربن عليهم قال فلما كان يوم قح مكة أنزل الله عز وجل وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لظفر خير للصابرين فقال رجل لا قرش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا عن القوم الأربعة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وأما تفسير الآية فقوله تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به سمي الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة في الكلام والمعنى ان صنع بكم سوء من قتل أو مثلة ونحوها فقا بلوه بمثله ولا تزيد واعليه فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أمر الله برعاية العدل والانصاف في هذه الآية في باب استيفاء الحقوق يعني ان رغبت في استيفاء القصاص فاقصوا بالمثل ولا تزيد واعليه فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله وشرعه ورحمته وفي الآية دليل على أن الاولى ترك استيفاء القصاص وذلك بطريق الاشارة والرمز والتعريض بان الترك أولى فان كان لابد من استيفاء القصاص فيكون من غير زيادة عليه بل يجب مراعاة المماثلة ثم انتقل من طريق الاشارة الى طريق التصريح فقال تعالى (ولئن صبرتم لظفر خير للصابرين) يعني ولئن عفوتم وتركتم استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك العفو والظفر خيرا من استيفاء القصاص وفيه أجر للصابرين العاقبين

فصل ﴿اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قولين أحدهما انها نزلت قبل براءة قامر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ ذلك وأمر بالجهاد وهذا قول ابن عباس والضحاك فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال فلما عز الله الاسلام وكثر أهل أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ونسخ هذا بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية والقول الثاني انها محكمة وانها نزلت فيمن ظلم ظلامه فلا يحل له ان ينال من ظالمه أكثر مما نال منه الظالم وهذا قول مجاهد والشعبي والنخعي وابن سيرين والثوري قال بعضهم الاصح انها محكمة لان الآية واردة في تعليم حسن الانب في كيفية استيفاء الحقوق في القصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الاشياء لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله أعلم ﴿قوله عز وجل﴾ (واصبر وما صبرك الا بالله) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر وأعلمه ان صبره بتوفيقه ومعوته (ولا تحزن عليهم) يعني على الكافرين واعراضهم عنك وقيل معنى الآية ولا تحزن على قتلى أحد وما فعل بهم فانهم أفضوا الى

(وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) سمي الفعل الاول عقوبة والعقوبة هي الثانية لازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها الثانية ليست بسنة والمعنى ان صنع بكم صنع سوء من قتل أو نحوه فقا بلوه بمثله ولا تزيد واعليه روى ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مئذنا كبرهم فرأى النبي عليه السلام حزة بمقور البطن فقال أما والذي أحلف به لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراد ولا خلاف في تحريم المثلة لورود الاخبار بالنهي عنها حتى بالكعب المقور (ولئن صبرتم لظفر خير للصابرين) الضمير في لظفر يرجع الى مصدر صبرتم والمراد بالصابرين المخاطبون أي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابر بن موضع الضمير ثناء من الله عليهم لانهم صابرون على الشدائد ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (واصبر) أنت فعزم عليه بالصبر (وما صبرك الا بالله) أي بتوفيقه وتشييته (ولا تحزن عليهم)

على الكفار ان لم يؤمنوا على المؤمنين وما فعل بهم الكفار فانهم وصلوا الى مطالبهم (ولانك في ضيق مما يكرون) ضيق مكي والضيق تخفيف الضيق أى في أمر ضيق ويجوز أن يكونا مصدرين كالقيل والقول (١٥٣) والمعنى ولا يصيقن صدرك من مكرهم

فانه لا ينفذ عليك (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أى هو ولي الذين اجتنبوا السيئات وولي العاملين بالطاعات قيل من اتقى في أفعاله وأحسن في أعماله كان الله معه في أحواله ومعينه نصرته في المأمور وعصته في المحذور

(سورة بنى اسرائيل مكية) وهى مائة وعشر آيات بصرى واحدى عشرة آية كوفى وشامى

(بسم الله الرحمن الرحيم) (سبحان) تنزيه الله عن السوء وهو علم للتسبيح كعنان للرجل واتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره أسبح الله سبحان

ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ (الذى أسرى بعده) محمد صلى الله عليه وسلم وسرى وأسرى لغتان (ايلا) نصب على الظرف وقيد بالليل والاسراء لا يكون الا بالليل للتأكد

ليدل بلفظ التنكير على تقليل مدة الاسراء وأنه أسرى به فى بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة أربعين ليلة (من المسجد الحرام)

رحمة الله ورضوانه (ولانك في ضيق مما يكرون) يعنى ولا يصيقن صدرك يا محمد بسبب مكرهم فان الله كافيك وناصرك عليهم قرئ في ضيق بفتح الصاد وكسر هاء فصيل هما لغتان وقال أبو عمر والضيق بالفتح الغم وبالكسر الشدة وقال أبو عبيد الضيق بالكسر فى قلة المعاش وفى المسكن وأما ما كان فى القلب والصدر فانه بالفتح وقال القتيبي الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين واين واين فعلى هذا يكون صفة كانه قال سبحانه وتعالى ولانك فى أمر ضيق من مكرهم قال الامام نجر الدين الرازى هذا الكلام من المقلوب لان الضيق صفة والصفة تكون حاصلة فى الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا فى الصفة فكان المعنى فلا يكن الضيق حاصلا فىك الا ان الفائدة فى قوله ولانك فى ضيق هى ان الضيق اذا عظم وقوى صار كالشيء المحيط بالانسان من كل جانب كالقميص المحيط به فكانت الفائدة فى ذكر هذا اللفظ بهذا المعنى (ان الله مع الذين اتقوا) أى اتقوا المثلة والزيادة فى القصاص وسائر المناهى (والذين هم محسنون) يعنى بالعرف وعن الجاني وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعنى ان أردت أيها الانسان ان تكون معك بالعون والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين وفى هذا الاشارة الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وكمال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل أن يعمل به وقيل لهرم بن حيان عند الموت أوص فقال انما الوصية فى المال والامال لى ولكنى أوصيك بخواتيم سورة النحل والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة الاسراء) قال ابن الجوزى هى مكية فى قول الجماعة الا أن بعضهم يقول فيها مدنى فروى عن ابن عباس انه قال هى مكية الاثمان آيات من قوله سبحانه وتعالى وان كادوا ليفتنونك الى قوله نصبروا وهذا قول قتادة وقال مقاتل فيها من المدنى وقل رب أدخلنى مدخل صدق الآية وقوله تعالى ان الذين أتوا العلم من قبله وقوله ان ربك أظأ بالناس وقوله تعالى وان كادوا ليفتنونك وقوله تعالى ولولا أن ثبتناك والتي تليها وهى مائة وعشر آيات وقيل واحدى عشرة آية وخمسة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) روى ابن الجوزى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل شئ هكذا ذكره بقيرسند وقال النحويون سبحان اسم علم على التسبيح يقال سبحت الله تسبيحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان الله علم للتسبيح وتفسير سبحان الله تنزيه الله عن كل سوء ونقيصة واصله فى اللغة التباعده فعنى سبحان الله بعده ونزاهته عن كل ما لا ينبغى الذى أسرى يقال سرى به وأسرى به لغتان بعده أجمع المفسرون والعلماء والمتكلمون ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلف أحد من الامة فى ذلك وقوله بعده اضافة تشرىف وتعظيم وتبجيل وتفخيم وتكريم ومنه قول بعضهم لا تدعى الا يا عبدها * فانه أشرف أسمائى

قيل لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البرجات العالية والرتب الرفيعة ليلة المعراج أوحى الله عز وجل اليه يا محمد شرفتك قال رب حيث نسبتنى الى نفسك بالعبودية فانزل الله سبحانه وتعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فامعنى ذكر الليل قلت أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وأنه أسرى به فى بعض ليلة من مكة الى الشام مسيرة شهر أو أكثر فدل تنكير الليل على البعضية (من المسجد الحرام) قيل كان الاسراء من نفس مسجد مكة وفى حديث مالك بن صعصعة ان رسول الله صلى

(٢٠ - (خازن) - ثالث) قيل أسرى به من دار أم هانئ بنت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس رضى الله عنهما الحرم كله مسجد وقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فقد قال عليه السلام بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذا نانى جبريل بالبراق وقد عرجنى الى السماء فى تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وقد أخبر قريته

عن صبرهم وعدد جهالها
وأحوالها وأخبرهم أيضا
بما رأى في السماء من
المجائب وأنه لقي الانبياء
عليهم السلام وبلغ البيت
المعمور وسدرة المنتهى
وكان الاسراء قبل الهجرة
بسنو كان في اليقظة وعن
عائشة رضي الله عنها انها
قالت والله ما فقد جسد
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولكن عرج بروحه
وعن معاوية مثله وعلى
الاول الجمهور اذا لفضيلة
للعالم ولا مزبة للنائم (الى
المسجد الاقصى) هو بيت
المقدس لانه لم يكن حينئذ
وراءه مسجد (الذي
باركنا حوله) يربد
بركات الدين والدنيا لانه
متعب الانبياء عليهم السلام
ومهبط الوحي وهو محفوظ
بالانهار الجارية والاشجار
الثمرة (لنبيه) أي محمدا
عليه السلام (من آياتنا)
الدالة على وحدانية الله
وصدق نبوته برؤيته
السماوات وما فيها من
الآيات (انه هو السميع)
للاقوال (البصير) بالافعال
ولقد تصرف الكلام على
لفظ الغائب والتكلم
فقيل أسرى ثم باركنا ثم
انه هو وهي طريقة الالتفات
التي هي من طرق البلاغة

الله عليه وسلم قال بينما أنا في المسجد الحرام في الحجر وذكر حديث المعراج وسيأتي بكلامه فيما بعد وقيل عرج
به من دار أم هانئ بنت أبي طالب وهي بنت عمه أخت علي رضي الله تعالى عنه فعلى هذا أراد بالمسجد الحرام
الحرم (الى المسجد الاقصى) يعني الى بيت المقدس سمي أقصى لبعده عن المسجد الحرام اولاً لانه لم يكن
حينئذ وراءه مسجد (الذي باركنا حوله) يعني بالانهار والاشجار والثمار وقيل مهاباً لانه مقر الانبياء
ومهبط الملائكة والوحي وقبلة الانبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واليه تحشر الخلق يوم القيامة فان قلت
ظاهر الآية يدل على ان الاسراء كان الى بيت المقدس والاحاديث الصحيحة تدل على انه عرج به الى السماء
فكيف الجمع بين الدليلين وماقاعدة ذكر المسجد الاقصى فقط قلت قد كان الاسراء على ظهر البراق الى
المسجد الاقصى ومنه كان عرجه الى السماء على المعراج وفاقاعدة ذكر المسجد الاقصى فقط انه صلى الله عليه
وسلم لو أخبر بعوده الى السماء أو لاشتد انكارهم لذلك فلما أخبر انه أسرى به الى بيت المقدس وبان لهم
صدقه فيما أخبر به من العلامات التي فيه وصدقوه عليها أخبر بعد ذلك بعرجه الى السماء فجعل الاسراء
الى المسجد الاقصى كالتوطئة لعرجه الى السماء ﴿ وقوله تعالى (لنر به من آياتنا) يعني من عجائب قدرتنا
فقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة الانبياء وصلى بهم ورأى الآيات العظام فان قلت لفظه من في
قوله من آياتنا تقتضي التبعض وقال في حق ابراهيم عليه السلام وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات
والارض وظاهر هذا يدل على فضيلة ابراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ولا قائل به فواجهه
قلت ملكوت السموات والارض من بعض آيات الله أيضاً وآيات الله أفضل من ذلك وأكثر والذي أراه
محمد صلى الله عليه وسلم من آياته وعجائبه تلك الليلة كان أفضل من ملكوت السموات والارض فظهر
بهذا البيان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على ابراهيم صلى الله عليه وسلم (انه هو السميع) لا قواله ودعائه
(البصير) لافعاله الحافظ له في ظلمة الليل وقت اسرائه وقيل انه هو السميع لما قالت له قريش حين أخبرهم
بمسراه الى بيت المقدس البصير بما ردوا عليه من التكذيب وقيل انه هو السميع لاقوال جميع خلقه البصير
بأفعالهم فيجازي كل عامل بعمله وحمله على العموم أولى

﴿فصل﴾ في ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الاحكام وما قال العلماء فيه (ق) حدثنا قتادة عن أنس
ابن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال بينما أنا في الحطيم
وراء اقال في الحجر مضطجعا ومنهم من قال بين النوم واليقظان اذا أتاني آت فقد قال وسمعت يقول فشق ما بين
هذه الى هذه فقلت للجار ودو هو الى جنبى ما يعنى به قال من ثغرة نحره الى شعرته وسمعت يقول من قصته الى
شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب ملوثة بما أنا فغسل قلبي ثم حشيت ثم أعيدت ثم أتيت بدابة دون
البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجار ودو أهو البراق يا باهجرة قال أنس نعم بضع خطوه عند أقصى طرفه
فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مر حبابه فتم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم
فقال هذا أبوك آدم فلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مر حبابا لابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى
أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل
مر حبابه فتم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا بعيسى وعيسى وعما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فلم عليهما
فسلمت فردا ثم قال مر حبابا لالخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدت الى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مر حبابه فتم المجيء جاء ففتح فلما خلصت
اذا يوسف قال هذا يوسف فلم عليه فسلمت عليه فردا ثم قال مر حبابا لالخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدت حتى
أتى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل

من حيا به فنع المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا ادر يس قال هذا ادر يس فسلم عليه فسامت عليه فرد ثم
 قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدي حتى اتي السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل
 قيل ومن معك قال محمد قيل وقد اُرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنع المجيء جاء فلما خلصت فاذا هرون
 قال هذا هرون فسلم عليه فسامت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدي حتى اتي
 السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد اُرسل اليه قال نعم قال
 مرحبا به فنع المجيء جاء فلما خلصت فاذا موسى قال هذاموسى فسلم عليه فسامت عليه فرد ثم قال مرحبا
 بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال ابكى لان غلاما بعث بعدى يدخل الجنة
 من اُمتها اكثر مما يدخلها من اُمتي ثم صعدي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل
 قيل ومن معك قال محمد قيل وقد اُرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنع المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم
 قال هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه قال فسامت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح
 ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى
 فاذا اربعة اُنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في
 الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور ثم اُتيت باناء من خرواناء من لبن واناء من
 عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة اُنت عليها وَاُمتك ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم
 فرجعت فررت على موسى فقال بم امرت قلت امرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان اُمتك لا تستطيع
 خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جرت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك
 فاسأله التخفيف لا اُمتك فرجعت فوضع عني عشر افرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني
 عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشر افرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت
 فوضع عني عشر افرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرته بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى
 فقال مثله فرجعت فامرته بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم امرت قلت امرت بخمس
 صلوات كل يوم قال ان اُمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جرت الناس قبلك وعالجت بني
 اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لا اُمتك قال سألت ربي حتى استحييت ولكن
 ارضى وأسلم قال فلما جازت نادى مناد اُمضت فريضتي وخففت عن عبادي زادني رواية اخرى وأجزى
 بالحسنة عشرا وفي رواية اخرى بينا انا عند البيت بين النائم واليقظان وفيه ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ
 ايمانا وحكمة وفيه فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصل فيه كل يوم سبعون
 ألف ملك اذا خرجوا لم يعودوا مرة اخرى (ق) عن انس بن مالك قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء
 بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا ففرغ في صدري ثم اُطبقه ثم أخذ بيدي فخرجني الى السماء فلما جئنا
 السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قيل هل معك احد قال نعم
 معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فارسل اليه قال نعم فافتح ففتح قال فمساء لونا السماء الدنيا فاذا رجل عن
 يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فاذا انظر قيل يمينه ضحك واذا انظر قيل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي
 الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسمة بنيه
 فاهل اليمين اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار فاذا انظر قيل يمينه ضحك واذا انظر قيل شماله بكى
 قال ثم عرج بي جبريل حتى اتي السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا
 ففتح قال انس بن مالك فذكر انه وجد في السموات آدم وادريس وعيسى وموسى وابراهيم ولم يثبت كيف

منازلهم غير انه ذكر انه قد وجد آدم في السماء الدنيا و ابراهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل ورسول
 الله بادريس قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال ثم مررت من هذا قال هذا ادريس قال ثم مررت
 بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال قلت من هذا قال هذا موسى قال ثم مررت بعيسى فقال
 مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قلت من هذا قال هذا عيسى بن مريم قال ثم مررت بابراهيم فقال
 مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا قال هذا ابراهيم قال ابن شهاب واخبرني ابن خزم ان ابن
 عباس و ابا حبة الانصاري كانا يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى
 اسمع فيه صريف الاقدام قال ابن خزم و انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله على
 امي خمسين صلاة قال فرجعت بذلك حتى مررت بموسى فقال موسى ماذا فرض ربك على امتك قال
 قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى فراجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فوضع
 شرطها قال فرجعت الى موسى فاخبرته قال راجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فقال
 هي خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدي قال فرجعت الى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت
 من ربي قال ثم انطلق بي جبريل حتى اتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ماهي قال ثم ادخلت الجنة فاذا
 فيها جنازة اللؤلؤ و اذا تراها المسك (ق) عن شريك بن ابي نمر انه سمع انس بن مالك يقول ليلة أسرى
 برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد
 الحرام فقال اولهم ابيهم هو فقال اوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرههم حتى
 اتوه ليلة اخرى فبا يري قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه
 حتى احتلوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره الى لبتة حتى فرغ من صدره
 وجوفه فضله من ماء زمزم بيده حتى اتى جوفه ثم اتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشوا ايماننا
 وحكمة غشابه صدره ولغاد يده يعني عروق حلقه ثم اطبقه ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب بابا من ابوابها
 فناداه اهل السماء من هذا فقال جبريل قالوا ومن معك قال معي محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به
 واهلا يستبشر به اهل السماء لا يعلم اهل السماء ما يراد الله به في الارض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا
 آدم عليه السلام فقال له جبريل هذا ابوك آدم فسلم عليه ورد عليه السلام وقال مرحبا واهلا بابني نعم الابن
 انت فاذا هو في السماء الدنيا بنهر بن يتردان فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذان النيل والفرات
 عنصرهما ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ ووزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك اذ فر
 قال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك ثم عرج به الى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل
 ما قالت له الاولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به واهلا ثم
 عرج به الى السماء الثالثة وقالوا له مثل ما قالت الاولى والثانية ثم عرج به الى الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج
 به الى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء
 السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها انبياء قد سماهم فواعيت منهم ادريس في الثانية وهرون في الرابعة
 و آخر في الخامسة ولم احفظ اسم و ابراهيم في السادسة وموسى في السابعة لتفضيل كلام الله فقال موسى رب
 لم اظن ان يرفع علي احد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة
 فتدلى فكان منه قاب قوسين او أدنى فأوحى الله فيما أوحى اليه خمسين صلاة على امتك كل يوم وليلة ثم هبط
 حتى بلغ موسى فاحتبه موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الى خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان
 امتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك عنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كأنه
 يستشير في ذلك فاشار اليه جبريل ان نعم ان شئت فعلا به الى الجبار تعالى فقال وهو مكانه يارب خفف

لنا فان امتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبس به فلم يزل يردد موسى الى
 به حتى صارت خمس صلوات ثم احتبس به موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بني اسرائيل قومي
 الى ادنى من هذا فضعفوا فتر كوه فامتك اضعف اجساد او قلوبا وابدانا و ابصارا واسما عا فارجع فليخفف
 منك ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام ليشير عليه فلا يكره ذلك
 جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يا رب ان امتي ضعفاء اجسادهم وقلوبهم واسما عا وابدانهم خفف عنا
 فقال الجبار يا محمد قال ليبيك وسعديك قال انه لا يبدل القول لدى كما فرضت عليك في أم الكتاب قال فكل
 حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك فرجع الى موسى فقال كيف فعلت
 فقال خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها قال موسى قد والله راودت بني اسرائيل على ادنى من ذلك
 تر كوه ارجع الى ربك فليخفف عنك أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا موسى قد والله استحييت
 من ربي مما اختلفت اليه قال فاهبط بسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام هذا لفظ حديث البخاري
 وادرج مسلم حديث شريك عن أنس الموقوف عليه في حديث ثابت البناني المسند قد كرم من أول حديث
 شريك طرفا ثم قال وساق الحديث نحو حديث ثابت قال مسلم وقدم وأخرو زاد ونقص وليس في حديث ثابت
 من هذه الالفاظ الا ما نورد على نصه أخرجه مسلم وحده وهو حدثنا جاد بن سلمة عن ثابت البناني عن
 أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الجمار ودون البغل
 يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبه حتى أتيت بيت المقدس قال فربطه بالحلقة التي يربط بها الانبياء
 قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن
 فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال
 جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بأدم فرحب بي ودعالي
 بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
 وقد بعث اليه قال قد بعث اليه قال ففتح لنا فاذا أنا بنبي الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا بي ودعوا
 لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
 قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بيوسف عليه السلام فاذا هو قد أعطى شطر الحسن قال
 فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن
 معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعالي بخير قال الله تعالى
 ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
 قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهرون فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء
 السادسة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث
 اليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من
 هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بإبراهيم عليه
 السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي
 الى سدرة المنتهى واذا ورقتها كآذان القيلة واذا تمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت
 فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله الي ما أوحى ففرض على خمسين صلاة في كل
 يوم وليسلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك علي أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله
 التخفيف فان أمتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب
 خفف علي امتي لخط عنى خسا فرجعت الى موسى فقلت قد حط عنى خسا قال ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع

الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر او من هم بسنة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سبئة واحدة قال فزلت حتى انتهت الى موسى فاخبرته قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحيت منه هذه رواية مسلم وأخرجه الترمذي مختصرا وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسرى به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل يا محمد تفعل هكذا ما ركبك أحدا كرم على الله منه فارفض عرفا وأخرجه النسائي مختصرا والمعنى واحد وفي آخره قال فرجعت الى ربي فسأله التخفيف فقال اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمك خمسين صلاة خمسين فخمسين فقميها أنت وأمتك فعرفت انها امر الله جري بقول حتم فلم أرجع

(فصل) قال البغوي قال بعض أهل الحديث ما وجدنا للبخاري ومسلم في كتابيهما شيئا لا يحفل محررا الا حديث شريك بن أبي نمر عن أنس وأحال الامر فيه على شريك وذلك انه ذكر فيه ان ذلك كان قبل الوحي واتفق أهل العلم على ان المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثنتي عشرة سنة وفيه ان الجبار تبارك وتعالى دنا فتدلى وذكر عائشة ان الذي تدلى هو جبريل عليه السلام قال البغوي وهذا الاعتراض عندي لا يصح لان هذا كان روي في النوم اراه الله ذلك قبل ان يوحى اليه بدليل آخر الحديث فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي وقبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤياه التي رآها من قبل كما انه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقها سنة ثمان ونزل قوله سبحانه وتعالى اقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى في كتابه شرح مسلم قد جاء من رواية شريك في هذا الحديث أو هام أنكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك بقوله قسم وأخر وزاد وتقص منها قوله وذلك قبل ان يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه فان الاسراء أقل ما قيل فيه انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الحرابي كانت ليلة الاسراء ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن اسحق أسرى به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل قال الشيخ محيي الدين وأشباه الأقوال قول الزهري وابن اسحق وأما قوله في رواية شريك وهو نائم وفي الرواية الاخرى بينما أنا عند البيت بين المنام واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ولا يخفى فيه اذ قد يكون ذلك حالة أول وصول الملك اليه وليس في الحديث ما يدل على كونه نائما في القصة كلها هذا كلام القاضي عياض وهذا الذي قاله في رواية شريك وان أهل العلم قد أنكروها وقد قاله غيره وقد ذكر البخاري في رواية شريك هذه عن أنس في كتاب التوحيد من صحيحه وأتى بالحديث مطولا قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعنق هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس قد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث قالوا الاحاديث التي تقدمت قبل هذا هي المعول عليها

(فصل) في شرح بعض ألقاظ حديث المعراج وما يتعلق به كانت ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة يقال كانت في رجب ويقال في رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر في الفصل الذي قبل هذا واختلف الناس في الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان ذلك في المنام والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة الخلف من المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسرى بروحه ووجدته صلى الله عليه

وسلم وبدل عليه قوله سبحانه وتعالى سبحانه الذي أسرى بعبد له ليلا ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد والاحاديث الصحيحة التي تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن طالعها وبحث عنها وحكى محمد بن جبر الطبري في تفسيره عن حذيفة أنه قال كل ذلك كان رؤيا وأنه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما أسرى بروحه وحكى هذا القول عن عائشة أيضا وعن معاوية نحوه والصحيح ما عليه جمهور العلماء من السلف والخلف والله أعلم قوله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق هو اسم للدابة التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به واشتقاقه من البرق لسرعته أولشدة صفائه وبياضه ولعانه وتلالته ونوره والحلقة بالسكان اللام ويجوز فتحها والمراد ببط البراق بالحلقة الاخذ بالاحتياط في الامور وتعاطي الاسباب وان ذلك لا يقدح في التوكل اذا كان الاعتماد على الله تعالى وقوله جاءني جبريل باناء من خر واناء من لبن فاخترت اللبن فيه اختصارا والتقدير وقال لي اختر فاخترت اللبن وقول جبريل اخترت الفطرة يعني فطرة الاسلام وجعل اللبن علامة للفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين وانه سليم العاقبة بخلاف الخمر فانها أم الخبائث وجالبة لانواع الشر قوله ثم عرج بي حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فيه بيان الادب لمن استأذن وأن يقول أنا فلان ولا يقول أنا فانه مكروه وفيه ان للسماء أبوابا وبوابين وان عليها حرسا وقول بواب السماء وقد أرسل اليه وفي الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه للاسراء وصعوده السماء وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى عليه الى هذه المدة هذا هو الصحيح في معناه وقيل غيره وقوله فاذا أنا بآدم وذكري جماعة من الانبياء فيه استحباب لقاء أهل الفضل والصلاح بالبشر والترحيب والكلام اللين الحسن وان كان الزائر أفضل من المزور وفيه جواز مدح الانسان في وجهه اذا آمن عليه من الاعجاب وغيره من اسباب الفتنة وقوله فاذا أنا بآدم مسندا ظهره الى البيت المعمور فيه دليل على جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها وقوله ثم ذهب بي الى السدرة هكذا وقع في هذه الرواية السدرة بالالف واللام وفي باقي الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من المفسرين سميت بذلك لان علم الملائكة ينتهي اليها ولم يجاوزها احد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونها ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من امر الله عز وجل وقوله واذا نثرها كالقلال هو بكسر القاف جمع قلة بضمها وهي الجرة الكبيرة التي تسع قربتين أو أكثر قوله فرجعت الى ربي قال الشيخ محيي الدين النووي معناه رجعت الى الموضع الذي ناجيته فيه أولا فناجيته فيه ثانيا وقوله فلم أزل أرجع بين موسى وبين ربي معناه وبين موضع مناجاة ربي عز وجل قلت وأما الكلام على معنى الرؤية وما يتعلق بها فانه سيأتي ان شاء الله تعالى في تفسير سورة والنجم عند قوله تعالى ثم دنا فتدلى قوله ففرض الله سبحانه وتعالى على امتي خمسين صلاة الى قوله فوضع شطرها وفي الرواية الاخرى فوضع عني عشر اوفي الاخرى خمسين بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشرط الجزء وهو الخمس وليس المراد منه التنصيف وأما رواية العشر فهي رواية شريك ورواية الخمس رواية ثابت البناني وقتادة وهما أثبت من شريك فالمراد حط عني خمسا الى آخره ثم قال هي خمس وهن خمسون يعني خمسين في الاجر والثواب لان الحسنه بعشر أمثاها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ الشيء قبل فعله وفي أول الحديث انه شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد شق أيضا في صغره وهو عند حليلة التي كانت ترضعه فالمراد بالشق الثاني زيادة التطهير لما يراد به من الكرامة ليلة المعراج وقوله أثبت بطست من ذهب قد يتوهم متوهم انه يجوز استعمال اناء الذهب لنا وليس الامر كذلك لان هذا الفعل من فعل الملائكة وهو مباح لهم استعمال الذهب أو يكون هذا قد كان قبل تحريمه وقوله ممتليء ايماننا وحكمة فافرغها في صدري فان قلت الحكمة والايمان معان والافراغ صفة الاجسام فامعنى ذلك قلت يحتمل انه جعل في الطست شيئا يحصل به كمال

الايمان والحكمة وز يادتهم مسمى ايماناً وحكمه لكونه سبباً لهما وهذا من أحسن المجاز وقوله في صفة آدم عليه السلام فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة هو جمع سواد وقد فسره في الحديث بأنه نسيم بنيه يعني أرواح بنيه وقد اعترض على هذا بان أرواح المؤمنين في السماء وأرواح الكفار تحت الارض السفلى فكيف تكون في السماء والجواب عنه أنه محتمل أن أرواح الكفار تعرض على آدم عليه السلام وهو في السماء فوافق وقت عرضها على آدم مرور النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر بما رأى وقوله فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى فيه شفقة الوالد على أولاده وسروره وفرحه بحسن حال المؤمن منهم وحرته على سوء حال الكفار منهم وقوله في ادريس مر حبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قد اتفق المؤرخون على أن ادريس هو أخنوخ وهو جد نوح عليهما السلام فيكون جد النبي صلى الله عليه وسلم كما أن ابراهيم جده فكان ينبغي أن يقول بالنبي الصالح والابن الصالح كما قال آدم و ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فالجواب عن هذا انه قيل ان ادريس المذكور هنا هو الياس وهو من ذرية ابراهيم فليس هو جد نوح هذا جواب القاضي عياض قال الشيخ محي الدين ليس في الحديث ما يمنع كون ادريس أبا النبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل أن يكون قاله تطلقاً وتادباً وهو أخ وان كان أباً لان الانبياء اخوة والمؤمنين اخوة والله أعلم

فصل في ذكر الآيات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسياق أحاديث تتعلق بالاسراء قال البغوي روى انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وكان بذي طوى قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كانت ليلة أسرى بي الى السماء أصبحت بمكة فضقت بامرئ وعرفت أن الناس يكذبوني فروى انه صلى الله عليه وسلم قعد معتزلاً حتى ينافر به أبو جهل فجلس اليه فقال كالمستهزئ هل استفدت من شيء قال نعم أسرى بي الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال أبو جهل ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم فلم ير أبو جهل أن ينكر ذلك مخافة أن يجحده الحديث ولكن قال أتحدث قومك بما حدثتني به قال نعم قال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا فانقضت المجالس و جاؤا حتى جلسوا اليه ما قال حدث قومك بما حدثتني قال نعم أسرى بي الليلة قالوا الى أين قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم قال فبقى الناس بين مصفق وبين واضع يده على رأسه متعجبوا وارتد أناس ممن كان قد آمن به و صدقه وسمى رجلاً من المشركين الى أبي بكر فقال له هل لك في صاحبك يزعم انه أسرى به الليلة الى بيت المقدس قال أو قد قال ذلك قال نعم قال لئن كان ذلك لقد صدق قالوا أو تصدقه أنه ذهب الى بيت المقدس وجاء في ليلة قبل أن يصبح قال نعم اني أصدقه بما هو بعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة فلذلك سمي أبو بكر الصديق قال وكان في القوم من أتى المسجد الأقصى قالوا هل نستطيع أن ننتع لنا المسجد قال نعم قال فذهبت أنت حتى التبس على قال غي بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فنتع المسجد وأنا أنظر اليه فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب فيه ثم قالوا يا محمد أخبرنا عن غيرنا فهي أهم الينا هل لقيت منها شيئاً قال نعم مررت بعير بني فلان وهي بالروحاء وقد أضلوا بعيراهم في طلبه وفي رحالم قدح من ماء فعطشت فأخذته فشر به ثم وضعته كما كان فسلاواهل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا قالوا هذه آية قال ومررت بعير بني فلان وفلان وفلان را كبان قعوداً لهم بذي مرف فنفرت بعيرهماني فرمى بفلان فانكسرت يده فسلاوهما عن ذلك قالوا وهذه آية أخرى قالوا فأخبرنا عن غيرنا قال مررت بها بالنعم قالوا فماعدتها وأحاطها وهيتها فقال كنت في شغل عن ذلك ثم منات له

(وآتيناه موسى الكتاب وجعلناه) أي الكتاب وهو التوراة (هدى لبني اسرائيل (١٦١) أن لاتتخذوا) أي لاتتخذوا وبالياه

أبو عمرو أي لثلاث يتخذوا
(من دوني وكيلاً) ربا
تكون اليه أموركم (ذرية
من حملنا مع نوح) نصب
على الاختصاص أو على
النداء فمن قرأ لاتتخذوا
بالنداء على النهي أي قلنا
لهم لاتتخذوا من دوني
وكيلاً بذرية من حملنا مع
نوح (انه) ان نوحا عليه
السلام (كان عبدا
شكورا) في السراء
والضراء والشكر مقابلة
النعمة بالثناء على المنعم
وروي أنه كان لا يأكل
ولا يشرب ولا يلبس الا
قال الحمد لله وأتم ذرية
من آمن به وحمل معه
فاجعلوه اسوتكم كما جعله
آبائكم اسوتهم وآية ورشد
الابناء صحة الاقتداء بسنة
الآباء وقد عرفتم حال
الآباء هنالك فكونوا ايها
الابناء كذلك (وقضينا
الي بني اسرائيل في الكتاب
لتفسدن في الارض)
وأوحينا اليهم وحيا مقضينا
أي مقطوعا مبتوتا بانهم
يفسدون في الارض لاحالة
والكتاب التوراة وتفسدن
جواب قسم محذوف أو
جري القضاء المبتوت
مجري القسم فيكون
لتفسدن جوابا له كانه قال
وأقسمنا لتفسدن في

بعدها وأجأها وهيئتها ومن فيها وكانوا بالحزرة قال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها
جل أورد عايه غرار تان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه آية ثم خرجوا يشتدون
نحو الثانية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيئا أو بينه حتى أتوا كداء فجلسوا عليه فجعلوا ينظرون متى
تطلع الشمس فيكذبونه اذ قال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخرو هذه العير قد طلعت يقدمها
بعير أورد فيها فلان وفلان كما قال فلم يؤمنوا وقالوا هذا سحر مبين (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني في الحجر وقر يش تسألني عن مسراي فسألتنني عن أشياء
من بيت المقدس لم أثبتها فكرت كربة ما كرت مثلها قط قال فرفعه الله لي أنظر اليه ما يسألوني عن
شيء إلا نبأته به وقد رأيتني في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلي فاذا رجل ضرب جعدا كانه من رجال
شنوءة واذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شيئا عروة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم قائم يصلي
أشبه الناس به صاحبكم يعني به نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فامتمهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل
يا محمد يا محمد هذا مالك صاحب النار سلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام (ق) عن جابر انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبتني قريش قتلتني في الحجر فبلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته
وأنا أنظر اليه زاد البخاري في رواية له لما كذبتني قريش حين أسرى بي الى بيت المقدس وذكروا الحديث
(م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة أسرى بي عند الكتيب الاحمر فاذا
هو قائم يصلي في قبره عن بريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتينا الى بيت المقدس قال جبريل
كذبا بصبغه فخرق به الحجر وشده بالبراق أخرجه الترمذي فان قلت كيف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
موسى يصلي في قبره وكيف صلى بالانبياء في بيت المقدس ثم وجدهم على مراتبهم في السموات وسلموا عليه
وترحبوا به وكيف تصح الصلاة من الانبياء بعد الموت وهم في الدار الآخرة فأتى ما صلواته صلى الله عليه وسلم
بالانبياء في بيت المقدس يحتمل ان الله سبحانه وتعالى جمعهم له ليصلي بهم ويعترفوا بفضله وتقدمه عليهم
ثم ان الله سبحانه وتعالى أراه اياهم في السموات على مراتبهم ليعرف هو مراتبهم وفضلهم وأما مروره بموسى
وهو قائم يصلي في قبره عند الكتيب الاحمر فيحتمل انه كان بعد رجوعه من المعراج وأما صلاة الانبياء وهم في
الدار الآخرة فهم في حكم الشهداء بل أفضل منهم وقد قال الله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
الله أمواتا بل أحياء فالانبياء أحياء بعد الموت وأما حكم صلواتهم فيحتمل انها لذكروا الدعاء وذلك من أعمال
الآخرة فان الله تعالى قال دعواهم فيها سبحانه اللهم وورد في الحديث انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون
النفس ويحتمل ان الله سبحانه وتعالى خصهم بخصائص في الآخرة كما خصهم في الدنيا بخصائص لم يخص
بها غيرهم منها أنه صلى الله عليه وسلم أخبر انه رأىهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله أعلم بالحقائق
في قوله سبحانه وتعالى (وآتيناه موسى الكتاب) يعني التوراة (وجعلناه) يعني الكتاب (هدى لبني
اسرائيل أن لاتتخذوا) يعني وقلنا لهم لاتتخذوا (من دوني وكيلاً) يعني ربا كفيلا (ذرية) يعني ياذرية
(من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا) يعني ان نوحا كان كثير الشكر وذلك انه كان اذا أكل طعاما
أشرب شرابا أو لبس ثوبا قال الحمد لله فسماه الله عبدا شكورا لذلك قوله عز وجل (وقضينا الي بني
اسرائيل في الكتاب) يعني أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب انهم سيفسدون وهو قوله تعالى
(لتفسدن في الارض مرتين) وقال ابن عباس وقضينا عليهم في الكتاب فالي بمعنى على والمراد بالكتاب
الروح المحفوظ واللام في لتفسدن لام القسم تقديره والله لتفسدن في الارض يعني بالمعاصي والمراد
بالارض أرض الشام وبيت المقدس (ولتعلن) يعني ولتستكبرن ولتظلمن الناس (علوا كبيرا

(٢١ - (خازن) - ثالث) الارض (مرتين) أولهما قتل زكريا عليه السلام وحبس أرمياء عليه السلام
حين أنذرهم سخط الله والاخرى قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام وقصد قتل عيسى عليه السلام (ولتعلن علوا كبيرا) ولتستكبرن

عن طاعة الله من قوله ان فرعون علا في الارض والمراد به النبي والظلم وغلبة المفسدين على المصلحين (فاذا جاء وعد اولاهما) أي وعد عقاب اولاهما (بمنا عليكم) ساطنا عليكم (عبادنا اولى بأس شديد) أشداء في القتال يعني سنجاريب وجنوده أو يختصر أو جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا (١٦٢) المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا (فجاسوا لخلال الديار) ترددوا للفتنة فيها قال الزجاج الجوس

طلب الشيء بالاستقصاء (وكان وعدا مفعولا) وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل (ثم رددنا لكم الكرة) أي الدولة والغلبة (عليهم) على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والغلو قيل هي قتل يختصر واستنفاذ بني اسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل أعدنا لكم الدولة بملك طالوت وقتل داود جالوت (وأمددناكم باموال وبنين وجعلناكم أكثر تقيرا) مما كنتم وهو تمييز جمع نفر وهو من ينفر مع الرجل من قومه (ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها) قيل اللام بمعنى على كقوله وعليها ما كتبت والصحيح أنها على بابها لان اللام للاختصاص والعامل مختص بجزء عمله حسنة كانت أو سيئة يعني ان الاحسان والاساءة تختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما أحسن

فاذا جاء وعد اولاهما) يعني اولى المرتين قيل افسادهم في المرة الاولى هو ما خالفوا من أحكام التوراة وركبوا من المحارم وقيل افسادهم في المرة الاولى قتلهم شعبياء في الشجرة وارتيكاهم المعاصي (بعثنا عليكم عبادنا) يعني جالوت وجنوده وهو الذي قتله داود وقيل هو سنجاريب وهو من أهل ينسوى وقيل هو يختصر الباطلي وهو الاصح (أولى بأس شديد) يعني ذوى بطش وقوة في الحرب (فجاسوا لخلال الديار) يعني طافوا بين الديار ووسطها يطلبون نسك ليقبلوكم (وكان وعدا مفعولا) يعني قضاء كائننا لازما لا خلف فيه (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) يعني رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم من ذنوبكم ورجعتم عن الفساد (وأمددناكم باموال وبنين وجعلناكم أكثر تقيرا) يعني أكثر عددا (ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم) يعني طابوا بها وجزاء احسانها (وان أسأتم فلها) يعني فعلها اساءتها (فاذا جاء وعد الآخرة) يعني المرة الآخرة من افسادكم وهو قصدهم قتل عيسى نخلصه الله منهم ورفعهم اليه وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم فسبواهم وقتلواهم وهو قوله ته الى (ليسوا وجوهكم) يعني ليعززونكم وقرئ بالنون أي يسوء الله وجوهكم (وليدخلوا المسجد) يعني بيت المقدس ونواحيه (كما دخلوه اول مرة) يعني وقت افسادهم الاول (وليتبروا ما علوا تتييرا) يعني وليهلكوا ما غلبوا عليه من بلاد بني اسرائيل اهلا كما

ذكر القصة في هذه الآية

قال محمد بن اسحق كانت بنو اسرائيل فيهم الاحداث والنوب وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم ومحسنا اليهم وكان اول منازلهم بسبب ذنوبهم ان ملكا منهم كان يدعى صديقه وكان الله اذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا يسدده ويرشده ولا ينزل عليهم كتابا انما يؤمرون بانبايع التوراة والاحكام التي فيها فلما ملك صديقه بعث الله معه شعبياء وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وشعبياء هو الذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال أبشري أورشليم الآن ياتيك ركب الحمار ومن بعده صاحب البعير فلك ذلك الملك يعني صديقه بنى اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت الاحداث فيهم وكان معه شعبياء فبعث الله سنجاريب ملك بابل ومعه ستائة ألف راية فلم يزل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة كانت في ساقه فجاء شعبياء النبي اليه وقال يا ملك بنى اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده بستائة ألف راية وقد هابهم الناس وفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا بنى الله هل أتاك من الله وحى فباحث فتخبرنا به وكيف يفعل الله بنا وسنجاريب وجنوده فقال شعبياء لم يأتني وحى في ذلك فبيناهم على ذلك أوحى الله الى شعبياء النبي ان انت ملك بنى اسرائيل فمره ان يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته فأتى شعبياء ملك بنى اسرائيل وقال ان ربك قد أوحى الى أن أمرك أن توصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت فله اقل ذلك شعبياء لصديقه الملك أقبل على القبلة فصلى ودعا فقال وهو يبكي ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخاض اللهم رب الارباب واله الآلهة يا قدوس يا مقدس يا رحيم يا رحيم يا رؤف يا من لا تأخذ سنة ولا نوم اذ كرني بعملى وفعلى وحسن قضائى على بنى اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به من سرى وعلا نيتي لك فاستجاب الله له وكان عبدا صالحا فوحي الله الى شعبياء أن يخبر صديقه ان ربه قد استجاب له ورجعه وأخر أجله خمس عشرة سنة وأجابه من عدوه سنجاريب فاتاه شعبياء

الى أحد ولا اسأت اليهود نلاها) فاذا جاء وعد الآخرة) وعد المرة الآخرة بعثناهم (ليسوا) أي هؤلاء (وجوهكم) وحذف لدلالة ذكره أولا عليه أي ليجعلوا بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا بالسوء شامى وحزرة وأبو بكر والضمير لله عز وجل أولو وعدا ولابعث لسوءه على (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس (كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتييرا) ما علوا مفعول ليتبروا أي يهلكوا كل شئ غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم فاخبره

فاخبره فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الحزن وخر ساجدا لله وقال اهلبي واله آباي لك سجدت
 وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذي تعطي الملك من نشاء وتزعم الملك من نشاء وتعز من نشاء وتذل من نشاء
 عالم الغيب والشهادة أنت الاول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت
 الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع رأسه أوحى الله الى شعبياء أن قل للملك صديقة فيأمر عبد من
 عبده فيأتيه بماء التين فيجعله على فرحتة فيشفي فيصبح وقد برأ ففعل ذلك فشفي فقال الملك لشعبياء سل ربك
 ان يجعل لنا علماء بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لشعبياء قل له اني قد كفيبتك عدوك وأنجيتك منهم وانهم
 سيصبحون موتى كلهم الاسنجاريب وخسة نفر من كتابه أحدهم يختصر فلما أصبحوا جاء صارخ يصرخ
 على باب المدينة يا ملك بني اسرائيل ان الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه هلكوا وخرج
 الملك والخمس سنجاريب فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فادركه الطلب في مفازة ومعه خمسة نفر من
 كتابه أحدهم يختصر فجعلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم الملك فلما سأروهم خرسا جاد الله تعالى من حين طلعت
 الشمس الى العصر ثم قال لسنجاريب كيف رأيت فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأتم غافلون فقال
 سنجاريب قد أتاني خبر بكم ونصره اياكم ورحمته التي برحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشدا ولم
 لقني في الشقوة الاقولة عقلي ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم فقال الملك صديقة الحمد لله رب العالمين الذي
 كفاناكم بما شاء وان ربنا لم يمتك ومن معك لكرامتك عليه ولكنه انما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في
 دنيا وعذاب في الآخرة واتخبروا من وراءكم بما رأيت من فعل ربنا بكم فتندروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلك
 من معك ولدمك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلت ثم ان ملك بني اسرائيل أمر أمير حرسه
 ان يتقذف في رقابهم الجوامع ففعل وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايلياء وكان يرزقهم في كل يوم
 بدينارين من شعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب للملك صديقة التل خير مما نحن فيه وما يفعل بنا فأمر بهم
 الى السجن فأوحى الله الى شعبياء النبي أن قل للملك بني اسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه ليندروا من وراءهم
 ليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ ذلك شعبياء للملك ففعل وخرج سنجاريب ومن معه حتى
 سمو ابا بل فلما قدم جمع الناس فاخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك بابل قد كنا نقص
 عليك خبر ربهم وخبر نبينهم وأوحى الله الى نبينهم فلم تطعنا وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم وكان أمر
 سنجاريب تخويف النبي اسرائيل ثم كفاهم الله تعالى ذلك تذكرة وعبرة ثم ان سنجاريب لبث بعد ذلك سبع
 سنين ثم مات واستخلف على ملكه مختصر ابن ابنه فعمل بعمله وقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله
 على بني اسرائيل صديقة فرج أمر بني اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا وشعبياء نبينهم معهم
 يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله لشعبياء قم في قومك حتى أوحى على لسانك فلما قام أطلق الله لسانه بالوحي
 قال يا شعبياء استمعي ويا أرض انصتي فان الله يريد أن يقص شأن بني اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم
 نفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فآوى شاردها وجمع ضالتها
 جبر كسبرها وداوى مريضها وأسمن مهزولها وحفظ اسمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فتل
 بعضها بعضها حتى لم يبق منها عظم صحيح يجير اليه آخر فويل لهذه الأمة الخاطئة الذين لا يدرون أني جاءهم
 حين ان البعير مما يذ كروطنه فينتابه وان الحمار مما يذ كراي الذي يشبع عليه فيراجعه وان الثور مما
 كراي الذي سمن فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يذ كرون من حيث جاءهم الخير وهم أولوالالباب
 العقول ليسوا ببقير ولا جبرواني ضارب لهم مثالا فليس معوه قتل كيف ترون في أرض كانت خرابا زمانا
 عمران فيها وكان لها رب حكيم قوي فاقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه وهو قوي أو يقال ضيع
 هو حكيم فاحاط عليها جدارا وشيد فيها قصر أو أنبط فيها نهر أو صف فيها غراسا من الزيتون والرمان

والنخيل والاعناب وألوان الثمار كلها وولي ذلك واستحفظه فيها رأى ذاومة حفيظا قويا أينما فلما طلعت
 جاء طلوعها خرو باقفا الواست الارض هذه ففرى أن يهدم جدارها وقصرها ويدفن نهرها ويقبض قيمها
 ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول مرة خرابا وما اتالا عمران فيها قال الله تعالى قل لهم الجدار ديني والقصر
 شريعتي وان النهر كتابي وان القيم نبي وان الغراس هم وان الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة
 وانى قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وانه مثل ضربته لم يتقربون الى بذبح البقر والغنم وليس ينالني
 اللحم ولا آكله وبدعون أن يتقربوا الى بالتقوى والكف عن ذبح الأنفس التي حرمتها وأيديهم مخصوبة
 منها وتياهم متزملات بدمائها يشيدون لى البيوت مساجد ويظهرون أجوافها وينجسون قلوبهم
 وأجسادهم ويدنسونها بزوقون لى المساجد ويزنونها ويخربون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها فأى
 حاجة الى تشييد البيوت لست أسكنها وأى حاجة الى تزويق المساجد لست أدخلها إنما أمرت برفعها
 لاذكروا سبح فيها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تورصلتنا وصدقنا فلم ترك صدقتنا ودعونا
 بمنزل حنين الحمام وبيئنا بمنزل عواء الذئاب فى كل ذلك لا يستجاب لنا قال الله فاسألهم ما الذى يمنعنى أن
 أستجيب لهم ألتأسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين فكيف أرفع
 صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنورصلاتهم وقلوبهم صاغية الى
 من يحاربنى ويحادنى وينتهك محارمى أم كيف تزكو عندي صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم إنما
 آجر عليها أهلها المقصوبين أم كيف أستجيب لهم دعاءهم وإنما هو قوطم بألسنتهم والفعل من ذلك بعيد
 وإنما أستجيب للداعى اللين وإنما أستمع قول المستضعف المستكين وان من علام مراضا فى رضا المساكين
 يقولون لما سمعوا كلامى وبلغتهم رسالتى انها أقاويل منقولة وأحاديث متواترة وتا آليف مما تولى
 السحرة والكهنة وزعموا انهم لو شاؤا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا ولو شاؤا أن يطلعوا على علم الغيب بما
 توحى اليهم الشياطين اطعوا وانى قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء أثبتته وحثمته على
 نفسى وجعلت دونه أجلا مؤجلا لا بد انه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى انقذوا
 أى زمان يكون وان كانوا يتقدرون على أن يأتوا بما يشاؤون فليأتوا بمثل هذه القدرة التى بها مضيت قاتى
 مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يتقدرون على ان يؤلفوا ما يشاؤون فيؤلفوا مثل هذه
 الحكمة التى ادبر بها ذلك القضاء ان كانوا صادقين وانى قد قضيت يوم خلقت السماء والارض ان أجعل
 النبوة فى الاجراء وان أجعل الملك فى الرعاء والعز فى الاذلاء والقوة فى الضعفاء والغنى فى الفقراء والعلم فى
 الجهلة والحكمة فى الاميين فسلهم متى هذا ومن القائم بهذا من أعوان هذا الامر وأصاره ان كانوا
 يعلمون وانى بلغت لذلك نبيا ميا ليس أعمى من عميان ولا ضالا من ضالين وليس بفظ ولا غليظ ولا ضحاح
 فى الاسواق ولا منزىن بالفحش ولا قوال للخنا أسدده بكل جيل وأهب له كل خلق كريم أجعل السكينة
 لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه
 والعدل سيرته والحق شريعته واطدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة
 وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الجمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد العيلة
 وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء مشتتة وأمم متفرقة واجعل أمته خیرامة أخرجت
 للناس يأمررون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدى وإيمانى واخلاصى يصلون قياما وقعودا
 وركعا وسجودا ويقفون فى سبلى صفوف أزحوا وبخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتى
 ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والتهليل والمدحة والتمجيد لى فى مسيرهم ومجالسهم
 ومناجعتهم ومتقلبهم ومشاوهم يكبون ويهللون ويقدمون على رؤس الاشراف يطهرون لى الوجوه

والاطراف و يعقدون لى الثياب على الاتصاف قربانهم دماؤهم وأنجيلهم فى صـ دورهم رهبان بالليل
ليوث بالنهار ذلك فضلى أو نيه من أشاء وأنادو الفضل العظيم فلما فرغ شعبياء من مقاتته عدوا عليه ليقتلوه
فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ بهدبة من ثوبه فاراهم اياها
فوضعوا المنشار فى وسطها فنشروها حتى قطعوها و قطعوه فى وسطها واستخلف الله على بنى اسرائيل بعد
ذلك رجلا منهم يقال له ناشة بن أموص و بعث لهم ارمياء بن حلقيا نبيا وكان من سبط هرون بن عمران
وذ كرا بن اسحق أنه الخضر واسمه ارمياء سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهى نهتز
خضراء فبعث الله ارمياء الى ذلك الملك ليسدده و يرشده ثم عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وركبوا
المعاصى واستحلوا المحارم فاوحى الله الى ارمياء ان ائت قومك من بنى اسرائيل فاقصص عليهم ما أمرك به
وذ كرهم نعمى وعرفهم باحد اسمهم فقال ارمياء يارب انى ضعيف ان لم تقونى عاجزان لم تبلغنى مخدول ان
لم تنصرنى قال الله تعالى أولم تعلم ان الامور كلها تصدر عن مشيئتى وان القلوب والألسنة بيدى ألقبها كيف
شئت انى معك ولن يصل اليك شئ معى فقام ارمياء فيهم ولم يدري ما يقول فاهمه الله عز وجل فى الوقت خطبة
بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله عز وجل وانى حلفت بعزتى لا قيض
لهم فتنه يتحير فيها الحليم ولا سلطان عليهم جبار اقسيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل
سواد الليل المظلم ثم أوحى الله الى ارمياء انى مهلك بنى اسرائيل ييافت و يافت من أهل بابل فسلط الله عليهم
بمختصر نخرج فى ستمائة ألف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطى الشام و قتل بنى اسرائيل حتى أفناهم
وخرّب بيت المقدس وأمر جنوده أن يلا كل رجل منهم ترسه ترابهم يقذفه فى بيت المقدس ففعلوا ذلك
حتى املؤه ثم أمرهم ان يجمعوا من فى بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بنى
اسرائيل فاختر منهم سبعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين
كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بنى اسرائيل فقسمهم
بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم أربعة غلمان و فرق من بقى من بنى اسرائيل ثلاث فرق
ثلثا أقرهم بالشام وثلثا سباهم وثلثا قتلهم وذهب بانايت المقدس وبالصبيان السبعين ألفا حتى أقدمهم
بابل فكانت هذه الواقعة الاولى التى أنزل الله عز وجل بينى اسرائيل بظلمهم فذلك قوله سبحانه وتعالى فاذا
جاء وعد أولاهما بعثنا عليهم عبادنا أولى بأس شديد يعنى بختنصر وأصحابه ثم ان بختنصر أقام فى سلطانه
ما شاء الله ثم رأى رؤيا عجيبة اذ رأى شيئا أصابه فانساه الذى رأى فعد اعدائال وحنانيا وعزاريا وميشائيل
وكانوا من ذرارى الانبياء وسألهم عنها فقالوا أخبرنا بما نخبرك بتأويلها فقال ما أذ كرها ولئن لم تخبرونى
بها وبتأويلها لانزعن أكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا اليه فاعلمهم الله بالذى سألم
عنه فجاءه فقالوا رأيت تمنا لا قدماه وساقاه من نثار وركبتاه ونخذه من نحاس و بطنه من فضة و صدره من
ذهب ورأسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فينبأ أنت تنظر اليه وقد أعجبك أرسل الله صخرة من
السماء فدقته فهى التى أنتسكها قال صدقتم فأتاؤ يلهاقوانا و يلهانك رأيت الملوك بعضهم كان ألين
ملكاً و بعضهم كان أحسن ملكاً و بعضهم كان أشد ملكاً والفخار أضعفه ثم فوقه النحاس أشد منه
ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل والذهب أحسن من الفضة وأفضل ثم الحديد ملكك فهو
أشد وأعز مما قبله والصخرة التى رأيت أرسل الله من السماء فدقته فنبى بعنه الله من السماء فيدق ذلك أجمع
و يصير الامر اليه ثم ان أهل بابل قالوا بختنصر رأيت هؤلاء الغلمان من بنى اسرائيل الذين سألناك ان
تعطيناهم ففعلت فانا قد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا القدر أينا نسانا انصرفت وجوههن عنا اليهم فاخرجهم
من بين أظهرنا و اقتلهم فقال شأنكم بهم فمن أحب منكم ان يقتل من كان فى يده فليفعل فلما قربوهم

للقتل بكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا يا ربنا اصابتنا البلاء بذنوب غيرنا فوعدهم الله ان يحبيهم فقتلوا
 الامن كان منهم مع مختصر منهم دانيال وحنانيا وعزرا ياوميشائيل ثم لما اراد الله تعالى هلاك مختصر
 انبعث فقال لمن في يده من بني اسرائيل ارايتم هذا البيت الذي خربت والناس الذين قتلتم منكم وما هذا
 البيت قالوا هو بيت الله وهو لاهل اهله كانوا من ذراري الانبياء فظلموا وتعدوا فاسطت عليهم بذنوبهم وكان
 ربهم رب السموات والارض ورب الخلائق كلهم بكرمهم وبغزهم فلما فعلوا ما فعلوا اهلكهم وسلط عليهم غيرهم
 فاستكبر وتجبروا وظن انه يجبرونه ففعل ذلك ببني اسرائيل قال فاخبروني كيف لي ان اطلع الى السماء العليا
 فاقتل من فيها واتخذها لي ملكا فاني قد فرغت من اهل الارض قالوا ما يقدر عليها احد من الخلائق قال
 لنفعلن اولاً قتلناكم عن آخركم فبكوا وتضرعوا الى الله تعالى فبعث الله عز وجل عليه بقدرته بعوضة
 فدخلت منخره حتى عضت ام دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأه رأسه على ام دماغه فلما مات
 شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على ام دماغه ليرى الله العباد قدرته ونجى الله من يقي من بني اسرائيل
 في يده ووردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على احسن ما كانوا عليه ويزعمون ان الله سبحانه وتعالى
 احيا اولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم من الله عهد كانت التوراة
 قد احترقت وكان عزير من السبائيا الذين كانوا يبابل فلما رجع الى الشام جعل يبكي ليله ونهاره وخرج عن
 الناس فيبينا هو كذلك اذ جاءه رجل فقال له يا عزير ما يبكيك قال ابكي على كتاب الله وعهده الذي كان بين
 اظهرنا الذي لا يصلح ديننا وآخرنا غيره قال افتح اب ان يرد اليك قال نعم قال ارجع فصم ونظروا وظهر
 ثيابك ثم موعدهك هذا المكان غدا ارجع عزير فصام ونظروا وظهر ثيابه ثم عمدا الى المكان الذي وعده
 فجلس فيه فانا ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعنه الله اليه فسقاه من ذلك الاناء فثلت التوراة في صدره
 فرجع الى بني اسرائيل فوضع لهم التوراة فاحبوه حبوا وحبوا احبه شيا قاط ثم قبضه الله تعالى وجعلت بنو
 اسرائيل بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففرقا يكذبون وفرقا يقتلون
 حتى كان آخر من بعث اليهم من انبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت آل داود فزكريا
 مات وقيل قتل وقصدوا عيسى ليقتلوه فرفعه الله من بين اظهرهم وقتلوا يحيى فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم
 ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم امر راسا
 من رؤساء جنوده يقال له بيورزاذان صاحب القتل فقال له اني قد كنت حلفت بالهي اثن انا نظرت على
 اهل بيت المقدس لاقتلهم حتى يسيل الدم في وسط عسكري الا ان لا اجد احدا اقتله فامرته ان يقتلهم حتى
 يبلغ ذلك منهم ثم ان بيورزاذان دخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد
 فيها دما يغلي فسالهم عنه فقال يابني اسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي اخبروني خبره فقالوا هذا دم قربان لنا
 قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلي ولقد قربنا القربان من ثمانمائة سنة فتقبل منا الا هذا فقال ما صدقتموني
 فقالوا لو كان كأول زماننا لتقبل منا ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحى فلذلك لم يقبل منا فخرج
 بيورزاذان منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين روحا من رؤسهم فلم يهدأ الدم فامر بسبعمائة غلام من
 غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فامر بسبعمائة آلف من شبهم وازواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما
 رأى بيورزاذان ان الدم لا يهدأ قال لهم يابني اسرائيل ويلكم اصدقوني واصبروا على امر ربكم فقد طالما
 ملكتم في الارض تفعلون ما شئتم قبل ان لا اترك منكم نافع نار من ذكر ولا اثنى الاقتلته فلما راوا الجهد وشدة
 القتل صدقوه الخبر فقالوا ان هذا دم نبي كان ينهانا عن امور كثيرة من سخط الله تعالى فلو كنا اطعناه كنا
 ارشدنا وكان نجبرنا عن امركم فلم نصدق فقتلناه فهذا دم فقال لهم بيورزاذان ما كان اسمه فقالوا يحيى بن
 زكريا قال الآن صدقتموني لئلا هذا ينتقم بكم منكم فلما علم بيورزاذان انهم صدقوه خرسا جدا وقال لمن

(عسى ربكم أن يرجمكم) بعد المرة الثانية ان تبتنم توبة أخرى وانزجرتنم عن المعاصي (وان عدتم) مرة ثالثة (عدنا) الى عقوبتكم وقد عادوا
فأعاد الله عليهم النعمة بتسليط الاكسرة وضرب الاناوة عليهم وعن ابن عباس (١٦٧) رضى الله عنهما سلط عليهم

المؤمنون الى يوم القيامة
(وجعلنا جهنم للكافرين
حصيرا) محبسا يقال
للسجن محصروا حصيرا
(ان هذا القرآن يهدي
للتى هي أقوم) للحالة التى
هى أقوم الحالات وأسدّها
وهى توحيد الله والايمان
برسله والعمل بطاعته أو
للملة أو للطريقة (ويبشر
المؤمنين الذين يعملون
الصالحات) ويبشر حمزة
وعلى (أن لهم) بان لهم
(أجرا كبيرا) أى الجنة
(وأن الذين) وبان الذين
(لا يؤمنون بالآخرة
أعدنا) أى أعدنا قلبت
تاء (لهم عذابا ليليا) يعنى
النار والآية ترد القول
بالنزلة بين المنزلتين حيث
ذكر المؤمنين وجزاءهم
والكافرين وجزاءهم
ولم يذكر الفسقة (ويبدع
الانسان بالشردعاءه بالخير)
أى وبدعوا الله عند غضبه
بالشر على نفسه وأهله
وماله وولده كما يدعوا لهم
بالخير أو يطلب النفع
العاجل وان قل بالضرر
الآجل وان جل (وكان
الانسان عجولا) يتسرع
الى طلب ما يقع فى قلبه

حواله أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش وخلافى بنى اسرائيل ثم قال يا يحيى بن
زكريا قد علم ربى ور بك ما أصاب قومك من أجلك ومن قتل منهم فاهدا بأذن ربك قبل أن لأبقي من
قومك أحدا الاقتلته فهدا الدم بأذن الله تعالى ورفع بيورزاذان عنهم القتل وقال آمنت بما آمنت به بنو
اسرائيل وأيقنت أنه لا رب غيره وقال ابني اسرائيل ان خردوش أمرنى أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم
وسطعسكروه وانى لا أستطيع أن أعصيه قالوا له افعلى ما أمرت به فامرهم فخرروا واخذوا أمرهم باموالهم من
الخيول والبغال والحير والابل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم فى العسكر وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل
ذلك فطرحوا على ما قتل من المواشى فلم يظن خردوش الا أن ما فى الخندق من دماء بنى اسرائيل فلما بلغ الدم
عسكره أرسل الى بيورزاذان أن ارفع عنهم القتل ثم انصرف الى بابل وقد أفى بنى اسرائيل أو كاد أن يفنيهم
وهى الواقعة الاخيرة التى أنزل الله بينى اسرائيل فى قوله اتفسدن فى الارض مرتين فكانت الواقعة الاولى
بختنصر وجنوده والاخرى خردوش وجنوده وكانت أعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك
بالشام ونواحيها الى الروم واليونانيين الا أن بقايا بنى اسرائيل كثروا وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس
ونواحيها على غير وجه الملك وكانوا فى نعمة الى ان بدلوا وأحدثوا الاحداث فسلط الله عليهم ططوس بن
اسديانوس الرومى فغرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة والمسكنة
فالبثوا فى أمة الاو عليهم الصغار والجزية وبقى بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب فعمره
المسلمون بامرهم وقيل فى سبب قتل يحيى عليه السلام ان ملك بنى اسرائيل كان يكرمه ويدنى مجلسه وان
الملك هو بنى بنت امرأته وقال ابن عباس ابنة أخيه فسأل يحيى تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها
فخفت على يحيى وعمدت حين جلس الملك على شرابه فالبستها ثيابا قاقاجرا وطيبتها وألبستها الخلى وأرسلتها
الى الملك وأمرتها أن تسقيه فان هوراودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته فاذا أعطاها ما سألت
سالت رأس يحيى بن زكريا وأن يؤتى به فى طست ففعلت فلما راودها قالت لا أفعلى حتى تعطينى ما سألك قال
فما سألتنى قالت رأس يحيى بن زكريا فى هذا الطست فقال ويحك سلينى غير هذا قالت ما أريد غير هذا فلما
أبت عليه بعث فأتى برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم يقول لا يحل لك فلما أصبح اذا دمه يغلى فامر
بتراب فألقى عليه فرقى الدم يغلى فلا زال يغلى ويلقى عليه التراب وهو يغلى حتى بلغ سور المدينة وهو فى ذلك
برقى ويغلى وسلط الله عليهم ملك بابل فغرب بيت المقدس وقتل سبعين ألفا حتى سكن دمه ﴿ قوله عز وجل
(عسى ربكم أن يرجمكم) يعنى يابنى اسرائيل بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم (وان عدتم) أى الى المعصية
(عدنا) أى الى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم عليهم فهم يعطون الجزية عن يد
وهم صاغرون (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أى سجنوا ومحسنا من الحصر الذى هو مجلس الحبس
وقيل فراشا من الحصر الذى يسط ويقترب ﴿ قوله تعالى (ان هذا القرآن يهدي للتى هي أقوم) أى الى
الطريقة التى هى أصوب وقيل الى الكامة التى هى أعدل وهى شهادة أن لا اله الا الله (ويبشر) يعنى القرآن
(المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) يعنى الجنة (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعدنا لهم
عذابا ليليا) يعنى النار فى الآخرة (ويبدع الانسان) أى على نفسه وولده وماله (بالشر) يعنى قوله عند الغضب
اللهم أهلكه اللهم عنه ونحو ذلك (دعاءه بالخير) أى كدعائه به ان يهب له النعمة والعافية ولو استجاب
الله دعاءه على نفسه هلك ولكن الله لا يستجيب بفضلهم وكرمه (وكان الانسان عجولا) أى بالدعاء على ما يكره

ويخطر بباله لا يتأتى فيه تانى المتبصر أو أرى بدلا لانسان الكافر وانه يدعوه بالعذاب استهزاء ويسمى به كما يدعوا بالخير اذا مسته الشدة
وكان الانسان عجولا يعنى ان العذاب آتية لا محالة فهاذا الاستهجال وعن ابن عباس رضى الله عنهم اهو النضر بن الحرث قال اللهم ان كان
هداهو الحق من عندك الآية فاجيب فضر بت عنقه صبرا وسقوط الواو من يدع فى الخط على موافقة اللفظ

(وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) أي الليل والنهار آيتان في أنفسهما فتكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المدد وأي فحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة أو وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يري الشمس والقمر فحونا آية (١٦٨) الليل التي هي القمر حيث لم يخاق له شعاعا كشعاع الشمس فترى الاشياء به

أن يستجاب له فيه وقال ابن عباس معناه ضجر الاصب له على سراء ولاضراء في قوله سبحانه وتعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين) أي علامتين داليتين على وحدانيتنا وقدرتنا وفي معنى الآية قولان أحدهما أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار وهو أنه جعلهما دليلين للمخلق على مصالح الدنيا والدين أما في الدين فلأن كل واحد منهما مضاد للآخر مغاير مع كونهما متعاقبين على الدوام ففيه أقوى دليل على انهما مدبرا يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة وأما في الدنيا فلأن مصالح العباد لا تتم الا بهما ففي الليل يحصل السكون والراحة وفي النهار يحصل التصرف في المعاش والكسب والقول الثاني أن يكون المراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يري الشمس والقمر (فحونا آية الليل) أي جعلنا الليل محو الضوء مطمونا مظلمة لا يستبان فيه شيء (وجعلنا آية النهار مبصرة) أي تبصر فيه الاشياء رؤية بينة قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزأ ونور القمر كذلك فحما من نور القمر تسعة وستين جزأ فجعلها مع نور الشمس وحكى ان الله أمر جبريل فامر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور وسأل ابن الكوا عن السواد الذي في القمر فقال هو أثر الحمو (لتبتغوا فضلا من ربكم) أي لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة أعمالكم والتصرف في معاشكم (ولتتعلموا) أي باختلاف الليل والنهار (عدد السنين والحساب) أي ما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم أحد حساب الاوقات ولتعتلت الامور ولو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدرك الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولا وقت حلول الديون المؤجلة واعلم ان الحساب يبني على أربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب لها ونها من الشهور والايام والساعات وايس بعد هذه المراتب الاربعة الا التكرار (وكل شيء فصلناه تفصيلا) يعني وكل شيء تفتقرون اليه من أمر دينكم ودنياكم قد بيناه بياننا شافيا واضحا غير ملتبس وقيل انه سبحانه لما ذكر احوال آيتي الليل والنهار وعما من وجهه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان من الله تعالى على أهل الدنيا وكل ذلك تفضل منه فلا جرم قال وكل شيء فصلناه تفصيلا في قوله عز وجل (وكل انسان أزمانه طائرته في عنقه) قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان وقيل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقيل ما من مولود الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد وقيل أراد بالطائر ما قضى عليه انه عام له وما هو صائر اليه من سعادة أو شقاوة وقيل هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني أزمانه ما طار له من عمله لزوم القلادة والغل لا ينفك عنه والغلق في قوله في عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا في عنقك أي قلدتك هذا العمل وألزمك الاحتفاظ به وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء لانه موضع القلائد والاطواق والغل مما يزين أو يشين فان كان عمله خيرا كان له كالقلادة أو الحلي في العنق وهو مما يزينه وان كان عمله شرا كان له كالغل في عنقه وهو مما يشينه ويخرج له يقول تبارك وتعالى (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) حال من يلقاه يعني غير مطوى ليمكنه قراءته أو عما صفتان للكتاب وقول له (اقرأ كتابك) أي يقال له اقرأ كتابك قبل يقرأ يوم القيامة من لم يكن قارئاً (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) أي محاسباً قال الحسن لقد

رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوءها كل شيء (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتتوصلوا ببياض النهار الى التصرف في معاشكم (ولتتعلموا) باختلاف الجديدين (عدد السنين والحساب) يعني حساب الآجال ومواسم الاعمال ولو كانا مثلين لما عرف الليل من النهار ولا استراح حواصل المكنتين والتجار (وكل شيء) مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلا) بيناه بياناً غير ملتبس فازحنا علمكم وماتركنا لكم حجة علينا (وكل انسان أزمانه طائرته) عمله (في عنقه) يعني ان عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل للعنق لا ينفك عنه (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه) هو صفة لكتابا يلقاه منشورا) حال من يلقاه يعني غير مطوى ليمكنه قراءته أو عما صفتان للكتاب وقول له (اقرأ كتابك) أي كتابك

أعمالك وكل يبعث قارئاً (كفى بنفسك اليوم عليك) الباء زائدة أي كفى نفسك (حسيبا) تمييزاً وهو بمعنى حاسب وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا أو بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكتفي المدعى بالهمة وانما ذكر حسيبا لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير اذا الغالب أن يتولى هذه الامور الرجال فكأنه قيل كفى نفسك رجلاً حسيباً أو تزول النفس بالشخص

من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) أي فلها ثواب الاهتداء وعليها وبالاضلال (ولا تزروا زرة وزرا أخرى) أي كل
 نفس حاملة وزر فانما تحمل وزرها الا وزر نفس أخرى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وما صح منا أن نعذب قوما عذاب استتصال في
 الدنيا الا بعد أن نرسل اليهم رسولا يلزمهم الحجية (واذا أردنا أن نهلك قرية) أي أهل قرية (أمرنا مترفيها) متنعمة بها وجبارتها بالطاعة عن
 بني عمرو والزجاج (ففسقوا فيها) أي خرجوا عن الامر كقولك أمرته فعصى (١٦٩) أو أمرنا كثيرا لدليله قراءة يعقوب

أمرناومه الحديث خير
 المال سكة مأبورة ومهرة
 مأبورة أي كثيرة النسل
 (حق عليها القول) فوجب
 عليها الوعيد (فدمرناها
 تدميرا) فاهلكناها
 اهلا كما (وكم) مفعول
 (أهلكنا من القرون)
 بيان لكم (من بعد نوح)
 يعني عاد وثمود وغيرهما
 (وكني بربك بذنوب
 عباده خيرا) وان أخفوها
 في الصدور (بصيرا) وان
 أرخوا عليها الستور (من
 كان يريد العاجلة عجلنا له
 فيها ما نشاء) لا ما يشاء
 (لمن يريد) بدل من له
 باعادة الجار وهو بدل البعض
 من الكل اذا ضمير يرجع
 الى من أي من كانت
 العاجلة هم ولم يرد غيرها
 كالكفرة تفضلنا عليه من
 منافعها بما نشاء لمن يريد
 فقيده المجل بمشيئته
 والمجل له بارادته وهكذا
 الحال ترى كثيرا من
 هؤلاء يتمنون ما يتمنون
 ولا يعطون الا بعضا منه
 وكثيرا منهم يتمنون ذلك

عدل عليك (١) من جعلك حسيب نفسك وقيل يقول الكافر انك لست بظلام للعبيد فاجعلني
 أحاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴿ قوله سبحانه وتعالى (من
 اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) يعني ان ثواب العمل الصالح مختص بفاعله وعقاب
 الذنب مختص بفاعله أيضا ولا يتعدى منه الى غيره ﴿ وهو قوله تعالى (ولا تزروا زرة وزرا أخرى) أي لا تحمل
 حاملة ثقل أخرى من الآثام ولا يؤخذ أحد بذنب أحد بل كل أحد مختص بذنبه (وما كنا معذبين
 حتى نبعث رسولا) لاقامة الحجية وقطع العذر وفيه دليل على ان ماوجب انما يجب بالسمع لا بالعقل ﴿ قوله
 سبحانه وتعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) في معنى الآية قولان أحدهما ان المراد منه
 الامر بالفعل ثم ان لفظ الآية يدل على انه تعالى باذا أمرهم فقال أكثر المفسرين معناه انه تعالى
 أمرهم بالاعمال الصالحة وهي الايمان والطاعة وفعل الخير والقوم خالفوا ذلك الامر وفسقوا والقول
 الثاني أمرنا مترفيها أي كثيرا فاسفها يقال أمر القوم اذا كثروا وأمرهم الله اذا كثروهم ومنه الحديث
 خير المال مهرة مأبورة أي كثيرة النتائج والنسل فعلى هذا قوله تعالى أمرنا ليس من الامر بالفعل والمترف
 هو الذن أبطرته النعمة وسعة العيش (ففسقوا فيها) أي خرجوا عما أمرهم الله به من الطاعة (حق عليها
 القول) أي وجب عليها العقاب (فدمرناها تدميرا) أي أهلكناها اهلا كما استتصال والدمار الهلاك
 والخراب (ق) عن أم المؤمنين زينب بنت جحش ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله
 الا الله ويل للعرب من شرقا اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق باصبعه الايهام
 والتي تليها قالت زينب قلت يا رسول الله أنهم هلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثرا خبث قوله ويل للعرب
 ويل كلمة تقال لمن وقع في هلكة أو أشرف أن يقع فيها وقوله اذا كثرا خبث قوله ويل للعرب
 أهلكنا من القرون) أي المكذبة (من بعد نوح) وهم عاد وثمود وغيرهم من الامم الخالية يخوف الله
 بذلك كفار قريش قال عبد الله بن أبي أوفى القرن عشرون ومائة سنة فكان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم في أول قرن و يزيد بن معاوية في آخره وقيل القرن مائة سنة وروى عن محمد بن القاسم عن عبد الله
 ابن بشر المازني ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأسه وقال سيء عيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن
 القاسم ما زلت اعدله حتى تمت له مائة سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل أر بعون (وكني بربك بذنوب
 عباده خيرا بصيرا) يعني انه عالم بجميع المعلومات راء لجميع المرئيات لا يخفى عليه شيء من أحوال الخلق ﴿ قوله
 عز وجل (من كان يريد العاجلة) أي الدار العاجلة يعني الدنيا (عجلنا له فيها ما نشاء) أي من البسط
 أو التقدير (لمن يريد) أن تفعل به ذلك أو اهلا كه وقيل في معنى الآية عجلنا له فيها ما نشاء لمن يريد أي القدر
 الذي نشاء نجعله في الدنيا الذي يشاء هو لمن يريد أن نجعل له شيئا قدرناه له وهذا لمن أراد بعمله ظاهر
 الدنيا ومنفعتنا وبيان ان من أرادها لا يدرك منها الا ما قدر له (ثم جعلنا له) أي في الآخرة (جهنم
 بصلاها) أي يدخلها (مذموما مدحورا) أي مطرودا مبعدا ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ومن أراد

(٢٢ - (خازن) - ثالث) وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة وأما المؤمن التقي فقد اختار
 غنى الآخرة فان أوتي حظا من الدنيا فيها والافر بما كان الفقر خيرا له (ثم جعلنا له جهنم) في الآخرة (بصلاها) يدخلها (مذموما) محقوتا
 (مدحورا) مطرودا من رحمة الله (ومن أراد
 (١) قوله عدل عليك هكذا في الاصل الطبع وفي بعض النسخ اليك بدل عليك وفي الخطيب عدل والله في حقه من الخ وفي الكشاف يا ابن
 آدم أنصفك والله من الخ اه مصحح

الآخرة وسعى لها سعيها) هو مفعول به وأوحقها من السعي وكفأها من الأعمال الصالحة (وهو مؤمن) مصدق لله في وعده ووعدته (فأولئك
 كان سعيهم مشكورا) مقبولا عند الله مثابا عليه عن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب
 وثلاث الآيات فانه شرط فيه ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة والسعي فيما كلف والإيمان الثابت (كلا) كل واحد من الفريقين
 والتنوين عوض عن المضاف اليه وهو منصوب بقوله (عده هؤلاء) بدل من كلاً أي عده هؤلاء (وهؤلاء) أي من أراد العاجلة ومن أراد
 الآخرة (من عطاء ربك) رزقه ومن تتعلق بنعمه والعطاء اسم للمعطى أي نزل يدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه ممددا للسالف لا تقطعه
 فترزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا عن عباده وان عصوا (أنظر) يعين الاعتبار (كيف
 فضلا بعضهم على بعض) في المال (١٧٠) والجاه والسعة والكمال (وللا آخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا)

روى ان قوما من الاشراف
 فن دونهم احتجوا باب
 عمر رضي الله عنه خرج
 الاذن لبلال وصهيب فشق
 على أبي سفيان فقال سهيل
 ابن عمرو انما أوتينا من قبل
 انهم دعوا ودعينا يعني الى
 الاسلام فامر عوا وأبطانا
 وهذا باب عمر فكيف
 التفاوت في الآخرة وامن
 حسدتموهم على باب عمر
 أعد الله لهم في الجنة أكثر
 (لا تجعل مع الله الها آخر)
 الخطاب للنبي صلى الله عليه
 وسلم والمراد به أمته
 (فتقعد مذموما مخذولا)
 فتصير جامعا على نفسك
 القدم والمخذلان وقيل
 مشنوما بالاهانة محروما عن
 الاعانة اذا أخذ لان ضد
 النصر والعون دليله قوله
 تعالى ان ينصركم الله فلا
 غالب لكم وان يخذلكم
 فمن ذا الذي ينصركم من

الآخرة وسعى لها سعيها) أي عمل لها عملها (وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) أي مقبولا لقبيل
 في الآية ثلاث شرائط في كوني السعي مشكورا ارادة الآخرة بعمله بان يعقد بها همه ويتجاني عن دار
 الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والإيمان الصحيح الثابت وعن بعض السلف الصالح من لم يكن
 معه ثلاث لم ينفعه عمله إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وثلاث الآيات ﴿ قوله عز وجل (كلاً عده هؤلاء
 وهؤلاء) أي عده كلاً الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة (من عطاء ربك) يعني رزقهما جميعاً
 يختلف الحال بهما في المال (وما كان عطاء ربك محظورا) أي ممنوعا عن عباده والمراد بالعطاء العطاء في
 الدنيا اذ لا حظ للكافر في الآخرة (انظر) يا محمد (كيف فضلا بعضهم على بعض) أي في الرزق والعمل يعني
 طالب العاجل وطالب الآخرة (وللا آخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) يعني ان تفاضل الخلق في درجات
 منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات منافع الآخرة أكبر وأعظم فان نسبة التفاضل في درجات
 الآخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا فاذا كان الانسان تشدد رغبته في طلب
 الدنيا فلا أن تقوى وتشدد رغبته في طلب الآخرة أولى لانهادار المقامة ﴿ قوله تعالى (لا تجعل مع الله الها
 آخر) الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل أيها الانسان مع الله الها آخر وهذا
 أولى (فتقعد مذموما) أي من غير جد (مخذولا) أي بغير ناصر ﴿ قوله سبحانه (وقضى ربك) أي وأمر
 ربك قاله ابن عباس وقيل معناه وأوجب ربك وقيل معناه الحكم والجزم وقيل ووصى ربك وحكى عن
 الضحاك انه قرأها ووصى ربك وقال انهم أصقوا الواو بالصاد فصار قافا وهي قراءة علي وابن مسعود قال الامام
 نخر الدين الرازي في تفسيره الكبير هذا القول يعيد جدا لانه يفتح باب التحريف والتغيير قد تطرق
 الى القرآن ولوجوزنا ذلك لارتفع الامان عن القرآن وذلك يخرج عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم
 في الدين (الأتعبوا الاياه) فيه وجوب عبادة الله والمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق لان العبادة عبارة
 عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لان ذلك الامن له الانعام والافضال على عباده ولا منعم الا
 الله فكان هو المستحق للعبادة لا غيره (وبالوالدين احسانا) أي وأمر بالوالدين احسانا أي برهما وعظما
 عليهما واحسانا اليهما (اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) معناه انهما يبلغان الى حالة الضعف
 والعجز فيصيران عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أول العمر واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما
 ذكر هذه الجملة كلف الانسان في حق الوالدين خمسة أشياء ﴿ الاول قوله تعالى (فلاتقل لهما أف) وهي

بعده حيث ذكر الخذلان بمقابلة النصر (وقضى ربك) وأمر امرأ مقطوعا به (الأتعبوا الاياه) كلمة
 أن مضرة ولا تعبد وانهي أو بان لا تعبدوا (وبالوالدين احسانا) وأحسنوا بالوالدين احسانا أو بان تحسنوا بالوالدين احسانا (اما يبلغن
 عندك الكبر) اما هي ان الشرطية زيدت عليهما مائتا كيداطا ولذا دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت ان لم يصح دخولها
 لاتقول ان تكبر من زيد بكبرمك ولكن امانك كبر منه (أحدهما) فاعلمن يبلغن وهو في قراءة حمزة وعلى يبلغان بدل من ألف الضمير
 الراجع الى الوالدين (أو كلاهما) عطف على أحدهما فاعلا وبديلا (فلاتقل لهما أف) مدني وحفص أف مكى وشامى أف غيرهم وهو
 صوت يدل على نضج الكبر على أصل التفاء الساكنين والفتح للتحفيف والتنوين لارادة التنكير أي أنضج نضجرا وتركه لتقصده
 التعريف أي أنضج نضجرا المعلوم

(ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يوجبك والنهي والنهر اخوان (وقل لهما) بدل التافيق والنهر (قولا كريما) جيلنا
 كما يقتضيه حسن الادب وهو ان يقول يا ابتاه يا امه ولا يدعوهما باسماتهما فانه من الجفاء ولا باس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عن
 نحلي أبو بكر كذا وفائدة عندك انهما اذا صارا كلا على ولدهما ولا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك أشق عليه فهو مأمور
 بان يستعمل معهما لين الخلق حتى لا يقول لهما اذا أضجره ما يستقدر منهما أف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث
 افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ثم ضيق الامر في مراعاتهما (١٧١) حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من

المتضجر مع موجبات
 الضجر ومع أحوال لا يكاد
 يصبر الانسان معها
 (واخفض لهما جناح الذل)
 أي اخفض لهما جناحك
 كما قال واخفض جناحك
 للمؤمنين فاضافه الى الذل
 كما أضيف حاتم الى الجود
 والمعنى واخفض لهما جناحك
 الذليل (من الرحمة) من
 فرط رحمتك لهما وعطفك
 عليهما الكبر هما وافتقارهما
 اليوم الى من كان أفقر
 خلق الله اليهما بالامس وقال
 الزجاج وألن جانبك
 متذلل لهما من مبالغتك
 في الرحمة لهما (وقل رب
 ارحهما كما ربياني صغيرا)
 ولا تكف برحمتك عليهما
 التي لا بقاء لها وادع الله
 بان يرحمهما رحمة الباقية
 واجعل ذلك جزاء لرحمتها
 عليك في صفرك وتربيتها
 لك والمراد بالخطاب غيره
 عليه السلام والدعاء مختص
 بالابوين المسلمين وقيل
 اذا كانا كافرين له أن
 يسترحم لهما بشرط الايمان

كلمة تضجرو كراهية وقيل ان أصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب أو رماد ونفخت فيه تزيه تقول
 أف ثم انهم توسعوا به كرهذه الكلمة الى كل مكروه يصل اليهم والثاني قوله (ولا تنهرهما) أي تزجرهما
 عما يتعاطيانه مما لا يوجبك يقال نهره وانهى عنه فان قلت المنع من التأنيف بالغ من المنع من الاتهار فما
 وجه الجمع قلت المراد من قوله ولا تنقل لهما أف المنع من اظهار الضجر بالتقليل والكثير والمراد من قوله
 ولا تنهرهما المنع من اظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليهما الثالث قوله (وقل لهما قولا كريما)
 أي حسنا جيلنا كما يقتضيه حسن الادب معهما وقيل هو يا امه يا ابتاه وقيل لا يكتفيهما وقيل هو ان
 يقول لهما كقول العبد الذليل المذنب للسيد الفظ الغليظ الرابع قوله عز وجل (واخفض لهما جناح
 الذل) أي ألن لهما جناحك واخفضه لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحباه (من الرحمة) أي من الشفقة عليهما
 لكبرهما وافتقارهما اليوم اليك كما كنت في حال الصغر والضعف مفتقر اليهما الخامس قوله سبحانه
 وتعالى (وقل رب ارحهما كما ربياني صغيرا) أي وادع الله لهما أن يرحمهما برحمته الباقية وأراد به اذا كانا
 مسلمين فاما اذا كانا كافرين فان الدعاء منسوخ في حقهما بقوله سبحانه وتعالى ما كان للنبي والذين
 آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وقيل يجوز الدعاء لهما بأن يهديهما الله الى الاسلام فاذا
 هداهما فقد رحمهما وقيل في معنى هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى بالغ في الوصية بهما حيث افتتحها بالامر
 بتوحيده وعبادته ثم شفعه بالاحسان اليهما ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة
 نسوءهما وان بذل ويخضع لهما ثم ختمها بالامر بالدعاء لهما والترحم عليهما

فصل في ذكر الاحاديث التي وردت في بر الوالدين (ق) عن أبي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك ثم أمك ثم أباك ثم أذنك فأذنك
 (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم أنفه رغم أنفه قيل من يا رسول الله قال
 من أدرك والديه عنده الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة (م) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ان يجزي ولد والده الا أن يجده مملوكا فيشتره فيعتقه (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال أحمي والدك قال نعم قال ففهما جفاهد وعنه أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين أخرجه الترمذي مرفوعا
 وموقوفا قال وهو أصح عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب
 الجنة فان شئت فضع ذلك الباب أو احفظه أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (م) عن عبد الله بن مسعود
 قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أحب الى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم أي قال
 بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله تعالى قوله سبحانه وتعالى (ربكم أعلم بما في نفوسكم) أي من
 بر الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وعدم عقوقهما (ان تكونوا صالحين) أي أبرارا مطيعين

وان يدعو الله لهما بالهداية وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروى يفعل البار ما شاء أن يفعل
 فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وعنه عليه السلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة بوجد ريحها من مسيرة
 ألف عام ولا يجدر يحيا عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين (ربكم أعلم بما في نفوسكم) بما في
 ضمائركم من قصد البر الى الوالدين ومن النشاط والكرامة في خدمتهما (ان تكونوا صالحين) قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال
 الغضب وعند حرج الصدر هنة تؤدي الى اذا همم اتمم الى الله واستغفرتم منها

(فانه كان للاوايين غفورا) الاواب الذي اذا اذنب باذنب الى التوبة فجاز ان يكون هذا عام الكل من فرطت منه جنابة ثم تاب منها وبتدريج تحت الحناني على ابويه التائب من (١٧٢) جنابته لو روده على اثره (وات ذا القربي منك) حقه) أي النفقة اذا كانوا

قاصدين الصلاح والبر بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين أو غيرهما أو قيل فرط منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر مما يؤدي الى أذعما ثم أنتم الى الله واستغفرت مما فرط منكم (فانه كان للاوايين) للتوايين (غفورا) قال سعيد بن جبير في هذه الآية هو الرجل تكون منه البادرة الى ابويه لا يريد بذلك الا الخير فانه لا يؤاخذ بها وقال سعيد بن المسيب الاواب الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وعنه انه الرجاء الى الخير وقال ابن عباس الاواب الرجاء الى الله فيها يحزنه وبنوبه وعنه انهم المسبحون وقيل هم المصلون وقيل هم الذين يصلون صلاة الضحى بدل عليه ماروي عن زيد بن أرقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل قباء وهم يصلون الضحى فقال صلاة الاوايين اذا رمضت الفصال أخرجه مسلم قوله اذا رمضت الفصال يريد ارتفاع الضحى وأن تحمي الرضاء وهو الرمل بحر الشمس فتترك الفصال من الحر وشدة حرها خفافها والفصال جمع فصيل وهي أولاد الابل الصغار وقيل الاواب الذي يصلي بين المغرب والعشاء بدل عليه ماروي عن ابن عباس قال ان الملائكة تحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الاوايين ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وات ذا القربي حقه والمسكين وابن السبيل) قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره الله سبحانه وتعالى أن يؤتي أقاربه حقوقهم وقيل انه خطاب للكل وهو انه سبحانه وتعالى وصى بعذر الوالدين بالقرابة أن يؤتوا حقوقهم من صلة الرحم والمودة والزينة وحسن المعاشرة والمؤاتفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك وقيل ان كانوا محاييج وهو موسر لزمه الاتفاق عليهم وهو مذهب أبي حنيفة وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه لا تلزم النفقة الا للوالد على ولده أو ولد على والديه فحسب وقيل أراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على المسكين وابن السبيل (ولا تبذر تبذيرا) أي لا تنفق مالك في المعصية وقيل لو أنفق الانسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا ولو أنفق درهمه أو مدافى باطل كان مبذرا وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال اتفاق المال في غير حقه وقيل هو اتفاق المال في العمارة على وجه السرف وقيل ان بعضهم أنفق نفقة في خيرا كثيرا فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) يعني أولياءهم وأصدقاءهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف (وكان الشيطان لربه كظورا) فإينبغي أن يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله (واما تعرض عنهم) وان أعرضت عن ذي القربي والمسكين وابن السبيل حياء من الرد (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) فقل لهم قولاً ميسورا) أي وان أعرضت عنهم لفقدهم رزق من ربك ترجوا أن يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردداهم ردا جيلا فوضع الابتغاء موضع فقد

محارم فقراء (والمسكين وابن السبيل) أي وآت هؤلاء حقه من الزكاة (ولا تبذر تبذيرا) ولا تسرف اسرافا قيل التبذير تفريق المال في غير الحلال والحل فمجانها لو أنفق مدافى باطل كان تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة في خيرا كثيرا فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أمثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان أو هم اخوانهم وأصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف (وكان الشيطان لربه كظورا) فإينبغي أن يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله (واما تعرض عنهم) وان أعرضت عن ذي القربي والمسكين وابن السبيل حياء من الرد (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) فقل لهم قولاً ميسورا) أي وان أعرضت عنهم لفقدهم رزق من ربك ترجوا أن يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردداهم ردا جيلا فوضع الابتغاء موضع فقد

لان فاقد الرزق مبتغاه فكان الفقر سبب الابتغاء والابتغاء سبب فقره فوضع المسبب موضع السبب يقال يسر الامر وعسر مثل ولا سعد الرجل ونحو فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم يسر عليهم فقرهم كان معناه قولاً ميسورا وهو اليسر أي دعاء فيه يسر وابتغاء مفعول له أو مصدر في موضع الحال وترجوها حال (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك

ولا تبسطها كل البسط) كل نصب على المصدر لاصافته اليه وهذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المرف أمر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير (فتتعد ما لوما) فتصير ما لوما عند الله لان المرف غير مرضى عنده وعند الناس يقول الفقير اعطى فلانا وحرمني ويقول الغني ما حسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت (محسورا) منقطعاً بك لاشئ عندك من حصره السفر اذا اترفه امر ابلغاً وعا ريامن حسر رأسه وقد خاطرت مسامة ضررتها اليهودية في أنه يعني محمد اعليه السلام أجود من موسى عليه السلام فبعثت ابنتها تسأله قبضه الذي عليه فدفعه وقعد عر يانافا قيمت الصلاة فلم يخرج للصلاة فترت (١٧٣) ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بان ذلك ليس هو ان

ولا يجعل يدك مغالوة الى عنقك أي لا تمسك يدك عن النفقة في الحق والخير كالمغالوة يده لا يقدر على مدها (ولا تبسطها) أي بالهطاء (كل البسط) أي فتعطي جميع ما عندك وقيل هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المرف أمر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير (فتتعد ما لوما) أي عند الله لان السرف غير مرضى عنده وقيل ما لوما عند نفسك وأصحابك أيضا يلو موناك على تضييع المال بالكلية وقيل يلو موناك سائلوك على الامساك اذا لم تعطهم (محسورا) أي منقطعاً لاشئ عندك تنفقه وقيل محسورا أي نادما على ما فرط منك ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهبه من الاضاعة بان ذلك ليس هو ان يبخل منه عليه ولا يبخل منه عليك فقال تعالى (ان ربك يبسط) أي يوسع (الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يقتر ويضيق وذلك لمصلحة العباد (انه كان بعباده خيرا بصيرا) يعني أنه سبحانه وتعالى عالم باحوال جميع عباده وما يصلحهم فالتفاوت في أرزاق العباد ليس لاجل البخل بل لاجل رعاية مصالح العباد قوله عز وجل (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق) أي فاقة وفقر (نحن نرزقهم واياكم) وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يثبون بناتهم خشية الفاقة أو يخافون عليهم من النهب والغارات أو أن ينكحوهن لغيراً كفاء لشدة الحاجة وذلك عار شديد عندهم فنهاهم الله عن قتلهن وقال نحن نرزقهم واياكم يعني ان الارزاق بيد الله فكما أنه فتح أبواب الرزق على الرجال فكذلك يفتحها على النساء (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) ولا تقربوا الزنا (انه كان فاحشة) أي قبيحة زائدة على حد القبح (وساء سبيلا) أي بس طر يقاطر يقه وهو أن تعصب امرأة غيرك أو أخته أو بنته من غير سبب والسبب يمكن وهو الصهر الذي شرعه الله تعالى قيل ان الزنا يشتمل على أنواع من المفساد منها المعصية ويجاب الحد على نفسه ومنها اختلاط الانساب فلا يعرف الرجل ولده من هو ولا يقوم احد بتر بيته وذلك يوجب ضياع الاولاد وانقطاع النسب وذلك يوجب خراب العالم قوله عز وجل (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) الاصل في القتل هو الحرمة المغلظة وحل القتل انما ثبت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الاصل ثم استثنى الحالة التي يحصل فيها حل القتل وهي الاسباب العرضية فقال الا بالحق أي الا باحدى ثلاث كما روى عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة أخرجاه في الصحيحين (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) أي قوة وولاية على القاتل بالقتل وقيل سلطانه هو أنه يتخير فان شاء استقام منه وان شاء أخذ الدية وان شاء عفا (فلا يسرف في القتل) أي الولي قال ابن عباس لا يقتل غير القاتل وذلك انهم كانوا في الجاهلية اذا قتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتل اشرف منه وقيل معناه اذا كان القاتل واحدا فلا يقتل به جماعة بل واحد بواحد وكان أهل الجاهلية اذا كان المقتول شر يفا فلا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من اقربائه وقيل معناه أنه لا يمثل بالقاتل (انه كان منصورا) قيل الضمير راجع للمقتول

وسلم بان ذلك ليس هو ان منك عليه ولا يبخل به عليك ولكن لان بسط الارزاق وقدرها مفوض الى الله تعالى فقال (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء) فليس البسط اليك (ويقدر) أي هو يضيق فلا لوم عليك (انه كان بعباده خيرا) بمصالحهم فبمضيتها (بصيرا) بحوائجهم فيقضيتها (ولا تقتلوا اولادكم) قتلهم أو اولادهم وأدهم بذاتهم (خشية املاق) فقر (نحن نرزقهم واياكم) نهاهم عن ذلك وضمن أرزاقهم (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) انما عظيما يقال خطي خطأ كأنما يقال خطأ وهو ضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر خطأ بالمد والكسر مكي (ولا تقربوا الزنا) القصر فيه أكثر والمد لغة وقد قرئ به وهو نهى عن دواعي الزنا كالمس والقبلة

ونحوهما ولو أريد النهي عن نفس الزنا قال ولا تزنوا (انه كان فاحشة) معصية مجاوزة حد الشرع والعقل (وساء سبيلا) وبس طر يقا طريقه (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) أي بارتكاب ما يبيح الدم (ومن قتل مظلوما) غير مرتكب ما يبيح الدم (فقد جعلنا لوليه سلطانا) تسلط على القاتل في الاقتصاص منه (فلا يسرف في القتل) الضمير للولي أي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة أهل الجاهلية أو الاسراف المثلة والضمير للقاتل الاول فلا تسرف جزرة وعلى على خطاب الولي أو قاتل المظلوم (انه كان منصورا) الضمير للولي أي حسبه أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يسترد على ذلك أو لاء ظلم أي الله ناصره حيث أوجب القصاص بقتله وينصره

في الآخرة بالثواب أول الذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فإنه كان منصوراً بإيجاب القصاص على المسرف وظاهر الآية يدل على
 القصاص يجري بين الحر والعبد وبين المسلم والذمي لأن أنفس أهل الذمة والعبيد داخل في الآية لكونها محرمة (ولانقر بوامال اليتيم الابا
 هي أحسن) بالخصلة والطرقة التي هي أحسن وهي حفظه وتمييزه (حتى يبلغ أشده) أي ثمانى عشرة سنة (وأوفوا بالعهد) بأوامر الله تعالى
 ونواهيها (ان العهد كان مسؤولاً) مطاوعاً بإطلب من المعاهدان لا يضيعه وينبغي به وأن صاحب العهد كان مسؤولاً (وأوفوا الكيل إذا
 وزنوا بالقسط) بكسر القاف (١٧٤) جزء ولى وحقق وهو كل ميزان صغيراً وكبيراً موازين السراهم وغيرها

هو القسطون أي القبان
 (المستقيم) المعتدل (ذلك
 خير) في الدنيا (وأحسن
 تأويلاً) عاقبة وهو تفصيل
 من آل إذا رجع وهو ما
 يؤل إليه (ولانقر ما ليس
 لك به علم) ولا تتبع ما لم تعلم
 أي لا تقل رأيت وما رأيت
 وسمعت وما سمعت وعن
 ابن الحنفية لا تشهد بالزور
 وعن ابن عباس لا ترم
 أحداً بما لا تعلم ولا يصح
 التثبت به لمبطل الاجتهاد
 لان ذلك نوع من العلم
 فان علمقوهن مؤمنات
 وأقام الشارع غالب الظن
 مقام العلم وأمر بالعمل به
 كافي الشهادات ولنا في
 العمل بخبر الواحد لما
 ذكرنا (ان السمع والبصر
 والفؤاد كل أولئك كان
 عنه مسؤولاً) أولئك إشارة
 الى السمع والبصر والفؤاد
 لان أولئك كما يكون
 إشارة الى العقل كما يكون
 إشارة الى غيرهم كقول
 جرير

ظلم يعني أنه منصور في الدنيا بإيجاب القود على قتله وفي الآخرة بتكفير خطايا وإيجاب النار لقائه وقيل
 الضمير راجع الى ولي المقتول معناه أنه كان منصوراً على القاتل باستيفاء القصاص منه والدية وقيل في قول
 فلا يسرف في القتل أراد به القاتل المتعدى بالقتل بغير الحق فإنه ان فعل ذلك فولى القاتل منصور من قبل
 عليه باستيفاء القصاص منه ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ولانقر بوامال اليتيم الابا التي هي أحسن) أي بالطرقة
 التي هي أحسن وهي تميمته وحفظه عليه (حتى يبلغ أشده) وهو بلوغ النكاح والمراد بلوغ الأشد كماله
 ورشدته بحيث يمكنه القيام بمصالح ماله والام بنفك عنه الحجر (وأوفوا بالعهد) أي بالاتيان بما أمر الله
 والاتهاء عما نهى عنه وقيل أراد بالعهد ما يلتزمه الانسان على نفسه (ان العهد كان مسؤولاً) أي عنه وقيل
 مطاوعاً وقيل العهد يسئل فيقال فيم تقضت كالمؤذنة تسئل فيم قتلت ﴿قوله عز وجل﴾ (وأوفوا الكيل إذا
 كنتم) المراد منه تمام الكيل (وزنوا بالقسط المستقيم) قيل هو الميزان صغيراً كان أو كبيراً من ميزان
 السراهم الى ما هو أكبر منه وقيل هو القبان قيل هو رومي وقيل سرياني والاصح أنه عربي مأخوذ من
 القسط وهو العدل أي وزنوا بالعدل المستقيم واعلم أن التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليلاً
 والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل الاحتراز عنه وانما عظم الوعيد فيه لان جميع الناس
 يحتاجون الى المعاضجات والبيع والشراء فالشارع بالغ في المنع من التطفيف والنقصان سعياً في ابقاء
 الاموال على أربابها (ذلك خير وأحسن تأويلاً) أي أحسن عاقبة من آل اذا رجع وهو ما يؤل إليه أمر
 ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ولانقر ما ليس لك به علم) أي لا تتبع (ما ليس لك به علم) أي لا تقل رأيت ولم ترو سمعت
 تسمع وعامت ولم تعلم وقيل معناه لا ترم أحداً بما لا تعلم وقيل لا تتبعه بالحدس والظن وقيل
 مأخوذ من القفا كما نه يقفوا الامور ويتبعها ويتعرفها والمراد أنه لا يتكلم في أحد بالظن (ان السمع
 والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) معناه يسئل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل يسئل
 السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء فعلى هذا ترجع الاشارة في أوامرك الى الاعضاء وعلى القول الاخر
 ترجع الى أربابها عن شكل بن حميد قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يانبي الله علمني تعويلاً
 أتعوذ به قال فاخذ بيدي ثم قال قل أعوذ بك من شر سمعي وشر بصرى وشر فؤادي وشر لساني
 وشر قلبي وشر مني قال فخذتها أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن غريب قول
 وشر مني يعني ماءه وذكره ﴿قوله عز وجل﴾ (ولانقر ما ليس لك به علم) أي بطرا وكبراً وخيلاء (انك
 لن تحرق الارض) أي لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها (ولن تبلغ الجبال طولاً) أي لا تقدر أن تطاول
 الجبال وتساويها بكبرك والمعنى ان الانسان لا ينال بكبره وبطره شيئاً كمن يريد خرق الارض ومطاول
 الجبال لا يحصل على شيء وقيل ان الذي يمشى مختالاً يمشى مرة على عقبيه ومرة على صدره قدميه فقيلاً
 له انك لن تنقب الارض ان مشيت على عقبيك ولن تبلغ الجبال طولاً ان مشيت على صدر قدميك عن
 على قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأت كفواً كأنما ينحط من صبب أخرجه الترمذي

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الايام وعنه في موضع الرفع بالفاعلية أي كل واحد منها كان مسؤولاً عنه في
 فسؤل مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في غير المغضوب عليهم يقال فلانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر
 اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه كذا في الكشاف وفيه نظر لبعضهم لان الجار والمجرور انما يقومان مقام الفاعل اذا تأخر عن الفعل
 فاما اذا تقدمت فلا (ولانقر ما ليس لك به علم) هو حال أي ذا صرح (انك لن تحرق الارض) لن تجعل فيها خرقاً ودوسك لها وشدة وطولها
 (ولن تبلغ الجبال طولاً) بتطاولك وهو تهكم بالمختال أولن تحاذبها قوة وهو حال من الفاعل أو المفعول

(كل ذلك كان سيئه) كوفي وشامى على اضافة سبي الى ضمير كل سيئة غيرهم (عند ربك مكروها) ذكر مكروها لان السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاسم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيده الا تراك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فان قلت الخصال المذكورة بعضها سبي وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئته بالاضافة أى ما كان من المذكور سيئنا كان عند الله مكروها فما وجه قراءة من قرأ سيئته قلت كل ذلك احاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال المذكورة (ذلك) اشارة الى ما تقدم من قوله (١٧٥) لا تجعل مع الله الها آخر الى هذه

الغاية (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) مما يحكم العقل بصحته وتصلح النفس بأسوته (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) مطرودا من الرحمة عن ابن عباس رضى الله عنهما هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها لا تجعل مع الله الها آخر وآخرها مدحورا واتخذ جهات فاتحتها وخاتمها النهى عن الشرك لان التوحيد رأس كل حكمة وملا كها ومن عدمه لم تنفعه حكمة وان بذفيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم ثم خاطب الذين قالوا الملائكة بنات الله بقوله (أفأصفاكم ربك بالبنين) الهمزة للانكار يعنى أنفصمكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الاولاد وهم البنون (واتخذ

في الشمائل قوله تكفؤا التكفؤا التمايل في المشى الى قدام وقوله كأنما ينحط من صلب هو قريب من التكفؤ أى كأنه ينحدر من موضع عال عن أبي هريرة قال ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحدا أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وانه اغير مكثرت أخرجه الترمذى قوله اغير مكثرت أى شاق والا كثرات الامر الذى يشق على الانسان (كل ذلك كان سيئته عند ربك مكروها) أى ما ذكر من الامور التى نهى الله عنها فيما تقدم فان قلت كيف قيل سيئته مع قوله مكروها قلت قيل فيه تقديم وناخير تقديره كل ذلك كان مكروها سيئته عند ربك وقوله مكروها على التكرير لعل على الصفة أى كل ذلك كان سيئته وكان مكروها وقيل انه يرجع الى المعنى دون اللفظ لان السيئة الذنب وهو مذكر ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ذلك) اشارة الى ما تقدم من الاوامر والنواهي فى هذه الآيات (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) أى ان الاحكام المذكورة فى هذه الآيات شرائع واجبة الرعاية فى جميع الاديان والملل لا تقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة بهذا الاعتبار وقيل ان حاصل هذه الآيات يرجع الى الامر بالتوحيد وأنواع البر والطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة وذلك من الحكمة قيل ان هذه الآيات كانت فى ألواح موسى عليه السلام أولها ولا تجعل مع الله الها آخر قال الله سبحانه وتعالى وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة واعلم ان الله سبحانه وتعالى افتح هذه الآيات بالامر بالتوحيد والنهى عن الشرك وحقها به والمقصود منه التنبيه على أن كل قول وعمل يجب ان يكرر فيه التوحيد لانه رأس كل حكمة وملا كها ومن عدمه لم ينفعه شئ ثم انه سبحانه وتعالى ذكر فى الآية الاولى ان الشرك يجب ان يكون صاحبه مذموماً مخذولاً وقال فى هذه الآية (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا) والفرق بين المذموم والمألوم اما كونه مذموماً فبغناه أن يذكر له ان الفعل الذى أقدم عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموماً يقال له لم فعلت هذا الفعل القبيح وما الذى حملك عليه وهذا هو اللوم والفرق بين المخذول والمدحوران المخذول هو الضعيف الذى لا ناصر له والمدحور هو المبعد المطرود عن كل خير ﴿ قوله سبحانه وتعالى (أفأصفاكم ربكم) يعنى أنفصمكم واختاركم فجعل لكم الصفة ولنفسه ما ليس بصفة (بالبنين) يعنى اختصكم بأفضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة اناثا) لانهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله مع علمهم بان الله سبحانه وتعالى هو الموصوف بالكمال الذى لا نهاية له وهذا يدل على نهاية جهل القائلين بهذا القول (انكم لتقولون قولا عظيما) يخاطب مشركى مكة يعنى باضافتهم اليه الاولاد وهى خاصة الاجسام ثم انهم يفضلون عليه أنفسهم حيث يجعلون له ما يكرهون لانفسهم يعنى البنات ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولقد صرفنا فى هذا القرآن) يعنى العبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والالام والتشديد فى صرفنا لكثير والتكرير (ليدكروا) أى ليتعظوا ويعتبروا (ومايز بدهم) أى تصربنا وتذكرونا (الانفورا) أى تباعدوا عن الحق (قل) أى قل يا محمد هؤلاء المشركين (لو كان مع آلهة كما تقولون

من الملائكة اناثا) واتخذوا دونهم وهى البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم فالعبيد لا يؤثر باجود الاشياء وأصفاهاو يكون أروءها وأدونها للسادات (انكم لتقولون قولا عظيما) حيث أضفتم اليه الاولاد وهى من خواص الاجسام ثم فضلتم عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما يكرهون (ولقد صرفنا فى هذا القرآن) أى التنزيل والمراد ولقد صرفناه أى هذا المعنى فى مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم (ليدكروا) وبالتخفيف جزء على أى كررناه ليتعظوا (ومايز بدهم الانفورا) عن الحق وكان الثورى اذا قرأها يقول زادنى لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا (قل لو كان مع الله) آلهة كما تقولون (وبالياء مكى وحفص

والبعد عما وصفوه به (يسج)
وبالتاء عراقى غير أبى بكر
(له السموات السبع
والارض ومن فيهن وان
من نبي الايسج بحمده)
أى يقول سبحانه الله
وبحمده عن السدى قال
عليه السلام ما اصطيد
حوت في البحر ولا طائر
يطير الا بما يضيع من تسبح
الله تعالى (ولكن لا تفقهون
تسييحهم) لاختلاف
اللغات أو لتعسر الادراك
أو سب لتسييح الناظر
اليه والعدل على الخير
كفاعله والوجه الاول (انه
كان حليما) عن جهل العباد
(غفورا) لذنوب المؤمنين
(وذا قرأت القرآن جعلنا
بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالآخرة حجابا
مستورا) ذا ستر أو حجابا
لا يرى فهو مستور (وجعلنا
على قلوبهم أكنة) جمع
كنان وهو الذى يستر الشئ
(أن يفقهوه) كراهة أن
يفقهوه (وفى آذانهم وقرا)
تفلا يمنع عن الاستماع
(وإذا ذكرت ربك في
القرآن وحده) يقال وحده
يحدو حد واحد نحو وعد
يعدو وعدا وعدة فهو مصدر
سد مسد الحال أصله يحد

(إذا لا بتغوا الى ذى العرش سبيلا) يعنى اطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو لتقر بواليه كقوله
أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة وإذا الة على ان ما بعدها وهو لا بتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء لولو (سبحانه وتعالى
عما يقولون) وبالتاء حمزة وعلى (١٧٦) (علاوا) أى تعالوا والمراد البراءة من ذلك والعزاهة (كبيراً) وصف الغلو بالكبر مبالغة في معنى البراءة

إذا لا بتغوا) أى اطلبوا يعنى هؤلاء الآلهة (الى ذى العرش سبيلا) أى بالمغالبة والقهر ايزيلوا ملكه
كفعل الملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل معناه ليتقر بواليه وقيل معناه ليعرف بواليه فضله فابتغوا ما يقربهم
اليه والاول أصح ثم زه نفسه فقال عز وجل (سبحانه وتعالى عما يقولون علاوا كبيرا) معنى وصفه بذلك
المبالغة في البراءة والبعده عما يصفونه به ﴿ قوله عز وجل (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن)
يعنى الملائكة والانس والجن (وان من شئ الا يسبح بحمده) قال ابن عباس وان من شئ حتى الا يسبح بحمده
وقيل جميع الحيوانات والنباتات قيل ان الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح وقيل ان التراب يسبح ما لم يتقل
فاذا ابتل ترك التسبيح وان الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها فاذا رفعت ترك التسبيح وان الورقة تسبح
مادامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح وان الماء يسبح مادام جاريا فاذا ركبت التسبيح وان
النوب يسبح مادام جديدا فاذا اتسخ ترك التسبيح وان الوحش والطيور تسبح اذا صاحت فاذا سكنت تركت
التسبيح وقيل وان من شئ جادا وسى الا يسبح بحمده حتى صرير الباب وتقيض السقف وقيل كل الاشياء
تسبح الله حيوانا كان أو جادا وتسييحها سبحانه الله وبحمده ويدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود قال كنا
نعدي الآيات بركة وأتم تعدونها نحو بقا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال
اطلبوا فضلة من ماء فجاؤنا باناء فيه ماء قليل فادخل يده صلى الله عليه وسلم في الاناء ثم قال حتى على الطهور
المبارك والبركة من الله فقل رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع
تسييح الطعام وهو يؤكل كل أخرجه البخارى (م) عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
بركة حجرا كان يسلم على ليالى بعثت وانى لا عرفه الآن (خ) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فغن الجذع فأناه فسبح بيده عليه وفي رواية فنزل فاحتضنه
وساره بشئ ففي هذه الاحاديث دليل على ان الجمادات تسبح وانها يسبح وقال بعض أهل المعاني تسبح السموات
والارض والجمادات والحيوانات سوى العقلاء بلسان الجلال بحيث تدل على الصانع وقدرته واطيف حكمته
فكانها تنطق بذلك ويصير لها منزلة التسبيح والقول الاول أصح لمادلت عليه الاحاديث وانه منقول عن
السلف وأعلم ان الله تعالى عما فى الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغى ان نكل علمه اليه ﴿ وقوله تعالى
(ولكن لا تفقهون تسييحهم) أى لا تعلمون ولا تفهمون تسييحهم ما عدا من يسبح بلسانكم ولسانكم (انه
كان حليما غفورا) أى حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وجهلكم بالتسييح ﴿ قوله عز وجل
(وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) أى يحجب قلوبهم عن فهمه
والاستفهام به وقيل معناه مستورا عن أعين الناس فلا يرونه كما روى عن سعيد بن جبيرة أنه قال لما نزلت بت
بدا أبى لهب جاءت امرأة أبى لهب ومعها حجر والنبي صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر فلم تره فقالت لابي بكر أبى
صاحبك لقد بلغنى انه هجاني فقال لها أبو بكر والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهى تقول فركنت
جئت بهذا الحجر لارضخ رأسه فقال أبو بكر ما رأيتك إلا رسول الله قال لا لم يزل ملك بينى وبينها (وجعلنا على
قلوبهم أكنة) أى أغطية (أن يفقهوه) أى لا يفهموه (وفى آذانهم وقرا) أى ثقلا لتلاسمعه (وإذا
ذكرت ربك في القرآن وحده) يعنى اذا قلت لا اله الا الله وأنت تسبح القرآن (ولو اعلى أدبارهم تقورا)
جمع نافر (نحن أعلم بما يستمعون به) أى من الهزء بك وبالقرآن وقيل معناه نحن أعلم بالوجه الذى

وحده بمعنى واحدا (ولو اعلى أدبارهم) رجوعا على أعقابهم (تقورا) مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعدة وقعود أى يستمعون
يحبون أن تذكرهم بأهنتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا (نحن أعلم بما يستمعون به) أى نحن أعلم بالحال أو الطريقة التى يستمعون
القرآن به فالقرآن هو المستمع وهو مخدوف وبه حال وبيان لما أى يستمعون القرآن هازنين لاجادين والواجب عليهم ان يستمعوه جادين

(اذيستمعون اليك) نصب باعلم أي أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون (واذهم نجوى) وبما يتناجون به اذهم ذوو نجوى (اذيقول الظالمون) بدل من اذهم (ان تتبعون الارجال مسحورا) سحر جن (انظر كيف ضربوا لك الامثال) مثلك بالشاعر والساحر والمجنون (فضلا ولا يستطيعون سبيلا) أي فضلا في جميع ذلك ضلال من يطالب في التيه طر يقايسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في أمره لا يدري ما يصنع (وقالوا) أي منكر والبعث (أئذا كنا عظما ورفانا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أي مجدد او خلقا حال أي مخلوقين (قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم) أي السموات والارض (١٧٧) فانها تكبر عندكم عن قبول الحياة (فسيقولون

من يعيدنا قل) يعيدكم (الذي فطركم أول مرة) والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة بعدما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض أجزاء الحى بل هي عمود خلقه التي يبنى عليه سائرته فليس يبدع ان يردها الله بقدرته الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم أبعد شئ من الحياة وهو ان تكونوا حجارة أو حديدا لكان قادرا على أن يردكم الى حال الحياة (فيسنفضون اليك رؤسهم) فسيحركونها نحوك تجعبا واستهزاء (ويقولون متى هو) أي البعث استبعادا له ونقيا (قل عسى أن يكون قريبا) أي هو قريب وعسى للوجوب (يوم يدعوكم) الى المحاسبة وهو يوم القيامة (فتستجيبون بحمده) أي تجيبون حامدين والباء للحال عن سعيد بن جبير ينفضون

يستمعون به وهو التكذيب (اذيستمعون اليك) أي وأنت تقرأ القرآن (واذهم نجوى) أي وبما يتناجون به في أمرك وقيل - معناه ذوو نجوى بعضهم يقول هو مجنون وبعضهم يقول هو كاهن وبعضهم يقول ساحر أو شاعر (اذية قول الظالمون) يعني الوليد بن المغيرة وأصحابه (ان تتبعون الارجال مسحورا) أي مطبويا وقيل محذوعا وقيل معناه انه سحر جن وقيل هو من السحر وهو الرثة ومعناه انه بشر مثلكم يأكل ويشرب قال الشاعر

أرانا موضعين لا مرغيب * ونسحر بالطعام وبالشراب

أي تغذي بهما (انظر كيف ضربوا لك الامثال) أي الاشياء فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون (فضلا) أي في جميع ذلك وحرارا (فلا يستطيعون سبيلا) أي الى طريق الحق (وقالوا أئذا كنا عظما) أي بعد الموت (ورفانا) أي ترايا وقيل الرفات الاجزاء المتفتتة من كل شئ تكسر (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) فيه انهم استبعدوا الاعادة بعد الموت والبي فقال الله سبحانه وتعالى رداعليهم (قل) أي قل لهم يا محمد (كونوا حجارة) أي في الشدة (أو حديدا) أي في القوة وليس هذا بامر الزام بل هو أمر تهجيز أي استشعر وافي قلوبكم انكم حجارة أو حديد في القوة (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) قيل يعني السماء والارض والجبال لانها أعظم المخلوقات وقيل يعني به الموت لانه لا شئ في نفس ابن آدم أكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه لا ميتكم ولا بعثكم (فسيقولون من يعيدنا) أي من يعيدنا بعد الموت (قل الذي فطركم) أي خلقكم (أول مرة) فن قدر على الانشاء قدر على الاعادة (فيسنفضون اليك رؤسهم) أي يحركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما تقول (ويقولون متى هو) يعني البعث والقيامة (قل عسى أن يكون قريبا) أي هو قريب (يوم يدعوكم) أي من قبوركم الى موقف القيامة (فتستجيبون بحمده) قال ابن عباس بامر الله وقيل بطاعته وقيل مقرين بانه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحد وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين (وتظنون ان لبثتم) أي في الدنيا وقيل في القبور (الاقليلا) وذلك لان الانسان لو مكث في الدنيا وفي القبر لو فامن السنين عد ذلك قليلا بنسبة القيامة والخلود في الآخرة وقيل انهم يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيامة * قوله سبحانه وتعالى (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) وذلك ان المشركين كانوا يؤذون المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) أي لا يكافؤهم على سفههم بل يقولون لهم يهديكم الله وكان هذا قبل الاذن في القتال والجهاد وقيل نزلت في عمر بن الخطاب وذلك انه شتمه بعض الكفار فامر الله بالعمو وقيل امر الله المؤمنين ان يقولوا ويفعلوا كلمة التي هي أحسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لا اله الا الله (ان الشيطان ينزغ بينهم) أي يفسد ويلقى العداوة بينهم (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) أي ظاهر العداوة * قوله عز وجل

(٢٣ - (خازن) - ثالث) التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (وتظنون ان لبثتم الا قليلا)

أي لبثنا قليلا أو زمانا قليلا في الدنيا أو في القبر (وقل لعبادي) وقيل للمؤمنين (يقولوا) للمشركين الكلمة (التي هي أحسن) وألين ولا يخاشنهم وهي ان يقولوا يهديكم الله (ان الشيطان ينزغ بينهم) باقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليوقع بينهم المشاققة والنزغ يقع الشر وفساد ذات البين وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهم الغتان (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة أو فسر التي في أحسن بقوله

(ر بكم أعلم بكم ان يشأير حكم) بالهداية والتوفيق (أوان يشأير بكم) بالخذلان أي يقولوا لهم هذه الحكمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من أهل النار وانكم معذبون وما أشبه ذلك مما يعظيهم و يهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزع بينهم اعتراض (وما أرسلناك عليهم وكلام) حافظا لعمالتهم ومو كولا اليك (١٧٨) أمرهم واما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومرأحجابك بالمدارة (وربك أعلم

عن في السموات والارض) وبأحوالهم وبكل ما يستأهل كل واحد منهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) فيه اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتيناد اود زبور) دلالة على وجه تفضيله وانه خاتم الانبياء وان أمته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور اود قل الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الله كران الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وأمه ولم يعرف الزبور هنا وعرفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه كالعباس وعباس والفضل وفضل (قل ادعوا الذين زعمتم) انها آلهتكم (من دونه) من دون الله وهم الملائكة أو عيسى وعزير أو نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) أي ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقا أو عذاب ولا يحولوه من

(ر بكم أعلم بكم ان يشأير حكم) أي يوفقكم بالإيمان فتؤمنوا (أوان يشأير بكم) أي يمتكم على الشرك فتعذبوا وقيل معناه ان يشأير حكم فينجيكم من أهل مكة أو ان يشأير بكم أي يسلطهم عليكم (وما أرسلناك عليهم وكلام) أي حفيظا وكفيا لقل نسختها آية القتال (وربك أعلم عن في السموات والارض) يعني ان علمه غير مقصور عليك بل علمه متعلق بجميع الموجودات والمعلومات ومتعلق بجميع ذات الارضين والسموات يعلم حال كل أحد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد وقيل معناه انه عالم بأحوالهم واختلاف صورهم وأخلاقهم وملاهم وأديانهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وذلك انه اتخذ ابراهيم خليلا وكلم موسى نكليا وقال لعيسى كن فكان وآتى سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وآتى داود زبور اود ذلك قوله تعالى (وآتيناد اود زبور) وهو كتاب أنزله الله على داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وثناء على الله تعالى وتحميد وتمجيد ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا أحكام فان قلت لم خص داود في هذه الآية بالذكر دون غيره من الانبياء قلت فيه وجوه أحدها ان الله تعالى ذكر انه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال تعالى وآتيناد اود زبور اود ذلك ان داود أعطى مع النبوة الملك فلم يذكره الملك وذكر ما أتاه من الكتاب تفضيها على ان الفضل المذكور في هذه الآية المراد به العلم بالملك والمال الوجه الثاني ان الله سبحانه وتعالى كتب له في الزبور ان محمد خاتم الانبياء وان أمته خير الامم فلماذا خصه بالذكر الوجه الثالث ان اليهود زعمت ان لاني بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله بقوله وآتيناد اود زبور اود معنى الآية انكم لن تنكروا تفضيل النبيين فكيف تنكرون تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم واعطاءه القرآن وان الله آتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الانجيل فلم يبعد أن يفضل محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ذلك فضل الله يؤتية من يشاء وهذا خطاب مع من يقرب تفضيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقوله عز وجل (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) وذلك ان الكفار أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والحيث فاستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعوا لهم فقال الله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دونه (فلا يملكون كشف الضر عنكم) أي الجوع والقحط (ولا تحويلا) أي الى غيركم أو تحويلا الحال من العسر الى اليسر ومقصود الآية الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا آلهة اننا نشتغل بعبادة الله فنحن نعبد المقربين اليه وهم الملائكة ثم انهم اتخذوا ذلك الملك الذي عبده تماثلا وصوره وقد اشتغلوا بعبادته فاحتج على بطلان قوتهم بهذه الآية وبين محجز آلهتهم ثم قال تعالى (أولئك الذين يدعون) أي الذين يدعونهم المشركون آلهة (يتبعون الى ربهم الوسيلة) أي القرية والدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم وقال عبد الله بن مسعود نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون تقرا من الجن فاسلم أولئك الجن ولم يعلم الانس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فغيرهم الله وأنزل هذه الآية وقوله تعالى (أهم أقرب) معناه ينظرون أيهم أقرب الى الله فيتوسلون به وقيل أيهم أقرب يتبني الوسيلة الى الله ويتقرب اليه بالعمل الصالح وازد ياد الخير والطاعة (ويرجون رحته) أي جنته (ويخافون عذابه) وقيل معناه يرجون ويخافون كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) أي حقيقا بان يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم من الخلائق قوله سبحانه وتعالى

واحد الى آخر (أولئك) مبتدأ (الذين يدعون) صفة أي يدعونهم آلهة أو يعبدونهم والخبر (يتبعون الى ربهم الوسيلة) (وان) يعني ان آلهتهم أولئك يتبعون لوسيلة وهي القرية الى الله عز وجل (أهم) بدل من واو يتبعون وأي موصولة أي يتبني من هو (أقرب) منهم الوسيلة الى الله فكيف بغير الأقرب أو ضمن يتبعون الوسيلة معنى يحرضون فكانه قيل يحرضون أهم يكون أقرب الى الله وذلك بالطاعة وازد ياد الخير (ويرجون رحته ويخافون عذابه) كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقا بان

عذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عند ابشديد) ايل الهلاك للصالحه والعذاب للطالحه (كان ذلك في الكتاب) في اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك تفسيرها ما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبيل بالصواعق والرواجف وأما خراسان عذابها ضروب وأما بلخ فتصيبهم هدة فيهلك أهلها وأما يدخشان فيخربها أقوام وأما زمندقاهلها يموتون بالطاعون وأما صغانيان الى اشجر فيقتلون بقتل ذريع وأما سمرقند فيغلب عليها بنو قنطوراء فيقتلون أهلها قتلًا ذريعًا وكذا فرغانة والشاش واسيجاب خوارزم وأما بخارى فهي أرض الجبارة فيموتون قحطًا وجوعًا وأما مرو فيغلب عابها الرمل ويهلك بها العلماء والعباد وأما هراة فيمطرون الحيات فتأكلهم أكلا وأما نيسابور فيصيب أهلها عدو برق وظلمة فيهلك أكثرهم وأما الري فيغلب عليها الطبرية والديلم فيقتلونهم وأما مينية واذر بيجان فيهلكها سنايك الخيول والجيوش والصواعق (١٧٩) والرواجف وأما همذان فالديلم يدخلها

ويخربها وأما حلوان فتسربها ريج ساكنة وهم نيام فيصبح أهلها قردة وخنزير ثم يخرج رجل من جهينة فيدخل مصرفويل لأهلها ولاهل دمشق وويل لأهل افرقية وويل لأهل الرملة ولايدخل بيت المقدس وأما سجستان فيصديبهم ريج عاصف أيا ما تم هدة تأتيهم ويموت فيها العلماء وأما كرمان وأصبهان وفارس فيأتيهم عدو وصاحوا صيحة تدخل القلوب وتموت الأبدان (وما منعنا أن نرسل بالآيات الآن كذبها الاولون) استعبر المنع لترك ارسال الآيات وان الاولى مع صلتها في موضع النصب لانها مفعول ثان لمنعنا وان الثانية مع صلتها في موضع الرفع لانها

(وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) أي بالموت والخراب (أو معذبوها عند ابشديد) أي بالقتل وأنواع العذاب اذا كفر واوعصوا وقيل الاهلك في حق المؤمنين الامانة وفي حق الكفار العذاب قال عبد الله بن مسعود اذا ظهر الزنا والرافي قرية أذن الله في هلاكها (كان ذلك في الكتاب) أي في اللوح المحفوظ (مسطورا) أي مكتوبا مثبتا عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال ما اكتب قال اكتب القدر وما هو كائن الى يوم القيامة الى الابد أخرجه الترمذي بقوله سبحانه وتعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات الآن كذبها الاولون) قال ابن عباس سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهابا وفضة وأن ينحى الجبال عنهم ليزرعوا فأوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم ان شئت ان أستأني بهم فعلت وان شئت ان أوتيهم ما سألو افعلت فان لم يؤمنوا أهلكتهم كما أهلكت من كان قبلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل تستأني بهم فانزل الله عز وجل وما منعنا أن نرسل بالآيات التي سألتهم فكلنا كافرين الا ان كذبها الاولون أي فاهلكناهم فان لم يؤمن قومك بعد ارسال الآيات أهلكتناهم لان من سنتنا في الامم اذا سألو الآيات ثم لم يؤمنوا بعد اتيناها ان نهلكهم ولا نعلمهم وقد حكمنا بما همال هذه الامة الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فاهلكوا فقال تعالى (وأتينا موذى الناقة مبصرة) أي بينة وذلك لان آثارها هلاكتهم في بلاد العرب قرية من حدودهم ببصرها صادرهم وواردهم (فظالموا بها) أي نجحوا وانها من عند الله وقيل فظلموا أنفسهم بتكذيبها فاجلناهم بالعقوبة (وما نرسل بالآيات) المقترحة (الاتخويفا) أي وما نرسل بالآيات الاتخويفا من نزول العذاب فان لم يخافوا وقع عليهم وقيل معناه وما نرسل بالآيات يعني العبر والدلالات الاتخويفا أي انذار بعذاب الآخرة ان لم يؤمنوا فان الله سبحانه وتعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون قوله عز وجل (واذ قلنا لك) أي واذكر يا محمد اذ قلنا لك (ان ربك أحاط بالناس) أي ان قدرته محيطه بهم فهم في قبضته وقدرته لا يقدر على الخروج من مشيئته واذا كان الامر كذلك فهم لا يقدر على أمر من الامور الا بقضائه وقدره وهو حافظك وما نعتك منهم فلا تهمهم وامض لما أمرك

اعمل منعنا والتقدير وما منعنا ارسال الآيات الاتكذيب الاولين والمراد الآيات التي اقترحتها قریش من قلب الصفا ذهابا ومن احياء لوقى وغير ذلك وسنة الله في الامم ان من اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستئصال والمعنى وما منعنا عن ارسال ما اقترحوه من الآيات الآن كذبها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وعذبوا العذاب المستأصل وقد حكمنا ان تؤخر أمر من بعثت اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح عليه السلام لان آثارها هلاكتهم قرية من حدودهم ببصرها صادرهم وواردهم فقال (وأتينا موذى الناقة) اقترحهم (مبصرة) آية بينة (فظالموا بها) فكفروا بها (وما نرسل بالآيات) ان أراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لانرسلها (الاتخويفا) من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان أراد غيرهما فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الاتخويفا وانذار بعذاب الآخرة وهو مفعول له (واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس)

وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) واذا كراذوا وحينا اليك ان ربك أحاط بقريش علما وقدره فكلمهم في قبضته فلا تبال بهم
وامض لامرك وبلغ ما أرسلت به أو بشرناك بوفعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وقل للذين كفروا ستغلبون
وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد فجعله كأن قد كان ووجد فقل أحاط بالناس على سنته في اخباره ولعل الله تعالى أراه مصارعهم في منامه فقد كان
يقول حين ورد ما بدر والله كافي أنظر الى مصارع لقوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصراع فلان فتسامعت قريش بما أوحى
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر بدر وما أرى في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستجلبون به استهزاء
(والشجرة الملعونة في القرآن) أي وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن الا فتنة للناس فانهم حين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم
جعلوها سخريه وقالوا ان محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجرة وما قدروا الله حق

(١٨٠)

جعلوها سخريه وقالوا ان محمدا

من التبليغ للرسالة فهو ينصرك و يقويك على ذلك (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) الا كثرون
من المفسرين على أن المراد منها ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من الجانب والآيات قال ابن
عباس هي رؤيا عين أربها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهي ليلة أسرى به الى بيت المقدس
أخرجه البخاري وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وغيرهم
والعرب تقول رأيت بعيني رؤيا ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أنكر بعضهم ذلك
وكذبوا فكانت فتنة للناس وازدادوا المخلصون إيمانا وقال قوم أسرى بروحه دون جسده وهو ضعيف وقال
قوم كان له معراجان معراج رؤيا عين في اليقظة ومعراج رؤيا منام وقيل أراد بهذه الرؤيا ما رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام الحديبية انه دخل مكة هو وأصحابه فمجل المسير الى مكة قبل الاجل فصدده المشركون
فرجع الى المدينة فكان رجوعه في ذلك العام بعدما أخبرانه بدخولها فتنة لبعضهم ثم دخل مكة في العام المقبل
وأزل الله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في المنام ان ولد
الحكم بن أمية يتداولون سببه كما يتداول الصبيان الكرة فساء ذلك فان اعترض معترض على هذا التفسير
وقال السورة مكية وهاتان الواقعتان كاتبا بالمدينة أوجب بانه لا اشكال فيه فانه لا يبعد ان النبي صلى الله عليه
وسلم رأى ذلك بمكة ثم كان ذلك حقيقة بالمدينة (والشجرة الملعونة في القرآن) يعني شجرة الزقوم التي
وصفها الله تعالى في سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام كربه طعام ملعون والفتنة فيها ان أبا جهل قال
ان ابن أبي كبشة يعني النبي صلى الله عليه وسلم توعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انه تنبت فيها شجرة وتعلمون
أن النار تحرق الشجر وقيل ان عبد الله بن الزبير قال ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم الا الزبد
والتمر فقال أبو جهل يا جارية تعالي فرقينا فانت بزبد وتمر فقال يا قوم تزقوا فان هذا ما يخوفكم به محمدا نزل
الله سبحانه وتعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرانا جعلناها فتنة للظالمين الآيات فان قلت أين لعنت
شجرة الزقوم في القرآن قلت لعنت حيث لعن الكفار الذين يأكلونها لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن
وانما وصفت بلعن أصحابها على المجاز وقيل وصفها الله تعالى باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في أصل
جهنم في أبعدها من الرحمة وقال ابن عباس في رواية عنه ان الشجرة الملعونة هي الكشوث الذي يلتوى
على الشجر والشوك فيجففه (وتخوفهم فما يزبدهم) أي التخوف (الاطغيانا كبيرا) أي تمر داواعتوا

قدره اذ قالوا ذلك فانه
لا يمتنع أن يجعل الله
الشجرة من جنس لا تأكله
النار فهو بالسمندل وهو
دوينة ببلاد الترك يتخذ
سسه مناديل اذا تسخت
طرحت في النار فذهب
الوسخ وتبقى المنديل سالما
لا تعمل فيه النار وترى
النعامة تتلع الجرف فلا
يضرها وخلق في كل
شجرة نار افلا تحرقها جاز
أن يخلق في النار شجرة
لا تحرقها والمعنى ان الآيات
انما ترسل تخويفا للعباد
وهؤلاء قد خوفوا بعذاب
الدنيا وهو القتل يوم بدر
وخوفوا بعذاب الآخرة
وبشجره الزقوم فما
أثرفهم ثم قال (وتخوفهم)
أي بخوف الدنيا والآخرة
(فما يزبدهم) التخوف

عظما

(الاطغيانا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل

الرؤيا هي الاسراء والفتنة ارتداد من استعظم ذلك وبه تعلق من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية
وانما سها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا لعلها رؤيا يرايتها استبعادا عنهم كما سمي أشياء باسمها عند الكفرة كقوله فراغ الى
آلهم أن شركا في أو هي رؤيا انه سيدخل مكة والفتنة الصد بالحديبية فان قلت ليس في القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم قلت معناه
والشجرة الملعون آكلها وهم الكفرة لانه قال ثم انكم أيها الضالون المكذبون لا تكون من شجر من زقوم فالؤن منها البطون فوصفت
بلعن أهلها على المجاز ولان العرب تقول لكل طعام مكروه ضار ملعون ولان اللعن هو الابعاد من الرحمة وهي في أصل الجحيم في أبعدها
من الرحمة

(واذ قلنا لللائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال اسجد لمن خلقت طينا) هو تمييزاً وحال من الموصول والعامل فيه أسجد على أسجد له وهو طين أي أصله طين (قال رأيتك هذا الذي) الكاف لاموضع لها الانهاذ كرت للخطاب تأكيدها هذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي (كرمت على) أي فضلتهم كرمته على وأناخير منه خلقتني من نار وخلقته من طين حذف ذلك اختصاراً للدلالة ما تقدم عليه ثم ابتدأ فقال (لئن أخرجتني) و بلاياء كوفي وشامي واللام (١٨١) موطنه للقسم المحذوف (الي يوم

القيامة لا تحننكن
ذريته) لاستأصلهم
باغوائهم (الاقليلا) وهم
المخلصون قيل من كل ألف
واحد وانما علم الملعون
ذلك بالاعلام اولاً انه رأى
انه خلق شهواتي (قال
اذهب) ليس من الذهب
الذي هو ضد المعنى وانما
معناه امض لشأنك الذي
اخترته خذ لانا وتخليه ثم
عقبه بذكر ما جره سوء
اختياره فقال (فن تبعك
منهم فان جهنم جزاؤكم)
والتقدير فان جهنم
جزاؤهم وجزاؤك ثم
غلب المخاطب على الغائب
فقيل جزاؤكم واتصب
(جزاء موفورا) أي
موفرا باضمار تجازون
(واستفزز) استزل أو
استخف استفزه أي
استخفه والفر الخفيف
(من استطعت منهم
بصوتك) بالوسوسة أو
بالغناء أو بالزمار (وأجلب
عليهم) اجمع وصح بهم من
الجلبة وهو الصياح (بخيلك
ورجلك) بكل راكب

عظيماً قوله سبحانه وتعالى (واذ قلنا لللائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال اسجد لمن خلقت طينا) اي من طين وذلك ان آدم خلق من تراب الارض من عذبهها وملحها فن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق من الملح فهو شقي (قال) يعني ابليس (أرأيتك) الكاف للمخاطب والمعنى اخبرني (هذا الذي كرمت على) أي فضلتهم على (لئن أخرجتني) أي أمهلتني (الي يوم القيامة لا تحننكن ذريته) أي لاستأصلهم بالاضلال وقيل معناه لا قودنهم كيف شئت وقيل لاستولين عليهم بالاغواء (الاقليلا) يعني المعصومين الذين استثناهم الله تعالى في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (قال) الله تعالى (اذهب) أي امض لشأنك وليس هو من الذهب الذي هو ضد المعنى (فن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) أي جزاؤك وجزاء أتباعك (جزاء موفورا) أي مكملاً لقوله سبحانه وتعالى (واستفزز) أي استخف واستزل واستجمل واستزل (من استطعت منهم) أي من ذرية آدم (بصوتك) قال ابن عباس معناه بدعائك الى معصية الله وكل داع الى معصية الله فهو من جن ابليس وقيل أراد بصوتك الغناء والمزامير والهول واللعب (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) أي اجمع عليهم مكابذك وحبائك واحتشهم على الاغواء وقيل معناه استعن عليهم بركابن جنك ومشاتهم يقال ان له خيلاً ورجلاً من الجن والانس فكل من قاتل أو مشى في معصية الله فهو من جن ابليس وقيل المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجدي الامر جئتنا بخيلك ورجلك (وشاركهم في الاموال والاولاد) أما المشاركة في الاموال فكل مال أصيب من حرام أو أنفق في حرام وقيل هو الربا وقيل هو ما كانوا يذبحونه لأظنهم ويحرمونه كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام وأما المشاركة في الاولاد فروى عن ابن عباس انها المورودة وقيل اولاد الزنا وعن ابن عباس أيضا هي تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد الحرث وعبد شمس ونحوه وقيل هو ان يرغبوا اولادهم في الاديان الباطلة الكاذبة كاليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها وقيل ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فاذا لم يقل بسم الله أصاب منه امرأته وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل وروى في بعض الاخبار ان فيكم مفر بين قيل وما المفر بون قال الذين شارك فيهم الجن وعن ابن عباس أنه سأله رجل فقال ان امرأتي استيقظت وفي فرجها شعلة نار قال ذلك من وطء الجن (وعندهم) أي منهم الجليل في طاعتك وقيل قل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث وذلك أن الشيطان اذا دعاه الى المعصية فلا بد أن يقرر أولاً أنه لا مضرة في فعلها البتة وذلك لا يمكن الا اذا قال له لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة فيقرر عند المدعوا أنه لا مضرة البتة في هذه المعاصي واذا فرغ من هذا النوع قرر عنده أن هذا الفعل يفيد أنواعاً من اللذة والسرور ولا حياة للانسان في الدنيا الا به فهذا طريق الدعوة الى المعصية ثم ينفره عن فعل الطاعات وهو أنه يقرر عنده أن لا جنة ولا نار ولا عقاب فلا فائدة فيها وقيل معنى عدتهم أي شفاعنة الاصنام عند الله واشار العاجل على الآجل فان قلت كيف ذكر الله هذه الاشياء بصيغة الامر والله سبحانه وتعالى يقول ان الله لا يأمر بالفحشاء قلت هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعلموا ما شئتم وكقول القائل اجتهد جهديك فيسرى ما ينزل بك ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) أي يزين

وماش من أهل العيث فالخيل الخيالة والرجل اسم جمع للرجال ونظيره الركب والصعب ورجلك حفص على أن فعلاً بمعنى فاعل كتعب وناعب ومعناه وجعك الرجل وهذا ان أقصى ما استطاع في طلب الامور الخيـل والرجل وقيل يجوز أن يكون لا بليس خيل ورجل (وشاركهم في الاموال والاولاد) قال الزجاج كل معصية في مال وولد فابليس شر يكهم فيها كالر با والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام والتسمية بعبد العزى وعبد شمس (وعندهم) المواعيد الكاذبة من شفاعنة الآلهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة واشار العاجل على الآجل ونحو ذلك (وما يعدهم الشيطان الا غرورا) هو

تزيين الخطأ بما يوهبهم أنه صواب (ان عبادي) الصالحين (ليس لك عليهم سلطان) يدبشيد بل الايمان ولكن تشوب بل العصيان (وكفى
بربك وكيفا) لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك أو حافظا لهم عنك والسخط أمر تهديد فيعاقب به أو اعانة أي لا يخل ذلك بملكى (ربكم
الذى بزجى) بجري ويسير (لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله) يعنى الربح في التجارة (انه كان بكم رحبا واذا مسكم الضرفى البحر) أي
خوف الفرق (ضل من تدعون) (الاياه) ذهب عن أو هامكم كل من تدعونه في حوادثكم الاياه وحده فانكم لا تدرون

سواء أو ضل ما تدعون من
الآفة عن اغاثكم ولكن
الله وحده الذى رجونه
على الاستثناء المنقطع
(فلما نجاكم الى البر
أعرضتم) عن الاخلاص
بعد الخلاص (وكان
الانسان) أي الكافر
(كفورا) للنعم (أفانتم)
الهمزة للانكار والفاء
للعطف على محذوف تقديره
أنجوتم فانتم فمهلكم ذلك
على الاعراض (أن يخف
بكم جانب البر) اتصب
جانب يخسف مفعولا به
كالارض في قوله تخسفا به
وبداره الارض وبكم حال
والمعنى أن يخسف جانب
البر أى يقلبها وتم عليه
والحاصل ان الجوانب كلها
في قدرته سواء وله في كل
جانب برا كان أو بحر
سبب من أسباب الهلاك
ليس جانب البحر وحده
مختصا به بل ان كان الفرق
في جانب البحر في جانب
البر الخسف وهو تعيب
تحت التراب والفرق تعيب

الباطل بما يظن أنه حق واعلم أن الله سبحانه وتعالى لما قال وعدهم أردفه بما هو زاجر عن قبول وعده بقوله
وما يعدهم الشيطان الا غرورا والسبب فيه انه لما يدعوا الى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولا يدعو
الى معرفة الله تعالى ولا الى عبادته وتلك الاشياء التى يدعو اليها خيالية لاحقية لها ولا تحصل الا بعد متاعب
ومشاق عظيمة واذا حصلت كانت سريرة الذهب والانتقضاء وينغصها الموت والهرم وغير ذلك واذا كانت
هذه الاشياء بهذه الصفة كانت الرغبة فيها غرورا (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) يعنى بعبادة الانبياء
وأهل الفضل والصلاح لانه لا يقدر على اغواهم (وكفى بربك وكيفا) أي حافظا والمعنى أنه سبحانه وتعالى لما
أمكن ابليس أن يأتي بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف في قلب الانسان فقال تعالى
وكفى بربك وكيفا أي قاله سبحانه وتعالى أقدر منه وأرحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان ووسوسه
ويعصمهم من اغوائه واضلاله وفي بعض الآثار ان ابليس لما خرج الى الارض قال يا رب أخرجتني من الجنة
لاجل آدم فسلبني عليه وعلى ذريته قال أنت مسلط قال لا أستطيعه الا بك فزدني قال استفرز من استطعت
منهم الآية فقال آدم يا رب سلطت ابليس على وعلى ذريتي وانى لأستطيعه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكنت
به من يحفظه قال رب زدني قال الحسنة بعشر أمثالها والسبب في ذلك ان رب زدني قال التوبة معروضة مادام
الروح في الجسد قال رب زدني فقال يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وفي الخبر
ان ابليس قال يا رب بعثت انبياء وأنزلت كتبافقراء في قال الشعر قال فما كتابتي قال الوشم قال ومن رسل
قال الكهنة قال أي شئ مطعمي قال ما لم يدكر عليه اسمي قال فاشراي قال كل مسكر قال وأين مسكني قال
الحمامات قال وأين مجلسي قال في الاسواق قال وما حبايلي قال النساء قال وما أذاني قال المزمارة قوله سبحانه
وتعالى (ربكم الذى بزجى) أي يسوق ويجري (لكم الفلك) أي السفن (في البحر لتبتغوا من فضله) أي
لتطلبوا من رزقه بالارباح في التجارة وغيرها (انه كان بكم رحبا) أي حيث يسر لكم هذه المنافع والمصالح
وسهلها عليكم (واذا مسكم الضرفى البحر) أي الشدة وخوف الفرق في البحر (ضل من تدعون) أي ذهب
عن أو هامكم وخواطركم كل من تدعون في حوادثكم من الاصنام وغيرها (الاياه) أي الا الله وحده فانكم
لا تدرون سواه ولا يخطر ببالكم غيره لانه القادر على اغاثكم ونجاتكم (فلما نجاكم) أي أجاب دعاءكم
وأنجاكم من هول البحر وشدته وأخرجكم (الى البر أعرضتم) أي عن الايمان والاخلاص والطاعة وكفرتم
النعمة وهو قوله تعالى (وكان الانسان كفورا) أي بخودا (أفانتم) أي بعد انجائكم (أن يخسف بكم جانب
البر) أي نفوره والمعنى ان الجهات كلها وفي قدرته برا كان أو بحرا بل ان كان الفرق في البحر في جانب
البر ما هو مثله وهو الخسف لانه يغيب تحت الثرى كما ان الفرق يغيب تحت الماء (أو نرسل عليكم حاصبا) أي
نمطر عليكم حجارة من السماء كما أمطرها على قوم لوط (ثم لا تجدوا لكم وكيفا) أي مانعا وناصرا (أم أنتم أن
نعيدكم فيه) أي في البحر (نارة) أي مرة (أخرى فنرسل عليكم قاصفا من الريح) قال ابن عباس أي عاصفا

تحت الماء فعلى العاقل ان يستوى خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان (أو يرسل عليكم حاصبا) وهي
هي الريح التى تحصب أي ترمي بالحصباء يعنى أو ان لم يصيبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء (ثم
لا تجدوا لكم وكيفا) بعرف ذلك عنكم (أم أنتم أن يعيدكم فيه نارة أخرى فيرسل عليكم) أي أم أنتم أن يقوى دواعيكم ويوفر
حوادثكم الى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذى نجاكم منه فاعرضتم فيقتم منكم بان يرسل عليكم (قاصفا من الريح) وهي الريح التى لها
فصيف وهو الصوت الشديد وهو الكاسر للفلك

ففرقكم بما كفرتم) بكفر انكم النعمة وهو عراضكم حين نجحكم (ثم لا تجحدوا لكم علينا به تبعا) مطالبنا من قوله فاتباع بالمعروف أي مطالبة
أعني انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا يجحدوا أحد ايطالينا بفعلنا انتصارا منا ودر كالتار من جهتنا وهذا حق قوله ولا يخاف عقباها أن نخسف أو نرسل أن
نعيدكم فنرسل فنفرقكم بالنون مكي وأبو عمرو (ولقد كرنا بنى آدم) بالعقل والنطق (١٨٣) والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة

وتدبير أمر المعاش والمعاد
والاستيلاء وتسخير
الاشياء وناول الطعام
بالأيدي وعن الرشيد أنه
أحضر طعاما فقدمه للملاعق
وعنده أبو يوسف رحمه
الله فقال له جاءني تفسير
جسدك ابن عباس رضي
الله عنهما قوله تعالى ولقد
كرمنا بنى آدم جعلنا لهم
أصابع بأكلون بها فاحضرت
الملاعق فردها وأكل
بأصابعه (وجعلناهم في البر)
على الدواب (والبحر)
على السفن (ورزقناهم
من الطيبات) بالذبيات
أو بما كسبت أيديهم
(وفضلناهم على كثير ممن
خلقنا تفضيلا) أي على
الكل كقوله وأكثرتهم
كاذبون قال الحسن أي
كلهم وقوله وما يتبع
أكثرهم الاظناذ كرفي
الكشاف أن المراد بالاكثر
الجميع وعنه عليه السلام
المؤمن أكرم على الله من
الملائكة وهذا لانهم
محبولون على الطاعة
ففيهم عقل بلا شهوة وفي
البهائم شهوة بلا عقل وفي
الآدمي كلاهما فن غلب عقله

وهي الريح الشديدة وقيل هي الريح التي تقصف كل شيء من شجر وغيره (ففرقكم بما كفرتم) أي
بكفر انكم النعمة وأعراضكم حين أنجناكم (ثم لا تجحدوا لكم علينا به تبعا) التبع المطالب والمعنى انا
نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجحدون لكم أحد ايطالينا بفعلنا انتصارا لكم ودر كالتار من جهتنا وقيل معناه من
يتبعنا بالانكار علينا قوله سبحانه وتعالى (ولقد كرنا بنى آدم) قال ابن عباس هو أنهم بأكلون بالأيدي
وغير الآدمي يأكل بفيه من الارض وقال أيضا بالعقل وقيل بالنطق والتميز والخط والفهم وقيل باعتدال
القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال باللحي والنساء بالذوائب وقيل بتسليطهم على جميع
ما في الارض وتسخيرهم لهم وقيل بحسن تدبيرهم أمر المعاش والمعاد وقيل بان منهم خيرة أمة أخرجت للناس
(وجعلناهم في البر) أي على الابل والحيل والبغال والخيول (والبحر) أي وجعلناهم في البحر على السفن وهذا
من مؤكدات التكريم لان الله سبحانه وتعالى سخر لهم هذه الاشياء لينتفعوا بها ويستعينوا بها على
مصلحتهم (ورزقناهم من الطيبات) يعني لذيقنا الطعام والمشرب وقيل الزبد والتمر والحلواء وجعل رزق
غيرهم مما لا ينحفي وقيل ان جميع الاغذية اماناتية واما حيوانية ولا يتغذى الانسان الا بالطيب من القسمين
بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا الا للانسان (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) واعلم
أن الله تعالى قال في أول الآية ولقد كرنا بنى آدم وفي آخرها وفضلناهم ولا بد من الفرق بين التكريم
والتفضيل والالزم التكرار والاقرب أن يقال ان الله تعالى كرم الانسان على سائر الحيوان بأمر خلقية
ذاتية طبيعة مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة ثم انه سبحانه وتعالى عرفه بواسطة ذلك العقل
والفهم اكتساب العقائد الصحيحة والاخلاق الفاضلة فالأول هو التكريم والثاني هو التفضيل ثم قال سبحانه
وتعالى على كثير ممن خلقنا تفضيلا ظاهر الآية يدل على انه فضل بنى آدم على كثير ممن خلق لاعلى الكل فقال
قوم فضلو اعلی جميع الخلق الا على الملائكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الكلبي فضلو اعلی الخلاق كلهم الا
على طائفة من الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وأشباهم وقيل فضلو اعلی جميع
الخلاق وعلى الملائكة كلهم فان قلت كيف تصنع بكثير قلت يوضع الاكثر موضع الكل كقوله تعالى يلتقون
السمع وأكثرتهم كاذبون أراد كلهم وفي الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة
يا رب خلقتهم يا كاون ويشربون وينسكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لا أجعل من خلفته
يدي وتنفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان وقيل بالتفصيل وهو الاولى والراجح ان خواص بنى آدم
وهم الانبياء أفضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة أفضل من عوام البشر من بنى آدم وهذا التفصيل
أعني هو بين الملائكة والمؤمنين من بنى آدم لان الكفار لا حرمه لهم قال الله سبحانه وتعالى ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال المؤمن أكرم على الله تعالى
من الملائكة الذين عنده قوله عز وجل (يوم ندعوا كل أناس بامامهم) أي بنبيهم وقيل بكتابهم الذي أنزل
عليهم وقيل بكتاب أعمالهم وعن ابن عباس بامام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا الى الهدى واما الى ضلال
وذلك ان كل قوم يجتمعون الى رئيسهم في الخير والشر وقيل بمعبودهم وقيل بامامهم جمع أم يعني بامهاتهم
والحكمة فيه رعاية حق عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما وان

شهوته فهو أكرم من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم ولانه خلق الكل لهم وخلقهم انفسه (يوم ندعوا) منصوب
بذكر (كل أناس بامامهم) الباء للحال والتقدير مختلطين بامامهم أي بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع
فلان يا أهل دين كذا أو كتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر

(فن أوتى) من هولا المدعوين (كتابه يمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) وإنما قيل أولئك لأن من في معنى الجمع (ولا يظلمون قتيلا) ولا ينقصون من نوابهم أدنى شيء ولم يذكروا الكفار وإيحاء كتبهم بشماطهم اكتفاء بقوله (ومن كان في هذه) الدنيا (أعمى فهو في الآخرة أعمى) كذلك (وأضل سبيلا) من الأعمى أى أضل طريقا والأعمى مستعار عن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدى إلى طريق النجاة أما في الدنيا فلن فقد النظر وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل بدليل عطف وأضل ومن ثم قرأ أبو عمرو والاول عمالا والثاني مفخما لأن أفعال التفضيل تمامه عن فكانت أنه في حكم الواقعة في وسط الكلمة فلا يقبل الامالة وأما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت أله واقعة في (١٨٤) الطرف فقبلت الامالة وأما لها حجة وعلى ونخمها الباقون ولما قالت قرش

لا يفتضح أولاد الزنا (فن أوتى كتابه يمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) فان قلت لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع ان أصحاب الشمال يقرؤنه أيضا قلت الفرق ان أصحاب الشمال اذا اطالعوا كتابهم وجدوه مشقلا على مشكلات عظيمة فيستولى عليهم الحجل والدهشة فلا يقدررون على اقامة حروفه فتكون قراءتهم كقراءة وأصحاب اليمين اذا اطالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على الحسنات والطاعات فيقرؤنه أحسن قراءة وأينها (ولا يظلمون قتيلا) أى ولا ينقصون من نواب أعمالهم أدنى شيء (ومن كان في هذه أعمى) المراد عمى القلب والبصيرة لا عمى البصر والمعنى ومن كان في هذه الدنيا أعمى أى عن هذه النعم التي قد عدها في هذه الآيات المتقدمة (فهو في الآخرة) أى التي لم تعين ولم تر (أعمى وأضل سبيلا) قاله ابن عباس وقيل معناه ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق فهو في الآخرة أعمى لأنه في الدنيا تقبل سبيلا أى أخطأ طريقا وقيل معناه ومن كان في الدنيا كافرا ضالا فهو في الآخرة أعمى لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته قوله سبحانه وتعالى (وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك) قيل في سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الأسود فذمته قرش وقالوا لاندعك حتى تلم بأهلكنا ونمسا حدث نفسه ما على أن أفعل ذلك والله يعلم انى طأ كاره بعد أن يدعونى أستلم الحجر وقيل طلبوا منه أن يذكر آلهتهم حتى يسلموا ويذموا فحدث نفسه فأنزل الله هذه الآية وقال ابن عباس قدم وفد ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال قال وما هن قالوا لانحى في الصلاة أى لانحنى ولا نكسر أصنامنا يدينا وان تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجودا ما أن لانكسروا أصنامكم بأيديكم فذاك لكم وأما الطاغية يعنى اللات والعزى فأتى غير تمتعكم بها قالوا يا رسول الله انما نحن أن نسمع العرب انك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان خبت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرني بذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فطمع القوم في سكونه أن يعطيهم ذلك فأنزل الله تعالى وان كادوا أى هموا ليفتنونك أى ليصرفونك عن الذي أوحينا إليك (لتفترى) أى لتخلق وتبتعث (علينا غيره) أى ما لم تقبله (واذا) أى لو فعلت مادعوك اليه (لاتخذوك خبيلا) أى والوك ووافوك وصافوك (ولولأن ثبتناك) أى على الحق بعصمتنا إياك (لقد كدت تركن أى تميل) اليهم شيئا قليلا أى قربت من الفعل فان قلت كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه قلت كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله تعالى عن حديث النفس وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك اللهم لانك لى الى نفسى طرفة عين والجواب الصحيح هو ان الله سبحانه وتعالى قال ولولولأن ثبتناك وقد ثبتته الله فلم يركن اليهم (اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات)

اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى تؤمن بك نزل (وان كادوا ليفتنونك) ان مغففة من التقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشأن قاربوا أن يفتنوك أى يمدعوك فأتين (عن الذي أوحينا إليك) من أوامرنا ونواهيها ووعدا ووعيدنا (لتفترى علينا غيره) لتقول علينا ما لم نقل يعنى ما اقترحوه من تبديل الوعد ووعيدا والوعيد وعدا (واذا لاتخذوك خبيلا) أى ولواتبع مرادهم لاتخذوك خبيلا ولكنك لهم وليا وخرجت من ولايتى (ولولأن ثبتناك) ولولا تثبيتنا وعصمتنا (لقد كدت تركن اليهم) لقاربت أن تميل الى مكرهم (شيئا قليلا) ركونا قليلا وهذا تهييج من الله وفضل

تثبت (اذا) لو قاربت تركن اليهم أدنى ركنة (لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) أى لاذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين لعظم ذنبك بشرف منزلتك ونبوتك كما قال يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة الآية وأصل الكلام لاذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار والعذاب يوصف بالضعف كقوله فاتهم عذابا ضعفا من النار أى مضاعفا كان أصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا و بضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار وفي ذكر الكيدورة

وتقيلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضعف في الدارين دليل على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله ولما تزكيت كان عليه السلام يقول اللهم لا تكني الى نفسي طرفه عين (ثم لا تجدلك علينا نصيرا) معينالك يمنع عذابنا عنك (وان كادوا) أي أهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم (من الارض) من أرض مكة (١٨٥) (ليخرجوك منها واذا اليلبثون) لا يبقون

(خلفك) بعدك أي بعد

اخراجك خلفك كوفي

غير أبي بكر وشامي بمعناه

(الاقليلا) زمانا قليلا فان

الله مهلكهم وكان كما قال

فقد أهلكوا بيد بعد

اخرجه بقليل أو معناه ولو

أخرجوك لاستؤصلوا عن

بكرة أيهم ولم يخرجوه بل

هاجر بامر ربه وقيل من

أرض العرب أو من

أرض المدينة (سنة من

أرسلنا قبلك من رسلنا)

يعني أن كل قوم أخرجوا

رسولهم من بين ظهرائهم

فسنة الله أن يهلكهم

ونصبت نصب المصدر

المؤكد أي سن الله ذلك

سنة (ولا تجدل لسننا

نحويلا) تبديلا (أقم

الصلاة لدلوك الشمس)

لزواها وعلى هذه الآية

جامعة للصلوات الخمس أو

لغروبها وعلى هذا يخرج

الظهر والعصر (الى غسق

الليل) هو الظلمة وهو

وقت صلاة العشاء (وقرآن

الفجر) صلاة الفجر

سميت قرآنا وهو القراءة

لكونها ركنا كما سميت

أي لو فعلت ذلك لاذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعني ضاعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة (ثم لا تجدلك علينا نصيرا) أي ناصرا يمنعك من عذابنا ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها) قيل هذه الآية مدنية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة وذلك حسدا فانوه فقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بارض الانبياء وان أرض الانبياء الشام وهي الارض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا مثلهم فأت الشام وانما يمنعك من الخروج اليها مخافة الروم وان الله سميعك من الروم ان كنت رسوله فعسكر النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أميال من المدينة وفي رواية الى ذى الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه فيخرج فأنزل الله هذه الآية فالارض هنا أرض المدينة وقيل الارض أرض مكة والآية مكية والمعنى هم المشركون أن يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا أليق بالآية لان ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون كلهم وأرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه ففزع الله رسوله ولم ينالوا منه ما أملوه والاستفزاز الازعاج (واذا اليلبثون خلفك الا قليلا) أي لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا حتى يهلكوا ﴿ قوله سبحانه وتعالى (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) يعني ان كل قوم أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم وأن لا يعذبهم مادام نبينهم بينهم فاذا خرج من بين أظهرهم عذبهم (ولا تجدل سننتنا نحويلا) أي تبديلا ﴿ قوله سبحانه وتعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس) روى عن ابن مسعود أنه قال للدلوك الغروب وهو قول النخعي ومقاتل والضحاك والسدي وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثر التابعين ومعنى اللفظ يجمعهما لان أصل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت واذا غربت والحل على الزوال أولى القواين لكثرة القائلين به واذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر (الى غسق الليل) أي ظهور ظلمته وقال ابن عباس بد والليل وهذا يتناول المغرب والعشاء (وقرآن الفجر) يعني صلاة الفجر سمي الصلاة قرآنا لانها لا تجوز الا بقرآن (ان قرآن الفجر كان مشهودا) أي يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءا وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر يقول أبو هريرة اقرؤا ان شتم ان قرآن الفجر كان مشهودا قال الامام غفر الدين الرازي في تفسيره هذا دليل قاطع قوي على ان التغليس أفضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من أول الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيب القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار أما اذا ابتدأ بهذه الصلاة في وقت الاسفار فهناك لم يبق أحد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور في الآية فثبت ان قوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا دليل على ان الصلاة في أول وقتها أفضل ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ومن الليل فتهجد به) أي قم بعد نومك والتهجد لا يكون الا بعد القيام من النوم والمراد من الآية قيام الليل للصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الامة في الابتداء لقوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا

(٢٤ - (خازن) - ثالث) ركوعا وسجودا وهو حجة على الاصم حيث زعم ان القراءة ليست بركن أو سميت قرآنا طول قراءتها وهو عطف على الصلاة (ان قرآن الفجر كان مشهودا) يشهده ملائكة الليل والنهار ينزه هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر يومان الليل وأول ديوان النهار أو يشهده الكثير من المصلين في العادة (ومن الليل) وعليك بعض الليل (فتهجد) والتهجد ترك لهجود للصلاة ويقال في النوم أيضا تهجد (به) بالقرآن

وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشر ثم سلوا
الله الى الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سألني الوسيلة
حلت عليه الشفاعة (م) عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته
حلت له شفاعتي يوم القيامة (ق) عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة
فيهمون لذلك وفي رواية فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيرجحنا من مكاننا فيأتون آدم
فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع
لنا عند ربك حتى يرجحنا من مكاننا هذا فيقول لست هنا كم فيذ كر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها
ولكن اتوا نوحا وأول رسول بعثه الله الى أهل الارض فيأتون نوحا فيقول لست هنا كم فيذ كر خطيئته التي
أصاب فيستحي ربه منها ولكن اتوا ابراهيم الذي اتخذه الله خليلا فيأتون ابراهيم فيقول لست هنا كم
ويذ كر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن اتوا موسى الذي كلمه الله وأعطاه التوراة قال فيأتون
موسى فيقول لست هنا كم ويذ كر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن اتوا عيسى روح الله وكلمته
فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هنا كم ولكن اتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا قد غفر له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتوني فاستأذن علي ربي تعالى فيؤذن لي
فاذا أرايته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله فيقال يا محمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع
رأسى فاجدر بي بتحميد يعلمني ربي ثم اشفع فيحدي حدا فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فاقع
ساجدا فيدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقال لي ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع
رأسى فاجدر بي بتحميد يعلمني ربي ثم اشفع فيحدي حدا فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدري
في الثالثة أو في الرابعة قال فأقول يا رب ما تبي في النار الا من حبسه القرآن أي من وجب عليه الخلود وفي رواية
للبخاري ثم تلا هذه الآية عسى أن يعثرك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى
الله عليه وسلم زاد في رواية فقال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من
الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من
قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة قال يزيد بن زريع في حديث شعبة ذرة وفي رواية من ايمان
مكان خير وفي حديث معبد بن هلال العنزي عن أنس في حديث الشفاعة وذ كر نحوه وفيه فأقول يا رب
أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من منقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه من النار
فانطلق فاقبل قال فلما اخرجنا من عند أنس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثنا بالحديث الى هذا الموضع
فقال هيه فقلنا لم يزدنا على هذا فقال لقد حدثني وهو يومئذ جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال ثم
أعود في الرابعة فاجده بتلك المحامد ثم أخره ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط
واشفع تشفع فأقول يا رب انذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذاك لك أو قال ليس ذاك اليك ولكن
وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن منها من قال لا اله الا الله قوله وهو يومئذ جميع أي مجتمع
الذهن والرأي عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أناس يدولد آدم يوم القيامة ولا خرف
ويدي لواء الحمد ولا خروما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائى وأنا أول من تنشق عنه الارض
ولا خرف قال فيغزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا اشفع لنا الى ربك فيقول اني أذنبت
ذنبا عظيما فاهبطت به الى الارض ولكن اتوا نوحا فيأتون نوحا فيقول اني دعوت على أهل الارض دعوة
فاهلكوا ولكن اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقول اني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ما منها كذبة الا ما حل بها عن دين الله ولكن اتوا موسى فيأتون موسى فيقول قد
 قتلت نفسا ولكن اتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول انى عبدت من دون الله ولكن اتوا محمدا فيأتون
 فانطلق معهم قال ابن جده ان قال انس فكأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فآخذ بحلقه باب
 الجنة فاقعقها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتخون لى ويقولون مرحبا فخر ساجدا فيلهمنى الله من الثناء
 والحمد فيقال لى ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع وقل بسمع لقولك وهو المقام المحمود الذى قال الله
 سبحانه وتعالى عسى أن يبغثك ربك مقاما محمودا قال حفيان ليس عن انس غير هذه الكلمة فآخذ
 بحلقه باب الجنة فاقعقها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتخون لى ويرحبون لى فيقولون مرحبا فخر ساجدا
 فيلهمنى الله من الثناء والحمد أخرجه الترمذى قوله ما حل المعاملة الخاصة والمجادلة والمعنى انه عليه الصلاة
 والسلام خاصم وجادل عن دين الله بتلك الالفاظ التى صدرت منه وقوله فاقعقها أى أحر كها حركة شديدة
 والقعقة حكاية أصوات الترس وغيره مما له صوت عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول
 الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا أسوا ولواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد
 آدم على ربي ولا نقرأ أخرجه الترمذى زاذنى رواية غير الترمذى وأنا مستشفعهم اذا حبسوا الكرامة والمفاتيح
 يومئذ بيدي يطوف على خدم كأنهم بيض مكنون أولوؤ منشور (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الارض وأول شافع وأول مشفع زاد
 الترمذى قال أنا أول من تنشق عنه الارض فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش فليس أحد
 من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال ان الشمس تدنو يوم
 القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فينباهم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد عليه أفضل الصلاة
 والسلام فيشفع ليقتضى بين الخلائق فيمشى حتى يأخذ بحلقه الباب فيومئذ يعنه الله مقاما محمودا بمحمد في
 أهل الجمع كلهم (م) عن يزيد بن صهيب قال كنت قد شفقتنى رأى من رأى الخوارج نخر جنافى عصاة ذوى
 عدد يزيد أن نخرج ثم نخرج على الناس قال فررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله جالس الى سارية يحدث
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت يا صاحب رسول الله ما هذا الذى تحدثوننا
 والله يقول انك من تدخل النار فقد أخرجت به وكما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها فها هذا الذين يقولون
 قال أتقرأ القرآن قلت نعم قال فأقرأ ما قبله انه فى الكفار ثم قال فهل سمعت بمقام محمد الذى يعنه الله فيمقلت
 نعم قال فان مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذى يخرج الله به من النار قال ثم نعت وضع
 الصراط ومر الناس عليه قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذلك قال غيره انه قد زعم ان قوما يخرجون من
 النار بعد أن يكونوا فيها قال يعنى فيخرجون كأنهم عيذان السمام قال فيدخلون نهران أنهار الجنة
 فيفتلون فيه فيخرجون منه كأنهم القراطيس فرجعنا فقلنا وبحكم أترون هذا الشيخ يكذب على رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا فإلا والله ما خرج غير رجل واحد وكما قال والاحاديث فى الشفاعة كثيرة
 وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة وروى أبو وائل عن ابن مسعود أنه قال ان
 الله اتخذ ابراهيم خليلا وان صاحبكم خليل الله وأكرم الخلق عليه ثم قرأ عسى أن يبغثك ربك مقاما محمودا
 قال يقعد على العرش وعن مجاهد مثله وعن عبد الله بن سلام قال يقعد على الكرسي ﴿ قوله عز وجل
 (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق) المراد منهما الادخال والاخراج قال ابن عباس
 معناه أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق من مكة نزلت حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بالهجرة وقيل معناه أخرجنى من مكة آمنان من المشركين وأدخلنى مكة ظاهرا عليها بالفتح وقيل أدخلنى فى
 أمرك الذى أرسلتنى به من النبوة مدخل صدق وأخرجنى من الدنيا وقد فت بما وجب على من حق النبوة

(وقل رب أدخلنى مدخل
 صدق) هو مصدر أى
 أدخلنى القبر ادخالا مرضيا
 على طهارة من الزلات
 (وأخرجنى مخرج صدق)
 أى أخرجنى منه عند
 البعث اخراجا مرضيا ملتقى
 بالكرامة آمنان الملامة
 دليله ذكره على أثر ذلك
 البعث وقيل نزلت حين
 أمر بالهجرة يريد ادخال
 المدينة والاخراج من مكة
 أو هو عام فى كل ما يدخل
 فيه ويلبسه من أمر
 ومكان

واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) حجة تنصرف في علي من خالفني أو ملكا وعزاقا أو ناصر للاسلام على الكفر مظهره عليه (وقل جاء الحق) اسلام (وزهق) وذهب وهلك (الباطل) الشرك أو جاء القرآن وهلك الشيطان (ان الباطل كان زهوقا) كان مضمحلًا في كل أو ان ينزل) وبالتخفيف أبو عمرو (من القرآن) من للتبيين (ما هو شفاء) (١٨٩) من أمراض القلوب (ورجة) وتفريج

للكروب وتطهير للعيوب
وتكفير للذنوب (للمؤمنين)
وفي الحديث من لم يستشف
بالقرآن فلا شفاؤه الله (ولا
يزيد الظالمين) الكافرين
(الاخسار) ضللا
لتكذيبهم به وكفرهم
(واذا أنعمنا على الانسان)
بالصحة والسعة (أعرض)
عن ذكر الله أو أنعمنا
بالقرآن أعرض (ونأى
بجانبه) تأكيد للاعراض
لان الاعراض عن الشيء
أن يولييه عرض وجهه
والنأى بالجانب أن يولي
عنه عطفه ويولي ظهره أو
أراد الاستكبار لان ذلك
من عادة المستكبرين نأى
بالامالة حزة وبكسر ها على
(واذامسه الشر) الفقر
والمرض أو نازله من النوازل
(كان يؤسا) شديد اليأس
من روح الله (قل كل) أي
كل أحد (يعمل على شاكلته)
على مذهبه وطريقته التي
تشاكل حاله في الهدى
والضلال (فر بكم أعلم بمن
هو أهدي سبيلا) أسد
مذهبا وطريقة (ويستلونك
عن الروح قل الروح من
أمر ربي) أي من أمر
يعلمه ربي الجمهور على أنه

خرج صدق وقيل معناه أدخلني في طاعتك مدخل صدق وأخرجني من المناهي مخرج صدق وقيل معناه
دخلني حينما أدخلتني بالصدق وأخرجني بالصدق ولا تجعلني ممن يخرج بوجه ويدخل بوجه فان ذا الوجهين
يكون آمنًا عند الله (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) أي حجة بينة وقيل ملكا أو ناصر في به على
من عاداني وعز اظاهرا أقيم به دينك فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما ويجعله له وأجاب دعاءه
قال له والله يعصمك من الناس وقال ليظهره على الدين كله وقال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ستخلفنهم في الارض الآية ﴿ قوله تعالى (وقل جاء الحق) يعني الاسلام والقرآن (وزهق الباطل) أي
شرك والشيطان (ان الباطل كان زهوقا) أي مضمحلًا غير ثابت وذلك ان الباطل وان كان له دولة وصوله
بوقت من الاوقات فهو سر يع الذهاب والزوال (ق) عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبي صلى الله
عليه وسلم مكة يوم الفتح وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعد في يده ويقول جاء الحق
زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ونزل
من القرآن ما هو شفاء) من في قوله تعالى من القرآن لبيان الجنس والمعنى تنزل من هذا الجنس الذي هو
أن ما هو شفاء أي بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف فيه ويتضح به المشكل ويستشفى به من
شبهة ويهتدي به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء لأمراض الباطنة
الظاهرة وذلك (٣) لانها تنقسم الى نوعين أحدهما الاعتقادات الباطلة والثاني الاخلاق المدمومة
بالاعتقادات الباطلة فاشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة في الذات والصفات والنبوات والقضاء والقدر
لبعث بعد الموت فالقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه الاشياء وابطال المذاهب
فاسدة لاجرم كان القرآن شفاء لما في القلوب من هذا النوع وأما النوع الثاني وهو الاخلاق المدمومة
لقرآن مشتمل على التنفير منها والارشاد الى الاخلاق الحمودة والاعمال الفاضلة فثبت أن القرآن شفاء من
جميع الامراض الباطنة وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرًا من
الامراض بدل عليه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب وما يدريك أنهار قية (ورجة
وؤمنين) لما كان القرآن شفاء لأمراض الباطنة والظاهرة فهو جدير بان يكون رجة للمؤمنين (ولا يزيد
الظالمين الا خسارًا) لان الظالم لا ينتفع به والمؤمن ينتفع به فكان رجة للمؤمنين وخسار للظالمين وقيل لان
كل آية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد خسارهم قال قتادة لم يجالس القرآن أحد الا قام عنه بزيادة أو
بصان قضاء الله الذي قضى شفاء ورجة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارًا ﴿ قوله سبحانه وتعالى (واذا
أنعمنا على الانسان) أي بالصحة والسعة (أعرض) أي عن ذكرنا ودعائنا (ونأى) بجانبه أي تباعد منا بنفسه
ترك التقرب اليه بالدعاء وقيل معناه تكبر وتعظم (واذامسه الشر) أي الشدة والضرر (كان يؤسا) أي
ساقنوطا وقيل معناه انه يتضرع ويدعو عند الضرر والشدة فاذا تأخرت الاجابة يشس فلا ينبغي للمؤمن أن
يدع الدعاء ولو تأخرت الاجابة ﴿ قوله عز وجل (قل كل) أي كل أحد (يعمل على شاكلته) قال ابن عباس على
احيته وقيل الشاكلة الطريقة أي على طريقته التي جبل عليها وفيه وجه آخر وهو ان كل انسان يعمل على
حسب جوهر نفسه فان كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه أفعال جميلة وأخلاق زكية طاهرة وان كانت
نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه أفعال خبيثة فاسدة رديئة (فر بكم أعلم بمن هو أهدي سبيلا) أي أوضح
لمن يقاروا حسن مذهبا واتباع الحق قوله سبحانه وتعالى (ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)

روح التي في الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبرانه من أمر الله أي مما استأثر بعلمه وعن أبي هريرة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم
بما علم الروح وقد عجزت الاوائل عن ادراك ماهيته بعد انفاق الاعمار الطويلة (٣) قوله لانها تنقسم الى نوعين
في الامراض الغير الجسمانية بدليل قوله بعد وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية والعبارة في الفخر الرازي بغاية التهذيب فليراجع

على الخوض فيه والحكمة في ذلك تهيئ العقل عن ادراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على انه عن ادراك خالقه أعجز ولذا رد ما قيل في حده
انه جسم دقيق هوائي في كل جزء من الحيوان وقيل هو خلق عظيم روحاني أعظم من الملك وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو جبريل عليه
السلام نزل به الروح الامين على قلبك (١٩٠) وعن الحسن القرآن دليله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ولان به

(ق) عن عبد الله بن مسعود قال بينما أنا مع النبي مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتوكل على عسيب معه فر
بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه يسعكم ما نكرهون فقاموا اليه وفي
رواية فقام اليه رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت وفي رواية فقالوا احذتنا عن الروح فقام ساعة ينتظر
الوحي وعرفت انه يوحى اليه فتأخرت حتى صعد الوحي قال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي
وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه وفي رواية وما أوتوا من العلم الا قليلا قال
الاعمش هكذا في قراءة ثنا العسيب جريد الغزل وسعفه وقال ابن عباس ان قرينا جفعا او قالوا ان محمد انشا
فيه بالامانة والصدق وما اتهمناه بكذب قط وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نورا الى اليهود بالمدينة واسألوهم عن
فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة أشياء فان أجاب عن كلها ولم يجب عن
شيء منها فليس بنبي وان أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحد فهو نبي فاسألوه عن فتية فقد وافي الزمن الاول
ما كان شأنهم فانه كان ظم حديث عجيب وعن رجل بلغ مشرق الارض ومغربها ما أخبره وعن الروح قال
فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألتكم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي قال مجاهد اثني
عشر يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون قد وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لا نجرينا
بشيء حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه
السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ونزل في الفتية أم حسبت ان أصحاب
الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب قوله ويسئلونك عن ذي القرنين ونزل
في الروح ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي واختلفوا في الذي وقع السؤال عنه فروى عن ابن
عباس انه جبريل وعن علي انه ملك له سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون
ألف لغة يسبح الله تعالى بكلماتها وقال مجاهد خلق على صورة بنى آدم لهم أيدي وأرجل ورؤوس ليسوا بملائكة ولا
ناس يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يطلع
السماوات والارض ومن فيها بقمة واحدة لفعل ذلك صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على
صورة وجه آدميين يقوم يوم القيامة على بين العرش وهو أقرب الخلق الى الله تعالى اليوم عند الحجب
السبعين وأقرب الخلق الى الله يوم القيامة وهو ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين الملائكة ستر من
نور لا حرق أهل السموات من نوره وقيل الروح هو القرآن لان الله ساءد روحا ولان به حياة القلوب وقيل
هو الروح المركب في الخلق الذي به يحيا الانسان وهو أصح الاقوال ونكاح قوم في ماهية الروح فقال بعضهم
هو الدم الأتري ان الانسان اذا مات لا يفوت منه شيء الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل انه يموت
باحتماس النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف يحيا به الانسان وقيل الروح معنى اجتمع فيه
النور والطيب والعلم والعلو والبقاء الأتري انه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات
واذا خرج منه ذهب السكل وأقرب الحكماء والصوفية في ماهية الروح كثيرة وليس هذا موضع استقصائها
وأولى الاقوال ان يوكل علمه الى الله عز وجل وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بر يدة ان الله لم يطلع على
الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلًا بدليل قوله قل الروح من أمر ربي أي من علم ربي الذي استأثر به (وما
أوتيتم من العلم) أي من علم ربي (الاقليلا) أي في جنب علم الله عز وجل الخطاب عام وقيل هو خطاب

حياة القلوب ومن أمر ربي
أي من وحيه وكلامه ليس
من كلام البشر وروى أن
اليهود بعثت الى قريش
أن سلوه عن أصحاب
الكهف وعن ذي القرنين
وعن الروح فان أجاب
عن السكل أو سكت عن
السكل فليس بنبي وان
أجاب عن بعض وسكت
عن بعض فهو نبي فبين ظم
القصتين وأهم أمر الروح
وهو مبهم في التوراة
فندموا على سؤاظهم وقيل
كان السؤال عن خلق
الروح يعني أهو مخلوق أم
لا وقوله من أمر ربي دليل
خلق الروح فكان هذا
جوابا (وما أوتيتم من العلم
الاقليلا) الخطاب عام فقد
روى أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما قال ظم
ذلك قالوا نحن مختصون
بهذا الخطاب أم أنت معنا
فيه فقال بل نحن وأنت لم
توت من العلم الا قليلا
وقيل هو خطاب لليهود
خاصة لانهم قالوا لاني صلى
الله عليه وسلم قد أوتينا
التوراة وفيها الحكمة وقد
تلوت ومن يوت الحكمة

فقد أوتي خيرا كثيرا فقيل ظم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله فالقلة والكثرة من الامور الاضافية
فالْحِكْمَةُ التي أوتيتها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا أضيفت الى علم الله تعالى فهي قليلة ثم نبه على نعمة الوحي وعزاه بالصبر على أذى
الجدال في السؤال بقوله

(ولئن شئت لذهبن بالنبي أو حيننا إليك) لذهبن جواب قسم محذوف مع نيابة عن جزاء الشرط واللام الداخلة على أن موطئة للقسم والمعنى ان شئت اذهبن بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) أي ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا (الارحة من ربك ان فضله كان عليك) (١٩١) كبيرا) أي الا أن يرحمك ربك

فيرده عليك كأن رحمة
تتوكل عليه بالرد أو يكون
على الاستثناء المنقطع أي
ولكن رحمة من ربك
تركته غير مذهب به
وهذا امتنان من الله تعالى
ببقاء القرآن محفوظا
بعد المنة العظيمة في تنزيهه
وتحفيظه ونزل جوابا
لقول النضر لانشاء لقنا
مثل هذا (قل لئن اجتمعت
الانس والجن على أن
يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا)
معينا ولا يأتون جواب
قسم محذوف ولولا اللام
الموطئة لجاز أن يكون
جوابا للشرط كقوله

يقول لا غائب مالي ولا حرمي
لان الشرط وقع ماضيا
أي لو تظاهروا على أن
يأتوا بمثل هذا القرآن
في بلاغته وحسن نظمه
وتأليفه لمجزوا عن الاتيان
بمثله (ولقد صرفنا) رددنا
وكررنا (للناس في هذا
القرآن من كل مثل) من
كل معنى هو كالمثل في
غرابته وحسنه (فأني
كثير الناس الا كفورا)
ججودا وانما جاز فأني

اليهود فانهم كانوا يقولون أو تبنا التوراة وفيها العلم الكثير فقبل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله
وقيل ان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فوصف الشيء بالقللة مضافا الى ما فوقه وبالكثر مضافا الى ما تحته
وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم علم معنى الروح ولكن لم يخبر به لان ترك الاخبار به كان علما النبوة
والقول الاصح هو ان الله عز وجل استأثر بعلم الروح ﴿ قوله عز وجل (ولئن شئت لذهبن بالنبي أو حيننا
إليك) ومعناه انا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك ان شئت اذهبن بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف
فلم نترك له أثرا وبقيت كما كنت ما تدري ما الكتاب (ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) معناه لا تجد بعد الذهاب
به من يتوكل علينا باسترداده عليك واعادته محفوظا مسطورا (الارحة من ربك) معناه الا أن يرحمك ربك
فيرده عليك وقيل هو على الاستثناء المنقطع معناه لكن رحمة من ربك تركته غير مذهب به وهذا
امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا فان قلت كيف يذهب بالقرآن وهو كلام الله عز وجل قلت المراد
منه محو ما في المصاحف وازهاب ما في الصدور قال عبد الله بن مسعود اقرؤا القرآن قبل أن يرفع فانه لا تقوم
الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسري عليه ليل لا يرفع ما في
صدورهم فيصحبون لا يحفظون شيئا ولا يجدون ما في المصاحف شيئا ثم تفيضون في الشعر وعن عبد الله بن
عمر بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوى حول العرش كدوى النحل فيقول
الرب مالك فيقول يارب اتلى ولا يعمل بي (ان فضله كان عليك كبيرا) أي بسبب بقاء العلم والقرآن عليك
وجعلك سيد ولد آدم وختم النبيين بك واعطائك المقام المحمود ﴿ قوله سبحانه وتعالى (قل لئن
اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) أي لا يقدر على ذلك (ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا) أي عوانزت حين قال المشركون لانشاء لقنا مثل هذا فكذبهم الله عز وجل فالقرآن
مجزي في النظم والتأليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبهه كلام الخلق لانه
كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقا لآتوا بمثله ﴿ قوله عز وجل (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن
من كل مثل) أي رددنا وكررنا من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبر
والاحكام والوعود والوعيد والقصص وغيرها (فأني أكثر الناس الا كفورا) أي ججودا ﴿ قوله سبحانه وتعالى
(وقالوا لن نؤمن لك) أي ان صدقك (حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) لما تبين اعجاز القرآن وانضمت
اليه المعجزات الأخرى وبنات ولزمتهم الحججة وغلبوا أخذوا يتغالبون باقتراح الآيات فقالوا لن نؤمن لك روى
عكرمة عن ابن عباس ان عتبة وشيبة ابني ربيعة وأباسفيا بن حرب والنضر بن الحرث وأبا البختري
ابن هشام والاسود بن عبد المطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وأباجهل بن هشام وعبد الله بن أبي
أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونيها ومنه ابني الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر
الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكموه وخصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان أشرف
قومك قد اجتمعوا لك ليكموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريرا وهو يظن انه بدأهم في
أمره بدأ وكان حريصا يحب رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لتعترف بك وانا والله لانعلم
رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسففت الاحلام
وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة وما بقي من قبيح الا وقد جثته فيما بيننا وبينك فان كنت جئت

أكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الازيد الان أبي تناول بلنقى كأنه قيل فلم يرضوا الا كفورا ولم تبين اعجاز القرآن وانضمت
اليه المعجزات الاخرى ولزمتهم الحججة وغلبوا اقترحوا الآيات فعل المبهوت المحجور المتحير (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا) وبات تخفيف
كوفي (من الارض) أي مكة (ينبوعا) عينا غزيرة من شأنها ان تنبع بالماء لا تقطر بفعل من نبع الماء

زعمت علينا كسفا) بفتح
السين مدني وعاصم أي
قطعا يقال اعطى كسفة
من هذا الثوب ويكون
السين غيرها جمع كسفة
كسرة وسدر يعنون
قوله ان نشأ نخف بهم
الارض أو تسقط عليهم
كسفا من السماء (أوتأني
بالله والملائكة قبلا)
كفيلما تقول شاهدا
بصحة والمعنى أوتأني بالله
قبلا والملائكة قبلا
كقوله كنت منه ووالدي
برياء أو مقابلا كالعشير
بمعنى المعاشر ونحوه لولا
أنزل علينا الملائكة أنزى
ربنا أو جماعة حال من
الملائكة (أو يكون لك
بيت من زخرف) ذهب
(أو ترقى في السماء) تصعد
(اليها وان تؤمن لرقيق)
لاجل رقيق (حتى تنزل
علينا) وبالتخفيف أبو
عمرو (كتابا) أي من
السماء فيه تصديقك
(تقرؤه) صفة كتاب
(قل) قال مكي وشامي أي
قال الرسول (سبحان
ربي) تعجب من اقتراحهم
عليه هل كنت الابن
رسولا) أي أنا رسول
كسائر الرسل بشر مثلهم
وكان الرسل لا يأتون
قومهم إلا بما يظهره الله

بهذا الحديث تطلب به ما لا جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أ أكثرنا ما لا وان كنت تريد الشرف سودناك
علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي بك ربياتراه قد غاب عليك لا تستطيع
رده بذاتك أموالنا في طلب الطب حتى يبرئك منه ونعذر فيك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم ولألشرف عليكم ولا
للملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبما جئتكم
رسالة ربي ونصحت لكم فان قبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والآخرة وان تردوه علي أصبر لامر الله حتى
يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد ان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس أحدا ضيق بلادنا
ولأنشد عبنا ما نفسل النار بك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ويسط لنا بلادنا
ويفجر لنا فيها الانهار كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضي من آبائنا وليكن منهم قصي بن كلاب
فانه كان شيخا صديقا فاسألهم عما تقولون أحق هو أم باطل فان صدقوك صدقناك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به فان قبلوه فهو حظكم وان تردوه أصبر لامر الله تعالى
قالوا فان لم تفعل هذا فسل لنا ربك أن يعث ملكا يصدقك واسأله أن يجعل لك جنات وقصورا وكنوزا
من ذهب وفضة يعينك بها على ما تريد فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما تلتمس فقال ما بعثت
بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا قالوا فاسقط السماء كما زعمت ان ربك ان شاء فعل فقال ذلك الى الله ان
شاء فعل ذلك بكم وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فاما قالوا ذلك قام رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن أبي أمية وهو ابن عمته عائكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك
قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم مالوك لأنفسهم أمور ايعرفون بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم مالوك أن تجعل
ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله ما أو من لك أبدا حتى تتخذ الى السماء مرقى ترقى فيه وأما أنظر حتى
تأتيها فتأتي بنسخة منشورة معك ونقر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وأيم الله لو فعلت ذلك لظننت
أن لأصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله خرينا لما رأى من مبادعتهم فانزل الله تعالى
وقالوا ان تؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض يعني أرض مكة ينبوعا أي عيوننا (أوتكون لك جنة من نخيل
وعن) أي بستان فيه نخيل وعن (فتفجر الانهار خلاها تفجيرا) أي تشقيا (أو تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا) أي قطعا (أوتأني بالله والملائكة قبلا) قال ابن عباس كقبلا أي يكفلون بما تقول وقيل هو جمع
القبيلة أي باصناف الملائكة قبيلة قبيلة يشهدون لك بصحة ما تقول وقيل معناه تراهم مقابلة عيانا (أو يكون
لك بيت من زخرف) أي من ذهب وأصله الزينة (أو ترقى) أي تصعد (في السماء ولن تؤمن لرقيق) أي
لاجل رقيق (حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) أمرنا فيه باتباعك وهذا قول عبد الله بن أبي أمية (قل) أي قل
يا محمد (سبحان ربي) أمره بتزبيها وتعجيد وفيه معنى التعجب (هل كنت الابن رسولا) أي كسائر الرسل
لا يمهم وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات اليهم إنما هو الى الله
تعالى ولو أراد أن يتغزل ما طلبوا الفعل ولكن لا ينزل الآيات على ما اقترحه البشر وما أنا الا بشر وليس ما سألتهم
في طوق البشر واعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من الآيات والمعجزات ما يغني
عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه وما أشبهها من الآيات وليست بدون
ما اقترحوه بل هي أعظم مما اقترحوه والقوم عامتهم كانوا متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فرد
الله تعالى عليهم سؤلهم قوله عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) أي الوحي والمعنى
وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الاشبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم أن

عليهم من الآيات فليس أمر الآيات الى انما هو الى الله فما بالكم تخبرونها على (وما منع الناس)
يعني أهل مكة ومحل (أن يؤمنوا) نصب بانه مفعول ثان لمنع (اذ جاءهم الهدى) النبي والقرآن

(الآن قالوا) فاعل منع والتقدير وما منعهم الايمان بالقرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا قولهم (أبعث الله بشرا رسولا) أى الاشبهة
تمكنت في صدورهم وهى انكارهم أن يرسل الله البشر والهمزة فى أبعث الله لانكار وما أنكروه ٣ فى قضية حكمته منكر ثم رد الله
عليهم بقوله (قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون) على أقدامهم كما يمشى الانس ولا يطرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا
ما يجب عليهم (مطمئنين) حال أى ساكنين فى الارض قارين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يعلمهم الخير ويهديهم المرشد فاما
الانس فأنما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم وبشراؤهم كاحال ان من رسولا (قل كفى بالله شهيدا
بينى وبينكم) على انى بلغت ما أرسلت به اليكم وانكم كذبتم (١٩٣) وعاندتم شهيدا تميزا وحال (انه كان بعباده)

المنذرين والمنذرين (خيبرا)
عالمنا باحوالهم (بصيرا)
بافعالهم فهو مجاز بهم وهذه
نسبية لرسول الله عليه
السلام ووعد للكفرة
(ومن يهد الله فهو المهتد)
وبالباء يعقوب وسهل
واقفهما أبو عمرو ومدنى
فى الوصل أى من وفقه الله
لقبول ما كان من الهدى
فهو المهتدى عند الله (ومن
يضلل) أى ومن يخله ولم
يعصمه حتى قبل وساوس
الشیطان (فلن نجد لهم
أولياء من دونه) أى انصارا
(ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم) أى
يسحبون عليها كقوله
يوم يسحبون فى النار على
وجوههم وقيل لرسول الله
عليه السلام كيف يمشون
على وجوههم قال ان الذى
أمشاهم على أقدامهم قادر
على أن يمشيهم على
وجوههم (عميا وبكأوصما)

يرسل الله البشر وهو قوله تعالى (الآن قالوا) أى جهلا منهم (أبعث الله بشرا رسولا) وذلك ان الكفار
كانوا يقولون لن تؤمن لك لانك بشر وهلا بعث الله اليك ملكا كما جاءهم الله بقوله (قل لو كان فى الارض
ملائكة يمشون مطمئنين) أى مستوطنين مقيمين فيها (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) أى من
جنسهم لان الجنس الى الجنس أميل (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) أى على انى رسوله اليكم وانى قد
بلغت ما أرسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم (انه كان بعباده) يعنى المنذرين والمنذرين (خيبرا بصيرا) أى
عالمنا باحوالهم فهو مجاز بهم وفيه نسبية للنبي صلى الله عليه وسلم ووعد للكفار (ومن يهد الله فهو المهتد ومن
يضلل فلن نجد لهم أولياء من دونه) أى يهدونهم وفيه أيضا نسبية للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الذين حكم
لهم بالايمان والهداية وجب أن يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالضللال والجهل استحال ان ينقلبوا
عن ذلك (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) ق عن أنس ان رجلا قال يا رسول الله قال الله الذين يحشرون
على وجوههم الى جهنم أي يحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الذى أمشاه
على الرجلين فى الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة قال فتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا وعن أبى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبا
وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر
على أن يمشيهم على وجوههم اما أنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك أخرجه الترمذى الحذب كل ما ارتفع
من الارض (عميا وبكأوصما) أى لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون فان قلت كيف وصفهم بانهم عمي
وبكم وصم وقد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار وقال دعوا هنالك ثبورا وقال سمعوا لها نغيظا وزفيرا
فأبنت لهم الرؤية والكلام والسمع قلت فيه أوجه أحدها قال ابن عباس معناه عميا لا يبصرون ما يبصرهم
بكما لا ينطقون بحجة صما لا يسمعون ما يبصرهم الوجه الثانى قيل معناه يحشرون على ما وصفهم الله تعالى
ثم تعاد اليهم هذه الاشياء الوجه الثالث قيل معناه هذا حين يقال لهم اخسوا فيها ولا تكلمون فيصبرون
بأجمعهم عميا وبكأوصما لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون (مأواهم جهنم كلما خبت) أى سكن لها
وقيل ضعفت وهدأت من غير أن يوجد نقصان فى ايلام الكفار لان الله سبحانه وتعالى قال لا يفترونهم وقيل
معناه أرادت أن تحبو (زدناهم سعيرا) أى وقودا وقيل معناه خبت أى نضجت جلودهم واحترقت
أعبدوا الى ما كانوا عليه وزيد فى سعير النار تحرقهم (ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا) لما ذكر الوعيد
المتقدم قال ذلك جزاؤهم بما كفروا يعنى ذلك العذاب جزاؤهم بسبب كفرهم بآياتنا (وقالوا ماذا نعظما
ورفانا أننا لمبعوثون خلقا جديدا) أجابهم الله ورد عليهم بقوله (أولم يروا ان الله الذى خلق السموات

(٢٥ - (خازن) - ثالث) كما كانوا فى الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم فى الآخرة كذلك لا يبصرون
ما يقرأ عينهم ولا يسمعون ما يبلد مسامعهم ولا ينطقون بما لا يقبل منهم (مأواهم جهنم كلما خبت) طفي لها (زدناهم سعيرا) توقدا (ذلك
جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ماذا نعظما ورغنا أننا لمبعوثون خلقا جديدا) أى ذلك العذاب بسبب انهم كذبوا بالاعادة بعد
الافناء فجعل الله جزاءهم أن يسلط النار على أجزائهم تأكلها ثم يعيدها لا يزالون على ذلك ليزيد فى تحشرهم على تكذيبهم البعث (أولم يروا)
أولم يعلموا (أن الله الذى خلق السموات
المنكر عند الله لان قضية حكمته أن لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله أو الى الانبياء اه وهى ظاهرة اه مصححة

والارض قادر على أن يخلق مثلهم) من الانس (وجعل لهم أجلا لرب فيه) وهو الموت أو القيامة (فأبى الظالمون الا كفورا) تجردا مع وضوح الدليل (قل لو أتمت ملكون) تقديره لو تم ملكون أتم لان لو تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها فاضمر ملكك على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل وهو الواو ضمير منفصل وهو أتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فاتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب وأما ما يقتضيه علم البيان فهو ان أتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ (خزائن (١٩٤) رحمة ربى) رزقه وسائر نعمه على خلقه (اذا لامسكم خشية الانفاق) أى لبخاتم

والارض) أى فى عظمتها وشدتها (قادر على أن يخلق مثلهم) أى فى صغرهم وضعفهم (وجعل لهم أجلا) أى وقت العذابهم (لرب فيه) أى لاشك فيه أنه يأتيهم قبل الموت وقيل يوم القيامة (فأبى الظالمون الا كفورا) أى تجردا وعنادا (قل لو أتمت ملكون خزائن رحمة ربى) أى خزائن نعمه ورزقه وقيل ان خزائن الله غير متناهية والمعنى لو أنكم ملكتم من النعم خزائن لانهاية لها (اذا لامسكم) أى لبخاتم وحبسكم (خشية الانفاق) والفقر والنفاق وهذا ما بالغة عظيمة فى وصفهم بهذا الشئ (وكان الانسان قنورا) أى ممسكا بخيلا فان قلت قد يوجد فى جنس الانسان من هو جواد كريم فكيف وصفه بالبخل قلت الاصل فى الانسان البخل لانه خلق محتاج والمحتاج لا بد وأن يحب ما يدفع به عنه ضرر الحاجة ويمسك لنفسه الا أنه قد يوجد لاسباب خارجة مثل أن يحب المدحة أو رجاؤه أو ثواب فثبت بهذا أن الاصل فى الانسان البخل ﴿قوله تعالى﴾ (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أى دلالات واضحة قال ابن عباس هي العصا واليد البيضاء والعقدة التى كانت بلسانه خلفها وقلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل عوض فلق البحر واليد السنون ونقص من الثمرات وقيل الطمس والبعر بدل السنين والنقص قيل كان الرجل منهم مع أهله فى الفرائض وقد صارا حجرا من والمرأة قائمة تجوز وقد صارت حجرا وروى أن عمر بن عبد العزيز سأل محمد بن كعب القرظى عن الآيات وقد كرمها الطمس فقال عمر هذا يجب أن يكون الفقيه ثم قال يا غلام أخرج ذلك الجراب فأخرجه فاذا فيه بيض مكسر نصفين وجوز مكسر نصفين وثوم وحصص وعدس كلها حجارة وقيل التسع آيات هي آيات الكتاب وهي الاحكام بدل عليه ما روى عن صفوان بن غسان ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسال هذا النبي فقال الآخر لا تقل نبي فإنه لو سمع صارت له أربعة أعين فأتياه فسألاه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لا نشر كواكب الله شيئا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تزنا ولا تانا كورا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبرى الى سلطان ليقتله ولا تسرقوا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفرؤا من الزحف عليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا فى السبت فقبل يده وقال لا تشهد انك نبي قال فما يمنعكم ان تتبعوني قالوا ان داود دعاه به أن لا يزال فى ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود (فاسئل) يا محمد (بنى اسرائيل) يجوز الخطاب معه والمراد غيره ويجوز ان يكون خاطبه وأمره بالسؤال لينبين كذبهم مع قومهم (اذ جاءهم) يعنى جاء موسى الى فرعون بالرسالة من عند الله عز وجل (فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا) (قال) أى موسى (لقد علمت) أى فرعون (يا فرعون) (ما أنزل هؤلاء) الآيات (الارب السموات والارض) خالقهما (بصائر) حال أى

خشية أن يفنيه الانسان (وكان الانسان قنورا) بخيلا (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) عن ابن عباس رضى الله عنهما هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذى تنفه على بنى اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور (فاسئل بنى اسرائيل) فقلنا له سل بنى اسرائيل أى سألهم من فرعون وقل له أرسل معى بنى اسرائيل وقوله (اذ جاءهم) متعلق بقوله المحذوف أى فقلنا له سلهم حين جاءهم (فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا) مسحور غلوط عقلاك (قال) أى موسى (لقد علمت) يا فرعون (ما أنزل هؤلاء) الآيات (الارب السموات والارض) خالقهما (بصائر) حال أى

بينات مكشوفات لانك معاند ونحوه وحجدها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا علمت على أنى لست بمسحور كما وصفتنى بل أنا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات من ظلمات السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه بقوله (وانى لاظنك يا فرعون مشورا) كأنه قال ان ظننتى مسحورا فانا أظنك مشورا وظنى أصح من ظنك لان له أماره ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتة لآيات الله بعد وضوحها وأما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة أمرى انى لاظنك مسحورا قول كذب وقال الفراء مشور مصر وفاقن الخبر من قوم ما تبرك عن هذا أى ما منعك وصرفك (فاراد) فرعون (أن يستفزه) يخرجهم أى موسى وقومه (من الارض) أى أرض مصر أو ينفهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال

(فأغرقتناه ومن معه جميعا) فحاق به مكره بأن استفزه الله بأغراقه مع قبضه (وقلنا من بعده) من بعد فرعون (لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض) التي أراد فرعون أن يستفركم منها (فإذا جاء وعد الآخرة) أي القيامة (جئناكم لفيضا) جميعا مختلفين أياكم وإياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم وأشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (و بالحق أنزلناه وبالحق نزل) وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة وما نزل إلا متبسبا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية إلى كل خيرا وما أنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول إلا محفوظا بهم من تخليط الشياطين قال الراوي اشتكى محمد بن السماك فأخذنا ماء وذهنباه إلى طيب نصراني فاستقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة فني الثوب فقال لنا إلى أين فقلنا إلى فلان الطيب نزيه ماء ابن السماك فقال سبحان الله تستعينون على ولي الله عدو الله أضربوه على الأرض وارجعوا إلى ابن السماء وقولوا له ضع يدك على موضع الوجع وقل وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا إلى ابن السماك فأخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل (١٩٥) وعوفي في الوقت وقال كان ذلك الخضر

عليه السلام (وما أرسلناك إلا مبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار (وقرآنا) منصوب بفعل يفسره (فرقتاه) أي فصلناه أو فرقنا فيه الحق من الباطل (لتقرأه على الناس على مكث) على تودة وثبت (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا) أي اختاروا لأنفسكم النعيم المقيم أو العذاب الأليم ثم علل بقوله (ان الذين أتوا العلم من قبله) أي التوراة من قبل القرآن (إذا يتلى عليهم) القرآن (يجرون للاذقان سجدا) (ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) لقوله آمنوا به أو لا تؤمنوا أي عرض عنهم فانهم ان

أراد فرعون أن يخرج موسى وبنى إسرائيل من أرض مصر (فأغرقتناه ومن معه جميعا) أي أغرقنا فرعون وجنوده ونجينا موسى وقومه (وقلنا من بعده) أي من بعد هلاك فرعون (لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض) يعني أرض مصر والشام (فإذا جاء وعد الآخرة) يعني القيامة (جئناكم لفيضا) أي جميعا إلى موقف القيامة واللفيف الجمع الكثير إذا كانوا مختلفين من كل نوع فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر وقيل أراد بوعد الآخرة نزول عيسى من السماء ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (و بالحق أنزلناه وبالحق نزل) يعني ان ما أردنا أن نزال القرآن الاتقير به للحق فلما أردنا هذا المعنى فكذلك وقع وحصل وقيل معناه وما أنزلنا القرآن إلا بالحق المقضى لانزاله وما نزل إلا متبسبا بالحق لاشتماله على الهداية إلى كل خير (وما أرسلناك إلا مبشرا) يعني بالجنة للطيبين (ونذيرا) أي مخوفا بالنار للعاصين ﴿قوله عز وجل﴾ (وقرآنا فرقناه أي فصلناه وبيناه وقيل فرقناه به بين الحق والباطل وقيل معناه أنزلناه نجومال ينزل مرة واحدة بدليل قوله تعالى (لتقرأه على الناس على مكث) أي على تودة وترسل في ثلاث وعشرين سنة (ونزلناه تنزيلا) أي على حسب الحوادث (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا) فيه وعيد وتهديد (ان الذين أتوا العلم من قبله) قيل هم مؤمنوا أهل الكتاب الذين كانوا يطلبون الدين قبل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلموا بعد بعثته مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي وأبي ذر وغيرهم (إذا يتلى عليهم) يعني القرآن (يجرون للاذقان) قال ابن عباس أراد بها الوجوه (سجدا) أي يقعون على الوجوه سجدا (ويقولون سبحان ربنا) أي تعظيما لينا لانجاز ما وعد في الكتب المنزلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم (ان كان وعد ربنا لمفعولا) أي كأننا واقعاه (ويجرون للاذقان يكونون ويزيدهم خشوعا) أي خضوعا لربهم وقيل يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فالبكاء مستحب عند قراءة القرآن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا اجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم أخرجه الترمذي والنسائي وزاد النسائي في منخرى مسلم أبدأ اللوح الدخول والمخر الانف عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عينا لا تمسها النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله أخرجه الترمذي ﴿قوله عز وجل﴾ (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) قال ابن عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة

لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فان خيرا منهم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب قد آمنوا به وصدقوه فاذا نلى عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولا يجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد المذكور ان معنى انه وهى تؤكد الفعل كما ان تؤكدا الاسم وكما كدت ان باللام في انهم لمحضرون كدت ان باللام في لمفعولا (ويجرون للاذقان يكون) ومعنى الخرور للذقن السقوط على الوجه وانما حص الذقن لان أقرب الاشياء من وجهه إلى الأرض عند السجود الذقن يقال خر على وجهه وعلى ذقنه وخر لوجهه ولذقنه أما معنى على فظاهر وأما معنى اللام فكانه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به اذ اللام للاختصاص وكرر يجرون للاذقان لاختلاف الحالين وهما خروهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين (ويزيدهم) القرآن (خشوعا) لين قلب ورطوبة عين (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) لما سمع أبو جهل يقول يا الله يا رحمن قال انه نهانا أن نعبد الهين وهو يدعوها آخر فنزلت وقيل ان أهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقدأكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وأوللتخير أي سمو بهذا الاسم أو بهذا أو اذ كروا ما هذا وما هذا والتنوين في

(أَيَامَانِدَعُوا) عوض من المضاف اليه وماز يدت للتوكيد وأيانصب بتدعوا وهو محذوم باي أي أي هذين الاسمين ذكركم وسميتم (قله) الاسماء الحسنى) والضمير في له يرجع الى ذات الله تعالى والفاء لانه جواب الشرط أي أيمان تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حفت أسماءه (١٩٦) كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها أحسن الاسماء انهما مستقلة بمعاني التمجيد

فجعل يقول في سجوده يا الله يا رحمن فقال أبو جهل ان محمداً ينهانا عن آلهتنا وهو يدعوا لهين فانزل الله هذه الآية ومعناه انهما اسمان لله تعالى فسموه بهذا الاسم أو بهذا الاسم (أَيَامَانِدَعُوا) ماصلة ومعناه أي هذين الاسمين سميتم وذكركم أو من جميع أسمائه (فله الاسماء الحسنى) يعني اذا حست أسماءه كلها فهذان الاسمان منها ومعنى كونها حسنى انهما مشتملة على معاني التقديس والتعظيم والتمجيد (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) (ق) عن ابن عباس في قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم محتف بمكة وكان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى انبيي صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك أي بقراءة تك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا زاد في رواية وابتغ بين ذلك سبيلا أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن وقيل نزلت الآية في الدعاء وهو قول عائشة والنخعي ومجاهد ومكحول (ق) عن عائشة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت نزل ذلك في الدعاء وقيل كان أعراب من بني نعيم اذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا ما لا ولد يجهرون بذلك فانزل الله عز وجل ولا تجهر بصلاتك أي لا ترفع صوتك بقراءة تك ودعائك ولا تخافت بها الخفاضة خفض الصوت والسكوت (وابتغ) أي اطلب (بين ذلك سبيلا) أي طريقا وسطا بين الجهر والاختفاء عن أي فتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض من صوتك فقال اني سمعت من ناجيت فقال ارفع قليلا وقال لعمر مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع من صوتك فقال اني أوقف الوسنان وأطر د الشيطان فقال اخفض قليلا أخرجه الترمذي (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يحمده على وحدانيته وقيل معناه الحمد لله الذي عرفني انه لم يتخذ ولدا وقيل ان كل من له ولد فهو معك جميع النعم لولده واذا لم يكن له ولد أفاض بنعمه على عبده وقيل ان الولد يقوم مقام والده بعد انقضائه والله عز وجل يتعالى عن جميع النقائص فهو المستحق لجميع المحامد (ولم يكن له شريك في الملك) والسبب في اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك لم يكن مستحقا للحمد والشكر وكذا قوله (ولم يكن له ولي من الدن) ومعناه انه لم يذل فيحتاج الى ناصر يتعززه (وكبره تكبيرا) أي وعظمه عن أن يكون له ولد أو شريك أو ولي وقيل اذا كان منزها عن الولد والشريك والولي كان مستوجبا لجميع أنواع المحامد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر لاله الا الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الكلام الى الله أربع لاله الا الله والله أكبر وسبحان الله لا يضرك بايمن بدأت أخرجه مسلم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

والتقديس والتعظيم (ولا تجهر بصلاتك) بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس اذا الجهر والخفاضة تعقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون اغوا وسبوا فأمر بأن يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين (ولا تخافت بها) حتى لا تسمع من خلفك (وابتغ بين ذلك) بين الجهر والخفاضة (سبيلا) وسطا أو معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار أو بصلاتك بدعائك (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) كما زعمت اليهود والنصارى وبنو مليح (ولم يكن له شريك في الملك) كما زعم المشركون (ولم يكن له ولي من الدن) أي لم يذل

﴿تفسير سورة الكهف﴾

وهي مكية وآياتها مائة واحدى عشرة آية وكلما ألف وخمسة وسبع وسبعون كلمة

وحروفها ستة آلاف وثلاثمائة وستون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

فيه يحتاج الى ناصر أو لم يوال أحدا من أجل مدله به ليدفعها بما لانه (وكبره تكبيرا) وعظمه وصفه بأنه أكبر من أن يكون له ولد أو شريك وسمى النبي عليه السلام الآية آية العز وكان اذا أفصح الغلام من نبي عبد المطلب عليه هذه الآية سورة الكهف مائة واحدى عشرة آية بصرى وعشر آيات كوفي ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله الذي أنزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب) القرآن لقن الله عباده قفهم كيف يشنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم (ولم يجعل له عوجا) أى شيأ من العوج والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان يقال في رأيه عوج وفي عصاه عوج والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شئ منه من الحكمة (قيما) مستقيما واتصابه بمضمر وتقديره وجعله قبالا له اذ انفي عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة وفائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر التا كيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند التصفح أو قبالا على سائر الكتب مصداقا لها شاهد ابصحتها (لينذر) أنذر متعد الى مفعولين كقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا فاقصر على أحدهما وأصله لينذر الذين كفروا (بأسا) عذابا (شديدا) وانما اقتصر على أحد مفعولي أنذر لان (١٩٧) المنذر به هو المسوق اليه فاقصر عليه

(من لدنه) صادرا من عنده (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم) أى بأن لهم (أجرا حسنا) أى الجنة ويبشر حمزة وعلى (ما كئين) حال من هم في لهم (فيه) في الاجر وهو الجنة (أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) ذكر المنذرين دون المنذر به بعكس الاول استغناء لتقديم ذكره (ما لهم به من علم) أى بالولد أو باتخاذه يعنى أن قوطم هذا لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط فان قلت اتخذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت استغناء لتقدم ذكره (ما لهم به من علم) أى بالولد أو باتخاذه يعنى أن قوطم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط فان قلت اتخذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالة واتقاء العلم بالشئ اما للجهل بالطريق

قوله عز وجل (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) اننى الله سبحانه وتعالى على نفسه بانعامه على خلقه وعلم عباده كيف يشنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي الاسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذ كر لان انزال القرآن كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم (ولم يجعل له عوجا) أى لم يجعل له شيأ من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقا روى عن ابن عباس في قوله تعالى قرأنا عرييا غير ذى عوج قال غير مخلوق (قيما) أى مستقيما وقال ابن عباس عدلا وقيل قبالا على الكتب كلها ومصداقا لها وانما نسخا لشرائعها (لينذر بأسا شديدا) معناه لينذر الذين كفروا بأسا شديدا وهو قوله سبحانه وتعالى بعذاب بئيس (من لدنه) أى من عنده (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا) يعنى الجنة (ما كئين فيه) أى بمقيمين فيه (أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) أى بالولد واتخاذه يعنى أن قوطم لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط فان قلت اتخذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت استغناء العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون في نفسه محالا لا يستقيم تعلق العلم به (ولا آباؤهم) أى ولا اسلافهم من قبل (كبرت) أى عظمت (كلمة تخرج من أفواههم) أى هذا الذي يقولونه لا تحكم به عقولهم وفكرهم البتة لكونه في غاية الفساد والبطلان فكانه يجري على لسانهم على سبيل التقليد (ان يقولون الا كذبا) أى ما يقولون الا كذبا قيل حقيقة الكذب انه الخبر الذي لا يطابق الخبر عنه وزاد بعضهم مع علم قائله انه غير مطابق وهذا القيل باطل لان الله سبحانه وتعالى وصف قوطم بآيات الولد بكونه كذبا مع ان الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلا فعلمنا ان كل خبر لا يطابق الخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق الى الباطل ورجل كذاب وكذوب اذا كان كثير الكذب قوله عز وجل (فلعلك باخع نفسك) أى قاتل نفسك (على آثارهم) أى من بعدهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) يعنى القرآن (أسفا) أى حزنا وقيل غيظا (انا جعلنا ما على الارض زينة لها) أى مما يصلح أن يكون زينة لها ولاهلهما من زخارف الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعنى النبات والشجر والانهار وقيل أراد به الرجال خاصة فهم زينة الارض وقيل أراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع ما فى الارض هو زينة لها فان قلت أى زينة فى الموصل اليه اولانه فى نفسه محال (ولا آباؤهم) المقلدين (كبرت كلمة) نصب على التمييز وفيه معنى التعجب كانه قيل ما أكبرها كلمة والضمير فى كبرت يرجع الى قوطم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيد بها (تخرج من أفواههم) صفة لكلمة تفيد استعظام الاجترارهم على الطغى بها واخراجها من أفواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان فى قلوب الناس من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به بل يكظمون عليه فكيف بمثل هذا المنكر (ان يقولون الا كذبا) ما يقولون ذلك الا كذبا هو صفة لمصدر محذوف أى قول كذبا (فلعلك باخع نفسك) قاتل نفسك (على آثارهم) أى آثار الكفار شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الاسف على توليهم رجل فارقه أحبته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) بالقرآن (أسفا) مفعول له أى لفراط الحزن والاسف المبالغة فى الحزن والغضب (انا جعلنا ما على الارض زينة لها) أى مما يصلح أن يكون زينة لها ولاهلهما من زخارف الدنيا وما يستحسن منها

الموصل اليه اولانه فى نفسه محال (ولا آباؤهم) المقلدين (كبرت كلمة) نصب على التمييز وفيه معنى التعجب كانه قيل ما أكبرها كلمة والضمير فى كبرت يرجع الى قوطم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيد بها (تخرج من أفواههم) صفة لكلمة تفيد استعظام الاجترارهم على الطغى بها واخراجها من أفواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان فى قلوب الناس من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به بل يكظمون عليه فكيف بمثل هذا المنكر (ان يقولون الا كذبا) ما يقولون ذلك الا كذبا هو صفة لمصدر محذوف أى قول كذبا (فلعلك باخع نفسك) قاتل نفسك (على آثارهم) أى آثار الكفار شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الاسف على توليهم رجل فارقه أحبته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) بالقرآن (أسفا) مفعول له أى لفراط الحزن والاسف المبالغة فى الحزن والغضب (انا جعلنا ما على الارض زينة لها) أى مما يصلح أن يكون زينة لها ولاهلهما من زخارف الدنيا وما يستحسن منها

(لبلوهم أيهم أحسن
ماعليها) من هذه الزينة
(صعيداً) أرضاً ملساء
(جزاً) يابساً لانيات فيها
بعد أن كانت خضراء معشبة
والعنى نعيدها بعد عمارةها
خواباً بمائة الحيوان
وتجفيف النبات والاشجار
وغير ذلك ولما ذكر من
الآيات الكلية تزيين
الأرض بما خلق فوقها من
الاجناس التي لاحصر لها
وازالة ذلك كله كأن لم يكن
قال (أم حسبت أن أصحاب
الكهف والرقيم) يعني ان
ذلك أعظم من قصة أصحاب
الكهف وابقاء حياتهم
مدة طويلة والكهف
الغار الواسع في الجبل
والرقيم هو اسم كلهم أو
قرينهم أو اسم كتاب كتب
في شأنهم أو اسم الجبل
الذي فيه الكهف) كانوا
من آياتنا عجباً) أي كانوا
آية عجباً من آياتنا وصفاً
بلصدر أو على ذات عجب
(اذ) أي اذ كراذ (أوى
الفتية الى الكهف فقالوا
ربنا آتنا من لدنك رحمة)
أي رحمة من خزائن رحمتك
وهي المغفرة والرزق والامن
من الاعداء (وهي
لنا من أمرنا) أي الذي
نحن عليه من مفارقة
الكفار (رشداً) حتى
نكون بسببه راشدين

الحيات والعقارب والشياطين قلت زينتها كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكما قدرته وقيل ان جميع
ما في الارض ثلاثة معدن ونبات وحيوان وأشرف أنواع الحيوان الانسان قيل الاولى أن لا يدخل في هذه
الزينة المكاف بدليل قوله تعالى (لبلوهم) فن يبلى يجب أن لا يدخل في ذلك ومعنى لبلوهم تختبرهم (أيهم
أحسن عملاً) أي أصح عملاً وقيل أيهم أترك للدينا وأزهد فيها (وانا لجاعلون ماعليها) أي من الزينة
(صعيداً جزاً) يعني مثل أرض لانيات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة والصعيد وجه الأرض وقيل هو
التراب والجرز الاملس اليابس الذي لا ينبت فيه شيء في قوله سبحانه وتعالى (أم حسبت) أي ظننت يا محمد
(أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً) أي هم عجب من آياتنا وقيل معناه انهم ليسوا بأعجب
آياتنا فان ما خلقنا من السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب منهم والكهف الغار الواسع في الجبل
والرقيم هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم ثم وضع على باب الكهف وكان اللوح من رصاص
وقيل من حجارة وعن ابن عباس ان الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف وقال كعب الاحبار
هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذي فيه أصحاب الكهف ثم ذكر الله
عز وجل قصة أصحاب الكهف فقال عز من قائل (اذأوى الفتية الى الكهف) أي صاروا اليه وجعلوه
مأواهم والفتية جمع فتى وهو الطرى من الشباب (فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) أي رحمة من خزائن
رحمتك وجلائل فضلك واحسانك وهب لنا الهداية والنصر والامن من الاعداء (وهي لنا) أي أصح لنا
(من أمرنا رشداً) أي حتى نكون بسببه راشدين مهديين وقيل معناه واجعل أمرنا رشداً كله

ذكر قصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه

قال محمد بن اسحق ومحمد بن يسار مرج أمر أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا
الاصنام وذبحوا الطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح مفسكون بعبادة الله وتوحيدوه وكان من فعل ذلك من
ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالقه وكان ينزل قرى الروم
فلا يترك في قرية نزلها أحداً الا فتنة عن دينه حتى يعبد الاصنام أو يقتله فلما نزل مدينة أصحاب الكهف
واسمها افسوس استخفى منه أهل الايمان وهرى بوائف كل وجه فأتخذ شرطاً من الكفار وأمرهم أن يتبعوهم
فجعل أولئك الشرط يتبعون أهل الايمان في أما كتبهم ويخرجونهم الى دقيانوس فيخبرهم بين القتل وبين
عبادة الاصنام ففهم من يرغب في الحياة ومنهم من يابى أن يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في
الايمان جعلوا يسمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ويجعل ما قطع من أجسادهم على
أسوار المدينة وأبوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت ورأى ذلك الفتية خزناً وشديداً فقاموا واشتغلوا
بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من أشرف الروم وهم ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا الى
الله عز وجل وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والأرض لن ندعوك من دونه الها لقد قلنا اذا شططاً أكشف
عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وارفع عنهم البلاء حتى يعلموا عبادتك فيبيناهم على ذلك وقد دخلوا مصلاهم
أدركهم الشرط فوجدوهم سجوداً يكون ويتضرعون الى الله عز وجل فقال لهم الشرط ما خلفكم عن
أمر الملك ثم اطلقوا الى الملك فآخروه خبر الفتية فبعث اليهم فأتى بهم نقيض أعينهم من الدمع مغفرة
وجوههم بالتراب فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا الذبح لأهتنا التي تعبد في الأرض وتجعلوا أنفسكم أسوة
أهل مدينتكم اختاروا ما أن تذبحوا لأهتنا وما أن أقتلكم فقال مكسبنا وهو أكبرهم ان لنا الهام
السموات والأرض عظمت ان ندعوك من دونه الها أبداله الحمد والتكبر من أنفسنا خالصاً بآبائنا نعبد وآبائنا
نسال النجاة والخير فاما الطواغيت فلن نعبدها أبداً اصنع بنا ما بدالك وقال أصحابه مثل ذلك فلما سمع الملك
كلامهم أمر بنزع ثيابهم وحلته كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سأفرغ لكم وأنجز لكم ما وعدتكم
من العقوبة وما يعني أن أعجل ذلك لكم الا أنى أراكم شباناً حديثاً أسنانكم فلا أحب أن أهلكم حتى

أجل لكم أجلا تذكرون فيه فترجعون الى عقولكم ثم أمر بهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى
مدينة أخرى قريبة منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية خروجه بادروا وخافوا اذا قدم أن يذكروهم فأتمروا
بينهم واتفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه فيصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى
كهف قريب من المدينة في جبل يقال له ينجلوس ٤ فيمكثوا فيه ويعبدوا الله حتى اذا جاء دقيانوس أتوه
فيصنع بهم ما يشاء فلما اتفقوا على ذلك عمد كل فتى منهم الى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقي
معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف فكثروا فيه وقال كعب الاحبار مروا بكلب فتبعهم
فطردوه فدعا دفعوا ذلك مراهق فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا مني أنا أحب أهاب الله عز وجل
فناموا حتى أحرسكم وقال ابن عباس هرير بوا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم
وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد الى الكهف قال ابن عباس فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام
والتسبيح والتحميد ابتغاء لوجه الله عز وجل وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم اسمه تلميذ خاف كان يتناع لهم أرزاقهم
من المدينة سرا وكان من أجلهم وأجلدهم وكان اذا دخل المدينة لبس ثياباثة كشياب المساكين ثم يأخذ
ورقه فينطلق الى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرا بوا ويتجسس لهم الخبر هل ذكروا أصحابه بشئ ثم يرجع الى
أصحابه فلبثوا بذلك ماشاء الله أن يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وأمر عظاما أهلها أن يذبحوا اللطوا غيت
ففرع من ذلك أهل الايمان وكان تلميذا بالمدينة يشتري لأصحابه طعامهم فرجع الى أصحابه وهو يبكي ومعه
طعام قليل فأخبرهم ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظاما المدينة ففرعوا ووقعوا
سجودا يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعدون من الفتنة فقال لهم تلميذا يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم
واطعموا وتكلموا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا
يتحدثون ويذكروا بعضهم بعضا فيبيناهم على ذلك اذ ضرب الله عز وجل على آذانهم في الكهف وكلهم
باسط ذراعيه بباب الكهف فاصابه ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤسهم فلما كان من
الغد تفقدتهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظاما المدينة لقد ساء في شأن هؤلاء الفتية الذين
ذهبوا القذظنوا أن بي غضبا عليهم جهلهم ما جهلوا من أمرى ما كنت لاجل عليهم ان هم تابوا وعبدوا
آلتي فقال عظاما المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوم ما جرة مردة عصاة قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاؤا
لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل الى آباءهم فأتى بهم فقال
أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقالوا أما نحن فلم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة انهم ذهبوا باموالنا
وأهلكوا في أسواق المدينة ثم انطلقوا الى جبل يدعى ينجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل ما يدري
ما يصنع بالفتية فالتقى الله سبحانه وتعالى في نفسه أن يأمر بسد باب الكهف عليهم وأراد الله عز وجل أن
يكرمهم بذلك ويجعلهم آية لامة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله
يبعث من في القبور فأمر دقيانوس بالكهف فسد عليهم وقال دعوهم كما هم في كهفهم يموتون جوعا وعطشا
ويكون كهفهم الذي اختاروه قبر لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفي الله عز وجل
أرواحهم وفاة نوم وكلهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيه يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال
ثم ان رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتبان ايمانهما اسم أحدهما يديروس واسم الآخر وناس اهما
أن يكتبان شأن هؤلاء الفتية وأسماءهم وأنسابهم وأخبارهم في لوحين من رصاص ويجعلانها في تابوت من
نحاس ويجعلان التابوت في البنيان وقال لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم
من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ الكتاب ففعلوا ذلك وبنيا عليه وبقى دقيانوس ما بقي ثم مات هو وقومه
وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك ٥ وقال عبيد بن عمير كان أصحاب الكهف فتيا ناملوقين

٤ قوله ينجلوس هكذا
في بعض النسخ وفي بعضها
نجلوس وفي حياة الحيوان
منحلاوس فليحرق اه
مصحة

مسور بن ذوى ذوائب فرجوا في عيد لهم عظيم في زى وموكب وأخرجوا معهم أهلهم التي كانوا يعبدونها
وكان معهم كلب صيدهم وكان أحدهم وزير الملك فنفذ الله سبحانه وتعالى الإيمان في قلوبهم فآمنوا
وأخفى كل واحد إيمانه وقال في نفسه أخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لتلاي صيدى عقاب بجرهم فرج
شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالساً وحده فرجاً أن يكون على مثل أمره
وجلس إليه من غير أن يظهره على أمره ثم خرج آخر فرجوا جميعاً فجمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل
واحد يكتُم إيمانه من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتين فيخلوا ويفش كل واحد سره إلى
صاحبه ففعلوا ذلك فاذا هم جميعاً على الإيمان وإذا الكهف في جبل عظيم قريب منهم فقال بعضهم لبعض
فأروا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمة فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا
تسعاً وفضلهم قومهم وطلبوهم فعسى الله عليهم آثارهم وكهفهم فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح فلان
وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في شهر كذا في سنة كذا في ملكة فلان بن فلان الملك ووضعوا اللوح في
خزانة الملك وقالوا ليكون طويلاً شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن قال محمد بن اسحق ثم ملك أهل
تلك البلاد رجل صالح يقال له بيدروس فلما ملك بقي ملكة ثمانياً وستين سنة فتحزب الناس في ملكه فكانوا
أحزاباً منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح وتضرع إلى
الله وحزن حزناً شديداً لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون لا حياة إلا الحياة
الدنيا وإنما تبع الأرواح دون الأجساد وجعل بيدروس الملك يرسل إلى من يظن فيهم خيراً وانهم آتية في
الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الحوار بين فلما رأى
ذلك الملك الصالح دخل بيته وأغلق باباً عليه ولبس مسحاً وجعل تحت رماذاً جلس عليه فدأب ليلته ونهاره
يتضرع إلى الله تعالى ويكي ويقول رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بطلان ما هم عليه ثم
إن الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة عباده أراد أن يظهر على الفتية أصحاب الكهف ويبين
للناس شأنهم ويجعلهم آية وحنة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده الصالح بيدروس
ويتم نعمته عليه وإن يجمع من كان تبعد من المؤمنين فالتقى الله سبحانه وتعالى في نفس رجل من أهل ذلك
البلد الذي فيه ذلك الكهف وكان اسمه أولياس أن يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف ويبني به
حظيرة لغنمه فاستأجر غلامين فجعلان يزعا ن تلك الحجارة ويبنيان بهاتلك الحظيرة حتى نزاعاً كان على باب
الكهف وفتح باب الكهف وحجهم الله تعالى عن الناس بالرعب فامفتح باب الكهف أذن الله سبحانه وتعالى
ذو القدرة والسلطان محي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة
أنفسهم فلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون منها إذا أصبحوا من ليلتهم ثم
قاموا إلى الصلاة فصلوا كما كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا ألوانهم شيء ينكرونه وانهم كهيتهم حين
رقدوا وهم يرون أن دقيانوس في طلبهم فامأقضوا أصواتهم قالوا التلميذ صاحب نفقتهم أنبأ بما قال الناس
في شأننا عشية أمس عندهذا الجبار وهم يظنون أنهم قد رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل إليهم
أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون حتى نساء لو أيمنهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياماً قالوا البنايو ما أو
بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم تلميذ قد التمستم في المدينة وهو يريد
أن يؤتى بكم اليوم فتدبحوا اللطوا غيباً أو يقتلكم فإشاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكساً مينايا اخوتاه اعلموا
إنكم ملاقوا الله فلانكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدو الله ثم قالوا التلميذ انطلق إلى المدينة فتسمع ما يقال
لناها وما الذي يدكر فينا عند دقيانوس وتلطف ولا تشعرك بك أحد أو ابغ لنا طعاماً فإتأبه وزدنا على
الطعام الذي جئنا به فقد أصبحنا جوعاً ففعل تلميذ كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر

فيها وأخذور قامن نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربيع فانطلق تلميذا
 خارجا فلما مر بباب الكهف رأى الجبارة منزوعة عن باب الكهف فحجب منها ثم مر ولم يبال بها حتى أتى باب
 المدينة مستخفيا يمد عن الطريق تخوف أن يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر أن دقيانوس وأهله هلكتوا
 قبل ذلك بثلاثمائة سنة فلما أتى تلميذا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة كانت لأهل الإيمان
 إذ كان أمر الإيمان ظاهر فيها فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى إلى باب
 آخر فرأى مثل ذلك فخيل إليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى أشخاصا كثيرة محدثين لم يكن رآهم
 قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل إليه أنه حيران ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين
 نفسه ويقول يا ليت شعري ما هذا أما عشيبة أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة في هذه المدينة
 ويستخفون بها واليوم ظاهرة لعلي نائم حالم ثم يرى أنه ليس بنائم فاخذ كساءه فجعله على رأسه ثم دخل
 المدينة فجعل يمشي في أسواقها فسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده ذلك تعجبا ورأى أنه حيران
 فقام مسندا ظهره إلى جدار من جدران المدينة وهو يقول في نفسه والله ما أدري ما هذا أما عشيبة أمس
 فليس كان على الأرض من يد كرعيسى بن مريم الاقتل وأما اليوم فاسمع كل إنسان يد كرعيسى بن
 مريم لا يخاف ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف والله ما أعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام
 كالخيران ثم لقي فتى فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال اسمها افسوس فقال في نفسه لعل في مسأ وأمر
 أذهب عقلي والله يحق لي أن أسرع الخروج قبل أن يصيبني فيها شر فأهلك فضى إلى الذين يتعاون الطعام
 فأخرج لهم الورق التي كانت معه وأعطاهم رجلا منهم وقال له بعني بهذه الورق طعاما فاخذها الرجل ونظر إلى
 ضرب الورق ونقشها فحجب منها فنا وطار جلا آخر من أصحابه فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل
 إلى رجل ويتعجبون منها ويتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض إن هذا أصاب كثرنا خبيثا في الأرض
 منذ زمان طويل فلما رآهم تلميذا يتحدثون فيه فرق فرقا شديدا وخاف وجعل يردد ويظن أنهم قد فطنوا به
 وعرفوه وانهم انما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقيانوس وجعل اناس ياتونه ويتعرفونه فلا يعرفونه فقال
 لهم وهو شديد الخوف منهم أفضلوا علي قد أخذتم وورقي فامسكوها واما طعامكم فلا حاجة لي به فقالوا له يا فتى من
 أنت وما شأنك والله لقد وجدت كثرنا من كنوز الاولين وأنت تريد أن تخفيه منا انطلق معنا وأرنا وشاركنا
 فيه نخفف عليك ما وجدت وانك ان لم تفعل نحملك إلى السلطان فنسألك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال
 والله قد وقعت في كل شيء كنت أخطر منه فقالوا له يا فتى انك والله لا تستطيع ان تكتم ما وجدت وجعل تلميذا
 ما يدري ما يقول لهم وخاف حتى لم يجز على لسانه اليهم شيء فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطرحوه في عنقه
 وجعلوا يسحبونه في سلك المدينة حتى سمع به من فيها وقيل قد أخذ رجل معه كثرنا فاجتمع عليه أهل
 المدينة وجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأينا فيها قط وما نعرفه
 وجعل تلميذا لا يدري ما يقول لهم وكان متيقنا ان أباه واخوته بالمدينة وأنه من عظماء أهلها وانهم سيأتونه
 إذا سمعوا به فيينها هو قائم كالخيران ينتظر متى يأتيه بعض أهلها فيخلصه من أيديهم إذا اختطفوه وانطلقوا به
 إلى رئيس المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها وهما رجلا ن صالحان اسم أحدهما أريوس واسم الآخر
 طنطيس فلما انطلقوا به اليهما ظن تلميذا انه انما ينطاق به إلى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا
 وهو يبكي والناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون ثم رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم اله السماء واله
 الأرض أفرغ علي اليوم صبرا وأوج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فرقوا
 بيني وبين اخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت ويا ليتهم يأتوني فتقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا قد كنا تواقنا
 على الإيمان بالله وأن لا نشرك به أحدا أبدا ولأنه ترق في حياة ولا موت فله انتهى إلى الرجلين الصالحين

أريوس ووطنطوس ورأى أنه لم يذهب إلى دقيانوس أفاق وذهب عنه البكاء وأخذ أريوس ووطنطوس
الورق ونظر إليها وعجبا منها وقالوا أين الكنز الذي وجدت يا فتى فقال تملينا ما وجدت كنزا ولكن هذا
ورق آباءى ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأنى وما أقول لكم فقال له أحد هما من
أنت فقال تملينا ما أنا فكت أرى أنى من أهل هذه المدينة فقيل له ومن أبوك ومن يعرفك بها فأخبرهم
باسم أبيه فلم يوجد من يعرفه ولا أباه فقال له أحد عما أنت رجل كذاب لا تبتسنا بالحق فلم يدرد تملينا ما يقول
غير أنه نكس بصره إلى الأرض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه
يحقق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقال له أحد عما ونظر إليه نظرا شديدا أظن أنا نرسلك ونصدقك بأن
هذا مال أبىك ونقش هذه المدينة وضربها ولفد الورق أكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب أظن أنك
تأفكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شمام وحولك سراة هذه المدينة وولادة أمرها وخزائن هذه المدينة بأيدينا
وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار واننى لاظننى سا أمر بك فتعذب عندا بشديدا ثم أوتقك
حتى تعرف بهذا الكنز الذي وجدته فقال لهم تملينا ما خبرونى عما سألكم عنه فان أتم فعلتم صدقتكم
عما عندى فقالوا له سل لانكتمك شيا فقال فافعل الملك دقيانوس فقالا ما نعرف على وجه الأرض من
اسمه دقيانوس ولم يكن الاملك هلك فى الزمان الاول وله دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال
تملينا انى اذا خيران وما يصدقنى أحد من الناس فيما أقول لقد كنا فتية على دين واحد وان الملك أكرهنا
على عبادة الاصنام والذبح لا تطواغيت فمر بنا منه عشية أمس فأبينا إلى الكهف الذي فى جبل بنجلوس
فمننا فيه فلما انتبهنا خرجت لاشترى لاصحابى طعاما وأنجس الاخبار فاذا أنا معكم كما ترون فانطلقوا معى
إلى الكهف أرىكم أصحابى فلما سمع أريوس قول تملينا ما قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله عز وجل
لكم على يدي هذا الفتى فانطلقوا بنا معه حتى رينا أصحابه فانطلق أريوس ووطنطوس ومعهما جميع أهل
المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم فلما رأى الفتية أصحاب الكهف تملينا ما قد
احتبس عنهم طعامهم وشراهم عن القدر الذي كان يأتى فيه ظنوا انه قد أخذ وذهب به إلى ملكهم
دقيانوس فيبيناهم يظنون ذلك ويتخوفونه اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة فظنوا انهم رسل
الجبار دقيانوس بعث بهم اليهم ليؤتى بهم فقاموا إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضا
وقالوا انطلقوا بنا نأت أمانا تملينا ما فانه الآن بين يدي الجبار وهو ينتظرنا حتى نأتيه فيبيناهم يقولون ذلك
وهم جلوس على هذه الحالة اذ هم بأريوس وأصحابه وقوف على باب الكهف فسبقتهم تملينا ما ودخل وهو
يبكى فلما رأوه يبكى بكوا معه ثم سألوه عن خبره فقص عليهم الخبر كله فعرفوا انهم كانوا انياما بامر الله ذلك الزمن
الطويل وانما وظنوا ليكونوا آية للناس وتصديق للبعث وليعلموا أن الساعة لا ريب فيها ثم دخل على
أثر تملينا ما أريوس فرأى تابوتا من نحاس محتوما بخاتم فضة فوقه على الباب ودعا جماعة من عظماء
أهل المدينة وأمر بفتح التابوت بحضرتهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوب باقبيما مكتوبين
ومخشمين وتملينا ما ووطنطوس وكشيطونس ويرونس وديموس ووطنطوس وقالوس والكاب اسمه
قطمير كانوا فتية هريرى من ملكهم دقيانوس مخافة أن يقتلهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما
أخبر بمكانهم أمر بالكهف فدعاهم بالحجارة وانا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم ان عثرهم
فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية تدلهم على البعث ثم رفعوا أصواتهم بحمد
الله وتسيبته ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقا وجوههم لم تبل ثيابهم فزار أريوس
وأصحابه سجودا لله وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأخبرهم الفتية
عن الذى لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان أريوس وأصحابه بعنوا يريد إلى ملكهم الصالح بيدروس أن
عجل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله جعلها الله على ملكك للناس آية تكون لهم نورا وضياء

(فضر بنا على آذانهم في الكهف) أي ضر بنا عليها بخجاب من النوم يعني أغمناهم انامة ثقيلة لا تنبهم فيها الاصوات فحذف المفعول الذي هو الجاب (سنين عددا) ذوات عدد فهو صفة لسنين قال الزجاج أي تعدد الكثرة لان القليل يعلم مقداره من غير عدد فاذا كثر عدد فاما دراهم معدودة فهي على القلة لانهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير (ثم بعثناهم) أي يقظناهم من النوم (لنعلم أي الحزبين) المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا البنا يوما (٢٠٣) أو بعض يوم قالوا بكم أعلم بما لبثتم

وكان الذين قالوا بكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم (أحصى لما لبثوا أمدا) غاية وأحصى فعل ماض وأما ظرف لأحصى أو مفعول له والفعل الماضي خبر المبتدأ وهو أي والمبتدأ مع خبره سد مسد مفعولي نعلم والمعنى أيهم اضبط أمدا الاوقات لبثهم وأحاط علماء بامد لبثهم ومن قال أحصى أفعال من الاحصاء وهو العد فقد زل لان بناءه من غير الثلاثي المجرديس بقياس وإنما قال لنعلم مع أنه تعالى لم يزل عالما بذلك لان المراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا وليكون لطفًا للمؤمنين زمانهم وآية بينة لكفارهم أو المراد لنعلم اختلافهما موجودا كما عفاه قبل وجوده (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) بالصدق (انهم فتية) جمع فتى والفتوة بذل الندى وكف الاذى وترك الشكوى واجتناب المحارم واستعمال المكارم وقيل

وتصديقًا للبعث وذلك ان فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ ثلثمائة سنة وأكثر فلما أتى الملك الخبير رجع عقله اليه وذهب همه وقال أحمك اللهم رب السموات والارض وأعبدك وأسبح لك تطوات على ورحمتي ولم تطفئ النور الذي جعلته لآبائي ولعبد الصالح بيدروس ثم أخبر بذلك أهل مدينته فركبوا ركبا معه حتى أتوا مدينة افسوس فتلقاهم أهلها وساروا معه نحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى الفتية بيدروس فرح بهم وخر ساجدا على وجهه وقام بيدروس الملك قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جالوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية لبيدروس الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم اذاهم رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفي الله أنفسهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما أتمى ونام أتوه في منامه فقالوا له انالم نخلق من ذهب ولا فضة ولكننا خلقنا من تراب والى التراب نصير فتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه فامر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه ونحجهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب ولم يقدر أحد أن يدخل عليهم وأمر الملك أن يتخذوا على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة وقيل ان تلميذا حمل الى الملك الصالح فقال له الملك من أنت قال أنا رجل من أهل هذه المدينة وذكرا أنه خرج أمس أو منذ أيام وذكرا منزله وأقواما لم يعرفهم أحد وكان الملك قد سمع أن فتية قد فقدوا في الزمان الاول وأن أسماهم مكتوبة على لوح في خزائنه فدعا باللوح ونظر في أسماهم فاذا اسمه مكتوب وذكرا أسماء الآخرين فقال تلميذاهم أصحابي فلما سمع الملك ركب ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال تلميذاهم عوني حتى أدخل على أصحابي فابشرهم فانهم ان رأوكم معي أربعتموهم فدخل تلميذا فبشرهم فقبض الله روحه وأرواحهم وأعمى على الملك وأصحابه أثرهم فم يهتدوا اليهم فذلك قوله عز وجل اذ أوى الفتية الى الكهف أي صاروا الى الكهف واسمه خيبرم فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة أي هداية في الدين وهي لنا أي يسر لنا من أمرنا رشد أي ما نلتهمس منه رضاك وما فيه رشدنا وقال ابن عباس أي مخرجنا من الغار في سلامة ﴿قوله سبحانه وتعالى (فضر بنا على آذانهم) أي أغمناهم النوم وقيل منعنا نفوذ الاصوات الى مسامعهم فان النائم اذا سمع الصوت ينتبه (في الكهف سنين عددا) أي أغمناهم سنين كثيرة فان العدد يدل على الكثرة (ثم بعثناهم) أي من نومهم (لنعلم) أي علم مشاهدة وذلك ان الله عز وجل لم يزل عالما وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا (أي الحزبين) أي الطائفتين (أحصى لما لبثوا أمدا) أي احفظ لما مكثوا في كهفهم نياما وذلك ان أهل المدينة تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف ﴿قوله تعالى (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) أي نقرأ عليك خبر أصحاب الكهف بالحق أي بالصدق (انهم فتية) أي شبان (آمنوا بربههم وزدناهم هدى) أي ايماننا وبصيرة (وربطنا على قلوبهم) أي شددنا على قلوبهم بالصبر والتثبيت وقوي بناهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا عليه من خفض العيش وفروا بدينهم الى الكف (اذ قاموا) يعني بين يدي دقيانوس الجبار حين عاتبهم على ترك عبادة

الفتى ما لا يدعى قبل الفعل ولا يركب نفسه بعد الفعل (آمنوا بربههم وزدناهم هدى) يقينا وكانوا من خواص دقيانوس قد قذف الله في قلوبهم الايمان وخاف بعضهم بعضا وقالوا ليخل اثنان اثنان منا فيظهر كلاهما ما يضر لصاحبه ففعلوا فحصل اتفاقهم على الايمان (وربطنا على قلوبهم) وقوي بناهم بالصبر على هجران الاوطان والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام (اذ قاموا) بين يدي الحمار وهو دقيانوس من غير صلاة له حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام

(فقالوا بنار السموات والارض) مفتخرين (لن ندعومن دونه اها) ولئن سميناهم آلهة (لقد قلنا اذا شططا) قول اذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط يشط ويشط اذا بعد (هؤلاء) مبتدأ (قومنا) عطف بيان (اتخذوا من دونه آلهة) خبر وهو اخبار في معنى الانكار (لولا يأتون عليهم) هلا يأتون على عبادتهم حذف المضاف (بسلطان بين) بحجة ظاهرة وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال (فن أظلم عن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (واذا عزلتوهم) خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيتهم على الفرار بدينهم (وما يعبدون) نصب عطف على الضمير أي واذا عزلتوهم واعتزلتم معبوديهم (الا الله) استثناء متصل لانهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه غيره كاهل مكة أو منقطع أي واذا عزلتهم الكفار والاصنام التي يعبدونها من دون الله أو هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله (فأروا الى الكهف) صيروا اليه أو اجعلوا الكهف مأواكم (ينشر لكم ربكم من رحمة) من رزقه (ويهيئ) (٢٠٤) لكم من أمركم مرفقا) مرفقا مدني وشامخي وهو ما يرتفق به أي ينتفع وانما قالوا

ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه وتصوع يقينهم أو أخبرهم به نبي في عصرهم (وترى الشمس اذا طلعت تزاور) بتخفيف الزاي كوفي زور شامخي تزاور غيرهم وأصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاي أو حذفها والكل من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق (عن كهفهم) أي تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة المماثلة باليمين (واذا غربت تقرضهم) تقطعهم أي تركهم وتعديل عنهم (ذات الشمال وهم في فجوة منه) في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا

الاصنام (فقالوا) أي الفتية (ربنا رب السموات والارض لن ندعومن دونه اها) انما قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون الاصنام (لقد قلنا اذا شططا) قال ابن عباس يعني جورا وقيل كذبا يعني ان دعونا غير الله (هؤلاء قومنا) يعني أهل بلدهم (اتخذوا من دونه) أي من دون الله (آلهة) يعني أصناما يعبدونها (لولا) أي هلا (يأتون عليهم) أي على عبادة الاصنام (بسلطان بين) أي بحجة واضحة وفيه تبكيت لان الاتيان بحجة على عبادة الاصنام محال (فن أظلم عن افترى على الله كذبا) أي وزعم أن له شريكا أو ولدًا ثم قال بعضهم لبعض (واذا عزلتوهم) يعني قومكم (وما يعبدون الا الله) وذلك انهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الاصنام والمعنى واذا عزلتوهم وجميع ما يعبدون الا الله فانكم لم تعزلوا عبادته (فأروا الى الكهف) أي الجؤا اليه (ينشر لكم) أي يبسط لكم (ربكم من رحمة ويهيئ) أي يسهل (لكم من أمركم مرفقا) أي ما يعود اليه يسركم ويرفقكم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وترى الشمس اذا طلعت تزاور) أي تميل وتعديل (عن كهفهم ذات اليمين) أي جانب اليمين (واذا غربت تقرضهم) أي تركهم وتعديل عنهم (ذات الشمال وهم في فجوة منه) أي متسع من الكهف (ذلك من آيات الله) أي من عجائب صنعه ودلالات قدرته وذلك أن ما كان في ذلك السميت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل ان باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة أبدأ الاتقع الشمس عليهم عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء فتؤذيهم بحر هاولكن اختار الله لهم مضجعا في متسع يناههم فيه برد الريح ونسيمها و يدفع عنهم كرب الغار وعجمه وعلى هذا القول يكون معنى قوله ذلك من آيات الله أي ان شأنهم وحدثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) يعني مثل أصحاب الكهف وفيه ثناء عليهم (ومن يضل) أي ومن يضلله الله ولم يرشده (فلن نجد له وليا) أي معنا (مرشدا) أي يرشده ﴿ قوله سبحانه وتعالى (وتحسبهم) خطاب لكل أحد (أيضا) أي منتبهين لان أعينهم مفتحة (وهم رقاد) أي نيام (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قال ابن عباس كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب الى جانب لثلاثا كل الارض لحومهم قيل كانوا يقلبون في يوم عاشوراء وقيل كان لهم في السنة تقلبتان (وكلبهم باسط ذراعيه) قال ابن عباس كان كلبا أعمرو عنه أنه كان فوق القاطي ودون الكرزي والقاطي كلب صيني وقيل

نصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا أن الله بحجبتها عنهم وقيل منفسح من غارهم يناههم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار (ذلك من آيات الله) أي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعها وغاوبة آية من آيات الله يعني أن ما كان في ذلك السميت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة أبدأ ومعنى ذلك من آيات الله ان شأنهم وحدثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) مثل ما مر في سبحان وهو ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم فأرشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية (ومن يضل فلن نجد له وليا مرشدا) أي من أضله فلا هادي له (وتحسبهم) بفتح السين شامخي وجزرة وعاصم غير الاعشى وهو خطاب لكل أحد (أيضا) جمع يقظ (وهم رقاد) نيام قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيضا (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء (وكلبهم باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى الضي

كان

(بالوصيد) بالفناء أو بالعتبة (لواطلعت عليهم) لو أشرفت عليهم فنظرت اليهم (لوليت منهم) لا عرضت عنهم وهر بت منهم (فرارا) منصوب على المصدر لان معنى وايت منهم فررت منهم (ولمئت منهم) وبتشديد اللام مخجزي للمبالغة (رعبا) تمييزو بضم العين شامح وعلى وهو الخوف الذي يرعب الصدر أي يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة أو لطول أظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وعن معاوية انه غزا الروم فركب الكهف فقال أريدان ادخل فقال ابن عباس رضي الله عنهما لقد قيل لمن هو خير منك لوليت منهم فرارا فدخلت جماعة بأمره فاحرقتهم ربح (وكذلك بعثناهم) وكما أئمناهم تلك النومه كذلك أيقظناهم اظهار القدرة على الانامة والبعث جميعا (لنساء لواينهم) ليسأل بعضهم بعضا يتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم (قال قائل منهم) رئيسهم (كم لبثتم) كم مدة لبثكم (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) جواب مبني على غالب الظن

وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) بمدة لبثكم انكار عليهم من بعضهم كأنهم قد علموا بالادلة أو بالهام ان المدة متطاولة وان مقدارها لا يعلمه الا الله وروى أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انبأهم بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم فلما نظروا الى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك وقد استدل ابن عباس رضي الله عنهما على أن الصحيح ان عددهم سبعة لانه قد قال في الآية قال قائل منهم كم لبثتم وهذا واحد وقالوا في جوابه لبثنا يوما أو بعض يوم وهو جمع وأقله ثلاثة ثم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم

كان أصفر وقيل كان شديدا الصفرة يضرب الى حمرة وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل صهبان وقيل ليس في الجنة دواب سوى كلب أصحاب الكهف وجمار بلعم (بالوصيد) أي فناء الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم قيل كان ينقلب مع أصحابه فاذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى وورقدها واذا انقلبوا ذات الشمال كسر أذنه اليسرى وورقدها (لواطلعت عليهم) يا محمد (لوليت منهم فرارا) وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل اليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله من رقدتهم (ولمئت منهم رعبا) أي خوفا من وحشة المكان وقيل لان أعينهم مفتحة كالتيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا اشعار وقيل ان الله سبحانه وتعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم فررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف الله لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع ذلك من هو خير منك فقيل له لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأحرقتهم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (وكذلك بعثناهم) يعني كما أئمناهم في الكهف وحفظنا أجسامهم من البلاء على طول الزمان بعثناهم من النوم التي تشبه الموت (لنساء لواينهم) أي ليسأل بعضهم بعضا (قال قائل منهم) وهو رئيسهم وكبيرهم مكسميننا (كم لبثتم) أي في نومكم وذلك انهم استنكروا طول نومهم وقيل انهم راعاهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك (قالوا لبثنا يوما) ثم نظرنا فوجدوا الشمس قد بقي منها بقية فقالوا (أو بعض يوم) فلما نظروا الى طول شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) وقيل ان مكسميننا المسمع الاختلاف بينهم قال دعوا للاختلاف ربكم أعلم بما لبثتم (فابعثوا أحداكم) يعني تليخا (بورقكم) هي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة (هذه الى المدينة) قيل هي طرسوس وكان اسمها في الزمن الاول قبل الاسلام أفسوس (فلينظر أيها أزر كي طعاما) أي أحل طعاما وقيل أمره أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا تكون من ذبح من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون ايمانهم وقيل أطيب طعاما وأجوده وقيل أكثر طعاما وأرخصه (فليأتكم برزق منه) أي قوت وطعام تأكلونه (وليتلطف) أي وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتان (ولا يشعروا) أي ولا يعلمن (بكم أحدا) أي من الناس (انهم ان يظهر واعليكم) أي يعلموا بكم انكم (يرجواكم)

هذا قول جمع آخرين فصاروا سبعة (فابعثوا أحداكم) كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهكم فابعثوا أحداكم أي تليخا (بورقكم) هي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة وبسكون الراء أبو عمرو وحزرة وأبو بكر (هذه الى المدينة) هي طرسوس وجلهم الورق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلمين على الاتفاقات على ما في أوعية القوم من النفقات وعن بعض العلماء انه كان شديد الحنين الى بيت الله ويقول ما لهذا السفر الا شيئا من شداهميان التوكل على الرحمن (فلينظر أيها) أي أهلها فخذف كما في واستل القرية وأي مبتدأ وخبره (أزر كي) أحل وأطيب أو أكثر وأرخص طعاما) تمييز (فليأتكم برزق منه وليتلطف) وليتلف فيما يباشره من أمر المبايعه حتى لا يغبن أو في أمر التخنفي حتى لا يعرف (ولا شعروا بكم أحدا) ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور بنا من غير قصد منه فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه والضمير في (انهم) راجع الى أهل المقدس في أيها (ان يظهر واعليكم) يطلعوا عليكم (يرجواكم) يقتلواكم أخبت القتل

(أو يعيدوكم في ملتهم) بالا كراه والعود بمعنى الصيرورة كثير في كلامهم (ولن تفلحوا إذا أبدا) إذا بدل على الشرط أي ولن تفلحوا إن دخلتم في دينهم أبدا (وكذلك أعثرنا عليهم) وكما أعتناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم (ليعلموا) أي الذين أطلعناهم على حالهم (إن وعد الله) وهو البعث (حق) كائن لأن حالهم في نومهم وانبساطهم بعدها كحال من يموت ثم يبعث (وإن الساعة لا ريب فيها) فإنهم يستدلون بأمرهم على صحة البعث (اذ يتنازعون) متعلق بأعثرنا أي اعثرناهم عليهم حين يتنازع أهل ذلك الزمان (بينهم أمرهم) أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الأرواح دون الأجساد وبعضهم يقول تبعث الأجساد مع الأرواح ليرتفع الخلاف وليتبين إن الأجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت (فقالوا) حين توفي الله أصحاب الكهف (ابنوا عليهم بنيانا) أي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بترتبهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة (ربهم أعلم بهم) من كلام المتنازعين كأنهم تذا كروا أمرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فاعلم بهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو من كلام الله عز وجل رد لقول الخاضعين في حديثهم (قال الذين غلبوا على أمرهم) من المسلمين وملوكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم (لنتخذن عليهم) على باب الكهف (مسجدا) يصلى فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم روى إن أهل الأنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكروا على عبادتها ومن شدد في ذلك دقيانوس فأراد فتية من أشرف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فأبوا إلا الثبات على الإيمان (٢٠٦) والتصلب فيه ثم هربوا إلى الكهف ومروا بكنب فتبعهم فطردوه فانطقه الله

قيل معناه يشقوكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وكان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل وقيل يعذبوكم (أو يعيدوكم في ملتهم) أي الكفر (ولن تفلحوا إذا أبدا) أي إن عدتم اليه ﴿ قوله عز وجل (وكذلك أعثرنا عليهم) أي اطلعنا الناس عليهم (ليعلموا أن وعد الله حق) يعني قوم يبدروس الذين أنكروا البعث (وإن الساعة لا ريب فيها) أي لا شك فيها أنها آتية (اذ يتنازعون بينهم أمرهم) قال ابن عباس في البيان فقال المسلمون بنى عليهم مسجدا يصلى فيه الناس لأنهم على ديننا وقال المشركون بنى بنا لانهم على ملتنا وقيل كان تنازعهم في البعث فقال المسلمون تبعث الأجساد والأرواح وقال قوم تبعث الأرواح فأراههم الله آية وان البعث للأرواح والأجساد وقيل تنازعوا في مدة لبثهم وقيل في عددهم (فقالوا) ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم) يعني يبدروس وأصحابه (لنتخذن عليهم مسجدا) ﴿ قوله سبحانه وتعالى (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) روى أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف عندهم فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم (ويقولون) أي وقال العاقب وكان نسطوريا (خسة سادسهم كلبهم رجبا بالغيب ويقولون) وقال المسلمون (سبعة وثامنهم كلبهم) حقق الله قول المسلمين وأنما عرفوا ذلك بأخبار

تعالى فقال ما تر يدون مني انى أحب أحب الله فناموا وأنا أحرصكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فضرب الله على آذانهم وقيل إن بعضهم الله ملك مدينهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف أهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس

مسحا وجلس على رما دوسأل ربه ان يبين لهم الحق فالتقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ماسد به فم الكهف ليتخذة حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لا يتباع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بأنه وجد كثر فاذهبوا به إلى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحدهم والله على الآيات الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوهم إلى مضاجعهم وتوفي الله أنفسهم فالتقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرأهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) ويقولون خسة سادسهم كلبهم رجبا بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) الضمير في سيقولون لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين وأهل الكتاب سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فأخبر الجواب إلى أن يوحى اليه فيهم فنزلت أخبارا بما سيجرى بينهم من اختلافهم في عددهم وإن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم وروى إن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم حقق الله قول المسلمين وأنما عرفوا ذلك بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما ذكرنا من قبل وعن علي رضي الله عنه سبعة نفر أسماؤهم يميننا ومكشيلينا ومشيلينا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره من نوح ودبر نوح وشاذ نوح وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعى الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينهم أفسوس واسم كلبهم قطمير وسين الاستقبال وإن دخل في الأول دون الآخرين فهذا داخلان في حكم

السين كقولك قدأ كرم وأنعم ثم يد معني التوقع في الفعلين جميعا وأريد يفعل معني الاستقبال الذي هو صالح له ثلاثة خبر مبتدا محذوف أي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلهم وثامنهم كلهم رجبا بالغيب رميا بالخبر الخفي وإتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب أي يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين والواو الداخلة على الجملة الثالثة هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للسكر كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي أذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلهم قالوه عن ثبات علم ولم يرجوا بالظن كما رجم غيرهم دليله ان الله تعالى أتبع القولين الاولين قوله رجبا بالغيب وأتبع القول الثالث قوله (قل ربي أعلم بعدتهم) أي قل ربي أعلم بعدتهم وقد أخبركم بها بقوله سبعة وثامنهم كلهم (ما يعلمهم الا قليل) قال ابن عباس رضي الله عنهما أمان ذلك القليل وقيل الا قليل من أهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين (فلا تمار فيهم) فلا تجادل أهل الكتاب (٢٠٧) في شأن أصحاب الكهف (الامراء

ظاهرا) الاجدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم أو عياد من الناس ليظهر صدقك (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده ولا سؤال مسترشد لان الله تعالى قد أرشدك بأن أوحى اليك قصتهم (ولا تقولن لشيئ) لاجل شيء تعزم عليه (اني فاعل ذلك) الشيء (غدا)

رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل صلى الله عليه وسلم بعد ما حكى قول النصارى أو لا ثم أتبعه بقوله سبحانه وتعالى رجبا بالغيب أي ظنا وحده سامن غير يقين ولم يقل ذلك في السبعة وتخصيص الشيء بالوصف يدل على ان الحال في الباقي بخلافه فوجب أن يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى وأن يكون قول المسلمين مخالفا لقول النصارى في كونه رجبا بالغيب وظنا ثم أتبعه بقوله سبحانه وتعالى (قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل) هذا هو الحق لان العلم بتفاصيل العوالم والكائنات فيه في الماضي والمستقبل لا يكون الا لله تعالى أو من أخبره الله سبحانه وتعالى بذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما أمان أولئك القليل كانوا سبعة وهم (٣) مكسيمينا ويليخاوس وطونس وبينونوس وسارينونوس وذونوانس وكشفيطونوس وهو الراعي واسم كلهم قطمير (فلا تمار فيهم) أي لا تجادل ولا تنقل في عددهم وشأنهم (الامراء ظاهرا) أي الا بظاهر ما قصصنا عليك فقف عنده ولا ترد عليه (ولا تستفت فيهم) أي في أصحاب الكهف (منهم) أي من أهل الكتاب (أحدا) أي لا ترجع الى قول أحد منهم بعد ان أخبرناك قصتهم ﴿قوله سبحانه وتعالى (ولا تقولن لشيئ اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) يعني اذا عزمتم على فعل شيء غدا فقل ان شاء الله ولا تقوله بغير استئناء وذلك ان أهل مكة سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي أياما ثم نزلت هذه الآية وقد تقدمت القصة في سورة بني اسرائيل (واذ كر ربك اذا نسيت) قال ابن عباس معناه اذا نسيت الاستئناء ثم ذكرت فاستثنى وجوز ابن عباس الاستئناء المنقطع وان كان بعد سنة وجوز له الحسن مادام في المجلس وجوز به بعضهم اذا قرب الزمان فان بعد لم يصح ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالاستئناء وقيل في معنى الآية واذا كر ربك اذا

أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغدا خاصة (الا ان يشاء الله) أن تقوله بان يأذن لك فيه أو لا تقوله الا بان يشاء الله أي الابعثيته وهو في موضع الحال أي الامتسبا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله وقال الزجاج معناه ولا تقولن اني أفعل ذلك الابعثيته الله تعالى لان قول القائل أنا أفعل ذلك ان شاء الله معناه لا أفعله الابعثيته الله وهذا نهى تأديب من الله لبيبه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال اتوني غدا أخبركم ولم يستثن فباطأ عليه الوحي حتى شق عليه (واذا كر ربك) أي مشيت ربك وقل ان شاء الله (اذا نسيت) اذا فرط منك نسيان لتلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستئناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكري عن الحسن مادام في مجلس الذكري وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة وهذا محمول على تدارك التبرك بالاستئناء فاما الاستئناء المغير حكما فلا يصح الامتصلا وحي أنه بلغ المنصور ان أبا حنيفة رجه الله خالف ابن عباس رضي الله عنهما في الاستئناء المنفصل فاستحضره لينسك عليه فقال له أبو حنيفة هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة باليمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه وأمر الطاعن فيه باخراجه من عنده أو معناه واذا كر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستئناء تشديد في البعث على الاهتمام بها أو صل صلاة نسيها اذا ذكرتها واذا نسيت شيئا فاذا كرهه لينسك المنسى

(٣) قوله وهم مكسيمينا الخ وقع اختلاف كبير في أسماهم وذكروا في القاموس في ذلك ثلاثة أقوال فليراجع

(وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من ههنا) يعني إذا نسيت شيئا فاذكر ربك عند نسيانه أن تقول عسى ربي أن يهديني لشيء آخر
بدل هذا النسي أقرب منه رشدا أو أدنى خيرا ومنفعة أن يهديني إن ترن أن يؤتيني أن تعلمن مكى في الحالين ووافقه أبو عمرو ومدينى في
الوصل (ولبنواى كهفهم ثلثائة (٢٠٨) سنين) يريد ابنهم فيه أحياء مضر وباعلى آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجل في

قوله فصر بنا على آذانهم
في الكهف سنين عددا
وسنين عطف بيان لثلاثائة
ثلاثمائة سنين بالإضافة حمزة
وعلى على وضع الجمع
موضع الواحد في التمييز
كقوله بالآخرين أعمالا
(وازدادوا تسعا) أى تسع
سنين لدلالة ما قبله عليه
وتسعا مفعول به لأن زاد
تقتضى مفعولين فازداد
يقتضى مفعولا واحدا
(قل الله أعلم بما لبثوا) أى
هو أعلم من الذين اختلفوا
فيهم بمدة لبثهم والحق
ما أخبرك به أو حكاية
لكلام أهل الكتاب
وقل الله أعلم رد عليهم
والجمهور على أن هذا
أخبار من الله سبحانه
وتعالى أنهم لبثوا في كهفهم
كذا مدة (له غيب
السماوات والأرض) ذكر
اختصاصه بعلم ما غاب في
السماوات والأرض وحق
فيها من أحوال أهلها
(أبصر به وأسمع) أى
وأسمع به والمعنى ما أبصره
بكل موجود وما أسمع
لكل مسموع (ما لم
لاهل السماوات والأرض

غضبت قال وهب مكتوب في التوراة والآنجيل ابن آدم إذ كرتى حين تعصب إذ كرك حين أغضب وقيل
الآية في الصلاة يدل عليه ما روى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصلها إذا
ذكرها قال تعالى أقم الصلاة لذكري متفق عليه زاد مسلم وأوامر عنها فكفارته أن يصلها إذا ذكرها (وقل
عسى أن يهديني ربي لأقرب من ههنا) أى يثبتني على طريق هو أقرب إليه وأرشد وقيل إن الله سبحانه
وتعالى أمره أن يذكره إذا نسي شيئا ويسأله أن يذكره أو يهديه لما هو خير له من أن يذكر ما نسي وقيل
إن القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله سبحانه وتعالى أن يخبرهم أن الله
سبحانه وتعالى سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل حيث آتاه
من علم غيب المرسلين وقصصهم ما هو أوضح وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف وقيل هذا نسي أمره
الله أن يقول مع قوله إن شاء الله إذا ذكر الاستثناء بعد النسيان وإذا نسي الإنسان قوله إن شاء الله فتوبته
من ذلك أن يقول مع قوله إن شاء الله عسى أن يهديني ربي لأقرب من ههنا رشدا وقوله عز وجل (ولبنواى
كهفهم ثلثائة سنين وازدادوا تسعا) قيل هذا خبر عن قول أهل الكتاب ولو كان خبرا من الله عن قدر
لبثهم لم يكن لقوله قل الله أعلم بما لبثوا وجه ولكن الله رد قولهم بقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) والاصح أنه
أخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف ويكون معنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا معنى أن نازعوك في
مدة لبثهم في الكهف فقل أنت الله أعلم بما لبثوا أى هو أعلم منكم وقد أخبر بمدة لبثهم وقيل إن أهل
الكتاب قالوا إن المدة من حين دخلوا الكهف إلى يومنا هذا وهو اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلثائة
وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك وقال قل الله أعلم بما لبثوا معنى بعد قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلمه إلا
الله فإن قلت لم قال سنين ولم يقل سنة قلت قيل لما نزل قوله سبحانه وتعالى ولبنواى كهفهم ثلثائة فقالوا أياما
أو شهورا أو سنين فنزلت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير لما أجل في قوله فصر بنا على آذانهم في
الكهف سنين عدد وازدادوا تسعا وقيل قالت نصارى نجران أما الثلثائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم
لنا بها فنزلت قل الله أعلم بما لبثوا وقيل إن عند أهل الكتاب لبثوا ثلثائة سنة شمسية والله سبحانه وتعالى
ذكر ثلثائة سنة وتسع سنين قرية والتفاوت بين القمرية والشمسية في كل مائة سنة ثلاث سنين فتكون
الثلثائة الشمسية ثلثائة وتسع سنين قرية (له غيب السماوات والأرض) يعنى أنه سبحانه وتعالى لا يخفى
عليه شئ من أحوال أهلها فإنه العالم وحده به فكيف يخفى عليه حال أصحاب الكهف (أبصر به وأسمع)
معناه ما أبصر الله بكل موجود وأسمع بكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره شئ يدركه البواطن كما يدرك
الظواهر والقريب والبعيد والمحجوب وغيره لا يخفى عليه خافية (ما لم) أى ما لا أهل السماوات والأرض
(من دونه) أى من دون الله (من ولى) أى ناصر (ولا يشرك في حكمه أحدا) قيل معناه لا يشرك الله في علم
غيبه أحدا وقيل في قضائه وقوله سبحانه وتعالى (واتل) أى واقرأ يا محمد (ما أوحى إليك من كتاب ربك)
يعنى القرآن واتبع ما فيه واعمل به (لا تبدل لكلماته) أى لا تغير القرآن ولا يقدر أحد على التطرق إليه
بتغيير أو تبديل فإن قلت موجب هذا أن لا يتطرق النسخ إليه قلت النسخ في الحقيقة ليس بتبديل لأن
النسخ ثابت في وقت طريان النسخ فالنسخ كالمغايير فكيف يكون تبديلا وقيل معناه لا مغير لما
أوعده الله بكلماته أهل معاصيه (ولن تجد من دونه) أى من دون الله إن لم تتبع القرآن (ملتصدا) أى ملجأ

(من دونه من ولى) من متول لا مورهم (ولا يشرك في حكمه) في قضائه (أحدا) منهم ولا تشرك على النهى شامى وحزرا
كانوا يقولون له أنت بقرآن غير هذا وبذلك فقبله (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك) أى من القرآن ولا تسمع لما يهزؤن به من طلب
التبديل فإنه (لا تبدل لكلماته) أى لا يقدر أحد على تبديلها وتغييرها عما يقدر على ذلك هو وحده (ولن تجد من دونه ملتصدا) ملجأ

تعديل اليه ان عمت بذلك ولما قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نوح هو لاء الموالى وهم صهيب وعمار وخباب وسلمان وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجاسك نزل (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) واحبسهم معهم وثبتها (بالغداة والعشي) دائبين على الدعاء في كل وقت أو بالغداة اطلب التوفيق والتيسير والعشي اطلب عفوا التقصيرا وهما صلاة الفجر والعصر بالغداة شامى (يريدون وجهه) رضا الله (ولا تعد عينك عنهم) ولا تجاوز عداه اذا جاوزه وعدى (٢٠٩) بعن لتضمن عدم معنى نبأى قولك نبت منه

عينه وفائدة التضمين اعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من اعطاء معنى قد (تريدزينة الحياة الدنيا) في موضع الحال (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكرو هو دليل لنا على انه تعالى خالق أفعال العباد (واتبع هواه وكان أمره فرطا) مجاوزا عن الحق (وقل الحق من ربكم) أى الاسلام أو القرآن والحق خير مبتدأ محذوف أى هو (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) أى جاء الحق وزاقت العليل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ماشتم من الاخذ في طريق النجاة أوفى طريق الهلاك ووجب بلفظ الامر والتخيير لانه لمامكن من اختيار أيهما شاء فكانه مخير ما موربان يتخير ماشاء من النجدين ثم ذكر جزاء من اختار الكفر فقال (انا اعتدنا) هيا لنا (للظالمين) للكافرين فقيده بالسياق كما تركت حقيقة الامر والتخيير

وحوزا تعديل اليه ﴿ قوله عز وجل (واصبر نفسك) الآية نزلت في عيينة بن حصن الفزارى أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها ويده خوص يشته وينسجه فقال عيينة للنبي صلى الله عليه وسلم أما يؤذيك ريح هو لاء ونحن سادات مضر وأشرفها ان أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هو لاء فنحن حتى تتبعك أو اجعل لنا مجلسا فانزل الله عز وجل واصبر نفسك أى احبس يا محمد نفسك (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) بمعنى طرفى النهار (يريدون وجهه) أى يريدون وجه الله لا يريدون عرض الدنيا وقيل نزلت في أصحاب الصفة وكانوا سبعة ما تقر جل فقراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى تجارة ولا الى زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر نفسي معهم (ولا تعد) لا تصرف ولا تجاوز (عينك عنهم) الى غيرهم (تريدزينة الحياة الدنيا) أى تطلب مجالسة الاغنياء والاشراف وصحبة أهل الدنيا (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أى جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا بمعنى عيينة بن حصن وقيل أمية بن خلف (واتبع هواه) أى فى طلب الشهوات (وكان أمره فرطا) ضياء ضيع أمره وعطل أيامه وقيل ندما وقيل سرفا وباطلا وقيل مخالفا للحق (وقل الحق من ربكم) أى قل يا محمد لهو لاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان ويده الهدى والضلال ليس الى من ذلك شئ (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله اعلموا ما شتمتم وقيل معنى الآية وقيل الحق من ربكم أى لست بطارد المؤمنين هو لكم فان شتمتم فامنوا وان شتمتم فاكفروا فان كفرتم فقد أعد لكم ربكم نار وان آمنتم فلكم ما وصف الله لاهل طاعته وعن ابن عباس فى معنى الآية من شاء الله له الايمان آمن ومن شاءه الكفر كفر (انا اعتدنا) أى هيا لنا من العتاد وهو العدة (للظالمين) أى الكافرين (نارا أحاط بهم سرادقها) السرادق الحجرية التى تطيف بالفساطيط عن أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار أربعة جدر كشف كل جدار رابعون سنة أخرجه الترمذى قال ابن عباس هو حائط من نار وقيل هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالخظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار (وان يستغيثوا) أى من شدة العطش (يفاثوا بماء كالمهل) قال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردى الزيت عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى قوله سبحانه وتعالى بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه منه أخرجه الترمذى وقال رشدين أحدر رواة الحديث قد تكلم فيه من قبل حفظه الفروة جلدة الوجه وقيل المهل الدم والقح وقيل هو الرصاص والصفرا المذاب (يشوى الوجوه) أى ينضج الوجوه من حره (بش الشراب) أى ذلك الذى يغاثون به (وساءت) أى النار (مرتفقا) قال ابن عباس رضى الله عنهما منزلا وقيل مجتمعا وأصل المرتفق المتكأ وانما جاء كذلك لما كاة قوله وحسنت مرتفقوا والافلار تفاق لاهل النار ولا متكا قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات

(٢٧ - خازن) - ثالث) بالسياق وهو قوله انا اعتدنا للظالمين (نارا أحاط بهم سرادقها) شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهى الحجرية التى تكون حول الفسطاط وهو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار أو هو حائط من نار يطيف بهم (وان يستغيثوا) من العطش (يفاثوا بماء كالمهل) هو دردى الزيت أو ما أذيب من جواهر الارض وفيه تهكم بهم (يشوى الوجوه) اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حراره (بش الشراب) ذلك (وساءت) النار (مرتفقا) متكأ من الرفق وهذا المشا كاة قوله وحسنت مرتفقوا والافلار تفاق لاهل النار وبين جزاء من اختار الايمان فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات

انا انضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن) كلام مستأنف بيان للاجر المبهم ولك ان تجعل انا انضيع وأولئك خبرين معا
والمراد من احسن منهم عملا كقولك السمن منوان بدرهم ولان من احسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمها معنى واحد
فأقام من احسن مقام الضمير (بحرئ من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور) من للابتداء وتنكير أساور وهي جمع اسورة التي هي جمع سوار
لايها م امرها في الحسن (من) (٢١٠) ذهب) من للتبيين (ويلبسون ثيابا خضر من سندس) مارق من الديقاج

(واستبرق) ما غلظ منه
أى يجمعون بين النوعين
(متكئين فيها على
الارائك) خص الاتكاء
لانه هيئة التنعيم والملوك
على أسرهم (نعم الثواب)
الجنة (وحسنت) الجنة
والارائك (مرتفعا)
متكئا (واضرب لهم مثلا
رجلين) من مثل حال
الكافر بين والمؤمنين بحال
رجلين وكانا أخوين في بني
اسرائيل أحدهما كافر
اسمه قطروس والآخر مؤمن
اسمه يهوذا وقيل هما
المدكوران في الصافات
في قوله قال قائل منهم انى
كان لى قرين ورتان من أبيهما
ثمانية آلاف دينار
فجعلنا شطرين فاشترى
الكافر أرضا بالدينار
فقال المؤمن اللهم ان أخى
اشترى أرضا بالدينار
وأنا اشترى منك أرضا فى
الجنة بالف فتصدق به ثم بنى
أخوه دارا بالف فقال اللهم
انى اشترى منك دارا فى الجنة
بالف فتصدق به ثم تزوج
أخوه امرأة بالف فقال اللهم

انا انضيع اجر من احسن عملا) أى لاترك أعمالهم تذهب ضياعا بل يجازيهم بأعمالهم الصالحة وقيل ان
قوله انا انضيع اجر من احسن عملا كلام معترض وتقديره ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات (أولئك لهم
جنات عدن) أى دار إقامة سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها (بحرئ من تحتهم الانهار) وذلك لان أفضل
المساكن ما كان بحرى فيه الماء (يحلون فيها من أساور من ذهب) قيل يحلى كل انسان منهم ثلاثة أساور
سوار من ذهب لهذه الآية وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا أساور من فضة وسوار من لؤلؤ وقوله ولؤلؤا
ولباسهم فيها حرير (ويلبسون ثيابا خضر من سندس) هو الديقاج الرقيق (واستبرق) هو الديقاج
الصفيق الغليظ وقيل السندس المنسوج بالذهب (متكئين) خص الاتكاء لانه هيئة التنعيم والملوك
(فيها) أى فى الجنة (على الارائك) جمع أريكة وهى السرر فى المجالس ولما وصف الله سبحانه وتعالى هذه
الاشياء قال (نعم الثواب) أى نعم الجزاء (وحسنت) أى الجنات (مرتفعا) أى مقرا ومجلسا والمراد بقوله
وحسنت مرتفعا مقابلة ما تقدم ذكره من قوله سبحانه وتعالى وساءت مرتفعا قوله عز وجل (واضرب
لهم مثلا رجلين) قيل نزلت فى أخوين من أهل مكة من بنى مخزوم وهما أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد
ابن عبد ياليل وكان مؤمنا وأخوه الأسود بن عبد الأسد وكان كافرا وقيل هذا مثل لعينته بن حصن
وأصحابه وسلمان وأصحابه وشبههم بارجلين من بنى اسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا فى
قول ابن عباس وقيل بعلجوا والآخر كافر واسمه قطروس وهما اللذان وصفهما الله سبحانه وتعالى فى
سورة الصافات وكانت قصتهما على ما ذكره عطاء الخراسانى قال كان رجلا من شريكين لهما ثمانية
آلاف دينار وقيل كانا أخوين ورتان من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقسمها فاشترى أحدهما أرضا بالف
دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى أرضا بالف دينار وانى قد اشتريت منك أرضا فى الجنة بالف دينار
فتصدق به ثم ان صاحبه بنى دارا بالف دينار فقال اللهم ان فلانا بنى دارا بالف دينار وانى اشتريت منك دارا
فى الجنة بالف دينار فتصدق به ثم تزوج صاحبه امرأة فانفق عليها ألف دينار فقال هذا اللهم انى أخطب
اليك امرأة من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى خدما ومثالا بالف دينار فقال
هذا اللهم انى اشترى منك خدما ومثالا بالف دينار فى الجنة فتصدق به ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أتيت
صاحبى لعلى ينالنى منه معروف فجلس على طريقته حتى مر به فى خدمه وحشمه فقام اليه فنظر اليه
صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم قال ما شأنك قال أصابتنى حاجة بعدك فانيئتك لتعنينى بخير قال فافعلت
بمالك وقد قاسمتك مالا وأخذت شرطه فقص عليه قصته فقال وانك لمن المصدقين بهذا اذهب
فلا أعطيك شيئا فطرده ففضى لهما فتوفيا فنزل فيهما قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم انى
كان لى قرين وروى أنه لما أتاه أخذ بيده وجعل يطوف به ويريه أمواله فنزل فيهما ما واضرب لهم
مثلا رجلين (جعلنا لأحد هما جنتين) أى بستانين (من أعناب وحنفناهما) أى أطفناهما من
جوانبهما (بنخل وجعلنا بينهما زراعا) أى وجعلنا بين النخل والأعناب الزرع وقيل بينهما أى بين الجنتين

انى جعلت ألفا صدقا لله عور ثم اشترى أخوه خدما ومثالا بالف دينار فقال اللهم انى اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق
به ثم أصابته حاجة فجلس لآخيه على طريقته فمر به فى حشمه فتعرض له فطرده ووجه على الصدق بماله (جعلنا لأحد هما جنتين من أعناب
بستانين من كروم) (وحنفناهما بنخل) وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين فى كرومهم أن يجعلوا مؤزرة بالاشجار
المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به وحفقتهم أى جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتز يده الباء مفعول لانيها (وجعلنا بينهما زراعا
جناناها أرضا جامعة لاقوات والنوا) كوصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم توسطها ما يقطعها مع الشكل الحسن والترتيب الاتيق

(كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ أَنْتِ) أعطت حمل على اللفظ لان لفظ كَلِمَاتُ مفرد ولوقيل أتنا على المعنى لجاز (أكلها) ثمها (ولم تظلم منه) ولم تنقص من أكلها (شيأ وجرا ناخلطها نهر) نعمها بوفاء الثمار وتتمام الأكل من غير نقص ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يستقي به وهو النهر الجاري فيها (وكان له) لصاحب الجنتين (ثمر) أنواع من المال من ثمه إذا كثرة أي كانت له إلى الجنتين الموصوفتين الأموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما ثم وأحيط بثمره بفتح الميم والثاء عاصم وبضم الثاء وسكون الميم أبو عمرو وبضمهما غيرهما (فقال لصاحبه وهو يحاوره) يراجع الكلام من حار يحور إذا رجع يعني قطروس أخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أنصارا وحشما وأولادا ذكورا لأنهم ينفرون معه دون الإناث (ودخل جنته) إحدى جنتيه أو ساهما جنة لا اتحاد الحائط وجنتين للنهر الجاري بينهما (وهو ظالم لنفسه) ضار لها بالكفر (قال ما أظن أن تبدي هذه أبدا) أي أن تهلك هذه الجنة شك في بيدرودة جنته لطول أمه وتمادي غفلة واعتراه بالمهلة وترى أكثر الأغنياء من المسلمين تنطق السنة أحوالهم بذلك (وما أظن الساعة قائمة) كائنة (ولئن رددت إلى ربي لأجدن (٢١١) خيرا منها من قبلا) أقسام منه على أنه

ان ردا إلى ربه على سبيل
القرض كما يزعم صاحبه
ليجدن في الآخرة خيرا من
جنته في الدنيا ادعاء
لكرامته عليه ومكاته
عنده من قبلا تميز أي
مرجعا وعاقبة (قال له
صاحبه وهو يحاوره
أكفرت بالذي خلقك من
تراب) أي خلق أصلك
لان خلق أصله سبب في
خلقه وكان خلقه خلقا له
(ثم من نطفة) أي خلقك
من نطفة (ثم سواك رجلا)
عدلك وملك انسانا ذكرا
بالغا مبلغ الرجال جعله
كافرا بالله لشكك في البعث
(لكننا) بالالف في الوصل

يعني لم يكن بين الجنتين خراب بغير زرع (كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ أَنْتِ) أي أعطت كل واحدة من الجنتين (أكلها) أي ثمها تمام (ولم تظلم منه شيأ) أي ولم تنقص منه شيأ (وجرا ناخلطها) شققنا وسطهما (نهر) وكان له) أي لصاحب البستان (ثمر) قرى بالفتح جمع ثمرة وقرى بالضم وهو الأموال الكثيرة المثمرة من كل صنف من الذهب والفضة وغيرهما (فقال) يعني صاحب البستان (صاحبه) يعني المؤمن (وهو يحاوره) أي يخاطبه (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أي عشيرة ورهطا وويل خدما وحشما (ودخل جنته) يعني الكافر أخذ بيد أخيه المؤمن يطوف به فيها ويريه أياها (وهو ظالم لنفسه) أي بكفره (قال ما أظن أن تبدي) أي تهلك (هذه) يعني جنته (أبدا) وذلك أنه رآه حسنا وغرته زهرتها فتوهم أنها لا تنفنى أبدا وأنكر البعث فقال (وما أظن الساعة قائمة) أي كائنة (ولئن رددت إلى ربي) فان قلت كيف قال ولئن رددت إلى ربي وهو منكر للبعث قلت معناه ولئن رددت إلى ربي على ما تزعم من أن الساعة آتية (لا جدن خيرا منها من قبلا) أي يعطيني هنالك خيرا منها لانه لم يعطني الجنة في الدنيا الا ليعطيني في الآخرة أفضل منها (قال له صاحبه) يعني المؤمن (وهو يحاوره) أكفرت بالذي خلقك من تراب) أي خلق أصلك من تراب لان خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقا له (ثم من نطفة ثم سواك رجلا) أي عدلك بشرا سويا وملك انسانا ذكرا بالغامبلغ الرجال (لكننا هو الله ربي) مجازة لكن أنا هو الله ربي (ولأشرك بربي أحدا ولولا) أي هلا (أذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله) والمعنى هلا قلت عند دخوليها والنظر إلى ما رزقك الله منها ما شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها إنما حصل بمشيئة الله تعالى وفضله وان أمرها بيده وانه ان شاء تركها عامرة وان شاء تركها خرابا (لا قوة الا بالله) أي وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدمير أمرها هو بمعونة الله وتأبيده ولا أقدر على حفظ مالي ودفع شيء عنه الا بالله روي عن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى من ماله شيأ يبغبه أو دخل حائط من حيطانه قال ما شاء الله لا قوة الا بالله الحائط البستان (ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا) أي لاجل ذلك تكبرت على وتعظمت (فسي ربي) أي فلعل ربي

شامى الباقون بغير ألف وبالالف في الوقف اتفاق وأصله لكن أنا خذفت الهمزة وألقت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فادغمت الاولى في الثانية بعد أن سكنت (هو الله ربي) هو ضمير الشأن والشأن الله ربي والجملة خبر أنا والراجع منه اليه ياء الضمير وهو استدراك لقوله أكفرت قال لاخيه أنت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر وفيه حذف أي أقول هو الله بدليل عطف (ولأشرك بربي أحدا ولولا) وهلا (أذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله) ما موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ما شاء الله أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف يعني أي شيء شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخوليها والنظر إلى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل ما فيها إنما حصل بمشيئة الله وان أمرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها (لا قوة الا بالله) اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدمير أمرها هو بمعونة الله وتأبيده من قرأ (ان ترن أنا أقل منك مالا) بنصب أقل فقد جعل أنا فصلا ومن رفع وهو الكسائي جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعول ثانٍ لترن وفي قوله (ولدا) نصره قلن فسر النفر بالاولاد في قوله وأعز نفرا (فسي ربي)

أن يؤتيني خيرا من جنتك) في الدنيا وفي العقبى (ويرسل عليها حسابنا) عذابا (من السماء فتصيح صعيدا زلقا) أرضا يضيئه زلق عليها الملائكة
 (أو يصح ماؤها غورا) غائرا أي ذاهبا في الأرض (فلن تستطيع له طلبا) فلا يتأتى منك طلبه فضلا عن الوجود والمعنى ان ترن أقر منك
 فانا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايمان جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفره نعمته وبخرب
 بسايتك (وأحيط بثمره) هو عبارة عن اهلا كه وأصله من أحاط به العدو لانه اذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل
 اهلاك (فأصبح) أي الكافر (يقرب كفيه) يضرب احدهما على الاخرى ندما وتحسرا وانما صار قلب الكافرين كناية عن الندم
 والنصر لان النادم يقرب كفيه طهر البطن كما كفى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدى تعديته بعلى كانه قيل
 فأصبح يندم (على ما أنفق فيها) أي في عمارتها (وهي خاوية على عروشها) يعني ان كرومها المرشثة سقطت عروشها على الأرض وسقطت
 فوقها الكروم (ويقول باليتنى لم أشرك برى أحدا) تذكروا عظمة أخيه فعلم أنه أتى من جهة كفره وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى
 لا يهلك الله بستانه حين لم ينفعه (٢١٢) التمنى ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان (ولم تكن له فئة

ينصرونه) يقدرون على نصرته (من دون الله) أي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره الا أنه لم ينصره لحكمة (وما كان منتصرا) وما كان متمتعاً بقوته عن انتقام الله (هنالك الولاية لله الحق) يمكن بالياء والولاية بكسر الواو حمزة وعلى فهي بالفتح النصرة والتولى وبالكسر السلطان والملك والمعنى هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريراً لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وهنالك السلطان والملك لله لا يغلب أو في مثل

(أن يؤتيني) أي يعطيني (خيرا من جنتك) يعني في الآخرة (ويرسل عليها) أي على جنتك (حسابنا) قال ابن عباس نارا وقيل سراي (من السماء) وهي الصواعق فهلكتها (فتصيح صعيدا زلقا) أي أرضا جرداء ملساء لانبات فيها وقيل زلق فيها الاقدام وقيل رملها تلالا (أو يصح ماؤها غورا) غائرا اذا هبالاتنا له الايدي ولا الدلاء (فان تستطيع له طلبا) يعني ان طلبته لم تجده (وأحيط بثمره) يعني أحاط العذاب بثمر جنته وذلك ان الله تعالى أرسل عليها من السماء نارا فاهلكتها وغار ماؤها (فأصبح) يعني صاحبها الكافر (يقرب كفيه) يصفق بكفه على كفه ويقرب كفيه طهر البطن تأسفا وتلهفا (على ما أنفق فيها) المعنى فأصبح يندم على ما أنفق في عمارتها (وهي خاوية على عروشها) أي ساقطة سقوطها وقيل ان كرومها المرشثة سقطت عروشها على الأرض (ويقول باليتنى لم أشرك برى أحدا) يعني أنه تذكروا عظمة أخيه المؤمن فعلم أنه أتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا (ولم تكن له فئة) أي جماعة (ينصرونه من دون الله) أي بمنعونه من عذاب الله (وما كان منتصرا) أي متمتعاً لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل معناه لا يقدر على رد ما ذهب منه قوله سبحانه وتعالى (هنالك الولاية) قرى بكسر الواو يعني السلطان في القيامة (لله الحق) وقرى بنفسها من الموالات والنصرة يعني انهم يتولونه يومئذ ويتبرؤن مما كانوا يعبدون من دونه في الدنيا (هو خير ثوابا) أي أفضل جزاء لاهل طاعته لو كان غيره شيب (وخير عقبا) يعني عاقبة طاعته خيرا من عاقبة طاعة غيره فهو خيرا ثابا وعاقبة قوله عز وجل (واضرب لهم) أي اضرب يا محمد لقومك (مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء) يعني المطر (فاختلط به نبات الأرض) أي خرج منه كل لون وزهرة (فأصبح) أي عن قريب (هشيا) قال ابن عباس يابسا (تذروه الرياح) قال ابن عباس تذر به وقيل تفرقه وتفسقه (وكان الله على كل شيء مقتدرا) أي قادرا قوله سبحانه وتعالى (المال والبنون) يعني التي يفتخر بها عينته وأصحابه الاغنياء (زينة الحياة الدنيا) يعني ليست من زاد الآخرة قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه المال والبنون حوث

تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مظهر يعني أن قوله باليتنى لم أشرك برى أحدا كلمة الحجة اليها فاقاطها جزاء عمادها من شوم كفره ولولا ذلك لم يقلها وهنالك الولاية لله ينصر فيها أولياء المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله فعسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسابنا من السماء ويؤيده قوله (هو خير ثوابا وخير عقبا) أي لاوليائه وهنالك اشارة الى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم الحق بالرفع أبو عمرو وعلى صفة للولاية وخير ميتا محذوف أي هي الحق أو هو الحق غيرهما بالجر صفة لله عقبا يسكون القاف عاصم وجزءه وبضمها غيرهما وفي الشواذ عقبى على وزن فعلى وكلها بمعنى العاقبة (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء) أي هو كما أنزلناه (فاختلط به نبات الأرض) فالتف بسببه وتكاتف حتى خالط بعضه بعضا وأثر في النبات الماء فاختلط به حتى روى (فأصبح هشيا) يابس متكسرا الواحدة هشيمة (تذروه الرياح) تفسفه وتطيره الريح حمزة وعلى (وكان الله على كل شيء مقتدرا) قادر اشبه حال الدنيا في نصرتها وبهجتها وما يتعقبا من الهلاك والافناء بحال النبات يكون أخضر ثم يهيج فتطيره الريح كان لم يكن (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) لازاد القبر وعدة العقبى

(والبقيات الصالحات) أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) جزاء (وخيرا مالا) لانه وعد صادق وأكثرا مالا كاذبة يعني ان صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ويصديه في الآخرة (وبوم) واذ كر يوم (نسير الجبال) نسير الجبال مكي وشامي وأبو عمر وأبو تيسرى (٢١٣) الجؤا ويذهب بها بان تجعل هباء

منشورا منبثا (وترى الارض بارزة) ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من الجبال والاشجار (وحشرناهم) أي الموتى (فلم تغادر منهم أحدا) أي فلم تترك غادره أي تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل (وعرضوا على ربك صفا) مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كآثر كل واحد لا يحجب أحدا شبهت حالهم بحال الجنود المعروضين على السلطان (لقد جثمونا) أي قلنا لهم لقد جثمونا وهذا المضمير يجوز ان يكون عامل النصب في يوم نسير (كما خلقناكم أول مرة) أي لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة أو جثمونا عراة لاشئ معكم كما خلقناكم أولاً وانما قال وحشرناهم ماضيا بعد نسيرو ترى للدلالة على حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأحوال كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك (بل

الدنيا والاعمال الصالحة حث الآخرة وقد يجمعهما لا قوام (والبقيات الصالحات) قال ابن عباس هي قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الي مما طلعت عليه الشمس عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال استكثروا من قول البقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مررت برياض الجنة فارتعوا قلت يا رسول الله وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن سعيد بن المسيب ان البقيات الصالحات هي قول العبد الله أكبر وسبحان الله ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله أخرجه مالك في الموطأ وموقوف عليه * وعن ابن عباس ان البقيات الصالحات الصلوات الخمس وعنه أنها الاعمال الصالحات (خير عند ربك ثوابا) أي جزاء (وخيرا مالا) أي ما يؤمله الانسان قوله سبحانه وتعالى (ويوم نسير الجبال) أي نذهب بها وذلك أن تجعل هباء منشورا كما يسير السحاب (وترى الارض بارزة) أي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا بناء وقيل هو بروز ما في بطنها من الموتى وغيرهم فيصير باطن الارض ظاهرة (وحشرناهم) يعني جميعا الى موقف الحساب (فلم تغادر منهم أحدا) أي لم تترك منهم أحدا (وعرضوا على ربك صفا) أي صفا صفا وفوجا فوجا لانهم صف واحد وقيل قياما وقيل كل أمة وزمرة صف ثم يقال لهم (لقد جثمونا كما خلقناكم أول مرة) يعني أحياء وقيل حفاة عراة غرلا (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) يعني القيامة يقول ذلك لمنكري البعث (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ألا ان أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام الاوانه سيحيا برجال من أمي فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول يا رب أصحابي فيقول انك لا تدري ما أحدثت بعدك فاقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله العزيز الحكيم قال فيقال لي انهم لن يزالوا مني أبداً على ألقابهم منذ فارقتهم زاد في رواية فاقول سحقا سحقا قوله غرلا أي قلفا والغرلة القلفة التي تقطع من جلد الذكرو هو موضع الختان وقوله سحقا سحقا أي بعدا قال بعض العلماء ان المراد بهؤلاء أصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر أشد من أن يهمهم ذلك زاد النسائي في رواية له لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه قوله عز وجل (ووضع الكتاب) يعني صحائف أعمال العباد توضع في أيدي الناس في أيامتهم وشمالهم وقيل توضع بين يدي الله تعالى (فترى المجرمين مشفقين) أي خائفين (بمافي) يعني من الاعمال السيئة (ويقولون) يعني اذارواها (يا ويلتنا) أي باهلا كنا وكل من وقع في هلكة دعا بالويل (مال هذا الكتاب لا يغادر) أي لا يترك (صغيرة ولا كبيرة) أي من ذنوبنا (الأحصاء) أي عددها وكتبها وأثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس الصغيرة التيسير والكبيرة التفهيم وقال سعيد بن جبيرة الصغيرة اللحم واللمس والقبلة

زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) وقتالانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور أو مكان وعد للمحاسبة (ووضع الكتاب) أي صحف الاعمال (فترى المجرمين مشفقين) خائفين (بمافي) من الذنوب (ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة) أي لا يترك شيئا من المعاصي (الأحصاء) حصرها وضبطها

والكبيرة الزناعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا في بطن وادخاها هذا بعود وجاء هذا بعود فاضجوا خبزهم وان محقرات الذنوب او بقات الحنجر التي الصغار التافه وقوله لم يبق من الذنوب الا ما عملوا (ووجدوا ما عملوا) في الصحف عتيدوا وجزاء ما عملوا (ولا يظلم ربك احدا) فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه او يعذبه بغير جرم (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تحية او سجود انقياد (فسجدوا الا ابليس كان من الجن) وهو مستأنف كان قاتلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن (ففسق عن امر ربه) خرج عما امره ربه به من السجود وهو دليل على انه كان مأمورا بالسجود مع الملائكة (أفتتخذونه وذريته) الطمزة للانكار والتعجب كانه قيل أعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته (أولياء من دوني) وتبديلونهم بي ومن ذريته لاقيس موسوس الصلاة والاعور صاحب الزنا وبترو صاحب المصائب يزين خش الوجوه واطم الحدود ووشق الجيوب والاعور وهو صاحب وعزيمة المرأة ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلتقيها في أقواه الناس لا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذي اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع أو يحسن موضعه واذا كل ولم يسلم أكل معه قال الاعمش ر بما دخلت البيت ولم اذكر اسم الله ولم أسلم قرأت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصتهم ثم اذكر فاقول داسم داسم اعود بالله منه روى أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للوؤوس شيطانا يقاله الوطنان فاتقوا وساوس الماء أخرجه الترمذي (م) عن عثمان بن أبي العاص قال قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها على فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتقل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهب الله عني شيطان فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فاذا نام

(ووجدوا ما عملوا ما ضرا) في الصحف عتيدوا وجزاء ما عملوا (ولا يظلم ربك احدا) فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه او يعذبه بغير جرم (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تحية او سجود انقياد (فسجدوا الا ابليس كان من الجن) وهو مستأنف كان قاتلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن (ففسق عن امر ربه) خرج عما امره ربه به من السجود وهو دليل على انه كان مأمورا بالسجود مع الملائكة (أفتتخذونه وذريته) الطمزة للانكار والتعجب كانه قيل أعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته (أولياء من دوني) وتبديلونهم بي ومن ذريته لاقيس موسوس الصلاة والاعور صاحب الزنا وبترو صاحب المصائب يزين خش الوجوه واطم الحدود ووشق الجيوب والاعور وهو صاحب وعزيمة المرأة ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلتقيها في أقواه الناس لا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذي اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع أو يحسن موضعه واذا كل ولم يسلم أكل معه قال الاعمش ر بما دخلت البيت ولم اذكر اسم الله ولم أسلم قرأت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصتهم ثم اذكر فاقول داسم داسم اعود بالله منه روى أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للوؤوس شيطانا يقاله الوطنان فاتقوا وساوس الماء أخرجه الترمذي (م) عن عثمان بن أبي العاص قال قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها على فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتقل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهب الله عني شيطان فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فاذا نام

(بش للظالمين بدلا) بشس البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعة الله (ما شهدتهم) أي ابليس وذريته (خلق السموات والارض) يعني انكم اتخذتموهم شركاء على في العبادة وانما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنتي مشاركتهم في الالهية بقوله ما شهدتهم خلق السموات والارض لا اعتضد بهم في خلقها أو أشاورهم فيه أي تفردت بخلق الاشياء فأفردوني في العبادة (ولا خلق أنفسهم) أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم (وما كنت متخذهم عضدا) أي أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء على في العبادة (ويوم يقول) الله للكفار وبالنون حزة (نادوا) ادعوا بصوت عال (شركائي الذين زعمتم) (٢١٥) أنهم فيكم شركائي ليمعوكم من

عذابي وأراد الجن وأضاف الشركاء اليه على زعمهم تو بينخالهم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم (وجعلنا بينهم موبقا) مهلكا من وبق يبق وبوقا اذا هلك أو مصدرا كالموعد أي وجعلنا بينهم واديا من أودية جهنم وهو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا أو الملائكة وعزيرا وعيسى والموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمدا بعيدا لانهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان (ورأي المجرمون النار فظنوا) فابقنوا (أنهم مواقعوها) مخالطوها واقعون فيها (ولم يجدوا عنها عن النار) (مصرفا) معذرا (ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل) يحتاجون اليه (وكان الانسان أكثر شئ

منه منزلة أعظمهم فتنة يحيى أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا ثم يحيى أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت قال الاعمش أراه قال فيلتزمه ووقوله (بشس للظالمين بدلا) يعني بشس ما استبدلوا طاعة ابليس وذريته بعبادتهم وطاعته ﷻ قوله سبحانه وتعالى (ما شهدتهم) أي ما حضرتهم يعني ابليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملائكة (خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) والمعنى ما شهدتهم خلقها فاستعين بهم على خلقها أو أشاورهم فيها (وما كنت متخذ المصلين) يعني الشياطين الذين يضلون الناس (عضدا) يعني أنصارا وأعوانا ﷻ قوله عز وجل (ويوم يقول نادوا) يعني يقول الله تعالى يوم القيامة نادوا (شركائي) يعني الاصنام (الذين زعمتم) يعني أنهم شركائي (فدعوهم) أي فاستغاثوا بهم (فلم يستجيبوا لهم) أي فلم يجيبوهم ولم ينصروهم (وجعلنا بينهم) يعني بين الاصنام وعبادتها وقيل بين أهل الهدى وبين أهل الضلال (موبقا) يعني مهلكا قال ابن عباس هو واد في النار وقيل نهر تسيل منه نار وعلى حافظيه حيات مثل البغال الدهم وقيل كل حاجز بين شيئين فهو موبق وأصله الهلاك (ورأي المجرمون) أي المشركون (النار فظنوا) أي أيقنوا (أنهم مواقعوها) أي داخلوها وواقعون فيها (ولم يجدوا عنها مصرفا) أي معدلا لانها أطاط بهم من كل جانب وقيل لان الملائكة تسوقهم اليها قوله ﷻ سبحانه وتعالى (ولقد صرفنا) أي بينا (في هذا القرآن للناس من كل مثل) أي ليتذكروا ويتعظوا (وكان الانسان أكثر شئ جدلا) أي خصومة في الباطل قال ابن عباس أراد النضر بن الحرث وجداله في القرآن وقيل أرائه أبي بن خلف وقيل أراد به جميع الكفار وقيل الآية على العموم وهو الاصح (ق) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلا فقال ألا تصليان فقلت يا رسول الله أنفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الى شيئا ثم سمعته يقول وهو مول يضرب نخته بيده وكان الانسان أكثر شئ جدلا ﷻ قوله عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) يعني القرآن وأحكام الاسلام والبيان من الله تعالى وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويستغفروا ربهم) والمعنى انه لا مانع لهم من الايمان ولا من الاستغفار والتوبة والتخلية حاصلة والاعذار زائلة فلو لم يقدموا على الايمان والاستغفار (الآن تأتيهم سنة الاولين) يعني سنتنا في اهلاك الاولين ان لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال (أو يأتيهم العذاب قبلا) قال ابن عباس أي عيانا من المقابلة وقيل فجأة ﷻ قوله سبحانه وتعالى (وما ترسل المرسلين الا مبشرين) أي بالثواب على الطاعة (ومندرين) بالعقاب لمن عصى (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم للرسول ما أتمم الا بشر مثلنا وشبه ذلك (ليدحضوا) أي ليبطلوا (به

جدلا) تمييزا أي كثيرا لاشياء التي يتأني منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة وعماراة بالباطل يعني ان جدل الانسان أكثر من جدل كل شئ (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) أي سببه وهو الكتاب والرسول (ويستغفروا ربهم الآن تأتيهم سنة الاولين أو يأتيهم العذاب) ان الاولى نصب والثانية ترفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما مع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار أن تأتيهم سنة الاولين وهي الهلاك أو انتظار ان يأتيهم العذاب أي عذاب الآخرة (قبلا) كوفي أي أنواعا جمع قبيل الباقيون قبلا أي عيانا (وما ترسل المرسلين الا مبشرين ومندرين) يوقف عليه ويستأنف بقوله (ويجادل الذين كفروا بالباطل) هو قولهم للرسول ما أتمم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك (ليدحضوا به

الحق) ليزيلوا ويطلوا بالجدال النبوة (واتخذوا آياتي) القرآن (وما أنذروا) ما موصولة والراجع من الصلة محذوف أي وما أنذروه من العقاب أو مصدر به أي وانذارهم (هزوا) موضع استهزاء بسكون الزاي والهمزة حزة وابدال الهمزة واوا حنص وضم الزاي والهمزة غيرهما (ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه) بالقرآن ولذلك رجع الضمير اليها من كراهي قوله أن يفقهوه (فأعرض عنها) فلم يتدكر حين ذكر ولم يتدبر (ونسى ما قدمت بدها) (٢١٦) عاقبة ما قدمت بدها من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في أن المسئ والمحسن لا بد

الحق) ويزيلوه (واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا) فيه اضمار يعني اتخذوا ما أنذروا به وهو القرآن استهزاء قوله عز وجل (ومن أظلم ممن ذكر) أي وعظ (بآيات ربه فأعرض عنها) أي تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها (ونسى ما قدمت بدها) أي ما عمل من المعاصي من قبل (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أي أغطية (أن يفقهوه) يريدائل يفهموه (وفي آذانهم وقرا) أي تفلأوصمما (وان تدعهم) يا محمد (الي الهدى) أي الدين (فلن يهتدوا اذا أبدا) وهذا في أقوام علم الله منهم انهم لا يؤمنون (وربك الغفور) أي البليغ المغفرة (ذو الرحمة) أي الموصوف بالرحمة (لو يؤاخذهم) أي يعاقب الكفار (بما كسبوا) من الذنوب (لجعل لهم العذاب) أي في الدنيا (بل لهم موعد) يعني البعث والحساب (لن يجدوا من دونه موثلا) أي ملجأ (وتلك القرى) يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (أهلكناهم لما ظلموا) أي كفروا (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أي اجلا لاهلاكهم قوله سبحانه وتعالى (واذ قال موسى لفتهاه) الآيات أكثر العلماء على ان موسى المدكور في هذه الآية هو موسى بن عمران من سبط لاوي ابن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب النوراة وعن كعب الاحبار انه موسى بن ميثا من اولاد يوسف بن يعقوب وكان قريشا قبل موسى بن عمران والقول الاول أصح بدليل ان الله سبحانه وتعالى لم يذكر في كتابه العزيز موسى الأراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم بوجوب الانصراف اليه ولو أراد شخصا آخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وتزيل الشبهة فلما لم يميزه بصفة علمنا انه موسى بن عمران صاحب التوراة وأما فتاه فالاصح انه يوشع بن نون بن افرام بن يوسف وهو صاحب موسى وولي عهده بعد وفاته وقيل انه أخو يوشع وقيل انه فتاه يعني عبده بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاهي وفتاهي (ق) عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوحا البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بن اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا أبي بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى عليه السلام قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل أي الناس أعلم فقال أنا فغضب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله سبحانه وتعالى اليه ان لي عبدا يجمع البحر بن هو أعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال فخذ منك حوتا فاجعله في مكمل فحينما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا فاجعله في مكمل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا أنيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما فاضرب الحوت في المكمل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سريرا وأمسك الله عن الحوت جريه الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يجبره بالحوت وانطلقا بقية يومهما وليتأما حتى اذا كانا من الغد قال موسى لفتهاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله به فقال له فتاه أرايت اذا رأينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجا قال فكان للحوت سر بابو موسى ولفتهاه عجا فقال موسى ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا قال رجعا فقضا آثارهما حتى اتيا الى الصخرة فاذا رجل مسحى شوب أبيض فسلم عليه

لما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بهم مطبوع على قلوبهم بقوله (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية جمع كنان وهو الغطاء (أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) تفلأعن استماع الحق وجمع بعد الافراد جلا على لفظ من ومعناه (وان تدعهم) يا محمد (الي الهدى) الي الايمان (فلن يهتدوا) فلا يكون منهم اهتداء البتة (اذا) جزاء وجواب فدل على اتقاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سببا في اتقائه وعلى انه جواب للرسول على تقدير قوله مالي لا أدعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الي الهدى فلن يهتدوا اذا (أبدا) مدة التكليف كلها (وربك الغفور) البليغ المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة (لو يؤاخذهم بما كسبوا جعل لهم العذاب) ومن رحمة ترك مؤاخذته

أهل مكة عاجلا مع فرط عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر (لن يجدوا من دونه موثلا) موسى منجأ ولا ملجأ يقال وائل اذا نجأ وائل اليه اذا لجأ اليه (وتلك) مبتدأ (القرى) صفة لان أسماء الاشارة توصف بأسماء الاجناس والخبر (أهلكناهم) أولئك القرى نصب باضمار أهلكناهم والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم والمراد قوم نوح وعاد وثمود (لما ظلموا) مثل نطم أهل مكة (وجعلنا لمهلكهم موعدا) وضر بنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضر بنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وبتغ الميم وكسر اللام حنص وبتفصهما أبو بكر أي لو فت هلا كهم أو هلا كهم والموعود وقت أو مصدر (واذ) واذا كراذ (قال موسى لفتهاه)

هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وياخذ منه العلم (لأبرح) لأزال وقد حذف الخبر لدلالة الحال والكلام عليه أما
الاولى فلانها كانت حال سفر وأما الثاني فلان قوله (حتى أبلغ مجمع البحرين) غايته مضروبة تستدعي ما هي غايته فلا بد ان يكون المعنى لأبرح
أسير حتى أبلغ مجمع البحرين وهو المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام (٢١٧) وهو ملتحق ببحر فارس والروم وسمى

خضر لانه أينما يصل بخضر
ما حوله (أو أمضى حقا)
أو أسير زمانا طويلا قيل
ثمانون سنة روي انه لما
ظهر موسى عليه السلام
على مصر مع بني اسرائيل
واستقروا بها بعد هلاك
القيبط سال ربه أي عبادك
أحب اليك قال الذي
بذكرني ولا ينساني قال
فاي عبادك أقضي قال الذي
يقضي بالحق ولا يتبع الهوى
قال فأي عبادك اعلم قال
الذي يتغنى علم الناس الى
علمه عسى يصيب كلمة تدله
على هدى أو ترده عن
ردى فقال ان كان في
عبادك من هو أعلم مني
فدلي عليه قال أعلم منك
الخضر قال أين اطلبه قال
على الساحل عند الصخرة
قال يارب كيف لي به قال
تأخذ حوتاني مكنل فيث
فقدته فهو هناك فقال
لفتاه اذا فقدت الحوت
فأخبرني فذهبا بمشيان
فرقد موسى فاضطرب
الحوت ووقع في البحر فلما
جاء وقت الغداء طلب موسى
الحوت فأخبره فتاه بوقوعه

موسى فقال الخضر وأني بأرضك السلام فقال أناموسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمني مما
علمت رشد اقال انك لن تستطيع معي صبرا يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه لاتعلمه وأنت على علم من علم
الله علمك الله لأعلمه فقال موسى متجددني ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمر اقال له الخضر فان أتبعني
فلانسانى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا بمشيان على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكما موهم
ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا السفينة لم يفجأ موسى الا والخضر قد قلع لوحا من
ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملوا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلهما لقد جئت
شياء أمر اقال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمرى عسر اقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة
فنقر في البحر رقعة فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر
ثم خرجا من السفينة فبينما هما مشيان على الساحل اذا بصرا الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر
برأسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك انك
لن تستطيع معي صبرا قال وهذه أشد من الاولى قال ان سألتك عن شئ بعد ها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني
عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض
أى ما تلا فقال الخضر بيده هكذا فاقامه فقال موسى قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت
عليه أجر اقال هذا فراق بيني وبينك سانبك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
برحم الله موسى لو ددت انه صبر حتى يقص علينا من أخبارهما قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ
وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ أو ما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين وفي
رواية عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى عليه السلام ذكرا الناس يوما حتى
اذا فاضت العيون وورقت القلوب ولى قادر كه رجل فقال أى رسول الله هل في الارض أحدا أعلم منك قال لا
فغضب الله عليه اذ لم يرد العلم الى الله تعالى فقال بلى قال أى رب وأين هو قال بمجمع البحرين قال خذ حوتا
ميتا حيث ينفخ فيه الروح وفي رواية تزود حوتا ما لحاقانه حيث يفقد الحوت زاد في رواية وفي أصل الصخرة
عين يقال لها الحياة لا يصيب من ما هاشى الاحي فاصاب الحوت من ماء تلك العين فقهر كوانسل من المكنل
فدخل البحر ورجعنا الى التفسير قوله سبحانه وتعالى (لأبرح) أى لأزال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين)
قيل أراد بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية (أو أمضى حقا) يعنى أو أسير دهرها
طويلا والحقب ثمانون سنة فحمل خبرا وسمكة مالحه في المكنل وهو الزنبيل الذي يسع خمسة عشر صاعا ومضيا
حتى اتها الى الصخرة التي عند مجمع البحرين وعند هاهنا عين تسمى عين الحياة لا تصيب شيا الا حي فلما أصاب
السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكنل وهاجت ودخلت في البحر (فلما بلغا) يعنى موسى وفتاه (مجمع
بينهما) أى بين البحرين (نسيان) أى تركا (حوتها) وانما كان الحوت مع يوشع بن نون وهو الذي نسيه وانما
أضاف النسيان اليهما لانهما تزوداه لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيان حوتها أى نسيان كيفية

(٢٨ - (خازن) - ثالث) في البحر فأتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بشو به فسلم عليه موسى فقال واني بارضنا السلام
ففرقه نفسه فقال يا موسى أنا على علم علمنيه الله لاتعلمه أنت وأنت على علم علمك الله لأعلمه أما (فلما بلغا مجمع بينهما) مجمع البحرين
(نسيان حوتها) أى نسي أحدهما وهو يوشع لانه كان صاحب الزاد دليله فاني نسيت الحوت وهو كقولهم نسوا زادهم وانما ينساه متعهد
لزاد قيل كان الحوت سمكة مألوفة فنزل اليلة على شاطئ عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ووقعت في الماء

(فاتخذ سبيله في البحر) أي اتخذ طريقه من البر الى البحر (مربا) نصب على المصدر أي سرب فيه سربا يعني دخل فيه واستتر به (فلما جاوزا) مجمع البحرين ثم نزلا وقد سارا ماشاء الله (قال) موسى (لقتاه آتئا غدا) أي لقيتهما غدا (فلما لقيتهما من سفرنا هذا نصبا) تعب ولم يتعب ولا جاع قبل ذلك (قال) رأيت إذا رأيتنا إلى (الصخرة) هي موضع الموعد (فأني نسيت الخوت) ثم اعتذر فقال (وما أنسانيه) وبضم

الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول للطلب (فاتخذ) أي الخوت (سبيله في البحر مربا) أي مسلكا وروى أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال انجاب الماء عن مسلك الخوت فصار كوة ولم يلتزم فدخل موسى الكوة على أثر الخوت فإذا هو بالخضر قال ابن عباس جعل الخوت لا يمسه شيئا من البحر الا يبس حتى صار صخرة وقد روينا انهما لما اتيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الخوت فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا فأمسك الله عن الخوت جريه الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي صاحبه ان يخبره فانطلقا حتى اذا كانا من الغد وهو قوله سبحانه وتعالى (فلما جاوزا) يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين (قال) يعني موسى (لقتاه آتئا غدا) أي طعامنا (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) أي تعبنا وشدة وذلك انه أتى على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الخوت ويرجع في طلبه (قال) يعني يوشع (أرأيت إذا رأيتنا إلى الصخرة) وهي صخرة كانت بالموضع الموعد (فأني نسيت الخوت) أي تركته وفقدته وذلك ان يوشع حين رأى من الخوت ذلك قام ليذكر موسى فيخبره ففسى أن يخبره ففكنا يومهما حتى صلبا الظهر من الغد ثم قال (وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره) أي وما أنساني أن أذكر لك أمر الخوت الا الشيطان قيل المراد من النسيان شغل قلب الانسان بوسوس الشيطان التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد الفكر لان ذلك لا يصح الا من قبل الله تعالى (واتخذ سبيله في البحر مربا) قيل هذا من قول يوشع بن نون يعني وقع الخوت في البحر فاتخذ سبيله فيه مسلكا وروى في الخبر كان للخوت سربا ولموسى ولقتاه عجبا وقيل أي نسي أعجب من حوت يؤكل منه دهر ثم صار حيا بعد ما أكل بعضه في قوله عز وجل (قال) يعني موسى (ذلك ما كنا نبغ) نطلب (فارتدا على آثارهما قصصا) أي رجعا بقصصان الذي جا آمنه ويتبعانه (فوجدنا عبدا من عبادنا) قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء في التواريخ انه الخضر واسمه بليان ملكا وكنيته أبو العباس قيل كان من بني اسرائيل وقيل كان من أبناء الملوك الذين تزهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب له سمي به لانه جلس على فروة بيضاء فاخضرت (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهز تحت خضراء الفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة وقيل سمي خضرا لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وروينا ان موسى رأى الخضر مسجيا بثوب فسلم عليه فقال الخضر وأني بأرضك السلام قال أنا موسى أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا ومعنى مسجيا بثوب أي مغطى بثوب وقوله وأني بأرضك السلام معناه من أين بأرضك التي أنت فيها الآن السلام وروى انه لقيه على طنفسة خضراء على جانب البحر فذلك قوله سبحانه وتعالى فوجدنا عبدا من عبادنا (آيتنا رحمة) أي نعمة (من عندنا وعلمناه من لدنا علما) أي علم الباطن الهام ما ولم يكن الخضر نبيا عندنا كثيرا أهل العلم فان قلت ظاهر هذه الآيات يدل على ان الخضر كان أعلى شأنا من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتأدب معه قلت لا يخفى لو امان يكون الخضر من بني اسرائيل أو من غيرهم فان كان من بني اسرائيل فهو من أمة موسى ولا جائز أن يكون أحد الأمة أفضل من نبيها أو أعلى شأنه وان كان من غير بني اسرائيل فقد قال الله تعالى لبني اسرائيل وأني فضلتكم على العالمين أي على عالمي زمانكم (قال له موسى هل أتبعك) معناه جئت لاصحبك وأتبعك (علي أن تعلمن مما علمت رشدا) أي صوابا وقيل علما ترشدني به وفي بعض الاخبار قال الخضر لموسى كفي بالتوراة علما وبيني اسرائيل

(وما أنسانيه) وبضم الماء حفص (الا الشيطان) بالقاء الخواطر في القلب (أن أذكره) بدل من الماء في أنسانيه أي وما أنساني ذكره الا الشيطان (واتخذ سبيله في البحر عجبا) وهو ان أثره بقي الى حيث صار (قال) ذلك ما كنا نبغ نطلب وبالياء مكى وافقه أبو عمرو وعلى ومدني في الوصل وبغير ياء فيهما غيرهما اتباعا الخط المصحف وذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا أي ذلك الذي كنا نطلب لان ذهاب الخوت كان علما على لقاء الخضر عليه السلام (فارتدا على آثارهما) فرجعا في الطريق الذي جا آفياه (قصصا) يقصصان قصصا أي يتبعان آثارهما اتباعا قال الزجاج القصص اتباع الاثر (فوجدنا عبدا من عبادنا) أي الخضر واقدا تحت ثوب أو جالس في البحر (آيتنا رحمة من عندنا) هي الوحي والنبوة أو العلم أو طول الحياة (وعلمناه من لدنا علما) يعني الاخبار بالغيوب وقيل العلم اللدني ما حصل للعبد بطريق الالهام (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا) أي علما اذا رشده أو رشده في ديني رشدا أبو عمرو وعما العنان كالبطل والبخل وفيه دليل على انه لا ينبغي لاحد أن يترك طلب العلم وان كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلم منه

شغلا
 ما حصل للعبد بطريق الالهام (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا) أي علما اذا رشده أو رشده في ديني رشدا أبو عمرو وعما العنان كالبطل والبخل وفيه دليل على انه لا ينبغي لاحد أن يترك طلب العلم وان كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلم منه

(قال انك لن تستطيع معي) وافتح الياء حفص وكذا ما بعده في هذه السورة (صبرا) أي عن الانكار والسؤال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) تمييز في استطاعة الصبر معه على وجه التأكيذ وعلى ذلك بأنه يتولى أموره في ظاهرها ما كبر والرجل الصالح لا يتالك أن لا يخرج إذا رأى ذلك فكيف إذا كان نبيا (قال ستجدني ان شاء الله صابرا) من الصابرين عن الانكار والاعتراض (ولأعصى لك أمرا) في محل النصب عطف على صابرا أي ستجدني صابرا وغير عاص وهو عطف على ستجدني ولا محل له (قال فان اتبعني فلا تسألني) بفتح اللام وتشديد النون مدني وشامي وبسكون اللام وبتخفيف النون غيرهما (٢١٩) والياء ثابتة فيهما اجماعا (عن شيء حتى

أحدث لك منه ذكرا) أي من شرط اتباعك لي انك اذا رأيت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا أنه خفي عليك وجه صحته فانكرت في نفسك أن لا تفتحنى بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك وهذا من أدب المتعلم مع العالم أو المتبوع مع التابع (فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقتها) فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلم اركباها قال أهلها هم من اللصوص وقال صاحب السفينة أرى رجوه الانبياء فملاوهم بغير نول فلم الجحوا أخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بشيابه ثم (قال خرقتها لتغرق أهلها) ليغرق حمزة وعلى من غرق (لقد جئت شيئا مريا) أتيت شيئا عظيما من أمر الامر اذا

شغلا فقال له موسى ان الله أمرني بهذا حينئذ (قال) الخضر لموسى (انك لن تستطيع معي صبرا) وانما قال ذلك لانه علم انه يرى أمور منكرة ولا يجوز للانبياء الصبر مع المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أي علما (قال) موسى (ستجدني ان شاء الله صابرا) انما استثنى لانه لم يثق من نفسه بالصبر (ولأعصى لك أمرا) أي لأخالفك فيما تأمرني به (قال فان اتبعني) أي فان صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار اليه ثم شرط عليه شرط فقال (فلا تسألني عن شيء) أي مما عملته مما تنكره ولا تعرض عليه (حتى أحدث لك منه ذكرا) معناه حتى أبتدىء بذكره فابين لك شأنه ﴿ قوله سبحانه وتعالى (فانطلقا) أي يمسيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانهما فوجدوا سفينة فركبها فقال أهل السفينة هؤلاء لصوص وأمر وهم بالخروج فقال صاحب السفينة ما هم بلصوص ولكن أرى رجوه الانبياء وروينا عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكاملوهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فملاوهم بغير نول أي بغير عوض ولا عطاء فلما الجحوا في البحر أخذ الخضر فاسا فخرق لوحا من ألواح السفينة فذلك قوله تعالى (حتى اذا ركبا في السفينة خرقتها قال) يعني موسى له (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا مريا) أي أتيت شيئا عظيما منكر ا روى ان الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروى ان موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فحشبه الخرق (قال) العالم وهو الخضر (ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال) يعني موسى (لاتؤاخذني بما نسيت) قال ابن عباس لم ينس ولكنه من معارض الكلام فكأنه نسي شيئا آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك وقال أبي ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم كانت الأولى من موسى نسيانا والثانية شرطا والثالثة عمدا (ولاترهنني) أي لاتعشني (من أمرى عسرا) والمعنى لاتعسر على متابعتك ويسرها بالأعضاء وترك المناقشة وقيل لاتكفني مشقة ولا تضيق على أمرى (فانطلقا حتى اذا القيا غلاما فقتله) في القصة انهما خرجا من البحر يمسيان فرابعمان يابعون فاخذ الخضر غلاما نظر يفاوضي وجهه كان وجهه يتوقد حسنا فاضجعه ثم ذبحه بالسكين وروينا انه أخذ برأسه فاقتله بيده وروى عبد الرزاق هذا الخبر وفيه وأشار بأصابعه الثلاث الإبهام والسبابة والوسطى وقلع رأسه وروى انه رضح رأسه بحجر وقيل ضرب رأسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما يبلغ الحنث ولم يكن نبي الله موسى يقول أقتات نفسا زكية الا وهو صبي لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان اسمه جيسور وقيل كان فتى يقطع الطريق وياخذ المتاع ويلجأ إلى ابويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد ويتأذى منه أبواه (ق) عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق أبويه طغيانا وكفرا لفظ مسلم (قال) يعني موسى (أقتلت نفسا زكية) أي لم تذنب قط وقرئ زكية وهي التي أذنت ثم تاب

عظم (قال) أي الخضر (ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا) فلما رأى موسى ان الخرق لا يدخله الماء ولم يفر من السفينة (قال لاتؤاخذني بما نسيت) بالذي نسيت أو بشئ نسيت أو بنسياتي أراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي أو أراد بالنسيان الترك أي لاتؤاخذني بما تركت من وصيتك | أول مرة (ولاترهنني من أمرى عسرا) رهقه اذا عشيته وأرهقه اياه أي ولاتعشني عسرا من أمرى وهو اتباعه اياه أي ولاتعسر على متابعتك ويسرها على بالأعضاء وترك المناقشة (فانطلقا حتى اذا القيا غلاما فقتله) قيل ضرب برأسه الحائط وقيل أضجعه ثم ذبحه بالسكين وانما قال فقتله بالقاء وقال خرقتها بغير فاء لان خرقتها جعل جزءا للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء (قال أقتلت نفسا) وانما خولف بينهما لان خرقت السفينة لم تعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام (زكية) زكية يجازى وأبو عمرو وهي الطاهرة من

الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنت اولانها صغيرة لم تبلغ الحنث (بغير نفس) أي لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتلها وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الوالدان ما عاهد الله عليه من ان تقتل (لقد جئت شيئا نكرا) وبضم الكاف حيث كان مدني وأبو بكر وهو المنكر وقيل المنكر أقل من الامر لان قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة أو معناه جئت شيئا نكرا من الاول لان الخرق يمكن تداركه بالبد ولا يمكن تدارك القتل (٢٢٠) قال أم أقل لك انك ان تستطيع معي صبرا زادك هنالان النكر فيه أكثر قال ان

(بغير نفس) أي لم تقتل نفسا حتى يجب عليها القتل (لقد جئت شيئا نكرا) أي منكر اعظما وقيل النكر أعظم من الامر لانه حقيقة الهلاك وفي خرق السفينة خوف الهلاك وقيل الامر أعظم لان فيه تفرق جمع كثير وقيل معناه لقد جئت شيئا نكرا من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالبد وهذا لا يسيل الى تداركه (قال) يعني الخضر (أم أقل لك انك ان تستطيع معي صبرا) قيل زاد في هذه الآية قوله لك لانه نقض العهد مرتين وقيل ان هذه اللفظة تؤكد للتوبيخ فمئذ هذا (قال) موسى (ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) قيل ان يوشع كان يقول لموسى يابني ان الله اذ كرا العهد الذي أنت عليه قال موسى ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني مرة فلما تصاحبني أي فارقتني ولا تصاحبني (قد بلغت من لدني عذرا) قال ابن عباس أي قد أعذرت فيما بيني وبينك وقيل معناه اتضح لك العذر في مفارقتي والمعنى أنه مدحه بهذه الطريقة من حيث انه احتمله مرتين اولاً وثانياً مع قرب المدة (ق) عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر أحد من الانبياء بدأ بنفسه لولاه عجل لرأي العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة فقال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فلو صبر لرأي العجب قوله ذمامة هو بذال مججمة أي حياء واشفاق من الهم واللوم يقال ذمته ذمامة يعني لفته ملامته ويشهد له قول الخضر هذا فراق بيني وبينك قوله سبحانه وتعالى (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) قال ابن عباس يعني انطا كية وقيل الابله وهي ابعدا الارض من السما وقيل هي بلدة بالاندلس (استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما) قال أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أتيا أهل قرية لثاماً فطافا في المجالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما وروى أنهم اطافوا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما وعن أبي هريرة قال أطمعتهما امرأة من أهل بربرية بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما فذعالنساءهم ولعن رجالهم وعن قتادة قال شر القرى التي لا تضيف الضيف (فوجدوا فيها جدارا يريد أن ينقض) أي يسقط وهذا من مجاز الكلام لان الجدار لا ارادة له وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول داري تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها فاستعيرها النظر كما استعير للجدار الارادة (فاقامه) أي سواه وفي حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده هكذا فاقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد بينيه (قال) يعني موسى (لوشئت لا اتخذت عليه أجرا) يعني على اصلاح الجدار جعلنا والمعنى انك قد علمت أن اجبايع وان أهل القرية لم يطعمونا فلو اتخذت على عملك أجرا (قال) يعني الخضر (هذا فراق بيني وبينك) يعني هذا وقت فراق بيني وبينك وقيل هذا الانكار على ترك أخذ الاجر هو المفرق بيننا (سأنتك) أي سوف أخبرك (بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) وقيل ان موسى أخذ بثوب الخضر وقال أخبرني بمعنى ما علمت قبل أن تفارقني فقال الخضر (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) قيل كانت عشرة اخوة خمسة زماني وخمسة يعملون في البحر أي يؤجرونها ويكنسبون بها

سألتك عن شيء بعدها) بعد هذه الكرة أو المسئلة (فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) اعذرت فيما بيني وبينك في الفراق ولدي بتخفيف النون مدني وأبو بكر (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) هي انطا كية أو الابله وهي ابعدا أرض الله من السماء (استطعما أهلها) استضافا (فأبوا أن يضيفوهما) ضيفه أنزله وجعله ضيفه قال عليه السلام كانوا أهل قرية لثاماً وقيل شر التري التي تبخل بالقرى (فوجدوا فيها) في القرية (جدارا) طوله مائة ذراع (يريد أن ينقض) يكاد يسقط استعيرت الارادة للمدانة والمشاركة كما استعيراهم والعزم لذلك (فاقامه) بيده أو مسحه بيده فقام واستوى أو نقضه وبناء كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزمتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسئلة فلم

بجداموا سيفا فلما أقام الجدار لم يتالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة ان (قال لوشئت لا اتخذت عليه أجرا) أي لصيت وفيه على عملك جعل حتى تستدفع به الضرورة لتحدث بتخفيف التاء وكسر الخاء وادغام الذال بصري و باظهارها مكى وبتشديد التاء وفتح الخاء واطهار الذال حفص وبتشديد التاء وفتح الخاء وادغام الذال في التاء غيرهم والتاء في تخذاصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شيء (قال هذا فراق بيني وبينك) هذه الإشارة الى السؤال الثالث أي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرئ به فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به (سأنتك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) قيل كانت عشرة اخوة خمسة منهم زماني وخمسة يعملون في البحر

(فأردت أن أعيبها) أ جعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) امامهم أو خلفهم وكان طر يقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فأعلم الله به الخضر وهو جلندي (ياخذ كل سفينة غصبا) أي يأخذ كل سفينة صالحة لا عيب فيها غصبا وان كانت معيبة تركها وهو مصدر أو مفعول له فان قلت قوله فأردت أن أعيبها سبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب قلت المراد به التأخير وإنما قدم للعناية (وأما الغلام) وكان اسمه الحسين (فكان أبواه مؤمنين خشياناً (٢٢١) برهقهما طغيانا وكفرا) خفنا أن

يعنى الوالدين المؤمنين
 طغيانا عليهما وكفرا
 لنعمتها بعقوقه وسوء
 صنيعه ويلحق بهما شرا
 وبلاء أو يعديهما بداته
 ويضلها بضلاله فيرتدا
 بسببه وهو من كلام الخضر
 وإنما خشى الخضر منه
 ذلك لانه تعالى أعلمه بحاله
 وأطلع على سر أمره وان
 كان من قول الله تعالى
 فعنى خشينا فاعلمنا ان
 عاش أن يصير سببا لكفر
 والديه (فأردنا أن يبدلها
 ربهما) يبدلها ربهما
 مدني وأبو عمرو (خيرا
 منه زكاة) طهارة وتقاء
 من الذنوب (وأقرب رحما)
 رجة وعطفا وزكاة ورحما
 تميز روي أنه ولدت لها
 جارية تزوجها نبي فولدت
 نبيا وسبعين نبيا وأبدلها
 ابنا مؤمنا مثلها رجا
 شامى وهما لفتان (وأما
 الجدار فكان لغلامين)
 أصرم وصريم (يتيمين
 في المدينة) هي القرية
 المذكورة (وكان تحته

وفيه دليل على ان المسكين وان كان يملك شيئا لا يزول عنه اسم المسكنة اذا لم يقم ما يملكه بكفايته وان حال
 الفقير في الضر والحاجة أشد من حال المسكين لان الله سبحانه وتعالى ساهم مساكين مع انهم كانوا يملكون
 تلك السفينة (فأردت أن أعيبها) أي أ جعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) أي امامهم وقيل خلفهم
 وكان رجوعهم في طر يقهم عليه والاول أصح (ياخذ كل سفينة غصبا) أي كل سفينة صالحة فخرقتها وعبثها
 حتى لا يأخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندي الازدي وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد بن بدد وروي
 ان الخضر اعتذر الى القوم وذكروهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت اذا هي تمر به
 ان يدعها لعيها فاذا جاوزوا أصلحوها واتفعوها ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين
 خشياناً) أي خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فاعلمنا
 (ان برهقهما) أي يغشيهما وقيل يكفهما (طغيانا وكفرا) قيل معناه خشياناً أن يحملها حبه على أن يتبعاه
 على دينه (فأردنا أن يبدلها ربهما) الابدال رفع الشيء ووضع آخر مكانه (خيرا منه زكاة) أي صلاحا
 وتقوى وقيل هو في مقابلة قوله تعالى أقتلت نفسا زكية فقال الخضر أردنا أن يرزقهما الله خيرا منه زكاة
 (وأقرب رحما) أي ويكون المبدل منه أقرب عطفا ورحمة بابويه بان يرهما ويشفق عليهما قيل أبدلها
 جارية فتزوجها نبي من الانبياء فولدت له نبيا فهدي الله على يديه أمة من الامم وقيل ولد لسبعين نبيا وقيل
 أبدلها بغلام مسلم وقيل ان الغلام الذي قتل فرح به أبواه حين ولدوا فخرنا عليه حين قتل ولو بقي لسكان فيه
 هلا كهما فلبرض العبد بقضاء الله تعالى فان قضاء الله سبحانه وتعالى للمؤمن فيما يكره خيره من قضائه فيما
 يحب ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) قيل كان اسمهما أصرم وصريم
 (وكان تحته كنزهما) روي أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الكنز ذهبا وفضة أخرجه
 الترمذي وقيل كان الكنز صحفا فيها علم وقال ابن عباس كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجايب من أيقن بالموت
 كيف يفرح عجايب من أيقن بالقدر كيف يغضب عجايب من أيقن بالرزق كيف يتعب عجايب من أيقن بالحساب
 كيف يغفل عجايب من أيقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لاله الا الله محمد رسول الله وفي
 الجانب الآخر مكتوب أنا لله الا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخيرو الشر فطوبى لمن خلقت للخير
 وأجر يته على يديه والويل كل الويل لمن خلقت للشر وأجر يته على يديه وقيل الكنز اذا أطلق يراد به المال
 ومع التقييد يراد به غيره يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح جامعاهما (وكان أبوهما صالحا) قيل كان
 اسمه كاشح وكان من الاتقياء قال ابن عباس حفظا بصلاح أي بهما وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة
 آباء قال محمد بن المنكدر ان الله سبحانه وتعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته وأهل ذوات
 حوله فلا يزالون في حفظ الله مادام فيهم وقال سعيد بن المسيب اني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي
 (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي يدركا ويعقلا قوتهما وهو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة فان قلت كيف
 قال في الاولى فأردت وفي الثانية فأردنا وفي الثالثة فأراد ربك وما وجه كل واحدة من هذه الالفاظ قلت انه لما

كنزهما) أي لوح من ذهب مكتوب فيه عجايب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجايب لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجايب لمن يؤمن بالموت
 كيف يفرح وعجايب لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجايب لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لاله الا الله محمد رسول الله أو مال
 مدفون من ذهب وفضة أو صحف فيها علم والاول أظهر وعن قتادة أحل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا (وكان
 أبوهما) قيل جدهما السابع (صالحا) ممن يصحبنى وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما
 حفظ الله الغلامين قال بصلاح أي بهما قال فابي وجدى خير منه (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي الحلم

(ويستخرجها كثرهما رجة) مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحهما (من ربك ما و ما فعلته) و ما فعلت رأيت (عن امرى) عن اجتهادى و انما فعلته بامر الله و اطهء يعود الى الكل اولى الجدار (ذلك) أى الاجوبة الثلاثة (تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) حذف التاء تخفيفا و قد زل اقدم اقوام من الضلال في تفضيل الولي على النبي وهو كفر جلي حيث قالوا امر موسى بالتعلم من الخضر وهو ولي الخواص ان الخضر نبي وان لم يكن (٢٢٢) كما زعم البعض فهذا ابتلاء في حق موسى عليه السلام على ان اهل الكتاب

ذكر العيب اضافة الى نفسه على سبيل الادب مع الله تعالى فقال فاردت ان اعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على انه من العلماء العظماء في علم الباطن و علوم الحكمة و انه لم يقدم على مثل هذا القتل الا بحكمة عالية و لما ذكر رعاية المصالح في مال اليتيمين لاجل صلاح ايهم اضافة الى الله سبحانه و تعالى لان حفظ الابناء و صلاح احوالهم لرعاية حق الاء ليس الا لله سبحانه و تعالى فلاجل ذلك اضافة الى الله تعالى (ويستخرجها كثرهما) يعني اذا بلغا و عقلا و قويا (رحمة من ربك) أى نعمة من ربك (و ما فعلته عن امرى) أى باختياري و رأبي بل فعلته بامر الله و الهامه اياي لان تنقيص اموال الناس و اراقة دماهم و تغيير احوالهم لا يكون الا بالنص و امر الله تعالى و استدلل بعضهم بقوله سبحانه و تعالى و ما فعلته عن امرى على ان الخضر كان نبيا لان هذا يدل على الوحي و ذلك للانبياء و الصحاح انه ولي لله وليس بنبي و اجيب عن قوله سبحانه و تعالى و ما فعلته عن امرى انه الهام من الله سبحانه و تعالى له بذلك و هذه درجة الاولياء و قيل معناه انما فعلت هذه الافعال لغرض ان تظهر رحمة الله لانها باسرها ترجع الى معنى واحد وهو تحمل الضرر الاذني لدفع الضرر الاعلى (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) أى لم تطق ان تصبر عليه روى ان موسى عابه السلام لما اراد ان يفارق الخضر قال اوصني قال لا تطلب العلم لتحديث به و اطلب العلم لتعمل به و اختلف العلماء في ان الخضر احمى ام ميت فقيل انه حي وهو قول الاكثرين من العلماء وهو متفق عليه عند مشايخ الصوفية و اهل الصلاح و المعرفة و الحكايات في رؤيته و الاجتماع به و وجوده في المواضع الشريرة و موطنه الخيرا اكثر من ان تحصر قال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح في فتاواه هو حي عند جاهل العلماء و الصالحين و العامة هذا آخر كلامه و قيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم و كان السبب في حياة الخضر فيما حكى انه شرب من عين الحياة و ذلك ان ذا القرنين دخل الظلمة لطلب عين الحياة و كان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فاغتسل و شرب منها و صلى و شكر الله تعالى و اخطأ ذو القرنين الطريق فرجع و ذهب آخرون الى انه ميت لقوله سبحانه و تعالى و ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد و قال النبي صلى الله عليه و سلم بعد ما صلى العشاء ليلة ارايتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة لا يبق ممن هو اليوم على ظهر الارض احدث لو كان الخضر حيا لكان لا يعشب بعده و قوله عز وجل (ويستلونك عن ذي القرنين) قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح و قيل اسمه الاسكندر بن فيلفوس كذا صح الرومي و كان ولد عجوز ليس لها ولد غيره و نقل الامام نضر الدين في تفسيره عن ابي الرحمان السروري المصنف في كتابه المسمى بالانوار الباقية عن القرون الخالية انه من حير و اسمه ابوكرب سمي ابن عبر بن افرقيس الحيري وهو الذي افتخر به احد شعراء حير حيث يقول

يقولون ان موسى هذا ليس موسى بن عمران انما هو موسى بن ماثان ومن المحال ان يكون الولي وليا بيمينه بالنبي ثم يكون النبي دون الولي و لا عضاة في طلب موسى العلم لان الزيادة في العلم مطبوبة و انما ذكر اولاف اردت لانه افساد في الظاهر وهو فعلة و ثالثا فارد ربك لانه انعام محض و غير مقدور البشر و ثانيا فاردنا لانه افساد من حيث الفعل انعام من حيث التبديل و قال الزجاج معنى فاردنا فارد الله عز وجل ومثله في القرآن كثير (ويستلونك) أى اليهود على جهه الامتحان و ابو جهل و اشياعه (عن ذي القرنين) هو الاسكندر الذي ملك الدنيا و قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين و سليمان و كافران نمروذ و مختصر و كان بعد نمروذ و قيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض و اعطاه العلم و الحكمة و سخر له النور و الظلمة فاذا سرى بهديه النور من امامه

و نحو طه الظلمة من ورائه و قيل نبيا و قيل ملكا من الملائكة و عن علي رضي الله عنه انه قال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه اليمين في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه اليسر فمات فبعثه الله فسمى ذا القرنين و فيكم مثله اراد نفسه قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونهم فيحبه الله تعالى و قال عليه السلام سمي ذا القرنين لانه طاف ترني الدنيا يعني جانبا شرقها و غربها و قيل كان له قرنان أى صغيرتان او اقراض في وقته قرنان من الناس اولانه ملك الروم و فارس و الترك و الروم او كان لتاجه قرنان او على رأسه ما ينسب القرنين او كان كريم الطرفين ابوا ما و كان من الروم

(قل سأتلوا عليكم منه) من ذى القرنين (ذ كرا انا مكنا له في الارض) جعلنا له فيها مكانة واعتلاء (وآتيناه من كل شيء) أراد من اغراضه ومقاصده في ملكه (سببا) طريقا موصلا اليه (فاتبع سببا) والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم أو قدرة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فاتبع سببا وأراد بلوغ السدين فاتبع سببا فاتبع ثم أتبع كوفي وشامي الباقون يوصل الالف وتشديد التاء عن الاصمعي اتبع حتى واتبع اقتنى وان لم يلحق (حتى اذا بلغ مغرب (٢٢٣) الشمس) أي منتهى العمارة

نحو المغرب وكذا المطلع
قال صلى الله عليه وسلم بدء
أمره أنه وجد في الكتب
ان أحداً وولد سام يشرب
من عين الحياة فيخلد
فعل يسير في طلبها والخضر
وزيره وابن خاتمه فظفر
فشرب ولم يظفر ذو القرنين
(وجدتها تغرب في عين
حجة) ذات حاة من حنت
البئر اذا صارت فيها الحاة
حامية شامى وكوفي غير
حفص بمعنى حارة وعن أبي
ذركنت رديف رسول الله
صلى الله عليه وسلم على جبل
فراى الشمس حين غابت
فقال أتدرى يا أبا ذر أين
تغرب هذه قلت الله ورسوله
أعلم قال فانها تغرب في عين
حجة وكان ابن عباس رضى
الله عنهما عند معاوية
فقرأ معاوية حامية فقال
ابن عباس حجة فقال
معاوية لعبد الله بن عمرو
كيف تقرأها فقال كما يقرأ
أمير المؤمنين ثم وجه الى
كعب الاحبار كيف تجرد
الشمس تغرب قال في ماء
وطين كذلك تجرد في
التوراة فوافق قول ابن

فارس والروم وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل لانه رأى في المنام كأنه أخذ بقر في الشمس وقيل لانه كان له ذؤابتان حسنتان وقيل كان له قرنان توارى بهما العمامة وروى عن علي أنه أمر قومه بتقوى الله فضر بوه على قرنه الايمن فمات فأحياه الله ثم بعثه الله فأمرهم بتقوى الله فضر بوه على قرنه الايسر فمات فأحياه الله واختلفوا في نبوته فقيل كان نبيا ويبدل عليه قوله سبحانه وتعالى قلنا اذا ذا القرنين وخطاب الله لا يكون الامع الانبياء وقيل لم يكن نبيا قال أبو الطيفل سئل عن ذى القرنين أكان نبيا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا أحب الله فأحبه الله وناصح الله فذا صححه الله وروى ان عمر سمع رجلا يقول لآخر يا ذا القرنين فقال تسميتهم باسماء الانبياء فلم ترضوا حتى تسميتهم باسماء الملائكة والاصح الذي عليه الا كثرون انه كان ملكا صالحا عادلا وانه بلغ أقصى المشرق والمغرب والشمال والجنوب وهذا هو القدر المعمور من الارض وذلك انه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعدان دان له طوائف ثم مضى الى ملوك العرب وقهرهم ومضى حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم رجع الى مصر وبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب فيه القربان ثم انعطف الى ارمينية وبوب الابواب وبنى السدود أنت له ملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك الفرس ثم مضى الى الهند والصين وغزا الامم البعيدة ثم رجع الى العراق ومضى بشهر زورومات بها وجل الى حيث هو مدفون وقيل ان عمره كان ألفا وثلاثين سنة ومثل هذا الملك البسيط الذي هو على خلاف العادات وجب أن يبقى ذكره مخلدا على وجه الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ويستلونك عن ذى القرنين (قل سأتلوا عليكم منه ذكرا) أي خبرا يتضمن حاله ﴿قوله سبحانه وتعالى (انا مكنا له في الارض) أي وطأنا له والتمكين تمهيد للاسباب قال على سخر الله له السحاب فحمل عليه ومدله في الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الارض وذلك له طريقها (وآتيناه من كل شيء) مما يحتاج اليه الخلق وكل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعداء (سببا) أي علما يتسبب به الى كل ما يريد ويسير به في أقطار الارض وقيل بلاغا الى حيث أراد وقيل قر بنا له أقطار الارض (فاتبع سببا) أي سلك طريقا (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حجة) أي ذات حاة وهي الطينة السوداء وقرى حامية أي حارة وسأل معاوية كعبا كيف تجرد في التوراة تغرب الشمس وأين تغرب قال تجرد في التوراة أنها تغرب في ماء وطين وقيل يجوز أن يكون معنى في عين حجة أي عندها عين حجة أو في رأى العين وذلك انه بلغ موضع من المغرب لم يبق بعده شيء من العمران فوجد الشمس كأنها تغرب في وهدة مظلمة كما ان راكب البحر يرى ان الشمس كأنها تغيب في البحر (ووجد عندها قوما) أي عند العين أمة قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر ألف باب يقال انها الجاسوس واسمها بالسريانية حريحسا سكنها قوم من نسل عمود الذين آمنوا واصالح لولا ضجيج أهلها لسمع الناس وجبة الشمس حين تجرد أي تغيب (قلنا اذا ذا القرنين) يستدل بهذا من يزعم انه كان نبيا فان الله خاطبه ومن قال انه لم يكن نبيا قال المراد منه الاطعام وقيل يحتمل أن يكون الخطاب على لسان غيره (أما أن تعذب) يعني تقتل من لم يدخل في الاسلام (وأما أن تتخذ فيهم حسنا) يعني تعفو وتصفح وقيل تأسرهم فتعلمهم الهدى خيره الله سبحانه وتعالى بين

عباس رضى الله عنهما ولا تنافي في جاز أن تكون العين جامعة لوصفين جميعا (ووجد عندها) عند تلك العين (قوما) عراة من الثياب لباسهم جلود الصيد وطعامهم مالظ البحر وكانوا كفارا (قلنا اذا ذا القرنين) أما أن تعذب وأما أن تتخذ فيهم حسنا ان كان نبيا فقد أوحى الله اليه بهذا الا فقد أوحى الى نبي فامر به النبي به أو كان الها ما خير بين أن يعذبهم بالقتل ان أصروا على أمرهم وبين ان يتخذ فيهم حسنا بكرامتهم وتعليم الشرائع ان آمنوا أو التعذيب القتل واتخاذ الحسن الاسر لانه بالنظر الى القتل احسان (قال) ذو القرنين

(أما من ظلم فسوف نعذبه) بالقتل (ثم يراد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا) في القيامة يعني إمام من دعوته إلى الإسلام فإني الإبقاء على الظلم العظيم وهو الشرك فذاك هو المعذب في الدارين (وأما من آمن وعمل صالحا) أي عمل ما يقتضيه الإيمان (فله جزاء الحسنى) فله جزاء الصلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة جزاء الحسنى كوفي غير أبي بكر أي فله الصلة الحسنى جزاء (وستقول له من أمرنا يسرا) أي ذابسرأي لأن امره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والحراج وغير ذلك (ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم) هم الزنج (لم نجعل لهم من دونها) (٢٢٤) من دون الشمس (سرا) أي ابنته عن كبار أرضهم لأنهم لا يمتنعون من أن يمتنعوا بها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوها

الأميرين (قال أما من ظلم) أي كفر (فسوف نعذبه) أي تقتله (ثم يراد إلى ربه) أي في الآخرة (فيعذبه عذابا نكرا) أي منكر أي يعني بالنار لأنها أنكر من القتل (وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) أي جزاء أعماله الصالحة (وستقول له من أمرنا يسرا) أي نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا (ثم أتبع سببا) أي سلك طريقا ومنازل (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سرا) قيل أنهم كانوا في مكان ليس بينهم وبين الشمس ستر من جبل ولا شجر ولا يستقر عليهم بناء فإذا اطلعت الشمس دخلوا في أسراب لهم تحت الأرض فإذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معاشهم وحرورهم وقيل أنهم كانوا إذا طلعت الشمس نزلوا في الماء فإذا ارتفعت عنهم خرجوا كالبهايم وقيل هم قوم عمارة يفترض أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالآخرى وقيل أنهم قوم من نسل مؤمنى قوم هو دواسم مدينتهم جابلق واسمها بالسرانية مرقيسيا وهم مجاورون بأجوج وما أجوج قوله سبحانه وتعالى (كذلك) أي كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها وقيل معناه أنه حكم في القوم الذين هم عند مطلع الشمس كما حكم في القوم الذين عند مغربها وهو الأصح (وقد أحطنا بما لديه خبرا) أي علمنا بما عنده من معه من الجنود والعدو والآلات الحرب وقيل معناه وقد علمنا حين ما كناه ما عنده من الصلاحية بذلك الملك والاستقلال به والقيام بأمره قوله عز وجل (ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين) هما هاجيلان في ناحية الشمال في منقطع أرض الترك حتى إن الواثق بعث بعض من يتق به من أتباعه إليه ليعاينوه فخرجوا من باب من الأبواب حتى وصلوا إليه وشاهدوه فوصفوا أنه بناء من لبن حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل (وجد من دونهما قوما) أي إمام السدين قيل هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) قال ابن عباس لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم (قالوا إذا القرنين) فإن قلت كيف أثبت لهم القول وهم لا يفهمون قلت تكلم عنهم مترجم عن مجاورهم ويفهم كلامهم وقيل معناه لا يكادون يفقهون قولا إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم الحرس (ان بأجوج وما أجوج) أصلهما من أجج النار وهو موضوعها وشررها شبهوا به لكثرةهم وشدةهم وهم من أولاد يافث بن نوح والترك منهم قيل إن طائفة منهم خرجت تغير ف ضرب ذوالقرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك لذلك لأنهم تركوا خارجين قال أهل التواريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والحجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والتوبة ويافث أبو الترك والخزر والصقالية وبأجوج وما أجوج قال ابن عباس هم عشر أجزاء وولد آدم كلهم جزء وروى حذيفة مرفوعا أن بأجوج أمة وما أجوج وكل أمة أربعة آلاف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كاهم قد جعل السلاح وهم من ولد آدم يسيرون إلى خراب الدنيا وقال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرض شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع السدين وسد امكي وأبو

عمر ووحفص السدين وسد حزة وعلى وبضمهما غيرهم قيل ما كان مسدودا خلقه فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح وانتصب بين على أنه مفعول به لبلغ كما نجر بالإضافة في هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في لقد تقطع بينك لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفها وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق (وجد من دونهما) من ورأتهما (قوما) هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) أي لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها يفقهون حزة وعلى أي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لأن لغتهم غريبة مجهولة (قالوا إذا القرنين ان بأجوج وما أجوج) هما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وهما معاصم فقط وهما من ويافث أو بأجوج من الترك وما أجوج من الجبل والديلم

وهؤلاء

(مفسدون في الارض) قيل كانوا يا كلون الناس وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئاً أخضر إلا كلوه ولا يبسا الا احتملوه ولا يموت أحدهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم (٢٢٥) على صنفين طول مفراط وطول وقصار

مفراط والقصر (فهل نجعل لك خراجاً) خراجاً حمزة وعلى أي جعلنا نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال (على أن نجعل بيننا وبينهم سداً قال ما مكنتي) بالاغام وبفكهم مكى (فيه ربي خير) أي ما جعلني فيه مكيناً من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلاحاجة لي اليه (فاعينوني بقوة) بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات (أجعل بينكم وبينهم رداً) جداراً وحاجراً حصيناً موثقاً والردم أكبر من السد (آتوني زبر الحديد) قطع الحديد والزبرة القطعة الكبيرة قيل حفر الأساس حتى بلغ الماء جعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمي فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جلداً صلباً وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ ٢ قوله احتمل كذا بالنسخ التي بايدينا وتفسير الخطيب

وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه ويكثف بالآخرى لا يبرون بقيل ولا وحش ولا خنزير إلا كلوه ومن مات منهم كلوه مقدمتهم بالشام وساقفتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية وعن علي منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفراط في الطول وقال كعب بن مالك نادرة في ولد آدم وذلك ان آدم ٢ احتمل ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء ياجوج وماجوج فهم متصلون بنا من جهة الابدون الامم وذكر وهب بن منبه ان ذا القرنين كان رجلاً من الروم ابن عجموز فلما بلغ كان عبداً صالحاً قال الله سبحانه وتعالى له اني باعثك الى أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما طول الارض احدهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والآخرى عند مطلعها يقال لها منسك وأمتان بينهما عرض الارض احدهما في القطر الايمن يقال لها هاو ويل والآخرى في قطر الارض الايسر يقال لها تاو ويل وأم في وسط الارض منهم الجن والانس وياجوج وماجوج فقال ذو القرنين باي قوة أكابدهم و باي جمع أكابدهم و باي لسان أناطقهم فقال الله سبحانه وتعالى اني سأقويك وأبسط أسنانك وأشد عضدك فلا يهوانك شيء وألبسك اظبية فلا يروك شيء وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما من جنودك فالنور يهديك من أمامك والظلمة تحوطك من ورائك فانطلق حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعاً وعدداً لا يحصيهم الا الله تعالى فكابدهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم الى الله تعالى وعبادته ففهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت أجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوتهم فخدم من أهل المغرب جنداً عظيماً وانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاو ويل ففعل فيهم كفعله في ناسك ثم مضى حتى أتى منسك ففعل فيهم كفعله في الامتين وجند منهم جنداً عظيماً ثم أخذ ناحية اليسرى فأتى ناو ويل ففعل بهم كفعله فيما قبلها ثم عمداً الى الامم التي في وسط الارض فلما كان فيما يلي منقطع الترك مما يلي المشرق قالت له أمة سالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقاً أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش والسباع وياكلون الحيات والعقارب وكل ذي روح خلق في الارض وليس يزداد خلق كزبادتهم فلا شك أنهم يملكون الارض ويظهرون عليها ويفسدون فيها فهل نجعل لك خراجاً على أن نجعل بيننا وبينهم سداً قال ما مكنتي فيه ربي خير وقال أعدوا الى الصخور والحديد والنحاس حتى أعلم عامهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربع مناظماً ومخالب وأضراس كالسباع ولهم هلب شعر يوارى أجسادهم ويتقنون به من الحر والبرد ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفترش احدهما ويلتحف بالآخرى يصيف في واحدة ويشتي في واحدة يتسافدون تسافداً البهائم حيث التقوا فلما عاين ذا القرنين ذلك انصرف الى بين الصدفين ففاس ما بينهما وحفر له الأساس حتى بلغ الماء فذلك قوله تعالى قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج (مفسدون في الارض) قيل فسادهم انهم كانوا يخرجون أيام الربيع الى أرضهم فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلا كلوه ولا يبسا الا احتملوه أرضهم فلقوا منهم أذى شديداً وقيل فسادهم انهم كانوا يا كلون الناس وقيل معناه انهم سيفسدون عند خروجهم (فهل نجعل لك خراجاً) أي جعلنا أجزا من الاموال (على أن نجعل بيننا وبينهم سداً) أي حاجراً فلا يصلون اليها (قال) لهم ذو القرنين (ما مكنتي فيه ربي خير) أي ما قواني به ربي خير من جعلكم (فاعينوني بقوة) يعني لا اريد منكم المال بل أعينوني بأيد انكم وقوتكم (أجعل بينكم وبينهم رداً) أي سداً قالوا وما تلك القوة قال ففعلة وصناع يحسنون البناء والآلة قالوا وما تلك الآلة قال (آتوني) أي اعطوني ٢ وقيل جيوتني (زبر الحديد) أي قطع الحديد فأتوه بها وبالخطب فجعل الخطب على الحديد والحديد

(٢٩ - (خازن) - ثالث) ويرده ما احتملني قط اللهم الآن يكون المراد أنه سال فيه في نومه لامتلاء وعائه اه مصحح

٢ قوله وقيل جيوتني ظاهره انه تفسير لا توني مقطوع الهمزة ولا يصح انما يصح اذا كان تفسيراً لا توني بموصولة فليأمل اه

(حتى اذا ساوى بين الصدفين) بفتحين جانبي الجبلين لانهما يتصادقان أي يتقابلان الصدفين مكي و بصرى وشامى الصدفين أبو بكر
(قال انفخوا) أي قال ذوالقرنين للعملة انفخوا في الحديد (حتى اذا جعله ناراً) أي المنفوخ فيه وهو الحديد (نارا) كالنار (قال آتوني)
أعطوني (أفرغ) أصب (عليه قطرا) نحاسا نادا بالانه يقطر وهو منصوب بافرغ وتقديره آتوني قطرا أفرغ عليه قطرا الخذف الاول لدلالة
الثاني عليه قال آتوني بوصل (٢٢٦) الالف حزة واذا ابتدءت الالف أي جيؤى (فاسطاعوا) بحذف التاء للنخفة لان التاء

على الحطب (حتى اذا ساوى بين الصدفين) أي بين طرفي الجبلين (قال انفخوا) يعني في
النار (حتى اذا جعله ناراً) أي صار ناراً (قال آتوني أفرغ عليه) أي أصب عليه (قطرا) أي نحاسا نادا
فجعلت النار تاكل الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد النحاس فيل ان السد كالبرد الحبر
طريقة سوداء وطريقة حراء وقيل ان عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائة ذراع وطوله فرسخ واعلم ان هذا
السد معجزة عظيمة ظاهرة لان الزبرة الكبيرة اذا انفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر أحد على القرب منها
والنفخ عليها لا يمكن الا بالقرب منها فكانه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك الناخبين
حتى تمكنوا من العمل فيه (فاسطاعوا أن يظهره) أي بعلا عليه لعلاه وملاسته (وما استطاعوا له تقبا)
أي من أسفله لشدة وصلابته (قال) يعني ذوالقرنين (هذا) أي السد (رحمة من ربي) أي نعمة من ربي
(فاذا جاء وعد ربي) قيل يعني يوم القيامة وقيل وقت خروجهم (جعله دكاء) أي أرضا ملساء وقيل مدكوكا
مستويا مع الارض (وكان وعد ربي حقا) (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتح اليوم من رجمي جوج وما جوج مثل هذه وعقد بيده تسعين قوله وعقد بيده تسعين هو من
موضوعات الحساب وهو ان تجعل رأس أصبعك السبابة في وسط الابهام من باطنها شبه الحلقة لكن لا يتبين
لها الاخلل يبرو عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السد يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يحرقونه
قال بعضهم ارجعوا فاستحفرونه غدا قال فيعيده الله كاشدا ما كان حتى اذا باغوا مدتهم وأراد الله تعالى أن
يبعثهم على الناس قال النبي عليهم ارجعوا فاستحفرونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه
على هيئته حين تركوه فيحرقونه فيحرقون على الناس فيستقون المياه وتفر منهم الناس وفي رواية تحصن
الناس في حصونهم منهم فيرمون بسهام الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من في الارض وعلمنا
من في السماء فيزدادون قسوة وعتوا فيبعث الله عليهم نغفا في رقابهم فيهلكون فوالذي نفس محمد بيده ان
دواب الارض لتسمن وتشكر الله من لحومهم شكرا أخرجه الترمذي وقوله قسوة وعتوا أي غلظة وفظاظة
وتكبرا والنغف دود يكون في أنوف الابل والغنم وقوله وتشكرت الشاة تشكر شكرا اذا امتلأ
ضرعها لبنا والمعنى انها تمتلئ أجسادها لحما وتسمى (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ايحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يا جوج وما جوج قوله عز وجل (وتركنا بعضهم
يومئذ يموج في بعض) قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا يا جوج وما جوج يموج أن يدخل بعضهم في بعض
كموج الماء ويختلط بعضهم في بعض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض
لكثرتهم ويختلط انهم يحترقون حيارى (ونفخ في الصور) فيه دليل على ان خروج يا جوج وما جوج من
علامات قرب الساعة (جمعناهم جمعا) أي في صعيد واحد (وعرضنا) أي أبرزنا (جهنم يومئذ للكافرين
عرضا) اي شاهدوها عيانا (الذين كانت أعينهم في غطاء) أي غشاء وستر (عن ذكرى) أي عن الايمان
والقرآن والهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل وتبصرها (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أي سمع قبول

قريبة المخرج من الطاء
(أن يظهره) أن يعالوا
السد وما استطاعوا له
تقبا) أي لا حيلة لهم فيه
من صعود لارتفاعه ولا
نقب لصلابته (قال هذا
رحمة من ربي) أي هذا
السد نعمة من الله ورحمة
على عباده أو هذا الاقدار
والتمكن من تسويته
(فاذا جاء وعد ربي)
دنى محجى يوم القيامة
وشارف أن يأتي (جعله)
أي السد (دكاء) أي مدكوكا
مبسوطا مسويا بالارض
وكل ما انبسط بعد ارتفاع
فقد اندك دكاء كوفي أي
أرضا مستوية (وكان
وعد ربي حقا) آخر قول
ذو القرنين (وتركنا)
وجعلنا (بعضهم) بعض
الخلق (يومئذ يموج) يختلط
(في بعض) أي يضطربون
ويختلطون انهم و جهنم
حيارى ويموجون أن يكون
الضمير ليا جوج وما جوج
وانهم يموجون حين
يخرجون مما وراء السد
مزدحمين في البلاد دوروي

انهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويا كلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدرون
أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في أفتانهم فيدخل آذانهم فيموتون (ونفخ في الصور) لقيام الساعة (جمعناهم
أي جمع الخلائق للثواب والعقاب (جمعا) تاء كيد (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وأظهرنا هالهم فرأوا وشاهدوها (الذين كانت
أعينهم في غطاء عن ذكرى) عن آياتي التي ينظر اليها أو عن القرآن فاذ كرر بالتعظيم أو عن القرآن وتأمل معانيه (وكانوا لا يستطيعون
سمعا) أي وكانوا صامعا عنه الا انه أبلغ اذا اصم قد يستطيع

سمع اذا صيغ به وهؤلاء كانهم اُصميت اُسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع (أغضب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) أي أظن الكفار اتخذوا عبادي يعني الملائكة وعيسى عليهم السلام أولياء نافعهم بشئ ما ظنوا وقيل ان بصلتها سد مسد مفعولي أغضب عبادي أولياء مفعولا أن يتخذوا وهذا أوجه يعني انهم لا يكونون لهم أولياء (أنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) هو ما يقام للنزول وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب (قل هل أنبئكم بالاخسرين أعمالا) أعمالا تميزوا بما جمع والقياس أن يكون مفردا لتنوع الالهواء وهم أهل الكتاب أو الرهبان (الذين ضل سعيهم) ضاع وبطل وهو في محل الرفع أي هم الذين (في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) أي يظنون (انهم يحسنون صنعا) أي عملائهم وصفهم فقال تعالى (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) يعني أنهم مجذولون لا تزل توحيدهم وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لانهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فصاروا كافرين بهذه الاشياء (خبطت أعمالهم) أي بطلت (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا) قيل لا تقيم لهم ميزانا لان الميزان انما توضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين لتمييز مقدار الطاعات ومقدار السيئات قال أبو سعيد الخدري يأتي أناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم من العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله تعالى فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا وقيل معناه نذرهم فليس لهم عندنا حظ ولا قدر ولا وزن (ق) عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا ان شئتم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا (ذلك) اشارة الى ما ذكر من حبوط أعمالهم وخسة قدرهم ثم ابتداء فقال تعالى (جزاءهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) يعني سخرية واستهزاء بقوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سألت الله فاسأله الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار أهل الجنة قال كعب ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها قيل الفردوس هو البستان الذي فيه الاعناب وقيل هي الجنة الملتفة بالاشجار التي تنبت ضرورا بمن النبات وقيل الفردوس البستان بالرومية وقيل بلسان الحبش منقول الى العربية نزلا هو ما يهب للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا وقيل في معنى كانت لهم أي في علم الله تعالى قبل أن يخلقوا (خالدين فيها لا يبغون) أي لا يطلبون (عنها حولا) أي تحولا الى غيرها قال ابن عباس لا يريدون أن يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار اذا لم توافقه الى دار أخرى ﴿قوله تعالى﴾ (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي) قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم اننا قد اوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود اوتينا علم التوراة وفيها علم كل شئ فانزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي أي ما استقده الكاتب ويكتب به وأصله من الزيادة قال مجاهد لو كان البحر مدادا لاجع لا غرضهم وأمانهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامع مائل الطرف الى أرفع منه والمراد نبي التحول نأ كيد الخلود (قل لو كان البحر) أي ماء البحر (مدادا لكلمات ربي) قال أبو عبيدة المداد ما يكتب به أي لو كتب كلمات علم الله بحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس

للإيمان والقرآن لغلبة الشقاء عليهم وقيل معناه لا يستطيعون أن يسمعو من رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة عداوتهم له ﴿قوله تعالى﴾ (أغضب) أي أظن (الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) يعني أن يباير يد عيسى والملائكة بل هم لهم أعداء يتبرؤن منهم وقال ابن عباس يعني الشياطين أطاعوهم من دون الله والمعنى أظن الذين كفروا أن يتخذوا غيري أولياء واني لأغضب لنفسي فلا أعاقبهم وقيل معناه أظنوا انه ينفعهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء (أنا أعتدنا) أي هيأنا (جهنم للكافرين نزلا) أي منزل قال ابن عباس رضي الله عنهما هي مثواهم وقيل معدة لهم عندنا كالمنزلة للضيف ﴿قوله تعالى﴾ (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا) يعني الذين أتعبوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلا دون الاقدالوا هلا كانوا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع وقال علي بن أبي طالب هم أهل حروراء يعني الخوارج (الذين ضل سعيهم) أي بطل عملهم واجتهادهم (في الحياة الدنيا وهم يحسبون) أي يظنون (انهم يحسنون صنعا) أي عملائهم وصفهم فقال تعالى (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) يعني أنهم مجذولون لا تزل توحيدهم وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لانهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فصاروا كافرين بهذه الاشياء (خبطت أعمالهم) أي بطلت (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا) قيل لا تقيم لهم ميزانا لان الميزان انما توضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين لتمييز مقدار الطاعات ومقدار السيئات قال أبو سعيد الخدري يأتي أناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم من العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله تعالى فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا وقيل معناه نذرهم فليس لهم عندنا حظ ولا قدر ولا وزن (ق) عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا ان شئتم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا (ذلك) اشارة الى ما ذكر من حبوط أعمالهم وخسة قدرهم ثم ابتداء فقال تعالى (جزاءهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) يعني سخرية واستهزاء بقوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سألت الله فاسأله الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار أهل الجنة قال كعب ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها قيل الفردوس هو البستان الذي فيه الاعناب وقيل هي الجنة الملتفة بالاشجار التي تنبت ضرورا بمن النبات وقيل الفردوس البستان بالرومية وقيل بلسان الحبش منقول الى العربية نزلا هو ما يهب للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا وقيل في معنى كانت لهم أي في علم الله تعالى قبل أن يخلقوا (خالدين فيها لا يبغون) أي لا يطلبون (عنها حولا) أي تحولا الى غيرها قال ابن عباس لا يريدون أن يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار اذا لم توافقه الى دار أخرى ﴿قوله تعالى﴾ (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي) قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم اننا قد اوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود اوتينا علم التوراة وفيها علم كل شئ فانزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي أي ما استقده الكاتب ويكتب به وأصله من الزيادة قال مجاهد لو كان البحر مدادا لاجع لا غرضهم وأمانهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامع مائل الطرف الى أرفع منه والمراد نبي التحول نأ كيد الخلود (قل لو كان البحر) أي ماء البحر (مدادا لكلمات ربي) قال أبو عبيدة المداد ما يكتب به أي لو كتب كلمات علم الله بحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس

في أجمع لا غرضهم وأمانهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامع مائل الطرف الى أرفع منه والمراد نبي التحول نأ كيد الخلود (قل لو كان البحر) أي ماء البحر (مدادا لكلمات ربي) قال أبو عبيدة المداد ما يكتب به أي لو كتب كلمات علم الله بحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس

(لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله) بمثل البحر (مددا) لنفذ أيضا والكلمات غير نافذة ومددنا غير نحولى مشله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به ينفذ حزة وعلى وقيل قال حبي ابن أخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما أوتيتن من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الحكم اله واحد فن كان يرجو لقاءه به) فن كان يأمل حسن لقاءه به وأن يلقاه لقاء رضا وقبول أو فن كان يخاف سوء لقاءه به والمراد باللقاء القيدوم عليه وقيل رؤيته كما هو حقيقة اللفظ (٢٢٨) والرجاء على هذا مجرى على حقيقته (فليعمل عملا صالحا) خالصا

لا يريد به الاوجه ربه ولا يخلط به غيره وعن يحيى بن معاذ هو ما لا يستحي منه (ولا يشرك بعبادة ربه احدا) هو نهى عن الشرك أو عن الرياء قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الا صغرا قالوا وما الشرك الا صغرا قال الرياء قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة تكون فان يخرج الدجال في تلك الثمانية عصمه الله من فتنة الدجال ومن قرأ قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى آخرها عند مضجعه كان له نور يتلأأ من مضجعه الى مكة حشود ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه وان كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نور يتلأأ من مضجعه الى البيت المعمور حشود ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ (سورة مريم عليها السلام) مكة وهي ثمان أو تسع

لا تقلم والذلم يكتب قيل والخلائق يكتبون (لنفذ البحر) أى لنفد ماؤه (قبل أن تنفذ كلمات ربى) أى علمه وحكمه (ولو جئنا بمثله مددا) والمعنى ولو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لفضى ماء البحر ولم تنفن كلمات ربى ولو جئنا بمثل ماء البحر فى كثرة مداد اوز زيادة ﴿ قوله تعالى (قل انما أنا بشر مثلكم) قال ابن عباس علم الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم التواضع لثلاثين هجى على خلقه فامر به أن يقرأ فيقول أنا آدمى مثلكم الا أنى خصصت بالوحى وأكرمى الله به وهو قوله تعالى (يوحى الى انما الحكم اله واحد) لا شريك له فى ملكه (فن كان يرجو لقاءه به) أى يخاف المصير اليه وقيل يؤمل رؤيته ربه (فليعمل عملا صالحا) أى من حصل له رجاء لقاء الله تعالى والمصير اليه فليستعمل نفسه فى العمل الصالح (ولا يشرك بعبادة ربه احدا) أى لا يرأى بعمله ولما كان العمل الصالح قد يراد به وجه الله سبحانه وتعالى وقد يراد به الرياء والسمعة اعتبر فيه قيدان أحدهما أن يراد به الله سبحانه وتعالى والثانى أن يكون مبرا من جهات الشرك جميعها (ق) عن جندب بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع الله به ومن يرأى برأى الله به قوله من سمع سمع الله به أى من عمل عملا من أى من سمع سمع الله به من سمع سمع الله به من سمع سمع الله به أى أسمعه المكروه (م) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته وشركه ولغير مسلم فانا منه برى هو الذى عمله عن سعيد بن أبى فضالة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان يشرك فى عمل عمله لله احدا فليطلب ثوابه منه فان الله أغنى الشركاء عن الشرك أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعنه النبي صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف عليكم الشرك الا صغرا قالوا وما الشرك الا صغرا قال الرياء (م) عن أبى الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفى رواية من آخرها والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة مريم عليها السلام ﴾

هي مكة وهي ثمان وتسعون آية وثمانون وسبع مائة كلمة وثلاثة آلاف وسبع مائة حرف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل (كهيعص) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل اسم القرآن وقيل للسورة وقيل هو قسم أقسم الله تعالى به وعن ابن عباس قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عنيم والصاد من صادق وقيل معناه كاف خلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم بربه صادق فى وعده (ذكر) أى هذا الذى تلو اعليك ذكر (رحمك ربك عبده زكريا) قيل معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمته (اذنادى) أى دعا (ربه) فى المحراب (نداء خفيا) أى دعاء سرا من

وتسعون آية مدنى وشامى ﴿ بسم الرحمن الرحيم ﴾ (كهيعص) قال السدى هو اسم الله الاعظم وقيل هو اسم للسورة قومه قرأ على ويحى بكسر الهمزة والياء ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب وأبو عمرو بكسر الهمزة وفتح الياء وحزة بعكس وغيرهم بفتحهما (ذكر رحمة ربك) خبر مبتدأ أى هذا ذكر (عبده) مفعول الرحمة (زكريا) بالقصر حزة وعلى وحفص بدل من عبده (اذ) ظرف للرحمة (نادى ربه نداء خفيا) دعاء دعاء سرا كما هو المأمور به وهو أبعد عن الرياء وأقرب الى الصفا وأخفاه لتلايلام على طلب الولد فى أو ان الكبر لانه كان ابن خمس وسبعين أو ثمانين سنة

(قال رب) هذا تفسير الدعاء وأصله ياربى خذف حرف النداء والمضاف إليه اختصارا (انى وهن العظم منى) ضعف وخص العظم لانه عمود
البدن وبه قوامه فاذا وهن تداعى وتساقط قوته ولانه أشد ما فيه وأصلبه فاذا وهن كان ما وراءه أو هن ووحده لان الواحد هو الدال على
معنى الجنسية والمراد ان هذا الجنس الذى هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن (واشتعل الرأس شيبا) تمييزا
فشا فى رأسى الشيب واشتعلت النار اذا تفرقت فى التهامها وصارت شعلا فشبه الشيب بشواظ النار فى بياضه وانتشاره فى الشعر وأخذ منه
كل ما أخذ كاشتعال النار ولا ترى كلاما أفصح من هذا أتري ان أصل الكلام يارب قد شخت اذا الشيخوخة تشتمل على ضعف البدن
وشيب الرأس المتعرض لها وأقوى منه ضعف بدنى وشاب رأسى ففيه مزيد التقرير للتفصيل وأقوى منه وهنت عظام بدنى ففيه عدول عن
تصريح الى لكتناية فهى أبلغ منه وأقوى منه أنا وهنت عظام بدنى وأقوى منه انى وهنت عظام بدنى ففيه
سلوك طريق الاجمال والتفصيل وأقوى منه انى وهنت العظام منى ففيه ترك توسيط البدن وأقوى منه انى وهن العظم منى لشمول الوهن
العظام فردا فردا باعتبار ترك جمع العظم الى الافراد لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد ولهذا تركت الحقيقة فى شاب
رأسى الى أبلغ وهى الاستعارة فحصل اشتعل شيب رأسى وأبلغ منه اشتعل رأسى شيبا لاسناد الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس
لافاضة شمول الاشتعال الرأس اذ وزان اشتعل شيب رأسى واشتعل رأسى شيبا وزان (٢٢٩) اشتعل النار فى بيتى واشتعل بيتى نارا

والفرق نبر ولان فيه
الاجمال والتفصيل كما
عرف فى طريق التمييز
وأبلغ منه واشتعل الرأس
منى شيبا لما مر وأبلغ منه
واشتعل الرأس شيبا ففيه
اكتفاء بعلم المخاطب انه
رأس زكريا بقرينة
العطف على وهن العظم
(ولم أكن بدعا لك) مصدر
مضاف الى المفعول أى
بدعائى اياك (رب شقيا)
أى كنت مستجاب
الدعوة قبل اليوم سعيدا
به غير شقى فيه يقال سعد
فلان بحاجته اذا نظر بها
وشقى اذا خاب ولم ينلها
وعن بعضهم ان محتاجا

قومه فى جوف الليل وقيل راعى سنة الله فى اخفاء دعائه لان الجهر والاسرار عند الله تعالى سياتى لكن
الاخفاء أولى لانه أبعد عن الرياء وأدخل فى الاخلاص وقيل أخفاه لثلاثا ليلام على طلب الولد فى زمن
الشيخوخة وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه يدل عليه قوله تعالى (قال رب انى وهن) أى رقى وضعف
(العظم منى) أى من الكبر وقيل اشتكى سقوط الاضراس (واشتعل الرأس) أى ابيض الشعر (شيبا)
أى شبط (ولم أكن بدعا لك رب شقيا) أى عودتنى الاجابة فيما مضى ولم تخينينى وقيل معناه لما دعوتنى الى
الايمان آمنتم ولم أشق بترك الايمان (وانى خفت الموالى من ورائى) أى من بعد موتى والموالى هم بنو العلم
وقيل العصبه وقيل الكلالة وقيل جميع الورثة (وكانت امرأتى عاقرا) أى لانلد (فهبلى من لدنك وليا)
أى أعطنى من عندك ولدا مرضيا (برثنى ويرث من آل يعقوب) أى وليا اذا ارشاد وقيل أراد به يرث مالى
ويرث من آل يعقوب النبوة والحبورة وقيل أراد ميراث النبوة والعلم وقيل أراد به الحبورة لان زكريا
كان رأس الاحبار والاولى أن يحمل على ميراث غير المال لان الانبياء لم يورثوا المال وانما يورثون العلم
ويبعد من زكريا وهونى من الانبياء أن يشفق على ماله أن يرثه بنو عمه وانما خاف أن يضع بنو عمه دين
الله ويغيروا أحكامه وذلك لما أن شاهد من بنى اسرائيل تبادل الدين وقتل الانبياء فسأل به ولدا صالحا
يأمنه على أمته ويرث نبوته وعلمه لثلاثا يضيع وهذا قول ابن عباس (واجعله رب مرضيا) أى براتقيا مرضيا
قوله تعالى (يا زكريا) المعنى فاستجاب الله له دعاءه فقال يا زكريا (انا نبشرك بغلام) أى بولد ذكر (اسمه
يحى لم نجعل له من قبل سميا) أى لم يسم أحد قبله يحيى وقيل معناه لم نجعل له شيا ومثلا وذلك لانه لم يعص الله

سأله وقال أنا الذى أحسنت الى وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الىنا وقت حاجته وقضى حاجته (وانى خفت الموالى) هم عصبه اخوته
وبنو عمه وكانوا شرار بنى اسرائيل فخافهم أن يغيروا الدين وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقبا صالحا من صلبه يقتدى به فى احياء
الدين (من ورائى) بعد موتى وبالتصريف والياء كهداى مكى وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لان وجود خوفه بعد موته لا يتصور ولكن
مخذوف أو بمعنى الولاية فى الموالى أى خفت فعل الموالى وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائى أو خفت الذين يابون الامر من ورائى
(وكانت امرأتى عاقرا) عقيلا لانلد (فهبلى من لدنك) اختراع منك بلا سبب لان امرأتى لاتصلح للولادة (وليا) ابنا يلى امرى بعدى
(برثنى ويرث) برفعهما صفة لوليا أى هبلى ولدا وارثا منى العلم ومن آل يعقوب النبوة ومعنى وراثته النبوة انه يصلح لان يوحى اليه ولم
يردان نفس النبوة تورث ويحزمهما أبو عمر وروى على على انه جواب للدعاء يقال ورثته وورثت منه (من آل يعقوب) يعقوب بن اسحق
(واجعله رب مرضيا) مرضيا مرضاه أو راضيا عنك وبحكمك فاجاب الله تعالى دعاءه وقال (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى)
قوله تعالى تسميته تشرىفاله نبشرك بالتخفيف جزء (لم نجعل له من قبل سميا) لم يسم أحد يحيى قبله وهذا دليل على ان الاسم
الغريب جدير بالاثرة وقيل مثلا وشيها ولم يكن له مثل فى انه لم يعص ولم يهيم بعصية قط وانه ولد بين شيوخ وعجوز وانه كان حصورا
فما بشرته الملائكة به

(قال رب أنى) كيف (يكون لى غلام) وليس هذا باستبعاد بل هو استكشاف انه باى طريق يكون أبو هب له وهو وامر انه بتلك الحال ام يحولان شابين (وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) أى بلغت عتيا وهو اليبس والجسوة فى المفاصل والعظام كالعود اليبس من أجل الكبر والطمن فى السن العالصة عتيا ووليا وجنيا وبكيا بكسر الاوائل حمزة وعلى وحفص الا فى بكيا (قال كذلك) الكافر رفع أى الامر كذلك تصديق له ثم ابتداء (قال ربك) أو نصب يقال وذلك اشارة الى مبهم بفسره (هو على هين) أى خلق يحى من كبيرين سهل (وقد خلقتك (٢٣٠) من قبل) أو جديتك من قبل يحى خنتناك حمزة وعلى (ولم تك شيئا) لان

المعديوم ليس بشئ (قال رب اجعل لى آية) علامة أعرف بها جبل امرأتى (قال آيتك أن لانكلم الناس ثلاث ليال سويا) حال من ضمير تكلم أى حال كونك سوى الاعضاء واللسان يعنى علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سليم الجوارح ما بك خرص ولا يكمد دل ذ كر الليالى هنا والايام فى آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن اذ ذ كر الايام يتناول ما بارأها من الليالى وكذا ذ كر الليالى يتناول ما بارأها من الايام عرفا (نخرج على قومه من المحراب) من موضع صلانه وكانوا ينتظرونه ولم يقدر أن يتكلم (فاوحى اليهم) أشار باصبعه (أن سبحوا) صلوا وان هى المفصرة (بكرة وعشيا) صلاة الفجر والعصر (ياحى) أى وهبنا له يحيى

ولم بهم معصية قط وقال ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا قيل لم يرد الله تعالى بذلك اجتماع الفضائل كما يحيى وانما أراد بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما أفضل منه (قال رب أنى يكون لى) أى من أين يكون لى (غلام) وكانت امرأتى عاقرا) أى وامرأتى عاقرا (وقد بلغت من الكبر عتيا) أى بأسائر بد بذلك نحول الجسم ودقة العظم ونحول الجلد (قال كذلك قال ربك هو على هين) أى يسير (وقد خلقتك من قبل) أى من قبل يحيى (ولم تك شيئا قال رب اجعل لى آية) أى دلالة على حمل امرأتى (قال آيتك) أى علامتك (أن لانكلم الناس ثلاث ليال سويا) أى صحىحنا سليمان من غير ما يابس ولا خرص وقيل ثلاث ليال متتابعات والاول أصح قيل انه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس فاذا أراد ذ كر الله انطلق لسانه ﴿ قوله عز وجل (نخرج على قومه من المحراب) أى من الموضع الذى كان يصلى فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون اذ خرج اليهم ز كر يمتغير الونه فانكروا ذلك عليه وقالوا له مالك (فاوحى) أى فأوما وأشار (اليهم) وقيل كتب لهم فى الارض (أن سبحوا) أى صلوا لله (بكرة وعشيا) المعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فإمرهم بالصلاة فلما كان وقت حمل امرأته ومنع من الكلام خرج اليهم فامرهم بالصلاة اشارة ﴿ قوله عز وجل (ياحى) فيه اضمار ومعناه وهبنا له يحيى وقلنا له يحيى (خذ الكتاب) أى التوراة (بقوة) أى بجد واجتهاد (وآتيناه الحكم) قال ابن عباس يعنى النبوة (صيبا) وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله تعالى أحكم عقله وأوحى اليه فان قلت كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبا قلت لان أصل النبوة مبنى على خرق العادات اذ ثبت هذا فلا تمنع صيرورة الصبي نبيا وقيل أراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتي الحكم صيبا (وحنانا من لدنا) أى رحمة من عندنا قال الخطيبه يخاطب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه نحن على هداك المليك ة فان لكل مقام مقالا

أى نرحم على (وزكاة) قال ابن عباس يعنى بالزكاة الطاعة والاخلاص وقيل هى العمل الصالح ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا ونحننا على العباد ليدعوهم الى طاعة ربهم وعملا صالحا فى اخلاصه (وكان تقيا) أى مسامحا مخلصا مطيعا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولم بهم بها قط (وبرا ابوالديه) أى بار الطيفا بهما محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى أعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه وبالوالدين احسانا الآية (ولم يكن جبارا) الجبار التكبر وقيل الذى يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذى لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو من التعظيم بنفسه يرى أن لا يلزمه قضاء لاحد (عصيا) قيل هو أبلغ من العاصى والمراد وصف يحيى بالتواضع ولين الجانب وهو من صفات المؤمنين (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) معناه وأمان له من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان كما ينال

وقلنا له بعد ولادته وأوان الخطاب يا يحيى (خذ الكتاب) التوراة (بقوة) حال أى بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد (وآتيناه الحكم) الحكمة وهو فهم التوراة والفقه فى الدين (صيبا) حال قيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما لعب خلقنا (وحنانا) شفقة ورحمة لا يوبىه وغيرهما عطف على الحكم (من لدنا) من عندنا (وزكاة) أى طهارة وصلاحا فمهم بدين (وكان تقيا) مسامحا مطيعا (وبرا ابوالديه) وبارا بهما لا يعصيهما (ولم يكن جبارا) متكبرا (عصيا) عاصيا لربه (وسلام عليه) أمان من الله (يوم ولد) من أن يناله الشيطان (ويوم يموت) من فتانى القبر (ويوم يبعث حيا) من الفرع الا كبر قال ابن عينة انها أوحى المواطن

(واذ كر) يا محمد (في الكتاب) القرآن (مريم) أي اقرأ عليهم في القرآن قصة مريم ليقتفوا عليها ويعلموا ما جرى عليها (اذ) بدل من مريم دل اشتغال اذا الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه أن المقصود يدكر مريم ذكروقتها هذا الوقوع هذه القصة العجيبة فيه (انتبذت من أهلها) أي اعتزلت (مكانا) ظرف (شرقيا) أي تحت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرقه لاغتسال من الحيض (فاتخذت من دونهم حجابا) جعلت بينها وبين أهلها حجابا يسترها لتغتسل وراءه (فارسلنا إليها روحنا) جبريل عليه السلام والاضافة للتشريف وانما سمي روحا لان الدين يحيا به ويوحى به (فتمثل لها بشرا) أي فتمثل لها جبريل في صورة آدمي شاب أمر د رضى الوجه جعل الشعر (سويا) مستوى الخلق وانما مثل لها في صورة (الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بد الها في صورة الملائكة

لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه (قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) أي ان كان يرجى منك ان تتقى الله فاني عاندة به منك (قال) جبريل عليه السلام (انما أنا رسول ربك) أمنها ما خافت وأخبر أنه ليس بآدمي بل هو رسول من استعادت به (لا هب لك) باذن الله تعالى أولا كون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع ليهب لك أي الله أبو عمرو ونافع (غلاما زكيا) طاهرا من الذنوب أو تاميا على الخير والبركة (قالت اني) كيف (يكون لي غلام) ابن (ولم يمسنني بشر) زوج بالنكاح (ولم أك بغيا) فاجرة تبسني الرجال أي تطلب الشهوة من أي رجل كان ولا يكون الولد عادة الامن أحد هذين والبغي فعول عند المبرد بنسوي

سائر بني آدم وأمان له يوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب يوم القيامة وقيل أو وحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم يولد لانه يرى نفسه خارجا من مكان قد كان فيه ويوم يموت لانه يرى قوما ما شاهدهم قط ويوم يبعث لانه يرى مشهدا عظيما فأكرم الله تعالى بحبي في هذه المواطن كلها فخصه بالسلامة فيها قوله عز وجل (واذ كر في الكتاب) أي في القرآن (مريم اذ انتبذت) أي تنصت واعتزلت (من أهلها) أي من قومها (مكانا شرقيا) أي مكانا في الدار مما يلي المشرق وكان ذلك اليوم شاتيا شديدا البارد جلست في مشرقه تغلى رأسها وقيل ان مريم كانت قد طهرت من الحيض فذهبت لتغتسل وقيل ولهذا المعنى اتخذت النصرى المشرق قبلة (فاتخذت) أي فضرت (من دونهم حجابا) قال ابن عباس أي ستره وقيل جلست وراء جدار وقيل ان مريم كانت تكون في المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فينماهي تغتسل من الحيض وقد تجردت اذ عرض لها جبريل في صورة شاب أمر د رضى الوجه سوى الخلق فذلك قوله تعالى (فارسلنا إليها روحنا) يعني جبريل (فتمثل لها بشرا سويا) أي سوى الخلق لم ينقص من الصورة الآدمية شيئا وانما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بد الها في صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه وقيل المراد من الروح روح عيسى جاء في صورة بشر فحمت به والقول الاول أصح فلما رأت مريم جبريل عليه السلام يقصد نحوها بادرت به من بعيد (قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) أي مؤمنا مطيعا لله تعالى دل تعوذها من تلك الصورة الحسنة على عفتها وورعها فان قلت انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا قلت هذا كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تظمني أي ينبغي أن يكون إيمانك ما نعالك من الظلم كذلك ههنا معناه ينبغي أن تكون تقواك مانعة لك من الفجور (قال) لها جبريل عليه السلام (انما أنا رسول ربك لا هب) أسند الفعل اليه وان كانت الهبة من الله تعالى لانه أرسل به (لك غلاما زكيا) قال ابن عباس ولد صالحا طاهرا من الذنوب (قالت) مريم (اني يكون لي) أي من أين يكون لي (غلام ولم يمسنني بشر) أي ولم يقربني زوج (ولم أك بغيا) أي فاجرة تريد أن الولد انما يكون من نكاح أو سفاح ولم يكن ههنا واحدا منهما (قال) جبريل (كذلك قال ربك) أي هكذا قال ربك (هو على هين) أي خلق ولدك بلا أب (وانجعله آية للناس) أي علامة لهم ودلالة على قدرتنا (ورحمة منا) أي ونعمة لمن تبعه على دينه الى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم (وكان أمرا مقضيا) أي محكوما مفروغا منه لا يرد ولا يبدل قوله عز وجل (فحملته) قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت حين لبست الدرع وقيل مد جيب درعها باصبعه ثم نفخ في الجيب وقيل نفخ في كمها وقيل في ذياها وقيل في فيها وقيل نفخ من بعيد فوصل النفخ اليها فحملت بعيسى عليه السلام في

قلبت الواو ياء وأدغمت وكسرت الغين اتباعا لولد الم تلحق تاء التأنيث كالم تلحق في امرأة صبور وشكور وعند غيره هي فعيل ولم تلحقها الهاء لانها بمعنى مفعولة وان كانت بمعنى فاعلة فهو قد يشبه به مثل ان رحمة الله قريب (قال) جبريل (كذلك) أي الامر كما قالت لم يمسنك رجل نكاحا أو سفاحا (قال ربك هو على هين) أي اعطاء الولد بلا أب على سهل (ولنجعله آية للناس) تعليلا معمله محذوف أي ولنجعله آية للناس فعلا ذلك وهو معطوف على تعليلا مضمرا أي للذين به قدرتنا ولنجعله آية للناس أي عبرة وبرهاننا على قدرتنا (ورحمة منا) أي ان آمن به (وكان) خلق عيسى (أمرا مقضيا) مقدر امسطورا في الواح فالما اطمأنت الى قوله دنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها (فحملته) أي الموهوب وكان سنه ثلاث عشرة سنة أو عشر أو عشرين

(فانبتت به) اعترلت وهو في بطنها والجار والمجرور في موضع الحال عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حلتته نبذته وقيل ستاً شهر وقيل سبعة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الاعشى وقيل حلتته في ساعة ووضعت في ساعة (مكناقصيا) بعيدا من أهلها وراء الجبل وذلك لانها لما أحست بالحمل هربت من قومها مخافة اللائمة (فاجاءها) جاء بها وقيل ألقاها وهو منقول من جاء إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الاجاء الاثر لا تقول جئت المكان وأجاء نيمز يد (المخاض) وجع الولادة (الى جذع النخلة) أصلها وكانت يابسة وكان الوقت شتاء وتعرفها مشعر بانها (٢٣٢) كانت نخلة معروفة وراز أن يكون التعريف للجنس أي جذع هذه الشجرة كأنه تعالى أرشدها الى

النخلة ليطلعها منها الرطب لانه خرسه النساء أي طعامها ثم (قالت) جزعا مما أصابها (يا ليتني مت قبل هذا) اليوم مدني وكوفي غير أبي بكر وغيرهم بالضم يقال مات بموت ومات يمات (وكنت نسيا منسيا) شيئا متروكا لا يعرف ولا يذكر بفتح النون حزة وحفص وبالكسر غيرهما ومعناها واحد وهو الشيء الذي حقه أن يطرح وينسى لحقارته (فناداها من تحتها) أي التي تحتها فنفاعل وهو جبريل عليه السلام لانه كان مكان منخفض عنها وعيسى عليه السلام لانه خاطبها من تحت ذيلها من تحتها مدني وكوفي سوى أبي بكر والفاعل مضممر وهو عيسى عليه السلام أو جبريل والهاء في تحتها للنخلة ولشدة ما لتيت سليت بقوله (أن لا تحزني) لانتهى بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس وان بمعنى أي (قد

الحال) فانبتت به) أي فلما حلتته تنحت بالحمل وانفردت (مكناقصيا) أي بعيدا من أهلها قال ابن عباس أقصى الوادي وهو بيت لحم فرارا من أهلها وقومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج قال ابن عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل حلتته في ساعة ووضعت في ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل كانت مدته تسعة أشهر كحمل سائر الحوامل من النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية أشهر وذلك آية أخرى له لانه لا يعش من ولد ثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولد لستة أشهر وهي بنت عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى وقال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي بمكة جبل صهيون وكانا يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من أهل زمانهما أحدا أشد عبادة واجتهادا منهما وأول من علم بحمل مريم يوسف فبقى متحيرا في أمرها كلما أراد أن يتهمها ذكرا عبادتها وصلاحها وانها لم تغب عنه واذا أراد أن يبرها رأى ما ظهر منها من الحمل فأول ما تكلم به ان قال انه وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على كتمانها ففعلتني ذلك فرأيت ان أتكم به أشفي صدري فقالت قل قولاجيلا قال أخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذرو هل ينبت شجر بغير غيث وهل يكون ولد من غير ذكرا قالت نعم ألم تعلم ان الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ألم تر ان الله أنبت الشجرة بالقدرة من غير غيث أو تقول ان الله تعالى لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انبائها قال يوسف لا أقول هذا ولكني أقول ان الله تعالى يقدر على كل شيء يقول له كمن فيكون قالت له مريم ألم تعلم ان الله خلق آدم وامرأته من غير ذكرا ولا أنثى فعند ذلك زال ما عنده من التهمة وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل فلما دنت ولادتها وحى الله اليها أن اخرجي من أرض قومك فذلك قوله تعالى فانبتت به مكناقصيا قوله عز وجل (فاجاءها المخاض) أي ألقاها وجاءها والمخاض وجع الولادة (الى جذع النخلة) وكانت نخلة يبت في الصحراء في شدة البرد ولم يكن لها سقف وقيل التجأت اليها تستند اليها وتتمسك بها من شدة الطلق ووجع الولادة (قالت يا ليتني مت قبل هذا) تمت الموت استحياء من الناس وخوفامن الفضيحة (وكنت نسيا منسيا) يعني شيئا حقيرا متروكا لم يذكر ولم يعرف لحقارته وقيل جيفة ملقاة وقيل معناها انها تمت انهم تخلق (فناداها من تحتها) قيل ان مريم كانت على أكمة وجبريل وراء الأكمة تحتها وقيل ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى وذلك انه لما خرج من بطن أمه ناداها (أن لا تحزني) قد جعل ربك تحتك سر يا) أي نهر اقال ابن عباس رضي الله عنهما ضرب جبريل عليه السلام وقيل عيسى عليه السلام بوجهه في الأرض فظهرت عين ماء عذبة وجرت وقيل كان هناك نهر يابس جفري فيه الماء بقدرة الله سبحانه وتعالى وحت النخلة اليابسة فأورقت وأثمرت وأرطبت وقيل معنى تحتك أي تحت أمرك ان أمرته أن يجري جرى وان أمرته بالامساك أمسك وقيل معنى سر يا أي عيسى وكان عبدا سر يا رفيعا (وهزي اليك) أي حركي اليك (بجذع النخلة تساقط عليك

جعل ربك تحتك) بقرتك أو تحت أمرك ان أمرته أن يجري جرى وان أمرته أن يقف وقف (سر يا) نهر رطبا صغيرا عند الجهور وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السرى فقال هو الجدول وعن الحسن سيديا كرميا يعني عيسى عليه السلام وروى أن خالد بن صفوان قال له ان العرب تسمى الجدول سر يا فقال الحسن صدقت ورجع الى قوله وقال ابن عباس رضي الله عنهما ضرب عيسى أو جبريل عليهما السلام بعقبه الأرض فظهرت عين ماء عذبة جفري النهر اليابس فأخضرت النخلة وأثمرت وأبنت ثمرتها فقيل لها (وهزي) حركي (اليك) الى نفسك (بجذع النخلة) قال أبو علي الباء زائدة أي هزي جذع النخلة (تساقط عليك) بادغام التاء الاولى في الثانية مكي

ومدني وشامى وأبو عمرو وعلى وأبو بكر والاصل تساقط باظهار التاءين وتساقط بفتح التاء والقاف وطرح التاء الثانية وتخفيف السين حزة
 ويساقط بفتح الياء والقاف وتشديد السين بعقوب وسهل وحاد ونصير وتساقط حفص من المفاعلة وتسقط وتسقط ويسقط التاء
 النخلة والياء للجذع فهذه تسع قرات (رطباً) تميزاً ومفعول به على حسب القراءة (جنياً) طر يا وقالوا النمر للنفساء عادة من ذلك الوقت
 وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للريض من العسل (فكلى) من الجنى (واشربى) من السرى (وقرى عيناً) بالولد الرضى وعينا تميزاً أى طيبى
 سابعيسى وارضى عنك ما أحرزك (فاما) أصله ان ما فضمت ان الشرطية الى ما وأدغمت فيها (ترين من البشر) أحد اقولى انى نذرت للرحن
 (سوما) أى فان رأيت آدمياً سألك عن حالك فقولى انى نذرت للرحن صمتاً واما ك (٢٣٣) عن الكلام وكانوا يصومون عن الكلام كما

يصومون عن الاكل والشرب
 وقيل صياماً حقيقة وكان
 صيامهم فيه الصمت فكان
 التزامه التزامه وقد نهى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم عن
 صوم الصمت فصار ذلك
 منسوخاً فبنا وانما أمرت
 ان تنذر السكوت لان
 عيسى عليه السلام يكفها
 الكلام بما يرى به
 ساحتها ولثلاث تجادل السفهاء
 وفيه دليل على ان
 السكوت عن السفه
 واجب وما قد عسف به
 الاعراض ولا اطلاق عنانه
 بمثل العراض وانما أخبرتهم
 بأنها نذرت الصوم بالاشارة
 وقد سمي الاشارة كلاماً
 وقولا الأثرى الى قول
 الشاعر فى وصف القور
 ونكلمت عن أوجه تبنى
 وقيل كان وجوب الصمت
 بعد هذا الكلام أسوغ
 لها هذا القدر بالنطق
 (فلن أكل اليوم انسيا)

رطباً جنياً) قيل الجنى الذى بلغ الغاية وجاء أو ان اجتنائه قال الربيع بن خيثم ما للنفساء عندى خير من
 الرطب ولا للريض خير من العسل (فكلى واشربى) أى يا مريم كلى من الرطب واشربى من النهر (وقرى
 عيناً) أى طيبى نفساً وقيل قرى عينك بولدك عيسى يقال أقر الله عينك أى صادف فؤادك ما يرضيك فتقر
 عينك عن النظر الى غيره (فاما ترين من البشر) أحد (فقولى انى نذرت للرحن
 صوما) أى صمتاً قيل كان فى بنى اسرائيل من أراد ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم
 حتى يمسي وقيل ان الله أمرها أن تقول هذا اشارة وقيل أمرها أن تقول هذا القول نطقاً ثم تمسك عن
 الكلام بعده وانما منعت من الكلام لامر من أحدهما أن يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها
 يكون أقوى حجتها فى ازالة التهمة عنها وفيه دلالة على أن تفويض الكلام الى الافضل أولى الثانى كراهة
 مجادلة السفهاء وفيه ان السكوت عن السفه واجب (فلن أكل اليوم انسيا) يقال انها كانت تكلم
 للملائكة ولاتكلم الانس قوله تعالى (فانت به قومها تحمله) قيل انها لما ولدت عيسى عليه السلام حملته
 فى الحال الى قومها وقيل ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى الى غار فكثت فيه أر بعين يومها حتى
 لمهت من نقاسها ثم حملته الى قومها فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا ماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه
 لما دخلت على أهلها ومعهما الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين (قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا)
 أى عظيماً منكر او قيل معناه جئت بامر عجيب بديع (يا أخت هرون) أى يا شبيهة هرون قيل كان رجلاً
 صالحاً فى بنى اسرائيل شبهت به فى عفتها وصلحها وليس المراد الاخوة فى النسب قيل انه تبع جنازته يوم
 اتأربعون القام من بنى اسرائيل كلهم يسمى هرون سوى سائر الناس (م) عن المغيرة بن شعبه قال لما
 قدمت خراسان سألتونى فقالوا الى انكم تقرأون يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال انهم كانوا يصومون باسماء انبيائهم والصالحين قبلهم وقيل
 كان هرون أخاً مريم لا يها وقيل كان من أمثال رجل فى بنى اسرائيل وقيل انما عنوا هرون أخاً موسى لانها
 كانت من نسله كما يقال للتيمى يا أخا تيم وقيل كان هرون فى بنى اسرائيل فاسقاً أعظم الفسق فشبها به
 ما كان أبوك) يعنى عمران (امرأ سوء) قال ابن عباس زانيا (وما كانت أمك) يعنى حنة (بغيا) أى
 نية فن أين هذا الولد (فاشارت اليه) أى أشارت مريم الى عيسى ان كلهم قال ابن مسعود لما لم يكن
 بالحجة أشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وقيل لما أشارت اليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت تسخرين
 (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً) قيل أراد بالمهد الحجر وهو حجرها وقيل هو المهد بعينه قيل

(٣٠ - خازن - ثالث)

آدمياً (فانت به) بعيسى (قومها) بعد ما طهرت من نقاسها

عمله) حال منها أى أقبلت نحوهم حاملة اياه فلما رأوه معها (قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا) بديعاً عجيباً والقرى القطع كأنه يقطع العادة
 (أخت هرون) وكان أخاها من أبيها ومن أفضل بنى اسرائيل وهو أخو موسى عليه السلام وكانت من اعقابه و بينهما ألف سنة وهذا
 فقال يا أخا همدان أى يا واحد منهم أو رجل صالح أو طالح فى زمانها شبهوها به فى الصلاح أو شتموها به (ما كان أبوك) عمران (امرأ
 سوء) زانيا (وما كانت أمك) حنة (بغيا) زانية (فاشارت اليه) الى عيسى أن يجيبهم وذلك ان عيسى عليه السلام قال لها لا تخزنى
 وعيلى بالجواب على وقيل أمرها جبريل بذلك ولما أشارت اليه غضبوا وتجبوا (قالوا كيف نكلم من كان) حدث ووجد (فى المهد)
 اليهود (صبياً) حال

(قال انى عبد الله) ولما أسكنت بامر الله لسانها الناطق أنطق الله لها اللسان الساكت حتى اعترف بالعبودية وهو ابن أر بعين ليسة أو ابن يوم روى انه أشار ببابته وقال بصوت رفيع انى عبد الله وفيه رداتول النصارى (آتاني الكتاب) الانجيل (وجعلنى نبيا) روى عن الحسن انه كان في المهدي نيا وكلامه معجزته وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه أو جعل الآتى لاحالة كأنه وجد (وجعلنى مباركاً ايها كنت) نفاعا حيث كنت معاه للخير (٢٣٤) (وأوصانى) وأمرنى (بالصلاة والزكوة) ان ملكت مالا وقيل صدقة الفطر

أو تطهير البدن ويحتمل
وأوصانى بان أمركم للصلاة
والزكاة (مادمت حيا)
نصب على الظرف أى مدة
حياتى (وبرا بوالدتى)
عظفا على مباركاً اي بارها
أكرمها وأعظمها (ولم
يجعلنى جباراً) متكبراً
(شقياً) عاقاً (والسلام على
يوم ولدت) يوم ظرف
والعامل فيه الخبر وهو على
(ويوم أموت ويوم أبعث
حيا) أى ذلك السلام
الموجه الى يحيى فى المواطن
الثلاثة موجه الى ان كان
حرف التعريف للعهد وان
كان للجنس فالمعنى وجنس
السلام على وفيه تعريض
باللعنة على أعداء مريم وابنها
لانه اذا قال وجنس السلام
على فقد عرض بان ضده
عليكم اذ المقام مقام مناكرة
وعناد فكان مئة لمثل
هذا التعريض (ذلك)
مبتداً (عيسى) خبره
(ابن مريم) نعتة أو خبر ثان
أى ذلك الذى قال انى
كذا وكذا عيسى ابن
مريم لا كما قالت النصارى

فما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم وقيل لما أشارت اليه ترك الرضاع وانكأ على يساره
وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه (قال انى عبد الله) قال وهب أنا هاز كريا عند مناظرتها اليهود فقال
لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى وهو ابن أر بعين يوماً وقيل بل يوم ولد انى
عبد الله أقر على نفسه بالعبودية لله تعالى أول ماتكم لثلاثي تخذ لها فان قلت ان الذى اشدت اليه الحاجة
فى ذلك الوقت نبي التهمة عن أمه وان عيسى لم ينص على ذلك وانما نص على اثبات عبوديته لله تعالى قلت
كأنه جعل ازالة التهمة عن الله تعالى أولى من ازالة التهمة عن أمه فلهذا أول ماتكم انما تكلم باعترافه على
نفسه بالعبودية لتحصل ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لم يخص بهذه المرتبة العظيمة من ولد في زنا
والتكلم بازالة التهمة عن أمه لا يفيد ازالة التهمة عن الله سبحانه وتعالى فكان الاشتغال بذلك أولى (آتاني
الكتاب وجعلنى نبيا) قيل معناه سيجعلنى نبيا ويؤتىنى الكتاب وهو الانجيل وهذا اخبار عما
كتب له فى اللوح المحفوظ كما قيل لانى صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا و آدم بين الروح
والجسد وقال الا كثرون انه أوتى الانجيل وهو صغير وكان يعقل عقل الرجال الكمل وعن الحسن انه
ألم التوراة وهو فى بطن أمه (وجعلنى مباركاً ايها كنت) معناه انى نفاعاً ايها توجهت وقيل معناه للخير
أدعو الى الله والى توحيدى وعبادته وقيل مباركاً على من يتبعنى (وأوصانى بالصلاة والزكوة) أى أمرنى
بهما وكلفنى فعلهما فان قلت كيف يؤمر بالصلاة والزكاة فى حال طفولته وقد قال صلى الله عليه وسلم
رفع القلم عن ثلاث الصبي حتى يبلغ الحديث قلت ان قوله وأوصانى بالصلاة والزكاة لا يدل على أنه تعالى
أوصاه باداءهما فى الحال بل المراد اوصاه باداءهما فى الوقت المعين لهما وهو البلوغ وقيل ان الله تعالى صيره
حين انفصل عن أمه بالغاً عاقلاً وهذا القول أظهر فى سياق قوله (مادمت حيا) فانه يفيد ان هذا التكليف
متوجه اليه فى زمان جميع حياته حين كان فى الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل الارض بعد رفعه
(وبرا بوالدتى) أى وجعلنى برا بوالدتى (ولم يجعلنى جباراً شقياً) أى عاصي البرى متكبراً على الخلق بل
أنا خاضع متواضع وروى انه قال قلبى لين وأنا صغير فى نفسى قال بعض العلماء لا نجد العاق الا جباراً شقياً
وتلا هذه الآية وقيل الشقى الذى يذنب ولا يتوب (والسلام على يوم ولدت) أى السلامة عند الولادة من
طعن الشيطان (ويوم أموت) أى عند الموت من الشرك (ويوم أبعث حيا) أى من أهوال يوم القيامة
فلما كلمهم عيسى بذلك علموا براءة مريم ثم حكى عيسى بعد فلم يتكلم حتى بلغ المدة التى يتكلم فيها
الاطفال (ذلك عيسى ابن مريم) أى ذلك الذى قال انى عبد الله هو عيسى بن مريم (قول الحق) أى هذا
الكلام هو القول الحق أضاف القول الى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعنى بذلك عيسى بن مريم كلمة الله
الحق والحق هو الله (الذى فيه يعمترون) أى يشكون ويختلفون فقاتل يقول هو ابن الله وقاتل
يقول الله وقاتل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ثم زه نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه
عنه فقال تعالى (ما كان لله أن يتخذ من ولد) أى ما كان من صفاته اتخاذ الولد ولا ينبغي له ذلك

انه اله أو ابن الله (قول الحق) كلمة الله فالقول الكلمة والحق
الله وقيل له كلمة الله لانه ولدته قوله كن بلا واسطة اب وارفعه على انه خير بعد خيرا وخبر مبتدأ محذوف أو بدل من عيسى ونصبه شامى
وعاصم على المرح أو على المصدر أى أقول قول الحق هو ابن مريم وليس باله كما يدعون (الذى فيه يعمترون) يشكون من المربة الشك
أو يختلفون من المراءى فقالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة (ما كان لله) ما ينبغي له (أن يتخذ من ولد) حى
بمنه كما يدعون.

(سبعه نه) نزه ذاته عن اتخاذ الولد (اذ قضى أمراً فأنما يقول له كن فيكون) بالنصب شامى أى كما قال عيسى كن فكان من غير أب ومن كان متصفاً بهذا كان منزلها أن يشبه الحيوان الوالد (وان الله ربى وربكم فاعبدوه) بالكسر شامى وكوفى على الابتداء وهو من كلام عيسى يعنى كما ناعبده فاتهم عبوده على وعليكم أن تعبدوه ومن فتح عطف على بالصلاة أى وأوصانى بالصلاة وبالزكاة وبان الله ربى وربكم وأعلفه بما بعده أى وأثنى الله ربى وربكم فاعبدوه (هذا) الذى ذكرت (صراط مستقيم) فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً (فاختلف الأحزاب) الحزب الفرقة المنفردة برأيها عن غيرها وهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية (من بينهم) من بين أصحابه أو من بين قومه أو من بين الناس وذلك ان النصارى اختلفوا فى عيسى حين رفع ثم اتفقوا على أن يرجعوا الى قول ثلاثة (٢٣٥) كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم وهم يعقوب ونسطور وملكان

فقال يعقوب هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وقال نسطور كان ابن الله أظهره ماشاء ثم رفعه اليه وقال الثالث كذبوا كان عبد الله مخلوقاً نبيا فتبع كل واحد منهم قوم (فويل للذين كفروا) من الأحزاب اذ الواحد منهم على الحق (من مشهد يوم عظيم) هو يوم القيامة ومن شهودهم هول الحساب والجزاء فى يوم القيامة أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء وجوارحهم بالكفر أو من مكان الشهادة أو وقتها أو المراد يوم اجتماعهم للتشاور فيه وجعله عظيم الفطاعة ماشهدوا به فى عيسى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) الجمهور على أن لفظه أمر ومعناه التجنب

(سبعانه اذ قضى أمراً) أى اذا أراد أن يحدث أمراً (فأنما يقول له كن فيكون) أى لا يتعذر عليه اتخاذ على الوجه الذى أراد (وان الله ربى وربكم فاعبدوه) هذا الخبر عن عيسى انه قال ذلك يعنى ولان الله ربى وربكم لأرب المخلوقات سواه (هذا صراط مستقيم) أى هذا الذى أخبرتكم به ان الله أمرنى به هو الصراط المستقيم الذى يؤدى الى الجنة (فاختلف الأحزاب من بينهم) يعنى النصارى سمووا أحزاباً لانهم تحزبوا ثلاث فرق فى أمر عيسى النسطورية والملكانية واليعقوبية (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يعنى يوم القيامة حين (أسمع بهم وأبصر) أى ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر أخبرنا انهم يسمعون ويبصرون فى الآخرة ما لم يسمعوا ويبصروا فى الدنيا وقيل معناه التهديد بما يسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم (يوم يأتوننا) أى يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) قيل أراد باليوم الدنيا يعنى انهم فى الدنيا فى خطأ بين وفى الآخرة يعرفون الحق وقيل معناه لكن الظالمون فى الآخرة فى ضلال عن طريق الجنة بخلاف المؤمنين ﴿قوله تعالى﴾ (وأذرتهم يوم الحسرة) يعنى خوف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة سمي بذلك لان المسيح عيسى تحسرها لأحسن العمل والمحسن هلا زاد فى الاحسان يدل عليه ما روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يموت الاندم قالوا ما ندمه يارسول الله قال ان كان محسناً دمه أن لا يكون ازاد وان كان مسيئاً ندمه أن لا يكون نزع أخرجه الترمذى قوله أن لا يكون نزع النزع عن الشيء الكف عنه وقال أكثر المفسرين يعنى بيوم الحسرة حين يذبح الموت (ق) عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى منادياً أهل الجنة فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكأهم قدره ثم ينادى منادياً آخر بأهل النار فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكأهم قدره فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول بأهل الجنة خلود بلاموت وبأهل النار خلود بلاموت ثم قرأوا نذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون وأشار بيده الى الدنيا زاد الترمذى فيه فلوان أحد مات فرحالمات أهل الجنة ولو أن أحد مات حزالمات أهل النار قوله كهيئة كبش أملح الأملح المختلط بالبياض والسواد قوله فيشرفون يقال أشرف الى الشيء اذا تطلع ينظر اليه ومالت نحوه نفسه قوله فيذبح بين الجنة والنار اعلم أن الموت عرض ليس بحسم فى صورة كبش أو غيره فعلى هذا يتأول الحديث على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح فيموت فلا يبقى يرجى له حياة ولا وجود وكذلك حال أهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهما لا يزالان لا يتقال (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار حتى يجعل بين

والله تعالى لا يوصف بالتعجب ولكن المراد أن أسمعهم وأبصارهم جدير بان يتعجب منهما بعدما كانوا صاموا وعميان فى الدنيا قال قتادة ان عموا وصموا عن الحق فى الدنيا فأسمعهم وما أبصرهم بالهدى يوم لا ينفعهم وبهم مرفوع المحل على الفاعلية كما كرم بزبد فنعناه كرم زيد جدا (لكن الظالمون اليوم) أقيم الظاهر مقام الضمير أى لكنهم اليوم فى الدنيا بظلمهم أنفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يجدى عليهم ووضعوا العبادة فى غير موضعها (فى ضلال) عن الحق (مبين) ظاهر وهو اعتقادهم عيسى الهام عبوداً مع ظهور آثار الحدوث فيه اشعاراً بان لا ظلم أشد من ظلمهم (وأذرتهم) خوفهم (يوم الحسرة) يوم القيامة لانه يقع فيه الندم على ما فات وفى الحديث اذا رأوا منازلهم فى الجنة أن لو آمنوا

(اذ) بدل من يوم الحسرة وظرف للحسرة وهو مصدر (قضى الامر) فرغ من الحساب وتصادر القر يقان الى الجنة والنار (وهم في غفلة) هنا عن الاهتمام لذلك المقام (وهم لا يؤمنون) لا يصدقون وهم وهم حالان أي وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين (انا نحن نرت الارض ومن عليها) أي متفرد بالملك والبقاء عند تعميم اهلاك والقضاء واذ كرم من لتغليب العقلا (والينابر جمعون) بضم الياء وفتح الجيم وفتح الياء يعقوب أي بدون فيجازون جزاء وفاقا (واذ كرم) لقومك (في الكتاب) القرآن (ابراهيم) قصته مع أبيه (انه كان صديقا نبيا) بغير همز وهمزة نافع قيل الصادق المستقيم في الافعال والصدق المستقيم في الاحوال فالصديق من أبنية المبالغة وتظيره الضحك والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله أي كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين ابراهيم وبين ما هو بد (٢٣٦) لسنه وهو (اذ قال) وجزان يتعلق اذ كان أو بصديق نبيا أي كان جامعاً لخاصات الصديقين والانبياء حين

الجنة والنار فيسبح ثم ينادى بأهل الجنة لاموت وبأهل النار لاموت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة أحد الأري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً ولا يدخل النار أحد الأري مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة أخرجه البخاري وقوله تعالى (اذ قضى الامر) أي فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وذبح الموت (وهم في غفلة) أي عما يراد بهم في الآخرة (وهم لا يؤمنون) أي لا يصدقون (انا نحن نرت الارض ومن عليها) أي نمت سكان الارض جميعاً ويبقى الله سبحانه وتعالى وحده فيرتهم (والينابر جمعون) فنجز بهم باعمالهم وقوله عز وجل (واذ كرم في الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً نبياً) أي كثير الصدق وهو مبالغة في كونه صديقاً وقيل الصديق الكثير التصديق قيل من صدق الله في وحدانيته وصدق أنبياءه ورسله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالأوامر فعمل بها فهو صديق ولما قربت رتبة الصديق من رتبة النبي اتقل من ذكر كونه صديقاً إلى ذكر كونه نبياً والنبي العالي في الرتبة بارسال الله إياه وأي رتبة أعلى من رتبة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده (اذ قال لا يه) يعني آزر وهو عبد الاصنام (ياأبت لم تعبد ما لا يسمع) يعني صوتنا (ولا يبصر) ولا ينظر شيئاً (ولا يفتني عنك) أي يكفيك (شيئاً) وصف الاصنام بثلاثة أشياء كل واحد منها قادح في الاطية وذلك أن العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا يستحقها الا من له ولاية الانعام وله أوصاف الكمال وهو الله تعالى فلا يستحق العبادة الا هو (ياأبت اني قد جاءني من العلم) يعني بالله والمعرفة (مالم يأتك فاتبعني) أي على ديني (أهدك صراطاً سوياً) أي مستقيماً (ياأبت لا تعبد الشيطان) أي لا تطعه فيما يزبن لك من الكفر والشرك (ان الشيطان كان للرحمن عصياً) أي عاصياً (ياأبت اني أخاف) أي أعلم وقيل هو على ظاهره لانه يمكن أن يؤمن فيكون من أهل الجنة أو يصر على الكفر فيكون من أهل النار فعمل الخوف على ظاهره أولى واعلم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام رتب هذا الكلام في غاية الحسن مقروناً بالتلطف والرفق فان قوله في مقدمته كلامه ياأبت دليل على شدة الحب والرغبة في صرفه عن العقاب وارشاده الى الصواب لانه نبيه وأعلى ما يدل على المنع من عبادة الاصنام ثم أمره بالتباعد في الايمان ثم نبه على أن طاعة الشيطان غير جائزة في القول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الاقدام على ما لا ينبغي بقوله اني أخاف (أن يمك) أي يصيبك (عذاب من الرحمن) أي ان أفت على الكفر (فتكون للشيطان ولياً) أي قريناً في النار وقيل صدق الله في النار

الصديقين والانبياء حين خاطب أباه بتلك المخاطبات والمخاطبات بذكر الرسول إياه وقصته في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه إياهم كقوله وانزل عليهم نبأ ابراهيم والاقالة عز وعلاً هو ذا كره ومورده في تنزيله (لا يه بأبت) بكسر التاء وفتحها ابن عامر والتاء عوض من ياء الاضافة ولا يقال ياأبت للتلايمع بين العوض والمعوض منه (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) المفعول فيهما منسى غير منوى ويجوز أن يقدر أي لا يسمع شيئاً ولا يبصر شيئاً (ولا يفتني عنك شيئاً) يحتمل أن يكون شيئاً موضع المصدر أي شيئاً من الاغناء وأن يكون مفعولاً به من قولك أغنى عني وجهك أي بعد (ياأبت اني قد جاءني من العلم)

الوحي أو معرفة الرب (مالم يأتك) ما في ما لا يسمع ومالم يأتك يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة (فاتبعني أهدك) أرشدك وانما (صراطاً سوياً) مستقيماً (ياأبت لا تعبد الشيطان) لا تطعه فيما سول من عبادة الصنم (ان الشيطان كان للرحمن عصياً) عاصياً (ياأبت اني أخاف) قيل أعلم (أن يمك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً) قريناً في النار نبيه و يليك فانظر في نصيحته كيف راعى الجمال والرفق والخلق الحسن كما أمر في الحديث أوحى الى ابراهيم انك خليلي حسن خلقك ولومع الكفارتد خل مداخل الابرار فطلب منه أولاً العلفي خطئه طاب منبه على تماديه موقفاً لافراطه وتناهيه لان من يعبد أشرف الخلق منزلة وهم الانبياء كان محكوماً عليه بالنبي فكيف بمن يعبد حجراً أو شجر الأيسم ذكر عباده ولا يبرها آت عبادته ولا يرفع عنه بلاء ولا يقضى حاجته ثم تني بدعونه الى الحق مترقباً به متلطفاً لم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي شيئاً من العلم ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فهب اني وياك في مسبر وعندى معرفة بالهداية دونك فاتبعني

أثجك من أن تفضل وتتيه ثم نلت بنبيه عما كان عليه بان الشيطان الذي عصى الرحمن الذي جيع النعم منه ووقعك في عبادة الصنم وزينها لك
فانت عابده في الحقيقة ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والو بال مع مراعاة الادب حيث لم يصرح بان العقاب
لاحق به وان العذاب لاصق به بل قال أخاف أن يمسك عذاب بالتنكير المشعر بالتقليل كأنه قال اني أخاف أن يصيبك نقيان من عذاب الرحمن
وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جلة أشياعيه وأوليائه أكبر من العذاب كما ان رضوان الله أكبر من الثواب في نفسه وصدور كل نصيحة
بقوله يا ابت تو سلا اليه واستعظافا وشعارا بوجوب احترام الاب وان كان كافرا فتم (قال) آزر تو بيخا (أراغب أنت عن آلهني يا ابراهيم)
أي ترغب عن عبادتها فناداه باسمه ولم يقابل يا بتي بياني وقدم الخبر على المتبدل انه كان أهم عنده (لئن لم تنته) عن شتم الاصنام (لارجنك)
لاقتلتك بالرجام أو لاضر بنك بها حتى تتباعدا ولا شتمتك (واهجرني) عطف على محذوف يدل عليه لارجنك تقديره فاحذرنى واهجرني
(مليا) ظرف أي زمانا طويلا من الملاوة (قال سلام عليك) سلام توديع ومشاركة (٢٣٧) أو تقرب وبملاطفة ولذا وعده

بالاستغفار بقوله
(سأستغفر لك ربي)
سأل الله أن يجعلك من أهل
المغفرة بان يهديك للاسلام
(انه كان بي حفيا) ملطفا
بعموم النعم أو رحيا أو مكرما
والحفاوة الرأفة والرحمة
والكرامة (وأعتزلكم)
أراد بالاعتزال المهاجرة من
أرض بابل الى الشام
(وما تدعون من دون
الله) أي ما تعبدون من
أصنامكم (وأدعو) واعبد
(ربي) ثم قال تواضعا
وهضا للنفس ومعرضا
بشقاوتهم بدعاء آلهتهم
(عسى أن لا كون بدعاء
ربي شقيا) أي كما شقيتم
أتم بعبادة الاصنام (فلما
اعتزلهم وما يعبدون من
دون الله) فلما اعتزل

وانما فعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام هذا مع أبيه لامورا أحدها الشدة تعلق قلبه بصلاحيته أبيه وأداء حق
الابوة والرفق به وثانيها أن النبي الهادي الى الحق لا بد أن يكون رفيقا لطيفا حتى يقبل منه كلامه وثالثها
النصح لكل أحد فالاب أولى (قال) يعني أباه محبباليه (أراغب أنت عن آلهني يا ابراهيم) أي أنار كها أنت
وتارك عبادتها (لئن لم تنته) أي ترجع وتسكت عن عيبك آلهتنا وشتمك اياها (لارجنك) قال ابن عباس
معناه لاضر بنك وقيل لاقتلتك بالحجارة وقيل لا شتمتك وقيل لا بعدنك عني بالقول القبيح والقول الاول
هو الصحيح (واهجرني) أي اجتنبني قال ابن عباس اعتزلني سالما لا يصيبك مني معرفة (مليا) أي دهر
طويلا (قال) يعني ابراهيم (سلام عليك) أي سلمت مني لأصيبك بمكروه وذلك لأنه لم يؤمر بقتاله على كفره
وقيل هذا سلام هجران ومفارقة وقيل هو سلام برو لطف وهو جواب الحليم للسفيه (سأستغفر لك ربي)
قيل انه لما أعياه أمره وعده أن يراجع الله فيه فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له وقيل معناه سأسأل
لك ربي توبة تنال بها المغفرة (انه كان بي حفيا) أي بر الطيفاء والمراد انه يستجيب اذا دعوته لأنه عودني
الاجابة لدعائي (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) أي أفارقكم وأفارق ما تعبدون من دون الله وذلك انه
فارقهم وهاجر الى الارض المقدسة (وادعور بي) أي أعبد ربي الذي خلقني وأنعم علي عسى أن لا كون
بدعاء ربي شقيا) أي أرجو أن لا أشقى بدعاء ربي وعبادته كما تشقون أتم بعبادة الاصنام ففيه التواضع له مع
التعريض بشقاوتهم قوله عز وجل (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) أي ذهب مهاجرا (وهبنا له)
أي بعد الهجرة (اسحق ويعقوب) أي آسنا وحشته من فراقهم باولاداً كرم على الله من أبيه (وكلا
جعلنا نبيا) أي أنعمنا عليهما بالنبوة (وهبنا لهم من رحمتنا) أي مع ما وهبنا لهم من النبوة وهبنا لهم المال
والولد وذلك أنه بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وكثرة الاولاد (وجعلناهم لسان صدق عليا) يعني ثناء حسنا
رفيعا في أهل كل دين حتى ادعاهم أهل الاديان كما فهم يتولونهم ويشنون عليهم قوله عز وجل (واذ كر
في الكتاب موسى انه كان مخلصا) قرئ بكسر اللام أي أخلص العبادة والطاعة لله تعالى ولم يراء وقري بالفتح
أي مختار اختاره الله تعالى ثم استخلصه واصطفاه (وكان رسولا نبيا) فهذان وصفان مختلفان فكل رسول
نبي ولا تكس (ونادينا من جانب الطور الايمن) أي من ناحية يمين موسى والطور جبل معروف بين مصر

الكفار ومعبودهم (وهبنا له اسحق) ولدا (ويعقوب) نافلة ليستأنس بهما (وكلا) كل واحد منهما (جعلنا نبيا) أي لما ترك
الكفار الفجار لوجهه عوضه اولاداً مؤمنين أنبياء (وهبنا لهم من رحمتنا) هي المال والولد (وجعلناهم لسان صدق) ثناء حسنا وهو
الصلاة على ابراهيم وآل ابراهيم في الصلوات وعبر باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية (عليا) رفيعا مشهورا (واذ كر في الكتاب
موسى انه كان مخلصا) كوفي غير المفضل أي أخلصه الله واصطفاه ومخلصا بالكسر غيرهم أي أخلص هو العبادة لله تعالى فهو مخلص بما له من
السعادة باصل القطرة ومخلص فيما عليه من العبادة بصدق الهمة (وكان رسولا نبيا) الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبيء
عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيشوع (ونادينا من جانب الطور) هو جبل بين مصر ومدن (الايمن)
من اليمن أي من ناحية اليمن والجمهور على أن المراد أيمن موسى عليه السلام لان الجبل لا يمين له والمعنى انه حين أقبل من مدين يريد مصر
نودي من الشجرة وكانت في جانب الجبل على يمين موسى عليه السلام

من نفسه الصبر على الذبح
فوفى وقيل لم يعدر به
موعد الأجزاء وانما خصه
بصدق الوعد وان كان
موجودا في غيره من الانبياء
تشرى بقاله وكان المشهور من
خصاله (وكان رسولا) الى
جرهم (نبيا) مخبرا منذرا
(وكان يامر أهله) أمته لان
النبي أبو أمته وأهل بيته
وفيه دليل على انه لم يداهن
غيره (بالصلاة والزكاة)
يحتسمل انه انما خصت
هانان العبادتان لانهما اما
العبادات البدنية والمالية
(وكان عنده به مرضيا)
قرىء مرضوا على الاصل
(واذ كرى في الكتاب
ادريس) هو اخنوخ أول
مرسل بعد آدم عليه السلام
وأول من خط بالقلم وخط
اللباس ونظر في علم النجوم
والحساب واتخذ الموازين
والمكاييل والاسلحة فقاتل
بنى قابيل وقولهم سمي به
لكثرة دراسة كتب الله
لا يصح لانه لو كان افعيلا من
الدرس لم يكن فيه الاسباب
واحد وهو العافية وكان
منصرفا فامتناعه من
الصرف دليل العجمة (انه

ومدين ويقال ان اسمه الزبير وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فتودى يا موسى انى أنا الله قرب العالمين
(وقر بناه) قال ابن عباس قر به وكله ومعنى التقرب اسماعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صرير
الاقلام وقيل معناه رفع قدره ومزاته أى وشرفناه بالمناجاة وهو قوله ته الى (نجيا) أى مناجيا (ووهبنا له من
رحمتنا أخاه هرون نبيا) وذلك ان موسى دعا ربه فقال واجعل لى وزير من أهلى هرون أخى فأجاب الله
دعوته وأرسل الى هرون ولذلك سماه هبة له وكان هرون أكبر من موسى ﴿ قوله عز وجل (واذ كرى
الكتاب اسمعيل) هو اسمعيل بن ابراهيم وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم (انه كان صادق الوعد) قيل
انه لم يعد شيئا الا وفى به وقيل انه وعد رجلا ان يقوم مكانه حتى يرجع الرجل فوقف اسمعيل مكانه ثلاثة أيام
للميعاد حتى رجع اليه الرجل وقيل انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به فوصفه الله بهذا الخلق الحسن
الشريف سئل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا الى أى وقت ينتظر فقال ان وعده نهارا فكل النهار وان وعده
ليلا فكل الليل وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال ان وعده فى وقت صلاة ينتظر الى وقت صلاة اخرى (وكان
رسولا) الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر أم اسمعيل بوادى مكة حين خلفها ابراهيم
وجرهم هو جرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ وقحطان أبو قبائل اليمن (نبيا) أى مخبرا عن الله تعالى (وكان
يامر أهله) أى قومه وجميع أمته (بالصلاة والزكاة) قال ابن عباس يريد بالصلاة المفروضة عليهم وهى الخيفة
التي افترضت علينا وقيل كان يبدأ بأهله فى الامر بالصلاة والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم (وكان عنده به
مرضيا) أى قائما لله بطاعته وقيل رضيه لنبوته ورسالته وهذا نهاية فى المدح لان المرضي عند الله هو الفائز
فى كل طاعة باعلى الدرجات ﴿ قوله عز وجل (واذ كرى فى الكتاب ادريس) هو جد أبى نوح واسمه اخنوخ
سمى ادريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب وليس الخياط
وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو أول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار وأول من نظر فى علم الحساب (انه
كان صديقا نبيا) وذلك ان الله تعالى شرفه بالنبوته وأنزل عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكانا عليا) قيل هى
الرفعة بعلى المرتبة فى الدنيا وقيل انه رفع الى السماء وهو الاصح يدل عليه ما روى أنس بن مالك عن مالك بن
صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى ادريس فى السماء الرابعة ليلة المعراج متفق عليه وكان
سبب رفع ادريس الى السماء الرابعة على ما قاله كعب الاحبار وغيره انه سار ذات يوم فى حاجة فاصابه وهج
الشمس فقال يارب انى مشيت يوما فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام فى يوم واحد اللهم خفف عنه من
ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب خلقتنى لحر الشمس فما
الذى قضيت فيه قال ان عبدى ادريس سألنى أن أخفف عنك حملها وحرها فاجبتة قال يارب فاجع بينى
وبينه واجعل بينى وبينه خلة فاذن له حتى أتى ادريس فكان ادريس يسأله فكان مما سأله ان قال انى
أخبرت انك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت فاشفع لى اليه ليؤخر أجلي لعلى أزداد شكرا وعبادة
فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها وإنما كلمه فرفعه الى السماء ووضعته عند مطلع الشمس ثم أتى
ملك الموت فقال لى اليك حاجة صديق لى من بنى آدم تشفع لى اليك لتؤخر أجلي فقال ملك الموت ليس لى
ذلك ولكن ان أحببت أعلمته أجليه فيقدم نفسه قال نعم فنظر فى ديوانه فقال انك كلمتني فى انسان ما أراه

كان صديقا نبيا) أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكانا عليا) هو شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل معناه رفعة الملائكة يموت
الى السماء الرابعة وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فيها وعن الحسن الى الجنة لاشئ أعلى من الجنة وذلك انه حجب لكثرة عبادته الى
الملائكة فقال ملك الموت أذقنى الموت بهن على ففعل ذلك باذن الله خبي وقال أدخلنى النار أزددرهبة ففعل ثم قال أدخلنى الجنة أزددرهبة ثم
قال له اخرج فقال قد زفت الموت ووردت النار فأناب خارج من الجنة فقال الله عز وجل باذنى فعل و باذنى دخل فدعه

أولئك) إشارة إلى المذكورين في السورة من زكرياء إلى ادريس (الذين أنعم الله عليهم من النبيين) من للبيان لان جميع الانبياء
عم عليهم (من ذرية آدم) من للتبويض وكان ادريس من ذرية آدم (٢٣٩) لقر به منه لانه جدا بنو نوح

(ومن حملنا مع نوح)

ابراهيم من ذرية من

حمل مع نوح لانه ولد سام

ابن نوح (ومن ذرية

ابراهيم) اسميعل واسحق

ويعقوب (واسرائيل)

أي ومن ذرية اسرائيل

أي يعقوب وهم موسى

وهرون وزكريا ويحيى

وعيسى لان مريم من

ذريته (ومن) بحتمل

العطف على من الاولى

والثانية (هدينا) لمحاسن

الاسلام (واجتينا) من

الانام أو لشرح الشريعة

وكشف الحقيقة (اذتلى

عليهم آيات الرحمن) أي اذا

تليت عليهم كتب الله المنزلة

وهو كلام مستأنف ان

جعلت الذين خيرا اولئك

وان جعلته صفة له كان

خيرا يتلى بالياء فتيبة

لوجود الفاصل مع أن

التأنيث غير حقيقي

(خروا سجدا) سقطوا

على وجوههم ساجدين

رغبة (وبكيا) باكين

رهبة جمع باك كسجود

وقعود في جمع ساجد

وقاعد في الحديث اتلوا

القرآن وابتكوا وان لم

تبكوا فبكا كوا وعين

صالح المري قرأت القرآن

على رسول الله صلى الله

عوت أبدا قال وكيف ذلك فقال لأجده يموت الا عند مطلع الشمس قال أتيتك وتركته هناك قال انطلق

بلا أراك تجده الا وقدمات فوالله ما بقي من عمر ادريس شيء فرجع الملك فوجده ميتا وقال وهب كان برفع

ادريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الارض في زمانه فحجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك

لموت فاستأذن ربه في زيارته فاذن له فانه في صورة بني آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت

فطاره دعاه الى الطعام فإني أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فانكره ادريس وقال له في الليلة الثالثة إني

ريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أصحبك فقال لي اليك حاجة قال وما هي قال

قبض روحي فاوحى الله اليه ان قبض روحه فقبض روحه ورد الله اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما

لغائبة في سؤالك قبض الروح قال لا ذوق كرب الموت وغمه فاكون أشدا استعدادا لله ثم قال له ادريس لي

ليك حاجة أخرى قال وما هي قال ترفعي الى السماء لانظر اليها والى الجنة والنار فاذن الله له فرفعه فلما قرب

من النار قال لي اليك حاجة قال وما هي قال أريد أن أسأل مالكا أن يرفع أبوابها فإردوها ففعل قال فكما

ريبتى النار فإني الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت

خرج لتعود الى مقرك فتعاق بشجرة وقال ما أخرج منها فبعث الله اليه ملكا حكما بينهما قال له الملك

مالك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته ثم قال وان منكم الا واردها فانها وودتها

قال وما هم منها يخرجين فاستأخر ج فإوحى الله تعالى الى ملك الموت باذني دخول الجنة وبامر لا

يخرج فهو حي هناك فذلك قوله تعالى ورفعهنا مكانا غاليا واختلفوا في أنه حي في السماء أم ميت فقال قوم هو

ميت واستدل بالاول وقال قوم هو حي واستدل بهذا وقالوا أربعة من الانبياء أحياء اثنان في الارض وهما

نضر والياس واثنان في السماء وهما ادريس وعيسى عليه السلام قوله عز وجل (أولئك الذين أنعم الله عليهم من

نبيين) أولئك إشارة إلى المذكورين في هذه السورة أنعم الله عليهم بالنبوّة وغيرها ما تقدم وصفه (من

ذرية آدم) يعني ادريس ونوحا (ومن حملنا مع نوح) أي ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة يريد

ابراهيم لانه من ولد سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) يعني اسحق واسماعيل ويعقوب (واسرائيل) أي

من ذرية اسرائيل وهو يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم

رتب الله تعالى أحوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب منها بذلك على انهم كما شرفوا بالنبوّة شرفوا

لنسب ثم قال تعالى (ومن هدينا واجتينا) أي هؤلاء ممن أُرشدنا واطفينا وقيل ممن هدينا الى الاسلام

اجتينا على الانام (اذتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا) جمع ساجد (وبكيا) جمع باك أخبر الله تعالى

بن الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا اذ سمعوا آيات الله سجدا وبكوا وخشوعا وخوفا وحذرا

المراد من الآيات ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعد

الوعيد ففيه استحباب البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن

(فصل) وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند تلاوة هذه

السجدة وقيل يستحب لمن قرأ آية سجدة فسجد ان يدعو بما يناسب تلك السجدة فان قرأ سجدة سبحان

الله اللهم اجعلني من الباكين اليك والخاشعين لك وان قرأ سجدة مريم قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم

عليهم الساجدين الباكين لك عند تلاوة آياتك وان سجد سجدة الم السجدة قال اللهم اجعلني من

لساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك قوله تعالى (خلف

من بعدهم) أي من بعد النبيين المذكورين (خلف) أي قوم سوء أراد بهم اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل

عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فإين البكاء ويقول في سجود تلاوة سبحان ربي الاعلى ثلاثا (خلف من بعدهم) فجاء من

(أضاعوا الصلاة) تركوا الصلاة المفروضة (واتبعوا الشهوات) ملاذ النفوس وعن علي رضي الله عنه من نبي الشد يدور كالمشهور وليس المشهور وعن قتادة رضي الله عنه هو في هذه الأمة (فسوف يلقون نيا) جزاء غي وكل شر عند العرب غي وكل خير رشاد وعن ابن عباس وابن مسعود هو وادى جهنم أعد للصرين على الزنا وشارب الخمر وآكل الربوا والعاق وشاهد الزور (الامن تاب) رجع عن كفره (وآمن) بشرطه (وعمل صالحا) بعد إيمانه (فاولئك يدخلون الجنة) بضم الياء وفتح الحاء مكى وبصرى وأبو بكر (ولا يظلمون شيئا) أي لا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم ولا يمنعون به بل يضاعف لهم أو لا يظلمون شيئا من الظلم (جنات) بدل من الجنة لأن الجنة تشتمل على جنات عدن لأنها جنس أو نصب على المدح (عدن) معرفة لأنها علم لمعنى العدن وهو الإقامة أو علم لارض الجنة لكونها مقام إقامة (التي وعد الرحمن عباده) أي عباده (٢٤٠) التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات كما سبق ذكرهم ولأنه أضافهم اليه وهو للاختصاص

هم في هذه الأمة (أضاعوا الصلاة) أي تركوا الصلاة المفروضة وقيل آخروها عن وقتها وهو أن لا يصلى الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تأتي المغرب (واتبعوا الشهوات) أي آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله تعالى وقيل اتبعوا المعاصي وشرب الخمر وقيل هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزرو بعضهم على بعض في الأسواق والأزقة (فسوف يلقون غيا) قال ابن عباس الغي وادى جهنم وان أودية جهنم لتستعذب من حره أعد للزاني المصر عليه ولشارب الخمر المد من له ولا كل الربا الذي لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور وقيل هو وادى جهنم بعيد قعره حيث طعمه يسيل في حوادها وقيل هو وادى جهنم أبعدها قعرها وأشد حرافيه يترسمي الهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فتستمر بها جهنم وقيل معنى غيا خسرانا وقيل هلا كما وعدا بأوليس معنى يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملازمة مع الرؤية ﴿ قوله تعالى (الامن تاب وآمن وعمل صالحا) يعني الامن تاب من التقصير في الصلوات والمعاصي وآمن من الكفر وعمل صالحا بطاعة الله تعالى (فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) أي لا ينقصون شيئا ثم وصف الجنة فقال تعالى (جنات عدن) أي بساكنة إقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فانها لا تدوم (التي وعد الرحمن عباده بالغيب) أي أنهم لا يرونها فهي غائبة عنهم وهم غائبون عنها (انه كان وعده ما تيا) أي آتيا وقيل معنى وعده موعوده وهو الجنة ما تيا أي يأتيه أولياء الله وأهل طاعته (لا يسمعون فيها لغوا) أي باطلا وخشا وهو فضول الكلام (الاسلاما) يعني بل يسمعون فيها سلاما والسلام اسم جامع للخير لأنه يتضمن معنى السلامة وذلك ان أهل الجنة لا يسمعون فيها ما يؤلمهم انما يسمعون تسليما وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسلم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال أهل التفسير ليس في الجنة ليل ولا نهار حتى يعرف به البكرة والعشى بل هم في نور أبدا ولكنهم يؤنون بالرزاقهم على مقدار طرفي النهار كما دتتم في الدنيا وقيل أنهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخاء الحجب وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضيق ولا تقير وقيل كانت العرب لا تعرف أفضل من الرزق التي يؤتى به بالبكرة والعشى فوصف الله تعالى الجنة بذلك ﴿ وقوله تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادنا) أي نعطي وتنزل وقيل يورث عباده المؤمنين المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا (من كان تقيا) أي المتقين من عباده ﴿ قوله عز وجل (وما ننزل الا بأمر ربك) (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فترت وما

وهؤلاء أهل الاختصاص (بالغيب) أي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها (انه) ضمير الشأن أو ضمير الرحمن (كان وعده) أي موعوده وهو الجنة (ما تيا) أي هم يأتونها (لا يسمعون فيها) في الجنة (لغوا) خشا أو كذبا أو مال طائل تحت من الكلام وهو المطروح منه وفيه تنبيه على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه مداره التي لا تكليف فيها (الاسلاما) أي لكن يسمعون سلاما من الملائكة أو من بعضهم على بعض أو لا يسمعون فيها الاقولا يسمعون فيه من العيب والنقيصة فهو استثناء منقطع عند الجمهور وقيل معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ولما

كان أهل دار السلام أغنياء عن الدعاء بالسلامة كان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أي يؤنون بالرزاقهم على مقدار طرفي النهار من الدنيا اذ ليل ولا نهار ثم لانهم في النور أبدا وانما يعرفون مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بارخاءها والرزق بالبكرة والعشى أفضل العيش عند العرب فوصف الله جنته بذلك وقيل أراد دوام الرزق كما قولنا عند فلان بكرة وعشيا يريد الدوام (تلك الجنة التي نورث من عبادنا) أي نجعلها ميراث أعمالهم يعني ثمرتها وعاقبتها وقيل يرون المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا لان الكفر موت حكما (من كان تقيا) عن الشرك ﴿ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فترت وما

معنى معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق والاول التبعي هنا معناه أن نزولنا في الاحاديث وقتنا وقت الله الا بأمر الله

(له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً) أي له ما قد آمننا وما خلفنا من الأماكن وما نحن فيها فلا تمالك أن تنتقل من مكان إلى مكان إلا بأمر الملك ومشيئته وهو الحافظ للعالم بكل حركة وسكون وما يحدث من الأحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فإني لنأني تتقلب في ملكوته إلا إذا أذن لنا فيه (رب السموات والأرض وما بينهما) بدل من ربك أو خبر مبتدأ محذوف أي هو رب السموات والأرض ثم قال لرسوله لما عرفت أنه متصف بهذه الصفات (فَاعْبُدْهُ) فأنبت على عبادته (واصطبر لعبادته) أي اصبر على مكافأة الحسود لعبادة المعبود واصر على المشاق لأجل عبادة الخلاق أي لتتمكن من الاتيان بها (هل تعلم له سمياً) شبيهاً ومثلاً أو هل يسمى أحد باسم الله غيره لأنه مخصوص بالمعبود بالحق أي إذا صح أن لا معبود توجه إليه العباد للعبادة إلا هو وحده لم يكن يد من عبادته والاصطبار على مشاقها فتهافت أبي بن خلف عظماً وقال أنبعث بعد ما صرنا كذا فنزل (ويقول الإنسان إذا مات لسوف أخرج حياً) والعامل في إذا ما دل عليه الكلام وهو أبعث أي إذا مات أبعث واتصاه به باخرج ممنوع (٢٤١) لأن ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما

قبلها فلا تقول اليوم لزيد قائم ولام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال وتؤكد مضمون الجملة فلما جمعت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد واضمحل معنى الحال وما في إذا ما للتوكيد أيضاً فكأنه قال أحقاً أنا سسخرج من القبور أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكراً ومنه جاء إنكارهم (أولاً يذكرون الإنسان) خفيف شامى ونافع وعاصم من الذكر والساير بتشديد الذال الكاف وأصله يتذكر كقراءة أبي فادغمت التاء

تنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا الآية قال فكان هذا جواب جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله اليهود عن أمر الروح وأصحاب الكهف وذوي القرنين فقال أخيركم غدا ولم يقل إن شاء الله حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت على حتى ساء ظني وانتقت إليك فقال له جبريل وإني كنت أشوق إليك ولكنني عبد ما مور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست فأنزل الله تعالى وما تنزل إلا بأمر ربك وأنزل الله تعالى والضحي والليل إذا سجد ما ودعك ربك وما قلى ﴿٢٤٢﴾ وقوله (له ما بين أيدينا وما خلفنا) أي له علم ما بين أيدينا وما خلفنا وقيل كذلك بقوله له ما بين أيدينا وما خلفنا أي هو المدبر لنا في كل الأوقات الماضي والمستقبل وقيل معناه له ما بين أيدينا من أمر الآخرة والثواب والعقاب وما خلفنا أي ما مضى من الدنيا (وما بين ذلك) أي من هذا الوقت إلى أن تقوم الساعة وقيل ما بين ذلك أي ما بين النفختين وهو مقدر أربعين سنة وقيل ما بين أيدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك أي مدة حياتنا (وما كان ربك نسياً) أي ناسياً أي ما نسيك ربك وما تركك (رب السموات والأرض وما بينهما) أي من يكون كذلك لا يجوز عليه النسيان لأنه لا بد أن يدبر أحوالها كلها وفيه دليل على أن فعل العبد خاق الله لأنه حاصل بين السموات والأرض فكان لله تعالى (فَاعْبُدْهُ) أي اصبر على أمره ونهيه (هل تعلم له سمياً) قال ابن عباس مثلاً وقيل هل تعلم أحد اسمي الله غير الله ﴿٢٤٣﴾ قوله تعالى (ويقول الإنسان) أي جنس الإنسان والمراد به الكفار الذين أنكروا البعث وقيل هو أبي بن خلف الجحى وكان منكر البعث (أنذامت لسوف أخرج حياً) قاله استهزاء وتكديبا للبعث قال الله تعالى (أولاً يذكرون الإنسان) أي يتذكر ويتفكر يعني منكر البعث (أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً) والمعنى أولاً يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الإعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلاق على إيراد حجة في البعث على هذا الاختصار ما قدر وأعليه إذا لا شك أن الإعادة ثانياً أهون من الإيجاد أولاً ﴿٢٤٤﴾ ثم أقسم بنفسه فقال تعالى (فور ربك) وفيه تشریف للنبي صلى الله عليه وسلم (لنحشرنهم) أي لنجهم منهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث (والشياطين) أي مع الشياطين وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً) قال ابن عباس

(٣١ - (خازن) - ثالث) في الذال أي أولاً يتدبر والواو عطف لا يذكر على يقول ووسط همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني يقول ذلك ولا يتدبر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر النشأة الأخرى فإن تلك أدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود وأما الثانية فليس فيها التاليف الأجزاء الموجودة وردها إلى ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق (أنا خلقناه من قبل) من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه (ولم يك شيئاً) هو دليل على ما بيننا وعلى أن المعدوم ليس بشئ خلافاً للمعتزلة (فور ربك لنحشرنهم) أي الكفار المنكرين للبعث (والشياطين) الواو للعطف ويعني مع ٧ أوقع أي يحشرون مع قرانهم من الشياطين الذين أغووههم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة وفي أقسام الله باسمه مضافاً إلى رسوله تنفخيم لشأن رسوله (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً) حال جمع جث أي برك على الركب ووزنه فعول لأن أصله جنود وساجد أي يقبلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم

(ثم لنزاع من كل شيعة) طائفة شاعت أي تبعت غداي من الغواة (أيهم أشد على الرحمن عتيا) جرأة أو غورا أي لنخرج من كل طائفة من طوائف التي أعتاهم فإذا اجتمعوا طر حناهم في النار على الترتيب تقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم وقيل المراد بأشد هم عتيا الرؤساء لنضع جرهم لكونهم ضللا ومضلين قال سيبويه أيهم مبنى على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته وهو هو من هو أشد حتى لو جى به لأعرب بالنصب وقيل أيهم هو أشد وهذا لأن الصلة توضح الموصول وتبينه كما أن المضاف إليه يوضح المضاف ويخصه فكأن حذف المضاف إليه في من قبل (٢٤٢) يوجب بناء المضاف وجب أن يكون حذف الصلة أو شيء منها موجبا للبناء وموضعها

نصب بنزع وقال الخليل هي معربة وهي مبتدأ وأشد خبره وهو رفع على الحكاية تقديره لنزاع الذين يقال فيهم أيهم أشد على الرحمن عتيا ويجوز أن يكون النزاع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهنا لهم من رحمتنا أي لنزاع بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد عتيا وعلى يتعلق بالفعل أي عتوهم أشد على الرحمن (ثم نحن أعلم بالذين هم أولى بها) أحق بالنار (صليا) تمييز أي دخولا والباء تتعلق بأولى (وان منكم) أحد (الواردها) داخلها والمراد النار والورود الدخول عند علي وابن عباس رضي الله عنهم وعليه جهورا أهل السنة لقوله تعالى فأوردتهم النار ولقوله تعالى لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها ولقوله تعالى ثم تنجي الذين اتقوا إذا نجاها

جماعات وقيل جاتين على الركب اضيق المكان وقيل ان البارك على ركبته صورته كصورة الدليل فان قلت هذا المعنى حاصل للكلمة بدليل قوله تعالى وترى كل أمة جاثية قلت وصفوا بالجثوة على العادة المعهودة في مواقف المقاتلات والمناقلات وذلك لما فيه من القلق مما يبدعهم من شدة الامور التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم جثوا (ثم لنزاع) أي لنخرج من كل شيعة (من كل أمة وأهل دين من الكفار) (أيهم أشد على الرحمن عتيا) قال ابن عباس يعني جرأة وقيل غورا وتعدا وقيل فأشدهم ورئيسهم في الشرك والمعنى أنه يقدم في ادخال النار الاعتي فالاعتي بمن هو أكبر جرما وأشد كفرا وفي بعض الاخبار انهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الاكفر فالأكفر فمن كان أشد منهم تردا في كفره خص به عذاب أعظم وأشد لان عذاب الضال المضل واجب أن يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره في الضلال وفائدة هذا التمييز تخصيص بشدة العذاب لا تخصيص بأصل العذاب فذلك قال في جميعهم (ثم نحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) ولا يقال أولى الامع اشتراك القوم في العذاب وقيل معنى الآية انهم أحق بدخول النار قوله عز وجل (وان منكم الاواردها) أي وما منكم الا واردة هو قيل القسم فيه مضمرا أي والله ما منكم من أحد الا واردة والورود هو موافاة المكان واختلفوا في معنى الورد هنا وفيما تصرف اليه الكناية في قوله واردة فقال ابن عباس والا كثرون معنى الورد هنا الدخول والكناية راجعة الى النار فيدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله الذين اتقوا منها بدل عليه ما روى ان نافع بن الأزرق سأل ابن عباس في الورد فقال ابن عباس هو الدخول فقال نافع ليس الورد الدخول فقرا ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أتم لها ووردون ادخلها هؤلاء أم لا ثم قال يا نافع والله انا وانت ستردها وانما رجوا أن يخرجني الله منها وما أرى الله أن يخرجك منها تكذيبك فمن قال بدخول المؤمنين النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور لان الله تعالى أخبر عنهم انهم لا يحزنهم النزع الا كبر فان قلت كيف يدفع عن المؤمنين حر النار وعذابها قلت يحتمل ان الله تعالى يحمي النار فتعبرها المؤمنون ويحتمل ان الله تعالى يجعل الاجزاء الملاصقة لابدان الكفار من النار محرقة والاجزاء الملاصقة لابدان المؤمنين تكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت في حق ابراهيم عليه السلام وكان الملائكة الموكلين بها لا يجدون المها فان قلت اذا لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة دخولهم النار قلت فيه وجوه أحدها ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه وثانيها ان فيه مزيد غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون فيها وثالثها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب الذي على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذادهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من الورد الدخول وقالوا لا يدخل النار مؤمن أبدا لقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسابها فلي

تكون بعد الدخول ولقوله عليه السلام الورد الدخول لا يبقى برولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم وتقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فان نورك أطفأ طي وقيل الورد بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار لقراءة ابن عباس وان منهم ونحمل القراءة المشهورة على الالتفات وعن عبد الله الورد الحضور لقوله تعالى ولما وردناه مدين وقوله أولئك عنها مبعدون وأجيب عنه بان المراد عن عذابها وعن الحسن وقتادة الورد والمرور على الصراط لان الصراط محدود عليها فيسلم أهل الجنة ويتقاذف أهل النار وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو من الحسنى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحسنى حظ كل مؤمن من النار وقال رجل من الصحابة لا خير أيقنت بالورد قال نعم قال وأيقنت بالصدر قال لا قال ففيم الضحك وفيم التناقل

هذا يكون المراد من الورد الحضور والرؤية لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ماء مدین أراد به الحضور وقال
عكرمة الآية في الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروى عن ابن مسعود أنه قال وان منكم الاواردها
يعني القيامة والكنية راجعة اليها والقول الاول أصح وعليه أهل السنة فانهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج
الله منها أهل الايمان بدليل قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا أي الشرك وهم المؤمنون والنجاة انما تكون بما
دخلت فيه يدل عليه ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المؤمنين
ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم وفي رواية فيلج النار الا تحلة القسم أخرجاه في الصحيحين أراد بالقسم
قوله تعالى وان منكم الاواردها (م) عن أم مبشر الانصارية أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند
حفصة لا يدخل النار ان شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة أحد من الذين يبيعون تحتها قالت بلى يا رسول الله
فانتهرها فقالت حفصة وان منكم الاواردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجي الذين
اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال خالد بن معدان يقول أهل الجنة ألم يعد نار بنان نرد النار فيقال بلى
ولكنكم مررت بها وهي خامدة وفي الحديث تقول النار للمؤمن جزيا مؤمن فقد أطفأ نورك هب وروى
عن مجاهد في قوله تعالى وان منكم الاواردها قال من حم من المسلمين فقد وردوها وفي الخبر الجي كبر من
جهنم وهي حظ المؤمن من النار (ق) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجي من فجع جهنم فابردوها
بالماء قوله فجع جهنم أي وهجها وحرها وقوله تعالى (كان على ربك حتما مقضيا) أي كان ورود جهنم قضاء
لازما قضاء الله تعالى عليكم وأوجبه (ثم ننجي الذين اتقوا) أي الشرك (ونذر الظالمين فيها جثيا) أي جميعا
وقيل جاثين على الركب قالت المعتزلة في الآية دليل على صحة مذهبهم في أن صاحب الكبيرة والفاسق يخلف في
النار بدليل أن الله بين أن الكل يردونها بين صفة من ينجمونها وهم المتقون والفاسق لا يكون متقيا
فبقي في النار أبدا وأوجب عنه بان المتقي هو الذي يتقى الشرك بقوله لا اله الا الله ويشهد لصحة ذلك أن من
آمن بالله ورسوله صح أن يقال انه متق من الشرك ومن صدق عليه انه متق من الشرك صح انه متق لان
المتقي جزء من المتق من الشرك ومن صدق عليه المرفد ثبت أن صاحب الكبيرة متق
واذا ثبت ذلك وجب أن يخرج من النار بعموم قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فصارت الآية التي توهمها
دليلا لهم من اقوى الدلائل على فساد قولهم وهذا من حيث البحث واما من حيث النص فقد وردت أحاديث
تدل على اخراج المؤمن الموحد من النار (خ) عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج من
النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن برة
من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من ايمان (ق) عن أبي
هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون في القمر ليلة البدر
ليس دونه سبحانه قالوا لا يا رسول الله قال هل تمارون في الشمس ليس دونه سبحانه قالوا لا يا رسول الله قال
فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول الله من كان يعبد شيئا فليتبع فمنهم من يتبع الشمس
ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت ويتبع هذه الامة فيها منافقوها فيأتهم الله فيقول أنار بكم
فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينار بنا فاذا جاء بنا عرفناه فيأتهم الله فيقول أنار بكم فيقولون أنت ربنا
فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهري جهنم فاكون أول من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم يومئذ الا
الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان
قالوا نعم قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تحطف الناس باعمالهم فمنهم من
يوقى بعمله ومنهم من ينجدها ثم ينجو حتى اذا أراد الله رجعة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن
يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بانوار السجود ورحم الله على النار أن تأكل أعضاء

(كان على ربك حتما مقضيا) اي وكان ورودهم واجبا كائنا محتوما والحنم مصدر حتم الامر اذا أوجبه فسمى به الموجب كقولهم ضرب الامير (ثم ننجي) وعلى بالتخفيف (الذين اتقوا) عن الشرك وهم المؤمنون (ونذر الظالمين فيها جثيا) فيه دليل على دخول الكل لانه قال ونذر ولم يقل وندخل والمذهب ان صاحب الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو لاحاله وقالت المرجئة الخبيثة لا يعاقب لان المعصية لا تضر مع الاسلام عندهم وقالت المعتزلة يخلد

السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصيب عليهم ماء الحياة فينبتون كما نبت الحبة في حبل السيل ثم يفرغ من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار فقد قسبني ريحها وأحرقني ذكائها فيقول هل عسيت أن أفعل ذلك بك إن تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطى الله ما شاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل به على الجنة رأى نكهتها وبهجتها سكت ما شاء الله تعالى أن يسكت ثم يقول يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول الله ليس قد أعطيت الموائيق والعهود أن لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يا رب لا أكون أشقى خلقك فيقول فما عسيت أن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره فيقول وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطى ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا بلغ بابها رأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فسكت ما شاء الله أن يسكت فيقول يا رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن آدم ما غدرك أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت فيقول يا رب لا تجعلني أشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه ثم يؤذن له في دخول الجنة فيقول له ممن فيمنى حتى إذا انقطعت أمنيته قال الله ممن كذا وكذا أقبل يذكره به حتى إذا انتهت به الاماني قال الله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد الخدري لابي هريرة وعشرة أمثاله قال أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قوله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد رضي الله تعالى عنه سمعته يقول لك ذلك وعشرة أمثاله وفي رواية للبخاري قال فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها فيقولون أنار بكم فيقولون نعم فبالله منك هذا ما كنا حتى يأتينا ربا فإذا آتانا عرفناه فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفونها فيقولون أنار بكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه قلت أما ما يتعلق بمعاني الحديث والكلام على الرؤية فسيأتي في تفسير سورة ن والقيامة وتسكاه ههنا على شرح غريب الفاظه قوله مثل شوك السعدان هونبت ذوشوك معقف وهو من أجود صراحي الابل وقوله فهم من يوبق بعمله يقال أو بقتة الذنوب أي أهلكته والمنجدل المرمى المصروع وقيل هو المقطع والمعنى أنه تقطعه كلاب الصراط حتى يقع في النار قوله وقد امتحشوا أي احترقوا وقيل هو أن تذهب النار الجاد وتبدي العظم قوله كما نبت الحبة في حبل السيل الحبة بكسر الحاء وهي البزورات جميعا وحبل السيل هو الزبد وما يلقى الماء على شاطئه قوله قسبني ريحها أي أذاني والقشب السم فكانه قال قد سبني ريحها قوله وأحرقني ذكائها أي اشتعلها وطهها قوله رأى زهرتها الزهرة الحسن والنضرة والبهجة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى لا علم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا لرجل يخرج من النار حيا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه انها ملائكة فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملائكة فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل اليه انها ملائكة فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملائكة فيقول الله تعالى اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو ان لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول أتسخر بي وأنت الملك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة قوله حتى بدت نواجذه أي اضراسه وأنيابه وقيل هي آخر الاسنان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا جمانا ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على أبواب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة من الماء فينبتون كما نبت الحبة في حبال السيل أخرجه الترمذي اللحم والقمح والحالة كل ما جاء به السيل فدللت الآية الاولى على ان الكل دخلوا النار ودلت الآية الثانية والاحاديث ان الله تعالى أخرجه من المؤمنين وجميع الموحدين وترك فيها الظالمين وهم المشركون ﴿ قوله تعالى (واذا تلى عليهم آياتنا بينات) أي دلائل واضحات (قال الذين كفروا) يعني النضر بن الحرث ومن دونه من كفار قريش (الذين آمنوا)

(واذا تلى عليهم آياتنا)
 أي القرآن (بينات)
 ظاهرات الاعجاز أو حججا
 وبراهين حال مؤكدة
 كقوله وهو الحق مصدقا
 إذ آيات الله لا تكون الا
 واضحة وحججا (قال الذين
 كفروا) أي مشركو
 قريش وقد رجعوا شعورهم
 ونكفوا في زيهم (الذين

أمنوا) للفقراء ورؤسهم شعثة وثيابهم خشنة (أى الفريقين) نحن أم أتم (خير مقاما) بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والمسكن وبالضم مكى وهو موضع الإقامة والمنزل (وأحسن نديا) مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاركة ومعنى الآية ان الله تعالى يقول اذا أنزلنا آية فيها دلائل وبراهين أعرضوا عن التدبر فيها الى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل والحال فقال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) فكم مفعول أهلكنا ومن تبين لابهامها أى كثير من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم (هم أحسن) فى محل نصب صفة لكم الأترى أنك لو تركت هم كان أحسن نصبا على الوصفية (أثانا) هو متاع البيت أو ما جدمن الفرش (ورثيا) منظر أو هيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت ور ياغير همزة مشددا نافع وابن عامر على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم الادغام أو من الرى الذى هو النعمة (قل من كان فى الضلالة) الكفر (فليمد له الرحمن مدا) جواب من لانها شرطية وهذا الامر بمعنى الخبر أى من كفر مدله الرحمن يعنى أهله وأملى له فى العمر ليزاد طغيانا وضلالا كقوله تعالى انما على لهم ليزدادوا انما وانما أخرج على لفظ الامر اذا نابو جوب ذلك وانه مفعول لامحالة كالماور به الممثل ليقطع معاذير الضلال (حتى اذا رأوا ما يوعدون) هى متصلة بقوله خير مقاما وأحسن نديا وما بينهما اعتراض أى لا يزالون يقولون هذا القول الى أن يشاهدوا الموعد ورأى عين (اما العذاب) فى الدنيا وهو تعذيب (٢٤٥) المسلمين اياهم بالقتل والامر (واما

الساعة) أى القيامة وما ينالهم من الخزي والتكال فهما بد لان مما يوعدون (فسيعلمون من هو شر مكانا) منزلا (وأضعف جندا) أعوانا وانصار أى حينئذ يعلمون ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا وأضعف جندا الاخير مقاما وأحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم وجازان متصل بما يليها والمعنى ان الذين فى الضلالة مدود لهم فى ضلالهم لا ينفكون عن ضلالهم الى أن يعاينوا نصره الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة وحتى هى التى يحكى

أمنوا) يعنى فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفى عيشهم خشونة وفى ثيابهم رثانة وكان المشركون يرجلون شهورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون أخثر ثيابهم (أى الفريقين خير مقاما) أى منزلا ومسكنا وهو موضع الإقامة (وأحسن نديا) أى مجلسا فاجابهم الله تعالى بقوله (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثانا) أى متاعا وأموالا وقيل أحسن ثيابا ولباسا (ورثيا) أى منظر من الرؤية (قل من كان فى الضلالة فليمد له الرحمن مدا) هذا امر بمعنى الخبر معناه يدعه فى طغيانه وبهله فى كفره (حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب) أى الاسر والقتل فى الدنيا (واما الساعة) يعنى القيامة فيدخلون النار (فسيعلمون) أى عند ذلك (من هو شر مكانا) أى منزلا (وأضعف جندا) أى أقل ناصرا والمعنى فسيعلمون أنهم خير وهم فى النار المؤمنون وهم فى الجنة وهذا رد عليهم فى قولهم أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا قوله عز وجل (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) أى ايماننا وابقانا على يقينهم (والباقيات الصالحات) أى الاذكار والاعمال الصالحة التى تبقى لصاحبها (خير عند ربك ثوابا وخير مردا) أى عاقبة ورجعنا قوله تعالى (أفرايت الذى كفر باياتنا) الآية (ق) عن خباب بن الارت قال كنت رجلا قينا فى الجاهلية وكان لى على العاص بن وائل السهمى دين فآتته أنقاضاه وفى رواية فعملت للعاص بن وائل السهمى سيفا فجنته أنقاضاه فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا كفر حتى يملك الله ثم تبعث قال وانى لبت ثم مبعوث قلت بلى قال دعنى حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت أفرايت الذى كفر باياتنا (وقال لاوتين مالا وولدا) الى قوله فردا القين الحداد فرد الله عليه بقوله (أطلع الغيب) قال ابن عباس معناه أنظر فى اللوح المحفوظ وقيل أعلم علم الغيب حتى يعلم أهوى الجنة أم لا (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) يعنى قال لاله الا الله محمد رسول الله وقيل يعنى عمل عملا صالحا قدمه وقيل عهد اليه انه يدخله الجنة

بعدها الجبل الأترى ان الجملة الشرطية واقعة بعدها وهى قوله اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) معطوف على موضع فليمد لوقوعه موقع الخبر تقديره من كان فى الضلالة مدا ويمدله الرحمن ويزيد أى يزيد فى ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين أى المؤمنين هدى ثباتا على الهداء أو يقينا وبصيرة بتوفيقه (والباقيات الصالحات) أعمال الآخرة كلها أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (خير عند ربك ثوابا) مما يستخر به الكفار (وخير مردا) أى مرجعنا وعاقبة نهمم بالكفار لانهم قالوا للمؤمنين أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (أفرايت الذى كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا) و بضم الواو وسكون اللام فى اربعة مواضع ههنا وفى الزخرف ونوح جزء على جمع ولد كاسدى أسداً وبمعنى الولد كالعرب فى العرب ولما كانت رؤية الاشياء طر يقا الى العلم بها وصحة الخبر عنها استعمالوا رأيت فى معنى أخبر والفاء أفادت التعقيب كانه قال أخبرا أيضا بقصة هذا الكافر واذ كر حديثه عقيب حديث أولئك وقوله لاوتين جواب قسم مضمرة (أطلع الغيب) من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى أعلاه الهمزة للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة أى انظر فى اللوح المحفوظ فرأى منيته (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) موثقا ان يؤتبه ذلك أو العهد كلمة الشهادة وعن الحسن نزلت فى الوليد بن المغيرة والمشهور انها فى العاص بن وائل فقد روى ان خباب بن الارت صاغ للعاص بن وائل حليا فاقضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعون

وان في الجنة ذهب وفضة فانا افضيك ثم فاني اوتي مالا وولدا حينئذ (كلا) ردع وتنبه على الخطأ هو محط فيما تصوره لنفسه فليرتدع عنه
 (سكتب ما يقول) أي قوله والمراد سنظاهرة وتعلمه انا كتبنا قوله لانه كما قال كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا ليه
 رقيب عتيد وهو كقوله اذا ما انتسبنا لم تاد في لثيمة أي علم وتبين بالانتساب أي لت بابن لثيمة (وعنده من العذاب) زبده من العذاب كما
 يزيد في الافتراء والاجترار من المديقال مده وأمه بمعنى (مدا) كالمصدر لفرط غضبه تعالى (ونثره ما يقول) أي نزوى عنه ما زعم انه يناله
 في الآخرة والمعنى مسمى ما يقول وهو المال والولد (ويأتينا فردا) حل أي بلا مال ولا ولد كقوله ولقد جثتمونا فرادى فما يجدي عليه تخيه
 وتاليه (واتخذوا من دون الله آلهة) أي اتخذ هؤلاء المشركون أصناما يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) أي ليعتزوا بالهتهم ويكونوا لهم شفعا
 وأنصارا ينفذونهم من العذاب (كلا) (٢٤٦) ردع لهم عما ظنوا (سيكفرون بعبادتهم) الضمير للاطه أي سيجمعون عبادتهم

(كلا) ردع عليه يعني لم يفعل ذلك (سكتب ما يقول) أي سكتب عليه ما يقول فنجاز به به في الآخرة وقيل
 يأمر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول (وعنده من العذاب مدا) أي زبده عذابا فوق العذاب وقيل تطيل مدة
 عذابه (ونثره ما يقول) معناه أي ما عنده من المال والولد باهلا كذا ياه وابطال ملكه وقيل يزول عنه ما عنده
 من مال وولد فيعود الارث الى من خلفه واذا سلب ذلك بقى فردا فذلك قوله (ويأتينا) يعني يوم القيامة
 (فردا) بلا مال ولا ولد فلا يصح ان يبعث في الآخرة بمال وولد ﴿ قوله تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة)
 يعني مشركي قريش اتخذوا الاصنام آلهة يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) أي منعة يعني يكونوا شفعا بمنعونهم
 من العذاب (كلا) أي ليس الامر كما زعموا (سيكفرون بعبادتهم) يعني تجحدوا الاصنام والآلهة التي كانوا
 يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤن منهم (ويكونون عليهم ضدا) أي أعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم
 وقيل أعداء لهم وكانوا أولياءهم في الدنيا ﴿ قوله عز وجل (ألم ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أي
 ساطنهم عليهم (تؤزهم أزا) أي تزعمهم ازعاجا من الطاعة الى المعصية والمعنى تختمهم وتخرضهم على المعاصي
 نحر يضاد بيدا وفي الآية دليل على ان الله تعالى مدبر لجميع الكائنات (فلانجمل عليهم) أي لانجمل بطلب
 عقوبتهم (انما نعد لهم عدا) يعني الليام والايام والشهور والاعوام وقيل الانفاس التي يتنفسونها في
 الدنيا الى الاجل الذي أجل لعذابهم ﴿ قوله تعالى (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) أي اذ كره لهم يا محمد
 اليوم الذي يجتمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته الى الجنة وفدا أي جماعات قال ابن عباس ركبانا قال أبو
 هريرة على الابل وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق
 رحاها من الذهب ونجائب سروجها يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت (ونسوق المجرمين)
 أي الكافرين (الى جهنم وردا) أي مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش والورد جماعة يردون
 الماء ولا يرد احد الا بعد العطش وقيل يساقون الى النار باهانة واستخفاف كأنهم نم عطاش نساق الى
 الماء (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم
 القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثمان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على
 بعير وتحشر معهم النار تقبل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتحمي
 معهم حيث أمسوا قوله تقبل معهم حيث قالوا من القيولة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفاء شاة وصنفار كبان وصنفاء على وجوههم قيل

ويشكرونها ويقولون
 والله ما عبدتمونا وأنتم
 كاذبون أو للمشركين أي
 ينكرون ان يكونوا قد
 عبدوها كقوله والله ربنا
 ما كنا مشركين
 (ويكونون) أي المعبودون
 (عليهم) على المشركين
 (ضدا) خصما لان الله تعالى
 ينطقهم فتقول يا رب عذب
 هؤلاء الذين عبدوا من
 دونك والضديقع على
 الواحد والجمع وهو في مقابلة
 لهم عزا والمراد ضد العز
 وهو الذل والظوان أي
 يكونون عليهم ضد الما
 قصده أي يكونون عليهم
 لا لهم عزا وان رجع الضمير
 في سيكفرون ويكونون
 الى المشركين فالمعنى
 ويكونون عليهم أي أعداؤهم
 ضدا أي كفرتهم بعد
 ان كانوا يعبدونها عجب
 نبيه عليه السلام بقوله (الم

ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أي خليناهم واياهم من أرسلت البعير أطلقته أو سلطانهم عليهم بالاغواء (تؤزهم يارسول
 أزا) تفر بهم على المعاصي اغراء والازواظراخوان ومعناها التهييج وشدة الازعاج (فلانجمل عليهم) بالعذاب (انما نعد لهم عدا) أي
 اعمالهم للجزاء وأنفاسهم للفناء وقرأها ابن السكالك عند المأمون فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فأسرع ماتت (يوم
 نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) ركبانا على نوق رحاها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت (ونسوق المجرمين) الكافرين سوق الانعام
 لانهم كانوا أضل من الانعام (الى جهنم وردا) عطاشا لان من يرد الماء لا يردده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء فيسمى به الواردون قالوا قد
 جمع وافد كركب وراكب والورد جمع وارد ونصب يوم محضر أي يوم نحشرون وسوق تفعل بالفر يقين مالا يوصف أي اذكر يوم نحشركم
 المتقون بانهم يجمعون الى ربهم الذي عمرهم برحمته كما يفد الوفود على الملوك تبجيلا لهم والكافرون بانهم مساقون الى النار كأنهم نم

عطاش يساقون الى الماء استخفافهم (لا يملكون الشفاعة) حال الواوان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز أن يكون علامة للجمع كالتي في أكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل من واو يملكون أو على الفاعلية أو نصب على تقدير حذف المضاف أي الشفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم (الامن اتخذ عند الرحمن عهدا) بان آمن في الحديث من قال لا اله الا الله كان له عند الله عهد وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم أي جزأ حدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة إني أعهد اليك باني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلي الى نفسي تقر بني من الشر وتباعدني من الخير واني لا أتق الا برحمتك فاجعل لي عهدا تو فينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كان لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة أو يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمر به أي لا يشفع الا الامور بالشفاعة المأذون له فيها (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) أي النصارى واليهود ومن زعم أن الملائكة بنات الله (لقد جئتم شيئا ادا) خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة وهو التفتات وأمر نبيه عليه السلام

(٢٤٧)

بأنه يقول لهم ذلك والاد الهجب أو العظيم المنكر والادة اشدة وأدنى الامر أثقلني وعظم على ادا (تكاد السموات) تقرب وبالياء نافع وعلى (يتفطرن) وبانون بصرى وشامى وحزة وخلف وأبو بكر الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شقه (منه) من عظم هذا القول (وتنشق الارض) تنخسف وتنفسل أجزاءها (وتنخر الجبال) تسقط (هدا) كسرا أو قطعاً أو هدماً والهداة صوت

يارسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشهم على وجوههم أما انهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك أخرجه الترمذي قوله عز وجل (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يعني لا اله الا الله وقيل لا يشفع الشافعون الا للمؤمنين وقيل لا يشفع الا لمن قال لا اله الا الله أي لا يشفع الا للمؤمنين (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) يعني اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله من العرب (لقد جئتم شيئا ادا) قال ابن عباس منكر او قيل معناه لقد قلتم قولاً عظيماً (تكاد السموات يتفطرن منه) من الانفطار وهو الشق (وتنشق الارض) أي تخسف بهم (وتنخر الجبال هدا) أي تسقط وتنطبق عليهم (أن دعوا) أي من أجل ان جعلوا (للرحمن ولدا) فان قلت مامعنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن أين تؤثر هذه الكلمة في هذه الجمادات قلت فيه وجهان أحدهما ان الله تعالى يقول كدت ان أفعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضباً مني على من تفوه بها لولا حمي واني لأعجل بالعقوبة الثاني أن يكون اسم مظاما للكلمة وتهوي الامن فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها الاركانه وقواعده قال ابن عباس فزعت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا اتخذ الله ولداً ثم نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) أي ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به لان الولد لا بد أن يكون شبيهاً بالوالد ولا يشبهه الله تعالى ولان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض لا تصح في الله تعالى من سرور به واستعانة وذكور جيل بعده وكل ذلك لا يليق بالله تعالى (ان كل من في السموات والارض الا آت الرحمن عبدا) أي آتية يوم القيامة عبداً لئلا خاضعاً والمعنى ان الخلائق كلهم عبيده (لقد أحصاهم وعددهم عدا) أي عداً انفسهم وأيامهم وآثارهم فلا يخفى عليه شيء من

الصاعقة من السماء وهو مصدر أي تهداهم من سماع قولهم أو مفعول له أو حال أي مهدودة (أن دعوا) لان سمو او محله جر بدل من الهاء في منه أو نصب مفعول له لعل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن أو رفع فاعل هدا أي هدها دعاؤهم (الرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) انبغى مطاوع بني اذا طلب أي ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلاً لانه محال غير داخل تحت الصحة وهذا لان اتخاذ الولد الحاجة ومجانسة وهو منزله عنهما وفي اختصاص الرحمن وتكريره كرات بيان انه الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره لان أصول النعم وفروعها منه فلينكشف عن بصر ك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فن أضاف اليه ولداً فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن (ان كل من) نسكرة موصوفة صفتها (في السموات والارض) وخبر كل (الات الرحمن) ووحداً آتية وآتية جلا على لفظ كل وهو اسم فاعل من آتية وهو مستقبل أي ياتيه (عبدا) حال أي خاضعاً لئلا منقاداً والمعنى ما كل من في السموات والارض من الملائكة والناس الا هو ياتي الله يوم القيامة مقر بالعبودية والعبودية والبنوة تنافيان حتى لو ملك الاب ابنه يمتق عليه ونسبة الجميع اليه نسبة العبد الى المولى فكيف يكون البعض ولداً والبعض عبداً وقرأ ابن مسعود آت الرحمن على أصله قبل الاضافة (لقد أحصاهم وعددهم عدا) أي حصرهم بعلمه وأحاط بهم

(وكلهم آتية يوم القيامة فردا) أي كل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا بلامال ولاولداو بلامعين ولاناصر (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) (٢٤٨) مودة في قلوب العباد قال الربيع بحبهم وبحبهم الى الناس وفي الحديث يعطى المؤمن

مقفة في قلوب الابرار ومهابة في قلوب الفجار وعن قتادة وهم ما أقبل العبد الى الله الا أقبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب ما يستقر لعبد نساء في الارض حتى يستقر له في السماء (فانما يسرناه) سهلنا القرآن (بلسانك) بلغتك حال (لتبشر به المتقين) المؤمنين (وتنذر به قومالدا) شدادا في الخصومة بالباطل أي الذين يأخذون في كل ليدأي شق من المراه والجدال جمع الدبر يديه أهل مكة (وكم أهلكتنا قبلهم من قرن) تخويف لهم وانذار (هل تحس منهم من أحد) أي هل تجد أو ترى أو تعلم والاحساس الادراك بالحاسة (أو تسمع لهم ركزا) صوتا خفيا ومنه الركاز أي لما أتاهم هذا بنالم يبق شخص يرى ولا صوت يسمع يعني هلكتوا كلهم فكذا هؤلاء ان أعرضوا عن نذير ما أنزل عليك فعاقبتهم الهلاك فليهن عليك أمرهم والله أعلم ﴿سورة طه صلى الله عليه وسلم مكية وهي مائة وخمس وثلاثون آية كوفي

أمورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته (وكلهم آتية يوم القيامة فردا) أي وحيد ليس معه من أحوال الدنيا شيء ﴿قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أي محبة قيل بحبهم الله تعالى وبحبهم الى عباد المؤمنين (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أحب الله سبحانه وتعالى عبد ادعاجبريل عليه السلام ان الله تعالى يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء ان الله يحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وفي رواية لمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا أحب عبد ادعاجبريل فقال اني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض واذا أبغض الله عبدا دعاجبريل عليه السلام فيقول اني أبغض فلانا فأبغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء ان الله يبغض فلانا فأبغضوه ثم يوضع له البغضاء في الارض قال هرم ابن حيان ما أقبل عبد بقلبه الى الله عز وجل الا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم وقال كعب مكتوب في التوراة لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداءها من الله عز وجل ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الارض وتصديق ذلك في القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا ﴿قوله تعالى (فانما يسرناه) أي سهلنا القرآن (بلسانك) يا محمد (لتبشر به المتقين) يعني المؤمنين (وتنذر به) أي بالقرآن (قومالدا) أي شدادا في الخصومة وقيل صماعن الحق وقيل الالذالظالم الذي لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدعي الباطل (وكم أهلكتنا قبلهم من قرن) ختم الله تعالى هذه السورة بموعظة بليغة لانهم اذا علموا وأيقنوا أنه لا بد من زوال الدنيا بالموت خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة في الآخرة فكانوا الى الحذر من المعاصي أقرب ثم أكد ذلك فقال تعالى (هل تحس منهم) أي هل ترى وقيل هل تجد منهم أي من القرون (من أحد أو تسمع لهم ركزا) أي صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا أثر والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة طه﴾

﴿وهي مكية وهي مائة وأربعون آية وألف وستمائة واحد وأربعون

كلمة وخمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفا﴾

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت السورة التي فيها البقرة من الذكر الاول وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى وأعطيت فوائح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصل نافذة النافذة الزيادة وفقنا الله لفهم ذلك

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (طه) قيل هو قسم أقسم الله بطوله وهدايته وقيل هو من أسماء الله فالطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادي وقيل معناه يارجل والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك يا انسان وقيل هو بالسريانية وقيل بالقبطية فعلى هذا يكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات في هذه الكلمة وقيل هو يا انسان بلغة عك وعك قبيلة من قبائل العرب وقيل معناه طأ الارض بتقديمك يربده في التهجيد وذلك لما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة اطول قيامه وكان يصلي الليل كله فانزل الله تعالى هذه الآية وأمره أن يخفف على نفسه فقال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وقيل لما رأى المشركون اجتهاد في العبادة قالوا ما أنزل عليك القرآن يا محمد الا لتشقتك

فتزات

﴿بسم الله الرحمن الرحيم طه﴾ تخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء أبو عمرو وأما طها حزة وعلى وخلف

وأبو بكر ونخهما على الاصل غيرهم وماروى عن مجاهد والحسن والضحاك وعطاء وغيرهم ان معناه يارجل فان صح فظاهر والا فالحق ما هو المذكور في سورة البقرة

(ما أنزلنا عليك القرآن) ان جعلت طه تعديد الاسماء الحروف فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت أن تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ والقرآن ظاهر اوقع موقع المضمرا لانها قرآن وأن يكون جوابا لها وهي قسم (لتشقى) لتتعب لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم ونحسرك على أن يؤمنوا أو بقيام الليل وانه روى انه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا أي ما نزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة (الاتذكرة) استثناء منقطع أي لكن أنزلناه تذكرة أحوال (لمن يخشى) لمن يخاف الله أو لمن يؤل أمره الى الخشية (تنزيلا) بدل من تذكرة اذا جعل حالا ويجوز أن ينتصب بنزل مضمرا أو على المدح أو يخشى مفعولا به أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله (عن خالق الارض والسماوات) من يتعلق بتنزيلا صلة له (العلي) جمع العلياء تأنيث الاعلى ووصف السماوات بالعلي دليل ظاهر على عظم قدرة خالقها (الرحمن) (٢٤٩) رفع على المدح أي هو الرحمن (على العرش) خبر مبتدأ

مخدوف (استوى) استولى عن الزجاج ونبه بذكر العرش وهو أعظم المخلوقات على غيره وقيل لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك ما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش أي ملك وان لم يقعد على السرير البتة وهذا كقولك بد فلان مبسوطة أي جواد وان لم يكن له يد رأسا والمنهيب قول على رضى الله عنه الاستواء غير مجهول والتكليف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة لانه تعالى كان ولا مكان فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان (له ما في السماوات وما في الارض) خبر ومبتدأ ومعطوف (وما

فزلقت) (ما أنزلنا عليك القرآن تشقى) أي لتتعب (الاتذكرة لمن يخشى) أي لكن أنزلناه عظة لمن يخشى وانما خص من يخشى بالتذكرة لانهم هم المنتفعون بها (تنزيلا عن خلق الارض والسماوات العلى) أي من الله الذي خلق الارض والسماوات العلية الرفيعة التي لا يقدر على خلقها في عظمها وعلوها الا الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) تقدم الكلام عليه في سورة الاعراف مستوفى (له ما في السماوات وما في الارض وما بينهما) يعني الهواء (وما تحت الثرى) أي انه مالك لجميع ما في الاربع الاقسام والثرى هو التراب الندى وقيل معناه ما وراء الثرى من شئ وقال ابن عباس ان الارضين على ظهر الثور والثور على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي الصخرة التي ذكرها الله تعالى في قصة لقمان والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ماتحت ذلك الثرى الا الله تعالى وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في جوفه يبست قوله تعالى (وان تجهر بالقول) أي تعلن به (فانه يعلم السر وأخفى) قال ابن عباس السر ما سر في نفسك وأخفى من السر ما يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك تعلم ما سر اليوم ولا تعلم ما سر غدا والله يعلم ما سررت به اليوم وما سررت به غدا وعنه ان السر ما سر به ابن آدم في نفسه وأخفى ما هو فاعله قبل أن يعلمه وقيل السر ما سره الرجل الى غيره وأخفى من ذلك ما سره في نفسه وقيل السر هو العمل الذي يسر من الناس وأخفى هو الوسوسة وقيل السر ان يعلم الله تعالى أسرار العباد وأخفى هو سره من عباده فلا يعلم أحد سره وقيل مقصود الآية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة فعلى هذا الوجه ينبغي أن يحمل السر والاختفاء على ما فيه ثواب أو عقاب فالسر هو الذي يسره المرء في نفسه من الامور التي عزم عليها والاختفاء هو الذي لم يبلغ حد العزيمة ثم وحده نفسه فقال تعالى (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) تأنيث الاحسن والذي فضلت به أسماءه في الحسن دون سائر الاسماء دلالتها على معنى التقديس والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن قوله عز وجل (وهل أتاك حديث موسى) أي وقد أتاك لما قدم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ففاه بقصة موسى عليه الصلاة والسلام ليتأسى به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود (اذ رأى نارا) وذلك ان موسى استأذن شعيبا في الرجوع من مدين الى مصر ليزور والدته وأخاه فاذن له فخرج باهله وماله وكانت أيام الشتاء

(٣٢ - (خازن - ثالث) بينهما) أي ذلك كله ملكه (وما تحت الثرى) ماتحت سبع الاراضين أو هو الصخرة التي تحت الارض السابعة (وان تجهر بالقول) ترفع صوتك (فانه يعلم السر) ما سررت به الى غيرك (وأخفى) منه وهو ما خطرته ببالك أو ما سررت به في نفسك وما سررت فيها (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) أي هو واحد بذاته وان افرقت عبارات صفاته رد لقولهم انك تدعوا آلهة حين سمعوا أسماءه تعالى والحسنى تأنيث الاحسن (وهل) أي وقد (أتاك حديث موسى) خبره ففاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به في تحمل اعباء النبوة بالصبر على المكاره ولينال الدرجة العليا كما ناله موسى (اذ رأى) ظرف لمضمر أي حين رأى (نارا) كان كيت وكيت أو مفعول به لاذ كرر روى ان موسى عليه السلام استأذن شعيبا في الخروج الى أمه وخرج باهله فولد له ابن في الطريق في ليلة مظلمة مثلحة وقد صل الصريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقد ح فصلد زنده فرأى عند ذلك نارا في زعمه وكان نورا

(فقال لاهلها امكنوا) اقيموا في مكانكم (اني آنت) ابصرت (بارا) والايناس رؤفة شئ يؤنس به (لعل آنيكم منها) نبي الامر على الرجاء
لتلا بعد ما ليس بمتيقن الوفاء به (يقبس) نار مقبس في رأس عود او قبيلة (أو أجد على النار هدى) ذوى هدى أو قوم ما يهدوننى الطريق
ومعنى الاستعلاء فى على النار ان أهل النار يستعملون المكان القريب منها (فلما آناها) أى النار وجدنا ناراً بيضاء تنوقد فى شجرة خضراء
من أسفلها الى أعلاها وكانت شجرة العناب أو العوسج ولم يجد عندها أحد أو روى انه كلما طلبها بعدت عنه فاذا تركها قربت منه ثم
(نودى) موسى (ياموسى انى) بكسر (٢٥٠) الهزرة أى نودى فليل ياموسى انى أولان النداء ضرب من القول فعمل

فأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامر أنه حامل فى شهرها لا يدري أليلا تضع أم نهارا فسار فى البرية
غير عارف بطريقها فالجأه المسير الى جانب الطور الغربى الايمن وذلك فى ليلة مظلمة مثلجة شتية شديدة البرد
لما أراد الله من كرامته فأخذ امرأته الطلق فأخذ زنده فجعل يقدح فلا يورى فأبصر ناراً من بعيد عن يسار
الطريق من جانب الطور (فقال لاهلها امكنوا) أى اقيموا (اني آنت ناراً) أى أبصرت ناراً (لعل آنيكم
منها يقبس) أى شعلة من نار فى طرف عود (أو أجد على النار هدى) أى أجد عند النار من يدلى على
الطريق (فلما آناها) أى أنى النار رأى شجرة خضراء من أعلاها الى أسفلها أطافت بها نار بيضاء تنقد
كأضواء ما يكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار قيل كانت الشجرة
ثمرة خضراء وقيل كانت من العوسج وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة من العناب روى ذلك عن
ابن عباس رقال أهل التفسير لم يكن الذى رآه موسى ناراً بل كان نوراً إذ كر بلفظ النار لان موسى عليه
الصلاة والسلام حسبه ناراً قال ابن عباس هو من نور الرب سبحانه وتعالى وقيل هى النار بعينها وهى إحدى
حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ما روى عن أبى موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حجابه
النار لو كشفها لاهلكت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه أخرجه مسلم قيل ان موسى أخذ شيئاً
من الخشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كما نادى نأت عنه واذا نأتى دنت منه فوقف متحيراً وسمع تسبيح
الملائكة وألقيت عليه السكينة فعند ذلك (نودى ياموسى انى انار بك) قال وهب نودى من الشجرة فقيل
ياموسى فأجاب سر يعاوما يدري من دعاه فقال انى أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت فقال أنا فوقك
ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك منك فعلم ان ذلك لا ينبغي الا لله تعالى فايقن به وقيل انه سمعه بكل
أجزائه حتى ان كل جارحة منه كانت أذناً ﴿وقوله﴾ (فأخضع نعليك) كان السبب فيه ما روى عن ابن مسعود
مر فوعانى قوله فأخضع نعليك قال كاتما من جلد حار ميت ويروى غير مدبوغ وانما أمر بخلعها ماصية
للوادى المقدس وقيل أمر بخلعها لياشر بقدميه تراب الارض المقدسة لتأله بركتها فانها قدس مرتين
نخلها موسى فأقامها من وراء الوادى (انك بالواد المقدس) أى المطهر (طوى) اسم للوادى الذى حصل
فيه وقيل طوى وادم مستدير عميق مثل المطوى فى استدارته (وأنا اخترتك) اصطفتك برسالتي وبكلامي
(فاستمع لما يوحى) فيه نهاية الهيبة والجلال له كأنه قال له لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له (اننى أنا الله لا اله الا
أنا فاعبدنى) ولا تعبد غيرى (وأقم الصلاة لذكري) أى لتذكري فيها وقيل لذكري خاصة لتشوبه بذكري
غيرى وقيل لاختصاص ذكري وطب وجهى ولا ترانى فيها ولا تقصد بها غرضاً آخر وقيل معناه اذا تركت
صلاة ثم ذكرتها فاقها (ق) عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة
فليصل اذا ذكرها لا كفاة لها الا ذلك وتلا فتادة وأقم الصلاة لذكري وفى رواية اذا رقد أحدكم عن الصلاة

معاملته وبالفتح مكى
وأبو عمرو وأى نودى باني
(انار بك) أنا مبتدأ أو
تأكيد أو فصل وكرر
الضمير لتحقيق المعرفة
واماطة الشبه روى انه لما
نودى ياموسى قال من
التكلم فقال الله عز وجل
انار بك فعرف انه كلام
الله عز وجل بانه سمعه من
جميع جهاته الست وسمعه
بجميع أعضائه (فأخضع
نعليك) انزعها لتصيب
قدميك بركة الوادى
المقدس أولانها كانت من
جلد حار ميت غير
مدبوغ أولان الحفوة تواضع
لله ومن ثم طاف السلف
بالكعبة حافين والقرآن
يدل على أن ذلك احترام
للبقعة وتعظيم لها فخلعها
وأقامها من وراء الوادى
(انك بالواد المقدس)
المطهر أو المبارك (طوى)
حيث كان منون شامى
وكوفى لانه اسم علم للوادى
وهو يدل منه وغسبهم

بغير تنوين بتأويل البقعة وقرأ أبو زيد بكسر الطاء بلاتنوين (وأنا اخترتك) اصطفتك للنسوة وأنا اخترتك حمزة
(فاستمع لما يوحى) اليك لذى يوحى أو الواسى واللام يتعلق باستمع أو باخترتك (اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى) وحدنى وأطعننى (وأقم الصلاة
لذكري) لتذكري فيها لاشتغال الصلاة على الاذكار وألانى ذكركها فى الكتب وأمرت بها أولان أذكرك بالمدح والثناء وأول ذكري خاصة
تشوبه بذكري غيرى أولان يكون لى ذا كرا غير ناس أولان ذكركها فى الصلاة ليقوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوراً
وقد حل على ذكركه لانه بعد نسيانها وذا يصح بتقدير حذف المضاف أى لذكري صلاتى وهذا دليل على انه لا فرق بينة بعد التوحيد أعظم منها

(ان الساعة آتية) لا محالة (أ كاد) أريد عن الاخفش وقيل صلة (أخفيها) قيل هو من الاضداد أي أظهرها وأسترها عن العباد فلا أقول هي آتية لا راد في اخفائها ولولا ما في الاخبار بانها مع نعمة وقتها من الحكمة وهو انهم اذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها في كل وقت لما أخبرت به (لجزى) متعلق بآتية (كل نفس بما تسعى) بسعيها من خير أو شر (فلا يصدنك عنها) فلا يصدرك عن العمل للساعة أو عن قامة الصلاة أو عن الايمان بالقيامة فالخطاب لموسى والمراد به أمته (من لا يؤمن بها) لا يصدق بها (واتبع هواه) في مخالفة أمره (فتردى) فتهلك (وما تلك بيمينك يا موسى) ما مبتدأ وتلك خبره وهي بمعنى هذه ويمينك حال عمل فيها معنى الاشارة أي قارة أو ما خوذت بيمينك أو تلك موصول صلته بيمينك والسؤال للتنبية لتمع المعجزة بها بعد التثبيت أو للتوطين لثلا (٢٥١) بهول انقلابها حية أو للانسان

ورفع الهيبة للكاملة (قال) وهي عصا أتوكأ عليها) أعتد عليها اذا أعتيت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة (وأهش بها على غنمي) اخبط ورق الشجر على غنمي لتأكل (ولي فيها) حفص (ما رب) جمع مأربة بالحركات الثلاث وهي الحاجة (أخرى) والقياس آخر وإنما قال أخرى ردا الى الجماعة أولسني الآي وكذا الكبرى ولما ذكر بعضها شكرا أجل الباقي حياء من التطويل أو يسال عنها الملك العلام فيزيد في الاكرام والمآرب الاخر انها كانت تماشيه وتحدته وتحارب العدو والسباع وتصبر رشاء فتطول بطول البثور وتصبر شعبتها دلوا وتكونان شمعتين بالليل وتحمل زاده وبركزها فتشمر ثمره يشتهها وبركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب

أو غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول وأقم الصلاة لذكري (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) قال أكثر المفسرين معناه أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وكيف أظهرها لكم ذلك على عادة العرب اذا بالغوا في الكتمان للشئ يقولون كتمت سر في نفسي أي أخفيته غاية الاخفاء والله تعالى لا يخفي عليه شئ والمعنى في اخفائها التهويل والتخويف لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى في اخفاء وقت الموت على الانسان لانه اذا عرف وقت موته وانقضاء أجله اشتغل بالمعاصي الى أن يقرب من ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب المعاصي بتعريف وقت الموت وانه اذا لم يعرف وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصي أو يتوب منها في كل وقت مخافة معاجلة الاجل ﴿قوله تعالى﴾ (لجزى كل نفس بما تسعى) أي بما تعمل من خير أو شر (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها) أي فلا يصدرك عن الايمان بالساعة ومحبتها من لا يؤمن بها (واتبع هواه) أي مراده وخالف أمر الله (فتردى) أي فتهلك ﴿قوله عز وجل﴾ (وما تلك بيمينك يا موسى) سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيهه وتوقيفه على انها عصي حتى اذا قلبها حية علم انها معجزة عظيمة (قال هي عصا) قيل كان لها شعبتان وفي أسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة (أتوكأ عليها) أي أعتد عليها اذا مشيت واذا عيت وعند الوتة (وأهش بها على غنمي) أي أضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم (ولي فيها ما رب أخرى) أي حاجة ومنافع أخرى وأراد بالمآرب ما كان يستعمل فيه العصا في السفر فكان يحملها الزاد ويشدها الحبل ويستقي بها الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا قعد وروى عن ابن عباس ان موسى كان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه وتحدته وكان يضرب بها الارض فيخرج له ما يأكل يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكان اذا انتهى ثمره ركزها فتصير غصن تلك الشجرة وتورق وتثمر واذا أراد الاستقاء من البئر اذلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتها كدلو حتى يستقي وكانت تضيء بالليل كالسراج واذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه (قال) الله تعالى (ألقها يا موسى) أي انبذها واطرحها قال وهب ظن موسى أنه يقول ارفضها (فالقها) أي فطرحها على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة (فاذا هي حية) صفراء من أعظم ما يكون من الحيات (تسمى) أي تسمى بسرعة على بطنها وقال في موضع آخر كانها جان وهي الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال في موضع آخر كانها ثعبان وهو أكبر ما يكون من الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير والصغير والذ كروالتي فالجان عبارة عن ابتداء حالها فانها كانت حية على قدر العصا ثم تورم وفتفخ حتى صارت ثعبانا وهو انتهاء حالها وقيل انها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن اسحق نظر موسى فاذا العصا حية من أعظم ما يكون

وكانت تقيه الهوام والزياة على الجواب لتعداد النعم شكرا أولانها جواب سؤال آخر لانه لما قال هي عصا قيل له ما تصنع بها فاخذ يعدد منافعها (قال ألقها يا موسى) اطرح عصاك لتفزع مما تنكئ عليه فلا تسكن الابنا وترى فيها كنه ما فيها من الماء فتعتمد علينا في المطالب (فالقها) فطرحها (فاذا هي حية تسمى) تسمى سر يعا قيل انقلب ثعبانا يتلع الصخر والشجرة فلما رآها ابتلع كل شئ خاف وانما وصف بالحية هنا وبالثعبان وهو العظيم من الحيات وبالجان وهو الدقيق في غيرها لان الحية اسم جنس يقع على الذ كروالتي والصغير والكبير وجزاء أن تنقلب حية صفراء دقيقة ثم يتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان أول حالها وبالثعبان ما لها أولانها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان وقيل كان بين حياها أربعون ذراعا ولما

(قال) له رب (خذها ولا تخف) بلغ من ذهاب خوفه ان أدخل يده في فيها وأخذ بلحبيها (سنعيدها) من ردها (سيرتها الاولى) ثابت الاول
 والسيرة الحالة التي يكون عايبها الانسان غريزية كانت أو مكتسبة وهي في الاصل فمئة من السير كالركبة من الركوب ثم استعملت بمعنى الحالة
 والطريقة واتصبت على الظرف أي سنعيدها في طريقها الاولى أي في حالها كانت عصا والمعنى نردها عصا كما كانت وارى ذلك موسى
 عند المخاطبة لثلايفزع منها اذا انقلبت حية عند فرعون ثم نبه على آية أخرى فقال (واضمم يدك الى جناحك) الى جنبك تحت العضد
 وجناح الانسان جنباه والاصل المستعار (٢٥٢) منه جناح الطائر رسميا جناحين لانه يجتمعها أي يميلها عند الطيران والمعنى ادخلها

من الحيات وصارت شعبتها شديقين لها والمخجن عنقا وعرفا يهز كالنيازك وعيناها يتقدان كالنار تمر
 بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلتمها وتقصف الشجرة العظيمة بانباها و يسمع لانباها صريفا
 عظيما فلما عاين ذلك موسى ولى مدبر او هرب ثم ذكر به فوقف استحياء منه ثم نودي يا موسى اقبل وارجع
 حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف (قال خذها) أي يمينك (ولا تخف) قيل كان خوفه لما عرف ما لقي
 آدم من الحية وقيل لما قال له رب لا تخف بلغ من طمأنينة نفسه وذهاب الخوف عنه ان أدخل يده في فيها وأخذ
 بلحبيها (سنعيدها سيرتها الاولى) أي الى هيتها فنردها عصا كما كانت وقيل كان على موسى مدرعة صوف
 قد دخلها بعد فلما قال الله تعالى له خذها ف طرف المدرعة على يده فأمره الله تعالى أن يكشف يده فكشفها
 وذكر بعضهم انه لما لم المدرعة على يده قال له ملك أرايت لو أمر الله بما تحاذره أ كانت المدرعة
 تغني عنك شيأ قال لا ولكني ضعيف من ضعف خلقت قال فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فاذا هي
 عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي كان يضعها اذا توكأ قال المفسرون أراد الله تعالى أن يرى
 موسى ما أعطاه من الآيات التي لا يقدر عليها مخلوق ولثلايفزع منها اذا ألقاها عند فرعون ﴿ قوله تعالى
 (واضمم يدك الى جناحك) أي الى ابطنك وقيل تحت عضدك (تخرج بيضاء) أي نيرة مشرقة (من غير
 سوء) أي من غير عيب والسوء ههنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار
 كضوء الشمس والقمر (آية أخرى) أي دلالة أخرى على صدق سوى العصا (لنريك من آياتنا الكبرى)
 قال ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته ﴿ قوله عز وجل (اذهب الى فرعون انه طغى) أي جاوز الحد في
 العصيان والتمرد وانما خص فرعون بالذكرة مع أن موسى كان مبعوثا الى الكل لانه ادعى الالهية وتكبر
 وكان متبوعا فكان ذكره الاولى قال رهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق
 برسالتى وانك بعينى وسمعى وان معك يدي وبصرى وانى ألسنك حجة من سلطاني تستكمل بها القوة في
 أمرى بعثتك الى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمى وأمن مكرى حتى يجحد حقى وأنكر ربى وبنى وأنى أقسم
 بعزتى لولا الحجة التي وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار ولكن هان على وسقط من عيني قبلته
 رسالتى وادعه الى عبادتى وحذره تقمى وقل له قول لا يذرا لا يفتربلباس الدنيا فان ناصبته يدي ولا يتنفس الا
 بعلمى قال فسكت موسى فجاءه ملك وقال له أجب ربك (قال) يعنى موسى (رب اشرح لى صدرى) أي وسعه
 للحق قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا شوكته
 وكثرة جنوده فكان يضيق بما كان من مقاومة فرعون وحده فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم
 ان أحدا لا يقدر على مضرتة الا باذن الله تعالى واذا علم ذلك لم يخف من فرعون وثدة شوكتة وكثرة جنوده
 (ويسرلى أمرى) أي سهل على ما أمرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون (واحلل عقدة من لساني) وذلك

تحت عضدك (تخرج بيضاء)
 لها شعاع كشعاع الشمس
 يعنى البصر (من غير
 سوء) برص (آية أخرى)
 لنبتك بيضاء وآية حالان
 معا ومن غير سوء صلة
 بيضاء كقولك ابيضت من
 غير سوء وجازان ينتصب
 آية بفعل محذوف يتعلق به
 الامر (لنريك من آياتنا
 الكبرى) أي خذ هذه الآية
 أيضا بعد قلب العصا حية
 لنريك بهاتين الآيتين
 بعض آياتنا الكبرى
 والعظمى أو نريك بهما
 الكبرى من آياتنا والمعنى
 فعلنا ذلك لنريك من آياتنا
 الكبرى (اذهب الى
 فرعون انه طغى) جاوز حد
 العبودية الى دعوى
 الربوبية ولما أمره
 بالذهاب الى فرعون الطاغى
 وعرف انه كاف أمر اعظما
 يحتاج الى صدر فسيح
 (قال رب اشرح لى صدرى)
 وسعه ليحتمل الوحي
 والشاق ووردى الاخلاق

من فرعون وجنده (ويسرلى أمرى) وسهل على ما أمرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون وشرح لى صدرى أكد ان
 من اشرح صدرى لانه تكرر بالمعنى الواحد من طريق الاجال والتفصيل لانه بقول اشرح لى ويسرلى علم ان ثمة مشروحا ويسرلى
 الابهام يذكرا الصدر والامر (واحلل) افتح (عقدة من لساني) وكان في لسانه رنة للجمره التي وضعها على لسانه في صباه وذلك ان موسى
 اخذ لية فرعون ولطمه لطمه شديدا في صغره فاراد قتله فقالت آسية ابها الملك انه صغير لا يعقل فجعلت في طشت نار اوفى طشت بواقيت
 ووضعها لى موسى ففعلت بواقيت فأمال الملك يده الى النار فرفم جرة فوضعها على لسانه فاحترق لسانه فصارت لسانه وروى ان

احترقت واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ولم ادعاه قال الى أي رب تدعوني قال الى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنها ومن اساني صفة لعقدة كأنه قيل عقدة من عقد اساني وهذا يشعر بأنه لم تزل العقدة بكاملها وأكثرهم على ذهاب جميعها (يفقهوا قولي) عند تبليغ الرسالة (واجعل لي وزيراً) ظهر الاعتماد عليه من الوزير الثقيل لانه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنته أو من الوزير اللجأ لان الملك يعتصم برأيه ويلتجى اليه في أموره أو معيناً من الموازنة وهي المعاونة فوزير امفعول أول لاجعل والثاني (من أهلي) أول وزير امفعولاه وقوله (هرون) عطف بيان لوزير وقوله (أخي) بدل أو عطف بيان آخر وزير او هرون مفعولاه وقدم ثانياً على أولها معناية باسم الوزارة (أشدد به أزرى) قوبه ظهري وقيل الازر القوة (وأشركه في أمري) اجعله شريكاً في النبوة والرسالة واشددوا شركه على حكاية النفس شامياً على الجواب والباقون على الدعاء والسؤال (كي نسبحك) نصلي لك وننزهك تسبيحاً (كثيراً ونذكرك كثيراً) في الصلوات وخارجها (انك كنت بنا بصيراً) عالماً بأحوالنا فاجابه الله تعالى حيث (قال قدأوتيت سؤالك يا موسى) أعطيت

(٢٥٣)

مسؤولك فالسؤال الطلبة فعل بمعنى مفعول
 تكبر بمعنى مخبور سولك
 بلاهزأ بو عمرو (لقد مننا)
 أنعمنا (عليك مرة) كرة
 (أخرى) قبل هذه ثم فسرها
 فقال (اذ أوحينا الى
 أمك ما يوحى) الهاماً أو مناماً
 حين ولدت وكان فرعون
 يقتل أمثالك واذ ظرف
 لمنام فسرها يوحى بقوله
 (ان اقدفيه) القيه (في
 التابوت) وان مفسرة
 لان الوحي بمعنى القول
 (فاقدفيه في اليم) النيل
 (قليلقه اليم بالساحل)
 الجانب وسخى ساحل لان
 الماء يسحله أي يقشره
 والصيغة أمر ليناسب ما
 تقدم ومعناه الاخبارأرى
 يلقيه اليم بالساحل (ياخذ
 عدولى وعدوله) يعنى
 فرعون والضائر كلها
 راجعة الى موسى ورجوع

ان موسى كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمته وأخذ بلحيتته فقال فرعون لامرته
 آسية ان هذا عدوى وأراد ان يقتله فقالت له آسية انه صبي لا يعقل وقيل ان أم موسى لما فطمته ردتته الى فرعون
 فذسأ في حجره وحجر امرأته يربيه واتخذاه ولدافينها هو يلعب بين يدي فرعون ويده قضيب اذ رفعه
 فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير منه حتى هم بقتله فقالت آسية أمها الملك انه صبي لا يعقل جوبه
 ان شئت جاءت بطشتين في أحدهما جروفي الآخر جوهر فوضه هما بين يدي موسى فاراد أن ياخذ الجوهر
 فاخذ جبريل يد موسى فوضه على الجرف فاخذ جرة فوضه في فيه فاحترق لسانه وصارت فيه عقدة (يفقهوا
 قولي) أي احال العقدة كي يفهموا قولي (واجعل لي وزيراً من أهلي) معيناً وظهرها والوزير من يوازر
 ويحمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال (هرون أخي) وكان هرون أكبر من موسى وأفصح لساناً
 وأجل وأوسم وكان أبيض اللون وكان موسى آدم أفتى جعداً (أشدد به أزرى) أي قوبه ظهري (وأشركه
 في أمري) أي في امر النبوة وتبليغ الرسالة كي نسبحك كثيراً أي نصلي لك كثيراً (ونذكرك كثيراً) أي
 نحمدك ونثنى عليك بما أوليتنا من جيل نعمك (انك كنت بنا بصيراً) أي خبيراً عليماً (قال) الله تعالى (قد
 أوتيت سؤالك يا موسى) أي أعطيت جميع ما سألته (ولقد مننا عليك مرة أخرى) أي قبل هذه المرة ثم بين
 تلك المنة بقوله تعالى (اذ أوحينا الى أمك ما يوحى) أي ما يلهمهم ثم فسر ذلك الالهام وعدد نعمه عليه فقال (ان
 اقدفيه في التابوت) أي ألهمناها أن اجعليه في التابوت (فاقدفيه في اليم) يعنى نهر النيل (قليلقه اليم
 بالساحل) يعنى شاطئ البحر (ياخذ عدولى وعدوله) يعنى فرعون فاخذت تابوتنا وجعلت فيه قطننا
 ووضعت فيه موسى وقبرت رأسه وشقوقه ثم ألقته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فبينما
 فرعون جالس على البركة مع امرأته آسية اذا هو بتابوت يحيى به الماء فامر الغلمان والجواري باخراجه
 فاخرجوه وفتحوا رأسه فاذا بصبي من أصبح الناس وجهها فامراه فرعون أحبه بحيث لم يتالك نفسه وعقله
 فذلك قوله تعالى (والقيت عليك محبة منى) قال ابن عباس أحبه وحببه الى خلقه قيل ماراه أحد الأوجه
 لملاحه كانت في عيني موسى (ولتصنع على عيني) لتربى ويحسن اليك وانما امرأعك ومراقبك كما راعى
 الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى به ونظر اليه (اذ تمشى أختك) واسمها مريم متعرفة خبره (فتقول هل أدلكم على

بعضها اليه و بعضها الى التابوت يفضى الى تنائر النظم والمقذوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان هو التابوت لكن موسى في جوف
 التابوت روى أنها جعلت في التابوت قطناً محلو جافوضته فيه وقبرته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينما هو
 جالس على رأس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا بصبي أصبح الناس وجهها فاحبه فرعون حباً شديداً فذلك قوله
 (والقيت عليك محبة منى) بتعلق منى بالقيت يعنى انى احببتك ومن أحبه الله أحبه القلوب فاراه أحد الأوجه قال قتادة كان في عيني
 موسى ملاحه ماراه أحد الأوجه (ولتصنع) معطوف على محذوف تقديره والقيت عليك محبة لتحب ولتصنع (على عيني) أي
 بالتربى برأى منى وأصله من صنع الفرس أي احسن القيام عليه يعنى انما امرأعك ومراقبك كما راعى الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى
 به ولتصنع بسكون اللام والجزم يزيد على انه امر منه (اذ تمشى) بدل من اذا وحيناً لان مشى أخته كان منته عليه (أختك فتقول هل
 أدلكم على

من يكفله) روى ان اخته مريم جاءت متعرفة خبره فصادفهم يطلبون له مرضعة يقبل نديها وكان لا يقبل ندى امرأة فقالت هل أدلكم على من يضمه الى نفسه فبريه وأرادت بذلك المرضعة الام وتذ كير القمل للفظ من فقالوا نعم فجاءت بالام فقبل نديها وذلك قوله (فرجعناك) فرددناك (الى أمك) كما وعدناها بقولنا ان ارادوه اليك (كي تفرعيناها) بلقائك (ولا تحزن) على فراقك (وقلت نفسا) قبطيا كافر (فنجيناك من الغم) من القود قيل الغم القتل بلغة قريش وقيل اغتم بسب القتل خوفا من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى ونجاه من فرعون بان ذهب به من مصر الى مدين (وفتناك فتونا) ابتليناك ابتلاء بايقاعك فى المحن وتخليصك منها (٢٥٤) والفتون مصدر كالقعود أوجع فتنة أى فتناك ضرربا من الفتن والفتنة المحنة وكل

من يكفله) أى على امرأة ترضعه وتضمه اليها وذلك انه كان لا يقبل ندى امرأة فلما قالت لهم أخته ذلك قالوا نعم فجاءت بالام فقبل نديها فذلك قوله تعالى (فرجعناك الى أمك كي تفرعيناها) أى بلقائك ورؤيتك (ولا تحزن) أى وليذهب عنها الحزن (وقلت نفسا) قال ابن عباس كان قتل قبطيا كافر اقبل كان عمره اذذاك اثنتى عشرة سنة (فنجيناك من الغم) أى من غم القتل وكر به (وفتناك فتونا) قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الفتون وقوعه فى محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى منها وأوطأ ان أمه حملته فى السنة التى كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه فى البحر فى التابوت ثم منعه من الرضاع الا من ندى أمه ثم أخذته بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطى وخروجه الى مدين خائفا (فلبثت) أى مكثت (سنين فى أهل مدين) هى بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر قال اليهاموسى قال وهب لبث موسى عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها يرمى الغنم مهر زوجته صفوراء ابنة شعيب وثمان عشرة سنة أقام عنده بعد ذلك حتى ولد له وخرج من مصر ابن اثنتى عشرة سنة هاربا (ثم جئت على قدر يا موسى) أى جئت على القدر الذى قدرت أن تحبى فيه قيل على رأس أربعين سنة وهو القدر الذى يوحى الى الانبياء فيه (واصطنعتك لنفسى) أى اخترتك واصطفيتك لوحى ورسالتى لتصرف على ارادتى ومحبتى وذلك ان قيامه بأداء الرسالة تصرف على ارادة الله ومحبتة وقيل معناه اخترتك لامرى وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بينى وبين خلقى كأتى الذى أقت عليهم الحجية وخاطبتهم (اذهب أنت وأخوك بأبائى) أى بدلائلى قال ابن عباس يعنى الآيات التسع التى بعث بها موسى عليه السلام (ولا تنيا) أى لا تضعوا قبيل لانفرا ولا تقصرا (فى ذكركى) أى لا تقصرا فى ذكركى بالاحسان اليكما والانعام عليكما ومن ذكركى النعمة شكرها (اذهبا الى فرعون انه طغى فقولاه قولالينا) أى داريا وارقابه قال ابن عباس لا تعنفا فى قولكما وقيل كنياه فقولاه يا أبا العباس وقيل يا أبا الوليد وقيل أراد بالقول اللين قوله هل لك الى أن تزكى الآبة وقيل انما أمرهما بالاطافة لما له من حق تر بية موسى وقيل عداؤه على قبول الايمان شبابا لا يهرم وملاكا لا ينزع منه الا بالموت ونبتى عليه لذة الطعام والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فلما أتاه موسى ووعدته بذلك أعجبه وكان لا يقطع أمرادون هاما وكان غائبا فلما قدم أخبره بالذى دعاه اليه موسى وقال أردت أن أقبل منه فقال له هاما كنت أرى أن لك عقلا ورأيا أنت رب تر يد أن تكون مريوبا وأنت تعبد تر يدان تعبد فقال فرعون صواب ما قلت فقلبه على رأيه وكان هرون بمصر فامر الله موسى أن يأتى هرون وأوحى الله الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى فلتقاه الى مرحلة وأخبره بما أوحى اليه وقوله تعالى (لعله يتذكر أو يخشى) أى يتعظ ويخاف فيسلم فان قلت كيف قال لعله يتذكر

ما يتلى الله به عبادة فتنة ونبأوكم بالشر والخير فتنة (فلبثت سنين فى أهل مدين) هى بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر قال وهب لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر منها مهر اصفوراء وأقام عنده ثمان عشرة سنة بعدها حتى ولد له أولاد (ثم جئت على قدر يا موسى) أى موعده ومقدار الرسالة وهو أربعون سنة (واصطنعتك لنفسى) اخترتك واصطفيتك لوحى ورسالتى لتصرف على ارادتى ومحبتى قال الزجاج اخترتك لامرى وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بينى وبين خلقى كأتى أقت عليهم الحجية وخاطبتهم (اذهب أنت وأخوك بأبائى) بمجزأتى (ولا تنيا) تقصرا من الوفى وهو القصور والتقصير (فى ذكركى) أى اتخذ ذكركى

جناحا تطيران به أو أريد بالذكري تبليغ الرسالة فالذكري يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أعظمها (اذهبا الى فرعون) وقد كرر لان الاول مطلق والثانى مقيد (انه طغى) جاوز الحد بادعائه الربوبية (فقولاه قولالينا) الطفاله فى القول لما له من حق تر بية موسى أو كنياه وهو من ذوى الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو ممره وأعداه شبابا لا يهرم بعده وملاكا لا ينزع عنه الا بالموت وهو قوله هل لك الى أن تزكى وأهدبك الى ربك فتخشى فظاهره الاستفهام والمشورة (لعله يتذكر) أى يتعظ ويتأمل فيذعن للعنى (أو يخشى) أى يخاف أن يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة وانما قال لعله يتذكر مع علمه انه لا يتذكر لان الترجي لها أى اذها على ربانكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من بطمع أن يسمع عمله وجدوى ارساله لما اليه مع العلم بأنه لن يؤمن الزام الحجية وقطع المعذرة وقيل معناه لعله

يتذكر متذكراً أو يخشى خاش وقد كان ذلك من كثير من الناس وقيل لعل من الله تعالى واجب وقد تذكروا لكن حين لم ينفعه التذكر
وقيل تذكروا فرعون وخشى وأراد اتباع موسى فخنعه همامان وكان لا يقطع أمرادونه وتليت عند يحيى بن معاذ فبكي وقال هذا رفقك بمن يقول
أنا له فكيف بمن قال أنت الإله وهذا رفقك بمن قال أنار بك الأعلى فكيف بمن قال سبحان ربي الأعلى (قال ابن الأثير) أنا نخاف أن يفرط علينا
يجعل علينا بالعقوبة ومنه الفارط يقال فرط عليه أي عجل (أو أن يطنى) يجاوز الحد في الإساءة إلينا (قال لا تخافا نتي معكما) أي حافظكما
وناصركما (أسمع) أقوالكم (وأرى) أفعالكم قال ابن عباس رضي الله عنهما أسمع دعاء كما فاجيبه وأرى ما يراد بك كما فامنع لست بغافل عنكما
فلاتهما (فأتياه) أي فرعون (فقولا أنا رسول ربك) إليك (فارسل معنابني) (٢٥٥) اسرائيل) أي أطلقهم عن الاستعباد

والاسترقاق (ولاتعذبهم)
بتكليف المشاق (قد
جئناك بأية من ربك)
محجة على صدق ما دعينا
وهذه الجملة جارية من
الجملة الأولى وهي أنا
رسول ربك مجرى البيان
والتفسير والتفصيل لان
دعوى الرسالة لا تثبت الا
ببينتها وهي الحجىء بالآى
فقال فرعون وماهى
فاخرج يده لها شعاع
كشعاع الشمس (والسلام
على من اتبع الهدى) أي
سلم من العذاب من أسلم
وليس بتحية وقيل وسلام
الملائكة الذين هم خزنة
الجنة على المهتدين (انا قد
أوحى إلينا العذاب)
في الدنيا والعقبى (على من
كذب) بالرسول (وتولى)
أعرض عن الإيمان وهي
أرجى آى القرآن لانه

وقد سبق في علمه انه لا يتذكر ولا يسلم قلت معناه اذ هب على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء أمر كما وقيل
هو الزام الحجة وقطع المعذرة كقوله تعالى ولو أنا أهل كناهم بعداب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلنا إليك
رسولاً لتتبع آياتك وقيل هو ينصرف الى غير فرعون مجازة لعله يتذكر متذكراً أو يخشى خاش اذا رأى
برى والطافى بمن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد تذكروا فرعون وخشى
حين لم تنفعه الذكري والخشية وذلك حين أجه الغرق وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ الرازى فقولا له قولنا
الآية فبكي يحيى وقال الهى هذا رفقك بمن يقول أنا الإله فكيف رفقك بمن يقول أنت الإله (قالا) يعنى موسى
وهرون (ربنا نتخاف أن يفرط علينا) قال ابن عباس يجعل علينا بالقتل والعقوبة (أو أن يطنى) أي
يجاوز الحد في الإساءة إلينا (قال) الله تعالى (لاتخافا نتي معكما أسمع وأرى) قال ابن عباس اسمع دعاء كما
فأجيبه وأرى ما يراد بك كما فامنع لست بغافل عنكما فلاتهما (فأتياه فقولا أنا رسول ربك) أي أرسلنا إليك
ربك (فارسل معنابني اسرائيل) أي خل عنهم وأطلقهم من أعمالك (ولاتعذبهم) أي لاتعذبهم في العمل
وكان فرعون يستعملهم في الأعمال الشاقة كالبناء وقطع الضحور مع قتل الولدان وغير ذلك (قد جئناك
بأية من ربك) قال فرعون وماهى فخرج موسى يده شعاع كشعاع الشمس وقيل معناه قد جئناك بمجزة
وبرهان يدل على صدقنا على ما دعينا من الرسالة (والسلام على من اتبع الهدى) ليس المراد منه سلام
التحية بل انما معناه سلم من العذاب من أسلم (انا قد أوحى إلينا العذاب على من كذب وتولى) أي انما
يعذب الله من كذب بما جئنا به وأعرض عنه (قال) يعنى فرعون (فنر بكما يا موسى) أي فن الحكماء الذى
أرسلكما (قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) أي كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به وقيل أعطى
كل شئ صلاحه وهداه وقيل أعطى كل شئ صورته نخلق اليد للبطن والرجل للشئ واللسان للنطق والعين
للنظر والاذن للسمع ثم هداه الى منافع من المطعم والمشرب والمنكح وقيل يعنى جعل زوجة الرجل المرأة
والبعير الناقة والفرس الرمكة وهي الحجر والجار الاثنان ثم هدى ألهمه كيف يأتى الذكر الانثى (قال) يعنى
فرعون (فإبال القرون الأولى) أي فإحال القرون الماضية والام الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فانها
كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث وانما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفهم مصارع الامم الخالية حينئذ
قال فرعون فإبال القرون الأولى (قال) يعنى موسى (علمها عند ربي) أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازى
بها وقيل انما رد موسى علم ذلك الى الله تعالى لانه لم يعلم ذلك لان التوراة انما نزلت بعد هلاك فرعون وقومه

جعل جنس السلام للمؤمن وجنس العذاب على المكذب وليس وراء الجنس شئ فأتياه وأدب بالرسالة وقال له ما أمرابه (قال فنر بكما
يا موسى) خاطبهم ما ثم نادى أحدهما لان موسى هو الاصل في النبوة وهرون تابعه (قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه) خلقه أولى وفعولى
أعطى أي أعطى خالقه كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به أو ثابتهما أي أعطى كل شئ صورته وشكله الذى يطابق المنفعة المنوطة به كما
أعطى العين الهيئة التى تطابق الابصار والاذن الشكل الذى يوافق الاستماع وكذا الانف والرجل واليد كل واحد منها مطابق للمنفعة المنوطة
بها وقرأ نصير خلقه صفة للمضاف أو للمضاف اليه أي أعطى كل شئ مخلوق عطاء (ثم هدى) عرف كيف يرتفق بما أعطى للمعيشة في الدنيا
والسعادة في العقبى (قال فإبال القرون الأولى) فإحال الامم الخالية والرمم البالية سأله عن حال من تقدم من القرون وعن شقاء من شقى
منهم وسعادة من سعد (قال) موسى مجيباً (علمها عند ربي) مبتدأ وخير

(في كتاب) أي اللوح خبرتان أي هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه الا هو وما أنا الا عبد مثلك لا أعلم منه الا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ (لا يضل ربي) أي لا يخطئ شيئا يقال ضللت الشيء اذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له أي لا يخطئ في سعادة الناس وشقاوتهم. (ولا ينسى) نوابهم وعقباهم وقيل لا ينسى ما علم فيذكره الكتاب ولكن ليعلم الملائكة ان معمول الخلق يوافق معلومه (الذي) مرفوع صفة لربى أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على المدح (جعل لكم الأرض مهادا) كوفي وغيرهم مهادا وهما الغتان لما يسطر ويفرش (وسلك) أي جعل (لكم فيها سبلا) طرقا (وأنزل من السماء ماء) أي مطرا (فاخرجنا به بالماء ثقل الكلام من الغيب الى لفظ التكلم المطاع للافتتان وقيل تم كلام موسى ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله فاخرجنا به وقيل هذا كلام موسى أي فاخرجنا نحن بالحرث والغرس (أزواجا) أصنافا (من نبات) هو مصدر سعى به النبات فاستوى فيه الواحد والجمع (شئ) صفة للأزواج أول النباتات جمع شئ كمر يض ومرضى أي انها مختلفة النفع واللون والرائحة والشكل بعضها للناس وبعضها للبهائم ومن نعمة الله تعالى ان أزرأنا تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتنا مما لا تقدر على أكله قائلين (كلوا وارعوا أنعامكم) حال من الضمير في فاخرجنا والمعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين في الاتضاع منها مبيحين أن تاكلوا بعضها وتعلقوا ببعضها (ان في ذلك) في الذي ذكرت (آيات) لدلالات (لاولى الهى) (٢٥٦) لذوى العقول واحد هاهنية لانها تنهى عن المحذور أو ينتهى اليها فى الامور (منها)

(في كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (لا يضل ربي) أي لا يخطئ وقيل لا يغيب عنه شئ (ولا ينسى) أي فيتذكر وقيل لا ينسى ما كان من أعمالهم حتى يجازيهم بها (الذي جعل لكم الأرض مهادا) أي فرشا وقيل مهادا لكم (وسلك لكم فيها سبلا) أي أدخل في الأرض لاجلكم طرقا وسهلا لكم لتسلكوها (وأنزل من السماء ماء) يعنى المطر ثم الاخبار عن موسى ثم قال الله تعالى (فاخرجنا به) أي بذلك الماء (أزواجا) أي أصنافا (من نبات شئ) أي مختلف الالوان والطعوم والمنافع فنها ما هو للناس ومنها ما هو للدواب (كلوا وارعوا أنعامكم) أي أخرجنا أصناف النبات للاتضاع بالاكل والرعى (ان في ذلك) أي الذي ذكر (لا آيات لاولى الهى) أي لذوى العقول قيل هم الذين ينتهون عما حرم الله عليهم (منها خلقناكم) أي من الأرض خلقنا آدم وقيل ان الملك ينطق فيأخذ من التراب الذي يدفن فيه فينثره في النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة (وفيها نعيتكم) أي عند الموت والدفن (ومنها نخرجكم ناراة أخرى) أي يوم القيامة للبعث والحساب ﴿ قوله تعالى (واقدر بناه) يعنى فرعون (آياتنا كلها) يعنى الآيات التسع التي أعطها الله موسى (فكذب وأبى) يعنى فرعون وزعم انها سحر وأبى ان يسلم (قال) يعنى فرعون (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) يعنى مصر (بسحرك يا موسى) تريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها (فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا) أي اضرب أجلا وميقانا (لانخلفه) لانجاوزه (نحن ولا أنت مكانا سوى) أي مكانا عدلا وقال ابن عباس اصفاء استوى مسافة الفر يقين اليه وقيل معناه سوى هذا المكان (قال) يعنى موسى (موعدكم يوم الزينة) قيل كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويحجقون في كل سنة وقيل هو

من الأرض (خلقناكم) أي أباكم آدم عليه السلام وقيل يعنى كل نطفة بشئ من تراب مدفنه فيخلق من التراب والنطفة معا أو لان النطفة من الاغذية وهى من الأرض (وفيها نعيتكم) اذا تم دفنكم (ومنها نخرجكم) عند البعث (ناراة أخرى) مرة أخرى والمراد باخراجهم انه يؤلف اجزاء هم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احياء ويخرجهم الى المحشر عدد

الله عليهم ماعاق بالأرض من مرافقهم حيث جعلها لهم فرشا ومهادا يتقلبون عليها سوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا وأثبت فيها أصناف النبات التي منها أوقانهم وعلوفات بهائمهم وهى أصلهم الذي منه تفرعوا وهم التي منها ولدوا وهى كفائتهم اذا ماتوا (واقدر بناه) أي فرعون (آياتنا كلها) وهى تسع آيات العصا واليد وفاق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ووثق الحبل (فكذب) الآيات (وأبى) قبول الحق (قال) فرعون (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) مصر (بسحرك يا موسى) فيه دليل على انه خاف منه خوفا شديدا وقوله بسحرك تعلل والافاى ساحر يقدر أن يخرج ملكا من أرضه (فلنأتينك بسحر مثله) فلنعارضك بسحر مثل سحرك (فاجعل بيننا وبينك موعدا) هو مصدر بمعنى الوعد ويقدر مضاف أي مكان موعد والضمير (لانخلفه) للموعد فرأى يبد بالجزم على جواب الامر وغيره بالرفع على الوصف للموعد (نحن ولا أنت مكانا) هو بدل من المكان المحذوف ويجوز أن لا يقدر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لانخلفه واتصب مكانا بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر (سوى) بالكسر مجازى وأبو عمرو وعلى وغيرهم بالضم وهو نعت مكانا أي منصفا بيننا وبينك وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية (قال موعدكم يوم الزينة) مبتدأ وخبر وهو يوم عيد كان لهم أو يوم النيروز أو يوم عاشوراء وانما استقام الجواب بالزمان وان كان السؤال عن المكان على تأويل الاول لان اجتماعهم يوم الزينة يكون في مكان لا محالة فيذكر الزمان علم المكان وعلى الثاني تقديره وعدكم

وعد يوم الزينة (وان يحشر الناس) أى تجمع في موضع رفع أو جر عطف على يوم أو الزينة (ضحى) أى وقت الضحوة لتكون أبعدهن
الريبة وأبين لكشف الحق وليشيع في جميع أهل الدير والمدن (فتولى فرعون) أدبر عن موسى معرضاً (جمع كيده) مكره وسحرته وكانوا
اثنين وسبعين أو أربع مائة أو سبعين ألفاً (ثم أتى) للموعود (قال لهم موسى) أى للسحرة (ويلكم لا تفتروا على الله كذباً)
لا تدعوا آياته ومجراته سحراً (فيسحركم) كوفي غير أبى بكر يهلككم وفتح الياء والخاء غيرهم والسحرة والسحرات
بمعنى الاعداد واتصب على جواب النهى (بعذاب) عظيم (وقد خاب من افتري) من كذب على الله (فتنازعوا)
اختلفوا أى السحرة فقال بعضهم هو ساحر مثلنا وقال بعضهم ليس هذا بكلام السحرة أى لا تفتروا على الله كذباً الآية (أمرهم بينهم
وأسر والنجوى) أى تشاوروا فى السر وقالوا ان كان ساحر افسنغلبه وان كان من السماء فله أمر والنجوى يكون مصدر أو اسما
لقوله هذا الكلام يعنى (قالوا ان هذان لساحران) يعنى موسى وهرون قرأ أبو عمرو ان هذين لساحران وهو ظاهر ولكنه
مخالف للإمام وابن كثير وحفص والخليل وهو أعرف بالنحو واللغة ان هذان لساحران بتخفيف ان مثل قولك ان زيد لمنطلق واللام
هى الفارقة بين ان النافية والمخففة من الثقيلة وقيل هى بمعنى ما واللام

(٢٥٧)

دليله قراءة أبى ان هذان
الاساحران وغيرهم ان
هذان لساحران قيل هى
لغة بلحارث بن كعب وختم
ومراد وكناية فالتثنية فى
انهم بالالف أبدا فلم يقلوها
ياه فى الجر والنصب كعصا
وسعدى قال ان أباه وأبا
أباه قد بلغ فى المجد غايتها
وقال الزجاج ان بمعنى نعم
قال الشاعر ويقلن شيب
قد علاهك وقد كبرت
فقلت انه أى نعم والهاء
لا وقف وهذان مبتدأ
وساحران خبر مبتدأ
محذوف واللام داخل على
المبتدأ المحذوف تقديره

يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشوراء (وان يحشر الناس ضحى) أى وقت الضحوة نه ارجهار ليكون
أبعدهن الريبة (فتولى فرعون جمع) يعنى فرعون (كيده) يعنى مكره وسحره وحيله (ثم أتى) يوم الميعاد
(قال لهم موسى) يعنى للسحرة التى جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحر امع كل ساحر جبل وعصا وقيل
كانوا أربع مائة وقيل كانوا اثني عشر ألفاً (ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحركم بعذاب) أى فيهلككم
ويستأصلكم (وقد خاب من افتري) أى خسر من ادعى مع الله اله الأخر وقيل معناه خسر من كذب على الله
تعالى قوله تعالى (فتنازعوا أمرهم بينهم) أى تناظر واوتشاوروا يعنى السحرة فى أمر موسى سران
فرعون وقالوا ان غلبنا موسى انبعناه وقيل معناه لما قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذباً قال بعضهم
لبعض ما هذا بقول ساحر (وأسر والنجوى) أى المناجاة (قالوا) قال بعضهم لبعض سرا (ان هذان
لساحران) يعنى موسى وهرون (يريدان أن يخرجناكم من أرضكم) يعنى من مصر (بسحرهما ويذهبا
بطريقكم المثلث) قال ابن عباس يعنى بسراة قومكم واشرافكم وقيل معناه يصرفان وجوه الناس عنكم
وقيل أراد أهل طر يقنتم المثلث وهم بنو اسرائيل يعنى يريدان أن يذهبا بهم لانفسهما وقيل معناه يذهبا
بسننكم ودينكم الذى أتم عليه (فاجعوا كيدكم) أى لا تدعوا شيأ من كيدكم الا جتم به وقيل معناه اعزموا
كاسم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل أمركم (ثم اتوا صفا) أى جمعاً مصطفين ليكون أشد هيبتهم
وقيل معناه ثم اتوا المكان الموعود به (وقد أفلح اليوم من استعلى) أى فاز من غلب (قالوا) يعنى السحرة
(ياموسى اما أن تلقى) أى عصاك (واما أن تكون أول من ألقى) أى عصينا (قال) يعنى موسى (بل ألقوا)
يعنى أتم أولاً (فاذا حباهم) فيه اضمار أى قالوا فاذا حباهم (وعصيمهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسمى)

(٣٣ - (خازن) - ثا) هذان هما ساحران فيكون دخولهما فى موضعها الموضوع لها وهو الابتداء وقد يدخل اللام فى الخبر
كما يدخل فى المبتدأ قال خال لا تومن جر بر خاله قال فعرضته على المبرد فرضيه وقد زيفه أبو على (يريدان أن يخرجناكم من أرضكم)
مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقكم) بدينكم وشريعتكم (المثلث) الفضلى تأنيث الامثل وهو الافضل (فاجعوا) فاحكموا أى اجعلوا
جمعاً عليه حتى لا تختلفوا فاجعوا أبو عمرو ويعضده جمع كيده (كيدكم) هو ما يكاد به (ثم اتوا صفا) مصطفين حال أمر وان يا توا صفا
لانه أهيب فى صدور الرائيين (وقد أفلح اليوم من استعلى) وقد فاز من غلب وهو اعتراض (قالوا) أى السحرة (ياموسى اما أن تلقى)
عصاك أولاً (واما أن تكون أول من ألقى) ما معناه موضع أن مع ما بعده فيهما نصب بفعل مضمر أو رفع بانه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر
أحد الأمرين أو الأمر القاروك أو القاروا وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وكأنه تعالى ألهمهم ذلك وقد وصلت اليهم بر كته وعلم
موسى اختيار القائم أولاً حتى (قال بل ألقوا) أتم أولاً ليبرزوا ما معهم من مكاييد السحر ويظهر الله سلطانه ويقذف بالحق على الباطل
فيدفعه ويسلط المعجزة على السحر فتمحقه فيصير آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين قالوا (فاذا حباهم وعصيمهم) يقال فى اذا هذه
اذا المفاجأة والتحقيق انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبها والوجه تضاف اليها وخصت فى بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلاً مخصوصاً
وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير والتقدير ففاجأ موسى وقت تخيل سعى حباهم وعصيمهم والمعنى على مفاجأته حباهم وعصيمهم مخيلة

اليه السعي (بخيل) وباتاء ابن ذكوان (اليه) الى موسى (من سحرهم انها تسمى) رفع بدل اشتغال من الضمير في بخيل أي بخيل المتق روى
 اهم لطنخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخلت ذلك (فأوجس في نفسه خيفة موسى) أضمر في نفسه خوفا ظنا
 منه أنها تقصده للجبلة البشرية أو خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه (قلنا لا تخف انك أنت الاعلى) الغالب القاهر وفي ذكوان وأنت
 وسوف التعريف رلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة مبالغة بينة (وألق ما في يمينك تلقف) بسكون اللام والغاء وتخفيف القاف حفص وتلقف
 ابن ذكوان الباقيون تلقف (ما صنعوا) زوروا وافتعلوا أي اطرح عصاك بتلغص عصيمهم وحباهم ولم يقل عصاك تعظيما لا تحتفل بما صنعوا فان
 ما في يمينك أعظم منها أو تخفيرا أي لا تبال بكثرة حباهم وعصيمهم والى العويد الفرد الذي في يمينك فإنه بقدرتنا يتلقفها على وحدته وكثرتها
 (انما صنعوا كيد ساحر) كوفي غير عاصم سحر بمعنى ذى سحرا وذوى سحرا أو هم لتوغلهم في السحر كأنهم السحر وكيد بالرفع على
 القراءتين وما موصولة أو مصدرية وإنما واحد ساحر ولم يجمع لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع تخيل ان
 المقصود هو العدد ألا ترى الى (٢٥٨) قوله (ولا يفلح الساحر) أي هذا الجنس (حيث أتى) أيما كان فأتى موسى عصاه فتلقفت ما صنعوا

قيل انهم لما ألقوا الحبال والعصى أخذوا عين الناس فرأى موسى كأن الارض امتلأت حيات وكانت قد
 أخذت ميلا في ميل من كل جانب ورأها كأنها تسمى (فأوجس) أضمر وقيل وجد في نفسه (خيفة موسى)
 قيل هو طبع البشرية وذلك انه ظن انها تقصده وقيل انه خاف على القوم ان يلتبس عليهم الامر فيشكوا في
 أمره فلا يتبعوه (قلنا لا تخف) أي قال الله تعالى لموسى لا تخف (انك أنت الاعلى) أي الغالب عليهم ولك
 الغلبة عليهم والظفر (وألق ما في يمينك) أي عصاك والمعنى لا تخيفنك كثرة حباهم وعصيمهم فان في يمينك شيا
 أعظم منها كلها (تلقف) أي تلتقم وتبتلع (ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر) أي حيلة ساحر (ولا يفلح
 الساحر حيث أتى) أي من الارض وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان (فألقى السحرة سجدا قالوا آمناب
 هرون وموسى) قال صاحب الكشاف سبحانه ان الله ما أعجب أمرهم فدألقوا حباهم وعصيمهم للكفر والجحود
 ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فاعظم الفرق بين الالتقاء وقيل انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى
 رأوا الجنة والنار وقيل انهم لما سجدوا وأراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة
 (قال) يعني فرعون (أمنتكم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم) أي لرئيسكم وعظيمكم يعني انه أسحركم وأعلامكم
 في صناعة السحر ومعلمكم (الذي علمكم السحر فلا تقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي أقطع اليد
 اليمنى والرجل اليسرى (ولا صلبنكم في جذوع النخل) أي على جذوع النخل (ولتعلمن أيانا أشد عذابا)
 أي على إيمانكم به أنا ورب موسى على ترك الإيمان به (وأبقي) أي أدوم (قالوا) يعني السحرة (لن
 نؤثرك) أي لن نختارك (على ما جاءنا من البيئات) يعني الدلالات الواضحات قبل حى اليد البيضاء والعصا
 وقيل كان استدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحرا فابن حبالنا وعصبتنا وقيل انهم لما سجدوا رأوا الجنة والنار
 ورأوا منازلهم في الجنة فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البيئات (والذي فطرنا) قيل هو قسم وقيل
 معناه لن نؤثرك على الله الذي فطرنا (فأقض ما أنت قاض) أي فاصنع ما أنت صانع (انما تقتضى هذه الحيوة
 الدنيا) أي انما أمرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب (انا آمناب بنا ليغفر لنا خطايانا وما كرهنا

فلعظم ما رأوا من الآية وقعوا
 الى السجود فذلك قوله
 (فألقى السحرة سجدا) قال
 الاخفش من سرعة ما سجدوا
 كأنهم ألقوا فأعجب أمرهم
 فدألقوا حباهم وعصيمهم
 للكفر والجحود ثم ألقوا
 رؤسهم بعد ساعة للشكر
 والسجود فاعظم الفرق
 بين الالتقاء بن روى انهم رأوا
 الجنة ومنازلهم فيها في
 السجود فرفعوا رؤسهم
 ثم قالوا آمناب هرون
 وموسى) وإنما قدم هرون
 هنا وأخر في الشعراء
 محافظة للفاصلة ولان الواو
 لا توجب ترتيبا (قال آمنتكم)
 بغير مد حفص وبهمزة
 ممدودة بصرى وشامى
 وحجازى وهمزتين غيرهم

(له قبل أن آذن لكم) أي لموسى يقال آمن له وآمن به (انه لكبيركم الذى علمكم السحر) لعظيمكم أو لعلمكم تقول أهل مكة عليه
 للعلم أمرنى كبيرى (فلا تقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) القطع من خلاف ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من
 العضوين يخالف الآخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لا ابتداء الغاية لان القطع مبتدأ وناتئ من مخالفة العضو ومحل الجار
 والمجرور نصب على الحال يعنى لا قطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد انصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب في الجذع تمكن المظروف
 في الظرف فلهذا قال (ولا صلبنكم في جذوع النخل) وخص النخل لطول جذوعها (ولتعلمن أيانا أشد عذابا) انما على إيمانكم بي أو رب
 موسى على ترك الإيمان به وقيل يريد نفسه امته الله وموسى صلوات الله وسلامه عليه بدليل قوله آمنتكم له واللام مع الإيمان في كتاب الله انما
 كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين (وأبقي) أدوم (قالوا لن نؤثرك) لن نختارك (على ما جاءنا من البيئات) القاطعة الدالة على صدق موسى
 (والذي فطرنا) عطف على ما جاءنا أي لن نختارك على الذى جاءنا ولا على الذى خلقنا وقسم وجوابه لن نؤثرك مقدم على القسم (فأقض
 ما أنت قاض) فاصنع ما أنت صانع من القتل والصلب قاله وعليهما مسرودتان فضاءهما أي صنعهما أو احكم ما أنت حاكم (انما تقتضى هذه
 الحياة الدنيا) أي في هذه الحياة الدنيا فاتصّب على الظرف أي انما تحكم فينا مدة حياتنا (انا آمناب بنا ليغفر لنا خطايانا وما كرهنا

عليه) ما موصولة منصوبة بالعطف على خطاينا (من السحر) حال من ماروى انهم قالوا لفرعون ارناموسى نائما ففعل فوجده نحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر اذا نام بطل سحره ففكر هو اعمارضته خوف الفضيحة فاكرههم فرعون على الاتيان بالسحر وضر فرعون جهله به ونفعهم علمهم بالسحر فكيف بعلم الشرع (والله خير) نوابلن اطاعه (وايقى) عقابلن عصاه وهو رد لقول فرعون ولتعلمن ايناشد عذابا وابقى (انه) هو ضمير الشأن (من ياتر به مجرما) كافرا (فان له) للمجرم (جهنم لا يموت فيها) فيستريح بالموت (ولا يحيى) حياه ينتفع بها (ومن ياتر مؤمنا) مات على الايمان (قد عمل الصالحات) بعد الايمان (فاولئك لهم الدرجات العلى) جمع العلياء (جنات عدن) بدل من الدرجات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) دائمين (وذلك جزاء من تزكى) تطهر من الشرك بقول لا اله الا الله قيل هذه الآيات الثلاث حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى لاعلى وجه الحكاية وهو (٢٥٩) اظهر (ولقد اوحينا الى موسى ان أسر

بعبادى) لما اراد الله تعالى اهلاك فرعون وقومه امر موسى ان يخرجهم من مصر ليلا وياخذهم طريق البحر (فاضرب لهم طريقا فى البحر) اجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهمان (يسا) أى يابسا وهو مصدر وصف به يقال يسا ويسا (لا تخاف) حال من الضمير فى فاضرب أى اضرب لهم طريقا غير خائف لا تخف حزة على الجواب (دركا) هو اسم من الادراك أى لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك (ولا تخشى) الفرق وعلى قراءة حزة ولا تخشى استئناف أى وأنت لا تخشى أو يكون الالف للاطلاق كما فى وتظنون بالله الظنونا فخرج بهم موسى من اول

عليه من السحر) فان قلت كيف قالوا هذا وقد جاؤا مختارين غير مكرهين قلت كان فرعون اكرههم فى الابتداء على تعلمهم السحر لى لا يذهب أصله وقيل كانت السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بنى اسرائيل وكان فرعون اكره الذين هم من بنى اسرائيل على تعلم السحر وقيل قال السحرة لفرعون ارناموسى اذا هونام فاراهم موسى نائما وعصاه نحرسه فقالوا لفرعون هذا ليس بساحر ان الساحر اذا نام بطل سحره فاقبى عليهم فاكرههم على ان يعملوا فذلك قولهم وما اكرهتنا عليه من السحر (والله خير وابقى) أى خير منك نوابلن اطاعه وابقى عذابا ان صي وهذا جواب لقوله ولتعلمن ايناشد عذابا وابقى (انه من ياتر به مجرما) قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل هو من تمام قول السحرة معناه من مات على الشرك (فان له جهنم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياه ينتفع بها (ومن ياتر مؤمنا) أى من مات على الايمان (قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى) أى الرفيعة العلية ثم فسر الدرجات بقوله (جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) أى تطهر من الذنوب وقيل اعطى زكاة نفسه وقال لا اله الا الله عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى افق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانما اخرج الترمذى قوله وانما يقال احسن فلان الى فلان وانعم أى افضل وزاد فى الاحسان والمعنى انهم امنهم وزادوا وتناهيها الى غايته قوله تعالى (ولقد اوحينا الى موسى ان أسر بعبادى) أى أسر بهم ليلا من ارض مصر (فاضرب لهم طريقا) أى اجعل لهم طريقا (فى البحر) بالضرب بالعصا (يسا) أى يابسا ليس فيه ماء ولا طين وذلك ان الله تعالى ايسس لهم الطريق فى البحر (لا تخاف دركا ولا تخشى) قيل معناه لا تخاف ان يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى ان يفرقك البحر امامك (فاتبهم) أى فلاحقهم (فرعون بجنوده فغشيمهم) أى اصابهم (من اليم ما غشيمهم) وهو الفرق وقيل علاهم وسترهم من اليم ما لم يعلم كنهه الا الله تعالى ففرق فرعون وجنوده ونجم موسى وقومه (واضل فرعون قومه وما هدى) أى وما ارشدهم وهو تكذيب لفرعون فى قوله وما اهدىكم الا سبيل الرشاد قوله عز وجل (يا بنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم بجانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى) ذكركم الله النعمة فى نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما وعد موسى من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة فى الاواح وانما قال

الليل وكانوا سبعين اثم اوقد استعاروا حلبيهم فركب فرعون فى ستمائة الف من القبط فقص اثرهم فذلك قوله (فاتبهم فرعون بجنوده) وهو حال أى خرج خلفهم ومعه جنوده (فغشيمهم من اليم) اصابهم من البحر (ما غشيمهم) هو من جوامع الكلم التى تستقل مع قلبها بالمعنى الكثيرة أى غشيمهم ما لا يعلم كنهه الا الله عز وجل (واضل فرعون قومه) عن سبيل الرشاد (وما هدى) وما ارشدهم الى الحق والسداد وهذا رد لقوله وما اهدىكم الا سبيل الرشاد ثم ذكر منته على بنى اسرائيل بعدما انجاهم من البحر واهلك فرعون وقومه بقوله (يا بنى اسرائيل) أى اوحينا الى موسى ان أسر بعبادى وقلنا يا بنى اسرائيل (قد انجيناكم من عدوكم) أى فرعون (وواعدناكم) بايتاء الكتاب (جانب الطور الايمن) وذلك ان الله عز وجل وعد موسى ان ياتى هذا المكان ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول التوراة وانما نسب اليهم المواعدة لاسما كانت لنبينهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التى قام بها شرعهم ودينهم والايمان نصب لانه صفة جانب وقرىء بالجر على الجوار (ونزلنا عليكم المن والسلوى) فى التيه وقلنا لكم

(كلوا من طيبات) حالات (مارزقناكم) أنجيتكم وواعدتكم ورزقتم كوفي غير عاصم (ولا تطغوا فيه) ولا تعدوا حدود الله فيه بان تكفروا النعم وتفقوها في المعاصي أو لا يظلم بعضكم بعضا (فيجعل عليكم غضبي) عقوبتي (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) هلك أو سقط سقوط الانهوض بعده وأصله أن يسقط من جبل فيهلك وتحقيقه سقط من شرف شرف الايمان الى حفرة من حفرة النيران قرأ على فيجعل ويحلل الباقيون بكسر عجماء كسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب أداءه والمضموم في معنى النزول (واني اغفار لمن تاب) عن الشرك (وآمن) وحمد الله تعالى وصدقته فيما أنزل (وعمل صالحا) أدى الفرائض (ثم اهتدي) ثم استقام وثبت على الهدى المذكور وهو التوبة والايان والعمل الصالح (وما أعجلك) أي وأي شيء عجلك بك (عن قومك يا موسى) أي عن السبعين الذين اختارهم وذلك انه مضى معهم الى الطور على الموعد (٢٦٠) المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وأمرهم أن يتبعوه قال الله تعالى وما أعجلك أي

وواعدناكم لانها اتصلت بهم حيث كانت انبيهم ورجعت منافعها اليهم وبها قوام دينهم ونمر يعتمهم وفيها أفاض الله عليهم من سائر نعمه وأهزاقه (كلوا من طيبات مارزقناكم ولا تطغوا فيه) قال ابن عباس لا تظلموا وقيل لا تكفروا النعمة فتكونوا طاغين وقيل لا تتقروا بنعمتي على المعاصي وقيل لا تدخروا (فيجعل عليكم غضبي) أي يجب عليكم غضبي (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) أي هلك وسقط في النار (واني اغفار لمن تاب) قال ابن عباس تاب عن الشرك (وآمن) أي وحمد الله وصدق رسوله (وعمل صالحا) أي أدى الفرائض (ثم اهتدي) قال ابن عباس علم أن ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الاسلام حتى مات عليه وقيل علم ان لذلك ثوابا وقيل أقام على السنة قوله عز وجل (وما أعجلك) أي وما جلك على العجلة (عن قومك يا موسى) وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا يذهبون معه الى الطور لياخذوا التوراة فسار بهم ثم عجّل موسى من بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه الى الجبل فقال الله له وما أعجلك عن قومك يا موسى فأجاب ربه (قالهم أولاء على أئري) أي هم بالقرب مني يأتون على أئري من بعدى فان قلت لم يطابق السؤال الجواب فانه سأله عن سبب العجلة فعدل عن الجواب فقال هم أولاء على أئري قلت كان هم موسى بسط العندروتهم في العلة في نفس ما أنكرك عليه فاعتل بأنه لم يوجد منه الانتقدم سيره ثم أعقبه بجواب السؤال فقال (وعجلك اليك رب لترضى) أي اتزاد رضا (قال فان اقد فتنا قومك) أي فانا ابتلينا الذين خافتهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف فاقتنوا بالهجل غير اثني عشر ألفا (من بعدك) أي من بعد ان طلاقك الى الجبل (وأضلهم السامري) أي دعاهم وصرفهم الى الضلال وهو عبادة الهجل وانما أضاف الضلال الى السامري لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع المنشآت تضاف الى منشئها في الظاهر وان كان الموجد لها في الاصل هو الله تعالى فذلك قوله هنا وأضلهم السامري قيل كان السامري من عظماء بني اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وقيل كان من عجمان كرماني فأتخذ عجملا واسمه موسى ابن ظفر وكان منافقا

أي شيء أوجب عجلك استفهام انكار وما مبتدأ وأعجلك الخبر (قالهم أولاء على أئري) أي هم خاني بلحقون بي وليس بيني وبينهم الامسافة يسيرة ثم ذكر موجبا العجلة فقال (وعجلك اليك رب) أي الى الموعد الذي وعدت (لترضى) لترداد عني رضا وهذا دليل على جواز الاجتهاد (قال فان اقد فتنا قومك) أقتيناهم في فتنة (من بعدك) من بعد خروجك من بينهم والمراد بالقوم الذين خلفهم مع هرون (وأضلهم السامري) بدعائه اياهم الى عبادة الهجل واجابتهم له وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان عجمان كرماني فأتخذ عجملا واسمه موسى ابن ظفر وكان منافقا

(فرجع موسى) من مناجاة ربه (الى قومه غضبان أسفا) شديد الغضب أو حزينا (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) وعدهم الله أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور وكانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جلا ولا وعد أحسن من ذلك (أفطال عليكم العهد) أي مدة مفارقتي اياكم والعهد الزمان يقال طال عهدي بك أي طال زماني بسبب مفارقتك (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أي أردتم أن تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم بسببه (فاخلفتم موعدى) يعني ما وعدوه من الإقامة على دينه الى أن يرجع (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) أي بملك أمرنا وقيل باختيارنا وذلك ان المرء اذا وقع في الفتنة لم يملك نفسه (واسكننا جنتنا أوزار من زينة القوم) أي جنتنا مع

أثقال من حلي القبط أو أرادوا بالاوزار أنها آثام وثبعت لانهم قد استعاروا هاليلة الخروج من مصر بعبارة ان لنا غدا عيداً فقال السامري
انما حبس موسى لشؤم حرمته لانهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى على أن الغنائم
لم تكن تحل حينئذ فاسرقوها خبياً في حفرة النار قالب عمل فاصاغت عجلاً بجوفها فخار بدخول الريح في مجار منه أشباه العروق وقيل نفخ فيه
تراباً من موضع قوام فرس جبريل عليه السلام يوم الغرق وهو فرس (٢٦١) حياة في نغار ومالت طباعهم الى الذهب

فعبده (فقد فناها) في نار
السامري التي أوقدها في
الحفرة وأمرنا أن نطرح
فيها الحلي (فكذلك ألقى
السامري) مامعه من الحلي
في النار وأمامه من التراب
الذي أخذ من أثر حافر
فرس جبريل عليه السلام
(فأخرج لهم) السامري
من الحفرة (عجلاً) خلقه الله
تعالى من الحلي التي سبكتها
النار ابتلاء (جسداً)
مجسداً (له خوار) صوت
وكان يخور كما يخور
العجاجيل (فقالوا) أي
السامري واتباعه (هذا
الهمك واله موسى) فاجاب
عامتهم الاثني عشر الفا
(فنسى) أي فنى موسى
ربه هنا وذهب يطلبه عند
الطور وهو ابتداء كلام من
الله تعالى أي نسي السامري
ربه وترك ما كان عليه
من الايمان الظاهر ونسى
السامري الاستدلال على
ان العجل لا يكون الها
بدليل قوله (أفلا يرون ان
لا يرجع) أي انه لا يرجع
فان مخففة من الثقيلة (اليهم
قولا) أي لا يجيبهم (ولا يملك

أنفسنا ما كنا قد استعمرناه من قوم فرعون والاوزار الاثقال سميت أوزار الكثرتها وثقلها وقيل الاوزار
الآثام أي حملنا آثاماً وذلك أن بنى اسرائيل استعاروا حلياً من القبط ولم يردوها وبقيت معهم الى حين
خروجهم من مصر وقيل ان الله لما أغرق فرعون نبذ البحر حليهم فأخذها بنو اسرائيل فكانت غنيمة
ولم تكن الغنائم تحل لهم (فقد فناها) أي ألقيناها وقيل ان السامري قال لهم احفروا حفرة واقفروا القوفا فيها
حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها وقيل ان هرون أمرهم بذلك ففعلوا (فكذلك ألقى السامري) أي
ما كان معه من الحلي فيها قال ابن عباس أوقده هرون ناراً وقال اقدفوا امامكم فيها وقيل ان هرون مر على
السامري وهو يصوغ العجل فقال له ما هذا قال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال هرون اللهم أعطه
ما سألك على ما في نفسه فالتقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل في فم العجل وقال كن عجلاً
يخور فكان كذلك بدعوة هرون فذلك قوله تعالى (فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار) اختلفوا هل كان
الجسد حياً أم لا على قولين أحدهما لا لانه لا يجوز اظهار خرق العادة على يد ضال بل السامري صور صورة
على شكل العجل وجعل فيه منافذ ومخاريق بحيث اذا دخل فيها الريح صوت كهوت العجل الثاني انه
صار حياً وخار كما يخور العجل (فقالوا هذا الهكم واله موسى) يعني قال ذلك السامري ومن تابعه من افتتن
به وقيل عكفوا عليه وحبوه حباً لم يحبوا شيئاً قط مثله (فنسى) قيل هو اخبار عن قول السامري أي
ان موسى نسي الهه وتركه هنا وذهب يطلبه وقيل معناه ان موسى انما طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه في
طريق آخر فأخطأ الطريق وضل وقيل هو من كلام الله تعالى وكأنه أخبر عن السامري انه نسي الاستدلال
على حدوث الاجسام وان الاله لا يعجل في شيء ولا يعجل في شيء ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذي يجب
الاستدلال به فقال (أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولاً) أي ان العجل لا يرد لهم جواباً اذا دعوه ولا يكلمهم
(ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً) هذا توخيخ لهم اذ عبدوا ما لا يملك ضرر من ترك عبادته ولا ينفع من عبده وكان
العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بنى اسرائيل وقوله عز وجل (ولقد قال لهم هرون من قبل) أي من قبل
رجوع موسى (يا قوم انما فتنتم به) أي ابتليتكم بالعجل (وان ربكم الرحمن فاتبعوني) على ديني في عبادة الله
(وأطيعوا أمرى) أي في ترك عبادة العجل اعلم ان هرون عليه السلام سلك في هذا الوعظاً حسن الوجوه
لانه زجرهم أولاً عن الباطل بقوله انما فتنتم به ثم دعاه الى معرفة الله تعالى بقوله وان ربكم الرحمن ثم دعاهم
الى معرفة النبوة بقوله فاتبعوني ثم دعاهم الى الشرائع بقوله وأطيعوا أمرى فهذا هو الترتيب الجيد لانه
لا بد من امانة الاذى عن الطريق وهي ازالة الشبهات ثم معرفة الله فانها هي الاصل ثم النبوة ثم الشريعة
وانما قال وان ربكم الرحمن نخص هذا الموضوع بهذا الاسم لانه ينبههم على أنهم متى تابوا قبل الله نوبتهم
لانه هو التواب الرحيم فقابلوا هذا القول بالاصرار والجحود (قالوا لن نبرح) أي لن نزال (عليه) أي على
عبادة العجل (عا كفين) أي مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) كأنهم قالوا لن نقبل حجتك ولا نقبل
الاقول موسى فاعتز لهم هرون ومعه اثنا عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى سمع الصياح
والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هرون أخذ شعر

لم ضراً ولا نفعاً) أي هو عاجز عن الخطاب والضر والنفع فكيف تتخذونه الها وقيل انه ما خارا الامرة (ولقد قال لهم) لمن عبدوا العجل
(هرون من قبل) من قبل رجوع موسى اليهم (يا قوم انما فتنتم به) ابتليتكم بالعجل فلا تعبدوه (وان ربكم الرحمن) لا العجل (فاتبعوني)
كونوا على ديني الذي هو الحق (وأطيعوا أمرى) في ترك عبادة العجل (قالوا لن نبرح عليه عا كفين) أي لن نزال مقيمين على العجل
عبادته (حتى يرجع الينا موسى) فنظره هل يعبد كما عبدناه وهل صدق السامري أم لا فلما رجع موسى

(قال ياهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة الجبل (الانبعثى) بالياء في الوصل والوقف مكي وافقه أبو عمرو ونافع في الوصل وغيرهم بلايه
أي مادعاك الى ان لا تبعني لوجود التعاقب بين الصارف عن فعل الشيء وبين الداعي الى تركه وقيل لا مزيدة والمعنى أي شيء منعك أن
تبعني حين لم يقبلوا قولك وانحق في وتخير في أو ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وهلاكنا من كفر بن آمن ومالك لم نبأ أمر الامركا كنت
أبشره انالو كنت شاهدا (أفصيت أمرى) أي الذي أمرتك به من انقيام بمصالحهم ثم أخذ بشعر رأسه يمينه وحيته بشماله غضبا وانكارا
عليه لان الغيرة في الله ملكته (قال يابن أم) وخفض الميم شامى وكوفي غير حفص وكان لايه وأمه عند الجمهور ولو لكانه ذ كرام استعطا
وتريقا (لا تأخذ بلحيتي ولا رأسي) ثم ذكر عذره فقال (اني خشيت أن تقول) ان قائلت بعضهم ببعض (فرقت بين بني اسرائيل)
أو خفت أن تقول ان فارقتهم (٢٦٢) واتبعتك ولحقني فريق ونبع السامري فريق فرقت بين بني اسرائيل (ولم ترقب) ولم تحفظ

رأسه يمينه وحيته بشماله و (قال) له (ياهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) أي اشركوا (الانبعثى) أي
تبع أمرى ووصيتي وهلاكنا منهم قد علمت اني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل معناه ما منعك من
اللاحق بى واخبارى بضلالهم فتكون مفارقتك اياهم زجر لهم عما أتوه (أفصيت أمرى) أي خالفت
أمرى (قال يابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا رأسي) أي بشعر رأسي وكان قد أخذ بذؤابتيه (اني خشيت ان
تقول) أي لو أنكرت عليهم لصاروا اخر بين يقتل بعضهم بعضا فتقول (فرقت بين بني اسرائيل) أي خشيت
ان فارقتهم واتبعتك ان يصيروا اخر ابا فيقتلون فتقول فرقت بين بني اسرائيل (ولم ترقب قولي) أي لم تحفظ
وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي وأصلح وارفق بهم ثم أقبل موسى على السامري (قال فاخطبك) أي فا
أمرك وشانك وما الذي حلك على ما صنعت (ياسامري قال) يعني السامري (بصرت) لم يبصر وابه فقبضت
قبضة من أثر الرسول) أي من تراب حافر فرس جبريل (فنبذتها) أي فقدتها في فم الجمل فخار فان قلت
كيف عرف السامري جبريل وراه من بين سائر الناس قلت ذكر وافية وجهين أحدهما ان أمه ولدته في
السنة التي كان يقتل فيها البنون فوضعت في كهف حذر اعليه من القتل فبعث الله اليه جبريل ليريه لما قضى
الله على يديه من الفتنة الوجه الثاني انه لما نزل جبريل الى موسى ليذهب به الى الطور رآه السامري من بين
سائر الناس فلما رآه قال ان لهذا الشأن قبض القبضة من أصل تربة أثر موطنه فلما سأله موسى قال قبضت
قبضة من أثر الرسول اليك يوم جاء للميعاد وقيل رآه يوم فلق البحر فاخذ القبضة وجعلها في عمامته لما يريد الله
ان يظهره من الفتنة على يديه وهو قوله (وكذلك سوت) أي زينت (لى نفسى) وقيل انه من السؤال والمعنى
انه لم يدعنى الى فعله غيرى واتبع فيه هواى (قال) يعني موسى للسامري (فاذهب فان لك في الحياة) أي
مادمت حيا (ان تقول لامساس) أي لا تخالط أحدا ولا يخالطك أحد فموجب في الدنيا بعقوبة ولا شيء
أوحش منها ولا أعظم وذلك ان موسى امر بنى اسرائيل ان لا يخالطوه ولا يقربوه وحرّم عليهم ملاقاته ومكالمته
ومبايعته ومواجهته وقال ابن عباس رضى الله عنهما لامساس لك ولولدك فصار السامري بهم في البرية مع
الوحش والسباع لا يمسه أحد ولا يمسه أحد وقيل كان اذا مس أحد أو مسه أحد جازعا مفتوحا للناس
وتحاموه وكان يصيح لامساس حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك (وان لك) أي ياسامري (موعدا) أي
بعذابك في الآخرة (ان تخلفه) قرئ بكسر اللام ومعناه لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم
القيامة وقرئ بالفتح أي لن تكذبه ولم تخلفك الله بل يكافئك على فعلك (وانظر الى الهلك) أي الذي تزعم

(قولى) اخلفني في قومي
وأصلح وفيه دليل على جواز
الاجتهاد ثم أقبل موسى
على السامري منكرا
عليه حيث (قال فا
خطبك) ما أمرك الذي
تخاطب عليه (ياسامري
قال بصرت بما لم يبصروا
به) وبالتاء حزة وعلى قال
الزجاج بصر علم وابتصر نظر
أي علمت ما لم يعلمه بنو
اسرائيل قال موسى وما
ذاك قال رأيت جبريل على
فرس الحياة فالتقى في نفسى
ان أقبض من أثره فا
ألقيته على شيء الا صار له
روح ولحم ودم (فقبضت
قبضة) القبضة المرة من
القبض واطلاقها على
المقبوض من تسمية المفعول
بالمصدر كضرب الأمير
وقرئ فقبضت قبضة فالضاد
بجميع الكف والصاد
باطراف الاصابع (من أثر

الرسول) أي من أثر فرس الرسول وقرئ بها (فنبذتها) فطرحتها في جوف الجمل (وكذلك سوت) الذي
زينت (لى نفسى) ان أفعله ففعلته اتباعا لهواى وهو اعتراف بالخطأ واعتذار (قال) له موسى (فاذهب) من بيننا طر يدا (فان لك في الحياة)
ماعتت (ان تقول) لمن أراد مخالطتك جاهلا بحالك (لامساس) أي لا يمسه أحد ولا أمسه فنع من مخالطة الناس منعا كليا وحرّم عليهم
ملاقاته ومكالمته ومبايعته واذا اتفق أن يمسه أحد احم الناس والمسوس وكان بهم في البرية يصيح لامساس ويقال ان ذلك موجود في أولاده
الى الآن وقيل أراد موسى عليه السلام ان يقتله فنتعه الله تعالى منه لسخائه (وان لك موعد ان تخلفه) أي لن يخلفك الله موعدة الذي وعدك
على الشرك والفساد في الارض بنجزه لك في الآخرة بعدما عاقبك بذلك في الدنيا لن تخلفه مكي وأبو عمرو وهذا من أخلفت الموعدة اذا وجدته
خلفا (وانظر الى الهلك

الذي ظلت عليه) وأصله ظلت تحذف اللام الأولى تخفيفا (عاف كفا) مقبلا (لحرقه) بالنار (ثم لنسفه) انذرينه (في اليم نسفا) حرقه
وذراه في البحر فشرب بعضهم من مائه حباله فظهرت على شفاههم صفرة الذهب (انما الحكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما) تمييزا
وسع علمه كل شيء ومحل الكاف في (كذلك) نصب أي مثل ما اقتصنا عليك قصة موسى وفرعون (نقص عليك من أبناء ما قد سبق) من
أخبار الامم الماضية كثيرا لئنانك وزيادة في مجزاتك (وقد آتيناك) أي أعطيناك (من لدنا) من عندنا (ذكرا) قرآنا فهو ذكر
عظيم وقرآن كريم فيه النجاة لمن أقبل عليه وهو مشغل على الاقاصيص والاخبار الحقيقية بالتفكير والاعتبار (من أعرض عنه) عن هذا
الذكر وهو القرآن ولم يؤمن به (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) عقوبة ثقيلة سماها وزرا تشبها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحل
الثقل الذي ينقض ظهره ويلقى عليه بهرأ ولانها جزاء الوزر وهو الاثم (خالدين) حال من الضمير في يحمل وانما جمع على المعنى ووحد في فانه
جلا على لفظ من (فيه) في الوزر أي في جزاء الوزر وهو العذاب (وساء لهم يوم القيامة جلا) ساء في حكم بشس وفيه ضمير مبهم يفسره جلا
وهو تمييز اللام في لهم للبيان كافي هيت لك والمخصوص بالدم محذوف لدلالة (٢٦٣) الوزر السابق عليه تقديره ساء الحل

جلا وزرهم (يوم ينفخ)
بدل من يوم القيامة تنفخ
أبو عمرو (في الصور)
القرن أو هو جمع صورة
أي تنفخ الارواح فيها
دليله قراءة قذاة الصور
بفتح الواو جمع صورة
(ونحشر المجرمين يومئذ
زرقا) حال أي عميا كما قال
ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم عميا وهذا
لان حدقة من يذهب نور
بصره تزرق (يتخافتون)
يتسارون (بينهم) أي
يقول بعضهم لبعض سرا
لهول ذلك اليوم (ان
لبئتم) ما لبئتم في الدنيا
(الاعشرا) أي عشر ليال
يستقصرون مدة لبئتم في

(الذي ظلت عليه عاف كفا) أي دمت عليه مقبلا تبعده (لحرقه) بالنار (ثم لنسفه) أي لنذرينه (في اليم)
أي في البحر (نسفا) روى أن موسى أخذ الجبل فذبحه فسال منه دم وحرقه في النار ثم ذراه في البحر وقيل
معناه لنحرقه أي لنبردنه فعلى هذا التأويل لم ينقلب الجاود ما فان ذلك لا يمكن أن يبرد بالبرد ويمكن ان يقال
صار الجاود ما فذبح ثم بردت عظامه بالبرد حتى صارت بحيث ان يمكن نسفها في البحر فلما فرغ موسى من
أمر الجبل وابطال ما ذهب اليه السامري رجع الى بيان الدين الحق فقال مخاطبا لبني اسرائيل (انما الحكم
الله) أي المستحق للعبادة والتعظيم هو الله (الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما) أي وسع علمه كل شيء وقيل
لم من يعبده بقوله عز وجل (كذلك نقص عليك من أنباء) يعني من أخبار (ما قد سبق) يعني الامم
الخالية وقيل ما سبق من الامور (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) وهو القرآن (من أعرض عنه) أي عن
القرآن ولم يؤمن به ولم يعمل بما فيه (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) أي جلا ثقيلا من الاثم (خالدين
فيه) أي مقبطين في عذاب الوزر (وساء لهم يوم القيامة جلا) أي بشس ما حلوا أنفسهم من الاثم (يوم
ينفخ في الصور) قيل هو قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للمحشر والمراد بهذه النفخة النفخة الثانية
لانه أتبعه بقوله (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) أي نحشر المجرمين زرق العيون سود الوجوه وقيل عميا وقيل
عطاشا (يتخافتون) أي يتساورون (بينهم) ويتكلمون خفية (ان لبئتم) أي مكثتم في الدنيا
(الاعشرا) أي عشر ليال وقيل في القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة وذلك ان
العذاب رفع عنهم بين النفختين فاستقصروا مدة لبئتم لهول ما عاينوا فقال الله تعالى (نحن أعلم بما يقولون)
أي يتساورون فيما بينهم (اذ يقول أمثلهم طريقة) أي اوقاهم عقلا واعد لهم قولا (ان لبئتم الا يوما)
قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبئتم لشدة مادهمهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فانزل الله تعالى هذه الآية والنسف هو

القبور أو في الدنيا لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونم بانقصر لان أيام السرور وقصار
ولانها ذهبت عنهم والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء ولا استطالتم الآخرة لانها أبد استقصرت اليها عمر الدنيا ويقال لبث أهلها فيها
بالقياس الى لبئتم في الآخرة وقد رجح الله قول من يكون أشد تقلا منه بقوله (نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة) أعد لهم قولا
(ان لبئتم الا يوما) وهو كقوله قالوا لبئنا يوما وبعض يوم فاسأل العادين (ويستلونك عن الجبال) سألو النبي صلى الله عليه وسلم
ما يصنع بالجبال يوم القيامة وقيل لم يسئل وتقديره ان سألوك (فقل) ولذا قرن بالفاء بخلاف سائر السؤالات مثل قوله ويستلونك عن
المحيض قل هو أذى وقوله ويستلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير يستلونك عن الحجر والميسر قل فيهما ثم كبير يستلونك عن الساعة
أيان مر ساها قل انما علمها عند ربى ويستلونك عن الروح قل الروح ويستلونك عن ذى القرنين قل سأتلوا لانها سؤالات تقدمت فورد
جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذ كر الفاء (ينسفها ربى نسفا) أي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها كما يذرى الطعام
وقال الخليل يقلعها

(فيدرها) فيذرمقارها أو يجعل الضمير للارض للعلم بها كقوله ما ترك على ظهرها (فماصفصفا) مستوية ملساء (لا ترى فيها عوجا) انخفاضا (ولا أمتا) ارتفاعا والعوج بالكسر وان كان في المعاني كأن المقترح في الاعيان والارض عين ولكن لما استوت الارض استواء لا يمكن أن يوجد فيها عوجا ج بوجه ما وان دقت الحيلة ولطفت جرت مجرى المعاني (بومئذ) أضاف اليوم الى وقت نسف الجبال أي يوم اذ نفت وجاز أن يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة (يتبعون الداعي) الى المحشر أي صوت الداعي وهو اسرافيل حين ينادى على صخرة بيت المقدس أيها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلمي الى عرض الرحمن فيقبلون من كل أوب الى صوبه لا يعدلون عنه (لا عوج له) أي لا عوج له مدعو بل (٢٦٤) يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته (وخشعت) وسكنت (الاصوات

للرحن) هيبه واجلالا (فلا تسمع الا همسا) صوتا خفيفا لتحريك الشفاه وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت أي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر (بومئذ لا تسمع الشفاعة الامن أذن له الرحمن) محل من رفع على البديل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف أي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من أذن له الرحمن أي أذن للشافع في الشفاعة (ورضى له قولاً) أي رضى قولاً لاجله بان يكون المشفوع له مسلماً أو نصب على المدح لانه مفعول تنفع (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه (ولا يحيطون به علماً) أي بما أحاط به علم الله فيرجع الضمير الى

القلع أي يقلعها من أصولها ويجعلها هباء منثورا (فيدرها) أي يدع أما كن الجبال من الارض (فما صصفا) أي أرضا ملساء مستوية لانبات فيها (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) أي لا انخفاضا ولا ارتفاعا أي لا ترى وادي ولا راية (بومئذ يتبعون الداعي) أي صوت الداعي الذي يدعوهم الى موقف يوم القيامة وهو اسرافيل وذلك أنه يضع الصور في فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول أيها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن (لا عوج له) أي لا عوج لهم عن دعائه ولا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل يتبعونه سراعا (وخشعت الاصوات للرحن) أي سكنت وذلك وخضعت وضعفت والمراد به أصحاب الاصوات وقيل خضعت الاصوات من شدة الفزع (فلا تسمع الا همسا) وهو الصوت الخفي قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل أراد بالهمس صوت وطء الاقدام الى المحشر كصوت اخفاف الابل (بومئذ لا تسمع الشفاعة) لاحد من الناس (الامن أذن له الرحمن) أي الامن اذن له أن يشفع (ورضى له قولاً) قال ابن عباس يعني قال لاله الا الله وفيه دليل على انه لا يشفع غير المؤمن وقيل ان درجة الشافع درجة عظيمة فهي لا تحصل الا لمن يأذن الله له فيها وكان عند الله مرضيا (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) قيل الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعي أي يعلم الله ما قدموا من الاعمال وما خلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع الى من أذن له الرحمن وهو الشافع والمعنى لا تنفع الشفاعة الا لمن أذن له الرحمن أن يشفع ثم قال يعلم ما بين أيديهم أي أيدي الشافعين وما خلفهم (ولا يحيطون به علماً) قيل الكناية ترجع الى ما أي هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه والمعنى ان العباد لا يحيطون بما بين أيديهم وما خلفهم علماً وقيل الكناية راجعة الى الله تعالى أي ولا يحيطون بالله علماً (وعنت الوجوه) أي ذلت وخضعت في ذلك اليوم ويصير الملك والقهر لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه وأراد بها المكلفين لان عنت من صفات المكلفين لان صفات الوجوه وانما خص الوجوه بالذكر لان الخضوع عنها يتبين وفيها يظهر وقوله تعالى (للحي القيوم) تقدم تفسيره (وقد خاب من حمل ظلما) قال ابن عباس خسرت من أشرك بالله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) قال ابن عباس معناه لا يخاف ان يزداد على سيئاته ولا ينقص من حسناته وقيل لا يؤاخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل عنه حسنة عملها ﴿ قوله تعالى (وكذلك أنزلناه) أي كما ينزله هذه السورة وهذه الآيات المتضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله كذلك وقوله (قرأ ناعريا) أي بلسان العرب ليفهموه ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر (وصرفنا فيه من الوعيد) أي كررنا وفصلنا القول فيه بذكر الوعيد ويدخل تحت الوعيد بيان الفرائض

ما ويرجع الضمير الى الله لانه تعالى ليس بمحاط (وعنت) خضعت وذات ومنه قيل للاسبرغان (الوجوه) والمحارم أي أصحابها (للحي) الذي لا يموت وكل حياة يتعقبها الموت فهي كأن لم تكن (القيوم) الدائم القائم على كل نفس بما كسبت أو القائم بتدبير الخلق (وقد خاب) يش من رحمة الله (من حمل ظلما) من حمل الى موقف القيامة مشركا لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه ولا ظلم أشد من جعل المخلوق شريكاً من خلقه (ومن يعمل من الصالحات) الصالحات الطاعات (وهو مؤمن) معذوق بما جاء به محمد عليه السلام وفيه دليل أنه يستحق اسم الإيمان بدون الاعمال الصالحة وان الإيمان شرط قبولها (فلا يخاف) أي فهو لا يخاف فلا يخف على النبي مكي (ظلما) أن يزداد في سيئاته (ولا هضما) ولا ينقص من حسناته وأصل الهضم التقص والكسر (وكذلك) عطف على كذلك تقص أي ومثل ذلك الازال (أنزلناه قرآنا عربيا) بلسان العرب (وصرفنا) كررنا (فيه من الوعيد

لعلهم يتقون) يجتنبون الشرك (أو يحدث لهم) الوعيد والقرآن (ذ كرا) عظة أو شر فإيمانهم به وقيل أو بمعنى الواو (فتعالى الله) ارتفع عن فنون الظنون وأوهام الأفهام وتنزه عن مضاهاة الأنام ومشابهة الأجسام (الملك) الذي يحتاج إليه الملوك (الحق) المحق في الألوهية ولما ذكر القرآن وانزاله قال استطرادا وإذا القنك جبريل ما يوحى إليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك (ولا تجعل بالقرآن) بقرائه (من قبل أن يقضى إليك وحيه) من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ (وقل رب زدني علما) بالقرآن ومعانيه وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم (ولقد عهدنا إلى آدم) أي أوحينا إليه أن لا يأكل من الشجرة يقال في أوامر الملوك ووصاياهم يقدم الملك إلى فلان وأوصى إليه وعزم عليه وعهد إليه فعطف قصة آدم على وصر فنافيه (٢٦٥) من الوعيد والمعنى وأقسم قسم القدامرنا

أباهم آدم ووصيناها أن لا يقرب الشجرة (من قبل) من قبل وجودهم فخالف إلى ما نهى عنه كما أنهم يخالفون يعني أن أساس أمر بني آدم على ذلك وعرفهم راسخ فيه (ففسى) العهد أي النهي والأنبياء عليهم السلام يؤخذون بالنسيان الذي لو تكلفوا لحفظوه (ولم نجد له عزما) قصد إلى الخلاف لا مره أو لم يكن آدم من أولى العزم والوجود بمعنى العلم ومفعولاه له عزما أو بمعنى تقيض العدم أي وعدمنا له عزما وله متعلق بنجد (واذ قلنا) منصوب بأذكر (للملائكة اسجدوا للآدم) قيل هو السجود اللغوي الذي هو الخضوع والتذلل أو كان آدم كاقبلة لضرب تعظيم له فيه (فسجدوا إلا إبليس) عن ابن عباس رضي الله عنهما إن إبليس كان ملكا من جنس

والمحارم لأن الوعيد بهما يتعلق فتكريره وتصريفه يقتضي بيان الأحكام فلذلك قال تعالى (لعلهم يتقون) أي يجتنبون الشرك والمحارم وترك الواجبات (أو يحدث لهم ذكرا) أي إنما أنزلنا القرآن ليصيروا متقين مجتنبين ما لا ينبغي ويحدث لهم القرآن ذكر إرغبتهم في الطاعات وفعل ما ينبغي وقيل معناه يجدد لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبرون ويتعظون بذكر عقاب الله الام السالفة بقوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق) أي جل الله وعظم عن الحاد الملحدين وعمما يقوله المشركون والجاحدون وقيل فيه تنبيه على ما يلزم خلقه من تعظيمه وتمجيدته وقيل إنما وصف نفسه بالملك الحق لأن ملكه لا يزول ولا يتغير وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره أولى به منه (ولا تجعل بالقرآن) أراد النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادره فيقرأ معه قبل أن يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة مخافة الانفلات أو النسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك فقال تعالى ولا تجعل بالقرآن أي ولا تجعل بقرائه (من قبل أن يقضى إليك وحيه) أي من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ وقيل معناه لا تقرئه أصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معناه (وقل رب زدني علما) فيه التواضع والشكر لله والمعنى زدني علما إلى ما علمت فان لك في كل شيء علما وحكمة قيل ما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية يقول اللهم زدني علما وإيمانا ويقينا ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ولقد عهدنا إلى آدم) يعني أمرناه وأوحينا إليه أن لا يأكل من الشجرة (من قبل) أي من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الإيمان بي وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى لعلهم يتقون (ففسى) أي فترك ما عهدنا إليه من الاحتراز عن أكل هذه الشجرة وأكل منها وقيل أراد النسيان الذي هو ضد الذكر (ولم نجد له عزما) أي صبرا عما نهى عنه وحفظا لما أمر به وقيل معناه لم نجد له رأيا معزوما حيث أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له وقيل معناه لم نجد له عزما على المقام على المعصية فيكون إلى المدح أقرب ﴿ قوله عز وجل ﴾ (واذ قلنا للملائكة اسجدوا للآدم فسجدوا إلا إبليس أبى) أن يسجد (فقلنا يا آدم ان هذا) أي إبليس (عدوك ولزوجك) أي حواء وسبب العداوة ما رأى من آثار نعمة الله على آدم فسده فصار عدوا له (فلا يخرجكما من الجنة فتشقى) أسند الخروج إليه وإن كان الله تعالى هو المخرج لانه لما كان بوسوسته وفعل آدم ما يترتب عليه الخروج صح ذلك ومعنى تشقى تعب وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك وهو الحرق والزرع والحصد والطحن والخبز قيل أهبط إلى آدم ثورا حمر فكان يحرق عليه ويمسح العرق عن جبينه فكان ذلك شقاءه فان قلت لم أسند الشقاء إلى آدم دون حواء قلت فيه وجهان أحدهما ان في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله كما أن في سعادته سعادتهم لانه القيم عليهم الثاني أنه أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة لان الرجل هو الساعي

(٣٤ - خازن - ثالث) المستثنى منهم وقال الحسن الملائكة لباب الخليقة من الأرواح ولا يتناسلون وإبليس من نار السموم وإنما صح استثناءه منهم لانه كان يصحبهم ويعبد الله معهم (أبى) جملة مستأنفة كأنه جواب لمن قال لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وإن يكون معناه أظهر الأباء وتوقف (فقلنا يا آدم ان هذا عدوك ولزوجك) حيث لم يسجد لك ولم يرفضك (فلا يخرجكما من الجنة) فلا يكون سببا لإخراجكما (فتشقى) فتتعب في طلب القوت ولم يقل فتشقى مراعاة لرؤس الآي أو دخلت تبعا ولان الرجل هو الكافل لنفقة المرأة وروى انه أهبط إلى آدم ثورا حمر وكان يحرق عليه ويمسح العرق من جبينه

الاولى وغيرهما بالفتح عطف على أن لانجوع وعمله نصب بان وجاز للفصل كالتقول ان في علمي امك جالس (لا نظاماً فيها) لاتعطش لوجود الامر به فيها (ولا تضحي) لا يصيبك حر الشمس اذ ليس فيها شمس فاهلها في ظل عمود (فوسوس اليه الشيطان) أي أنهى اليه الوسوسة كسر اليه ثم بين تلك الوسوسة ما هي فقال (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أشرف الشجرة التي ان أكلت منها بقيت مخلداً (وملك لا يبلى) أي لا يبلى ولا يفنى رغبة في دوام الراحة فكان الشيء الذي رغب الله فيه آدم رغبة ابليس فيه الا أن الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة وابليس وقفه على الاقدام عليها و آدم مع كمال علمه بأن الله تعالى هو خالقهم وربه ومولاه وناصره وابليس هو عدوه وأعرض عن قول الله تعالى ولم يرد المخالفة ومن تأمل هذا السر عرف أنه لا دافع لقضاء الله ولا مانع له منه ﴿وقوله تعالى (فاكل منها) يعني أكل آدم وحواء من الشجرة (فبذت لهما سواهما) أي عري يامن الشياطين التي كانت عليهما حتى بذت فروجها وظهرت عورتاهما (وظفقا نخسفان عليهما من ورق الجنة) أي يلزقان بسواهما من ورق التين (وعصى آدم ربه) أي باكل الشجرة (فغوى) أي فعل ما لم يكن له فعله وقيل انما طريق الحق وضل حيث طلب الخلد باكل ما نهى عنه فغاب ولم ينل مراده وصار من العزالي الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز أن يقال عصى آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاص لأنه انما يقال لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك مراراً ويعتاده (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت أبونا أخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتلو مني على أمر قدره الله تعالى علي قبل أن يخلقني باربعين عاماً فخرج آدم موسى وفي رواية لمسلم قال آدم بكلم وجدت الله كتب التوراة قبل ان أخلق قال موسى باربعين سنة قال فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال له نعم قال فهل تلو مني على ان عملت عملاً كتب الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج آدم موسى ﴿الكلام على معنى الحديث وشرحه﴾ قوله احتج آدم وموسى المحاجة المجادلة والمخاصمة يقال حاججت فلانا فحججته أي جادلته فغلبته قال أبو سليمان الخطابي قد يحسب كثير من الناس ان معنى القدر والقضاء من الله تعالى على معنى الاجبار والقهر للعبد على ما قضاه وقدره ويتوهم ان قوله فخرج آدم موسى من هذا الوجه وليس كذلك وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله بما يكون من أفعال العبادوا كسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلقها خبيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدر عن فعل القادر والقضاء في هذا معناه الخلق واذا كان الامر كذلك فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيهم أفعالهم وكسابهم ومباشرتهم الامور وما لا يستهم ايها عن قصد وتعمد وتقدم ارادة واختيار فالجدة انما تلزمهم بها واللائمة تلحقهم عليها وجماع القول في هذا انهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر لان احدهما بمنزلة الاساس والآخر بمنزلة البناء فن رام الفصل بينهما فقد رام عدم البناء ونقضه وانما موضع الجنة لآدم على موسى أن الله تعالى كان قد علم من آدم انه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه وأن يبطله بعد ذلك وانما كان تناوله الشجرة سبباً لنزوله الى الارض التي خلق لها وانما أدلى آدم بالجحمة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال أتلو مني على أمر قدره الله علي من قبل أن يخلقني ﴿فصل في بيان عصمة الانبياء وما قيل في ذلك﴾ قال الامام نجر الدين الرازي اختلف الناس في عصمة الانبياء وضبط القول فيها يرجع الى أقسام أربعة أحدها ما يقع في باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال فان ذلك غير جائز عليهم الثاني ما يتعلق بالتبليغ فقد اجتمعت الامة على كونهم معصومين عن

على زوجته (ان لك الانجوع فيها) أي في الجنة (ولا تعري وانك لا نظاماً فيها) أي تعطش (ولا تضحي) أي تبرز للشمس فيؤذيك حره لانه ليس في الجنة شمس وأهلها في ظل عمود والمعنى ان الشبع والري والكسوة والسكن هي الامور التي يدور عليها كفاف الانسان قد كر الله تعالى حصول هذه الاشياء في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج اليه أهل الدنيا (فوسوس اليه الشيطان) أي أنهى اليه الوسوسة كسر اليه ثم بين تلك الوسوسة ما هي فقال (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أشرف الشجرة التي ان أكلت منها بقيت مخلداً (وملك لا يبلى) أي لا يبلى ولا يفنى رغبة في دوام الراحة فكان الشيء الذي رغب الله فيه آدم رغبة ابليس فيه الا أن الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة وابليس وقفه على الاقدام عليها و آدم مع كمال علمه بأن الله تعالى هو خالقهم وربه ومولاه وناصره وابليس هو عدوه وأعرض عن قول الله تعالى ولم يرد المخالفة ومن تأمل هذا السر عرف أنه لا دافع لقضاء الله ولا مانع له منه ﴿وقوله تعالى (فاكل منها) يعني أكل آدم وحواء من الشجرة (فبذت لهما سواهما) أي عري يامن الشياطين التي كانت عليهما حتى بذت فروجها وظهرت عورتاهما (وظفقا نخسفان عليهما من ورق الجنة) أي يلزقان بسواهما من ورق التين (وعصى آدم ربه) أي باكل الشجرة (فغوى) أي فعل ما لم يكن له فعله وقيل انما طريق الحق وضل حيث طلب الخلد باكل ما نهى عنه فغاب ولم ينل مراده وصار من العزالي الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز أن يقال عصى آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاص لأنه انما يقال لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك مراراً ويعتاده (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت أبونا أخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتلو مني على أمر قدره الله تعالى علي قبل أن يخلقني باربعين عاماً فخرج آدم موسى وفي رواية لمسلم قال آدم بكلم وجدت الله كتب التوراة قبل ان أخلق قال موسى باربعين سنة قال فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال له نعم قال فهل تلو مني على ان عملت عملاً كتب الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج آدم موسى ﴿الكلام على معنى الحديث وشرحه﴾ قوله احتج آدم وموسى المحاجة المجادلة والمخاصمة يقال حاججت فلانا فحججته أي جادلته فغلبته قال أبو سليمان الخطابي قد يحسب كثير من الناس ان معنى القدر والقضاء من الله تعالى على معنى الاجبار والقهر للعبد على ما قضاه وقدره ويتوهم ان قوله فخرج آدم موسى من هذا الوجه وليس كذلك وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله بما يكون من أفعال العبادوا كسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلقها خبيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدر عن فعل القادر والقضاء في هذا معناه الخلق واذا كان الامر كذلك فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيهم أفعالهم وكسابهم ومباشرتهم الامور وما لا يستهم ايها عن قصد وتعمد وتقدم ارادة واختيار فالجدة انما تلزمهم بها واللائمة تلحقهم عليها وجماع القول في هذا انهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر لان احدهما بمنزلة الاساس والآخر بمنزلة البناء فن رام الفصل بينهما فقد رام عدم البناء ونقضه وانما موضع الجنة لآدم على موسى أن الله تعالى كان قد علم من آدم انه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه وأن يبطله بعد ذلك وانما كان تناوله الشجرة سبباً لنزوله الى الارض التي خلق لها وانما أدلى آدم بالجحمة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال أتلو مني على أمر قدره الله علي من قبل أن يخلقني ﴿فصل في بيان عصمة الانبياء وما قيل في ذلك﴾ قال الامام نجر الدين الرازي اختلف الناس في عصمة الانبياء وضبط القول فيها يرجع الى أقسام أربعة أحدها ما يقع في باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال فان ذلك غير جائز عليهم الثاني ما يتعلق بالتبليغ فقد اجتمعت الامة على كونهم معصومين عن

خرج فعله من أن يكون رشداً فكان غيلاً ان الغي خلاف الرشدي التصريح بقوله وعصى آدم ربه فغوى والعدول عن قوله الكذب وزل آدم من جرة بليغة وموعظة كافة للكافرين كانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعت على النبي المعصوم حبيب الله زلت به هذه العظة

الكذب مواظبين على التبليغ والتحرير والالاررفع الوثوق بالاداء وانفقوا على أن ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن الثالث ما يتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز خطوهم فيها على سبيل العمدا وجاهزه بعضهم على سبيل السهو والرابع ما يقع في أفعالهم فقد اختلفت الامة فيه على خمسة أقوال أحدها قول من جوز عليهم الكبار الثاني قول من منع من الكبار وجوز الصغار على جهة العمد وهو قول أكثر المعتزلة الثالث لا يجوز أن يأتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة بل على وجه التأويل وهو قول الجبائي الرابع انه لا يقع منهم الذنب الاعلى جهة السهو والخطا الخامس انه لا يقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل وهو قول الشيعة واختلف الناس في وقت العصمة على ثلاثة أقوال أحدها قول من ذهب الى انهم معصومون من حين وقت الولادة وهو قول الشيعة الثاني قول من ذهب الى عصمتهم من وقت بلوغهم وهو قول أكثر المعتزلة الثالث قول من ذهب الى ان ذلك لا يجوز منهم بعد النبوة وهو قول أكثر أصحابنا وأبي الهذيل وأبي علي من المعتزلة قال الامام والخيار عندنا انه لم يصدر عنهم ذنب لا صغيرة ولا كبيرة من حين جاءتهم النبوة ويدل عليه وجوه أحدها لو صدر الذنب عنهم لكانوا أقل درجة من أحد الامة وذلك غير جائز لان درجة الانبياء غاية في الرفع والشرف الثاني لو صدر منه وجب أن لا يكون مقبول الشهادة فكان أقل حالا من عدول الامة وذلك غير جائز أيضا لان معنى النبوة والرسالة هو أن يشهد على الله أنه شرع هذا الحكم وأيضا فإنه يوم القيامة شاهد على الكل الثالث لو صدر من النبي ذنب وجب الاقتداء به فيه وذلك محال الرابع ثبت بيديها العقل أنه لا شيء أقبح من رفع الله درجته واتممه على وحيه وجعله خليفته في عبادته وبلاده يسمع به وينادي به لا تفعل كذا فيقدم عليه ويفعله ترجيح الغرض واجتمعت الامة على ان الانبياء كانوا يأمرون الناس بطاعة الله فلولا يطيعوه لدخلوا تحت قوله أنأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وقال وما أريد أن أخالفكم الى ما أنها كم عنه الخامس قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ولفظه للعموم فيتناول الكل ويدل على فعل ما ينبغي فعله وترك ما ينبغي تركه فثبت أن الانبياء كانوا أفعالين لكل خير وتاركين لكل منهي وذلك ينافي صدور الذنب عنهم السادس قال الله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسالا ومن الناس ان الله سميع بصير وقال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين وقال تعالى في حق موسى اني اصفيتك على الناس برسالتى و بكلامي وقال تعالى واذا كرمنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وغير ذلك من الآيات التي تدل على كونهم موصوفين بالاصطفاء والخيرة وذلك ينافي صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه قال وأما المخالف فقد تمسك بايات منها قصة آدم هذه والجواب عنها أن تقول ان كلامهم انما يتم ان لو يدنو بالدلالة ان ذلك كان حال النبوة وذلك ممنوع ولم لا يجوز أن يقال ان آدم حال ما صدرت عنه هذه الاشياء ما كان نبيا وان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وان الله تعالى قبل توبته وشرفه بالنبوة والرسالة وقال القاضي عياض وأما قصة آدم وقوله وعصى آدم ربه فغوى أى جهل وقيل أخطأ فقد أخبر الله تعالى بعذره في قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما أى نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لاولئك اغتر بحلف ابليس له اني لكامل الناصحين وتوهم ان أحد الايخلف بالله كاذبا وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما أى قصد للمخالفة وقيل بل أكل من الشجرة متأولا وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهى عنها لانه تناول نهى الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تناول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهى تحريم فان قلت اذا

فلا تهاونوا بما يفرط
منكم من الصغار فضلا
عن الكبار

(ثم اجتنابه ربه) قر به اليه واصطفاه وقرى به وأصل الكلمة الجمع يقال جبي الى كذا فاجتبيته (فتاب عليه) قبل ثوبته (وهدي) وهداه الى الاعتذار والاستغفار (قال اهبطا منها جميعا) يعني آدم وحواء (بعضكم) ياذر به آدم (لبعض عدو) بالتحاسد في الدنيا والاختلاف في الدين (فاما يا ايها الذين اتبعوا هدي) كتاب وشريعة (فن اتبع هداي فلا يضل) في الدنيا (ولا يثقي) في العقبي قال ابن عباس رضي الله عنهما ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يثقي في الآخرة يعني ان الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين

(٢٦٨)

فمن اتبع كتاب الله وامثل أوامره واتقى عن نواحيه نجما من الضلال ومن عقابه (ومن أعرض عن القرآن عن ذكرى) عن القرآن (فان له معيشة ضنكا) ضيقا وهو مصدر يستوي في الوصف به المذكور والمؤنث عن ابن جبير يسلب القناعة حتى لا يشبع فع الدين التسليم والقناعة والتوكل فتكون حياته طيبة ومع الاعراض الحرص والشح فمعيشة ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض أحدكم عن ذكر ربه الا ظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه (ونحشره يوم القيامة أعمى) عن الحجية عن ابن عباس أعمى البصر وهو كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وهو الوجه (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) في الدنيا (قال كذلك) أي مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر فقال (أتك آياتنا فنتيها

نفيت عنهم الذنوب والمعاصي فمأعنى قوله وعصى آدم ربه فغوى وما تكررت في القرآن والحديث من اعتراف الانبياء بذنوبهم وثوبتهم واستغفارهم واشفاقهم وبكأنهم على ما صلب منهم وهل يتوب ويستغفر من لا شيء عليه قلت ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحمله على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المواخذه بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولم يؤمروا بها وتوها على وجه التأويل او السهو ووزيدوا من أمور الدنيا المباحة أوخذوا عليها وعوتبوا بسببها وحذروا من المواخذه بها فهم خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لانها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصيهم كان هذا أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم كما قيل حسنت الابرار سيئات المقربين أي يرونها بالاضافة الى علو أحوالهم كالسيئات وسند كرفي كل موضع ما يليق به وما قيل فيه ان شاء الله تعالى ﴿ قوله عز وجل (ثم اجتنابه ربه) أي اختاره واصطفاه (فتاب عليه) أي عاد عليه بالعفو والمغفرة (وهدي) أي هداه لرشده حتى رجع الى الندم والاستغفار (قال اهبطا منها جميعا) قيل الخطاب لآدم ومعه ذريته ولا بليس ومعه ذريته فصح قوله اهبطا لاشتغال كل واحد من الجنسين على الكثرة وقيل الخطاب لآدم وحواء لانهما أصل البشر فجعلنا كأنهما البشر فخطوا بطبا بلفظ الجمع (بعضكم لبعض عدو) وقيل في تقوية هذا الظاهر حقه ان يكون ابليس والشياطين أعداء الناس ويحتمل أن يكون بعض الفريقين لبعض عدوا (فاما يا ايها الذين اتبعوا هدي) أي كتاب ورسول (فن اتبع هداي) أي الكتاب والرسول (فلا يضل ولا يثقي) قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك لان الله تعالى يقول فن اتبع هداي فلا يضل أي في الدنيا ولا يثقي أي في الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى) يعني القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه (فان له معيشة ضنكا) روى عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم انهم قالوا هو عذاب القبر قال أبو سعيد يضط في القبر حتى تختلف أضلاعه وفي بعض المسانيد مرفوعا يلتم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث وقيل هو الزقوم والضرب والعساكين في النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس الشقاء وعنه قال كل ما أعطى العبد قل أم كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة وان قوما أعرضوا عن الحق وكانوا أولى سعة من الدنيا مكثرين منها فكانت معيشتهم ضنكا وذلك انهم يرون ان الله ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم معاشهم من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل يسلب القناعة حتى لا يشبع (ونحشره يوم القيامة أعمى) قال ابن عباس أعمى البصر وقيل أعمى عن الحجية (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) أي بصير العين أو بصيرا بالحجة (قال كذلك) أي كما (أتك آياتنا فنتيها) أي فتركتها وأعرضت عنها (وكذلك اليوم تنسى) أي تترك في النار وقيل نسوا من الخير والرحمة ولم ينسوا من العذاب (وكذلك تجزي من أسرف) أي كما تجزي من أسرف عن القرآن كذلك تجزي من أسرف أي أشرك (ولم يؤمن با آيات ربه ولعذاب الآخرة أشد) أي مما يعذبهم الله به في الدنيا والقبر (وأنت) أي وأدوم ﴿ قوله تعالى

وكذلك اليوم تنسى) أي أنتك آياتنا واضحة فلم تنظر اليها بين المعبرون تركتها وعميت عنها كذلك

(افلم

اليوم تترك على عمالك ولا تزال غطاءه من عينيك (وكذلك تجزي من أسرف ولم يؤمن با آيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأنتي) لما نوءد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره أعمى في العقبي ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة أشد وأنتي أي للحشر على العمى الذي لا يزال أبدا أشد من ضيق العيش المنقضى

(أفلم يهد لهم) أي الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب بالنون (كم أهل كنا قبلهم من القرون يمشون) حال من الضمير المجرور في لهم (في مساكنهم) يريدان قرى يشامشون في مساكن عاد وحمود وقوم لوط ويعاينون آثار هلاكهم (ان في ذلك آيات لا ولي النهي) لذوى العقول اذا تفكروا علموا ان استنصاهم لكفرهم فلا يفعلون مثل ما فعلوا (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي الحكم بتأخير العذاب عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم (لكان لزاما) لازما فاللزام مصدر لزم فوصف به (وأجل مسمى) القيامة وهو معطوف على كلمة والمعنى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كالأزمنة القرون الماضية الكافرة (فاصبر على ما يقولون) فيك (وسبح) وصل (بمحمد ربك) في موضع الحال وأنت حامد لربك على أن (٢٦٩) وفقك للتسبيح وأعانك عليه (قبل

طلوع الشمس) يعني صلاة الفجر (وقبل غروبها) يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها (ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار) أي وتعهد آناء الليل أي ساعاته وأطراف النهار مختصاها بصلاتك وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله والصلاة الوسطى عند البعض وانما جمع وأطراف النهار وهما طرفان لا من الالباس وهو عطف على قبل (لعلك ترضى) لعل للمخاطب أي اذكر الله في هذه الاوقات رجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك

(أفلم يهد لهم) أي أفلم يبين القرآن لكفار مكة (كم أهل كنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم) يعني في ديارهم ومنازلهم اذا سافروا وذلك ان قرى شامش كانوا يسافرون الى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وهم عمود قرى قوم لوط (ان في ذلك آيات لا ولي النهي) أي لذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم (لكان لزاما وأجل مسمى) تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كالأزمنة القرون الماضية الكافرة (فاصبر على ما يقولون) نسختها آية السيف (وسبح ب محمد ربك) أي صل بامر ربك (قبل طلوع الشمس) يعني صلاة الفجر (وقبل غروبها) أي صلاة العصر (ومن آناء الليل) أي ومن ساعاته (فسبح) يعني فصل المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد أول الليل (وأطراف النهار) يعني صلاة الظهر ^{سبح} وقت الظهر أطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو طرف النصف الاول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء (لعلك ترضى) أي ترضى ثوابه في المعاد وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرئ ترضى بضم التاء أي تعطى ثوابه وقيل يرضاك ربك (ق) عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قوله لا تضامون بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم والمعنى انكم ترونه جميعا لا يظلم بعضكم بعضا في رؤيته وروى بتشديد الميم من الانضمام والازدحام أي لا يزدحم ولا ينضم بعضكم الى بعض في رؤيته والكاف في قوله كما ترون هذا القمر كاشف التشبيه للرؤية للمرئى وهي فعل الرأى ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرويتكم هذا القمر ليلة البدر لا ترون فيه ولا تشكون ﴿ قوله عز وجل (ولا تمدن عينيك) قال أبو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثنى الى يهودى فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعنى كذا وكذا من الدقيق أو أسلفنى الى هلال رجب فأنته فقلت له ذلك فقال والله لأبيعه ولا أسلفه الا برهن فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله لئن باعنى أو أسلفنى لقضيتته وانى لا ميين في السماء وأمين في الارض اذهب بدرعى الحديد اليه فنزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك أي لا تنظر نظراتك كادرتده استحسانا للنظور اليه واعجابا به وتمنياله (الى ما تمنى به) أي اعطينا (أزواجا) أي أصنافا (منهم زهرة الحياة الدنيا) أي زينتها وبعثها (لنفتنهم فيه) أي لنجعل ذلك فتنة لهم بان يزيد لهم النعمة فيزيدوا كفرا

وترضى على وأبو بكر أي يرضيك ربك (ولا تمدن عينيك) أي نظر عينيك ومد النظر تطوبله وأن لا يكاد يردده استحسانا للنظور اليه واعجابا به وفيه أن النظر غير المدود معفو عنه وذلك أن يبادر الشيء بالنظر ثم بغض الطرف ولقد شدد المتقون في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في ملابسهم ومراكمهم حتى قال الحسن لا تنظروا الى دقة هماغ الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب وهذا لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها يحصل لغرضهم ومغرمهم على اتخاذها (الى ما تمنى به أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كانه قال الى الذي تمنى به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم (زهرة الحياة الدنيا) زينتها وبعثها واتتصب على الدم أو على ابداله من محل به أو على ابداله من أزواج على تقدير ذوى زهرة (لنفتنهم فيه) لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفر ان منهم أولئك في الآخرة بسببه

(ورزق ربك) ثوابه وهو الجنة أو الحلال الكافي (خير وأبقى) مما رزقوا (وأمر أهلك) أمتك أو أهل بيتك (بالصلاة واصطبر) أنت دائم (عليها لا نسلك رزقا) أي لا نسالك أن ترزق نفسك ولا أهلك (نحن نرزقك) وإياهم فلا نهم لامر الرزق وفرغ بالك لامر الآخرة لأن من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا عدن عيدك الآية ثم ينادي بالصلاة الصلاة رحمة الله وكان بكر بن عبد الله المزني إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فاصلوا بهذا أمر الله رسوله وعن مالك بن دينار مثله وفي بعض المسانيد أنه عليه السلام كان إذا أصاب أهله ضرا أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (والعاقبة للتقوى) أي وحسن العاقبة لاهل التقوى بحذف المضافين (وقالوا) أي الكافرون (لولا يأتينا) (٢٧٠) بآية من ربه) هلا يأتينا محمد بآية من ربه تدل على صحة نبوته (أولم يأتهم) أولم

تأتهم مدني وحفص و بصرى (بينت مدني الصحف الأولى) أي الكتب المتقدمة يعني أنهم اقترحوا على عادتهم في التعت آية على النبوة فقبل لهم أولم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني القرآن من قبل ان القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحة لأنه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها (ولوأنا أهلكناهم بعذاب من قبله من قبل الرسول أو القرآن (لقالوا ربنا لولا) هلا (أرسلت الينار سولا فنبتع) بالنصب على جواب الاستفهام بالقاء (آياتك من قبل أن نذل) بنزل العذاب (ونخزي) في العقبى (قل كل) أي كل واحد منا ومنكم

وطغيانا (ورزق ربك) أي في المعاد في الجنة (خير وأبقى) أي أدوم وقال أبي بن كعب من لم يعتز بعز الله تقطعت نفسه حسرات ومن أتبع بصره ما في أيدي الناس يطل خزنه ومن ظن أن نعمة الله عليه في مطعمه ومشر به وملبسه فقد قل علمه وحضر عذابه ﴿ قوله تعالى (وأمر أهلك) أي قومك وقيل من كان على دينك (بالصلاة) أي بالمحافظة عليها (واصطبر عليها) أي اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل اصبر عليها فعلا فان الوعظ بلسان الفعل أبلغ منه بلسان القول (لا نسلك رزقا) أي لا نكلفك أن ترزق أحدا من خلقنا ولا أن ترزق نفسك بل نكلفك عملا (نحن نرزقك) أي بل نحن نرزقك ونرزق أهلك (والعاقبة للتقوى) أي الخصلة المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك وآمنوا بك وفي بعض المسانيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أصاب أهله ضرا أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية ﴿ قوله تعالى (وقالوا) يعني المشركين (لولا يأتينا بآية من ربه) أي بالآية المقترحة فإنه كان قد أتاناهم بآيات كثيرة (أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى) أي بيان ما فيها وهو القرآن لأنه أقوى دلالة وأوضح آية وقيل معنى ما في الصحف ما في التوراة والانجيل وغيرهما من أخبار الأمم انهم اقترحوا الآيات فلما أتتهم لم يؤمنوا بها فجلنا لهم العذاب والهلاك فما يؤمنهم ان آتهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك وقيل بينة ما في الصحف الأولى هي البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وبعثته (ولوأنا أهلكناهم بعذاب من قبله) أي من قبل ارسال الرسل وانزال القرآن (لقالوا ربنا لولا أرسلت الينار سولا) أي لقالوا يوم القيامة لولا أرسلت الينار سولا يدعوننا (فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزي) بالعذاب والهوان والافتضاح (قل كل متربص) أي منتظر دوائر الزمان وذلك أن المشركين قالوا ترى بص محمد ريب المنون وحوادث الدهر فإذ مات نخلصنا قال الله تعالى (فتربصوا) أي فانتظروا (فستعلمون) أي إذا جاء أمر الله وقامت القيامة (من أصحاب الصراط السوي) أي المستقيم (ومن اهتدى) أي من الضلالة نحن أم أتم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ وهي مكية وعدداياتها مائة واثناعشرة آية وألف ومائة وثمان وستون كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة وتسعون حرفا ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قوله عز وجل (اقرب للناس حسابهم) أي وقت محاسبة الله إياهم على أعمالهم يوم القيامة نزلت في منكري البعث وإنما ذكر الله هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكونون أقرب الى التأهب له والمراد بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم وقيل هم المشركون وهذا من باب اطلاق اسم الجنس (متربص) منتظر للعاقبة ولما يؤول اليه أمرنا وأمركم (فتربصوا) أتم (فستعلمون) على

إذا جاءت القيامة (من أصحاب) مبتدأ وخبر ومحلها نصب (الصراط السوي) المستقيم (ومن اهتدى) الى النعيم المقيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ أهل الجنة الا سورة طه ويس والله أعلم بالصواب ﴿ سورة الانبياء مكية وهي مائة واثناعشرة آية كوفي واحدي عشرة آية مدني وبصري ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ (اقرب) دنا (للناس) اللام صلة لا اقرب عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالناس المشركون لان ما يتلوه من صفات المشركين (حسابهم) وقت محاسبة الله إياهم ومجازاته على أعمالهم يعني يوم القيامة وإنما وصفه بالاقتراب لقله ما بقي بالاضافة الى ماضى ولان كل آت قريب

(وهم في غفلة) عن حسابهم وعميافعل بهم ثم (معرضون) عن التأهب لذلك اليوم فالاقتراب عام والغفلة والاعراض يتفاوتان بتفاوت المكابن
 قرب غافل عن حسابه لاستغراقه في دنياه واعراضه عن مولاه ورب غافل عن حسابه لاستهلا كه في مولاه واعراضه عن دنياه فهو
 لا يفيق البرؤية المولى والاول انما يفيق في عسكر الموتى فالواجب عليك ان تحاسب نفسك قبل ان تحاسب وتتنبه للعرض قبل ان تنبه
 وتعرض عن الغافلين وتشتغل بذكر خالق الخلق اجمعين لتفوز بلقاء رب العالمين (ماياتيهم من ذكر) شيء من القرآن (من ربهم محدث)
 في التنزيل اتيانه مبتدأة تلاوته قريب عهده باستماعهم والمراد به الحروف المنظومة ولا خلاف في حدوثها (الاستمعوه) من النبي عليه
 السلام او غيره ممن يتلوه (وهم يلعبون) يستهزؤن به (لاهية) حال من ضمير يلعبون او وهم يلعبون ولاهية حالان من الضمير في
 استمعوه ومن قرأ الهية بالرفع يكون خبرا بعد خبر لقوله وهم وارتفعت (قلوبهم) بلاهية وهي من لها عنه اذا ذهل وغفل والمعنى قلوبهم
 غافلة عما يراد بها ومنها قال أبو بكر الوراق القلب اللاهية المشغول بزينه الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة وأهواها (وأسروا) وبالغوا
 في اخفاء (النجوى) وهي اسم من التناجى ثم أبدل (الذين ظلموا) من واو وأسروا ايذا بانابنهم الموسومون بالظلم فيما أسروا به أو جاء
 على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو مجرور المحل لكونه صفة (٢٧٨) أو بدلا من الناس أو هو منصوب
 المحل على الذم أو هو مبتدأ

خبره أسروا النجوى
 فقدم عليه أي والذين
 ظلموا أسروا النجوى
 (هل هذا الا بشر مثلكم
 أفتأتون السحروا تم
 تبصرون) هذا الكلام
 كله في محل نصب بدل
 من النجوى أي وأسروا
 هذا الحديث ويجوز أن
 يتعلق بقالوا مضرا والمعنى
 انهم اعتقدوا ان الرسول
 لا يكون الاملكا وان كل
 من ادعى الرسالة من البشر
 وجاء بالمعجزة فهو ساحر
 ومعجزته سحر فلذلك قالوا
 على سبيل الانكار
 أفتحضرون السحروا تم
 تشهدون وتعانيون انه

على بعضه (وهم في غفلة معرضون) أي عن التأهب له وقيل معناه انهم غافلون عن حسابهم ساهون
 لا يفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء المحسن والمسي ثم اذا نهبوا من سنة الغفلة بما يتلى
 عليهم من الآيات والنذر أعرضوا عنه (ماياتيهم من ذكر من ربهم محدث) يعني ما يحدث الله من تنزيل
 شيء من القرآن يذكروهم ويعظهم به وقيل معناه ان الله يحدث الامر بعد الامر فينزل الآية بعد الآية
 والسورة بعد السورة في وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيرها من الامور والوقائع وقيل الذي كرم الحديث ما قاله
 النبي صلى الله عليه وسلم و بينه من السنن والمواعظ سوى ما في القرآن وأضاه اليه لان الله تعالى قال وما
 ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (الاستمعوه وهم يلعبون) أي لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون (لاهية
 قلوبهم) أي ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله (وأسروا النجوى الذين ظلموا) أي بالغوا في اخفاء التناجى
 وهم الذين اشركوا بين سرهم الذي تناجوا به فقال تعالى مخبر عنهم (هل هذا الا بشر مثلكم) يعني انهم
 أنكروا ارسال البشر وطلبوا ارسال الملائكة والاولى ارسال البشر الى البشر لان الانسان الى القبول من
 أشكاله أقرب (أفتأتون السحروا) أي أتحضرون السحروا وتقبلونه (وانتم تبصرون) أي تعلمون انه سحر
 (قل) لهم يا محمد (ربي يعلم القول في السماء والارض) أي لا يخفى عليه شيء (وهو السميع) لا قوا لهم (العليم)
 بأفعالهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (بل قالوا أضغاث أحلام) يعني أباطيل وأهاويل رآها في النوم (بل افتراء)
 أي اختلقه (بل هو شاعر) وذلك أن المشركين اقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم وفيما يقوله
 فقال بعضهم أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو فرية وقال بعضهم هو شاعر وما جاءكم به شعر (فليأتنا) يعني
 النبي صلى الله عليه وسلم (بآية) أي بحجة ان كان صادقا (كما أرسل الاولون) أي من الرسل بالآيات قال الله
 تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم) أي قبل مشركي مكة (من قرية) أي من أهل قرية آتتهم الآيات
 (أهلكتناها) أي بالكذب (أفهم يؤمنون) أي ان جاءتهم آية والمعنى ان أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما

سحر (قال ربي) حزة وعلى وحفص أي قال محمد وغيرهم قل ربي أي قل يا محمد للذين أسروا النجوى (يعلم القول في السماء
 والارض) أي يعلم قول كل قائل هو في السماء أو الارض سرا كان أو جهرا (وهو السميع) لا قوا لهم (العليم) بما في ضمائرهم (بل قالوا
 أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر) اضربوا عن قلوبهم هو سحر الى أنه تخاليط أحلام رآها في نومه فتوهمها وحيامن الله اليه ثم الى
 انه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل للجلج والبطل رجاء غير ثابت على قول واحد ثم قالوا ان كان صادقا في دعواه
 وليس الامر كما يظن (فليأتنا آية) بمعجزة (كما أرسل الاولون) كما أرسل من قبله باليد البيضاء والعصا وبراء الكه واحياء الموتى
 وصحة التشبيه في قوله كما أرسل الاولون من حيث انه في معنى كما أتى الاولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للآيات بالآيات الاترى أنه
 لافرق بين قولك أرسل محمد وبين قولك أتى محمد بالمعجزة فرد الله عليهم قلوبهم بقوله (ما آمنت قبلهم من قرية) من أهل قرية
 (أهلكتناها) صفة لقرية عند مجيء الآيات المقترحة لانهم طلبوها عنتنا (أفهم يؤمنون) أي أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما آتتهم
 أفئ من هؤلاء المقترحون لو آتيناهم بما اقترحوا مع أنهم أعنى منهم والمعنى ان أهل القرى اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم
 يؤمنون عندها فلما ساءت بهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلما أعطينا هؤلاء ما اقترحوا نكثوا أيضا

(وما أرسلنا قبلك الا رجالا) هذا جواب قولهم هل هذا الا بشر مثلكم (يوحى اليهم) نوحى حفص (فاستلوا اهل الذكرك) العلماء
 بالكتاب فانهم يعرفون ان الرسل الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة وكان اهل مكة يعتمدون على قولهم (ان كنتم لانعلمون)
 ذلك ثم بين انه كان تقدمه من الانبياء بقوله (وما جعلناهم جسدا) وهذا لانه لا ارادة الجفص (لايا كلون الطعام) صفة لجسد اعني
 وما جعلنا الانبياء قبله ذوى جسد غير طاهرين (وما كانوا خالدين) ثم صدقناهم الوعد (بما نجأهم والاصل في الوعد مثل واختار موسى قومه أى من
 لا يموتون أو مسمنين بقاءهم امتداد حياتهم بالقطر والندى (ثم صدقناهم الوعد) بانجأهم والاصل في الوعد مثل واختار موسى قومه أى من
 قومه (فانجيناهم) بما حل بقومهم (ومن نشاء) هم المؤمنون (وأهلكنا المسرفين) المجاوزين الحد بالكفر ودل الاخبار باهلاك المسرفين
 على أن من نشاء غيرهم (لقد أنزلنا اليكم) ياء مشرق قریش (كتابا فيه ذكركم) شرفكم ان عملتم به اولانه بلسانكم

أوفيه موعظتكم وفيه
 ذكر دينكم ودينكم والبيان
 أى فيه ذكركم صفة لكتابا
 (أفلا تعقلون) ما فضلتكم
 به على غيركم فتؤمنوا (وكم)
 نعت بقوله (قصصنا) أى
 أهلكنا (من قرية) أى
 أهلها بدليل قوله (كانت
 ظالمة) كافر توهمي واردة
 عن غضب شديد وسخط
 عظيم لان القسم أقطع
 الكسر وهو الكسر الذى
 يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف
 القسم فانه كسر بلا بانه
 (وانشأنا) خلقنا (بعدها)
 قوما آخرين) فكانوا
 ما كنهم (فلما أحسوا)
 أى المهلكون (بأسنا)
 عذابنا أى علموا علم حس
 ومشاهدة (اذأهم منها)
 من القرية واذالمفاجأة
 وهم مبتدأ والخبر (وكنزون)
 يهرون مسرعين والر كض

جاءتهم أفيون من هؤلاء قوله تعالى (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم) هذا جواب قولهم هل هذا
 الا بشر مثلكم والمعنى انما نرسل الملائكة الى الاولين انما أرسلنا رجالا يوحى اليهم مثلك (فاستلوا اهل الذكرك)
 يعنى اهل التوراة والانجيل يريد علماء اهل الكتاب فانهم لا يتكروا ان الرسل كانوا بشرا وان أنكر وانبوة
 محمد صلى الله عليه وسلم أمر الله المشركين بسؤال اهل الكتاب لان المشركين أقرب الى تصديقهم من تصديق
 من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل أراد بالذكرك القرآن أى فاسألوا المؤمنين العالمين من اهل القرآن
 (ان كنتم لانعلمون) قوله عز وجل (وما جعلناهم جسدا الا كلون الطعام) هذا رد لقولهم
 ما لهذا الرسول يا كل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يا كلون الطعام (وما كانوا
 خالدين) أى فى الدنيا بل يموتون كغيرهم (ثم صدقناهم الوعد) أى الذى وعدناهم باهلاك أعدائهم
 (فانجيناهم ومن نشاء) أى من المؤمنين الذين صدقوهم (وأهلكنا المسرفين) أى المشركين لان المشرك
 مسرف على نفسه قوله عز وجل (لقد أنزلنا اليكم) أى يامعشر قریش (كتابا فيه ذكركم) أى شرفكم
 وغرركم وهو شرف ان آمن بدوقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه ذكركم ما تحتاجون اليه من أمر دينكم وقيل
 فيه تذكرة لكم تحذروا فيكون الذكرك بمعنى الوعد والوعيد (أفلا تعقلون) فيه بهت على التدبر لان الخوف
 من لوازم العقل قوله تعالى (وكم قصصنا) أى أهلكنا (من قرية كانت ظالمة) أى كافرة والمراد أهل
 القرية (وانشأنا بعدها) أى أحدثنا بعدها أهلها (قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا) أى عذابنا
 بحاسة البصر (ذاأهم منها بر كضون) أى يسرعون هاربين من قرينهم لما رأوا مقدمة العذاب (لا تركضوا)
 أى قيل لهم لا تهربوا (وارجعوا الى ما أترفتم فيه) أى تعتمتم فيه من العيش (ومساكنكم لعلكم تسألون)
 قال ابن عباس عن فتى نبيكم قيل نزلت هذه الآية فى أهل حضور قرية باليمن وكان أهلها عر بافبعث الله
 اليهم نبيا يدعوه الى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم مختصر فتاتهم وسبأهم فلما استمر فبهم القتل
 هربوا فقلت الملائكة لهم استهزاء لا تركضوا أى لا تهربوا وارجعوا الى مساكنكم وأموالكم لعلكم
 تسألون شيأ من دنياكم فتعطون من شتم وتمنعون من شتم فانكم أهل ثروة ونعمة فاتبعهم مختصر
 وأخذتهم السيوف ونادى منادى منادى من جوار السماء يا نارات الانبياء فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم
 (قالوا يا ويلتنا انما كنا ظالمين) أى لانفسنا حين كذبنا الرسل وذلك انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب

ضرب الدابة بالرجل فيه جوزان بر كوادواهم بر كضونها هاربين من قرينهم لما أدركتهم مقدمة
 العذاب أو شبهوا فى سرعة عدوهم على أرجلهم نارا كبين الرا كضين لدواهم فقتلهم (لا تركضوا) والقائل بهض الملائكة (وارجعوا الى
 ما أترفتم فيه) نعمتم فيه من الدنيا وابن العيش قال اخليل المترف الموسع عليه عيش القليل فيه هم (ومساكنكم لعلكم تسألون) أى يقال
 لهم استهزاء بهم ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة
 أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم فى مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفع فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم نامرون وكيف نأتى ونذكر كعادتك
 المنعمين الخدمين أو يسألكم الناس فى أديتكم المعاونة فى نوازل الخطوب أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب
 اكفكم أو قال بعضهم لبعض لا تركضوا وارجعوا الى منازلكم وأموالكم لعلكم تسألون ما لاوخر ارجعوا فلا تقبلون فتودى من السماء
 بالنارات الانبياء وأخذتهم السيوف فتم (قالوا يا ويلتنا انما كنا ظالمين) اعترافهم بذلك حين لا ينفعهم الاعتراف

(فازالت تلك) هي اشارة الى يا ويلنا (دعواهم) دعاءهم وتلك مرفوع على انه اسم زالت ودعواهم الخبر ويجوز العكس (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد أي الزرع المحصود ولم يجمع كالم يجمع المقدر (خامدين) ميتين خود النار وحصيد اخامدين مفعول ثان لجعل أي جعلناهم جامعين لمائة الحصد والحد كقولك جعلته حلوا حامضاً أي جعلته جامعاً للطعمين (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما الا عين) اللعب فعل يروق أو وله ولا ثبات له ولا عين حال من فاعل خلقنا والمعنى وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلق لله واللعب وانما سويناها ليستدل بها على قدرة مدبرها ولنجازي المحسن والمسي على ما تقتضيه حكمتنا ثم زده ذاته عن سمات الحدوث بقوله (لو أردنا أن نتخذها) أي ولد أو امرأة كأنه رد على من قال عيسى ابنه وصرىم صاحبه (لا نتخذنا من لدنا) من الولدان أو الحور (ان كفافا عين) أي ان كنا من يفعل ذلك ولننا من يفعله لاستحالته في حقنا وقيل هو نفي كقوله وان أدري أي ما كنا فاعلين (بل تقذف) بل اضراب عن اتخاذ الله وتزيه منه لذاته كأنه قال سبحانه (٢٧٣) ان نتخذها بل من سنتنا تقذف أي

نرمي ونسلط (بالحق) بالقرآن (على الباطل) الشيطان أو بالاسلام على الشرك أو بالجد على اللعب (فيدمغه) فيكسره ويدحض الحق الباطل وهذه استعارة لطيفة لأن أصل استعمال القذف والدمغ في الاجسام ثم استعير القذف ليراد الحق على الباطل والدمغ لذهاب الباطل فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي فكأنه قيل بل نور الحق الشبه بالجسم القوي على الباطل الشبه بالجسم الضعيف فيبطله ابطال الجسم القوي الضعيف (فاذا هو) أي الباطل (زاهق) هالك ذاهب (ولكم الويل مما تصفون) الله من الولد ونحوه

وقالوا ذلك على سبيل التدامة ولم ينفعهم الندم (فازالت تلك دعواهم) أي تلك الكلمة وهي قولهم يا ويلنا (حتى جعلناهم حصيدا) أي بالسيوف كما يحصد الزرع ((خامدين) أي ميتين ﴿قوله عز وجل﴾ (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما الا عين) معناها ما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب للعب والله وانما سويناها للقوائد منها التذكير في خلقها وما فهمها من العجائب والمنافع التي لا تعد ولا تحصى (لو أردنا أن نتخذها) قال ابن عباس الله والمرأة وعنه انه الولد (لا نتخذنا من لدنا) أي من عندنا من الحور العين لا من عندكم من أهل الارض وقيل معناه لو كان ذلك جائزاً في حقنا لم نتخذ به حيث يظهر لكم بل نسترد ذلك حتى لا تطمعوا عليه وذلك ان النصارى لما قالوا في المسيح وأمه ما قالوا رداً الله عليهم بقوله لا نتخذنا من لدنا لانكم تعلمون ان ولداً الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره (ان كُنتا فاعلين) أي ما كنا فاعلين وقيل ما كنا من يفعل ذلك لانه لا يليق بالربوبية (بل) أي دع ذلك الذي قالوه فانه كذب وباطل (تقذف) أي نرمي ونسلط (بالحق) أي بالايان (على الباطل) أي على الكفر وقيل الحق قول الله انه لا اول له والباطل قولهم اتخذ الله ولداً (فيدمغه) فيهلكه (فاذا هو زاهق) أي ذاهب والمعنى اننا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يذهب ويضمحل ثم أوعدهم على كذبهم فقال تعالى (ولكم الويل) يوم عشر الكفار (ماتصفون) الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد (وله من في السموات والارض) أي عبيداً وملكاً وهو الخالق لهم والمنعم عليهم باصناف النعم (ومن عنده) يعني الملائكة وانما خص الملائكة وان كانوا اذ اخبرنا في جملة من في السموات لكرامتهم ومزيد الاعتناء بهم (لا يستكبرون عن عبادته) أي لا يتكبرون ولا يتعظمون عنها (ولا يستحسرون) أي لا يعيون ولا يتعبون وقيل لا ينقطعون عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى بقوله (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) أي لا يضعفون ولا يسأمون وذلك ان تسبيحهم متصل دائم لا يفتري في جميع أوقاتهم لا تتخلله فترة بفرغ أو شغل آخر قال كعب الأخبار السبيح لهم كالنفس لبني آدم (أم اتخذوا آلهة من الارض) يعني الاصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهي من الارض (هم ينشرون) أي يحيمون الاموات اذ لا يستحق الالهية الا من يقدر على الاحياء والايجاد

(٣٥ - (خازن) - ثات) (وله من في السموات والارض) خلقوا وملكوا فاني يكون شيء منه ولداً له وبينهما تناف ويوقف على الارض لان (ومن عنده) منزلة ومكانة لا منزل ولا مكانا يعني الملائكة مبتدأ خبره (لا يستكبرون) لا يتعظمون (عن عبادته ولا يستحسرون) ولا يعيون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) حال من فاعل يسبحون أي تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لا تتخلله فترة بفرغ أو شغل آخر فتسبيحهم جار مجرى النفس من انما ضرب عن المشركين منكر اعليهم ومو نحاخاء بهم التي بمعنى بل والهمزة فقال (أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون) يحيمون الموتى ومن الارض صفة لآلهة لان آلهتهم كانت متخذة من جواهر الارض كالذهب والفضة والحجر وتعبد في الارض فنسبت اليها كقولك فلان من المدينة أي مدني أو متعلق باتخذوا ويكون فيه بيان غاية الاتخاذ وفي قوله هم ينشرون زيادة توبيخ وان لم يدعوا ان اصنامهم تحي الموتى وكيف يدعون ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموتى لانه يلزم من دعوى الالهية لها دعوى الانشار لان العاجز عنه لا يصح أن يكون الها اذ لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدرات وقرأ الحسن ينشرون بفتح الباء وهم الغتان أنشر الله الموتى ونشرها أي أحيها

(لو كان فيهما آلهة الا الله) أي غير الله وصفت آلهة بالا كما وصفت بغير لو قيل آلهة غير الله ولا يجوز رفعه على البدل لان لو بمنزلة ان في أن الكلام مع موجب والبدل ولا يجوز نصبه استثناء لان الجمع اذا كان منسكرا لا يجوز أن يستثنى منه عند المحققين لانه لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء والمضى لو كان يدبر أمر السموات والارض آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما (افسدنا) تخرب بنا الوجود المتماثل وقد قررناه في أصول الكلام ثم زه ذاته فقال (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) من الولد والشريك (لا يستل عما يفعل) لانه المالك على الحقيقة ولو اعترض على السلطان بعض صيده مع وجود التجانس وجواز الخطأ عليه وعدم الملك الحقيقي لاستقبح ذلك وعدم سفها فن هو مالك الملوكة ورب الارباب وفعله صواب كله أولى بان لا يعترض عليه (وهم يستلون) لانهم ملوك كون خطأون فما أخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه وقيل وهم يستلون يرجع الى المسيح والملائكة أي هم مسئولون فكيف يكونون آلهة والالهوية تناقض الجنسية والمسؤولية (أم اتخذوا من دونه آلهة)

لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الامر أنك

من العدم والانهام بابلغ وجوه السم وهو الله عز وجل (لو كان فيهما) أي في السماء والارض (آلهة الا الله) أي غير الله (لفسدنا) أي تخرب بنا وهلاك من فيهما الوجود المتماثل من الآلهة لان كل أمر صدر عن الاثنين فأكبر لم يجز على النظام وقال الامام غير الدين الرازي قال المتكلمون القول بوجود الهين يفضي الى المحال فوجب أن يكون القول بوجود الهين محالاً وانما قلنا انه يفضي الى المحال لانا لو فرضنا وجود الهين فلا بد وأن يكون كل واحد منهما قادراً على كل المقدورات ولو كان كذلك لسكان كل واحد منهما قادراً على تخريبك زيده ونسكينه ولو فرضنا ان أحدهما أراد تخريبك وأراد الآخر تسكينه فإما أن يقع المراد ان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أو لا يقع واحد منهما وهو محال لان المتماثل من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يمنع مراد هذا الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنع مع الوجود معا وذلك محال أو يقع مراد أحدهما دون الثاني وذلك أيضاً محال لوجهين أحدهما انه لو كان كل واحد منهما قادراً على ما لا نهاية له امتنع كون أحدهما أقدر من الآخر بل لا بد وأن يستويان في القدرة فإذا استويا في القدرة استحال أن يصير مراد أحدهما أولى بالوقوع من مراد الثاني والالزم ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما أنه اذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فالذي وقع مراده يكون قادراً والذي لم يقع مراده يكون عاجزاً والمجاز نقص وهو على الاله محال ولو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادراً على جميع المقدورات فيفضي الى وقوع مقدور من قادرين مستقلين من وجه واحد وهو محال لان اسناد الفعل الى الفاعل انما كان لا مكانه فاذا كان كل واحد منهما مستقلاً بالابحاد فالفعل لكونه مع هذا يكون واجب الوقوع فيستحيل اسناده الى هذا الكونه حاصلهما جميعاً فيلزم استغناؤه عنهما معا واحتياجه اليهما معا وذلك محال وهذه شجة نامية في مسألة التوحيد فنقول القول بوجود الهين يفضي الى امتناع وقوع المقدور بواحد منهما واذا كان كذلك وجب أن لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعاً وتقول لو قدرنا الهين فإما أن يتفقا أو يختلفا فان اتفقا على الشيء الواحد فذلك الواحد مقدور طهما ومرادهما فيلزم وقوعهما وهو محال وان اختلفا فإما أن يقع المراد ان أو لا يقع واحد منهما أو يقع أحدهما دون الثاني والكل محال ثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات واعلم أنك اذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى وأما الدلائل السمعية على الوحدة اية فكثيرة في القرآن واعلم ان كل من طعن في دلالة التماثل ففسر الآية بان المراد لو كان في السماء والارض آلهة يقول باطيتها عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها جادات لا تقدر على تدبير العالم فلزم افساد العالم قالوا وهذا أولى لانه تعالى حكى عنهم في قوله أم اتخذوا آلهة من الارض هم بنشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب أن يختص الدليل به وأما قوله (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) ففيه تنزيه الله سبحانه وتعالى عما يصفه به المشركون من الشريك والولد (لا يستل عما يفعل) أي لا يستل الله عما يفعله ويقضيه في خلقه (وهم يستلون) أي والناس يستلون عن أعمالهم والمعنى انه لا يستل عما يحكم في عبادته من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقاء لانه الرب مالك الاعيان والخلق يستلون - سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم والله تعالى ايسر فوقه أحد يقول له لشيء فعله لم فعلته ﴿ قوله عز وجل (أم اتخذوا من دونه آلهة) لما أبطن الله تعالى أن تكون آلهة سواه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا أنكر عليهم اتخاذهم الآلهة فقال أم اتخذوا من دونه آلهة وهو استفهام انكار وتوبيخ (قل هاتوا برهانكم) أي حججكم على ذلك ثم قال تعالى مستأنفا

الاعادة لزيادة الافادة فالاول لان انكار من حيث العقل والثاني من حيث النقل هذا أي وصفتهم الله تعالى بان يكون له شريك فقيل لمحمد (قل هاتوا برهانكم) حججكم على ذلك وذاعقلى وهو بآباء كما سر أوتى لي وهو الوحي وهو أيضاً ما فاتكم الا بعد ان كتامة الكتب السماء به الاوفه ته حدهه ته - الامداد

(هذا) أى القرآن (ذ كرم من معى) يعنى أمته (وذ كرم من قبلى) يعنى أمم الانبياء من قبلى وهو وارد فى توحيد الله ونفى الشركاء عنه معى حفص فلما لم يتنوعوا عن كفرهم أضرب عنهم فقال (بل أ كثرهم لا يعلمون الحق) أى القرآن وهو نصب يعلمون وقضى الحق أى هو الحق (فهم) لاجل ذلك (معرضون) عن النظر فيما يجب عليهم (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه) الا نوحى كوفى غير أنى بكر وجمادى (أنه لا اله الا أنا فاعبدون) وحدونى فهذه الآية مقررة لما سبقها من آى التوحيد (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه) نزلت فى خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله فزده ذانه عن ذلك ثم أخبر عنهم بانهم عباد بقوله (بل عباد مكرمون) أى بل هم عباد مكرمون مشرفون مقربون وليسوا اباء ولا اذ العبودية تنافى الولادة (لا يسبقونه بالقول) أى بقولهم فانيت اللام مناب الاضافة والمعنى أنهم يتبعون قوله فلا يسبق قولهم قوله ولا يتقدمون قوله بقولهم (وهم بأمره يعملون) أى كما ان قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا مبنى على أمره لا يعملون عملا لم يؤمروا به (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى ما قدموا وأخروا من (٢٧٥) أعمالهم (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) أى لمن رضى الله عنه وقال لا اله الا

الله (وهم من خشية مشفقون) خائفون (ومن يقل منهم) من الملائكة (انى اله من دونه) من دون الله انى مدنى وأبو عمرو (فذلك) مبتدأ أى فذلك القائل خبره (نجزيه جهنم) وهو جواب الشرط (كذلك نجزي الظالمين) الكافرين الذين وضعوا الالهية فى غير موضعها وهذا على سبيل الفرض والتمثيل لتحقق عصمتهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة والضحاك قد تحقق الوعيد فى ابليس فانه ادعى الالهية لنفسه ودعا الى طاعة نفسه وعبادته (أولم ير الذين كفروا) ألم يرمك (أن السماوات والارض كانتا

(هذا) يعنى القرآن (ذ كرم من معى) أى فيه خبر من معى على دينى ومن يتبعنى الى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (وذ كرم) أى خبر (من قبلى) أى من الامم السالفة وما فعل بهم فى الدنيا وما يفعل بهم فى الآخرة وقال ابن عباس ذ كرم من معى القرآن وذ كرم من قبلى التوراة والانجيل والمعنى راجعوا القرآن والتوراة والانجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها ان الله اتخذ ولدا أو كان معه آلهة (بل أ كثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) بقوله عز وجل (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) أى فوحدونى وقيل لما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم بمواضع الحق فقال بل أ كثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون أى عن التأمل والتفكير وما يجب عليهم من الايمان بانه لا اله الا هو وقوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) نزلت فى خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه نفسه عما قالوا (بل عباد) أى هم عباد يعنى الملائكة (مكرمون) أى أكرمهم الله واصطفاهم (لا يسبقونه) أى لا يتقدمونه (بالقول) أى لا يتكلمون الا بما يأمرهم به (وهم بأمره يعملون) المعنى انهم لا يخالفونه قولا ولا عملا (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى ما عمروا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) قال ابن عباس الامن قال لا اله الا الله وقيل الامن رضى الله تعالى عنه (وهم من خشية مشفقون) أى خائفون وجلون لا يامنون مكره (ومن يقل منهم انى اله من دونه) قيل عنى به ابليس حيث دعا الى عبادة نفسه فان أحد من الملائكة لم يقل انى اله من دون الله (فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) أى الواضعين الالهية والعبادة فى غير موضعها بقوله عز وجل (أولم ير الذين كفروا) أى ألم يعلم الذين كفروا (أن السماوات والارض كانتا رتقا) قال ابن عباس كانتا شيئا واحدا ملتزقتين (ففتقناهما) أى فصلنا بينهما بالهواء قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ر يحا بسطهما ففتقهما باها وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شىء حى) أى وأحيينا بالماء الذى ينزل من السماء كل شىء من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك لانه سبب حياة كل شىء وقال المفسرون معناه ان كل شىء حى فهو مخلوق من الماء وقيل

اى جماعة السموات وجماعة الارض فلذا لم يقل كن (رتقا) بمعنى المفعول أى كانتا متوقفتين وهو مصدر فلذا صلح أن يقع موقع من توقيتين (ففتقناهما) فشقناهما والفتق الفصل بين الشئين والرتق ضد الفتق فان قيل متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلنا انه وارد فى القرآن الذى هو مجزأة فقام مقام المرتقى المشاهد ولان الرؤية بمعنى العلم وتلاصق الارض والسماء وتباينهما جائزان فى العقل فالاختصاص بالتباين دون التلاصق لا بد له من محص وهو القديم جل جلاله ثم قيل ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما ففتقناهما أى فصلنا بينهما بالهواء وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها الله تعالى وجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع ارضين وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شىء حى) أى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء أو كما عمدا خلقنا من الماء لفرط احتياجه اليه ووجهه وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل

(أفلا يؤمنون) يصدقون بما يشاهدون (وجعلنا في الأرض رواسي) جبالاً ثابتة من راسا ثابت (أن تميد بهم) لئلا تضرب بهم خندق لا واللام وانما جاز حذف الهمزة الالتباس كما زاد ذلك في لئلا يعلم أهل الكتاب (وجعلنا فيها فجاجاً) أي طرقاً واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع ونصب على الحال من (سبلاً) متقدمة فان قلت أي فرق بين قوله تعالى لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً وبين هذه قلت الأولى لئلا عظم بانه جعل فيها طرقاً واسعة والثاني لبيان انه حين خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أمهم ثم (اعلمهم بهتدون) ليهتدوا بها إلى البلاد المقصودة (وجعلنا السماء سقفا محفوظاً) في موضعه عن السقوط كما قال وبمسك السماء أن تقع على الأرض الا بذنه أو محفوظاً بالذهب عن الشياطين كما قال وحفظناها

(٢٧٩)

من كل شيطان رجيم (وهم) أي الكفار (عن آياتها) عن الأدلة التي فيها

كالشمس والقمر والنجوم (معرضون) غير متفكرين فيها فيؤمنون (وهو الذي خلق الليل) لتسكنوا فيه (والنهار) لتصرفوا فيه (والشمس) لتكون سراج النهار (والقمر) ليكون سراج الليل (كل) التنوين فيه عوض عن المضاف إليه أي كلهم والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع وجمع جمع العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة (في فلك) عن ابن عباس رضي الله عنهما الفلك السماء والجمهور على ان الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم وكل مبتدأ خبره (يسبحون) يسبحون أي يدورون والجملة في محل

بعض النطفة فان قلت قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء كما دم وعيسى والملائكة والجنان قلت خرج هذا المقطع مخرج الاغلب والاكثر يعني ان أكثر ما على وجه الأرض مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء (أفلا يؤمنون) أي أفلا يصدقون (وجعلنا في الأرض رواسي) أي جبالاً ثابتة (أن تميد بهم) أي لئلا تميد بهم قيل ان الأرض بسطت على الماء فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة في الماء فأرسلها الله وأثبتها بالجبال (وجعلنا فيها) أي في الرواسي (فجاجاً) أي طرقاً ومسالكاً والفج الطريق الواسع بين الجبلين (سبلاً) هو نغير الفجاج (اعلمهم بهتدون) أي إلى مقاصدهم (وجعلنا السماء سقفا محفوظاً) أي من ان يسقط ويقع وقيل محفوظاً من الشياطين بالذهب (وهم) يعني الكفار (عن آياتها معرضون) أي عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيفية حر كاهما في أفلا كما هو مظهرها ومغارها والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون بها (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) أي يجرون ويسبحون بشريعة كالمسبح في الماء وأما قال يسبحون ولم يقل تسبح على ما يقال لما لا يقل لانه ذكر عنها فعل العقلاء وهو السباحة والجري والفلك مدار النجوم الذي يضمها وهو في كلام العرب كل شيء مستدير ووجهه أفلاك وقيل الفلك طاحونة كهيئة فلك المنزل يريد ان الذي تجرى فيه النجوم مستدير كاستدارة الرجي وقيل الفلك السماء الذي فيه ذلك الكواكب فكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه وقيل ذلك استدارة السماء وقيل الفلك موج مكفوف دون السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم وقال أصحاب الهيئة الأفلاك اجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للحرق والالتئام والتمزق والذبول والحق انه لا سبيل إلى معرفة صفة السموات الا بأخبار الصادق فسبحان الخالق المدبر الخلق بالحكمة والقدرة الباهرة غير المتناهية قوله عز وجل (وما جعلنا البشر من قبلك الخلق) يعني الدوام والبقاء في الدنيا (أفان مت فهم الخالدون) نزلت هذه الآية حين قالوا نتر بص بمحمد بن عبد المنون نسيت بموته فبنى الله الشهادة عنه بهذا والمعنى ان الله تعالى قضى ان لا يخلد في الدنيا بشر لأنك ولا هم فان مت أنت أفيق هو لاء وفي معناه قول القائل فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلي الشامتون كالقينا (كل نفس ذائقة الموت) هذا العموم مخصوص بقوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فان الله تعالى حي لا يموت ولا يجوز عليه الموت والذوق ههنا عبارة عن مقدمات الموت وآلامه العظيمة قبل حلوله (ونبأكم) أي نخبركم (بالشر والخير) أي بالشد والرخاء والصحة والسقم والفتى والفقر وقيل بما يحبون وما تكرهون (فتنة) أي ابتلاء لنظر كيف شكركم فيما يحبون وصبركم فيما تكرهون (والينار جعون) أي للعباب والجزاء قوله عز وجل (واذ آراك الذين كفروا ان) أي ما ليتخذونك الاهزوا) أي سخر يا

النصب على الحال من الشمس والقمر (وما جعلنا البشر من قبلك الخلق) البقاء الدائم

قيل

(أفان مت) بكسر الميم مدني وكوفي غير أبي بكر (فهم الخالدون) وانفاء الأولى لمطابقة على جملة والثاني لجزاء الشرط كانوا يقدرون انه سيموت فبنى الله عنه الشهادة بهذا أي قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشر فان مت أنت أفيق هو لاء (كل نفس ذائقة الموت ونبأكم) ونخبركم سمي ابتلاء وان كان عالمياً كما يكون من أعمال الفاعلين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار (بالشر) بالفقر والضر (والخير) الفتى والنع (فتنة) مصدره وكذا تبيخكم من غير عظة (والينار جعون) والينار جعون) فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وعن ابن ذكوان ترجعون (واذ آراك الذين كفروا ان يتخذونك) ما يتخذونك (الاهزوا) مفعول ثان ليتخذونك نزلت في أبي جهل مره النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف

(أهدا الذي يذكر) يعيب (آهتكم) والد كرم يكون بخير وبخلافه فان كان الذم كرم صدقافه وثناء وان كان عدوا فقدم (وهم يذكر الرحمن) أي يذكر الله وما يجب أن يذكر به من الواحدانية (هم كفرون) لا يصدقون به أصلا فهم أحق أن يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل يذكر الرحمن أي بما أنزل عليك من القرآن هم كفرون باحدون والجملة في موضع الحال أي يتخذونك هزوا وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله تعالى وكرهم لانتا كيدا ولان الصلة حالت بينهما وبين الخبر فاعيد المبتدأ (خلق الانسان من عجل) فسر بالجنس وقيل نزلت حين كان النضر بن الحرث يستعجل بالعذاب والمجل والمجلاة مصدران وهو تقديم الشيء على وقته والظاهر أن المراد الجنس وأنه ركب فيه المجلة فكأنه خلق من المجل ولأنه يكثر منه والعرب تقول لمن يكثر منه الكرم خلق من الكرم فقدم أولادهم الانسان على افراط المجلة وأنه مطبوع عليهما

(٢٧٧)

منعه وزجره كأنه قال ليس يدع منه أن يستعجل فإنه مجبول على ذلك وهو طبعه وسجيته فقد ركب فيه وقيل الجمل الطين بلغة حير قال شاعرهم النخل ينبت بين الماء والجمل هو الماء يمنع عن الاستعجال وهو مطبوع عليه كما أمره بقمع الشهوة وقدر كفا فيه لأنه أعطاه القوة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك المجلة ومن عجل حال أي عجلا (سأريكم آياتي) نعماتي (فلا تستعجلون) بالانبياء بها وهو بالياء عند يعقوب وافقه سهل وعياش في الوصل (ويقولون متى هذا الوعد) اتيان العذاب أو القيامة (ان كنتم صادقين) قيل هو أحد وجهي استعجالهم (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن

قيل نزلت في أبي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي نبي عبد مناف (أهدا الذي يذكر آهتكم) أي يقول بعضهم لبعض هذا الذي يعيب آهتكم والد كرم يطلق على المدح والذم مع القرينة (وهم يذكر الرحمن هم كفرون) وذلك انهم كانوا يقولون لانعرف الرحمن الا الرحمن الجمامة وهو مسيامة الكذاب قوله تعالى (خلق الانسان من عجل) قيل معناه ان بنيته وخلقه من المجلة وعليها طبع وقيل لما دخل الروح في رأس آدم وعينه نظرت الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح الى رجليه عجلا الى ثمار الجنة فوقع فقبل خلق الانسان من عجل وأورث بنيه المجلة وقيل معناه خلق الانسان من تعجيل في خلق الله اياه لان خلقه كان بعد كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة فأسرع في خلقه قبل مغيب الشمس فلما أحيى الروح رأسه قال يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير قياس خلق بنيه لانهم خلقوا من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة أطوارا طورا بعد طور وقيل معنى خلق الانسان من عجل أي من طين قال الشاعر وهو النخل ينبت بين الماء والجمل أي بين الماء والطين وقيل أراد بالانسان النوع الانساني يدل عليه قوله (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) وذلك ان المشركين كانوا يستعجلون العذاب وقيل نزلت في النضر بن الحرث ومعنى سأريكم آياتي أي مواعدي فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فأراههم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة فلذلك قال تعالى (ويقولون) يعني المشركين (متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء فبين تعالى أنهم انما يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم ثم بين ما هؤلاء المستهزئين فقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون) أي لا يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) قيل السياط (ولا هم ينصرون) أي لا يجمعون من العذاب والمعنى لو علموا الماء أقاموا على كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولما قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (بل تأتيم) يعني الساعة (بغثة) أي جفأة (فتبتهم) أي تحيرهم (فلا يستطيعون ردها) أي صرفها ودفعها عنهم (ولا هم ينظرون) أي لا يمهلون للتوبة والمعدرة (ولقد استهزى برسلك) أي يا محمد كما استهزأ بك قومك (خفاق) أي نزل وأحاط (بالذين سخر وامنهم ما كانوا يستهزؤن) أي عقوبة استهزأهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أي فكذلك يحق بهؤلاء بالاستهزأهم قوله تعالى (قل من يكلوكم) أي يحفظكم (بالليل) اذا نتم (والنهار) اذا انصرفتكم في معاشكم (من الرحمن) قال ابن عباس معناه من يمنعكم

وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) جواب لو محذوف وحين مفعول به يعلم أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت تحيط بهم فيه النار من وراء وقدم فلا يتقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هو منه عندهم (بل تأتيم) الساعة (بغثة) جفأة (فتبتهم) فتحيرهم أي لا يكفون هابل تفجأهم فتغلبهم (فلا يستطيعون ردها) فلا يتقدرون على دفعها (ولا هم ينظرون) يمهلون (ولقد استهزى برسلك من قبلك خفاق) نزل (بالذين سخر وامنهم) جزء (ما كانوا يستهزؤن) صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزأهم به بأن له في الانبياء اسوة وان ما يفعلونه به يحق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا (قل من يكلوكم) يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) أي من عذابه ان انا كمل لا أوتنهارا

(بل هم عن ذكرهم معرضون) أي بل هم معرضون عن ذكره ولا يخطر ونه بياهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى إذا رزقوا الكلاء منه عرفوا من الكافي وصلحوا السؤال عنه والمعنى أنه أمر رسوله بسؤالهم عن الكافي ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لأعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك بقوله (أم لهم آفة تمنعهم من دوننا) لما في أم من معنى بل فقال لهم آفة تمنعهم من العذاب تتجاوز معنا وحفظنا ثم استأنف بقوله (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) فبين أن ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال (بل تمنعها هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر) أي ما هم فيه من الحفظ والكلاءة إنما هو من الأمان مانع بمنعهم من اعتدائنا وما كذبناهم وآباءهم الماضين بالاعتداء عليهم بالحياة الدنيا وأمهالنا كما تمنعنا غيرهم من الكفار وأمهالناهم حتى طال عليهم الأمد فقتلوا بهم (٢٧٨) وظنوا أنهم دائمون على ذلك وهو أمل كاذب (أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من

أطرافها) أي ننقص أرض الكفر ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردّها دار إسلام وذاكر تأتي بشير بان الله يجزيه على أيدي المسلمين وإن عساكرهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبية عليها ناقصة من أطرافها (أفهم الغالبون) أفكفار مكة يغلبون بعد أن نقصنا من أطراف أرضهم أي ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بنصرتنا (قل إنما أنذركم بالوحي) أخوفكم من العذاب بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء) بفتح الياء والميم ورفع الصم ولا تسمع الصم شامى على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم (إذا ما يندرون) يخوفون واللام في الصم للعهد وهو إشارة

من عذاب الرحمن (بل هم عن ذكر ربهم) أي عن القرآن ومواعظه (معرضون) أي لا يتأملون في شيء منها (أم لهم آفة تمنعهم من دوننا) معناه أنهم آفة من دوننا تمنعهم ثم وصف آفة لهم بالضعف فقال (لا يستطيعون نصر أنفسهم) أي لا يقدرون على نصر أنفسهم فكيف ينصرون من عبدهم (ولاهم منا يصحبون) قال ابن عباس ينعون وقيل يحارون وقيل ينصرون وقيل معناه لا يصحبون من الله بخير (بل تمنعنا هؤلاء) يعني الكفار (وآباءهم) أي في الدنيا بان أنعمنا عليهم وأمهالناهم (حتى طال عليهم العمر) أي امتد بهم الزمان فاغثروا (أفلا يرون) يعني هؤلاء المشركين (أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) يعني أنقص من أطراف المشركين ونزيد في أطراف المؤمنين يريد بذلك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفتح ديار الشرك أرضا فارضا وقرية فقريه والمعنى أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله المستجلبون بالعذاب آثار قدرتنا في آيات الأرض من جوانبها بأخذ الواحد بعد الواحد وفتح البلاد والقرى مما حول مكة وإدخالها في ملك محمد صلى الله عليه وسلم وموت رؤس المشركين المتنعمين بالدنيا أما كان لهم عبرة في ذلك فيؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويعلموا أنهم لا يقدرون على الامتناع منا ومن أرادتنا فيهم ثم قال (أفهم الغالبون) استفهام بمعنى التقرير معناه بل نحن الغالبون وهم المغلوبون (قل) يا محمد (إنما أنذركم بالوحي) أي أخوفكم بالقرآن (ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما يندون) أي يخوفون (ولئن مستهم) أي أصابتهم (نفضة من عذاب ربك) قال ابن عباس طرف وقيل شيء قليل (ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين) دعوا على أنفسهم بالويل بعدما أقروا على أنفسهم بالظلم والشرك وقوله عز وجل (ونضع الموازين القسط) أي ذوات العدل وصفها بذلك لأن الميزان قد يكون مستقيما وقد يكون بخلافه فبين أن تلك الموازين تجري على حد العدل ومعنى وضعها إحضارها (ليوم القيامة) أي لاهل يوم القيامة قيل المراد بالميزان العدل والقسط بينهم في الأعمال فمن أحاطت حسناته بسيئاته فاز ونجا بالعكس ذل وخسر والصحيح الذي عليه أئمة السلف أن الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الأعمال لعباد وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وأكثرا أقوال أنه ميزان واحد وإنما جمع لاعتبار تعدد الأعمال الموزونة به وروى أن داود عليه الصلاة والسلام سأله عن عذره أن يرى الميزان فراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فلما رآه غشي عليه ثم أفاق فقال الهى من الذي يقدر أن يلا كفته حسنات قال ياد داود انى إذا رصبت عن عبدى مالاتها بكرة فعلى هذا فى كيفية وزن الأعمال مع أنها أعراض طريقان أحدهما أن توزن صحائف الأعمال فتوضع صحائف الحسنات في كفة

إلى هؤلاء المنذرين والأصل ولا يسمعون إذا ما يندرون فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على تصامهم وسددهم وصحائف أصابعهم إذا ما أذروا (ولئن مستهم نفضة) دفعة يسيرة (من عذاب ربك) صفة لنفضة (ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين) أي ولئن مستهم من هذا الذي يندرون به أدنى شيء لدلو أو دعوا بالويل على أنفسهم وأقربوا أنهم ظموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا وقد بواغ حيث ذكر المس والنفضة لأن النفض يدل على القلة يقال نفضت بعطية رضعه بهامع إن بناء المرة وفي المس والنفضة ثلاث مبالغات لأن النفض في معنى القلة والغرارة يقال نفضت الدابة وهو رجع لئلا ونفضت بعطية رضعه والبناء للمرة (ونضع الموازين) جمع ميزان وهو ما يوزن به الشيء فتعرف كفته وعن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وإنما جمع الموازين لتعظيم شأنها كما في قوله يا أيها الرسل والوزن لصحائف الأعمال في قول (القسط) وهى الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها في نفسها قسط أو على حذف المضاف أي ذوات القسط (ليوم القيامة) لاهل يوم القيامة أي لا يظلم

(أم أنت من اللاعبين) أي أجدانت فيما تقول أم لأعب استعظاماً منهم إنكاره عليهم واستبعاد الان يكون ما هم عليه ضلالاً ثم أضرب عنهم
مخبراً بأنه جاد فيما قال غير لاعب منبتال بوية الملك العلام وحدوث الاصنام بقوله (قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن) أي
التمثيل فاني بعد الخلق وبتك الخالق (وأنا على ذلك) المذكور من التوحيد شاهد (من الشاهدين وتالله) أصله والله وفي التامعني
التعجب من تسهيل الكيد على يدهم مع صهوته ونهذره بقوة سلطنة ثم رد (لا كيدن أصنامكم) لا كسرهما (بعد ان تولوا مدبرين) بعد
ذهابكم عنكم قال ذلك سر من قومه فسمعهم رجل واحد ففرض بقوله اني سقيم أي سأسقم ليتخلف فرجع الى بيت الاصنام (جعلهم
جداذا) قطعاً من الجذر هو القطع (٢٨٠) جمع جداذة كزجاجة وزجاج جداذا بالكسر على جمع جديد أي مجدود خفيف وخفاف

بالصدق (أم أنت من اللاعبين) يعنون أجدانت فيما تقول أم أنت لأعب (قال بل ربكم رب السموات
والارض الذي فطرهن) أي خلقهن (وأنا على ذلك من الشاهدين) أي على انه الاله الذي يستحق العباد
وقيل شاعداً على انه خالق السموات والارض (وتالله لا كيدن أصنامكم) أي لا مكرن بها (بعد ان تولوا
مدبرين) أي منطلقين الى عيدكم قيل انما قال ابراهيم هذا القول سرا في نفسه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد
من قومه فافتناه عليه وهو القائل اناسم معنافتي يد كرههم وقيل كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا اذا
رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم رجعوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو ابراهيم
يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق أتى نفسه الى
الارض وقال اني سقيم أشتكى رجلى فتركوه ووضء افنادي في آخرهم وقد بقي نساء الناس تالله لا كيدن
أصنامكم فسمعوه هانمهم ثم رجع ابراهيم الى بيت الآلهة وهن في بهو عظيم ومستقبل باب اليهود صم عظيم الى
جنبه صم أصغر منه والاصنام جنبها الى جنب بعض قل صم الذي يليه أصغر منه وهكذا الى باب اليهود واذا هم
قد جعلوا طعاما بين يدي الآلهة وقالوا اذا رجعنا وقد بركت الآلهة عليه أكلنا منه فلما نظر ابراهيم اليهم
والى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألتاأ كلون فلما لم يجيبوه قال ما لكم
لا تنطقون فراغ عليهم ضرباً باليمين وجعل يكسرهن بفأس في يده حتى اذا لم يبق الا الصنم العظيم علق
الفأس في عنقه وقيل في يده ثم خرج فذلك قوله تعالى (جعلهم جداذا) أي كسروا قطعاً (الا كيرا لهم) أي
تركة ولم يكسره ووضع الفأس في عنقه ثم خرج وقيل ربطه على يده وكانت اثنين وسبعين صنماً بعضها من
ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من نحاس ورسا صخر وخشب وكان الصنم الكبير
من الذهب مكللاً بالجواهر في عينيه ياقوتان تتقدان وقوله (لعلهم اليه يرجعون) قيل معناه يرجعون
الى ابراهيم والى دينه وما يدعوه اليه اذا علموا ضعف الآلهة وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون الى الصنم
فيسألونه ما هؤلاء تكسروا وأنت صحيح والفأس في عنقك فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم
وأصنامهم مكسرة (قالوا من فعل هذا يا آلهتنا لمن الظالمين) أي في تكسیرها واجترأه عليها (قالوا
سمعنا فتى يد كرههم) أي يسبهم ويعيبهم (يقال له ابراهيم) أي هو الذي نطن أنه صنع هذا فبلغ ذلك ثم ردد
الجبار وأشرف قومه (قالوا فأتوا به على أعين الناس) أي جئوا به ظاهراً بما رأى من الناس وانما قاله ثم ردد
(لعلهم يشهدون) أي عليه بأنه الذي فعل ذلك كرهوا أن يأخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون
عذابه وما يصنع به فلما أتوا به (قالوا) له (أنت فعلت هذا يا آلهتنا ابراهيم قال) يعني ابراهيم (بل فعله
كبيرهم هذا) غضب اذ تعبدون معه هذه الضفائر وهو أكبر منها فكسروهن وأراد ابراهيم بذلك إقامة الحجج

(الا كيرا لهم) للاصنام
أولاً لكفار أي فكسرها
كأها بفأس في يده الا كيرها
فعلق الفأس في عنقه
(لعلهم اليه) الى الكبير
(يرجعون) فيسألونه
عن كسرها فيبين لهم
عجزه وأولى ابراهيم ليصيح
عليهم وأولى الله لما رآوا
عجز آلهتهم (قالوا) أي الكفار
حين رجعوا من عيدهم
ورأوا ذلك (من فعل هذا
يا آلهتنا لمن الظالمين)
أي ان من فعل هذا الكسر
لشديد الظلم لجرائته على
الآلهة الحقيقية عندهم
بالتوقير والتعظيم (قالوا)
سمعنا فتى يد كرههم يقال
له ابراهيم) الجملتان صفتان
لقتي الا أن الاول وهو
يد كرههم أي يعيبهم لا بد
منه للسمع لانك لا تقول
سمعت زيدا ونسكت حتى
تذكر شيئاً مما يسمع بخلاف
الثاني وارتفاع ابراهيم
بأنه فاعل يقال فلما راد

الاسم لا المسمى أي الذي يقال له هذا الاسم (قالوا) أي ثم رددوا وأشرف قومه (فأتوا به) احضروا ابراهيم (على أعين الناس) عليهم
في محل الحال بمعنى معايناً شاهداً أي بما رأى منهم ومنظر (لعلهم يشهدون) عليه بما سمع منه أو بما فعله كأنهم كرهوا عقابه بلا بينة أو يحضرون
عقوبته فلما احضروه (قالوا أنت فعلت هذا يا آلهتنا ابراهيم قال) ابراهيم (بل فعله) عن الكسائي انه يقف عليه أي فعله من فعله وفيه
حذف الفاعل وأنه لا يجوز وجاز أن يكون الفاعل مسنداً الى الفتى المذكور في قوله سمعنا فتى يد كرههم وأولى ابراهيم في قوله يا ابراهيم ثم
قال (كبيرهم هذا) وهو مبتدأ وخبر والاكثر انه لاوقف والفاعل كبيرهم وهذا وصف أو بدل ونسب الفعل الى كبيرهم وقصده تقريره
لنفسه وإثباته على أسوأ وجه يعنى تكسرتهم والراما لا يحجته عليهم لانهم اذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم وأنه لا يصلح اله
وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتاباً يخاطب شقيقاً أنتي أنت كتبت هذا وصاحبك أمي فقلت له بل كتبت أنت كان قصدك بهذا الجواب

تقر بره لك مع الاستهزاء به لان فيه عنك واثباته للامى لان اثباته للعاجز منكم كما استهزاء به واثبات للقادر ويمكن
 أن يقال غاظته تلك الاصنام حين أبصرها مصطفة وكان غيظ كبيرها أشد ما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل اليه لان الفعل كما يسند الى
 مباشرة يسند الى الحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يقود الى تجويزه من ذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون أن يشعله كبيرهم فان من حق من
 يعبد ويدعى اله أن يقدر على هذا ويحكي انه قال غضب أن تعبد هذه الصغار معه وهو أكبر منها فكسروها أو هو متعلق بشرط لا يكون وهو
 نطق الاصنام فيكون نفي الخبر عنه أى بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون وقوله فاستلوهم اعتراض وقيل عرض بالكبير لنفسه وانما أضاف
 نفسه اليهم لاشتراكهم في الحضور (فاستلوهم) عن حالهم (ان كانوا) ينطقون) وأتم تعلمون عجزهم عنه

(فرجعوا الى أنفسهم)
 فرجعوا الى عقولهم
 وتفكروا بقلوبهم لما أخذ
 بمخافتهم (فقالوا انكم اتم
 الظالمون) على الحقيقة
 بعبادة ما لا ينطق لا من
 ظلموه حين قتلتم من فعل
 هذا بالهتانا انهم الظالمين
 فان من لا يدفع عن رأسه
 الفاس كيف يدفع عن
 عابديه الباس (ثم نكسوا
 على رؤسهم) قال أهل
 التفسير أجرى الله تعالى
 الحق على لسانهم في القول
 الاول ثم أدركتهم الشقاوة
 أى ردوا الى الكفر بعد
 ان أقروا على أنفسهم بالظلم
 يقال نكسته قلبته فجعلت
 أسفله أعلاه أى استقاموا
 حين رجعوا الى أنفسهم
 وجاءوا بالفكرة الصالحة ثم
 انقلبوا عن تلك الحالة
 فاخذوا في المجادلة بالباطل
 والمكابرة وقالوا (لقد
 علمت ما هؤلاء ينطقون)

عليهم فذلك قوله (فاستلوهم ان كانوا ينطقون) أى حتى يخبروا عن فعل ذلك بهم وقيل معناه ان قدر واعلى
 النطق قدر واعلى الفعل فأراهم عجزهم عن النطق وفي ضمنه أنا فعلت ذلك (ق) عن أبي هريرة أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله قوله انى سقيم وقوله فعله
 كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه أختى لفظ الترمذى قيل في قوله انى سقيم أى سأسقيم وقيل سقيم القلب مغتم
 بضلاتكم وأما قوله بل فعله كبيرهم هذا فإنه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعل على
 طريق التبييت لقومه وقوله لسارة هذا أختى أى في الدين والايمان قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة فكل
 هذه الالفاظ صدق في نفسها ليس فيها كذب فان قلت قد سماها النبي صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم
 يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته قلت معناه انه لم يتكلم بكلام صورته
 صورة الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق
 ابراهيم عليه الصلاة والسلام منها وواخذته بها قال البغوى وهذه التاويلات لنفي الكذب عن ابراهيم
 والاولى هو الاول للحديث ويجوز أن يكون الله أذن له في ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم
 كما أذن ليوסף حين أمر مناديه فقال أيتها العيرانكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال الامام نجر الدين
 الرازى وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع عليه أنه لو جاز أن يكذب لمصلحة ويأذن الله فيه فلنجوز
 هذا الاحتمال في كل ما أخبر الانبياء عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرايع ويترك التهمة الى كلها والحديث محمول
 على المعاريض فان فيها مندوحة عن الكذب ﴿ وقوله (فرجعوا الى أنفسهم) أى تفكروا بقلوبهم
 ورجعوا الى عقولهم (فقالوا) ما أراد الا كما قال (انكم اتم الظالمون) يعنى بعبادتكم ما لا يتكلم وقيل معناه
 اتم الظالمون لهذا الرجل في سؤالكم اياه وهذه آهتكم حاضرة فاسألوها (ثم نكسوا على رؤسهم) قال
 أهل التفسير أجرى الله الحق على لسانهم في القول الاول وهو اقرارهم على أنفسهم بالظلم ثم أدركتهم
 الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاولى وهو قوله ثم نكسوا على رؤسهم أى ردوا الى الكفر وقالوا (لقد علمت
 ما هؤلاء ينطقون) أى فكيف نسألهم فلما توجهت الحجة لابراهيم عليهم (قال) لهم (أفتعبدون من دون الله
 ما لا ينفعكم شيئا) أى ان عبدة هؤلاء (ولا يضركم) أى ان تركتم عبادته (أف لكم) أى تبالكم (ولما تعبدون
 من دون الله) والمعنى انه حقرهم وحقر معبودهم (أفلا تعقلون) أى أليس لكم عقل تعقلون به ان هذه
 الاصنام لا تستحق العبادة فلما ألزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا) حرقوه وانصروا آهتكم) يعنى انكم
 لا تنصرونها الا بتحريق ابراهيم لانه يعيها ويطن فيها (ان كنتم فاعلين) أى ناصرين آهتكم قال ابن
 عمر الذي قال هذا رجل من الاكراد قيل اسمه هيرين خفف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم

(٣٦ - (خازن) - ثالث) فكيف تأمرنا بسؤالها والجملة سدت مسد مفعولى علمت والمعنى لقد علمت عجزهم
 عن النطق فكيف تسألهم (قال) محتجاج عليهم (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا) هو في موضع المصدر أى نفعاً (ولا يضركم) ان لم
 تعبدوه (أف لكم) ولما تعبدون من دون الله) أف صوت اذا صوت به علم أن صاحبه متعجب من رأي من ثباتهم على عبادتها بعد
 انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق فتأفف بهم واللام لبيان التأفف به أى لكم ولا آهتكم هذا التأفف أف مدنى وحفص أف مكى وشامى
 أف غيرهم (أفلا تعقلون) ان من هذا وصفه لا يجوز أن يكون الها فلما ألزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا) حرقوه) بالنار لانها أهول
 ما يعاقب به وأقطع (وانصروا آهتكم) بالانتقام منه (ان كنتم فاعلين)

أى ان كنتم ناصرين
 آهتكم بصرا مؤزرا
 فاختاروا له أهول المعاقب
 وهو الاحراق بالنار والا
 فرطم في نصرتها والذي
 أشار باحراقه نمرود أو
 رجلى من أكراد فارس
 وقيل أنهم حين هموا
 باحراقه حسوه ثم بنوا
 بيتا يكونى وجمعوا شهرا
 أصناف الخشب ثم أشعلوا
 نارا عظيمة كادت الطير
 تحترق في الجو من وهجها
 ثم وضعوه في المنجنيق
 مفيدا مغلولا فرموا به فيها
 وهو يقول حسبي الله ونعم
 الوكيل وقال له جبريل هل
 لك حاجة فقال اما اليك
 فلا قال فسل ربك قال
 حسبي من سؤالي علمه
 بحالى وما أحرق النار الا
 وثاقه وعن ابن عباس انما سجا
 بقوله حسبي الله ونعم الوكيل
 (قلنا يا نارك كوني بردا
 وسلاما) أى ذات برد
 وسلام فبولغ في ذلك كان
 ذاتها برد وسلام (على
 ابراهيم) أراد ابردى فيسلم
 منك ابراهيم وعسن ابن
 عباس رضى الله عنهما ولم
 يقل ذلك لاهلكته بردها
 وللعنى ان الله تعالى نزع
 عنها طبعها الذى طبعها
 عليه من الحرق والاحراق
 وأبقاها على الاضائة
 والاشراق كما كانت وهو
 على كل شئ قدير

القيامة وقيل قاله نمرود بن كنعان بن سنجار بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح

ذكر القصة في ذلك

فما اجتمع نمرود وقومه للاحراق ابراهيم حسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقربة يقال لها كوثى ثم
 جمعوا له صلاب الخشب وأصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لاجمعن حطبا
 لا ابراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب لئن أصابته لتعطين في نار ابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشتري
 الخشب بعزلها احتسابا في دينها وكان الرجل يوصى بشراء الخشب من ماله لا ابراهيم فلما جمعوا ما أرادوا
 وأشعلوا في كل ناحية من الخشب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان الطير لجر بها فيحترق من شدة وهجها
 وحرها فأوقدوا عليها سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف يلقونه فقيل ان ابليس جاء وعلمهم
 عمل المنجنيق فعملوه ثم عادوا الى ابراهيم فقيده وورفعوه على رأس البنيان ووضعوه في المنجنيق مقيدا
 مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة أى ربنا
 ابراهيم خليلك يلقي في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره فأنذرن لنا في نصرته فقال الله تعالى انه خليلي
 ليس لي خليل غيره وأنا لله ليس له اله غيره فان استغاث باحد منكم أودعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك
 وان لم يدع غيره فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما أرادوا القاءه في النار أتاه خازن المياه وقال ان أردت
 أخذت النار وأتاه خازن الهواء وقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لي اليك حسبي الله
 ونعم الوكيل وروى عن أبي بن كعب أن ابراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار لا اله الا أنت سبحانك لك الحمد
 ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم الملك حاجة فقال اما
 اليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالى (نخ) عن ابن عباس في قوله
 تعالى وقالوا حسنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقى في النار وقالها محمد صلى الله
 عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قال كعب الاحبار جعل كل شئ يطفى عنه النار الا الوزغ
 فانه كان ينفع في النار (ق) عن أم شريك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الاوزاع زاد البخاري
 وقال كان ينفع على ابراهيم (قلنا) أى قال الله عز وجل (يا نارك كوني بردا وسلاما على ابراهيم) قال ابن عباس لو
 لم يقل سلاما مات ابراهيم من بردها وفي بعض الآثار انه لم يبق يومئذ نار في الارض الا طفئت فلم ينفع في ذلك
 اليوم نار في العالم ولو لم يقل على ابراهيم بقيت ذات بردا لو قيل أخذت الملائكة بضبي ابراهيم فاقعدوه
 على الارض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس قال كعب ما أحرق النار من ابراهيم الا وثاقه قالوا وكان
 ابراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام قاله المنهال بن عمر وقال ابراهيم ما كنت أيا ما قاطع نعم منى من الايام التي كنت
 في النار قيل وبعث الله تعالى ملك الظل في صورة ابراهيم فقعد الى جنب ابراهيم يؤنس قالوا وبعث الله عز
 وجل جبريل بقميص من حر الجنة وطفقة فالبه القميص وأقعدته على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال
 جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحيائي ثم نظر نمرود وانسرف على ابراهيم من صرح
 له فراه جالس في روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الخشب فناداه يا ابراهيم كبراهك الذي بلغت
 قدرته أن حال بينك وبين النار يا ابراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان أقتل أن
 تضرك قال لا قول فقم فخرج منها فقام ابراهيم يمضى فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من
 الرجل الذى رأته معك منك في صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله الى ربى ليؤنسني فيها
 فقال نمرود يا ابراهيم انى مقرب الى اهلك قربا بالمرأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت الاعبادته
 ونوحيدته وانى ذابح له أربعة آلاف بقرة قال ابراهيم لا يقبل الله منك مادمت على دينك حتى تفارقه

(وأرادوا به كيدا) احزاقا (جعلناهم الاخسرين) فارسل على نمرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت بعوضته في
دماغ نمرود فاهلكته (ونجيناها) أي ابراهيم (ولوطا) ابن أخيه هاران من العراق (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) أي أرض الشام
وبركنا ان أكثر الانبياء منها فاتشرفت في العالمين آثارهم الدينية وهي (٢٨٣) أرض خصب يطيب فيها عيش الغني والفقير

وقيل ما من ماء عذب في
الارض الا وينبع أصله
من صخرة بيت المقدس
روى انه نزل بفلسطين ووط
بالموتفكة وبينهما مسيرة
يوم وليلة وقال عليه السلام
انها ستكون هجرة بعد
هجرة فخير الناس الى
مهاجر ابراهيم (ووهبنا له
اسحق ويعقوب نافلة) قيل
هو مصدر كالعافية من غير
لفظ الفعل السابق أي
وهبنا له هبة وقيل هي ولد
الولد وقد سأل ولدا فاعطيه
وأعطى يعقوب نافلة أي
زيادة وفضلا من غير سؤال
وهي حال من يعقوب
(وكلا) أي ابراهيم واسحق
ويعقوب وهو المفعول
الاول لقوله (جعلنا)
والثاني (صالحين) في
الدين والنبوة (وجعلناهم
أمم) يقتدى بهم في الدين
(يهودون) الناس (بامرنا)
بوحيانا (وأوحينا اليهم فعل
الخيرات) وهي جميع
الاعمال الصالحة وأصله
ان تفعل الخيرات ثم فعل
الخيرات ثم فعل الخيرات
وكذلك قوله (واقام الصلاة
وايتاء الزكاة) والأصل
واقامة الصلاة الا ان المضاف
اليه جعل بدلا من الهاء

وترجع الى ديني فقال لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذب عنها فذب عنها نمرود وكف عن ابراهيم عليه
الصلاة والسلام ومنعه الله عز وجل منه ﴿ قوله عز وجل (وأرادوا به كيدا) أي أرادوا أن يكيدوه (جعلناهم
الاخسرين) قيل معناه انهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل ان الله تعالى أرسل على
نمرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في دماغه بعوضته فاهلكته ﴿ قوله تعالى
(ونجيناها ووطا) يعني من نمرود وقومه (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) يعني الى أرض الشام بارك الله
فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار وقال أبي بن كعب بارك الله فيها وسماها مباركة لانه ما من
ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التي بيت المقدس وقيل لان أكثر الانبياء منها (ق) عن أبي
قتادة ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لكعب الاتحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقبره فقال كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين ان الشام كنز الله من أرضه وبها كنزه
من عباده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة
بعد هجرة فخير أهل الارض ألزمهم مهاجر ابراهيم أخرجه أبو داود وأراد بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام
يرغب في المقام بها عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لاهل الشام فقلت وما ذلك
يا رسول الله قال لان الملائكة باسطة أجنحتها عليها أخرجه الترمذي عن هز بن حكيم عن أبيه عن جده قال
قلت يا رسول الله أين تأمرني قال ههنا ونحايده نحو الشام أخرجه الترمذي قال محمد بن اسحق استجاب
لابراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله تعالى به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمرود
وملئهم وآمنت به سارة بنت هاران الا كبر عم ابراهيم وتبعه لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران وهو
أخو ابراهيم وكان لهما أخ ثالث اسمه ناخور فثلاثتهم أولاد تارخ وهو آزر فخرج ابراهيم من كوثي من
أرض العراق مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى
نزل حران فكثبها ما شاء الله ثم خرج مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل السبع من
أرض فلسطين ونزل لوط بالموتفكة وهي على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيا الى أهلها وما قرب
منها فذلك قوله تعالى ونجيناها ووطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ﴿ قوله تعالى (ووهبنا له اسحق
ويعقوب نافلة) أي عطية من عطاء الله قال ابن عباس النافلة هو يعقوب لان الله تعالى أعطى ابراهيم
اسحق بدعائه حيث قال رب هب لي من الصالحين وزاده يعقوب نافلة وهو ولد الولد (وكلا جعلنا صالحين)
يعني ابراهيم واسحق ويعقوب (وجعلناهم أمم) أي قدوة بهتدى بهم في الخير (يهودون بامرنا) أي يدعون
الناس الى ديننا بامرنا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) أي العمل بالشرائع (واقام الصلاة) أي المحافظة
عليها (وايتاء الزكاة) أي الواجبة وخصهما لان الصلاة أفضل العبادات البدنية وشرعت لذكرا لله والزكاة
أفضل العبادات المالية ومجموعهما التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله (وكانوا لنا عابدين) أي
موحدين ﴿ قوله عز وجل (ولوطا آتيناها حكما) أي الفصل بين الخصوم بالحق وقيل أراد الحكمة والنبوة
(وعلمنا ونجيناها من القرية التي كانت تعمل الخبائث) يعني قرية سدوم وأراد أهلها وأراد بالخبائث اتيان
الذكور في أديارهم وكانوا يتضارطون في مجالسهم مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكرات (انهم كانوا
قوم سوء فاسقين وأدخلناهم في رحمتنا) قيل أراد بالرحمة النبوة وقيل أراد بها الثواب (انه من الصالحين) يعني

(وكانوا لنا عابدين) لالاصنام فاتهم يا معشر العرب اولاد ابراهيم فاتبعوه في ذلك (ولوطا) انتصب بفعل يفسره (آتيناها حكما) وهي
ما يجب فعله من العمل أو فصلا بين الخصوم أو نبوة (وعلمنا) فقها (ونجيناها من القرية) من أهلها وهي سدوم (التي كانت تعمل الخبائث)
اللوطة والضراط وحذف المارة بالخصي وغيرها (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) خارجين عن طاعة الله (وادخلناهم في رحمتنا)
أو في الجنة (انه من الصالحين) أي حذاه على صلاحه كأهل كنفه مع عقابا على فساده

(ونوحاً) أي واذ كرتوحاً (اذنادي) أي دعا على قومه بالهلاك (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (فاستجبتنا) أي دعاه (فنجيناها وأهلها) أي المؤمنين من ولده وقومه (من الكرب العظيم) من الطوفان وتكذيب أهل الطغيان (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) منعناه منهم أي من اذاهم (انهم كانوا قوم سوء فاغرقتناهم أجمعين) صغيرهم وكبيرهم ذكروهم واتاهم (وداود وسليمان) أي واذ كرتوحاً (اذ) بدل منهما (٢٨٤) (يحكمان في الحرث) في الزرع أو الكرم (اذ) ظرف ليحكمان (نفت) دخلت (فيه غنم القوم) ليلا

الانبياء ﴿ قوله تعالى (ونوحاً اذ نادى من قبل) أي من قبل ابراهيم ولوط (فاستجبتنا) أي أجناد دعاه (فنجيناها وأهلها من الكرب العظيم) قال ابن عباس من الفرق وتكذيب قومه له وقيل انه كان أطول الانبياء عمراً وأشدهم بلاء والكرب أشد الغم (ونصرناه) أي منعناه (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) من أن يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى علي (انهم كانوا قوم سوء فاغرقتناهم أجمعين) ﴿ قوله عز وجل (وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث) قال ابن عباس وأكثر المفسرين كان الحرث كرم ما فقدت عدت عن اقيدته وقيل كان زرعاً وهو أشبه بالعرف (اذ نفت فيه غنم القوم) أي رعته ليلا فافسدتها وكانت بلاراع (وكننا لحكمهم شاهدين) أي كان ذلك به لنا ومرأى منا لا ينفي علينا علمه وفيه دلائل لمن يقول بان أقل الجمع اثنان لقوله وكننا لحكمهم والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره ان رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرع ليلا فوقعت فيه فافسدتها فلم تبق منه شيئاً فأعطاهم قاب الغنم بالزرع فخر جافرا على سليمان فقال كيف قضيت بينكما فاجاب فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا وروى انه قال غير هذا أرفق بالقر يقين فاجاب بذلك داود فدعاه وقال كيف تقضي وپروى انه قال له بحق النبوة والابوة الاما اخبرني بالذي هو أرفق بالقر يقين قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث ينتفع بذرهما ونسلها واصرفها ومنافعها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع الى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فقيل كان سليمان يوم حكم بذلك من العمر احدى عشرة سنة وحكم الاسلام في هذه المسئلة ان ما أفسدته الماشية المرسله من مال الغير بالنهار فلا ضمان على ربه او ما أفسدته بالليل ضمنه ربه لان في عرف الناس ان أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح ويدل على هذه المسئلة ما روى حرام بن سعد بن محيصة ان ناقة للبراء بن عازب دخلت حائط الرجل من الانصار فافسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشي حفظها بالليل زاد في رواية وان على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل أخرجه أبو داود مرسل وذهب أصحاب الرأي أن المالك اذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما تلفت ليلا كان أو نهاراً فذلك قوله تعالى (ففهمناها سليمان) أي علمناه وأهملناه حكم القضية (وكلا) يعني داود وسليمان (آتيناهم حكماً وعلمنا) أي بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكم قد هلكوا ولكن الله جده هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده واختلف العلماء في أن حكم داود كان باجتهاده أم بنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم حكماً بالاجتهاد قال ويجوز الاجتهاد للانبياء ليدركوا ثواب المجتهدين والعلماء هم الاجتهاد في الحوادث اذا لم يجدوا فيها نص كتاب أو سنة واذا اخطوا افلام عليهم (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد قال قوم ان داود وسليمان حكما بالوحى فكان حكم سليمان ناسخاً لحكم داود ومن قال بهذا يقول لا يجوز للانبياء الحكم بالاجتهاد لانهم مستغنون عنه بالوحى واحتج من ذهب الى أن كل مجتهد مصيب بظاهر هذه الآية وبالحديث حيث وعد

دخلت (فيه غنم القوم) ليلا
 فاكتته وأفسدته والنفس
 اتشار الغنم بلاراع (وكننا
 لحكمهم) أرادهما
 والمتحاكمين اليهما
 (شاهدين) أي كان ذلك
 بعلمنا ومرأى منا
 (ففهمناها) أي الحكومة
 أو الفتوى (سليمان) وفيه
 دليل على ان الصواب كان
 مع سليمان صلوات الله
 عليه وقتته أن الغنم رعت
 الحرث وأفسدته بلاراع
 ليلا فتعا كمالى داود حكم
 بالغنم لاهل الحرث وقد
 استوت قيمتهما أي قيمة
 الغنم كانت على قدر
 التقصان من الحرث فقال
 سليمان وهو ابن احدى
 عشرة سنة غير هذا أرفق
 بالقر يقين فعزم عليه
 ليحكم فقال أرى أن
 تدفع الغنم الى أهل الحرث
 ينتفعون بالبانها وأولادها
 وأصوافها والحرث الى
 رب الغنم حتى يصلح
 الحرث و يعود كهيئته يوم
 أفسد ثم يتراد ان فقال
 القضاء ما قضيت وأمضى
 الحكم بذلك وكان ذلك

باجتهاد منهما وهذا كان في سر يعظم فاماني سر يعتنا فلا ضمان عند أبي حنيفة وأصحابه
 رضى الله عنهم بالليل أو بالنهار الا أن يكون مع البيهية سائق أو قائد وعند الشافعي رحمه الله يجب الضمان بالليل وقال الجصاص انما ضمنوا
 لانهم أرسلوها ونسخ الضمان بقوله عليه السلام العجماء جبار وقال مجاهد كان هذا مسلحاً وما قبله داود كان حكماً والصلح خير (وكلا) من
 داود وسليمان (آتيناهم حكماً) نبوة (وعلمنا) معرفة بموجب الحكم

قال يسبحن (والطير) معطوف على الجبال أو مفعول معه وقد امت الجبال على الطير لان تسخيرها وتسبيحها أعجب وأغرب وأدخل في الاعجاز لانها جادروى أنه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار (وكننا فاعلين) بالانبياء مثل ذلك وان كان عجا عندكم (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أى عمل اللبوس والدروع واللبوس اللباس والمراد السرعة (لحصنكم) شامى وحفص أى الصنعة وبالنون أبو بكر وجاد أى الله عز وجل وبالياء غيرهم أى اللبوس أو الله عز وجل (من بأسكم) من حرب عدوكم (فهل أتم شاكرون) استفهام بمعنى الامر أى فاشكروا الله على ذلك (ولسليمان الريح) أى وسخرنا له الريح (عاصفة) حال أى شديدة الهبوب ووصفت فى موضع آخر بالرخاء لانها تجرى باختياره فكانت فى وقت رخاء وفى وقت عاصفة طوبى بها على حكم ارادته (تجرى بامر) بامر سليمان (الى الارض التى باركنا فيها) بكثره الانهار وقد أحاط علمنا بكل شئ

الثواب للمجتهد على الخطأ وهو قول أصحاب الرأى وذهب جماعة الى أنه ليس كل مجتهد مصيبا بل اذا اختلف اجتهاد المجتهدين فى حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى وقوله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد فخطأ فله أجر لم يرد به أنه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده فى طلب الحق لان اجتهاده عبادة والامم فى الخطأ عنه موضوع اذا لم يأل جهدا ووجه الاجتهاد فى هذا الحكم ان داود قوم قدر الضرر فى الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عنده أن الواجب فى ذلك الضرر فى الحرث قيمة المثل فلا جرم سلم الغنم الى الجنى عليه وأما سليمان فان اجتهاده أدى الى أنه يجب مقابلة الاصول بالاصول والزوائد بالزوائد فأما مقابلة الاصول بالزوائد فغير جائزة ولعل منافع الغنم فى تلك السنة كانت موازية لمنافع الحرث فحكم به ومن أحكام داود وسليمان عليهما السلام ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن احداهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به للكبرى فخر جتا على سليمان بن داود فاخبرناه فقال اتونى بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابناها فقضى به للصغرى أخرجاه فى الصحيحين قوله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) أى يسبحن مع داود اذا سبح قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر قيل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه اذا صلى وقيل كان داود اذا قرأ بسم الله تسبيح الجبال والطير لينشط فى التسبيح ويشاقى اليه (وكننا فاعلين) يعنى ما ذكر من التفهيم وايتاء الحكم والتسخير (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أى صنعة الدروع التى تلبس فى الحرب قيل أول من صنع الدروع وسردها واتخذها حلقا داود وكانت من قبل صفايح قالوا ان الله الان الحديد لداود بان يعمل منه بغير نار كانه طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله تعالى (لحصنكم) أى تمنعكم (من بأسكم) أى حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليحصنكم الله به (فهل أتم شاكرون) أى يقول ذلك لداود وأهل بيته قوله عز وجل (ولسليمان الريح) أى وسخرنا لسليمان الريح وهو جسم متحرك لطيف متمنع بلطفه من القبض عليه يظهر للحس بحركته ويخفى عن البصر بلطفه (عاصفة) أى شديدة الهبوب فان قلت قد وصفها الله بالرخاء وهى الريح اللينة قلت كانت الريح تحت أمره ان أراد ان تشتد اشتدت وان أراد ان تلين لانت (تجرى بامر) الى الارض التى باركنا فيها) يعنى الشام وذلك لانها كانت تجرى بسليمان وأصحابه حيث يشاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام (وكننا بكل شئ عالمين) أى بصحة التدبير فيه وعلمنا ان ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعو الى الخضوع لربه قال وهب كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه حلقت عليه الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس على سريره وكان امرأ غزاة قلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع فى ناحية من الارض بملك الا انها حتى يذله وكان فيما يزعمون اذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له خشب ثم نصب له على الخشب ثم جعل عليه الناس والدواب وآلة الحرب فاذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحمقته حتى اذا استقلت به أمر الرخاء فرت به شهرافى روحته وشهرافى غدوته الى حيث أراد وكانت تمر بعسكره الريح الرخاء وبالزرعة فساخر كها ولا تثير ترابا ولا تؤذى طائرا قال وهب ذكرك لى ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان امامن الانس أو من الجن نحن نزلناه وما بنيناه ومبنياء وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن راكحون منه ان شاء الله فنزلون بالشام وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخوا فى فرسخ ذهبى ابر يسم وكان يوضع له منبر من ذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة تقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحوطهم الناس وحوط الناس

والاشجار والثمار والمراد الشام وكان منزلهما وتحمله الريح من نواحي الارض اليها (وكننا بكل شئ عالمين) فتجرى الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا

الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه شمس وترفع ریح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبي الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب الله فعقر الخيل فأبدله الله مكانها خيرا منها وأصرع الريح تجرى بأمره كيف شاء فكان يغدوم من ايلياء فيقبل باصطنع ثم يروح منها فيكون رواجه يابل وروى أن سليمان سار من أرض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم الى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر وروح على مثل ذلك ثم عطف بئنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض الهند وجاوزها وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى أتى أرض فارس فزطها أياما وغدا منها فقال بكسر ثم راح الى الشام وكان مستقرا بمدينة تدمر وكان أمر الشياطين قبل شغوصه الى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الاصفر والابيض وفي ذلك يقول النابغة

الاسليمان اذ قال للمليك له * قم في البرية فاحدها عن القند

وجيش الجن اني قد اذنت لهم * ينون تدمر بالصفاح والعمد

قوله عز وجل (ومن الشياطين) أي وسخرنا له من الشياطين (من يعصون له) أي يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر (ويعملون عملا دون ذلك) أي دون الغوص وهو اختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب ونمايل الآية ويتجاوزون في ذلك الى أعمال المدن والقصور والصناعات كاتخاذ النورة والقوارير والصابون وغير ذلك (وكناهم حافظين) أي حتى لا يخرجوا عن أمره وقيل حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا وذلك أنهم كانوا اذا عملوا عملا في النهار وفرغ قبل الليل أفسدوه وخربوه قيل ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل أشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل وبخر به قوله تعالى (وأيوب اذا نادى ربه) أي دعار به

﴿ ذكرك قصة أيوب عليه السلام ﴾

قال وهب بن منبه كان أيوب رجلا من الروم وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونبأه بسطة له الدنيا وكانت له البنية من أرض البلقاء من أعمال خوارزم مع أرض الشام كلها سهلا وجبلها وكان له فيها من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحير ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدد والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبدا امرأة وولد ومال ويحمل له آلة كل فدان أمان لكل أمان من الولد اثنان أو ثلاثة أو أربع أو خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان بر اختيارها بالمساكين يطعمهم ويكفل اليتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكر الانعم الله مؤديا لحق الله قد امتنع من عدو الله ابليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من أمر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من أهل اليمن يقال له النفر وقيل نغير ورجلان من أهل بلده يقال لهما نلدو الآخر صافر وكان طولا مال وكان ابليس لا يحجب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حينما أراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن أربع فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها الا من استرق السمع فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فأدرك ابليس الحسد والبنى فصعد سر يعا حتى وقف من السماء حيث كان يقف وقال الهى نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما أعطيت له لخال عما هو عليه من شكرك وعبادتك وخرج عن طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطت على ماله فانقض عدو الله ابليس حتى وقع على الأرض فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت على مال أيوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تصبر عليها

(ومن الشياطين) أي
وسخرنا منهم (من
يعصون له) في البحار
بأمره لا استخراج
السرور ما يكون فيها
(ويعملون عملا دون
ذلك) أي دون الغوص
وهو بناء المحاريب
والتمايل والقصور
والقدور والجفان (وكناهم
حافظين) أن يزيفوا
عن أمره أو يبدلوا أو
يوجد منهم فساد فيهم
مسخرون فيه (وأيوب)
أي واذا ذكر أيوب (اذ
نادى ربه

الرجال فقال عفر يت من الشياطين أعطيت من القوة ما إذا شئت تحولت اعصار من نار فاحرق كل شيء أتى
عليه قال ابليس اذهب فأت الابل ورعائها فأتى الابل حين وضعت رؤسها ورعت فلم يشعر الناس حتى نار من
تحت الارض اعصار من نار فاحرق الابل ورعائها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله ابليس في صورة قيم من
كانواعها على قعود الى ايوب فوجه قائم يصلي فقال يا ايوب أقبلت نار حتى غشيت اهلك وأحرقتها ومن
فيها غيري فقال ايوب بعد ان فرغ من الصلاة الحمد لله هو أعطانيها وهو أخذها وانها مال الله أعارنيها وهو
أولى بها إذا شاء نزعها قال فتركت الناس مبهوتين يتحجبون منها منهم من يقول ما كان ايوب يعبد شيئا وما
كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان اله ايوب يقدر على أن يصنع شيئا يمنع وليه ومنهم من يقول بل هو
الذي فعل ما فعل ايشمت به عدوه ويفجع صديقه فقال ايوب الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني عريانا
خرجت من بطن أمي وعريانا أعود الى التراب وعريانا أحشر الى الله عز وجل ليس ينبغي لك أن تفرح حين
أعارك وتجزع حين قبض عاريته الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا النقل وروحك مع
تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرافا فترك فرجع ابليس الى أصحابه خاسئا ذليلا فقال ما عندكم
من القوة فأتى لم أكله قلبه قال عفر يت من الجن عندي من القوة ما إذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذور روح
الا خرجت روحه قال ابليس فأت النعم ورعائها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة فتجثمت أمواتا من عند
آخرها ومات رعائها فجاء ابليس ممثلا بقهر مان الرعاة الى ايوب فوجه يصلي فقال له مثل القول الاول فرد
عليه ايوب مثل الرد الاول فرجع ابليس الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فأتى لم أكله قلب ايوب فقال
عفر يت عندي من القوة ما إذا شئت تحولت ربحا عاصفة تنسف كل شيء تأتي عليه قال فأت الفدادين في
الحرث والزرع فانطلق يؤمهم وذلك حين شرع الفدادون في الحرث والزرع فلم يشعر واحد حتى هبت ريح
عاصفة فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء ابليس ممثلا بقهر مانهم الى ايوب وهو قائم يصلي
فقال له مثل قوله الاول فدع عليه ايوب مثل رده الاول وجعل ابليس يصف ماله مالا ما لا حتى مر على آخره
كما انتهى اليه هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضى عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر
والبلاء حتى لم يبق له مال فلما رأى ابليس انه قد أفنى ماله ولم ينجح منه بشيء صعد سر يعا حتى وقف في الموقف
الذي يقف فيه وقال الهى ان ايوب يرى انك ما تمتعه بولده فانت معطيه المال فهل أنت مسلط على ولده
فانها المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى
أتى بنى ايوب وهم في قصرهم فلم يزل يزل بهم القصر حتى تداعى من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها
بعضا يرميهم بالخشب والحجارة فلما مثل بهم كل مثله رفع القصر وقلبه عليهم وصاروا منكسبين وانطلق الى
ايوب ممثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه فاخبره وقال لو رأيت
بنيك كيف عذبوا وكيف اتقلبوا منكوسين على رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم ولو رأيت كيف شقت
بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك عليهم فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق ايوب وبكى وقبض قبضة من
التراب فوضعها على رأسه وقال يا ليت أمي لم تلدني فاغتتم ابليس ذلك فصعد سر يعا بالذي كان من جزع ايوب
مسرورا به ثم لم يلبث ايوب ان فاء وأبصر واستغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته الى الله
وهو أعلم فوقف ابليس خاسئا ذليلا وقال الهى انما هوون على ايوب المال والولد انه يرى انك ما تمتعه بنفسه
فانت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلط على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده
ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله وكان الله أعلم به ولم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب
ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب فانه صعد
الله ابليس سر يعا اليه فوجد ايوب ساجدا فبجل قبل أن يرفع رأسه فاتاه من قبل وجهه فنفخ في منخر به

نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الى قدمه ناكيل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة فلك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنه حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنه فلم يزل يحك حتى فرج لجه وتقطع وتغير وأتى فخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا المعريشة ورفضه خلق الله كلهم غير امرأته وهي رحمة بنت افرايم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف اليه ما يصلحه ويلزمه فلما رأى الثلاثة من أصحابه ما ابتلاه الله به أنهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلق اليه أصحابه فيكتوه ولا موه وقالوا تب الى الله من الذنب الذي عوقبت به قال وحضر معهم فتي حديث السن قد آمن به وصدقه فقال لهم الفتى انكم تكلمتم أيها الكهول وأتم أحق بالكلام مني لاسنانكم ولكن تركتم من القول ما هو أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الامر أجل من الذي أتيتم وقد كان لا يوب عليكم من الحق والدمام أفضل من الذي وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انقصتم وحرمة من اتهمكم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم ألم تعلموا ان أيوب نبي الله وصفوته وخيرته من أهل الارض الى يومكم هذا لم تعلموا ولم يطلعكم الله على انه سخط شيئا من أمره منذ آناه الله ما آناه الى يومكم هذا ولا على انه نزع منه شيئا من الكرامة التي أكرمه الله بها ولا ان أيوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضع في أنفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يتلى المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه ولا ذلك دليلا على سخطه عليهم ولا هو انهم عليه ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة الا أنه أخ أحبتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم أن يعدل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحم ويبيكي ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مر أشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فإله الله أيها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكركم الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا ان الله عبادا أسكتهم الخشية من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفحصاء البلغاء الألباء العالمون بالله ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطع ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لامر الله واجلالا فاذا اشتاقوا من ذلك استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون أنفسهم من الظالمين والخطائين وانهم لا يرار برآء ومع المقصرين المفرطين وانهم لا كياس أقوياء قال أيوب عليه السلام ان الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فاذا انبت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد حكيم في الصيام تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله سبحانه وتعالى عليه نور الكرامة ثم أقبل أيوب على الثلاثة وقال أتيتوني غضابا رهتم قبل أن تسترهبوا وبكيتم قبل أن تضربوا كيف بي لو قلت تصدقوا عني باموالكم لعل الله أن يخاصني أو قر بوا عني قربا لعل الله أن يقبله ورضي عني وانكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم انكم قد عوفيتم باحسانكم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيو باقدسترها الله تعالى بالعافية التي ألبسكم وقد كنتم فيما خلاتو قروتي وأنا مسموع كلامي معروف حتى منتصف من خصمي فاصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم فاتم كنتم أشد على من مصيبتى ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربه مستغينا به متضرعا اليه فقال يا رب لا شيء خلقتني ليني اذ كرهتني لم تخلقني باليتي عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتي فالحقني بأبائي فالموت كان أجمل في ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيا الهى أنا عبد ذليل ان أحسنت فالمن لك وان أسأت فييدك عقوبي جعلتني للبلاء غرضا وللقتنة نصيبا وقد وقع على من البلاء ما لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي وان قضاءك هو الذي أذلني وان سلطانك هو الذي أسقمني وانحل جسمي ولو ان ربي نزع

الهية التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بل في فادلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي
 لرجوت أن يعافيني عند ذلك عما بي ولكنه القاني وتعالى عنى فهو يرانى ولا أراه ويسمعنى ولا أسمعها فلما قال
 ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب ثم نودي يا أيوب إن الله يقول ها أنا قد دنوت
 منك ولم أزل منك قريباً فادل بعذرِكَ وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد أزارك وقم مقام جبار
 يخاصم جباراً ان استطعت فإنه لا ينبغي ان يخاصمني الا جبار مثلى لقد مننتك نفسك يا أيوب امرأ ما يبلغ مثله
 مثلك أين أنت منى يوم خلقت الارض فوضعتها على اساسها هل كنت معى تد باطرافها هل علمت باى مقدار
 قدرتها أم على أى شئ وضعتا كفافها أبطاعتك حمل الماء الارض أم بحكمتك كانت الارض للماء غطاء
 أين كنت منى يوم رفعت السماء سقفاً في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها داعم من تحتها هل يبلغ من
 حكمتك ان تجرى نورها أو تسير نجومها أو يختلف بامرك ليلها ونهارها أين كنت منى يوم انبعث الانهار
 وسكبت البحار ألسطانتك حبست أمواج البحار على حدودها أم بقدرتك فقحت الارحام حين بلغت مدتها
 أين كنت منى يوم صببت الماء على التراب ونصبت شواخ الجبال هل تدري على أى شئ أرسيتها أم باى مثقال
 وزتها أم هل لك من ذراع تطيق حملها أم هل تدري من أين الماء الذى أنزلت من السماء أم هل تدري من
 أى شئ انشأت السحاب أم هل تدري أين خزانه الثلج أم أين جبال البرد أم أين خزانه الليل بالنهار وخزانه
 النهار بالليل وأين خزانه الريح وبأى لغة تتكلم الاشجار ومن جعل العقول فى أجواف الرجال وشق
 الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة للملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم الارزاق بحكمته فى كلام كثير
 يدل على آثار قدرته ذكرها الايوب فقال أيوب صغر شأنى وكل لسانى وعقلى ورأى وضعفت قوتى عن هذا
 الامر الذى يعرض على الهى قد علمت ان كل الذى قد ذكرت صنع بديك وتدير حكمتك وأعظم من ذلك
 وأعجب لو شئت عملت ولا يجزك شئ ولا تخفى عليك خافية الهى أو تفتنى البلاء فتكلمت ولم أملك نفسى
 فكان البلاء هو الذى انطقنى ايت الارض انشقت بي فذهبت فيها ولم أتكلم بشئ يسخطك ربي وليتني مت
 بغمى فى أشد بلائى قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت بعذرى وسكت حين سكت لترجنى كلمة منى فلن
 أعود وقد وضعت يدي على فى وعضضت على لسانى وألصقت بالتراب خدى أعود بك اليوم منك واستجبر
 بك من جهد البلاء فاجرنى واستغيت بك من عقابك فاغتنى واستعينك على أمرى فاعنى وأتوكل عليك
 فا كفى وأعتصم بك فاعصمنى واستغفرك فاغفر لى فلن أعود لشيء تكرهه منى قال الله تعالى يا أيوب نفذ
 فيك علمى وسبقت رجتى غضبى فقد غفرت لك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك
 آية وتكون عبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فنه تناول وقرب
 عن أصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك روى عن أنس يرفعه أن أيوب لبث ببلائه ثمانى
 عشرة سنة وقال وهب ثلاث سنين لم يزد يوماً وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث أيوب مطر وحاعلى
 كناسة لبني اسرائيل سبع سنين وأشهر يختلف فيه الدود لا يقر به أحد غير رحمة صبرت معه بصدق وكانت
 تأتية بالطعام ونحمد الله معه اذا جدوا أيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه فصرخ
 ابليس صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا ما أحرزك قال أعيانى هذا العبد الذى
 لم أدع له مالاً ولا ولداً ولم يزد الا صبراً ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاءة على كناسة لا تقر به الا امرأته
 فاستعنت بكم فتعينونى عليه فقالوا له فإين مكرك الذى أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله فى أيوب
 فاشيروا على قالوا من أين آتيت آدم حين أخرجه من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فاشأنتك يا أيوب من قبل
 امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصها وليس يقر به أحد غيرها قال أصبتم فانطلق ابليس حتى أتى رحمة امرأته

أيوب وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل وقال لها أين بعالك يا أمة الله قالت هو ذلك يحك فروجه ويتردد
 الديدان في جسده فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس اليها واذكرها ما كانت فيه من النعم
 والمال واذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه أبدا فصرخت فعلم انها قد
 جزعت فانها هابت سحابة وقال ليذبح لي هذه أيوب ويبرأ فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى بعد بك ربك أين المال
 ابن الولد أين الصديق أين لونك الحسن أين جسمك الحسن اذبح هذه السحابة واسترح قال أيوب أناك عدو
 الله فنفخ فيك ويحك أرايت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من أعطانيه قالت الله قال كم متعنا به قالت
 ثمانين سنة قال فخذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويحك ما انصفت ربك الا صبرت في البلاء
 ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شغاني الله لاجلدتك مائة جلدة امرتني ان اذبح لغير الله
 طعامك وشرا بك الذي تأتيني به على حرام ان اذوق منه شيئا اعز في دعيني فلا اراك فطردها فذهبت فلما
 نظر أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا لله وقال رب (اني مسني الضر وأنت أرحم
 الراحمين) فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل
 منها فلم يبق عليه من درنه ودائه شي ظاهر الا سقط وعاد شبابها وجماله أحسن ما كان ثم ضرب برجله فنبعت
 عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسى حلة فجعل يلتفت فلا يرى شيئا ما كان
 عليه وما كان له من أهل ومال الا وقد ضعفه الله له واذكر لنا ان الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا
 من ذهب فجعل يضمه بيده فلوحي الله اليه يا أيوب ألم أغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال خرج
 حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرايت ان كان طردني الى من أكله ادعه بموت جوعا ويضيع
 فنا كاه السباع لارجع اليه فرجعت اليه فلا الكناسة رأت ولا تلك الحالة التي كانت تعرف واذا الامور قد
 تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعيني أيوب وهابت صاحب الحلة ان تاتيه ففسأله
 عن أيوب فدعاها وقال ما تريد يا أمة الله فبكت وقالت أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على الكناسة
 لا أدري أضع أم ما فعل به فقال أيوب ما كان منك فبكت وقالت بعلی فقال هل تعرفينه اذا رأتته قالت وهل
 يخفى على أحد رآه ثم جعلت تنظر اليه وهي تهابه ثم قالت أما انه أشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فاني انا
 أيوب الذي أمرتني أن اذبح سحابة لابليس واني اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فردد على ما ترين
 وقال وهب ليث أيوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب أيوب ابليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امرأته في هيئة
 لبست كهيئة بنى آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ابليس من مرآكب الناس له عظم وبهاء فقال
 لها أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال انا اله الارض وانا الذي صنعت
 بصاحبك ما صنعت لانه عبد اله السماء وتركني فاغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليك وعليه
 كل ما كان لك من مال وولد فانه عندي ثم اراها اياه يبطن الوادي الذي اقيها فيه وفي بعض الكتب ان ابليس
 قال لها السجدي لي سجدة واحدة حتى أرد عليك المال والولد واعاني زوجك فرجعت الى أيوب فاخبرته بما
 قال لها وما اراها قال لقد أتك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم اقسم ان عافاه الله ليضر بنهما مائة جلدة وقال عند
 ذلك مسني الضر من طمع ابليس في سجود حرمتي له ودعائه اياها واياي الى الكفر ثم ان الله تعالى رحم رحمة
 امرأته أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عاها واراد ان يبرئها من أيوب فامر ان يأخذ ضغثا يشتمل على مائة
 عود صغير فيضربها به ضربة واحدة وقيل انما قال مسني الضر حين قصد الدود الى قلبه ولسانه فخشي ان يفتر
 عن الله كروا الفكر وقيل لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة أشياء أحدها ما قيل في حقه لو كان لك
 عند الله منزلة ما أصابك هذا والثاني ان امرأته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعته ذواتها فاته بطعام

(اني) أي دعاباني (مسي)
 الضر) الضر بالفتح الضرر
 في كل شيء وبالضم الضرر
 في النفس من مرض أو
 هزال (وأنت أرحم
 الراحمين) ألطف في السؤال
 حيث ذكر نفسه بما يوجب
 الرحمة واذكر به بغاية
 الرحمة ولم يصرح بالمطلوب
 فكانه قال أنت أهل ان
 ترحم وأيوب أهل ان يرحم
 فارجه واكتشف عنه الضر
 الذي مسه عن أنس رضي
 الله عنه اخبر عن ضعفه
 حين لم يقدر على النهوض
 الى الصلاة ولم يشتك وكيف
 يشكو من قيل له انا وجدناه
 صابرا نعم العبد وقيل انما
 شكاليه تلذذا بالنجوى
 لانه تضررا بالشكوى
 والشكابة اليه غاية القرب
 كما ان الشكابة منه غاية
 البعد

(فاستجبناله) أجنادعاء

(فكشفتنا مابه من ضر)
فكشفتنا ضره انعاما
عليه (وأئناه أهله ومثلهم
معهم) روى ان أيوب عليه
السلام كان روميا من ولد
اسحق بن ابراهيم عليه
السلام وله سبعة بنين وسبع
بنات وثلاثة آلاف بعير
وسبعة آلاف شاة
وخمسة فدان يتبعها
خمسة عبد لكل عبد
امراة وولد ونخيل فابتلاه
الله تعالى بذهاب ولده وماله
ومرض في بدنه ثمانين
عشرة سنة وثلاث عشرة
سنة أو ثلاث سنين وقالت
له امرأته يوما لودعوت
الله عز وجل فقال كم كانت
مدة الرخاء فقالت ثمانين
سنة فقال أنا أستحي من
الله أن أدعوه وما بلغت
مدة بلائي مدة رخائي فلما
كشف الله عنه أحياءه
باعيانهم ورزقه مثلهم معهم
(رحمة من عندنا) هو
مفعول له (وذكري
للعابدين) يعني رحمة لا يوب
وتذكرة لغيره من العابدين
ليصبروا كصبره فيتابوا
كثوابه (واسماعيل) بن
ابراهيم (وادر يس) بن
شيث بن آدم (وذا الكفل)
أي اذ كرههم وهو الياس
أوزكر يا ويوشع نون
وسمى به لانه ذوالحظ من

والثالث قول ابليس اني أداويه على أن يقول أنت شفيتني وقيل مسنى الضرأى من شماته الاعداء حتى
ردي انه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشد عليك في بلائك قال شماته الاعداء فان قلت كيف سماه الله صابرا
وقد أظهر الشكوى والجزع لقوله مسنى الضر وقوله مسنى الشيطان بنه بوعذاب قلت ليس هذا شكاية
وانما هو دعاء بدليل قوله تعالى فاستجبناله والشكرى انما تكون الى الخلق لا الى الخالق بدليل قول يعقوب
انما أشكوتى وحزنى الى الله وقال سفيان بن عيينة من أظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله
تعالى لا يكون ذلك جزعا كما روى ان جبريل عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال
كيف تجدك قال أجدنى مغموما وأجدنى مكروبا وقال اعائشة حين قالت وارأساه بل أنوار أساه ﴿ قوله
تعالى (فاستجبناله) أى اجبنادعاءه (فكشفتنا مابه من ضر) وذلك انه قال له اركض برجلك فركض برجله
فنبعت عين ماء فامرءه أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهرة ثم مشى أربعين خطوة فامرءه ان
يضرب برجله الارض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فامرءه أن يشرب منها فشرب فذهب كل داء
كان بباطنه فصار كاصح ما كان (وأئناه أهله ومثلهم معهم) قال ابن مسعود وابن عباس وأكثرا المفسرين
رد الله اليه أهله وأولاده باعيانهم احياءهم الله وأعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن وعن ابن عباس رواية
أخرى ان الله رد الى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وقيل كان له سبعة بنين وسبع بنات وعن أنس
رفعه انه كان له أندران أندرا للقمح وأندرا للشعير فبعث الله سبحانه فيهما ففرغت احداهما على أندرا القمح
الذهب وأفرغت الاخرى على أندرا الشعير الورق حتى فاضا وروى أن الله تعالى بعث اليه ملكا وقال له ان ربك
يقرنك السلام بصبرك فاخرج الى أندرك فخرج اليه فارس الله عليه جراد من ذهب فذهبت واحدة فاتبعها
ورد هالى أندره فقال له الملك ما يكفيك ما فى أندرك فقال هذه بركة من بركات ربى ولا أشبع من بركانه (خ)
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا أيوب يغتسل عر ياناخر عليه جراد من ذهب فجعل
أيوب يحيى في ثوبه فناداهم به يا أيوب ألم أكن اغنيتك عما ترى قال بلى يارب ولكنى لاغنى لى عن بركتك
وقيل آتى الله أيوب مثل أهله الذين هلكوا وقال عكرمة قيل لا يوب ان أهلك فى الآخرة فان شئت عجلناهم لك
فى الدنيا وان شئت كانوا لك فى الآخرة وآئناك مثلهم فى الدنيا فقال بل يكونون لى فى الآخرة وأوتى مثلهم
فى الدنيا فعلى هذا يكون معنى الآية وآئناه أهله فى الآخرة ومثلهم معهم فى الدنيا وأراد بالاهل الاولاد (رحمة
من عندنا) أى نعمة (وذكري للعابدين) أى عظة وعبرة لهم ﴿ قوله عز وجل (واسماعيل) هو ابن ابراهيم
صلى الله عليهم وسلم (وادر يس) هو اخنوخ (وذا الكفل كل من الصابر بن) لماذا كره الله امرأيوب
وصبره على البلاء أتبعه بذكره لاء الانبياء لانهم صبروا على المحن والشدائد والعبادة أيضا أما اسمعيل صلى
الله عليه وسلم فانه صبر على الاتقياد الى التبع وأما ادر يس فقد تقدمت قصته وأما ذوالكفل فاختلفوا فيه
فقيل ان نبيا من بنى اسرائيل وكان ملكا وأوحى الله اليه انى أريد قبض روحك فاعرض ملكك على بنى
اسرائيل فن تكفل انه يصلى الليل ولا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضى بين الناس ولا يغضب فادفع
ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال أنا تكفل لك بهذا فكفل ووفى فشكر الله له ونبأه فسمى ذا الكفل
وقيل لما كبر اليسع قال انى أستخلف رجلا على الناس يعمل عليهم فى حياتى انظر كيف يعمل قال جمع
الناس وقال من يتقبل منى ثلاثا أستخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضى ولا يغضب فقام رجل تزدر به
العين فقال أنا فرده ذلك اليوم وقال مثلها فى اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه
فاتاه ابليس فى صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومة فدق
الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بنى وبين قومى خصومة وانهم ظلمونى
وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى ذهبت القائلة فقال اذارحت فائتنى حتى أخذ حقلك فانطلق وراح

الله والكفل الحظ (كل من الصابر بن) أى هؤلاء المذكورون كلهم موصوفون بالصبر

(وأدخلناهم في رحمتنا) نبوتنا أو النعمة (٢٩٢) في الآخرة (انهم من الصالحين) أي ممن لا يشوب صلاحهم كدر الفساد (وذا النون)

أي اذ كرم صاحب الحوت والنون الحوت قاضيف اليه (اذ ذهب مغاضبا) حال أي مراغما لقومه ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بمفارقة خوفهم حلول العقاب عليهم عندها روى أنه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يتعظوا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله الاغصبا لله و بغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر و ينتظر الاذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم فابتلى ببطن الحوت (فظن أن لن نقدر) نضيق (عليه) وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه دخل بوما على معاوية فقال لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة ففرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معاوية فقرأ الآية فقال أو يظن نبي الله أن لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة (فنادى في الظلمات) أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات أو ظلمة الليل والبحر و بطن الحوت (أن) أي بانه (لا اله الا أنت) أو بمعنى أي (سبحانك

فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يتغيبه فلم يجده فلما كان العبد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وقال وأخذ مضجعه دق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له وقال له ألم أقل اذا قدمت فأنتي قال انهم أخبت قوم اذا عرفوا أنك قاعد قال نحن نعطيك حقتك و اذا قتت مجدوني قال فانطلق فاذا جلست فأنتي وفاتته القائلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فإنه قد شق على النعاس فلما كانت تلك الساعة نام فجاء فلم يأذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت فدق الباب من داخل فاحتيقظ فقال يا فلان ألم أمرك قال أما من قبلي فلم تؤت فانظر من أين أتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال أنام والخصوم ببابك فنظر اليه فعره فقال عدو الله قال نعم أعيتني وفعلت ما فعلت لا غضبك فعصمك الله فسمى ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به واختلف في نبوته فقيل كان نبيا وهو الياس وقيل هوز كر يا وقيل انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا (وأدخلناهم في رحمتنا) يعني ما أنعم به عليهم من النبوة وصيرهم اليه في الجنة من الثواب (انهم من الصالحين) قوله عز وجل (وذا النون) أي واذا كرم صاحب الحوت أضيف الى الحوت لابتلاعه اياه وهو يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) قال ابن عباس في رواية عنه كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسي منهم تسعة أسباب ونصفا و بقي منهم سبطان ونصف فاوحى الله الى شعيب النبي أن سر الى خزير الملك وقل له بوجه نبيا فو يافاني ألقى في قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء قال يونس انه قوي أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج فقال يونس هل الله أمرك باخراجي قال لا قال فهل سماني الله لك قال لا قال فهنا غيري أنبياء أقوياء فالحو ا عليه فخرج مغاضبا للنبي والملك وقومه وأتى بحر الروم فركب وقيل ذهب عن قومه مغاضبا ليه لما كشف عنهم العذاب بعد ما أوعدهم وكره أن يكون بين أظهر قوم جر بوا عليه الخلف فيما أوعدهم واستحيامنهم ولم يعلم السبب الذي رفع العذاب عنهم به فكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وانه يسمى كذا بالا كراهية لحكم الله وفي بعض الاخبار انه كان من عادة قومه انهم يقتلون من جر بوا عليه الكذب فغضبوا أن يقتلوه ما ياتهم العذاب للميعاد فذهب مغاضبا وقال ابن عباس أتى جبريل يونس فقال انطلق الى أهل نينوى فانذرهم فقال النمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب وانطلق الى السفينة وقال وهب ان يونس كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل أثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل ففقدها من يديه وخرج هاربا منها فلذلك أخرج الله من أولى العزم من الرسل وقال لنبية محمد صلى الله عليه وسلم قاصبر كقاصبر أولو العزم من الرسل وقال ولاتكن كصاحب الحوت وقوله (فظن أن ان تقدر عليه) أي ان لن نقضي عليه العقوبة قاله ابن عباس في رواية عنه وقيل معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس وقيل معناه فظن أنه يعجزر به فلا يقدر عليه قيل لما انطلق يونس مغاضبا ليه واستزله الشيطان حتى ظن أن لن يقدر عليه وكان له سلف وعبادة أبي الله أن يدعه للشيطان ففقد في بطن الحوت فكث فيه أربعين ما بين يوم وليلة وقيل سبعة أيام وقيل ثلاثة وقيل ان الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم الارض السابعة فتأب الى ربه وراجع نفسه في بطن الحوت (فنادى في الظلمات) أي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) أي حيث عصيتك وما صنعت من شيء فلم أعبد غيرك فأخرج الله من بطن الحوت برحمته وروى أبو هريرة مرفوعا قال أوحى الله تعالى الى الحوت ان خذ ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما

اني كنت من الظالمين) لنفسي في خروجي من قومي قبل أن تاذن لي في الحديث ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء فاخذه الاحتجاب له وعن الحسن ما تجاه والله الا فراره على نفسه

بالظلم (فاستجبناله ونجيناها من النعم) غم الزلّة والوحشة والوحدة (وكذلك تنجي المؤمنين) اذا دعونا واستغاثوا بنا نجى شامى وأبو بكر بادغام
النون فى الجيم عند البعض لان النون لاتدغم فى الجيم وقيل تقديره نجى النجاء المؤمنين فسكن الياء تخفيفا وأسند الفعل الى المصدر ونصب
المؤمنين بالنجاء لكن فيه اقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول وهذا لا يجوز (٢٩٣) وفيه تسكين الياء وبابه الضرورات

وقيل أصله نجى من التجية
خذفت النون الثانية
لاجتماع النونين كما حذف
احدى التاءين فى تنزل
الملائكة (وزكريا اذ نادى
ربه رب لا تدرنى فردا)
سأل ربه أن يرزقه ولدا
يرثه ولا يبدعه وحيدا بلا
وارث ثم رد أمره الى الله
مستسلما فقال (وأنت
خير الوارثين) أى فان لم
ترزقنى من يرثنى فلا أبالى
فانك خير وارث أى باق
(فاستجبناله ووهبنا له
يحى) ولدا (وأصلحناله
زوجه) جعلناها صالحة
للولادة بعد العقار أى بعد
عقرها أو حسنة وكانت
سبئة الخلق (انهم) أى
الانبياء المذكورين (كانوا
يسارعون فى الخيرات)
أى انهم انما استحقوا
الاجابة الى طلباتهم لمباردتهم
أبواب الخير ومساارعهم
فى تحصيلها (وبدعوتنا
رغباء ورهبا) أى طمعا
وخوفا كقوله يحذر الآخرة
ويرجو رحمة ربه وهما
مصدران فى موضع الحال
أو المفعول له أى للرغبة
فينا والرغبة منا (وكانوا

فأخذه ثم أهوى به الى مسكنه فى البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا
فلوحى الله اليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا
نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة وفى رواية صوتا معروفا من مكان مجهول فقال ذلك عبدى يونس عصانى
فبسته فى بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذى كان يصعد اليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم
فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت فتدفقه فى الساحل فذلك قوله تعالى (فاستجبناله ونجيناها من النعم) أى من
تلك الظلمات (وكذلك تنجي المؤمنين) أى من الكروب اذا دعونا واستغاثوا بنا فان قلت قدمت
بمواضع من هذه القصة من أجاز وقوع الذنب من الانبياء منها قوله اذ ذهب مغاضبا و منها فظن أن لن نقدر
عليه ومنها قوله انى كنت من الظالمين قلت أما الجواب الكلى فقد اختلفوا فى هذه الواقعة هل كانت قبل
الرسالة أم لا فقال ابن عباس كانت رسالته بعد ان أخرجه الله من بطن الحوت بدليل قوله تعالى فى الصافات
بعد ذكر خروجه وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فثبت بهذا أن هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد أجاز
بعضهم عليهم الصغار قبل النبوة ومنعها بعد النبوة وهو الصحيح وأما الجواب التفصيلى لقوله اذ ذهب مغاضبا
فعله على انه لقومه أو للملك أولى بحال الانبياء وأما قوله فظن أن لن نقدر عليه فقد تقدم معناه أى لن نضيق
عليه وذلك أن يونس ظن انه مخير ان شاء أقام وان شاء أخرج وان الله تعالى لا يضيق عليه فى اختياره وقيل
هو من القدر لا من القدرة وأما قوله انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشئ فى غير موضعه وهذا اعتراف
عند بعضهم بذنبه فاما أن يكون لخروجه عن قومه بغير إذن ربه أو لضعفه عما مثله أو لدعائه بالعذاب على
قومه وفى هذه الاشياء ترك الافضل مع قدرته على تحصيله فكان ذلك ظما وقيل كانت رسالته قبل هذه
الواقعة بدليل قوله وان يونس لمن المرسلين اذ أتى الى الفلك المشحون فعلى هذا يكون الجواب عن هذه
الواقعة ما تقدم من التفصيل والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وزكريا اذ نادى ربه) أى دعاه به فقال (رب
لا تدرنى فردا) أى وحيدا الاولدى يساعدى وارزقنى وارثا (وأنت خير الوارثين) هو تناء على الله بانه الباقي
بعد فناء الخلق وانه الوارث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وأنت خير الرازقين (فاستجبناله
وهبنا له يحيى) أى ولدا (وأصلحناله زوجه) أى جعلناها ولودا بعدما كانت عقيما وقيل كانت سبئة الخلق
فاصلحها الله تعالى له بان رزقها حسن الخلق (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات) يعنى الانبياء المذكورين فى
هذه السورة وقيل زكريا وأهل بيته والمسارعة فى الخيرات من أكبر ما يمدح به المرء لانها تدل على حرص
عظيم فى طاعة الله عز وجل (وبدعوتنا رغباء ورهبا) يعنى انهم ضموا الى فعل الطاعة أمرين أحدهما الفرع
الى الله لكان الرغبة فى ثوابه والرغبة من عقابه والثانى الخشوع وهو قوله تعالى (وكانوا لنا خاشعين)
الخشوع هو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الحذر الذى لا يبتسط فى الامور خوفا من الوقوع فى
الاثم قوله تعالى (والتي أحصنت فرجها) أى احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت لم يمسنى بشر ولم أك
بغيا وهى مريم بنت عمران (فنفخنا فيها من روحنا) أمرنا جبريل حتى نفخ فى جيب درعها فخلقنا بذلك
النفخ المسيح فى بطنها وأضاف الروح اليه تشريفا لعيسى كبيت الله وناقة الله (وجعلناها وابنها آية) أى دلالة
(للعالمين) على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب فان قلت هما آيتان فكيف قال آية قلت معنى الكلام

لنا خاشعين) متواضعين خائفين (والتي) أى واذكر التي (أحصنت فرجها) حفظته من الحلال والحرام (فنفخنا فيها من روحنا) أجرنا
فيها روح المسيح أو أمرنا جبريل فنفخ فى جيب درعها فحدثنا بذلك النفخ عيسى فى بطنها وأضاف الروح اليه تعالى لتشريف عيسى عليه
السلام (وجعلناها وابنها آية) مفعول ثان (للعالمين) وانما لم يقل آيتين كما قال وجعلناها الليل والنهار آيتين لان حالهما مجتموعهما آية واحدة وهى
ولادتها اياه من غير فحل أو التقدير وجعلناها آية وابنها كذلك فآية مفعول المعطوف عليه ويدل عليه قراءة من قرأ آيتين (ان هذه أمتمكم

أمة واحدة) الأمة الملة وهذه إشارة إلى ملة الإسلام وهي ملة جميع الأنبياء وأمة واحدة حال أي متوحد غير متفرقة والعامل ما دل عليه اسم الإشارة أي ان ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تهرقون عنها إشاراً إليها ملة واحدة غير مختلفة (وأنا ربكم فاعبدون) أي ريتكم اختياراً فاعبدوني شكراً (٢٩٤) واقتضاراً والخطاب للناس كافة (وتقطعوا أمرهم بينهم) أصل الكلام وتقطعتم

وجعلنا شأنهم وأمرهم مما آية واحدة أي ولادتها إياهم من غير أب آية ﴿ قوله تعالى (ان هذه أمتكم) أي ملتكم ودينكم (أمة واحدة) أي ديناً واحداً وهو الإسلام ما بطل ما سوى الإسلام من الأديان والأمة الجماعة التي هي على مقصد واحد وجعلت الشريعة أمة لا اجتماع أهلها على مقصد واحد (وأنا ربكم فاعبدون) أي لا دين سوى ديني ولا رب لكم غيري فاعبدوني أي وحدوني (وتقطعوا أمرهم بينهم) أي اختلفوا في الدين فصاروا فرقاً وأحزاباً حتى لعن بعضهم بعضاً وتبرأ بعضهم من بعض (كل اليناراجعون) فنجزهم بأعمالهم (فن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) أي لا يجحد ولا يبطل سعيه بل يشكر ويناب عليه (واناله كاتبون) أي لعمله وحافظون له وقيل السكر من الله المجازاة والكفران ترك المجازاة ﴿ قوله عز وجل (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) قال ابن عباس معناه وحرام على أهل قرية أهلكناها أن يرجعوا بعد إهلاكهم وقيل معناه وحرام على أهل قرية حكمنا بها لا أنهم أن تقبل أعمالهم لانهم لا يتوبون ﴿ قوله عز وجل (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) يريد فتح السد وذلك ان الله يفتحه أخبر عن يأجوج ومأجوج وهما قبيلتان يقال انهما تسعة أعشار بني آدم (وهم من كل حدب ينسلون) أي يسرعون النزول من الآكام والتلال وفي هذه الكناية وجهان أحدهما أن المراد بهم يأجوج ومأجوج وهو الأصح بدليل ما روى عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فغضب فيه ورفع حتى ظننا انه في طائفة النخل فلما رحننا اليه عرف ذلك فينا فقال ماشأناكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فغضبت فيه ورفعت حتى ظننا ان في طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم ان يخرج وأنا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ محجج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافته كاني أشبهه بعبد العزى بن قطن فن أدركه منكم فليقرأ عليه فوانع سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاتبنا وعاتبنا شمالاً يا عباد الله فائتوا قلنا يا رسول الله وما البث في الأرض قال أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أن كسنا فيه صلاة يوم قال لا أقدر والله قدره قلنا يا رسول الله وما سراع في الأرض قال كالغيث استدرته الرج فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمرهم السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت دروا وأسبغه ضرعاً وأمدده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصعبون محجلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتنبعه كنوزها كيما سيب النخل ثم يدعور جلا ممتلئاً شبا بياضه بالسيوف فيقطعها جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهاول وجهه ويضحك فيبينها هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطروا اذا رفعه تحدر منه جان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجدرج نفسه الامات ونفسه ينتهي الى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى عليه السلام الى قوم قد عصمهم الله منه فمسيح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فيبينها هو كذلك اذ وحى الله الى عيسى عليه السلام اني قد أخرجت عبادي لا يدان لاحد ان يقاتلهم فخرز عبادي الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر

الا ان الكلام صرف الى الغيبة على طريقة الالتفات والمعنى وجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً وصاروا فرقاً وأحزاباً ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة (كل اليناراجعون) فنجازهم على أعمالهم (فن يعمل من الصالحات) شيئاً (وهو مؤمن) بما يجب الايمان به (فلا كفران لسعيه) أي فان سعيه مشكور مقبول والكفران مثل في حرمان الثواب كما ان السكر مثل في اعطائه وقد نفي نفي الجنس ليكون أبلغ (واناله) للسعي أي الحفظه باسمنا (كاتبون) في صحيفة عمله فتشبهه به (وحرام) وحرم كوفي غير حفص وخلف وهما الفتان كحل وحلال وزنا وضده معنى والمراد بالحرام الممتنع وجوده (على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) والمعنى ويمتنع على مهلك غير يمكن أن لا يرجع الى الله بالبعث أو وحرام على قرية أهلكناها أي قدرنا اهلاكهم أو حكمنا باهلاكهم ذلك وهو المذكور في الآية للتقدمة من العمل الصالح

والسعي المشكور غير المكفور انهم لا يرجعون من الكفر الى الاسلام (حتى) هي التي يحكي بعدها الكلام والكلام اوائلهم المحكي الجملة من الشرط والجزاء أعني (اذا) وما في حيزها (فتحت يأجوج ومأجوج) أي فتح سددهما حذف المضاف كما حذف المضاف الى قرية فتحت شامى وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج (وهم) راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد (من كل حدب) نشز من الأرض أي ارتفاع (ينسلون) يسرعون

القيامة وجواب اذا (فاذا هي) وهي اذا لمفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاوذا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل فهي شاخصة أو اذا هي شاخصة كان سديدا وهي ضمير بهم يوضحه الابصار وفسره (شاخصة ابصار الذين كفروا) أي مرتفعة الاجفان لا تكاد تطرف من هول ما هم فيه (ياويلنا) متعلق بمحذوف تقديره يقولون ياويلنا ويقولون حال من الذين كفروا (قد كنا في غفلة من هذا) اليوم (بل كنا ظالمين) بوضعنا العبادة في غير موضعها (انكم وما تعبدون من دون الله) يعني الاصنام وابليس وأعوانه لانهم بطاعتهم له واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم (حصب) حطب وقرى حطب (جهنم أنتم لها واردون) فيها داخلون (لو كان هؤلاء آلهة) كما زعمتم (ماوردوها) ما دخلوا النار (وكل) أي العابد والمعبود (فيها) في النار (خالدون لهم) للكفار (فيها زفير) أنين وبكاء وعويل

أوائهم على بحيرة طبرية فيشر بون ما فيها ويرأخهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحضرني الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله فيهم النعف في رقابهم فيصبحون فرسي مكوت نفس واحدة ثم يهب نبي الله عيسى وأصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبرا الا ملأه زهمهم ونتمهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا الا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض انبئي ثم تترك ودرى بركتك فيومثنتا كل العصابة من الرمانه ويستظنون بقحفها وبارك في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي القمام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فيبيناهم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحجر فعليهم تقوم الساعة اخرجهم مسلم (شرح غريب ألفاظ الحديث) قوله حتى ظنناه في طائفة النخل أي ناحية النخل وجانبه والطائفة القطعة من الشيء وقوله خفض فيه ورفع أي خفض صوته ورفع من شدة ماتكلم به في أمره وقيل انه خفض من أمره تهوينا له ورفع من شدة فتنته والتخويف من أمره قوله انه شاب ققط أي جمع الشعر وقوله طائفة أي خارجة عن حدها قوله انه خارج خلة أي انه يخرج قصدا وطريقا بين جهتين والتخلل الدخول في الشيء وقوله فعات أي أفد قوله أقدره أي قدره واقدر يوم من أيامكم المعهودة وصلوا فيه بقدر أوقانه وقوله فتروح عليهم سارحتهم أي مواشيهم وقوله فيصبحون محلين أي مقحطين قدأجدت أرضهم وغلت أسعارهم قوله كي عاسب النحل جمع يعسوب وهو نخل النحل ورئيسها قوله فيقطعه جزلتين رمية الغرض أي قطعيتين والغرض الهدف الذي يرمى بالنشاب قوله بين مهرودتين رويت بالبدال المهملة وبالجمجمة أي شقتين وقيل حلتين وقيل الهرد الصبغ الاصفر بالورس والزعفران قوله لايدان لاحد بقتالهم أي لاقدرة ولا قوة لاحد بقتالهم والنعف دود يكون في أنوف الابل والغنم فرسي جمع فريس وهو القليل قوله زهمهم أي ريحهم المنتنة قوله كالزلفة أي كالمرآة وجهها زلف ويرى بالقاف وأراد به استواءها ونظافتها قوله نأكل العصابة أي الجماعة قيل يبلغون أربعين وقحف الرمانه في الحديث قشرها والرسل بكسر الراء الالبين واللقحة الناقة ذات الالبين والقمام الجماعة من الناس والنعف دون القبيلة وقوله يتهارجون أي يختلفون والتهارج الاختلاف وأصله القتل (الوجه الثاني) في تفسير قوله تعالى وهم من كل حذب ينسلون قيل جميع الخلائق يخرجون من قبورهم الى موقف الحساب (م) عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذاكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويا جوج وما جوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم (قوله عز وجل) (واقرب الوعد الحق) أي القيامة قال حذيفة لو أن رجلا فتنى فلوا بعد خروج يا جوج وما جوج لم يركبه حتى تقوم الساعة الفلوا المهر (فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا) قيل معنى الآية ان القيامة اذا قامت شخصت ابصار الذين كفروا من شدة الاهوال ولا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم ويقولون (ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا) يعني في الدنيا حيث كذبنا به وقلنا انه غير كائن (بل كنا ظالمين) أي في وضعنا العبادة في غير موضعها (قوله عز وجل) (انكم) الخطاب للمشركين (وما تعبدون من دون الله) يعني الاصنام (حصب جهنم) أي حطبها ووقودها وقيل يرمى بهم في النار كما يرمى بالحصباء وأصل الحصب الرمي (أتم لها واردون) أي فيها داخلون (لو كان هؤلاء) يعني الاصنام (آلهة) أي على الحقيقة (ماوردوها) أي ما دخل الاصنام النار وعابدها (وكل فيها

(وهم فيها لا يسمعون) شيئا ما لانهم صاروا صما وفي السماع نوع اثنان فلم يعطوه (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) الخصلة المفصلة في الحسن تأييد الاحسن وهي السعادة والبشرى بالثواب أو التوفيق للطاعة نزلت جواب القول ابن الزبير عند تلاوته عليه السلام على صناديد قريش انكم وما تعبدون من دون الله الى قوله خالدون أليس اليهود عبدوا وعزير والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة على ان قوله وما تعبدون لا يقنوا لهم لان ما لا يعقل الا انهم أهل عناد فزيد في البيان (أولئك) يعني عزير والنصارى والمسيح والملائكة (عنها) عن جهنم (مبعدون) لانهم لم يرضوا بعبادتهم وقيل المراد بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى جميع المؤمنين لما روي ان عليا رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال انما منهم وأبو بكر وعمر (٢٩٦) وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وقال الجنيدي رحمه الله سبقت لهم منا العنابة في

البداية فظهرت لهم الولاية في النهاية (لا يسمعون حسيها) صوتها الذي يحس وحركة تلهبها وهذه مبالغة في الابعاد عنها أي لا يقربونها حتى لا يسمعوها صوتها وصوت من فيها (وهم فيها اشتهت أنفسهم) من النعيم (خالدون) مقيمون والشهوة طلب النفس اللذة (لا يحزنهم الفزع الاكبر) النفخة الاخيرة (وتلقاهم الملائكة أي تستقبلهم الملائكة مهئين على أبواب الجنة يقولون) هذا يومكم الذي كنتم توعدون أي هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم في الدنيا العامل في (يوم تطوى السماء) لا يحزنهم أو تلقاهم تطوى السماء يزبد وطيبها تكوير نجومها ومحور سوما أو هو ضد النشر نجمة ونطويها (كطي السجل) أي الصحيفة (للكتب) حزة

خالدون) يعني العابدين والمعبودين (لهم فيها زفير) قيل الزفير هو أن يلا الرجل صدره غمما ثم ينفس وقيل هو شدة ما يناظم من العذاب (وهم فيها لا يسمعون) قال ابن مسعود في هذه الآية اذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توايت من نار ثم جعلت تلك التوايت في توايت أخرى ثم تلك التوايت في توايت أخرى غيرها غير ذلك قوله تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) قال العلماء ان هنا معنى الأي الا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة (أولئك عنها) أي عن النار (مبعدون) قيل الآية عامة في كل من سبقت له من الله السعادة وقال أكثر المفسرين عن ذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع وعبادة من يعبده كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الخطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحرث فكلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخمع ثم تلا عليه انكم وما تعبدون من دون الله حسب جهنم الآيات الثلاثة ثم قام فاقبل عبد الله بن الزبير السهمي فاخبره الوليد بن المغيرة بما قال ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبير أما والله لو وجدت له خصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبير انكم وما تعبدون من دون الله حسب جهنم قال نعم قال أليس اليهود تعبد عزير والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح يعبدون الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني عزير والنصارى والمسيح والملائكة أولئك عنها مبعدون وأنزل في ابن الزبير ما ضرب به لك الاجد لا بل هم قوم خصمون وزعم جماعة ان المراد من الآية الاولى الاصنام لان الله تعالى قال انكم وما تعبدون من دون الله ولو اراد به الملائكة والناس لقال انكم ومن تعبدون لان من لم يعقل وما لا يعقل (لا يسمعون حسيها) يعني صوتها وحركة تلهبها اذا نزلوا منازلهم في الجنة (وهم فيها اشتهت أنفسهم) أي من النعيم والكرامة (خالدون) أي مقيمون قوله تعالى (لا يحزنهم الفزع الاكبر) قال ابن عباس يعني النفخة الاخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادي بأهل النار خلود بلا موت وقيل هو حين يطبق على جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرج (وتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة هنيئتهم ويقولون (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي في الدنيا قوله عز وجل (يوم تطوى السماء كطي السجل للكتب) قال ابن عباس السجل الصحيفة والمعنى كطي الصحيفة على مكتوبها والطنى هو الدرج الذي هو ضد النشر وقيل السجل اسم ملك يكتب أعمال العباد اذا رفعت اليه والمعنى تطوى السماء كطوى السجل الطومار الذي يكتب فيه والتقدير لا يحزنهم الفزع الاكبر في ذلك اليوم (كابد أنا أول خلق نعيده) أي كابدناهم في بطون أمهاتهم عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله

وعلى وحنص أي المكتوبات أي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وغيرهم للكتاب أي كما يطوى الطومار للكتابة أي حفاة لما يكتب فيه لان الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يرفع المكتوب وقيل السجل ملك يطوى كتب بني آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها والطنى مضاف الى الفاعل وعلى الاول الى المفعول (كابدنا أنا أول خلق نعيده) اتصت الكاف بفعل مضمرة يفسره نعيده وما موصولة أي نعيده مثل الذي بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأنا أي أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول السابق من اللفظ الثابت في المعنى وأول الخلق إيجاد أي فكما أوجده أو لا يعيده نانياثيها للاعادة بالابداء في تناول القدرة لها على السواء والتشكيك في خلق مثله في قولك هو أول رجل جاءني تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجالا رجلا فذلك معنى أول خلق أول الخلق بمعنى أول الخلق لان الخلق مصدر لا يجمع

(وعدا) مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة (علينا) أي وعدا كأننا لا محالة (انا كنا فاعلين) ذلك أي محققين هذا الوعد فاستعدوا له وقد موا صلح الاعمال للخلاص من هذه الالهوال (ولقد كتبنا في الزبور) كتب داود عليه السلام (من بعد الذكر) التوراة (ان الارض) أي الشام (يرثها عبادي) سا كنة اليباء حمزة غيره بفتح اليباء (الصالحون) أي أمة محمد عليه السلام أو الزبور بمعنى المزبور أي المكتوب يعني ما أنزل على الانبياء من الكتب والذ كرام الكتاب يعني به اللوح لان الكل اخذوا منه دليله قراءة حمزة وخلف بضم الزاي على جمع الزبر بمعنى المزبور والارض ارض الجنة (ان في هذا) اي (٢٩٧) القرآن وفي المذكور في هذه السورة من

الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ (لبلاغ) لكفاية واصله ما يبلغ به البغية (لقوم عابدين) موحدين وهم أمة محمد عليه السلام (وما أرسلناك الا رحمة) وقال عليه السلام انما أنا رحمة مهداة (للعالمين) لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن لم يتبع فأنما آتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها وقيل هو رحمة للمؤمنين في الدارين وللكافرين في الدنيا بتأخير العقوبة فيها وقيل هو رحمة للمؤمنين والكافرين في الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال والمنسخ والخسف ورحمة مفعول له أو حال أي ذارحة (قل انما) انما لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم نحو انما زيد قام وانما يقوم زيد وفاعل (يوحى الى انما) الحكم الواحد) والتقدير يوحى الى وحدانية الهى ويجوز أن يكون المعنى ان

حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده قوله غير لا أي قلنا و قوله تعالى (وعدا علينا انا كنا فاعلين) يعني الاعادة والبعث بعد الموت و قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الانبياء والذ كره هو أم الكتاب الذي عنده ومن ذلك الكتاب تنسخ جميع الكتب ومعنى من بعد الذ كره أي بعد ما كتب في اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور التوراة والذ كره الكتب المنزلة من بعد التوراة وقيل الزبور كتاب داود والذ كره هو القرآن وبعدها بمعنى قبل (أن الارض يرثها عبادي الصالحون) يعني أرض الجنة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الله تعالى كتب في المحفوظ في كتب الانبياء ان الجنة يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس أراد ان أراضى الكفار بفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل أراد الارض المقدسة يرثها الصالحون بعد من كان فيها (ان في هذا) أي في القرآن (لبلاغ) أي وصولا الى البغية يعني من اتبع القرآن وعمل بما فيه وصل الى ما يرجو من الثواب وقيل البلاغ الكفاية أي فيه كفاية لما فيه من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة فهو زاد العباد الى الجنة وهو قوله تعالى (لقوم عابدين) أي مؤمنين لا يعبدون أحدا من دون الله تعالى وقيل هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان والحج وقال ابن عباس عالمين وقيل هم العالمون العاملون و قوله عز وجل (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) قيل كان الناس أهل كفر وجاهلية وضلال وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم اطول مدتهم وانقطاع توأثرهم ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق و بين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام و بين الحلال من الحرام قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قيل يعني المؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن فن آمن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستئصال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا رحمة مهداة (قل انما يوحى الى انما الحكم اله واحد فهل أتم مسلمون) أي منقادون لما يوحى الى من اخلاص الالهية والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الامر أي أسلموا (فان تولوا) أي أعرضوا ولم يسلموا (فقل آذتكم) أي أعلمتكم بالحرب وأن لا صلح بيننا (على سواء) أي انذارا بيننا نستوى في علمه لا أستبدأ بانه دونكم لتأهبوا ليراد بكم والمعنى آذتكم على وجه نستوى نحن وأتم في العلم به وقيل معناه تستووا في الايمان به وأعلمتكم بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره (وان أدري) أي وما أعلم (أقرب أم بعيد ما توعدون) يعني يوم القيامة لا يعلمه الا الله (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) أي لا يغيب عن علمه شيء منكم في علمكم في علمكم (وان أدري لعله فتنه لكم) أي لعل تأخير العذاب عنكم اختبار لكم ليرى كيف صديعكم وهو أعلم بكم

(٣٨ - (خازن) - ثالث) الذي يوحى الى فتكون ما موصولة (فهل أتم مسلمون) استفهام بمعنى الامر أي أسلموا (فان تولوا) عن الاسلام (فقل آذتكم) أعلمتكم ما أمرت به (على سواء) حال أي مستويين في الاعلام به ولم أخصص بعضكم وفيه دليل بطلان مذهب الباطنية (وان أدري أقرب أم بعيد ما توعدون) أي لا أدري متى يكون يوم القيامة لان الله تعالى لم يطلعني عليه ولا كنى اعلم بانه كائن لا محالة ولا أدري متى يحل بكم العذاب ان لم تؤمنوا (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) أي انه عالم بكل شيء يعلم ما تجاهروا به من الطعن في الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحقاد للمسلمين وهو مجاز يكلم عليه (وان أدري لعله فتنه لكم) وما أدري لعل تأخير العذاب عنكم في الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون

(ومتاع الى حين) ومنتجع لكم الى الموت ليكون ذلك حجة عليكم (قل رب احكم بالحق) افض ينشأ بين أهل مكة بالعدل أو بما يحق عليهم من العذاب ولا تحابهم وشدد عليهم كما قال واشد وها أنتك على مضر قال رب حفص على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم رب احكم زيد بنى احكم زيد عن يعقوب (وربنا الرحمن) العاطف على خلقه (المستعان) المطوب منه المعونة (على ما تصفون) وعن ابن ذكوان بالياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون أن تكون الشوكة لهم والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم أي الكفار وهو المستعان على ما تصفون ﴿سورة الحج مكية وهي ثمان وسبعون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾ أمر بنى آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة بقوله (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) لينظروا (٢٩٨) الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرجوها

من شدائد ذلك اليوم بامثال ما أمرهم به ربهم من التردى بلباس التقوى الذي يؤمنهم من تلك الافزاع والزلزلة شدة التحريك والازعاج وازافة الزلزلة الى الساعة اضافة المصدر الى فاعله كأنها هي التي تزلزل الارض على المجاز الحكمي أو الى الظرف لانها تكون فيها كقولها بل مكر الليل والنهار ووقتها يلون يوم القيامة أو عند طلوع الشمس من مغربها ولا حجة فيها للمعتزلة في تسمية المعلوم شيئاً فان هذا الاسم له حال وجودها وانتصب (يوم ترونها) أي الزلزلة الساعة بقوله (تذهل) تغفل والدهول الغفلة (كل مرضعة عما أرضعت) عن أرضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل وقيل مرضعة ليدل على أن ذلك

(ومتاع الى حين) أي تمتعون الى انقضاء آجالكم (قل رب احكم) أي افصل بيني وبين من كذبني (بالحق) أي بالعذاب كأنه استجمل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وقيل معناه افصل بيني وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو أن تنصرفي عليهم والله يحكم بالحق طلب أو لم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) أي من الشرك والكفر والكذب والباطيل كأنه سبحانه وتعالى قال قل داعي الى رب احكم بالحق وقل متوعد الكفار وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة الحج﴾

وهي مكية غيرست آيات من قوله عز وجل هذان خصمان الى قوله وهدوا الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية وألف ومائتان واحد وتسعون كلمة وخمسة آلاف وخمسة وسبعون حرفاً

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (يا أيها الناس اتقوا ربكم) أي احذروا عقابه واعملوا بطاعته (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) الزلزلة شدة الحركة على الحال الهائلة ووصفها بالعظيم ولا شيء أعظم مما عظمه الله تعالى قيل هي من أشراط الساعة قبل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها (يوم ترونها) أي الساعة وقيل الزلزلة (تذهل) قال ابن عباس تشغل وقيل تنسى (كل مرضعة عما أرضعت) أي كل امرأة معها ولد ترضعه (وتضع كل ذات حمل حملها) أي تسقط من هول ذلك اليوم كل حامل حملها قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها الغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها الغير تمام فعلى هذا القول تكون الزلزلة في الدنيا لان بعد البعث لا يكون حمل ومن قال تكون الزلزلة في القيامة قال هذا على وجه تعظيم الامر وهو يله لاعلى حقيقته كما تقول أصابنا امر يشيب فيه الوليد تزيد به شدته (وترى الناس سكارى) على التشبيه (وما هم بسكارى) على التحقيق ولكن مارهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وأزال تمييزهم وقيل سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب (ولكن عذاب الله شديد) ﴿ق﴾ عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية والخير في يدك فينادى بصوت ان الله تعالى يأمر لك أن تخرج من ذريتك بعث النار قال رب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فينفذ تضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى

الطول اذا حدث وقد أقيمت الرضيع نديها نزعته عن فيعلمها بلحقها من الدهشة اذا المرضعة هي التي في حال الارضاع ولكن ملقمة نديها الصبي والمرضع التي شأنها أن ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به (وتضع كل ذات حمل) أي حبلها (ولدها قبل تمامه عن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها الغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها الغير تمام (وترى الناس) أي الناظر (سكارى) على التشبيه لما شاهدوا بساط العزة وسلطنة الجبروت ومرادق الكبرياء حتى قال كل نبي نفسي نفسي (وما هم بسكارى) على التحقيق (ولكن عذاب الله شديد) خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وعن الحسن وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب سكارى فيهما بالامالة حمزة وعلى وهو كعشي في عطشان روى أنه نزلت الآياتان لبلا في غزوة بني المطلق فقرأهما النبي عليه السلام فلم يقرأ كثيراً كيما من تلك الليلة

(ومن الناس من يجادل في الله) في دين الله (بغير علم) حال نزلت في النضر بن الحرث وكان جد لا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلى أو هي عامة في كل من يخاصم في الدين بالهوى (ويتبع) في ذلك (كل شيطان مريد) عاب مستقر في الشر ولا وقف على مريد لان ما بعده صفته (كتب عليه) (٢٩٩) قضى على الشيطان (أنه) ان

الامر والشأن وهو فاعل
كتب (من تولاه) تبعه
أى تبع الشيطان (فانه)
فان الشيطان (يضله) عن
سواء السبيل (ويهديه
الى عذاب السعير) النار
قال الزجاج الفاء في فانه
للعطف وان مكررة
للتأكيد ورد عليه أبو
ع-لى وقال ان من ان كان
للشرط فالفاء دخل لجزاء
الشرط وان كان بمعنى
الذى فالفاء دخل على خبر
المبتدا والتقدير فالامر
أنه يضله قال والعطف
والثأ كيد يكون بعد
تمام الاول والمعنى كتب
على الشيطان اضلال من
تولاه وهدايته الى النار
ثم ألزم الحجة على منكري
البعث فقال (يا أيها الناس
ان كنتم في ريب من
البعث) يعنى ان ارتبتم
في البعث فزبل ريبكم
ان تنظروا في بدء خلقكم
وقد كنتم في الابتداء ترابا
وماء وليس سبب انكاركم
البعث الا هذا وهو ضرورة
الخلق ترابا وماء (فانا
خلقناكم) أى أبأكم (من
تراب ثم) خلقتم (من نطفة
ثم من علقه) أى قطعة دم

ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم زاد في رواية قالوا يا رسول الله أين ذلك
الرجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد
ثم أتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود وفي
رواية كالرقعة في ذراع الجارواني لارجوان تكون نار بع أهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا
ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا لفظ البخارى وفي حديث عمران بن حصين وغيره ان هاتين الآيتين نزلتا في
غزوة بنى المصطلق ليل افنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحنوا المطى حتى كانوا حول رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقرأ عليهم فلم يقرأ أكثر باكيامن تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا
الخيام ولم يطبخوا والناس من بين باك وجالس حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يوم
ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعث النار وذر نحو حديث
أبى سعيد وزاد فيه ثم قال يدخل من أمتى سبعون ألفا الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون ألفا قال نعم ومع كل
واحد سبعون ألفا ﴿ قوله عز وجل (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت في النضر بن الحرث
كان كثيرا الجدل وكان يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين وكان ينكر البعث وحياء
من صارت رابا (ويتبع) أى في جداله في الله بغير علم (كل شيطان مريد) أى المقرد المستقر في الشر
وفيه وجهان أحدهما انهم شياطين الانس وهم رؤساء الكفر الذين يدعون من دونهم الى الكفر
والثانى أنه ابليس وجنوده (كتب عليه) أى وقضى على الشيطان (أنه من تولاه) أى اتبعه (فانه)
يعنى الشيطان (يضله) أى يضل من تولاه عن طريق الجنة (ويهديه الى عذاب السعير) وفى الآية
زجر عن اتباعه والمعنى كتب عليه أنه من يقبل منه فهو في ضلال ثم ألزم الحجة منكري البعث فقال
(يا أيها الناس ان كنتم في ريب) أى شك (من البعث) أى بعد الموت (فانا خلقناكم من تراب) يعنى اباكم
آدم الذى هو أصل النسل (ثم من نطفة) يعنى ذريته من المنى وأصلها الماء القليل (ثم من علقه) أى من دم
جامد غليظ وذلك ان النطفة تصير دماغا غليظا (ثم من مضغة) وهى لجة قليلة قدر ما يعضغ (مخلقة وغير مخلقة)
قال ابن عباس أى تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط وقيل المخلقة الولد الذى
تأتى به المرأة لوقته وغير المخلقة السقط فكانه سبحانه وتعالى قسم المضغة الى قسمين أحدهما تام الصورة
والحواس والتخطيط والقسم الثانى هو الناقص عن هذه الاحوال كلها وروى عن علقمة عن ابن مسعود
موقوفا عليه قال ان النطفة اذا استقرت فى الرحم أخذها ملك بكفه وقال أى رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال
غير مخلقة قد فها فى الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك أى رب أذ كرام أنتى أشقى أم سعيد ما
الاجل ما العمل ما الرزق بأى أرض يموت فية له اذهب الى أم الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب
فيجدها فى أم الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى يأتى على آخر صفته والذى أخرجاه فى الصحيحين عنه قال
حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما
نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد
ثم ينفخ فيه الروح فوالذى لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه

جامدة (ثم من مضغة) أى لجة صغيرة قدر ما يعضغ (مخلقة وغير مخلقة) المخلقة المسواة للمساء من النقصان والعيب كان الله عز وجل مخلق المضغ
متفاوتة منها ما هو كامل الخلقه أملى من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس فى خلقهم وصورهم وطولهم
وقصرهم ونعماتهم ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقه الى خلقه

(لتبين لكم) بهذا التدرج كمال قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب أو لآثم نقطة ثانيا ولا مناسبة بين التراب والماء وفسر أن يجعل النطفة علقية والعلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على إعادة ما بدأه (وتقرر) بالرفع عند غير المفضل مستأنف بعد وقف أي سخن ثبت (في الارحام ما نشاء) نبوته (الى أجل مسمى) أي وقت الولادة وما لم نشأ نبوته أسقطته الارحام (ثم نخرجكم) من الرحم (طفلا) حال وأر يديه الجنس فلذالم يجمع أو أر يديه ثم نخرج كل واحد منكم طفلا (ثم لتبلغوا) ثم نربكم لتبلغوا (أشدكم) كمال عقلكم وقوتكم وهو من الفاظ الجوع التي لا يستعمل طوا احد (ومنكم من يتوفى) عند بلوغ الاشد أو قبله أو بعده (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أخيه يعني الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) أي لكيلا يعلم شيئا من بعد ما كان يعلمه أو لكيلا يستفيد علماء وينسى ما كان عالما به ثم ذكر دليلا آخر على (٣٠٠) البعث فقال (وترى الارض هامدة) ميتة يابسة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت)

و بينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ﴿٣٠١﴾ وقوله تعالى (لتبين لكم) أي كمال قدرتنا وحكمتنا في نصر يخلقكم واتخذكم واتخذوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الاعادة وقيل لتبين لكم ما تأتون وما تذكرون وما تحتاجون اليه في العبادة وقيل لتبين لكم أن تغير المضغة الى الخلقه هو اختيار الفاعل المختار فإن القادر على هذه الاشياء كيف يكون عاجزا عن الاعادة (وتقرر في الارحام ما نشاء) أي لا تسقطه ولا تمنجه (الى أجل مسمى) أي وقت خروجه من الرحم تام الخلق (ثم نخرجكم) أي وقت الولادة من بطون أمهاتكم (طفلا) أي صغارا وانما وحده الطفل لان الغرض الدلالة على الجنس (ثم لتبلغوا أشدكم) أي كمال القوة والعقل والتميز (ومنكم من يتوفى) أي قبل بلوغ الكبر (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أي الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) أي يبلغ من السن ما يتغير به عقله فلا يعقل شيئا فيصير كما كان في أول طفوليته ضعيف البنية سخييف العقل قليل الفهم ﴿٣٠٢﴾ ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال تعالى (وترى الارض هامدة) أي يابسة لانه لا نبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء) يعني المطر (اهتزت) أي تحركت بالنبات (وربت) أي ارتفعت وذلك ان الارض ترتفع بالنبات (وأنت) هو مجاز لان الله تعالى هو المنبت وأضيف الى الارض توسعا (من كل زوج بهيج) أي من كل صنف حسن نصير والبهيج هو المبهج وهو الشيء المشرق الجليل ثم ان الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب فقال تعالى (ذلك) أي ذكرنا ذلك لتعلموا (بأن الله هو الحق) وان هذه الاشياء دالة على وجود الصانع (وأنه يحيي الموتى) أي انه اذا لم يستبعد منه ايجاد هذه الاشياء فكيف يستبعد منه اعادة الاموات (وانه على كل شيء قدير) أي من كان كذلك كان قادرا على جميع الممكنات (وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) أي ما ذكر من الدلائل لتعلموا أن الساعة كائنة لاشك فيها وانها حق وان البعث بعد الموت حق ﴿٣٠٣﴾ قوله تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) يعني النضر بن الحرث (ولا هدى) أي ليس معه من الله بيان ولا ارشاد (ولا كتاب منير) أي ولا كتاب من الله نور (ثاني عطفه) أي لاوى جنبه وعنقه متبختر التكبره مغرنا عما يدعى اليه من الحق تكبرا (ليضل عن سبيل الله) أي عن دين الله (له في الدنيا خزي) أي عذاب وهو ان وهو أنه قتل يوم بدر صبرا هو وعقبه بن أبي معيط) ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق (ذلك) أي يقال له ذلك بما قدمت يداك (وأن الله ليس بظلام للعبيد) أي فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى على أي وجه أراد يتصرف في عبده لحكمه عدل وهو غير ظالم ﴿٣٠٤﴾ قوله عز وجل (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية نزلت في قوم

تحركت بالنبات (وربت) وارتفعت ورتبات حيث كان يزيد ارتفعت (وأنت من كل زوج) صنف (بهيج) حسن سار للناظرين اليه (ذلك) مبتدأ خبره (بأن الله هو الحق) أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف الحكم حاصل بهذا وهو ان الله هو الحق أي الثابت الوجود (وانه يحيي الموتى) كما حيا الارض (وانه على كل شيء قدير) قادر (وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) أي انه حكيم لا يخلف الميعاد وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد (ومن الناس من يجادل في الله) في

صفاته فيصفه بغير ما هو له نزلت في أبي جهل (بغير علم) ضروري (ولا هدى) أي استدلال لانه يهدي الى المعرفة (ولا كتاب منير) أي وحى والعلم للانسان من أحد هذه الوجوه الثلاثة (ثاني عطفه) حال أي لاوى باعنته عن طاعة الله كبرا وخيلاء وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين أن مانع نعطفه الى غيره (ليضل) تمليل للمجادلة ليضل مكي وأبو عمرو (عن سبيل الله) دينه (له في الدنيا خزي) أي القتل يوم بدر (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) (ذلك) بما قدمت يداك (أي السبب في عذاب الدارين هو ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب وكفى عنها باليد لان اليد آلة الكسب) (وأن الله ليس بظلام للعبيد) فلا يخف أحد بغير ذنب ولا بذنب غيره وهو عطف على بما أي وبان الله وذكرا الظلام بلفظ المبالغة لاقرانه بلفظ الجمع وهو العبيد ولان قليل الظلم منه مع علمه بقبضه واستغفائه كالكثير منا (ومن الناس من يعبد الله على حرف) على طرف من الدين لاني وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لاعلى سكون وطمانينة وهو حال أي مضطربا

(فان أصابه خير) صحة في جسمه وسعة في معيشته (اطمأن) سكن واستقر (به) بالخير الذي أصابه أو بالدين فعبد الله (وان أصابته فتنة) شر وبلاء في جسده وضيق في معيشته (انقلب على وجهه) جهته أي ارتد ورجع الى الكفر كالذي يكون على طرف من العسكر فان أحسن بظفر وغنيمة قر واطمأن والافر وطار على وجهه قالوا نزلت في أعراب يقدّموا المدينة مهاجرين وكان أحدهم اذا صح بدنه وتحت فرسه مهراسو يا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وما شئته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما أصبت الا شرا وانقلب عن دينه (خسر الدنيا والآخرة) حال وقد مقدره دليله قراءة (٣٠١) روح وزيد خسر الدنيا والآخرة

والخسران في الدنيا بالقتل فيها وفي الآخرة بالخلود في النار (ذلك) أي خسران الدارين (هو الخسران المبين) الظاهر الذي لا يخفى على أحد (يدعو من دون الله) يعني الضم فانه بعد الردة يفعل كذلك (مالا يضره) ان لم يعبد (وما لا ينفعه) ان عبده (ذلك هو الضلال البعيد) عن الصواب (يدعون من ضره أقرب من نفعه) والاشكال انه تعالى نفي الضر والنفع عن الاصنام قبل هذه الآية وأثبتها هنا والجواب ان المعنى اذا فهم ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفة الكافر بانه يعبد جادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه انه ينفعه ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ولا يرى لها أثر الشفاعة لمن ضره أقرب من نفعه

من الاعراب كانوا يقدّمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم اذا قدم المدينة فصحبها جسمه ونجبت به فرسه مهراسو وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيرا واطمأن له وان أصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين الا شرا فينقلب عن دينه وذلك هو الفتنة فانزل الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أي على شك وأصله من حرف الشيء وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذي غير مستقر فحقيل للشاك في الدين انه يعبد الله على حرف لانه لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكينه وطمأنينة ولو عبدوا الله بالشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف وقيل هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه (فان أصابه خير) أي صحة في جسمه وسعة في معيشته (اطمأن به) أي رضى به وسكن اليه (وان أصابته فتنة) أي بلاء في جسمه وضيق في معيشته (انقلب على وجهه) أي ارتد ورجع على عقبه الى الوجه الذي كان عليه من الكفر (خسر الدنيا والآخرة) أي خسر في الدنيا والعز والكرامة ولا يبقى دمه وماله مصونا وقيل خسر في الدنيا ما كان يؤمل والآخرة بذهاب الدين والخلود في النار (ذلك هو الخسران المبين) أي الظاهر (يدعو من دون الله مالا يضره) ان عصاه ولم يعبد (وما لا ينفعه) أي ان أطاعه وعبد (ذلك هو الضلال البعيد) أي عن الحق والرشد (يدعون من ضره أقرب من نفعه) فان قلت قد قال الله تعالى في الآية الاولى يدعو من دون الله مالا يضره وما لا ينفعه وقال في هذه الآية يدعو من ضره أقرب من نفعه وهذا تناقض فكيف الجمع بينهما قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى قال في الآية الاولى مالا يضره أي لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره أي ضر عبادته وقيل انها لا تضر ولا تنفع بانفسها ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفي في اضافة الضرر اليها وقيل ان الله تعالى سفة الكافر حيث عبد جادا لا يضر ولا ينفع وهو يعتقد بجهله وضلاله انه ينتفع به حين يستشفع وقيل الآية في الرؤساء وهم الذين كانوا يفرعون اليهم لانه يصح منهم أن يضروا وينفعوا وحجة هذا القول ان الله تعالى بين في الآية الاولى ان الاوثان لا تضر ولا تنفع وهذه الآية تقتضي كون المذكور فيها ضارا نافعافلو كان المذكور في هذه الاوثان لزم التناقض فثبت أنهم الرؤساء بدليل قوله (لبس المولى ولبس العشير) أي الناصر والمصاحب المعاصر ﴿ قوله عز وجل (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) أي باوليائه وأهل طاعته من الكرامة وباهل معصيته من الهوان ﴿ قوله تعالى (من كان يظن أن لن ينصره الله) يعني نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (في الدنيا) أي باعلاء كلمته واظهار دينه (والآخرة) أي وفي الآخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه (فليمدد بسبب) أي بجبل (الى السماء) أي بسقف البيت على قول الاكثرين والمعنى ليشدد جبلا في سقف بيته فليختنق به حتى يموت (ثم ليقطع) أي

(لبس المولى) أي الناصر صاحب (ولبس العشير) المصاحب وكرر يدعو كما أنه قال يدعو من دون الله مالا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) هذا وعد لمن عبد الله بكل حال لمن عبد الله على حرف (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة) المعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن ظن من أعاديه غير ذلك (فليمدد بسبب) بجبل (الى السماء) الى سماء بيته (ثم ليقطع) ثم ليختنق به وسمى الاختناق قطع الان الخنقة . قطع نفسه بحبس حجاره وبكسر اللام نصرى وشامى

(فلينظر هل يذهبن كيداً ما يغيظ) أي الذي يغيظه أو ماء صدرية أي غيظه والمعنى فليصور في نفسه أنه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمى فعله كيداً على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكذب به محسوداً إنما كاد به نفسه والمراد ليس في يده إلا ما ليس بذهب لما يغيظ (وكذلك أنزلناه) ومثل ذلك الانزال أنزل (٣٠٢) القرآن كله (آيات بينات) واضحات (وان الله يهدي من يريد) أي ولان الله يهدي به الذين

الحبل بعد الاختناق وقيل ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت محتقناً (فلينظر هل يذهبن كيداً) أي صنيعة وحيلته (ما يغيظ) أي فليختنق غيظاً وليس هذا على سبيل الحتم لأنه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال للحاسد مت غيظاً وقيل المراد بالسماء السماء المعروفة والمعنى من كان يظن أن ان نصره لله نبيه ويكيد في أمره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله فإن أصله في السماء فليطلب سبباً يصل به إلى السماء ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذي يأتيه فلينظر هل يتهيأ له الوصول إلى السماء بحيلة وهو يقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل فإذا كان ذلك ممتمناً كان غيظه عديم الفائدة وفي الآية زجر للكفار عن الغيظ فبالأفادة فيه روى أن الآية نزلت في قوم من أسد وغطفان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وكان بينهم وبين اليهود مخالفة فقالوا لا يمكننا أن نسلم لأننا نخاف ان لا ينصر محمد ولا يظهر أمره فتنقطع المخالفة بيننا وبين اليهود فلا يعبرونا ولا يؤونا وقيل النصر معناه الرزق ومعنى الآية من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة فليبلغ غايه الجزع وهو الاختناق فإن ذلك لا يجعله مرزوقاً تقول العرب من ينصرني نصره الله أي من يعطى أعطاه الله (وكذلك أنزلناه) يعني القرآن (آيات بينات وان الله يهدي من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) يعني عبدة الاوثان وقيل الاديان ستة واحد لله وهو الاسلام وخسة للشياطين وهو ما عدا الاسلام (ان الله يفصل بينهم) أي يحكم بينهم (يوم القيامة) وقيل يفصل بينهم في الاحوال والاما كن فلا يجازيهم جزاء واحد ولا يجمعهم في موطن واحد وخبر ان الذين آمنوا ان الله يفصل بينهم كما تقول ان زيد ان أباه قائم (ان الله على كل شيء شهيد) عالم به حافظ له فلينظر كل امرئ معتقده وقوله وفعله وهو أبلغ وعيد (الم تر) ألم تعلم يا محمد عما يقوم مقام العيان (ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) قيل سجد هذه الاشياء تحول ظلالها وقيل ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعته وقيل معنى سجودها الطاعة فانه ما من جاد الا وهو مطيع لله تعالى خاشع ومسبح له كما وصفهم بالخشية والتسبيح وهذا مذهب أهل السنة وهو ان هذه الاجسام لما كانت قابلة لجميع الاعراض التي خلقها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة أشبهت بمطاوعها أفعال المكلف وهو السجود الذي كل خضوع دونه فان قلت هذا التأويل يبطله قوله (وكثير من الناس) فان السجود بالمعنى الذي ذكره في الناس كلهم فاسناده الى كثير من الناس يكون تخصيصاً من غير فائدة قلت المعنى الذي ذكرته وان كان عاماً في حق الكل الا ان بعضهم تمردوا وتكبروا ترك السجود في الظاهر فهذا وان كان ساجداً بذاته ولكنه مقرر بظاهرة وأما المؤمن فانه ساجد بذاته و بظاهرة أيضاً فلاجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذ كرو في معنى الآية والله يسجد من في السموات ومن في الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى الطاعة والعبادة فان قلت قوله من في السموات ومن في الارض لفظ عموم فيدخل فيه الناس فلم قال وكثير من الناس قلت لو اقتصر على ما تقدم لاوهم ان كل الناس يسجدون فيبين أن كثير من الناس يسجدون طوعاً ودون بعض وهم الذين قال فيهم (وكثير حق عليه العذاب) وهم الكفار أي حق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود ومع كفرهم وامتناعهم من السجود نسجد ظلالم لله عز وجل (ومن بين الله فانه من

يعلم انهم مؤمنون أو ثبت الذين آمنوا ويريدهم هدى أنزله كذلك مينا (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) قيل الاديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحن والصابئون نوع من النصارى فلا تكون ستة (ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) في الاحوال والاما كن فلا يجازيهم جزاء واحد ولا يجمعهم في موطن واحد وخبر ان الذين آمنوا ان الله يفصل بينهم كما تقول ان زيد ان أباه قائم (ان الله على كل شيء شهيد) عالم به حافظ له فلينظر كل امرئ معتقده وقوله وفعله وهو أبلغ وعيد (الم تر) ألم تعلم يا محمد عما يقوم مقام العيان (ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) قيل ان الكل يسجد له ولكن لا تنفع عليه كما لا تنفع على تسبيحها قال الله تعالى وان من شيء الا يسجد بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقيل سعى

مطاوعة غير المكلف له فيما يحدث فيه من أفعاله وتسخيره له سجوداً له تشبهاً لمطاوعته بسجود المكلف الذي كل خضوع دونه مكرم (وكثير من الناس) أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة أو هو مرفوع على الابتداء ومن الناس صفته والخبر محذوف وهو مناب وبدل عليه قوله (وكثير حق عليه العذاب) أي وكثير منهم حق عليه العذاب بكفره وابائه السجود (ومن بين الله) بالشقاوة (فانه من

المعترلة قو لهم لانهم يقولون
 شاء اشياء ولم يفعل وهو
 يقول يفعل ما يشاء
 (هذان خصمان) أي
 فريقان مختصمان فالخصم
 صفة وصف بها الفريق
 وقوله (اختصموا) للمعنى
 وهذان للفظ والمراد
 المؤمنون والكافرون
 وقال ابن عباس رضى الله
 عنهم ارجع الى أهل الأديان
 المذكورة فالؤمنون خصم
 وسائر الخسة خصم (في
 ر ٢٢) في دينه وصفاته
 ثم بين جزاء كل خصم بقوله
 (فالذين كفروا) وهو
 فصل الخصومة المعنى بقوله
 ان الله يفصل بينهم يوم
 القيامة (قطعت لهم ثياب
 من نار) كان الله يقدر
 لهم نيرانا على مقادير جثثهم
 تشتمل عليهم كما تقطع
 الثياب الملبوسة واختير
 لفظ الماضي لانه كان
 لا محالة فهو كالثابت المتحقق
 (يصب من فوق رؤسهم)
 بكسر الهاء والميم بصرى
 ويضمهما حزة وعلى وخلف
 وبكسر الهاء وضم الميم
 غيرهم (الجيم) الماء
 الحار عن ابن عباس رضى
 الله عنهم الوسة قطت منه
 نقطة على جبال الدنيا
 لاذابتها (بصهر) يذاب
 (به) بالجيم (مافى بطونهم
 والحلود) أي يذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم فيؤثر في الظاهر والباطن

مكرم) أي من بذله الله فلا يكرمه أحد (ان الله يفعل ما يشاء) أي يكرم الله بالسعادة من يشاء ويهين
 بالشقاوة من يشاء وقيل هو الذي يصح منه الاكرام والاهوان يوم القيامة بالثواب والعقاب
 (فصل) هذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند تلاوتها أو سماع
 تلاوتها قوله عز وجل (هذان خصمان اختصموا في ربهم) أي جادلوا في دينه وأمره واختلفوا في هذين
 الخصمين فروى عن قيس بن عباد قال سمعت أباذر يقسم قسما ان هذه الآية هذان خصمان اختصموا
 في ربهم نزلت في الذين برزوا يوم بدر حزة وعلى وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن
 عتبة أخرجاه في الصحيحين (خ) عن علي بن أبي طالب قال أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن
 يوم القيامة قال قيس بن عباد فيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم الذين تبارزوا يوم بدر
 على وحزة وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وابن أخيه الوليد بن عتبة قال محمد بن اسحق
 خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابن أخيه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم فئة
 من الانصار ثلاثة عوف ومعوذ ابنا الحرث وأمهم اعرابا وعبد الله بن رواحة فقالوا من أتم قالوا رهط من
 الانصار فقالوا حين اتسبوا كفاء كرام ثم نادى مناد بهم يا محمد اخرج الينا كفاءنا من قومنا فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث ويا حزة بن عبد المطلب ويا علي بن أبي طالب فلما دنوا
 منهم قالوا من أتم فذكروا أنفسهم قالوا نعم كفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة وبارز حزة
 شيبة وبارز علي الوليد بن عتبة فاما حزة فلم يهل أن قتل شيبة وعلى الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما
 ضربتان كلاهما أثبت صاحبه فذكر حزة وعلى باسيفهما على عتبة فذفعا عليه واحتملا عبيدة الى أصحابه
 وقد قطعت رجلاه ونحها يسيل فلما أتوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أأنت شهيد يا رسول الله قال
 بلى فقال عبيدة لو كان أبو طالب حيا لعلم انأحق بما قال منه حيث يقول

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقال ابن عباس نزلت الآية في المسلمين وأهل الكتاب قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا
 ونينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن أحق بالله آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبيكم بما أنزل الله من كتاب
 وأتم تعرفون نينا وكتابنا وكفرتم حسدا فهذه خصم منهم في ربهم وقيل هم المؤمنون والكافرون من أي
 ملة كانوا فالؤمنون خصم والكفار خصم وقيل الخصمان الجنة والنار (ق) عن أبي هريرة قال قال النبي
 صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالتكبرين والتجبرين وقالت الجنة فالى لا يدخلني
 الاضعفاء الناس وسقطهم زاد في رواية وغزاتهم فقال الله عز وجل للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من
 عبادي وقال للنار انما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ماؤها فاما النار فلا
 تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجلاه فتقول قط قط فهناك تمتلئ ويزوى بعضها الى بعض ولا يظلم بك من
 خلقه أحد أو أمان الجنة فان الله تبارك وتعالى ينشئ لها خلقا والبخاري اختصمت الجنة والنار وهذا القول
 ضعيف والاقوال الاولى أولى بالصحة لان حمل الكلام على ظاهره أولى وقوله هذان كالاشارة الى سبب تقدم
 ذكره وهو أهل الأديان الستة وأيضا فإنه ذكر صنفين أهل طاعته وأهل معصيته وذكر ما آل الخصمين فقال
 تعالى (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) قال سعيد بن جبيرة ياب من نحاس مذاب وليس من الآنية
 شيء اذا حى أشد حرمانه وسمى باسم الثياب لانها تحيط بهم كحاطة الثياب وقيل يلبس أهل النار مقطعات
 من نار (يصب من فوق رؤسهم الجيم) أي الماء الحار الذي انتهت حرارته (يصهر به) أي يذاب بالجيم الذي
 يصب من فوق رؤسهم (مافى بطونهم) من الشعوم والاحشاء (والجلود) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال ان الجيم ليصب على رؤسهم فينفذ حتى يخلص الى جوف أحدهم فيسلبت مافى جوفه حتى

(ولهم مقامع) سباط مختصة بهم (من حديد) يضربون بها (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) من النار (من غم) بدل الاشتغال من منها باعادة
الجار أو الاولى لا ابتداء للغاية والثانية بمعنى من أجل يضي كلما أرادوا الخروج من النار من أجل غم يلحقهم فخرجوا (أعيدوا فيها) بالمقامع
ومعنى الخروج عند الحسن أن النار تضربهم بلهبها فتلقى بهم إلى أعلاها فاضربوا بالمقامع فهو وافيا سبعين خريفا والمراد اعادتهم إلى معظم
النار لأنهم ينفصلون عنها بالكلية ثم (٣٥٤) يهودون اليها (وذوقوا) أي وقيل لهم ذوقوا (عذاب الحريق) هو الغليظ من

النار المنتشر العظيم الاهلاك
ثم ذكر جزاء الخصم الآخر
فقال (ان الله يدخل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات
جنت تجري من تحتها
الانهار يحلون فيها من
أساور) جمع أسور جمع
سوار (من ذهب ولؤلؤا)
بالنصب مدني وعاصم
وعلى ويوتون لؤلؤا وبالجر
غيرهم عطفنا على من
ذهب وبترك الهزمة
الاولى في كل القرآن أبو
بكر وحامد (ولباسهم فيها
حرير) ابريسم (وهودوا
إلى الطيب من القول
وهودوا إلى صراط الحميد)
أي أرشد هؤلاء في الدنيا
إلى كلمة التوحيد وإلى
صراط الحميد أي الإسلام
أو هداهم الله في الآخرة
وألهمهم أن يقولوا الحمد
لله الذي صدقنا وعده
وهداهم إلى طريق الجنة
والحمد لله الحمود بكل
لسان (ان الذين كفروا
ويصدون عن سبيل الله)
أي يمنعون عن الدخول

يمرق من قدميه وهو الدهر ثم يعاد كما كان أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح (ولهم مقامع
من حديد) أي سباط من حديد وهي الجرزم من الحديد وفي الخبر لو وقع مقامع من حديد في الأرض ثم اجتمع
عليه الثقلان ما أقبلوه من الأرض (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم) أي كلما حاولوا الخروج من النار
لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفسهم (أعيدوا فيها) أي ردوا اليها بالمقامع قيل ان جهنم
تجيش بهم فتلقى بهم إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهودون فيها سبعين
خريفا (وذوقوا عذاب الحريق) أي تقول لهم الملائكة ذلك والطريق بمعنى المحرق وهذا وصف حال أحد
الخصمين وهم الكفار وقال نه إلى في وصف الخصم الآخر وهم المؤمنون (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنت تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) وهو
الابريسم الذي حرم لبسه على الرجال في الدنيا عن معاوية هو جديهم بن حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر تشقق الانهار بعد أخرجه الترمذي وقال
حديث صحيح (ق) عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آيتهما وما فيهما
وجنتان من ذهب آيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم الارتفاع الكبرياء على وجهه في
جنة عدن عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها التضيء
ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ﴿ قوله تعالى (وهودوا) من الهداية أي أرشدوا (إلى
الطيب من القول) قال ابن عباس هو شهادة أن لا إله الا الله وقيل هو لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان
الله وقيل إلى القرآن وقيل هو قول أهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده (وهودوا إلى صراط الحميد) أي
إلى دين الله وهو الإسلام والحمد لله والحمد لله في أفعاله ﴿ قوله عز وجل (ان الذين كفروا) أي بما جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم (ويصدون عن سبيل الله) أي بالتمنع من الهجرة والجهاد والإسلام (والمسجد
الحرام) أي ويصدون عن المسجد الحرام (الذي جعلناه للناس) أي قبلة لصلاتهم ومنسكاً وتمعبدا (سواء
العاكف) أي المقيم (فيه) قال بعضهم ويدخل فيه الغريب اذا جاؤوا وأقام به ولزم التعبد فيه (والباد) أي
الطاري المتتاب اليه من غيره واختلافوا في معنى الآية فقيل سواء العاكف فيه والبادي في تعظيم حرمة
وقضاء النسك به وإليه ذهب مجاهد والحسن وجاعة قالوا والمراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية
هو التسوية في تعظيم الكعبة وفي فضل الصلاة فيه والطواف به وعن جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال يابني عبدمناف لا تمنعوا أحد اطاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار أخرجه
الترمذي وأبو داود والنسائي وقيل المراد منه جميع الحرم ومعنى التسوية أن المقيم والبادي سواء في
النزول به ليس أحدهما أحق بالنزول من الآخر غير أنه لا يزعم أحدا إذا كان قد سبق إلى منزل وقول
ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هما سواء في البيوت والمنازل قال عبد الرحمن بن سابط كان

الحجاج
في الإسلام ويصدون حال من فاعل كفروا أي وهم يصدون أي الصدود منهم مستمر دائم كما يقال فلان
يحسن إلى الفقراء فإنه يراد به استمرار وجود الاحسان منه في الحال والاستقبال (والمسجد الحرام) أي ويصدون عن المسجد الحرام
والدخول فيه (الذي جعلناه للناس) مطلقاً من غير فرق بين حاضر وباد فان أراد بالمسجد الحرام مكة ففيه دليل على أنه لا يتباع دور مكة وان
أريد به البيت فالعنى أنه قبلة لجميع الناس (سواء) بالنصب حفص مفعول ثان جعلناه أي جعلناه مستويا (العاكف فيه والباد) وغير
المقيم بالياء مكى وافقه أبو عمرو في الوصل وغيره بالرفع على انه خبر والمبتدأ مؤخر أي العاكف فيه والباد سواء والجملة مفعول ثان وللناس حال

(ومن يرد فيه) في المسجد الحرام (بالحد بظلم) حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مراداً
إما عادلاً عن القصد ظالمًا فالحد العدل عن القصد (نذقه من عذاب) (٣٠٥) أليم) في الآخرة وخبران محذوفان لدلالة جواب

الشرط عليه تقديره ان
الذين كفروا ويصدون
عن المسجد الحرام نذقهم
من عذاب أليم وكل من
ارتكب فيه ذنباً فهو
كذلك (واذبوأنا لبراهيم
مكان البيت) واذكر
يا محمد حين جعلنا لبراهيم
مكان البيت مباءة أي
مرجعاً يرجع إليه للعمارة
والعبادة وقد رفع البيت إلى
السماء أيام الطوفان وكان من
ياقوتة جرافة علم الله إبراهيم
مكانه برجح أرسلها فكنت
مكان البيت فبناه على أسسه
القديم (أن) هي المفسرة
للقول المقدر أي قائلين له
(لا تشرك بي شيئاً وطهر
بيتي) من الأصنام والأقدار
وبفتح الياء مدني وحفص
(للطائفين) لمن يطوف به
(والقائمين) والمقيمين بمكة
(والركع السجود) المصلين
جعاراً كعب وساجد (وأذن
في الناس بالحج) نادفهم
والحج هو القصد بالبيع إلى
مقصد منيع وروى أنه
صعداً بأقيس فقال يا أيها
الناس حجوا بيت ربكم
فاجاب من قدر له أن يحج
من الأصلاب والأرحام
بلييك اللهم لبيك وعن
الحسن أنه خطاب لرسول

الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن أحدهم من أهل مكة باحقي بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس أن يعلقوا
أبوابهم في الموسم فعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة واجارتها قالوا ان أرض مكة لا تملك لأنها لو ملكتم
يستوالها كنف فيها والبادي فلما استوي يابست أن سبيلها سبيل المساجد واليه ذهب أبو حنيفة قالوا والمراد
بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الأول الأقرب إلى الصواب أنه يجوز بيع دور مكة واجارتها وهو
قول طاوس وعمر بن دينار واليه ذهب الشافعي احتج الشافعي في ذلك بقوله تعالى الذين أخرجوا من
ديارهم بغير حق أضاف الديار إلى مال كسبها وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من أغلق باباً فهو آمن
ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن فنسب الديار إليهم نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجدة
بأربعة آلاف درهم فدل ذلك هذه النصوص على جواز بيعها ﴿ وقوله تعالى (ومن يرد فيه) أي في
المسجد الحرام (بالحد بظلم) أي يميل إلى الظلم قيل الحد فيه هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شيء
كان منهياً عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير إحرام أو ارتكاب شيء من
محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجر وقال ابن عباس هو ان تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم فيه من
لا يظلمك وقال مجاهد تضاعف السيآت بمكة كما تضاعف الحسنات وقيل احتكار الطعام بمكة بدليل ما روى
يعلى بن أمية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احتكار الطعام في الحرم الحد فيه أخرجه أبو داود
وقال عبد الله بن مسعود في قوله ومن يرد فيه بالحد بظلم (نذقه من عذاب أليم) قال لوان رجلاً هم بخطيئة
لم تكتب عليه ما لم يعملها ولوان رجلاً هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين أو بيلد آخر أذاه الله من عذاب
أليم قال السدي الا ان يتوب وروى عن عبد الله بن عمرو انه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في
الحرم فاذا أراد ان يعاتب أهله عاتبهم في الحل فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث ان من الحد فيه أن يقول
الرجل كلا والله وبلى والله ﴿ وقوله تعالى (واذبوأنا لبراهيم مكان البيت) قال ابن عباس جعلنا وقيل وطأنا
وقيل بينا وإنما ذكر مكان البيت لان الكعبة رفعت إلى السماء زمن الطوفان فلما أمر الله تعالى إبراهيم
عليه السلام ببناء البيت لم يدر أي جهة يبنى فبعث الله تعالى ريحاً خجوجاً فكنت له ما حول البيت عن
الاساس وقيل بعث الله سبحانه بقدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم يا إبراهيم ابن علي
قدرى فبنى عليه (أن لا تشرك بي شيئاً) أي عهدنا إلى إبراهيم وقلنا لا تشرك بي شيئاً (وطهر بيتي) أي
من الشرك والأوثان والأقدار (للطائفين) أي الذين يطوفون بالبيت (والقائمين) أي المقيمين فيه
(والركع السجود) أي المصلين ﴿ قوله عز وجل (وأذن) أي أعلم ونادوا الأذان في اللغة الاعلام (في الناس)
قال ابن عباس أراد بالناس أهل القبلة (بالحج) فقال إبراهيم عليه السلام وما يبلغ صوتي فقال الله عليك
الأذان وعلينا البلاغ فقام إبراهيم على المقام حتى صار كطول الجبال وأدخل أصبعيه في أذنيه وأقبل
بوجهه يمينا وشمالا وشرقاً وغرباً وقال يا أيها الناس الا ان ربكم قد نبى بيتاً وكتب عليكم الحج إلى البيت
فاجيبوا ربكم فاجابه كل من يحج من أصلاب الآباء وأرحام الامهات لبيك اللهم لبيك قال ابن عباس فاول
من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجاً وروى ان إبراهيم صعداً بأقيس ونادى وزعم الحسن ان المأمور
بالتأذين هو محمد صلى الله عليه وسلم امر أن يفعل ذلك في حجة الوداع (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا (ياتوك رجالاً) أي مشاة على
أرجلهم جمع راجل (وعلى كل ضامر) أي ركباناً على الأبل المهزولة من كثرة السير وبدأت كالمشاة

(٣٩ - (خازن) - ثالث) الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع والاول أظهر وجواب الامر (ياتوك رجالاً)

مشاة جمع راجل كقيام وقيام (وعلى كل ضامر) حال معطوفة على رجال كأنه قال رجالاً وركباناً والضاير البعير المهزول قدم الرجال على

الركبان اظهار الفضيلة المشاة كما ورد في الحديث

(ياتين) صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرأ عبد الله ياتون صفة للرجال والركبان (من كل فحج) طريق (عميق) بعيد قال محمد بن ياسين قال قال لي شيخ في الطواف من أين أنت فقلت من خراسان قال كم بينكم وبين البيت قلت مسيرة شهرين أو ثلاثة قال فانتهم جيران البيت فقلت أنت من أين جئت قال من مسيرة خمس سنوات وخرجت وأنا شاب فاكنت قلت والله هذه الطاعة الجيلة والمحبة الصادقة فقال زرهن هويت وان شئت بك الدار هـ وحال من دونه تجب وأستار لا يمنعك بعد عن زيارته هـ ان المحب لمن بهواه زوار واللام في (ابشهدوا) ليحضر وامتعلق باذن أو يأتوك (منافع لهم) نكرها لانه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادة وهذا لان العبادة شرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم أو بالمال كالزكاة وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الاثقال وركوب الالهوال وخلق الاسباب وقطيعه الاصحاب وهجر البلاد والاطمان وفرقة الاولاد والخلان والتنبية على ما يستمر عليه اذا اتقل من دار الفناء الى دار البقاء فالخاج اذا دخل البادية لا يتسكل فيها لاعلى عتاده ولا يابا كل الامن زاده فكذا المرء اذا خرج من شاطئ الحياة وركب بحر الوفاة لا ينفع وحده (٣٠٦) الاماسي في معاشه لمعاده ولا يؤنس وحشته الا ما كان يانس به من

تشرى فاهم (ياتين) أي جماعة الابل (من كل فحج عميق) أي من كل طريق بعيد فن أتى مكة حاجا فكانه قد أتى ابراهيم لانه محبب نداءه ﴿قوله تعالى﴾ (ابشهدوا منافع لهم) قيل العفو والمغفرة وقيل التجارة وقال ابن عباس الاسواق وقيل ما يرضى به الله من أمر الدنيا والآخرة (ويذكر واسم الله في أيام معلومات) يعني عشر ذي الحجة في قولاً أكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص عليهما من أجل وقت الحج في آخرها وعن ابن عباس انها أيام عرفة والنحر وأيام التشريق وقيل انها يوم النحر وثلاثة أيام بعده (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم وهي الابل والبقر والغنم وفيه دليل على ان الايام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق لان التسمية على بهيمة الانعام عند نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الايام (فكلوا منها) أمر اباحه ليس بواجب وذلك ان أهل الجاهلية كانوا الايايا كلون من لحوم هداياهم شيئا فامر الله بمخالفتهم وانفق العلماء على أن الهدى اذا كان تطوعا يجوز للهدى أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لما روى عن جابر بن عبد الله في قصة حجة الوداع قال وقدم على يدين من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فنحر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين بدنة ونحر على ما غبر وأشركه في بدنه ثم أمر من كل بدنة بيضة فجعلت في قدر وطبخت فا كل من لحما وشرب من مرقها أخرجه مسلم قوله ما غبر أي ما بقي قوله بيضة أي بقطعة واختلف العلماء في الهدى الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي أن يأكل منه شيئا قال الشافعي لا يا كل منه شيئا وكذلك ما أوجب على نفسه بالنذر وقال ابن عمر لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وبه قال أحمد واسحق وقال مالك يا كل من هدى التمتع ومن كل هدى واجب عليه الامن فدبة الاذي وجزاء الصيد والنذور وعند أصحاب الرأي انه يا كل من دم التمتع والقران ولا يا كل من واجب سواهما وقوله تعالى (وأطعموا البائس الفقير) يعني الزمن الذي لا شيء له ﴿قوله تعالى﴾ (ثم ليقتضوا نفهم) أي ليزيلوا أدرانهم وأوساخهم والمراد منه الخروج عن الاحرام بالحاق وقص الشارب وتنفي الابط

أوراده وغسل من يحرم وتاهبه وليس غير المحيط ونظييه مرآة للمسياتي عليه من وضعه على سريره لنفسه ونجهزه مطيبا بالحنوط ملففاني كفن غير محيط سم المحرم يكون أشعث حيران فكذا يوم الحشر يخرج من القبر لطفان ووقوف الحجج بعرفات آمين وغبارورها سائلين خوفا وطمعا وهم من بين مقبول ومخذول كوقوف العرصات لانكم نفس الابدان فتمس شتى وسعيد والاقاضة الى المزدلفة بالمساء هو السوق لفصل القضاء ومتى هو موقف المتني للمذنبين الى شفاعته الشافعين وحلق الرأس والتنظيف كالخروج من السيئات بالرجة والتخفيف والبيت الحرام الذي من دخله كان آمنا من الابداء والقتال نموذج لدار السلام التي هي من نزها بقى سالما من الفناء والزوال غير ان الجنة حفت بكاره النفس العادية كما ان الكعبة حفت بمتالف البادية فرحبا بمن جاوز مهالك البوادي شوقا الى اللقاء يوم التنادي (ويذكر واسم الله) عند التبع (في أيام معلومات) هي عشر ذي الحجة عند أبي حنيفة رحمه الله وآخرها يوم النحر وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين رحيم الله وعند صاحبيه هي أيام النحر وهو قول ابن عمر رضي الله عنهما (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أي على ذبحه وهو يؤيد قولهما والبهيمة مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فينبت بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز (فكلوا منها) من لحومها والامر للاباحة ويجوز الاكل من هدى التطوع والتمتع والقران لانه دم نساك فاشبهه الاضحية ولا يجوز الاكل من بقية الهدايا (وأطعموا البائس) الذي أصابه بؤس أي شدة (الفقير) الذي أضعفه الاعسار (ثم ليقتضوا نفهم) ثم يزيلوا عنهم أدرانهم كذا قاله نطفويه قيل قضاء التفت قص الشارب والاقطار وتنفي الابط والاستعداد والتفت الوسخ والمراد قضاء إزالة التفت وقال ابن ٤ رواه ابن عباس رضي الله عنهما قضاء التفت مناسك الحج كلها

وقلم

والتنظيف كالخروج من السيئات بالرجة والتخفيف والبيت الحرام الذي من

دخله كان آمنا من الابداء والقتال نموذج لدار السلام التي هي من نزها بقى سالما من الفناء والزوال غير ان الجنة حفت بكاره النفس العادية كما ان الكعبة حفت بمتالف البادية فرحبا بمن جاوز مهالك البوادي شوقا الى اللقاء يوم التنادي (ويذكر واسم الله) عند التبع (في أيام معلومات) هي عشر ذي الحجة عند أبي حنيفة رحمه الله وآخرها يوم النحر وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين رحيم الله وعند صاحبيه هي أيام النحر وهو قول ابن عمر رضي الله عنهما (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أي على ذبحه وهو يؤيد قولهما والبهيمة مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فينبت بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز (فكلوا منها) من لحومها والامر للاباحة ويجوز الاكل من هدى التطوع والتمتع والقران لانه دم نساك فاشبهه الاضحية ولا يجوز الاكل من بقية الهدايا (وأطعموا البائس) الذي أصابه بؤس أي شدة (الفقير) الذي أضعفه الاعسار (ثم ليقتضوا نفهم) ثم يزيلوا عنهم أدرانهم كذا قاله نطفويه قيل قضاء التفت قص الشارب والاقطار وتنفي الابط والاستعداد والتفت الوسخ والمراد قضاء إزالة التفت وقال ابن ٤ رواه ابن عباس رضي الله عنهما قضاء التفت مناسك الحج كلها

(وليوفوا نذرهم) مواجب نجهم والعرب تقول لكل من خرج عما وجب عليه وفي نذره وان لم يندر أو ما يندرونه من أعمال البر في نجهم وليوفوا بسكون اللام والتشديد أبو بكر (وليطوفوا) طواف الزيارة الذي هو ركن الحج ويقع به تمام التحلل الثلاث ساكنة عند غير ابن عياش وأبي عمر (بالي بيت العتيق) القديم لأنه أول بيت وضع للناس بناه آدم ثم جده إبراهيم أو الكرم ومنه عتاق الخليل لكرامتها وعتاق الرقيق لخروجه من ذل العبودية إلى كرم الحرية أولانه أعتق من الفرق لأنه رفع زمن الطوفان أو من أيدي الجبابرة كم من جبار سار إليه يهدمه فنعاه الله أو من أيدي الملاك فلم

(٣٠٧)

كأن العرش مطاف أهل السماء فان الطالب اذا حاجته معية الطرب وجذبه جواذب الطلب جعل يقطع مناكب الارض مراحل ويتخذ مسالك المهالك منازل فاذا عابن البيت لم يزد التسلية به الا اشتياقا ولم يفده القسبي باستلام الحجر الاحترقا فيرده الاسف لطفان ويردده اللفف حوله في الدوران وطواف الزيارة آخر فرائض الحج الثلاث وأولها الاحرام وهو عقد الالتزام يشبه الاعتصام بعروة الاسلام حتى لا يرتفض بارتكاب ما هو محظور فيه ويبقى عقده مع ما يفسده وينافيه كما ان عقد الاسلام لا ينحل بازدياد الآثام وترتفع ألف حوبة بتوبة وثانيها الوقوف بعرفات بسمة الابتهاج في صفة الاهتبال وصدق الاعتزال عن

وقلم الاظفار والاستعداد لبس الثياب والحاج أشعث أغبر اذا لم يزل هذه الاوساخ وقال ابن عمر وابن عباس قضاء التفت مناسك الحج كلها (وليوفوا نذرهم) أراد نذر الحج والهدى وما يندر الانسان من شيء يكون في الحج أي ليقومها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر وهو على ظاهره وقيل أراد به الخروج عما وجب عليه نذره أو لم يندره (وليطوفوا بالبيت العتيق) أراد به طواف الواجب وهو طواف الافاضة ووقته يوم النحر بعد الرمي والحلق والطواف ثلاثة طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعاً يرمي ثلاثاً من الحجر الاسود الى أن ينتهي اليه ويمشي أو يعاود هذا الطواف سنة لاشي على من تركه (ق) عن عائشة ان أول شيء بدأ به حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم أنه توضع طواف ثم لم تكن عمرة ثم حج أبو بكر وعمر مثله (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف الطواف الاول خب ثلاثاً ومشى أو يعاود في رواية ثم يصلي ركعتين يعني بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة ولفظ أبي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدم فانه يسمي ثلاثة أشواط ويمشي أو يعاود يصلي سجدتين والطواف الثاني هو طواف الافاضة وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق (ق) عن عائشة قالت حاضت صفة ليلة النفر فقالت ما أرا في الاحابستكم قال النبي صلى الله عليه وسلم عقري حلقى أطافت يوم النحر قيل نعم قال فانقري قوله عقري حلقى معنا عقرها الله أي أصابها بالعقر وبوجع في حلقها وقيل معنا مشومة مؤذية ولم يرد به الدعاء عليها وانما هو شيء يجري عن السنة العرب كقولهم لأأم لك ونرتب يمينك وفيه دليل على ان من لم يطف يوم النحر طواف الافاضة لا يجوز له أن ينفر الثالث طواف الوداع لارخصة لمن أراد مفارقة مكة الى مسافة القصر في أن يفارقها حتى يطوف سبعاً من تركه فعليه دم المرأة الحائض فانه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روى ابن عباس قال أمر الناس أن يكون الطواف آخر عهدهم بالبيت الا أنه رخص للمرأة الحائض متفق عليه والرمل سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الافاضة والوداع وقوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره سمي عتيقاً لان الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا الى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقيل لأنه أول بيت وضع للناس وقيل لان الله أعتقه من الفرق فانه رفع أيام الطوفان وقيل لأنه لم يملك قوله عز وجل (ذلك) أي الامر ذلك يعني ما ذكر من أعمال الحج (ومن يعظم حرمات الله) أي ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ملاستها وقيل حرمات الله ما لا يحل انتهاكها وقيل الحرمات ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها اقامتها وتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بأنه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرماتها (فهو خير له عند ربه) أي ثواب تعظيم الحرمات خير له عند الله في الآخرة (وأحلت لكم الانعام) أي ان تأكلوها بعد الذبح وهي الابل والبقر

دفع الاتكال على مراتب الاعمال وشواهد الاحوال (ذلك) خبر مبتدأ محذوف أي الامر ذلك أو تقديره ليفعلوا ذلك (ومن يعظم حرمات الله) الحرمات ما لا يحل انتهاكها جميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاماً في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصاً بما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله البيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام (فهو) أي التعظيم (خير له عند ربه) ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها (وأحلت لكم الانعام) أي كلها

(الامايتلى عليكم) آية تحريمه وذلك قوله حرمت عليكم الميتة الآية والمعنى ان الله تعالى أحل لكم الانعام كلها الا ما بين في كتابه فافظوا على حدوده ولا تحرموا شيئا مما أحل كتحرير البعض البعيرة ونحوها ولا تحلوا ما حرم كاحلاظم كل الموقوذة والميتة وغيرهما وما حلت على تعظيم حرمانه أنبعض الامر باجتنب الاوثان وقول الزور بقوله (فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور) لان ذلك من أعظم الحرمات وأسبغها حظرا ومن الاوثان بيان للرجس لان الرجس مبهم يتناول غير شئ كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان وسمى الاوثان رجسا على طريقة (٣٠٨) التشبيهة يعنى انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس فعليكم أن تنفروا عنها وجمع

والفم (الامايتلى عليكم) أى تحريمه وهو قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) أى ازكوا عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمي الاوثان رجسا لان عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات (واجتنبوا قول الزور) أى الكذب والبهتان وقال ابن عباس هى شهادة الزور وروى عن أيمن بن خريم قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال أيها الناس عدت شهادة الزور الاشرار بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور أخرجه الترمذى وقال قد اختلفوا فى روايته ولا تعرف لا يعنى سماع من النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو يونس داود عن خريم بن فانك بذخوه وقيل هو قول المشركين فى تليينهم ليك لا شريك لك الا شريك هولاك تملكه وما ملك قوله تعالى (حنفاء لله) أى مخلصين له (غير مشركين به) فدل ذلك على ان المكف يتولى بما ياتيه من العبادة الا خلاص لله بها لا غيره وقيل كانوا فى الشرك يحجون ويحرمون البنات والامهات والاخوات وكانوا حنفاء ففرقت حنفاء لله غير مشركين به أى نحو الله مسلمين موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفا (ومن يشرك بالله فكأنما خر) أى سقط (من السماء) الى الارض (فتخطفه الطير) أى تسلبه وتذهب به (أوتهى به الريح) أى تميل وتذهب به (فى مكان سحيق) أى بعيد ومعنى الآية ان من أشرك بالله بعيد من الحق والايمان كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل اليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الطير الذى يجرى من السماء لانه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح فهو هالك لا محالة اما باستلاب الطير لجه أو بسقوطه فى المكان السحيق وقيل معنى الآية من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلا كأيس وراءه اهلا كبان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير ففرقت أجزاءه فى حواصلها وأعصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المهالك البعيدة وقيل شبه الايمان بالسماء فى علوه والذى ترك الايمان بالساقط من السماء والاهواء التى توزع أفكاره بالطير المختطفة والشياطين التى تطرحه فى وادى الضلال بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة قوله عز وجل (ذلك) يعنى الذى ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور (ومن يعظم شعرا لله فانها من تقوى القلوب) أى تعظيم شعرا لله من تقوى القلوب قال ابن عباس شعرا لله البدن والهدى وأصلها من الاشعار وهو العلامة التى يعرف بها الهدى وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعرا لله اعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب (لكم فيها) أى فى البدن (منافع) قيل هى درها ونسلها ووصفها وورثها وركوب ظهرها (الى أجل مسمى) أى الى أن يسبها ويرجها ويا فاذ فعل ذلك لم يكن له شئ من منافعها وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم فى الهدى ايامنا فبعد ايجابها وتسميتها هدى ايامان تركبها وتشرى بها من ألبانها عند الحاجة الى أجل مسمى يعنى الى أن تنصروها وهو قول عطاء واختلاف العلماء فى ركوب الهدى فقال مالك والشافعى وأحمد واسحق يجوز ركوبها والحل عليها

بين الشرك وقول الزور أى الكذب والبهتان أو شهادة الزور وهو من الزور وهو الاشراف لان الشرك من باب الزور اذا لم يشرك زاعم ان الوثن يحق له العبادة (حنفاء لله) مسلمين (غير مشركين به) حال كنفاء (ومن يشرك بالله فكأنما خر) سقط (من السماء) الى الارض (فتخطفه الطير) أى تسلبه بسرعة فتخطفه أى تسقطه مدنى (أو تهوى به الريح) أى تسقطه واهوى السقوط (فى مكان سحيق) بعيد يجوز أن يكون هذا تشبيها مركبا ويجوز أن يكون مفردا فان كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلا كما ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرقت قطعها فى حواصلها وأعصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المهالك

البيعه وان كان مفردا فقد شقه الايمان فى علوه بالسماء والذى أشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء المرديبة بالطير المختطفة والشيطان الذى هو يوقعه فى الضلال بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة (ذلك) أى الامر ذلك (ومن يعظم شعرا لله) تعظيم الشعار وهى الهدى لانها من معالم الحج أن يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا عالية الايمان (فانها من تقوى القلوب) أى فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فهدت هذه المضافات وانما ذكرت القلوب لانها مرا كرا التقوى (لكم فيها منافع) من الركوب عند الحاجة وشرب ألبانها عند الضرورة (الى أجل مسمى) الى أن تنصروها

(ثم محلها) أي وقت وجوب نحرها منتبهة (إلى البيت العتيق) والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت إذا حرم حريم البيت ومثله في الاتساع قولك بلغت البلد وإنما اتصل مسيرك بحدوده وقيل الشعائر المناسك كلها وتعظيمها تمامها ومحلها إلى البيت العتيق بإياه (ولكل أمة) جماعة مؤمنة قبلكم (جعلنا منسكا) حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع على وحزة أي موضع قربان وغيرهما بالفتح على المصدر أي أراقة الدماء وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله) دون غيره (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) أي عند نحرها وذبحها (فألهكم الله واحد) أي اذكروا على الذبح اسم الله وحده فإن الهكم الله واحد وفيه دليل على أن ذكر اسم الله (٣٠٩) شرط الذبح يعني أن الله تعالى شرع

لكل أمة أن ينسكوه أي من غير ضرر بهما لروى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال أركبها فقال يا رسول الله إنها بدنة فقال أركبها وياك في الثانية أو الثالثة أخرجاه في الصحيحين وكذلك يجوز له أن يشرب من لبنها بعد ما يفضل عن ربي ولدها وقال أصحاب الرأي لا يركبها إلا أن يضطر إليه وقيل أراد بالشعار المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع أي بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى أي إلى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع أي بالأجر والثواب في قضاء المناسك إلى انقضاء أيام الحج (ثم محلها إلى البيت العتيق) أي من نحرها عند البيت العتيق يريد به جميع أرض الحرم روى عن جابر في حديث حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحرته ههنا ومنى كلها من نحرها فأنحروا في رحالكم ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم محلها أي محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة ﴿ قوله تعالى ﴾ (ولكل أمة) أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جعلنا منسكا) قرئ بكسر السين أي مذبحا وهو موضع القرابين وقرئ منسكا بفتح السين وهو أراقة الدم وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) أي عند ذبحها ونحرها ماها بهيمة لأنها لا تتكلم وقيد بالأنعام لأن ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين وإن جازاً ﴿ قوله عز وجل ﴾ (فألهكم الله واحد) أي سموا على الذبح اسم الله وحده فإن الهكم الله واحد (فله أسماوا) أي أخلصوا وانقادوا وأطيعوا (وبشر المحبتين) قال ابن عباس المتواضعين وقيل المطمئنين إلى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال تعالى (الذين إذا ذكروا الله وجلت قلوبهم) أي خافت من عقاب الله فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى (والصابرين على ما أصابهم) أي من البلاء والمرض والمصائب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير الله فله أن يصبر عليه وله أن ينتصر لنفسه (والمقيمي الصلاة) أي في أوقاتها محافظة عليها (ومارزقناهم ينفقون) أي يتصدقون ﴿ قوله تعالى ﴾ (والبدن) جمع بدنة سميت بدنة لعظمتها وضخامتها يريد الأبل الصحاح والأجسام والبقر ولا تسمى الغنم بدنة لصغرها (جعلناها لكم من شعائر الله) أي من أعلام دينه قيل لأنها تشعروها وإن يطعن بحديده في سنامها فيعلم بذلك أنها هدى (لكم فيها خير) أي نفع في الدنيا وثواب في العقبى (فأذكروا اسم الله عليها) أي عند نحرها (صواف) أي قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها ويدها اليمنى والأخرى معقولة فينحرها كذلك (ق) عن زياد بن جبيرة قال رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها قال أبعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم (فإذا وجبت جنوبها) أي سقطت بعد النحر ووقع جنبها على الأرض (فكلا منها) أمر بإباحة (وأطعموا القانع والمعتر) قيل القانع الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل والمعتر هو الذي يسأل وعن ابن عباس القانع هو الذي لا يسأل ولا يتعرض وقيل القانع هو الذي يسأل والمعتر هو الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين ولا تكون له ذبيحة يحجيء إلى القوم فيتعرض لهم لاجل

من غير ضرر بهما لروى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال أركبها فقال يا رسول الله إنها بدنة فقال أركبها وياك في الثانية أو الثالثة أخرجاه في الصحيحين وكذلك يجوز له أن يشرب من لبنها بعد ما يفضل عن ربي ولدها وقال أصحاب الرأي لا يركبها إلا أن يضطر إليه وقيل أراد بالشعار المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع أي بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى أي إلى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع أي بالأجر والثواب في قضاء المناسك إلى انقضاء أيام الحج (ثم محلها إلى البيت العتيق) أي من نحرها عند البيت العتيق يريد به جميع أرض الحرم روى عن جابر في حديث حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحرته ههنا ومنى كلها من نحرها فأنحروا في رحالكم ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم محلها أي محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة ﴿ قوله تعالى ﴾ (ولكل أمة) أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جعلنا منسكا) قرئ بكسر السين أي مذبحا وهو موضع القرابين وقرئ منسكا بفتح السين وهو أراقة الدم وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) أي عند ذبحها ونحرها ماها بهيمة لأنها لا تتكلم وقيد بالأنعام لأن ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين وإن جازاً ﴿ قوله عز وجل ﴾ (فألهكم الله واحد) أي سموا على الذبح اسم الله وحده فإن الهكم الله واحد (فله أسماوا) أي أخلصوا وانقادوا وأطيعوا (وبشر المحبتين) قال ابن عباس المتواضعين وقيل المطمئنين إلى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال تعالى (الذين إذا ذكروا الله وجلت قلوبهم) أي خافت من عقاب الله فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى (والصابرين على ما أصابهم) أي من البلاء والمرض والمصائب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير الله فله أن يصبر عليه وله أن ينتصر لنفسه (والمقيمي الصلاة) أي في أوقاتها محافظة عليها (ومارزقناهم ينفقون) أي يتصدقون ﴿ قوله تعالى ﴾ (والبدن) جمع بدنة سميت بدنة لعظمتها وضخامتها يريد الأبل الصحاح والأجسام والبقر ولا تسمى الغنم بدنة لصغرها (جعلناها لكم من شعائر الله) أي من أعلام دينه قيل لأنها تشعروها وإن يطعن بحديده في سنامها فيعلم بذلك أنها هدى (لكم فيها خير) أي نفع في الدنيا وثواب في العقبى (فأذكروا اسم الله عليها) أي عند نحرها (صواف) أي قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها ويدها اليمنى والأخرى معقولة فينحرها كذلك (ق) عن زياد بن جبيرة قال رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها قال أبعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم (فإذا وجبت جنوبها) أي سقطت بعد النحر ووقع جنبها على الأرض (فكلا منها) أمر بإباحة (وأطعموا القانع والمعتر) قيل القانع الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل والمعتر هو الذي يسأل وعن ابن عباس القانع هو الذي لا يسأل ولا يتعرض وقيل القانع هو الذي يسأل والمعتر هو الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين ولا تكون له ذبيحة يحجيء إلى القوم فيتعرض لهم لاجل

جعلنا (لكم فيها خير) النفع في الدنيا والأجر في العقبى (فأذكروا اسم الله عليها) عند نحرها (صواف) حال من الهاء أي قائمات قد صفتن أيديهن وأرجلهن (فإذا وجبت جنوبها) وجوب الجنوب وقوعها على الأرض من وجب الحائط وجبة إذا سقط أي إذا سقطت جنوبها على الأرض بعد نحرها وسكنت حركتها (فكلا منها) ان شتمتم (وأطعموا القانع) السائل من قنعت إذا خضعت له وسأله فنوعا (والمعتر) الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع الراضى بما عنده وما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض للسؤال

(كذلك سخرناها لكم) أي كما أمرناكم بنحرها سخرناها لكم أو هو كقوله ذلك ومن يعظم ثم استأنف فقال سخرناها لكم أي ذلناها لكم مع قوتها وعظم اجرامها لتفكروا من نحرها (لعلمكم تشكرون) لكي تشكروا والنعمة الله عليكم (إن ينال الله لحومها ولأدمائها ولو كان يناله التقوى منكم) أي إن يتقبل الله اللحوم والدماء ولكن يتقبل التقوى أولن يصيب رضا الله باللحوم المتصدق بها ولا الدماء المراقاة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى إن يرضى المضحون والمقربون ربهم الأبرار عادة النية والاخلاص ورعاية شروط التقوى وقيل كان أهل الجاهلية إذ سخروا الأبل نضحوا الدماء حول البيت واطغوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت (كذلك سخرها لكم) أي البدن (لتكبروا الله) لتعظموا الله عند الذبح أو لتعظموا الله (على ما أهداكم) على ما أهداكم إليه (وبشر المحسنين) المتمثلين أو أمره بالثواب (إن الله يدافع) مكي وبصري وغيرهما يدافع أي يباليغ في الدفع عنهم (عن الذين آمنوا) أي يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ونحوه أنا لننصر رسلاً (٣١٥) والذين آمنوا ثم علل ذلك بقوله (إن الله لا يحب كل خوان) في أمانة الله (كفور) لنعمة الله

لهم (كذلك) أي مثل ما وصفنا من نحرها قايماً (سخرناها لكم) أي لتتمكنوا من نحرها (لعلمكم تشكرون) أي انعام الله عليكم (إن ينال الله لحومها ولأدمائها) وذلك إن أهل الجاهلية كانوا إذا سخروا البدن اطغوا الكعبة بما فيها يزعمون إن ذلك قريب إلى الله تعالى فأنزل الله لن ينال الله لحومها ولأدمائها أي إن ترفع إلى الله لحومها ولأدمائها (ولكن يناله التقوى منكم) أي ولكن ترفع إليه الأعمال الصالحة والاخلاص وهو ما أريد به وجه الله (كذلك سخرها لكم) يعني البدن (لتكبروا الله على ما أهداكم) وأرشدكم لعالم دينه ومناسك حجه وهو أن يقول الله أكبر على ما أهدانا والحمد لله على ما أولانا (وبشر المحسنين) قال ابن عباس الموحدين ﴿ قوله تعالى (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) أي يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم منهم وينصرهم عليهم (إن الله لا يحب كل خوان كفور) أي خوان في أمانة الله كفور لنعمة قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شركاً وكفروا بآية من تقرب إلى الأصنام بذيبحته وسمى غير الله عليها فهو خوان كفور ﴿ قوله عز وجل (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) أي أذن الله لهم بالجهاد ليقاتلوا المشركين قال المفسرون كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يجهلون من بين مضروب ومشجوع ويشكون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فإني لم أؤمر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية وهي أول آية أذن الله فيها بالقتال وقيل نزلت هذه الآية في قوم باعيتهم خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة فاعترضهم مشركو مكة فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بأنهم ظلموا أي بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالإبذال (وإن الله على نصرهم لقدير) فيه وعد من الله بنصر المؤمنين ثم وصفهم فقال تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) يعني أنهم أخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتعظيم والتحكيم لا موجب الإخراج (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) أي بالجهاد وإقامة الحدود (لهدمت صوامع) هي معابد الرهبان المتخذة في الصحراء (وبيع) هي معابد النصارى في البلد وقيل الصوامع للصائين والبيع للنصارى (وصلوات) هي كنائس اليهود ويسمونها بالعبرانية صلواتنا (ومساجد) يعني مساجد المسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيراً) يعني في المساجد

أي لا يحب أضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويعطونها (أذن) مدني وبصري وعاصم (للذين يقاتلون) بفتح التاء مدني وشامي وحفص وللغني أذن لهم في القتال حذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه (بأنهم ظلموا) بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديداً وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوع يتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر فأنزلت

هذه الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية (وإن الله على نصرهم) على نصر المؤمنين ومعنى (لقدير) قادر وهو بشارة للمؤمنين بالنصرة وهو مثل قوله إن الله يدافع عن الذين آمنوا (الذين) في محل جر بدل من الذين أو نصب باعتبار أو رفع بأضمارهم (أخرجوا من ديارهم) بمكة (بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب التحكيم لا موجب الإخراج ومثله هل تقسمون منا إلا إن آمننا بالله ومحل أن يقولوا جر بدلاً من حق والمعنى ما أخرجوا من ديارهم إلا بسبب قوتهم (ولولا دفع الله) دفاع مدني ويعقوب (الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد) أي لولا إظهاره وتسلطه المسلمين على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا النصارى ببيعاً ولا الرهبان صوامع ولا لليهود وصلوات أي كنائس وسميت الكنيسة صلاة لأنها يصل فيها ولا للمسلمين مساجد ولغلب المشركون في أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في زمنهم وهدموا متعبدات الفريقين وقدم غير المساجد عليها لتقدمها وجوداً ولتقر بهما من التهديم (يذكر فيها اسم الله كثيراً)

في المساجد وفي جميع ما تقدم (ولينصرن الله من ينصره) أي ينصر دينه وأولياؤه (ان الله لقوى) على نصر أولياؤه (عزيز) على انتقام أعدائه (الذين) محله نصب بدل من من ينصره وأوجرتابع للذين أخرجوا (ان مكناهم في الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هو اخبار من الله عما ستكون عليه سيرة المهاجرين ان مكنهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين وفيه دليل صحة أمر الخلفاء الراشدين لان الله عز وجل أعطاهم التمكين ونفاذا لأمر مع السيرة العادلة وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ولله عاقبة الامور) أي مرجعها إلى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من اظهار أولياؤه واعلاء كلمتهم (وان يكذبوك) هذه تسليية لمحمد صلى الله عليه وسلم من تكذيب أهل مكة إياه أي لست بأوحد في (٣١١) التكذيب (فقد كذبت قبلهم) قبل قومك

(قوم نوح) نوحا (وعاد)
 هودا (وثمود) صالحا (وقوم
 ابراهيم) ابراهيم (وقوم لوط)
 لوطا (وأصحاب مدين) شعيبا
 (وكذب موسى) كذبه
 فرعون والقبط ولم يقل
 وقوم موسى لان موسى
 ما كذبه قومه بنو
 اسرائيل وانما كذبه غير
 قومه أو كأنه قيل بعد
 ما ذكر تكذيب كل قوم
 رسولهم وكذب موسى
 أيضا مع وضوح آياته وظهور
 معجزاته فإظنك بغيره
 (فأملت للكافرين)
 أمهلتهم وأخرت عقوبتهم
 (ثم أخذتهم) عاقبتهم على
 كفرهم (فكيف كان
 نكير) انكارى وتغيير
 حيث ابدلتهم بالنعمة تقما
 وبالحياة هلاكا وبالعمارة
 خرابا نكيري بالياء في
 الوصل والوقف يعقوب
 (فكأين من قرية
 أهلكتها) أهلكتها
 بصري (وهي ظلمة) حال

ومعنى الآية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلواتهم فهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد (ولينصرن الله من ينصره) أي ينصر دينه ونبيه (ان الله لقوى) أي على نصر من ينصر دينه (عزيز) أي لا يضام ولا يمنع مما يريد به ﴿قوله عز وجل﴾ (الذين ان مكناهم في الارض) أي نصرناهم على عدوهم حتى تمكنوا من البلاد (أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هذا وصف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم جميع هذه الامم وقيل هم المهاجرون وهو الاصح لان قوله الذين ان مكناهم صفة لمن تقدم ذكرهم وهو قوله الذين أخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون (ولله عاقبة الامور) أي آخر أمور الخلق مصيرها إليه وذلك انه يبطل فيها كل ملك سوى ملكه فتصير الامور إليه بلا منازع ﴿قوله تعالى﴾ (وان يكذبوك) فيه تسليية وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وان كذبت قومك (فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى) فان قلت لم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى قلت فيه وجهان أحدهما ان موسى لم يكذب قومه وهم بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط الثاني كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فإظنك بغيره (فأملت للكافرين) أي أمهلتهم وأخرت العقوبة عنهم (ثم أخذتهم) أي عاقبتهم (فكيف كان نكير) أي انكارى عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبه ﴿قوله عز وجل﴾ (فكأين من قرية أهلكتها) وقرى أهلكتها على التعظيم (وهي ظلمة) أي وأهلها ظالمون (فهي خاوية) أي ساقطة (على عروشها) أي على سقوفها (وبرمعة) أي وكمن بئر معطلة أي متروكة مخلاة عن أهلها (وقصر مشيد) أي رفيع طويل عال وقيل محصن وقيل ان البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن أما القصر فعلى قلة جبل والبئر في سفحه ولكل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقى البئر والقصر خاليين وقيل ان هذه البئر كانت بحضر موت في بلدة يقال لها حاضوراء وذلك ان أربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب أنوا إلى حضر موت ومعهم صالح فلما حضر موت صالح فسمى المكان حضر موت لذلك ولما مات صالح بنوا حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجال منهم فاقاموا دهر اوتنا سلوا حتى كثروا وعبدوا الاصنام وكفروا فأرسل الله تعالى إليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطلت بئرهم وخرب قصرهم ﴿قوله تعالى﴾ (أفلم يسروا في الارض) يعني كفار مكة فينظروا إلى

أي وأهلها مشركون (فهي خاوية) ساقطة من خوى النجم اذا سقط (على عروشها) يتعلق بخاوية والمانى انها ساقطة على سقوفها أي خربت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف ولا محل لفهي خاوية من الاعراب لانها معطوفة على أهلكتها وهذا الفعل ليس له محل وهذا اذا جعلنا كمين منصوب المحل على تقدير كثير من القرى أهلكتها (وبرمعة) أي متروكة لتفقد دلوها ورشائها وقد تفقدتها وهي عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء لأنها عطلت أي ركت لا يستقى منها هلاك أهلها (وقصر مشيد) محصن من السيد الجص أو من فروع البنيان من شاد البناء رفعه والمعنى كم قرية أهلكتها وكبئر عطلناها عن سقاتها وقصر مشيد أخليناها عن ساكنيه أو أهلكتنا البادية والحاضرة جميعا فخلت القصور عن أربابها والآبار عن واردها والظهران البئر والقصر على العموم (أفلم يسروا في الارض) هذا حدث على السفر لبروا مصارع من أهلكتهم الله بكفروا وشاهدوا آثارهم فيعتبروا

(فتكون لهم قلوب يعقلون بها وأذان يسمعون بها) أي يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ونحوه و يسمعون ما يجب سماعه من الوحي (فإنها لا تعي الابصار ولكن تعي القلوب التي في الصدور) الضمير في فأنها ضمير القصة أو ضمير مبهم يفسره الابصار أي فاعلمت ابصارهم عن الابصار بل قلوبهم عن الاعتبار ولكل انسان أربع أعين عيان في راسه وعينان في قلبه فإذا أبصر ما في القلب وعي ما في الرأس لم يضره وإن أبصر ما في الرأس وعي ما في القلب لم ينفعه وذلك كصدور لبيان ان محل العلم القلب ولذا يقال ان القلب يعني به غير هذا العضو كما يقال القلب اب كل شئ (ويستجولونك بالعذاب) الآجل استهزاء (ولن يخلف الله وعده) كأنه قال ولم يستجولونك به كأنهم يجوزون القوات وإنما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف ولن يخلف الله وعده وما وعده ليصيبهم ولو بعد حين (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) تعدون مكى وكوفى غير عاصم أي كيف يستجولون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنينكم لأن أيام الشدائد طوال (وكأين من قرية) (٣١٢) أمليت لها وهي ظالمة) أي وكمن أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم

مصارع المكذبين من الامم الحالية (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) أي يعلمون بها (أو آذان يسمعون بها) يعني ما يذكر لهم من أخبار القرون الماضية فيعتبرون بها (فإنها لا تعي الابصار ولكن تعي القلوب التي في الصدور) المعنى ان عي القلب هو الضار في أمر الدين لا عي البصر لان البصر الظاهر بلفظه وتمعنه وبصر القلوب هو البصر النافع (ويستجولونك بالعذاب) نزلت في النضر بن الحرث (ولن يخلف الله وعده) أي انه أنجز ذلك يوم بدر (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) قال ابن عباس يعني يوما من الايام الستة التي خلق الله فيها السموات والارض وقيل يوما من أيام الآخرة بدل عليه ما روى عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة أخرجه أبو داود بزيادة فيه وأخرج الترمذي نحوه ومعنى الآية أنهم يستجولونك بالعذاب وان يوما من أيام عذابهم في الآخرة كألف سنة وقيل ان يوما من أيام العذاب في النقل والاستطالة كألف سنة فكيف يستجولونه وقيل معناه ان يوما عندد وألف سنة في الامهال سواء لانه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شئ بالتأخير فيستوي في قدرته وقوع ما يستجولونه من العذاب وتأخيره وهذا معنى قول ابن عباس (وكأين من قرية أمليت لها) أي أمهلتها (وهي ظالمة) أي مع استقرار أهلها على الظلم (ثم أخذتها) أي أنزلت بهم العذاب (والى المصير) يعني مصيرهم الى آخرة ففيه وعيد وتهديد وقوله عز وجل (قل يا أيها الناس إنما أنا نذير مبين) أمر الله رسوله أن يديم لهم التخويف والانداز وأن يقول لهم إنما بعثت لكم منذرا (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) لما أمر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بان يقول إنما أنا نذير مبين أردف ذلك بان أمره بوعدهم من آمن ووعدهم من عصي فقال فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة أي ستر اصغائر ذنوبهم وقيل للكبراء أيضا مع التوبة ورزق كريم أي لا ينقطع أبدا وقيل هو الجنة (والذين سعوا في آياتنا) أي عملوا في ابطال آياتنا (معجزين) أي مشبطين الناس عن الايمان وقرئ معاجزين أي معاندين مشاقين وقيل معناه ظالمين ومقدرين أنهم يحجزوننا ويفوتوننا فلا تقدر عليهم بزعمهم أن لا يبت ولا نشور ولا الجنة ولا نار (أولئك أصحاب الجحيم) قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا

حيناً) ثم أخذتها) بالعذاب (والى المصير) أي المرجع الى فلا يفوتني شئ وإنما كانت الاولى أي فكأين معطوفة بالفاء وهذه أي وكأين بلوا لان الاولى وقعت بدلا عن فكيف كان تكبير وأما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجلوتين المعطوفتين بالواو وعمما ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك (قل) يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين) وإنما لم يقل بشير ونذير لانه كرا الفر يقين بعده لان الحديث مسوق الى المشركين ويا أيها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم أفلم يسبوا ووصفوا بالاستحجال وإنما أقحم المؤمنون ونوابهم ليغاثوا أو تقديره نذير

مبين وبشير فبشرا ولا فقال (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) اذا أي حسن ثم أنذر فقال (والذين سعوا) سعى في أمر فلان اذا أفسده بسعيه (في آياتنا) أي القرآن (معاجزين) حال معجزين حيث كان مكى وأبو عمرو وعاجزه سابقه كأن كل واحد منهما في طلب اعجاز الاخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وسعرا أو ساطير مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم (أولئك أصحاب الجحيم) أي النار الموقدة (وما أرسلنا من قبلك) من لا يتبدل الغاية (من رسول) من زائدة لتأكيدها (ولانبي) هذا دليل على ثبوت التغاير بين الرسول والنبي بخلاف ما يقول البعض انهما واحد وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعمائة وعشرون ألفا قيل فكيف الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلاثة عشر والفرق بينهما ان الرسول من جمع الى المعجزة ان كتاب المنزل عليه والنبي من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر ان يدعوا الى شريعة من قبله وقيل الرسول واضع شرع والنبي حافظ شرع غيره (الا

اذننى) قرأ قال * تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل (ألقى الشيطان في أمنيته) تلاوته قالوا انه عليه السلام كان في نادى قومه يقرأ والنجم فلما بلغ قوله ومائة الثالثة الاخرى جرى

(٣١٣)

شفاعتهم لترجي ولم يظن له حتى أدركته العصمة فذبه عليه وقيل نبيه جبريل عليه السلام فاخبرهم ان ذلك كان من الشيطان وهذا القول غير مرضى لانه لا يجوز ان يتكلم النبي عليه السلام بها عمدا وانه لا يجوز لانه كفر لانه بعث طاعنا للصنام لامادها أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبي عليه السلام جبرائيل لا يقدر على الامتناع منه وهو ممنوع لان الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره لقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فى حقه أولى أو جرى ذلك على لسانه سهوا وغفلة وهو مردود أيضا لانه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه فى حال تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله ولانه تعالى قال فى صفة المنزل عليه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال انانحن نزلنا الذكرواناله لحافظون فلما بطلت هذه الوجوه لم يبق الاوجه واحد وهو انه عليه السلام سكت عند قوله ومائة الثالثة الاخرى فتكلم الشيطان

اذ تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) قال ابن عباس وغيره من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى قومه عنه وشق عليه ما رأى من مبادئهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على إيمانهم فكان يومئذ في مجلس لقريش فأنزل الله عز وجل سورة والنجم فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ أفرايم اللات والعزى ومائة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه ويتمناه تلك الغرائق العلى وان شفاعتهم لترجي فلما سمعت قريش ذلك فرخوابه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قراءته فقراء السورة كلها وسجد فى آخرها وسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع من فى المسجد من المشركين فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد غير الوليد بن المغيرة وأبى أحيحة سعيد بن العاص فانهما أخذوا حفنة من البطحاء ورفعوها الى جبهتهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقدرهم ماسمه وامن ذكراهم ويقولون قد ذكراهم اهلنا باحسن الذكروا لواقدر فنا ان الله محيى ويميت ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فان جعلها محمد نصيبا فنحن معه فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم آتتك به عن الله تعالى فخرن رسول الله صلى الله عليه وسلم خزنا شديدا وخاف من الله تعالى خوفا كبيرا فانزل الله تعالى هذه الآية يعزى به وكان به رحما وسمع بذلك من كان بارض الحبشة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجد قريش وقيل قد أسلمت قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم الى عشائرهم وقال لهم أحب الينا حتى اذا دنوا من مكة بلغهم ان الذى كانوا حدثوا به من اسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل أحد منهم الابحار أو مستخفيا فلما نزلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعافى فم كل مشرك فاذا دوا دواشر الى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم وقوله وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نرى ان يأتىه جبريل بالوحي عيانا ولا نبي هو الذى تكون نبوته اهلها ما أو مناما فكل رسول نبي وايس كل نبي رسولا الا اذا تمنى أى أحب شيئا واشتهاه وحدث به نفسه مما لم يؤمر به ألقى الشيطان فى أمنيته أى فى مراده وقال ابن عباس اذا حدث ألقى الشيطان فى حديثه ووجد اليه سبيلا والمعنى ما من نبي الا تمنى أن يؤمن قومه ولم يتمن ذلك نبي الا ألقى الشيطان عليه ما يرضى قومه فينسخ الله ما يلقى الشيطان وقال أكثر المفسرين معنى تمنى قرأ وتلا كتاب الله ألقى الشيطان فى أمنيته أى فى تلاوته قال حسان فى عثمان حين قتل

تمنى كتاب الله أول ليلة * وآخرها لاقى جام المقادر

فان قلت قد قامت الدلائل على صدقه وأجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شئ منه بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فكيف يجوز الغلط على النبي صلى الله عليه وسلم فى التلاوة وهو معصوم منه قلت ذكر العلماء عن هذا الاشكال أجوبة أحدها توهمين أصل هذه القصة وذلك انه لم يروها أحد من أهل الصحة ولا أسندها ثقة بسند صحيح أو سليم متصل وانما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب الملقون من الصحف كل صحيح وسقيم والذى يدل على ضعف هذه القصة اضطراب رواها وانقطاع سندها واختلاف ألفاظها فقايل يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان فى الصلاة

(٤٠ - (خازن) - ثالث) بهذه الكلمات متصلا بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم فوقه عند بعضهم انه عليه السلام هو الذى تكلم بها فيكون هذا القاء قراءة فى النبي عليه السلام وكان الشيطان يتكلم فى زمن النبي عليه السلام ويسمع كلامه فقد روى انه نادى يوم أحد الا ان محمد اذ قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم

(فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أي (٣١٤) يذهب به ويبطله ويخبرانه من الشيطان (ثم يحكم الله آياته) أي يثبتها ويحفظها من حقوق

الزيادة من الشيطان (والله
عليم) بما أوحى إلى نبيه
و يقصد الشيطان (حكيم)
لا يدعه حتى يكشفه ويزيله
ثم ذكر أن ذلك ليفتن الله
تعالى به قوما بقوله (ليجعل
ما يلقى الشيطان فتنة) محنة
وابتلاء (للذين في قلوبهم
مرض) شك ونفاق
(والقاسية قلوبهم) هم
المشركون المكذبون
فيزدادوا به شكًا وظلمة
(وإن الظالمين) أي
المنافقين والمشركين وأصله
وانهم فوضع الظاهر موضع
الضمير قضاء عليهم بالظلم (إني
شقاق) خلاف (بعيد)
عن الحق (وليعلم الذين
أوتوا العلم) بالله ودينه
و بالآيات (أنه) أي القرآن
(الحق من ربك فيؤمنوا
به) بالقرآن (فتخبت)
قطمئن (له قلوبهم وإن
الله هادي الذين آمنوا إلى
صراط مستقيم) فيتأولون
ما يشابه في الدين بالتأويلات
الصحيحة و يطلبون لما
أشكك منه المحمل الذي
تقتضيه الأصول المحكمة
حتى لا تلحقهم حيرة
ولا تعربهم شبهة (ولا يزال
الذين كفروا في سرية)
شك (منه) من القرآن أو
من الصراط المستقيم
(حتى تأتيهم الساعة بغتة)

وآخر يقول قرأها وهو في نادي قومه وآخر يقول قرأها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه بها
خبري ذلك على لسانه وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وإن النبي صلى الله
عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتكم إلى غير ذلك من اختلاف ألفاظها والذي جاء في الصحيح
من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير أن
شيخا من قريش أخذ كفما من حصى أو تراب فرفعه إلى وجهه قال عبد الله فلقدر أيته بعد قتل كافر أخرجه
البخاري ومسلم وصح من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه
المسلمون والمشركون والجن والانس رواه البخاري فهذا الذي جاء في الصحيح لم يذكر فيه أن النبي صلى الله
عليه وسلم ذكر تلك الألفاظ ولا قرأها والذي ذكره المفسرون عن ابن عباس في هذه القصة فقد رواه عنه الكلبي
وهو ضعيف جدا فهذا توهمين هذه القصة الجواب الثاني وهو من حيث المعنى هو أن الحجة قد قامت بالدليل
الصحيح واجماع الأمة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة وهو تنبيه أن ينزل عليه
مدح اله غير الله أو أن ينسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه حتى نبه جبريل
عن ذلك فهذا كله ممتنع في حق صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ولونقول علينا بعض الأوقاويل لاخذنا
منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين الآية الجواب الثالث في تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ برتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا كما صح عنه في قراءته فيحتمل أن
الشيطان ترصد لتلك السكتات فدرس فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محا كيا الصوت النبي صلى الله عليه وسلم
فسمعه من دنائمه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم فسجد وامعه لسجوده فاما المسلمون
فلم يقدح ذلك عندهم لتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم ذم الأوثان و عيبها وانهم كانوا يحفظون
السورة كما أنزلها الله عز وجل الجواب الرابع في تحقيق تفسير الآية وقد تقدم أن التمني يكون بمعنى حديث
النفوس وبمعنى التلاوة فعلى الأول يكون معنى قوله الا اذا تمنى أي خطر بياله وتمنى بقلبه بعض الأمور ولا يبعد
أنه اذا قوى التمني اشتغل الخاطر فحصل السهو في الأفعال الظاهرة وعلى الثاني وهو تفسير التمني بالتلاوة
فيكون معنى قوله الا اذا تمنى أي تلا وهو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو في اسقاط آية أو آيات
أو كلمة أو نحو ذلك ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للوقت والحين كما صح في الحديث لقد
أذكرني كذا كذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وحاصل هذا أن الغرض من هذه الآية أن الانبياء
والرسل وإن عصمهم الله عن الخطأ في العلم فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم بل حالهم في ذلك كحال سائر
البشر والله تعالى أعلم قوله عز وجل (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أي يبطله ويذهب به (ثم يحكم الله آياته)
أي يثبتها (والله عليم حكيم) قوله عز وجل (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة) أي محنة وبلية والله تعالى يعصن
عباده بما يشاء (للذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) أي الجافية قلوبهم عن قبول
الحق وهم المشركون (وإن الظالمين إني شقاق بعيد) أي في خلاف شديد (وليعلم الذين أوتوا العلم) أي
التوحيد والقرآن والتصديق ينسخ الله ما يشاء (أنه الحق من ربك) أي الذي أحكم الله من آيات القرآن هو
الحق من ربك (فيؤمنوا به) أي يعتدوا به من الله عز وجل (فتخبت له قلوبهم) أي تسكن إليه (وإن الله
هادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) أي إلى طريق قويم وهو الإسلام قوله عز وجل (ولا يزال الذين
كفروا في سرية منه) أي في شك من القرآن وقيل من الدين الذي هو صراط مستقيم (حتى تأتيهم الساعة
بغتة) أي بغتة وقيل أراد بالساعة الموت (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) أي عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة
وقيل هو يوم بدر سمي عقيما لأنه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير كالجحيم العقيم لان في بخير وقيل لأنه لا مثل له

بغاة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) يعني يوم بدر فهو عقيم عن أن يكون للكافرين فيه فرج أو راحة كالريح
العقيم لان في بخير أو شديد لا راحة فيه أو لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك إنه يوم القيامة وإن المراد بالساعة مقدماته

(الملك يومئذ) أي يوم القيامة والتوطين عوض عن الجلة أي يوم تؤمنون أو يوم تزول منيهم الله فلا منازع له فيه (يحكم بينهم) أي يقضى ثم بين حكمه فيهم بقوله (فألمن آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) ثم خص قوما من الفريق الأول بفضيلة فقال (والذين هاجروا في سبيل الله) خرجوا من أوطانهم مجاهدين (ثم قتلوا) في الجهاد قتلوا شامياً (أوماتوا) حتف أنفسهم (ليرزقهم الله رزقا حسنا) قيل الرزق الحسن الذي لا ينقطع أبداً (وان الله هو خير الرازقين) لأنه المخرع للخلق بلامثال المتكفل للرزق بلاملال (ليدخلنهم مدخلا) بفتح الميم مدنى والمراد الجنة (يرضونه) لأن فيها ما تشتهى النفس وتلد الأعين (وان الله لعليم) بأحوال من قضى نحبه مجاهداً وأمال من مات وهو ينتظر معاهداً (حليم) بامهال من قائلهم معانداً روى أن طواقف من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فإنا ان متنا معك فانزل الله هاتين الآيتين (ذلك) أي الأمر ذلك وما بعده مستأنف (ومن عاقب بمثل) (٣١٥) ما عوقب به) سمي الابتداء بالجزاء عقوبة للملابسته له من حيث

انه سبب وذلك مسبب عنه (ثم نبى عليه لينصرنه الله) أي من جازى بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك حق على الله ان ينصره (ان الله لعفو) بمحو آثار الذنوب (غفور) يستر أنواع العيوب وتقريب الوصفين بسباق الآية ان المعاقب مبعوث من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله فمن عفا وأصلح فاجره على الله وأن تعفو أقرب للتقوى حيث لم يؤثر ذلك واتصرف فهو تارك للافضل وهو ضامن لنصره في الكرة الثانية اذا ترك العفو واتقم من الباغى وعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو بذكرايتين الصفتين أو

في عظم أمره لقتال الملائكة فيه (الملك يومئذ) يعني يوم القيامة (لله) وحده من غير منازع ولا مشارك فيه (يحكم) أي يفصل (بينهم) ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فألمن آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) قوله تعالى (والذين هاجروا في سبيل الله) أي فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه (ثم قتلوا أوماتوا ليرزقهم الله رزقا حسنا) أي لا ينقطع أبداً وهو رزق الجنة لأن فيها ما تشتهى النفس وتلد الأعين (وان الله هو خير الرازقين) فان قلت الرازق في الحقيقة هو الله عز وجل لارزق للخلق غيره فكيف قال وان الله هو خير الرازقين قلت قد يسمى غيره رازقاً على المجاز كقوله رزق السلطان الجندي أي أعطاهم أرزاقهم وان الرازق في الحقيقة هو الله تعالى وقيل لأن الله تعالى يعطي من الرزق ما لا يقدر عليه غيره (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) يعنى الجنة يكرمون به ولا يناههم فيه مكرود (وان الله لعليم) بنياتهم (حليم) بالعفو عنهم (قوله عز وجل) (ذلك) أي الأمر ذلك الذي قصصنا عليك (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) أي جازى الظالم بمثل ظلمه وقيل يعنى قاتل المشركين كما قاتلوه (ثم نبى عليه) أي ظلم باخراجه من منزله يعنى ما أتاه المشركون من البغى على المسلمين حتى أحوجهم إلى مفارقة أوطانهم نزات في قوم من المشركين أتوا قوماً من المسلمين لليلتين بقيتا في المحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فإلى المشركون وقتلهم فذلك بغيتهم عليهم وثبت المسلمون فنصرهم الله عليهم فذلك قوله تعالى (لينصرنه الله ان الله لعفو) أي عن مساوي المؤمنين (غفور) يعنى لذنوبهم (ذلك) أي ذلك النصر (بان الله) القادر على ما يشاء فمن قدرته انه (يوج الليل في النهار ويوج النهار في الليل) في معنى هذا الايلاج قولان أحدهما انه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بغيبوبة الشمس ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطولع الشمس القول الثاني هو ما يزيد في أحدهما وينقص من الآخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه الا الله تعالى (وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق) أي ذوالحق في قوله وفعله ودينه حق وعبادته حق (وان ما يدعون) يعنى المشركين (من دونه هو الباطل) يعنى الاصنام التي ليس عندها ضر ولا نفع (وان الله هو العلى) أي العالى على كل شئ (الكبير) أي العظيم في قدرته وسلطانه (قوله عز وجل) (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح

دل بذكرا العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده كما قيل العفو عند القدرة (ذلك بان الله يوج الليل في النهار ويوج النهار في الليل وان الله سميع بصير) أي ذلك النصر للمظلوم بسبب انه قادر على ما يشاء ومن آيات قدرته انه يوج الليل في النهار ويوج النهار في الليل أي يزيد من هذا في ذلك ومن ذلك في هذا أو بسبب انه خالق الليل والنهار ومصر فهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبنى والانساف وانه سميع لما يقولون ولا يشغله سمع عن سمع وان اختلفت في النهار الاصوات بفنون اللغات بصير بما يفعلون ولا يستر عنه شئ بشئ في الليالي وان توالى الظلمات (ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون) عراقى غير أبي بكر (من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير) أي ذلك الوصف بخلقه الليل والنهار واحاطته بما جرى فيهما وادراكه قولهم وفعالهم بسبب ان الله الحق الثابت اهيته وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لا شئ أعلى منه شاناً أو كبر سلطاناً (ألم تر أن الله أنزل من السماء

ماء مطراً فتصبح

الارض مخضرة) بالنسبة بعدما كانت مسودة يابسة وانما صرف الى لفظ المضارع ولم يقل فاصبحت ليفيد بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم على فلان فاروح وأعدو شاكره ولو قلت فرحت وغدت لم يقع ذلك الموقع وانما رفع فتصبح ولم ينصب جوا باللاستفهام لانه لو نصب لبطل الغرض وهذا الان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نبي الاخضرار كما تقول لصاحبك ألم تر أني أنعمت عليك فنتكر ان نصبتة نقيت شكره وشكوت من نفر يطه فيه وان رفعت أثبت شكره (ان الله لطيف) واصل عمله أو فضله الى كل شيء (خير) بمصالح الخلق ومنافعهم أو اللطيف المختص بدقيق التدبير الخبير المحيط بكل قليل وكثير (له ما في السموات وما في الارض) ملكا وملكاً (وان الله هو الغني) المستغنى بكامل قدرته بعد فناء ما في السموات وما في الارض (الحمد) الحمد وبنعمته قبل ثناء من في السموات ومن في الارض (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض) من البهائم مذابة للركوب في البر (والفلك تجري في البحر بأمره) أي ومن المراكب جارية في البحر ونصب الفلك عطفاً على ما وتجري حال لها أي وسخر لكم الفلك في حال جريها (ويعسك السماء أن تقع على الارض) أي بحفظها من أن تقع (الاباذنه) بأمره أو بمشيئته (ان الله بالناس لرؤوف) بتسخير ما في الارض (رحيم) بامساك السماء اثباتاً لثباتها على الارض عدد آياته مقرونة باسمائه يشكروه (٣١٦) على آياته ويذكروه باسمائه وعن أبي حنيفة رحمه الله ان اسم الله الاعظم في الآيات الثمانية يسجد به

الارض مخضرة) أي بالنبات (ان الله لطيف) أي باستخراج النبات من الارض رزقاً للعباد والحيوان (خير) أي بما في قلوب العباد اذا تاخر المطر عنهم (له ما في السموات وما في الارض) أي عبيد او ملكا (وان الله هو الغني الحمد) يعني الغني عن عبادة الحميد في أفعاله (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض) أي الدواب التي تركب في البر (والفلك) أي وسخر لكم السفن (تجري في البحر بأمره) يعني سخرها للماء والرياح ولولا ذلك ما جرت (ويعسك السماء أن تقع) أي لكيلا تسقط (على الارض الاباذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم) يعني انه أنعم بهذه النعم الجامعة لمنافع الدنيا والدين وقد بلغ الغاية في الانعام والاحسان فهو اذا رؤف رحيم بكم (وهو الذي أحياكم) أي أنشأكم ولم تكونوا شيئاً (ثم يميتكم) أي عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) أي يوم البعث والثواب والعقاب (ان الانسان لكفور) أي لجحود نعم الله عز وجل ﴿ قوله تعالى (لكل أمة جعلنا منسكاً) قال ابن عباس شريعة (هم ناسكوه) هم عاملون بها وعنه انه قال عيدا وقيل موضع قرآن يذبحون فيه وقيل موضع عبادة (فلا ينازعك في الامر) أي في أمر الذبائح نزلت في بديل بن ورقاء و بشر بن سفيان و يزيد بن خنيس قالوا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مالكم تأكلون مما تقتلون بأيديكم ولانا كلون مما قتله الله وقيل معناه لا تنازعهم أنت ﴿ قوله تعالى (وادع الى ربك) أي الى الايمان به والى دينه (انك لعلي هدى مستقيم) أي على دين واضح قويم (وان جادلوك) أي خاصموك في أمر الذبح وغيره (فقل الله أعلم بما تعملون) أي من التكذيب (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) أي فتعلمون حينئذ الحق من الباطل وقيل حكم يوم القيامة يتردد بين جنة وثواب لمن قبل وبين نار وعقاب لمن ردوا بي ﴿ قوله عز وجل (ألم تعلم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه الامة (ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب) أي في اللوح المحفوظ (ان ذلك) أي علمه بجميعه (على الله يسير) أي هين

لقرارها البتة (وهو الذي أحياكم) في أرحام أمهاتكم (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) لا يزال جزائكم (ان الانسان لكفور) لجحود ما أفاض عليه من ضروب النعم ودفع عنه من صنوف النقم أو لا يعرف نعمة الانشاء المبدي للوجود ولا الافناء المقه الى الموعود ولا الاحياء الموصل الى المقصود (لكل أمة) أهل دين (جعلنا منسكاً) مريانه وهو رد لقول من يقول ان الذبح ليس بشرية الله اذ هو شريعة كل أمة (هم ناسكوه) عاملون به (فلا ينازعك) فلا يجادلنك والمعنى فلا تلتفت

الى قوالم ولا تمكنهم من أن ينازعوك (في الامر) امر الذبائح أو الدين نزلت حين قال المشركون للمسلمين مالكم تأكلون وقيل ماقتلتم ولانا كلون ما قتله الله يعني الميتة (وادع) الناس (الى ربك) الى عبادة ربك (انك لعلي هدى مستقيم) طريق قويم ولم يذكر الواو في لكل أمة بخلاف ما تقدم لان تلك وقعت مع ما يناسبها من الآي الواردة في أمر النساءك فغطت على أخواتها وهذه وقعت مع أبا عبد عن معانها فلم تجد معظما (وان جادلوك) مرء وتعتنا كما يفعلها السفهاء بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال (فقل الله أعلم بما تعملون) أي فلا تجادلهم وادفعهم بهذا القول والمعنى ان الله أعلم بأعمالكم وما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجاز بكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين ونأديب يحجب به كل متعنت (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) هذا خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أي يفضل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض) أي كيف يخفي عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بان الله يعلم كل ما يحدث في السموات والارض (ان ذلك) الموجود فيما (في كتاب) في اللوح المحفوظ (ان ذلك على الله يسير) أي علمه بجميع ذلك عليه يسير ثم اشار الى جهالة الكفار لعبادتهم غير المستحق لها بقوله

ويعبدون من دون الله مالم ينزل به) ينزل مكي وبصري (سلطانا) حجة وبرهانا (وما ليس لهم به علم) أي لم يتمسكوا في عبادتهم لها ببرهان سماوي من جهة الوحي ولا جملهم عليهم آياتنا دليل عقلي (وما للظالمين من نصير) وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم (وإذ أتت عليهم آياتنا بينات) يعني القرآن (تعرف في وجوه الذين كفروا والمنكر) الإنكار بالعبوس والكراهة والمنكر مصدر (يكادون يسطون) يبطشون والسطو الوثب والبطش (بالذين يتلون عليهم آياتنا) هم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما أتى عليكم (النار) خبر مبتدأ محذوف كان قائلاً قال ما هو فقيل النار أي هو النار (وعدها الله الذين كفروا) استئناف كلام (وبئس المصير) النار ولما كانت دعواهم بأن الله تعالى شر يكاريه في الغرابة والشهرة مجرى الأمثال المسيرة قال الله تعالى (يا أيها الناس) (٣١٧) (ضرب) بين (مثل فاستمعوا له)

لضرب هذا المثل (ان الذين تدعون) يدعون سهل ويعقوب (من دون الله) آله باطلة (لن يخلقوا ذبابا) لن لتأ كيد نفي المستقبل وتأ كيد هذا للدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل كأنه قال محال أن يخلقوا وتخصيص الذباب لمهاتته وضعفه واستقذاره وسمى ذبابا لأنه ككاذب لاستقذاره أب لاستكباره (ولو اجتمعوا له) الخلق الذباب ومحله النصب على الحال كأنه قيل مستحيل منهم أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا خلقه وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ ما أنزل في تجهيل قريش حيث وصفوا بالاهية التي تقتضي

وقيل ان كتب الحوادث مع انها من الغيب على الله يسير (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا) أي حجة ظاهرة من دليل سمعي (وما ليس لهم به علم) أي انهم فعلوا ما فعلوه عن جهل لا عن علم ولا دليل عقلي (وما للظالمين) أي المشركين (من نصير) أي مانع يمنعهم من العذاب (وإذ أتت عليهم آياتنا بينات) يعني القرآن وصفه بذلك لان فيه بيان الاحكام والفصل بين الحلال والحرام (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) أي الإنكار والكراهة يتبين ذلك في وجوههم (يكادون يسطون) أي يقعون ويسطون اليكم أيديهم بالسوء وقيل يبطشون (بالذين يتلون عليهم آياتنا) أي بمحمد وأصحابه من شدة الغيظ (قل) أي قل لهم يا محمد (أفأنبئكم بشر من ذلكم) أي بشر لكم وأكره اليكم من هذا القرآن الذي تستمعون (النار) أي هي النار (وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) قوله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل) فان قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلاً قلت لما كان المثل في الأكثر نكتة عجيبه غريبة جاز أن يسمى كل كلام كان كذلك مثلاً وقال في الكشف قد سميت الصفة والقصة الرائقة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلاً تشبها لها ببعض الأمثال المسيرة لكونها مسيرة عندهم مستحسنة مستغربة (فاستمعوا له) أي تدبروه حتى تدبره فان الاستماع بالتدبر وتعلل لا ينفع والمعنى جعل لي شبيه وشبه في الاوثان أي جعل المشركون الاصنام شركا في يعبدونها ثم بين حالها وصفها فقال تعالى (ان الذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام (لن يخلقوا ذبابا) أي واحد في صغره وضعفه وقتله لانها لا تقدر على ذلك (ولو اجتمعوا له) أي خلقته والمعنى ان هذه الاصنام لو اجتمعت لم يقدروا على خلق ذبابة على ضعفها وصغرها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا له (وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه) قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جف جاء الذباب فاستلبه منه وقيل كانوا يضعون الطعام بين أيدي الاصنام فيقع الذباب عليه ويأكل منه (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذي على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل الطالب الصنم والمطلوب الذباب أي لو طلب الصنم ان يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم (ما قدروا الله حق قدره) أي ما عظموه حق عظمتهم وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق وصفته حيث أشركوا به مالا يتنعم من الذباب ولا ينتصف منه (ان الله لقوى عزيز) أي غالب لا يقهر ﴿قوله عز وجل﴾ (الله يصطفى من الملائكة) أي يختار من الملائكة (رسلا) جبريل وميكائيل

الاقتدار على المقدرات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صوراً وتمائيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله تعالى وأذله ولو اجتمعوا لذلك (وان يسلبهم الذباب شيئا) شيئا ثانياً مفعولي يسلبهم (لا يستنقذوه منه) أي هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدر واعن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل فاذا سلبه الذباب عجز الاصنام عن أخذه (ضعف الطالب) أي الصنم يطلب ما سلب منه (المطلوب) الذباب بما سلب وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف فان الذباب حيوان وهو جاد وهو غالب وذاك مغلوب (ما قدروا الله حق قدره) ما عرفوه حق معرفته حيث جعلوا هذا الصنم الضعيف شريكاً له (ان الله لقوى عزيز) أي ان الله قادر وغالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيهاً به أو لقوى بنصر أوليائه عزيز ينتقم من أعدائه (الله يصطفى) يختار (من الملائكة رسلا) جبريل وميكائيل واسرافيل وغيرهم

(ومن الناس) رسلا كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم عليهم السلام هذا رد لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر وبيان أن
 رسل الله على ضربين ملك وبشر وقيل نزلت حين قالوا أنزل عليه الذكرك من بيننا (إن الله سميع) لقولهم (بصير) بمن يختاره لرسالته أو
 سميع لأقوال الرسل فيما تقبله العقول بصير بأحوال الامم في الرد والقبول (يعلم ما بين أيديهم) ماضى (وما خلفهم) مالم يأت أو ما عملوا وما
 سيعملوه أو امر الدنيا وأمر الآخرة (۳۱۸) (والى الله ترجع الامور) أى اليه مرجع الامور كلها والذى هو بهذه الصفات

واسرافيل وعزرائيل وغيرهم (ومن الناس) أى ويختار الله من الناس رسلا مثل إبراهيم وموسى وعيسى
 ومحمد وغيرهم من الانبياء والرسل صلى الله وسلم عليهم أجمعين نزلت حين قال المشركون أنزل عليه الذكرك من
 بيننا فاخبر الله تعالى ان الاختيار اليه يختار من يشاء من عباده لرسالته (إن الله سميع) أى لا قوا لهم
 (بصير) أى لا فعلم لا تخفى عليه خافية ﴿ قوله تعالى (يعلم ما بين أيديهم) قال ابن عباس ما قدموا
 (وما خلفهم) أى ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا وما هم عاملون وقيل يعلم ما بين أيدي ملائكته ورسله قبل أن
 يخلقهم و علم ما هو كائن بعد فناءهم (والى الله ترجع الامور) أى فى الآخرة ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا
 اركعوا واسجدوا) أى صلوا لان الصلاة لا تكون الا بالركوع والسجود (واعبدوا ربكم) أى وحدوه
 وقيل اخلصوا له العبادة (وافعلوا الخير) قال ابن عباس صلة الارحام ومكارم الاخلاق وقيل فعل الخير
 ينقسم الى خدمة المعبود الذى هو عبارة عن التعظيم لامر الله تعالى والى الاحسان الذى هو عبارة عن
 الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من أعمال البر (لعلكم
 تفلحون) أى لى تسعدوا وتفوزوا بالجنة

﴿فصل فى حكم سجود التلاوة هنا﴾ لم يختلف العلماء فى السجدة الاولى من هذه السورة واختلفوا فى
 السجدة الثانية فروى عن عمرو بن عبد الله بن المبارك والشافعى وأحمد واسحق بن عمار قالوا
 فى الحج سجدتان وبه قال ابن المبارك والشافعى وأحمد واسحق بن عمار قالوا
 يارسول الله فى الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجد عمافلا يقرأهما أخرجه الترمذى وأبو داود وعن عمر بن
 الخطاب انه قرأ سورة الحج فسجد فيها سجدتين وقال ان هذه السورة فضلت بسجدتين أخرجه مالك فى
 الموطأ وذهب قوم الى أن فى الحج سجدة واحدة وهى الاولى وليست هذه بسجدة وهو قول الحسن وسعيد
 ابن المسيب وسعيد بن جبيرة وسفيان الثورى وأبو حنيفة ومالك بنديليل انه قرن السجود بالركوع فدل ذلك
 انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة واختلف العلماء فى عدة سجود التلاوة فذهب الشافعى وأحمدوا أكثر أهل
 العلم الى أنها أربع عشرة سجدة لكن الشافعى قال فى الحج سجدتان وأسقط سجدة ص وقال أبو حنيفة فى
 الحج سجدة وأثبت سجدة ص وبه قال أحمد فى احدى الروايتين عنه فعنده ان السجدات خمس عشرة
 سجدة وذهب قوم الى أن المفصل ليس فيه سجود يروى ذلك عن أبى بن كعب وابن عباس وبه قال مالك فعلى
 هذا يكون سجود القرآن احدى عشرة سجدة بدل عليه ماروى عن أبى الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال فى القرآن احدى عشرة سجدة أخرجه أبو داود وقال اسناده واه ودليل من قال فى القرآن خمس عشرة
 سجدة ماروى عن عمرو بن العاص قال أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القرآن خمس عشرة سجدة
 منها ثلاث فى المفصل وفى سورة الحج سجدتان أخرجه أبو داود وصح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال
 سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقرأ إذا السماء انشقت أخرجه مسلم وسجود التلاوة سنة للقارىء
 والمسجع وبه قال الشافعى وقال أبو حنيفة هو واجب ﴿ قوله عز وجل (وجاهدوا فى الله حق جهاده) أى
 جاهدوا فى سبيل الله أعداء الله ومعنى حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه قاله ابن عباس وعنه أنه قال

لا يسئل عما يفعل وليس
 لاحد أن يعترض عليه فى
 حكمه وتدبيره واختيار
 رسله ترجع شامى وحجزة
 وعلى (يا أيها الذين آمنوا
 اركعوا واسجدوا) فى
 صلاتكم وكان أول ما أسلموا
 يصلون بالركوع وسجود
 فامر وان تكون صلاتهم
 بركوع وسجود وفيه
 دليل على أن الاعمال
 ليست من الايمان وان
 هذه السجدة للصلاة لا
 للتلاوة (واعبدوا ربكم)
 واقصدوا بركوعكم
 وسجودكم وجه الله لا الصم
 (وافعلوا الخير) قيل لما
 كان للذكرك مزبقة على غيره
 من الطاعات دعا المؤمنين
 أولا الى الصلاة التى هى
 ذكر خالص لقوله تعالى
 وأقم الصلاة لذكركم ثم الى
 العبادة بغير الصلاة كالصوم
 والحج وغيرهما ثم عم
 بالحث على سائر الخيرات
 وقيل أربده صلة الارحام
 ومكارم الاخلاق (لعلكم
 تفلحون) أى لى تفوزوا
 وافعلوا هذا كله واتم
 راجون للخلاص غير

مستيقنين ولا تتكلموا على أعمالكم (وجاهدوا) أمر بالفزأ ومجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر وهو كقوله
 حق عند أمير جائر (فى الله) أى فى ذات الله ومن أجله (حق جهاده) وهو ان لا يخاف فى الله لومة لائم يقال هو حق عالم وجد عالم أى عالم حقا
 وجد ومنه حق جهاده وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه لكن الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد
 مختصا بالله من حيث أنه مفعول لوجهه ومن أجله صحت اضافته اليه ويجوز أن يتسع فى الطرف كقوله • ويوم شهدناه سلبا وعامرا •

(هو اجتباكم) اختاركم لدينه ونصرته (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ضيق بل رخص لكم في جميع ما كلفكم من الطهارة والصلاة والصوم والحج بالتميم وبالایماء وبالقصير والافطار لعذر السفر والمرض وعدم (٣١٩) الزاد والراحلة (ملة أيكم ابراهيم)

أي اتبعوا ملة أيكم أو نصب على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أيكم وسماه أبوان لم يكن أباً للامة كلها لانه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبالامة لان أمة الرسول في حكم أولاده قال عليه السلام انما أنا لكم مثل الوالد (هو سماكم المسلمين) أي الله بدليل قراءة أبي الله سماكم (من قبل) في الكتب المتقدمة (وفي هذا) أي في القرآن أي فضلكم على سائر الامم وسماكم بهذا الاسم الا كرم (ليكون الرسول شهيداً عليكم) أنه قد بلغكم رسالة بكم (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ الرسل رسالات الله اليهم وانما خصكم بهذه الكرامة والاثرة (فاقيموا الصلاة) بواجباتها (وآتوا الزكاة) بشرائطها (واعتصموا بالله) وثقوا بالله وتوكلوا عليه لا بالصلاة والزكاة (هو مولاكم) أي مالكم وباصركم ومتولى أموركم (فتم المولى) حيث لم يمنعكم رزقكم بعصيانكم (ونعم النصير) أي الناصر هو حيث أعانكم على طاعتكم وقد

لاتخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد كما تجاهدون في سبيل الله ولا تخافون لومة لائم وقيل معناه اعماله والله حق عمله واعبدوه حق عبادته قيل نسخها قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال أكثر المفسرين حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله ولتكون كلمة الله هي العليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري وقيل مجاهدة النفس والهوى هو حق الجهاد وهو الجهاد الا كبر روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعتنا من الجهاد الا صغر الى الجهاد الا كبر ذكوه البغوى بغير سند قيل أراد بالاصغر جهاد الكفار وبالا كبر جهاد النفس (هو اجتباكم) أي اختاركم لدينه والاشتغال بخدمته وعبادته وطاعته فاي رتبة أعلى من هذا وأي سعادة فوق هذا (وما جعل عليكم في الدين من حرج) أي ضيق وشدة وهو ان المؤمن لا يتلى بشئ من الذنوب الا جعل الله له منه مخرجاً بعضها بالتوبة وبعضها بالمظالم والقصاص وبعضها بانواع الكفارات من الامراض والمصائب وغير ذلك فليس في دين الاسلام ما لا يجد العبد فيه سبيلاً الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن وفق وقيل معناه رفع الضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج اذا التبس عليكم وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة والفطر في السفر والتميم عند عدم الماء وكل الميتة عند الضرورة والصلاة قاعداً والفطر مع العجز بعذر المرض ونحو ذلك من الرخص التي رخص الله لعباده قيل أعطى الله هذه الامة خصلتين لم يعطهما أحداً غيرهم جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال ابن عباس الحرج ما كان على بني اسرائيل من الآصار التي كانت عليهم وضعها الله عن هذه الامة (ملة أيكم ابراهيم) لانها داخلية في ملة محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت لم يكن ابراهيم أباً للامة كلها فكيف سماه أباً في قوله ملة أيكم ابراهيم قلت ان كان الخطاب للعرب فهو أبو العرب قاطبة وان كان الخطاب لكل المسلمين فهو أبو المسلمين والمعنى ان وجوب احترامه وحفظ حقه يجب كما يجب احترام الاب فهو كقوله وأزواجه امهاتهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا لكم كالوالد في قوله (هو سماكم المسلمين من قبل) قولاً واحداً ان الكناية ترجع الى الله تعالى يعني ان الله سماكم المسلمين في الكتب القديمة من قبل نزول القرآن القول الثاني ان الكناية راجعة الى ابراهيم يعني ان ابراهيم سماكم المسلمين في أيامه من قبل هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فاستجاب الله دعاءه فينا (وفي هذا) أي وفي القرآن سماكم المسلمين (ليكون الرسول شهيداً عليكم) يعني يوم القيامة ان قد بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) يعني تشهدون يوم القيامة على الامم ان رسلهم قد بلغتهم (فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله) أي ثقوا به وتوكلوا عليه وقيل تمسكوا بدين الله وقال ابن عباس سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يكره وقيل معناه ادعوا ربكم ان يثبتكم على دينه وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة (هو مولاكم) أي وليكم وناصركم وحافظكم (فتم المولى ونعم النصير) أي الناصر لكم والله تعالى أعلم

﴿تفسير سورة المؤمنين وهي مكية﴾

وهي مائة وثمان عشرة آية وألف وثمان مائة وأربعون كلمة وأربع مائة حرف وحرفان

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه

أفلم من هو مولاه وناصره والله الموفق للصواب ﴿سورة المؤمنين مكية وهي مائة وثمان عشرة آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد أفلم المؤمنون) قد تقيضت لها هي تثبت المتوقع ولما تفيقه وكان المؤمنون يتوقعون مثل هذه البشارة وهي الاخبار بنبات الفلاح لم

نخو طبووا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة من المهروب أي فازوا بما طلبوه ونجوا ما هربوا بالإيمان في اللغة

التصديق والمؤمن المصدق لغة وفي الشرع كل من نطق بالثبوت هادتين مواطنات قلبه انه فهو مؤمن قال عليه السلام خلق الله الجنة فقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون ثلاثا أنا سرام على كل بخيل مرء لأنه بالرياء أبطل العبادات البدنية وليس له عبادة مالية (الذين هم في صلواتهم خاشعون) خائفون بالقلب ما كانوا بالجوارح وقيل الخشوع في الصلاة جمع الهمة لها والاعراض عما سواها وأن لا يجاوز بصره مصلاه وان لا يلتفت ولا يعبت ولا يسدل ولا يفرقع أصابعه ولا يتلب الخصى ونحو ذلك وعن أبي الدرداء هو اخلاص المقال واعظام المقام واليقين التام وجمع الاهتمام (٣٢٥) وأضيفت الصلاة الى المصلين لالي المصلي له لا تتفاح المصلي بها وحده وهي عدته

دوى كدوى النحل فانزل الله عليه يوما فكث ساعة ثم سري عنه فقرا قد أفلح المؤمنون الى عشر آيات من أوها وقال من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وأثرنا ولا تؤثر علينا اللهم أرضنا وارض عنا أخرجه الترمذي قوله عز وجل (قد أفلح المؤمنون) قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة وقيل الفلاح البقاء والنجاة (الذين هم في صلواتهم خاشعون) قال ابن عباس يحبون أذلاء خاضعون وقيل خائفون وقيل متواضعون وقيل الخشوع من أفعال القلب كالخوف والرغبة وقيل هو من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات وغض البصر وقيل لا بد من الجمع بين أفعال القلب والجوارح وهو الاولى فالخشاع في صلواته لا بد وأن يحصل له الخشوع في جميع الجوارح فاما ما يتعلق بالقلب من الأفعال فهما الخشوع والتذلل للمعبود ولا يلتفت الخاطر الى شيء سوى ذلك التعظيم وأما ما يتعلق بالجوارح فهو أن يكون ساكنا مطر فاماظر الى موضع سجوده وقيل الخشوع هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله (ق) عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد الاختلاس هو الاختطاف عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله مقبلا على العبد وهو في صلواته ما لم يلتفت فاذا التفت انصرف عنه وفي رواية أعرض عنه أخرجه أبو داود والنسائي وقيل الخشوع هو أن لا يرفع بصره الى السماء (خ) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يرفعون أبصارهم الى السماء في صلواتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتمن عن ذلك أولي الخشوع وأبصارهم وقال أبو هريرة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم الى السماء في الصلاة فأنزل الذين هم في صلواتهم خاشعون رمقوا بأبصارهم الى موضع السجود وقيل الخشوع هو أن لا يعبت بشيء من جسده في الصلاة لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم أبصر رجلا يعبت بلحيتته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ذكره البغوي بغير سند عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قام أحدكم الى الصلاة فلا يمسح الخصى فان الرجعة تواجهه أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وقيل الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والاعراض عما سوى الله والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر قوله تعالى (والذين هم عن اللغو معرضون) قال ابن عباس عن الشرك وقيل عن المعاصي وقيل هو كل باطل وهو وما لا يجرى من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشم والسب (والذين هم للزكوة فاعلون) أي الزكوة الواجبة مؤدون فعبء عن التأدية بالفعل لانها فعل وقيل الزكوة ههنا هي العمل الصالح والاول اولى (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج اسم اسوأ الرجل والمرأة وحفظه التعفف عن الحرام (الاعلى أزواجهم) على بمعنى من (أو ما ملكت أيماهم) يعني الاماء والجوارح والآية

وذخيره وأما المصلي له فعنى عنها (والذين هم عن اللغو معرضون) اللغو كل كلام ساقط حقه أن يلغى كالكذب والشتم والهزل يعني ان لهم من الجسد ما شغلهم عن الهزل ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشافين على الانفس الذين هما قاعدتا بناء التكليف (والذين هم للزكوة فاعلون) مؤدون ولفظ فاعلون يدل على المداومة بخلاف مؤدون وقيل الزكوة اسم مشترك يطلق على العين وهو القدر الذي يخرج المزكي من النصاب الى الفقير وعلى المعنى وهو فعل المزكي الذي هو التزكية وهو المراد هنا جعل المزكين فاعلين له لان لفظ الفعل يع جميع الافعال كالضرب والقتل ونحوهما تقول للضارب

والقاتل والمزكي فعل الضرب والقتل والتزكية ويجوز أن يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء ودخل اللام لتقدم المفعول وضعف اسم الفاعل في العمل فانك تقول هذا ضارب زيد ولا تقول ضارب زيد (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج يشمل سوءة الرجل والمرأة (الاعلى أزواجهم) في موضع الحال أي الاولين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كلن زيد على البصرة أي واليا عليها والمعنى انهم لفروجهم حافظون في جميع الاحوال الا في حال تزوجهم أو تسربهم أو تعلق على محذوف يدل عليه غير ما لوين كانه قيل يلامون الاعلى أزواجهم أي يلامون على كل مباشرة الاعلى ما أطلق لهم فانهم غير ما لوين عليه وقال الفراء الامن أزواجهم أي زوجاتهم (أو ما ملكت أيماهم) أي اماهم ولم يقل من لان المملوك جرى مجرى غير العقلاء وهذا اسماء كاتبا العاهات

(فانهم غير ملومين) أى لا لوم عليهم ان لم يحفظوا فروجهم عن نساءهم وامانهم (فن ابتغى وراء ذلك) طلب قضاء شهوة من هذين (فاولئك هم العادون) الكاملون فى العدوان وفيه دليل تحريم المتعة والاستمتاع بالكف لارادة الشهوة (والذين هم لاماناتهم وعهدهم) لاماناتهم مكي وسهل سمي الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها وانما تؤدى العيون لا المعاني والمراد به العموم فى كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا ومن جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق (راعون) حافظون والراعى القائم على الشئ يحفظ واصلاح كراعى الغنم (والذين هم على صلواتهم) صلواتهم كوفى غير أبى بكر (٣٢١) (يحافظون) يداومون فى أوقاتها

واعادة ذكر الصلاة لانها أهم ولان الخشوع فيها غير المحافظة عليها اولانها وحدت اولابغاد الخشوع فى جنس الصلاة أبة صلاة كانت وجعت آخر ليقاد المحافظة على أنواعها من الفرائض والواجبات والسنن والنوافل (أولئك) الجامعون هذه الاوصاف (هم الوارثون) الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله (الذين يرثون) من الكفار فى الحديث مامنكم من أحد الاوله منزلان منزل فى الجنة ومثلها فى النار فان مات ودخل الجنة ورث أهل النار منزله وان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله (الفردوس) هو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر وقال قطرب هو أعلى الجنان (هم فيها خالدون) أنت الفردوس بتأويل

فى الرجال خاصة لان المرأة لا يجوز لها أن تستمتع بفرج عموكها (فانهم غير ملومين) يعنى بعدم حفظه فرجه من امراته وأتمته فانه لا يلام على ذلك وانما لا يلام فيما اذا كان على وجه اذن فيه الشرع دون الاتيان فى غير المائى وفى حال الحيض والنفس فانه محذور فلا يجوز ومن فعله فانه ملوم (فن ابتغى وراء ذلك) أى التمس وطلب سوى الأزواج والولائد وهن الجوارى المملوكة (فاولئك هم العادون) أى الظالمون المجاوزون الحد من الحلال الى الحرام وفيه دليل على ان الاستمناء باليد حرام وهو قول أكثر العلماء سئل عطاء عنه فقال مكروه سمعت ان قوما يحتشرون وأيديهم حبالى فأظن انهم هؤلاء وقال سعيد بن جبير عذب الله أمة كانوا يعبتون بهذا كبرهم قوله عز وجل (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) أى حافظون ويحفظون ما ائتمنوا عليه والعقود التى عاقدوا والناس عليها يقومون بالوفاء بها والامانات تختلف فنها ما يكون بين العبد وبين الله تعالى كالصلاة والصوم وغسل الجنابة وسائر العبادات التى أوجبها الله تعالى على العباد فيجب الوفاء بجميعها ومنها ما يكون بين العباد كالودائع والصنائع والاسرار وغير ذلك فيجب الوفاء به أيضا (والذين هم على صلواتهم يحافظون) أى يداومون ويراعون أوقاتها واتمام أركانها وركوعها وسجودها وسائر شروطها فان قلت كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخر اقلت هما ذكران مختلفان فليس تكرار اوصافهم أولا بالخشوع فى الصلاة وآخر بالمحافظة عليها قوله عز وجل (أولئك) يعنى أهل هذه الصفة (هم الوارثون) يعنى يرثون منازل أهل النار من الجنة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد الاوله منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وذلك قوله تعالى أولئك هم الوارثون ذكره البغوى بغير سند وقيل معنى الورثة هو أن يؤل أمرهم الى الجنة وينالوها كما يؤل أمر الميراث الى الوارث (الذين يرثون الفردوس) هو أعلى الجنة عن عبادته بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الاربعه ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس أخرجه الترمذى (هم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها ولا يموتون قوله عز وجل (ولقد خلقنا الانسان) يعنى ولد آدم لان الانسان اسم جنس (من سلالة من طين) قال ابن عباس السلالة صفوة الماء وقيل هى المني لان النطفة تسلم من الظهر من طين يعنى طين آدم لان السلالة تولدت من طين خلق منه آدم وقيل المراد من الانسان هو آدم وقوله من سلالة أى سل من كل تربة (ثم جعلناه نطفة) يعنى الذى هو الانسان جعلناه نطفة (فى قرار مكين) أى حر يزو هو الرحم وسمى مكينا لاستقرار النطفة فيه الى وقت الولادة (ثم خلقنا النطفة علقة) أى صيرنا النطفة قطعة دم جامد (خلقنا العلقة مضغة) أى جعلنا الدم الجامد قطعة

(٤١ - خازن) - ثالث (الجنة) (ولقد خلقنا الانسان) أى آدم (من سلالة) من للابتداء والسلالة الخلاصة لانها تسلم من بين الكدر وقيل انما سمي التراب الذى خلق آدم منه سلالة لانه سل من كل تربة (من طين) من للبيان كقوله من الاوثان (ثم جعلناه) أى نسله خذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه لان آدم عليه السلام لم يصير نطفة وهو كقوله وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وقيل الانسان بنو آدم والسلالة النطفة والعرب تسمى النطفة سلالة أى ولقد خلقنا الانسان من سلالة يعنى من نطفة مساولة من طين أى من مخلوق من طين وهو آدم عليه السلام (نطفة) ماء قليل (فى قرار) مستقر يعنى الرحم (مكين) حصين (ثم خلقنا النطفة) أى صيرناها بدلالة تعديه الى مفعولين والخلق يتعدى الى مفعول واحد (علقة) قطعة دم والمعنى أحلنا النطفة البيضاء علقة حراء (خلقنا العلقة مضغة)

لما قدر ما يمتنع (خلقنا المصفة عظاما) فصيرناها عظاما (فكسونا العظام لحما) فانبتنا عليها اللحم فصار لها كاللباس
عظما العظم شامى وأبو بكر عظما العظام زيد عن يعقوب عظاما العظم عن أبي زيد وضع الواحد موضع الجمع لعدم اللبس اذا الانسان ذو عظام
كثيرة (ثم انشأناه) الضمير يعود الى الانسان أو الى المذكور (خلقنا آخر) أى خلقنا مابينا للخلق الاول حيث جعله حيوانا وكان جنادا
وناطقا وسميعا وبصيرا وكان بهذه الصفات ولهذا قلنا اذا غضب بيضة فافرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى
البيضة (فتبارك الله) فتعالى (٣٢٢) أمره في قدرته وعلمه (أحسن) بدل او خبر مبتدأ محذوف وليس بصفة لانه

نكرة وان أضيف لان
المضاف اليه عوض من
من (الخالقين) المقدرين
أى أحسن المقدرين
تقديرا فترك ذكر المميز
لدلالة الخالقين عليه وقيل
ان عبد الله بن سعد بن
أبي سرح كان يكتب
لنبي عليه السلام فنطاق
بذلك قبل املائه فقال له
رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكتب هكذا نزلت
فقال عبد الله ان كان
محمد نبيا يوحى اليه فانا
نبي يوحى الى فارندو لخلق
بمكة ثم أسلم يوم الفتح
وقيل هذه الحكاية غير
صحيحة لان ارتداده كان
بالمدينة وهذه السورة
مكية وقيل القائل عمر
أو معاذ رضى الله عنهما
(ثم انكم بعد ذلك) بعد
ما ذكرنا من أمركم
(لميتون) عند انقضاء
آجالكم (ثم انكم يوم
القيامة تبعثون) تعيون
للجزاء (ولقد خلقنا

لحم صغير (خلقنا المصفة عظاما فكسونا العظام لحما) وذلك لان اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة له قيل
ان بين كل خلق وخلق أربعين يوما (ثم انشأناه خلقا آخر) أى مابينا للخلق الاول قال ابن عباس هو نفخ
الروح فيه وقيل جعله حيوانا بعدما كان جنادا وناطقا بعدما كان أبكم وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان
أكبر وأودع باطنه وظاهره عجائب صنعه وغرائب فطره وعن ابن عباس قال ان ذلك تصرف أحواله بعد
الولادة من الاستهلال الى الرضاع الى القعود والقيام الى المشي الى الفطام الى أن يأكل ويشرب الى أن يبلغ
الحلم ويتقلب في البلاد الى ما بعدها (فتبارك الله) أى استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال (أحسن
الخالقين) أى المصورين والمقدرين فإن قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى الله خالق كل شئ
وقوله هل من خالق غير الله قلت الخلق له معان منها الاجاد والابداع ولا يوجد ولا مبدع الا الله تعالى ومنها
التقدير كما قال الشاعر ولانت تفرى ما خلقت وبمقتضى القوم يخلق ثم لا يفري
معناه أنت تقدر الامور وتقطعها وغيرك لا يفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الآية الله أحسن المقدرين
وجواب آخر وهو ان عيسى عليه الصلاة والسلام خلق طيرا وسمى نفسه خالقا بقوله انى اخلق لكم من
الطين كهية الطير قال فتبارك الله أحسن الخالقين (ثم انكم بعد ذلك) أى بعدما ذكر من تمام الخلق
(لميتون) أى عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) أى للحساب والجزاء وقوله عز وجل
(ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أى سبع سموات طرائق لان بعضها فوق بعض وقيل لانها طرائق
الملائكة فى الصعود والهبوط (وما كنا عن الخلق غافلين) أى بل كنا لهم حافظين من ان تسقط السماء
عليهم فتهلكهم وقيل معناه بينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل ما تركناهم
سدى بغيا أمر ونهى وقيل معناه انما خلقنا السماء فوقهم لتنزل عليهم الارزاق والبركات منها وقيل معناه
وما كنا عن الخلق غافلين أى عن أعمالهم وأقوالهم وضمائرهم لانحنى علينا خافية (وانزلنا من السماء ماء
بقدر) أى يعلمه الله من حاجتهم اليه وقيل يقدر ما يكفيهم لمعايشهم فى الزرع والغرس والشرب وأنواع
المنفعة (فأسكناه فى الارض) يعنى ما يبقى فى الغدران والمستنقعات مما يفتتح به الناس فى الصيف عند
انقطاع المطر قيل أسكناه فى الارض ثم أخرجناه منها ينابيع كالعيون والآبار فكل ماء فى الارض من السماء
(وانا على ذهابه لقادرون) وصح من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
سبعان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة أخرجه مسلم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار سيعون وجيعون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله
عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل استودعها
الجبال وأجرها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض
فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم

فوقكم سبع طرائق) جمع طريفة وهي السموات لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم (وما كنا عن
الخلق غافلين) أراد بالخلق السموات كانه قال خلقناها فوقكم وما كنا غافلين عن حفظها وأراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم
الارزاق والبركات منها وما كان غافلا عنهم وعميا صلحهم (وانزلنا من السماء ماء) مطرا (بقدر) بتقدير يسامون معه من المضرة ويصلون
الى المنفعة أو بمقدار ما علمنا من حاجاتهم (فأسكناه فى الارض) كقوله فسلكه ينابيع فى الارض وقيل جعلناه نباتا فى الارض فناء الارض
كله من السماء ثم استأدى شكرهم بقوله (وانا على ذهابه لقادرون) أى كما قدرنا على انزاله تقدر على اذبابه فقيدها هذه النعمة بالشكر

(فانشأنا لكم) بالماء (جنات من نخيل وأعناب لكم فيها) في الجنات (فواكه كثيرة) سوى النخيل والاعناب (ومنها ما يكون) أي من الجنات أي من ثمارها ويجوز أن هذا من قولهم فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يغتلبها أي انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعاشكم منها ترزقون وتعيشون (وشجرة) عطف على جنات وهي شجرة الزيتون (تخرج من طور سيناء) طور سيناء وطور سينين لا يخلو ما ان يضاف الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما أن يكون اسم الجبل صركبا من مضاف ومضاف اليه كما مر في القيس وهو جبل فلسطين وسيناء غير منصرف بكل حال مكسور السين كقراءة الحجازي وأبو عمر وللتعريف والحجامة أو مفتوحها كقراءة غيرهم لان الالف التأنيث كصحراء (تنتبت بالدهن) قال الزجاج (٣٢٣) الباء للحال أي تنتبت ومعها

الدهن تنتبت مكي وأبو عمر واما لان أنتبت بمعنى نتبت كقوله حتى اذا أنتبت البقل أولان مفعوله محذوف أي تنتبت زيتونها وفيه الدهن (وصبغ للآكلين) أي ادم لهم قال مقاتل جعل الله تعالى هذه اداما ودهنا فالادام الزيتون والدهن والزيت وقيل هو أزل شجرة نتبت بعد الطوفان وخص هذه الانواع الثلاثة لانها اكرم الشجرة وأفضلها وأجمعها للنافع (وان لكم في الانعام) جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم (لعبرة نسقيكم) وبفتح النون شامى ونافع وأبو بكر وسقى وأسقى لغتان (عما في بطونها) أي تخرج لكم من بطونها لبنا سائغا (ولكم فيها منافع كثيرة) سوى الالبان وهي منافع الاصصوف والاوزار

كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهابه لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء كلها من الارض فقد أهلها خير الدين والدنيا وروى هذا الحديث البغوي في تفسيره وقال روى هذا الحديث الامام الحسن بن سفيان ابن عثمان ابن سعيد بالا جازة عن سعيد بن سابق الاسكندراني عن مسعدة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس ثم ذكر ما أنتبت بالماء فقال تعالى (فانشأنا لكم به) أي بالماء (جنات) أي بساتين (من نخيل وأعناب) انما أفرد ههنا بالذكرة لكثرته منافعها فانهما يقومان مقام الطعام والادام والفواكه رطبا ويابساً (لكم فيها) أي في الجنات (فواكه كثيرة ومنها ما يكون) أي شتاء وصيفا (وشجرة) أي وأنشأنا لكم شجرة وهي الزيتون (تخرج من طور سيناء) أي من جبل مبارك وقيل من جبل حسن قيل هو بالنبطية وقيل بالحديثة وقيل بالسريانية ومعناه الجبل الملتف بالاشجار وقيل كل جبل فيه اشجار مشمرة يسمى سيناء وسينين وقيل هو من السناء وهو الارتفاع وهو الجبل الذي منه نودي موسى بين مصر وأيلة وقيل هو جبل فلسطين وقيل سيناء اسم حجارة بعينها أضيف الجبل اليها لوجودها عند هار وقيل هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل (تنتبت بالدهن) أي تنتبت وفيها الدهن وقيل تنتبت بثمر الدهن وهو الزيت (وصبغ للآكلين) الصبغ الادم الذي يكون مع الخبز يصبغ به جعل الله تعالى في هذه الشجرة المباركة ادم وهو الزيتون ودهنا وهو الزيت وخص جبل الطور بالزيتون لانه منه نشأ وقيل ان أول شجرة نتبت بعد الطوفان الزيتون وقيل انها تبقى في الارض نحو ثلاثة آلاف سنة قوله عز وجل (وان لكم في الانعام لعبرة) أي آية تعتبرون بها (نسقيكم عما في بطونها) أي ألبانها ووجه الاعتبار فيه ان اللبن يخلص الى الضرع من بين فرث ودم باذن الله تعالى ليس فيه شيء منهما فيستحيل الى الطهارة والى طعم يوافق الشهوة والطبع ويصير غذاء وتقدم بسط الكلام بما فيه كفاية في سورة النحل (ولكم فيها منافع كثيرة ومنها ما يكون) يعني كما تنتفعون بها وهي حية فكذلك تنتفعون بها بعد الذبح للاكل (وعليها) أي وعلى الابل (وعلى الفلك تحملون) أي على الابل في البر وعلى السفن في البحر قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) أي ما لكم معبود سواه (أفلاتتقون) أي أفلاتتخافون عقابه اذا عبدتم غيره (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم) أي آدمي مثلكم مشارك لكم في جميع الامور (يريد أن يتفضل عليكم) أي انه يحب الشرف والرياسة فيصير متبوعا واثم له تبع (ولو شاء الله لآتزل ملائكة) يعني ببلاغ الوحي (ما سمعنا بهذا) أي الذي بدعونا اليه نوح (في آياتنا الاولى ان

والاشعار) ومنها ما يكون) أي لحومها (وعليها) وعلى الانعام في البر (وعلى الفلك) في البحر (تحملون) في أسفاركم وهذا يشير الى ان المراد بالانعام الابل لانها هي المحمول عليها في العادة فلذا قرنها بالفلك التي هي السفن لانها سفن البر قال ذوا الرملة سفينة بر تحت خدي زمامها ير يدناقة (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله) وحدوه (ما لكم من اله) معبود (غيره) بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجري مجرى التعليل لا امر بالعبادة (أفلاتتقون) أفلاتتخافون عقوبة الله الذي هو ربكم وخالقكم اذا عبدتم غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) أي أشرفهم لعوامهم (ما هذا الا بشر مثلكم) يأكل ويشرب (يريد أن يتفضل عليكم) أي يطلب الفضل عليكم ويتأس (ولو شاء الله) ارسل رسول (لآتزل ملائكة) لارسل ملائكة (ما سمعنا بهذا) أي بارسال بشر رسولا أو بما أمرنا به من التوحيد وسب آلهتنا والعجب منهم انهم رضوا بالالوهية للحجر ولم يرضوا بالنبوة للبشر (في آياتنا الاولى ان

هو الأرجل به جنة) جنون (فقر بصوابه حتى حين) فانتظروا واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي أمره فان افاق من جنونه والافتتموه
 (قال رب انصرني بما كذبون) فلما أيس من ايمانهم دعاه الله بالتقام منهم والمعنى اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي اذ في نصرتي اهلاكم
 أو انصرني بدل ما كذبون كقولك هذا بذاك أي بدل ذلك والمعنى أبدلني من غم تكذيبهم سلوة النصر عليهم (فأوحينا اليه) أي أجبنا
 دعاه فأوحينا اليه (أن اصنع الفلك بأعيننا) أي تصنعه وأنت واتق بحفظ الله لك ورؤيته اياك أو بحفظنا وكلاءنا كان معك من الله
 حفاظا يكوّنك بعيونهم لئلا يتعرض لك ولا يفسد عليك مفسد عمالك ومنه قولهم عليه من الله عين كالثقة (ووحينا) أمرنا وتعليمنا اياك
 صنعنا روي أنه أوحى اليه أن يصنعها على مثال جوجوا الطائر (فاذا جاء أمرنا) أي عذابنا بأمرنا (وفار التنور) أي فار الماء من تنور الخبز
 أي أخرج سبب الفرق من موضع الحرق ليكون أبلغ في الانذار والاعتبار روي أنه قيل لنوح اذا رأيت الماء يفور من التنور فارك أنت
 ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور أخبرته أمر أنه فركب وكان تنور آدم فصار الى نوح وكان من حجارة واختلف في مكانه فقيل
 في مسجد الكوفة وقيل بالشام وقيل بالهند (فاسلك فيها) فادخل في السفينة (من كل زوجين) من كل أمة زوجين وهما أمة الذكروأمة
 الانثى كالجمال والنوق والحصن (٣٢٤) والرمالك (انثين) واحد من مزدوجين كالجمال والناقة والحصان والرمكة روي أنه لم يحمل

الا يلبس ويبيض من كل
 حفص والفضل أي من
 كل أمة زوجين انثين وانثين
 تأكيد وزيادة بيان
 (أهلك) ونساءك
 وأولادك (الامن سبق
 عليه القول) من الله
 باهلا كه وهو ابنة واحد
 زوجته غنيء بعل مع
 سبق الضار كما جىء باللام
 مع سبق النافع في قوله
 ولقد سبقت كتماننا لآياتنا
 المرسلين ونحوها لها ما
 كسبت وعليها ما اكتسبت
 (منهم ولا تخاطبني في الذين
 ظلموا انهم مغرقون) ولا
 تسألني نجاة الذين كفروا
 فاني أعرفهم (فاذا استويت

هو الأرجل به جنة) أي جنون (فقر بصوابه حتى حين) أي الى الموت قد ستر بحوامنه (قال رب انصرني
 بما كذبون) أي أعني باهلاكم بتكذيبهم اياي (فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا) أي بما رأينا
 قاله ابن عباس وقيل بعلمنا وحفظنا لئلا يتعرض له أحد ولا يفسد عليه عمله (ووحينا) قيل ان جبريل
 علمه عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها (فاذا جاء أمرنا) أي عذابنا (وفار التنور) قيل هو التنور الذي
 يخبر فيه وكان من حجارة وقيل التنور هو وجه الارض والمعنى انك اذا رأيت الماء يفور من التنور (فاسلك
 فيها) أي فادخل في السفينة (من كل زوجين انثين) أي من كل حيوان ذكر وانثى (وأهلك) أي وسائر
 من آمن بك (الامن سبق عليه القول) أي وجب عليه العذاب (منهم) يعني الكفار وقيل أراد باهله
 أهل بيته خاصة والذي سبق عليه القول منهم هو ابنة كنعان (ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم
 مغرقون) قوله عز وجل (فاذا استويت) أي اعتدلت (أنت ومن معك على الفلك) أي في السفينة
 (فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) أي الكافرين (وقل رب أنزلني منزلا مباركا) قيل موضع
 النزول وهو السفينة عند الركوب وقيل هو وجه الارض بعد الخروج من السفينة وأراد بالبركة النجاة
 من انغرق وكثرة النسل بعد الانجاء (وأنت خير المنزلين) معناه أنه قد يكون الانزال من غير الله كما
 يكون من الله فحسن أن يقول وأنت خير المنزلين لأنه يحفظ من أنزله ويكافئه في سائر أحواله ويدفع عنه
 المكروه بخلاف منزل الضيف فإنه لا يقدر على ذلك (ان في ذلك) أي الذي ذكر من أمر نوح
 والسفينة واهلاك أعداء الله (آيات) أي دلالات على قدرتنا (وان كنا) أي وما كنا (لمبتلين)
 أي المختبرين اياهم بارسال نوح ووعظه وتذكيره لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم (وقوله تعالى
 ثم أنشأنا من بعدهم) أي من بعدهم (قرنا آخرين) يعني عادا (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) يعني

أنت ومن معك على الفلك) فاذا تمكنتم عليها راكبين (فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) أمر بالجد على
 هلاكهم والنجاة منهم ولم يقل فقولوا وان كان فاذا استويت أنت ومن معك في معنى اذا استويت لأنه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع
 ما فيه من الانعاز بفضل النبوة (وقل) حين ركبت على السفينة أوحين خرجت منها (رب أنزلني منزلا) أي انزالا أو موضع انزال منزلا
 أبو بكر أي مكانا (مباركا) أنت خير المنزلين) والبركة في السفينة النجاة فيها وبعد الخروج منها كثرة النسل وتتابع الخيرات (ان في ذلك)
 فيها فعل نوح وقومه (آيات) لعبر او مواعظ (وان) هي الخففة من المثقلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان الشأن والقصة
 (كالمبتلين) مصيبين قوم نوح بلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر قوله تعالى ولقد
 تركنا آية فهل من مدكر (ثم أنشأنا) خلقنا (من بعدهم) من بعد قوم نوح (قرنا آخرين) هم عاد قوم هود ويشهد له قول هود
 واذا كروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وجيء قصة هود على أثر قصة نوح في الاعراف وهو دوال شعراء (فأرسلنا فيهم) الارسال
 يعدي بالي ولم يعدني هنا في قوله كذلك أرسلناك في أمة وما أرسلنا في قبيلة من قبيلة الا رسالا كقول ربيعة
 أرسلت فيها مصعبا اذا احكام (رسولا) هو هود (منهم) من قومهم

(أن اعبدوا الله ما لكم من الله غيره أفلاتتمون) ان مفسرة لارسلنا أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله (وقال الملا من قومه) ذكره مقالة قوم هو في جوابه في الاعراف وهو دبير اولادنه على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت وههنا مع الواو لانه عطف لما قالوه على ما قاله الرسول ومعناه أنه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وليس بجواب للنبي صلى الله عليه وسلم متصل بكلامه ولم يكن بالفاء وجي بالفاء في قصة نوح لانه جواب لقوله واقع عقيبه (الذين كفروا) صفة للملا أو قومه (وكذبوا بقاء الآخرة) أي بقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك (وأترفناهم) ونعمناهم (في الحياة الدنيا) بكثرة الاموال والاولاد (ما هذا) أي النبي (الابشر مثلكم) أي كل عاتنا كلون منه ويشرب مما تشربون) أي منه خذف للدلالة ما قبله عليه أي من أين يدعي رسالة الله من بينكم وهو مثلكم (ولئن أطعتم بشرًا مثلكم) أي فيما يأمركم به وينهاكم عنه (انكم اذا) واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قالوا لوهم من قومهم (الخاسرون) بالانقياد لثلكم ومن حقهم انهم ابوا اتباع مثلهم وعبدوا أعجز منهم (أي بعدكم انكم اذاتم) بالكسر نافع وحزة وعلى وحفص وغيرهم بالضم (وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون) مبعوثون للسؤال والحساب والثواب والعقاب وثني انكم لتأ كيد وحسن ذلك للفصل بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول والتقدير أي بعدكم انكم مخرجون (٣٢٥) اذاتم وكنتم ترابا وعظاما (هيهات هيهات) وبكسر التاء يزيد

وروي عنه بالكسر والتثوين فيهما والكسائي يقف بالهاء وغيره بالتاء وهو اسم للفعل واقع موقع بعد فاعلها مضمرة أي بعد التصديق أو الوقوع (لما توعدون) من العذاب أو فاعلها ما توعدون واللام زائدة أي بعد ما توعدون من البعث (ان هي) هذا ضمير لا يعلم ما يعني به الا بما يتلوه من بيانه وأصله ان الحياة (الحياتنا الدنيا) ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها وبينها والمعنى لا حياة الا هذه

هو دا قاله أكثر المفسرين وقيل القرن ثم هو الرسول صالح والاول أصح (أن اعبدوا الله ما لكم من الله غيره أفلاتتمون) أي هذه الطريقة التي أتم عليها مخافة العذاب (وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بقاء الآخرة) أي بالمصير اليها (وأترفناهم) أي نعمناهم ووسعنا عليهم (في الحياة الدنيا ما هذا الابشر مثلكم) أي كل عاتنا كلون منه ويشرب مما تشربون) أي من مشربكم (ولئن أطعتم بشرًا مثلكم انكم اذا لخاسرون) أي لمغبونون (أي بعدكم انكم اذاتم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون) أي من قبوركم أحياء (هيهات هيهات) قال ابن عباس أي بعيد بعيد (لما توعدون) استبعد القوم عنهم بعد الموت اغفالا منهم للتفكير في بدء أمرهم وقدرة الله على ايجادهم وأرادوا بهذا الاستبعاد انه لا يكون أبدا (ان هي الاحياتنا الدنيا يموت ونحيا) قيل معناه نحيا ونموت لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل يموت الآباء ويحيا الابناء وقيل معناه يموت قوم ويحيا قوم (وما نحن بمبعوثين) أي بعد الموت (ان هو) يعنون رسولهم (الارجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين) أي بمصدقين بالبعث بعد الموت (قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن) أي ليصيرن (نادمين) على كفرهم وتكذيبهم (فاخذتهم الصيحة بالحق) يعني صيحة العذاب وقيل صاح بهم جبريل فتصدت قلوبهم وقيل أراد بالصيحة الهلاك (جعلناهم غشاء) هو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكي فيسوا ويس الغشاء من نبات الارض (فبعدا) أي الزمان بعدا من الرحمة (للقوم الظالمين) قوله عز وجل (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) أي أقواما آخرين (ما تسبق من أمة أجلها) أي وقت هلاكها (وما يستأخرون) أي عن وقت هلاكهم (ثم أرسلنا رسلا تترى) أي مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لان بين كل رسولين زمانا طويلا

الحياة التي نحن فيها وندت منا وهذا لان النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لالتى لنتى الجنس (نموت ونحيا) أي يموت بعض ويولد بعض بنقرض قرن فيأتي قرن آخر أو فيه تقديم وتأخير أي نحيا ونموت وهو قراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت (ان هو الارجل افترى على الله كذبا) أي ما هو الامر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يبعدنا من البعث (وما نحن له بمؤمنين) بمصدقين (قال رب انصرني بما كذبون) فاجاب الله دعاء الرسول بقوله (قال عما قليل) قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رأيت قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما زائدة أو بمعنى شيء أو زمن وقيل بدل منها وجواب القسم المحذوف (ليصبحن نادمين) اذا عاينوا ما يحل بهم (فاخذتهم الصيحة) أي صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم (بالحق) بالعدل من الله يقال فلان يقضى بالحق أي بالعدل (جعلناهم غشاء) شبههم في دمارهم بالغشاء وهو حيل السيل مما يلي واسود من الورق والعيدان (فبعدا) فهلاكها يقال بعد بعدا أو بعد أي هلك وهو من المصادر المنصوبة بافعال لا يستعمل اظهارها (للقوم الظالمين) بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (ما تسبق من أمة) من صلاة أي ما تسبق أمة (أجلها) المكتوب لها والوقت الذي حد هلاكها وكتب (وما يستأخرون) لا يتأخرون عنه (ثم أرسلنا رسلا تترى) فعلى والالف للتأنيث كسكري لان

الرسول جماعة ولذا لا ينون لأنه غير منصرف تترى بالتسوية من مكى وأبو عمرو ويزيد على أن الالف اللاحق كارطى وهو نصب على الحال في القراءتين أى متتابعين واحدا بعد واحد وناؤه فيها بدل من الواو والاصل وتترى من الوتر وهو الفرد فقلبت الواو ناء كترات (كلمة جاء أمة رسوفا كذبوه) الرسول يلابس المرسل والمرسل اليه والاضافة تكون بالملاسة فتصح اضافته اليهما (فاتبعنا) الامم والقرون (بعضهم بعضا) في الاهلاك (وجعلناهم احاديث) اخبار ايسمع بها ويتعجب منها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث النبي عليه الصلاة والسلام وتكون جمع للاحدوث وهو ما يتحدث به الناس تلهيا وتجباه وهو المراد هنا (فبعد القوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون) بدل من أخاه (باياتنا) التسع (وسلطان مبین) وشجة ظاهرة (الى فرعون وملئه فاستكبروا) امتنعوا عن قبول الايمان ترفعا وتكبرا (وكانوا قوما عالين) متكبرين مترفعين (فقالوا انؤمن لبشر ين مثلنا) البشر يكون واحدا وجمعوا مثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث (وقومهما) (۳۲۶) أى بنو اسرائيل (لنا عابدون) خاضعون مطيعون وكل من دان

لملك فهو عابده عند العرب (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) بانفرق (واقعد آتينا موسى) أى قوم موسى (الكتاب) التوراة (لعلهم يهدون) يعملون بشرائعها ومواعظها (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) يدل على قدرتنا على ما نشاء لانه خلق من غير نطفة وحدا لان العجوبة فيهما واحدة أو المراد وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية خذفت الاولى للدلالة الثانية عليها (وأويناهما) جعلنا ما وهما أى منزلهما (الى ربوة) شامى وعاصم ربوة غيرهما أى أرض مرتفعة وهى بيت المقدس أو

(كلمة جاء أمة رسوفا كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا) أى بالهلاك فاهلكنا بعضهم فى أثر بعض (وجعلناهم احاديث) أى سمرا ووقصا يتحدث من بعدهم بامرهم وشأنهم (فبعد القوم لا يؤمنون) قوله تعالى (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون باياتنا وسلطان مبين) أى بحجة بينة كالعصا والسيد وغيرهما (الى فرعون وملئه فاستكبروا) أى تعظموا عن الايمان (وكانوا قوما عالين) أى متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم (فقالوا) يعنى فرعون وقومه (أنؤمن لبشر ين مثلنا) يعنون موسى وهرون (وقومهما لنا عابدون) أى مطيعون متذللون (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) أى بالفرق (واقعد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (لعلهم يهدون) أى لىكى يهتدى به قومه قوله عز وجل (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) أى دلالة على قدرتنا لانه خلقه من غير ذكروا نطقه فى المهد فان قلت لم قال آية ولم يقل آيتين قلت معناه جعلنا شأنهما آية لان عيسى ولد من غير ذكروا كذلك مريم ولدت من غير ذكروا فاشتركا فى هذه الآية فكانت آية واحدة (وأويناهما الى ربوة) أى مكان مرتفع قيل هى دمشق وقيل هى الرملة وقيل أرض فلسطين وقال ابن عباس هى بيت المقدس قال كعب بن مالك المقدمس أقرب الارض الى السماء بنائىة عشر ميلا وقيل هى مصر وسبب اليباء انها فرت بابنها اليها وقوله (ذات قرار) أى منبسطة واسعة يستقر عليها كسوها (ومعين) هو الماء الجارى الذى تراه العيون قوله تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) قيل أراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وحده وقيل أراد به عيسى عليه السلام وقيل أراد جميع الرسل وأراد بالطيبات الحلال (واعملوا الصالحات) أى استقيموا على ما يوجبه الشرع (انى بما تعملون عليم) فيه تحذير من مخالفة ما أمرهم به واذا كان الرسل مع علوشأنهم كذلك فلان يكون تحذير الغيرهم أولى لما روى عن أنى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى طيب لا يقبل الاطيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا أيها الذين آمنوا آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يابى بارب ومطعمه حرام ومشر به حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك أخرجه مسلم قوله

دمشق أو الرملة أو مصر (ذات قرار) مستقر من أرض مستوية

عز

منبسطة أو ذات ثمار وما يعنى انه لاجل الثمار يستقر فيها كسوها (ومعين) وماء ظاهر جار على وجه الارض أو انه مفعول أى مدرك بالعين بظهوره من عانه اذا ذكره بعينه أو فاعيل لانه نفاع بظهوره وجر به من المساعون وهو المنفعة (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) هذا النداء والخطاب ليس على ظاهرهما لانهم أرسلوا متفرقين فى ازمئة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول فى زمانه نودى بذلك ووصى به ليعتقد السامع ان امر نودى له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه وهو خطاب لمحمد عليه الصلاة والسلام لفضله وقيامه مقام الكل فى زمانه وكان يأكل من الغنم ولعيسى عليه السلام لانصال الآية بذكروه وكان يأكل من غزل أمه وهو طيب الطيبات والمراد بالطيبات ما حل والامر للتكليف أو ما يستطاب ويستلذ والامر للترفيه والاباحة (واعملوا الصالحات) موافقا للشرعية (انى بما تعملون عليم) فاجاز يكمل على أعمالكم

(وان هذه) كوفي على الاستئناف وان عجازي و بصرى بمعنى ولان أى فاتفقون لان هذه أو معطوف على ما قبله أى بما تعملون عليهم وبان هذه أو تقديره واعلموا أن هذه (أمتكم) أى ملتكم وشر يعتكم التى أتم عليها (أمة واحدة) ملة واحدة وهى شريعة الاسلام واتصاب أمة على الحال والمعنى وان الدين دين واحد وهو الاسلام ومثله ان الدين عند الله الاسلام (وأنا ربكم) وحدى (فاتقون) خافوا عقابى فى مخالفتكم أمرى (فتقطعوا أمرهم بينهم) تقطع بمعنى قطع أى قطعوا أمر دينهم (زبرا) جمع زبور أى كتباً مختلفة يعنى جعلوا دينهم أديانا وقيل تفرقوا فى دينهم فراق كل فرقة تفتحل كتابا وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعوا حرفه وقرئ زبرا جمع زبرة أى قطعاً (كل حزب) كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المقطعين دينهم (بما لديهم) من الكتاب أو الدين أو من الهوى والرأى (فرحون) مسرورون معتقدون انهم على الحق (فذرهم فى غمرتهم) جهالتهم وغفلتهم (حتى حين) أى الى أن يقتلوا أو يموتوا (أبحسبون اننا نمدهم

به من مال وبنين) ما بمعنى الذى وخبران (نسارع لهم فى الخيرات) والعائد من خبران الى اسمها محذوف أى نسارع لهم به والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصى وهم يحسبون به مسارعة لهم فى الخيرات ومعالجة بالثواب جزاء على حسن صديعهم وهذه الآية حجة على المعتزلة فى مسألة الاصلح لانهم يقولون ان الله لا يفعل بأحد من الخلق الا ما هو اصلح له فى الدين وقد أخبر ان ذلك ليس بخبر لهم فى الدين ولا اصلح (بل لا يشعرون) بل استدراك لقوله أبحسبون أى انهم اشباه الهمم لا شعور لهم حتى يتأملوا فى ذلك انه استدراج أو مسارعة فى الخير ثم بين ذكر أولياته

عز وجل (وان هذه أمتكم) أى ملتكم وشر يعتكم التى أتم عليها (أمة واحدة) أى ملة واحدة وهى الاسلام (وأنا ربكم فاتقون) أى فاحذرون وقيل معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين قبلكم فامرتم واحد وأنا ربكم فاتقون (فتقطعوا) أى تفرقوا فصاروا فرقا يهودا ونصارى ومجوسا وغير ذلك من الاديان المختلفة (أمرهم) أى دينهم (بينهم زبرا) أى فرقا وكتبا مختلفة وقيل معنى زبرا أى كتباً والمعنى تمسك كل قوم بكتاب فآمنوا به وكفروا بما سواه من الكتب (كل حزب بما لديهم فرحون) أى مسرورون محبون بما عندهم من الدين (فذرهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (فى غمرتهم) قال ابن عباس فى كفرهم وضلاتهم وقيل فى عميائتهم وغفلتهم (حتى حين) أى الى أن يموتوا (أبحسبون اننا نمدهم به من مال وبنين) أى مانعطيهم ونجعل لهم مدادا من المال والبنين فى الدنيا (نسارع لهم فى الخيرات) أى نجعل لهم ذلك فى الخيرات ونقدمه ثوابا لأعمالهم لمرضاة عنهم (بل لا يشعرون) أى ان ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعة فى الخيرات فقال تعالى (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أى خائفون والمعنى ان المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه قال الحسن البصرى المؤمن نجح احسانا وخشية والمنافق جمع اساءة وأمنا (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أى يصدقون (والذين هم بربهم لا يشركون) والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقيل معناه يعملون ما عملوا من أعمال البر (وقلوبهم رجلة) أى خائفة ان ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وان أعمالهم لا تقبل منهم (أنهم الى ربهم راجعون) أى انهم يوقنون انهم الى الله صابرون قال الحسن عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا ان ترد عليهم * عن عائشة قالت قلت يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم ورجلة أهدم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يابنت الصديق ولكن هم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون أن لا يقبل منهم أولئك يسارعون فى الخيرات أخرجه الترمذى ٥٥٥٥ وقوله (أولئك يسارعون فى الخيرات) أى يبادرون الى الاعمال الصالحة (وهم لها سابقون) أى اليها وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الامم الى الخيرات ٥٥٥٦ قوله عز وجل (ولانكاف نفسا لاوسعها) أى طاقتها من الاعمال فن لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم فليفطر وليقض (ولدينا كتاب) هو اللوح المحفوظ (ينطق بالحق) أى يبين الصدق والمعنى قد أثبتنا عمل كل عامل فى اللوح المحفوظ فهو ينطق به ويبينه وقيل هو كتاب أعمال العباد التى تكتبها الحفظة (وهم لا يظلمون) أى لا ينقص من حسناتهم ولا

فقال (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أى خائفون (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أى يكتب الله كلها لا يفرقون بين كتب كالذين تقطعوا أمرهم بينهم وهم أهل الكتاب (والذين هم بربهم لا يشركون) كمشركى العرب (والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقرئ يؤتون ما آتوا بالقصر أى يفعلون ما فعلوا (وقلوبهم رجلة) خائفة أن لا تقبل منهم لتقصيرهم (انهم الى ربهم راجعون) الجمهور على أن التقدير لانهم وخبران الذين (أولئك يسارعون فى الخيرات) يرغبون فى الطاعات فيبادرونها (وهم لها سابقون) أى لاجل الخيرات سابقون الى الجنات أو لاجلها سبقوا الناس (ولانكاف نفسا لاوسعها) أى طاقتها يعنى ان الذى وصف به الصالحون غير خارج عن حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وهو رد على من جوز تكليف ما لا يطاق (ولدينا كتاب) أى اللوح أو صحيفة الاعمال (ينطق بالحق وهم لا يظلمون) لا يقرؤن منه يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم

أحد بزيادة عقاب أو نقصان ثواب أو بتكليف ما لا وسع له به (بل قلوبهم في غمرة من هذا) بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها ما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين (ولهم أعمال من دون ذلك) أي ولهم أعمال خبيثة متجاوزة متخطية لذلك أي لما وصف به المؤمنون (هم لها عاملون) وعليها مقيمون لا يظفون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب (حتى إذا أخذنا مترفيهم) متعميهم (بالعذاب) عذاب الدنيا وهو القحط سبع سنين حين دعاء عليهم النبي عليه الصلاة والسلام أو قتلهم يوم بدر وحتى هي التي يبدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية (إذا هم يجأرون) يصرخون استغاثة والجوار الصراخ باستغاثة فيقال لهم (لا تجأروا اليوم) فإن الجوار غير نافع لكم (انكم منا لا تنصرون) أي من جهتنا لا يلحقكم نصر أو معونة (فدكانت آياتي تلي عليكم) أي القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) ترجعون القهقري والنكوص أن يرجع (٣٢٨) القهقري وهو أفتح مشية لأنه لا يرى ما وراءه (متكبرين) متكبرين على

بزاد على سيئاتهم ثم ذكر الكفار فقال تعالى (بل قلوبهم في غمرة من هذا) أي غفلة وجهالة (من هذا) أي القرآن (ولهم أعمال) أي للكفار أعمال خبيثة من المعاصي والخطايا محكومة عليهم (من دون ذلك) يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله في قوله إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون (هم) يعني الكفار (طما) أي لتلك الأعمال الخبيثة (عاملون) أي لا بد لهم من أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم في الأزل من الشقاوة (حتى إذا أخذنا مترفيهم) أي رؤساءهم وأغنياءهم (بالعذاب) قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعاء عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعل عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الكلاب والجيف (إذا هم يجأرون) أي يصيحون ويستغيثون ويجزعون (لا تجأروا اليوم) أي لا تجزعوا ولا تضجوا اليوم (انكم منا لا تنصرون) أي لا تمنعون منا ولا ينفعكم نصر عكم (فدكانت آياتي تلي عليكم) يعني القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) أي ترجعون القهقري وتأخرون عن الإيمان (متكبرين به) قال ابن عباس أي بالبيت الحرم كناية عن غير مذكور أي مستعظمين بالبيت وذلك أنهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحد أفيؤمنون فيه وسائر الناس في الخوف وقيل متكبرين به أي بالقرآن فلم يؤمنوا به والقول الأول أظهر (سامرا) يعني أنهم يسمرون بالليل حول البيت وكان عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا ونحو ذلك من القول فيه وفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله (تهجرون) من الأهجار وهو الإغشاش في القول وقيل معنى تهجرون تعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الإيمان به وبالقرآن وقيل هو من الطجر وهو القول القبيح أي تهدون وتقولون ما لا تعلمون (أفلم يدبروا القول) يعني أفلم يتدبروا ما جاءهم من القرآن فيعتبروا بما فيه من الدلالات الواضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين) يعني فأنكروا برؤسائهم الذين قبلهم رسلا إلى قومهم فكذلك بعنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (أم لم يعرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم له منكرون) قال ابن عباس أليس قد عرفوا محمد صلى الله عليه وسلم صغيرا وكبيرا وعرفوا نبيه وصدقته وأمانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الأعراض عنه بعدما عرفوه بالصدق والأمانة (أم يقولون به جنة) أي جنون وأيس هو كذلك (بل جاءهم بالحق) أي بالصدق والقول الذي لا تخفى صحته وحسنه على عاقل (وأكثرهم للحق كارهون) قوله عز وجل (ولو اتبع الحق أهواءهم) قيل الحق هو الله تعالى والمعنى ولو

المسلمين حال من تنكصون (به) بالبيت أو بالحرم لأنهم يقولون لا يظهر علينا أحد لأننا أهل الحرم والذي سوغ هذا الأضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت أو بآياتي لأنها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن متكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته أو يتعلق الباء بقوله (سامرا) تسمرون بذكر القرآن وبالظعن فيسه وكانوا يجتمعون حول البيت يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا والسامر نحو الحاضر في الإطلاق على الجمع وقرئ سارا أو بوقوله (تهجرون) وهو من الطجر الهديان

تهجرون نافع من أهجر في منطقه إذا أخش (أفلم يدبروا القول) أفلم يتدبروا القرآن ليعلموا أنه الحق المبين فيصدقوا به ومن جاء به (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين) بل جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين فلذلك أنكروه واستبدعوه (أم لم يعرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم له منكرون) محمد بالصدق والأمانة ووفور العقل وصحة النسب وحسن الأخلاق أي عرفوا بهذه الصفات (فهم له منكرون) بغيا وحسدا (أم يقولون به جنة) جنون وأيس كذلك لأنهم يعلمون أنه أوجههم عقلا وأثقيهم ذهنا (بل جاءهم بالحق) الأبلغ والصراط المستقيم وبما خالف شهواتهم وأهواءهم وهو التوحيد والاسلام ولم يجدوا له مردا ولا مدافعا فلذلك نسبوه إلى جنون (وأكثرهم للحق كارهون) وفيه دليل على أن أفعالهم ما كان كارهها للحق بل كان تاركا للإيمان به أنفة واستنكافا من توبيخ قومهم وإن يقولوا صبا وترك دين آباءه كابي طالب (ولو اتبع الحق) أي الله (أهواءهم) فبما يعتقدون من الآلهة

(لفسدت السموات والارض) كما قال لو كان فيما آلهة الا الله لفسدنا (ومن فيهن) خص العقلاء بالذ كر لان غيرهم تبع (بل أتيناهم
 بذ كرههم) بالكتاب الذي هو ذ كرههم أي وعظهم أو شرفهم لان الرسول منهم والقرآن بلغتهم أو بالذ كر الذي كانوا يمتنون ويقولون لو أن
 عندنا ذ كرا من الاولين الآية (فهم عن ذ كرههم معرضون) بسوء اختيارهم (أم تسألهم خراجا ربحك خير) حجازي و بصرى
 وعاصم خراجا على وجزة شامي خراجا فخرج وهو ما نخرجه الى الامام من زكاة أرضك والى كل عامل من أجرته وجعله والخرج أخص
 من الخراج تقول خراج القرية وخرج الكوفة فزيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذا حسنت القراءة الاولى بمعنى أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا
 من عطاء الخلق قال كثير من الخالق خير (وهو خير الرازيين) أفضل المعطين (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) وهو دين الاسلام
 تحقيق أن يستجيبوا لك (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كيون) لعادلون عن هذا الصراط المذكور وهو الصراط
 المستقيم (ولو رجناهم وكشفنا ما بهم من ضر) لما أخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 له أنشدك الله والرحم ألت تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فزلت الآية والمعنى لو كشف
 الله عنهم هذا الضر وهو القحط الذي أصابهم برحمته لهم ووجدوا الخصب (للجوا) أي لتنادوا (في طغيانهم

يعمهمون) يترددون يعني
 لعادوا الى ما كانوا عليه
 من الاستكبار وعداوة
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم والمؤمنين ولذهب
 عنهم هذا التعلق بين يديه
 (ولقد أخذناهم بالعذاب
 فما استكانوا لربهم وما
 يتضرعون) استشهد
 على ذلك باننا أخذناهم
 أولا بالسيف و بما جرى
 عليهم يوم بدر من قتل
 صناديدهم وأسرههم فما
 وجدت بعد ذلك منهم
 استكانة أي خضوع ولا
 تضرع وقوله وما يتضرعون
 عبارة عن دوام حالهم أي

أتبع الله صراطهم فيما يفعل وقيل لوسمى لنفسه شر يكا وولدا كما يقولون وقيل الحق هو القرآن أي لو نزل
 القرآن بما يحبون وما يعتقدون (لفسدت السموات والارض ومن فيهن) أي لفسد العالم (بل أتيناهم
 بذ كرههم) قال ابن عباس بما فيه شرفهم وخرهم وهو القرآن (فهم عن ذ كرههم) أي شرفهم (معرضون
 أم تسألهم) أي على ما جئتهم به (خرجا) أي أجرا وجعلا (خراج ربحك خير) أي ما يعطيك الله من رزقه وثوابه
 خير (وهو خير الرازيين) تقدم تفسيره (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) أي الى دين الاسلام (وان
 الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) أي عن دين الحق (لنا كيون) أي لعادلون عنه وما تلون (ولو
 رجناهم وكشفنا ما بهم من ضر) أي قحط وجدوبة (للجوا) أي لتنادوا (في طغيانهم يعمهون) أي لم
 ينزعوا عنه (ولقد أخذناهم بالعذاب) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش أن يجعل الله عليهم
 سنين كسنى يوسف فأصابهم القحط فجاء أبو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم
 ألت تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال انهم قدأ كوا القذ والعظام وشكاليه الضرفادع الله أن
 يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فانزل الله هذه الآية (فما استكانوا لربهم) أي ما خضعوا وما ذلوا
 لربهم (وما يتضرعون) أي لم يتضرعوا الى ربهم بل مضوا على تمردهم (حتى اذا فتحنا عليهم بابا اذا عذاب
 شديد) قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة (اذا هم فيه مبلسون) أي
 آيسون من كل خير ﴿ قوله عز وجل (وهو الذي أنشأكم السمع والابصار والافتدة) أي لتسمعوا بها
 وتبصروا وتعلموا (قليلا ما تشكرون) أي لم تشكروا هذه النعم (وهو الذي ذرأكم في الارض) أي خلقكم
 (واليه تحشرون) أي تبغثون (وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار) أي تدبر الليل والنهار

(٤٢ - (خازن) - ثالث)

وهم على ذلك بعد ولذالم يقل وما تضرعوا ووزن استكان
 استفعل من الكون أي اتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا اتقل من حال الى حال (حتى اذا فتحنا) فتحنا يزيد (عليهم بابا اذا
 عذاب شديد) أي باب الجوع الذي هو أشد من الاسر والقتل (اذا هم فيه مبلسون) متحيرون آيسون من كل خير وجاء أعتاهم وأشدهم
 شكيمة في العناد استعطفك أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فارؤى فيهم اين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم حينئذ
 يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون (وهو الذي أنشأكم السمع والابصار والافتدة) خصها بالذ كر لانها يتعلق بها من
 المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها (قليلا ما تشكرون) أي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأ كيد بمعنى حقا والمعنى انكم لم
 تعرفوا اعظم هذه النعم ووضعت موها غير مواضعها فلم تعملوا ابصاركم وأسماعكم في آيات الله وأفعاله ولم تستدلوا بقلوبكم فتعرفوا المنعم ولم
 تشكروا له شيئا (وهو الذي ذرأكم) خلقكم وبشكم بالتناسل (في الارض واليه تحشرون) تجتمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وهو الذي
 يحيي ويميت) أي يحيي النسم بالانشاء ويميت بالافناء (وله اختلاف الليل والنهار) أي يحيي وأحد هما عقيب الآخر واختلافهما في الظلمة
 والنور وفي الزيادة والنقصان وهو مختص به ولا يقدر على تضرع يفهما غيره

(أفلا تعقلون) فتعرفوا قدرتنا على البعث أو فتستدلوا بالصنع على الصانع فتؤمنوا (بل قالوا) أي أهل مكة (مثل ما قال الأولون) أي الكفار
 قبلهم ثم بين ما قالوا بقوله (قالوا أنذامتنا وكناترابا وعظاما أننا لمبعوثون) متنا نافع وحزة وعلى وحفص (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا)
 أي البعث (من قبل) محي محمد (ان هذا الأساطير الأولين) جمع أساطير جمع سطر وهي ما كتبه الأولون مما لا حقيقة له وجمع أسطورا وفق
 ثم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بإقامة الحججة على المشركين بقوله (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون) فانهم (سيقولون لله) لانهم
 مقرون بانه الخالق فاذا قالوا (قل أفلا تذكرون) فتعلموا أن من فطر الأرض ومن فيها كان قادرا على إعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك
 به به من خلقه في الربوبية أفلا تذكرون بال تخفيف حمزة وعلى وحفص وبالتشديد غيرهم (قل من رب السموات السبع ورب العرش
 العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) أفلا تخافونه فلا تشركوا به أو أفلا تتقون في بخودكم قدرته على البعث مع اعترافكم بقدرته على خلق
 هذه الاشياء (قل من بيده ملكوت كل شيء) الملك والواد والتاء للبالغة فتنبى عن عظيم الملك (وهو

يحيى ولا يجار عليه ان كنتم
 تعلمون) أجزت فلانا
 على فلان اذا أغثته منه
 ومنعته يعنى وهو يعيث
 من يشاء من يشاء ولا
 يعيث أحد منه أحدا
 (سيقولون لله قل فاني
 تسحرون) تخدعون عن
 الحق أو عن توحيد
 وطاعته والخادع هو
 الشيطان والظوى الأول
 لله بالاجماع اذا السؤال لمن
 وكذا الثاني والثالث عند
 غير أهل البصرة على المعنى
 لانك اذا قلت من رب هذا
 فعناه لمن هذا فيجيب
 لفلان كقول الشاعر
 اذا قيل من رب المزالق
 والقرى ورب الجياد
 الجردة قيل خالد أي لمن

في الزيادة والنقصان وقيل جعلها مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض (أفلا تعقلون) أي
 ما ترون من صنعه فتعتبروا (بل قالوا مثل ما قال الأولون) أي كذبوا كما كذب الأولون وقيل معناه أنكروا
 البعث مثل ما أنكروا الأولون مع وضوح الأدلة (قالوا أنذامتنا وكناترابا وعظاما أننا لمبعوثون) أي لمحشورون
 قالوا ذلك على طريق الإنكار والتعجب (لقد وعدنا نحن) أي هذا الوعد (وآباؤنا هذا من قبل) أي وعد
 آباءنا قوم ذكروا انهم رسل الله فلم نزله حقيقة (ان هذا الأساطير الأولين) أي أكاذيب الأولين قوله
 تعالى (قل) أي يا محمد لاهل مكة (لمن الأرض ومن فيها) من الخلق (ان كنتم تعلمون) أي خالقهم وأموالكم
 (سيقولون لله) أي لا بد لهم من ذلك لانهم يقرون انها مخلوقة لله (قل) أي قل لهم يا محمد اذا أقروا بذلك (أفلا
 تذكرون) أي فتعلموا ان من قدر على خلق الأرض ومن فيها ابتداء يقدر على احيائهم بعد الموت (قل
 من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) أي عبادة غيره وقيل معناه أفلا
 تحذرون عقابه (قل من بيده ملكوت كل شيء) أي ملك كل شيء (وهو محيى) أي يؤمن من يشاء (ولا يجار
 عليه) أي لا يؤمن من أخافه الله وقيل يمنع هو من يشاء من السوء ولا يمنع منه من أراد به سوء (ان كنتم
 تعلمون) أي فاجيبوا (سيقولون لله قل فاني تسحرون) أي فاني تخدعون وتصرفون عن توحيد وطاعته
 وكيف يخيل لكم الحق باطلا (بل أتيناكم بالحق) أي بالصدق (وانهم لكاذبون) أي فيما يدعون من
 الشريك والولد (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله) أي من شريك (اذ الذهب كل اله بما خلق) أي
 لا نفر دكل واحد من الآلهة بخلق الذي خلقه ولم يرض أن يضاف خلقه وانعامه الى غيره ومنع كل اله الآخر عن
 الاستيلاء على ما خلقه هو (ولعل بعضهم على بعض) أي طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما
 بينهم واذا كان كذلك فاعلموا أنه اله واحد بيده ملكوت كل شيء ويقدر على كل شيء ثم نزه نفسه تعالى
 فقال (سبحان الله عما يصفون) أي من اثبات الولد والشريك (عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون)
 أي تعظم من أن يوصف بما لا يليق به قوله عز وجل (قل رب) أي يارب (اماتر بنى ما يوعدون) أي

المزائف ومن قرأ بحمده فعلى الظاهر لانك اذا قلت من رب هذا جوابه فلان (بل أتيناكم بالحق) بان نسبة الولد اليه ما وعدتهم
 محال والشرك باطل (وانهم لكاذبون) في قولهم اتخذ الله ولدا وادعاهم الشريك ثم أكد كذبهم بقوله (ما اتخذ الله من ولد) لانه منزه عن
 النوع والجنس وولد الرجل من جنسه (وما كان معه من اله) وليس معه شريك في الألوهية (اذ الذهب كل اله بما خلق) لان فرد كل واحد
 من الآلهة بالذي خلقه فاستبد به وتميز ملك كل واحد منهم عن الآخر (ولعل بعضهم على بعض) ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك
 الدنيا مالكم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثر التمايز المالك والتغالب فاعلموا أنه اله واحد بيده ملكوت كل شيء ولا يقل اذا
 تدخل الاعلى كلام هو جزاء وجواب وههنا وقع لذهب جزاء وجواب ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل لان الشرط محذوف وتقديره ولو كان
 معه آلهة لدلالة ما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن حاجه من المشركين (سبحان الله عما يصفون) من الانداد والاولاد (عالم) بالجر
 صفة لله وبالرفع مدنى وكوفى غير حذوف خبر مبتدأ محذوف (الغيب والشهادة) السر والعلانية (فتعالى عما يشركون) من الاصنام
 وغيرها (قل رب اماتر بنى ما يوعدون) ما والنون مؤكدان أي ان كان لا بد من ان ترى ما تعدهم من العذاب في الدنيا وفي الآخرة

(رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) أي فلا تجعلني فرنا ظلم ولا تعذبني بعد ابهم عن الحسن رضى الله عنه أخبره الله ان له في أمته تقمة ولم يخبره متى وقتها فامر أن يدعو هذا الدعاء ويجوز أن يسأل النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم به ما علم أنه يفعله وأن يستعيذ به ما علم أنه لا يفعله اظهار اللبودية وتواضعار به واستغفاره عليه الصلاة والسلام اذ قام من مجلسه سبعين مرة لذلك والفاء في فلا لجواب الشرط ورب اعتراض بينهما للتأكيد (وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) كانوا ينكرون الموعد بالعداب ويضحكون منه فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تاملتم فواجه هذا الانكار (ادفع بالتي) بالخصلة التي (هي أحسن السبئة) هو أبلغ من أي يقال بالحسنة السبئة لما فيه من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السبئة والمعنى اصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما يمكن من الاحسان وعن ابن عباس رضى الله عنه هي شهادة أن لا اله الا الله (٣٣١) والسبئة الشرك أو الفحش بالسلام أو

المنكر بالموعظة وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل محكمة اذ المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثم دين (نحن أعلم بما يصفون) من الشرك أو يوصفهم لك وسوء ذكركم فنجاز بهم عليه (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) من وساوسهم ونخساتهم والهمزة النخس والهمزات جمع الهمزة ومنه مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين يحثون الناس على المعاصي كما همز الراضة الدواب حثاها على المشي (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المتبهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من أن يحضره أصلاً وعند تلاوة القرآن وعند النزاع (حتى اذا جاء أحدهم الموت) حتى يتعلق بصفون أي لا يزالون

ما وعدتهم من العذاب (رب) أي يارب (فلا تجعلني في القوم الظالمين) أي لا تهلكني بهلاكهم (وانا على أن نريك ما نعدهم) أي من العذاب (لقادرون ادفع بالتي هي أحسن) أي بالخصلة التي هي أحسن وهي الصفح والاعراض والصبر (السبئة) يعني أذاهم أمر بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة ثم نسخها الله بآية السيف (نحن أعلم بما يصفون) أي يكذبون ويقولون من الشرك ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وقل رب أعوذ بك) أي امتنع واعتصم بك (من همزات الشياطين) قال ابن عباس نزغاتهم وقيل وساوسهم وقيل نفخهم ونفثهم وقيل دفعهم بالاغواء الى المعاصي (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أي في شئ من أمورى وانما ذكر الحضور لان الشيطان اذا حضره يوسوس له ﴿ نحن جبير بن مطعم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة قال عمر ولا أدري أي صلاة هي قال الله أكبر كبيراً ثلاثاً والحمد لله كثيراً ثلاثاً وسبحان الله بكرة وأصيلاً ثلاثاً أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود وقد جاء تفسير هذه الالفاظ في متن الحديث ونزیده ايضاً قوله نفثه الشعر أي لان الشعر يخرج من القلب فيلفظ به اللسان وينفثه كما ينفث الريق قوله ونفخه الكبر وذلك ان التكبير ينتفخ ويتعظم ويجمع نفسه فيحتاج الى أن ينفخ وقوله وهمزه الموتة الموتة لان المجنون ينخسه الشيطان ثم أخبر الله عز وجل ان هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون) قيل المراد به الله وهو على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا خطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه فعلى هذا يكون معناه انه استغاث بالله أولاً ثم رجع الى مسألة الملائكة الرجوع الى الدنيا وقيل ذكر الرب للقسم فكأنه قال عند المعاينة بحق الله ارجعون (لعلني أصالح فيما تركت) أي ضيقت وقيل تركت أي منعت وقيل خلفت من التركة أو المعنى أقول لا اله الا الله وأعمل بطاعته فيدخل فيه الاعمال البدنية والمالية قال قتادة ماتني ان يرجع الى أهله وعشيرته ولا يجمع الدنيا ويقضى الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما تمناه الكافر اذا رأى العذاب (كلا) كلمة ردع وزجر أي لا يرجع اليها (انها) يعني مسأله الرجعة (كلمة هو قائلها) أي لا يناها (ومن وراءهم برزخ) أي من أمامهم ومن بين أيديهم حاجز (الى يوم يبعثون) معناه ان بينهم وبين الرجعة حجاب وما نعان الرجوع وهو الموت وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كللى لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة ﴿ قوله تعالى ﴾ (فاذا نفخ في

يشركون الى وقت محي الموت أو لا يزالون على سوء الذكرك الى هذا الوقت وما بينهما ما مذكور على وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم (قال رب ارجعون) أي ردوني الى الدنيا خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم كخطاب الملوك (لعلني أصالح فيما تركت) وهو الدنيا لانه ترك الدنيا وصار الى العقبى قال قتاده ماتني أن يرجع الى أهل ولا الى عشيرة ولكن ليتدارك ما فرط لعلني ساكنة الباء كوفي وسهل ويعقوب (كلا) ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد (انها كلمة) المراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهو قوله رب ارجعون لعلني أصالح فيما تركت (هو قائلها) لا محالة لا يخيلها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والندم عليه (ومن وراءهم) أي امامهم والضمير للجماعة (برزخ) حائل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا (الى يوم يبعثون) لم يرد أنهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كللى لما علم أن لا رجوع بعد البعث الا الى الآخرة ﴿ فاذا نفخ في

الصورة) قيل انها النفخة الثانية (فلا أنساب بينهم يومئذ) وبالادغام أبو عمرو ولا اجتماع المثليين وان كانا من كلمتين يعني يقع التقاطع بينهم حيث يتفرقون مثابين ومعاقبين ولا يكون التواصل بينهم بالانساب اذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه وإنما يكون بالأعمال (ولا يتساءلون) سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا لان كلام مشغول عن صاحبه بحاله ولا تناقض بين هذا وبين قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فللقيامة مواطن في موطن يشتد عليهم الخوف فلا يتساءلون وفي موطن يفتقون فيتساءلون (فمن ثقلت موازينه) جمع موزون وهي الموزونات من

(٣٣٢)

الاعمال الصالحة التي لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا

انصور فلا أنساب بينهم) قال ابن عباس انها النفخة الاولى نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض فلا أنساب بينهم (يومئذ ولا يتساءلون) ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وهم وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود انها النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادى مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليأت الى حقه فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفي رواية عن ابن عباس انها النفخة الثانية فلا أنساب بينهم أي لا يتفخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتفخرون في الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا من أنت ومن أي قبيلة أنت ولم يرد أن الانساب تنقطع فان قلت قد قال ههنا ولا يتساءلون وقال في موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قلت قال ابن عباس ان للقيامه أحوال ومواطن في موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي موطن يفتقون افاقة فيتساءلون ﴿ قوله عز وجل (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا) أي غبنوا (أنفسهم في جهنم خالدون) بدل من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها أو خبر به خبر لا أولئك أو خبر مبتدأ محذوف (تلفح) أي تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالحون) عابسون فيقال لهم (ألم تكن آياتي) أي القرآن (تلى عليكم) في الدنيا (فكنتم بها تكذبون) وتزعمون انها ليست من الله تعالى (قالوا ربنا غلبت علينا) ملكتنا (شقوتنا) شقاوتنا حرة وعلى وكلامها مصدر أي شقينا بأعمالنا السيئة التي عملناها وقول أهل التأويل غلب علينا ما كذبنا من الشقاوة لا يصح لانه إنما يكتب ما يقدر العبد وما يعلم أنه يختاره ولا يكتب غير الذي علم أنه يختاره فلا يكون مغلوبا ومضطرا في الفعل وهذا لانهم إنما يقولون ذلك القول اعتذارا لما كان منهم من التضريط في أمره فلا يجعل أن يطلبوا لانفسهم عذرا فيما كان منهم (وكنافوماضالين) عن الحق والصواب (ربنا أخرجنا من) أي من النار (فان عدنا) الى الكفر والتكذيب (فانا ظالمون) لا نغسنا (قال اخسوا فيها) استكروا سكوت ذلة وهو ان (ولا تكلمون) في رفع العذاب عنكم فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم ولا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفيران يحضرون ارجعون في ولا تكلمون في البلاء في الوصل والوقف يعقوب وغيره بلايا (انه) ان الامر والشأن (كان فريق من عبادي يقولون ربنا آتانا

فاغفر

غير الذي علم أنه يختاره فلا يكون مغلوبا ومضطرا في الفعل وهذا لانهم إنما يقولون

ذلك القول اعتذارا لما كان منهم من التضريط في أمره فلا يجعل أن يطلبوا لانفسهم عذرا فيما كان منهم (وكنافوماضالين) عن الحق والصواب (ربنا أخرجنا من) أي من النار (فان عدنا) الى الكفر والتكذيب (فانا ظالمون) لا نغسنا (قال اخسوا فيها) استكروا سكوت ذلة وهو ان (ولا تكلمون) في رفع العذاب عنكم فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم ولا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفيران يحضرون ارجعون في ولا تكلمون في البلاء في الوصل والوقف يعقوب وغيره بلايا (انه) ان الامر والشأن (كان فريق من عبادي يقولون ربنا آتانا

فاغفر لنا وارحنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخر يا) مفعول ثان و بالضم مدني وجزوة وعلى وكلاهما مصدر سخر كالسخر الا ان في بابه
النسبة مبالغة قيل هم الصحابة رضي الله عنهم وقيل أهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزوا وتشاغلتم بهم ساخرين (حتى أنسواكم) بتشاكلهم
بهم على تلك الصفة (ذكري) فتر كتموه أي كان التشاغل بهم سببا لفسادكم ذكري (وكنتم منهم تضحكون) استهزاء بهم (اني جزيتهم
اليوم بما صبروا) بصبرهم (أنهم) أي لانهم (هم الفائزون) ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا أي جزيتهم اليوم فوزهم لان جزى يتعدى الى
اثنين وجزاهم بما صبروا الجنة انهم جزوة وعلى على الاستئناف أي انهم هم الفائزون لانتم (قال) أي الله أو المأمور بسؤالهم من الملائكة قل
مكي وجزوة وعلى أمر الملك أن يسألهم (كم لبثتم في الارض) في الدنيا (عدد سنين) أي كم عدد سنين لبثتم فكم نصب بلبثتم وعدد تمييز
(قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم (٣٣٣) ولما هم فيه من عذابها لان

المتن يستطيل أيام محنته
ويستصمر ما مر عليه من
أيام الدعاء (فاسئل
العادين) أي الحساب
أو الملائكة الذين يعدون
أعمار العباد وأعمالهم
فسئل بلاهزم مكي وعلى
(قال ان لبثتم الا قليلا)
أي ما لبثتم الا زمنا قليلا
أو لبثنا قليلا (لو أنكم كنتم
تعلمون) صدقهم الله تعالى
في تقاضهم لسني لبثهم في
الدنيا ووبخهم على غفلتهم
التي كانوا عليها قل ان
جزوة وعلى (أنفسهم إنما
خلقناكم عبثا) حال أي
عابثين أو مفعول له أي
للعبث (وانكم اليانا
لا ترجعون) وبتفتح التاء
وكسر الجيم جزوة وعلى
ويعقوب وهو معطوف
على انما خلقناكم أو على
عبثا أي للعبث ولتركم

فاغفر لنا وارحنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخر يا) أي تسخرون منهم وتستهزؤون بهم (حتى
أنسواكم ذكري) أي أنساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم ذكري (وكنتم منهم تضحكون) نزل في كفار
قريش كانوا يستهزؤون بالفقراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب
ثم قال الله (اني جزيتهم اليوم بما صبروا) أي على إذا كنتم واستهزأتم في الدنيا (انهم هم الفائزون) أي
جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة (قال) يعني ان الله قال للكفار يوم البعث (كم لبثتم في الارض) أي في
الدنيا وفي القبور (عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) معناه انهم نسوا مدة لبثهم في الدنيا العظم ما هم
بصدده من العذاب (فاسئل العادين) يعني الملائكة الذين يحفظون عمل بني آدم ويحصونه عليهم (قال
ان لبثتم) أي ما لبثتم في الدنيا (الا قليلا) ساء قليلا لان المرء وان طال لبثه في الدنيا فانه يكون قليلا في
جنب ما يابث في الآخرة (لو أنكم كنتم تعلمون) أي قدر لبثكم في الدنيا ﴿ قوله عز وجل ﴾ (أنفسهم
انما خلقناكم عبثا) أي لعبا وابطالا للحكمة وقيل العبث معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لاثواب
طها ولا عقاب وانما خلقتم للعبادة واقامة أو امر الله عز وجل (وانكم اليانا لا ترجعون) أي في دار
الآخرة للجزاء روى البغوي بسنده عن الحسن ان رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه في أذنه أنفسهم
انما خلقناكم عبثا وانكم اليانا لا ترجعون حتى ختم السورة فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
ذارقيت في أذنه فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على
الجبل لزال ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون فقال عز وجل (فتعالى الله الملك الحق) أي هو
التمام الملك الجامع لاصناف المملوكات (لا اله الا هو رب العرش الكريم) أي الحسن وقيل الرفيع
المرتفع وانما خص العرش بالذكور لانه أعظم المخلوقات (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به) أي
لا حجة ولا بينة له به اذ لا يمكن اقامة برهان ولا دليل على الهية غير الله ولا حجة في دعوى الشرك (فانما
حسابه) أي جزاؤه (عند رب) أي هو مجازيه بعمله (انه لا يفلح الكافرون) أي لا يسعد من يجحد وكذب
(وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين)

﴿ تفسير سورة النور وهي مدنية وهي اثنتان وقيل أربع وستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

غير مرجوعين بل خلقناكم للتكليف ثم للرجوع من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء (فتعالى الله) عن أن
يخلق عبثا (الملك الحق) الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه أو الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه (لا اله الا هو رب العرش الكريم)
وصف العرش بالكريم لان الرحمة تنزل منه أو لنسبته الى أكرم الاكرمين وقرئ شاذا برفع الكريم صفة للرب تعالى (ومن يدع مع الله الها
آخر لا برهان) أي لا حجة (له به) اعتراض بين الشرط والجزاء كقوله من أحسن الى زيد لا أحق بالاحسان منه فان الله مثيبه أو صفة لازمة
جئ بها للتوكيد كقوله يطير بجناحيه لأن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان (فانما حساب) أي جزاؤه وهذا جزء الشرط (عند
ربه) أي فهو مجازيه لا محالة (انه لا يفلح الكافرون) جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وخاتمها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين
الفاتحة والخاتمة ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله (وقل رب اغفر وارحم) ثم قال (وانت خير الراحمين) لان رحمة اذا أدركت أحدا أغنته
عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغني عن رحمة ﴿ سورة النور مدنية وهي ستون وأربع آيات ﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

• سورة) خبره بتدأ محذوف أي هذه سورة (أنزلناها) صفة لها وقرأ طلحة سورة على زيد اضربته أو على أنزل سورة والسورة الجامعة
 لآيات يفاتحة لها وخاتمة واشتقاقها من سور المدينة (وفرضناها) أي فرضنا أحكامها التي فيها وأصل الفرض التقطع أي جعلناها مقطوعا
 بها وبالشد يد مكي وأبو عمر وللإبافة في الإيجاب وتوكيدها ولأن فيها فرائض شتى أول كثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم (وأنزلنا
 فيها آيات بينات) أي دلائل واضحة (لعلكم تذكرون) لكي تتعظوا وتخفف الفال حزة وعلى وخلف وحفص ثم فصل أحكامها فقال
 (الزانية والزاني) رفعهما على الإبتداء والخبر محذوف أي فيما فرض عليكم الزانية والزاني أي جلدتهما وأخبار فاجلدوا ودخلت الفاء لتكون
 الالف واللام بمعنى الذي وتضمنه معنى الشرط وتقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون
 المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم وقرأ عيسى بن عمر بالنصب على اضربوا على يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لاجل
 الأمر (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الجلد ضرب الجاد وفيه إشارة إلى أنه لا يبلغ ليصل الالم إلى اللحم والخطاب للإثمة لأن إقامة الحد
 من الدين وهي على الشكل الأهم (٣٣٤) لا يمكنهم الاجتماع فينبوب الإمام منابهم وهذا حكم حر ليس محصن إذ حكم

قوله عز وجل (سورة أنزلناها وفرضناها) أي أوجبنا ما فيها من الأحكام والزنا كم العمل بها وقيل معناه
 قدرنا ما فيها من الحدود وقيل أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم إلى قيام الساعة (وأنزلنا فيها آيات بينات)
 أي واضحة (لعلكم تذكرون) أي تتعظون قوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد
 منهما مائة جلدة) الزنا هو من الكبائر وموجب للحد وهو إيلاج فرج في فرج مشتهى طبعاً محرم شرعاً
 والشروط المعتبرة في وجوب الحد العقل والبلوغ وبشرط الإحصان في الرجم ويجب على العبد والامة
 نصف الحد ولا رجم عليهم ماله لا يتنصف وقوله فاجلدوا أي فاضربوا يقال جلدته إذا ضربت جلدته ولا
 يضرب بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما أي الزانية والزاني مائة جلدة وقد وردت السنة بمائة وتغريب
 عام وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة التغريب إلى رأى الإمام وقال مالك يجلد الرجل مائة جلدة ويغرب
 وتجلد المرأة ولا تغرب وإن كان الزاني محصناً فعليه الرجم (ولا تأخذكم بهما رأفة) أي رحمة ورقة فتعطوا
 الحدود ولا تقسموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي وقيل معنى الرأفة
 أن تخففوا الضرب بل أوجعوهما ضرباً وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهري يجتهد في حد
 الزنا والفرية أي القذف ويخفف في حد الشرب وقيل يجتهد في حد الزنا ويخفف دون ذلك في حد الفرية
 ويخفف دون ذلك في حد الشرب (في دين الله) أي في حكم الله روى أن عبد الله بن عمر جلد جارية له
 زنت فقال لاجلاد اضرب ظهرها ورجلها فقال له ابنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله فقال يا بني إن الله لم
 يأمرني بقتلها وقد ضربت فأوجعت (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) معناه إن المؤمن لا تأخذ
 الرأفة إذا جاء أمر الله وقيل هو من باب التهيج والتهاب الغضب لله تعالى ولدينه ومعناه إن كنتم تؤمنون
 فلا تتركوا إقامة الحدود (وليشهد) أي وليحضر (عذابهما) أي حدهما إذا أقيم عليهما (طائفة)
 أي نفر (من المؤمنين) قيل أقله رجل واحد فصاعداً وقيل رجلان وقيل ثلاثة وقيل أربعة بعدد
 شهود الزنا قوله عز وجل (الزاني لا ينكح الزانية أو مشركه والزانية لا ينكحها إلا زاناً أو مشركاً

المحصن الرجم وشرايط
 احصان الرجم الحرية
 والعقل والبلوغ والاسلام
 والتزوج بنكاح صحيح
 والدخول وهذا دليل على
 أن التغريب غير مشروع
 لأن الفاء إنما يدخل على
 الجزاء وهو اسم للكافي
 والتغريب المروي منسوخ
 بالآية كما نسخ الحبس
 والأذى في قوله نامسكوهن
 في البيوت وقوله فاذوهما
 بهذه الآية (ولا تأخذكم
 بهما رأفة) أي رحمة
 والفتح لغة وهي قراءة
 مكي وقيل الرأفة في دفع
 المكروء والرحمة في إيصال
 المحبوب والمعنى إن الواجب
 على المؤمنين أن يتصلبوا

في دين الله ولا يأخذهم الدين في استيفاء حدوده فيعطوا الحدود أو يخففوا الضرب (في دين الله) وحرم
 أي في طاعة الله وأحكامه (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب التهيج والتهاب الغضب لله ولدينه وجواب الشرط مضمراً أي
 فاجلدوا ولا تعطوا الحد (وليشهد عذابهما) وليحضر موضع حدهما وتسميته عذاباً دليل على أنه عقوبة (طائفة) فرقة يمكن أن تكون
 حلقة ليحتملوا أو ينزجوه وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبية كأنها الجماعة الخافة حول شيء وعن ابن عباس رضي الله عنهما أربعة إلى
 أربعين رجلاً (من المؤمنين) من المصدقين بالله (الزاني لا ينكح الزانية أو مشركه والزانية لا ينكحها إلا زاناً أو مشركاً) أي الخبيث
 الذي من شأنه الزنا لا يرغب في نكاح الصالح من النساء وإنما يرغب في خبيثة من شكاه أو في مشركه والخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في
 نكاحها الصالح من الرجال وإنما يرغب فيها من هو من شكاهما من الفسقة أو المشركين فالآية تزهد في نكاح البغايا إذا زنا عدل الشرك
 في القبح والإيمان قرين العفاف والتحصن وهو نظير قوله الخبيثات للخبيثين وقيل كان نكاح الزانية محرماً في أول الإسلام ثم نسخ بقوله
 وانكحوا الإيامي منكم وقيل المراد بالنكاح الوطء لأن غير الزاني يستقدر الزانية ولا يشتهى

وهو صحيح لكنه يقتضى اذا قولك الزانى لا يزنى الابزانية والزانية لا يزنى بها الازان وسئل صلى الله عليه وسلم عن زنى باسرة ثم تزوجها فقال
اوله سفاح وآخره نكاح ومعنى الجملة الاولى صفة الزانى بكونه غير راغب فى العفاف ولكن فى الفواحش ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير
مرغوب فيها للاعفاء ولكن لازناة وهما معنيان مختلفان وقدمت الزانية على الزانى اولاً ثم قدم عليها نائياً لان تلك الآية سقت لعقوبتهما
على ماجنيا والمرأة هى المادة التى منها نشأت تلك الجنابة لانها لو لم تطمع الرجل ولم (٣٣٥) تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم تمكن

فلما كانت أصلاً فى ذلك
بدى بذكرها وأما الثانية
فسوقة لذكر النكاح
والرجل أصل فيه لانه
الخطاب ومنه بدأ الطلب
وقرى لا ينكح بالجزم
على النهى وفى المرفوع
أيضاً معنى النهى ولكن
أبلغ وأكد ويجوز أن
يكون خبراً محضاً على معنى
ان عاداتها جازية على ذلك
وعلى المؤمن ان لا يدخل
نفسه تحت هذه العادة
ويتصون عنها (وحرم ذلك
على المؤمنين) أى الزنا أو
نكاح البغايا بقصد التكسب
بالزنا أو لما فيه من التشبه
بالفساق وحضور مواقع
التهمة والتسبب لسوء
المقالة فيه والغيبة ومجالسة
الخطائين كم فيها من
التعرض لاقتراف الآثام
فكيف بمزاوجة الزواني
والتحاب (والذين يرمون
المحصنات) وبكسر الصاد
على أى يقدفون بالزنا
الحرار والعفاف المسلمات
المكلفات والقذف يكون
بالزنا وبغيره والمراد هنا

وحرّم ذلك على المؤمنين) اختلف العلماء فى معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم
فقراء لا مال لهم ولا عشائر وفى المدينة نساء بغاياهن أخصب أهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين فى
نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فنزلت هذه الآية فحرم على المؤمنين
ان يتزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والزهرى والشعبي ورواية عن
ابن عباس وقال عكرمة نزلت فى نساء كن بمكة والمدينة لهن رايات يعرفن بهامنهن أم مهزول جارية السائب
ابن أبى السائب المخزومى وكان فى الجاهلية ينكح الزانية يتخذها مأكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن على
تلك الصفة فاستأذن رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نكاح أم مهزول واشترطت له أن تنفق عليه فانزل
الله عز وجل هذه الآية وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبى مرثد
الغنوى وكان يحمل الاسارى من مكة حتى يأتى بهم المدينة وكانت بمكة بنى يقال لها عناق وكانت صديقة له
فى الجاهلية فلما أتى مكة دعتة عناق الى نفسها فقال مرثد ان الله حرم الزنا قالت فانكحنى فقال حتى أسأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنكح عناقا فأمسك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيئا فزات الزانى لا ينكح الابزانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الازان أو مشرك
فدعانى فقراها على وقال لا تنكحها أخرجه الترمذى والنسائى وأبو داود والفاظ متقاربة المعنى فعلى قول
هؤلاء كان التحريم خاصاً فى حق أولئك دون سائر الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الآية
الزانى لا يزنى الابزانية أو مشركة والزانية لا تزنى الا بزناً أو مشرك وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية
عن ابن عباس قال يزيد بن هرون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها هو محرم فهو زان وكان
ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزانى الزانية فهما زانيان وقال سعيد بن المسيب وجماعة ان
حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية حرام بهذه الآية ثم نسخت بقوله تعالى وأنكحوا الايامى منكم
فدخلت الزانية فى هذا العموم واحج من جوز نكاح الزانية بما روى عن جابر أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله ان امرأتى لا تمنع يد لاس فقال طلقها قال انى أحبها وهى جميلة قال استمتع بها وفى
رواية غيره فأمسكها اذا وروى هذا الحديث أبو داود والنسائى عن ابن عباس قال النسائى رفته أحد الرواة
الى ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث ليس بثابت وروى ان عمر بن الخطاب ضرب رجلاً وامرأة
فى زنا وحرض على ان يجمع بينهما فابى الغلام وقيل فى معنى الآية أن الفاجر الخبيث لا يرغب فى نكاح الصالحة
من النساء وانما يرغب فى نكاح فاجرة خبيثة مثله أو مشركة والفاسقة الخبيثة لا ترغب فى نكاح الصالحاء من
الرجال وانما ترغب فى نكاح فاسق خبيث مثله أو مشرك وحرّم ذلك على المؤمنين أى صرف الرغبة بالكافة
الى نكاح الزواني وترك الرغبة فى الصالحات العفاف محرم على المؤمنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزوج
بالزانية ﴿قوله تعالى﴾ (والذين يرمون) أى يقدفون بالزنا (المحصنات) يعنى المسلمات الحرار والعفاف (ثم
لم يأتوا باربعة شهداء) أى يشهدون على الزنا (فاجلدوهم ثمانين جلدة) بيان حكم الآية ان من قذف محصناً
ومحصنة بالزنا فقال له يا زانى أو يا زانية أو زنى فوجب عليه جلد ثمانين ان كان القاذف حراً وان كان عبداً

قدفون بالزنا بان يقول يا زانية لذكر المحصنات عقيب الزواني ولا يشترط ان يقدفوا بربعة شهداء بقوله (ثم لم يأتوا باربعة شهداء) أى ثم لم يأتوا باربعة
شهود يشهدون على الزنان القذف بغير الزنا بان يقول يا فاسق يا أهل الربا يدينى فيه ساهداً رابعاً وشروط احصان القذف
الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والعفة عن الزنا والمحصن كالمحصنة فى وجوب حد القذف (فاجلدوهم ثمانين جلدة) ان كان القاذف حراً
ونصب ثمانين نصب المصادر كما نصب مائة جلدة وجلدة نصب على التمييز

الحد أو بعضه على ما عرف
وعند الشافعي رحمه الله
تعالى يتعلق رد شهادته
بنفس القذف فعندنا
جزاء الشرط الذي هو الرمي
الحد وورد الشهادة على
التأييد وهو مدة حياتهم
(وأولئك هم الفاسقون)
كلام مستأنف غير داخل
في حيز جزاء الشرط كأنه
حكاية حال الرامين عند الله
تعالى بعد انقضاء الجملة
الشرطية وقوله (الالذين
تابوا من بعد ذلك) أي
القذف (وأصلحوا)
أحوالهم استثناء من الفاسقين
وبدل عليه (فان الله
غفور رحيم) أي يغفر
ذنوبهم ويرحمهم وحق
الاستثناء أن يكون منصوبا
عندنا لأنه عن موجب
وعند من جعل الاستثناء
متعلقا بالجملة الثانية أن
يكون مجرورا بدلا من هم
في لم ولما ذكر حكم قذف
الاجنبيات بين حكم قذف
الزوجات فقال (والذين
يرمون أزواجهم) أي
يقذفون زوجاتهم بالزنا
(ولم يكن لهم شهداء) أي
لم يكن لهم على تصديق
قولهم من يشهد لهم به (الا
أنفسهم) يرتفع على البديل
من شهداء (فشهادة أحدهم
أربع) بالرفع كوفي غير أبي

بجلد أربعين وان كان المقدوف غير محصن فعلى القاذف التعزيز وشروط الاحصان خمسة الاسلام والعقل
والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى لو زنى في عمره مرة واحدة ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف
فلا حد عليه فان أقر المقدوف على نفسه بالزنا وأقام القاذف أربعة شهدون عليه بالزنا سقط الحد عن
القاذف لان الحد إنما واجب عليه لاجل القرية وقد ثبت صدقه وأما الكنايات مثل أن يقول يا فاسق أو يا فاجر
أو يا خبيث أو يا... وأجر أو قال امرأتى لا ترد يد لامس فهذا ونحوه لا يكون قذفا إلا أن يريد ذلك وأما التعريض
مثل أن يقول أما أنا فإزيت أو ليست امرأتى زانية فليس بقذف عند الشافعي وأبي حنيفة وقال مالك يجب
فيه الحد وقال أحمد هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا وقوله تعالى (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا) أولئك
هم الفاسقون) فيه دليل على ان القذف من الكبائر لان اسم الفاسق لا يقع الا على صاحب كبيرة (الا
الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة
وفي حكم هذا الاستثناء فذهب قوم الى أن القاذف ترد شهادته بنفس القذف واذا تاب وندم على ما قال
وحسنت حاله بعد التوبة قبلت شهادته سواء تاب بعد اقامة الحد عليه أو قبله لقوله تعالى (الالذين تابوا وقالوا
هذا الاستثناء يرجع الى رد الشهادة والى الفسق واذا تاب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروى ذلك
عن عمرو بن عباس وهو قول سعيد بن جبيرة ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار
والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهرى وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى أن شهادة المحدوف في
القذف لا تقبل أبدا وان تاب وقالوا الاستثناء يرجع الى قوله وأولئك هم الفاسقون وهو قول النخعي وشرح
وأصحاب الرأي قالوا بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يحدث قال الشافعي هو قبل أن يحدث منه حين يحدث
الحدود كفارات فكيف تردونها في أحسن حاله وتقبلونها في شر حاله وذهب الشافعي الى أن حد القذف
يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع الى الكل وعامة العلماء على انه لا يسقط الحد بالتوبة الا أن يعفو عنه
المقدوف فيسقط كالتصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة فان قلت اذا قبلت شهادته بعد التوبة فامعنى
قوله أبدا قلت معنى أبدا مادام مصر على القذف لان أبدا كل انسان مدته على ما يليق به كما يقال شهادة
الكافر لا تقبل أبدا مادام على كفره فاذا أسلم قبلت شهادته وقوله عز وجل (والذين يرمون)
أي يقذفون (أزواجهم ولم يكن لهم شهداء) أي يشهدون على صحة ما قالوا (الأنفسهم) أي غير أنفسهم
(فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين) سبب نزول هذه الآية ما روى عن سهل بن سعد
الساعدي ان عويمر الجملاني جاء الى عاصم بن عدي فقال لعاصم أرايت لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا
أبقتله فقتلونه أم كيف يفعل سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عاصم رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع عاصم الى أهله جاءه عويمر فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال عاصم لعويمر لم تأتني بخبر فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة التي سألت عنها فقال عويمر
والله لا أتهدى حتى أسأله عنها فجاءه عويمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال يا رسول الله أرايت
رجلا وجد مع امرأته رجلا أبقتله فقتلونه أم كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله
فيك وفي صاحبك قرآنا فاذهب فأت بها قال سهل فتلاعنا وأنامع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما فرغنا من تلاعنا قال عويمر كذبت عليها يا رسول الله ان أمسكتها فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين اخرجاه في الصحيحين زاد في رواية ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر وان جاءت به أسحج أدم العينين عظيم الاليتين خدج الساقين فلا

يكره على ان يجرى بعد افتشاده أحدهم وغيرهم بالنصب لانه في حكم المصدر بالاضافة الى المصدر والعمل فيه المصدر الذي احسب
هو شهادة أحدهم وعلى هذا خبره محدوف تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع (شهادات بالله انه لمن الصادقين) فبما رماها به من الزنا

أحسب عويمر الاقد صدق عليها وان جاءت به أحيمر كأنه وحره فلا أحسب عويمر الاقد كذب عليها فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد ينسب الى أمه قوله أسحم أي أسود والادعج الشديد سود العين مع سعتها وقوله خدج الساقين أي تمتلي الساقين غليظهما وقوله كأنه وحره الوحره بفتح الحاء دويبة كالعطاء تلصق بالارض وأراد بها في الحديث المبالغة في قصره (خ) عن ابن عباس ان هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم البيئنة أو حد في ظهر ك فقال يا رسول الله اذ رأيتي أحد على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البيئنة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البيئنة والاحد في ظهر ك فقال هلال بن أمية والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يرى ظهري من الحد فنزل جبريل عليه السلام وأنزل عليه والذين يرمون أزواجهم فقراً حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فامرسل اليهما فجاء هلال بن أمية فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله يعلم ان أحد كما كاذب فهل منك كاذب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفها وقال انها موجهة قال ابن عباس فتلكات ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت لا أفضح قومي سائر اليوم فضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظر وها فان جاءت به أحكل العينين سابغ الاليتين خدج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي وطاشان وفي رواية غير البخاري عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الآية قال سعد بن عبادة لو أتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي ان أهيجه حتى آتي باربعة شهداء فوالله ما كنت لآتي باربعة شهداء حتى يفرغ حاجته ويذهب وان قلت ما رأيت ان في ظهري لثمانين جادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا نعلمه فانه رجل غيور ما تزوج امرأة قط الا بكر او لاطاق امرأة له واجترأ رجل منا ان يتزوجها فقال سعد يا رسول الله باني أنت وأمي والله اني لاعرف انها من الله وانها حق ولكن عجب من ذلك لما أخبر الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان الله باني الا ذلك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عمه له يقال له هلال بن أمية من حديقه له فرأى رجلا مع امرأته يزني بها فامسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله اني جئت الى أهلي عشاء فوجدت مع امرأتي رجلا رأيت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال والله يا رسول الله اني لأرى الكراهة في وجهك مما أتيتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا وانى لأرجو أن يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضر به قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد بجحد هلال وتبطل شهادته فيينا هم كذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يأمر بضره اذ نزل عليه الوحي فامسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل حتى فرغ فانزل الله والذين يرمون أزواجهم الى آخر الآيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر يا هلال فان الله تعالى قد جعل لك فرجا فقال قد كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها فجاءت فلما اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم ان أحد كما كاذب فهل منك كاذب فقال يا رسول الله قد صدقت وما قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عنوا بينهما فليل هلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الله من عذاب الآخرة وان عذاب الله أشد من عذاب الناس وان هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يحذبني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد (والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) ثم قال للراة اشهدى فشهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين

(والخامسة) لاخلاف في رفع الخامسة هنا في المشهور والتقدير والتسهادة الخامسة (ان لعنة الله عليه) فهي مبتدأ وخبر (ان كان من الكاذبين) فيبار ماها به من الزنا

الكاذبين) فيأرماني به من الزنا (والخامسة ان غضب الله عليهما ان كان) أي الزوج (من الصادقين) فيأرماني به من الزنا ونصب حفص الخامسة عطفًا على أربع شهادات وغيره رفعها بالابتداء وان غضب الله خبره وخفف نافع ان لعنة الله وان غضب الله بكسر الضاد وهماني حكم المثقلة وان غضب الله سهل ويعقوب وحفص وجعل الغضب في جانبها لان النساء يستعملن اللعن كثيرا كما ورد به الحديث فر بما يجترئن على الاقدام لكثرة جرى اللعن على السنن وسقوط وقوعه عن قلوبهن قد كرا الغضب في جانبهن ليكون رادعا لمن والاصل ان اللعان عندنا شهادات مؤكدة بالابمان مقرونة باللعن قائمة مقام حد القذف في حقه ومقام حد الزاني حقه لان الله تعالى سماه شهادة فاذا قذف الزوج زوجته بالزنا وهما من أهل الشهادة صح اللعان بينهما واذا التعن كما بين في النه لا تح الحرفه حتى يفرق القاضي بينهما وعند زفر رحمه الله تعالى تقع بتلاعهما والفرقة تطليقة بائنة وعند ابى يوسف وزفر والشافعي تحريم مؤبد ونزلت آية اللعان في هلال ابن أمية أو عو يمر حيث قال وجدت على بطن امرأتى خولت شريك بن سحمان فكذبت فلاعن: النه صلى الله عليه وسلم بينهما

فقال لها عند الخامسة ووقفها اتق الله ان الخامسة موجبة وان عذاب الله أشد من عذاب الناس فتلكات ساعة وعت بالاعتراف ثم قالت والله لا أفصح قومي فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه فجاءت به غلاما كأنه جل أورق على الشبه المكروه وكان أميراً بمصر لا يدري من أبوه الا ورق هو الابيض وروى ابن عباس ان عويمر المالا عن زوجته خولة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي الصلاة جامعة صلى العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال أشهد بالله ان خولة لزانية وانى لمن الصادقين ثم قال في الثانية أشهد بالله انى رأيت شريكاً على بطنها وانى لمن الصادقين ثم قال في الثالثة أشهد بالله انها حبلية من غيرى وانى لمن الصادقين ثم قال في الرابعة أشهد بالله انى ما قرنتها منذ أربعة أشهر وانى لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعنى نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم أمره بالتعود ففقد ثم قال لخولة قومي فقامت فقالت اشهد بالله ما أنا بزانية وان عويمر المن الكاذبين ثم قالت في الثانية أشهد بالله انه ما رأى شريكاً على بطنى وانه المن الكاذبين ثم قالت في الثالثة أشهد بالله انى حبلية منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة أشهد بالله انه ما رأى فى على فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة تمنى نفسها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الايمان لكان لى فى امرهم أى ثم قال تخينوا الولادة فان جاءت به أصيب أنيخ يضرب الى السواد فهو لشريك بن سحمان وان جاءت به أورق جعد اجاليا خدج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق بشريك • بيان حكم الآية ان الرجل اذا قذف امرأته فوجبه موجب قذف الاجنبية فى وجوب الحد عليه ان كانت محصنة او التعزير ان كانت غير محصنة غير ان المخرج منهما مختلف فاذا قذف اجنبياً أو اجنبية يقام عليه الحد الا ان يأتى باربعة يشهدون بالزنا أو يقر المقذوف بالزنا فيسقط عنه الحد وفى الزوجة اذا وجد أحد هذين أو لاعن سقط عنه الحد فاللعان فى قذف الزوجة بمنزلة البينة لان الرجل اذا رأى مع امرأته رجلاً بما لا يمكنه اقامة البينة ولا يمكنه الصبر على العار جعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين واذا أقام الزوج بيته على زناها واعترفت هى بالزنا سقط عنه الحد واللعان الا ان يكون هناك ولد يرد نفيه فله ان يلاعن لنفيه واذا اراد الامام ان يلاعن بينهما بدأ بالرجل فيقبحه ويلقنه كلمات اللعان فيقول قل أشهد بالله انى لمن الصادقين فيأرميت به زوجتى فلانة من الزنا وان كان قد رماها برجل بعينه سماه فى اللعان ويقول كما يلقنه الامام وان كان ولداً وحل يرد نفيه يقول وان هذا الولد أو هذا الرجل لمن الزنا ما هو منى و يقول فى الخامسة على لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيأرميت به فلانة واذا أتى بكلمة من كلمات اللعان من غير تلقين الامام لا تحسب فاذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين الزوجة وحرمت عليه على التأيد واتنى عنه النسب وسقط عنه الحد ووجب على المرأة حد الزنا فهذه خمسة أحكام تتعلق بلعان الزوج ﴿ قوله عز وجل (ويدرأ) أى يدفع (عنها العذاب) أى الحد (ان تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليهما ان كان من الصادقين) حكم الآية ان الزوج اذا لاعن وحصل له امرأته حد الزنا فان ارادت اسقاطه عن نفسه فاقفها نلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيأرماني به وتقول فى الخامسة على غضب الله ان كان زوجى من الصادقين فيأرماني به ولا يتعلق بلعانها الا هذا الحكم الواحد وهو اسقاط الحد عنها ولو أقام الزوج بيته لم يسقط الحد عنها باللعان وعند أصحاب الرأى لا حد على من قذف زوجته بل موجه اللعان فان لم يلاعن

بتلاعهما والفرقة تطليقة بائنة وعند ابى يوسف وزفر والشافعي تحريم مؤبد ونزلت آية اللعان فى هلال ابن أمية أو عو يمر حيث قال وجدت على بطن امرأتى خولت شريك بن سحمان فكذبت فلاعن: النه صلى الله عليه وسلم بينهما

حبس حتى يلاعن فاذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة من اللعان حبست حتى تلاعن وعند الآخر من اللعان
حجة صدقه والقاذف اذا قعد عن اقامة البينة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الاجنبى اذا قعد عن اقامة
البينة وعند أبي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفى النسب وهما لا يحصلان الا بلعان الزوجين جميعا
وقضاء القاضى وفرقة اللعان فرقة فسخ عند الاكثرين وبه قال الشافعى وتلك الفرقة متبادلة حتى لو اكد
الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه لافيماله فيلزمه الحد ويلحقه الولد لكن لا يرتفع تأييد التحريم وعند أبي
حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فاذا اكد نكح نفسه جازله أن ينكحها واذا أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به
الحكم وعند أبي حنيفة اذا أتى بكلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صح بمينه صح لعانه حرا كان
أو عبدا مسلما كان أو ذميا وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك
والثورى والشافعى وأكثر أهل العلم وقال الزهري والاوزاعى وأصحاب الرأى لا يجزى اللعان الا بين مسلمين
حرا غير محذوفين فان كان أحد الزوجين رقيقا أو ذميا أو محذوف في قذف فلا لعان بينهما وظاهر القرآن
حجة لمن قال يجزى اللعان بينهما لان الله تعالى قال والذين يرمون أزواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود
 وغيره ولا يصح اللعان الا عند الحاكم أو نائبه ويغلب اللعان بأربعة أشياء بتعدد الالفاظ وبالمكان والزمان
 وأن يكون بحضور جماعة من الناس أما تعدد الالفاظ فيجب ولا يجوز الا خلال بشئ منها أو ما للمكان فهو
 أن يلاعن في أشرف الاماكن فان كان بمكة فيبين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند منبر النبي صلى الله
 عليه وسلم وفي سائر البلاد في الجامع عند المنبر وأما الزمان فهو أن يكون بعد العصر وأما الجمع فأقله أربعة
 والتغليظ بالجمع مستحب فلولا عن الحاكم بينهما وحده جاز وفي التغليظ بالزمان والمكان قولان ﴿قوله تعالى
(ولو لا فضل الله عليكم ورحمته) أى لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد باللعان (وان الله ثواب)
 أى يعود على من يرجع على العاصى بالرحمة (حكيم) أى فيما فرضه من الحدود ﴿قوله عز وجل (ان الذين
 جاؤا بالافك عصبه منكم) الآيات سبب نزولها ما روى عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن
 المسيب وعلقمة بن وقاص وعبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
 حين قال طأ أهل الافك ما قالوا واوكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت
 له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذى حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضها
 قالوا قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أفرع بين أزواجه فأبها
 خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة أفرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمى
 فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أنزل الحجاب فكنت أحمل في هودج وأنزل فيه فسرنا حتى
 اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمنا حين
 آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوت الجيش فمساقتيت من شأنى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا
 عقدي من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمت عقدي فخبسنى ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا
 يرحلون بي فاحتملوا هودجى فرحله على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون انى فيه وكان النساء اذا
 ذلك خفا فلم يهبلن ولم يغشن اللحم انما يأكلن العلقمة من الطعام فلم يستكر القوم خفة الهودج حين رفعوه
 ورحلوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استقر الجيش فحتمت منازلهم
 وليس بهاداع ولا محيب فتممت منزلى الذى كنت به وظننت أنهم سيفقدونى فيرجعون الى قينا أنا
 جالسة فى منزلى غلبتني عيني فتمت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى قد عرس من وراء الجيش
 فادج فأتى فأتى فرأى سواد انسان نام فأتانى فعرفتى حين رأتى وكان يرانى قبل أن يضرب الحجاب
 على فاستيقظت باسترجاعه حين عرفتني فخمرت وجهى بجلبابى والله ما كامنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير

أولعاجلكم بالعقوبة (ان الذين جاؤا بالافك) هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وأصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد مأفك به على عائشة رضى الله عنها قالت عائشة فقدت عقدا فى غزوة بنى المصطلق فتخلفت ولم يعرف خلو الهودج خلفتى فلما ارتحلوا أناخ لى صفوان بن المعطل بعيره وساقه حتى أتاهم بعدما نزلوا فهلك فى من هلك فاعتلت شهر او كان عليه الصلاة والسلام يسأل كيف أنت ولا أرى منه لظفا كنت أراه حتى عثرت خالة أبى أم مسطح فقالت تعس مسطح فانكرت عليها فاخبرتنى بالافك فلما سمعت ازددت مرضا وبت عند أبوى لا يرقأ لى دمع وما اكتحل بنوم وهما يظنان أن الدمع فالى كبدى حتى قال عليه الصلاة والسلام ابشرى يا حبيراء فقد أنزل الله براءتك فقلت بحمد الله لا بحمدك (عصبة) جماعة من العشرة الى الاربعين واعصوا صبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن أبى راس النفاق وزيد بن رفاعه وحسان بن ثابت ومسطح

بن ائمة وحنة بنت جحش ومن ساعدتهم (منكم) من جماعة المسلمين وهم ظنوا ان الافك وقع من الكفار دون من كان من المؤمنين

استرجاعه وهوى حتى أناخر راحته فوطى على يديه فركبتها فأنطلق بقودى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين وفي رواية موغرين في نحر الفهيرة قالت فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الافك ولا أشعر بشئ من ذلك وهو يريني في وجهي اني لأرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين اشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذي يريني منه ولا أشعر بالشر حتى تقهت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناسع وهي متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول في التنزه وكنا تأذي بالكنف أن تتخذها عند بيوتنا فأنطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمه ابنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شأننا عشي فمئرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بش ما قلت أتسين رجلا قد شهد بدر افاقالت يا هنتاه ولم تسمعي ما قال قلت وما قال فاخبرني بقول أهل الافك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت الى بيتي فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم ثم قال كيف تيكم قلت له أنا ذنبي أن أتى أبوي قالت وأنا حينئذ أريد ان أتيقن الخبر من قبلهما فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت أبوي فقلت لامي يا أمته ماذا يحدث الناس به فقالت يا بنية هوني على نفسك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضية عند رجل يحبها وله ضراير الا كثرن عليها قالت فقلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحي يستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة فأشار عليه بما يعلم من راءة أهله والذي يعلم لهم في نفسه من الود فقال أسامة هم أهلك يا رسول الله ولا نعم والله الا خيرا وأما علي بن أبي طالب فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجزية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أي بريرة هل رأيت من شئ يرريك من عائشة قالت له بريرة لا والذي بعثك بالحق ان رأيت من امرأ قط أغمصه عليها أكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فيأتي الداجن فيأكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر من بعدني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي وفي رواية في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على أهلي الا معي قالت فقام سعد بن مساذأ حديثي عبد الأشهل فقال أنا أعذرک منه يا رسول الله ان كان من الاوس ضر بنا عنقه وان كان من اخواتنا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرک فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من نخله وكان رجلا صالحا لو كن احتملته الحية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتله فانك منافق تجادل عن المنافقين فتشاور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت بومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكحل بنوم فاصبح عندي أبوي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن أن البكاء فالتق كبدى قالت فيينا هما جالسان عندي وأنا أبكي اذا ستأذنت على امرأة من الانصار فاذنت لها جلست تبكي معي فيينا نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل لي ما قيل قبلها وقد مكث شهر الا يوحى اليه في شأني بشئ قالت فشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان

كنت بريئة فسيرتك الله وان كنت ألمت بذنب فاستغفرني الله وتوبني اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاتله قلعص دمي حتى ما أحس منه قطرة وقلت لابي أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله فقلت لامي أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رأنا جارية حديثه السن لاقرأ كثيراً من القرآن اني والله لقد علمت انكم سمعتم ما يحدث به الناس حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني بريئة لاتصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم اني منه بريئة لتصدقني فوالله ما أجدي ولكم مثالا الا يا يوسف اذ قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله حينئذ أعلم اني بريئة وان الله مبرئني براءتي ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل الله في شأني وحياتيلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بامريتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤى يبرئني الله بها قالت فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فاخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الثاني من ثقل القول الذي أنزل عليه قال فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي يا عائشة اجدى الله في رواية قال أبشرى يا عائشة اما الله فقد براك فقالت لي أهي قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أجد الا الله هو الذي أنزل براءتي قالت فانزل الله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم الايات فانزل الله عز وجل هذه الايات في براءتي قالت فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح بن اثانة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيأ أبدا بعد الذي قال لعائشة فانزل الله ولا ياتل أولو الفضل منكم والسعة الى قوله بغفور رحيم فقال أبو بكر بلى والله اني لاحب أن يغفر الله لي فرجع الى مسطح الذي كان يجري عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمرى فقال يازينب ما علمت أو ما رأيت فقالت يا رسول الله أحمى سمى وبصرى والله ما علمت عليها الاخير اذ قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فصمعا الله بالورع وطفقت أختها حمنة تخارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الافك قال ابن شهاب فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط زادني رواية قالت عائشة والله ان الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله في الذي نفسى بيده ما كشفت من كنف أنثى قط قالت ثم قتل بعد في سبيل الله شهيد اهذا حديث متفق على صحته أخرجاه في الصحيحين زاد البخاري في رواية عن عروة عن عائشة والذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي بن سلول وقال عروة أخبرت انه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقرره ويشيعه ويستوشيه قال عروة لم يسم لي من أهل الافك الا حسان بن ثابت ومسطح بن اثانة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى قال عروة كانت عائشة تكره ان يسب عندها حسان وتقول انه الذي قال

فان أبي ووالدتي وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

أخرجاه من حديث مسروق قال دخلت على عائشة وعندها حسان ينشد ها شعر ابنت من أبياته فقال

حصان رزان ما نزن بريئة * وتصبح غرني من لحوم الغوافل

فقال عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها ان اذنين له ان يدخل عليك وقد قال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأي عذاب اشد من العمى وقالت انه كان ينافح أو مهاجى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * حل غريب الفاظ هذا الحديث قوله وكلهم حدثني طائفة أي قطعة من حديثها قوله كان او عي اي احفظ له قولها أي اءلم بالرحيل قولها فاذا عقد لي من جزع اظفار هو نوع من الخرز

وهو الحجر الرملي المعروف قوطا لم يهبلن أي يكترلجهن من السمن فيثقلن قوطا عمايا كان العلقه من الطعام هو بضم العين أي البلغة من الطعام وهو قوطا وليس بها منهم داع ولا مجيب أي ليس بها أحد لا من يدعو ولا من يرد جوابا قوطا فتيمت أي قصدت قوطا قد عرس من وراء الجيش فادلج التعريس نزول المسافر في آخر الليل للراحة والادلاج بالتشديد سير آخر الليل وبالتخفيف سير الليل كله قوطا باسترجاعه هو قوله أنا لله وأنا إليه راجعون قوطا غمرت أي غطيت وجهي بجلبابي أي ازاري قوطا موغرين في نحر الظهيرة الوغرة شدة الحر وكذا نحر الظهيرة أي أوطا قوطا والناس يفيضون أي يخوضون ويتعدون قوطا وهو ير بنى يقال رابى الشير يبنى أي شككت فيه قوطا ولا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم الألف أي الرفق بها واللفظ في الأفعال الرفق وفي الأقوال لين الكلام قوطا حتى نقهت أي أفقت من المرض والمناصع المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من غائط وبول وأصله المكان الواسع الخالي والمرط كساء من صوف أو خز قوطا تعس مسطح أي عثرو هو من الدعاء على الإنسان أي سقط لوجهه قوطا ياهنتاه أي بلهأه كأنها تنسبها إلى البله وقلة المعرفة قوطا لا يرقألى دمع أي لا ينقطع وقول بريرة إن رأيت بمعنى النفي أي ما رأيت منها مرأا أنعمه بالصاد المهملة أي أعيبه والداجن الشاة التي تألف البيت وتقيم به قوله صلى الله عليه وسلم من يعذرنى أي من يقوم بعذري إن أنا كافأته على سوء صنيعه إن عانت أو عاقبت فلا تلو موني على ذلك قوطا وكانت أم حسان بنت عمه من غفده أي من قبيلته قوطا ولكن احققتة الجية أي حمله الغضب والافتة والتعصب على الجهل للقراءة قوطا فتشاور الحيان أي ثاروا ونهضوا للقتال والمخاصمة قوطا فلم يزل يخفضهم أي يهون عليهم ويسكن قوله صلى الله عليه وسلم إن كنت ألمت قيل هو من اللم وهو صغار الذنوب وقيل معناه مقارفة الذنب من غير فعل قوطا قاص دمعى أي انقطع جريانه قوطا مارام أي ما برح من مكانه والبرحاء الشدة والكرب والجمانه الدررة وجعها جان فسرى عنه أي كشف عنه وقول زينب أحي سمعى وبصرى أي أمنعهما من أن أخبر بما لم أسمع ولم أبصر قوطا وهي التي كانت تساميني من السمور وهو العلو والغلبة فعصها الله أي منعهما من الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت من كنف أي من ستر أتي قوايه ويستوشيه أي يستخرجه بالبحث عنه والاستقصاء فيه وقول حسان في عائشة حسان بفتح الحاء يقال امرأة حسان أي متعفة رزان أي ثابتة ما وزن أي ترمى ولا تهم بريئة أي بأمرير يب الناس حبيبة وتصبح غرثي أي جائعة والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافلة والمعنى أنها لا تغتاب أحدا ممن هو غافل عن مثل هذا الفعل وقول عائشة في حسان أنه كان ينافح أي يناضل ويخاصم عن الله ورسوله وأما التفسير فقوله عز وجل إن الذين جاؤا بالافك أي بالكذب والافك أسوأ الكذب لكونه مصروفا عن الحق وذلك إن عائشة كانت تستحق الثناء والمدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل وجاء بالافك عصابة أي جماعة منكم أي عبد الله بن أبي سلول ومسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وحنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله فان قلت عبد الله بن أبي سلول كان رأس المنافقين فكيف قال منكم قلت كان ينسب إلى الإيمان في الظاهر وقيل قوله منكم خرج مخرج الأغلبن فان حسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحنة كانوا من المؤمنين المخلصين (لا تحسبوه شرالكم) يعني الافك الخطاب لعائشة وصفوان وقيل لعائشة ولأبويها وللنبي صلى الله عليه وسلم وصفوان (بل هو خير لكم) يعني إن الله أجركم على ذلك وأظهر براءتكم وشهد بكذب العصابة وأوجب لهم التمس وهذا غاية الشرف والفضل لكم (لكل امرئ منهم) أي من العصابة الكاذبة (ما اكتسب من الأثم) أي جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه (والذي تولى كبره) أي تحمل معظمه وبدأ بالخوض فيه وأقام بشاعته وهو عبد الله بن أبي بن سلول (منهم) من العصابة (له عذاب عظيم) يعني عذاب النار في الآخرة روى إن النبي صلى الله عليه

(لا تحسبوه) أي الافك
(شرالكم) عند الله (بل هو خير لكم) لأن الله أنابكم عليه وأنزل في البراءة منه ثماني عشرة آية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان ومن ساء ذلك من المؤمنين (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الأثم) أي على كل امرئ من العصابة جزاء أتم على مقدار خوضه فيه وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت (والذي تولى كبره) أي عظمه عبد الله بن أبي (منهم) أي من العصابة (له عذاب عظيم) أي جهنم يحكى إن صفوان من يهودجها عليه وهو في ملا من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجما منهم وبعج الخائفين فقال

(لولا) هلا (اذ سمعتموه) أى الافك (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) بالذين منهم فالؤمنون كنفس واحدة وهو كقوله ولانمروا
انفسكم (خيرا) عفا فاصلا وذلك نحو ما يروى ان عمر رضى الله عنه قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام انا قاطع بكذب المنافقين لان الله
عصمك من وقوع الذباب على جلدك لانه يقع على الجاسات فيتلطخ بها فله اعصمك الله من ذلك القدر من القدر فكيف لا يعصمك عن صحبة
من تكون متلطخة بمثل هذه الفاحشة وقال عثمان ان الله ما وقع ظلك على الارض لتلاضع انسان قدمه على ذلك الظل فلما لم يمكن أحدا
من وضع القدم على ظلك كيف يمكن أحدا من تلويث عرض زوجته وكذا قال على رضى الله عنه ان جبريل أخبرك ان على نعليك قدرا
وأمرك باخراج النعل عن رجلك بسبب ما التصق به من القدر فكيف لا يأمرك باخراجها بتقدير أن تكون متلطخة بشئ من الفواحش
وروى أن أبا أيوب الانصارى قال لامرأته الأترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أ كنت تظن بحرم رسول الله سوا وقال لا قالت
ولو كنت أبدا لعائشة ما خنت رسول الله فعائشة خير منى وصفوان خير منك وإنما عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ولم
يقل ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم لي بالغ في التوبيخ بطريق الالتفات وليدل التصريح بلفظ الايمان على أن الاشتراك فيه يقتضى أن
لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب واطاعن وهذا من الادب (٣٤٣) الحسن الذى قل القائم به والحافظ له

وليتك تجرد من يسمع
فيست ولا يشيع ما سمعه
باخوانه (قالوا هذا افك
مبين) كذب ظاهر لا يليق
بهما (لولا جاؤا عليه بأربعة
شهداء) هلا جاؤا على
القذف لو كانوا صادقين
بأربعة شهداء (فأذلم يأتوا
بالشهداء) الأربعة
(فأولئك عند الله) أى فى
حكمه وشر يعته (هم
الكاذبون) أى القاذفون
لان الله تعالى جعل التفصلا
بين الرمي الصادق
والكاذب ثبوت شهادة
الشهود الأربعة واتفاؤها
والذين رموا عائشة رضى

وسلم أمر بالذين رموا عائشة جلدوا والحد جميعا ثمانين ثمانين قوله عز وجل (لولا اذ سمعتموه) أى الحديث
الكذب وهو قول أهل الافك (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) باخوانهم وأهل دينهم (خيرا) والمعنى
كان الواجب على المؤمنين اذا سمعوا قول أهل الافك أن يكذبوه ويحسنوا الظن ولا يسرعوا فى التهمة
وقول الزور فمن عرفوا عفته وطهارته وفيه معاتبة للمؤمنين (وقالوا هذا افك مبين) أى كذب بين لا حقيقة
له (لولا) أى هلا (جاؤا عليه) أى على ما زعموا (بأربعة شهداء) أى يشهدون بذلك (فأذلم يأتوا بالشهداء
فأولئك عند الله) أى فى حكم الله (هم الكاذبون) وهذا من باب الزواج فان قلت كيف يصيرون عند
الله كاذبين اذا لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت قلت قيل هذا
فى حق الذين رموا عائشة خاصة ومعناه فأولئك هم الكاذبون فى غيبى وعلمى وقيل معناه فأولئك عند الله فى
حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف اذا لم يأت بالشهود يجب زجره قوله
تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) معناه لولا انى قضيت
أن أتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جلتها الامهال للتوبة وأن أترحم عليكم فى الآخرة بالعتفو
والغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم به من حديث الافك والخطاب للقذفة وهذا الفضل هو تأخير
العذاب وقبول التوبة عن تاب (اذ تلقونه بألسنتكم) أى يرويه بعضهم عن بعض وذلك أن الرجل منهم
يلقى الرجل فيقول بلغنى كذا وكذا فيتلقونه تلقيا يلقى به بعضهم على بعض (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم
به علم) أى من غير أن تعلموا انه حق (وتحسبونه هينا) أى وتظنون انه سهل لا اثم فيه (وهو عند الله
عظيم) أى فى الوزر (ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك) قيل هو للتعجب

الله عنهم يكن لهم بينة على قولهم فكانوا كاذبين (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) لولا
هذه الامتناع الشئ لوجود غيره بخلاف ما تقدم أى ولولا انى قضيت ان أتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جلتها الامهال للتوبة
وأن أترحم عليكم فى الآخرة فى العفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال أفاض فى الحديث وخاض وان دفع
(اذ) ظرف لمسكم أو لافضتم (تلقونه) يأخذه بعضهم من بعض يقال تلقى القول وتلقنسه وتلقفه (بألسنتكم) أى ان بعضهم كان يقول لبعض
هل بلغك حديث عائشة حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) انما قيد بالافواه مع
ان القول لا يكون الا بالفم لان الشئ المعلوم يكون علمه فى القلب ثم يترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يدور فى أفواهكم من غير
ترجمة عن علم به فى القلب كقوله يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم (وتحسبونه) أى خوضكم فى عائشة رضى الله عنها (هينا) صغيرة (وهو
عند الله عظيم) كبيرة جزع بعضهم عند الموت فقيل له فى ذلك فقال أخاف ذنبا لم يكن منى على بال وهو عند الله عظيم (ولولا) وهلا (اذ
سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) فصل بين لولا وقلتم بالظرف لان للظروف شأنها وهو تنزلها من الاشياء منزلة أنفسها الوقوعها
فيها وانها لا تنفك عنها فلذا يتسع فيها ما لا يتسع فى غيرها فائدة تقديم الظرف انه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالافك عن
التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهتم قدم والمعنى هلا قلتم اذ سمعتم الافك ما يصح لنا أن نتكلم بهذا (سبحانك)

للتعجب من عظم الامر ومعنى التعجب في كلمة التسبيح ان الاصل ان يسبح الله عند رؤيته العجيب من صنائه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه اولئذ به الله من ان تكون حرمته نبيه فاجرة وانما جاز ان تكون امرأة النبي كافرة كما امرأة نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة لان النبي مبعوث الى الكفار ليدعوهم فيجب ان لا يكون معه ما يفرهم عنه والكفر غير منفرد عندهم واما الكشخنة فن اعظم المنفرات (هذا بهتان) زور يهت من يسمع (عظيم) وذكروا بان تقدم هذا الفك مبين ويجوز ان يكونوا امرؤا بهم ما بالغة في التبري (يعظمكم الله ان تعودوا) في ان تعودوا (لمثله) لمثل هذا الحديث من القذف واستماع حديثه (ابدا) مادتم احياهم مكلفين (ان كنتم مؤمنين) فيه تهيج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو الايمان الصادق عن كل قبيح (ويبين الله لكم الآيات) الدلالات الواضحات واحكام الشرائع والاداب الجميلة (والله عليم) بكم وباعمالكم (حكيم) يجزي على وفق اعمالكم او علم صدق نزاهتها وحكم براءتها (ان الذين يحبون ان) تشيع الفاحشة في الذين آمنوا) أي ما قبح جدا والمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد

الاشاعة ومحبة لها (لم عذاب أليم في الدنيا) بالحد ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي وحسانا ومسطحا الحد (والآخرة) بالنار وعدها ان لم يتوبوا (والله يعلم) بواطن الامور وسرائر الصدور (وأتم لاتعلمون) أي انه قد علم محبة من أحب الاشاعة وهو معاقبه عليها (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) لجهل لكم العذاب وكرر المنة بتكرار المعالجة بالعقاب مع حذف الجواب بمبالغة في المنة عليهم والتوبيخ لهم (وان الله رؤف) حيث أظهر براءة المقدوف وأتاب (رحيم) بغفرانه جنابة القاذف اذ اناب (يا أيها الذين آمنوا

وقيل هو للتنزيه (هذا بهتان عظيم) أي كذب عظيم يهت ويحير من عظمه روى ان أم أيوب الانصاري قالت لابي أيوب الانصاري ما بلغك ما يقول الناس في عائشة فقال سبحانك هذا بهتان عظيم فترات الآية على وفق قوله (يعظمكم الله) قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل ينهاكم الله (ان تعودوا والمثله ابدا ان كنتم مؤمنين) ويبين الله لكم الآيات) أي في الامر والنهي (والله عليم) أي بامر عائشة وصفوان (حكيم) أي حكم ببراءتها ﴿ قوله عز وجل (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة) أي يظهر الزنا ويذيع (في الذين آمنوا) قيل الآية مخصوصة بمن قذف عائشة والمراد بالذين آمنوا عائشة وصفوان وقيل الآية على العموم فكل من أحب ان تشيع الفاحشة أو تظهر على أحد فهو داخل في حكم هذه الآية والمراد بالذين آمنوا جميع المؤمنين (لم عذاب أليم في الدنيا) يعني الحد والذم على فعله (والآخرة) أي وفي الآخرة لهم النار (والله يعلم) أي كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله (وأتم لاتعلمون) وقيل معناه يعلم ما في قلب من يحب ان تشيع الفاحشة فيجاز به على ذلك وأتم لاتعلمون ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) أي لولا انعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يزيد مسطحا وحسان بن ثابت وحنة (وان الله رؤف رحيم) ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان) أي آثاره ومسالكه (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يامر بالفحشاء والمنكر) أي بالقبايح من الاقوال والافعال وكل ما يكره الله عز وجل والآية عامة في حق كل أحد لان كل مكلف ممنوع من ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد ابدا) أي ما طهر ولا صلح والآية عند بعض المفسرين على العموم قالوا أخبر الله تعالى انه لولا فضله ورحمته بالعصاة ما صلح منكم أحد وقيل الخطاب للذين خاضوا في الافك ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ما قبل توبة أحد منكم ابدا (ولكن الله يزكي) أي يظهر (من يشاء) من الذنب بالرحمة والمغفرة (والله سميع) أي لا قوالكم (عليم) أي بما في قلوبكم ﴿ قوله عز وجل (ولا ياتل) أي ولا يحلف من الآلية وهي القسم (أولو الفضل منكم والسعة) يعني الغني يعني أبا بكر الصديق (ان يؤثروا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدر يا ابن خالة أبي بكر الصديق حلف أبو بكر ان لا ينطق عليه فانزل الله هذه الآية (وليعفوا وليصفحوا) أي عن خوض مسطح في

لاتتبعوا خطوات الشيطان) أي آثاره ووساوسه بالاصفاء الى الافك والقول فيه (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه) فان الشيطان (يا امر بالفحشاء) ما أفرط قبحه (والمنكر) ما تنكره النفوس فتتنفر عنه ولا ترضيه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد ابدا) ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة المعصية لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس اثم الافك (ولكن الله يزكي من يشاء) يظهر التائبين بقبول توبتهم اذا محضوها (والله سميع) لقولهم (عليم) بضمايرهم واخلاصهم (ولا ياتل) ولا يحلف من اتلى اذا حلف افتعال من الآلية ولا يقصر من الالو (أولو الفضل منكم) في الدين (والسعة) في الدنيا (ان يؤثروا) أي لا يؤثروا ان كان من الآلية (أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) أي لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان أو لا يقصروا في أن يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شعناء جنابة اقربوها (وليعفوا وليصفحوا) العفو الستر والصفح الاعراض أي ولا يتجاوزوا عن الجفاء ويعرضوا عن العقوبة

(الأتعجبون ان يغفر الله لكم) فليفعلوا بهم ما يرجون ان يفعل بهم معهم مع كثرة خطاياهم (والله غفور رحيم) فتأدبوا بآداب الله واغفروا وارحوا نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح ابن خاتمه لحوضه في عائشة رضي الله عنها وكان مسكينا بدر يماجر اولم اقرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى أحب ان يغفر الله لي ورد الى مسطح نفقته (ان الذين يرمون المحصنات) العفاف (العافلات) السليبات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور (المؤمنات) بما يجب الايمان به عن ابن عباس رضي الله عنه هن أزواجه عليه الصلاة والسلام وقيل هن جميع للمؤمنات اذا العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقيل أريدت عائشة رضي الله عنها واما ما جمع لان من قذف واحدة من (٣٤٥) نساء النبي عليه الصلاة والسلام

فكانه قذفهن (لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) جعل القذفة ملعونين في الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة ان لم يتوبوا والعامل في (يوم تشهد عليهم) يعذبون وبالياء حمزة وعلى (الستهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) أي بما أفكوا أو بهتوا والعامل في (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) بالنصب صفة للدين وهو الجزاء ومعنى الحق الثابت الذي هم أهله وقرأ مجاهد بالرفع صفة كقراءة أبي يوفيهم الله الحق دينهم وعلى قراءة النصب يجوز أن يكون الحق وصفا لله بان ينتصب على المدح (ويعلمون) عند ذلك (ان الله هو الحق المبين) لارتفاع

أمر عائشة (الأتعجبون) يخاطب أبا بكر (ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى أنا أحب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح بن نفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لأنزعها عنه أبدا وفي الآية أدلة على فضل أبي بكر الصديق لان الفضل المذكور في الآية ذكره تعالى في معرض المدح وذكره بلفظ الجمع في قوله أولو الفضل وقوله الأتعجبون ان يغفر الله لكم وهذا يدل على علو شأنه ومربته منها انه احتل الأذى من ذوى القربى ورجع عليه بما كان ينفقه عليه وهذا من أشد الجهاد لانه جهاد النفس ومنها انه تعالى قال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال في حق أبي بكر وليعفووا ليصفحوا فدل ان أبا بكر كان ثاني اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الاخلاق وفي الآية دليل على ان من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه ومنه الحديث الصحيح من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه ﴿ قوله تعالى (ان الذين يرمون المحصنات) أي العفاف (العافلات) أي عن الفواحش والعافلة عن الفاحشة هي التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عائشة رضي الله عنها (المؤمنات) وصفها بالمؤمنات لعلو شأنها (لعنوا) أي عذبوا (في الدنيا) بالحد (والآخرة) أي وفي الآخرة بالنار (ولهم عذاب عظيم) وهذا في حق عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وروى عن خصيف قال قلت لسعيد بن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة قال ذلك لعائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر المؤمنات ليس في ذلك توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأوا الذين يرمون المحصنات الى قوله نابوا فجعل طو لاء توبة ولم يجعل لاولئك توبة وقيل بل لهم توبة أيضا للآية (يوم تشهد عليهم ألسنتهم) هذا قبل ان يختم على أفواههم (وأيديهم وأرجلهم) بروى انه يختم على الأفواه فتتكلم الايدي والارجل بما عملت في الدنيا وهو قوله (بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) أي جزاءهم الواجب وقيل حسبهم العدل (ويعلمون ان الله هو الحق المبين) أي الموجود الظاهر الذي بقدرته وجود كل شيء وقيل معناه يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا وقال ابن عباس وذلك ان عبد الله بن أبي بن سلول كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين ﴿ قوله عز وجل (الخبيثات للخبيثين) قال أكثر المفسرين معنى الخبيثات الكلمات والقول للخبيثين من الناس ومثله (والخبيثون) أي من الناس (للخبيثات) من القول (والطيبات) أي من القول ومعنى الآية ان الخبيث من القول لا يليق الا بالخبيث من الناس والطيب

(٤٤ - (خازن) - ثالث) الشكوك وحصول العلم الضروري ولم يغلف الله تعالى في القرآن في شيء من المعاصي تغليظه في افك عائشة رضي الله عنها فوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجل وأكدر وكرر وما ذاك الاماروى عن ابن عباس رضي الله عنه من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الامن خاض في أمر عائشة وهذا منه تعظيم ومبالغة في أمر الافك ولقد برأ الله تعالى أربعة باربعه برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بشو به ومريم رضي الله عنها بانطاق ولدها وعائشة رضي الله عنها بهذه الآي العظام في كتابه المعجز المتلوعلى وجه الدهر بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرتة أوائك وما ذلك الا لظهار علو منزلة رسوله والتفنيه على اناقة محله صلى الله عليه وسلم وعلى آله (الخبيثات) من القول تقال (للخبيثين) من الرجال والنساء (والخبيثون) منهم يتعرضون (للخبيثات) من القول وكذلك (والطيبات

للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون) أي فيهم وأولئك إشارة إلى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة رضي الله عنها ومارميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز أن يكون إشارة إلى أهل البيت وانهم مبرؤن مما يقول أهل الافك وان يراد بالخبيثات والنساء الخبيثات يتزوجن الخبيثات والخبيثات تزوج الخبيثات وكذا أهل الطيب (لهم مغفرة) (٣٤٦) مستأنف وأخبر بعد خبر (ورزق كريم) في الجنة ودخل ابن عباس رضي الله

عنهما على عائشة رضي الله عنها في مرضها وهي خائفة من القدر على الله تعالى فقال لا تخافي لانيك لا تقدمين الاعلى مغفرة ورزق كريم ونلا الآية فغشي عليها فرجها ما تلا وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها أعطيت تسعاً ما أعطيتن امرأة نزل جبريل بصورتي في راحته حين أمر عليه الصلاة والسلام ان يتزوجني وتزوجني بكر او مات تزوج بكر اغيري وتوفي عليه الصلاة والسلام ورأسه في حجرى وقبري في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وينزل عليه الوحي وأنا في لحافه ولنا ابنة خليفته وصديقه ونزل عندي من السماء وخلقت طيبة عند طيب ووعدت مغفرة ورزقا كريمًا وقال حسان معتذرا في حقها حسان رزان ما تزن بريبة • وتصبح غرني من لحوم الفواقل حليلة خير الناس ديناً ومنصباً • نبي

من القول لا يليق الا بالطيب من الناس وعائشة لا يليق بها الخبيث من القول لانها طيبة فيضاف اليها طيب القول من الثناء والمدح وما يليق بها وقيل معناه لا يتكلم بالخبيث الا الخبيث من الرجال والنساء وهذا ذم للذين قد فوا عائشة ولا يتكلم بالطيب من القول الا الطيب من الرجال والنساء وهذا مدح للذين برؤها باظهار والمدح لها وقيل معنى الآية الخبيثات من النساء الخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبد الله بن أبي المنافق والشا كين في الدين والطيبات من النساء (للطيبين والطيبون للطيبات) يريد عائشة طيبها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم (أولئك مبرؤن) يعني عائشة وصفوان ذكرهما الله بلفظ الجمع منزهون (مما يقولون) يعني أصحاب الافك (لهم مغفرة) أي عفو لذنوبهم (ورزق كريم) يعني الجنة روى ان عائشة كانت تفتخر بأشياء أعطيتها لم تعطها امرأة غيرها منها ان جبريل عليه السلام أتى بصورتها في سرقه حر برو قال هذه زوجتك وروى انه أتى بصورتها في راحته ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكر اغيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرها وفي يومها ودفن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهي معه في اللحاف ونزلت براءتها من السماء وانها ابنة الصديق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريمًا وكان مسروق اذا حدث عن عائشة يقول حدثني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبرأة من السماء قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) أي تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا ويقول تستأنسوا خطأ من الكاتب وفي هذه الرواية نظر لان القرآن ثبت بالتواتر والاستئناس في اللغة الاستئذان وقيل الاستئناس طلب الانس وهو ان ينظر هل في البيت انسان فيؤذنه اني داخل وقيل هو من آنت أي أبصرت وقيل هو ان يتكلم بتسبيحة أو يتنحجح حتى يعرف أهل البيت (وتسلموا على أهلها) بيان حكم الآية انه لا يدخل بيت الغير الا بعد الاستئذان والسلام واختلوا في أيها يقدم فقيل يقدم الاستئذان فيقول أدخل سلام عليكم كافي الآية من تقديم الاستئذان قبل السلام وقال الا كثرون يقدم السلام فيقول سلام عليكم أدخل وتقدير الآية حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وكذا هو في مصحف ابن مسعود وروى عن كند بن حنبل قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أدخل أخرجه أبو داود والترمذي وعن ربي بن حراش قال جاء رجل من بني عامر فاستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في البيت فقال أجلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه أخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل السلام عليكم أدخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم أدخل فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود (ق) عن أبي سعيد وأبي بن كعب عن أبي موسى قال أبو سعيد كنت في مجلس من مجالس الانصار اذا جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال استأذنت على

الهدى والمكرمات الفواضل عقيلة حى من اوى بن غالب • كرام المساعي مجد ها غير زائل مهديبة قد طيب الله خيمها

• وظهرها من كل شين وباطل (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم) أي بيوتنا لم تكونها ولا تسكنونها (حتى تستأنسوا) أي تستأذنوا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد قرأه والاستئناس في الاصل الاستعلام والاستكشاف استفعال من انس الشيء اذا أبصره ظاهرا مكشوفاً أي حتى تستعلموا اطلاق لكم الدخول أم لا وذلك بتسبيحة أو بتكبير أو بتحميدة أو بتنحجح (وتسلموا على أهلها) والتسليم ان يقول السلام عليكم أدخل ثلاث مرات فان أذن له والارجع وقيل ان تلاقيا يقدم التسليم والا فلا استئذان

(ذلكم) أي الاستئذان والتسليم (خير لكم) من نحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير إذن فكان الرجل من أهل الجاهلية إذا دخل بيت غيره يقول حينتم صباحا وحينتم مساء ثم يدخل فر بما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد (اعلمكم تذكرون) أي قيل لكم هذا لكي تذكروا وتتذكروا وتعملوا ما أمرتم به في باب الاستئذان (فان لم تجدوا فيها) (٣٤٧) في البيوت (أحدا) من الآذنين

(فلاندخلوها حتى يؤذن لكم) حتى تجدوا من ياذن لكم أو فان لم تجدوا فيها أحدا من أهلها ولكم فيها حاجة فلاندخلوها الا باذن أهلها لان التصرف في ملك الغير لا بد من أن يكون برضاه (وان قيل لكم ارجعوا) أي اذا كان فيها قوم فقلوا ارجعوا (فارجعوا) ولا تلجوا في اطلاق الاذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب ولا تلجوا على الابواب لان هذا مما يجلب الكراهة فاذا نهى عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي اليها من فرع الباب بعنف والتصحيح بصاحب الدار وغير ذلك وعن أبي عبيد ما قرعت بابا على عالم قط (هو أذكي لكم) أي الرجوع أطيب وأظهر لمخافيه من سلامة الصدور والبعد عن الريبة أو أنفع وأمن خيرا (والله بما تعملون عليم) وعيد للمخاطبين بأنه عالم بما ياتون وما يذرون عما خوطبوا به فقف جزاءه عليه (ليس عليكم جناح ان تدخلوا) في

عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت قال ما منعك قلت استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع قال والله اتقيمن عليه ينة منكم أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم قال أبي بن كعب فوالله لا يقوم معك الا أصغر القوم فكنت أصغر القوم فقمتم معي فاخبرت عمران النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال الحسن الاول اعلام والثاني مؤامرة والثالث استئذان بالرجوع عن عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الايمن أو الايسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها يومئذ ستورا أخرجه أبو داود وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعى أحدكم فجامع الرسول فان ذلك له اذن أخرجه أبو داود وقيل اذا وقع بصره على انسان قدم السلام والاقدم الاستئذان ثم يسلم وقال أبو موسى الأشعري وحذيفة يستأذن على ذوات المحارم بدل عليه ماروي عن عطاء بن يسار أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استأذن علي أمي قال نعم فقال الرجل اني معها في البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها فقال الرجل اني خادمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها أنتحب أن تراها عريانة قال لا قال فاستأذن عليها أخرجه مالك في الموطأ مراسلا وقوله تعالى (ذلكم خير لكم) أي فعل الاستئذان خير لكم وأولى بكم من التهجم بغير إذن (اعلمكم تذكرون) أي هذه الآداب فتعملوا بها وقوله عز وجل (فان لم تجدوا فيها) أي في البيوت (أحدا) أي ياذن لكم في دخولها (فلاندخلوها حتى يؤذن لكم) أي في الدخول (وان قيل لكم ارجعوا) يعني اذا كان في البيت قوم وكرهوا دخول الداخل عليهم فقلوا ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازما (هو أذكي لكم) أي الرجوع هو أطهر وأصلح لكم فان للناس أحوال وأحوال يكرهون الدخول عليهم في تلك الأحوال واذا حضر الى الباب فلم يستأذن وقعد على الباب منتظرا جاز كان ابن عباس ياتي دور الانصار اطلب الحديث فيقعد على الباب ولا يستأذن حتى يخرج اليه الرجل فاذا خرج ورآه قال يا ابن عم رسول الله لو أخبرتني بمكانك فيقول هكذا أمرنا أن نطلب العلم واذا وقف على الباب فلا ينظر من شقه اذا كان الباب مردودا (ق) عن سهل بن سعد قال اطلع رجل من بخر في باب النبي صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدري يرجل وفي رواية يحك به رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت أنك تنظر لطعنت به في عينك انما جعل الاذن من أجل البصر (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقوا عينه وفي رواية للنسائي قال لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن خذفته ففقت عينه ما كان عليك حرج وقال مرة أخرى جناح (والله بما تعملون عليم) أي من الدخول بالاذن ولما نزلت آية الاستئذان قلوا كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكنة قال الله تعالى (ليس عليكم جناح) أي اتم (ان تدخلوا بيوت غير مسكونة) أي بغير استئذان (فيها متاع لكم) أي منفعة لكم قيل ان هذه البيوت هي الخانات والمنازل المبنية للسابلة ليأروا اليها ويؤروا أمتعتهم فيها فيجوز دخولها بغير استئذان وللمنفعة النزول بها واتقاء الحر والبرد وايواء الامتعة بها وقيل بيوت التجار وحواليتهم في الاسواق يدخلها للبيع والشراء وهو منفعتها فليس فيها استئذان وقيل هي جميع البيوت التي لا ساكن فيها لان الاستئذان انما جعل لئلا يطالع على عورة فان لم يخف ذلك جازله الدخول

أن تدخلوا (بيوت غير مسكونة) استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على دخولها ما ليس يسكنون منها كالخانات والربط وحواليت التجار (فيها متاع لكم) أي منفعة كالاستئذان من الحر والبرد وايواء الرجال والسلع والشراء والبيع وقيل الخربات بتبعض فيها والمتاع التبرز

(والله يعلم ما تبدون وما كنتمون) وعيد للذين يدخلون النار بات والدور الخالية من أهل الريبة (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) من للتبويض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل (ويحفظوا فروجهم) عن الزنا ولم يدخل من هنالان الزنا لاختصاصه فيه بوجه ويجوز النظر الى وجهه الاجنبية وكفها وقد مهيأ في رواية والى رأس المحارم والصدر والساقين والعضدين (ذلك) أي غض البصر وحفظ الفرج (أزكى لهم) أي أظهر من دنس (٣٤٨) الأثم (ان الله خير بما يصنعون) فيه ترغيب وترهيب يعني انه خير باحوالهم

وأفعالهم وكيف يجيئون أبصارهم يعلم خاتمة الاعين وما تخفى الصدور فعليهم اذا عرفوا ذلك أن يكونوا متواضعا على تقوى وحذر في كل حركة وسكون (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) أمرن بغض الابصار فلا يحل للمرأة أن تنظر من الاجنبى الى ما تحت سرته الى ركبتيه وان اشتت غضت بصرها رأسا ولا تنظر الى المرأة الا الى مثل ذلك وغض بصرها من الاجانب أصلا أولى بها وانما قدم غض الابصار على حفظ الفروج لان النظر يريد الزنا ورأى الفجور فيذر الهوى طموح العين (ولا يبدن زينتهن) الزينة ما تزينت به المرأة من حللى أو كحل أو خضاب والمعنى لا يظهرن مواضع الزينة وهى الحللى ونحوها مباح فالمراد بها مواضعها لاظهارها مواضعها لاظهار أعيانها ومواضعها الرأس والاذن والعتق

بغير استئذان (والله يعلم ما تبدون وما كنتمون) قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) أي عمالا يحل النظر اليه قيل معناه يغضوا أبصارهم وقيل من هنالالتبويض لانه لا يجب الغض عما يحل اليه النظر وانما أمر وان يغضوا عمالا يحل النظر اليه (م) عن جرير قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة قال اصرف بصرك عن بر يدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى يا على لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وايسر لك الثانية أخرجه أبو داود والترمذى (م) عن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الى عورة المرأة ولا المرأة الى عورة الرجل ولا يفضى الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا تفضى المرأة الى المرأة في ثوب واحد وقوله تعالى (ويحفظوا فروجهم) أي عمالا يحل قال أبو العالية كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا في هذا الموضع فانه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه فان قلت كيف أدخل من على غض البصر دون حفظ الفرج قلت فيه دلالة على ان أمر النظر أوسع الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وئديهن وأعضاءهن وأقدمهن وكذلك الجوارى المستعرضات في البيع والاجنبية يجوز النظر الى وجهها وكفها للحاجة الى ذلك وأما أمر الفروج فضيق وكفاك ان أبيع النظر الا ما استثنى منه وحظر الجماع الا ما استثنى منه فان قلت كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج قلت لان النظر يريد الزنا ورأى الفجور والبلوى فيه أشد ولا يكاد أحد يقدر على الاحتراس منه (ذلك أزكى لهم) أي غض البصر وحفظ الفرج (ان الله خير بما يصنعون) أي انه خير باحوالهم وأفعالهم وكيف يجيئون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم قوله عز وجل (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) أي عمالا يحل لمن روى عن أم سلمة قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحارث اذا قبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبنا منه فقلنا يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعميا وان أنتما ألسنتا تبصرنا أخرجه الترمذى وأبو داود وقوله تعالى (ولا يبدن) أي لا يظهرن (زينتهن) أي لغير محرم وأراد بالزينة الخفية مثل الخللخال والخضاب في الرجل والسوارى في المعصم والقرط في الاذن والقلائد في العنق فلا يجوز للمرأة اظهارها ولا يجوز للاجنبي النظر اليها والمراد من الزينة النظر الى مواضعها من البدن (الاماظهر منها) أي من الزينة قال سعيد بن جبيرة والضحاك والاوزاعي الوجه والكفان وقال ابن مسعود هي الثياب وقال ابن عباس هي الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الاجنبى النظر اليه للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات اذا لم يخف فتنة وشهوة فان خاف شيئا من ذلك غض البصر وانما رخص في هذا القدر للمرأة أن تبديه من بدنها لانه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة (وليضر بن نخمرهن) أي ليلقبن بمقانعهن (على جيوبهن) أي موضع الجيب وهو النحر والصدر أي ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وأقراطهن وصدورهن (خ) عن عائشة قالت يرحم

والصدر والعضدان والذراع والساق فهى للاكليل والقرط والقلادة والوشاح والسوارى والدملج والخلخال (الاماظهر منها) الله الاماجرت العادة والجليلة على ظهوره وهو الوجه والكفان والقدمان في سترها حرج بين فان المرأة لا تجدد بدنها من مزاوله الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشى في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن (وليضر بن) وليضمن من قولك ضربت يدي على الحائط اذا وضعتها عليه (بنخمرهن) جمع نخار (على جيوبهن) بضم الجيم مدنى وبصرى وعاصم كانت جيوبهن واسعة تبد منها صدورهن وما حوا اليها وكن يسدن الخمر من ورانها فتبقى مكشوفة فامر ان يسدنها

قدامهن حتى تغطيهن (ولا يبدن زينتهن) أي مواضع الزينة الباطنة كالصدر والساق والرأس ونحوها (الابعولتهن) لازواجهن جمع
بعل (أو آبائهن) ويدخل فيه الاجداد (أو آباء بعولتهن) فقد صاروا محارم (٣٤٩) (أو آبائهن) ويدخل فيهم النواقل

(أو أبناء بعولتهن) فقد
صاروا محارم أيضا (أو
اخواتهن أو بنى اخواتهن
أو بنى أخواتهن) ويدخل
فيهم النواقل وسائر المحارم
كالاعمام والاخوان وغيرهم
دلالة (أو نسائهن) أي
الحرائر لان مطلق هذا
اللفظ يتناول الحرائر (أو
ماملكت أيمانهن) أي
امأهن ولا يحل لعبدها أن
ينظر الى هذه المواضع منها
خصيا كان أو عينا أو غيبا
وقال سعيد بن المسيب لا
تغرنكم سورة النور فانها
في الاماء دون الذكور
وعن عائشة رضی الله عنها
أنها أباحت النظر اليها
لعبدها (أو التابعين غير)
بالنصب شامى ويزيد وأبو
بكر على الاستثناء أو الحال
وغيرهم بالجر على البدل
أو على الوصفية (أولى
الاربة) الحاجة الى النساء
قيل هم الذين يتبعونكم
ليصيبوا من فضل طعامكم
ولاحاجة لهم الى النساء
لانهم به لا يعرفون شيئا
من أمرهن أو شيوخ
صلحاء أو العنين أو الخصى
أو الخنثى وفي الاثر انه المحبوب
والاول الوجه (من الرجال)

الله نساء المهاجرات الاول لما أنزل الله وليضرب بن بخرمهن على جيوبهن شققن سروطنهن فاخترن
بها المرط كساء من صوف أو خز أو كتان وقيل هو الازاروقيل هو الدرع (ولا يبدن زينتهن) يعنى
الخفية التي لم يبح لها كشفها في الصلاة وللأجانب وهي ماعد الوجه والكفين (الابعولتهن) قال ابن
عباس لا يضمن الجلباب والخمار الا لازواجهن (أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبناء بعولتهن أو
اخواتهن أو بنى اخواتهن أو بنى أخواتهن) فيجوز لهؤلاء أن ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظرون
الى ما بين السرة والركبة ويجوز للزوج أن ينظر الى جميع بدن زوجته غير أنه يكره له النظر الى فرجها (أو
نسائهن) أي المؤمنات من أهل دينهن أراد به أنه يجوز للمرأة أن تنظر الى بدن المرأة الا ما بين السرة
والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تتجرد من ثيابها عند الذمية أو الكافرة لان الله تعالى قال أو نسائهن
والذمية أو الكافرة ليست من نسائنا ولانها اجنبية في الدين فكانت أبعد من الرجل الاجنبى كتب عمر
ابن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات وقيل
يجوز كما يجوز أن تكشف للمرأة المسلمة لانها من جملة النساء (أو ماملكت أيمانهن) قيل هو عبد المرأة
فيجوز له الدخول عليها اذا كان عفيفا وان ينظر الى مولاه الا ما بين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر
القرآن يروى ذلك عن عائشة وأم سلمة وروى أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى الى فاطمة بعد قد وهبه
لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك وقيل هو كالاجنبى معها
وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الآية الاماء دون العبيد (أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال)
قرئ غير نصب الراء وقيل هو بمعنى الاستثناء ومعناه يبدن زينتهن للتابعين الا اذا اربة منهم فانهم
لا يبدن زينتهن لمن كان منهم ذا اربة وقرئ غير بالجر على نعت التابعين والاربة والارب الحاجة والمراد
بالتابعين غير أولى الاربة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لاهمة لهم الا ذلك فلا حاجة لهم في
النساء وقال ابن عباس هو الاحق العنين وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن وقيل هو
المحبوب والخصى وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهبت شهوته وقيل هو الخنثى (م) عن عائشة رضی الله عنها
قالت كان يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أولى الاربة فدخلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نساءه وهو ينعت امرأة قال اذا أقبلت أقبلت باربع واذا أدبرت
أدبرت ثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا ترى هذا يعرف ما ههنا لا يدخل عليك فاحبوه زاد أبو
داود في رواية وأخرجوه الى البيداء يدخل كل جمعة فيستطم قوله أقبلت باربع أى ان طافى بطنها ربع
عكن فهي تقبل اذا أقبلت بها وأراد بالثمان أطراف العكن الاربع من الجانبين وذلك صفة لها باليمن
(أو الطفل الذين لم يظهر راعلى عورات النساء) أى لم يكشفوا عن عورات النساء لاجتماع فيطلع عليها وقيل
لم يعرفوا العورة من غيرهما من الصغر وقيل لم يطبقوا أمر النساء وقيل لم يبلغوا احد الشهوة وقيل الطفولية
اسم للصبى الملمحتم (ولا يضر بن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) قيل كانت المرأة اذا مشت
ضربت برجلها لسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها فنهين عن ذلك وقيل ان الرجل تغلب عليه
شهوة النساء اذا سمع صوت الخللخال ويصير ذلك داعية له زائدة في مشاهدتهن وقد علق ذلك بقوله تعالى

حال (أو الطفل الذين) هو جنس فصلح أن يراد الجمع به (لم يظهر راعلى عورات النساء) أى لم يطلعوا العدم الشهوة من ظهر على الشيء اذا اطلع
عليه أو لم يبلغوا أو ان القدرة على الوطء من ظهر على فلان اذا قوى عليه (ولا يضر بن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) كانت المرأة
تضرب الارض برجلها اذا مشت لتسمع قعقة خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فنهين عن ذلك اذ سمع صوت الزينة كاظهارها ومنه سمي

وغيره على فتح الهاء ولان بعدها الف في التقدير (لعمركم تفلحون) العبد لا يخلو عن سهو وتقصير في أوامره ونواهيته وان اجتهد فلذا وصى المؤمنين جميعا بالتوبة وتأميل الفلاح اذا تابوا وقيل احوج الناس الى التوبة من توهم انه ليس له حاجة الى التوبة وظاهر الآية يدل على ان العصيان لا ينافي الايمان (وانكحوا الايامي منكم) الايامي جمع ايم وهو من لا زوج له رجلا كان أو امرأة بكرة كان أو ثيبا وأصله ايام فقلبت (والصالحين) أى الخبيرين أو المؤمنين والمعنى زوجوا من تأيم منكم من الاحرار والحرار ومن كان فيه صلاح (من عبادكم وامانكم) أى من غلمانكم وجواربكم والامر للندب اذا النكاح مندوب اليه (ان يكونوا فقراء) من المال (يفهم الله من فضله) بالكفاية والقناعة أو باجتماع الرزقين بالنكاح وعن عمر رضى الله عنه روى مثله (والله واسع) غنى ذوسعة لا يرزوه اغناء الخلائق (عليم) يسط الرزق لمن يشاء وقيل في الآية دليل على ان تزويج

ليعلم ما يخفى من زينت فبه على ان الذى لاجله نهى عنه ان يعلم به ما علم من الحلى وغيره (وتوبوا الى الله جميعا) أى من التقصير الواقع في أمره ونهيه وراجعوا طاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة في هذه السورة قيل ان أوامر الله ونواهيته في كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد فلا ينفك عن تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين بالتوبة والاستغفار ووعده بالفلاح اذا تابوا واستغفروا فذلك قوله تعالى (أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) (م) عن الاغراغر مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول توبوا الى ربكم فوالله انى لا توب الى ربى تبارك وتعالى مائة مرة في اليوم عن ابن عمر قال ان كنا نعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس يقول رب اغفرلى وتب على انك أنت التواب الرحيم مائة مرة أخرجه عبد الرحمن بن حيد الكشى (ق) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد اضله في أرض فلاة (م) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه قوله عز وجل (وانكحوا الايامي منكم) جمع الايم يطلق على الذكروالانثى وهو من لا زوج له من رجالكم ونسائكم (والصالحين من عبادكم) أى من عبيدكم (وامانكم) بيان حكم الآية الامر المذكور في الآية أمر نذب واستحباب لا جماع السلف عليه فيستحب لمن ناقت نفسه الى النكاح ووجد اهبتها ان يتزوج وان لم يجد اهبتها يكسر شهوته بالصوم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء الباءة النكاح ويكنى به عن الجماع أيضا والوجاء بكسر الواو رضى الانثيين وهو نوع من الخصاصه الصوم في قطعه شهوة النكاح بالوجاء الذى يقطع النسل (ق) عن مقعل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود والودود فاني مكاثركم الامم يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائي (م) عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة ما من لا تتوق نفسه الى النكاح وهو قادر عليه فالتخلى للعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعى وعند أصحاب الرأى النكاح أفضل قال الشافعى قد ذكرا الله عبدا كرمه فقال وسيدا وحسورا وهو الذى لا يأتى النساء وذكر القواعد من النساء ولم يندبهن الى النكاح وفي الآية دليل على ان تزويج الايامي الى الاولياء لان الله خاطبهم به كما ان تزويج العبيد والاماء الى السادات وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم روى ذلك عن عمر وعلى وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبى هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشرح و ابراهيم النخعى وعمر بن عبد العزيز واليه ذهب الثورى والاوزاعى وعبد الله بن المبارك والشافعى وأحمد واسحاق وجوزأصحاب الرأى للمرأة تزويج نفسها وقال مالك ان كانت المرأة دينثة يجوز لها تزويج نفسها وان كانت شريفة فلا والدليل على ان الولي شرط في النكاح ما روى عن أبى موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولى أخرجه أبو داود والترمذى ولطمان عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا فان أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها فان تشاحوا فالسلطان ولي من لاولى له (ق) وقوله تعالى (ان يكونوا فقراء يفهم الله من فضله) قيل الغنى هنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة وقال عمر بن الخطاب عجت لمن يتبنى الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا فقراء يفهم الله من فضله وقال بعضهم ان الله وعد الغنى بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى ان يكونوا فقراء يفهم الله من فضله وقال وان يتفرقا يفهم الله كلا من سعته (والله واسع) أى انه ذوالافضل والجود (عليم) أى بما يصلح خلقه من

(وليستعفف الذين) وليجهدوا في العفة كان المستعفف طالب من نفسه العفاف (لا يجدون نكاحا) استطاعة تزوج من المهر والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله) حتى يقدرهم على المهر والنفقة قال عليه الصلاة والسلام يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء فانظر كيف رتب هذه الاوامر فامر اولها بما يعصم من الفتنة ويبعد عن موافقة المعصية وهو غرض البصر ثم بالنكاح المحصن للدين المعنى عن الحرام ثم بعزة النفس الامارة بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند المجز عن النكاح الى أن تقدر عليه (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت

(٣٥١)

الرزق ﴿ قوله تعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) أي ليطلب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به من الصداق والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله) أي يوسع عليهم من رزقه (والذين يبتغون الكتاب) أي يطلبون المكاتب (مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم) سبب نزول هذه الآية ان غلاما لحو يطمب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه فانزل الله تعالى هذه الآية فكانت حو يطمب على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا فاداهما وقتل يوم حنين في الحرب * بيان حكم الآية وكيفية المكاتبه وذلك أن يقول الرجل لملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمى مالا معلوما تؤدي ذلك في نجمين أو في نجوم معلومة في كل نجم كذا فإذا أدت ذلك فانت حر ويقبل العبد ذلك فإذا أدى العبد ذلك المال عتق ويصير العبد أحرى بمكاسبه بعد الكتابة وإذا عتق باء المال فما فضل في يده من المال فهو له ويتبعه أولاده الذين حصلوا في الكتابة في العتق وإذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته ويرده الى الرق وما في يده من المال فهو لسيدته لما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقى عليه درهم أخرجه أبوداود وذهب بعض أهل العلم الى أن قوله تعالى فكاتبوهم أمر ايجاب يجب على السيد ان يكاتب عبده الذي علم فيه خيرا اذا سأل العبد ذلك على قيمته أو على أكثر من قيمته وان سأل على أقل من قيمته لا يجب وهو قول عطاء وعمرو بن دينار لما روى ان سيرين أبا محمد بن سيرين سأل أنس بن مالك أن يكاتبه وكان كثير المال فأبى فانطلق سيرين الى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كاتبه فأبى فضر به بالدرية وتلاف فكاتبوهم (ان علمتم فيهم خيرا) فكاتبه وذهب أكثر أهل العلم الى انه أمر ندب واستحباب ولا يجوز الكتابة على أقل من نجمين عند الشافعي لانه عقد جوزار فاقا بالعبد ومن تمة الارفاق أن يكون ذلك المال عليه الى أجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود وجوز أبو حنيفة الكتابة الى نجم واحد وحالة واحدة واختلفوا في معنى قوله ان علمتم فيهم خيرا فقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثوري وقيل ما لا روى ان عبد السلام الفارسي قال له كاتبتك قال لك مال قال لا قال تريد أن تطعمني أو ساخ الناس ولم يكاتبه قيل لو أراد به المال لقال ان علمتم لهم خيرا وقيل صدقا وأمانة وقال الشافعي أظهر معاني الخير في العبد الا كتساب مع الامانة فاحب أن لا يمنع من المكاتبه اذا كان هكذا وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الاداء والنكاح الذي يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله أخرجه الترمذي والنسائي وقيل معنى الخير أن يكون العبد عاقلا بالغافا ما الصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لان الابتغاء منهما لا يصح وجوز أبو حنيفة كتابة الصبي المراهق ﴿ وقوله تعالى (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) قيل هو خطاب للوالي فيجب على السيد أن يحط عن مكاتبه

الكتاب فالذين مرفوع بالابتداء أو منصوب بفعل يفسره (فكاتبوهم) وهو للتدب ودخلت الفاء لتضمنه معنى الشرط والكتاب والمكاتبه كالعتاب والمعاتبه وهو أن يقول لملوكه كاتبتك على ألف درهم فان أداهما عتق ومعناه كتبت لك على نفسي أن تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك أن تفي بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لاطلاقه الامر (ان علمتم فيهم خيرا) قدرة على الكسب أو أمانة وديانة والندبية معلقة بهذا الشرط (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) أمر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة لقوله

تعالى وفي الرقاب وعند الشافعي رحمه الله معناه حطوا من بدل الكتابة بعوا هذا عندنا على وجه التدب والاول الوجه لان الاتاء هو التمليك فلا يقع على الحط سأل صبيح مولاه حو يطمب أن يكاتبه فأبى فنزلت واعلم ان العبيد أربعة قن مقتنى للخدمة وما ذون في التجارة ومكاتب وآبق فثال الاول والى العزلة الذي حصل العزلة بايثار الخلوة وترك العشرة والثاني والى العشرة فهو نجى الحضرة يخاطب الناس لاخبرة وينظر اليهم بالعبرة ويأمرهم بالعبرة فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بحكم الله ويأخذ بالله ويعطى في الله ويفهم عن الله ويتكلم مع الله فالدين اسوق تجارته والعقل رأس بضاعته والعدل في الغضب والرضا ميزانه والقصد في الفقر والغنى عنوانه والعلم مفزعه ومنعاه والقرآن كتاب الاذن من مولاه هو كائن في الناس بطواهره بائن منهم بسراره فقد هجرهم فيما له عليهم في الله باطنائهم وصاهم فيما لهم عليه الله ظاهرا

وما هو منهم بالعيش فيهم • ولكن معدن الذهب الرغام
 السماوات والارض قائمات بامرءه وكانه قيل فيه
 أصنى وأحلى وحال ولى العشرة أوفى وأعلى ونزل الاول من الثاني في حضرة الرحمن منزلة النديم من الوزير وعند السلطان أما النبي عليه الصلاة
 والسلام فهو كرم الطرفين ومعدن الشدريين وتجمع الحالين ومنبع الزلاين فباطن أحواله مهتدى ولى العزلة وظاهر أعماله مقتدى ولى
 العشرة والثالث المجاهد المحاسب (٣٥٢) العامل المطالب بالضرائب كنجوم المكاتب عليه في اليوم والليله خمس وفي

من مال الكتابة شيئا وهو قول عثمان وعلى والزبير وجاعة وبه قال الشافعي ثم اختلفوا في قدر ما يحط فقيل
 يحط الربع وهو قول علي ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن عباس يحط الثلث وقال الآخرون ليس له حد بل
 عليه أن يحط عنه ماشاء وبه قال الشافعي قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلامه على خمسة وثلاثين ألف درهم
 فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف درهم أخرجه مالك في الموطأ وقال سعيد بن جبير كان ابن عمر إذا كاتب
 مكاتبه لم يضع عنه شيئا من أول نجومه مخافة أن يهجز فيرجع اليه صدقته ويضع عنه من آخر كتابته ما أحب
 وقال بعضهم هو أمر استحباب والوجوب أظهر وقيل أراد بقوله وآتوهم من مال الله أي سهمهم الذي جعله
 الله لهم من الصدقات المفروضات وهو قوله وفي الرقاب أراد به المكاتب وهو قول الحسن وزيد بن أسلم
 وقيل هو حث لجميع الناس على مؤتمهم واختلف العلماء فيما إذا مات المكاتب قبل أداء النجوم فنذهب
 كثير منهم إلى أنه يموت رقيقا وترفع الكتابة سواء ترك مالا أو لم يترك وهو قول عمرو بن دينار
 ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهرى وقتادة واليه ذهب الشافعي وأحمد وقال قوم إن ترك وفاء ما بقي
 عليه من مال الكتابة كان حرا وان فضل له مال كان لاولاده الأحرار وهو قول عطاء وطاوس والنخعي
 والحسن وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق بإداء المال لأن عتقه
 معلق بالأداء وقد وجد وتبعه أولاده وأكسبه كافي الكتابة الصحيحة لأن الكتابة الصحيحة لا يملك
 المولى فسخرها مالم يهجز المكاتب عن أداء النجوم وقوله تعالى (ولا تكرر هو أفتياتكم) أي اماءكم (على
 البغاء) أي الزنا (ان أردن تحصنا) الآية (م) عن جابر قال كان عبد الله بن أبي بن سلول يقول لجاريته
 اذهبي فابغينا شيئا قال فأزل الله ولا تكرر هو أفتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا وفي رواية أخرى ان
 جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة كان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك إلى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فأزل الله ولا تكرر هو أفتياتكم على البغاء إلى قوله غفور رحيم وقال المفسرون أنزلت
 في عبد الله بن أبي بن سلول المناقق كانت له جاريتان يقال لهما أمسيكة ومعاذة وكان يكرههما على الزنا
 لضرية يأخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون اماءهم فلما جاء الإسلام قالت معاذة
 لمسيكة ان هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فان بك خيرا فقد استكثرنا منه وان بك شرا فقد أن لنا
 أن ندعه فأزل الله هذه الآية وروى ان احدي الجاريتين جاءت ببرد وجاءت الاخرى بدينار فقال لهما
 ارجعا فإزينا فقالتا والله لا نفعل قد جاء الإسلام وحرم الزنا فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكنا اليه
 فأزل الله هذه الآية واختلف العلماء في معنى قوله ان أردن تحصنا على أقوال أحدها ان الكلام ورد على
 سبب وهو الذي ذكر في سبب نزول الآية فخرج النهي على صفة السبب وان لم يكن شرطا فيه الثاني انما شرط
 ارادة التحصن لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن فاما اذا لم ترد المرأة التحصن فانها تبغى بالطبع
 طوعا والثالث ان ان بمعنى اذا أي اذا أردن وليس معناه الشرط لانه لا يجوز ان كراهين على الزنا ان لم يردن

المائتين درهما خاصة وفي
 السنة شهر وفي العمر زورة
 فكانه اشترى نفسه من
 ربه بهذه النجوم المرتبة
 فيسقى في فكاك رقبته
 خوفا من البقاء في رتبة
 العبودية وطمعا في فتح
 باب الخيرية ليسرح في
 رياض الجنة فيتمتع بمباه
 ويفعل ما يشاؤه ويهواه
 والرابع الا باق فإاكثرهم
 فهم القاضي الجائر والعالم
 غير العامل والعامل المرائي
 والواعظ الذي لا يفعل
 ما يقول ويكون أكثر
 أقواله الفضول وعلى كل
 ما لا ينفعه صول فضلا عن
 السارق والزاني والغاصب
 فعنهم أخبر النبي عليه
 الصلاة والسلام ان الله
 لينصر هذا الدين بقوم
 لا اخلاق لهم في الآخرة
 (ولا تكرر هو أفتياتكم
 على البغاء) كان لابن أبي
 ست جوار معاذة ومسيكة
 وأميمة وعمرة وأروى

وقتيلا يكرههن على البغاء وضرب عليهن الضرائب
 فشككت ثنتان منهن إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة والبغاء الزنا للنساء خاصة وهو
 مصدر لبغت (ان أردن تحصنا) تعففا عن الزنا وانما قيده بهذا الشرط لان الاكراه لا يكون الا مع ارادة التحصن فامر المطيعة للبغاء
 لا يسمى مكرها ولا أمرا كراهيا ولا نهائيات على سبب وقوع النهي على تلك الصفة وفيه توخي للموالى أي اذا رغبت في التحصن فاتم
 أحق بذلك

(لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أي لتبتغوا باكرههن على الزنا أجورهن وأولادهن (ومن يكرههن فإن الله من بعدا كراههن غفور رحيم) أي لمن وفي مصحف ابن مسعود كذلك وكان الحسن يقول لمن والله لمن والله ولعل الا كراه كان دون ما اعتبرته الشريعة وهو الذي يخاف منه التلف فكانت آئمة أولهم اذا تابوا (واقدا نزلنا اليكم آيات مبيّنات) بفتح الياء سجازي وبصري وأبو بكر وجاد والمراد الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت في معاني الاحكام والحدود وجزا أن يكون الاصل مبيّنا فيها فانتسج في الظرف أي أجرى مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه وبكسر هاء غيرهم أي بينت هي الاحكام والحدود وجعل الفعل لها مجازا أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لدى عينين * (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) ومثلا من أمثال من قبلكم (٣٥٣) أي قصة عجيبة من قصصهم

كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها (وموعظة) ما وعظ به من الآيات والمثل من نحو قوله تعالى ولا تأخذنم بهما رأفة في دين الله لولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعود والمثله أبدا (للمتقين) أي هم المتفوعون بها وان كانت موعظة لكل نظير قوله (الله نور السموات والارض) مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور أي من الباطل الى الحق وأضاف النور اليهما للدلالة على سعة اشراقه وفشواضائه حتى تضيء له السموات والارض

تحصنا كقوله وأتم الاعلون ان كنتم مؤمنين أي اذ كنتم مؤمنين القول الرابع ان في هذه الآية تقديمها وتأخيرا تقديره وانكحوا الايامي منكم ان أردن تحصنا ولا تكرر هو اقيتاكم على البغاء (لتبتغوا) أي لتطلبوا (عرض الحياة الدنيا) أي من أموال الدنيا يريد كسبهن وبيع أولادهن (ومن يكرههن) يعني على الزنا (فان الله من بعدا كراههن غفور رحيم) يعني بالكرهات والوزر على المكره وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية قال لمن والله لمن والله وقوله تعالى (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبيّنات) أي من الحلال والحرام (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) أي شبها من حالكم بحالهم أي بالمتقون وهذا تخويف لهم ان يلحقهم ما لحق من كان قبلاهم من المكذبين (وموعظة للمتقين) أي المؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر وقوله عز وجل (الله نور السموات والارض) قال ابن عباس معناه الله هادي السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهدايتهم من حيرة الضلالة ينجون وقيل معناه الله منور السموات والارض نور السماء بالملائكة ونور الارض بالانبياء وقيل معناه من زين السموات والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين ويقال زين الارض بالنبات والاشجار وقيل معناه ان الانوار كلها منه وقد يدكر هذا اللفظ على طريق المدح كما قال الشاعر

اذ سار عبد الله عن مرويلة * فقد سار عنها نورها وجمالها

(مثل نوره) أي مثل نور الله عز وجل في قلب المؤمن وهو النور الذي يهتدى به وقال ابن عباس مثل نوره الذي أعطى المؤمن وقيل الكناية عائدة الى المؤمن أي مثل نور قلب المؤمن وقيل أراد بالنور القرآن وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو الطاعة سمي طاعة الله نورا وأضاف هذه الانوار الى نفسه تشريفا وتفضيلا (كشكوة) هي الكوة التي لا منفذ لها قيل هي بلغة الحبشة (فيها مصباح) أي سراج وأصله من الضوء (المصباح في زجاجة) يعني القنديل وانما ذكر الزجاجة لان النور وضوء النار فيها أبين من كل شيء وضوءه يزيد في الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال تعالى (الزجاجة كأنها كوكب دري) من درأ الكوكب اذا اندفع منقضا فيتضاعف نوره في تلك الحال وفي ذلك الوقت وقيل هو من درأ النجم اذا طلع وارتفع وقيل دري أي شديد الانارة نسب الى الدر في صفائه وحسنه وان كان الكوكب أضوا من الدر لكنه يفضل الكوكب بصفائه كما يفضل الدر على سائر اللؤلؤ وقيل الكوكب الدر أي أحد الكواكب الخمسة السيارة التي هي زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد قيل شبهه بالكواكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لانهما يلحقهما الكسوف بخلاف الكواكب (توقد) أي اتقد المصباح (من شجرة مباركة زيتونة) أي من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو ادم وهو

(٤٥ - (خازن) - ثالث) وجزان المراد أهل السموات والارض وانهم يستضيئون به (مثل نوره) أي صفة نوره العجيبة الشأن في الاضاءة (كشكوة) كصفة شكوة وهي الكوة في الجدار غير النافذة (فيها مصباح) أي سراج ضخم ناقب (المصباح في زجاجة) في قنديل من زجاج شامى بكسر الزاي (الزجاجة كأنها كوكب دري) مضيء بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر لفرط ضيائه وصفائه وبالكسر والهمزة عمرو وعلى كأنه يدرأ الظلام بضوئه وبالضم والهمزة أبو بكر وجزة شبه في زهرته باحد الكواكب الدراري كالمشتري والزهرة ونحوهما (توقد) يات تخفيف جزة وعلى وأبو بكر الزجاجة يوقد بالتخفيف شامى وناقم وحفص ويوقد بالتشديد مكي وبصري أي هذا المصباح (من شجرة) أي ابتداء تقويه من زيت شجرة الزيتون يعني رويت ذبالبته بزيتها (مباركة) كثيرة المنافع

بدل من شجرة نعنها
(لاشرقية ولاغربية)
أي منبتها الشام يعني ليست
من المشرق ولا من المغرب
بل في الوسط منهم ما هو الشام
وأجود الزيتون زيتون
الشام وقيل ليست مما تطلع
عليه الشمس في وقت
شروقها أو غروبها فقط بل
تصيبها بالغداة والعشي جميعا
فهى شرقية وغربية
(يكاد زيتونها) يضيء
ولولم تمسه نار) وصف الزيت
بالصفاء والوميض وأنه
لثلاث أوجه يكاد يضيء من غير
نار (نور على نور) أي هذا
النور الذي شبه به الحق
نور متضاعف قد تناصر
فيه المشكاة والزجاجة
والمصباح والزيت حتى
لم يبق بقية مما يقوى النور
وهذا لأن المصباح إذا
كان في مكان متضائق
كالمشكاة كان أجمع لنوره
بخلاف المكان الواسع فإن
الضوء ينتشر فيه والقنديل
أعون شئ على زيادة الأناة
وكذلك الزيت ووصفناؤه
وضرب المثل بكون يدنى
محسوس معهود لا يعلى غير
معين ولا مشهود فابو تمام
لما قال في المأمون أقدم عمرو
في ساحة حاتم في حلم
أحنف في ذكاء اياس قيل
له ان الخليفة فرق من مثله
بهم فقال من نجل لا تشكروا

أصق الأدهان وأضوؤها وقيل انها أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل أراد به زيتون الشام لانها هي
الأرض المباركة وهي شجرة لا يسقط ورقها عن أسيد بن ثابت وأنى أسيد الانصارى قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة أخرجه الترمذى **قوله** (لاشرقية
ولاغربية) أي ليست شرقية وحدها فلا تصيبها الشمس اذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس
بالغداة اذا طلعت بل مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية
غربية تأخذ حظا من الأمرين فيكون زيتونها أضوا وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه انها ليست في
مقناة لا تصيبها الشمس ولا في مضجعة لا يصبها الظل فهي لا تضرها شمس ولا ظل وقيل معناه انها معتدلة
ليست في شرق يضرها الحر ولا في غرب يضرها البرد وقيل معناه هي شامية لان الشام وسط الأرض لا شرقى
ولا غربى وقيل ليست هذه الشجرة من أشجار الدنيا لانها لو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية وانما
هو مثل ضرب به الله لنوره (يكاد زيتونها يضيء) أي من صفاته (ولولم تمسه نار) أي قبل أن تمسه النار (نور
على نور) أي نور المصباح على نور الزجاجة

فصل في بيان التمثيل المذكور في الآية) اختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل فقيل المراد به الهدى ومعناه
ان هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلال الى أقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكاة التي فيها زجاجة
صافية وفي تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء والرقه والبياض فاذا كان كذلك كان
كاملا في صفاته وصلح أن يجهل مثلا هداية الله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال
ابن عباس لكعب الاحبار أخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضرب به الله لنبيه
صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة
النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وأمره يتبين للناس ولولم يتكلم به أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء
ولولم تمسه النار وروى عن ابن عمر في هذه الآية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه
والمصباح النور الذي جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لانه يهودى ولا نصرانى توقد من شجرة مباركة ابراهيم
نور على نور نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المشكاة والزجاجة
امم عيل والمصباح محمد على الله عليه وسلم وعالمهم أجمعين سمى الله محمد اصباحا كما سماه سرا جاميرا والشجرة
المباركة ابراهيم عليه السلام لان أكثر الانبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية يعني ابراهيم لم يكن يهوديا
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلى الى الغرب والنصارى تصلى الى الشرق يكاد زيتونها
يضيء ولولم تمسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل أن يوحى اليه نور على نور نبي من
نسل نبي نور محمد على نور ابراهيم وقيل وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن قال أبى بن كعب هذا مثل المؤمن
فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح ما جعله الله فيه من الايمان والقرآن توقد من شجرة مباركة هي
شجرة الاخلاص لله وحده فثله مثل شجرة التف بها الشجر فهي خضراء ناعمة نضرة لا تصيبها الشمس
اذا طلعت ولا اذا غربت فكذلك المؤمن قد احترس ان يصبه شئ من الفتن فهو بين اربع خلال ان أعطى
شكروا وان ابتلى صبروا وان حكم عدل وان قال صدق يكاد زيتونها يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل
أن يقين له لموافقته اياه نور على نور قال أبى أي فهو يتقلب في خمسة أنوار قوله نور وعمله نور ومدخله
نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة وقال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن
كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوءه كذلك يكاد قلب
المؤمن يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونور على نور وقال الكلبي
نور على نور يعني ايمان المؤمن وعمله وقيل نور الايمان ونور القرآن وقيل هذا مثل القرآن فالمصباح
هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح فكذلك يهتدى بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فوه لسانه

نوره مثل من المشكاة والنيراس (يهدي الله لنوره) أي هذا النور الثابت (من يشاء) من عباده أي يوفق لاصابه الحق من يشاء من عباده باطام من الله أو بنظره في الدليل (ويضرب الله الامثال للناس) تقريبا الى افهامهم ليعتبروا فيؤمنوا (والله بكل شيء عليم) فيبين كل شيء بما يمكن ان يعلم به وقال ابن عباس رضي الله عنه مثل نوره أي نور الله الذي هدى به المؤمن وقرأ ابن مسعود رحمه الله مثل نوره في قلب المؤمن كشكاة وقرأ أبي مثل نور المؤمن (في بيوت) يتعلق بكشكاة أي كشكاة في (٣٥٥) بعض بيوت الله وهي المساجد كأنه

قيل مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت أو بتوقد أي توقد في بيوت أو يسبح أي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرر فيه توكيد نحو زيد في الدار جالس فيها أو يحذف أي سبوا في بيوت (أذن الله) أي أمر (ان ترفع) بنى كقوله بناها رفع سمكها فسواها واذ رفع ابراهيم القواعد أو تعظم من الرفعة وعن الحسن ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم (ويذكر فيها اسمه) يتلى فيها كتابه أو هو عام في كل ذكر (يسبح له فيها بالغدو والاصال) أي يصلى له فيها بالغدو والاصال صلاة الظهر والعصر والعشاء من وانما وحد الغدو لان صلته واحدة وفي الاصل صلوات والاصال جمع أصل جمع أصيل وهو العشي (رجال) فاعل يسبح يسبح شامى وأبو بكر وسند الى أحد لظروف الثلاثة أعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بمادل

والشجرة المباركة شجرة المعرفة في قلبه يكادزيتها يضيء أي نور المعرفة يشرق في قلب المؤمن ولولم تسمه النار وقيل تكاد سحجة القرآن تتضح وان لم يقرأ نور على نور يعني القرآن نور من الله خلقة مع ما أقام لهم من الدلائل والاعلام قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك نوراً على نور وقوله تعالى (يهدي الله لنوره من يشاء) قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة (ويضرب الله الامثال للناس) أي بين الله الاشياء للناس تقريباً الى الافهام وتسهيلاً للسبيل الادراك (والله بكل شيء عليم) قوله عز وجل (في بيوت) أي ذلك المصباح يوقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الارض تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت أربعة مساجد لم يبنها الا نبي الكعبة بناها ابراهيم واسماعيل فجعلها مقبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء أسس على التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً (أذن الله أن ترفع) أي تبنى وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخبي من القول وتطهر عن الانجاس والاقذار (ويذكر فيها اسمه) قال ابن عباس يتلى فيها كتابه (يسبح له فيها) أي يصلى له فيها (بالغدو والاصال) أي بالغداة والعشي قال أهل التفسير أراد به الصلاة المفروضة فالتى تؤدي بالغداة صلاة الفجر والتي تؤدي بالاصال صلاة الظهر والعصر والعشاء من لان اسم الاصيل يقع على هذا الوقت كله وقيل أراد به الصبح والعصر عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة أراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس التسبيح بالغدو وصلاة الضحى والاصال صلاة العصر عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهر الى صلاة مكتوبة كان أجره كاجر الحاج المحرم ومن خرج الى المسجد الى تسبيح الضحى لا يعنيه الا اذا كان أجره كاجر المعتمر وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين أخرجه أبو داود (رجال) قيل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد لان النساء ليس عليهن حضور المساجد لجمعة ولا جماعة (لأنهم) أي لا تشغلهم (تجارة) وقيل خص التجارة بالذكر لانها أعظم ما يشتغل الانسان به عن الصلوات والطاعات وأراد بالتجارة الشراء وان كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعاً لانه ذكر البيع بعده وقيل التجارة لاهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يده (ولا بيع) أي ولا يشغلهم بيع (عن ذكرا لله) أي حضور المساجد لاقامة الصلوات (واقام الصلوة) يعني اقامة الصلاة في وقتها لان من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيم الصلاة روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فاقامت الصلاة فقام الناس وأغلقت وأحوالهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فهم نزلت هذه الآية رجال لانهم تجارة ولا بيع عن ذكرا لله واقام الصلوة (وايتاء الزكوة) يعني المفروضة قال ابن عباس اذا حضر وقت أداء الزكاة لا يحسونها (يخافون يوماً تنقلب فيه القلوب والابصار) يعني ان هؤلاء الرجال وان بالغوا في ذكرا لله والطاعات فانهم مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم بانهم ما عبدوا الله حق عبادة قيل ان القلوب تضطرب من الهول والفرع وتشخص الابصار وقيل تنقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشك الى اليقين وترفع عن الابصار الاغطية وقيل تنقلب القلوب بين الخوف والرجاء

عليه يسبح أي يسبح له (لأنهم) لا تشغلهم (تجارة) في السفر (ولا بيع) في الحضر وقيل التجارة الشراء اطلاقاً لاسم الجنس على النوع أو خص البيع بعدماعم لانه أوغل في الاطعام من الشراء لان الربح في البيعة الراجعة متيقن وفي الشراء مظنون (عن ذكرا لله) باللسان والقلب (واقام الصلوة) أي وعن اقامة الصلاة التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما قلبت الواو الفاجتمع الفان خذفت احدهما لالتقاء الساكنين فادخلت التاء عوضاً عن المحذوف فلما أضيفت أقيمت الاضافة مقام التاء فاسقطت (وايتاء الزكوة) أي وعن ايتاء الزكاة والمعنى لان التجارة لهم حتى تلهم كاولياء العزلة أو يبيعون ويشتررون ويذكرون الله مع ذلك واذا حضرت الصلاة قاموا

الباغ غير متشافين كالألباء العشرة (مخافون يوماً) أي يوم القيامة ومخافون حال من الضمير في نلهم أوصفة أخرى لرجال (تقلب فيه القلوب) يلوغها إلى الخناجر (والأبصار) بالشغوص والزرقه أو تقلب القلوب إلى الإيمان بعد الكفران والأبصار إلى العيان بعد انكاره للطغيان كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (ليجزهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله) أي يسعون ومخافون ليجزهم الله أحسن جزاء أعمالهم أي ليجزهم نوابهم مضاعفاً ويزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلاً (والله يرزق من يشاء بغير حساب) أي ينسب من يشاء نوابه لا يدخل في حساب الخلق هذه صفات المهتدين بنور الله فالذين ضلوا عنه فالذ كورون في قوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) هو ما يرى في (٣٥٦) القلابة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب على وجه الأرض كأنه ماء مجرى (بقية)

بقاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الأرض كبحر في جبار (بحسب الظمان) يظنه العطشان (ماء حتى إذا جاءه) أي جاء إلى ما يوههم أنه ماء (لم يجد شيئاً) كما ظنه (ووجد الله) أي جزاء الله كذوله يجد الله عفورا رجبا أي يجد مغفرته ورحمته (عنده) عند الكافر (فوفاه حسابه) أي أعطاه جزاء عمله وأقيا كاملا وحيده بعد تقدم الجمع حلالا على كل واحد من الكفار (والله سريع الحساب) لأنه لا يحتاج إلى عدو وعقد ولا يشغله حساب عن حساب أو قريب حسابه لأن ما هو آت قريب شبه ما يعمل من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التي بحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم

فتخشي الهلاك وتطمع في النجاة وتقلب الأبصار من هول ذلك اليوم من أي ناحية يؤخذهم أمن ذات اليمين أم من ذات الشمال ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال وقيل يتقلب القلب في الجوف فيرتفع إلى الخنجر فلا ينزل ولا يخرج ويتقلب البصر في شخص من هول الأمر وشدة (ليجزهم الله أحسن ما عملوا) يعني أنهم اشتغلوا بذكر الله وأقام الصلاة وآتوا الزكاة ليجزهم الله أحسن ما عملوا والمراد بالاحسن الحسنات كلها وهي الطاعات فرضها ونفلها وذكرا للاحسن تنبيها على أنه لا يجازيهم على مساوي أعمالهم بل يغفرها لهم وقيل أنه سبحانه وتعالى يجزىهم جزاء أحسن من أعمالهم على الواحد من عشرة إلى سبع مائة ضعف (ويزيدهم من فضله) يعني أنه سبحانه وتعالى يجزىهم بأحسن أعمالهم ولا يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله (والله يرزق من يشاء بغير حساب) فيه تشبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة احسانه وفضله ﴿قوله تعالى﴾ (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) لما ضرب مثلا لحال المؤمن وأنه في الدنيا والآخرة في نوروانه فأنز بالنعيم المقيم أتبعه بضرب مثل لأعمال الكفار وشبهه بالسراب وهو شبه ماء يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري يظنه من رآه ماء فاذا قرب منه لم ير شيئا والقيعة القاع وهو المنبسط من الأرض وفيه يكون السراب (بحسبه) أي يتوهمه (الظمان) أي العطشان (ماء حتى إذا جاءه) أي جاء ما قدر أنه ماء وقيل جاء إلى موضع السراب (لم يجد شيئاً) أي لم يجد على ما قدر وظنه ووجه التشبيه أن الذي يأتي به الكافر من أعمال البر يعتقد أن له ثوابا عند الله وليس كذلك فاذا وافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الاليم فعظمت حسرته وتناهى غمه فشبه حاله بحال الظمان الذي اشتدت حاجته إلى الماء فاذا شاهد السراب في البر تعلق قلبه به فاذا جاءه لم يجد شيئا فكذلك حال الكافر يحسب أن عمله نافع فاذا احتاج إلى عمله لم يجد له شيئا ولا نفعه (ووجد الله عنده) أي وجد الله بالرصاد وقيل قدم على الله (فوفاه حسابه) أي جزاء عمله (والله سريع الحساب) معناه أنه عالم بجميع المعلومات فلا تشغله محاسبة واحد عن واحد ثم ضرب للكفار مثلا آخر فقال تعالى (أو كظلمات) اعلم الله سبحانه وتعالى أن أعمال الكفار ان كانت حسنة فهي كسراب بقيعة وان كانت قبيحة فهي كظلمات وقيل معناه ان مثل أعمالهم في فسادها وجهاتهم فيها كظلمات (في بحر الحى) أي عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه (بغشاء) أي يعلوه (موج من فوقه موج) أي مترام (من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض) معناه ان البحر اللجى يكون قعره مظلما جدا بسبب غمورة الماء فاذا ازدادت الأمواج ازدادت الظلمة فاذا كان فوق الأمواج سحب بلغت الظلمة النهاية القصوى (إذا أخرج يده لم يكذبها) أي لم يقرب أن يراها لشدة الظلمة وقيل معناه لم يرها إلا بعد الجهد

ويقال في العاقبة أمه ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش

يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويحذر بانية الله عنده يأخذونه فيقتلونهم إلى جهنم فيسقونهم الحميم والنساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصية وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يترهب ملتصا بالدين في الجاهلية فلما جاء الإسلام كفر (أو كظلمات في بحر) أو هنا كلوفى أو كصيب (لجى) عميق كثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر (بغشاء) يعني البحر أو من فيه أي يعلوه ويغطيه (موج) هو ما ارتفع من الماء (من فوقه موج) أي من فوق الموج، وج آخر (من فوقه سحب) من فوق الموج الأعلى سحب (ظلمات) أي هذه ظلمات السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر (بعضها فوق بعض) ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على الموج وظلمة السحاب على الموج (إذا أخرج يده) أي الواقع فيه (لم يكذبها) مبالغة في لم يرها أي

لم يقرب ان يراها فضلا عن أن يراها شبه أعمالهم اولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجد من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكذا أن لم يجد شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من ج البحر والامواج والسحاب (ومن لم يجعل الله له نورا فإله من نور) من لم يهده الله لم يهتد عن الزجاج في الحديث خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل (الم تر) ألم تعلم يا محمد علما يقوم مقام البيان في الايقان (أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير) (٣٥٧) عطف على من (صافات) حال من الطير

أى يصفن أجنحتهن في الهواء (كل قد علم صلته وتسبيحه) الضمير في علم لكل أو لله وكذا في صلته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولم يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها (والله عليم بما يفعلون) لا يعزب عن علمه شيء (ولله ملك السموات والارض) لانه خالقهما ومن ملك شيئا فبتمليكها إياه (والى الله المصير) مرجع الكل (الم تر أن الله يزيج) يسوق الى حيث يريد (سحابا) جمع سحابة دليله (ثم يؤلف بينه) وتذ كبره للفظ أى يضم بعضه الى بعض (ثم يجعله ركاما) مترا كما بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبالى جبل (و ينزل) وينزل مكي ومدنى وبصرى (من السماء) لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء (من الجبال) من للتبعيض لان ما

وقيل لما كانت اليد من أقرب شئ يراه الانسان قال لم يكذبها ووجه التشبيه ان الله ذكر ثلاثة أنواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الأمواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل شبه بالبحر اللجج قلبه و بالموج ما يتغشى قلبه من الجهل والشك والخيرة والسحاب الختم والطبع على قلبه قال أبى بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيامة في النار (ومن لم يجعل الله له نورا فإله من نور) قال ابن عباس من لم يجعل الله له ديناً وإيماناً فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا هادى له قيل نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتمس الدين في الجاهلية ولبس المسوح فلما جاء الاسلام كفر وعاند والاصح ان الآية عامة في حق جميع الكفار ﴿ قوله عز وجل (الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات) أى باسقاط أجنحتهن في الهواء قيل خص الطير بالذ كرم من جملة الحيوان لانها تكون بين السماء والارض فتكون خارجة عن حكم من في السموات والارض (كل قد علم صلته وتسبيحه) قيل الصلاة لى آدم والتسبيح لسائر الخلق وقيل ان ضرب أجنحة الطير صلته وتسبيحه وقيل معناه ان كل مصل ومسبح علم الله صلته وتسبيحه وقيل معناه كل مصل ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه (والله عليم بما يفعلون والله ملك السموات والارض) أى ان جميع الموجودات ملكه وفي تصرفه وعنه نشأت ومنه بدأت فهو واجب الوجود وقيل معناه ان خزائن المطر والرزق بيده ولا يملكها احد سواه (والى الله المصير) أى والى الله مرجع العباد بعد الموت ﴿ قوله تعالى (الم تر أن الله يزيج) أى يسوق (سحابا) بأمره الى حيث يشاء من أرضه وبلاده (ثم يؤلف بينه) أى يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها الى بعض (ثم يجعله ركاما) أى مترا كما بعضه فوق بعض (فترى الودق) أى المطر (يخرج من خلاله) أى من وسطه وهو مخارج القطر (و ينزل من السماء من جبال فيها من برد) قيل معناه وينزل من جبال من السماء وتلك الجبال من برد قال ابن عباس أخبر الله ان في السماء جبالا من برد وقيل معناه وينزل من السماء مقدار جبال في الكثرة من برد فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة قلت من الاولى لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء والثانية للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السماء والثالثة للتجنيس لان تلك الجبال من جنس البرد (فيصيب به) أى البرد (من يشاء) فيها كنه وأمواله (ويصرفه عمن يشاء) أى فلا يضره (يكاد سنابرقه) أى ضوء برق السحاب (يذهب بالابصار) أى من شدة ضوته وبريقه (يقلب الله الليل والنهار) أى يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما في الليل والنهار ويأتى بالنهار ويذهب بالليل (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذنى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث ان العرب كانوا يقولون عند التوازل والشدائد أصابنا الدهر ويذموناه في أشعارهم فقيل لهم لا تسبوا الدهر فان فاعل ذلك هو الله عز وجل والدهر مصرف تقع فيه التأثيرات كما تقع بكم ﴿ وقوله تعالى (ان في ذلك) أى الذى ذكر من هذه

ينزله الله بعض تلك الجبال التي (فيها) في السماء (من بر) للبيان أو الاولى لان لابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال أى بعض جبال فيها ومعنى من جبال فيها من برد أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر أو يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبلا من ذهب (فيصيب به) بالبرد (من يشاء) أى يصيب الانسان وزرعه (ويصرفه عمن يشاء) فلا يصيبه أو يعذب من يشاء ويصرفه عمن يشاء فلا يعذبه (يكاد سنابرقه) ضوته (يذهب بالابصار) يخطفها يذهب يزيد على زيادة الباء (يقلب الله الليل والنهار) يصرفهما في الاختلاف طولا وقصرا والتعاقب (ان في ذلك) في ازجاء السحاب وانزال

الودق والبرد وتقلب الليل والنهار (لعمرة لاولى الابصار) لذوى العقول وهذا من تعديد الدلائل على ربه حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وما يطير بينهما وادعاهم له وتسخير السحاب الى آخر ما ذكره في براهين لا تحصى على وجوده دلائل واضحة على صفاته لمن نظر وتدبر ثم بين دليلا آخر فقال تعالى (والله خالق كل شئ) خالق كل حزة وعلى (دابة) كل حيوان يدب على وجه الارض (من ماء) أى من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فيها هوام ومنها بهائم ومنها اناسى وهو كقوله يسقى ماء واحدا وفضل بعضها على بعض فى الاكل وهذا دليل على ان طها خالقها ومدبرها والام تختلف لانفاق الاصل وانما عرف الماء فى قوله وجعلنا من الماء كل شئ حى لان المقصود ثم ان اجناس الحيوان مخلوقة من جنس الماء وانه هو الاصل وان تخلت بينه وبينها سائط قالوا ان اول ما خلق الله الماء خلق من النار (٣٥٨) والريح والطين فخاق من النار والجن ومن الريح الملائكة ومن الطين آدم ودواب الارض

ولما كانت الدابة تشمل المميز وغير المميز غالب المميز فاعطى ما وراءه حكمه كان الدواب كلهم يميزون فمن ثم قيل (فمنهم من يمشى على بطنه) كالحية والحوت وسمى الزحف على البطن منيا استعارة كما يقال فى الامر المستمر قد منى هذا الامر او على طرائق المشاكلة كذا الزاحف مع المشين (ومنهم من يمشى على رجلين) كالانسان والطيور (ومنهم من يمشى على اربع) كالبهائم وقدم ما هو اعرق فى القدرة وهو المشى بغير آلة مشى من ارجل او غيرها ثم المشى على رجلين ثم المشى على اربع (بخلق الله ما يشاء) كيف يشاء (ان الله على كل شئ قدير) لا يتعذر عليه شئ (لقد انزلنا آيات

الانبياء (لعمرة لاولى الابصار) أى دلالة لاهل العقول والبصائر على قدرة الله وتوحيده **قوله عز وجل (والله خلق كل دابة من ماء) أى من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد فى الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة والجن لاننا لانشهدهم وقيل ان اصل جميع الخلق من الماء وذلك ان الله خلق ماء فجعل بعضه ريحاً ونورا فخلق منه الملائكة وجعل بعضه ناراً فخلق منه الجن وجعل بعضه طيناً فخلق منه آدم (فمنهم من يمشى على بطنه) أى كالحيات والحيتان والديدان ونحو ذلك (ومنهم من يمشى على رجلين) يعنى مثل نبي آدم والطيور (ومنهم من يمشى على اربع) يعنى كالبهائم والسباع فان قلت كيف قال خلق كل دابة من ماء مع ان كثيرا من الحيوانات تتولد من غير نطفة قلت ذلك المخلق من غير نطفة لا بد ان يتكون من شئ وذلك الشئ أصله من الماء فكان من الماء فان قلت فمنهم من يمشى ضمير العقلاء فلم استعمل فى غير العقلاء قلت ذكر الله تعالى ما لا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ اللاتىق بمن يعقل لان جعل الشريف أصلا والخسيس تبعاً ولى فان قلت لم قدم ما يمشى على بطنه على غيره من المخلوقات قلت قدم الاعجب والاعرق فى القدرة وهو المشى بغير آلة المشى وهى الارجل والاقوائم ثم ذكر ما يمشى على رجلين ثم ما يمشى على اربع فان قلت لم اقتصر على ذكر الاربع وفى الحيوانات ما يمشى على اكثر من اربع كالعنكبوت والعقارب والرتيلا وماله اربع واربعون رجلا ونحو ذلك قلت هذا القسم كالنادر فكان ملحقا بالاعجاب وقيل ان هذه الحيوانات اعتمدها على اربع فى المشى والباقي تبع لها (بخلق الله ما يشاء) أى ما لا يعقل ولا يعلم (ان الله على كل شئ قدير) أى هو القادر على الكل العالم بالكل المطلق على الكلى بخلق ما يشاء كما يشاء لا يمنعه مانع ولا دافع (لقد انزلنا آيات مبينات) يعنى القرآن هو المبين للهدى والاحكام والحلال والحرام (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) يعنى الى دين الاسلام الذى هو دين الله وطر يقه الى رضاه وجنته **قوله تعالى (ويقولون) يعنى المنافقين (آمنابالله وبالرسول وأطعنا) أى يقولونه بالسنتهم من غير اعتقاد (ثم يتولى فريق منهم) أى يعرض عن طاعة الله ورسوله (من بعد ذلك) أى من بعد قولهم آمنوا ويدعوا الى غير حكم الله قال الله تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) نزلت هذه الآية فى بشر المنافق كان بينه وبين يهودى خصومة فى أرض فقال اليهودى تتعاضدكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بل تتعاضدكم الى كعب بن الاشرف فان محمد يحيف فانزل الله هذه الآية (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) أى الرسول يحكم بحكم الله بينهم (اذا فريق منهم معرضون) يعنى عن الحكم****

مبينات والله يهدي من يشاء) بلطفه ومشيئته (الى صراط مستقيم) الى دين الاسلام الذى يوصل الى جنته والآيات لازم وقيل مجته لما ذكر انزال الآيات ذكر بعدها افتراق الناس الى ثلاث فرق فرقة صدقت ظاهرا وكذبت باطنها وهم المنافقون وفرقة صدقت ظاهرا وباطننا وهم المخلصون وفرقة كذبت ظاهرا وباطننا وهم الكافرون على هذا الترتيب وبدأ بالمنافقين فقال (ويقولون آمنابالله وبالرسول) بالسنتهم (وأطعنا) الله والرسول (ثم يتولى) يعرض عن الانقياد لحكم الله ورسوله (فريق منهم من بعد ذلك) أى من بعد قولهم آمنابالله وبالرسول وأطعنا (وما أولئك بالمؤمنين) أى المخلصين وهو اشارة الى القائلين آمنابالله وبالرسول (واذا دعوا الى الله ورسوله) أى الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه زيد وكرم زيد (بحكم) الرسول (بينهم اذا فريق منهم معرضون) أى فاجأ من فريق منهم الاعراض نزلت فى بشر المنافق وخصمه اليهودى حين اختصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق الى كعب بن الاشرف ويقول

ان محمد يحيف علينا (وان يكن لهم الحق) أي اذا كان الحق لهم على غيرهم (يأتوا اليه) الى الرسول (مذعنين) حال أي مسرعين في الطاعة طلبا
لحقهم لارضابحكم رسولهم قال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة والمعنى انهم لم يعرفتم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يمتنعون عن
المحاكمة اليك اذ اركبهم الحق لثلاثة نزعته من أحد اقمهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم أسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك
لتأخذ لهم ما وجب لهم في ذمة الخصم (أنى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله) قسم الامر في صدورهم عن
حكومته اذا كان الحق عليهم بان يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين الحيف في قضائه ثم ابطال خوفهم حيفه بقوله
(بل أولئك هم الظالمون) أي لا يخافون أن يحيف عليهم لعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم وذلك شيء
لا يستطيعونه في مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام فنم يابون المحاكمة اليه (انما كان قول المؤمنين) وعن الحسن قول بالرفع والنصب
أقوى لان أولى الاسمين بكونه اسمالكان أو غلها في التعريف وان يقولوا أو غل بخلاف قول المؤمنين (اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم)
النبى عليه الصلاة والسلام ليحكم أي ليفعل الحكم (بينهم) بحكم الله الذي أنزل (٣٥٩) عليه (ان يقولوا سمعنا) قوله

(وأطعنا) أمره (وأولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن يطع الله) في فرائضه (ورسوله) في سنته (ويخش الله) على ماضى من ذنوبه (ويتقه) فيما يستقبل (فأولئك هم الفائزون) وعن بعض الملوكة انه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية وهي جامعة لاسباب الفوز ويتقه بسكون الهاء أبو عمرو وأبو بكر بنية الوقف وبسكون القاف وبكسر الهاء مختلصة حفص وبكسر القاف والهاء غيرهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أي حلف المنافقون بالله جهد اليمين

وقيل عن الاجابة (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين) أي مطيعين منقادين لحكمه أي اذا كان الحكم لهم على غيرهم أسرعوا الى حكمه لتقتهم انه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضا (أنى قلوبهم مرض) أي كفرو ونفاق (أم ارتابوا) أي شكوا وهذا استفهام ذم وتوبيخ والمعنى هم كذلك (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) أي يظلم (بل أولئك هم الظالمون) أي لانفسهم باعراضهم عن الحق ﴿ قوله عز وجل (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله) أي الى كتاب الله (ورسوله ليحكم بينهم) هذا ان علم أدب الشرع على معنى ان المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا وهو (ان يقولوا سمعنا) أي الدعاء (وأطعنا) أي بالاجابة (وأولئك) أي من هذه صفته (هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله) قال ابن عباس فيما ساءه وسره (ويخش الله) أي ما عمل من الذنوب (ويتقه) أي فيما بعد (فأولئك هم الفائزون) أي الناجون ﴿ قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) قيل جهد اليمين أن يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيئا (لئن أمرتهم ليخرجن) وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما كنت نكنا معك لئن خرجت خرجنا ولئن أمت أمتنا ولئن أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقيل لما نزل بيان كراهتهم لحكم الله ورسوله قالوا النبي صلى الله عليه وسلم والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا فكيف لارضى بحكمك فقال الله تعالى (قل) لم (لا تقسموا) أي لا تحلفوا وتم الكلام ثم ابتداء فقال (طاعة معروفة) أي هذه طاعة القول باللسان دون الاعتقاد بالقلب وهي معروفة أي أمر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون وقيل معناها طاعة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل (ان الله خير بما تعملون) أي من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) يعني بقولكم وصدق نياتكم (فان تولوا) أي أعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فانما عليه) أي على الرسول (ما حل) أي ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة (وعليكم ما حلتكم) أي ما كلفتم من

لانهم بذلوا فيها مجهودهم وجهد يمينه مستعار من جهده نفسه اذا بلغ أقصى وسعه او ذلك اذا بلغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال بالله فقد جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين أقسم بجهد اليمين جهدا خذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرِب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جا هدين ايمانهم (لئن أمرتهم ليخرجن) أي لئن أمرنا محمد بالخروج الى الغزو لغزونا أو بالخروج من ديارنا لخرجنا (قل لا تقسموا) لا تحلفوا كاذبين لانه معصية (طاعة معروفة) أمثل وأولى بكم من هذه الايمان الكاذبة مبتدأ محذوف الخبر وأخبر مبتدأ محذوف أي الذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخاص من المؤمنين لايمان تقسموه بها باقوا هم وقول بكم على خلافها (ان الله خير بما تعملون) يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجاز بكم على نفاقكم (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريق الالتفات هو أبلغ في تسكيتهم (فان تولوا فانما عليه ما حل وعليكم ما حلتكم) يريد فان تولوا فاضررتهم وانما ضررتهم أن تقسم فان الرسول ليس عليه الا ما حله الله تعالى وكلفه من أداء الرسالة فاذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه واما أنتم فعليكم ما كلفتم من التقى بالتقوى والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتهم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه

(وان تطيعوه تهتدوا) أي وان أطعتموه فبأيامكم وبنهاكم فقد أجزتم نصيبكم من الهدى فالضرر في توليكم والنفع عائدان اليكم (وما على الرسول الا البلاغ المبين) وما على الرسول الا أن يبلغ ماله نفع في قلوبكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التأدية والمبين الظاهر لكونه مقرونا بالآيات والمعجزات ثم ذكر المخلصين فقال (وعداة الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام ولمن معه ومنكم للبيان وقيل المراد به المهاجرون ومن للتبعض (ليستخلفنهم في الارض) أي أرض الكفار وقيل أرض المدينة والصحيح أنه عام (٣٦٠) لقوله عليه الصلاة والسلام ليدخان هذا الدين على ما دخل عليه

الاجابة والطاعة (وان تطيعوه تهتدوا) أي تصيدوا الحق والرشد في طاعته (وما على الرسول الا البلاغ المبين) أي التبليغ الواضح المبين ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وعداة الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) قيل مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه وأمروا بالصبر على أذى الكفار فكانوا يصحون ويمسحون خائفين ثم أمروا بالهجرة الى المدينة وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال رجل منهم أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فانزل الله هذه الآية ومعنى ليستخلفنهم والله ليورثهم أرض الكفار من العرب والحجم جعلهم ملوكا واستأمنها وسكانها (كما استخلف الذين من قبلهم) أي كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الانبياء وكما استخلف بنى اسرائيل وأهلك الجبارة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم (ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى) أي اختاره (لهم) قال ابن عباس يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الاديان (وليدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني) آمين (لا يشركون بي شيئا) فانجز الله وعده واظهر دينه ونصر أوليائه وأبد لهم بعد الخوف أمنا وبسطا في الارض (خ) عن عدي بن حاتم قال بينما أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذا نادى رجل فشكا اليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل فقال يا عدي هل رأيت الحيرة قلت لم أرها ولقد أنبت عنها قال فان طالت بك حياة فلترين الطعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحد الا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعا رطبي الذين قد سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجان يترجم له فيقولون ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى يا رب فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى الا جهنم قال عدي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمره فمن لم يجد شق تمره فبكلمة طيبة قال عدي فرأيت الطعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه ذهبا الخوفي الآية دليل على صحة خلافة أبي بكر الصديق والخلفاء الراشدين بعده لان في أيامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الامن والتكبير وظهور الدين عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال امسك خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وعلى ستا قال على قلت لحماة القائل لسعيد امسك سفينة قال نعم أخرجه أبو داود والترمذي بنحو هذا اللفظ قلت كذا ورد هذا الحديث بهذا التفصيل

الليل (كما استخلف) استخلف أبو بكر (الذين من قبلهم) ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليدلتهم وليدلتهم بالتخلف مكي وأبو بكر (من بعد خوفهم أمنا) وعدهم الله أن ينصر الاسلام على الكافر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل بينى اسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبارة وان يميز الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيتته وتفضيده وان يؤمن سرهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسحون فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فترت فقال عليه الصلاة

والسلام لا تغربون الا يبرأ حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا اليه من معه حديدا فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الا كاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا والقسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم مخدوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أنزل وعداة الله في تحقيقه منزلة القسم فلتقى بما يتلقى به القسم كأنه أقسم الله ليستخلفنهم (يعبدونني) ان جعلته أمنا فافلا محل له كأنه قيل ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني موحدين ويجوز أن يكون حالا بدل من الحال الاولى وان جعلته حالا عن وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم فحله النصب (لا يشركون بي شيئا) حال من فاعل يعبدون أي يعبدونني موحدين ويجوز أن يكون حالا بدل من الحال الاولى

(ومن كفر بعد ذلك) أي بعد الوعد والمراد كفران النعمة كقوله تعالى فكفرت بانعم الله (فاولئك هم الفاسقون) هم الكاملون في فسقهم حيث كفر واثلك النعمة الجسيمة وجسروا على غمطها قالوا أول من كفر هذه النعمة قتلة عثمان رضي الله عنه فاقتلوا بعدما كانوا اخوانا وزال عنهم الخوف والآية أوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم (وأقيموا الصلوة) معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا يضر الفصل وان طال

(٣٦١)

(وأتوا الزكوة وأطيعوا الرسول) فيما يدعونكم اليه وكررت طاعة الرسول تأكيد الوجوبها (لعلمكم ترجون) أي لكي ترجوا فأنها من مستجلبات الرحمة ثم ذكر الكافرين فقال (لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض) أي فأتين الله بان لا يقدر عليهم فيم أفتاء خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وهو الفاعل والمفعولان الذين كفروا ومعجزين وبالياء شامى وحزرة والفاعل النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره والمفعولان الذين كفروا ومعجزين (ومأواهم النار) معطوف على لا تحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار (ولبئس المصير) أي المرجع النار (يا أيها الذين آمنوا) يستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) أمر بان يستأذن

وفيه اجال وتفصيله أن خلافة أبي بكر كانت سنتين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشرين سنة وستة أشهر وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة كما ذكر في الحديث وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر وهذا جاء في بعض روايات الحديث وعلى كذا ولم يبين تعيين مدته فعلى هذا التفصيل تكون مدة خلافة الأئمة الاربعة تسعة وعشرين سنة وستة أشهر وثلثون سنة بخلافة الحسن كانت ستة أشهر ثم نزل عنها والله أعلم وقوله تعالى (ومن كفر بعد ذلك) أراد به كفران النعمة ولم يرد الكفر بالله (فاولئك هم الفاسقون) أي العاصون قال أهل التفسير أول من كفر بهذه النعمة ومحمد حقه الذين قتلوا عثمان فلما قتله غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتلون بعد ان كانوا اخوانا عن ابن أخي عبد الله بن سلام قال لما أريد قتل عثمان جاء عبد الله بن سلام فقال عثمان ما جاء بك قال جئت في نصرك قال أخرج الى الناس فاطردهم عنى فانك خارجا خير لي منك داخلا فخرج عبد الله الى الناس فقال أيها الناس ان الله سيفمغمودا وان الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فآله الله في هذا الرجل ان تقتلوه فوالله ان قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة وليسكن الله سيفه المغمود عنكم فلا يغمد الى يوم القيامة قالوا اقتلوا اليهودي واقتلوا عثمان أخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي فاقتل نبي قط الاقتل به سبعون ألفا وخليفة الاقتل به خمسة وثلاثون ألفا قوله تعالى (وأقيموا الصلوة وأتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلمكم ترجون) أي افعوا هذه الاشياء على رجاء الرحمة (لا تحسبن الذين كفروا معجزين) أي فأتين عناء في الارض ومأواهم النار ولبئس المصير) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) يستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته عند ذلك فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلامنا يتدخلون علينا في حال نكرهها فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا) يستأذنكم الذين ملكت أيمانكم واللام لام الامر وفيه قولان أحدهما انه على الندب والاستحباب والثاني انه على الوجوب وهو الأول الذي ملكت أيمانكم يعني العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) يعني الاحرار وليس المراد منهم الذين لم يظهر واعلى عورات النساء بل المراد الذين عرفوا أمر النساء ولم يبلغوا الحلم وهو سن التمييز والعقل وغيرها وانفق العلماء على ان الاحتلام بلوغ واختلفوا فيما اذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتمل فقال أبو حنيفة لا يكون بالغ حتى يبلغ ثمان عشرة سنة ويستكملها والجارية سبع عشرة سنة وقال الشافعي وأبو يوسف ومحمد وأحمد في الغلام والجارية بخمس عشرة سنة يصير مكلفا وتجري عليه الاحكام وان لم يحتمل (ثلاث مرات) أي يستأذنوا في ثلاثة أوقات (من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) أي وقت المقييل (ومن بعد صلاة العشاء) وانما خص هذه الثلاثة الاوقات لانها ساعات الخلوات ووضع الثياب فرمما يبدون من الانسان ما لا يجوز أن يراه أحد من العبيد والصبيان فامرهم بالاستئذان في هذه الاوقات وغير العبيد والصبيان يستأذن في جميع الاوقات (ثلاث عورات لكم) سميت هذه الاوقات عورات

(٤٦ - (خازن) - ثالث) العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) أي الاطفال الذين لم يحتملوا من الاحرار وقرئ بسكون اللام تخفيفا (ثلاث مرات) في اليوم والليلة وهي (من قبل صلاة الفجر) لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) وهي نصف النهار في القيظ لانه وقت وضع الثياب للقبولة (ومن بعد صلاة العشاء) لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والاتحاف بثياب النوم (ثلاث عورات لكم) أي هي اوقات ثلاث عورات تحذف لمبتدأ والمضاف وبالنصب كوفي غير حفص بدلا من ثلاث مرات أي اوقات ثلاث عورات وسمى كل واحد من هذه الاحوال عورة

لان الانسان يختل نستره فيها والعورة الخلل ومنها الاعور المختل العين دخل غلام من الانصار يقال له مدحج بن عمرو على عمر رضى الله عنه وقت الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضى الله عنه وددت ان الله نهى عن الدخول في هذه الساعات الا بالاذن فانطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزلت عليه الآية ثم عذروهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات بقوله (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) أى لانهم عليكم ولا على المذكورين في الدخول بغير استئذان بعدهن ثم بين العلة في ترك الاستئذان في هذه الاوقات بقوله (طوافون عليكم) أى هم طوافون بمحواج البيت (بعضكم) مبتدأ خبره (على بعض) تقديره بعضكم طائف على بعض خذف طائف لدلالة طوافون عليه ويجوز ان تكون الجملة بدلا من التي قبلها وان تكون مبينة مؤكدة يعنى ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم لخدمة ويطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم (٢٦٢) الامر بالاستئذان في كل وقت لافضى الى الحرج وهو مدفوع في الشرع

بالنص (كذلك يبين الله لكم الآيات) أى كما بين حكم الاستئذان بين لكم غيره من الآيات التي احتجتم الى بيانها (والله عليم) بمصالح عبادته (حكيم) في بيان مراده (واذا بلغ الاطفال منكم) أى الاحرار دون المماليك (الحلم) أى الاحتلام أى اذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم (فليستأذنوا) في جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أى الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتكم حتى تستأنسوا وتسئلوا الآية والمعنى ان الاطفال ما ذنوا لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم

لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته (ليس عليكم ولا عليهم) يعنى العبيد والخدم والصبيان (جناح) أى حرج في الدخول عليكم بغير استئذان (بعدهن) أى بعد هذه الاوقات الثلاثة (طوافون عليكم) أى يطوفون عليكم والخدم يترددون ويدخلون ويخرجون في أشغالكم بغير اذن (بعضكم على بعض) أى يطوف بعضكم على بعض (كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل انها منسوخة حكى ذلك عن سعيد بن المسيب روى عكرمة ان نفا من أهل العراق قالوا يا ابن العباس كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا بها ولا يعمل بها أحد قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا استأذنكم الذين ملكت أيمانكم الآية فقال ابن عباس ان الله حلیم رحيم بالمؤمنين يحب السترك وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أهله فامرهم الله تعالى بالاستئذان في تلك العورات فجاءهم الله بالاستور والخير فلم أر أحدا يعمل بذلك بعدا أخرجه أبو داود وفي رواية عنه نحوه وزاد فرأى ان ذلك أغنى عن الاستئذان في تلك العورات وذهب قوم الى انها غير منسوخة روى سفيان عن موسى ابن أبي عائشة قال سألت الشعبي عن هذه الآية استأذنكم الذين ملكت أيمانكم منسوخة هي قال لا والله قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله تعالى المستعان وقال سعيد بن جبیر في هذه الآية ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت واكتفاء ما تمهاون به الناس قيل ثلاث آيات ترك الناس العمل بهن هذه الآية وقوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم والناس يقولون أعظمكم يتاوا اذا حضر القسمة أو لولا القرى الآية وقوله عز وجل (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم) أى الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا (فليستأذنوا) أى يستأذنوا في جميع الاوقات في الدخول عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) أى الاحرار الكبار (كذلك يبين الله لكم آياته) أى دلالاته وقيل أحكامه (والله عليم) أى بأمور خلقه (حكيم) بما دبر وشرع قال سعيد بن المسيب يستأذن الرجل على أمه فأنما أنزلت هذه الآية في ذلك وسئل حذيفة استأذن الرجل على والدته قال نعم ان لم تفعل رأيت منها ما تكره قوله (والقواعد من النساء) يعنى اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر فلا يلدن ولا يحضن (اللاتي لا يرجون نكاحا) أى لا يردن الازواج لكبرهن وقيل هن المجاز اللواتي اذا رآهن الرجال استقדרوهن فاما من كانت فيها بقية جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في حكم هذه الآية (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أى عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن وهو الجلباب والرداء الذي فوق

الثياب

بلغوا بالاحتلام أو بالنسب وجب أن يغطوا وعن تلك العادة

وبحملوا على أن يستأذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن والناس عن هذا غافلون وعن ابن عباس رضى الله عنه ثلاث آيات تجدهن الناس الاذن كله وقوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم واذا حضر القسمة وعن سعيد بن جبیر يقولون هي منسوخة والله ما هي بمنسوخة وقوله (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم) فيما بين من الاحكام (حكيم) بمصالح الانام (والقواعد) جمع قاعد لانها من الصفات المختصة بالنساء كالطالق والحائض أى اللاتي قعدن عن الحيض والولد لكبرهن (من النساء) حال (اللاتي لا يرجون نكاحا) يطمعن فيه وهي في محل الرفع صفة للمبتدأ وهي القواعد والخبر (فليس عليهن جناح) ثم ودخلت الفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط بسبب الالف واللام (أن يضعن) في أن يضعن (ثيابهن) أى الظاهرة كالمحفة والجلباب الذي فوق الخمار

(غير) حال (متبرجات بزينة) أي غير مظهرات زينة يدا زينة الخفية كالشعر والنحو والساق ونحو ذلك أي لا يقصدن بوضعها التبرج ولكن التخفيف وحقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه (وأن يستعفن) أي يطلبن العفة عن وضع الثياب فيسترن وهو مبتدأ خبره (خيرطن والله سميع) لما يعلن (علم) بما يقصدن (ليس على الاعمي حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) قال سعيد ابن المسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى الغزومع النبي صلى الله عليه وسلم (٣٦٣) وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الاعمي

والمرضى والاعرج وعند أقاربهم وياذنونهم ان ياكلوا من بيوتهم وكانوا يتخرجون من ذلك ويقولون نخشى أن لانكون أنفسهم بذلك طيبة فزات الآية رخصة لهم (ولا على أنفسكم) أي حرج (أن تاكلوا من بيوتكم) أي بيوت أولادكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ولذا لم يذكر الأولاد في الآية وقد قال عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لبيك أو بيوت أزواجكم لان الزوجين صارا كنفس واحدة فصار بيت المرأة كبيت الزوج (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت اخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم) لان الاذن من هؤلاء ثابت دلالة (أو ما ملكتكم مفاتيحه) جمع مفتاح وهو ما يفتح به الغلق قال ابن عباس رضي الله عنه هو وكيل الرجل

الثياب والقناع الذي فوق الخمار فاما الخمار فلا يجوز وضعه (غير متبرجات بزينة) أي من غير أن يردن بوضع الجلباب والرداء اظهار زينتهن والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما يجب عليها أن تستره (وأن يستعفن) أي فلا يلقين الجلباب والرداء (خيرطن والله سميع علم) قوله عز وجل (ليس على الاعمي حرج) اختلف العلماء في هذه الآية فقال ابن عباس لما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا لاتاكلوا أموالكم بينكم بالباطل تخرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والعمى والعمى والعرج وقالوا الطعام أفضل الاموال وقد نهانا الله عز وجل عن أكل الاموال بالباطل والاعمي لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمرضى يضعف عن تناول فلا يستوفى من الطعام حقه فانزل الله هذه الآية فعلى هذا التأويل يكون على معنى في أي ليس في الاعمي والمعنى ليس عليكم في مؤاكلة الاعمي والمرضى والاعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمرضى يتزهون عن مؤاكلة الاصحاء لان الناس يقدرونهم ويكرهون مؤاكلتهم وكان الاعمي يقول بما آكل أكثر من ذلك ويقول الاعرج والاعمي ر بما أجلس مكان اثنين فنزلت هذه الآية وقيل نزلت ترخيصاً لهؤلاء في الاكل من بيوت من ساهم الله في باقي الآية وذلك ان هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل في طلب الطعام فاذا لم يكن عنده شيء ذهب بهم الى بيت أبيه أو بيت أمه أو بعض من سمي الله تعالى فكان أهل الزمانة يتخرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى غير بيته فانزل الله هذه الآية وقيل كان المسلمون اذا غزوا ودفعوا مفاتيح بيوتهم الى الزمنى ويقولون لهم قد أحلنا لكم أن تاكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتخرجون من ذلك ويقولون لاندخلها واصحابها غيب فانزل الله هذه الآية رخصة لهم وقيل نزلت رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند قوله (ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) وقوله تعالى (ولا على أنفسكم) كلام مستأنف قيل لما نزلت ولانا كلاً أموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل لاحد منا أن ياكل عند احد فانزل الله تعالى ولا على أنفسكم (أن تاكلوا من بيوتكم) أي لا حرج عليكم أن تاكلوا من بيوتكم قيل أراد من أموال عيالكم وبيوت أزواجكم لان بيت للمرأة كبيت الزوج وقيل أراد بيوت أولادكم ونسب بيوت الاولاد الى الاباء لاجاء في الحديث أنت ومالك لبيك (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت اخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتكم مفاتيحه) قال ابن عباس عن ذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وما شيته لابس عليه أن ياكل من ثمره ضيعته ويشرب من لبن ما شيته ولا يحمل ولا يدخر وقيل يعني بيوت عبيدكم وما لي بكم وذلك ان السيد يملك منزل عبده والمفتاح الخزان ويجوز أن يكون المفتاح الذي يفتح به واذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا بأس أن ياكل الشيء اليسير وقيل ما ملكتكم مفاتيحه أي ما خزتموه عندكم وما ملكتكموه (أو صدقتكم) الصديق هو الذي صدقك في المودة قال ابن عباس نزلت في الحرث ابن عمرو وخرج غازي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على أهله فلهما رجوع وجدهم مجهودا

وقيمه في ضيعته وما شيته له أن ياكل من ثمره ضيعته ويشرب من لبن ما شيته وأريد بملك المفاتيح كونها في يده وحفظه وقيل أراد به بيت عبده لان العبد وما في يده لولاه (أو صدقتكم) يعني أو بيوت أصدقائكم والصدق يكون واحداً وجمعاً وهو من يصدقك في مودته وتصدقه في مودتك وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيفه فيأخذ ما شاء فاذا حضر مولاهما فاخبرته أعتقها سروراً بذلك فاما الآن فقد غلب الشح على الناس فلا يؤكل الا باذن

(ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً) مجتمعين (أو أشتاتا) متفرقين جمع شت نزلت في بني ليث بن عمرو وكانوا يتخرجون أن يأكل الرجل وحده فر بما قدم منتظرانها راه إلى الليل فان لم يجد من يؤا كلاً كل ضرورة أو في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لاياً كلون الامع ضيفهم أو تخرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض (فاذا دخلتم بيوتنا) من هذه البيوت لتأكلوا (فسلموا على أنفسكم) أي فابدؤا بالسلام على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابة أو بيوتنا فارغاً أو مسجداً فقولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية) نصب بسلاموا (٣٦٤) لانها في معنى تسليماً نحو فعدت جلوساً (من عند الله) أي نابتة بأمره

مشروعة من لدنه أو لان التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله (مباركة طيبة) وصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق (كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) لكي تعقلوا وتفهموا (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معاً على أمر جامع) أي الذي يجمع له الناس نحو الجهاد والتدبير في الحرب وكل اجتماع في الله حتى الجمعة والعيدن (لم يذهبوا حتى يستأذنه) أي ويأذن لهم ولما أراد الله عز وجل ان يرهم عظم الجنابة في ذهاب الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا معاً على أمر جامع جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنه ناك الايمان بالله والايمان برسوله وجعلها كالفتيب له

فسأله عن حاله فقال تخرجت ان آكل من طعامك بغير اذنك فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى انه ليس عليكم جناح أن تأكلوا من منازل هؤلاء اذا دخلتموها وان لم يحضروا من غير ان تزودوا وتحملوا (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتا) نزلت في بني ليث بن عمرو وهم حي من كنانة كان الرجل منهم لاياً كل وحده حتى يجد ضيفاً كل معه فر بما قدم الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحقل فلا يشرب من ألبانها حتى يأتي من يشار به فاذا أمسى ولم يجد أحداً كل وقال ابن عباس كان الغني يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصدقاته فيدعوه الى طعامه فيقول والله اني لا جناح أي أخرج ان آكل معك وأنا غني وأنت فقير فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في قوم من الانصار كانوا لاياً كلون اذا نزل بهم ضيف الامع ضيفهم فرخص لهم ان يأكلوا كيف شاؤوا جميعاً أي مجتمعين أو أشتاتا أي متفرقين (فاذا دخلتم بيوتنا فسلموا على أنفسكم) أي ليسم بعضكم على بعض هذا في دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن في بيته قال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته حدثنا ان الملائكة ترد عليه وقال ابن عباس اذا لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته وعن ابن عباس في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتنا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية من عند الله مباركة طيبة) قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيب ههنا لما فيه من الثواب والاجر (كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) أي عن الله أمره ونهيه وآدابه ﴿ قوله عز وجل (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معاً على أمر جامع) أي يجمعهم من حروب واصلات حضرت أوجعة أو عيداً أو جماعة أو تشاور في أمر نزل (لم يذهبوا) أي لم يتفرقوه عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له (حتى يستأذنه) قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف انه انما قال ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم قال مجاهد وأذن الامام يوم الجمعة ان يشير بيده قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا بالاذن واذا استأذن الامام ان شاء أذن له وان شاء لم يأذن وهذا اذا لم يكن حدث سبب يمنعه من المقام فان حدث سبب يمنعه من المقام بأن يكونوا في المسجد فتحيض امرأة منهم أو يجنب رجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستئذان (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنونك لبعض شأنهم) أي أمرهم (فاذن لمن شئت منهم) أي في الانصراف والمعنى ان شئت فأذن وان شئت فلا تأذن (واستغفر لهم الله) أي ان رأيت لهم عذراً في الخروج عن

والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بأفعالها وايقاع المؤمنين مبتدأ مخبر عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الايمان ثم عقبه بما يزيد به تو كيداً وتشديداً حيث عاده على أسلوب آخر وهو قوله (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) وضمنه شيئاً آخر وهو انه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم الواد (فاذا استأذنونك) في الانصراف (لبعض شأنهم) أمرهم (فانذرن لمن شئت منهم) فيه رفع شأنه عليه الصلاة والسلام (واستغفر لهم الله)

ان الله غفور رحيم) وذ كرا الاستغفار للمستأذنين دليل على ان الافضل ان لا يستأذن قالوا وينبغي أن يكون الناس كذلك مع أئمتهم
 ومقدميهم في الدين والعلم يظهر ونهم ولا يتفرقون عنهم الا باذن قيل نزلت يوم الخندق كان المنافقون يرجعون الى منازلهم من غير
 استئذان (لا تجفوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أي اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لامر
 فدعاهم فلا تفر بوامنه الا باذنه ولا تقبلوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي أو لا تجفوا تسميته
 ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه به أبواه فلا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله يا رسول الله مع التوقير والتعظيم
 والصوت المنخفض (قد يعلم الله الذين يتسللون) يخرجون قليلا قليلا (منكم لو اذا) حال أي ملاوذين اللواذ والملاوذة هو أن يلوذ هذا
 بذلك وذلك بهذا أي يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي
 الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم
 عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه والضمير في أمره لله سبحانه (٣٦٥) أول رسول عليه الصلاة والسلام والمعنى عن

طاعته ودينه ومفعول
 يحذر (أن تصيبهم فتنة)
 محنة في الدنيا أو قتل أو
 زلازل وأهوال أو تسليط
 سلطان جائر أو قسوة القلب
 عن معرفة الرب أو اسباغ
 النعم استدرجا (أو
 يصيبهم عذاب أليم) في
 الآخرة والآية تدل على
 أن الامر للإيجاب (ألا
 ان لله ما في السموات
 والارض) الاتفيه على
 ان لا يخالفوا امر من ما في
 السموات والارض (قد
 يعلم ما أتم عليه) أدخل
 قديا يؤكد علمه بما هم عليه
 من المخالفة عن الدين
 ويرجع توكيد العلم الى
 توكيد الوعيد والمعنى ان
 جميع ما في السموات

الجماعة (ان الله غفور رحيم) قوله عز وجل (لا تجفوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا)
 قال ابن عباس رضي الله عنهما يقول احذروا دعاء الرسول اذا أسخطتموه فان دعاءه موجب ليد كدعاء
 غيره وقيل معناه لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد يا عبد الله ولكن نغموه وعظموه وشرفوه
 وقولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع (قد يعلم الله الذين يتسللون) أي يخرجون (منكم لو اذا) أي
 يستتر بعضهم ببعض ويروغ في خفية فيذهب قيل كانوا في حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محتفين وقال ابن عباس لو اذا أي يلوذ بعضهم ببعض وذلك أن المنافقين
 كان يشغل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض
 أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار وقوله قد يعلم فيه التهديد بالمجازاة (فليحذر الذين يخالفون عن
 أمره) أي يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير اذنه (أن تصيبهم فتنة) أي لثلاث تصيبهم فتنة أي بلاء في
 الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أي وجيع في الآخرة ثم عظم الله نفسه فقال تعالى (ألا ان لله ما في السموات
 والارض) أي ملكا وعبيدا (قد يعلم ما أتم عليه) أي من الايمان والنفاق (ويوم يرجعون اليه) يعني
 يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) أي من الخير والشر (والله بكل شيء عليم) عن عائشة رضي الله تعالى عنها
 قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة
 النور أخرجه أبو عبد الله بن السبع في صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة الفرقان وهي مكية وسبعون آية وثمائة واثنان وتسعون

كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل (تبارك) تفاعل من البركة قيل معناه جاء بكل بركة وخير وقيل معناه تعظم (الذي نزل
 الفرقان) أي القرآن سماه فرقانا لانه فرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل لانه نزل مفرقا في

والارض مختص به خلقا وما كواو علماف كيف تخفي عليه أحوال المنافقين وان كانوا يجهدون في سترها (ويوم يرجعون اليه) وبفتح الياء
 وكسر الجيم يعقوب أي ويعلم يوم يردون الى جزائه وهو يوم القيامة والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما أتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز
 ان يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز ان يكون ما أتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين (فينبئهم) يوم القيامة (بما عملوا)
 بما أبطنوا من سوء أعمالهم ويجاز بهم حتى جزأهم (والله بكل شيء عليم) فلا يخفي عليه خافية وروى أن ابن عباس رضي الله عنه قرأ سورة
 النور على المنبر في الموسم وفسرها على وجه لو سمعت الروم به لاسلمت والله أعلم (سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية) (بسم الله
 الرحمن الرحيم) (تبارك) تفاعل من البركة وهي كثرة الخيروز يادته ومعنى تبارك الله تزايد خيره وتكاثر وتزايد عن كل شيء وتعالى عنه في
 صفاته وأفعاله وهي كلمة تعظيم لم تستعمل الا الله وحده والمستعمل منه الماضي فحسب (الذي نزل الفرقان) هو مصدر فرق بين الشئين اذا
 فصل بينهما وسمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل والحلال والحرام أولانه لم ينزل جملة ولكن مفرقا فصولا بين بعضه وبعض في الانزال
 ألا ترى الى قوله وقرأنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا

(على عبده) محمد عليه الصلاة والسلام (ليكون) العبد أو الفرقان (للعالمين) للجن والانس وعموم الرسالة من خصائصه عليه الصلاة والسلام (نذيرا) منذر أي مخوفاً وناذرا كالنكير بمعنى الإنكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر (الذي) رفع على أنه خير مبتدأ محذوف أو على الأبدال من الذي نزل وجوز الفصل بين البديل والمبدل منه بقوله ليكون لأن المبدل منه صلته نزل وليكون تعليلا له فكان المبدل منه لم يتم الإبه أو نصب على المدح (له ملك السموات والارض) على الخلوص (ولم يتخذ ولدا) كما زعم اليهود والنصارى في عزى برو المسيح عليهما السلام (ولم يكن له شريك في الملك) كما زعمت الثنوية (وخلق كل شيء) أي أحدث كل شيء وحده لا كما يقوله المجوس والثنوية من النور والظلمة ويزدان واهر من ولاشبهة فيه لمن يقول ان الله شيء ويقول بنحى القرآن لان الفاعل بجميع صفاته لا يكون مفعولا له على ان لفظ شيء اختص بما يصح ان يخلق بقرينة وخلق وهذا أوضح دليل لنا على المعزلة في خلق أفعال العباد (فقدرة تقدير) فهي أم لا يصلح له بلا مثال فيه كما انه خلق الانسان على هذا الشكل الذي تراه فقدرة للتسكليف والمصالح المنوطة به في الدين والدنيا أو قدره للبقاء الى أم معلوم (٣٦٦) (وانخذوا) الضمير للكافر بن لاندراجهم تحت العالمين أو دلالة نذير عليهم لانهم

المنذرون (من دونه آفة) أي الاصنام (لا يخافون شيئا وهم يخافون) أي انهم آثروا على عبادة من هو منفرد بالالوهية والملك والخلق والتقدير عبادة عجزه لا يقدر على خلق شيء وهو يخلقون (ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا) ولا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع اليها (ولا يملكون موتا) امانة (ولا حياة) أي احياء (ولا نشورا) احياء بعد الموت وجعلها كالعقلاء لزعم عابديها (وقال الذين كفروا ان هذا ما هذا القرآن (الافك) كذب (افتراه) اختلقه واخترعه

أوقات كثيرة ولهذا قال نزل بالتشديد لتكثير التفريق (على عبده) يعني محمد صلى الله عليه وسلم (ليكون للعالمين) أي للانس والجن (نذيرا) قيل هو القرآن وقيل النذير هو محمد صلى الله عليه وسلم (الذي له ملك السموات والارض) أي هو المتصرف فيهما كيف يشاء (ولم يتخذ ولدا) أي هو الفردي وحدانيته وفيه رد على النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) أي هو المنفرد بالالهية وفيه رد على الثنوية وعبادة الاصنام (وخلق كل شيء) مما تطلق عليه صفة المخلوق (فقدرة تقدير) أي سواه وهي أم لا يصلح له لا يخل في ولا تفاوت وقيل قدر كل شيء تقدير من الاجل والرزق فخرت المقادير على ما خلق ﴿قوله تعالى﴾ (وانخذوا) يعني عبدة الاوثان (من دونه آفة) يعني الاصنام (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا) أي دفع ضرر ولا جرت نفع (ولا يملكون موتا) أي امانة (ولا حياة) أي احياء (ولا نشورا) أي بعثا بعد الموت (وقال الذين كفروا) يعني النضر بن الحرث وأصحابه (ان هذا) أي ما هذا القرآن (الافك) أي كذب (افتراه) أي اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم (وأعانه عليه قوم آخرون) قيل هم اليهود وقيل عبيد ابن الخضر الحبشي السكاهن وقيل جبر و يسار و عداس بن عبيد كانوا يعمدونه من أهل الكتاب فزعم المشركون أن محمد صلى الله عليه وسلم ياخذ منهم قال الله تعالى (فقد جاؤا) يعني قائل هذه المقالة (ظلموا وزورا) أي بظلم وزور وهوتهم كلام الله تعالى بالافك والافتراء (وقالوا أساطير الاولين) كتبتها يعني النضر بن الحرث كان يقول ان هذا القرآن ليس من الله وانما هو مما سطره الاولون مثل حديث رستم واسفنديار ومعنى كتبتها انفسها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر و يسار و عداس وطلب ان تكتب له لانه كان لا يكتب (فهى تلى عليه) أي تقرأ عليه ليحفظها لانه لا يكتب (بكرة وأصيلا) يعني غدوة وغشية قال الله تعالى ردا عليهم (قل) يا محمد (أنزل) يعني القرآن (الذي يعلم السر) أي الغيب (في السموات والارض انه كان غفورا رحيما) أي لولا ذلك لعاجلهم بعذابه (وقالوا مال هذا الرسول) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (يا كل الطعام) أي كائنا كل نحن يؤمئذ في الاسواق) أي يلبس المعاش كما نمشي

محمد من عند نفسه (وأعانه عليه قوم آخرون) أي اليهود و عداس و يسار و أبو فكيهة الرومي قاله النضر بن الحرث (فقد جاؤا) نحن ظلموا وزورا) هذا الخبر من الله رد الكفرة فيرجع الضمير الى الكفار وجاء يستعمل في معنى فعل فيعدي تعديتها أو حذف الجار وأوصل الفعل أي بظلم وزور وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من الحمى الرومي كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزوران بهتوه بنسبة ما هو بري منه اليه (وقالوا أساطير الاولين) أي هو أحاديث المتقدمين وما سطره و كرسم وغيره جمع اسطار وأسطورة كاحدوتة (اكتبتها) كتبتها لنفسه (فهى تلى عليه) أي تلقى عليه من كتابه (بكرة) أول النهار (وأصيلا) آخره فيحفظ ما على عليه ثم يتلوه علينا (قل) يا محمد (أنزل) أي القرآن (الذي يعلم السر في السموات والارض) أي يعلم كل سر خفي في السموات والارض يعني ان القرآن لما اشتمل على علم الغيوب التي يستحيل عادة ان يعلمها محمد عليه الصلاة والسلام من غير تعليم دل ذلك على انه من عند علام الغيوب (انه كان غفورا رحيما) فيمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة وان استوجبوا مجازاتهم (وقالوا مال هذا الرسول) وقعت اللام في المصحف مفصولة عن الهاء وخط المصحف سنة لا تغير وتسميتهم اياه بالرسول سنخر به منهم كأنهم قالوا أي شيء هذا الزاعم انه رسول (يا كل الطعام) يؤمئذ في الاسواق حال العامل فيها هذا

(لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها) أي ان صح انه رسول الله فبالله يأكل الطعام كما يأكل كل
 و يتردد في الاسواق لطلب المعاش كما يتردد يعنون انه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح الى أن
 يكون انسا معه ملك حتى يتساند في الانذار والتخويف ثم نزلوا الى أن يكون مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج
 الى تحصيل المعاش ثم نزلوا الى أن يكون رجلا له بستان يأكل هو منه كالمياسير أو نأكل نحن كقراءة على وحزرة وحسن عطف المضارع
 وهو يلقى وتكون على أنزل وهو ماض لدخول المضارع وهو فيكون بينهما واتصبا فيكون على القراءة المشهورة لانه جواب لولا
 بمعنى هلا حكمه حكم الاستفهام وأراد بالظالمين في قوله (وقال الظالمون) اياهم (٣٦٧) باعياتهم غير انه وضع الظاهر

موضع المضمرة بجيلا
 عليهم باظلم فيما قالوا وهم
 كهارق ريش (ان تبعون
 الا رجلا مسحورا)
 سحر فجن أو داس سحر
 وهو الرقة عنوا انه
 بشر لملك (انظر كيف
 ضربوا) بينوا (لك
 الامثال) الاشياء أي قالوا
 فيك تلك الاقوال
 واخترعوا لك تلك الصفات
 والاحوال من المفترى
 والمملى عليه والمسحور
 (فضلوا) عن الحق (فلا
 يستطيعون سبيلا) فلا
 يجدون طريقا اليه
 (نبارك الذي ان شاء
 جعل لك خيرا من ذلك
 جنات تجري من تحتها
 الانهار ويجعل لك قصورا)
 أي تكاثر خير الذي ان
 شاء وهب لك في الدنيا
 خيرا مما قالوا وهو أن يجعل
 لك مثل ما وعدك في

نحن واذا كان كذلك فمن أين له الفضل علينا ولا يجوز أن يمتاز عننا بالنبوة وكانوا يقولون له لست بملك لانك
 بشر مثلنا والملك لا يأكل ولا يملك لان الملك لا يتسوق وأنت تتسوق وتبتذل وما قالوه فاسد لان أكله الطعام
 لكونه آدميا ولم يدع انه ملك ومشيه في الاسواق لنواضعه وكان ذلك صفة في التوراة ولم يكن سخبا
 في الاسواق وليس شيء من ذلك ينافي النبوة ولانه لم يدع انه ملك من الملوك (لولا أنزل اليه ملك) أي يصدقه
 ويشهد له (فيكون معه نذيرا) أي داعيا (أو يلقى اليه كنز) أي ينزل عليه كنز من السماء ينفقه فلا يحتاج الى
 التصرف في طلب المعاش (أو تكون له جنة) أي بستان (يأكل منها) أي هو فلا أقل من ذلك ان لم يكن له
 كنز (وقال الظالمون ان تبعون الا رجلا مسحورا) أي مخدوعا وقيل مصر وفاقن الحق انظر يا محمد
 (كيف ضربوا لك الامثال) أي الاشياء التي لا فائدة لها فقالوا مسحور محتاج (فضلوا) أي عن الحق (فلا
 يستطيعون سبيلا) الى الهدى ومخرجا عن الضلالة ﴿قوله تعالى (نبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من
 ذلك) أي من الذي قالوا أفضل من البستان الذي ذكروا وقال ابن عباس يعني خيرا من المشي في الاسواق
 والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال (جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا) أي بيوتاً مشيدة
 عن أبي امامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي لي يجعل لي بطحاء مكة ذهباً قلت لا يارب ولكن
 أشبع يوماً جوع يوماً وقال ثلاثاً أو نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك وذكرك واذا شبعت حمدتك
 وشكرتك عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لسارت معي جبال مكة ذهباً جاءني ملك
 ان يحجزه لتساوي الكعبة فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول ان شئت نبياعبدا وان شئت نبيا
 ملكا فنظرت الى جبريل فاشبار الى ان وضع نفسك فقلت نبياعبدا قالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بعد ذلك لا يأكل متكثرا يقول أنا عبداً كل كايأكل كل العبد وأجلس كما يجلس العبد ذكره ابن اخديثين
 البغوي بسنده ﴿قوله تعالى (بل كذبوا بالساعة) أي القيامة (وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) أي ناراً
 مسعرة (اذارأتهم من مكان بعيد) قيل من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة عام فان قلت كيف تصور
 الرؤية من النار وهو قوله اذارأتهم قلت يجوز أن يخلق الله لها حياة وعقلا ورؤية وقيل معناه أراهم زبانتها
 (سمعوا لها تغيظا) أي غليانا كالتغيظان اذا غلى صدره من الغضب (وزفيراً) أي صوتاً فان قلت كيف
 يسمع التغيظ قلت معناه رأوا وعلموا لها تغيظا وسمعوا لها زفيراً كما قال الشاعر
 ورأيت زوجك في الوغي * متقلداً سيفاورمحا

أي وحاملارمحا وقيل سمعوا لها صوت التغيظ من التاهب والتوقد وقال عبيد بن عمير تزفر جهنم يوم القيامة
 نؤرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر لوجهه (واذا ألقوا منها مكانا ضيقاً) قال ابن عباس تضيق

الآخرة من الجنات والتصور
 وجنات بدل من خيرا
 ويجعل بالرفع مكى وشامى وأبو بكر لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع (بل كذبوا بالساعة) عطف على ما حكى عنهم يقول
 بل أتوا بأعجب من ذلك كاه وهو تكذيبهم بالساعة أو مصطل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف
 يصدقون بتجويل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بها (وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) وهياً نال المكذبين بها ناراً شديدة في
 الاستعار (اذارأتهم) أي النار أي قابلتهم (من مكان بعيد) أي اذا كانت منهم بمرأى الناظرين في البعد (سمعوا لها تغيظا وزفيراً) أي سمعوا
 صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزفير اذا ارأتهم زبانتها تغيظوا وزفروا غصبا على الكفار (واذا ألقوا منها) من النار
 (مكانا ضيقاً) ضيقاً مكى فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذا وصفت الجنة بأن عرضها السموات والارض وعن ابن
 عباس رضي الله عنه انه يضيق عليهم كما يضيق الزجاج في الرمح

(مقرنين) أي وهم مع ذلك الضيق مسلطون مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الاغلال أو يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الاصفاد (دعواهنالك) حينئذ (ثبورا) هلا كما أي قالوا واثبورا أي تعال يا ثبور فهذا حينك فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) أي انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير (قل ذلك خير) أي المذكور من صفة النار خير (أم جنة الخلد التي وعد المتقون) أي وعدنا فالراجع إلى الموصول محذوف وانما قال ذلك خبر ولا خير في النار تو بيغنا للكفار (كانت لهم جزاء) نوابا (ومصيرا) مرجعا وانما قيل كانت لان ما وعد الله كأنه كان لتحققه أو كان ذلك مكتوبا في اللوح قبل ان خلقهم (لهم فيها ما يشاؤون) أي ما يشاؤنه (خالدين) حال من الضمير في يشاؤون والضمير في (كان) لما يشاؤون (علي ربك وعدا) أي موعودا (مسؤلا) مطلوبوا وحقيقيا أن يسأل أو قد سأله المؤمنون والملائكة في دعواتهم (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة

(٣٦٨)

ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم (ويوم نحشرهم) للبعث

عند الجمهور وبالباية كي
ويزيد ويعقوب وحفص
(وما يعبدون من دون
الله) يريد المعبودين من
الملائكة والمسيح وعزير
وعن الكلبي يعني
الاصنام ينظفها الله وقيل
عام وما يتناول العقلاء
وغيرهم لانهم أربده
الوصف كأنه قيل ومعبودهم
(فيقول) وبالسنون
شامى (أأتم أضلتم عبادي
هؤلاء أم هم ضلوا السبيل)
والقياس ضلوا عن السبيل
الانهم تركوا الجار كما
تركوه في هذا الطريق
والاصل إلى الطريق أو
للطريق وضل مطاوع
أضله والمعنى أأتم
أوقعتموهم في الضلال
عن طريق الحق بادخال

عليهم كما يضيق الزج في الرح (مقرنين) أي مصفدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل (دعواهنالك ثبورا) قال ابن عباس ويلا وقيل هلا كما في الحديث ان أول من يكسى حلة من النار ابايس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبوراهم حتى يقفوا على النار فينادي يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبوراهم فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) هكذا ذكره البغوي بغير سند وقيل معناه هلا كما أكثر من أن تدعوا مرة واحدة فدعوا أدعيه كثيرة قوله عز وجل (قل ذلك خير) أي الذي ذكرت من صفة النار وأهلها (أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا) أي نوابا ومرجعا لهم قال تعالى (لهم فيها ما يشاؤون) أي ان جميع المرادات لا تحصل الا في الجنة لاني غيرها فان قلت قد يشتهي الانسان شيئا وهو لا يحصل في الجنة كان يشتهي الولد ونحوه وليس هو في الجنة قلت ان الله يزيد ذلك الخاطر عن أهل الجنة بل كل واحد من أهل الجنة مشغول بما هو فيه من اللذات الشاغلة عن الالتفات إلى غيره (خالدين) أي في نعيم الجنة ومن تمام النعيم أن يكون دائما اذ لو انقطع لكان مشوبا بضرب من الغم وأنشد في المعنى أشد الغم عندى في سرور • تيقن عنه صاحبه اتقالا

(كان على ربك وعدا مسؤلا) أي مطلوبوا وذلك ان المؤمنين سألوهم في الدنيا حين قالوا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك يقول كان اعطاء الله المؤمنين جنة وعدا وعدهم على طاعتهم اياه في الدنيا ومثلتهم اياه ذلك الوعد وقيل الطلبة من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم قوله تعالى (ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله) يعني من الملائكة والانس والجن مثل عيسى والعزير وقيل يعني الاصنام ثم مخاطبتهم (فيقول أأتم أضلتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) أي أخطوا الطريق (قالوا) يعني المعبودين (سبحانك) زهوا الله سبحانه وتعالى من أن يكون معه آلهة (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) يعني ما كان ينبغي لنا أن نوالي أعداءك بل أنت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك ونحن عبيدك

ولكن

الشيء أم هم ضلوا عنه بأنفسهم وانما يقال أضلتم عبادي هؤلاء أم هم

ضلوا السبيل وزيد أتم وهم لان السؤال ليس عن الفعل ووجوده لانه لا وجود له لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكرهم وايلانه حرف الاستفهام ليعلم انه المسؤول عنه وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالسؤال عنه ان يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبادتهم بتكذيبهم اياه فزيد حشرهم (قالوا سبحانك) تعجب منهم بما قيل لهم وقصدوا به لتزبيبه عن الابداد وان يكون له نبي أو ملك أو غيرهما ندائم قالوا (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) أي ما كان يصح لنا ولا يستقيم ان تتولى أحدادونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك تتخذ بزيد واتخذ يتعدى إلى مفعول واحد نحو اتخذ وليا وإلى مفعولين نحو اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة من الاولى من المتعدى لواحد وهو من اولياء والاصل أن تتخذ اولياء وزيدت لنا كيد معنى النبي والقراءة الثانية من متعدى إلى المفعولين فالقوله الاول ما يزاره الفعل والثاني من اولياء ومن التبعية أي لا تتخذ بعض اولياء لان من لا يزداد في المفعول الثاني بل في الاول تقول ما اتخذت من أحد وليا ولا تقول ما اتخذت أحد من ولي

(ولكن متعهم وآباءهم) بالاموال والاولاد وطول العمر والسلامة من العذاب (حتى نسوا الذكر) أي ذكرا لله والايمان به والقرآن والشرائع (وكانوا) عند الله (قوما بورا) أي هلكي جمع بائر كعائد وعوذ ثم يقال للكفار بطريق الخطاب عدولا عن الغيبة (فقد كذبوكم) وهذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الاتفات وحذف القول ونظيرها يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم على فترة من الرسل الى قوله فقد جاءكم بشيرو نذير وقول القائل قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القبول فقد جئنا خراسانا (بما تقولون) بقولكم فيهم آلهة والباء على هذا كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وعن قنبل بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقولهم سبحانه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء والباء على هذا كقولك كتبت بالقلم (فيا يستطيعون صرفا ولا نصرا) أي فيا يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو ينصروكم وبالباء

حفص أي فاستطيعون
أتم يا كفار صرف
العذاب عنكم ولا نصر
أنفسكم ثم خاطب المكلفين
على العموم بقوله (ومن
يظلم منكم) أي يشرك لان
الظلم وضع الشيء في غير
موضعه ومن جعل المخلوق
شريك خالفه فقد ظلم
يؤيده قوله تعالى ان
الشرك لظلم عظيم (نذقه
عذابا كبيرا) فسر بالخلود
في النار وهو يليق بالشرك
دون الفاسق الاعلى قول
المعتزلة والخوارج (وما
أرسلنا قبلك من المرسلين
الا أنهم ليا كلون الطعام
ويعشون في الاسواق)
كسرت ان لاجل اللام في
الخبر والجملة بعد الاصفة
لموصوف محذوف والمعنى
وما أرسلنا قبلك أحدا
من المرسلين الا أكابن

(ولكن متعهم وآباءهم) أي بطول العمر والصحة والنعمة في الدنيا (حتى نسوا الذكر) معناه تركوا المواعظ والايمان بالقرآن وقيل تركوا ذكره وغفلوا عنه (وكانوا قوما بورا) معناه هلكي أي غلب عليهم الشقاء والخذلان (فقد كذبوكم) هذا خطاب مع المشركين أي كذبكم المعبودون (بما تقولون) أي أنهم آلهة (فيا يستطيعون) أي الالهة (صرفا) أي صرف العذاب عن أنفسهم (ولا نصرا) أي ولا نصرا أنفسهم وقيل لا ينصرونكم أي العابدون بدفع العذاب عنكم (ومن يظلم منكم) أي يشرك (نذقه عذابا كبيرا) قوله عز وجل (وما أرسلنا قبلك) أي يا محمد (من المرسلين الا أنهم ليا كلون الطعام ويعشون في الاسواق) قال ابن عباس لما عبر المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق أنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى ان هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله فلا وجه لهذا الطعن وما أنا الا رسول وما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا بشرا مثلي يا كلون الطعام ويعشون في الاسواق (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة) أي بليته قال ابن عباس أي جعلنا بعضهم بلاء بعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتبصروا أنهم اهتدي قيل نزلت في ابتلاء الشريف بالوضيع وذلك ان الشريف اذا أراد أن يسلم رأى الوضيع قد أسلم قبله فأنت وقول أسلم بعده فيكون له السابقة والفضل على فيقيم على كفره ويمتنع من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وقيل نزلت في أبي جهل والوليد بن عقبة والعاص بن وائل السهمي والنضر بن الحرث وذلك أنهم رأوا أبا ذر وابن مسعود وعمار بن ياسر وبلا لا وصهيبا وعاصم بن فهيرة وذو جهم قد أسلموا قبلهم فقالوا نسلم فنكون مثل هؤلاء وقيل نزلت في ابتلاء فقراء المسلمين بالمستهنئين من قريش كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين تبعوا محمد صلى الله عليه وسلم من موالينا وأرأينا فقال الله تعالى هؤلاء المؤمنون (أتصبرون) أي على هذه الحالة من الفقر والشدة والاذى وقيل ان الغني فتنة الفقير يقول مالي لم أكن مثله والصحيح فتنة المريض والشريف فتنة الوضيع (وكان ربك بصيرا) أي لمن يصبر ولن يجزع (ق) عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه بالمال والجسم فلينظر الى من هو دونه في المال والجسم لفظ البخاري ولمسلم انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم قوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافون البعث والرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة (لولا

(٤٧ - (خازن) - ثالث) وما شين وانما حذف ا كتفاء بالجار والمجرور أي من المرسلين ونحوه وما منا الا له مقام معلوم أي وما منا أحد قيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وتسليته للنبي عليه الصلاة والسلام (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة) أي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر ومشي في الاسواق يعني انه جعل الاغنياء فتنة للفقراء فيغني من يشاء ويفقر من يشاء (أتصبرون) على هذه الفتنة فتزوجوا أم لا تصبرون فبزداد غمكم وحكي أن بعض الصالحين تبرم بضنك عيشه فخرج ضجرا فرأى خصيا في مواكب ومراكب فخطر بباله شيء فاذا بمن يقرأ هذه الآية فقال بلى فصرار بنا أي وجعلتك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز ووجنان لكانت طاعتهم لك لا دنيا أو مزرعة بالدنيا فإنا ما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصتنا (وكان ربك بصيرا) عالما بالصواب فيما يتلى به أو بمن يصبر ويجزع (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) لا يأملون (لقاءنا) بالخير لانهم كفره لا يؤمنون بالبعث ولا يخافون عقابنا ما لان الراجي قلق فيما يرجوه كالخائف اولا لان الرجاء في لغة تهامة الخوف (لولا) هلا

(أنزل علينا الملائكة) رسلا دون البشر أو شهودا على نبوته ودعوى رسالته (أونرى ربنا) جهرة فيخبرنا برسالته واتباعه (لقد استكبروا في أنفسهم) أي أضرروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم (وعتوا) وتجاوزوا الحد في الظلم (عتوا كبيرا) وصف العتو بالكبر فبالغ في إفراطه أي أنهم لم يحسروا على هذا القول العظيم إلا أنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام في لقد جواب قسم محذوف (يوم يرون الملائكة) أي يوم الموت أو يوم البعث ويوم منصوب بما دل عليه (لابشري) أي يوم يرون الملائكة ينعون بشري وقوله (يومئذ) مؤكدا ليوم يرون أو باضمار إذ كراي إذ كر يوم يرون الملائكة ثم أخبر فقال لابشري بالجنة يومئذ ولا ينتصب يرون لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف ولا يشري لأنها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولأن المنى بلا لا يعمل فيما قبل لا (للمجرمين) ظاهر في موضع ضمير أوعام يفتاوهم بعمومه وهم (٣٧٠) الذين اجتمروا الذنوب والمراد الكافرون لأن مطلق الاسماء يتناول كمل

المسيات (ويقولون) أي الملائكة (حجرا محجورا) حراما محرما عليكم بشري أي جعل الله ذلك حراما عليكم إنما بشري للمؤمنين والمجرم صدر والكسر والفتح لغتان وقرئ بهما وهو من حجره إذا منعه وهو من المصادر المنصوبة بأفعال متروك اظهارها وحجورا التأكيد معنى الحجر كما قالوا موت مائت (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) هو صفة ولا قدوم هنا ولكن مثل حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صفة رحمة وافتحاض ملهوف وقرئ ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه فقدم إلى أشيائه وقصد إلى ما تحت يديه فأفدها ومزقها كل ممزق

أنزل علينا الملائكة) فتخبرنا ان محمدا صادق (أونرى ربنا) فيخبرنا بذلك (لقد استكبروا) أي تعظموا (في أنفسهم) بهذه المقالة (وعتوا عتوا كبيرا) أي طغوا وقيل عتوا في القول وهو أشد الكفر والفحش وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به قوله تعالى (يوم يرون الملائكة) أي عند الموت وقيل يوم القيامة (لابشري يومئذ للمجرمين) وذلك أن الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة ويقولون لا كفار لابشري لكم وقيل لابشارة لهم بالجنة كما بشر المؤمن (ويقولون حجرا محجورا) قال ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما أن يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل إذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة حراما محرما عليكم أن تكون لكم بشري وقيل هذا قول الكفار للملائكة وذلك ان العرب كانت إذا نزلت بهم شدة وراوأما يكرهون قالوا حجرا محجورا فهم يزلون ذلك إذا عابوا الملائكة قوله عز وجل (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل) يعني من أعمال البر التي عملوها في حال الكفر (فجعلناه هباء منثورا) أي باطلا لا ثواب له لانهم لم يعملوه لله عز وجل ومنه الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه أمرنا فهو ردى والهباء هو ما يرى في الكوة كالغبار إذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالأيدي ولا يرى في الظل والمنثور المفرق قال ابن عباس هو ما تفسيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر وقيل هو ما يسقط من حوافر الدواب عند السير من الغبار وقوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ) أي يوم القيامة (خير مستقرا) أي من هؤلاء المشركين المستكبرين (وأحسن مقيلا) أي موضع القائلة وذلك ان أهل الجنة لا يجر بهم يوم القيامة الا قدر من أول النهار إلى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار والقيولة الاستراحة نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال وأحسن مقيلا والجنة لانوم فيها قال ابن عباس الحساب في ذلك اليوم في أوله ويروي ان يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس قوله تعالى (ويوم تشقق السماء بالغمام) أي عن الغمام وهو غمام أبيض مثل الضباب ولم يكن الا لبي اسرائيل في تبهم (ونزل الملائكة تنزيلا) قال ابن عباس تشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الانس والجن ثم تشق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والانس ثم كذلك حتى تشق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي تليها ثم تنزل الكروبيون ثم حملة العرش (الملك يومئذ الحق للرحمن) أي الملك الذي

ولم يترك لها أثر والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيها بالغبار والمنثور المفرق وهو استعارة عن جعله بحيث هو لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع ثم بين فضل أهل الجنة على أهل النار فقال (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) تميزوا والمستقر المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم تجالسون ويتحدثون (وأحسن مقيلا) مكانا يأوون إليه للاستراحة الى أزواجهم ولانوم في الجنة ولكنه سمي مكان استراحتهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وروى انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وفي لفظ الاحسن تبهم (ويوم) واذ كر يوم (تشقق السماء) والاصل تشق خذف التاء كوني وأبو عمرو وغيرهم أدغمها في الشين (بالغمام) لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كأنه الذي تشق به السماء كما تقول شقت السنام بالشفرة فانشق بها (ونزل الملائكة تنزيلا) وتنزل الملائكة مكي وتنزل على هذا مصدر من غير لفظ الفعل والمعنى ان السماء تنفتح بغمام ابيض يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد (الملك) مبتدأ (يومئذ) ظرفه (الحق) نعته ومعناه الثابت لان كل ملك يزول يومئذ فلا يبقى الا ملكه (للرحمن)

خبره (وكان) ذلك اليوم (يوم ا على الكافر بن عسيرا) شديد ا يقال عسر عليه فهو عسير وعسر وي فهم منه يسره على المؤمنين في الحديث
يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا (ويوم بعض الظالم على يديه) عض اليدين كناية
عن الغيظ والحسرة لانه من روادفها فتذ كر الرادفة وبدل بها على الردوف (٣٧١) فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة

ويجد السامع عنده في
نفسه من الروعة ما لا يجده
عند لفظ المكى عنه واللام
في الظالم للعهد وأريد به
عقبة لما بين أول الجنس
فيتناول عقبة وغيره من
الكفار (يقول ياليتني
اتخذت) في الدنيا (مع
الرسول) محمد عليه الصلاة
والسلام (سبيلا) طريقا
الى النجاة والجنسة وهو
الايمان (ياويلتا) وقرئ
ياويلتى بالياء وهو الاصل
لان الرجل ينادى ويلته
وهي هلكته يقول طاعتا
فهذا أو انك وانما قلبت
الياء ألفا كما في صحارى
ومدارى (ليتني لم اتخذ فلانا
خليلا) فلان كناية عن
الاعلام فان أريد بالظالم
عقبة لما روى انه اتخذ ضيافة
فدعا اليها رسول الله عليه
الصلاة والسلام فأبى أن
يأكل من طعامه حتى
ينطق بالشهادتين ففعل
فقال له أبى بن خلف وهو
خليله وجهى من وجهك
حرام الآن ترجع فارتد
فالمعنى ياليتني لم اتخذ أيبا
خليلا فكفى عن اسمه وان
أريد به الجنس فكل من
اتخذ من المضلين خيلا كان

هو الملك محقا ملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضى غيره (وكان يوم ا على
الكافر بن عسيرا) أى شديد ا وفيه دليل على أنه لا يكون على المؤمنين عسيرا وجاء في الحديث انه يهون
يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا ﴿ قوله تعالى ﴾ (ويوم بعض
الظالم على يديه) أراد بالظالم عقبة بن أبى معيط وذلك انه كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودا علىه أشرف
قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودا على الناس اليه ودا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بأكل طعامك حتى تشهد
أن لا اله الا الله وأنى رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فلما أخبر أبى بن خلف قال له يا عقبة صابت
قال لا والله ما صابت ولكن دخل على رجل فابى أن يأكل طعامى الا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من
بيتى ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا بالذى أرضى عنك أبدا الا أن تأتيه فتبزق في وجهه ففعل ذلك عقبة
فقال عليه الصلاة والسلام لأراك خارجا من مكة الاعلوت رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا وأما
أبى بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد وقيل لما بزق عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم
عاد بزاقه في وجهه فأحترق خداه فكان أثر ذلك في وجهه حتى قتل وقيل كان عقبة بن أبى معيط خليل
أمية بن خلف فاسلم عقبة فقال له أمية وجهى من وجهك حرام ان تابعت محمد افكفروا رتد فانزل الله فيه
ويوم بعض الظالم يعنى عقبة بن أبى معيط بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على يديه أى ندماء وأسفا
على ما فرط في جنب الله وأر بق نفسه بالمعصية والكفر لطاعة خليله الذى صده عن سبيل ربه قال عطاء
يأكل يديه حتى يبلغ مر فقيه ثم يبتان ثم يأكلهما هكذا كلما نبتت يدها أكلها على ما فعل تحسرا وندامة
(يقول ياليتني اتخذت) أى في الدنيا (مع الرسول سبيلا) أى ليتنى اتبعت محمد صلى الله عليه وسلم واتخذت
معه طريقا الى الهداية (ياويلتا) دعا على نفسه بالويل (ليتني لم اتخذ فلانا خيلا) قيل يعنى أبى بن خلف (لقد
أضلنى عن الذكر) أى عن الايمان والقرآن (بعد اذ جاءنى) يعنى الذ كرمع الرسول صلى الله عليه
وسلم (وكان الشيطان) وهو كل متمردات صدى عن سبيل الله من الجن والانس (للانسان خذولا) أى
كثير الخذلان يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب به وحكم الآية عام في كل خيلين ومتحابين اجتماعا
على معصية الله (ق) عن أبى موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الجاليس الصالح وجليس
السوء كخامل المسك ونافخ الكير فامل المسك اما أن يحذيك واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبا
ونافخ الكير اما أن تحترق ثيابك واما أن تجد منه ريحا خبيثة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل أخرجه أبو داود والترمذى وطهرا عن أبى سعيد الخدرى
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مؤمنا ولا ياكل طعامك الا تقي ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وقال
الرسول) يعنى ويقول الرسول في ذلك اليوم (يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا) أى متروكا
واعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه منزلة الهجر وهو السيء من القول فزعموا انه سحر
وشعر والمعنى أن محمد صلى الله عليه وسلم يشكو قومه الى الله عز وجل يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن

لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه وقيل هو كناية عن الشيطان (لقد أضلنى عن الذكر) أى عن ذكر الله والقرآن والايمان (بعد اذ
جاءنى) من الله (وكان الشيطان) أى خليله سماه شيطانا لانه أضله كما يضله الشيطان أو ابليس لانه الذى حله على مخالفة المضل ومخالفة الرسول
للانسان المطيع له (خذولا) هو مبالغة من الخذلان أى من عادة الشيطان ترك من يواليه وهذا حكاية كلام الله أو كلام الظالم (وقال الرسول)
أى محمد عليه الصلاة والسلام في الدنيا (يارب ان قومى) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) متروكا أى تركوه ولم يؤمنوا به من الهجران

وهو مفعول ثانٍ لا تُخَدَّوْا فِي هَذَا عِظَامٍ لِلشُّكَايَةِ وَتُخَوِّفُ لِقَوْمِهِ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ إِذَا شَكُوا إِلَيْهِ قَوْمَهُمْ حَلَّ بِهِمُ الْعَذَابُ وَلَمْ يَنْظُرُوا أَنَّهُ أُقْبِلَ عَلَيْهِمْ
 مَسْلِيًا وَوَعَدَهُ النَّصْرَةَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكُنِيَ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا) أَي كَذَلِكَ كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ قَبْلَكَ مَبْتَلَى
 بَعْدَ آدَمَ قَوْمَهُ وَكَفَاكَ نَبِيُّ هَادِيًا إِلَى طَرِيقِ قَهْرِهِمْ وَالْإِنْتِصَارِ مِنْهُمْ وَنَاصِرًا لِكُلِّ عَلَيْهِمُ وَالْعَدُوِّ بِحُجُوزِ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا وَجَمَاعًا وَالْبَاءُ زَائِدَةٌ أَي وَكُنِيَ
 بِرَبِّكَ هَادِيًا وَهُوَ تَمْيِيزٌ (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أَي قَرِيشٌ أَوِ الْيَهُودُ (لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جَلَّةً) حَالٌ مِنَ الْقُرْآنِ أَي بِجَمْعِهَا (وَاحِدَةً) يَعْنِي هَلَا
 أَنْزَلَ عَلَيْهِ دَفْعَةً وَاحِدَةً فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ كَمَا أَنْزَلَتِ الْكُتُبُ الثَّلَاثَةُ وَمَالَهُ أَنْزَلَ عَلَى التَّفَارِيقِ وَهُوَ فَضُولٌ مِنَ الْقَوْلِ وَعِمَارَةٌ بِمَالِ الطَّائِلِ تَحْتَهُ لِأَنَّ
 أَمْرَ الْعَجَازِ وَالِاحْتِجَاجَ بِهِ لِأَخْتَلَفَ بِنَزُولِهِ جَلَّةً وَاحِدَةً أَوْ مَتَفَرَّقًا وَنَزَلَ هُنَا بِعَنَى أَنْزَلَ وَاللَّامُ كَانَ مُتَدَاغًا بِدَلِيلِ جَلَّةً وَاحِدَةً وَهَذَا اعْتِرَاضٌ
 فَاسِدٌ لَأَنَّهُمْ تَحَدَّوْا بِالْأَنْبِيَاءِ بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ أَصْفَرِ السُّورِ فَابْرُزُوا صَفْحَةَ عَجْزِهِمْ حَتَّى لَا ذُوَابٌ لِلْمَنَاصِبِ وَفَزَعُوا إِلَى الْحَارِبَةِ وَبَذَلُوا الْمَهْجَ وَمَالُوا
 إِلَى الْحُجْحِ (كَذَلِكَ) جَوَابٌ لِمُ أَيْ كَذَلِكَ أَنْزَلَ مَفْرَقًا فِي عَشْرِينَ سَنَةً أَوْ فِي ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ وَذَلِكَ فِي كَذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى مَدْلُولِ قَوْلِهِ لَوْلَا نَزَلَ
 عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جَلَّةً لِأَنَّ مَعْنَاهُ لَمْ أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ مَفْرَقًا ۷ فَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ (لِنَبِّئْتَهُ) بِتَفْرِيقِهِ (فَوَادِكُ) حَتَّى تَعْبَهُ وَتَحْفَظَهُ لِأَنَّ الْمُتَلَقِّنَ إِذَا بَقِيَ
 قَلْبُهُ عَلَى حِفْظِ الْعِلْمِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ وَجَزَأَ عَقِيبَ جِزْمٍ لَوْ لَأَتَى عَلَيْهِ جَلَّةً وَاحِدَةً لَمْ يَجْزِ عَنْ حِفْظِهِ أَوْ لِنَبِّئْتَهُ بِفَوَادِكُ عَنِ الضُّجْرِ بِتَوَاتُرِ الْوُصُولِ
 وَتَابِعِ الرَّسُولَ لِأَنَّ قَلْبَ الْمُحِبِّ (٣٧٢) يَسْكُنُ بِتَوَاصُلِ كُتُبِ الْمُحِبُّوبِ (وَرَتَلْنَاهُ تَرْتِيلًا) مَعْطُوفٌ عَلَى الْفِعْلِ الَّذِي تَعْلُقُ بِهِ

كذلك كأنه قال كذلك
 فرقناه ورتلناه أي قدرناه
 آية بعد آية ووقفه بعد وقفة
 أو امرنا بترتيل قراءته
 وذلك قوله تعالى ورتل
 القرآن ترتيلاً أي اقرأه
 بترسل وتثبت أو بيناه تبييننا
 والترتيل التبيين في ترسل
 وتثبت (ولايأتونك بمثل)
 بسؤال عييب من سؤالاتهم
 الباطلة كأنه منسل في
 البطلان (الاجتنابك
 بالحق) الأتيانك بالجواب
 الحق الذي لا يحيد عنه

مَهْجُورًا فَضَرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا) أَي وَكَأَجَلَّتْ لِكَ أَعْدَاءِ مَنْ مَشَرَكَ مَكَّةَ وَهُمْ قَوْمُكَ كَذَلِكَ
 جَعَلْنَا (لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ) أَي الْمُشْرِكِينَ وَالْمَعْنَى لَا يَكْبُرُ عَلَيْكَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ قَبْلَكَ قَدَلَقُوا
 هَذَا مِنْ قَوْمِهِمْ فَصَبَرُوا وَأَفْصَحُوا أَنْتَ كَمَا صَبَرُوا فَإِنِّي نَاصِرٌ لَكَ وَهَادِيٌ لَكَ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَكَنِيَ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا)
 قَوْلُهُ تَعَالَى (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) وَالْوَالِدُ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ جَلَّةً وَاحِدَةً) أَي كَمَا أَنْزَلَتِ التَّوْرَةُ عَلَى مُوسَى وَالْإِنْجِيلَ
 عَلَى عِيسَى وَالزَّبُورَ عَلَى دَاوُدَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (كَذَلِكَ) فَعَلْنَا ذَلِكَ (لِنَبِّئْتَهُ بِفَوَادِكُ)
 أَي أَنْزَلْنَاهُ مَفْرَقًا لِنَقْوِي بِهِ قَلْبَكَ فَتَعْبَهُ وَتَحْفَظَهُ فَإِنَّ الْكُتُبَ الْمُتَقَدِّمَةَ نَزَلَتْ عَلَى أَنْبِيَاءٍ يَكْتُبُونَ وَيَقْرَأُونَ
 وَأَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ عَلَى نَبِيِّ أُمِّي لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ وَلَا يَنْزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ وَمِنْهُ مَا هُوَ جَوَابٌ لِمَنْ سَأَلَ
 عَنْ أُمُورٍ تَحْدُثُ فِي أَوْقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ فَفَرَّقْنَاهُ لِيَكُونَ أَدْعَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَيْسَرَ عَلَى الْعَامِلِ بِهِ
 (وَرَتَلْنَاهُ تَرْتِيلًا) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَبَيْنَاهُ بَيَانًا وَالْتَرْتِيلُ التَّبْيِينُ فِي تَرْسُلٍ وَتَثَبْتُ وَقِيلَ فَرَّقْنَاهُ تَفْرِيقًا آيَةً بَعْدَ آيَةٍ
 (وَلَا يَأْتُونَكَ) يَعْنِي بِأَمْحَدٍ هُوَ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ (بِمَثَلٍ) أَي بِضَرْبٍ بُونَهُ لَكَ فِي إِطَالِ أَمْرِكَ (الاجتنابك بالحق) أَي
 بِمَآرِدِهِ مَا جَاؤُوه مِنْ الْمَثَلِ وَتَبَطَّلَهُ فَسَمِيَ مَا يَبُورُ دُونَ مِنَ الشَّبهِ مَثَلًا وَسَمِيَ مَا يَدْفَعُ بِهِ الشَّبْهَ حَقًّا (وَأَحْسَنُ
 تَفْسِيرًا) أَي أَحْسَنُ بَيَانًا وَتَفْصِيلًا ثُمَّ ذَكَرَ مَا لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ تَعَالَى (الَّذِينَ) أَي هُمُ الَّذِينَ (بِحُشْرُونَ)
 أَي يَسَاقُونَ وَيَجْرُونَ (عَلَى وَجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أَوْلَتْكَ شَرْمَكَانًا) أَي مَنْزِلًا وَمَصِيرًا (وَأَضْلُ سَبِيلًا) أَي أَخْطَأَ
 طَرِيقًا ۞ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا) أَي مَعِينًا وَظَهِيرًا (فَقَلْنَا

(وَأَحْسَنُ تَفْسِيرًا) وَبِمَا هُوَ أَحْسَنُ مَعْنَى وَمُؤَدَى مِنْ مَثَلِهِمْ أَي مِنْ سَوَالِهِمْ
 وَأَمَّا حَذْفُ مَنْ مَثَلِهِمْ لِأَنَّ فِي الْكَلَامِ دَلِيلًا عَلَيْهِ كَمَا لَوْ قُلْتَ رَأَيْتَ زَيْدًا وَعَمْرًا وَإِنْ كَانَ عَمْرًا أَحْسَنَ وَجِهًا فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّكَ تَرِيدُ مِنْ زَيْدٍ
 وَلَمَّا كَانَ التَّفْسِيرُ هُوَ التَّكْشِيفُ عَمَّا بَدَلَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ وَضَعُ مَوْضِعَ مَعْنَاهُ فَقَالُوا تَفْسِيرُ هَذَا الْكَلَامِ كَيْتُ وَكَيْتُ كَمَا قِيلَ مَعْنَاهُ كَذَا وَكَذَا
 أَوْ لَا يَأْتُونَكَ بِمِثَالٍ وَصِفَةٍ عَجِيبَةٍ يَقُولُونَ هَلَا أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ جَلَّةً إِلَّا عَطَيْنَاكَ مِنَ الْأَحْوَالِ مَا يَحِقُّ لَكَ فِي حِكْمَتِنَا أَنْ نَعْطَاهُ وَمَا هُوَ أَحْسَنُ
 تَكْشِيفًا لِمَا بَعَثَ عَلَيْهِ وَدَلَالَةً عَلَى صِحَّتِهِ يَعْنِي أَنَّ تَرْتِيلَهُ مَفْرَقًا وَتَحْدِيثَهُمْ بِأَنْ يَأْتُوا بِبَعْضِ تِلْكَ التَّفَارِيقِ كَمَا نَزَلَ شَيْءٌ مِنْهَا دَخَلَ فِي الْعَجَازِ مِنْ أَنْ
 يَنْزَلَ كَلِمَةً جَلَّةً (الَّذِينَ يَحْشُرُونَ عَلَى وَجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أَوْلَتْكَ شَرْمَكَانًا) الَّذِينَ مَبْتَدَأُوا وَأَوْلَتْكَ مَبْتَدَأَانِ وَشَرْمَكَانًا وَأَوْلَتْكَ مَعُ وَشَرْمَكَانًا
 الَّذِينَ أَوَّلَتْكَ بِهِمُ الَّذِينَ أَوَّلَتْكَ مَسْتَأْتَفٌ (مَكَانًا) أَي مَكَانَةً وَمَنْزَلَةً أَوْ مَسْكَنًا وَمَنْزَلًا (وَأَضْلُ سَبِيلًا) أَي وَأَخْطَأَ طَرِيقًا وَهُوَ
 مِنَ الْأَسْنَادِ الْمَجَازِيِّ وَالْمَعْنَى إِنْ حَامَلْتُمْ عَلَى هَذِهِ السُّؤَالَاتِ أَنْكُمْ تَضَلُّونَ سَبِيلَهُ وَتَحْتَقِرُونَ مَكَانَهُ وَمَنْزَلَتَهُ وَلَوْ نَظَرْتُمْ بَعْضَ الْأَنْصَافِ وَأَنْتُمْ مِنَ
 الْمَحْجُوبِينَ عَلَى وَجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ لَعَلَّمْتُمْ إِنْ مَكَانَكُمْ شَرْمَكَانًا وَمَنْزَلَتَكُمْ سَبِيلَكُمْ أَضْلُ مِنْ سَبِيلِهِ وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُهُ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ
 مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ الْآيَةُ وَعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْشُرُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ صَنَفٌ عَلَى الدُّوَابِّ
 وَصَنَفٌ عَلَى أَرْجُلِهِمْ وَصَنَفٌ عَلَى وَجُوهِهِمْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَحْشُرُونَ عَلَى وَجُوهِهِمْ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الَّذِي أَمْسَاكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ
 بِمِثْلِهِمْ عَلَى وَجُوهِهِمْ (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التَّوْرَةَ كَمَا آتَيْنَاكَ الْقُرْآنَ (وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ) بَدَلًا أَوْ عَظْمًا يَنْ (وَزِيرًا)

هو في اللغة من يرجع اليه من الوزر وهو الملجأ والوزارة لانتفاي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء ويؤمنون بأن يوازر بعضهم
 مضا (فقلنا اذهبوا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) الى فرعون وقومه وتقديره فذهب اليهم وانذراهم فكذبوهما (فدمرناهم تدميرا) التدمير
 الاهلاك بامر عجيب اراد اختصار القصة فذكر اولها وآخرها لانهما المقصود من القصة اعني الزام الحجية ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم
 (وقوم نوح) أي ودمرنا قوم نوح (لما كذبوا الرسل) يعني نوحا وادريس وشيثا وكان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع (أغرقتناهم)
 بالطوفان (وجعلناهم) وجعلناهم اقهم أو قصتهم (للناس آية) عبرة يعتبرون بها (وأعتدنا) وهياتنا (للاظالمين) لقوم نوح وأصله وأعتدناهم
 الا انه أراد تظليمهم فآظهم أو هو عام لكل من ظلم ظلم شرك ويتناوهم بعمومه (عذابا ألما) أي النار (وعادا) دمرنا عادا (ونمود) حزة
 وحفص على تاويل القبيلة وغيرهما ونمودا على تاويل الحى أو لانه اسم الاب الاكبر (وأصحاب الرس) هم قوم شعيب كانوا يعبدون الاصنام
 فكذبوا شعيبا فيناهم حول الرس وهي البئر غير مطوية انهارت بهم فحسف بهم وبيارهم وقيل الرس قرية قتلوا نبيهم فهلكوا وهم أصحاب
 الاخدود والرس الاخدود (وقرونا) وأهلكنا أئمة (بين ذلك) المذكور (كثيرا) (٣٧٣) لا يعلمها الا الله أرسل اليهم الرسل

فكذبوهما فاهلكوا (وكلا
 ضربنا له الامثال) بيناه
 القصص العجيبة من قصص
 الاولين (وكلا تيرنا تقيرا)
 أي أهلكنا اهلا كوكلا
 الاول منصوب بمادل عليه
 ضربنا له الامثال وهو انذرنا
 أو حذرنا والثاني تيرنا لانه
 فارغ له (واقدم اتوا) يعني
 أهل مكة (على القرية) سدوم
 وهي أعظم قرى قوم لوط
 وكانت حيا أهلك الله
 أربعاء مع أهلها وبقيت
 واحدة (التي أمطرت مطر
 السوء) أي أمطر الله عليها
 الحجارة يعني ان قريشا
 صروا صرارا كثيرة في
 متاجرهم الى الشام على
 تلك القرية التي أهلكت
 بالحجارة من السماء ومطر

اذهبوا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعني القبط (فدمرناهم) فيه اضمار أي فكذبوهما فدمرناهم
 (تدميرا) أي أهلكناهم اهلا كما (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) أي رسوهم ومن كذب رسولا واحدا فقد
 كذب جميع الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجمع (أغرقتناهم وجعلناهم للناس آية) أي عبرة لمن بعدهم
 (وأعتدنا للظالمين) في الآخرة (عذابا ألما) أي غير ما حصل بهم من عاجل العذاب في الدنيا (وعادا ونمود)
 أي أهلكنا عادا ونمود (وأصحاب الرس) قال وهب بن منبه كان أهل بئر الرس نزولا عليها وكانوا أصحاب مواش
 يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا يدعوهم الى الاسلام فنادوا في طغيانهم وأذوا شعيبا فيناهم
 حول البئر في منازلهم انهارت البئر وحسف بهم وبيارهم وورباعهم وقيل الرس بئر بفلج اليمامة قتلوا نبيهم
 فأهلكهم الله وقال سعيد بن جبيرة كان نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فأهلكهم الله وقيل الرس
 بانطا كية قتلوا فيها حبيبا النجار وهم الذين ذكرهم الله في سورة يس وقيل هم أصحاب الاخدود والرس
 الاخدود (وقرونا بين ذلك كثيرا) أي وأهلكنا قرونا كثيرا بين عاد ونمود وأصحاب الرس (وكلا ضربنا له
 الامثال) أي الاشباه في اقامة الحجية عليهم فلم يهلكهم الا بعد الانذار (وكلا تيرنا تقيرا) أي أهلكناهم
 اهلا كما قوله تعالى (ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء) يعني الحجارة وهي قريات قوم لوط وهي
 خمس قرى أهلك الله منها أربعاء ونجيت واحدة وهي أصفرها وكان أهلها لا يعملون العمل الخيث (أفلم
 يكونوا يرونها) يعني اذا مروا بها في أسفارهم فيعتبروا ويتعظون الان مدائن قوم لوط كانت على طريقهم في
 عمرهم الى الشام (بل كانوا لا يرجون نشورا) أي لا يخافون بعثنا قوله تعالى (واذ ارأوك ان يتخذونك الا
 هزوا) نزلت في أبي جهل كان اذا مر مع أصحابه قال مستهزئا (أهد الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا)
 أي قد قارب ان يضلنا (عن) عبادة (ألهتنا لولا ان صبرنا عليها) أي على عبادتها والمعنى لولا نصبر عليها
 لصرفنا عنها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) أي في الآخرة عيانا (من أضل سبيلا) أي أخطأ طريقا
 (أرأيت من اتخذ الهه هواه) وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد حجرا فاذا رأى حجرا أحسن منه رماه

السوء مفعول ثان والاصل أمطرت القرية مطرا أو مصدر محذوف الزوائد أي امطار السوء (أفلم يكونوا يرونها) أما شاهدوا ذلك بابصارهم
 عند سفرهم الشام فيتفكرون وافيؤمنوا (بل كانوا لا يرجون نشورا) بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يخافون بعثا فلا يؤمنون أو لا ياملون
 نشورا كما يامله المؤمنون لطمعهم في الوصول الى ثواب أعمالهم (واذ ارأوك ان يتخذونك) ان نافية (الاهزوا) اتخذوه هزوا في معنى
 استهزأ به والاصل اتخذوه موضع هزوا ومهزوا به (أهد الذي) محكي بعد القول المضمرة وهذا الاستغفار واستهزاء أي قائلين أهد الذي بعث
 الله رسولا) والمحذوف حال والعائد الى الذي محذوف أي بعثه (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها) ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة
 وهو دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وعرض المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين
 الاسلام لولا فرط لجأهم واستمسكهم بعبادة آلهتهم (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) هو وعيد ودلالة على انهم لا يفرقونه وان
 طالت مدة الامهال (من أضل سبيلا) هو كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلالة اذ لا يضل غيره
 الا من هو ضال في نفسه (أرأيت من اتخذ الهه هواه) أي من أطاع هواه فيما يأتي ويذر فهو عابد هواه وجعله الهه فيقول الله تعالى لرسوله هذا
 الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى يروى ان الواحد من أهل الجاهلية كان

يعبد الحجر فاذا مر بحجر أحسن منه ترك الأول وعبد الثاني وعن الحسن هوى كل متبع هواه (أفانت تكون عليه وكيلاً) أى حفيظاً يحفظه من متابعة هواه وعبادة ما هواه أفانت تكون عليه موكلاً فتصرفه عن الهوى الى الهدى عرفه ان اليه التبليغ فقط (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلاً) أم منقطعة معناه بل تحسب كان هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حفت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبى الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق أذنا ولا الى تدبره عقلاً ومشبهي بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان بالاستدلال لتركهم الاستدلال ثم هم أرجح ضلالة منها لان الانعام تسبح ربها وتسجد له وتطاع من يعظها وتعرف من يحسن اليها من يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدى لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهلك ولا يهتدون بالحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروى وقالوا الملائكة لروح وعقل والبهائم نفس وهوى والآدمى مجمع الكل ابتلاء فان غلبته النفس والهوى فضاته الانعام وان غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام وانما ذكر الاكثر لان فيهم من لم يصد عنه الاسلام الاحب اليه وكفى (٣٧٤) بهداء عضال وان فيهم من آمن (الم تر الى ربك) ألم تنظر الى صنع ربك وقدرته (كيف مد

وأخذ الاحسن منه وعبده وقال ابن عباس رأيت من ترك عبادة الله خالفه ثم هوى شجر افعبده ما حاله عندي وقيل الهوى اليه يعبد (أفانت تكون عليه وكيلاً) أى حافظاً يحفظه من اتباع الهوى وعبادة ما هواه من دون الله والمعنى لست كذلك وقال الكلبي نسختها آية القتال (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون) أى ما تقول سماع طالب الافهام (أو يعقلون) أى ما يعاينون من الحجج والاعلام وهذه المذمة أعظم من التي تقدمت لانهم لشدة عنادهم لا يسمعون القول واذا سمعوه لا يتفكرون فيه فكانهم لا سمع لهم ولا عقل البتة فعند ذلك شبههم بالانعام فقال تعالى (ان هم) أى ما هم (الا كالانعام) أى في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم اقدامهم على التدبر والتفكير ثم قال تعالى (بل هم أضل سبيلاً) لان البهائم تهتدى لمراعيها ومشاربها وينقادون لربها الذين يتعاهدونها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون ذلك ﴿قوله تعالى (الم تر الى ربك كيف مد الظل) هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدوداً لانه ظل لاشمس معه (ولو شاء لجعله ساكناً) أى دائماً لا يزول ولا تذهب الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً) معنى دلالتها عليه انه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والاشياء تعرف بضدها (ثم قبضناه) يعنى الظل (الينا قبضاً يسيراً) أى بالشمس التي تانى عليه والمعنى ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزأ جزأ قبضاً خفيفاً (وهو الذى جعل لكم الليل لباساً) أى ستراتسترون به والمعنى ان ظلمة الليل تغشى كل شئ كاللباس الذى يشتمل على لابس (والنوم سباتاً) أى راحة لا بد انكم وقطع الاعمالكم (وجعل النهار نشوراً) أى نقطة وزماناً تنتشرون فيه لا بتغاء رزقكم وطلب الاشتغال (وهو الذى أرسل الرياح بشرايين يدي رحمته) يعنى المطر (وأنزله من السماء ماء مطهوراً) الطهور هو

الظل) أى بسطه فعم الارض وذلك من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس في قول الجمهور لانه ظل ممدود لاشمس معه ولا ظلمة وهو كما قال في ظل الجنة الممدود اذا لا شمس معه ولا ظلمة (ولو شاء لجعله ساكناً) أى دائماً لا يزول ولا تذهب الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه) أى على الظل (دليلاً) لانه ما الشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فالاشياء تعرف باضدادها (ثم قبضناه) أى أخذنا ذلك الظل

الممدود (الينا) الى حيث أردنا (قبضاً يسيراً) سهلاً غير عسيراً وقليلاً قليلاً أى جزأ جزأ بالشمس التي تانى عليه وجاء ثم لتفاضل ما بين الامور فكان الثانى أعظم من الاول والثالث أعظم من الثانى شبه تباعد ما بينهما فى الفضل بتباعد ما بين الحوادث فى الوقت (وهو الذى جعل لكم الليل لباساً) جعل الظلام الساتر كاللباس (والنوم سباتاً) راحة لا بد انكم وقطع الاعمالكم والسبت القطع والنائم مسبوت لانه اذ قطع عمله وحركته وقيل السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وهو كقوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعنده ذكر النشور فى مقابله (وجعل النهار نشوراً) اذ النشور انبعث من النوم كنشور الميت أى ينشر فيه الخلق للمعاش وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار نعمته على خلقه لان فى الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودنيوية وفى النوم واليقظة المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر وقال لقمان لابنه كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشور (وهو الذى أرسل الرياح) الریح مكى والمراد به الجنس (بشراً) تخفيف يشرح نشور (بين يدي رحمته) أى قدام المطر لانه ریح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة مليحة (وأزله من السماء ماء) مطراً (طهوراً) بليغاً فى طهارته والظهور صفة كقولك ماء طاهر واءم كقولك ماء طهور أى ينظهر به طهور كالوضوء والوقوف لما يتوضأ به وتوقد به النار ومصدر بمعنى

الطاهر

التطهر كقولك تطهرت طهورا حسنا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة الا بطهورا أي بطهارة وما حكي عن ثعلب هو ما كان طاهرا في نفسه مطهر الغيرة وهو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ان كان هذا زيادة بيان الطهارة فحسن ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والافليس فعول من التفعيل في شيء وقياسه على ما هو مشتق من الافعال المتعدية كقطوع ومنوع غير سد بدلان بناء الفعول للمبالغة فان كان الفعل متعديا فالفعول متعدوان كان

(٣٧٥)

لازم (لنحيي به)

بالمطر (بلدة ميتا) ذكر
ميتا على ارادة البلد أو
المكان (ونسقيه مما
خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا)
أي ونسقي الماء البهائم
والناس وما خلقنا
حال من أنعاما وأناسي أي
انعاما وأناسي مما خلقنا
وسقي وأسقي اقتان وقرأ المفضل
والبرجي ونسقيه والاناسي
جمع النسي على القياس
ككرسي وكراسي وانسان
وأصله اناسين كسرحان
وسراحين فابدلت النون
ياء وأدغمت وقدم احياء
الارض على سقي الانعام
والاناسي لان حياتهم اسبب
لحياتهم ما وتخصيص الانعام
من الحيوان الشارب لان
عامه منافع الاناسي متعلقة
بها فكان الانعام عليهم
بسقي الانعام كالانعام
بسقيهم وتنكير الانعام
والاناسي ووصفها بالكثر
لان أكثر الناس
منيخون بالتريب من
الودية والانهار فيهم

الطاهر في نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما يطهر به بدليل ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وأراد به المطر والماء المطهر لانه يطهر الانسان من الحدث والنجاسة فثبت ان التطهير مختص بالماء وذهب أصحاب الرأي الى ان الطهور هو الطاهر حتى جوزوا ازالة النجاسة بالماءات الطاهرة مثل الخل والريق ونحوها ولو جاز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة الحدث بها وذهب بعضهم الى أن الطهور ما تكر منه التطهير وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء اذا توضى به مرة وان وقع في الماء شيء غير طعمه أو لونه أو ريحه هل تزول طهوريته نظر ان كان الواقع شيئا لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب وأوراق الاشجار فتجوز الطهارة به كما لو تغير بطول المكث في قراره وكذلك لو وقع فيه ما لا يختلط كالدهن يصب فيه فينروح الماء برأحتة تجوز الطهارة به لان تغيره للمجاورة لا للمخالطة وان كان شيئا يمكن صون الماء عنه ومخالطته كالخل والزعفران ونحوهما تزول طهوريته فلا تجوز الوضوء به وان لم يتغير أحد اوصافه نظر ان كان الواقع شيئا طاهر الا يزيد طهوريته بجوز الوضوء به سواء كان الماء قليلا أو كثيرا وان كان الواقع شيئا نجسا نظر فيه فان كان الماء أقل من قلتين نجس الماء وان كان قدر قلتين فاكثر فهو طاهر بجوز الوضوء به والقلتان خمسمائة رطل بالبغدادي يدل عليه ما روى عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الماء يكون في الفلاة ترده السباع والدواب فقال اذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث أخرجه أبو داود والترمذي وهذا قول الشافعي وأحمد واسحق وجماعة من أهل الحديث أن الماء اذا بلغ هذا الحد لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير أحد اوصافه وذهب جماعة الى ان الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير طعمه أو لونه أو ريحه وهذا قول الحسن وعطاء والنخعي والزهري واحتجوا بما روى عن أبي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله انه يستقي لك من بئر بضاعة ويلقى فيها لحوم الكلاب وخرق الحيض وعذر النساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الماء طهور لا ينجسه شيء وفي رواية قال قلت يا رسول الله أتوضأ من بئر بضاعة وهي بئر تطرح فيها خرقة الحيض ولحوم الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الماء طهور لا ينجسه شيء وقوله تعالى (لنحيي به) أي بالمطر (بلدة ميتا) قيل أراد به موضع البلدة (ونسقيه مما خلقنا) أي نسقي من ذلك الماء (أنعاما وأناسي كثيرا) أي بشرا كثيرا والاناسي جمع النسي وقيل جمع انسان ﴿قوله عز وجل﴾ (ولقد صرفناه بينهم) يعني المطر مرة ببلدة ومرة ببلدة أخرى وقال ابن عباس ما عام بالمطر من عام ولكن الله يصرفه في الارض وقرأ هذه الآية وهذا كما روى من فواعا من ساعة من ليل ولا نهار الا والسماء تطر فيها يصرفه الله حيث يشاء وروى عن ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بالمطر من سنة أخرى ولكن الله عز وجل قسم هذه الارزاق فجعلها في هذه السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جيا اصرف الله ذلك المطر الى الفياقي والبحار وقيل المراد من تصرف المطر تصرفه وابلوا وطشاور اذا ونحوها وقيل التصريف راجع الى الريح (ليد كروا) أي ليتذكروا

غنية عن سقي السماء واعقابهم وبقاياهم وهم كثير يعيشون بما ينزل الله من رحمة وتنكير البلدة لانه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء ولما كان سقي الاناسي من جملة ما أنزل له الماء ووصفه بالطهورا كراما لهم وبيان ان من حقهم ان يؤثروا الطهارة في بواطنهم وظواهرهم لان الطهورية شرط الاحياء (واقصد صرفناه بينهم ليد كروا) ليد كروا حجة وعلى يريد ولقد صرفناه هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب المنزلة على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه فيشكروا

(قَابِيُ كَثْرَانَسِ الْكَفُورِ) قَابِيُ كَثْرَهُمْ الْكَفْرَانَ النَّعْمَةَ وَجُودَهَا وَقَوْلُهُ الْكَفْرَانُ كَثْرَانُهَا أَوْ صَرْفُ الْمَطَرِ بَيْنَهُمْ فِي الْبِلَادِ الْمَخْتَلَفَةِ وَالْأَوَاقَاتِ الْمُتَغَابِرَةِ وَعَلَى الصِّفَاتِ الْمُتَفَاوِتَةِ مِنْ وَابِلٍ وَطَلٍّ وَجُودٍ وَرِذَائِدٍ وَدِيمَةٍ قَابِيَا الْكَفُورِ وَأَنْ يَقُولُوا مَطَرْنَا بِنُوءِ كَذَا وَلَا يَذُ كَرَوَاصِعِ اللَّهُ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَا مِنْ عَامٍ أَقَلَّ مَطَرٌ مِنْ عَامٍ وَلَكِنْ اللَّهُ يَصْرِفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ وَقُرْآنُ الْآيَةِ وَرَوَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَهْرَقُونَ عَدَدَ الْمَطَرِ وَمَقْدَارُهُ فِي كُلِّ عَامٍ لِأَنَّهُ لَا يَخْتَلِفُ وَلَكِنْ يَخْتَلِفُ فِيهِ الْبِلَادُ وَيَنْزِعُ مِنْ هُنَا جَوَابٌ فِي تَنْكِيرِ الْبِلَادَةِ وَالْإِنْعَامِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ وَمِنْ نَسْبِ الْأَمْطَارِ إِلَى الْأَنْوَاءِ وَجَعْدَانِ تَكُونُ هِيَ وَالْأَنْوَاءُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى كَفُرُوا أَنْ رَأَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَالِقُهَا وَقَدْ نَسَبَ الْأَنْوَاءُ أَمَارَاتٍ وَدَلَالَاتٍ عَلَيْهِمْ يَكْفُرُ (وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ) أَيُّ لَوْ شِئْنَا لَخَفَضْنَا عَنْكَ أَعْبَاءَ نَذَارَةٍ جَمِيعِ الْقُرَى وَلَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَبِيًّا يَنْذِرُهَا وَلَكِنْ شِئْنَا أَنْ نَجْمَعَ لَكَ فِضَائِلَ جَمِيعِ الرُّسُلِينَ بِالرِّسَالَةِ إِلَى كَافَّةِ الْعَالَمِينَ فَقَصَرْنَا الْأَمْرَ عَلَيْكَ وَعَظَمْنَاكَ بِهِ فَتَكُونُ وَحْدَكَ كَكَاهِمُ وَلَمَّا خَوَّبَ بِالْجَمْعِ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ فَقَابِلْ ذَلِكَ بِالشُّكْرِ وَالصَّبْرِ وَالتَّشَدُّدِ وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ فَيَا بَدْعُونَكَ إِلَيْهِ مِنْ مَوَافَقَتِهِمْ وَمَدَاهِنَتِهِمْ وَكَمَا

(٣٧٦)

آثَرْتُكَ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ فَأَنْزَرْتُ عَلَى جَمِيعِ الْأَهْوَاءِ وَأُرِيدُ بِهَذَا تَهْيِيجَهُ

وَيَتَفَكَّرُ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى (قَابِيُ كَثْرَانَسِ الْكَفُورِ) أَيُّ جُودًا وَكَفْرَهُمْ هُوَ أَنَّهُمْ إِذَا مَطَرُوا قَالُوا مَطَرْنَا بِنُوءِ كَذَا (ق) عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ صَلَّى بِنَارِ سَوَّلِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيدِيَّةِ فِي أَرْضِ سَمَاءٍ مِنَ اللَّيْلِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنِي وَكَافِرًا مِنْ قَالِ مَطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنِي وَكَافِرِي بِالْكَوَاكِبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مَطَرْنَا بِنُوءِ كَذَا وَكَذَلِكَ كَافِرِي بِمُؤْمِنِي بِالْكَوَاكِبِ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا) أَيُّ رَسُولًا يَنْذِرُهُمْ وَلَكِنْ بَعَثْنَاكَ إِلَى الْقُرَى كُلِّهَا وَجَعَلْنَاكَ ثِقَلًا نَذَارَةً لِتَشُجِبَ بِصَبْرِكَ مَا عَدَدْنَا لَكَ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالدرَجَةِ الرَّفِيعَةِ (فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ) فَيَا بَدْعُونَكَ إِلَيْهِ مِنْ مَوَافَقَتِهِمْ وَمَدَاهِنَتِهِمْ (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ) أَيُّ بِالْقُرْآنِ (جِهَادًا كَبِيرًا) أَيُّ شَدِيدًا قَوْلُهُ تَعَالَى (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) أَيُّ خَلَطَهُمَا وَأَفَاضَ أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخَرِ وَقِيلَ أُرْسِلَهُمَا فِي مَجَارِيهِمَا (هَذَا عَذِبُ فِرَاتٍ) أَيُّ شَدِيدُ الْعَذَابِ وَبِهِ يَمِيلُ إِلَى الْخِلَاطَةِ (وَهَذَا مَلْحٌ أَجَاجٌ) أَيُّ شَدِيدُ الْمَلُوحَةِ وَقِيلَ مَسٌ (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا رِزْخًا) أَيُّ حَاجِزًا بِقُدْرَتِهِ فَلَا يَخْتَلِطُ الْعَذِبُ بِالْمَلْحِ وَالْمَلْحُ بِالْعَذِبِ (وَجَعَلَ مَحْجُورًا) أَيُّ سَتَرًا مَنُوعًا فَلَا يَبْنِي أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ وَلَا يَفْسُدُ الْمَلْحُ الْعَذِبَ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ) أَيُّ مِنَ النَّظْفَةِ (بَشَرًا جَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا) أَيُّ جَعَلَهُذَا نَسَبًا وَصِهْرًا وَقِيلَ النِّسْبُ مَا يَجْعَلُ نِكَاحًا وَالصِّهْرُ مَا يَجْعَلُ نِكَاحًا وَالنِّسْبُ مَا يَجْعَلُ الْحَرَمَةَ وَالصِّهْرُ مَا لَا يَجْعَلُهَا وَقِيلَ النِّسْبُ مِنَ الْقَرَابَةِ وَالصِّهْرُ الْخِلَاطَةُ الَّتِي تُشَبِّهُ الْقَرَابَةَ وَهُوَ النِّسْبُ الْحَرَمُ لِلنِّكَاحِ وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ بِالنِّسْبِ سَبْعًا وَبِالسَّبَبِ سَبْعًا وَبِحَبْلِهِمَا قَوْلُهُ حَرَّمَ عَائِشَةَ وَأَمَّا هَاتَاكُمُ الْآيَةُ وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ ذَلِكَ وَبَيَانُهُ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ النِّسَاءِ (وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) عَلَى مَا أُرَادَ حَيْثُ خَلَقَ مِنَ النَّظْفَةِ الْوَاحِدَةَ نَوْعَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يَعْنِي هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ (مَا لَا يَنْفَعُهُمْ) أَيُّ أَنْ عِبَادَتِهِمْ (وَلَا يَضُرُّهُمْ) أَيُّ أَنْ تَرْكُوهُ (وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَاهِرًا) أَيُّ مَعِينًا عَنِ الشَّيْطَانِ عَلَى رَبِّهِ بِالْمَعَاصِي لِأَنَّ عِبَادَتَهُمْ الْأَصْنَامِ

وَتَهْيِجُ الْمُؤْمِنِينَ وَتَحْرِيكُهُمْ (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ) أَيُّ بِاللَّهِ يَعْنِي بِعُونِهِ وَتَوْفِيقِهِ أَوْ بِالْقُرْآنِ أَيُّ جَاهِدْهُمْ بِهِ وَقَرِّعْهُمْ بِالْحُجْرَةِ عِنْدَهُ (جِهَادًا كَبِيرًا) عَظِيمًا مَوْقِعُهُ عِنْدَ اللَّهِ لَا يَحْتَمِلُ فِيهِ مِنَ الْمَشَاقِقِ وَيَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ الضَّمِيرُ فِيهِ إِلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا مِنْ كُونِهِ نَذِيرًا كَافَّةً الْقُرَى لِأَنَّهُ لَوْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا لَوْجِبَ عَلَى كُلِّ نَذِيرٍ مَجَاهِدَةٌ قَرِيبَةٌ فَاجْتَمَعَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ تَعَالَى تِلْكَ الْمَجَاهِدَاتُ فَكَبُرَ جِهَادُهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَظُمَ فَقَالَ لَهُ وَجَاهِدْهُمْ بِسَبَبِ كُونِكَ نَذِيرًا كَافَّةً

الْقُرَى جِهَادًا كَبِيرًا جَمَاعًا كُلِّ مَجَاهِدَةٍ (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) خَلَا هُمَا تَجَاوَرًا مِنْ مِتْلَاصِقَيْنِ تَقُولُ مَرَجَتِ الدَّابَّةُ إِذَا خَلِطَتْ رَعِي وَاسْمُ الْمَاءِ مِنَ الْكَثِيرِ مِنَ الْوَاسِعِينَ بِحَرِّينِ (هَذَا) أَيُّ أَحَدُهُمَا (عَذِبُ فِرَاتٍ) صِفَةٌ لِعَذِبِ أَيُّ شَدِيدِ الْعَذَابِ وَبِهِ حَتَّى يَقْرَبَ إِلَى الْخِلَاطَةِ (وَهَذَا مَلْحٌ أَجَاجٌ) صِفَةٌ لِلْمَلْحِ أَيُّ شَدِيدِ الْمَلُوحَةِ (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا رِزْخًا) حَاجِزًا مِنْ قُدْرَتِهِ يَفْصَلُ بَيْنَهُمَا وَيَمْنَعُهُمَا التَّمَارُجَ فَهَمَا فِي الظَّاهِرِ مَخْتَلِطَانِ وَفِي الْحَقِيقَةِ مَنفَعِلَانِ (وَجَعَلَ مَحْجُورًا) وَسَتَرًا مَنُوعًا عَنِ الْأَعْيُنِ كَقَوْلِهِ حَجَابًا مَسْتَوْرًا (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ) أَيُّ النَّظْفَةِ (بَشَرًا) إِنْسَانًا (جَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا) أُرَادَ تَقْسِيمَ الْبَشَرِ قِسْمَيْنِ ذَوِي نَسَبٍ أَيُّ ذَكَورًا يَنْسَبُ إِلَيْهِمْ فَيُقَالُ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ وَفُلَانَةٌ بِنْتُ فُلَانٍ وَذَوَاتُ صِهْرٍ أَيُّ إِنْسَانًا يَصْهَرُ بِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجِينَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) حَيْثُ خَلَقَ مِنَ النَّظْفَةِ الْوَاحِدَةَ بَشَرًا نَوْعَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى وَقِيلَ جَعَلَهُ نَسَبًا أَيُّ قَرَابَةً وَصِهْرًا مَصَاهِرَةً يَعْنِي الْوَصْلَةَ بِالنِّكَاحِ مِنْ بَابِ الْإِنْسَابِ لِأَنَّ التَّوَاصِلَ يَقَعُ بِهِمَا بِالْمَصَاهِرَةِ لِأَنَّ التَّوَالِدَ يَكُونُ بِهِمَا (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ) أَنْ عِبَادَتِهِمْ (وَلَا يَضُرُّهُمْ) أَنْ تَرْكُوهُ (وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ) عَلَى مَعْصِيَتِهِ بِهِ (ظَاهِرًا) مَعِينًا وَمُظَاهِرًا وَفَعِيلٌ بِمَعْنَى مُفَاعَلٌ غَيْرُ عَزِيزٍ وَالظَّاهِرُ وَالْمُظَاهِرُ كَالْعَوْبِ وَالْمُعَاوَنُ وَالْمُظَاهِرَةُ الْمَعَاوَنَةُ وَالْمَعْنَى أَنَّ الْكَافِرَ بِعِبَادَةِ الضَّمِيرِ يَتَابِعُ الشَّيْطَانَ وَيَعَاوَنُهُ عَلَى مَعْصِيَةِ الرَّحْمَنِ

(وما أرسلناك إلا مبشراً) للمؤمنين (ونذيراً) منذر الكافرين (قل ما أسئلكم عليه) على التبليغ (من أجر) جعل (الامن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً) والمراد الافعل من شاء واستثناءه من الاجر قول ذي شفقة عليك قدس سعي لا في تحصيل مال ما أطلب منك ثواباً على ما سمعت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صورته بصورة الثواب كأنه يقول ان حفظت مالك اعتد حفظك بمنزلة الثواب لي ورضائي به كرضا المصاب بالثواب ولعمري انه عليه الصلاة والسلام مع أمته بهذا الصدود معنى اتخذهم إلى الله سبيلاً تقر بهم إليه بالايان والطاعة وبالصدقة والنفقة وقيل المراد لکن من شاء أن يتخذ بالانفاق إلى رضاه به سبيلاً فيفعل وقيل تقديره لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجزالاتخاذ المدعو سبيلاً إلى ربه بطاعته فذلك أجزى لان الله يأجرني عليه (وتوكل على الحي الذي لا يموت) اتخذ من لا يموت وكيلاً لا يكلك إلى من يموت ذليلاً يعني ثق به وأسند أمرك إليه في استكفاء شرورهم ولا تتكل على حي يموت وقرأها بعض الصالحين فقال لا يصح لدى عقل ان يثق بعدها بخلق والتوكل الاعتماد عليه في كل أمر (وسبح) من ان يكل إلى غيره من توكل عليه (بحمده) بتوفيقه الذي يوجب الحمد أو قل سبحان الله وبحمده (٣٧٧) أو نزهه عن كل العيوب بالثناء عليه (وكفى

به بذنوب عباده خبيراً) أي كفى الله خبيراً بذنوب عباده يعني انه خير بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام) أي في مدة مقدار هذه المدة لانه لم يكن حينئذليل ونهار روي عن مجاهد وأهل يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة وإنما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة تعليماً لخلق الرفق والتثبت ثم استوى على العرش الرحمن أي هو الرحمن فالرحمن خبر مبتدأ محذوف أو بدل من الضمير في استوى أو الذي خلق مبتدأ والرحمن خبر (فاسئل)

معاونة للشيطان وقيل معنى ظهيرا هينا ذليلاً من قولك ظهرت بفلان اذا جعلته وراء ظهره ولم تلتفت إليه وقيل أراد بالكافر أبا جهل والاصح انه عام في كل كافر ﴿ وقوله تعالى (وما أرسلناك إلا مبشراً) أي بالثواب على الايمان والطاعة (ونذيراً) منذر بالعقاب على الكفر والمعصية (قل) يا محمد (ما أسئلكم عليه) أي على تبليغ الوحي (من أجر) فنقولوا انما يطلب محمد أموالنا بما يدعوننا إليه فلا نتبعه (الامن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً) معناه لکن من شاء أن يتخذ بانفاق ماله سبيلاً إلى ربه فعلى هذا يكون المعنى لا أسألكم لنفسي أجر اولکن أضع من انفاق المال الا في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل إلى جنته ﴿ قوله عز وجل (وتوكل على الحي الذي لا يموت) معناه انه سبحانه وتعالى لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بان لا يطلب منهم أجر البتة أمره أن يتوكل عليه في جميع أموره وانما قال على الحي الذي لا يموت لان من توكل على حي يموت انقطع توكله عليه بموته وأما الله سبحانه وتعالى فإنه حي لا يموت فلا ينقطع توكل من توكل عليه ولا يضع البتة (وسبح بحمده) أي صل له شكري اعلى نعمه وقيل معناه قل سبحان الله والحمد لله (وكفى به بذنوب عباده خبيراً) يعني انه تعالى عالم بجميع ذنوب عباده فيجازيهم بها وقيل معناه انه لا يحتاج معه إلى غيره لانه خير عالم قادر على مكافأتهم وفيه وعيد شديد كأنه قال اذا قدمت على مخالفة أمره كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة ﴿ قوله عز وجل (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيراً) أي فاسأل الخبير بذلك يعني بما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش وقيل معناه أيها الانسان لا ترجع في طلب العلم بهذا إلى غيري وقيل معناه فاسأل عنه خبيراً وهو الله تعالى وقيل هو جبريل عليه السلام (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) أي ما نعرف الرحمن الارحمان اليمامة يعنون مسيامة الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليمامة (أنسجد لما تأمرنا) أنت يا محمد (وزادهم) أي قول القائل اسجدوا للرحمن (نفورا) أي عن الايمان والسجود

(٤٨ - (خازن) - ثالث) بلاهزمة مكي وعلى (به) صلة سل كقوله سأل سائل به ذاب واقع كما تكون عن صلة في قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم فسأل به كقولك اهتم به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه أو صلة (خبيراً) ويكون خبيراً مفعول سل أي فاسأل عنه رجلاً عارفاً بخبرك برحمة أو فاسأل رجلاً خبيراً به و برحمة أو الرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيامة وكان يقال له رحمان اليمامة (واذا قيل لهم) أي اذا قال محمد عليه الصلاة والسلام للمشركين (اسجدوا للرحمن) صلوا لله واخضعوا له (قالوا وما الرحمن) أي لا نعرف الرحمن فنسجد له فهذا سؤال عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما أوعى معناه لانه لم يكن مستعملاً في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحم (أنسجد لما تأمرنا) الذي تأمرنا بالسجود له أو لامرك بالسجود يا محمد من غير علم منابه يا صرنا على وجزة كان بعضهم قال لبعض أنسجد لما يامرنا يا محمد أو يا صرنا للمسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو فقد عاندوا لان معناه عند أهل اللغة ذوالرحمة التي لا غاية بقدها في الرحمة لان فعلان من ابنية المبالغة تقول رجل عطشان اذا كان في نهاية العطش (وزادهم) قوله اسجدوا للرحمن (نفورا) تباعدوا عن الايمان

(تبارك الذي جعل في السماء بروجاً) هي منازل الكواكب السيارة لكل كوكب بيتان يقوى حاله فيهما والشمس بيت والقمر بيت فالجمل والعقرب بيتا المريح والنور والميزان بيتا الزهرة والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقوس والحوت بيت المشتري والجدى والدلو بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع الاربع فيصيب كل واحد منها ثلاثة بروج فالجمل والاسد والقوس مثلثة تاربية والنور والسنبلة والجدى مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية سميت المنازل بالبروج التي هي القصور العالية لانها هذه الكواكب كالمنازل لسكانها وانشقاق البروج من التبرج لظهوره وقال الحسن وقتادة ومجاهد البروج هي النجوم الكبار لظهورها (وجعل فيها) في السماء (سراجا) يعني الشمس لتوقدها سراجاً حرة وعلى أي نجومها (وقرأ منراً) مضياً بالليل (وهو الذي جعل (٢٧٨) الليل والنهار خلفه) فعلة من خلف كالمركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف

عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوى خلفه بخلف أحدهما الآخر عنده مضيه أو يخلفه في قضاء ما فاته من الورد (لمن أراد ان يذكر) يتدبر في تسخيرهما واختلافهما فيعرف مدبرهما يدكر حبرة وخلف أي يدكر الله أو الناس فيقضى (أو أراد شكورا) أي يشكر نعمته به عليه فيهما (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره (الذين يمشون) أو أولئك يجزون والذين يمشون وما بعدهما صفة والاضافة الى الرحمن للتخصيص والتفضيل وصف أو اياه بعد ما وصف أعداءه (على الارض هونا) حال أو صفة للمشي أي هينين أو مشيا هيناً والهون الرفق واللين أي يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون صرح واختيال وتكبر فلا يضر بون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا و بطرا ولذا كره بعض العلماء الركوب في الاسواق لقوله يمشون (وإذا خاطبهم الجاهلون) أي السفهاء بما يكرهون (قالوا سلاماً) سداد من القول يسلمون فيه من الابداء والافك أو نداء منكم تبارككم ولا يجاهلكم فاقم السلام مقام التسليم وقيل نسخها آية القتال ولا حاجة الى ذلك فالأعضاء عن السفراء مستحسن شرعاً ومروراً وهذا وصف نهارهم ثم وصف ليالهم بقوله (والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً) جمع قائم والبيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل نمت اولم تتم وقالوا من قرأ شيئاً من القرآن في صلاة وان قل فقد بات ساجداً وقياماً وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل أو أكثره (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراماً) هلا كالأزما ومنه الغريم ملازمته وصفهم باحياء الليل ساجدين قائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتلون منتظرعون الى الله في صرف العذاب عنهم

وهذه السجدة من عزائم السجدة فيسن للقارىء والمستمع أن يسجد عند سماعها وقراءتها قوله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً) قيل البروج هي النجوم الكبار سميت بروجاً لظهورها وقيل البروج قصور فيها الحرس وقال ابن عباس هي البروج الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي الحمل والنور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها الكواكب كالمنازل لسكانها (وجعل فيها سراجاً) يعني الشمس (وقرأ منيراً) هو الذي جعل الليل والنهار خلفه (قال ابن عباس معناه خلفاً وعوضاً يقوم أحدهما مقام صاحبه فن فاته عمله في أحدهما فاضاه في الآخر قال شقيق جاء رجل الى عمر بن الخطاب قال فاني الصلاة الليلة قال أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله تعالى جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد ان يذكر وقيل جعل كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه فجعل هذا أسود وهذا أبيض وقيل بخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب هذا جاء هذا فهما ما يقابن في الضياء والظلمة والزيادة والنقصان (لمن أراد ان يذكر) أي يتذكر ويتعظ (أو أراد شكورا) يعني شكر نعمته به عليه فيهما قوله عز وجل (وعباد الرحمن) قيل هذه الاضافة للتخصيص والتفضيل والافالخاق كلهم عباد الله (الذين يمشون على الارض هونا) يعني بالسكينة والوقار متواضعين غير أشريين ولا مرحين ولا متكبرين بل علماء حكماء أصحاب وقار وعفة) واذا خاطبهم الجاهلون (يعني السفهاء بما يكرهون) (قالوا سلاماً) أي سداد من القول يسلمون فيه لا يسفهون وان سفه عليهم صلوا ولا يجهلوا وليس المراد منه السلام المعروف وقيل هذا قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخها آية القتال ويروي عن الحسن البصري انه كان اذا قرأ هذه الآية قال هذا وصف نهارهم ثم اذا قرأ (والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً) قال هذا وصف ليالهم والمعنى يبيتون لربهم في الليل بالصلاة سجداً على وجوههم وقياماً على أقدامهم قال ابن عباس من صلى بعد العشاء الاخرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجداً وقياماً (م) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى لعشاء في جماعة كان كقيام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة وقوله عز وجل (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراماً) أي ملحداً أملاً لازماً غير مفارق من عذب من الكفار قال محمد بن كعب القرظي سألت الله الكفار ممن نعمته فلم يؤدوه فاغرمهم فبقوا في النار وقال كل غريم مفارق غريمه الاجهيم

دون صرح واختيال وتكبر فلا يضر بون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا و بطرا ولذا كره بعض العلماء الركوب في الاسواق لقوله يمشون (وإذا خاطبهم الجاهلون) أي السفهاء بما يكرهون (قالوا سلاماً) سداد من القول يسلمون فيه من الابداء والافك أو نداء منكم تبارككم ولا يجاهلكم فاقم السلام مقام التسليم وقيل نسخها آية القتال ولا حاجة الى ذلك فالأعضاء عن السفراء مستحسن شرعاً ومروراً وهذا وصف نهارهم ثم وصف ليالهم بقوله (والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً) جمع قائم والبيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل نمت اولم تتم وقالوا من قرأ شيئاً من القرآن في صلاة وان قل فقد بات ساجداً وقياماً وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل أو أكثره (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراماً) هلا كالأزما ومنه الغريم ملازمته وصفهم باحياء الليل ساجدين قائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتلون منتظرعون الى الله في صرف العذاب عنهم

(انها ساءت مستقرا ومقاما) أي ان جهنم وساءت في حكم بثت وفيها ضمير مبهم بفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها أو بمعنى أخزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال أو تمييز ويصح أن يكون التعليلان متداخلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا الحد في النفقة أو لم ياكلوا للتنعم ولم يلبسوا للتصلف وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم ينفقوا في المعاصي فالاسراف مجاوزة القدر وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وقال عليه الصلاة والسلام من منع حقا فقد قتر ومن أعطى في غير حق فقد أسرف (ولم يفتروا) بضم التاء كوفي وبضم الياء وكسر التاء مدني وشامي وبفتح الياء وكسر التاء مكي وبصري والفتروا الاقتار والتقدير التضييق الذي هو نقيض الاسراف (وكان) انفاقهم (بين ذلك) أي الاسراف والاقتار (قواما) أي عدلا بينهما فالقوام العدل بين الشئتين والمنصوبان أي بين ذلك قواما خبران وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير بمثله أمر عليه الصلاة (٣٧٩) والسلام ولا تجعل يدك مغلولة إلى

عنقك الآية وسأل عبد الملك بن مروان عمر بن عبد العزيز عن نفقته حين زوجه ابنته فقال الحسن بن السيستاني فعرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية وقيل أولئك أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابهم للجمال والزينة ولكن لسد الجوع وستر العورة ودفن الحر والقرو قال عمر رضي الله عنه كفي سرفا أن لا يشتهي الرجل شيئا الا أكله (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) أي لا يشركون (ولا يقتلون النفس التي حرم الله) أي حرمها يعني حرم قتلها (الا بالحق) بقود أو رجم أو

وقيل الغرام الشر اللازم والهلاك الدائم (انها) يعني جهنم (ساءت) بثت (مستقرا ومقاما) أي موضع قرار واقامة (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يفتروا) قيل الاسراف النفقة في معصية الله وان قلت والاقتار منع حقوق الله تعالى وهو قول ابن عباس وقيل الاسراف مجاوزة الحد في الانفاق حتى يدخل في حد التبذير والاقتار التقصير عما لا بد منه وهو أن لا يجمع عياله ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف (وكان بين ذلك قواما) أي قيدا وسطا بين الاسراف والاقتار وحسنة بين السيئتين قيل هذه الآية في صفة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا ياكلون الطعام للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم ومن الثياب ما يسترهم به العورة ويقبهم من الحر والبرد قال عمر بن الخطاب كفي سرفا أن لا يشتهي شيئا الا اشتراه فأكله (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) (ق) عن ابن عباس ان ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا قاتلا كثيرا ووزنوا قاتلا كثيرا فأتوا محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعونا إليه لحسن لو تخبرنا ان لنا عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها آخر (ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون) ونزل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رجل يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله قال ان تدعوا لله ندا وهو خلقك قال ثم أي قال ان تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال ثم أي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تعالى نصديقه والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) أي ومن يفعل شيئا من ذلك يلق أثاما قال ابن عباس انما يريد جزاء الاثم وقيل عقوبة وقيل الاثم وادى في جهنم ويروى في الحديث ان الغي والاثام يتران في جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار (يضاعف له العذاب يوم القيامة) وسبب تضعيف العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصي مع الشرك يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته (ويجحد فيه مهانا) أي ذليلا قوله تعالى (الامن تاب) أي عن ذنبه (وآمن) أي بربه (وعمل عملا صالحا) أي فيما بينه وبين ربه روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين والذين لا يدعون مع الله الها آخر

ردة أو شرك أو سعى في الارض بالفساد وهو متعلق بالقتل المحذوف أو بلا يقتلون (ولا يزنون) ونبي هذه الكبار عن عبادة الصالحين تعريض لما كان عليه أعداؤهم من قریش وغيرهم كانه قيل والذين طهرهم الله مما أتم عليه (من يفعل ذلك) أي المذكور (يلق أثاما) جزاء الاثم (يضاعف) بدل من يلق لانهما في معنى واحد اذ مضاعفة العذاب هي لقاء الاثم كقوله مني تأتانا لهم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا فجزم تعلم لانه بمعنى تأتانا اذا التبان هو الامام يضعف مكي ويزيدو يعقوب يضعف شامي يضعف أبو بكر على الاستئناف أو على الحال ومعنى يضعف (له العذاب يوم القيامة) أي يعذب على مرور الايام في الآخرة عذابا على عذاب وقيل اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه (ويجحد) جزمه جازم يضعف ورفعه رافعه لانه معطوف عليه (فيه) في العذاب فهي مكي وحفص بالاشباع وانما خص حفص بالاشباع بهذه الكلمة مبالغة في الوعيد والغرب قد للمبالغة مع ان الاصل في هاء الكناية الاشباع (مهانا) حال اي ذليلا (الامن تاب) عن الشرك وهو استثناء من الجنس في موضع نصب (وآمن) بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعمل عملا صالحا) بعد توبته

(فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) أي يوافقهم للمحاسن بعد القباح أو يحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة ولم يرد به أن السيئة بعينها حسنة ولكن المراد ما ذكرنا يبدل محض البرجي (وكان الله غفورا) يكفر السيئات (رحيما) يبدلها بالحسنات (ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب الى الله متابا) أي ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فإنه يتوب (٣٨٠)

بذلك الى الله تعالى متابا
مرضا عنده مكفرا
للخطايا محصلا للثواب
(والذين لا يشهدون الزور)
أي الكذب يعني ينفرون
عن محاضر الكذابين
ومجالس الخطائين فلا
يقربونها تنزهها عن مخالطة
الشروا أهلها اذ مشاهدة
الباطل شركه فيه وكذلك
النظارة الى ما لم تسوغه
الشريعة هم شركاء فاعليه
في الآثام لان حضورهم
ونظرهم دليل الرضا وسبب
وجود الزيادة فيه وفي
مواعظ عيسى عليه السلام
اياكم ومجالسة الخطائين
أولا يشهدون شهادة الزور
على حذف المضاف وعن
قتادة المراد مجالس الباطل
وعن ابن الحنفية لا
يشهدون الا هو والغناء
(واذا مروا باللغو)
بالفحش وكل ما ينبغي أن
يلقى ويترجى والمعنى واذا
مروا باهل اللغو والمستغنين
به (مروا كراما) معرضين
مكرمين أنفسهم عن
الثلوث به كقوله واذا
سمعوا اللغو أعرضوا عنه

الآية ثم نزلت الا من تاب فإرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فرح بشئ قط مثل ما فرح بها وفرح به بانا اقتصنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴿١﴾ وقوله تعالى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما) قال ابن عباس يبدلهم الله بقبايح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحسانا وقيل يبدل الله سيئاتهم التي عملوها في الاسلام حسنات يوم القيامة (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صفار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فعرض عليه صفارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا وكذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له ان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يارب قد عملت أشياء لأراها ههنا قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذها وقيل ان الله تعالى يحوي بالندم جميع السيئات ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة (ومن تاب وعمل صالحا) قيل هذا في التوبة من غير ما سبق ذكره في الآية الاولى من القتل والزنا ومعناه ومن تاب من الشرك وعمل صالحا يعني أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن (فانه يتوب الى الله) أي يعود اليه بعد الموت (متابا) أي حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنى فالآية الاولى وهي قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثانية رجوع الى الله للجزاء والمكافأة وقيل هذه الآية أيضا في التوبة عن جميع السيئات ومعناه من أراد التوبة وعزم عليها فليتب الى الله فقوله يتوب الى الله خير بمعنى الامر أي تب الى الله وقيل معناه فليعلم ان توبته ومصيره الى الله تعالى ﴿٢﴾ قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) يعني الشرك وقيل هي شهادة الزور (ق) عن أبي بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا نبشكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الاشرار بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وكان عمر بن الخطاب يجلد تماهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في الامواق وقيل لا يشهدون الزور يعني أعياد المشركين وقيل الكذب وقيل النوح وقيل لا يساعد أهل الباطل على باطلهم وقيل الزور اللغو واللغو والغناء قال ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع وأصل الزور حقيقة تحسين الشئ ووصفه بخلاف صفته فهو تومويه الباطل بما يوهم انه حق (واذا مروا باللغو) هو كل ما يجب أن يلقى ويترك (مروا كراما) يعني اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى أعرضوا وصفحوا فقل هذا التفسير تكون الآية منسوخة بآية القتال وقيل اللغو المعاصي كلها والمعنى اذا مروا بمجالس اللغو والباطل مروا كراما أي معرضين معرضين وهو أن ينزه المرء نفسه ويكرمه عن هذه المجالس السيئة (والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) قيل معناه أنه ليس فيه نفي الخرورا إنما هو اثباته ونفي الصمم والعمى والمعنى اذا ذكروا بها أكبوا على استماعها باذان واعية وأقبلوا على المذكرة بها بعيون مبصرة واعية وقيل معناه لم يخروا أي لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صما وعميانا كأنهم باذانهم صم وباعينهم عمى بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه ﴿٣﴾ قوله عز وجل (والذين

وعن الباقر رضي الله عنه اذا ذكروا الفروج كنوا عنها (والذين اذا ذكروا بايات ربهم) يقولون
أي قرئ عليهم القرآن أو وعظوا بالقرآن (لم يخروا عليها صما وعميانا) هذا ليس بنفي الخرورا بل هو اثبات له ونفي الصمم والعمى ونحوه لا يلتفتان زيدا مسلما هو نفي للسلام لا للقاء انهم اذا ذكروا بها خروا وسجدوا بكيا سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية لما أمروا به ونهوا عنه لا كالتافقين وأشباههم دليله قوله تعالى ومن هدينا واجتبينا اذا نتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدوا بكيا (والذين

يقولون ر بناهب لنا من أزواجنا) من البيان كأنه قيل هب لنا قرّة أعين ثم بينت القرّة وفسرت بقوله من أزواجنا (وذرياتنا) ومعناه أن يجعلهم الله قرّة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أي أنت أسد أولادك ابتداء على معنى هب لنا من جهنم ما تقر به عيوننا من طاعة وصالح وذريتنا أبو عمرو وكوفي غير حفص لا رادة الجنس وغيرهم ذرياتنا (قرّة أعين) وإنما كسر لاجل تنكير القرّة لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه كأنه قال هب لنا منهم سرور أو فرح أو ما قيل أعين على القلة دون عيون لأن المراد أعين المتقين وهي قليلة بالاضافة إلى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز أن يقال في تنكير أعين أنها أعين خاصة وهي أعين المتقين والمعنى أنهم سألوهم أن يرزقهم أزواجاً وعقباً بعمل الله تعالى يسرون بمكاهم (٣٨١) وتقر بهم عيونهم وقيل ليس شيء

أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الولد إذا رآه يكتب الفقه (واجعلنا للمتقين إماما) أي أئمة يقتدون بنا في الدين فاكتفى بالواحد دلالة على الجنس وعدم اللبس أو جعل كل واحد منا إماما قيل في الآية ما يدل على أن الرياسة في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها (أولئك يجزون الغرفة) وهي العلالى في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس دليله قوله وهم في الغرفات آمنون (بما صبروا) أي بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومحاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك (ويلقون فيها) ويلقون كوفي غير حفص (تحية) دعاء بالتعمير (وسلاما) ودعاء بالسلامة يعني أن الملائكة

يقولون ر بناهب لنا من أزواجنا وذريتنا قرّة أعين) أي أبرار أتقياء صالحين فيقرون أعيننا بذلك قيل ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع أن يحلوا معه في الجنة فيتم سروره وتقر عينه بذلك وقيل أن العرب تذكّر قرّة العين عند السرور والفرح وسخنة العين عند الغم والحزن ويقال دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قرّة العين أن يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه به عن النظر إلى غيره (واجعلنا للمتقين إماما) أي أئمة يقتدون في الخير بنا وقيل معناه تقتدى بالمتقين وتقتدى بنا المتقون وقال ابن عباس جعلنا أئمة هدى وقيل معناه أنهم سألو الله أن يبلغهم في الطاعات المبلغ الذي يشار إليهم فيه ويقتدى بهم قال بعضهم فيه دليل على أن الرياسة في الدين مطلوبة مرغوب فيها وقيل هذا من المقلوب معناه واجعل للمتقين لنا إماما واجعلنا مقتدين مؤتمنين بهم (أولئك يجزون) أي يثابون (الغرفة) الدرجة العالية الرفيعة في الجنة وقيل يراد غرف الدر والزبرجد واللؤلؤ والياقوت في الجنة (بما صبروا) أي على طاعة الله وأمره وعلى أذى المشركين وقيل بما صبروا عن الشهوات (ويلقون فيها تحية) أي ملكا وقيل بقاء دائما (وسلاما) أي يسلم بعضهم على بعض أو يرسل الرب عز وجل إليهم بالسلام وقيل سلاما أي سلامة من الآفات ﴿ قوله تعالى (خالد بن دينار) فيها حسنت مستقرا ومقاما) أي موضع قرار واقامة قوله تعالى (قل ما يعابكم ربي) أي ما يصنع وما يفعل بكم فوجودكم وعدمكم سواء وقيل معناه أي وزن ومقدار لكم عنده (لولا دعاؤكم) أيه قيل معناه لولا عبادتكم أيه وقيل لولا إيمانكم وقيل لولا دعاؤه أيه كما إلى الإيمان فاذا آمنتم ظهر لكم عنده قدر وقيل معناه ما يعابكم بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم والمعنى أنه خلقكم لاطاعته وعبادته وهذا قول ابن عباس وقيل معنى ما يعابكم أي ما يبالي بمغفرتكم ربي لولا دعاؤكم معه آلهة وقيل معناه ما خلقتكم ولى إليكم حاجة إلا أن تسألوني فأعطيكم وتستغفروني فأغفر لكم (فقد كذبتم) أي الكافرون يخاطب أهل مكة يعني أن الله دعاكم إلى توحيدته وعبادته على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبتم الرسول ولم تجيبوه إلى الإيمان (فسوف يكون لزاما) هذا تهديد لهم أي يكون تكذيبهم لزاما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا وقيل قتالا والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله وقيل معناه عذابا دائما وهلاكا لازما لمن كذب مفسيا يلحق بعضهم بعضا وقيل هو يوم بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب يعني أنهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة لزاما لهم (ق) عن عبد الله بن مسعود قال خمس قدمضين الدخان والزام والروم والبطشة والقمر وفي رواية الدخان والقمر والروم والزام والبطشة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة الشعراء ﴾

وهي مكية الأربع آيات من آخر السورة من قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون وهي مائتان وسبع

يحبونهم ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه (خالد بن دينار) حال (حسنت) أي الغرفة (مستقرا ومقاما) موضع قرار واقامة وهي في مقابلة ساعات مستقرا ومقاما (قل ما يعابكم ربي لولا دعاؤكم) ما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب ومعناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه أيه كما إلى الإسلام أو لولا عبادتكم له أي أنه خلقكم لعبادته كقوله وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون أي الاعتبار عند ربي بكم لعبادتكم أو ما يصنع بعدا بكم لولا دعاؤكم معه آلهة وهو كقوله تعالى ما يفعل الله بعدا بكم إن شكرتم (فقد كذبتم) رسوليا أهل مكة (فسوف يكون) العذاب (لزاما) أي ذالزام أو ملازم مصدر لازم موضع اسم الفاعل وقال الضحاك ما يعابكم أيه بالملائكة

﴿ سورة الشعراء مكية ﴾ وهي مائتان وعشرون وسبع آيات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (طس) طس ويس وحمة مائة كوفي غير الاعشى والبرجي وحفص و يظهر النون عند الميم زيد وحزة
 وغيرهما يدغمها (تلك آيات الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة والقرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من
 الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين (لعلك باخع) قاتل واهل للاشفاق (نفسك) من الحزن يعني أشفق على نفسك ان تقتلها
 حسرة وحرماً على ما فاتك من اسلام قومك (أن لا يكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا ولا امتناع ايمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا (ان نشأ) ايمانهم
 (نزل عليهم من السماء آية) دلالة واضحة (فظلت) أي فظلال لان الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل تقول ان زرتني أكرمك
 أي أكرمك كذا قاله الزجاج (٣٨٢) (أعناقهم) رؤسهم ومقدموهم أو جماعاتهم يقال جاءنا عنق من الناس لفوج

منهم (لها خاضعين) منقادين وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت فينا وفي بني أمية فتكون لنا عليهم الدولة فتدلنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة (وما يأتينهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين) أي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكير الاجدود اعراضا عنه وكفرابه (فقد كذبوا) محمد صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به (فسيأتينهم) فسيعلمون (نبأ) اخبار (ما كانوا به يستهزؤن) وهذا وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم يدرا ويوم القيامة ما الشئ الذي كانوا يستهزؤن به وهو القرآن وسيأتينهم انباؤه واحواله التي كانت خافية عليهم (أو ليرووا الى الارض كما أنبتنا)

وعشرون آية وألف ومائتان وتسع وسبعون كلمة وخمسة آلاف وخمسمائة وأربعون حرفاً روى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قوله عز وجل (طس) قال ابن عباس طس معجزت العلماء عن علم تفسيرها وفي رواية أخرى عنه انه قسم وهو من أسماء الله تعالى وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل اسم السورة وقيل أقسم بطوله وسنائه ومذكه (تلك آيات) أي هذه الآيات (الكتاب المبين) قيل لما كان القرآن فيه دلائل التوحيد والاعجاز الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل الاحكام أجمع ثبت بذلك أن آيات القرآن كافية مبينة لجميع الاحكام (لعلك باخع نفسك) أي قاتل نفسك (أن لا يكونوا مؤمنين) أي ان لم يؤمنوا وذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحصر على ايمانهم فانزل الله عز وجل هذه الآية (ان نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) أي لو شاء الله لانزل عليهم آية يذلون منها فلا يلوي أحد منهم عنقه الى معصية الله سبحانه وتعالى وقيل معناه لو شاء الله لاراهم أمر من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية فان قلت كيف صح محي خاضعين خبرا عن الاعناق قلت أصل الكلام فظلوها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله أو لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين وقيل أعناق الناس رؤسهم ومقدموهم أي فظلت كبراً لهم لها خاضعين وقيل أراد بالاعناق الجماعات يقال جاء عنق من الناس أي جماعة ﴿قوله تعالى﴾ (وما يأتينهم من ذكر من الرحمن) أي وعظ وتذكير (محدث) أي محدث انزاله فهو محدث التنزيل وكما نزل شئ من القرآن بعد شئ فهو أحدث من الاول (الا كانوا عنه معرضين) أي عن الايمان به (فقد كذبوا فسيأتينهم) أي فسوف يأتينهم (أنباء) أي اخبار وواقب (ما كانوا يستهزؤن أولم يروا الى الارض) يعني المشركين (كم أنبتنا فيها) أي بعد ان لم يكن فيها نبات (من كل زوج كريم) أي جنس ونوع ووصف حسن من النبات مما يأتى كل الناس والانعام وقال الشعبي الناس نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لثيم (ان في ذلك) أي الذي ذكر (آية) تدل على أنه واحد أي دلالة على كمال قدرتنا وتوحيدها كما قيل

وفي كل شئ له آية تدل على انه واحد

(وما كان أكثرهم مؤمنين) أي سبق علمي فيهم ان أكثرهم لا يؤمنون ولا يصدقون (وان ربك هو العزيز) أي المنتقم من أعدائه (الرحيم) ذو الرحمة لا ولياته ﴿قوله تعالى﴾ (واذ نادى) أي

كم نصب بانبتنا (فيها من كل زوج) صنف من النبات (كريم) محمود كثير المنفعة بأكل منه الناس والانعام واذكر كالرجل الكريم الذي نفعه عام وفائدة الجمع بين كلمتي الكثرة والاحاطة ان كلمة كل تدل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم تدل على ان هذا المحيط متكثر مفرط الكثرة وبه نبع على كمال قدرته (ان في ذلك آية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي ان في انبات تلك الاصناف آية على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجى ايمانهم (وان ربك هو العزيز) في انتقامه من الكفرة (الرحيم) لمن آمن منهم و آية مع الاخبار بكثرتها لان ذلك مشار به الى مصدر انبتنا والمراد ان في كل واحد من تلك الأزواج آية أي آية (واذ) مفعول به أي اذ كراذ (نادى) دعاء قوله وآية هكذا بالاصل ولعله سقط منه وا فرادوا نحو ذلك اه مصححه

(ربك موسى أن انت) أن بمعنى أي (القوم الظالمين) أنفسهم بالكفر وبنى اسرائيل بالاستعباد وذبح الاولاد سجل عليهم بالظلم ثم عطف
 (قوم فرعون) عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجته قوم فرعون وكانهما عبارتان تعقبان على مؤدى واحد (الآيتقون)
 أي اتهم زاجر افتقد أن لهم أن يتقوا وهي كلمة حث واغراء ويحتمل انه حال من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت
 همزة الانكار على الحال (قال رب اني أخاف) الخوف غم يلحق الانسان لامر سيئ (أن يكذبون ويضيق صدري) بتكذيبهم اياي مستأنف
 أو عطف على أخاف (ولا ينطق لساني) بان تغلبني الحمية على ما أرى من الحال واسمع من الجدال وبنصهم يعقوب عطف على يكذبون
 فالخوف متعلق بهذه الثلاثة على هذا التقدير والتكذيب وحده بتقدير الرفع (فارسل الى هرون) أي أرسل اليه جبريل واجعله نبيا يعينني على
 الرسالة وكان هرون بمصر حين بعث موسى نبيا بالشام ولم يكن هذا الالتماس من موسى عليه السلام (٣٨٣) توقفا في الامتثال بل الالتماس عون

في تبليغ الرسالة وتمهيد
 العذر في الالتماس المعين
 على تنفيذ الامر ليس
 بتوقف في امتثال الامر
 وكفى بطلب العون دليلا
 على التقبل لاعلى التعلل
 (ولهم على ذنب) أي تبعة
 ذنب بقتل القبطي خذف
 المضاف أو سمي تبعة الذنب
 ذنبا كما سمي جزاء السيئة
 سبئة (فاخاف أن يقتلون)
 أي يقتلوني به قصاصا
 وليس هذا تعليلا أيضا بل
 استدفاع للبلية المتوقعة
 وفرق من أن يقتل قبل
 أداء الرسالة ولذا وعدده
 بالكلامه والدفع بكلمة
 الردع وجمع له الاستجابتين
 معاني قوله (قال كلا
 فاذهب) لانه استدفعه
 بلاءهم فوعده الله الدفع
 برده عن الخوف والتمس

واذكر يا محمد اذ نادى (ربك موسى) أي حين رأى الشجرة والنار (أن انت القوم الظالمين) يعني
 الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي وظلموا بني اسرائيل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب (قوم
 فرعون) يعني القبط (الآيتقون) أي يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته والايمان به (قال)
 يعني موسى (رب) أي يارب (اني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري) أي بتكذيبهم اياي (ولا ينطق
 لساني) أي للعقدة التي كانت على لسانه (فارسل الى هرون) ليوازرني ويعينني على تبليغ الرسالة
 (ولهم على ذنب) أي دعوى ذنب وهو قتله القبطي (فاخاف أن يقتلون) أي به (قال) الله تعالى (كلا)
 أي لن يقتلوك (فاذهب ايانا انامعكم مستمعون) أي سامعون ما تقولون وما يقل لكم فان قلت كيف
 ذكرهم بلفظ الجمع في قوله معكم وهما اثنان قلت أجزاهما مجرى الجماعة وهو جائز في لغة العرب (فانتيا
 فرعون فقولا انارسل رب العالمين) فان قلت هلاثنى الرسول كما في قوله فانتيا فقولا انارسل ربك قلت
 الرسول قد يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجمله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيتها وجعل هنا بمعنى
 الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعنى اناذوا رسالة كما قال كثير

لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم * بشئ ولا أرسلتهم برسول

أي برسالة وقيل انهما اتفقا فهما في الرسالة والشريعة والاخوة فصارا كأنهما رسول واحد وقيل كل واحد منا
 رسول رب العالمين (أن أرسل معنا بني اسرائيل) أي خلهم وأطلقهم معنا الى أرض فلسطين ولا تستعبدهم
 وكان فرعون قد استعبدهم أربع مائة سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا فانطلق موسى
 برسالة ربه الى مصر وهرون بها فاخبره بذلك وفي القصة أن موسى رجع الى مصر وعليه جبة صوف وفي
 يده عصاه والمكتل معلق في رأس العصا وفيه زاده فدخل دار فرعون وأخبره هرون ان الله قد أرسلني الى
 فرعون وأرسل اليك تدعو فرعون الى الله تعالى فخرجت أمهم ما فصاحت وقالت ان فرعون يطلبك
 ليقتلك فاذا ذهبت اليه قتلك فلم يمنع لقولها وذهبا الى باب فرعون وذلك بالليل فدعا الباب ففرع البوابون
 وقالوا من بالباب فقال اناموسى رسول رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان مجنونا بالباب يزعم انه
 رسول رب العالمين فترك حتى أصبح ثم دعاها ما وقيل انهما انطلقا جميعا الى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في
 الدخول ثم دخل البواب فقال لفرعون ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا

منه رسالة أخيه فأجابته بقوله اذهب أي جعلته رسولا معك فاذهب وعطف فاذهب على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما نظن
 فاذهب أنت وهرون (باياتنا) مع آياتنا وهي اليد والعصا وغير ذلك (انامعكم) أي معكم بالعون والنصرة ومع من أرسلنا اليه بالعالم والقدرة
 (مستمعون) خبر لان ومعكم اغواؤها خبر ان أي سامعون والاستماع في غير هذا الاصغاء للسمع يقل استمع فلان حديثه أي أصغني اليه
 ولا يجوز حله ههنا على ذلك فعمل على السماع (فانتيا فرعون فقولا انارسل رب العالمين) لم يثن الرسول كما في قوله انارسل ربك لان
 الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثمة بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيتها وجعل هنا بمعنى الرسالة فيستوي في الوصف به الواحد
 والتثنية والجمع ولانهما الاتحادهما واتفقا فهما على شريعة واحدة كأنهما رسول واحد وأرى يدان كل واحد منا (أن أرسل) بمعنى أي أرسل
 لتضمن الرسول معنى الارسال وفيه معنى القول (معنا بني اسرائيل) يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما فانتيا يابه فلم يؤذن
 لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال اسن له لعلنا نضحك منه فاذا يابه الرسالة فعرف فرعون موسى

فَعِنْدَ ذَلِكَ (قَالَ أَلَمْ تَرَبِكْ فِينَا وَلِيدًا) وَأَمَّا حَذْفُ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقَالَ اخْتَصَارًا وَالْوَلِيدُ الصَّبِيُّ لِقُرْبِ عَهْدِهِ مِنَ الْوَلَادَةِ أَيْ أَلَمْ تَكُنْ صَغِيرًا فَرَبِينَاكَ (وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عَمْرِكَ سِنِينَ) قِيلَ ثَلَاثِينَ سَنَةً (وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ) يَعْنِي قَتَلَ الْقَبْطِيَّ فَعَرَضَ إِذَا كَانَ مَلِكًا (وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) نَعْمَتِي حَيْثُ قَتَلْتَ خَبَازِي أَوْ كُنْتَ عَلَى دِينِنَا الَّذِي أَسْمِيَهُ كُفْرًا وَهَذَا افْتِرَاءٌ مِنْهُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنَ الْكُفْرِ وَكَانَ يَعْاشِيهِمْ بِالْتَّقِيَةِ (قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا) أَيْ إِذَا ذَاكَ (وَأَمَّا مِنَ الضَّالِّينَ) الْجَاهِلِينَ بِأَهْمِيَةِ الْقَتْلِ وَالضَّالُّ عَنِ الشَّيْءِ هُوَ الَّذِي هُوَ الذَّاهِبُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ أَوِ النَّاسِ مِنْ قَوْلِهِ أَنْ تَضِلَّ أَحَدًا هُمَا قَدْ كَرَّ أَحَدُهُمَا الْآخَرِيَّ فَدَفَعُ وَصَفَ الْكُفْرَ عَنْ نَفْسِهِ وَوَضَعَ الضَّالِّينَ مَوْضِعَ الْكَافِرِينَ وَإِذَا جَوَابٌ وَجَزَاءٌ مَعًا وَهَذَا الْكَلَامُ وَقَعَ جَوَابًا لِفِرْعَوْنَ وَجَزَاءٌ لَهُ لِأَنَّ قَوْلَ فِرْعَوْنَ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ مَعْنَاهُ أَنْكَ جَازِيَةٌ نَعْمَتِي بِمَا فَعَلْتَ فَقَالَ لَهُ مُوسَى نَعَمْ فَعَلْتَهَا عَجَازًا يَالِكَ تَسْلِيمًا لِقَوْلِهِ لِأَنَّ نَعْمَتَهُ كَانَتْ جَدِيرَةً بِأَنْ

(٣٨٤)

تَجَازِيَتْ بِحُذُوكَ الْجَزَاءُ (فَفَرَرْتَ مِنْكُمْ) إِلَى مَدِينِ (لِمَا خَفْتُمْ) أَنْ

تَقْتُلُونِي وَذَلِكَ حِينَ قَالَ لَهُ
مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ أَنْ
الْمَلَايَا تَمْرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ
فَأَخْرَجَ الْآيَةَ (فَوَهَبَ لِي
رَبِّي حِكْمًا) نَبُوءَةً وَعِلْمًا
فَزَالَ عَنِّي الْجَهْلُ وَالضَّلَالَةُ
(وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ)
مِنْ جِلَّةِ رُسُلِهِ (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ
تَمْنَاهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي
إِسْرَائِيلَ) كَرَّرَ عَلَى امْتِنَانِهِ
عَلَيْهِ بِالْتَّرِيَةِ فَبَاطَلَهُ مِنْ
أَصْلِهِ وَأَيْ أَنْ تَسْمَى نِعْمَةٌ
لِأَنَّهَا نِعْمَةٌ حَيْثُ بَيْنَ أَنْ
حَقِيقَةُ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ تَعْبِيدُ
بَنِي إِسْرَائِيلَ لِأَنَّ تَعْبِيدَهُمْ
وَقَصْدَهُمْ بِذَبْحِ آبَائِهِمْ هُوَ
السَّبَبُ فِي حُصُولِهِ عِنْدَهُ
وَتَرَبُّبِهِ وَلَوْ تَرَكْتَهُمْ لَرَبَّاهُ
أَبَوَاهُ فَكَانَ فِرْعَوْنُ أَمْتًا
عَلَى مُوسَى بِتَعْبِيدِ قَوْمِهِ
وَإِخْرَاجِهِ مِنْ شَجَرِ أَبِي يَهُ
إِذَا حَقَّقْتَ وَتَعْبِيدَهُمْ
تَذَلُّبَهُمْ وَاتِّخَاذَهُمْ عِبِيدًا

نَضَحَكَ مِنْهُ فَدَخَلَ عَلَى فِرْعَوْنَ وَأَدْيَارُ سَأَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَعَرَفَ فِرْعَوْنَ مُوسَى لِأَنَّهُ نَشَأَ فِي بَيْتِهِ (فَقَالَ) لَهُ (أَلَمْ تَرَبِكْ فِينَا وَلِيدًا) أَيْ صَبِيًّا (وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عَمْرِكَ سِنِينَ) أَيْ ثَلَاثِينَ سَنَةً (وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ) يَعْنِي قَتَلَ الْقَبْطِيَّ (وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ الْجَاهِلِينَ لِنَعْمَتِي وَحَقِّي تَرَبُّبِي يَقُولُ رَبِّينَاكَ فِينَا فَكَأَنَّا أَنْ قَتَلْتَ مَنَّا نَفْسًا وَكُفَرْتَ نَعْمَتَنَا وَهِيَ رِوَايَةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ إِنْ فِرْعَوْنَ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ الْكُفْرَ بِالرَّبِّ بِيَتِيَّةً وَلِأَنَّ الْكُفْرَ غَيْرُ جَائِزٍ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ لِأَنَّ الْقَبْلَ نَبُوءَةٌ وَلَا يَمْدُهَا وَقِيلَ مَعْنَاهُ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ بِفِرْعَوْنَ وَاهْلِيَّتِهِ (قَالَ) يَعْنِي مُوسَى (فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَمَّا مِنَ الضَّالِّينَ) أَيْ مِنَ الْجَاهِلِينَ بِأَنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى قَتْلِهِ لِأَنَّ فِعْلَ الْوَكْرَةِ عَلَى وَجْهِ التَّأْدِيبِ لِأَنَّ وَجْهَ الْقَتْلِ وَقِيلَ مِنَ الضَّالِّينَ عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ وَقِيلَ مِنَ الْمُخْطِئِينَ (فَفَرَرْتَ مِنْكُمْ) أَيْ إِلَى مَدِينِ (لِمَا خَفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حِكْمًا) يَعْنِي النَّبُوءَةَ وَقِيلَ الْعِلْمُ وَالْفَهْمُ (وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمْنَاهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ يَسْتَعْبِدْهُ كَمَا اسْتَعْبَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَيَكُونُ مَعْنَى الْآيَةِ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمْنَاهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَتَرَكَتَنِي فَلَمْ يَسْتَعْبِدْنِي وَقِيلَ هُوَ عَلَى طَرِيقِ الْإِنْكَارِ وَمَعْنَى الْآيَةِ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ عَلَى طَرِيقِ الْاسْتِفْهَامِ حَذْفُ الْآلِفِ كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ

لَمْ أُنْسَ يَوْمَ الرَّحِيلِ وَقَفْتَهَا * وَطَرَفَهَا مِنْ دَمُوعِهَا غَرِقَ
وَقَوْطَاهَا وَالرَّكَبَ وَاقْفَةَ * تَرَكَتَنِي هَكَذَا وَتَنْطَلِقُ

أَيْ أَتَرَكَتَنِي وَالْمَعْنَى أَمْتًا عَلَى أَنْ رَبِّيتَنِي وَتَنَسَى جُنَايَتَكَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْإِسْتِعْبَادِ وَالْمَعَامَلَاتِ الْقَبِيحَةِ أَوْ يَرِيدُ كَيْفَ تَمْنَى عَلَى بِالْتَّرِيَةِ وَقَدْ اسْتَعْبَدتَّ قَوْمِي وَمِنْ أَهْلِي قَوْمِهِ فَقَدْ ذَلَّ فَعْبَدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَحْبَبْتَ حَسَنَاتِكَ إِلَيَّ وَلَوْلَمْ تَسْتَعْبِدْهُمْ لَمْ تَقْتُلْ أَوْلَادَهُمْ لَمْ أَرْفَعْ إِلَيْكَ حَتَّى تَرَبُّبِي وَتَكْفَلَنِي وَإِنْ كَانَ لِي مِنْ أَهْلِي مَنْ يَرَبُّبِي لَمْ يَلْقُونِي فِي الْيَمِّ (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) يَقُولُ أَيْ شَيْءٌ رَبُّ الْعَالَمِينَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ رَسُولُهُ أَيْ يَسْتَوْصِفُهُ إِلَهُ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ وَهُوَ سُؤَالٌ عَنِ جِنْسِ الشَّيْءِ وَاللَّهُ تَعَالَى مَنزَعٌ عَنِ الْجِنْسِيَّةِ وَالْمَاهِيَةِ فَهَذَا عَدْلٌ مُوسَى عَنْ جَوَابِهِ وَأَجَابَهُ بِذِكْرِ أَعْمَالِهِ وَأَنَّهُ قَدَّرْتَهُ الَّتِي تَجْزَى الْخَلَائِقَ عَنِ الْإِنْيَانِ بِمِثْلِهَا (قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) أَنَّهُ خَافَهُمَا فَاعْرِفُوا أَنَّهُ لَا يَمُكِّنُ تَعْرِيفَهُ الْإِبْعَادَ كَرْتَهُ لَكُمْ فَإِنْ أَيْقَمْتُمْ بِذَلِكَ لَزِمَكُمْ أَنْ تَقْطَعُوا أَنَّهُ لَا جَوَابَ لَكُمْ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ الْإِمَّاذَ كَرْتَهُ مِنَ الْجَوَابِ وَقَالَ أَهْلُ الْعَالَمِينَ أَيْ كَمَا تَوْقِنُونَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَعَابِنُونَهَا فَيَقْنُوا أَنَّ اللَّهَ الْخَلْقُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي خَلَقَهَا وَأَوْجَدَهَا فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ

وَوَحْدَ الضَّمِيرِ فِي تَمْنَاهَا وَعَبَّدتَّ وَجَعَلَ فِي مِنْكُمْ وَخَفْتُمْ لِأَنَّ الْخَوْفَ وَالْفِرَارَ لَمْ يَكُونَا مِنْهُ وَوَحْدَهُ وَلَكِنْ مِنْهُ
وَمِنْ مِثْلِهِ الْمُؤْتَمِرِينَ بِقَتْلِهِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ أَنَّ الْمَلَايَا تَمْرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ وَأَمَّا الْإِمْتِنَانُ فَهُوَ وَوَحْدَهُ وَكَذَلِكَ التَّعْبِيدُ وَتِلْكَ إِشَارَةٌ إِلَى خِصْلَةٍ شَتَاءَ مَهْمَةٌ لَا يَدْرِي مَا هِيَ إِلَّا بِتَفْسِيرِهَا وَمَحَلُّ أَنْ عَبَّدتَّ الرِّفْعَ عَطْفٌ بَيَانٌ لِتِلْكَ أَيْ تَعْبِيدِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ نِعْمَةً تَمْنَاهَا عَلَيَّ (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) أَيْ أَنْكَ تَدْعِي أَنَّكَ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَمَا صَفْتَهُ لِأَنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ السُّؤَالَ عَنْ صِفَةٍ زِيدَ تَقْوِيلٌ مَازِيدٌ تَعْنِي أَطْوِيلٌ أَمْ قَصِيرٌ أَوْ قَبِيحٌ أَمْ طَيِّبٌ نَصَّ عَلَيْهِ صَاحِبُ الْكَشَافِ وَغَيْرُهُ (قَالَ) مُوسَى بِحَيْبَالِهِ عَلَى وَفْقِ سَوْأَلِهِ (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) أَيْ وَمَا بَيْنَ الْجَنَسَيْنِ (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) أَيْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ الْأَشْيَاءَ بِالْحَقِّ فَكُنِي خَلْقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ دَلِيلًا أَنَّ كَانُ يَرْجِي مِنْكُمْ الْإِيقَانَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَيْهِ النَّظَرُ الصَّحِيحُ تَفْعَلُكُمْ هَذَا الْجَوَابَ وَالْإِلْمَ يَنْفَعُ وَالْإِيقَانَ الْعِلْمَ الَّذِي يَسْتَفَادُ مَالًا لَدُنْهُ وَإِنَّا لَا يَقُولُ اللَّهُ مُوقِنٌ

(قال) أي فرعون (لمن حوله) من أشرف قومه وهم خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة (ألاستمعون) محبا قومه من جوابه لانهم يزعمون قدمهما وينكرون حدوثهما وان طمارا بافاحتاج موسى الى أن يستدل بما شاهدوا حدوثه وفناءه فاستدل حيث (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) أي هو خالقكم وخالق آبائكم فان لم تستدلوا بغيركم فبأنفسكم وانما قال رب آبائكم لان فرعون كان يدعى الرب بوبية على أهل عصره دون من تقدمهم (قال) أي فرعون (ان رسولكم الذي أرسل اليكم لجنون) حيث يزعم ان في الوجود الها غيري وكان فرعون ينكر الهية غيره (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) فستدلون بما أقول فتعرفون ربكم وهذا غاية الارشاد حيث عمم أو لا يخلق السموات والارض وما بينهما ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لان أقرب المنظر فيه من العاقل نفسه ومن ولدته وما شاهد من أحواله من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدلل به وظهوره اتقيل الى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالاحياء والامانة على نمرود بن كنعان وقيل سأله فرعون عن (٣٨٥) الماهية جاهلا عن حقيقة سؤاله فلما

أجاب موسى بحقيقة الجواب وقع عنده أن موسى حاد عن الجواب حيث سأله عن الماهية وهو يجيب عن ربوبية وآثار صنعه فقال محبا لهم من جواب موسى ألاستمعون فعاد موسى الى مثل قوله الاول فجنه فرعون زاعما أنه حاد عن الجواب فعاد ثالثا الى مثل كلامه الالمين أن الفرد الحقيقي انما يعرف بالصفات وأن السؤال عن الماهية محال واليه الاشارة في قوله تعالى ان كنتم تعقلون أي ان كان لكم عقل علمكم أنه لا يمكن معرفته الا بهذا الطريق فلما تحير فرعون

موسى تحير فرعون في جواب موسى (قال لمن حوله) أي من أشرف قومه قال ابن عباس كانوا خمسمائة رجل عليهم الاسورة (ألاستمعون) وانما قال فرعون ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى يعني اني انما اطلب منه الماهية وخصوصية الحقيقة وهو يجيبني بافعاله وآثاره وقيل انهم كانوا يعتقدون ان آلهتهم ملوكهم ثم زادهم موسى في البيان (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) يعني ان موسى ذكر ما هو أقرب اليهم فقال ربكم يعني أنه خالقكم وخالق آبائكم الاولين (قال) يعني فرعون (ان رسولكم الذي أرسل اليكم لجنون) يعني المقصود من السؤال طلب الماهية وهو يجيب بالآثار الخارجة وهذا لا يفيد البتة فهذا الذي يدعى الرسالة مجنون لا يفهم السؤال فضلا عن أن يجيب عنه ويتكلم بكلام لا تقبله ولا تعرف صحته وكان عندهم ان من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل فزاد في البيان (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) فعدل الى طريق ثالث أوضح من الثاني ومعنى ان كنتم تعقلون قد عرفتم أنه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرت (قال) فرعون حين لزمته الحجمة وانقطع عنه الجواب تكبرا عن الحق (لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين) قيل كان سجن فرعون أشد من القتل لانه كان يأخذ الرجل فيطرحه في مكان يهوى فيه الى الارض وحده فرد الا يسمع ولا يبصر فيه (قال) له موسى حين توعدده بالسجن (أولوجنتك بشئ مبين) أي بآية بينة والمعنى أن فعل ذلك ولوجنتك بحجة بينة وانما قال ذلك موسى لان من أخلاق الناس السكون الى الانصاف والاجابة الى الحق بالبيان (قال) يعني فرعون (فأت به) أي انال نسجنتك حينئذ (ان كنت من الصادقين فأتني عصاه فاذا هي ثعبان مبين) قيل انها الماصرات حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون فقال بالذي أرسلك الا أخذتها فاخذها موسى فعادت عصا كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم وأراه يده ثم أدخلها في جيبه ثم أخرجها فاذا هي بيضاء من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس وهو قوله (ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) فعند ذلك (قال) فرعون (للملاحولة

(٤٩ - (خازن) - ثالث) ولم يتهيأ له أن يدفع ظهور آثار صنعه (قال لئن اتخذت الها غيري) أي غيري الها (لا جعلنك من المسجونين) أي لا جعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فرد الا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل وأشد ولو قيل لا سجننك لم يؤد هذا المعنى وان كان أخصر (قال أولوجنتك) الوال للحال دخلت عليها همزة الاستفهام أي أن فعل بي ذلك ولوجنتك (بشئ مبين) أي جأيا بالمعجزة (قال فأت به) بالذي بين صدقك (ان كنت من الصادقين) ان لك بينة وجواب الشرط مقدر أي فأحضره (فأتني عصاه فاذا هي ثعبان مبين) ظاهر الثعبانية لاشئ يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر روي ان العصا ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى صرني بماشئت ويقول فرعون أسألك بالذي أرسلك الا أخذتها فاخذها فعادت عصا (ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) فيه دليل على ان بياضها كان شيا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضها نور ياروي ان فرعون لما أبصر الآية الاولى قال فهل غيرها فخرج يده فقال لفرعون ما هذه قال فرعون يدك فادخلها في ابطنه ثم نزعها وها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق (قال) أي فرعون (للملاحولة) هو منصوب نصيبين نصب في اللفظ والعامل فيه ما يقدر في الظرف ونصب في المحل وهو النصب على الحال

من الملائم كائين حوله والعامل فيه قال (ان هذا الساحر عليم) بالسحر ثم أغوى قومه على موسى بقوله (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا) منصوب لأنه مفعول به من قولك أمرتك الخير (تأمرون) تشيرون في أمره من حبس أو قتل من المؤامرة وهي المشاورة أو من الأمر الذي هو ضد النهي لما تحير فرعون برؤية الآيتين وزال عنه ذكر دعوى الإلهية وحط عن منكيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائضه خوفاً طفق يؤامر قومه الذين هم بزعمه عبوده وهو اطهم أو جعلهم آمريين ونفسه مأمورا (قالوا أرجه وأخاه) آخر أمرهما ولا تباعث قتلها ما خوفاً من الفتنه (وابعث في المدائن حاشرين) شرطاً يحشرون السحرة وعارضوا قول فرعون ان هذا الساحر عليم بقولهم (يأتوك بكل سحار عليم) جازاً بكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه (جمع السحرة لميقات يوم معلوم) أي يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لأنه الوقت الذي وقفه لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله تعالى موعدهم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به أي حدد من زمان أو مكان ومنه موافقت الاحرام (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) أي اجتمعوا وهو استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استجوابهم (هل لنا نبيع السحرة) في (٢٨٦) دينهم (ان كانوا هم الغالبين) أي غلبوا موسى ولا تتبع موسى في دينه وليس

غرضهم اتباع السحرة وإنما الغرض الكلي أن لا يتبعوا موسى فاسقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى (فلم اجاء السحرة قالوا لفرعون أن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم) وبكسر العين على وهما لغتان (وانكم اذا لمن المقربين) أي قال فرعون نعم لكم أجر عندي وتكونون مع ذلك من المقربين عندي في المرتبة والجاه فتكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج ولما كان قولهم أن لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله

ان هذا) يعني موسى (الساحر عليم) وكان زمان السحر فلهاذا روج فرعون هذا القول على قومه ثم قال (يريد ان يخرجكم من أرضكم بسحره) قال هذا القول على سبيل التنفير لئلا يقبلوا قول موسى (فماذا تأمرون) يعني ما رأيكم فيه وما الذي أعمله فعند ذلك (قالوا أرجه وأخاه) أي أخوه وأخاه (وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم) قيل ان فرعون أراد قتل موسى فقالوا لا تفعل فانك ان قتلته دخلت الناس شبهة في أمره ولكن أخره واجمع له سحرة ليقاوموه ولا تثبت له عليك حجة **قوله** تعالى (جمع السحرة لميقات يوم معلوم) يعني يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة وهو يوم النيروز (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) أي لتتظروا ما يفعل الفريقان ولئن نكون الغلبة (هل لنا نبيع السحرة ان كانوا هم الغالبين) لموسى قيل أراد بالسحرة موسى وهرون وقالوا ذلك على طريقة الاستهزاء (فلم اجاء السحرة قالوا لفرعون أن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين) طلبوا من فرعون الجزاء وهو بذل المال والجاه فبذل لهم ذلك كله وأجابهم بقوله (قال نعم وانكم اذا لمن المقربين) قال لهم موسى ألقوا ما ألقوا وجعلهم وعصبيهم وقالوا بعزة فرعون) أي بعظمة فرعون (اننا نحن الغالبون فآلتي موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون) أي ما يقبلونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم قيل ان عصا موسى صارت حية وابتلعت كل ما رموه من حبالهم وعصبيهم ثم أخذها موسى فاذا هي كما كانت أول مرة (فآلتي السحرة ساجدين) قيل انهم لما رأوا ما جاوز حد السحر علموا انه ليس بسحر ثم تماكروا ان خروا ساجدين ثم انهم (قالوا آمناب رب العالمين رب موسى وهرون) وانما قالوا رب موسى وهرون لان فرعون كان يدعى الربوبية فارادوا عزله (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون) فيه وعيد مطلق وتهديد شديد ثم بين ذلك الوعيد فقال (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصليكنم أجمعين قالوا الاضربنا إلى ربنا منقلبون) أي لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا لانا نقلب ونصير إلى ربنا في الآخرة مؤمنين مؤمنين غفرانه وهو قولهم (انا

انكم اذا لمن المقربين معطو فاعليه دخلت اذا قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء) قال لهم موسى نطمع ألقوا ما ألقوا من السحر فسوف ترون عاقبته (فألقوا حبالهم) سبعين ألف حبل (وعصبيهم) سبعين ألف عصا وقيل كانت الحبال اثنين وسبعين ألفا وكذا العصا (وقالوا بعزة فرعون اننا نحن الغالبون) اقساموا بعزته وقوته وهو من أيمان الجاهلية (فآلتي موسى عصاه فاذا هي تلقف) بتلع (ما يأفكون) ما يقبلونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم ويزورونه ويخيلون في حبالهم وعصبيهم أنها حيات تسعى (فآلتي السحرة ساجدين) عبر عن الخرور باللقاء بطريق المشاكلة لأنه ذكر مع الالتفات ولانهم لسرعة ما سجدوا صاروا كأنهم ألقوا (قالوا آمناب رب العالمين) عن عكرمة رضى الله عنه أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء (رب موسى وهرون) عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعى الربوبية فارادوا أن يعزله وقيل ان فرعون لما سمع منهم آمناب رب العالمين قال اياي عنيتم قالوا رب موسى وهرون (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم) بذلك (انه لكبيركم الذي علمكم السحر) وقد تواطأتم على أمر ومكر (فلسوف تعلمون) وبال ما فعلتم ثم صرح فقال (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) من أجل خلاف ظهر منكم (ولاصليكنم أجمعين) كأنه أراد به تهيب العامة لئلا يتبعوهم في الإيمان (قالوا الاضرب) لا ضرر وخبر لا محذور في أي في ذلك أو علينا (انا إلى ربنا منقلبون انا

نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) لان كنا (أول المؤمنين) من أهل المشهد أو من رعية فرعون أرادوا الأضرر علينا في ذلك بل لنا اعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا أو لأضير علينا فيما تنوع دنا به انه لا بد لنا من الانقلاب الى ر بنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها وأضير علينا في قتلك انك ان قتلنا انقلبنا الى ر بنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمة لما رزقنا من سبق الى الايمان (وأوحينا الى موسى أن أسر) وبوصل الهمزة مجازي (بعبادي) بني اسرائيل سماهم عباده لايمانهم بقبية أي سر بهم ليلا وهذا بعد سنين من ايمان السحرة (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وقومه على الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم يعني اني بنيت تدابير أمرهم على أن تتقدموا وتتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم من طريق البحر فاهلكم وروى انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولدفاشتغلوا بعبادتهم حتى خرج موسى بقومه وروى (٢٨٧) ان الله تعالى أوحى الى موسى

أن اجمع بني اسرائيل كل أربعة آيات في بيت ثم اذبح الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فاني سأمر الملائكة أن لا يدخلوا بيوتا على بابها دم وسأمرهم بقتل أبقار القبط واخبروا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك أمرى (فارسل فرعون في المدائن حاشرين) أي جامعين للناس بعنف فلما اجتمعوا قال (ان هؤلاء لشرذمة قليون) والشرذمة الطائفة القليلة ذكروهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة أو أراد بالقلة الذلة لاقلة العدد أي انهم لقلتهم لا يبالي بهم

نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا) أي الكفر والسحر (أن) أي لان (كنا أول المؤمنين) أي من أهل زماننا وقيل أول المؤمنين أي من الجماعة الذين حضروا ذلك الجمع قوله تعالى (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي انكم متبعون) أي يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج قيل أوحى الله الى موسى أن اجمع بني اسرائيل كل أهل أربعة آيات في بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن فاضر بوابدماها على أبوابكم فاني سأمر الملائكة فتقتل أبقار آل فرعون من أنفسهم وأمرهم أن لا يدخلوا بيوتا على بابها دم ثم اخبروا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم أمر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك أمرى ففعل ذلك موسى ثم ان قوم موسى قالوا لفرعون ان لنا في هذه الليلة عيد فاستعاروا منهم حليهم ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جهة البحر فلما سمع فرعون ذلك قال هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبقارنا من أنفسنا وأخذوا أموالنا (فارسل فرعون في المدائن حاشرين) يعني الشرط يحشرون الجيش قيل كانت المدائن ألف مدينة واثنى عشر ألف قرية فارسل فرعون في أثر موسى وقومه ألف وخمسة مائة ألف وخرج فرعون في الكرسى العظيم في مائتي ألف ملك مسورين مع كل ألف ملك فلذلك قال (ان هؤلاء لشرذمة قليون) قال أهل التفسير كانت الشرذمة الذين قتلهم فرعون ستمائة ألف مقاتل لم يعدوا دون العشرين وفوق الستين سنة وقال ابن مسعود كانت ستمائة ألف وسبعين ألفا ولا يحصى عددا أصحاب فرعون (وانهم لنا غائظون) الغيظ الغضب يعني انهم أغضبونا بمخالفتهم فينا وقتلهم أبقارنا وذهابهم باموالنا التي استعاروها وخروجهم من أرضنا بغير إذن منا (وانا لجميع حذرون) أي خائفون من شرهم وقرى حاذرون أي ذوو قوة واداة مشا كون السلاح وقيل الحاذر الذي يحذر الآن بالتحقيق من المتلبس بحمل السلاح والحذر الذي لاتلقاه الا خائفا (فاخرجناهم من جنات وعيون) قيل كانت البساتين ممتدة في حافتي النيل فيها عيون وأنهار جارية (وكنوز) يعني الاموال الظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانه لم يؤد حق الله منها وكل مال لم يعط ولم يؤد حق الله منه فهو كنوزا ان كان ظاهر اقبل كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من ذهب قال الله تعالى (ومقام كريم) أي مجلس حسن قيل أراد مجالس الامراء والرؤساء التي كانت لهم وقيل انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسى من ذهب يجلس عليها الاشراف من قومه والامراء وعليهم أقبية الديباج مخصوصة بالذهب والمعنى انا أخرجناهم من بساتينهم التي فيها العيون وأموالهم ومجالسهم الحسنة (كذلك) أي كما وصفنا (وأورثناها بني اسرائيل) وذلك ان الله

ولا تتوقع غلبتهم وانما استقل قوم موسى وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا لكثرة من معه فعن الضحاك كانوا سبعة آلاف ألف (وانهم لنا لغائظون) أي انهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا وهي خروجهم من مصرنا ووجدهم أبقارنا (وانا لجميع حاذرون) شامى وكوفي وغيرهم حذرون فالخذر التيقظ والحذر الذي يجد حذره وقيل المؤدى في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه يعني ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سار عنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى أهل المدائن لتلايظن به العجز والفتور (فاخرجناهم من جنات) بساتين (وعيون) وأنهار جارية (وكنوز) وأموال ظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانهم لا ينفقون منها في طاعة الله تعالى (ومقام) ومنزل (كريم) بهي بهيج وعن ابن عباس رضي الله عنهما المنابر (كذلك) يحتمل النصب على أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أي الامر كذلك (وأورثناها بني اسرائيل) عن الحسن لما عبروا النهر رجعا واخذوا ديارهم وأموالهم

(فأتبعوهم) فلهحقوهم فأتبعوهم يز يد (مشرقين) حال أي داخلين في وقت شروق الشمس وهو طلوعها أي ادرك قوم فرعون موسى وقومه وقت طلوع الشمس (فما تراءى الجمعان) أي تقابل بحيث يرى كل فريق صاحبه والمراد بنو إسرائيل والقبط (قال أصحاب موسى انما دركون) أي قرب أن يلحقنا عدونا واما ما لنا البحر (قال) موسى عليه السلام ثقة بوعد الله اياه (كلا) ارتدعوا عن سوء الظن بالله فلن يدركوكم (ان معي) معي حفص (ربي سيهدين) أي سيهدينى طريق النجاة واضرارهم سيهدينى بالياء يعقوب (فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر) أي القلزم أو النيل (فانطلق) أي فضرب فانطلق وانشق فصار اثني عشر فرقا على عدد الاسباط (فكان كل فرق) أي جزء تفرق منه (كالطود العظيم) كالجبل المنطاد في السماء (وأزلقناهم) حيث انشق البحر (الآخرين) قوم فرعون أي قر بناهم من بنى إسرائيل (٣٨٨) أو من البحر (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) من الغرق (ثم أغرقنا

عز وجل رد بنى إسرائيل الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال والاما كن الحسنة (فأتبعوهم مشرقين) أي لحق فرعون وقومه موسى وأصحابه وقت شروق الشمس وهو اضاءتها (فما تراءى الجمعان) أي تقابل بحيث يرى كل فريق صاحبه (قال أصحاب موسى انما لدركون) أي سيدركنا فرعون وقومه ولا طاقة لنا بهم (قال) يعنى موسى لثقتة بوعد الله تعالى اياه (كلا) أي لن يدركونا (ان معي ربي سيهدين) أي بدلى على طريق النجاة (فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانطلق) أي فضربه فانشق (فكان كل فرق) أي قطعة من الماء (كالطود) أي الجبل (العظيم) قيل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر هاجت الرياح فصار البحر يرمى بموج كالجبال قال يوشع يا كلهم الله أين أمرت فقد غشي فرعون من خلفنا والبحر امامنا قال موسى ههنا نخاض يوشع الماء لا يوارى حافر دابته وقال الذي يكتم ايمانه يا كلهم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه فصكه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم أخمه البحر فارتسب في الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فاضرب به فانفاق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يتل سرجه ولا لبدته (وأزلقنا ثم الآخرين) أي قر بنا فرعون وجنوده الى البحر وقد مناهم الى الهلاك وقيل ان جبريل كان بين بنى إسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبنى إسرائيل ليلحقكم بأولكم ليلحق آخركم بأولكم فإلحقكم موسى الى البحر قال يوشع لموسى أين أمرت فهذا البحر امامك وغشيك آل فرعون قال موسى ههنا نخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال عند ذلك يا من كان قبل

الآخرين) فرعون وقومه وفيه ابطال القول بتأثير الكوكب في الآجال وغيرها من الخواص فانهم اجتمعوا في الهلاك مع اختلاف طول العهيم وروى ان جبريل عليه السلام كان بين بنى إسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبنى إسرائيل ليلحقكم بأولكم ليلحق آخركم بأولكم فإلحقكم موسى الى البحر قال يوشع لموسى أين أمرت فهذا البحر امامك وغشيك آل فرعون قال موسى ههنا نخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال عند ذلك يا من كان قبل

كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء (ان في ذلك) أي فيما فعلنا بموسى وفرعون (آية) لعبرة عجيبة لا يوصف (وما كان أكثرهم) أي المشرقين (مؤمنين) قالوا لم يؤمن منهم الا آسية وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم التي دلت على قبر يوسف (وان ربك هو العزيز الرحيم) قوله تعالى (وانل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون) أي أي شيء تعبدون وانما قال ابراهيم ذلك مع علمه بانهم عبدة للاصنام ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء (قالوا تعبدوا صنما فنظلمنا ما كنا نعبد) أي تقم على عبادتها وانما قالوا نظلم لانهم كانوا يعبدونها

(قال) أي ابراهيم (هل يسمعونكم) هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف للدلالة (اذتدعون) عليه (أو ينفعونكم) ان عبدعوها (أو يضررون) أي ان تركتم عبادتها (قالوا بل) اضرب أي لا تسمع ولا تنفع ولا تضرو ولا تعبدوا الشيء من ذلك ولكن (وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) فقلدناهم (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أتم وآبأؤ كم الاقدمون) الاولون (فانهم) أي الاصنام (عدولي) العدو والصديق يجيان في معنى الوحدة والجماعة يعني لو عبدتهم لكانوا أعداء لي في يوم القيامة كقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفراء هو من المقلوب أي فاني عدوهم وفي قوله عدولي دون لكم زيادة نصح ليكون ادعى لهم الى القبول ولو قال فانهم عدولكم لم يكن بتلك المثابة (الارب العالمين) استثناء منقطع لانه لم يدخل تحت الاعداء كانه قال لكن رب العالمين (الذي خلقني) بالتكوين في القرار المكين (فهو يهدين) لما هج الدنيا والمصالح الدين والاستقبال في يهدين مع سبق العناية بالهداية لانه يحتمل يهدينني للاهم الافضل والاتم الاكل والذي خلقني لاسباب خدمته فهو يهدينني الى آداب خلته (والذي (٣٨٩) هو يطعمني) أضاف الاطعام الى ولى الانعام لان الركون

الى ولى الانعام لان الركون الى الاسباب عادة الانعام (ويسقين) قال ابن عطاء هو الذي يحيني بطعامه ويريوني بشرابه (واذا مرضت) وانما يقل أمرضني لانه قصد الذكر بلسان الشكر فلم يضاف اليه ما يقتضى الضر قال ابن عطاء اذا مرضت برؤية الخلق (فهو مرضت) أصابني مرض أضاف المرض الى نفسه استعمالا للدب وان كان المرض والشفاء من الله (فهو يشفين) أي يرثني ويعافيني من المرض (والذي يميتني ثم يحييني) أي يميتني في الدنيا ثم يحييني في الآخرة (والذي أطعم) أي أرجو (أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) أي يوم الجزاء والحساب قيل خطيئته كذباته الثلاث وتقدم الكلام عليها (م) عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين كان ذلك نافعا له قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه أنه لا يصلح للادوية الا من يفعل هذه الافعال (رب هب لي حكما) قال ابن عباس معرفة حدود الله وأحكامه وقيل العلم والفهم (والحقي بالصالحين) أي بمن سلف قبلي من الانبياء في المنزلة والدرجة العالية (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ثناء حسنا وذكرا جيلا وقبول اعما في الامم التي تجيء بعدي فاعطاه الله ذلك وجعل كل أهل الاديان يتولونه ويشنون عليه (واجعلني من ورثة جنة النعيم) أي بمن تعطيه جنة النعيم لانها السعادة الكبرى (واغفر لابي انه كان من

عبدونها بالنهار دون الليل (قال هل يسمعونكم) أي يسمعون دعاءكم (اذتدعون أو ينفعونكم) يعني بالرزق (أو يضررون) أي ان تركتم عبادتهم واذا كان كذلك فكيف يستحقون العبادة فلما لم يمتهم الحجة القاطعة (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) المعنى انها لا تسمع قولنا ولا تجلب نفعنا ولا تدفع ضرا ولكن اقتدينا بآبائنا في ذلك وفي الآية دليل على ابطال التقليد في الدين وذمه ومدح الاخذ بالاستدلال (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أتم وآبأؤ كم الاقدمون) أي الاولون (فانهم عدولي) أي أعداء لي وانما وحده على ارادة الجنس فان قلت كيف وصف الاصنام بالعداوة وهي جمادات لا تعقل قلت معناه فانهم عدولي يوم القيامة لو عبدتهم في الدنيا وقيل ان الكفار لما عبدوها ونزلوها منزلة الاحياء العقلاء أطلق ابراهيم لفظ العداوة عليها وقيل هو من المقلوب أراد فاني عدوهم لان من عاديته فقد عاداك (الارب العالمين) أي ولكن رب العالمين فانه ربي وولي وقيل انهم كانوا يعبدون الاصنام مع الله تعالى فقال ابراهيم كل ما تعبدون أعداء لي الارب العالمين ثم وصف معبوده الذي يستحق العبادة فقال (الذي خلقني فهو يهدين) الى طريق النجاة (والذي هو يطعمني ويسقين) أي يرزقني ويغذيني بالطعام والشراب (واذا مرضت) أصابني مرض أضاف المرض الى نفسه استعمالا للدب وان كان المرض والشفاء من الله (فهو يشفين) أي يرثني ويعافيني من المرض (والذي يميتني ثم يحييني) أي يميتني في الدنيا ثم يحييني في الآخرة (والذي أطعم) أي أرجو (أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) أي يوم الجزاء والحساب قيل خطيئته كذباته الثلاث وتقدم الكلام عليها (م) عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين كان ذلك نافعا له قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه أنه لا يصلح للادوية الا من يفعل هذه الافعال (رب هب لي حكما) قال ابن عباس معرفة حدود الله وأحكامه وقيل العلم والفهم (والحقي بالصالحين) أي بمن سلف قبلي من الانبياء في المنزلة والدرجة العالية (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ثناء حسنا وذكرا جيلا وقبول اعما في الامم التي تجيء بعدي فاعطاه الله ذلك وجعل كل أهل الاديان يتولونه ويشنون عليه (واجعلني من ورثة جنة النعيم) أي بمن تعطيه جنة النعيم لانها السعادة الكبرى (واغفر لابي انه كان من

عن الافناء وأدخل الفناء في الهداية والشفاء لانهم ما يعقبان الخلق والمرض لامعانا (والذي أطعم) طمع العبيد في الموالى بالافضل لاعلى الاستحقاق بالسؤال (ان يغفر لي خطيئتي) قيل هو قوله اني سقيم بل فعله كبيرهم هذا ربي للبارغ هي أختي لسارة وما هي الامعاريص جائزة وليست بخطايا يطلب لها استغفار واستغفار الانبياء تواضع منهم لهم وهضم لانفسهم وتعليم للامم في طلب المغفرة (يوم الدين) يوم الجزاء (رب هب لي حكما) حكمة أو حكما بين الناس بالحق أو نبوة لان النبي عليه السلام ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله (والحقي بالصالحين) أي الانبياء ولقد أجابه حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ثناء حسنا وذكرا جيلا في الامم التي تجيء بعدي فاعطى ذلك فكل أهل دين يتولونه ويشنون عليه ووضع اللسان موضع القول لان القول يكون به (واجعلني من) يتعلق بمحذوف أي وارثا من (ورثة جنة النعيم) أي من الباقيين فيها (واغفر لابي) اجعله أهل المغفرة باعطاء الاسلام وكان وعده الاسلام يوم فارقه (انه كان من

الضالين) الكافرين (ولا تخزني) الاخزاء من الخزي وهو الهوان أو من الخزبة وهو الحياء وهذا نحو الاستغفار كما ينسب (يوم يبعثون) الضمير فيه للعباد لأنه معلوم أول للضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لآييه أي ولا تخزني في يوم يبعث الضالون وأبي فيهم (يوم لا ينفع مال) هو بدل من يوم الاول (ولا بنون) أحد (الامن أتى الله بقلب سليم) عن الكفر والنفاق فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى في قلوبهم مرض أي ان المال اذا صرف في وجوه البر وبنوه صالحون فإنه ينتفع به وبهم سليم القلب أو جعل المال والبنون في معنى الغنى كأنه قيل يوم لا ينفع غنى الاغنى من أتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه وقد جعل من مفعولا لينفع أي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفق في طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الامن أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين وقد صوب الجليل استثناء الخليل اكرامه ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته لبراهيم اذ جاء به بقلب سليم وما أحسن ما رتب عليه السلام من كلامه مع المشركين حيث سأطهم أو لا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم أقبل على آلتهم فابطل أمرها بانها لا تنفع ولا تسمع وعلى تقليد هم آباءهم الاقدمين فاخرجه من ان يكون شبهة فضلا عن ان يكون حجة ثم صور المسئلة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله تعالى فعظم شأنه وعدد نعمته من حين انشائه الى وقت وفاته مع ما رجع في الآخرة من رحمة ثم اتبع ذلك ان (٣٩٠) دعا بدعوات المخلصين وانهل اليه ابتهال الادب ثم وصله بذكر يوم القيامة

الضالين) قيل دعا لآييه على رجاء أن يسلم فيغفر له فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه (ولا تخزني) أي ولا تفضحني (يوم يبعثون) وهو يوم القيامة (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) أي خالص من الشك والشرك فاما الذنوب فلا يسلم منها أحد قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمنافق مريض وقيل القلب السليم هو الخالي من البدعة المظنن الى السنة (وأزلفت الجنة) أي قربت (للمتقين وبرزت الجحيم) أي أظهرت (للعاوين) أي للكافرين (وقيل لهم) يعني يوم القيامة (أيما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم) أي يمنعونكم من عذاب الله (أو ينتصرون) لانفسهم (فككبوا) قال ابن عباس جمعوا وقيل قد فواو طرحوا بعضهم على بعض وقيل ألقوا على رؤسهم (فيها) أي في جهنم (هم والعاورون) يعني الآلهة والعابدين وقيل الجن والكافرين (وجنود ابليس أجمعون) يعني ابناء ومن أطاعه من الانس والجن وقيل ذريته (قالوا وهم فيها يختصمون) يعني العابدين والمعبودين (ثالثه ان كالتالي ضلال مبين اذ نسويكم) أي نعدلكم (رب العالمين) فنعدلكم (وما أضلنا) يعني دعانا الى الضلال (الا مجرمون) يعني من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس وقيل الاولون الذين اقتدينا بهم وقيل يعني ابليس وابن آدم الاول وهو قاييل وهو اول من سن القتل وأنواع المعاصي (فألانا من شافعين) يعني من يشفع لنا كما ان للمؤمنين شافعين من الملائكة والانبياء (ولا صديق جيم) أي قريب يشفع لنا يقول ذلك الكفار حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديق وهو الصادق في المودة مع

ونواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتغنى الكثرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا (وأزلفت الجنة للمتقين) أي قربت عطف جملة أي تزلف من موقف السعداء فينظرون اليها (وبرزت الجحيم) أي أظهرت حتى يكاد يأخذهم لها (للعاوين) للكافرين (وقيل لهم) أيما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون) يوبخون

على اشرا كهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون انفسهم باتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار (فككبوا) أنكسوا وطرح بعضهم على بعض (فيها) في الجحيم (هم) أي الآلهة (والعاورون) وعبدتهم الذين برزت لهم والكبكة نكر بالكب جعل التكر ير في اللفظ دليلا على التكر ير في المعنى كأنه اذا ألقى في جهنم ينكب مرة اثر مرة حتى يستقر في قعرها تعود بالله منها (وجنود ابليس أجمعون) شياطينه أو متبعوه من عصاة الانس والجن (قالوا وهم فيها يختصمون) يجوز أن ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز أن يجري ذلك بين العصاة والشياطين (ثالثه ان كالتالي ضلال مبين اذ نسويكم) نعدلكم أيما الاصنام (رب العالمين) في العبادة (وما أضلنا الا مجرمون) أي رؤساقهم الذين أضلواهم ابليس وجنوده ومن سن الشرك (فألانا من شافعين) كما للمؤمنين من الانبياء والاولياء والملائكة (ولا صديق جيم) كآزرى لهم أصدقاء اذ لا يتصدق في الآخرة الا المؤمنون وأما أهل النار فينتهم التعادي الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أو فألانا من شافعين ولا صديق جيم من الذين كنا نعدهم شفعا أو أصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في أصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس والجيم من الاحتمام وهو الاهتمام الذي يهيمه ما يهيمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص وجع الشافع ووجد الصديق لكثرة الشفعا في العادة وأما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهيمه ما يهيمك فقليل وسئل حكيم عن الصديق فقال اسم لامعني له وجزان براد بالصديق الجمع

(فلو أن لنا كرة) رجعة إلى الدنيا (فكون من المؤمنين) وجواب لو محذوف وهو لفلو في مثل هذا يعني التثنية كأنه قيل فليت لنا كرة لما بين معنى لو وليت من التلاقي (ان في ذلك) فما ذكر من الانبياء (لاية) أي لعلنا نعتبر (وما كان أكثرهم مؤمنين) فيه ان فريقا منهم آمنوا (وان ربك هو العزيز) المنتقم عن كذب ابراهيم بنار الجحيم (الرحيم) المسلم كل ذي قلب سليم إلى الجنة النعيم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم يذ كرويون قيل ولد نوح في زمن آدم عليه السلام ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الادابة أو بردا وكانوا ينكرون بعث الرسل أصلا فلذا جمع أولان من كذب واحد منهم فقد كذب الكل لان كل رسول يدعو الناس إلى الايمان بجميع الرسل وكذا جميع ما في هذه السورة (اذ قال لهم أخوهم) نسا بالادينا (نوح الاتقون) خالق الانام فتركوها عبادة الاصنام (اني لكم رسول أمين) كان مشهورا

(٣٩١)

(رسول أمين)

بالامانة فيهم كحمد عليه

الصلاة والسلام في قريش

(فاتقوا الله وأطيعون)

فما أمركم به وأدعواكم إليه

من الحق (وما أسئلكم

عليه) على هذا الامر (من

أجر) جزاء (ان أجرى)

بالفتح مدني وشامي وأبو

عمرو وحفص (الاعلى رب

العالمين) فلذلك أريده

(فاتقوا الله وأطيعون)

كرهه ليقرر في نفوسهم

مع تعليق كل واحد منهما

بعلة فعلة الاول كونه أمينا

فيما بينهم وعلة الثاني حسم

طمعه منهم كانه قال اذا

عرفتم رسالتي وأماتني فاتقوا

ثم اذا عرفتم احترازي من

الاجر فاتقوا الله (قالوا أنؤمن

لك واتبعك) الواو للحال

وقدم مضمرة بعدها دليله

قراءة يعقوب وأنباءك

موافقة الدين عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل يقول في الجنة ما فعل بصديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله عز وجل أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق جيم رواه البغوي بإسناد الثعلبي وقال الحسن استكثرنا من الاصدقاء المؤمنين فان لهم شفاععة يوم القيامة (فلو أن لنا كرة) أي رجعة إلى الدنيا (فكون من المؤمنين) أي انهم تمنوا الرجعة حين لا رجعة لهم (ان في ذلك لاية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي مع هذه الدلائل والآيات (وان ربك هو العزيز الرحيم) أي المنتقم الذي لا يغالب وهو في وصف عزته رحيم ﴿ قوله عز وجل (كذبت قوم نوح المرسلين) أي كذبت جماعة قوم نوح قيل القوم مؤنثة وتصغيرها قومئة فان قلت كيف قال المرسلين وانما هو رسول واحد وكذلك باقي القصص قلت لان دين الرسل واحد وان الآخر منهم جاء بما جاء به الاول فن كذب واحد من الانبياء فقد كذب جميعهم (اذ قال لهم أخوهم نوح) أي أخوهم في النسب لافي الدين (الاتقون) أي الاتخافون فتركو الكفر والمعاصي (اني لكم رسول أمين) أي على الوحي وكان معروفا عندهم بالامانة (فاتقوا الله) أي بطاعته وعبادته (وأطيعون) أي فيما أمرتكم به من الايمان والتوحيد (وما أسئلكم عليه من أجر) أي من جعل وجزاء (ان أجرى) أي ثوابي (الاعلى رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون) قيل كرهه ليو كده عليهم ويقرر في نفوسهم وقيل ليس فيه تكرار ومعنى الاول الاتقون الله في مخالفتي وانار رسول الله ومعنى الثاني الاتقون الله في مخالفتي واني لست آخذ منكم اجرا (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) أي السفلة قال ابن عباس يعني القافة وقيل هم الحاكة والاسا كفة (قال) يعني نوحا (وما علمي بما كانوا يعملون) أي وما أعلم أعمالهم وصناعاتهم وليس علي من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شيئا إنما كلفت ان أدعوهم إلى الله تعالى ومالي الاظواهر أمرهم وقال الزجاج الصناعات لا تضر في الديانات وقيل معناه اني لم أعلم ان الله يهديهم ويضلهم ويوفقهم ويخذلهم (ان حسابهم الاعلى ربي لو تشعرون) أي لو تعلمون ذلك ما عبرتموهم بصناعاتهم (وما أنابطارد المؤمنين) أي عنى وقد آمنوا (ان أنا الا نذير مبين) معناه أخوف من كذبي فن آمن فهو القريب منى ومن لم يؤمن فهو البعيد عنى (قالوا ان لم تنته يانوح) أي عما تقول (لكونن من المرجومين) أي من المقتولين بالحجارة وهو أسوأ القتل وقيل من

جمع تابع كشاهد وأشهدا وتبع كبطل وأبطال (الارذلون) السفلة والرذلة الخسة والدناءة وانما اسـ ترذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنيئة والصناعة لا تزرى بالديانة فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز ان يسمى المؤمن رذلا وان كان أفقر الناس وأوضاعهم نسبوا ما زالت أتباع الانبياء كذلك (قال وما علمي) وأي شيء أعلم (بما كانوا يعملون) من الصناعات انما أطلب منهم الايمان وقيل انهم طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وقالوا ان الذين آمنوا بك ليس في قلوبهم ما يظهرونه فقال ما على الاعتبار الظواهر دون التفتيش عن السرائر (ان حسابهم الاعلى ربي لو تشعرون) ان الله تعالى يحاسبهم على ما في قلوبهم (وما أنابطارد المؤمنين) أي ليس من شأنى ان أتبع شهواتكم بطرد المؤمنين طمعا في ايمانكم (ان أنا الانذير مبين) ما على الآن أنذركم انذارا يينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم أتم أعلم بشأنكم (قالوا ان لم تنته يانوح) عما تقول (لكونن من المرجومين) من المقتولين بالحجارة

(قال رب ان قومي كذبون) ليس هذا اخبار بالكذب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد انهم كذبوني في وحيك ورسالتك (فاقع بني و بينهم قضا) أي فاحكم بني و بينهم حكما و الفتاحة الحكومة و الفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات (ونجني ومن معي) معي حفص (من المؤمنين) من عذاب عملهم (فانجيناه ومن معه في الفلك) الفلك السفينة وجمعه فلك قالوا احد بوزن فقل و الجمع بوزن أسد (المشحون) المملوء ومنه شحنة البلاد أي الذي يملؤه كغايه (ثم أغرقنا بعد) أي بعد انجاء نوح ومن آمن (الباقين) من قومه (ان في ذلك آية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لطو العزيز) المنتقم باهانة من جحد وأصر (الرحيم) المنعم باعانة من وحدوا قمر (كذبت عاد المرسلين) هي قبيلة وفي الاصل اسم رجل هو أبو القبيصة (اذ قال لهم أخوهم هوذا لاتتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله) في تكذيب (رسول الامين) (وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى) (٣٩٢)

المشتمين (قال رب ان قومي كذبون فاقع) أي احكم (بني و بينهم قضا) أي حكما (ونجني ومن معي من المؤمنين فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) أي الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان (ثم أغرقنا بعد الباقين) أي بعد انجاء نوح ومن معه (ان في ذلك آية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لطو العزيز الرحيم) قوله تعالى (كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هوذا لاتتقون اني لكم رسول أمين) أي أمين على الرسالة فكيف تنهونني اليوم (فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين أتبنون بكل ريع) قال ابن عباس أي بكل شرف وفي رواية عنه بكل طريق وقيل هو الفج بين الجبلين وقيل المكان المرتفع (آية) أي علامة وهي العلم (تعشون) أي بمن مر بالطريق والمعنى انهم كانوا ينون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخر وامنهم ويعشوا بهم وقيل انهم بنوا برج الحمام فانكر عليهم هوذا نتخذها ومعنى تعشون تلعبون بالحمام (وتتخذون مصانع) قال ابن عباس ابنية وقيل قصور امشيدة وحصونا مائة وقيل ما أخذ الماء يعني الحياض (اعلمكم تخلدون) أي كانكم يتقون فيها خالد بن لعمرون (واذا بطشتم) أي واذا أخذتم وسطوتهم (بطشتم جبارين) أي قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب وهو مذموم في وصف البشر (فاتقوا الله وأطيعون) فيه زيادة زجر عن حب الدنيا والشرف والتفاخر (واتقوا الذي أمركم بما تعملون) أي أعطاكم من الخير ما تعلمون ثم ذكر ما أعطاهم فقال (أمركم بانعام وبنين وبنات وبعثناهم) فيه التنبيه على نعمة الله تعالى عليهم (انني أخاف عليكم) قال ابن عباس ان عصيتوني (عذاب يوم عظيم) فكان جوابهم ان (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أي انهم اظهروا قلة اكثر انهم بكلامه واستغفروا عنهم بما أوردته من المواعظ والوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد (ان هذا الاخلق الاولين) قرئ بفتح الخاء أي اختلاق الاولين وكذبهم وقرئ بضم الخاء واللام أي عادة الاولين من قبلنا انهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وقولهم (وما نحن بمعذبين) أي انهم اظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكارهم المعاد (فكذبوه فاهلكناهم) ان في ذلك آية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لطو العزيز الرحيم قوله تعالى (كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح اذ قال لهم أخوهم هوذا لاتتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين أتتكون فبهاهنا آمنين) أي في

رب العالمين أتبنون بكل ريع) مكان مرتفع (آية) لبرج حمام أو بناء يكون لارتفاعه كالعلامة يسخرون بمن مر بهم (تعشون) تلعبون (وتتخذون مصانع) ما أخذ الماء أو قصور امشيدة أو حصونا (اعلمكم تخلدون) ترجون الخلود في الدنيا (واذا بطشتم) أخذتم أخذ العقوبة (بطشتم جبارين) قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب (فاتقوا الله) في البطش (وأطيعون) فيما أدعوكم اليه (واتقوا الذي أمركم بما تعملون) من النعم ثم عددها عليهم فقال (أمركم بانعام وبنين) قرن البنين بالانعام لانهم

يعينونهم على حفظها والقيام عليها (وجنات وبعثناهم) ان (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أي لا تقبل كلامك ودعوتك وعظمت أم سكت ولم يقل أم لم تعظ لرؤس الآي (ان هذا الاخلق الاولين) ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت واتخاذ الابقاء الاعادة الاولين أو ما نحن عليه من الاولين الا خلق الاولين مكي وبصري ويزيد وعلى أي ما جئت به اختلاق الاولين وكذب المتنبيين قبلك كقولهم أساطير الاولين أو خلقنا نخلق الاولين نموت ونحيا كما حيوا (وما نحن بمعذبين) في الدنيا ولا بعث ولا حساب (فكذبوه) أي هوذا (فاهلكناهم) بريح صرصر عاتية (ان في ذلك آية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لطو العزيز الرحيم) كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح اذ قال لهم أخوهم هوذا لاتتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين أتتكون فبهاهنا آمنين) انكار لان يتركوا خالد بن في نعمهم لا يزالون عنه (فبهاهنا) في الذي استقر في هذا المكان من النعم (آمنين) من العذاب والزوال والموت ثم فسر بقوله

(في جنات وعيون) وهذا أيضا جبال ثم تفصيل (وزروع ونخل) وعطف نخل على جنات مع ان الجنة تناول النخل أول شيء تفضيلا للنخل على سائر الشجر (طلعها) هو ما يخرج من النخل كمنصل السيف (هضم) لين نضيج كانه قال ونخل قد اربط ثمره (وتنحتون) تنقبون (من الجبال بيوتافرهين) شامى وكوفي حاذقين حال وغيرهم فرهين أشرين والقراءة الكيس والنشاط (فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين) الكافرين أو التسعة الذين عقروا الناقة جعل الامر مطاعا على المجاز الحكيم والمراد الأمر وهو كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه في العقل لضرب من التأول كقولهم انبت الربيع البقل (الذين يفسدون في الارض) بالظلم والكفر (ولا يصلحون) بالايمان والعدل والمعنى أن فسادهم مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح (قالوا انما أنت من المسحرين) المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرثة وانه بشر (ما أنت الا بشر مثلنا فات يا آية ان كنت من الصادقين) في دعوى الرسالة (قال هذه ناقة لها شرب) نصيب من الماء فلا تراحوها فيه (ولكم شرب يوم معلوم) لا تراحمكم هي فيمروى انهم قالوا ان يدناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا جعل صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين واسأل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وتجت سقبا مثلها في العظم وصدرها ستون ذراعا واذا (٣٩٣) كان يوم شربها شربت ماءهم

كله واذا كان يوم شربهم لا تشرب فيه الماء وهذا دليل على جواز المهابة لان قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم من المهابة (ولا تمسوها بسوء) بضرب أو عقرا وغير ذلك (فياخذكم عذاب يوم عظيم) عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد (فعقروها) عقروها قدار ولكنهم راضون به فاضيف اليهم روى ان عاقرها قال لأعقروها حتى رضوا

الذي من العذاب (في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها) أي ثمرها الذي يطلع منها (هضم) قال ابن عباس لطيف وعنه يانع نضيج وقيل هو الين الرخو وقيل منه شم يتفتت اذا مس وقيل الهضم هو الذي دخل بعضه في بعض من النضج أو النعومة وقيل هو المدرك (وتنحتون من الجبال بيوتافرهين) وقري فارهين قيل الفاره الحاذق بنحتم والفره قال ابن عباس الاشر والبطر وقيل معناه متجبرين فرحين مجبين بضعكم (فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين) قال ابن عباس أي المشركين وقيل يعني التسعة الذين عقروا الناقة (الذين يفسدون في الارض) أي بالمعاصي (ولا يصلحون) أي لا يطيعون الله فيما أمرهم (قالوا انما أنت من المسحرين) أي من المسحورين المخدوعين وقال ابن عباس من المخلوقين المعالين بالطعام والشراب (ما أنت الا بشر مثلنا) والمعنى أنت بشر مثلنا ولست بملك (فات يا آية) يعني على صحة ما تقول (ان كنت من الصادقين) يعني انك رسول الينا (قال هذه ناقة لها شرب) أي حظ من الماء (ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء) أي بعقر (فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين) أي على عقروها الماروا والعذاب (فاخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك هو العزيز الرحيم) قوله عز وجل (كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا اتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين أتأتون الذكر ان من العالمين) يعني نكاح الرجال من بنى آدم (وتذرون ما خلق لكم من أنفسكم من أنفسكم) يعني أترك كون العضو المباح من النساء ويميلون الى ادبار الرجال (بل أتم قوم عادون) أي معتدون مجاوزون الحلال الى الحرام (قالوا ان لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين) أي من قريتنا (قال اني لعلمكم من

(٥٠ - خازن) - ثالث) أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم (فاصبحوا نادمين) على عقروها خوفا من نزول العذاب بهم لا تدم توبة أو ندموا حين لا ينفع الندم وذلك عند معاينة العذاب أو على ترك الولد (فاخذهم العذاب) المقدم ذكره (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك هو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا اتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين أتأتون الذكر ان من العالمين) أراد بالعالمين الناس أظنون الذكور من الناس مع كثرة الاناث أو أظنون انتم من بين من عدكم من العالمين الذكر ان أي أتم مختصون بهذه الفاحشة والعالمين على هذا كل ما ينكح من الحيوان (وتذرون ما خلق لكم من أنفسكم من أنفسكم) من تبين لما خلق أو تبعض والمراد بما خلق العضو المباح منهن وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم وفيه دليل تحريم ادبار الزوجات والمملوكات ومن أجازها فقد أخطأ خطأ عظيما (بل أتم قوم عادون) العادي المتعدى في ظلمه المتجاوز فيه الحد أي بل أتم قوم أحمق بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة (قالوا ان لم تنته يا لوط) عن انكارك علينا وتقبیح أمرنا (لتكونن من المخرجين) من جملة من اخرجناه من بين أظهرنا وطردهناه من بلدنا وعلماهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال (قال اني لعلمكم من العالمين) هو أبلغ أن يقول قال فتقولك فلان من العلماء أبلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد بانه مساهم لهم في العلم والقلي البغص يقلى الفؤاد والكبد وفيه دليل على عظم المعصية لان قلاه من حيث الدين

(رب نجني وأهلي مما يعملون) من عقوبة عملهم (فنجيناها وأهلها أجمعين) يعني بنانه ومن آمن معه (الاعجوزا) هي امرأة لوط وكانت راضية بذلك والراضي بالمعصية في حكم العاصي واستثناء الكافرة من الأهل وهم مؤمنون للاشتراك في هذا الاسم وإن لم تشاركهم في الإيمان (في الغابرين) صفة طأى في الباقيين في العذاب فلم تنج منه والغابري في اللغة الباقي كأنه قيل الاعجوزا غابرة أي مقدر اغبورها إذا الغبور لم يكن صفها وقت نجيتهم (ثم دمرنا الآخرين) والمراد بتدميرهم الاتفك بهم (وأمطرنا عليهم مطرا) عن قتادة أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم الله وقيل لم يرض بالاتفك حتى أتبعه مطر من حجارة (فساء) فاعله (مطر المنذرين) والنحو بالذم وهو مطرهم محذوف ولم يرد بالندب من قوم باعيتهم بل المراد جنس الكافرين (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك هو العزيز الرحيم كذب أصحاب الأيكة) بالهمزة والجر هي غيضة تنبت ناعم الشجر عن الخليل ليكة حجازي وشامي وكذا في ص علم لبلدة قيل أصحاب الأيكة هم أهل مدين التبو إلى غيضة إذا حلح عليهم الوهج والاصح أنهم غيرهم زلوا غيضة بعينها بالبادية وأكثر شجرهم المقل بدليل أنه لم يقل هنا أخوهم شعيب لأنه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب أهل مدين ففي الحديث إن شعيبا أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة (المرسلين) إذا قال لهم شعيب ألا تتقون أني لكم رسول أمين فاتقوا الله واطيعون وما أسئلكم عليه من أجر إن أجرى الأعلى رب العالمين أو قوا (الكيل) أيوه (ولا تكونوا من الخسرين) (٣٩٤) ولا تنقصوا الناس حقوقهم فالكيل واف وهو ما مور به وطفيف وهو

القالين أي من التاركين للبغضين (رب نجني وأهلي مما يعملون) أي من العمل الخبيث قال الله تعالى (فنجيناها وأهلها أجمعين الاعجوزا) أي امرأته (في الغابرين) أي بقيت في المهلكين (ثم دمرنا الآخرين) أي أهل كنانهم (وأمطرنا عليهم مطرا) يعني الكبريت والنار (فساء مطر المنذرين) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك هو العزيز الرحيم) قوله عز وجل (كذب أصحاب الأيكة المرسلين) أي الغيضة الملتفة من الشجر وقيل هو اسم البلد (إذا قال لهم شعيب) لم يقل لهم أخوهم لأنه لم يكن منهم وإنما كان من مدين وأرسل إليهم (ألا تتقون أني لكم رسول أمين فاتقوا الله واطيعون وما أسئلكم عليه من أجر إن أجرى الأعلى رب العالمين) إنما كانت دعوة هؤلاء الأنبياء فباحكي الله عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى الله وطاعته والاخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الأجر على تبليغ الرسالة (أو قوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين) أي الناقصين لحقوق الناس في الكيل والوزن (وزنوا بالقسطاس) أي بالميزان العدل (المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين) يعني الخليقة والامم المتقدمة (قالوا نعم أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كفنا) أي قطعنا (من السماء إن كنت من الصادقين قال ربني أعلم بما تعملون) أي من نقصان الكيل والوزن وهو مجاز يكم بأعمالكم وليس العذاب إلى وما على إلا الدعوة والتبليغ (وكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) وذلك أنهم أصابهم حر شديد فكانوا يدخلون الأسراب فيجدونها حرا من ذلك فيخرجون فآظمتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارافا حترقوا

منه عن وزائد وهو مكوت عنه فتركه دليل على أنه ان فعله فقد أحسن وإن لم يفعل فلا شيء عليه (وزنوا بالقسطاس المستقيم) ويكسر القاف كوفي غير أبي بكر وهي الميزان أو القبان فإن كان من القسط وهو العدل جعلت العين مكررة فوزنه فعلان والاف هو رباعي (ولا تبخسوا الناس) يقال بخسته حقه إذا نقصته إياه (أشياءهم) دراهمهم ودنانيرهم بقطع أطرافهما (ولا تعثوا في

الأرض مفسدين) ولا تبغوا فيها في الفساد نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك فهو عنه يقال عثا في الأرض لا إذا أفسد وعنى في الأرض لغة في عثا (واتقوا الله الذي خلقكم والجبلة) الجبلة عطف على كم أي اتقوا الذي خلقكم وخلق الجبلة (الأوليين) الماضين (قالوا نعم أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا) ادخال الواو هنا ليفيد معنيين كلاهما مناف الرسالة عندهم التسخير والبشرية وثر كها في قصة نود ليفيد معنى واحدا وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم (وإن نظنك لمن الكاذبين) إن مخففة من الثقيلة واللام دخلت للفرق بينها وبين النافية وإنما تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه لأن أصلهما ان تفرقا على المبتدأ والخبر كقولك إن زيد المنطلق فلما كان بابا كان وظننت من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين فقبل إن كان زيدا لمنطلقا وإن ظنته لمنطقا (فاسقط علينا كفنا) كسفا حقص وهما جمع كسفة وهي القطعة وكسفه قطعه (من السماء) أي السحاب أو الظلة إن كنت من الصادقين) أي إن كنت صادقا أنك نبي فادع الله أن يسقط علينا كسفا من السماء أي قطعا من السماء عقوبة (قال ربني) بفتح الياء حجازي وأبو عمرو وبكونها غيرهم (أعلم بما تعملون) أي إن الله أعلم بأعمالكم وبما تستحقون عليها من العذاب فإن أراد أن يعاقبكم بأسقاط كسف من السماء فعل وإن أراد عقابا آخر فإليه الحكم والمشيئة (فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة) هي سحابة أظلمت بعد ما حبست عنهم الريح وعذبوا بالحر سبعة أيام فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر فأمطرت عليهم نارافا حترقوا (إنه كان عذاب يوم عظيم

جميعا

ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لطو العزيز الرحيم) وقد كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر تقريرا
 لمعانيها في الصدور ليكون أبلغ في الوعظ والزجولان كل قصة منها كتزليل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت جديرة بان
 تفتح بما افتتحت به صاحبها وان تختتم بما اختتمت به (وانه) أي القرآن (لتزليل رب العالمين) منزل منه (نزل به) مخفف والفاعل
 (الروح الامين) أي جبريل لانه أمين على الوحي الذي فيه الحياة حجازي وأبو عمرو ويزيد وحفص وغيرهم بالتشديد ونصب الروح
 والفاعل هو الله تعالى أي جعل الله الروح نازلا به والباء على القراءتين للتعدية (على قلبك) أي حفظك وفهمك اياه وأثبتته في قلبك
 اثبات ما لا ينسى كقوله سنقرئك فلا تنسى (لتكون من المنذرين بلسان عربي) بلغة قريش وجرهم (مبين) فصيح ومصحح عما
 صحفته العامة والباء اما ان يتعلق بالمنذرين أي لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم هو ودو صالح وشعيب واسماعيل عليهم السلام
 أو ينزل أي نزل بلسان عربي لتندر به لانه لو نزل بلسان أعجمي لتجافوا عنه أصلا ولقالوا ما نضع بما

(٣٩٥)

أعجمي لتجافوا

لا تفهمه فيتعذر الانذار
 به وفي هذا الوجه ان تزليله
 بالعربية التي هي لسانك
 ولسان قومك تزليل له
 على قلبك لانك تفهمه
 وتفهمه قومك ولو كان
 أعجميا لكان نازلا على
 سمعك دون قلبك لانك
 تسمع أجراس حروف
 لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد
 يكون الرجل عارفا بعدة
 لغات فاذا كالم بلغته التي
 نشأ عليها لم يمكن قلبه
 ناظرا الا الى معاني
 الكلام وان كالم بغيرها
 كان نظرها اولافى ألفاظها
 ثم في معانيها وان كان
 ماهرا بعرفتها فهذا تقرير
 انه نزل على قلبه لتزوله

جميعا (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لطو العزيز الرحيم) وقد تقدم الكلام على هذه
 القصص في سورة الاعراف وهو دفاغنى عن الاعداد هنا والله أعلم بمراده ﴿ قوله عز وجل (وانه) يعني
 القرآن (لتزليل رب العالمين) يعني ان فيه من أخبار الامم الماضية ما يدل على أنه من رب العالمين (نزل به
 الروح الامين) يعني جبريل عليه السلام سماه روحا لانه خلق من الروح وسماه آمينا لانه مؤتمن على وحيه
 لانبيائه (على قلبك) يعني على قلبك حتى تعينه وتفهمه ولا تنساه وانما خص القلب لانه هو المخاطب في
 الحقيقة وانه موضع التمييز والعقل والاختيار وسائر الاعضاء مسخرة له ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
 الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب اخرجاه في
 الصحيحين ومن المعقول ان موضع الفرح والسرور والنم والحزن هو القلب فاذا فرح القلب أو حزن بتغير
 حال سائر الاعضاء فكان القلب كالرئيس لها ومنه ان موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين فاذا
 ثبت ذلك كان القلب هو الامير المطلق وهو المكلف لان التكليف مشروط بالعقل والفهم ﴿ وقوله تعالى
 (لتكون من المنذرين) أي المخوفين (بلسان عربي مبين) قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه
 (وانه) يعني القرآن وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته (لنفي زبر الاولين) أي كتب الاولين
 (أولم يكن لهم آية) يعني أولم يكن لهم آية المتكبرين علامة ودلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (ان يعلمه)
 يعني يعلم محمد صلى الله عليه وسلم (علموا بني اسرائيل) قال ابن عباس بعث أهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة
 يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا زمانه وانا نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على
 صدقه صلى الله عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد وأسيد ﴿ قوله تعالى (ولو
 نزلناه) يعني القرآن (على بعض الاعجميين) جمع أعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وان كان
 عربيا في النسب ومعنى الآية لو أنزلنا القرآن على رجل ليس بعربي لسان (فقرأه عليهم) يعني القرآن

بلسان عربي مبين (وانه) وان القرآن (لنفي زبر الاولين) يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وفيه دليل على
 ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية فيكون دليلا على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة (أولم تكن لهم آية) شامى جعلت آية
 اسم كان وخبره (ان يعلمه) أي القرآن لوجود ذكره في التوراة وقيل في يكن ضمير القصة وآية خبر مقدم والمبتدأ ان يعلمه والجملة خبر كان
 وقيل كان نامة والفاعل آية وان يعلمه بدل منها وخبر مبتدأ محذوف أي أولم تحصل لهم آية وغيره يكن بالتدكير وآية بالنصب على انها خبره وان
 يعلمه هو الاسم وتقديره أولم يكن لهم علم علماء بني اسرائيل آية (علموا بني اسرائيل) كعبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم
 قالوا آمنابه انه الحق من ربنا انما كنا من قبله مسلمين وخط في المصحف علموا بنو اوقيل الالف (ولو نزلناه على بعض الاعجميين) جمع أعجم
 وهو الذي لا يفصح وكذلك الأعجمي الا ان فيه لزيادة بياء النسبة زيادة تأكيد ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا
 له أعجمي وأعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين والجمع الذي من جنس العجم أفصح أولم يفصح وقرأ الحسن الاعجميين وقيل الاعجميين
 تخفيف الاعجميين كما قالوا الا شعرون أي الا شعرون بون محذوف بياء النسبة ولولا هذا التقدير لم يجز ان يجمع جمع السلامة لان مؤثته عجماء
 لا فقد أه علمه

ما كانوا به مؤمنين) والمعنى انا انزلنا القرآن على رجل عربي مبين ففهموه وعرفوا فصاحته وانه مجز وانضم الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتاب قبله على ان البشارة بانزاله وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه ووصح بذلك انها من عند الله وليست بأساطير كازعموا فلم يؤمنوا به وسموه شعرا تارة وسحرا أخرى وقالوا هذا من افراء محمد عليه الصلاة والسلام ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا أن يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا أمجزا الكفر وابه كما كفروا وتعملوا الجحودهم عن ذراول سموه سحرا ثم قال (كذلك سلكتنا) أي أدخلنا التكذيب أو الكفر وهو مدلول قوله ما كانوا به مؤمنين (في قلوب المجرمين) الكافرين الذين علمنا منهم اختيارا الكفر والاصرار عليه يعني مثل هذا السلك سلكتنا في قلوبهم وقررتنا فيها فكيفما فعل بهم وعلى أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل الى أن يتغيروا عما هم عليه من الكفر به والتكذيب له كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فامسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاسحراميين وهو حجتنا على المعتزلة في خلق أفعال العباد خيرا وشرا وموقع قوله (لا يؤمنون به) بالقرآن من قوله سلكتنا في قلوب المجرمين موقع الموضوع والملاحظ لانه مسوق لثبات كونه مكذبا بجحود افي قلوبهم فاتباع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن يكون حالا أي سلكتنا فيها غير مؤمن به (حتى يروا العذاب الاليم) المراد معاينة الموت عند الموت ويكون ذلك ايمان يأس فلا ينفعهم (فيأتيهم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بآتيانه (فيقولوا) وفيأتيهم معطوفان على يروا (هل نحن منظرون) يسألون النظرة والامهال طرفة عين (٣٩٦) فلا يجابون اليها (أفبعذابنا يستعجلون) تو بيج لهم وانكار عليهم قولهم فاطر

(ما كانوا به مؤمنين) أي لقالوا لانفقة قولك وقيل معناه لما آمنوا به أنفة من اتباع من ليس من العرب (كذلك سلكتنا) قال ابن عباس يعني أدخلنا الشرك والتكذيب (في قلوب المجرمين لا يؤمنون به) أي القرآن (حتى يروا العذاب الاليم) فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون) أي لنؤمن ونصدق وتمنوا الرجعة ولا رجعة لهم (أفبعذابنا يستعجلون) قيل لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب فانزل الله أفبعذابنا يستعجلون (أفأريت ان متعناهم سنين) أي كفار مكة في الدنيا ولم يهلكهم (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) يعني العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) أي في تلك السنين الكثيرة والمعنى انهم وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا أتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيئا ويكونوا كأنهم لم يكونوا في نعيم قط (وما أهلكنا من قرية الا الهامندرون) أي رسل ينذرونهم (ذكرى) أي تذكرة (وما كنا ظالمين) أي في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم (وما ننزل به الشياطين) يعني ان المشركين كانوا يقولون ان الشياطين يلقون القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم ذلك (وما ينبئ لهم) أن ينزلوا بالقرآن (وما يستطيعون) أي ذلك ثم انه تعالى ذكر سبب ذلك فقال (انهم عن السمع لم عزولون) أي محجوبون بالرعي بالشهب فلا يصلون الى استراق السمع (فلا تدع مع الله

علينا سجارة من السماء أو اتقنا عذاب اليم ونحو ذلك قال يحيى بن معاذ أشد الناس غفلة من اغتر بحياته والتدبير اذاته وسكن الى ما لوفاته والله تعالى يقول (أفأريت ان متعناهم سنين) قيل هي سنوودة الدنيا (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) به في تلك السنين والمعنى ان استعجالهم

بالعذاب انما كان لا اعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم يمتعون باعمار طوال في سلامة وأمن فقال الله تعالى أفبعذابنا يستعجلون أمرا او بطرا واستهزاء وانكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يمتقدون من تمتعهم وتعبيرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معاشهم وعن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظمي فلم يزد على تلاوة هذه الآية فقال ميمون قد وعظت فابلغت وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقرؤها عند جلوسه للحكم (وما أهلكنا من قرية الا الهامندرون) رسل ينذرونهم ولم تدخل الواو على الجملة بعد الا كما في وما أهلكنا من قرية الا وطأ كتاب معلوم لان الاصل عدم الواو اذا الجملة صفة لقرية واذا زيدت قلنا كيد وصل الصفة بلوصوف (ذكرى) منصوبة بمعنى تذكرة لان أنذروا ذكرا متقاربان فكانه قيل منه كرون تذكرة أو حال من الضمير في مندرون أي ينذرونهم ذوى تذكرة أو مفعول له أي ينذرون لاجل التذكرة والموعظة أو مرفوعة على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى مندرون ذوى ذكرى أو تكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين الا بعد ما ألزمناهم الحجية بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلا كهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم (وما كنا ظالمين) فهالك قوما غير ظالمين ولما قال المشركون ان الشياطين تلقى القرآن على محمد أنزل (وما ننزل به) أي القرآن (الشياطين وما ينبئ لهم وما يستطيعون) وما يتسهل لهم ولا يقدرون عليه (انهم عن السمع لم عزولون) لم يمتنعوا بالشهب (فلا تدع مع الله

الها آخر فتكون من المعذبين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لانه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق على ولواتخذت الها غيرى لعذبتك ﴿ قوله تعالى (واتذر عشيرتك الاقربين) روى محمد بن اسحق بسنده عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا علي ان الله امرني ان اأندر عشيرتي الاقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت اني متى اباديهم بهذا الامر ارى منهم ما أكره فصمت عليها حتى جاءني جبريل فقال يا محمد ان لا تفعل ما تؤمر به عذبتك بك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا عليه رجلا شاة واملا لنا عسا من لبن ثم اجعل لي بنى عبد المطلب حتى ابلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وكان يومئذ نحو أربعين رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه ابو طالب وحزرة والعباس وأبو طهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت فحنت به فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها باسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فاكل القوم حتى ما لهم بشئ من حاجة وايم الله ان كان الرجل الواحد ليا كل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فحنتهم بذلك العس فشر بواحتي رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد يشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره أبو طهب فقال سحركم صاحبكم فتنفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغديا على فان هذا الرجل قد سبقني الى ما سمعت من القول فتنفرق القوم قبل ان أكلمهم فاعدتلك من الطعام مثل ما صنعت ثم اجعهم ففعلت ثم جعته ثم دعاني بالطعام فقر به ففعل كما فعل بالامس فاكوا وشر بواثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بنى عبد المطلب اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله عز وجل ان ادعوكم اليه فايكم يوزرني على امرى هذا ويكون أخي ووصي وخليفتي فيكم فاجم القوم عنها جميعا وأنا أحد منهم سنا فقلت أنا يا رسول الله اكون وزيرك عليه فاخذ برقبتي ثم قال هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد أمرك ان تسمع لعلي وتطيعه (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت وأندر عشيرتك الاقربين بين سعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بنى فهر يا بنى عدى لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الذي لم يستطع ان يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو جفاء أبو طهب وقريش فقال أرايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم أكنتم مصدقيا لو اماجر بنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو طهب تبالك سائر اليوم ألهذا جعنا فنزلت تب يد ابي طهب وب ما أغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية قد تب وفي رواية للبخاري لما نزلت وأندر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فتهتف يا صباحاه فقالوا من هذا واجتمعوا اليه وذكر نحوه (ق) عن ابي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله تعالى وأندر عشيرتك الاقربين قال يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا يا صفية عمه رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت من مالي لا أغنى عنك من الله شيئا (م) عن قبيصة بنت مخارق وزهير بن عمرو قال لما نزلت وأندر عشيرتك الاقربين انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى روضة جبل فعلا أعلاها حجر اثم نادى يا بنى عبد مناف اني نذير لكم انما مثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشى ان يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه ومعنى الآية ان الانسان اذا بدأ بنفسه أولا وبالاقرب فالاقرب من أهله ثانيا لم يكن لاحد عليه طعن البتة وكان قوله أنفع وكلامه أنجع (وأخض) أي ألن (جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) فان قلت ما معنى التبعض في قوله من المؤمنين قلت معناه لمن اتبعك من المؤمنين الصادقين بقلوبهم وألسنتهم دون المؤمنين بالسنتهم وهم المنافقون (فان عصوك

الها آخر فتكون من
المعذبين) مورد النبي لغيره
على التعريض والتحريك
له على زيادة الاخلاص
(وأندر عشيرتك الاقربين)
خصهم لنفي التهمة اذ
الانسان يساهل قرابته أو
ليعلموا أنه لا يغنى عنهم من
الله شيئا وان النجاة في اتباعه
دون قرابه ولما نزلت سعد
الصفا ونادى الاقرب
فالاقرب وقال يا بنى عبد
المطلب يا بنى هاشم يا بنى
عبد مناف يا عباس عم النبي
يا صفية عمه رسول الله اني
لا أمالك لكم من الله شيئا
(وأخض جناحك)
والن جانبك وتواضع
وأصله ان الطائر اذا أراد ان
يتخطى للوقوف كسر جناحه
وخفضه واذا أراد ان ينهض
للطيران رفع جناحه فجعل
خفض جناحه عند الانحطاط
مشلا في التواضع ولين
الجانب (لمن اتبعك من
المؤمنين) من عشيرتك
وغيرهم (فان عصوك

فقل انى برى مما تعملون) يعنى انذر قومك فان اتبعوك وأطاعوك فاخفض جناحك لهم وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره وتوكل على العزيز الرحيم على الذى يقهر أعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تقوى يض الرجل أمره الى من يملك أمره و يقدر على نفعه وضره وقالوا التوكل من اذاهم أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله وقل الجنيد رضى الله عنه التوكل ان تقبل بالكلية عماد ونه فان حاجتك اليه فى الدارين فتوكل مدنى وشامى عطف على فقل أو فلا تدع (الذى يراك حين تقوم) متهجدا (وتقلبك) أى ويرى تقلبك (فى الساجدين) فى المصلين اتبع كونه رحبا على رسوله ما هو من أسباب الرحمة وهو ذكرا ما كان يفعله فى جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه فى تصفح أحوال المتجهدين من أصحابه ليطمع عليهم من حيث لا يشعرون ويا علم انهم كيف يعبدون الله ويعملون لآخرتهم وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه فى الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا أمهم وعن مقاتل انه سأل أبا حنيفة هل تجد الصلاة بالجماعة فى القرآن فقال لا يحضر فى قتاله هذه الآية (انه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما شئ به وتعمله هون عليه معانات مشاق العبادات حيث أخبر برؤيته له اذا لامسقة على من يعلم انه يعمل بما رأى مولاه (٣٩٨) وهو كقوله يعنى ما يتحمل المتحملون من أجله ونزل جوابا لقول المشركين

أى فيما تأمرهم به (فقل انى برى مما تعملون) أى من الكفر والمخالفة (وتوكل على العزيز الرحيم) التوكل عبارة عن تقوى يض الرجل أمره الى من يملك أمره و يقدر على نفعه وضره وهو الله تعالى العزيز الذى يقهر أعداءك بعزته الرحيم الذى ينصرك عليهم برحمته (الذى يراك حين تقوم) الى صلاتك وقيل يراك أينما كنت وقيل يراك حين تقوم لدعائك (وتقلبك فى الساجدين) قال ابن عباس ويرى تقلبك فى صلاتك فى حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وقيل مع المصلين فى الجماعة يقول يراك اذا صابت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يرى تقلب بصرك فى المصلين فانه كان صلى الله عليه وسلم يبصر من خلفه كما يبصر من قدمه عن أنى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلى ههنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم انى لأراكم من وراء ظهري وقيل معناه يرى تصرفك وذهابك ومجيئك فى أصحابك المؤمنين وقيل تصرفك فى أحوالك كما كانت الانبياء من قبلك وقال ابن عباس أراد وتقلبك فى أصلاب الانبياء من نبى الى نبى حتى اخرجك فى هذه الامة (انه هو السميع) أى لقولك ودعائك (العليم) أى بنيتك وعملك (قل) يا محمد (هل انبئكم) أى اخبركم (على من تنزل الشياطين) هذا جواب لقولهم ينزل عليه شيطان ثم بين على من تنزل الشياطين فقال تعالى (تنزل على كل افاك) أى كذاب (أبهم) أى فاجروهم الكهنة وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يلقون ذلك الى أوليائهم من الانس وهو قوله تعالى (يلقون السمع) أى ما يسمعون من الملائكة فيلقونه الى الكهنة (وأكثرهم كاذبون) لانهم يخلطون به كذبا كثيرا (والشعراء يتبعهم الغاؤون) قال أهل التفسير أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون النبى صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبير السهمى وهبيرة بن أبى وهب المخزومى ومسافع بن عبد مناف وأبو عمر بن عبد الله الجمحى وأميمة بن أبى الصلت

ان الشياطين تلقى السمع على محمد صلى الله عليه وسلم (هل أنبئكم) أى هل أخبركم أبها المشركون (على من تنزل الشياطين) ثم نبأ فقال (تنزل على كل افاك أبهم) من تكب للإتنام وهم الكهنة والمنبئة كسطيح وطلبيحة ومسيلمة ومحمد صلى الله عليه وسلم يشتم الافاكين وبندهم فكيف تنزل الشياطين عليه (يلقون السمع) هم الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يستمعون الى الملائكة الاعلى فيحفظون بعض

ما يتكلمون به مما اطاعوا عليه من القيوب ثم يوحون به الى أوليائهم ويلقون حال أى تنزل ملقين السمع أوصفة لكل افاك لانه فى معنى الجمع فيكون فى محض الجزاء أو استئناف فلا يكون له محل كأنه قيل لم تنزل على الافاكين فليلقون كيت وكيت (وأكثرهم كاذبون) فيما يوحون به اليهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى أوليائهم السمع أى المسموع من الملائكة قيل والافاكين يلقون السمع الى الشياطين ويلقون وحيم اليهم أو يلقون المسموع من الشياطين الى الناس وأكثرا الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والافاك الذى يكثر الافاك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافاك فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وأكثروهم مفرغ عليه وعن الحسن وكلهم وانما فرق بين وانما لتزليل رب العالمين وانما تنزلت به الشياطين هل أنبئكم على من تنزل الشياطين وهن أخوات لانه اذا فرق بينهن بآيات ليست منهن ثم رجع اليهن مرة بعد مرة دل ذلك على شدة العناية بهن كما اذا حدثت حديثا فى صدرك اهتمام بشئ فتعيد ذكره ولا تنفك عن الرجوع اليه ونزل فيمن كان يقول الشعر ويقول نحن نقول كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم واتبعهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم (والشعراء) مبيد أخبره (يتبعهم الغاؤون) أى لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم الا الغاؤون أى السفهاء أو الراؤون أو الشياطين أو المشركون قال الزجاج اذا مدح أو هجا شاعر بما لا يكون وأحسب ذلك قوم ونابعوه فهم الغاؤون يتبعهم نافع

الثقى

الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم
يسمعون أشعارهم حين يهجون محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا يروون عنهم قولهم فذلك قوله
يتبعهم الغاوون فهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين وقيل الغاوون هم الشياطين وقيل هم السفهاء
الضالون وفي رواية أن رجلين أحدهما من الأنصار مهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع كل
واحد غواة من قومه وهم السفهاء فنزلت هذه الآية (ألم تر أنهم في كل واد من أودية الكلام (يهيمون)
يعني حائر بن وعن طريق الحق حائدين والهاثم الذاهب على وجهه لا مقصده وقال ابن عباس في كل لغو
يخوضون وقيل بمدحون بالباطل ويهجون بالباطل وقيل أنهم بمدحون الشيء ثم يذمونهم لا يطلبون الحق
والصدق فالوادي مثل لفنون الكلام والغوص في المعاني والقوافي (وانهم يقولون ما لا يفعلون) أي أنهم
يكذبون في شعرهم وقيل أنهم بمدحون الجود والكرم ويحتنون عليه وهم لا يفعلونه ويذمون البخل
ويصرون عليه ويهجون الناس بأدنى شيء صدر منهم (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لأن يمتلي جوف أحدكم فيحاحتي ربه خير له من أن يمتلي شعرا ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا
يحتنون شعرا الكفار ويهجون وينافون عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه منهم حسان بن ثابت
وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال تعالى (الالذين آمنوا وعملوا الصالحات) روى أن كعب بن مالك
قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله أنزل في الشعر ما أنزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المؤمن
يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكان ما تزومونهم به نضح النبل * عن أنس بن مالك رضي الله
عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول

خلا بني الكفار عن سبيله * اليوم نصر بكم على تغزيله

ضربا يزيد الهام عن مقلبه * ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل أخرجه الترمذي والنسائي وقال الترمذي
وقد روى في غير هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه
وهذا أصح عند بعض أهل الحديث لأن عبد الله بن رواحة قتل يوم مؤتة وكانت عمرة القضاء به ذلك قلت
الصحيح هو الأول لأن عمرة القضاء كانت سنة سبع ويوم مؤتة سنة ثمان والله أعلم (ق) عن البراء أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة لحسان أهج المشركين فإن جبريل معك (خ) عن عائشة
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع حسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخ عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح
أوفاخ عن رسول الله (م) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أهجوا قریشاً فإنه أشد عليهم
من رشق النبل فإرسى إلى ابن رواحة فقال أهجهم فهجاهم فلم يرض فأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل
إلى حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم ادلع
لسانه فجعل يحركه فقال والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فرى الأديم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجمل
فإن أبا بكر أعلم قریش بأنسابها وإن لي فيهم نسباً حتى ياخص لك نسبي فأناه حسان ثم رجع فقال يا رسول
الله قد خص لي نسبك والذي بعثك بالحق نبياً لاسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما ناخنت عن الله ورسوله قالت
وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشتي واشتقي فقال حسان

هجوت محمداً فأجبت عنه * وعند الله في ذلك الجزاء * هجوت محمداً براقتيا

(ألم تر أنهم في كل واد من
الكلام (يهيمون) خبر
أن أي في كل فن من
الكذب يتحدثون أو في
كل لغو باطل يخوضون
والهاثم الذاهب على
وجهه لا مقصده وهو
تمثيل لذهابهم في كل شعب
من القول واعتسافهم حتى
يفضلوا أجبن الناس على
عنقرة وأبخلهم على حاتم
عن الفرزدق أن سليمان
بن عبد الملك سمع قوله
فبتن بجاني مصرعات *
وبت أفض أغلاق الختام
فقال وجب عليك الحد
فقال قد درأ الله عن الحد
بقوله (وانهم يقولون ما لا
يفعلون) حيث وصفهم
بالكذب والخلف في الوعد
ثم استثنى الشعراء
المؤمنين الصالحين بقوله
(الالذين آمنوا وعملوا
الصالحات) كعبد الله بن
رواحه وحسان بن ثابت
وكعب بن زهير وكعب بن
مالك رضي الله عنهم

(وذكروا الله كثيرا) أي كان ذكر الله وتلاوة القرآن أغلب عليهم من الشعر واذ قالوا شعرنا قالوه في توحيد الله تعالى والثناء عليه والحكمة
 والموعظة والزهد والادب ومدح رسول الله والصحابة وصلحاء الامة ونحو ذلك، ما ليس فيه ذنب وقال أبو يزيد بدالذ كرا الكثير ليس بالعدد
 والغفلة لكنه بالحضور (واتصروا) وهجوا (من بعد ما ظلموا) هجوا أي ردوا هجاء من هجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين
 وأحق الخلق بالهجاء من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاء وعن كعب بن مالك ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قاله
 اهجم فوالذي نفسي
 بيده هو أشد عليهم من
 النبل وكان يقول لحسان
 قل وروح القدس معك
 وختم السورة بما يقطع
 أ كباد التدبيرين وهو
 قوله (وسيعلم) وما فيه
 من الوعيد البليغ وقوله
 (الذين ظلموا) وإطلاق
 وقوله (أي منقلب ينقلبون)
 وإبهامه وقد تلاها أبو بكر
 لعمر رضي الله تعالى عنه
 حين عهد اليه وكان السلف
 يتواظفون بها قال ابن
 عطاء سيعلم المعرض عنا
 ما الذي فاتنا وما أي منصوب
 ينقلبون على المصدر
 لا يعلم لان أسماء الاستفهام
 لا يعمل فيها ما قبلها أي
 ينقلبون أي الانقلاب
 سورة النمل مكية وهي
 ثلاث وتسعون آية
 بسم الله الرحمن الرحيم
 طس تلك آيات القرآن
 وكتاب مبین) أي وآيات
 كتاب مبین وتلك إشارة
 الى آيات السورة والكتاب
 المبین اللوح وآياته انه قد خط
 فيه كل ما هو كائن فهو بين

رسول الله شيمته الوفاء * فان أبي ووالدتي وعرضي * لعرض محمد منكم وفاء
 تكنت بنتي ان لم تزوها * تثير النقع من طرفي كداء * يبارين الاعنة مصعدات
 على أكتافها الاسل الظماء * تظل جياتنا تمطرنا * تلطمهن بالخر النساء
 فان أعرضتم عنا عتمنا * وكان الفتح وانكشف الغطاء * والافاصبر والضراب يوم
 يعز الله فيه من يشاء * وقال الله قد أرسلت عبدا * يقول الحق ليس به خفاء
 وقال الله قد سيرت جندا * هم الانصار عرضها اللقاء * لنا في كل يوم من معد
 سباب أو قتال أو هجاء * فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء
 وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له كفاء

فصل في مدح الشعر (خ) عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر
 لحكمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال
 ان من البيان سحر وان من الشعر حكمة أخرجه أبو داود (م) عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال ردت
 وراء النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شي قلت نعم قال هيه فأنشدته
 بيتا فقال هيه ثم أنشدته بيتا قال هيه حتى أنشدته مائة بيت زاد في رواية لقد كاد يسلم في شعره عن جابر بن
 سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون
 أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت ور بما تبسم معهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقالت
 عائشة الشعر كلام فنه حسن ومنه قبيح فقدمه الحسن ودع منه القبيح وقال الشعبي كان أبو بكر يقول
 الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي أشعر منهما وروى عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر ويستنشده
 في المسجد فيروى أنه دعا عمر بن ربيعة المخزومي فاستنشده القصيدة التي قالها فقال

أمن آل نعي أنت غاد فبكر * غداة غدام راع فهجرت
 فأنشده القصيدة الى آخرها وهي قريب من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها
 بمره واحدة قوله تعالى (وذكروا الله كثيرا) أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله (واتصروا من بعد
 ما ظلموا) أي اتصروا من المشركين لانهم بدوا بالهجاء ثم أوعده شعراء المشركين فقال تعالى (وسيعلم
 الذين ظلموا) أي أشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الطاهر المطهر من الهجاء (أي منقلب
 ينقلبون) أي مرجع يرجعون اليه بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم وبئس المصير والله أعلم بمراده
 وأسرار كتابه

تفسير سورة النمل وهي ٢ مائتان وثلاثون وست آيات وألف وثلثمائة وسبع
 عشرة كلمة وأربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفا
 بسم الله الرحمن الرحيم
 قوله عز وجل (طس تلك آيات القرآن) أي هذه آيات القرآن (وكتاب مبین) أي وآيات كتاب مبین

لناظرين فيه آياته أو القرآن وآياته انه يبين ما أودع فيه من العلوم والحكم وعلى هذا عطفه على القرآن كعطف احدي هدى
 الصفتين على الاخرى نحو هذا فعل السخى والحواد ونكر الكتاب ليكون أنعم له وقيل انما نكر الكتاب هنا وعرفه في الخبر وعرف
 القرآن هنا ونكره ثم لان القرآن والكتاب اسمان علما للمتل على محمد عليه الصلاة والسلام ووصفان له لانه يقرأ ويكتب حيث جاء بلفظ
 التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف
 قوله وهي مائتان الح كذا بالاصول التي بأيدنا وهو مخالف لما في الكشاف والخطيب والنسفي اه

(هدى و بشرى) في محل نصب على الحال من آيات أي هداية و بشارة فالعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة أو الجرح على أنه بدل من كتاب أو صفته أو الرفع على هي هدى و بشرى أو على البدل من آيات أو على أن يكون خبرا بعد خبر تلك أي تلك آيات و هداية من الضلالة و مبشرة بالجنة و قيل هدى لجميع الخلق و بشرى (للمؤمنين) خاصة (الذين يقيمون الصلاة) يديعون على فرائضها و سنها (و يؤتون الزكاة) يؤدون زكاة أموالهم (وهم بالآخرة هم يوقنون) من جملة صلة الموصول و يحتمل أن تتم الصلاة عنده و هو استئناف كأنه قيل و هؤلاء الذين يؤمنون و يعملون الصالحات من إقامة الصلاة و آيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة و يدل عليه أنه عقد جملة اسمية و كرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها و ما يوقن بالآخرة حق الايقان الأهولاء الجامعون بين الإيمان و العمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زيناهم أعمالهم) بخلق الشهوة حتى رأوا ذلك حسنا كما قال أغن زين له سوء عمله فرآه حسنا (فهم يعمهون) يترددون في ضلالتهم كما يكون حال الضال عن الطريق (أولئك الذين لهم سوء العذاب) القتل و الاسر يوم بدر بما كان منهم من سوء الأعمال (وهم في الآخرة هم الاخسرون) أشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا بالشهداء (٤٠١) على جميع الامم خسرنا واذلك مع

خسران الصلوات و ثواب الله (وانك لتلقى القرآن) لتؤتاه و تلقنه (من لدن حكيم عليم) من عند أي حكيم و أي عليم و هذا معنى تنكيرها رهذه الآية بساط و تمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الاقاصيص و ما في ذلك من لطائف حكمته و دقائق علمه (اذ) منصوب باذ كر كأنه قال على أثر ذلك خذ من آثار حكمته و علمه قصة موسى عليه السلام (قال موسى لأهله) لزوجه و من معه عند مسيره من مدين الى مصر (امكثوا اني آنت) أبصرت (نارا ساآتكم منها نجبر) أي

(هدى و بشرى للمؤمنين) أي هو هدى من الضلالة و بشرى لهم بالجنة (الذين يقيمون الصلاة) أي الخس بشرانها (و يؤتون الزكاة) اذا وجبت عليهم طيبة بها أنفسهم (وهم بالآخرة هم يوقنون) يعني ان هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زيناهم أعمالهم) أي القبيحة حتى رأوها حسنة و قيل ان التزيين هو ان يخلق الله العلم في القلب بما فيه المنافع و اللذات و لا يخلق العلم بما فيه المضار و الآفات (فهم يعمهون) أي يترددون فيها متحيرين (أولئك الذين لهم سوء العذاب) أي أشده و هو القتل و الاسر (وهم في الآخرة هم الاخسرون) أي انهم خسروا أنفسهم و أهلهم و ساروا الى النار ﴿قوله تعالى (وانك لتلقى القرآن) أي تؤتاه و تلقنه و حيا (من لدن حكيم عليم) أي حكيم عليم بما أنزل اليك فان قلت ما الفرق بين الحكمة و العلم قلت الحكمة هي العلم بالامور العلمية فقط و العلم أعم منه لان العلم قد يكون ٧ علم و قد يكون نظرا و العلوم النظرية أشرف (اذ قال) أي واذ كر يا محمد اذ قال (موسى لأهله) أي في مسيره بأهله من مدين الى مصر (اني آنت) أي أبصرت (نارا ساآتكم منها نجبر) أي امكثوا مكانكم ساآتكم نجبر عن الطريق و قد كان ضل عن الطريق (أو آتكم بشهاب قبس) الشهاب شعلة النار و القبس النار المقبوسة منها و قيل القبس هو العود الذي في أحد طرفيه نار (لعلكم تصطلون) أي تستدفئون من البرد و كان في شدة الشتاء (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار) أي بورك على من في النار و قيل البركة راجعة الى موسى و الملائكة و المعنى من في طلب النار و هو موسى (ومن حولها) وهم الملائكة الذين حول النار و هذه تحية من الله عز و جل لموسى بالبركة و قيل المراد من النار النور ذ كر بلفظ النار لان موسى حسب نار و من في النار هم الملائكة و ذلك ان النور الذي رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح و التقديس و من حولها موسى لانه كان بالقرب منها و قيل البركة راجعة الى النار قال ابن عباس معناه بوركك النار و المعنى بورك من في النار و من حولها وهم الملائكة و موسى و روى عن ابن

(٥١ - (خازن) - ثالث)

حال الطريق لانه كان قد ضله (أو آتكم بشهاب) بالثنوين كوفي أي شعلة مضيئة (قبس) نار مقبوسة بدل أو صفة و غيرهم بشهاب قبس على الاضافة لانه يكون قبسا و غير قبس و لا تدافع بين قوله آتكم هنا و لعل آتكم في القصص مع ان أحد هاتين و الآخر يتقن لان الراجح اذا قوي رجاؤه يقول سأفعل كذا و يكون كذا مع تجوز الخيبة و محيية بسين التسوية عدة لأهله انه يأتهم به و ان أبطأ أو كانت المسافة بعيدة و بأولانه بني الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعد و واحدة منهما ما هداية الطريق و اما اقتباس النار و لم يدركه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين و هما عز الدنيا و الآخرة و اختلاف الالفاظ في هاتين السورتين و القصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى و جواز النكاح بغير لفظ التزوج (لعلكم تصطلون) تستدفئون بالنار من البرد الذي أصابكم و الطاء بدل من تاء افتعل لأجل الصاد (فلما جاءها) أي النار التي أبصرها (نودي) موسى (أن بورك) مخففة من الثقيلة و تقديره نودي بأنه بورك و الضمير ضمير الشأن و جاز ذلك من غير عوض و ان منعه الزمخشري لان قوله بورك دعاء و الدعاء يخاف غيره في أحكام كثيرة أو مفسرة لان في النداء معنى القول أي قيل له بورك أي قدس أو جعل فيه البركة و الخير (من في النار و من حولها) أي بورك من في مكان النار و هم الملائكة و من حول مكانها أي موسى لحدوث أمر ديني فيها و هو تكليم الله موسى و استنباؤه و اظهار المعجزات عليه

(وسبحان الله العالمين) هو من جملة ما نودي فقد نزه ذاته عما لا يليق به من التشبيه وغيره (ياموسى انه انا الله العزيز الحكيم) الضمير في انه اللسان والشأن انا الله مبتدأ وخبر والعزير الحكيم صفتان للخبر او يرجع الى ما دل عليه ما قبله أى ان مكالمة انا والله بيان لانا والعزير الحكيم صفتان للمبين وهو تمهيد لما اراد الله ان يظهر على يده من المعجزات (والقى عصاك) لتعلم معجزتك فتانس بها وهو عطف على بورك لان المعنى نودي ان بورك (٤٠٢) من في النار وان القى عصاك كلاما تفسيرا لنودي والمعنى قيل له بورك

من في النار وقيل له القى عصاك وبدل عليه ما ذكر في سورة القصص وان القى عصاك بعد قوله ان ياموسى انا انا الله على تكبر حرف التفسير (فلما رآها تهتز) تتحرك حال من الهاء في رآها (كأنها جان) حية صغيرة حال من الضمير في تهتز (ولى) موسى (مدبرا) أدبر عنها وجعلها تلي ظهره خوفا من ونوب الحية عليه (ولم يعقب) ولم يلتفت أولم يرجع يقال قد عقب فلان اذا رجع يقاتل بعد ان ولى فنودي (ياموسى لا تخف انا لا يخاف لدى الرسولون) أى لا يخاف عندى الرسولون خطابي اياهم أو لا يخاف لدى الرسولون من غيري (الامن ظلم) أى لكن من ظلم من غيرهم لان الانبياء لا يظلمون أو لكن من ظلم منهم من زل من المرسلين فجاء غير ما أذنت له مما يجوز على الانبياء كما فرط من آدم ويونس وداود وسليمان عليهم السلام (ثم

عباس في قوله بورك من في النار يعنى قدس من في النار وهو الله تعالى عنى به نفسه على معنى انه نادى موسى وأسمعه من جهها كما روى انه مكتوب في التوراة جاء الله من سيناء وأشرف من ساعير واستعلى من جبال فاران ومعنى مجيئه من سيناء بعثة موسى منه ومن ساعير بعثة المسيح ومن جبال فاران بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها وهى احدى حجب الله عز وجل كما صح في الحديث تخجابه النار لو كشفها لاحت سبعات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم نزه الله سبحانه وتعالى نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب فقال تعالى (وسبحان الله رب العالمين) ثم تعرف الى موسى بصفاته فقال الله (ياموسى انه انا الله العزيز الحكيم) قيل معناه ان موسى قال من المنادى قال انه انا الله وهذا تمهيد لما اراد الله ان يظهره على يده من المعجزات والمعنى انا القوي القارى على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية وهو قوله (والقى عصاك) تقديره فالفاهافصارت حية (فلما رآها تهتز) أى تتحرك (كأنها جان) وهى الحية الصغيرة لئى يكثر اضطرابها (ولى مدبرا) أى هرب من الخوف (ولم يعقب) أى لم يرجع ولم يلتفت قال الله تعالى (ياموسى لا تخف انا لا يخاف لدى الرسولون) يريد اذا أمنتم لا يخافون اما الخوف الذى هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال النبي صلى الله عليه وسلم انا أخشاكم لله (الامن ظلم) ثم بدل حسنا به سوء فأتى غفور رحيم) قيل هو ما يصدر من الانبياء من ترك الافضل والصغيرة وقيل يحتمل أن يكون المراد منه التعريض بما وجد من موسى من قتل القبطى وهو من التعريضات اللطيفة وسماه ظلما لقول موسى انا ظلمت نفسى ثم انه خاف من ذلك فتاب قال رب انا ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له قال ابن جرير قال الله تعالى لموسى انا أخفك لقتلك النفس ومعنى الآية لا يخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه أحدهم فان أصابه أخافه حتى يتوب فعلى هذا التأويل يكون صحيحا وتناهى الخبر عن الرسل ع قوله الامن ظلم ثم ابتداء الخبر عن حاله من ظلم من الناس كافة وفي الآية متروك استغنى عن ذكره لدلالة الكلام عليه تقديره ٢ الامن ظلم ثم بدل حسنا به سوء فأتى غفور رحيم وقيل ليس هذا الاستثناء من المرسلين لانه لا يجوز عليهم الظلم بل هو استثناء من المتروك ومعناه لا يخاف لدى الرسولون انما الخوف عليهم من الظالمين وهذا الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس فآبه بخاف فان تاب و بدل حسنا به سوء فأتى غفور رحيم أى اغفر له وأزى بل خوفه وقيل الالهنا بمعنى ولا معناه ولا يخاف لدى الرسولون ولا من ظلم ثم بدل حسنا به سوء يعنى تاب من ظلمه فأتى غفور رحيم ثم ان الله تعالى أراه آية أخرى فقال تعالى (وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء) قيل كانت عليه مدرعة صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده فى جيبها وأخرجها فاذا هى تبرىق مثل شعاع الشمس أو البرق (من غير سوء) أى من غير برص (فى تسع آيات) أى آية مع تسع آيات أنت مرسلين فعلى هذا تكون الآيات احدى عشرة العساو اليد البيضاء والفاق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجذب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم وقيل فى معنى من أى من تسع آيات فتكون اليد البيضاء من التسع (الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن الطاعة (فلما

بدل حسنا) أى اتبع توبة (بعد سوء) زلة (فأتى غفور رحيم) أقبل توبته واغفر لته دارحه فأحق أميته وكأنه نمر يض بما قال موسى حين قتل القبطى رب انا ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له (وأدخل يدك فى جيبك) جيب قميصك وأخرجها (تخرج بيضاء) نيرة تغلب نور الشمس (من غير سوء) برص و بيضاء ومن غير سوء حالان (فى تسع آيات) كلام مستأنف وفى بتعلق بمحذوف أى اذهب فى تسع آيات أو والى عصاك وأدخل يدك فى جملة تسع آيات (الى فرعون وقومه) الى بتعلق بمحذوف أى مرسل الى فرعون وقومه (انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن أمر الله كافرين (فلما

جاءتهم آياتنا) أي هجزاننا (مبصرة) حال أي ظاهرة بينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لتأملها الملا بستم اياها بالظر والتفكر فيها
 أوجعت كأنها تبصر فتهدى لأن الاعمي لا يقدر على الاهتداء فضلا أن يهدى غيره ومنه قولهم كلمة عينا وعوراء لان الكلمة الحسنة
 ترشد والسبب نفوي (قالوا هذا سحر مبين) ظاهر لمن تأمله وقد قوبل بين المبصرة والمبين (وتجذبوا بها) قيل الجحود لا يكون الا من علم من الجاحظ
 وهذا ليس بصحيح لان الجحود هو الانكار وقد يكون الانكار للشيء للجهل به وقد يكون بعد المعرفة تعنتا كذا ذكر في شرح التأويلات
 وذكر في الديوان يقال مجد حقه وبحقه بمعنى والواو في (واستيقنتها) للحال وقد بعدها مضرة والاستيقان ابلغ من الايقان (أنفسهم)
 أي تجذبوها بالسنتهم واستيقنتوها في قلوبهم وضماؤهم (ظلمنا) حال من الضمير في تجذبوا وأي ظلم أخس من ظلم من استيقنتها أي آيات من
 عند الله ثم سماها سحر اينا (وعلاوا) رفعا عن الايمان بما جاء به موسى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وهو الاغراق هنا والاحراق ثمة
 (ولقد آتينا) أعطينا (داود وسليمان علما) طائفة من العلم أو علما سنيا غزيرا (٤٠٣) والمراد علم الدين والحكم (وقالا

الحمد لله الذي فضلنا على كثير
 من عباده المؤمنين
 والآيات حجة لنا على المعتزلة
 في ترك الاصطلاح وهنا
 محذوف ليصح عطف الواو
 عليه ولولا تقدير المحذوف
 لكان الوجه الفاء كقولك
 أعطيتهم فشكروا وتقديره
 آتيناها علما فعملابه
 وعلما وعرفا حتى النعمة
 فيه وقال الحمد لله الذي فضلنا
 والكثير المفضل عليه من
 لم يؤت علما أو من لم يؤت
 مثل علمها وفيه انهما
 فضلا على كثير وفضلا
 عليهما كثير وفي الآية دليل
 على شرف العلم وتقديم
 جلته وأهله وان نعمة العلم
 من أجل النعم وان من أوتيها
 فقد أوتي فضلا على كثير
 من عباده وما ساء لهم رسول

جاءتهم آياتنا مبصرة) أي بينة واضحة يبصرونها (قالوا هذا) أي الذي نراه (سحر مبين) أي ظاهر (وتجذبوا
 بها) أي أنكروا الآيات ولم يقرروا انها من عند الله (واستيقنتها أنفسهم) أي علموا انها من عند الله والمعنى
 أنهم تجذبوا بها بالسنتهم واستيقنتوا بها قلوبهم وضماؤهم (ظلمنا وعلاوا) أي شركا وكبرا عن ان يؤمنوا بما
 جاء به موسى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يعني الفرق قوله تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما)
 أي علم القضاء والسياسة وعلم داود تسبيح الطير والجبال وعلم سليمان منطق الطير والدواب (وقالا الحمد لله
 الذي فضلنا) أي بالنبوة والكتاب والملك وتسخير الجن والانس (على كثير من عباده المؤمنين) أراد بالكثير
 الذين فضلا عليهم من لم يؤت علما ولم يؤت مثل علمها وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وقيل
 انهما لم يفضلا أنفسهما على الكل وذلك يدل على حسن التواضع قوله تعالى (ورث سليمان داود) يعني
 نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا وأعطى سليمان ما أعطى داود وزيدته تسخير
 الريح والجن والشياطين قال مقاتل كان سليمان أعظم ملكا من داود وأقضى منه وكان داود أشد تعبدا
 من سليمان وكان سليمان شاكر النعم الله تعالى (وقال) يعني سليمان (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) سمي
 صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه وروى عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون ما
 يقول هذا قالوا لا قال انه يقول لدو الموت وابنو للخراب وصاحت فاخنة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال
 انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدن تدان وصاح
 هدهد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول
 هذا قالوا لا قال انه يقول استغفروا ربكم يا مذنبين وصاحت طيطوي فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها
 تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا
 تجدوه وهدرت حمامة قال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى مل سمائه وأرضه وصاح
 قمرى قال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربي الدائم قال والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول
 كل شيء هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والبيفات تقول ويل لمن كانت الدنيا همه والصفدع يقول

الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الامداد انهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها انه يلزمهم هذه النعمة الفاضلة ان
 يحمدهم الله على ما أوتوه وان يعتقد العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما حسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس أقره من
 عمر رضي الله عنه (ورث سليمان داود) ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر قالوا أوتي النبوة مثل أبيه فكانه ورثه
 والا فالنبوة لا تورث (وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير) تشهير النعمة الله تعالى واعترافا بكانها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي
 هي علم منطق الطير والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعض
 روى أنه صاحت فاخنة فاخبرتها تقول ليت ذالخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدن تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله
 يا مذنبين وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رجة فقال تقول سبحان ربي الاعلى مل سمائه وأرضه وصاح قمرى فاخبرانه
 يقول سبحان ربي الاعلى وقال الحدأة تقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والفسر
 يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس أنيس والصفدع يقول سبحان ربي القدوس

(وأوتينا من كل شيء) المراد به كثرة ما أوتى كما تقول فلان يعلم كل شيء ومثله وأوتيت من كل شيء (ان هذا هو الفضل المبين) قوله واردي على سبيل الشكر كقوله أناس يدولوا آدم ولا خير أي أقول هذا القول شكر أو لا أقوله نقرأ والنون في علمنا وأوتينا نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على الحال (٤٠٤) التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك (وحشر) وجمع (سليمان

جنوده من الجن والانس والطيور) روى ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطيور وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبع مائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابرسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب وفضة فيقعده وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعده الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر وروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الريح تسيبه فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك أن لا يتكلم أحد بشئ الا ألقته الريح في

سبحان ربى القدوس والبارى يقول سبحان ربى وبحمده والصفحة تقول سبحان المذكور بكل لسان وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد السبخى مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ونبيه أعلم قال انه يقول أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء وروى ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس اناسا تلوك عن سبعة أشياء ان أخبرتنا آمننا وصدقنا قال سلوات فقها لا تعنتا قالوا أخبرنا ما تقول القبرة في صفيها والديك في صعيقه والصفدع في تقيقه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله وماذا يقول الزرور والدراج قال نعم اما القبر فانه يقول اللهم العن مبغض محمد وآل محمد والديك يقول اذ كروا الله يا غافلين وأما الصفدع فانه يقول سبحان الله المعبود في البحار وأما الحمار فانه يقول اللهم العن العشار وأما الفرس فانه يقول اذا التقى الجمعان سبوح قدوس رب الملائكة والروح وأما الزرور فانه يقول اللهم اني أسألك قوت يوم بيوم يارزاق وأما دراج فانه يقول الرحمن على العرش استوى فاسلم هؤلاء اليهود وحسن اسلامهم روى عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال اذا صاح النسر قال يا ابن آدم عش ما شئت آخره الموت واذا صاح العقاب قال البعد من الناس انس واذا صاح القنبر قال الهى العن مبغض محمد وآل محمد واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين ومد العالمين كما بمد القارىء وقوله تعالى (وأوتينا من كل شيء) أي عما أوتى الانبياء والملوك قال ابن عباس من أمر الدنيا والآخرة وقيل النبوة والملك وتسخير الرياح والجن والشياطين (ان هذا هو الفضل المبين) أي الزيادة الظاهرة على ما أعطى غيرنا وروى ان سليمان أعطى مشارق الارض ومغار بها فلك ذلك أربعين سنة فلك جميع الدنيا من الجن والانس والشياطين والطيور والدواب والسباع وأعطى مع هذا منطق الطير ومنطق كل شيء وفي زمنه صنعت الصنائع العجيبة (وحشر) أي جمع (سليمان جنوده من الجن والانس والطيور) من الاماكن المختلفة في مسيرله (فهم يوزعون) أي يحبسون حتى يردوا ولهم على آخرهم قيل كان على جنوده وزعة من النقباء تردأ ولها على آخرها ثلاثون في المير قال محمد بن كعب القرظي كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها الانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطيور والفرسخ اثنا عشر ألف خطوة فالبريد ثمانمائة وأربعون ألف خطوة لانه أربع فراسخ فجملة ذلك خمسة وعشرون بريدا وقيل نسجت الجن له بساطا من ذهب وحرير فرسخا في فرسخ وكان يوضع كرسيه في وسطه فيقعده وحوله كراسي الذهب والفضة فيقعده الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة والناس حولهم والجن والشياطين حول الناس والوحوش حولهم وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة يعني حرد وسبع مائة سرية فيأمر الريح العاصف فيرفعه ثم يأمر الريح تسيبه فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك انه لا يتكلم أحد من الخلائق بشئ الا جاءت الريح وأخبرتك به قوله عز وجل (حتى اذا أتوا على وادى النمل) أي شرفوا على وادى النمل روى عن كعب الاحبار قال كان سليمان اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها ثنائير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة من الابل فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وهو بين السماء

سمعك فيحكى انه مر بحرات فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في أذنه فنزل ومشي الى الحرات وقال اني جئت اليك لثلاث منى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسيحة واحدة يقبلها الله تعالى خيرا ثم أوتى آل داود (فهم يوزعون) بحبس أولهم على آخرهم أي بوقف سلاف العكر حتى يلحقهم التوالى ليكونوا مجتمعين وذلك للكثرة العظيمة والوزع المنع ومنه قول عثمان رضي الله عنه ما بزغ السلطان أكثر مما بزغ القرآن (حتى اذا أتوا على وادى النمل) أي ساروا حتى اذا بلغوا وادى

النمل وهو واد بالشام كثير النمل وعدي بعل لان اتيانهم كان من فوق فاتي بحرف الاستعلاء (قالت نملة) عرجاء تسمى طاخية ومنذرة وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم فساله ابو حنيفة رضي الله عنه وهو شاب عن نملة سليمان ا كانت ذكرا أم أنثى فاجم فقال ابو حنيفة رضي الله عنه كانت أنثى فقيل له بماذا عرفت فقال بقوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة في وقوعها على الذكروالانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكروحمامة أنثى (٤٠٥) وهو وهي (يا أيها النمل ادخلوا

والارض واتخذ ميادين للدواب فتجري بين يديه والريح تهوى به فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي يكون في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولم يصل مكتراى حول البيت أصناما تعبد تجاوزه سليمان فلما تجاوزه بكى البيت فأوحى الله اليه ما يبكيك قال يارب ا بكاني هذا نبي من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا على ولم يهبطوا ولم يصلوا عندي والاصنام تعبد حولي من دونك فأوحى الله اليه لا تبتك فاتي سوف أملاك رجوها سجدوا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا في آخر الزمان أحب أنبيائي الي وأجعل فيك عمارا من خاقي يعبدونني وأفرض عليهم فريضة يزفون اليك زفيف النسرا الي وكرهاو يحنون اليك حنين الناقاة الي ولدها والحمامة الي بيضاها وأطهرك من الاوثان والاصنام والشيطان ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير واد من الطائف فاتي على واد النمل كذا قال كعب الاحبار وقيل انه بالشام وقيل هو واد يسكنه الجن وذلك النمل مر ا بهم وقيل ان ذلك النمل أمثال الذباب وقيل كالبخاتي والمشهور انه النمل الصغير (قالت نملة) قيل كانت عرجاء وكانت ذات جناحين وقيل اسمها طاخية وقيل جرمي (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم يقل ادخلن لانه جعل لهم عقولا كالآدميين فخطبوا خطاب الآدميين وهذا ليس بمستبعد أن يخلق الله فيها عقلا ونطقا فانه قادر على ذلك (لا يحطمنكم) أي لا يكسرنكم (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) قال أهل التفسير علمت النملة أن سليمان نبي ليس فيه جبر وتية ولا ظلم ومعنى الآية أنكم لو لم تدخلوا وطوكم ولم يشعروا بكم فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال وكان لا يتكلم أحد بشيء الا حلتها الريح حتى تلقيه الي مسامع سليمان فلما بلغ واد النمل حبس جنوده حتى دخلوا بيوتهم فان قلت كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وهو فوق البساط على متن الريح قلت كانوا هم أرادوا النزول عند منقطع الوادي فلذلك قالت نملة لا يحطمنكم سليمان وجنوده لانهم مادمت الريح تحملهم لا يخاف حطمهم (فتبسم ضاحكا من قولها) قيل أكثر ضحك الانبياء تبسما وقيل معنى ضاحكا تبسما وقيل كان أوله التبسم وآخره الضحك (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه طهوانه انما كان يتبسم * عن عبد الله بن الحرث بن جزء قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي فان قلت ما كان سبب ضحك سليمان قلت شيان أحدهما مدل من قولها على ظهور رجليه ورجلته جنوده وشفتهم وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا بما يفعلون الثاني سروره بما آناه الله مما لم يوت أحدا من ادراك سمعه ما قالته النملة وقيل ان الانسان اذا رأى أو سمع مالا عهد له به تعجب وضحك ثم ان سليمان حذر به على ما أنعم به عليه (وقال رب أوزعني) أي ألهمني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وان أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) أي أدخلني في جنتهم وأثبت اسمي مع أسماهم واحشرني في زميرتهم قال ابن عباس يريد مع ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل ادخلني الجنة مع عبادك الصالحين ﴿ قوله عز وجل (ونفقد الطير) أي طلبها وبحث عنها للنمل أو فرحا لظهور عدله

والارض واتخذ ميادين للدواب فتجري بين يديه والريح تهوى به فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي يكون في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولم يصل مكتراى حول البيت أصناما تعبد تجاوزه سليمان فلما تجاوزه بكى البيت فأوحى الله اليه ما يبكيك قال يارب ا بكاني هذا نبي من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا على ولم يهبطوا ولم يصلوا عندي والاصنام تعبد حولي من دونك فأوحى الله اليه لا تبتك فاتي سوف أملاك رجوها سجدوا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا في آخر الزمان أحب أنبيائي الي وأجعل فيك عمارا من خاقي يعبدونني وأفرض عليهم فريضة يزفون اليك زفيف النسرا الي وكرهاو يحنون اليك حنين الناقاة الي ولدها والحمامة الي بيضاها وأطهرك من الاوثان والاصنام والشيطان ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير واد من الطائف فاتي على واد النمل كذا قال كعب الاحبار وقيل انه بالشام وقيل هو واد يسكنه الجن وذلك النمل مر ا بهم وقيل ان ذلك النمل أمثال الذباب وقيل كالبخاتي والمشهور انه النمل الصغير (قالت نملة) قيل كانت عرجاء وكانت ذات جناحين وقيل اسمها طاخية وقيل جرمي (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم يقل ادخلن لانه جعل لهم عقولا كالآدميين فخطبوا خطاب الآدميين وهذا ليس بمستبعد أن يخلق الله فيها عقلا ونطقا فانه قادر على ذلك (لا يحطمنكم) أي لا يكسرنكم (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) قال أهل التفسير علمت النملة أن سليمان نبي ليس فيه جبر وتية ولا ظلم ومعنى الآية أنكم لو لم تدخلوا وطوكم ولم يشعروا بكم فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال وكان لا يتكلم أحد بشيء الا حلتها الريح حتى تلقيه الي مسامع سليمان فلما بلغ واد النمل حبس جنوده حتى دخلوا بيوتهم فان قلت كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وهو فوق البساط على متن الريح قلت كانوا هم أرادوا النزول عند منقطع الوادي فلذلك قالت نملة لا يحطمنكم سليمان وجنوده لانهم مادمت الريح تحملهم لا يخاف حطمهم (فتبسم ضاحكا من قولها) قيل أكثر ضحك الانبياء تبسما وقيل معنى ضاحكا تبسما وقيل كان أوله التبسم وآخره الضحك (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه طهوانه انما كان يتبسم * عن عبد الله بن الحرث بن جزء قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي فان قلت ما كان سبب ضحك سليمان قلت شيان أحدهما مدل من قولها على ظهور رجليه ورجلته جنوده وشفتهم وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا بما يفعلون الثاني سروره بما آناه الله مما لم يوت أحدا من ادراك سمعه ما قالته النملة وقيل ان الانسان اذا رأى أو سمع مالا عهد له به تعجب وضحك ثم ان سليمان حذر به على ما أنعم به عليه (وقال رب أوزعني) أي ألهمني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وان أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) أي أدخلني في جنتهم وأثبت اسمي مع أسماهم واحشرني في زميرتهم قال ابن عباس يريد مع ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل ادخلني الجنة مع عبادك الصالحين ﴿ قوله عز وجل (ونفقد الطير) أي طلبها وبحث عنها للنمل أو فرحا لظهور عدله

وضاحكا حال مؤكدة لان تبسم بمعنى ضحك وأكثر ضحك الانبياء التبسم كذا قاله الزجاج (وقال رب أوزعني) ألهمني وحقيقته كفي عن الاشياء الاعن شكر نعمتك (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي) من النبوة والملك والعلم (وعلى والدي) لان الانعام على الوالدين انعام على الولد (وان أعمل صالحا ترضاه) في بقية عمري (وأدخلني برحمتك) وأدخلني الجنة برحمتك لا بصالح عملي اذ لا يدخل الجنة أحد الا برحمة كما جاء في الحديث (في عبادك الصالحين) أي في زمرة أنبيائك المرسلين أو مع عبادك الصالحين روى أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فامر سليمان الريح فوقفت لتلايد عن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة (ونفقد الطير

فقال مالي) مكي وعلى وعاصم وغيرهم يسكون الياء والتفقد طلب ما غاب عنك (لأرى الهدهد أم كان من الغائبين) أم بمعنى بل ومعنى انه تعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال مالي لأرا على معنى انه لا يراه وهو حاضر لسائر ستمه أو غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك وأخذ يقول بل هو غائب وذكر ان سليمان عليه السلام لما حج خرج الى اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال فنزل ليصلي فلم يجد الماء وكان الهدهد قنافة وكان يرى الماء من تحت (٤٠٦) الارض كما يرى الماء في الزجاجة فتستخرج الشياطين الماء فتفقدته

والعنى انه طلب ما فقد من الطير (فقال مالي لأرى الهدهد) وكان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه اخلاؤه بالنوبة وذلك ان سليمان كان اذا نزل منزلا تظله وجنوده الطير من الشمس فاصابته الشمس من موضع الهدهد فنظر فرآه خاليا وروى عن ابن عباس انه كان دليله على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى في الزجاجة ويعرف قرنه من بعده فينقر الارض فتجىء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء منه قال سعيد بن جبيرة لما ذكر ابن عباس هذا قال نافع بن الأزرق يا واصل انظر ما تقول ان الصبي منا يضع الفخ ويحتمو عليه التراب فيجىء الهدهد وهو لا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه فقال له ابن عباس ويحك اذا جاء القدر حال دون البصر وفي رواية اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمى البصر فنزل سليمان منزلا واحتاج الى الماء فطلبوه فلم يجدوه فتفقد الهدهد ليدله على الماء فقال مالي لأرى الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم أدركه الشك فقال (أم كان من الغائبين) أى كان وقيل بل كان من الغائبين ثم أوعده على غيبته فقال (لا عذبه عذابا شديدا) قيل هو أن ينتفربشه وذنبه ويلقيه في الشمس معطالا يمنع من النمل ولا من غيره وقيل لا ودعنه القفص ولا حبسه مع ضده وقيل لا فرق بينه وبين الفه (أولاذبحنه أولياتبنى بسطان مبين) أى بحجة بينة على غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلماء أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى أرض الحرم فتجهز للمسيرة واستصحب جنوده من الجن والانس والطير والوحش فحملتهم الريح فلما وافى الحرم أقام ماشاء الله أن يقم وكان في كل يوم ينحر طول مقامه خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن يحضر من أشرف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطي النصره على جميع من ناواه وتبلغ هيئته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم قالوا فبأى دين يتدين يا نبي الله قال بدين الحنيفية فطوبى لمن أدركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله قال مقدار ألف سنة فليباغ الشاهد الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل قال فأقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء زوالا أى وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء تزهر وخضرتها فأحب النزول بها ليصلى ويتغدى فلما نزل قال الهدهد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء لينظر الى الدنيا وعرضها فيسأله وينظر يمينا وشمالا رأى بستانا بلقيس فنزل اليه فاذا هو بههدد آخر وكان اسم هدهد سليمان بعفور واسم هدهد اليمن يعفير فقال يعفير ليعفور من أين أقبلت وأين تريد قال أقبلت من الشام مع صاحب سليمان بن داود قال ومن سليمان بن داود قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فن أبن أنت يا يعفير قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها أربعمائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربعمائة ألف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها ولها اثنا عشر ألف قائدا اثنا عشر ألف مقاتل فهل أنت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال أخاف أن يفقدني سليمان في وقت

لذلك وذكر انه وقعت تفخه من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عرف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارتفع فنظر فاذا هو مقبل فقصدته فناشده الله فتركه فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض وقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فأرتعد سليمان وعفا عنه (لا عذبه عذابا شديدا) ينتفربشه والقائه في الشمس أو بالتفريق بينه وبين الفه أو بالزامه خدمة أقرانه أو بالحبس مع اصداده وعن بعضهم أضيقت السجون معاصرة الاصداد أو بإيداعه القفص أو بطرحه بين يدي النمل لئلا كاه وحل له تعذيب الهدهد لما رأى فيه من المصلحة كما حل ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره

من المنافع واذا سخره الطير لم يتم التسخير الا بالتأديب والسياسة (أولاذبحنه أولياتبنى) بالنون الثقيلة ليثا كل قوله لا عذبه وحذف نون العماد للتخفيف لياتبنى بنون مكي الاولى للتأكيد والثانية للعماد (بسطان مبين) محبة له فيها عذر ظاهر على غيبته والاشكال انه حلف على أحد ثلاثة أشياء اثنان منها فعله ولا مقال فيه والثالث فعل الهدهد وهو مشكل لانه من أين درى انه يأتي بسطان حتى قال والله لياتبنى بسطان وجوابه أن معنى كلامه ليكون أحد الامور يعني ان كان الاثبات بالسطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء دراية

الصلاة

مكثا غير طويل أو غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة على اسرعه للدلالة خوفا من سليمان فلما رجع سأله عما اتى في غيبته (فقال أحطت) علمت شيئا من جميع جهاته (بالم تحط به) ألهم الله الهدد فكافح سليمان بهذا الكلام مع ما أوتي من فضل النبوة والعلوم الجمة ابتلاء له في علمه وفيه دليل بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه (وجئتك من سبأ) غير متصرف أبو عمرو وجعله اسما للقبلة أو المدينة وغيره بالتثنية جعله اسما للحي أو الاب الأكبر (بنبا يقين) النبا الخبر الذي له شأن وقوله من سبأ بنبا من محاسن الكلام ويسمى البديع وقد حسن وبدع لفظا ومعنى ههنا لا ترى انه لو وضع مكان بنبا بنجر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لمنا في لبنا من الزيادة التي يطابقها وصف الحال (اني وجدت امرأة) هي بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن ولم يكن له ولد غيرها

الصلاة اذا احتاج الى الماء قال الهدد الجاني ان صاحبك يسره ان تأتيه بخبر هذه الملكة قال فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها وأما سليمان فانه نزل على غير ماء فسأل عن الماء الانس والجن فلم يعلموا فتفقد الهدد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدد فقال أصح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته الى مكان فغضب سليمان وقال لا عذبة الآية ثم دعا العقاب وهو أشد الطير فقال له على بالهدد هذه الساعة فرجع العقاب في الهواء حتى رأى الدنيا كالقصة بين يدي أحدكم ثم التفت يمينا وشمالا فرأى الهدد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب بريده فعلم الهدد ان العقاب يقصده بسوء فقال له بحق الله الذي قواك وأقدرك على الامار حتى ولم تتعرض لي بسوء فتركه العقاب وقال ويحك ثكلتك أمك ان نبي الله قد حاف ان يعذبك أو ان يذبحك ثم طار امتوجهين نحو سليمان فلما انتهى الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا ويلك أين غبت في يومك هذا فقد توعدك نبي الله وأخبروه بما قال سليمان فقال الهدد وأما استثنى نبي الله قالوا بلى ولكنه قال أوليا تبنى بسطان مبین قال نجوت اذا فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب منه الهدد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فلما دام منه أخذ برأسه فده اليه وقال له أين كنت لا عذبة بك عذاب الله اذ كر وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعقاعنه ثم قال ما الذي أبطاك عني فقال الهدد ما أخيرا لله عنه بقوله تعالى (فكث غير بعيد) معناه أي غير طويل (فقال أحطت بالم تحط به) أي علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغ أنت ولا جنودك ألهم الله الهدد هذا الكلام فكافح سليمان تنبيهه على ان أدنى خلاق الله قد أحاط علما بما لم يحط به ليكون لطفاله في ترك الاعجاب والاحاطة بالشيء علما ان يعلمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه منه معلوم (وجئتك من سبأ) قيل هو اسم للبلد وهي مارب والاصح انه اسم رجل وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سبأ فقال رجل له عشرة من البنين نيامن منهم ستة وتشاءم أربعة (بنبا) أي بنجر (يقين) فقال سليمان وما ذاك فقال (اني) أي الهدد (وجدت امرأة تملكهم) هي بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيما الشأن قد ولده أربعون ملكا هو آخرهم وكان يملك أرض اليمن كلها وكان يقول للملوك الاطراف ليس أحد منهم كفؤا لي وأبي أن يتزوج منهم فخطب الى الجن فزوجوه منهم امرأة يقال لها ريحانة بنت السكن قيل في سبب وصوله الى الجن حتى خطب منهم انه كان كثير الصيد فرما اصطاد الجن وهم على صورة الأطباء فيخلى عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذة صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها وقيل انه خرج متصيذا فرأى حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها الماء فافاقت وأطلقها فلما رجع الى داره وجلس وحده منفردا فاذا معه شاب جميل يخاف منه قال لا تخف أنا الحية البيضاء التي أحييتني والاسود الذي قتلته هو عبدنا ثم رد علينا وقتل عدة منا وعرض عليه المال فقال المال لا حاجة لي به ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجه ابنته فولدت له بلقيس وجاء في الحديث ان أحد أبوي بلقيس كان جنيا فلما مات أبو بلقيس طمعت في الملك وطلبت قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وأبي آخرون وملكوا عليهم رجلا آخر يقال انه ابن أخي الملك وكان خبيثا سيئ السيرة في أهل مملكته حتى كان يمد يده الى حريم رعيتيه ويفجر بهن فأراد قومه خلعه فلم يقدر واعليه فامارات بلقيس ذلك أدركتها العيرة فارسلت اليه فعرضت نفسها عليه فاجابها الملك وقال ما معنى ان ابنتك بالخطبة الا اليأس منك فقالت لا أرغب عنك لانك كفؤ كريم فاجمع رجال أهلي واخطبني منهم فجمعهم وخطبها فقالوا لانراها تفعل فقال بلى انها قد رغبت في قد كروا ذلك لها فقالت نعم فزوجها منه فلما زفت اليه خرجت في ملا كثير من خدمها

فغلبت على الملك وكانت هي وقومها يحوسوا يعبدون الشمس والضمير في (تملكهم) راجع الى سبأ على تأويل القوم أو أهل المدينة

(وأوتيت) حال وقد مقدره (من كل شيء) من أسباب الدنيا ما يليق بحالها (ولها عرش) سرير (عظيم) كبير قيل كان ثمانين ذراعاً في ثمانين ذراعاً وطوله في الهواء ثمانون ذراعاً وكان من ذهب وفضة وكان مرصعاً بأنواع الجواهر وقوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة آيات على كل بيت باب مغلق واستصر حالها إلى حال سليمان فاستعظم عرشها لذلك وقد أثنى الله تعالى على سليمان ذلك لمصلحة رآها كما أثنى على يوسف عليه السلام (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل) أي سبيل التوحيد (فهم لا يهتدون) إلى الحق ولا يبعدون الهدى إلى معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وحرمة السجود للشمس الها من الله كما (٤٠٨) اللهم وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء

الرجاح العقول يهتدون لها (الأيسجدوا) بالتشديد أي فصدهم عن السبيل لتلايسجدوا وحذف الجار مع أن أو أدغمت النون في اللام ويجوز أن تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا وبالتخفيف يزيدو على وتقديره لا يهتدوا أسجدوا فألا للتنبية ويكون بالنداء ومناداه محذوف فن شد لم يقف الأعلى العرش العظيم ومن خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتداء الأيا اسجدوا أو وقف على الأيا ثم ابتداء اسجدوا وسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعاً بخلاف ما يقوله الزجاج أنه لا يجب السجود مع التشديد لأن مواضع السجدة إما أمر بها ومدح للآتي بها أو ذم لتاركها واحدى القراءتين

وحشمها فلما دخلت به سقته الخرج حتى سكر ثم قتله وحزت رأسه وانصرفت إلى منزلها من الليل فلما أصبحت أرسلت إلى وزيرائه وأحضرتهم وقرعتهم وقالت أما كان فيكم من يأخذ لكم مني أو كرامت عشرته ثم ارتهم إياه قتيلاً وقالت اختاروا رجلاً تملكونه عليكم فقالوا لا نرضى غيرك فلنكوها وعلموا أن ذلك السكاح كان مكرًا وخديعة منها (خ) عن أبي بكر قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال إن يفلح قوم ملكوا عليهم امرأة ﴿ قوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) ﴾ يعني ما تحتاج إليه الملوك من المال والعدة (ولها عرش عظيم) أي سرير رضخ عال فإن قلت كيف استعظم الهدى عرشها على ما رأى من عظمة ملك سليمان قلت يحتمل أنه استعظم ذلك بالنسبة إليها ويحتمل أنه لم يكن لسليمان مع عظم ملكه مثله وكان عرش بلقيس من الذهب مكللاً بالبر والياقوت الأحمر والزربرجد الأخضر وقوائمه من الياقوت والزمرد وعليه سبعة آيات على كل بيت باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً وطوله في السماء ثلاثون ذراعاً وقيل كان طوله ثمانين في ثمانين وعالوه ثمانين وقيل كان طوله ثمانين وعرضه أربعين وارتفاعه ثلاثون ذراعاً ﴿ قوله عز وجل اخبار عن الهدى (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) وذلك أنهم كانوا يعبدون الشمس وهم مجوس (وزين لهم الشيطان أعمالهم) المزين هو الله لأنه الفاعل لما يريد وأنما ذكر الشيطان لأنه سبب الاغواء (فصدهم عن السبيل) أي عن طريق الحق الذي هو دين الإسلام (فهم لا يهتدون) أي إلى الصواب (الأيسجدوا) قرئ بالتخفيف ومعناه الأيا أيها الناس اسجدوا وهو أمر من الله مستأنف وقرئ بالتشديد ومعناه وزين لهم الشيطان أعمالهم لتلايسجدوا (لله الذي يخرج الخبء) يعني الخفي الخبياً (في السموات والارض) قيل خبء السموات المطر وخبء الارض النبات (ويعلم ما يخفون وما يعلنون) والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لأنه لا يستحق العبادة الا من هو قادر على من في السموات والارض عالم بجميع المعلومات (الله الا اله الا هو رب العرش العظيم) أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره

فصل وهذه السجدة من عزائم السجود يستحب للقارئ والمسئع أن يسجد عند قراءتها فإن قلت قد وصف عرش بلقيس بالعظيم وعرش الله بالعظيم فالفرق بينهما قلت وصف عرش بلقيس بالعظيم بالنسبة إليها وإلى أمثالها من ملوك الدنيا وأما عرش الله تعالى فهو بالنسبة إلى جميع المخلوقات من السموات والارض فحصل الفرق بينهما فلما فرغ الهدى من كلامه (قال) سليمان (سننظر أصدقت) أي فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) ثم إن الهدى هددهم على الماء فاحتفروا الركايا وروى الناس والدواب ثم إن سليمان

أمر والآخرى ذم لتارك (لله الذي يخرج الخبء) سمي الخبياً بالمصدر (في السموات والارض) كتب فتادة خبء السماء المطر وخبء الارض النبات (ويعلم ما يخفون وما يعلنون) وبإتاء فيهما على وحفص (الله الا اله الا هو رب العرش العظيم) وصف الهدى عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السموات والارض ووصفه عرش بلقيس تعظيم له بالإضافة إلى عرش أبناء جنسها من الملوك إلى ههنا كلام الهدى فلما فرغ من كلامه (قال) سليمان للهدى (سننظر) من النظر الذي هو التأمل (أصدقت) فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) وهذا أبلغ من أم كذبت لأنه إذا كان معروفاً بالانحراف في سلك الكاذبين كان كاذباً بالاحالة وإذا كان كاذباً عنهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به ثم كتب سليمان كتاباً صورته من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ باسم الله

الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعالوا على وأتوني مسلمين وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدد (أذهب بكتابي هذا قاله) بسكون الهاء تخفيفاً أبو عمرو وعاصم وحزرة ويختاسها كسر التمدل الكسرة على الياء المحذوفة يزيد وقالون ويعقوب فالقهي بآببات الياء غيرهم (اليهم) إلى بلقيس وقومها لأنه ذكرهم معها في قوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك (ثم تول عنهم) تنح عنهم إلى مكان قريب بحيث تراهم ولا يرونك ليكون ما يقولونه بسمع منك (فانظر ماذا يرجعون) ما الذي يردونه من الجواب فاخذ الهدد الكتاب بمنقاره ودخل عليها من كوة فطرح الكتاب على نحرها وهي راقدة وتواري في الكوة فانتهت فرعة وأتاها والجنود حو اليها فر فر ساعة وألقى الكتاب (٤٠٩) في حجرها وكانت قارئة فلما رأته

الخاتم (قالت) لقومها خاضعة خائفة (يا أيها الملائكة) وبفتح الياء مدني (ألقى إلى كتاب كريم) حسن مضمونه وما فيه أو محتوم قال عليه الصلاة والسلام كرم الكتاب ختمه وقيل من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به أو مصدر بيسم الله الرحمن الرحيم أولانه من عند ملك كريم (أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم) هو تبين لما ألقى إليها كأنها لما قالت ألقى إلى كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت أنه من سليمان وأنه كيت وكيت وأن في (ألا تعالوا) لا ترفعوا (على) ولا تكبروا كما تفعل الملوك مفسرة كقوله وانطلق الملائكة منهم إن أمشوا يعني أي أمشوا (واتتوني مسلمين) مؤمنين أو منقادين وكتب الأنبياء

كتب كتاباً من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد أن لا تعالوا على وأتوني مسلمين قيل لم يزد على ما نص الله في كتابه وكذلك الأنبياء كانوا يكتبون جلا لا يطيلون ولا يكتبون فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدد (أذهب بكتابي هذا قاله اليهم) إنما قال اليهم بلفظ الجمع لأنه جعله جواباً لقول الهدد - وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال قاله إلى الذين هذا دينهم (ثم تول عنهم) أي تنح عنهم فقف قريباً منهم (فانظر ماذا يرجعون) أي يردون من الجواب وقيل تقدير الآية قاله اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم أي انصرف إلى فاخذ الهدد الكتاب وأتى به إلى بلقيس وكانت بارض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء فوجدها نائمة مستلقية على قفاها وقد غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل إذا رقدت فأتى الهدد وألقى الكتاب على نحرها وقيل حل الهدد الكتاب بمنقاره حتى وقف على المرأة وحوها للقادة والوزراء والجنود فر فر ساعة والناس ينظرون فرفعت بلقيس رأسها فالتقى الكتاب في حجرها وقال وهب ابن منبه كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فإذا نظرت إليها وجدت لها خيلاً الهدد وسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة إليها فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأته الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكاً منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدد غير بعيد وجاءت هي حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملائكة من قومها وهم الأشراف وقال ابن عباس كان مع بلقيس مائة قبيل مع كل قبيل مائة ألف والقبيل ملك دون الملك الأعظم وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً كل رجل منهم على عشرة آلاف فلما جاؤا وأخذوا مجالسهم (قالت) لهم بلقيس (يا أيها الملائكة ألقى إلى كتاب كريم) قيل سمته كريم لأنه كان محتوماً روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وقال ابن عباس كريم أي شريف أشرف صاحبه ثم بينت عن الكتاب فقالت (أنه من سليمان) قرأت المكتوب فيه فقالت (وأنه بسم الله الرحمن الرحيم) فان قلت لم قدم أنه من سليمان على بسم الله قلت ليس هو كذلك بل ابتدأ سليمان بيسم الله الرحمن الرحيم وإنما ذكر بلقيس أن هذا الكتاب من سليمان ثم ذكرت ما في الكتاب فقالت وأنه بسم الله الرحمن الرحيم (ألا تعالوا على) قال ابن عباس لا تكبروا على والمعنى لا تمتنعوا من الإجابة فان ترك الإجابة من العلو والتكبر (واتتوني مسلمين) أي طائعين مؤمنين وقيل من الاستسلام وهو الانقياد (قالت يا أيها الملائكة أفتوني في أمرى) أي أشيروا علي فيما عرض لي (ما كنت قاطعة أمراً) أي قاضية وفاصلة (حتى تشهدون) أي تحضرون (قالوا) يعني الملائكة مجيبين لها (نحن أولوا قوة) أي في الجسم

(٥٢ - (خازن) - ثالث) مبنية على الإيجاز والاختصار (قالت يا أيها الملائكة أفتوني في أمرى) أشيروا علي في الأمر الذي نزل

في والفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء في السن والمراد هنا بالفتوى الإشارة عليها بما عندهم من الرأي وقصدها بالرجوع إلى استشارتهم تطيب أنفسهم ليمثلوا لها ويقوموا معها (ما كنت قاطعة أمراً) فاصلة أو بمعنى حكماً (حتى تشهدون) بكسر النون والفتح لحن لأن النون إنما تفتح في موضع الرفع وهذا في موضع النصب واصله تشهدونني فحذفت النون الأولى للنصب والياء للدلالة الكسرة عليها والياء في الوصل والوقف يعقوب أي تحضروني أو تشيروني أو تشهدوا أنه صواب أي لا أت الأمر إلا محض ركم وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً كل واحد على عشرة آلاف (قالوا) مجيبين لها (نحن أولوا قوة)

الباأس شديد أراد وبالقوة قوة الاجساد والآلات والباأس النجدة والبلاء في الحرب (والامر اليك فانظري ماذا تأمرين) أي موكل اليك ونحن مطيعون لك فمننا بامرنا نطعمك ولا نخالفك كأنهم اشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من ابناء الحرب لامن ابناء الرأي والمشورة وأنت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا تأمرين تتبع رأيك فلما أحست منهم الميل الى المحاربة مالت الى المصالحة ورتبت الجواب فزيقت أو لاما ذكره وأرثهم الخطا فيه حيث (٤١٠) قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية (عنوة وقهرا) (أفسدوها) خربوها (وجعلوا

أعزة أهلها أذلة) أذلوا أعزتها وأهانوا أشرفها وقتلوا وأسرؤا فذكرت لهم سوء عاقبة الحرب ثم قالت (وكذلك يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستمرة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك وراحت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية ومارأت من الرأي السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها واحتج الساعي في الارض بالفساد بهذه الآية ومن استباح حراما فقد كفر واذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جع بين كفرين (واني مرسله اليهم بهدية) أي مرسله رسلا بهدية (فناظرة) فنظرة (بم) أي بمالان الالف تحذف مع حرف الجر في الاستفهام (يرجع المرسلون) بقبولها ثم ردها لانها عرفت عادة الملوك وحسن مواقع الهدايا عندهم فان كان ملكا قبلها وانصرف وان

على القتال (وأولوا بأس شديد) أي عند الحرب وقيل أراد بالقوة كثرة العدد والباأس والشجاعة وهذا تعرض منهم بالقتال أي ان أمرتهم بذلك ثم قالوا (والامر اليك) أيها الملكة أي في القتال وتركه (فانظري ماذا تأمرين) أي نجدنا مطيعين لامرك (قالت) بلقيس بحبيبة لهم عن التعرض للقتال وما يؤول اليه أمره (ان الملوك اذا دخلوا قرية) أي عنوة (أفسدوها) أي خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أي أهانوا أشرفها وكبراءها كي يستقيم لهم الامر تخنبرهم بذلك مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم ثم تناهى الخبر عنها هنا وصدق الله قولها فقال تعالى (وكذلك يفعلون) أي كما قالت هي بفعلون وقيل هو من قولها وهولنا كيد لما قالت ثم قالت (واني مرسله اليهم بهدية) أي الى سليمان وقومه أصانعه بها على ما كنى وأخبره بها ملك هو أم نبي فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم ير ضه منا الا ان تبعه في دينه وهو قولها (فناظرة بم يرجع المرسلون) وذلك أن بلقيس كانت امرأة ليلية عاقلة قد ساست الامور وجرت بها فاهدت ووصفاء ووصائف قال ابن عباس مائة وصيف ومائة وصيفة قال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فالبست الجوارى لبس الغلمان الاقبية والمناطق وألبست الغلمان لبس الجوارى وجعلت في أيديهم أساور الذهب وفي أعناقهم أطواق الذهب وفي آذانهم أقراطه وسنوفهم صعات بانواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة ركبة والغلمان على خمسمائة بردون على كل فرس سرج من الذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج وبعثت اليه لبنات من الذهب ولبنات من الفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وأرسلت بالمسك والعنبر والعود اليلنجوج وعمدت الى حق جعلت فيه درة بقيمة ثمانية عشر منقوبة وخززة جزع معوجة الثقب ودعت رجلا من أشرف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجلا من قومها أصحاب عقل ورأي وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كنت نياميز بين الوصفاء والوصائف وأخبرنا بما في الحق قبل أن تفتحه واثقب الدررة تقبام مستويا وأدخل في الخززة خيطا من غير علاج انس ولا جن وأمرت بلقيس الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وأمرت الجوارى أن يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت فان نظرك اليك نظر ابيه غضب فاعلم انه ملك فلا يهولك أمره ومنظره فانما أعز منه وان رأيت الرجل بشاشا لطيفا فافهم انه نبي فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدى مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر فامر سليمان الجن ان يضر بوالبنان من الذهب والفضة ففعلوا وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسعة فراسخ وان يفرشوا البن الذهب والفضة وان يخلوا مقدار تلك اللبنات التي معهم وأن يعملوا حائطا شرفه من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال أي دواب البر والبحر أحسن فقالوا يا نبي الله ما رأينا أحسن من دواب البحر يقال لها كذا وكذا مختلفة ألوانها لها أجنحة واعراف ونواص قال على بها الساعة فأتوا بها قال شدوها بين يمين الميدان وشماله ثم قال للجن على باولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فاقامهم عن يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع له أربعة آلاف

كان نبياردها ولم ير ضه منا الا ان تبعه على دينه فبعثت خمسمائة غلام

ككري

عليهم ثياب الجوارى وحلبين را كبي خيل مفضاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زى الغلمان وألف لبنات من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وحقا فيه درة عنذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رسلا وأمرت عليهم المنذر بن عمرو وهليل قوله تعالى بم يرجع المرسلون وكتبت كتابا فيه نسخة الهدايا وقالت فيه ان كنت نبيا فيز بين الوصفاء والوصائف

وأخبر بما في الحق وانقب الدرّة ثقباً واسلك في الخرزة خيطاً ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملاني فلا يهولك منظره وان رأته بشاشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدى وأخبر سليمان الخبير كنهه فأمر سليمان الجن فصر بوالبنات الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وأمر باحسن الدواب في البر والبحر فر بطوها عن بين الميدان ويساره على البنات وأمر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقبوا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبه واصطقت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ورأوا الدواب تروث على الابن رموا بما معهم من الهدايا ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم سليمان بوجه طلق فاعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق فأمر الارضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرّة وأخذت دودة بيضاء الخيط فيها (٤١١) ونفذت فيها ودعا بالماء فكانت الجارية

تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذها يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم (فلما جاء) رسولها المنذر بن عمرو (سليمان قال أعمدوني بمال) بنونين واثبات اليباء في الوقف مكي وسهل واقفهما مدني وأبو عمرو في الوصل أعمدوني جزة ويعقوب في الخالين وغيرهم بنونين بلا ياء فيهما والخطاب للرسول (فما آتاني الله) من النبوة والملك والنعمة وافتح اليباء مدني وأبو عمرو وحفص (خبر مما آتاكم) من زخارف الدنيا (بل أتم بهديتكم نفرحون) الهدية اسم المهدي كما ان العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدي والمهدي له تقول هذه هدية فلان تر يدهي

كرسي على بين الميدان وعلى شماله وأمر الانس والجن والشياطين والوحوش والطيور والسباع فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم الى الميدان ونظر الى ملك سليمان رأوا أول الامر الدواب التي لا يرى مثلها تروث في لبنات الذهب والفضة فلما رأوا ذلك تقاصرت أنفسهم وخبوا ما معهم من الهدايا وقيل ان سليمان فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وترك على طرفيهم موضعا على قدر ما معهم من اللبن في ذلك الموضع فلما رأى الرسل موضع اللبنة خاليا خافوا ان ينهوا بذلك فوضعوا ما معهم من اللبن في ذلك الموضع ولما رأوا الشياطين هالهم مارأوا وفرعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا بأس عليكم فكانوا يمررون على كراديس الانس والجن والوحش والطيور حتى وقفوا بين يدي سليمان فاقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم تلقيا حسنا وسألهم عن حالهم فأخبرهم بتيس القوم بما جاؤا فيه وأعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق فأني به فركه فجاءه جبريل فأخبره بما فيه فقال لهم ان فيه درّة ثمينة غير منقوبة وخرزة معوجة الثقب قال الرسول صدقت فاقب الدرّة وأدخل الخيط في الجزء فقال سليمان من لي بثقبها وسأل الانس والجن فلم يكن عندهم علم ثم سأل الشياطين فقالوا ترسل الى الارضة فلما جاءت الارضة أخذت شعرة في فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت تصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك ثم قال من لي بهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء أنا لها ياني الله فأخذت الدرّة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت يكون رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان والجواري بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب به الاخرى وتغسل وجهها والغلام يأخذ الماء بيده ويغسل به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام على ظاهره فيميز بين الغلمان والجواري ثم رد سليمان الهدية كما أخبر الله تعالى فقال تعالى (فلما جاء سليمان قال أعمدوني بمال فما آتاني الله) أي ما أعطاني من الدين والنبوة والحكمة والملك (خير) أي أفضل (مما آتاكم بل أتم بهديتكم نفرحون) معناه أتم أهل مفاخرة ومكافرة بالهدية نفرحون باهداء بعضكم الى بعض وأما نأفلا أفرح بالدنيا وليست الدنيا من حاجتي لان الله قد أعطاني منها ما لم يعط أحدا ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو وأمير الوفاء (ارجع اليهم) أي بالهدية (فلنا نينهم بجنود لا قبل) أي لطاقته (لهم بها ولنخرجهم منها) أي من أرض سبأ (أذلة وهم صاغرون) أي ان لم يأتوني

التي أهداها أو أهديت اليه والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم وذلك ان الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلني بان يمد بمال بل انتم قوم لا تعلمون الاظهار من الحياة الدنيا فلذلك نفرحون بما زادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما أرضى منكم بشئ ولا أفرح به الا بالايمن وترك الجوسية والفرق بين قولك أعمدوني بمال وأنا غني منكم وبين ان تقول له بالفاء اني اذا قلته بالواو جعلت مخاطبي عالما بذي الغنى وهو مع ذلك يمدني بمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كاني أقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد فما آتاني الله ووجه الاضراب انه لما أنكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي جعلهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها (ارجع اليهم) خطاب للرسول أو الهدى محملا كما آتوا اليهم انت بلقيس وقومها (فلنا نينهم بجنود لا قبل لهم بها) لاطاقتهم بها وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أي لا يقهرون ان يقابلوهم (ولنخرجهم منها) من سبأ (وهي صاغرون

الذليلان بذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار ان يقفوا في أسروا استعداد فلما رجع اليها رسولها بالهدايا وقص عليها القصة قالت هونبي ومالنا به طاقة ثم جعلت عرشها في آخر سبعة أليات وغلقت الابواب ووكت به حراسا يحفظونه وبعثت الى سليمان انى قادمة اليك لانظر ما الذى تدعوا اليه وشخصت اليه فى اثني عشر ألف قبيل تحت كل قبيل ألوف فلما بلغت على رأس فرسخ من سليمان (قال يا أيها الملك أياكم يأتيني بعرشها قبل أن

(٤١٢)

يأتوني مسلمين) أراد أن يريها بذلك بهض ما خصه الله تعالى به من اجراء

العجائب على يده مع اطلاعها على عظم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوته سليمان أو أراد أن يأخذه قبل أن تسلم له لئلا يها إذا أسلمت لم يحل له أخذ ما لها وهذا بعيد عند أهل التحقيق أو أراد أن يؤتى به فينكره ويغيره ثم ينظر أثبته أم تنكره اختبارا لعقلها (قال عفريت من الجن) وهو الخبيث المارد واسمه ذكوان (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) مجلس حكمك وقضائك (وانى عليه) على حمله (اقوى أمين) آتى به كما هو لاأخدمه شيئا ولاأبدله فقال سليمان عليه السلام أريد أن عمل من هذا (قال الذى عنده علم من الكتاب) أى ملك بيده كتاب التمام يرأسه الله تعالى عند قول العفريت أو جبريل عليه السلام والكتاب على هذا اللوح المحفوظ أو الخضر أو آصف ابن برخيا كاتب سليمان

مسلمين قال وهب وغيره من أهل الكتاب لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان وياخوها ما قال سليمان قالت والله لقد عرفت ما هذا بملك ومالنا به من طاقة فبعثت الى سليمان انى قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما الذى تدعوا اليه من دينك ثم أمرت بعرشها فجعلته فى آخر سبعة أليات بعضها داخل بعض ثم أغلقت عليه سبعة أبواب ووكت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على ملكها احتفظ بما قبلك ورسرير ملكي لا يخلص اليه أحد ثم أمرت مناديا نادى فى أهل ملكها نوذهم بالرحيل وشخصت الى سليمان فى اثني عشر ألف قبيل من ملوك اليمن كل قبيل تحت يده ألوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا لا يتدأ بشئ حتى يكون هو الذى يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سريره فسمع رهجا قريبا منه قال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت مناهذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان فاقبل سليمان على جنوده (قال يا أيها الملك أياكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) قال ابن عباس يعنى طائعين وقيل مؤمنين قبيل غرض سليمان فى احضار عرشها ليرىها قدرة الله تعالى واظهار مجزة دالة على نبوته وقيل أراد أن ينكره ويغيره قبل مجيئها ليختبر بذلك عقلها وقيل أن سليمان علم انها ان أسلمت يحرم عليه ما لها فآراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذها لانه أعجبه وصفه لما وصفه له الهدد وقيل أراد أن يعرف قدر ملكها لان السرير على قدر الملكة (قال عفريت من الجن) وهو المارد القوي وقال ابن عباس العفريت الداهية قال وهب اسمه كوذى وقيل ذكوان وقيل هو صخر المارد وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) أى مجلس قضائك قال ابن عباس وكان له فى الغداة مجلس يقضى فيه الى متسع النهار وقيل نصفه (وانى عليه) أى على حمله (اقوى أمين) أى على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان أريد أسرع من ذلك (قال الذى عنده علم من الكتاب) قيل هو جبريل وقيل هو ملك أباد الله به سليمان وقيل هو آصف بن برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى وقيل هو سليمان نفسه لانه أعلم بنى اسرائيل بالكتاب وكان الله قد آناه علما وفهما فعلى هذا يكون الخطاب للعفريت الذى كلمه فاراد سليمان اظهاره مجزة فتحداهم أولا ثم بين للعفريت انه يتأتى له من سرعة الاتيان بالعرش ما لا يتأتى للعفريت قيل كان الدعاء الذى دعا به اذا الجلال والاكرام وقيل يا حى يا قيوم وروى ذلك عن عائشة وروى عن الزهري قال دعاء الذى عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شئ الهنا واحدا لا اله الا انت اننى بعرضها وقال ابن عباس ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهى طرفك فدس سليمان عينيه ونظر نحو اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير بجرودن به تحت الارض حتى نبع من بين يدي سليمان وقيل خر سليمان ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغاب العرش تحت الارض حتى ظهر عند كرسي سليمان فقال ما قال (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) قال سليمان هات قال أنت النبي ابن النبي وليس أحد عند الله أووجه منك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجىء بالعرش فى الوقت (فلما رآه) يعنى رأى سليمان العرش (مستقرا عنده) أى محولا اليه من مأرب الى الشام

وهو الاصح وعليه الجمهور وكان عنده اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به أجاب وهو يا حى يا يوم يا ذا الجلال والاكرام أو يا الهنا واله كل شئ الهنا واحدا لا اله الا انت وقيل كان له علم بمجاري الغيوب الهاما (أنا آتيك به) بالعرش وآتيك فى الموضعين يجوز أن يكون فعلا أو اسم فاعل ومعنى قوله (قبل أن يرتد اليك طرفك) انك ترسل طرفك الى شئ فتقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك وروى ان آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهى طرفك فدعيت ففطن نحو اليمن فدعا آصف فغار العرش فى مكانه ثم نزع عند مجلس سليمان بقدرة الله تعالى قبل أن يرتد طرفه (فلما رآه) أى العرش (مستقرا عنده) ثابتا له غير مضطرب

(قال هذا) أي حصول مرادى وهو حضور العرش في مدة ارتداد الطرف (من فضل ربي) على واحسانه الى بلا استحقاق منى بل هو فضل خال من العوض صاف عن الغرض (ليبلوني أشكر) ليمتحنني أشكر انعامه (أم أ كفر ومن شكر فأنما يشكر لنفسه) لانه عطا به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويستجلب به المزيد ويرتبط به النعمة فالشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعضهم ان كفران النعمة بوار وفلما أفضت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهاها بكرم الجوار واعلم ان سبع سنين الله تعالى متعاص عم اقرب اذا أنت لم ترج لله وقار أي لم (٤١٣) تشكر لله نعمته (ومن كفر) بترك

الشكر على النعمة (فان ربي غني) عن الشكر (كريم) بالانعام على من يكفر نعمته قال الواسطي ما كان منا من الشكر فهو لنا وما كان منه من النعمة فهو الينا لئلا والفضل علينا (قال نكروا الهاعرشها) غيروا أي اجعلوا مقدمه مؤخره وأعله أسفله (تنظر) بالجزم على الجواب (أنتهدى) الى معرفة عرشها وللجواب الصواب اذا ست عنه (أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت) بلقيس (قيل أهكذا عرشك) هاللتنبية والكاف للتبوية وذا اسم اشارة ولم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا (قال كأنه هو) فاجابت أحسن جواب فلم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل للامر من

في قدر ارتداد الطرف (قال هذا من فضل ربي ليلوني) يعني التمكن من حصول المراد (أ أشكر) أي نعمته على (أم أ كفر) فلا أشكرها (ومن شكر فأنما يشكر لنفسه) أي يعود نفع شكره اليه وهو أن يستوجب به تمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة (ومن كفر فان ربي غني) أي عن شكره لا يضره ذلك الكفران (كريم) أي بالافضال عليه لا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة (قال نكروا الهاعرشها) يعني غيروا سريرها الى حال تنكره اذا رآته قيل هو أن يزاد فيه أو ينقص منه وقيل انما يجعل أسفله أعلاه ويجعل مكان الجوهر الاخر مكان الاخر أحر (تنظر أنتهدى) الى معرفة عرشها (أم تكون من الذين لا يهتدون) الى معرفته وانما حمل سليمان على ذلك ما قال وهب ومحمد بن كعب وغيرهما ان الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفشي اليه أسرار الجن لان أمها كانت جنية واذا ولدت ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان وذر يته من بعده فاساؤا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا ان في عقلها شيا وان رجلا يحفر الحمار وانها شعراء الساقين فاراد سليمان أن يختبر عقلها بتكبير عرشها وينظر الى قدميها بيناء الصرح (فلما جاءت قيل لها) أهكذا عرشك قالت كأنه هو (قيل انها عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها وقيل انها كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من الكذب ولا قالت لا خوفا من التكذيب أيضا فقالت كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها بحيث لم تقرو ولم تنكر وقيل اشبه عليها أمر العرش لانها تركته في بيت عليه سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها قيل لها فانه عرشك فاعغى عنك اغلاق الابواب ثم قالت (وأوتينا العلم من قبلها) أي من قبل الآية في العرش (وكننا مسلمين) أي منقادين منطاعين خاضعين لامر سليمان وقيل قوله تعالى وأوتينا العلم أي بالله وبصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدد والرسول من قبلها أي من قبل الآية في العرش وكننا مسلمين أو معناه وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة وكننا مسلمين ويكون الغرض من هذا شكر نعمة الله عليه أن خصه بمزيد العلم والتقدم في الاسلام وقيل معناه وأوتينا العلم باسلامها ومجيبها طاعة من قبل مجيبها طاعة وكننا مسلمين لله ﷻ قوله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) أي منعها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله وقيل معناه صدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله وحال بينها وبينه (انها كانت من قوم كافرين) أخبر الله انها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت بينهم ولم تعرف إلا عبادة الشمس (قيل لها ادخلي الصرح) وذلك أن سليمان لما اختبر عقلها بتكبير العرش وأراد أن ينظر الى قدميها وساقها من غير أن يسألها كشفها الماء أخبرته الجن ان رجليها يحفر حمار وهي شعراء الساقين أمر الشياطين فعملوا لها قصر من الزجاج الابيض كالماء وقيل الصرح صحن الدار وأجرى تحته الماء وألقى فيه السمك والضفادع وغيرها من دواب البحر ثم وضع سريره في صدر المجلس وجلس عليه وقيل انما عمل الصرح ليختبر به فهمها كما فعلت في الوصفاء والوصائف فلما جلس

أولما شبهوا عليها بقولهم أهكذا عرشك شبهت عليهم بقولها كأنه هو مع انها علمت انه عرشها (وأوتينا العلم من قبلها) من كلام بلقيس أي وأوتينا العلم بقدرته الله تعالى وبصحة نبوتك بالآيات المتقدمة من أمر الهدد والرسول من قبل هذه المجزة أي احضار العرش أو من قبل هذه الحالة (وكننا مسلمين) منقادين لك مطيعين لامر ك أو من كلام سليمان ومثله عطفوا على كلامها قولهم وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها وأوتينا العلم باسلامها ومجيبها طاعة من قبل مجيبها وكننا مسلمين موحدون خاضعين (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) متصل بكلام سليمان أي وصدها عن العلم بما علمناه أو عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوها بين أظهر الكفرة ثم بين نشأها بين الكفرة بقوله (انها كانت من قوم كافرين) أو كلام مبتدأ أي قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلطا عن

سواء السليل أو صدها لله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل (قيل لها ادخلي الصرح) أي الفصر أو صحن
الدار (فلماراته حسبته لجة) ماء عظيما (وكشفت عن ساقها) ساقها بالهزمة مكي روى ان سليمان أمر قبل قدومها فبني له على طرفها قصر
من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس
وإنما فعل ذلك ليزيدها استغلاما لامرءه وتحقيق النبوة وقيل ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضى اليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية
وقيل خافوا أن يولد له منها ولد (٤١٤) يجمع فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو أشد فقوالوا له ان في عقلها

شيا وهي شعراء الساقين
ورجلها كحفر الحمار فاختر
عقلها بتسكير العرش واتخذ
الصرح ليعرف ساقها
ورجلها فكشفت عنهما
فاذا هي أحسن الناس ساقا
وقدما الا انها شعراء
فصرف بصره (قال)
لها (انه صرح مرد) علس
مستوومنه الامرد (من
قوارير) من الزجاج
وأراد سليمان تزوجها فكره
شعرها فعمات ط الشياطين
النورة فأزالته فكحها
سليمان وأحبها وأقرها على
ملكها وكان يزورها في
الشهر مرة فيقيم عندها
ثلاثة أيام وولدت له (قال
رب اني ظلمت نفسي)
بعبادة الشمس (وأسلمت
مع سليمان لله رب العالمين)
قال المحققون لا يحتمل أن
يحتمل سليمان لينظر الى
ساقها وهي أجنبية فلا
يصح القول بمثله (واقف
أرسلنا الى ثمود أخاهم) في

على السرير دعا بلقيس ولما جاءت قيل لها ادخلي الصرح (فلماراته حسبته لجة) أي ماء عظيما (وكشفت
عن ساقها) لتخوض الماء الى سليمان فاذا هي أحسن النساء ساقا وقدما الا انها كانت شعراء الساقين فلما
نظر سليمان ذلك صرف بصره عنها (قال انه صرح مرد) أي علس (من قوارير) زجاج وليس بماء فحينئذ
سترت ساقها وعجبت من ذلك وعلمت ان ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوة
(قال رب اني ظلمت نفسي) بعبادة غيرك (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أي أخلصت له التوحيد
والعبادة وقيل انها لما بلغت الصرح وظنت لجة قالت في نفسها ان سليمان يريد أن يعرفني وكان القتل أهون
من هذا فلما تبين لها خلاف ذلك قالت رب اني ظلمت نفسي بذلك الظن واختلفوا في أمر بلقيس بعد اسلامها
فقيل انتهى أمرها الى قولها أسلمت لله رب العالمين ولا علم لاحد وراء ذلك لأنه لم يذكر في الكتاب ولا في
خبر صحيح وقال بعضهم تزوجها سليمان وكره ما رأى من كثرة شعر ساقها فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا
الموسى فقالت المرأة اني لم يمسنى حديد قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقها فسأل الجن فقالوا
لاندرى فسأل الشياطين فقالوا احتمالك حتى تكون كالفضة البيضاء فأتخذ والنورة والحمام فكانت النورة
والحمامات من يومئذ فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً وأقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بمرض
اليمين ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنادى سليمان ويسنون وعمدان ثم كان سليمان يزورها
في كل شهر مرة وقيم عندها ثلاثة أيام يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له ولداً ذكراً
وقال وهب زعموا ان بلقيس لما أسلمت قال لها سليمان احتاري رجلا من قومك حتى أزوجهك اياه فقالت
ومثلي يابني الله ينسكح الرجال وقد كان لي من قومي الملك والسلطان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا
يبنى لك أن تحرمي ما حل الله قالت فان كان ولا بد فزوجني ذاتبع ملك همذان فزوجها اياه وذهب بها
الى اليمن وملك زوجها ذاتبع على اليمن ودعا زوجه ملك الجن وقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه فلم يزل
يعمل له ما أراد الى أن مات سليمان وحال الحول وعلم الجن موت سليمان فاقبل رجل منهم حتى بلغ جوف
اليمن وقال باعلى صوته يامعشر الجن ان الملك سليمان قد مات فرفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا واتقضى
ملك سليمان وملك ذي تبع وملك بلقيس وبق الملك لله الواحد القهار قيل ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث
عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة (وقوله عز وجل) ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا
الله أي وحدوه لا تشركوا به شيئاً (فاذا هم فريقان) أي مؤمن وكافر (بمختصمون) أي في الدين كل
فريق يقول الحق معنا (قال) يعني صالحاً للفريق المكذب (يا قوم لم تستجلبون بالبيتة) أي بالبلاء
والعقوبة (قبل الحسنه) أي العاقبة والرحمة (لولا) أي هلا (تستغفرون الله) أي بالتوبة اليه من الكفر

النسب (صالحاً) بدل (أن اعبدوا الله) بكسر النون في الوصل عاصم وحزرة وبصري
وبضم النون غيرهم اتباعاً للباء والمعنى بان اعبدوا الله وحدوه (فاذا) للمفاجأة (هم) مبتدأ (فريقان) خبر (بمختصمون) صفة وهي
العامل في اذا والمعنى فاذا قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به بمختصمون فيقول كل فريق الحق معي وهو مبين في قوله قال الملا الذين
استكبروا من قومه لادين استضعفوا لمن آمن منهم أنعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا انابا أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا
انا بالذي آمنتم به كافرون وقال الفريق الكافر يا صالح اتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين (قال يا قوم لم تستجلبون بالبيتة) بالعباد
لذي توعدون (قبل الحسنه) قبل التوبة (لولا) هلا (تستغفرون الله) تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والايمان قبل نزول العذاب بكم

لعلمكم

(لعلكم ترجون) بالاجابة (قالوا اطيرنا بك) تشاء منابك لانهم فحطوا عند مبعثه لتكذيبهم فانسبوه الى مجيئه والاصل تطيرنا وقرئ به فادغمت التاء في الطاء وزيدت الالف لسكون الطاء (وبمن معك) من المؤمنين (قال طائر كم عند الله) أي سببكم الذي يحيى عنه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته أو عملكم مكتوب عند الله فأنزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه وكل انسان الزمانه طائر في عنقه وأصله ان المسافر اذا مر بطائر فيجزوه فان مر سائحاً تيامن واذا مر بارحاً تشاءم فلما انسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهم ما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة (بل أنتم قوم تفتنون) تختبرون وتعذبون بدينكم (وكان في المدينة) مدينة ثمود وهي الحجر (تسعة رهط) هوجع لا واحد له ولذا جاز تمييز التسعة به فكأنه قيل تسعة أنفس وهو من الثلاثة الى العشرة وعن أبي ذر رأسهم قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا أبناء أشرفهم (يفسدون في الارض ولا يصلحون) يعني ان شأنهم الافساد البحت لا يخلط بشئ من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندرم منه بعض الصلاح وعن الحسن يظلمون الناس ولا يمنعون الظالمين من الظلم وعن ابن عطاء يتبعون معائب الناس ولا يسترون عوراتهم (قالوا تقاسموا بالله) تحالفوا خبر في محل الحال باضمار قد أي قالوا متقاسمين أو امر أي أمر بعضهم بعضاً بالقسم (لنبينه) لنقتله ببيان أي (٤١٥) ليلا (وأهله) ولده وتبعه ثم

لنقولن لوليه) لولي دمه لتبينه بالتاء وضم التاء الثانية ثم لتقولن بالتاء وضم اللام حمزة وعلى (ما شهدنا) ما حضرنا (مهلك أهله) حفص مهلك أبو بكر وحماد والمفضل من هلك فالاول موضع الهلاك والثاني المصدر مهلك غيرهم من أهلك وهو الاهلاك أو مكان الاهلاك أي لم تعرض لاهله فكيف تعرض لاهله أو ما حضرنا موضع اهلاكه فكيف توليناه (وانا لصادقون) فيما ذكرنا (ومكر واماكرا ومكرنا) مكر او هم لا يشعرون

لعلكم ترجون) أي لا تعذبون في الدنيا (قالوا اطيرنا) أي تشاء منا (بك وبمن معك) قيل انما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل لامسك القطر عنهم قالوا انما أصابنا هذا الضر والشدة من شوئك وشوأم أصحابك (قال طائر كم عند الله) أي ما يصيبكم من الخير والشر يا امر الله مكتوب عليكم سمي طائر الا انه لاشئ أسرع من نزول القضاء المحتوم وقال ابن عباس الشؤم الذي أنا كم من عند الله بكفركم وقيل طائر كم أي عملكم عند الله سمي طائر السرعة صعوده الى السماء (بل أنتم قوم تفتنون) قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر وقيل معناه تعذبون ﴿ قوله تعالى (وكان في المدينة) يعني مدينة ثمود وهي الحجر (تسعة رهط) يعني من أبناء أشرفهم (يفسدون في الارض) أي بالمعاصي (ولا يصلحون) أي لا يطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف (قالوا تقاسموا بالله) يعني يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله أيها القوم (لنبينه) أي لنقتله ليلا (وأهله) يعني قومه الذين آمنوا معه (ثم لتقولن لوليه) أي لولي دمه (ما شهدنا) أي ما حضرنا (مهلك أهله) أي ما ندري من قتله ولا هلاك أهله (وانا لصادقون) أي في قولنا ما شهدنا ذلك (ومكر واماكرا) أي غدر واغدر احين قصدوا تبيت صالح وأهله (ومكرنا مكرنا) أي جازيناهم على مكرهم بتججيل العذاب (وهم لا يشعرون) فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أناد مناهم) أي أهلكتناهم أي التسعة قال ابن عباس أرسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فانت التسعة دار صالح شاهر بن سلاحهم وسيوفهم فرمهم الملائكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم وأهلك الله جميع القوم بالصيحة (وقومهم أجمعين) أي بظلمهم وكفرهم (ان في ذلك لآية) أي لعبرة (لقوم يعلمون) أي قدرتنا (وانجيننا الذين آمنوا وكانوا يتقون) يقال ان الناجين كانوا أربعة آلاف ﴿ قوله تعالى (ولو طأذ قال لقومه أتأتون الفاحشة) أي الفعل القبيحة (وأنتم

مكرهم ما حضرهم من تدبير القتل لصالح وأهله ومكر الله اهلا كههم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الما كره على سبيل الاستعارة روى انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ من االى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثالث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حياهم فبادروا فطقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدركوهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلامهم في مكانه ونجى صالحا عليه السلام ومن معه (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أناد مناهم) بفتح الالف كوفي وسهل وبكسر ها غيرهم على الاستئناف ومن فتحه رفعه على انه بدل من العاقبة أو خير مبتدا محذوف تقديره هي تدبيرهم أو نصبه على معنى لانا وعلى انه خبر كان أي فكان عاقبة مكرهم الدمار (وقومهم أجمعين) بالصيحة (قتلك بيوتهم خاوية) ساقطة متهدمة من خوى النجم اذا سقط أو خالية من الخواء وهي حال عمل فيها ما دل عليه تلك (بما ظلموا) بظلمهم (ان في ذلك) فيما فعل ثمود (لآية لقوم يعلمون) قدرتنا فيعتظون (وانجيننا الذين آمنوا) بصالح (وكانوا يتقون) ترك او امره وكانوا أربعة آلاف نجوا مع صالح من العذاب (ولو طأذ قال) واذا كروا واذكروا واذكروا واذكروا (لقومه أتأتون الفاحشة) أي اتيان الذكور (وأنتم

تبصرون) تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها من بصر القلب أو يرى ذلك بعضهم من بعض لانهم كانوا يرتكبونها في ناديتهم معالنين بها لا يستتر بعضهم من بعض بحجة وانهما كافي المعصية أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم ثم صرح فقال (أنكم) بهمزتين كوفي وشامى (لتأتون الرجال شهوة) للشهوة (من دون النساء) أى ان الله تعالى انما خلق الاتى للذ كرو ولم يخلق الذ كرو للاتى للاتى فهو مضادة لله في حكمته (بل أتم قوم تجهلون) تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك أو أريد بالجهل السناهة والمجانة التى كانوا عليها وقد اجتمع الخطاب والغيبة في قوله بل أتم قوم تجهلون وبل أتم قوم تفتنون فغلب الخطاب على الغيبة لانه أقوى اذا اصل أن يكون الكلام بين الحاضرين (فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط) أى لوطا ومتبعيه فخر كان جواب واسمه أن قالوا (من قريتكم انهم أناس يتطهرون) يتزهدون عن القاذورات ينكرون هذا العمل القدر ويغيظنا انكارهم وقيل هو استهزاء كقوله انك لآفة الحليم الرشيد (فانجيناها) فخلصنا من العذاب الواقع بالقوم (وأهل الامر أنه قدرناها) بالتشديد سوى حادوا بى بكرأى قدرنا كونها (من الغابرين) من (المنذرين) الذين لم يقبلوا الانذار (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بتحميده ثم بالصلاة على المصطفين من عباده توطئة لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شئ وهو تعليم لكل متكلم فى كل أمر ذى بال بان يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما أو هو خطاب للوط عليه السلام بان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم (آله خير مما يشركون) بالياء بصرى وعاصم ولا خير فيما أشركوه

تبصرون) أى تعلمون انها فاحشة وهو من بصر القلب وقيل معناه يبصر بعضهم بعضا وكانوا لا يستترون عتوانهم (أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أتم قوم تجهلون) فان قلت اذا فسر تبصرون بالعلم وقد قال بعده قوم تجهلون فيكون العلم جهلا قلت معناه تفعلون فعل الجاهلين وتعلمون انه فاحشة وقيل تجهلون العاقبة وقيل أراد بالجهل السفاهة التى كانوا عليها (فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون) يعنى من أدبار الرجال (فانجيناها وأهل الامر أنه قدرناها من الغابرين) أى قضينا عليها بان جعلناها من الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) أى الحجارة (فساء) أى فيس (مطر المنذرين) قوله عز وجل (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية وقيل يحمد على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعنى الانبياء والمرسلين وقال ابن عباس هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين (آله خير مما يشركون) فيه تبيكيت للمشركين والزام الحجية عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى آله خير لمن عبده أم الاصنام لمن عبدها فان الله خير لمن عبده وآمن به لا غنائه عنه من الهلاك والاصنام لم تفن شيئا عن عابديها عند نزول العذاب ولهذا السبب ذكر أنواعا تدل على وحدانيته وكمال قدرته ﴿ فالنوع الاول قوله تعالى (أمن خلق السموات والارض) ذكر أعظم الاشياء المشاهدة كدلالة على عظيم قدرته والمعنى آله خير مما الذى خلق السموات والارض ﴿ ثم ذكر نعمه فقال (وأنا نزل لكم من السماء ماء) يعنى المطر (فانبتنا به حدائق) أى بساتين جمع حديقة وهو البستان المحيط عليه فان لم يكن عليه حائط فليس بحديقة (ذات بهجة) أى ذات منظر حسن والبهجة الحسن يتنهج به من يراه (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) يعنى ما يندبى لكم لانكم لا تقدرون على ذلك لان الانسان قد يقول أنا المنبت للشجرة بان أغرسها وأسقيها الماء فازال الله هذه الشبهة بقوله ما كان لكم أن تنبتوا شجرها لان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والطعوم والروائح المختلفة والزرع تسقى بماء

المنذرين) الذين لم يقبلوا الانذار (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بتحميده ثم بالصلاة على المصطفين من عباده توطئة لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شئ وهو تعليم لكل متكلم فى كل أمر ذى بال بان يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما أو هو خطاب للوط عليه السلام بان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم (آله خير مما يشركون) بالياء بصرى وعاصم ولا خير فيما أشركوه

أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل شئ وانما هو الزام لهم وتهمك بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله واحد تعالى ولا يؤثر عاقل شيئا على شئ الا لاداع بدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما آثروه وانهم لم يؤثره لزيادة الخير ولكن هوى وعيبا ليدبوا على الخطا المفرط والجهل المورط وليعلموا ان الايثار يجب أن يكون للخير الزائد وكان عليه الصلاة والسلام اذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التى هى آثار رحته وفضله فقال (أمن خلق السموات والارض) والفرق بين أم وأم فى أم ما يشركون وأمن خلق السموات أن تلك متصلة اذ المعنى أيهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة ولما قال آله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات والارض خير تقر بالهم بان من قدر على خلق العالم خير من جاد لا يقدر على شئ (وأنا نزل لكم من السماء ماء) (فانبتنا) صرف الكلام عن الغيبة الى التكلم تأ كيد المعنى اختصاص الفعل بذاته وايدان بان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع حسن ما جاء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده (به) بالياء (حدائق) بساتين والحديقة البستان وعليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة (ذات) ولم يقل ذوات لان المعنى جماعة حدائق كما تقول النساء ذهبت (بهجة) حسن لان الناظر يتنهج به ثم رشح معنى الاختصاص بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) ومعنى الكينونة الانبعاث اراد ان تاتى ذلك محال من غيره

(ألمع الله) أغبره يقرب به ويجعل شريكاً له (بل هم قوم يعدلون) به غيره أو يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد وبل هم بعد الخطاب ابلغ في تحطته رأيتهم (أمن جعل الارض) وما بعده بدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه (قراراً) دحاها وسواها للاستقرار عليها (وجعل خلاطاً) ظرف أي وسطها وهو المفعول الثاني والاول (أنهاراً) وبين البحرين مثله (وجعل لها) للارض (رواسي) جبالاً تمنعها عن الحركة (وجعل بين البحرين) العذب والملح (حاجزاً) مانعاً أن يختلطاً (ألمع الله بل أكثرهم لا يعلمون) التوحيد فلا يؤمنون (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) الاضطرار افعال من الضرورة وهي الحالة المحوجة الى اللجاء يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر الى اللجاء والتضرع الى الله أو المذنب إذا استغفر أو المظلوم إذا دعا أو من روع يديه ولم ير لنفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر (ويكشف السوء) الضرر أو الجور (ويجعلكم خلفاء الارض) أي فيها وذلك نوارثهم سكنها والتصرف فيها قرن بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط (ألمع الله (٤١٧) قليلاً ما تذكرون) وبالبياء أبو عمرو وبالتخفيف حزة

وعلى وحفص وما من زيادة
أي تذكرون تذكرياً قليلاً
(أمن يهديكم) يرشدكم
بالنجوم (في ظلمات البر
والبحر) ليلا وبعلامات
في الارض نهاراً (ومن يرسل
الرياح) الریح مكي وحزة
وعلى (بشراً) من البشارة
وقدم في الاعراف (بين
يدي رحته) قدام المطر
(ألمع الله تعالى الله عما
يشركون أمن يبدأ الخلق)
ينشأ الخلق (ثم يعيده)
وإنما قيل لهم ثم يعيده وهم
منكرون للاعادة لانه أزيحت
علمهم بالتمكين من المعرفة
والاقرار فلم يبق لهم عذر
في الانكار (ومن يرزقكم
من السماء) أي المطر
(والارض) أي ومن
الارض النبات (ألمع

واحد لا يقدر عليه الا الله تعالى ولا يتأني لاحد وأن تأتي ذلك لغيره محال (ألمع الله) يعني هل معه معبود
أعانه على صنعه (بل) يعني ليس معه اله ولا شريك (هم قوم) يعني كفار مكة (يعدلون) يشركون وقيل
يعدلون عن هذا الحق الظاهر الى الباطل ﴿ النوع الثاني قوله عز وجل (أمن جعل الارض قراراً) أي
دحاها وسواها للاستقرار عليها وقيل لانميد باهلها (وجعل خلالها أنهاراً) أي وسطها بانهار تظرد بالبياء
(وجعل لها رواسي) أي جبالاً ثوابت (وجعل بين البحرين) يعني العذب والملح (حاجزاً) أي مانعاً لا يختلط
أحدهما بالآخر (ألمع الله بل أكثرهم لا يعلمون) أي توحيد ربهم وقدرته وسلطانه ﴿ النوع الثالث
قوله تعالى (أمن يجيب المضطر) أي المكروب المجهود وقيل المضطر بالحاجة المحوجة من مرض أو نازلة من
نوازل الدهر يعني اذا نزلت باحد بادر الى الالتجاء والتضرع الى الله تعالى وقيل هو المذنب اذا استغفر (إذا
دعاه) يعني فيكشف ضرره (ويكشف السوء) أي الضرر لانه لا يقدر على تغيير حال من فقر الى غنى ومن مرض
الى صحة ومن ضيق الى سعة الا القادر الذي لا يجز والقاهر الذي لا يغلب ولا ينازع (ويجعلكم خلفاء الارض)
أي سكانها وذلك انه ورثهم سكنها والتصرف فيها قرن بعد قرن وقيل يجعل أولادكم خلفاء لكم وقيل جعلكم
خلفاء الجن في الارض (ألمع الله قليلاً ما تذكرون) أي تعظون ﴿ النوع الرابع قوله عز وجل (أمن
يهديك في ظلمات البر والبحر) أي يهديكم بالنجوم والعلامات اذا جن عليكم الليل مسافرين في البر والبحر
(ومن يرسل الرياح بشرابين يدي رحته) أي قدام المطر (ألمع الله تعالى الله عما يشركون) ﴿ النوع
الخامس قوله تعالى (أمن يبدأ الخلق) أي نطقاً في الارحام (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء
والارض) أي من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات (ألمع الله قل هاتوا برهانكم) أي حججكم ﴿ قولكم
ان مع الله الها آخر (ان كنتم صادقين) ﴿ قوله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله)
نزلت في المشركين حين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة والمعنى ان الله هو الذي يعلم
الغيب وحده يعلم متى تقوم الساعة (وما يشعرون أيان يبعثون) يعني ان من في السموات وهم الملائكة
ومن في الارض وهم بنو آدم لا يعلمون متى يبعثون والله تعالى تفرد بعلم ذلك (بل ادراك علمهم) أي بلغ
ولحق علمهم (في الآخرة) هو ما جهلوه في الدنيا وسقط عنهم علمه وقيل بل علموا في الآخرة حين عاينوها

(٥٣ - (خازن) - ثالث) (الله قل هاتوا برهانكم) حججتكم على اشراككم (ان كنتم صادقين) في دعواكم ان مع الله
الها آخر (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) من فاعل يعلم والغيب هو ما لم يقم عليه دليل ولا اطاع عليه مخلوق مفعول والله
بدل من من والمعنى لا يعلم أحد الغيب الا الله نعم ان الله تعالى يتعالى على أن يكون ممن في السموات والارض واسكنه جاء على لغة بني تميم حيث
يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتصل ويجيزون النصب والبدل في المنقطع كما في المتصل ويقولون ما في الدار أحد الا جار وقالت عائشة
رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وقيل
نزلت في المشركين حين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (وما يعلمون) أيان) متى (يبعثون) ينشرون
بل ادراك) مكي وبصري ويزيد والمفضل أي انتهى وتكامل من أدركت الفاكهة تكاملت نضجها بل ادراك عن الاعشى افتعل بل ادراك
غيرهم استحكم وأصله تدارك فادغمت التاء في الدال وزيد ألف الوصل لم تكن التكلم بها (علمهم في الآخرة) أي في شأن الآخرة ومعناها

والمعنى ان أسباب استحكام العلم ونكامله بان القيامة كائنة قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شا كون جاهلون وذلك قوله (بل هم في شك منها بل هم منها عمون) والاضربات الثلاث تنزل لاحوالهم وتكرير لجهلهم وصفهم اولابانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزلون والازالة مستطاعة ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى وقد جعل الآخرة مبتدأ عماسهم ومنشأ فلذا عداه من دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي منعهم عن التدبر والتفكير ووجه ملامته مضمون هذه الآية وهو وصف المنكرين بانكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والنكس من المعرفة بما قبله وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشئ منه انه لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب وكان هذا بيان الجزاء لهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجز أبلغ منه وهو انهم يقولون للكان الذي لا بد من كونه وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع ان عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به وجزا أن يكون وصفهم باستحكام العلم ونكامله تكاملهم كما تقول لاجهل الناس ما أعلمك على سبيل الهزة وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الطريق الى الذي علمه مسلك فضلا أن يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته ويجوز ان يكون أدرك بمعنى انتهى وفي من قولك أدركت الثمرة لان تلك غائبة التي عندها تعدم وقد فسرنا الحسن باضمحل علمهم في الآخرة وتدارك من تدارك بنوفلان اذا تابعتوا في الهلاك (وقال الذين كفروا أنذنا كناترا باؤنا أننا نخرجون) من قبورنا أحياء وتكرير حرف الاستفهام في اذا وانما في قراءة عاصم وجزء وخلف انكار بعد انكار وجود عقيب بخود دليل (٤١٨) على كفر مؤ كدمبالغ فيه والعامل في اذا ما دل عليه لخرجون وهو يخرج

ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا وهو قوله تعالى (بل هم في شك منها) أي هم اليوم في شك من الساعة (بل هم منها عمون) جمع عم وهو أعمى القلب وقيل معنى الآية ان الله أخبر عنهم أنهم اذا بعثوا يوم القيامة يستوى علمهم في الآخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب وان كانت علومهم مختلفة في الدنيا قوله تعالى (وقال الذين كفروا) أي مشركو امكة (أنذنا كناترا باؤنا أننا نخرجون) أي من قبورنا أحياء (لقد وعدنا هذا) أي هذا البعث (نحن وآباؤنا من قبل) أي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وليس ذلك بشئ (ان هذا) أي ما هذا (الأساطير الاولين) أي أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم) أي بتكذيبهم اياك واعراضهم عنك (ولانك في ضيق مما يمكرون) نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف) أي دنا وقرب (لكم) وقيل معناه رد فكم (بعض الذي تستعجلون) أي من العذاب خل بهم ذلك يوم بدر قوله عز وجل (وان ربك لذو فضل على الناس) يعني على أهل مكة حيث لم يجعل لهم بالعذاب (واكن أ أكثرهم لا يشكرون) أي ذلك (وان ربك ليعلم ما تكمن صدورهم) أي تخفي (وما يعلمون) أي من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما من غائبة) أي جلة غائبة من مكتوم سر وخفي أمر من قبل) من قبل محمد

لان اسم الفاعل والمفعول بعد همزة الاستفهام أو ان أولام الابتداء لا يعمل فيما قبله فكيف اذا اجتمعن والضمير في اناطم ولا بائهم لان كونهم ترايا قد تناوطم وآباءهم لكنه غلبت الحكاية على الغائب وآباؤنا عطف على الضمير في كنا لان المفعول جرى مجرى التوكيد (لقد وعدنا هذا) أي البعث (نحن وآباؤنا من قبل) من قبل محمد

صلى الله عليه وسلم قدم هنا هذا على نحن وآباؤنا وفي المؤمنون نحن وآباؤنا على هذا يدل على أن المقصود بالذكر هو البعث هنا وتمت المبعوثون (ان هذا الأساطير الاولين) ما هذا الأحاديثهم وأكاذيبهم (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أي آخر أمر الكافرين وفي ذكر الاجرام لظف بالمسلمين في ترك الجرائم كقوله تعالى قدم عليهم عليهم بذنوبهم وقوله مما خطبوا عنهم (أغرقوا ولا تحزن عليهم) لاجل أنهم لم يتبعوك ولم يسلموا وافتسلموا (ولانك في ضيق) في حرج صدر (مما يمكرون) من مكرهم وكيدهم لك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا بالفتح وهو قراءه غير ابن كثير وبالسر وهو قراءته (ويقولون متى هذا الوعد) أي وعد العذاب (ان كنتم صادقين) ان العذاب نازل بالكذب (قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون) استعجلوا العذاب الموعود فليلهم عسى أن يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فز يدت اللام لتأ كيد الباء في ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنالكم وأزف لكم معناه تبعكم ولحقكم وعسى وعل وسوف في وعد الملوك ووعدهم يدل على صدق الامر ووجه فعل ذلك جرى وعد الله ووعدته (وان ربك لذو فضل) أي افضال (على الناس) بترك المعاجلة بالعذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) أي أكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه فيستعجلون العذاب بجهلهم (وان ربك ليعلم ما تكمن) تخفي (صدورهم وما يعلمون) يظهر من القول فليس تأخير العذاب عنهم لحفاء حاطم ولكن له وقت مقدر أو انه يعلم ما يخفون وما يعلمون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكائدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقونه وقرئ تكن يقال كنت الشيء وأ كنته اذا نه صرنا خفته وامامه غائبة

في السماء والارض الا في كتاب مبين) سمي الشيء الذي يغيب ويخفي غائبة وخافية والثناء فيهما كالتناء في العاقبة والعافية ونظارهما الزمية والذبيحة والنطيحة في أنها أسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاوهما للمبالغة كالراوية كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة الا وقد عامه الله وأحاط به وأثبتته في اللوح المحفوظ والمبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) أي بين لهم (أكثر الذي هم فيه يختلفون) فانهم اختلفوا في المسح فحزبوا فيه أحزابا ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لولا أنصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد اليهود والنصارى (وانه) وان القرآن (لهدي ورحمة للمؤمنين) لمن أنصف منهم وآمن أي من بني اسرائيل أو منهم ومن غيرهم (ان ربك يقضى بينهم) (٤١٩) بين من آمن بالقرآن ومن كفر

به (بحكمه) بعدلانه لا يقضى الا بالعدل فسمي المحكوم به حكما أو بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العليم) بمن يقضى له ومن يقضى عليه أو العزيز في انتقامه من المبطلين العلم بالفضل بينهم وبين المحققين (فتوكل على الله) أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين (انك على الحق المبين) وعلل التوكل بانه على الحق الا بيل وهو الدين الواضح الذي لا يتعلق به شك وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله وينصرته (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمى عن ضلاتهم) لما كانوا لا يعون ما يسمعون ولا به ينتفعون شسبها

وشيء غائب (في السماء والارض الا في كتاب مبين) يعني في اللوح المحفوظ (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) أي بين لهم (أكثر الذي هم فيه يختلفون) أي من أمر الدين وذلك ان أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزابا يطعن بعضهم على بعض فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه (وانه) يعني القرآن (لهدي ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضى بينهم) أي يفصل بينهم ويحكم بين المختلفين في الدين يوم القيامة (بحكمه) أي الحق (وهو العزيز) الممتنع الذي لا يردله أمر (العليم) أي باحوالهم فلا يخفي عليه شيء منها (فتوكل على الله) أي فتق به (انك على الحق المبين) أي البين (انك لا تسمع الموتى) يعني موتى القلوب وهم الكفار (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) أي معرضين فان قلت ما معنى مدبرين والاصم لا يسمع صوتا سواء أقبل أو أدبر قلت هونا كيد ومبالغة وقيل ان الاصم اذا كان حاضرا قد يسمع برفع الصوت أو يفهم بالاشارة فاذا ولي لم يسمع ولم يفهم ومعنى الآية انهم لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كلت الذي لا سبيل الى سماعه وكالاصم الذي لا يسمع ولا يفهم (وما أنت بهادي العمى عن ضلاتهم) معناه ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الايمان (ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا) الامن يصدق بالقرآن أنه من الله (فهم مسلمون) أي مخلصون ﴿ قوله تعالى ﴾ (واذا وقع القول عليهم) يعني اذا وجب عليهم العذاب وقيل اذا غضب الله عليهم وقيل اذا وجبت الحجة عليهم وذلك انهم لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وقيل اذا لم يرج صلاحهم وذلك في آخر الزمان قبل قيام الساعة (أخرجناهم دابة من الارض) (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة أحدكم وأم العامرية (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتها كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريباً عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجأ ووجه المؤمن وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الحق يجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وروى البغوي باسناده عن الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فخرج خروجاً باقضى اليمن فيفشود كرها بالبادية لا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زماناً طويلاً ثم تخرج خرجة أخرى قريباً من مكة فيفشود كرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم يئنا الناس يوماً في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا قال عمرو ما بين الركن الاسود الى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط عن ذلك فارفض الناس

بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس وبالصم الذين ينعم بهم فلا يسمعون وبالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد ان يترع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله تعالى ثم كد حال الصم بقوله اذا ولوا مدبرين لانه اذا تابعد عن الداعي بان تولى عنه مدبراً كان أبعد عن ادراك صوته ولا يسمع الصم مكى وكذا في الروم وما أنت تهدي العمى وكذا في الروم حزة (ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا) أي ما يجدي أسمائك الاعلى الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أي يصدقون بها (فهم مسلمون) مخلصون من قوله بلى من أسلم وجهه لله يعني جعله سالماً لله خالصاً (واذا وقع القول عليهم) سمي معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمرامشرفة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة (أخرجناهم دابة من الارض

نكلمهم) هي الجساسة في الحديث طوطهاستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ولها أربع قوائم وزغب وریش وجناحان وقيل لها رأس نور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنتا عشرة ذراعا تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية فتقول (ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) أي لا يوقنون بخروجي لان خروجها من الآيات وتقول الآية الله على الظالمين أو (٤٢٠) نكلمهم يبطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام أو بان هذا مؤمن وهذا كافر

عنها وثبت لها عصابة عرفوا أنهم لم يجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فرت بهم فلت وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا يجزها هارب حتى ان الرجل يقوم فيعود منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسبه في وجهه فيتجاوز الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الاموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر وبإسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يا رسول الله من أين تخرج قال من أعظم المساجد حرمة على الله فينا عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضرب الأرض وينشق الصفاء إلى المسمى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يخرج منها رأسها ملعة ذات وبر وریش لن يدركها الطالب ولن يفوتها هارب نسمة الناس مؤمنا وكافرا فاما المؤمن فترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتسكت بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر وروى عن ابن عباس انه قال قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاى هذه وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسرون الى منى وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بشب الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة تصرخ ثلاث صرخات يسمعهان بين الخافقين وروى عن ابن الزبير انه وصف الدابة فقال رأسها رأس نور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصة نها خاصة هرة وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا وعن عبد الله بن عمر وقال تخرج الدابة من شعب أجياد فقس رأسها أصحاب ورجلاها في الأرض وروى عن علي قال ليست بدابة لها ذنب ولكن لها حية وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها خلق الطير فتضرب من رآها ان أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون (نكلمهم) أي بكلام فصيح قيل تقول هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تقول ما أخبر الله تعالى (ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) تخبر الناس عن أهل مكة أنهم لم يؤمنوا بالقرآن والبعث وقرئ نكلمهم بتخفيف اللام من الكام وهو الجرح وقال ابن الجوزي سئل ابن عباس عن هذه الآية نكلمهم ونكلمهم فقال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر قوله تعالى (ويوم نحشر من كل أمة فوجا أي فوجا أي نحشر من كل قرن جماعة) ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقوا الى النار (حتى اذا جاؤا) يعني يوم القيامة (قال) الله تعالى لهم (أ كذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما) أي ولم تعرفوها حتى معرفتها (أم ماذا كنتم تعملون) أي حين لم تفكروا فيها وقيل معنى الآية أ كذبتم بآياتي غير عالين بها ولم تفكروا في صحتها بل كنتم بها جاهلين (ورقع القول) أي وجب العذاب (عليهم بما ظلموا) أي بما أشركوا (فهم لا ينطقون) أي بحجة وقيل ان أقوامهم مخنومة (ألم يروا اننا جعلنا) أي انا خلقنا (الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) أي مضيا يبصر فيه وفي الآية دليل على البعث بعد الموت لان القادر على قلب الضياء ظلمة والظلمة ضياء قادر على الاعادة بعد الموت (ان في ذلك لايات

وقح أن كوفي وسهل على حذف الجار أي نكلمهم بان وغيرهم كسر والآن الكلام بمعنى القول أو باضمار القول أي تقول الدابة ذلك ويكون المعنى بآيات ربنا أو حكاية لقول الله تعالى عند ذلك ثم ذكر قيام الساعة فقال (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) من التبعية أي واذا كر يوم نجتمع من كل أمة من الامم زمرة (ممن يكذب) من للتبيين (بآياتنا) المنزلة على أنبيائنا (فهم يوزعون) يحبس أولهم في آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب وهذه عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة (حتى اذا جاؤا) حضروا موقف الحساب والسؤال (قال) لهم تعالى تهديدا (أ كذبتم بآياتي) المنزلة على رسلي (ولم تحيطوا بها علما) الواو للحال وكأنه قال أ كذبتم بآياتي بادئ

الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب (أم ماذا كنتم تعملون) حيث لم تفكروا فيها فانكم لم تخلقوا عبثا (ورقع القول) وعليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) أي يشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون (ألم يروا اننا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) حال جعل الالبصار للنهار وهو لاهلها والتقابل مراعى من حيث المعنى لان معنى مبصرا يبصر وفيه طرق الثقل في المكاسب (ان في ذلك لايات

لقوم يؤمنون) يصدقون فيعتبرون وفيه دليل على صحة البحث لان معناه لم يعلموا انا جعلنا الليل والنهار قواما لمعاشهم في الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يجعل عشا بل محنة وابتلاء ولا بد عند ذلك من ثواب وعقاب فاذا لم يكونا في هذه الدار فلا بد من دار اخرى للثواب والعقاب (وبوم) واذ كر يوم (ينفخ في الصور) وهو قرن أو جمع صورة والنافخ اسرافيل عليه السلام (ففرع من في السموات ومن في الارض) اختير فرع على يفرع للاشعار بتحقيق الفرع وثبوته وانه كائن لا محالة والمراد فرعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون (الامن شاء الله) الامن ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت (٤٢١) عليهم السلام وقيل الشهداء وقيل

الحور وخزنة النار وحلة العرش وعن جابر رضي الله عنه منهم موسى عليه السلام لانه صعق مرة ومثله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله (وكل آتوه) حزة وحفص وخلف آتوه غيرهم وأصله آتوه (داخرين) حال أي صاغرين ومعنى الاثيان حضورهم الموقوف ورجوعهم الى امره تعالى وانقيادهم له (وترى الجبال تحسبها) بفتح السين شامى وحزة ويزيد وعاصم وبكسرهما غيرهم حال من المخاطب (جامدة) واقفة ممسكة عن الحركة من جد في مكانه اذالم يرح (وهي تمر) حال من الضمير المنصوب في تحسبها (مر السحاب) أي مثل مر السحاب والمعنى انك اذا رأيت الجبال وقت النفخة طننتها

لقوم يؤمنون) أي يصدقون فيعتبرون ﴿ قوله تعالى (وبوم ينفخ في الصور) هو قرن ينفخ فيه اسرافيل قال الحسن الصور هو القرن ومعنى كلامه ان الارواح تجتمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب في الاجساد فتحيا بها الاجساد (ففرع) أي فصعق (من في السموات ومن في الارض) أي ماتوا والمعنى انه يلقي عليهم الفرع الى ان يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفرع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين (الامن شاء الله) روى أبوهريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى الامن شاء الله قال هم الشهداء متقلدون أسيا فهم حول العرش وقال ابن عباس هم الشهداء لانهم أحياء عند ربهم لا يصل اليهم الفرع وقيل يعني جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل فلا يبقى بعد النفخة الا هؤلاء الاربعة وروى ان الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل فيأخذ نفسه ثم يقول من بقي يملك الموت فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم بقي جبريل وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكائيل فيأخذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم فيقول من بقي من خلقي فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت بقي جبريل وملك الموت فيقول مت يملك الموت فيقول يا جبريل من بقي فيقول تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام بقي وجهك الدائم الباقي وجبريل الميت الثاني فيقول الله يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيروى ان فضل خلقه على ميكائيل كفضل الطود العظيم على ظرب من الظراب وروى انه بقي مع هؤلاء الاربعة حلة العرش فيقبض روح جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ارواح حلة العرش ثم روح ملك الموت فاذا لم يبق أحد الا الله تبارك وتعالى طوى السماء كطوى السجل للكتاب ثم يقول الله انا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيقول الله تعالى لله الواحد القهار (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فاكون أول من رفع رأسه فاذا موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا تدري أكان ممن استثنى الله عز وجل أم رفع رأسه قبلي ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب وقيل الذين استثنى الله هم رصوان والحور ومالك والزبانية ﴿ وقوله تعالى (وكل الذين أحيوا بعد الموت) (آتوه) أي جاؤه (داخرين) أي صاغرين قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة) أي قائمة واقفة (وهي تمر مر السحاب) أي تسير سير السحاب حتى تقع على الارض فتسوي بها وذلك ان كل شيء عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرتة وعظمه وبعده ما بين أطرافه فهو في حساب الناظر واقفة وهو سائر كذلك سير الجبال يوم القيامة لا يرى لعظمها كما ان سير السحاب لا يرى لعظمه (صنع الله الذي أتقن كل شيء) يعني انه تعالى لما قدم هذه الاشياء كلها التي لا يقدر عليها غيره جعل ذلك الصنع من الاشياء التي أتقنها وأحكمها وأتى بها على وجه الحكمة والصواب (انه خير بما يفعلون) ﴿ قوله تعالى

ثابتة في مكان واحد لعظمها وهي تسير سير اسريعا كالسحاب اذا ضربته الريح وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش بار عن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج (صنع الله) مصدر عمل فيه ما دل عليه تمر لان مرورها كمر السحاب من صنع الله فكانه قيل صنع الله ذلك صنعا وذكرا اسم الله لانه لم يذ كر قبل (الذي أتقن كل شيء) أي أحكم خلقه (انه خير بما يفعلون) مكي وبصري غير سهل وأبو بكر وغير يحيى وغيرهم بالهاء أي انه عالم بما يفعل العباد فيكافئهم على حسب ذلك بقوله

(من جاء بالحسنة) أي بقول لا اله الا الله عند الجهور (فله خير منها) أي فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعلى هذا لا يكون خير بمعنى افضل ويكون منها في موضع رفع صفة لخير أي بسببها (وهم من فزع) كوفي أي من فزع شدد بدمقرط الشدة وهو خوف النار أو من فزع ما وان قل وبغير تنوين غيرهم (بومئذ) كوفي ومدني وبكسر الميم غيرهم والمراد يوم القيامة (آمنون) آمن بعدى بالجارو بنفسه كقوله أقاموا مكر الله (ومن جاء بالسيئة) بالشرك (فكبت) القيت (وجوههم في النار) يقال كبت الرجل أقيته على وجهه أي ألقوا على رؤسهم في النار وأعبر عن الجملة بالوجه كما يعبر بالرأس والرقة عنها أي ألقوا في النار ويقال لهم تكبكتا عند الكعب (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) في الدنيا من الشرك (٤٢٢) والمعاصي (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) مكة (الذي حرمها) جعلها

(من جاء بالحسنة) أي بكامة الاخلاص وهي شهادة أن لا اله الا الله وقيل الاخلاص في العمل وقيل الحسنة كل طاعة عملها الله عز وجل (فله خير منها) قال ابن عباس فيها يصل الى الخير بمعنى انه له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والامن من العذاب أما من يكون له شيء خير من الايمان فلا لانه لا شيء خير من لا اله الا الله وقيل جزاء الاعمال والطاعات الثواب والجنة وجزاء الايمان والاخلاص رضوان الله والنظر اليه لقوله ورضوان من الله وقيل معنى خير منها الاضعاف أعطاه الله بالواحدة عشر أضعافها لان الحسنة استحقاق العبد والتضعيف تفضيل الرب تبارك وتعالى (وهم من فزع بومئذ آمنون) فان قلت كيف نفي الفزع هنا وقد قال قبله ففزع من في السموات ومن في الارض قلت ان الفزع الاول هو ما لا يخلو عنه أحد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن يأمن وصول ذلك الضرر اليه فاما الفزع الثاني فهو الخوف من العذاب فهم آمنون منه وأما ما يلحق الانسان من الرعب عند مشاهدة الاهوال فلا ينفك منه أحد (ومن جاء بالسيئة) يعني بالشرك (فكبت وجوههم في النار) عبر بالوجه عن جميع البدن كأنه قال كبوا وطرحو اجميعهم في النار (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) أي تقول لهم خزنة جهنم هل تجزون الا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك وقوله تعالى (انما أمرت) يعني يقول الله تعالى لرسوله قل انما أمرت (أن أعبد رب هذه البلدة) يعني أمرت أن أخص بعبادتي وتوحيدى الله الذي هو رب هذه البلدة يعنى مكة وانما خصها من بين سائر البلاد بالذكر لانها مضافة اليه وأحب البلاد وأكرمها عليه وأشار اليها اشارة تعظيم لانها موطن نبيه ومهبط وحيه (الذي حرمها) أي جعلها الله حرما آمنا لا يسفك فيها دم ولا ينظم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا ينجس خلائها ولا يدخلها الا محرم وانما ذكر انه هو الذي حرمها لان العرب كانوا معترفين بفضيلة مكة وان شحرت بها من الله لان الاصنام (وله كل شيء) أي خلقا وملكا (وأمرت أن أكون من المسلمين) به المطيعين له (وأن أتلو القرآن) أي أمرت أن أتلو القرآن ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل ما أمر به ا م قيام على ما أمر به (فن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) أي تقع اهتدائه يرجع اليه (ومن ضل) أي عن الايمان وأخطأ طريق الهدى (فقل انما أنا نذير) أي من المخوفين وما على الا البلاغ نسختها آية القتال (وقل الحمد لله) أي على جميع نعمه وقيل على ما وفقني من القيام بآداء الرسالة والانذار (سيركم آياته) الباهرة ودلائله القاهرة قيل هو يوم بدر وهو ما أراه من القتل والسي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وقيل آياته في السموات والارض وفي أنفسكم (فتعرفونها) أي فتعرفون الآيات والدلالات (ومار بك بغافل

حرما آمنا يأمن فيها اللاجئ البها ولا ينجس خلائها ولا يعضد شوكتها ولا ينظر صيدها (وله كل شيء) مع هذه البلدة فهو مالك الدنيا والآخرة (وأمرت أن أكون من المسلمين) المتقدين له (وأن أتلو القرآن) من التلاوة أو من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك من ربك أمر رسوله بأن يقول أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت فر يش وأن أكون من الخفاء الثابتين على ملة الاسلام وأن أتلو القرآن لاعرف الحلال والحرام وما يقتضيه الاسلام وخص مكة من بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها أحب بلاد الله وأعظمها عنده وأشار اليها بقوله هذه اشارة تعظيم لها وتقريب دالا

على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها وجعل دخول كل شيء محترم بربيته وملكوته كالتابع لدخول طاعتها (فن اهتدى) باتباعه اياي فيما أبصده من توحيد الله ونفي الشركاء عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما أنزل على من الوحي (فانما يهتدى لنفسه) فمفعلة اهتدائه راجعة اليه لالى (ومن ضل فقل انما أنا نذير) أي ومن ضل ولم يقبض فلاحى وما أنا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ المبين (وقل الحمد لله سيركم آياته فتعرفونها) ثم أمره ان يحمده الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توارى بها نعمته وان يهدد أعداءه بما سير بهم الله من آياته في الآخرة فيستيقنون بها وقيل هو انشقاق القمر والدخان وما حل بهم من نعمات الله في الدنيا (ومار بك بغافل

عما تعملون) بالتاء مدني وشامي وحفص ويعقوب خطاب لاهل مكة وبالياء غيرهم أي كل عمل يعملونه فان الله عالم به غير غافل عنه قاله نذلة
 والسهو لا يجوز ان عليه ﴿سورة القصص ثمانون وثمان آيات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (طسم تلك آيات الكتاب المبين)
 يقال بان الشيء وأبان بمعنى واحد ويقال ابنته فأبان لازم ومتعد أي مبين خبره و بركتته أو مبين للحلال والحرام والوعد والوعيد والاخلاص
 والتوحيد (تلاوا عليك) نقرأ عليك أي يقرؤه جبريل بامرنا ومفعول تلاوا (من نبأ موسى وفرعون) أي تلاوا عليك بعض خبر عما
 (بالحق) حال أي محققين (لقوم يؤمنون) لمن سبق في علمنا انه مؤمن لان التلاوة انما تنفع هؤلاء دون غيرهم (ان فرعون) جملة مستأنفة
 كالتفسير للجمل كان قائلاً قال وكيف كان نبؤهما فقال ان فرعون (علا) طغأ وجاوز الحد في الظلم واستكبر وافتخر بنفسه ونسى العبودية
 (في الارض) أي أرض مملكته يعني مصر (وجعل أهلها شيعا) فرقا يشيعونه على ما يريدو يطيعونه لا

(٤٢٣)

ملك أحد منهم أن يلوي
 عنقه أو فرقا مختلفة بكرم
 طائفة ويهين أخرى فآكرم
 القبطي وأهان الاسرائيلي
 (يستضعف طائفة منهم)
 هم بنو اسرائيل (يذبح
 أبناءهم ويستحيي
 نساءهم) أي يترك البنات
 أحياء للخدمة وسبب ذبح
 الابناء أن كاهنا قال له بولد
 مولود في بني اسرائيل
 يذهب ملكك على يده
 وفيه دليل على حق
 فرعون فانه ان صدق
 الكاهن لم ينفعه القتل
 وان كذب فما معنى القتل
 ويستضعف حال من
 الضمير في وجعل أوصفة
 لشيعا أو كلام مستأنف
 ويذبح بدل من يستضعف
 (انه كان من المفسدين)

عما تعملون) فيه وعيد بالجزاء على أعمالهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة القصص﴾

وهي مكة الاقوله تعالى الذين أتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة
 وهي قوله ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهي ثمان وثمانون آية وأر بعامة واحد
 وأربعون كلمة وخسة آلاف وثمانمائة حرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (طسم تلك) اشارة الى آيات السورة (آيات الكتاب المبين) قيل هو اللوح المحفوظ وقيل
 هو الكتاب الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ووصفه بأنه مبين لانه بين فيه الحلال والحرام والحدود
 والاحكام (تلاوا عليك من نبأ) أي خبر (موسى وفرعون بالحق) أي بالصدق (لقوم يؤمنون) أي
 يصدقون بالقرآن (ان فرعون علا) أي تجبر وتكبر (في الارض) أي أرض مصر (وجعل أهلها شيعا)
 أي فرقا في أنواع الخدمة والتسخير (يستضعف طائفة منهم) يعني بني اسرائيل (يذبح أبناءهم ويستحيي
 نساءهم) سمي هذا استضعافا لانهم عجزوا ورضعوا عن دفعه عن أنفسهم (انه كان من المفسدين) أي
 بالقتل والتجبر في الارض (وزيد أن ممن) أي نعم (على الذين استضعفوا في الارض) يعني بني اسرائيل
 (ونجعلهم أمم) أي قادة في الخير يقتدي بهم وقيل ولاية ملوكا (ونجعلهم الوارثين) يعني أملاك فرعون
 وقومه بان نجعلهم في مساكنهم (ونمكن لهم في الارض) أي نوطن لهم أرض مصر والشام ونجعلها لهم
 سكنا (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) أي يخافون وذلك أنهم أخبروا أن
 هلا كههم على يد رجل من بني اسرائيل وكانوا على حذر منه فأراهم الله ما كانوا يحذرون ﴿قوله تعالى
 (وأوحينا الى أم موسى) هو وحى الهام وذلك بان قذف في قلبها واسمها يوحى ندم من نسل لاوي بن يعقوب
 (أن أرضيه) قيل أرضعته ثمانية أشهر وقيل أربعة وثلاثه وكانت ترضعه وهو لا يبكي ولا يتحرك في
 حجرها (فاذا خفت عليه) أي الذبح (فألقيه في اليم) أي في البحر وأراد به نيل مصر (ولا تخافي) أي عليه

أي ان القتل ظلم انما هو فعل المفسدين اذ لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب (وزيد أن ممن) تفضل وهو دليل لنا في مسألة الاصلح
 وهذه الجملة معطوفة على ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسير النبأ موسى وفرعون واقتصاصه أو حال من يستضعف
 أي يستضعفهم فرعون ونحن زيد أن ممن عليهم وارادة الله تعالى كائنة بما ت كالمقارنة لاستضعافهم (على الذين استضعفوا في الارض
 ونجعلهم أمم) قادة يقتدي بهم في الخير أو قادة الى الخير أو ولاية وملوكا (ونجعلهم الوارثين) أي يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم
 ونمكن مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد ومعنى التمكين (لهم في الارض) أي أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث لا تنبؤ بهم
 ويسلطهم وينفذ أمرهم (ونرى فرعون وهامان وجنودهما) بضم النون ونصب فرعون وما بعده وبالياء ورفع فرعون وما بعده على
 وحزة أي يرون منهم ما يحذرون وهلا كههم على يد مولود منهم ويرى نصب عطف على المنصوب قبله كترارة النون ورفع
 على الاستئناف (منهم) من بني اسرائيل ويتعلق بنرى دون يحذرون لان الصلة لا تتقدم على الموصول (ما كانوا يحذرون) الحذر التوقي من
 الضرر (وأوحينا الى أم موسى) بالالهام أو بالرؤيا أو باخبار ملك كما كان لمريم وايس هذا وحى رسالة ولا تكون رسولا هي (أن أرضيه) ان
 بمعنى أي أو مصدرية (فاذا خفت عليه) من القتل بان يسمع الجيران صوته فينموا عليه (فألقيه في اليم) البحر قيل هو نيل مصر (ولا تخافي)

بفراقه (انارادوه اليك) بوجه لطيف لتربيته (وجاعلوه من المرسلين) وفي هذه الآية أمران ونهيان وخبران وبتسارنان والفرق بين الخوق والحزن ان الخوف غم يلحق الانسان لتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاختار به فهبت عنهما وبشرت برده اليها وجعله من المرسلين وروى انه ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليد وروى انها حين ضربها الطلق وكانت بعض القوايل الموكلات بحبالي بنى اسرائيل مصافية لها فماتت بها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه ودخل حبه قلبها فقالت ما جئتك الا لاقبل مولودك وأخبر فرعون ولكن وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظه فلما خرجت جاءت عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاء من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار بردا وسلاما فلما ألع فرعون في طلب الولد ان أوحى اليها بالقائه في اليم بعد ان أرضعته ثلاثة أشهر

من الفرق وقيل الضيعة (ولا محزني) أي على فراقه (انارادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) قال ابن عباس ان بنى اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم الى ان أنجاهم الله على يد نبيه موسى عليه الصلاة والسلام وذكر القصة في ذلك قال ابن عباس ان أم موسى لما تقاربت ولادتها كانت قابلة من القوايل التي وكاهن فرعون بحبالي بنى اسرائيل مصافية لأم موسى فلما ضرب بها الطلق أرسلت اليها وقالت لها قد نزل بي ما نزل فلينفني حبك اياي اليوم فمالت قبها فلما ان وقع موسى بالارض هالها نور عيني موسى فانعش كل مفصل فيها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت اليك حين دعوتني الا مرادى قتل ولدك ولكن وجدت لابنك حبا ما وجدت حب شي مثل حبه فاحفظي ابنك فاني أراه عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاءوا اليها ليدخلوا الي أم موسى فقالت أخته يا أماء هذا الحرم بالباب فلفته بخرقة وألقته في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخولها فاذا التنور مسجور ورأوا أم موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا ما أدخل القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخته فأن الصبي فقالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاحتلمت قال ثم ان أم موسى لما رأت الحجاج فرعون في طلب الولد ان خافت على ابنها فقذف الله في قلبها أن تتخذ نابوتا صغيرا فقالت لا أدري في التابوت في النبل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشتريته منه نابوتا صغيرا فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت ابن لي أخبؤه في التابوت وكرهت الكذب قال ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار الى النباحين ليخبرهم بأمر أم موسى فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيديه فلم تدرك الامناء ما يقول فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضر بوه وأخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الامناء فأناهم ليخبرهم فأخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فضر بوه وأخرجوه وبقى حيران فجعل لله عليه ان رد عليه لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه فيحفظه حينما كان فعرف الله صدقه فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا فقال يارب داني على هذا العبد الصالح فدل عليه فامن به وصدقوه وقال وهب لما حلت أم موسى بموسى كتمت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حبلها أحد من خلق الله تعالى وذلك نبي ستره الله تعالى لما أراد أن يمن به على بنى اسرائيل فلما كانت السنة التي ولد فيها بنت فرعون القوايل وتقدم الامين ففتش النساء فتفتشا لم يفتش قبل ذلك مثله وحملت بموسى ولم يتغير لونها ولم ينب بطنها فكانت القوايل لا تتعرض لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد الا أخته مريم وأوحى الله اليها أن أرضعها فاذا خفت عليه فالتقيه في اليم فكتمته ثلاثة أشهر فلما خافت عليه عملت نابوتا مطبقا ثم ألقته في اليم وهو البحر لئلا قال ابن عباس وغيره كان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيره وكان من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا أيها الملك لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى مجلس كان له على نضير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون في جواربها حتى جلست على شاطئ البحر مع جواربها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن اذا قبل النيل بالتابوت تضر به الامواج فقال فرعون ان هذا النسي في البحر قد تعلق بالشجر اتوفى به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فماتوا ففتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا

(فالتقطه آل فرعون) أخذه قال الزجاج كان فرعون من أهل فارس من اصطخر (ليكون لهم عدوا) أي ليصير الأمر إلى ذلك لأنهم أخذوه لهذا كقولهم للموت ما تلده الوالدة وهي لم تلد لأن يموت ولدها ولكن المصير إلى ذلك كذا قاله الزجاج وعن هذا قال المفسرون إن هذه لام العاقبة والصيرورة وقال صاحب الكشاف هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتكم لتكرمني ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز لأن ذلك لما كان نتيجة التقاطع له شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الأكرام الذي هو نتيجة المحبة (وخزنا) وخزنا على وحزة وهما الغتان كالعدم والعدم (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) خاطئين تخفيف خاطئين أبو جعفر أي كانوا مذنبين فعاقبهم الله بان ربي عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وكانوا خاطئين في كل شيء فليس خطوهم في تربية عدوهم يبدع منهم (وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك) روى انهم حين التقطوا (٤٢٥) التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه

فما لجوا كسره فاعياهم فعدت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً فاعالجته ففتحته فاذا بصبي نوره بين عينيه فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء فنظرت إلى وجهه فبرأت فقالت الغواة من قومهم هو الذي نخذلنا فاذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لالي وفي الحديث لو قال كما قالت لهداه الله تعالى كما هداها وهذا على سبيل الفرض أي لو كان غير مطبوع على قلبه كما آسية لقال مثل قولها وكان أسلم كما أسلمت وقررة خبر مبتدأ محذوف أي هو قرة ولي ولك صفتان لقررة (لاتقتلوه) خاطبته خطاب الملوك أو خاطبت الغواة (عسى أن ينفعنا) فان فيه محابيل اليمن ودلائل النفع

كسره فلم يقدروا عليه فعدت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً لم يره غيرها فاعالجته ففتحت الباب فاذا هي بصبي صغير في التابوت واذ نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمص منه لبنا فالتقى الله محبته في قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما خرجوا الصبي من التابوت عمدت إلى ما يسيل من أشد أفه من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته إلى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك انا نظن ان ذلك المولود الذي تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا رمي به في البحر فزعمت فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرة عين لي ولك لاتقتلوه عسى أن ينفعنا أي فنصيب منه خيرا أو نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يومئذ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها الله فقيل لآسية سميه قالت سميت موسى لانا وجدناه في الماء والشجر لان مو هو الماء وساهو الشجر فذلك قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون) الالتقاط وجود الشيء من غير طلب (ليكون لهم عدوا وخزنا) أي عاقبة أمرهم إلى ذلك لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وخزنا (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) أي آئمين وقيل هو من الخطا ومعناه انهم لم يشعروا انه الذي يذهب بملكهم (وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لاتقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون) قال وهب لما نظر إليه فرعون قال عبراني من الاعداء فغاضه ذلك وقال كيف أخطأ هذا الغلام الذبح وكانت آسية امرأة فرعون من خيار النساء ومن بنات الانبياء وكانت أم للمساكين وترحمهم وتتصدق عليهم فقالت لفرعون وهي قاعدة إلى جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنة وأنت أمرت أن تذبح ولدك هذه السنة فدعه يكون عندي وقيل انها قالت انه أنا نانا من أرض أخرى وليس هو من بني اسرائيل فاستخياه فرعون وألقى الله محبته عليه قال ابن عباس لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا لنفعم الله ولكنه أنى للشقاء الذي كتبه الله عليه ﴿ قوله تعالى (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أي خاليما من كل شيء الا من ذكروا موسى وهم وقيل معناها ناسيا للوحي الذي أوحى الله عز وجل اليها حين أمرها أن تلقه في اليم ولا تخاف ولا تحزن والعهد الذي عهد اليها أن يرده اليها ويجعله من المرسلين فجاءها الشيطان وقال كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله وألقيته في البحر وأغرقتة ولما أتتها الخبر بان فرعون أصابه في النيل قالت انه قد وقع في يد عدوه الذي فررت منه فانساه عظم البلاء ما كان من عهد الله اليها (ان كادت لتبدي به) أي لتصرح بانها منها من شدة وجلها قال ابن عباس

(٥٤ - (خازن) - ثالث) وذلك لما عاينت من النور وبراء البرصاء (أوتخذه ولدا) أو تبناه فانه أهل لان يكون ولدا للملوك (وهم لا يشعرون) حال وذو حال آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وخزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما أحسن نظام هذا الكلام عند أصحاب المعاني والبيان (وأصبح) وصار (فؤاد أم موسى فارغا) صفر من العقل لما دهمها من فرط الجزع لما سمعت بوقوعه في يد فرعون (ان كادت لتبدي به) لتظهر به والضمير لموسى والمراد بامرته وقصته وأنه ولدها قبل لما رأت الامواج تلعب بالتابوت كادت تصيح وتقول والبناء وقيل لما سمعت ان فرعون أخذ التابوت لم أشك انه يقتله فكادت تقول والبناء شفقة عليه وان مخففة من الثقيلة أي انها كادت (لولا أن ربطنا على قلبها) لولار ربطنا على قلبها والربط على القلب تقوية العلم بالصبر

(تكون من المؤمنين) من المصدقين بوعدنا وهو ان ارادوه اليك وجواب لولا محذوف أي لا بدنه أو فارغ من الم حين سمعت ان فرعون
 تبناء ان كادت لتبدي بانه ولد هالانها لم تملك نفسها فرحار سرورا بما سمعت لولا ان اظاما قلبها وسكنها قلبه الذي حدث به من شدة الفرح
 لتكون من المؤمنين الواقين بوعد الله لا يقيني فرعون قال يوسف بن الحسين أمرت أم موسى بشيئين ونهيت عن شيئين وبشرت
 ينارين فلم ينفعها الكحل حتى تولى الله حياطينها فر بط على قلبها (وقالت لاخته) مريم (قصيه) اتبعي أثره لتعلمي خبره (فبصرت به) أي
 أبصرته (عن جنب) عن بعد حال من الضمير في به أو من الضمير في بصرت (وهم لا يشعرون) انها اخته (وحرمانا عليه المراضع) تحريم منع
 لانحرى م شرع أي منعنا ما أن يرضع نديا غير ندي أمه وكان لا يقبل ندي مريض حتى أهمهم ذلك والمراضع جمع مريض وهي المرأة التي ترضع أو
 جمع مريض وهو موضع الرضاع وهو الثدي أو الرضاع (من قبل) من قبل قصها أثره أو من قبل أن يرضعها على أمه (فقات) أخته وقد دخلت
 بين المراضع ورأته لا يقبل نديا (هل) أدلكم (أرشدكم) (على أهل بيت يكفلونه) أي موسى (لكم وهم له ناصحون)

النصح اخلاص العمل من
 شائبة الفساد روى انها لما
 قالت وهم له ناصحون قال
 هان انما تعرفه وتعرف
 أهله فخذوها حتى تحبر بقصة
 هذا الغلام فقالت انما أردت
 وهم للملك ناصحون فانطلقت
 الى أمها بامرهم فجاءت بها
 والصبي على يد فرعون بعله
 شفقة عليه وهو يبكي
 يطلب الرضاع فحين وجد
 ريحها استانس والتقم نديها
 فقال لها فرعون ومن
 أنت منه فقد أتى كل ندي
 الأنديك فقالت انى امرأة
 طيبة الرج طيبة اللبن لا أوتى
 بصبي الا قبلى فدفعه اليها
 وأجرى عليها وذهبت به
 الى بيتها وانجز الله وعده
 في الرد فعند هاتبت واستقر
 في علمها انه سيكون نبيا
 وذلك قوله (فرددناه الى

كادت تقول وا ابنامو قيل لما رأت التابوت ترفعه موجة وتحطه اخرى خشيت عليه العرق فكادت تصيح من
 شدة شفقتها عليه وقيل كادت تظهر انه ابنها حين سمعت الناس يقولون موسى ابن فرعون فشق عليها ذلك
 وكادت تقول هو ابني وقيل كادت تبدي بالوحى الذي أوحى الله اليها أن يرده عليها (لولا أن ربطنا على قلبها)
 أي بالعصمة والصبر والتشيت (لتكون من المؤمنين) أي من المصدقين بوعد الله ايها (وقالت لاخته)
 أي لريم أخت موسى (قصيه) أي اتبعي أثره حتى تعطى خبره (فبصرت به عن جنب) أي عن بعد قيل
 كانت تمشي جانبا وتظنه اختا لا ترى انها لا تظنه (وهم لا يشعرون) انها اخته وانما ترقبه (وحرمانا
 عليه المراضع) المراد به المنع قيل مكث موسى ثمان ليال لا يقبل نديا قال ابن عباس ان امرأة فرعون كان
 همها من الدنيا أن تجد من ترضعه كلما أتوا بمرضة لم ياخذ نديها وهم في طلب من يرضعه لهم (من قبل) أي
 قبل محي أم موسى وذلك لما رآته أخت موسى التي أرسلتها أمه في طلب ذلك (فقات) يعنى أخت
 موسى (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) أي يضمونه ويرضعونه وهي امرأة قتل ولدها فاحب
 ما ندعى اليه أن تجد صغيرا ترضعه (وهم له ناصحون) أي لا يمنعونه ما ينفعه من ربيته وغذائه والنصح
 اخلاص العمل من شوائب الفساد قيل لما قالت وهم له ناصحون قالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدليناعلى
 أهله قالت ما أعرفه ولكن قلت وهم للملك ناصحون وقيل انها قالت انما قلت ذلك رغبة في سرور الملك
 واتصاله وقيل قالوا من هم قالت أي قالوا أولامك ولما قالت نعم هرون وكان هرون ولد في السنة التي
 لا يقتل فيها قالوا صدقت فأتيناها فانطلقت اليها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلما وجد الصبي
 رجع أمه قبل نديها وجعل يعضه حتى امتلأ جنباهم ياقيل كانوا يعطونها كل يوم دينارا فذلك قوله تعالى
 (فرددناه الى أمه كي تقر عينها) أي يرد موسى اليها (ولا تحزن) أي ولا تحزن (ولتعلم ان وعد الله
 حق) أي يرده اليها (ولكن أ أكثرهم لا يعلمون) ان الله وعدها أن يرده اليها (ولما بلغ أشده) قيل الأشد
 ما بين ثمانية عشر الى ثلاثين سنة وقيل الأشد ثلاث وثلاثون سنة (واستوى) أي بلغ أر بعين سنة قاله ابن
 عباس وقيل انتهى شبابه ونكامل (آتيناه حكما وعلما) أي عقلا وفهما في الدين فعمل وحكم موسى قبل
 أن يبعث نبيا (وكذلك نجزي المحسنين) قوله تعالى (ودخل المدينة) يعنى موسى والمدينة قيل هي

أمه كي تقر عينها) بالمقام معه (ولا تحزن) بفراقه (ولتعلم ان وعد الله حق) أي وليثبت علمها
 مشاهدة كما علمت خبرا وقوله ولا تحزن معطوف على تقر وانما حل لها ما تأخذه من الدينار كل يوم كما قال السدي لانه مال حربي لانه أجزء
 على ارضاع ولدها (ولكن أ أكثرهم لا يعلمون) هو داخل تحت علمها أي لتعلم ان وعد الله حق ولكن أ أكثر الناس لا يعلمون انه حق
 فيربون ويشبه التمريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت (ولما بلغ أشده) بلغ موسى نهاية القوة وتتمام العقل وهو جمع شدة
 كنعمة وأنعم عند سيبويه (واستوى) واعتدل وتم استحكامه وهو ار بعون سنة ويروي انه لم يبعث نبيا الا على رأس اربعين سنة (آتيناه
 حكما) نبوة (وعلمنا) فقها وعلما صالح الدارين (وكذلك نجزي المحسنين) أي كما فعلنا بموسى وأمه نفعنا بالمؤمنين قال الزجاج جعل الله
 تعالى آتاء العلم والحكمة مجازاة على الاحسان لانهم يؤدون الى الجنة التي هي جزاء المحسنين والعالم الحكيم من يعمل بعلمه لانه تعالى قال
 وليس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون فجعلهم جهالا اذ لم يعملوا بالعلم (ودخل المدينة)

أى مصر (على حين غفلة من أهلها) حال من الفاعل أى محتفيا وهو ما بين العشاء من أو وقت القافلة يعنى اتصاف النهار وقيل لما شب وعقل أخذتكم بالحق وبنكر عليهم فإخافوه فلا يدخل المدينة الأعلى تغفل (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته) ممن شايعه على دينه من بنى إسرائيل قيل هو السامرى وشيعة الرجل أتباعه وأصاره (وهذا (٤٢٧) من عدوه) من مخالفه من

القبط وهو قاتون وقيل فيها هذا وهذا وإن كانا غائبين على جهة الحكاية أى إذا نظر إليهما الناظر قال هذا من شيعته وهذا من عدوه (فاستغابه) فاستنصره (الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى) ضربه بجمع كفه أو باطراف أصابعه (فقضى عليه) فقتله (قال هذا) إشارة إلى القتل الحاصل بغير قصد (من عمل الشيطان) وإنما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لأنه كان مستأما فيهم ولا يحل قتل الكافر الحربى المستأمن أولانه قتله قبل أن يؤذن له فى القتل وعن ابن جريج ليس لنبى أن يقتل ما لم يؤمر (أنه عدو مضل مبين) ظاهر العداوة (قال رب) يارب (انى ظلمت نفسى) بفعل صار قتلا (فاغفرلى) زلتى (فغفرله) زلته (انه هو الغفور) بأقالة الزلل (الرحيم) بازالة الحجل (قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا) معينا

منف من أعمال مصر وقيل هى قرية يقال لها حابين على رأس فرسخين من مصر وقيل هى مدينة عين شمس (على حين غفلة من أهلها) قيل هى نصف النهار واشتغال الناس بالقبيلة وقيل دخلها ما بين المغرب والعشاء وقيل سبب دخوله المدينة فى ذلك الوقت ان موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب فى سراكب فرعون ويلبس لباسه فركب فرعون يوما وكان موسى غائبا فلما جاء قتل له ان فرعون قد ركب فركب موسى فى أثره فادركه المقييل بأرض منف فدخلها وليس فى أطرافها أحد وقيل كان لموسى شيعة من بنى إسرائيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه مخالفهم فى دينه حتى أنكروا ذلك منه وخافوه وخافهم فكان لا يدخل قرية الا خائفا مستخفيا على حين غفلة من أهلها وقيل لما ضرب موسى فرعون بالعصا فى صغره فاراد فرعون قتله قالت امرأته هو صغير فتركه وأمر باخراجه من مدينته فأخرج منها فلم يدخل عليهم حتى كبر وبلغ أشده فدخل على حين غفلة من أهلها يعنى عن ذكر موسى ونسياتهم خبره لبعده عهد بهم به وعن على أنه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم (فوجد فيها رجلين يقتتلان) أى يتخاصمان ويتنازعان (هذا من شيعته) أى من بنى إسرائيل (وهذا من عدوه) أى من القبط وقيل هذا مؤمن وهذا كافر وقيل الذى كان من الشيعة هو السامرى والذى من عدوه هو طباخ فرعون واسمه قاتون وكان القبطى يريد أن يأخذ الاسرائيلى بحمله الخطب وقال ابن عباس لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بنى إسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو إسرائيل قد عزوا بمكان موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بنى إسرائيل والآخر من القبط (فاستغابه الذى من شيعته) يعنى الاسرائيلى (على الذى من عدوه) يعنى الفرعونى والاستغابة طلب العوث والمعنى انه سأله أن يخلصه منه وأن ينصره عليه فغضب موسى واشتد غضبه لأنه أخذه وهو يعلم منزلة موسى من بنى إسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انه من قبل الرضاة فقال موسى للفرعونى خل سبيله فقال انما أخذته ليحمل الخطب الى مبلغ أريك فنارعه فقال الفرعونى لقد هممت أن أحله عليك وكان موسى قد أوتى بسطة فى الخلق وشدة فى القوة (فوكزه موسى) أى ضربه بجمع كفه وقيل الوكر الضرب فى الصدر وقيل الوكر الدفع باطراف الاصابع (فقضى عليه) أى قتله وفرغ من أمره فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل ودفنه فى الرمل (قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين) أى بين الضلالة وقيل فى قوله هذا إشارة الى عمل المقتول لالى عمل نفسه والمعنى ان عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا لله سبحانه وتعالى مستحقا للقتل وقيل هذا إشارة الى المقتول يعنى انه من جند الشيطان وخزبه (قال رب انى ظلمت نفسى) أى بقتل القبطى من غير أمر وقيل هو على سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب وقوله (فاغفرلى) أى ترك هذا المندوب وقيل يحتمل أن يكون المراد رب انى ظلمت نفسى حيث فعلت هذا فان فرعون اذا عرف ذلك قتلنى به فقال فاغفرلى أى فاستره على ولا توصل خبره الى فرعون (فغفرله) أى فستره عن الوصول الى فرعون (انه هو الغفور الرحيم قال رب بما) أى بالمغفرة والستر الذى (أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين) معناه فانا لا أكون معاونا لاحد من المجرمين قال ابن عباس للكافرين وفيه دليل على أن الاسرائيلى الذى أعانه موسى كان كافرا قال ابن عباس لم يستثن فابتلى فى اليوم الثانى أى لم يقل فلم

(للمجرمين) للكافرين وبما أنعمت على قسم جوابه محذوف تقديره أقسم بانعامك على بالمغفرة لاتبين فلن أكون ظهيرا للمجرمين أو استعطف كأنه قال رب اعصمى بحق ما أنعمت على من المغفرة فلن أكون ان عصمتنى ظهيرا للمجرمين وأراد بظاهرة المجرمين، محبة فرعون

(فاصح في المدينة خائفا) على نفسه من قتله القبطي أن يؤخذ به (بترقب) حال أي يتوقع المكروه وهو الاستفاد منهن والاعخبار أو ما يقال فيه وقال ابن عطاء خائفا على نفسه بترقب نصرته به وفيه دليل على انه لا بأس بالخوف من دون الله بخلاف ما يقوله بعض الناس انه لا يسوغ الخوف من دون الله (فاذا الذي) اذا المفاجأة وما بعدها مبتدأ (استنصره) أي موسى (بالامس يستصرخه) يستغيثه والمعنى ان الاسرائيلي الذي خلاصه موسى استغاث به ثانيا من قبطي آخر (قال له موسى) أي للاسرائيلي (انك لغوي مبین) أي ضال عن الرشد ظاهر التي فقد قاتلت بالامس رجلا فقتلته بسببك والرشد في التدبير أن لا يفعل فعلا يفضي الى البلاء على نفسه وعلى من يريد نصرته (فلما ان أراد) موسى (أن يبطل بالذي) بالقبطي الذي (هو) (٤٢٨) عدوها) لموسى والاسرائيلي لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا أعداء

بنی اسرائیل (قال) الاسرائيلي لموسى عليه السلام وقد نوهم انه أراد أخذه لا أخذ القبطي اذ قال له انك لغوي مبین (يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا) يعني القبطي (بالامس ان تريد) ما تريد (الآن تكون جبارا) أي قتالا بالغضب (في الارض) أرض مصر (وما تريد أن تكون من الصالحين) في كظم الغيظ وكان قتل القبطي بالامس قد شاع ولكن خفي قاتله فلما أفضى على موسى عليه السلام علم القبطي ان قاتله موسى فاخبر فرعون فهموا بقتله (وجاء رجل من أقصى المدينة) هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون (يسى) صفة لرجل أوحال من رجل لانه وصف بقوله أقصى المدينة (قال يا موسى

أكن ان شاء الله ظهيرا للمجرمين (فاصح في المدينة) أي التي قتل فيها القبطي (خائفا بترقب) أي ينتظر سوا والترقب انتظار المكروه وقيل ينتظر متى يؤخذ به (فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه) أي يستغيث به من بعد قال ابن عباس أتى فرعون فقيل له ان بنى اسرائيل قتلا منا رجلا فقلنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فيبناهم بطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه على الفرعوني وكان موسى قد ندّم على ما كان منه بالامس من قتل القبطي (قال له موسى) للاسرائيلي (انك لغوي مبین) أي ظاهر الغواية قاتلت رجلا بالامس فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه (فلما ان أراد أن يبطل بالذي هو عدوها) وذلك أن موسى أخذته الغيرة والرقّة للاسرائيلي فدبده ليبطل بالقبطي فظن الاسرائيلي انه يريد أن يبطل به لما رأى من غضب موسى وسمع قوله انك لغوي مبین (قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس) معناه انه لم يكن علم أحد من قوم فرعون ان موسى هو الذي قتل القبطي حتى أفضى عليه الاسرائيلي ذلك فسمعه القبطي فأتى فرعون فاخبره بذلك (ان تريد الآن تكون جبارا في الارض) أي بالقتل ظلما وقيل الجبار هو الذي يقتل ويضرب ولا ينظر في العواقب وقيل هو الذي يتعاطم ولا يتواضع لامر الله تعالى (وما تريد أن تكون من الصالحين) ولما فشا أن موسى قتل القبطي أمر فرعون بقتله فخرجوا في طلبه وسمع بذلك رجل من شيعة موسى يقال انه مؤمن آل فرعون واسمه خزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو قوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسى) أي يسرع في مشيه وأخذ طريقا قريبا حتى سبق الى موسى وأخبره وأذره بما سمع (قال يا موسى ان الملائمة بكم) أي يتشاورون فيك (ليقتلوك) وقيل يأمر بعضهم بعضا بقتلك (فاخرج) أي من المدينة (ان لك من الناصحين) أي في الامر بالخروج (نخرج منها) يعني موسى (خائفا) على نفسه من آل فرعون (بترقب) أي ينتظر الطلب هل يلحقه فيأخذه ثم لجأ الى الله تعالى لعلمه انه لا ملجأ الا اليه (قال رب نجني من القوم الظالمين) أي الكافرين ﴿ قوله تعالى (ولما توجه تلقاء مدين) أي قصد نحوها ماضيا اليها قيل لانه وقع في نفسه ان بينهم وبينه قرابة لان أهل مدين من ولد ابراهيم وموسى من ولد ابراهيم ومدين هو مدين بن ابراهيم سميت البلد باسمه وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية أيام قيل خرج موسى خائفا بلا ظهر ولا زاد ولا أحد ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ونبات الارض حتى رأى خضرته في بطنه وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو أول ابتلاء من الله لموسى (قال) يعني موسى (عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) أي قصد الطريق الى مدين وذلك لانه لم يكن يعرف

الطريق

ان الملائمة بكم ليقتلوك) أي يأمر بعضهم بعضا بقتلك أو يتشاورون بسببك والائتقار التشاور

يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشئ أو يشير عليه بأمر (فاخرج) من المدينة (ان لك من الناصحين) لك بيان وليس بصلة الناصحين لان الصلة لا تتقدم على الموصول كأنه قال اني من الناصحين ثم أراد ان يبين فقال لك كما يقال سقيالك ومرحبا لك (نخرج) موسى (منها) من المدينة (خائفا بترقب) التعرض له في الطريق أو ان يلحقه من يقتله (قال رب نجني من القوم الظالمين) أي قوم فرعون (ولما توجه تلقاء مدين) نحوها والتوجه الاقبال على الشئ ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام قال ابن عباس رضى الله عنهما خرج ولم يكن له علم بالطريق الا حسن الظن بربه (قال

عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) أي وسطه معظمه فجاهه ملك فانطلق به الى مدين

ولما ورد) وصل (ماء مدين) ماءهم الذي يسقون منه وكان بئرا (وجد عليه) على جانب البئر (أمة) جماعة كثيرة (من الناس) من
من مختلفين (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) في مكان أسفل من مكانهم (امرأتين تزدودان) تطردان غنمهما عن الماء لان على
بعض من هو أقوى منهما فلا تتمكنان من السقي أو ائلا تختلط أغنامهما باغنامهم والذود الطرد والدفع (قال ما خطبكما) ماشأنا كما وحقيقته
مخطوب كما أي ما مطلو بكما من الزيادة فسمى المخطوب خطبا (قالتا لانسقي) غنمنا (حتى يصد الرعاء) مواشيهم يصد رشامى ويريد وأبو
رواى يرجع والرعاء جمع راع كقيام وقيام (وأبو ناسيخ) لا يكتنه سقى الاغنام (كبير) في حال أو في السن لا يقدر على رعى الغنم أبدا
به عندهما في توليها السقى بانفسهما (فسقى لهما) فسقى غنمهما لاجلها رغبة في المعروف واغاثة للملهوف روى انه سقى القوم عن رأس
بئر وسألهم دلوا فاعطوه دلوهم وقالوا السقى بها وكانت لا ينزعها الا أربعون فاستقى (٤٢٩) بها وصيها في الحوض ودعا

بالبركة وترك المفعول في
يسقون وتزدودان ولا
نسقى وفسقى لان الغرض
هو الفعل لا المفعول ألا ترى
انه انما رجعها لانها
كانت اعلى الذيادة وهم على
السقى ولم يرجعها لان
مذودهما غنم ومسقىهم
ابل مثلا وكذا في لانسقى
وفسقى فالقصود هو السقى
لا المسقى ووجه مطابقة
جوابها سؤاله انه سأطما
عن سبب الذود فقالتا
السبب في ذلك اننا امرأتان
مستورتان ضعيفتان
لا تقدر على مزاحمة الرجال
ونسقى من الاختلاط
بهم فلا بد لنا من تأخير
السقى الى ان يفرغوا وانما
رضى شعيب عليه السلام
لا يفتيه بسقى الماشية لان
هذا الامر في نفسه ليس

اطريق اليها قيل لما دعا موسى جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به الى مدين ﴿ قوله عز وجل (ولما ورد ماء
مدين) هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم (وجد عليه) أي على الماء (أمة) أي جماعة (من الناس
يسقون) أي مواشيهم (ووجد من دونهم) أي سوى الجماعة وقيل بعيدا من الجماعة (امرأتين تزدودان) أي
بحيسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهما البئر وقيل تكفان الغنم عن أن تختلط
باغنام الناس وقيل تمنعان أغنامهما عن أن تند وتذهب والقول الاول أولى لما بعده وهو قوله (قال) يعني
موسى للمرأتين (ما خطبكما) أي ماشأنا كما لانسقيان مواشيكما مع الناس (قالتا لانسقى) أي أغنامنا (حتى
يصد الرعاء) أي حتى يرجع الرعاء عن الماء والمعنى اننا امرأتان لاننا نستطيع أن نزاحم الرجال فاذا صدروا
سقيناهن مواشينا من فضل ما بقي منهم في الحوض (وأبو ناسيخ كبير) أي لا يقدر أن يسقى مواشيه فلذلك
احتجنا نحن الى سقى الغنم قيل أبوهم ما هو شعيب عليه الصلاة والسلام وقيل هو يرون ابن أخي شعيب
وكان شعيب قد مات بعدما كنف بصره وقيل هو رجل من آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رقى لهما
ورجعهما فاقتلع ضحرة من على رأس بئر أخرى كانت بقر بهما لا يطيق رفعها لاجتماع من الناس وقيل
زاحم القوم ونحاهم كلهم عن البئر وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعاء من السقى غطوا رأس البئر بحجر
لا يرفعه الا عشرة نفر جاء موسى فرفع الحجر وحده ونزع دلوا واحدا ودعا فيه بالبركة وسقى الغنم فرويت
فذلك قوله تعالى (فسقى لهما ثم تولى الى الظل) أي عدل الى أصل شجرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو
جائع (فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير) معناه انه طلب الطعام لجوعه واحتياجه اليه قال ابن عباس
ان موسى سأل الله فلقه خبز يقيم به صلبه وعن ابن عباس قال لقد قال موسى رب انى لما أنزلت الى من خير
فقير وهو أكرم خلقه عليه ولقد افتقر الى شق تمره وقيل ما سأل الا الخبز فلما رجعتا الى أيهما سر يعاقبل
الناس وأغنامهما حفل بطن قال لهما ما أعجبكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رجلا فانسقى لنا أغنامنا فقال
لأحداهما اذهبي فادعيه الى قال الله تعالى (جاءته احدهما تمشي على استحياء) قيل هي الكبرى واسمها
صفورا وقيل صفراء وقيل بل هي الصغرى واسمها ليا وقيل صفراء وقال عمر بن الخطاب ليست بسلفع من
النساء خراجة ولا جة ولكن جاءت مستتره قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء وقيل استحييت منه لانها
دعته لتكافئه وقيل لانها رسول أيها (قالت ان أبى يدعوك ليجز بك أجز ما سقيت لنا) قيل لما سمع موسى

بمحظوظ والدين لا ياباه وأما المرودة فعادات الناس في ذلك متباينة وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير
مذهب أهل الحضرة خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة (ثم تولى الى الظل) أي ظل سمرة وفيه دليل جواز الاستراحة في الدنيا بخلاف
ما يقوله بعض المتشقة ولما طال البلاء عليه أنس بالشكوى اذ لا نقص في الشكوى الى المولى (فقال رب انى لما لاى شئ) أنزلت الى من
خير (قيل أو كثير غث أو سمين) فقير) محتاج وعدي فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل كان لم يدق طعاما سبعة أيام وقد لصق
بظهره بطنه ويحتمل ان يريد انى فقير من الدنيا لاجل ما أنزلت الى من خير الدارين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك
وثررة قال ذلك رضا بالبدل السنى وفرحابه وشكراله وقال ابن عطاء نظر من العبودية الى الربوبية وتكلم بلسان الافتقار لما ورد على سره من
الانوار (جاءته احدهما تمشي على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليجز بك أجز ما سقيت لنا) على استحياء في موضع الحال أي مستحية

وهذا دليل كمال إيمانها وشرف عنصر هالاتها كانت تدعو إلى ضيافتها ولم تعلم أجبها لم لا فاته مستحبة فداسترت بكم درعها وما في
 ما سقت مصدرية أي جزا سفيك روى أنها لما رجعت إلى أبيها قبل الناس وأغنامها حفل قال لها ما أعجلك كما قالتا وجدنا رجلا صالحا
 رحنا فتي لنا فقال لاحداهما ذهبي فادع به لي فقبهها موسى عليه السلام فالزقت الريح ثوبها بحمد هافر صفة فقال لها المشي خلق وانعني
 لي الطريق (فلما جاءه وقص عليه القصص) أي قصته وأحواله مع فرعون والقصص مصدر كالعطل سمي به المقصوص (قال) له (لا تخف
 نجوت من القوم الظالمين) إذ لا سلطان لفرعون بارئنا وفيه دليل جواز العمل بخبر الواحد ولو عبدا أو أمتي والمشى مع الأجنبية مع ذلك
 الاحتياط والتورع وأما أخذ الأجر على البر والمعروف فقبيل أنه لا بأس به عند الحاجة كما كان لموسى عليه السلام على أنه روى أنها لما قالت
 ليعجز بك كره ذلك وإنما أجابها التلاخييب قصد هالان للقاصد حرمته ولما وضع شعيب الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب ألت جاتنا قال
 بلى ولكن أخاف أن يكون عوضا مما سقت لهما وأنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدينا ولا نأخذ على المعروف ثمنا فقال شعيب عليه السلام هذه
 عادةنا مع كل من ينزل بنا (٤٣٠) فاكل (قالت احدهما يا ابت استاجر) اتخذها أجير الرعي الغنم روى ان

ذلك كرهه أن يذهب معها ولكن كان جاعا فلم يجد بدا من الذهاب فشت المرأة ومشي موسى خلفها فكانت
 الريح تضرب ثوبها فتصفر ردفها فكرهه موسى أن يرى ذلك منها فقال لها المشي خلقي ودليني على الطريق إذا
 أخطأت ففعلت ذلك فلما دخل موسى على شعيب إذا هو بالمشاء مهيأ فقال اجلس يا فتى فتعش فقال موسى
 أعوذ بالله قال شعيب ولم ذاك ألت بجائع قال بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضا مما سقت لهما وأنا أهل
 بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضا من الدنيا فقال له شعيب لا والله يا فتى ولكننا عادتى وعادة
 آباءى تقرى الضيف ونظم الطعام لجاس وأكل فذلك قوله عز وجل (فلما جاءه) أي موسى (وقص عليه
 القصص) أي أخبره بامرء أجمع من خبر ولادته وقتله القبطى وقصد فرعون قتله (قال لا تخف نجوت من
 القوم الظالمين) يعنى من فرعون وقومه وإنما قال ذلك لأنه لم يكن لفرعون سلطان على مدين (قالت
 احدهما يا ابت استاجر) أي اتخذها أجير الرعي أغنامنا (ان خير من استاجرت القوى الامين) يعنى ان
 خير من استعملت من قوى على العمل وأدى الامانة فقال لها أبوها وما علمك بقوته وأماته قالت أما قوته
 فانه رفع الحجر من على رأس البئر ولا يرفعه الا عشرة وقيل أر بعون رجلا وأما أماته فانه قال لي امشى خلقي
 حتى لا تصف الريح بدنك (قال) شعيب عند ذلك (انى أر بدأ أن كحكك) أي أزوجك (احدى ابنتى
 هاتين) قيل زوجه الكبرى وقال الا كثرون انه زوجه الصغرى منها واسمها صفورا وهى التى ذهبت فى
 طلب موسى (على أن تاجرنى ثمانى حجج) أي تكون لى أجير ثمان سنين (فان آتمت عشرافن
 عندك) أي فان آتمت العشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع لى بواجب عليك (وما أر بدأ أن أشق
 عليك) أي ألزمك تمام العشر الأ أن تبرع (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) أي فى حسن الصحبة
 والوفاء بما قلت وقيل يريد بالصالح حسن المعاملة ولين الجانب وإنما قال ان شاء الله للتكامل على توفيقه

أ كبرها كانت تسمى
 صفراء والصفري صفراء
 وصفراء هى التى ذهبت
 به وطلبت الى أبيها أن
 يتأجره وهى التى تزوجها
 (ان خير من استاجرت
 القوى الامين) فقال
 وما علمك بقوته وأماته
 قد كرت نزع اللؤلؤ
 وأمرها بالمشى خلفه وورد
 الفعل بلفظ الماضى
 لله دلالة على ان أماته
 وقوته أمران متحققان
 وقولها ان خير من
 استاجرت القوى الامين
 كلام جامع لانه اذا اجتمعت
 هاتان الخصلتان الكفاية
 والامانة فى القائم بامرئ

فقد فرغ بالك وتم مرادك وقيل القوى فى دينه الامين فى جوارحه وقد استغنت بهذا الكلام الجارى ومعوته
 مجرى المثل عن أن تقول استاجرته لقوته وأماته وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما فرس الناس ثلاث بنت شعيب وصاحب يوسف فى قوله
 عبد أن ينفعا وأبو بكر فى عمر (قال انى أر بدأ أن كحكك) أزوجك (احدى ابنتى هاتين) قوله هاتين يدل على انه كان له غيرهما
 وإعادة منه ولم يكن ذلك عقد نكاح اذ لو كان عقدا لقال قد أنكحتك (على أن تاجرنى) نكون أجيرالى من أجرته اذا كنت له
 (ثمانى حجج) ظرف والحجة السنة وجمعها حجج والتزوج على رعي الغنم جائز بالاجماع لانه من باب القيام بامر الزوجية فلا منافضة
 بينه والتزوج على الخدمة (فان آتمت عشرافن) أي عمل عشر حجج (فمن عندك) فذلك تفضل منك ليس بواجب عليك أو تمامه من
 عندك ولا أحقته عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع (وما أر بدأ أن أشق عليك) بلزام أم الاجلين وحقيقة قولهم شقت
 عليك وشق عليه الامر ان الامر اذا تعاطمك فكانه شق عليك ظنك بانين تقول تارة أطيعه وطورا لأطيعه (ستجدنى ان شاء الله من
 الصالحين) فى حسن المعاملة والوفاء بالعهد ويجوز أن يراد بالصالح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد بشرطه مشيئة الله فيها
 وعدم من الصالحين الانكسار على توفيقه فيه ومعوته لانه ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل ذلك

(قال) موسى (ذلك) مبتدأ وهو إشارة الى ما عاهد عليه شعيب والخبر (بيني وبينك) يعني ذلك الذي قتلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلاً ناعنه لأننا فيما شرطت علي ولا أنت فيما شرطت علي نفسك ثم قال (أيما الاجلين قضيت) أي أي أجل قضيت من الاجلين يعني العشرة أو الثمانية وأي نصب بقضيت وما زائدة ومؤكدة لابهام أي وهي شرطية وجوابها (فلا عدوان علي) أي لا يعتدي علي في طلب الزيادة عليه قال المبرد قد علم أنه لا عدوان عليه في أيهما ولكن جعله الاقل كالانتم في الوفاء وكان طلب الزيادة على الاتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الاقل (والله علي ما نقول وكيل) هو من وكل اليه الامر وعدى (٤٣١) بعلى لانه استعمل في موضع الشاهد

والرقيب روي ان شعيبا كانت عنده عصي الانبياء عليهم السلام فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فقد عصا من تلك العصي فاخذ عصاه بطبها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء عليهم السلام يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فسها وكان مكفوا فافضن بها فقال خذ غيرها فاوقع في يده الالهى سبع مرات فعلم ان له شأنا ولما أصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ علي بينك فان الكلا وان كان بها أكثر الا ان فيها تائنا أخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات الحيين ولم يقدر علي كفه افشى علي أثرها فاذا عشب ووريف لم ير مثله فنام فاذا التين قد أقبل فحار به العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم

ومعوتته (قال) يعني موسى (ذلك بيني وبينك) أي ما شرطت علي فلك وما شرطت من تزوج احداهما فلي والامر بيننا علي ذلك (أيما الاجلين قضيت) أي أي الاجلين أتممت وفرغت منه الثمانية أو العشرة (فلا عدوان علي) أي لا ظم علي بان أطالب بها كثر منه (والله علي ما نقول وكيل) قال ابن عباس شهيد بيني وبينك (خ) عن سعيد بن جبير قال سألتني يهودي من أهل الحبرة أي الاجلين قضى موسى قلت لأدرى حتى أقدم علي حبر العرب فأسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى أكثرهما وأطيبهما لان رسول الله اذا قال فعل وروي عن أبي ذر مر فوعا اذا سئلت أي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما واذا سئلت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت يا أبت استأجره فتزوج صغراهما وقضى أوقاهما وقال وهب أنكحه الكبرى وروي شداد بن أوس مر فوعا بكى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره فقال الله له ما هذا البكاء أشوقا الى الجنة أم خوفا من النار فقال لا يارب ولكن شوقا الى لقائك فإوحى الله اليه ان يكن ذلك فهنيأ لك لقائي يا شعيب لذلك أخذ منك كليتي موسى ولما تعاقد هذا العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطى موسى عصاه بدفع بها السباع عن غنمه قيل كانت من آس الجنة جلها آدم معه فتوارثها الانبياء وكان لا ياخذها غيرني الا أكلته فصارت من آدم الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى ثم ان موسى لما قضى الاجل سلم شعيب اليه ابنته فقال لها موسى اطلبي من أيك أن يجعل لنا بعض الغنم فطلبت من أيها ذلك فقال لكما كل ما ولدت هذا العام علي غير شيتها وقيل ان شعيبا أراد ان يجازي موسى علي حسن رعيه كراماله وصلة لابنته فقال له اني قد وهبت لك من ولد أغنامي كل أبلق وبلقاء في هذه السنة فأوحى الله تعالى الى موسى في النوم ان اضرب بعصاك الماء ثم اسق الاغنام منه ففعل ذلك فما أخطأت واحدة الا وضعت جملها ما بين أبلق وبلقاء فعلم شعيب ان هذا رزق ساقه الله الى موسى وامر أنه فوفى له بشرطه وأعطاه الاغنام قوله عز وجل (فلما قضى موسى الاجل) أي أتمه وفرغ منه (وسار باهله) قيل مكث موسى بعد الاجل عند شعيب عشر سنين أخرى ثم استأذنه في العود الى مصر فأذن له فسار باهله أي بزوجه فاصد الى مصر (آنس) أي أبصر (من جانب الطور تاراً) وذلك انه كان في البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق (قال لاهله) مكثوا في آنس نار العلي آتيكم منها بخبر) أي عن الطريق لانه كان قد أخطأ الطريق (أوجدوة من النار) أي قطعة وشعلة من النار وقيل الجذوة العود الذي اشتعل بعضه (لعلكم تصطلون) أي تستدفئون (فلما أتاهانودي من شاطئ الوادي الايمن) يعني من جانب الوادي الذي عن يمين موسى (في البقعة المباركة) جعلها الله المباركة لان الله تعالى كام موسى هناك وبعثه نبيا وقيل يريد البقعة المقدسة (من الشجرة) أي من ناحية الشجرة قال ابن مسعود كانت سمرة خضراء ترف

فوجد هاملاي البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شأنا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء فارحني اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقي الغنم ففعل ثم سقى فوضعت كلهن أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه (فلما قضى موسى الاجل) قال عليه السلام قضى أوقاهما وتزوج صغراهما وهذا بخلاف الرواية التي مرت (وسار باهله) بامرأته نحو مصر قال ابن عطاء عم أم أجل المحنة ودنا أيام الزلفة وظهرت أنوار النبوة سار باهله ليشاركوا معه في لطائف صنع ربه (آنس من جانب الطور نار اقال لاهله) مكثوا في آنس نار العلي آتيكم منها بخبر) عن الطريق لانه قد ضل في الطريق (أوجدوة من النار لعلكم تصطلون) فلما أتاهانودي من شاطئ الوادي الايمن) بالنسبة الى موسى (في البقعة المباركة) بتكليم الله تعالى فيها (من الشجرة) العناب أو العوسج

(أن ياموسى) أن مسفرة أو مخففة من الثقيلة (انى أنا الله رب العالمين) قال جعفر أبصر ناراً دلت على الانوار لانه رأى النور في هيئة النار فلما دنا منها شملت أنوار القدس وأحاطت به جلايب الانس فوطب بالطف خطاب واستدعى منه أحسن جواب فصار بذلك مكلماً شريفاً أعطى ما سأل وأمن مما خاف والجدوة باللغات الثلاث وقرى بهم فعاصم بفتح الجيم وحزة وخلف بضمها وغيرهم بكسرهما العود والغليظ كانت في رأسه ناراً ولم تكن ومن الأولى والثانية لا ابتداء الغاية أى أنه النداء من شاطئ الوادى من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من شاطئ الوادى بدل الاشمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ أى الجانب (وأن ألقى عصاك) ونودى أن ألقى عصاك فالتقاها فقلبها الله ثعباناً (فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها جان) حية في سعيها وهي ثعبان في جنتها (ولى مدبراً ولم يعقب) يرجع فقيل له (ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين) أى أمنت من أن ينالك مكرهه من الحية (اسلك) أدخل (يدك في جيبك) جيب قيصك (تخرج بيضاء) لها شعاع كشعاع الشمس (من غير سوء) برص (واضمم اليك جناحك من الرهب) سحازى بفتح حين و بصرى الرهب حفص الرهب غيرهم ومعنى الكحل الخوف والمعنى (٤٣٢) واضمم يدك الى صدرك بذهب ما بك من فرق أى لاجل الحية عن ابن عباس رضى الله

وقيل كانت عوسجة وقيل كانت من العليق وعن ابن عباس انها العناب (أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين) قيل ان موسى لما رأى النار في الشجرة الخضراء علم أنه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة الا الله تعالى فعلم بذلك ان التكلم هو الله تعالى وقيل ان الله تعالى خلق في نفس موسى علماً ضرورياً بان التكلم هو الله تعالى وان ذلك الكلام كلام الله تعالى وقيل انه قيل لموسى كيف عرفت أنه نداء الله قال انى سمعته بجميع أجزائى فلما وجد حس السمع من جميع الاجزاء علم بذلك انه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى (وأن ألقى عصاك) أى فالتقاها (فلما رآها تهتز) أى تتحرك (كأنها جان) هي الحية الصغيرة والمعنى انها في سرعة حركتها كالحية السريعة الحركة (ولى مدبراً) أى هار بامنها (ولم يعقب) أى ولم يرجع قال وهب انها لم تدع شجره ولا صخرة الا بلغت حتى ان موسى سمع صريراً أسنانها وقعقة الشجر والصخر في جوفها حينئذ ولى مدبراً ولم يعقب فنودى عند ذلك (ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين) قوله عز وجل (اسلك يدك) أى أدخل يدك (في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) أى برص والمعنى انه أدخل يده فخرجت وطأ شعاع كضوء الشمس (واضمم اليك جناحك من الرهب) أى من الخوف والمعنى اذا هالك أمر يدك وما تراه من شعاعها فادخلها في جيبك تعد الى حالتها الاولى وقال ابن عباس أمر الله موسى أن يضم يده الى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية وما من خائف بعد موسى الا اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل المراد من ضم الجناح السكون أى سكن روعك واخفض عليك جناحك لان من شأن الخائف أن يضطرب قلبه ويرتعد بدنه وقيل الرهب الكم بلغة حير ومعناه اضمم اليك يدك وأخرجها من كمك لانه تناول العصا ويده في كمه (فدانتك) يعنى العصا واليد البيضاء (برهانان) أى آيتان (من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوماً فاسقين) أى خارجين عن الحق (قال رب انى قتلت منهم نفساً) يعنى القبطى (فأخاف أن يقتلون) أى به (وأخى هرون هو أفصح منى لساناً) أى بيانا وانما قال ذلك للعقدة التي كانت في لسانه من وضع الجرة في فيه (فأرسله معى رداً) أى عونا (يصدقنى) يعنى فرعون وقيل تصديق هرون هو ان يلخص

عنها كل خائف اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقيل معنى ضم الجناح ان الله تعالى لما قلب العاص حية فزع موسى واتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا ألقيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقاءك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الامر ان اجتناب ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لان يدي الانسان بمنزلة جناح الطائر واذا أدخل يده المعنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه اليه أو أريد

بضم جناحه اليه مجلده وضبطه نفسه عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر الدلائل لانه اذا خاف نشر جناحيه وأرغامها والاختناحاه مضمومان اليه مشمران ومعنى من الرهب من أجل الرهب أى اذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سبباً وعلية فيما أمر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك واسلك يدك في جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين لاختلاف العرضين اذا العرض في أحدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء الرهب ومعنى واضمم يدك الى جناحك في طه أدخل يمينك تحت يسراك (فدانتك) محققاً مثني ذاك ومشدد مكى وأبو عمرو مثني ذلك فاحدى النونين عوض من اللام المحذوفة والمراد اليد والعصا (برهانان) سحجان نيرتان بينتان وسميت الحجة برهاناً لانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهفة (من ربك الى فرعون وملئه) أى ارسلناك الى فرعون وملئه هاتين الآيتين (انهم كانوا قوماً فاسقين) كافرين (قال رب انى قتلت منهم نفساً) فإخاف ان يقتلون) به بغير ياء وبالياء يعقوب (وأخى هرون هو أفصح منى لساناً) فإرساله معى (رداً) جال أى عونا يقال رداً به أعنته وبلاهمز مدنى (يصدقنى) عاصم وحزة صفة أى رداً صدقاً وغيرهما بالجزم جواب لارساله

ومعنى تصديقه موسى اعاتته اياه بزيادة البيان في مظان الجدال ان احتاج اليه ليثبت دعواه لان يقول له صدقت الا ترى الى قوله هو افصح مني لسانا فارساه وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لتقرير البرهان لا لقوله صدقت فسحبان وباقبل فيه يستويان (انى اخاف ان يكذبون) يكذبونى فى الحالين يعقوب (قال سنشد عضدك باخيك) سنقويك به اذا ليدتشتد بشدة العضد لانه قوام اليد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاوله الامور (ونجعل لكما سلطانا) غلبة وتسلطا وهيبه فى قلوب الاعداء (فلا يصلون اليك باياتنا) الباء تتعلق بوصول أى لا يصلون اليك بسبب آياتنا وتم الكلام او فنجعل لكما سلطانا أى نسلط لكما باياتنا او محذوف أى اذهب باياتنا وهو بيان للغالبون لاصلة او قسم جوابه لا يصلون مقدم عليه (اتما ومن اتبعكم الغالبون فلما جاءهم موسى باياتنا بينات) واضحات (قالوا ما هذا الا سحر مفترى) أى سحر عمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمجزئة من عند الله (وما سمعنا بهذا فى آياتنا الاولين) حال منصوبه عن هذا أى كائنا فى زمانهم يعنى ما حدثنا بكونه فيهم (وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون) أى ربى أعلم منكم بحال من أهله الله للفلاح (٤٣٣) الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعدده

حسن العقبي يعنى نفسه ولو كان كما تزعمون ساحرا مفترى بالما أهله لذلك لانه غنى حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبي الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هى العاقبة المحموده لقوله تعالى أولئك لهم عقبي الدار جنات عدن والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها أن يحتم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى والغفران قال موسى بغير واو مكى وهو حسن لان الموضوع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات العظام سحر مفترى ووجه

الدلائل ويحجب عن الشبهات ويجادل الكفار فهذا هو التصديق المقيد (انى اخاف ان يكذبون) يعنى فرعون وقومه (قال سنشد عضدك باخيك) أى سنقويك به وكان هرون بمصر (ونجعل لكما سلطانا) أى حجة وبرهانا (فلا يصلون اليك) أى بقتل ولا سوء (باياتنا) قيل معناه تعطيكما من المعجزات فلا يصلون اليك (اتما ومن اتبعكم الغالبون) أى لكما ولا تبايعكم الغلبة على فرعون وقومه (فلما جاءهم موسى باياتنا بينات) أى واضحات (قالوا ما هذا الا سحر مفترى) أى مخترق (وما سمعنا بهذا) أى بالذى تدعوننا اليه (فى آياتنا الاولين) وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده (أى انه يعلم الحق من المبطل) (ومن تكون له عاقبة الدار) أى العقبي المحموده فى الدار الآخرة (انه لا يفلح الظالمون) أى الكافرون (وقال فرعون يا أيها الملائم اعلمت لكم من الغيبرى) فيه انكار لما جاء به موسى من توحيد الله وعبادته (فاوقدلى يا هامان على الطين) أى اطبخ لى الآجر قيل انه أول من اتخذ آجر او بنى به (فاجعل لى صرحا) أى قصرا عاليا وقيل منارة قال أهل السير لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء وطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير وأمر بالبناء فبنوه ورفعه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق وأراد الله أن يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهى ملطخة دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعد مرا كبا على البراذين فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضر به بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه على عسكره فقتلت منهم ألف ألف رجل ووقعت قطعة منه فى البحر ووقعت فى المغرب فلم يبق أحد عمل شيأ فيه الا هلك فذلك قوله (لعلى أطلع الى اله موسى) أى أنظر اليه واقف على حاله (وانى لاظنه) يعنى موسى (من الكاذبين) أى فى زعمه ان للارض والخلق الها غيبرى وانه أرسله (واستكبر هو وجنوده فى الارض) أى تعظموا عن الايمان ولم ينقادوا للحق بالباطل والظلم (بغير الحق وظنوا أنهم الينا

(٥٥ - (خازن) - ثالث) الاخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوافق الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر ربى أعلم حجازى وأبو عمرو ومن يكون حجة وعلى (وقال فرعون يا أيها الملائم اعلمت لكم من الغيبرى) قصد بنى علمه بالغيره نفي وجوده أى مالكم من الغيبرى أو هو على ظاهره وان الها غيره غير معلوم عنده (فاوقدلى يا هامان على الطين) أى اطبخ لى الآجر واتخذوه وانما لم يقل مكان طين هذا لانه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة بهذه العبارة لانه أفصح وأشبه بكلام الجبارة اذا أمر هامان وهو وزيره بالابتعاد على الطين منادى باسمه بيا فى وسط الكلام دلائل التعظيم والتجبر (فاجعل لى صرحا) قصر عاليا (لعلى أطلع) أى أصدع والاطلاع الصعود (الى اله موسى) حسب أنه تعالى فى مكان كما كان هو فى مكان (وانى لاظنه) أى موسى (من الكاذبين) فى دعواه ان له الها وانه أرسله الينا رسولا وقد تناقض الخذول فانه قال ما علمت لكم من الغيبرى ثم أظهر حاجته الى هامان وأثبت لموسى الها وأخبر أنه غير متيقن بكذبه وكانه تحصن من عصا موسى عليه السلام فلبس وقال لعلى أطلع الى اله موسى روى ان هامان جمع خمسين ألف بناء وبنى صرحا لم يبلغه بناء أحد من الخلق فضرب الصرح جبريل عليه السلام بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل ووقعت فى البحر ووقعت فى المغرب ولم يبق أحد من عماله الا هلك (واستكبر هو وجنوده) تعظم (فى الارض) أرض مصر (بغير الحق)

أى بالباطل فالاستكبار بالحق لله تعالى وهو التكبر على الحقيقة أى المتبالغ في كبرياء الشأن كما حكي رسولنا عن ربه الكبر يا مردائي والعظمة
ازارى فن نازعنى واحدا منهما ألقىته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق (وظنوا أنهم البنا ليرجعون) يرجعون نافع وحزة
وعلى وخلفو يعقوب (فاخذناه وحنوده فنبذناهم في اليم) من الكلام المفخم الذي دل به على عظمة شأنه شبههم استقلال الاعددهم وان
كانوا الجم الغفير بحصيات أخذهن أخذ بكفه فطرهن في البحر (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) وحذر قومك فانك منصور
عليهم (وجعلناهم أئمة) قادة (يدعون الى النار) أى عمل أهل النار قال ابن عطاء نزع عن أسرارهم التوفيق وأتوار التحقيق فهم في ظلمات
نفوسهم لا يدلون على سبيل الرشاد وفيه دلالة خلق أفعال العباد (ويوم القيامة لا ينصرون) من العذاب (وأبعناهم في هذه الدنيا لعنة)
الزمانهم طردوا وبعادوا عن الرحمة وقيل هو ما يلحقهم من لعن الناس إياهم بعدهم (ويوم القيامة هم من المقبوحين) المطرودين المبعدين
أو المهلكين المشوهين بسواد الوجوه (٤٣٤) وزرقة العيون ويوم ظرف للمقبوحين (واقدا آتينا موسى الكتاب)

التوراة (من بعدما أهلكنا
القرون الأولى) قوم نوح
وهود وصالح ولوط عليهم
السلام (بصار للناس)
حال من الكتاب والبصيرة
نور القلب الذي يبصر به
الرشد والسعادة كأن
البصر نور العين الذي
يبصر به الانسان يريد
آتياء التوراة أنوارا
للقلب لانها كانت عميا
لا تبصر ولا تعرف حقا
من باطل (وهدي)
وارشاد الانهم كانوا
مخبطون في ضلال
(ورحة) لمن اتبعها لانهم
إذا عملوا بها وصلوا الى
نيل الرحمة (لعلهم
يتدكرون) يتعظون
(وما كنت) يا محمد
(بجانب الجبل) (الغربي)
وهو المكان الواقع في

لا يرجعون) أى للحساب والجزاء (فاخذناه وحنوده فنبذناهم في اليم) أى فالتيناهم في البحر وهو القلزم
(فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) يعنى حين صاروا الى الهلاك (وجعلناهم أئمة) أى قادة ورؤساء (بدعون
الى النار) أى الكفر والمعاصي التي يستحقون بها النار لان من أطاعهم ضل ودخل النار (ويوم القيامة
لا ينصرون) أى لا يمنعون من العذاب (وأبعناهم في هذه الدنيا لعنة) أى خربوا بعدا وعذابا (ويوم
القيامة هم من المقبوحين) أى المبعدين وقيل المهلكين وقال ابن عباس المشوهين بسواد الوجوه وزرقة
العيون وقوله عز وجل (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (من بعدما أهلكنا القرون الأولى)
يعنى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن كانوا قبل موسى (بصار للناس) أى ليبصروا ذلك فيهدوا به
(وهدي) أى من الضلالة لمن عمل به (ورحة) أى لمن آمن به (لعلهم يتدكرون) أى بما فيه من المواعظ
(وما كنت) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى وما كنت يا محمد (بجانب الغربي) أى بجانب الجبل
الغربي قال ابن عباس يريد حيث ناجى موسى ربه (اذ قضينا الى موسى الامر) أى عهدنا اليه واحكمنا الامر
معه بالرسالة الى فرعون (وما كنت من الشاهدين) أى الحاضرين ذلك المقام الذي أوجينا الى موسى
فيه فتدكره من ذات نفسك (ولكننا أنشأنا قرونا) أى خلقنا بعد موسى أمما (فتناول عليهم العمر) أى
طالت عليهم المدة فتسوا وعهد الله وتر كوا أمره وذلك ان الله عهد الى موسى وقومه عهدا في محمد والايمن
به فطال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهد وتر كوا الوفاء بها (وما كنت
ناويا) أى مقبيا (في أهل مدين) أى كقمام موسى وشعيب فيهم (تلاوا عليهم آياتنا) أى تذكروهم بالوعد
والوعيد وقيل معناه لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم (ولكننا كنا مرسلين) يعنى أرسلناك
رسولا وأنزلنا اليك كتابا فيه هذه الاخبار لتلاوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها أنت ولم تخبرهم بها (وما كنت
بجانب الطور) أى بناحية الجبل الذي كلم الله موسى عليه (اذ نادينا) يعنى موسى خذ الكتاب بقوة
وقال وهب قال موسى يا رب أرني محمدا وأمته قال انك لن تصل الى ذلك ولكن ان شئت ناديت أمتك
وأسمعتك صوتهم قال بلى يا رب قال الله تعالى يا أمة محمد فاجابوه من أصلاب آبائهم وقال ابن عباس قال الله
تعالى يا أمة محمد فاجابوه من أصلاب الآباء والارحام أى أرحام الامهات لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة

شق العرب وهو الذي وقع فيه سقات موسى (اذ قضينا الى موسى الامر) أى كلمناه وقر بناه نجيا (وما كنت
من الشاهدين) من جملة الشاهدين للوحي اليه حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميقاته (واكننا أنشأنا) بعد
موسى (قرونا فتناول عليهم العمر) أى طالت أعمارهم وفقرت النبوة وكادت الاخبار تخفى واندرست العلوم ووقع التحريف في كثير
منها فأرسلناك محمد ذلك الاخبار ميدينا ما وقع فيه التحريف وأعطيناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى كانه قال وما كنت شاهد موسى
وما جرى عليه ولكننا أوجينا اليك فذكريب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب اختصارا فاذا هذا الاستدراك شبه
الاستدراكين بعده (وما كنت ناويا) مقبيا (في أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تلاوا عليهم آياتنا) نقرأها عليهم تعلمنا منهم تريد
الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه وتلوي في موضع نصب خبرنا ان أو حال من الضمير في ناويا (ولكننا كنا مرسلين) ولكننا أرسلناك
وأخبرناك بها وعلمنا كما (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) موسى أن خذ الكتاب بقوة

(ولكن) أعلمناك وأرسلناك (رحمة) للرحمة (من ربك لتندرقوماً أنهم من نذير من قبلك) في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة (لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت أيديهم) من الكفر والظلم ولما كانت أكثر الأعمال تزاوُل بالأيدي نسبت الأعمال إلى الأيدي وإن كانت من أعمال القلوب تغليباً لكثرة على الأقل (فيقولوا) عند العذاب (ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) لولا الأولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والفاء الأولى للعطف والثانية جواب لولا لكونها في حكم الأمر إذا أمر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واحد والفاء تدخل في جواب الأمر والمعنى ولولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا أرسلت إلينا رسولاً محتجين علينا بذلك لما أرسلنا إليهم يعني أن إرسال الرسول إليهم إنما هو ليلزموا الحجّة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد

(٤٣٥)

وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول لدخول لولا الامتناعية علمها ودونه قلت القول هو المقصود بان يكون سبباً للإرسال ولكن العقوبة لما كانت سبباً للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال فأدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفاً عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه إلى قولك ولولا قولهم هذا إذا أصابهم مصيبة لما أرسلنا (فما جاءهم الحق من عندنا) أي القرآن أو الرسول المصدق بالكتاب المعجز (قالوا) أي كفار مكة (لولا أوتى) هلا أعطى (مثل ما أوتى موسى) من الكتاب المنزل جملة واحدة (أولم يكفروا)

لك والملك لا شريك لك قال الله تعالى يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عقابي قد أعطيتكم قبل أن تسألوني وقد أجبتم قبل أن تدعوني وقد غفرت لكم قبل أن تستغفروني ومن جاءني يوم القيامة بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدي ورسولي دخل الجنة وإن كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر (ولكن رحمة من ربك) أي رحمتك رحمة برسالك والوحي إليك وإطلاعك على الأخبار الغائبة عنك (لتندرقوماً ما أتاهم من نذير من قبلك) يعني أهل مكة (لعلهم يتذكرون) اعلم أن الله تعالى لما بين قصة موسى عليه الصلاة والسلام لرسوله صلى الله عليه وسلم جمع بين هذه الأحوال الثلاثة العظيمة التي اتفقت لموسى فلم يرد بقوله إذ قضينا إلى موسى الأمر هو أنزال التوراة عليه حتى تكامل دينه واستقر شرعه والمراد بقوله وما كنت تأوي إلى أهل مدين أول أمر موسى والمراد بقوله إذ نادى باليلة المناجاة فهذه أعظم أحوال موسى ولما بينها الرسول ولم يكن في هذه الأحوال حاضر ابن الله أنه بعثه وعرفه هذه الأحوال الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم ومجزته كأنه قال في أخبارك عن هذه الأشياء من غير حضور ولا مشاهدة دلالة ظاهرة على نبوتك ﷺ قوله تعالى (ولولا أن تصيبهم مصيبة) أي عقوبة ونقمة (بما قدمت أيديهم) يعني من الكفر والمعاصي (فيقولوا ربنا لولا) أي هلا (أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) ومعنى الآية لولا أنهم يحتجون بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة على كفرهم وقيل معناه لما بعثناك إليهم رسولاً ولا كنا بعثناك إليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (فما جاءهم الحق من عندنا) يعني محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا) يعني كفار مكة (لولا) أي هلا (أوتى) محمد (مثل ما أوتى موسى) يعني من الآيات كالعصا واليد البيضاء وقيل أوتى كتاباً جلة واحدة كما أوتى موسى التوراة قال الله تعالى (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) قيل إن اليهود أرسلوا إلى قريش أن يسألوا محمداً صلى الله عليه وسلم مثل ما أوتى موسى فقال الله تعالى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل يعني اليهود الذين استخرجوا هذا السؤال (قالوا ساحران تظاهروا) يعني التوراة والقرآن يقوى كل واحد منهما الآخر وقيل ساحران يعني محمد وموسى وقيل إن مشركي مكة بعثوا إلى رؤس اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فأخبروهم أن نعتهم في كتابهم التوراة فرجعوا فأخبروهم بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهروا (وقالوا أنا بكل كافرون) يعني بالتوراة والقرآن وقيل بمحمد وموسى (قل) يا محمد (فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) يعني من التوراة والقرآن (أتبعه) يعني الكتاب الذي تأتون به من عند الله وهذا تنبيه على عجزهم عن الإتيان بمثله (إن

يعني أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام (بما أوتى موسى من قبل) من قبل القرآن (قالوا) في موسى وهارون (ساحران تظاهروا) تعاونا ساحران كوفي أي ذوا سحر أو جعلوا سحرين مبالغتين في وصفهما بالسحر (وقالوا أنا بكل) بكل واحد منهما (كافرون) وقيل إن أهل مكة كما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى والتوراة وقالوا في موسى ومحمد ساحران تظاهروا وفي التوراة والقرآن ساحران تظاهروا وذلك حين بعثوا الرهط إلى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد فأخبروهم أنه في كتابهم فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهروا (قل) فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) مما أنزل على موسى ومما أنزل على (أتبعه) جواب فأتوا (إن

كنتم صادقين) في أنها سحران (فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنهم يتبعون أهواءهم) فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الالهدي فاعلم أنهم قد أزموا ولم تنق لهم حجة الاتباع الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) أي لأحد أضل ممن اتبع في الدين هواه وبغير هدى حال أي محذور ولا يحل بينه وبين هواه (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) ولقد وصلناهم القول لعلمهم يتذكرون) التوصيل تكثير الوصل وتكريره يعني ان القرآن أناهم متابعتوا أصلا وعدا ووعيدا وقصا وعبرا ومواعظا ليتذكروا فيفلحوا (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) من قبل القرآن وخبر الدين (٤٣٦) (هم به) بالقرآن (يؤمنون) نزلت في مؤمنى أهل الكتاب (واذابتلى)

القرآن (عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انما كنا من قبله) من قبل القرآن (مسلمين) كائنين على دين الاسلام مؤمنين بمحمد عليه السلام وقوله انه تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به وقوله ابايان لقوله آمنا لانه يحتمل أن يكون ايمانا قريب العهد وبعبارة فاخبروا بان ايمانهم به متقادم (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن أو بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب (ويدرون بالحسنة السيئة) يدفعون بالطاعة المعصية أو بالحلم الاذى (ومما رزقناهم ينفقون) يزكرون (واذا سمعوا اللغو) الباطل أو الشتم من المشركين

كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك) أي فان لم يأتوا بما طلبت (فاعلم انما يتبعون أهواءهم) يعني ان ما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه وانما آثروا اتباعهم ما هم عليه من الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين) قوله عز وجل (ولقد وصلناهم القول) قال ابن عباس يننا وقيل أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضا وقيل ينال كفار مكة بما في القرآن من اخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقيل وصلناهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كانوا عاينوا الآخرة في الدنيا (لعلمهم يتذكرون) أي يتعظون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القرآن (هم به يؤمنون) نزلت في مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل بل هم أهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم أربعون رجلا قدموا مع جعفر بن أبي طالب فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يا رسول الله ان لنا أموالا فان أذنت لنا انصرفنا فحسبنا أموالنا فوالينا بها المسلمين فاذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فنزلت هذه الآيات الى قوله ومما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنتان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام ثم وصفهم الله تعالى فقال (واذابتلى عليهم) يعني القرآن (قالوا آمنا به انه الحق من ربنا) وذلك ان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل (انا كنا من قبله مسلمين) أي من قبل القرآن مخلصين لله التوحيد ومؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبي حق (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) يعني بإيمانهم بالكتاب الاول والكتاب الآخر (بما صبروا) أي على دينهم وعلى أذى المشركين (ق) عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها ثم تزوجها فله أجران (ويدرون بالحسنة السيئة) قال ابن عباس يدفعون بشهادة أن لا اله الا الله الشرك وقيل يدفعون ما سمعوا من أذى المشركين وشتمهم بالصفح والعضو (ومما رزقناهم ينفقون) أي في الطاعة (واذا سمعوا اللغو) أي القول القبيح (أعرضوا عنه) وذلك ان المشركين كانوا يسبون مؤمنى أهل مكة ويقولون تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم (وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي لنا ديننا ولكم دينكم (سلام عليكم) ليس المراد منه سلام التحية ولكن سلام المتاركة والمعنى سلمتم منا لانعارضكم بالثتم (لا يفتنى الجاهلين) يعني لانحجب دينكم الذي أتمم عليه وقيل لانريد أن نكون من أهل الجهل والسفه وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال ثم نسخ ذلك بالقتال قوله تعالى (انك لاتهدي من أحببت) أي هدايته وقيل أحببته لقربته (ولكن الله يهدي من يشاء) وذلك أن الله تعالى يقذف في القلب نورا هداية فينشرح الصدر للايمان (وهو أعلم بالمهتدين) أي بمن قدر له الهدى

(أعرضوا عنه وقالوا) للاعنين (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) أمان منكم بان تعاقب لغوكم بمنه (لا يفتنى الجاهلين) لانريد مخالطتهم وصحبتهم (انك لاتهدي من أحببت) لاتقدر أن تدخل في الاسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم (ولكن الله يهدي من يشاء) يخلق فعل الاهتداء فيمن يشاء (وهو أعلم بالمهتدين) بمن يختار الهداية ويقبلها ويتعظ بالله لا تل والآيات قال الزجاج أجمع المفسرون على أنها نزلت في أبي طالب وذلك أنه قال عند موته يا معشر بني هاشم صدقوا محمد اتفلحوا فقال عليه السلام يا معشرهم بالصيحة لا تضلهم وتدهنها لنفسك قال قتادة بن عبد الله بن أبي بكر بن مالك ان تقول لا اله الا الله

(٢)

أشهدك بها عند الله قال يا ابن أخي أنا قد علمت أنك صادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت وإن كانت الصيغة منه والآية حجة على المعتزلة لأنهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى الناس أجمع ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم فدل أن وراء البيان ما يسمى هداية وهو خلق الهداء واعطاء التوفيق والقدرة (وقالوا إن تبع الهدى معك تتخطف من أرضنا أو لم تمكن لهم حرمنا) قالت قریش نحن نعلم أنك على الحق ولكننا نحاف إن اتبعناك وخالفنا العرب بذلك أن يتخطفونا من أرضنا فالتقمهم الله الحجر بأنه مكن لهم في الحرم الذي أمنه بحرمته البيت وأمن قطانه بحرمته والثمرات تجني إليه من كل أوب وهم كفرة فأني يستقيم أن يعرضهم للتخطف ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة وإلى الحرم مجاز (يجب إليه) وبالتاء مدني ويعقوب وسهل أي تجلب وتجمع (ثمرات كل شيء) معنى الكلية الكثرة كقوله وأوتيت من كل شيء (٤٣٧) (رزق من لدنا) هو مصدر لان

معنى يجب إليه يرزق أو مفعول له أو حال من الثمرات إن كان بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة كما نصب عن التكرة المتخصصة بالصفة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) متعلق بمن لدنا أي قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولو علموا أنه من عند الله لعلموا إن الخوف والأمن من عنده ولما خافوا التخطف إذا آمنوا به (وكم أهلكننا من قرية بطرت معيشتها) هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بأنعام الله عليهم فلم يشكروا النعمة وقابلوها بالبطر فاهلكوا وكم نصب بأهلكننا ومعيشتها محذوف الجار وإصال الفعل أي في

(م) عن أبي هريرة قال إنك لا تهدي من أحببت نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث راود عنه أبا طالب على الاسلام وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي طالب عند الموت يا عم قل لا إله إلا الله أشهدك بها يوم القيامة قال لولا أن تعبرني قریش يقولون إنما جعله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك ثم أنشد

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية ديننا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحاً بذلك مينا

ولكن على ملة الأشياخ عبد المطب وعبد مناف ثم مات فأنزل الله هذه الآية (وقالوا إن تبع الهدى معك تتخطف من أرضنا) يعني مكة نزلت في الحرب بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم إننا نعلم إن الذي تقول حق ولكن إن اتبعناك على دينك خفنا أن تخرجنا العرب من أرض مكة قال الله تعالى (أولم تمكن لهم حرمنا آمنا) وذلك إن العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضاً وأهل مكة آمنون حيث كانوا حرمة الحرم ومن المعروف أنه كان يأمن فيه الظباء من الذئاب والحمام من الحداثة (يجب إليه) أي يجلب ويجمع إليه ويحمل إلى الحرم من الشام ومصر والعراق واليمن (ثمرات كل شيء رزق من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني إن أكثر أهل مكة لا يعلمون ذلك قوله عز وجل (وكم أهلكننا من قرية) أي من أهل قرية (بطرت معيشتها) أي أثمرت وطغت وقيل عاشوا في البطر فاكلوا رزق الله وعبدوا الأصنام (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الأقبلياً) قال ابن عباس لم يسكنها إلا المسافرون سكنوا قليلاً وقيل لم يعمر منها إلا قليلاً وأكثرها خراب (وكننا نحن الوارثين) يعني لم يخلفهم فيها أحد بعدهم وهم وصار أمرها إلى الله تعالى لأنه الباقي بعد فناء الخلق (وما كان ربك مهلك القرى) يعني الكافرة أهلها (حتى يبعث في أمها رسولا) أي في أكبرها وأعظمها رسولا لينذرهم وخص الأم ببعثة رسول لأنه يبعث إلى الأشراف وهم سكان المدن وقيل حتى يبعث في أم القرى وهي مكة رسولاً يعني محمد صلى الله عليه وسلم لأنه خاتم الأنبياء (يتلوا عليهم آياتنا) يعني أنه يؤدى إليهم ويبلغهم وقيل يخبرهم إن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا (وما كنا مهلكي القرى إلا أهلها الظالمون) أي مشركون قوله عز وجل (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) أي تمتعون بها أيام حياتكم ثم هي إلى فناء وانقضاء (وما عند الله خير وأبقى) لأن منافع الآخرة خالصة عن الشوائب وهي دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا كالندرة

معيشتها والبطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه (فتلك مساكنهم) منازلهم باقية الآثار يشاهدونها في الأسفار كبلاد ثمود وقوم شعيب وغيرهم (لم تسكن) حال والعامل فيها الإشارة (من بعدهم الأقبلياً) من السكنى أي لم يسكنها إلا المسافرون والطارقون وما أوتيتهم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها (وما كنا مهلكي القرى إلا أهلها الظالمون) أي وما أهلكناهم إلا لتقام الأهلها مستحقون العذاب نظمتهم وهو أصرارهم على كفرهم وعنادهم ومكابرتهم بعد الاعتذار إليهم (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) وأي شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فها هو الا تمتع وزينة أياما قلائل وهي مدة الحياة الفانية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) في نفسه من ذلك (وأبقى) لأنه دائم

(أفلا تعقلون) ان الباقي خير من الفاني وخيراً أبو عمرو بين الياقوت والياقوت بالياء لا غير وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى خالق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والمنافق والكافر فالؤمن يتزود بالمنافق يتزين والكافر يتمتع ثم قرر هذه الآية بقوله (أفمن وعدناه وعداً حسناً) أي الجنة فلا شيء أحسن منها الا نهاد أئمة ولدنا سميت الجنة بالحسنى (فهو لاقية) أي رائيته ومدركه ومصيبه (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا هم هو يوم القيامة من المحضرين) من الذين أحصروا النار ونحوه فكذبوه فأنهم لمحضرون نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي جهل لعنه الله أوفى على وحزرة وأبي جهل أوفى المؤمن والكافر ومعنى الفاء الاولى انه لما ذكر التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله أفمن وعدناه أي أبعدهنا هذا التفاوت الجلي يسوي بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة والفاء الثانية للتسبب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد ثم لتراخي حال الاحضار عن حال التمتع ثم هو على كما قيل عضد في عضد شبه المنفصل بالمتصل (ويوم يناديهم) ينادى الله الكفار ببدء تو بيخ وهو عطف على يوم القيامة أو منصوب باذكر (فيقول أين شركائي) بناء على زعمهم (الذين كنتم تزعمون) ومفعولاً تزعمون محذوفان تقديره كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يجوز الاقتصار على أحدهما (قال الذين حق عليهم القول) أي الشياطين وأئمة الكفر ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (ربنا هؤلاء) مبتدأ (الذين) (٤٣٨) أغويانا أي دعوناهم الى الشرك وسولناهم الفى صفة والراجع الى الموصول محذوف والخبر

بالتعظيم (أفلا تعقلون) أي ان الباقي خير من الفاني وقيل من لم يرجح الآخرة على الدنيا فليس يعاقل ولهذا قال الشافعي من أوصى بثلاث ماله لا عقل الناس صرف ذلك الثالث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان عقل الناس من أعطى القليل وأخذ الكثير وما هم الا المشتغلون بطاعة الله تعالى (أفمن وعدناه وعداً حسناً) يعني الجنة (فهو لاقية) أي مصيبه وصائر اليه (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا) أي وتزول عنه عن قريب (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) أي في النار قيل هذا في المؤمن والكافر وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وقيل في علي وحزرة وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة قوله عز وجل (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) أي في الدنيا أنتم شركائي (قال الذين حق عليهم القول) أي وجب عليهم العذاب وهم رؤس الضلالة (ربنا هؤلاء الذين أغويانا) أي دعوناهم الى الفى وهم الاتباع (أغويانا كما غويانا) أي أضلناهم كما ضلنا (تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون) معناه تبرأ بعضهم من بعض وصاروا أعداء (وقيل) يعني للكفار (ادعوا شركاءكم) أي الاصنام لتخلصكم من العذاب (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) أي لم يجيبوهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) معناه لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا مارأوا العذاب في الآخرة (ويوم يناديهم) أي يسأل الكفار (فيقول ماذا أجبت المرسلين) أي ما كان جوابكم لمن أرسل اليكم من النبيين (فعميت عليهم) أي خفيت واشتبهت عليهم (الانبياء) يعني الاخبار والاعذار والحجج (يومئذ) فلم يكن لهم عذر ولا حجة (فهم لا يبناءون) أي لا يجيبون ولا يحتجون وقيل يسكنون فلا يسأل بعضهم بعضاً (فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين) أي من العداء الناجين وعسى من الله واجب وقوله تعالى (وربك

(أغويانا) والكاف في (كما غويانا) صفة مصدر محذوف تقديره أغويانا فمفعولاً متعللاً ما غويانا يعنون انهم نغوا الاختيارنا فهووا غيما مثل ما غويانا لم يكن الا وسوسة وتسويلا فلا فرق اذا بين غينا وغيبهم وان كان تسويلا لنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابله دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب وهو كقوله

وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق الى قوله ولوموا أنفسكم (تبرأنا اليك) منهم وما اختاروه من الكفر بخلق (ما كانوا ايانا يعبدون) بل يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجلتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى (وقيل) للمشركين (ادعوا شركاءكم) أي الاصنام لتخلصكم من العذاب (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) فلم يجيبوهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) وجواب لو محذوف أي لما رأوا العذاب (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبت المرسلين) الذين أرسلوا اليكم حتى أو لا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاءهم ما يقوله الشياطين أو أئمة الكفر عند تو بيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بان الشياطين هم الذين استغفروهم ما يشبه الشياطينهم لاستغاثتهم عنهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يكتنون به من الاحتجاج عليهم برسال الرسل واذا حاد العليل (فعميت عليهم الانبياء يومئذ) خفيت عليهم الحجج والاعذار وقيل خفي عليهم الجواب فلم يدروا بما اذا يجيبون اذ لم يكن عندهم جواب (فهم لا يبناءون) لا يسأل بعضهم بعضاً عن العذر والحجة جاء أن يكون عنده عذر وحجة لانهم يتساوون في الجزع عن الجواب (فأما من تاب من الشرك (وآمن) بر به وبما جاء من عنده (وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين) أي فعسى ان يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق وفيه بشارة للمسلمين على الاسلام وترغيب للكافرين على الايمان ونزل جواب القول الوليد بن المغيرة لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني نفسه وأبام سعود (وربك

يخلق ما يشاء) وفيه دلالة خلق الافعال ويوقف على (ويختار) أي ويربك يخلق ما يشاء ويربك يختار ما يشاء (ما كان لهم الخيرة) أي ليس لهم ان يختاروا على الله شيئا ما وله الخيرة عليهم ولم يدخل العاطف في ما كان لهم الخيرة لانه بيان لقوله ويختار اذا المعنى ان الخيرة لله وهو أعلم بوجوده والحكمة في أفعاله فليس لاحد من خلقه أن يختار عليه ومن وصل على معنى ويختار الذي لهم فيه الخيرة فقد أبدع بل ما لنفي اختيار الخلق تقرير لا اختيار الحق ومن قال ومعناه ويختار للعباد ما هو خير لهم واصح فهو ما نل الى الاعتزال والخيرة من التخير يستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى التخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه (سبحان الله وتعالى عما يشركون) أي الله بريء من اشراكهم وهو منزّه عن أن يكون لاحد عليه اختيار (وربك يعلم ما تكن) تصغر (صدورهم) من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده (وما يعلنون) من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختيار عليه غيره في النبوة (وهو الله) وهو المستأثر بالالهيّة المختص بها (لا اله الا هو) تقرير لتلك كقولك القبلة الكعبة لا قبله الا هي (له الحمد في الاولى) الدنيا (والآخرة) (٤٣٩) هو قولهم الحمد لله الذي أذهب

عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد ثمة على وجه اللذة لا الكلفة (وله الحكم) القضاء بين عبادته (واليه ترجعون) بالبعث والنشور و بفتح التاء وكسر الجيم يعقوب (قل أرايتم) أرايتم محذوف الهمزة على (ان جعل الله من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد و واحد فرد والميم مزبدة ووزنه فعمل (الى يوم القيامة من اله غير الله يأتكم بضياء أفلا تسمعون) والمعنى أخبروني من يصدروني على هذا (قل أرايتم ان جعل

يخلق ما يشاء ويختار) نزلت هذه الآية جوابا للمشركين حين قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفي أخبر الله تعالى انه لا يبعث الرسل باختيارهم لانه المالك المطلق وله أن يخص من يشاء بما يشاء لا اعتراض عليه البتة (ما كان لهم الخيرة) أي ليس لهم الاختيار أو ليس لهم أن يختاروا على الله وقيل معناه ويختار الله ما كان هو الاصلح والخير لهم فيه ثم نزه الله تعالى نفسه فقال (سبحان الله وتعالى عما يشركون) ويربك يعلم ما تكن أي تخوف (صدورهم وما يعلنون) أي يظهرون (وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة) أي بحمده أو اياؤه في الدنيا ويحمدونه في الآخرة في الجنة (وله الحكم) أي فصل القضاء بين الخلق وقال ابن عباس يحكم لاهل طاعته بالمغفرة ولا لاهل المسيئة بالشقاوة (واليه ترجعون) قوله عز وجل (قل) أي قل يا محمد لاهل مكة (أرايتم) أي أخبروني (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) أي دائما (الى يوم القيامة) لانها فيه (من اله غير الله يأتكم بضياء) أي بنهار تطلبون فيه المعيشة (أفلا تسمعون) أي سماع فهم وتقبل (قل أرايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة) أي لاليل فيه (من اله غير الله يأتكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) أي ما أتم عليه من الخطأ قيل ان من نعمة الله تعالى على الخلق أن جعل الليل والنهار يتعاقبان لان المرء في حال الدنيا وفي حال التكليف مدفوع الى التعب ليحصل ما يحتاج اليه ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار ولا جله يحصل الاجتماع فتتمكن المعاملات ومعلوم أن ذلك لا يتم الا بالراحة والسكون بالليل فلا بد منهما فاما في الجنة فلا تعب ولا نصب فلا حاجة بهم الى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء أبدا فبين الله تعالى أنه القادر على ذلك ليس غيره فقال (ومن رحمة جعل لكم الليل والنهار) أي يتعاقبان بالظلمة والضياء (لتسكنوا فيه) أي في الليل (ولتبتغوا من فضله) أي بالنهار (واعلمكم تشكروا) أي نعم الله فيهما (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) كر ذلك النداء للمشركين لزيادة التقرير والتوبيخ (ونزعنا) أي أخرجنا وقيل ميزنا (من كل أمة شهيدا) يعني رسو لهم يشهد عليهم بانه بلغهم سألهم ونصح لهم (فقلنا) أي للامم المكذبة لرسولهم (ها توارها نكم) أي تجتكم بان معي شريكا (فعلما وأن الحق لله) أي التوحيد لله (وضل

الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) ولم يقل بنهار تصرفون فيه كما قال بليل تسكنون فيه بل ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعاقب به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء أفلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعهم ووصف فوائده وقرن بالليل أفلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه (ومن رحمة جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) أي لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من فضل الله في النهار فيكون من باب الف والنشر (واعلمكم تشكروا) الله على نعمه وقال الزجاج يجوز أن يكون معناه لتسكنوا فيهما ولتبتغوا من فضل الله فيهما أو يكون المعنى جعل لكم الزمان ليلا ونهارا لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فيه (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) كرر التوبيخ لاتخاذ الشركاء ليوذن أن لا شيء أجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيد (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيدا) يعني نبيهم لان الانبياء الامم شهداء عليهم بشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للامم (ها توارها نكم) فبا كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسل (فعلما) حينئذ (ان الحق لله) التوحيد (وضل

عنه) وغاب عنهم غيبة الشئ الضائع (ما كانوا يفترون) من الوهية غير الله والشفاعة لهم (ان قارون) لا ينصرف للجمعة والتعريف ولو كان
 فاعولاً من قرنت الشئ لانصرف (كان من قوم موسى) كان اسراييليا ابن عم موسى فهو قارون بن يصر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب
 وموسى بن عمران بن قاهت وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأبني اسراييل للتوراة ولكنه منافق كما نافق السامري (فبني عليهم)
 من البغي وهو الظلم قبيل ملكه فرعون على بني اسراييل فظلمهم أو من البغي الكبر تكبر عليهم بكثرة ماله وولده أوزاد عليهم في الثياب شبرا
 (وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه) ما بمعنى الذي في موضع نصب بآتيناه وان واسمها وخبرها صلة الذي ولهذا كسرت ان والمفاتح جمع
 مفتاح بالكسر وهو ما يفتح به (٤٤٥) أو مفتاح بالفتح وهو الخزانة والاصوب أنها المقاليد (لتنوء بالعصبة) لتثقل العصبة

فالباء للتعدية يقال نأه به
 الجمل اذا أثقله حتى أمأه
 والعصبة الجماعة الكثيرة
 وكانت تحمل مفاتيح
 خزائنه ستون بغلا لكل
 خزانة مفتاح ولا يزيد
 المفتاح على أصبع وكانت
 من جلود (أولى القوة)
 الشدة (اذ قال له قومه) أي
 المؤمنون وقيل القائل
 موسى عليه السلام ومحل
 اذ نصب بتنوء (لانفرح)
 لانفرح كما في الآية
 ولانفرحوا بما آتاكم ولا
 يفرح بالدين الا من رضى
 بها واطمأن وأما من قلبه
 الى الآخرة ويعلم انه يتركها
 عن قريب فلا يفرح بها
 (ان الله لا يحب الفرحين)
 البطرين بالمال (وابتغ
 فيما آتاك الله) من الغنى
 والثروة (الدار الآخرة)
 بان تصدق على الفقراء
 وتصل الرحم وتصرف الى
 أبواب الخير (ولانفس

عنه ما كانوا يفترون) أي يخلقون في الدنيا من الكذب على الله ﴿ قوله عز وجل (ان قارون كان من قوم موسى) قيل كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهت وقيل كان عم موسى ولم يكن في بني اسراييل أقرأ منه للتوراة ولكنه منافق كما نافق السامري (فبني عليهم) قيل كان عاملا لفرعون على بني اسراييل فظلمهم وبنى عليهم وقيل بنى عليهم بكثرة ماله وقيل زاد في طول ثيابه شبرا (ق) عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جرت ثيابه خيلاء أخرجاه في الصحيحين وقيل بنى عليهم بالكبر والعلو (وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه) جمع مفتاح وهو الذي يفتح به الباب وقيل مفاتحه بمعنى خزائنه (لتنوء بالعصبة أولى القوة) معناه لتثقلهم وتميل بهم اذا حملوها لتثقلها قيل العصبة مابين العشرة الى الخمسة عشر وقال ابن عباس مابين الثلاثة الى العشرة وقيل الى الاربعين وقيل الى السبعين قال ابن عباس كان يحمل مفاتيحه أربعون رجلاً أقوى ما يكون من الرجال وقيل كان قارون أينما ذهب تحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت وثقلت عليه جعلها من خشب فتثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الاصبع وكانت تحمل معه اذا ركب على أر بعين بغلا (اذ قال له قومه) أي لا يبطرو ولا يمشرون ولا يفرحون (ان الله لا يحب الفرحين) أي الأشرار البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم قيل انه لا يفرح بالدين الا من رضى بها واطمأن اليها فاما من يعلم انه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح ولقد أحسن من قال

أشد الغم عندي في سرور • تيقن عنه صاحبه اتقلا

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أي اطلب فيما أعطاك الله من الاموال الجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفق في رضا الله (ولانفس نصيبك من الدنيا) أي لا تترك أن تعمل في الدنيا لآخرة حتى تنجو من العذاب لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا أن يعمل فيها للآخرة بالصدقة وصلة الرحم وقيل لانفس صحتك وقوتك وشبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة عن عمرو بن ميمون الاودي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتتم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك هذا حديث مرسل وعمرو بن ميمون لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم (وأحسن كما أحسن الله اليك) أي أحسن بطاعة الله كما أحسن اليك بنعمته وقيل أحسن الى الناس (ولاتبغ) أي ولا تطلب (الفساد في الارض) وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الارض (ان الله لا يحب المفسدين قال) بمعنى قارون (انما أوتيته على علم عندي) أي على فضل وخبر علمه

نصيبك من الدنيا) وهو أن تأخذ ما يكفيك ويصلحك وقيل معناه واطلب بدنياك آخرتك فان ذلك
 حظ المؤمن منها (وأحسن) الى عباد الله (كما أحسن الله اليك) أو أحسن شكرك وطاعتك لخالق الانام كما أحسن اليك بالانعام (ولاتبغ
 الفساد في الارض) بالظلم والبغي (ان الله لا يحب المفسدين قال انما أوتيته) أي المال (على علم عندي) أي على استحقاق لما في من العلم
 الذي فضلت به الناس وهو علم التوراة وعلم الكهنة وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلها ذهباً والعلم بوجوده المكاسب من التجارة
 والزراعة وعندى صفة علم قال سهل ما نظر أحد الى نفسه فأفزع والسعيد من صرف بصره عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل روية منة الله تعالى
 عليه في جميع الأفعال والأقوال والشئ من زين في عينه أفعاله وأقواله وأحواله ولا فتح له سبيل روية منة الله فافتخر بها وادعاه لنفسه
 فشؤمه يهلكه يوماً كما خفف بقارون لما ادعى لنفسه فضلا

(أولم يعلم) قارون (أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة) هو اثبات لعلمه بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لأنه قد قرأه في التوراة كأنه قيل أولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يعتد بكثرة ما له وقوته أو نفي لعلمه بذلك لأنه لما قال أو نبته على علم عندي قيل أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين (وأكثر جمعا) للمال أو أكثر جماعة وعددا (ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون) لعلمه تعالى بهم بل يدخلون النار بغير حساب أو يعرفون بها بغير سؤال أو يعرفون بسياهم فلا يستلون أو لا يستلون لتعلم من جهتهم بل يستلون سؤال تو بيخ أو لا يستل عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الأمة (نخرج على قومه في زينته) في الحجرة والصفرة وقيل خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليها الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلبي والديباج وفي زينته حال من فاعل خرج أي متزينا (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) قيل كانوا مسلمين وإنما تمتوا على سبيل الرغبة في اليسار كعادة البشر وقيل كانوا كفارا (يألت لنا مثل ما أوتى قارون) قالوه غبطة والغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه كهذه الآية والحاسد هو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له (٤٤١) دونه وهو كقول الله تعالى ولا تمنوا

ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضر الغبطة قال لا إلا كما يضر العضاه الخبط (أنه لدوحظ عظيم) الحظ الجدد والبخت والدولة (وقال الذين أوتوا العلم) بالثواب والعقاب وفناء الدنيا وبقاء العقبي لغابطي قارون (ويلكم) أصل ويلك الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضى وفي التبيان في أعراب القرآن هو مفعول فعل محذوف أي ألزمكم الله ويلكم (ثواب الله خير لمن

الله عندي فرآني أهلا لذلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره وقيل هو علم الكيمياء وكان موسى يعلمه فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقد ثلثه وعلم قارون ثلثه فعد عهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه فكان يصنع من الرصاص فضة ومن النحاس ذهباً وكان ذلك سبب كثرة أمواله وقيل كان علمه حسن التصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب قال الله عز وجل (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) أي للأموال (ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون) قيل معناه إن الله تعالى إذا أراد عقاب المجرمين فلا حاجة به إلى سؤالهم لأنه عالم بحالهم وقيل لا يستلون سؤال استعلام وإنما يستلون سؤال تو بيخ وتقريع وقيل لا تسأل الملائكة عنهم لأنهم يعرفونهم بسياهم ﴿قوله عز وجل (نخرج على قومه في زينته) قيل خرج هو وقومه وهم سبعون ألفا عليهم الثياب الحر والصفرة والمعصفرات وقيل خرج على برادين بيض عليها سروج الأرجوان وقيل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليه الأرجوان ومعه أربعة آلاف فارس وعليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعه ثلثمائة جارية بيضاء عليهن الحلبي والثياب الحر وهن على البغال الشهب (قال الذين يريدون الحياة الدنيا يآلت لنا مثل ما أوتى قارون أنه لدوحظ عظيم) أي من المال (وقال الذين أوتوا العلم) أي بما وعد الله في الآخرة وقال ابن عباس يعني الأخبار من بني إسرائيل للذين تمنوا مثل ما أوتى قارون (ويلكم ثواب الله) أي ما عند الله من الثواب والخير (خير لمن آمن) أي صدق بتوحيد الله (وعمل صالحا) أي ذلك خير مما أوتى قارون في الدنيا (ولا يلقاها الا الصابرون) أي لا يؤتى الا أعمال الصالحة الا الصابرون وقيل لا يؤتى هذه الكلمة وهي قوله ويلكم ثواب الله خيرا الا الصابرون أي على طاعة الله وعن زينة الدنيا ﴿قوله تعالى (نخسفنا به وبداره الأرض)

(٥٦ - (خازن) - ثالث) آمن وعمل صالحا ولا يلقاها) أي لا يلقن هذه الكلمة وهي ثواب الله خير (الا الصابرون) على الطاعات وعن الشهوات وزينة الدنيا وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير (نخسفنا به وبداره الأرض) كان قارون يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يدار به للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكبره فشحت به نفسه فجمع بني إسرائيل وقال ان موسى يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فرمما شئت قال نرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فترفضه بنو إسرائيل فجعل لها ألف دينار وأوطسها من ذهب وأحكمها فاما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان أحصن رجناه فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بني إسرائيل يزعمون أنك جرت بفلانة فاحضرت فناشدها بالذي فلق البحر وأزل التوراة ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعل على ان أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولاك فأغضب لي فأوحى الله اليه أن من الأرض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني إسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليترك مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فقال الله تعالى

﴿ ذكروا قصة قارون ﴾

قال أهل العلم بالاخبار والسيركان قارون أعلم بني اسرائيل بعد موسى وهرون وأقرأهم للتوراة وأجلهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبني وطني وكان أول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى أوحى الى موسى أن يامر قومه أن يعلقوا في أردبتهم خيوطاً ربعية في كل طرف خيطاً أخضر كلون السماء يذكرون به اذا انظروا الى السماء ويعلمون اني منزل منها كلامي فقال موسى يارب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أردبتهم كلها خضراً فان بني اسرائيل تستصغر هذه الخيوط فقال له رب يا موسى ان الصغير من أمرى ليس بصغير فاذا لم يطيعوني في الامر الصغير لم يطيعوني في الامر الكبير فدعاهم موسى فقال ان الله يأمركم أن تعلقوا في أردبتكم خيوطاً خضراً كلون السماء لكي تذكروا ربكم اذا رأتموها ففعل بنو اسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال انما فعل هذا الارباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدء عصيانه وبغيه فلما قطع موسى بني اسرائيل البحر جعلت الحبورة طهرون وهي رأس المدج فكان بنو اسرائيل ياتون بقربانهم الى هرون فيضعها على المدج فتزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون من ذلك في نفسه فأتى الى موسى فقال له يا موسى لك الرسالة وطهرون الحبورة ولست في شيء من ذلك وأنا أقرأ التوراة لاصبر لي على هذا فقال أما أنا ما جعلتها طهرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لأصدقك حتى ترى بينه فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل فقال ها تو اعصيتكم فزمتها وألقاها في قبته التي يتعبد فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فاصبحت عصاهرون قد اهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا فقال له قارون والله ما هذا باعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى باتباعه وجعل موسى يدار به للقرابة التي بينهما وهو يؤذبه كل وقت ولا يزيد الاعتوا وتنجروا ومعاداة موسى حتى بنى دارا وجعل لها بابا من الذهب وضرب على جدرانها صقاع الذهب وكان الملا من بني اسرائيل يغدون اليه وروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه على كل ألف دينار عنهما دينار وعلى كل ألف درهم عنهما درهم وكل ألف شاة عنها شاة وكذلك سائر الاشياء ثم رجع الى بيته فحسبه فوجده شياً كثيراً فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال لهم ان موسى قد أمركم بكل شيء فاطعموه وهو يريد يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فربنا بما شئت قال أمركم أن تجيؤا فلانة البني وتجعلوا عليكم لها جعلاً على أن تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو اسرائيل فرفضوه فدعوا فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم وقيل طستاً من ذهب وقيل قال لها قارون أنزلك وأخلطك بناتي على أن تقذف موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بني اسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم ونهاتهم فخرج اليهم موسى وهم في مرج من الارض فقام فيهم فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى ولبست له امرأة جلدناه مائة جلدة ومن زنى وله امرأة رجناه الى أن يموت فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك بغرت بفلانة البني قال ادعوه فلما جاءت قال لها موسى بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وأنزل التوراة الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق فقالت في نفسها حدث توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله فقالت لا والله ولكن قارون جعل لي جعلاً على أن أقذفك بنفسي فخر موسى ساجداً بيكي ويقول اللهم ان كنت رسولك فأغضب لي فأوحى الله اليه اني أمرت الارض أن تطيعك فرها بما شئت فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذهم فاخذتهم باقد امهم وقيل كان على سريره وفرشه فاخذته الارض حتى غيبت سريره ثم قال يا أرض خذهم فاخذتهم الى الركب ثم قال يا أرض

استغاث بك سراراً فلم
ترحمه فوعزني لو استرحني
مرة لرحمته فقال بعض
بني اسرائيل انما أهلكه
ليربث ماله فدعا الله حتى
خسف بداره وكنوزه

(فما كان له من فئة) جماعة (ينصرونه من دون الله) يمنعونه من عذاب الله (وما كان من المنتصرين) من المتقين من موسى أو من المنتصرين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فاتصرأى منعه منه فامتنع (وأصبح) وصار (الذين تمنوا مكانه) منزله من الدنيا (بالأحسن) ظرف لتمنوا ولم يرد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت القريب استعارة (يقولون وي) كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر (وي منفصلة عن كان عند البصريين قال سيديويه وي كلمة تنبه على الخطا وتندم يستعملها التادم باظهار ندامته يعني ان القوم قد تذبذبو اعلى خطتهم في تمنيمهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وتندموا (لولا أن من الله علينا) بصرف ما كنا تمناه بالامس (لخسف بنا) وبفتحتين حفص ويعقوب وسهل وفيه ضمير الله تعالى (وي كأنه لا يفلح الكافرون) (٤٤٣) أي تندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح

الكافرون (تلك الدار الآخرة) تلك تعظيم لها وتفخيم لسانها يعني تلك التي سمعت بد كرها وبلغك وصفها وقوله (تجعلها) خبر تلك والدار نعنها (للذين لا يريدون علوا في الارض) بغيا ابن جبير وظلما الضحاك أو كبرا (ولافسادا) عملا بالمعاصي أو قتل النفس أو دعاء الى عبادة غير الله ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليحبه أن يكون شركا نعله أجود من شرك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت الاماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض وقال

خديهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال يا أرض خديهم فاخذتهم الى الاعناق وأصحابه في ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى قيل انه ناشده أربعين مرة وقيل سبعين مرة وموسى في ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض خديهم فاطبقت عليهم الارض فوحى الله الى موسى ما أغلظ قلبك يستغيت بك قارون سبعين مرة فلم تغتأه أما وعزتي وجلالي لو استغاث في مرة لا غتته وفي بعض الآثار لا أجعل الارض بعدك مطوئا لاحد قال قتادة خسف به الارض فهو يتجلجل في الارض كل يوم قائم رجل لا يبلغ قرارها الى يوم القيامة وأصبح بنو اسرائيل يقولون فيما بينهم انما دعانا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الارض فذلك قوله تعالى (فما كان له من فئة) أي جماعة (ينصرونه من دون الله) أي يمنعونه من الله (وما كان من المنتصرين) من المتقين مما نزل به من الخسف (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس) أي صار أولئك الذين تمنوا رزقه الله من الاموال والزينة يندمون على ذلك التمني (يقولون ويكأن الله) ألم تعلم وقيل ألم تر وقيل هي كلمة تقر بمعناها ما ترى صنع الله واحسانه وقيل ويك بمعنى ويك اعلم أن الله وروى ان وي مفصولة من كأن والمعنى ان القوم ندموا فقولوا متندمين على ما سلف منهم وي وكان معناها أظن وأقدر ان الله (يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) قال ابن عباس أي يوسع لمن يشاء ويضيق على من يشاء (لولا أن من الله علينا) أي بالامان (لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون) قوله عز وجل (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض) أي استكبارا عن الايمان وقيل علوا واستطالة على الناس وتمهاونابهم وقيل يطلبون الشرف والعز عند ذي سلطان وعن علي أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل المقدر (ولافسادا) قيل الذين يدعون الى غير عبادة الله تعالى وقيل أخذ أموال الناس بغير حق وقيل العمل بالمعاصي (والعاقبة للمتقين) أي العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله بآداء أو امره واجتناب نواهيها وقيل عاقبة المتقين الجنة (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون) تقدم تفسيره قوله تعالى (ان الذي فرض عليك القرآن) أي أنزل عليك القرآن وقيل معناه أوجب عليك العمل بالقرآن (لرادك الى معاد) قال ابن عباس الى مكة آخره البخاري عنه قال القتيبي معاد الرجل بلده لانه ينصرف فيعود الى بلده وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار على غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن رجع الى الطريق ونزل بالحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها فأتاه جبريل عليه السلام وقال له أنت شاق الى بلدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهذه

بعضهم حقيقة التنفير عن متابعة فرعون وقارون متشبها بقوله ان فرعون علا في الارض ولاتبغ الفساد في الارض (والعاقبة) المحمودة (للتقين من جاء بالحسنة فله خير منها) مر في النمل (ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الذين عملوا السيئات) معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا ففضل تهجين بحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين (الاما كانوا يعملون) الامثل ما كانوا يعملون ومن فضله العظيم أن لا يجزي السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة (ان الذي فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لرادك) بعد الموت (الى معاد) أي معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر فلذا نكره أو المراد به مكة والمراد به اليوم الفتح لانها كانت في ذلك اليوم معاد له شان ومر جعله اعتدادا لعظمة رسول الله وفهره لاهلها ولظهور عز الاسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية ولكن هذه الآية نزلت بالحفة لا بمكة ولا بالمدينة حين اشتاق الى بلده ومولده آياته

وما وعد رسول الله الى معاد قال (قل) للمشركين (ربي أعلم من جاء بالهدى) يعني نفسه وماله من الثواب في معاده (ومن هو في ضلال مبين) يعني المشركين وما يستحقونه من العذاب في معادهم من في محل نصب بفعل مضمراً أي يعلم (وما كنت ترجوا أن يلقى يوحى اليك الكتاب) القرآن (الارحة من ربك) هو محمول على المعنى أي وما ألقى اليك الكتاب الارحة من ربك أو الابعني لكن للاستدراك أي ولكن لرحمة من ربك ألقى اليك الكتاب (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) معينا لهم على دينهم (ولا يصدنك عن آيات الله) هو على الجمع أي لا يمنعك هؤلاء عن العمل بآيات الله أي القرآن (بمدا انزلت اليك) الآيات أي بعد وقت انزاله واذ يضاف اليه أسماء الزمان كقولك حينئذ ويومئذ (وادع الى ربك) الى توحيد وعبادته (ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر) قال ابن عباس رضي الله عنهما الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أهل دينه ولأن العصمة لا تمنع النهي والوقف على آخر لازم لانه لو وصل لصار (لا اله الا هو) صفة لاها آخر وفيه من الفساد ما فيه (٤٤٤) (كل شئ هالك الا وجهه) أي الاياه فالوجه يعبر به عن الذات وقال مجاهد يعني علم العلماء

إذا أريد به وجه الله (له الحكم) القضاء في خلقه (واليسه) ترجعون) ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم يعقوب والله أعلم (سورة العنكبوت) مكية وهي تسع وستون آية (بسم الله الرحمن الرحيم) (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) الحسبان قوة أحد النقيضين على الآخر كالظن بخلاف الشك فهو الوقوف بينهما والعلم فهو القطع على أحدهما ولا يصح تعليقهما بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل فلو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شياً حتى تقول حسبت زيدا عالماً وظننت الفرس جواداً لان قولك زيد عالم والفرس جواد كلام دال على

الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية وقال ابن عباس أيضاً رادك الى الموت وقيل الى القيامة وقيل الى الجنة (قل ربي أعلم من جاء بالهدى) هذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك لفي ضلال مبين فقال الله تعالى قل لهم ربي أعلم من جاء بالهدى يعني نفسه (ومن هو في ضلال مبين) يعني المشركين ومعناه هو أعلم بالقرينين قوله عز وجل (وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب) أي يوحى اليك الكتاب (الارحة من ربك) فاعطاك القرآن (فلا تكونن ظهيرا) أي معينا (للكافرين) على دينهم وذلك حين دعوه الى دين آباءه فذكرة نعمه عليه ونهاه عن مظاهرهم على ما هم عليه (ولا يصدنك عن آيات الله) يعني القرآن (بعد انزلت اليك وادع الى ربك) الى معرفته وتوحيده (ولا تكونن من المشركين) قال ابن عباس الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أهل دينه أي ولا تظاهر الكفار ولا توافقهم (ولا تدع مع الله الها آخر) معناه واجب على الكل الا أنه خاطبه به مخصوصا لاجل التعظيم فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما من أن يدعو مع الله الها آخر فافائدة هذا النهي قلت الخطاب معه والمراد به غيره وقيل معناه لا تتخذ غيره وكيلاً على أمورك كلها ولا تعتمد على غيره (لا اله الا هو كل شئ هالك) أي فان (الوجه) أي الهو والوجه يعبر به عن الذات وقيل معناه الاما أريد به وجهه لان عمل كل شئ أريد به غير الله فهو هالك (له الحكم) أي فصل القضاء بين الخلق (واليه ترجعون) أي تردون في الآخرة فيجزىكم بأعمالكم والله أعلم بمراده

﴿تفسير سورة العنكبوت﴾

وهي مكية وآياتها تسع وستون آية وكلماتها تسعمائة وثمانون كلمة

وحروفها أربعة آلاف ومائة وخمسة وستون حرفاً

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (الم أحسب الناس) أي أظن الناس (أن يتركوا) أي بغير اختبار وابتلاء (أن) أي بان (يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) أي لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم كلالنختبرهم انبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب قيل نزلت هذه الآية في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالاسلام فكتب اليهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يقبل منكم الاقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة

مضمون فاذا أردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتاً عندك على وجه الظن لا اليقين أدخلت على شطري الجملة فاتبهم فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك والكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان هنا أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب وقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتمة الترك لانه من الترك الذي هو بمعنى التصير كقول عنزة فتركته جزر السباع بنسبه لان ترى انك قبل المجيء بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقديره حاصل ومستقر قبل الملام وهو استفهام توبيخ والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات وبالفسق والقحط وأنواع المصائب في النفس والاموال ومصاراة الكفار على أذاهم وكيدهم وروى انها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من أذى المشركين أو في عمار بن ياسر وكان يعذب الله في

(ولقد فتنا) اختبرنا وهو موصول بأحسب أو بلا يفتنون (الذين من قبلهم) بأنواع الفتن فمنهم من يوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقان ما يصرفه ذلك عن دينه ومنهم من يمشط بامشاط الحديد ما يصرفه ذلك عن دينه (فليعلمن الله) بالامتحان (الذين صدقوا) في الايمان (وليعلمن الكاذبين) فيه ومعنى علمه تعالى وهو عالم بذلك فيما يزل ان يعلمه موجودا عند وجوده كما علمه قبل وجوده انه يوجد والمعنى ولنميزن الصادق منهم من الكاذب قال ابن عطاء يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات الرخاء والبلاء فمن شكر في أيام الرخاء وصبر في أيام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين (أم حسب الذين يعملون السيئات) أي الشرك والمعاصي (ان يسبقونا) أي يفوتونا يعني ان الجزاء يلحقهم لاحالة واشتغال صلة ان على مسند ومسند اليه سدمسدم مفعولين كقوله أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا (٤٤٥) الحسبان أبطل من الحسبان الاول لان ذلك يقدر انه لا يمتحن

لا يمتحن
لا يمتحن
لا يجازى بمساويه وقالوا
الاول في المؤمنين وهذا
في الكافرين (ساء
ما يحكمون) ماني موضع
رفع على معني ساء الحكم
حكمهم أو نصب على معني
ساء حكما يحكمون والمخصوص
بالذم محذوف أي بس
حكما يحكمونه حكمهم
(من كان يرجوا لقاء الله)
أي يؤمل ثوابه أو يخاف حيابه
فالرجاء يحتملها (فان
أجل الله) المضروب للثواب
والعقاب (لاآت) لا محاله
فليبادر للعمل الصالح الذي
يصدق رجاءه ويحقق أمله
(وهو السميع) لما يقوله
عباده (العليم) بما يفعلونه
فلا يفوته شيء ما وقال
الزجاج من للشرط ويرتفع

فاتبعهم المشركون فقاتلهم الكفار فمنهم من قتل ومنهم من نجح فانزل الله هاتين الآيتين وقال ابن عباس أراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم وقيل في عمار كان يعذب في الله تعالى وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمرو وكان أول من قتل من المسلمين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع أبواه وامرأته فانزل الله هذه الآية ثم عزاهم فقال تعالى (ولقد فتنا الذين من قبلهم) يعني الانبياء فمنهم من نشر بالذم والشار ومنهم من قتل وابتلى بنو اسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب (فليعلمن الله الذين صدقوا) أي في قولهم (وليعلمن الكاذبين) والله تعالى عالم بهم قبل الاختبار ومعنى الآية فليظهن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلوم وقيل ان آثار أفعال الحق صفة يظهر فيها كل ما يقع وما هو واقع ﴿قوله تعالى﴾ (أم حسب الذين يعملون السيئات) يعني الشرك (ان يسبقونا) أي يعجزونا فلا نقدر على الانتقام منهم (ساء ما يحكمون) من كان يرجوا لقاء الله) قال ابن عباس من كان يخشى البعث والحساب وقيل من كان يطمع في ثواب الله (فان أجل الله لات) يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب وقيل يوم القيامة لكائن والمعنى ان من يخشى الله ويؤمله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم (وهو السميع العليم) أي يعلم ما يعمل العباد من الطاعة والمعصية فيثيبهم أو يعاقبهم أو يعفوهم قوله تعالى (ومن جاهد فانا مجاهدون) أي له ثوابه وهذا حكم الوعد لا يحكم الاستحقاق فان الكريم اذا وعد في الجهاد هو الصبر على الاعداء والشدة وقد يكون في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس (ان الله لغني عن العالمين) أي عن أعمالهم وعبادتهم وفيه بشارة وتخويف أما البشارة فلانه اذا كان غنيا عن الاشياء فلأعطى جميع ما خلقه لعباده من عبيده لاشي عليه لاستغناؤه عنه وهذا يوجب الرجاء التام وأما التخويف فلان الله اذا كان غنيا عن العالمين فلأهلكهم بهذابه فلاشي عليه لاستغناؤه عنهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) أي لنبطلننا حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل والتكفير اذ هاب السيئة بالحسنة (ولنجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون) أي بأحسن أعمالهم وهو الطاعة وقيل يعطيهم أكثر مما عملوا ﴿قوله عز وجل﴾ (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) معناه براهما وعظما عليهما والمعنى ووصينا الانسان بوالديه أن يفعل بهما ما يحسن

بالابتداء وجواب الشرط فان أجل الله لات كقولك ان كان زيد في الدار فقد صدق الوعد (ومن جاهد) نفسه بالصبر على طاعة الله أو الشيطان بدفع وساوسه أو الكفار (فانما مجاهد لنفسه) لان منفعة ذلك ترجع اليها (ان الله لغني عن العالمين) وعن طاعتهم ومجاهدتهم وانما أمر ونهي رحمة لعباده (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) أي الشرك والمعاصي بالايان والتوبة (ولنجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون) أي أحسن جزاء أعمالهم في الاسلام (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وصى حكمه حكم أمر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول أمرته بان يفعل ومنه قوله ووصى بها ابراهيم بنيه أي وصاهم بكامة التوحيد وأمرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمره معناه وصيته بتعهد عمر ورواياته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا ووصيناها بآباء والديه حسنا أو بآباء والديه حسنا أي فعلا إذا حسن أو ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رأته متبها للضرب فتنصبه باضمارا ولهما أو افعل بهما لان التوسمية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كما قال قلنا أولهما

معروفًا ولا تطعمهما في الشرك إذا جلا عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابنتي حنا حسن الوقف وعلى الله خير الأول لا بد من
 اضمار القول معناه وقتنا (وان جاهداك) أيها الانسان (لتشرك بي ما ليس لك به علم) أي لا علم لك بالهية والمراد بنبي العلم نبي المعلوم كأنه
 قال لتشرك بي شيئًا لا يصح ان يكون الهاء (فلا تطعمهما) في ذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (الي مرجعكم) مرجع من آمن منكم ومن
 أشرك (فانبتكم بما كنتم تعملون) فاجاز يكمن حق جزائكم وفي ذكر المرجع والوعيد تحذير من متابعتهم على الشرك وحث على الثبات
 والاستقامة في الدين روى ان سعد بن أبي وقاص لما أسلم نذرت أمه ان لا تأكل ولا تشرب حتى يرتد فشكا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت
 هذه الآية والتي في لقمان والتي في (٤٤٦) الاحقاف (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) هو مبتدأ والخبر (لندخلنهم في الصالحين)

في جلتهم والصلاح من
 أبلغ صفات المؤمنين وهو
 متعنى الانبياء عليهم السلام
 قال سليمان عليه السلام
 وأدخلني برحمتك في
 عبادك الصالحين وقال
 يوسف عليه السلام توفني
 مسلماً وألحقني بالصالحين
 أو في مدخل الصالحين وهو
 الجنة ونزلت في المنافقين
 (ومن الناس من يقول
 آمنا بالله فإذا أؤذى في الله)
 أي إذا مسه أذى من الكفار
 (جعل فتنة الناس كعذاب
 الله) أي جزع من ذلك كما
 يجزع من عذاب الله تعالى
 (ولئن جاء نصر من ربك
 ليقولن انا كنا معكم) أي
 وإذا نصر الله المؤمنين
 وغمهم اعترضوهم وقالوا انا
 كنا معكم أي متابعين لكم في
 دينكم نابتين عليه بثباتكم
 فاعطونا نصيبنا من الغنم
 (أوليس الله باعلم بما في
 صدور العالمين) أي هو

نزلت هذه الآية والتي في سورة لقمان والاحقاف في سعد بن أبي وقاص وقال ابن اسحق سعد بن مالك
 الزهري وأمه حنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس لما أسلم وكان من السابقين الأولين وكان باراً بابيه
 قالت له أمه ما هذا الذي أحدثت والله ما آكل ولا أشرب حتى ترجع الي ما كنت عليه أو أموت فتعرب بذلك
 أبد الدهر ويقال يا قاتل أمه ثم انها مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت وقد جهدت ثم
 مكثت كذلك يوماً آخر وليلة فاجاءها فقال يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً فاسما تركت ديني
 فكلي ان شئت وان شئت فلا تأكلي فلما أيست منه أكلت وشربت فانزل الله هذه الآية وأمره بالبر والديه
 والاحسان اليهما وان لا يطيعهما في الشرك فذلك قوله تعالى (وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك
 به علم فلا تطعمهما) وفي الحديث لا طاعة لمخلوق في معصية الله ثم أوعد بالمصير اليه فقال تعالى (الي مرجعكم
 فانبتكم) أي فاجزيتكم (بما كنتم تعملون) أي بصالح أعمالكم وسيئاتها أي فاجاز يكمن عليها (والذين آمنوا
 وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) أي في زمرة الصالحين وهم الانبياء والاولياء وقيل في مدخل
 الصالحين وهو الجنة قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى) يعني أصابه بلاء من الناس
 افتتن (في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) أي جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة والمعنى
 انه جزع من أذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما يطيع الله من يخاف من عذابه وهو المنافق إذا أؤذى
 في الله رجع عن الدين وكفر (ولئن جاء نصر من ربك) أي فتح ودولة للمؤمنين (ليقولن) أي هؤلاء
 المنافقون للمؤمنين (انا كنا معكم) أي على عدوكم وكنا مسلمين وانما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا فاذكذبهم
 الله تعالى فقال (أوليس الله باعلم بما في صدور العالمين) أي من الايمان والنفاق (وليعلمن الله الذين
 آمنوا) أي صدقوا فثبتوا على الايمان والاسلام عند البلاء (وليعلمن المنافقين) أي بترك الاسلام عند
 البلاء قيل نزلت هذه الآية في أناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في
 أنفسهم افتتنوا وقال ابن عباس نزلت في الذين أخرجهم المشركون معهم الي بدر وهم الذين نزلت فيهم
 الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم وقيل هذه الآيات العشر من أول السورة الي ههنا مدنية وبقى
 السورة مكي (وقال الذين كفروا) يعني من أهل مكة قيل قاله أبو سفيان (للذين آمنوا) أي من قريش
 (اتبعوا سبيلنا) يعني ديننا وملة آباءنا ونحن الكفلاء بكل تبعه من الله تصيبكم فذلك قوله (ولنعلم
 خطاياكم) أي أوزاركم والمعنى ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم كما كذبهم الله عز وجل بقوله (وما هم بحاملين
 من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون) في قولهم نحمل خطاياكم (وليحملن أثقالمهم) أي أوزار أعمالهم

أعلم بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما في صدور هؤلاء من النفاق وما في
 صدور المؤمنين من الاخلاص ثم وعد المؤمنين وأوعد المنافقين بقوله (وليعلمن الله الذين آمنوا ويعلمن المنافقين) أي حالها ظاهرة عند
 من بملك الجزاء عليهما (وقال الذين كفروا والذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم) أمر وهم باتباع سبيلهم وهي طريقهم التي كانوا
 عليها في دينهم وأمر وانفسهم بحمل خطاياهم فحفظ الأمر على الأمر وأرادوا ليجتمع هذان الأمران في الحصول أن اتبعوا سبيلنا وان
 نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع أي ان اتبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم وهذه أقول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم
 لا نبعث نحن ولا أتم فان كان ذلك فإنا نحمل عنكم الأثم (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون) لا هم قالوا ذلك وقلوبهم
 على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف (وليحملن أثقالمهم) أي أثقال أنفسهم يعني أوزارهم بسبب كفرهم

١ (وأثقالهم أثقالهم) أي أثقالاً آخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي أثقال الذين كانوا سبباً في ضلالتهم وهو كما قال ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم (وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) يخلقون من الأكاذيب والباطيل (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً) كان عمره ألفاً وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين وعين وحب انه عاش ألفاً وأربعمائة سنة فقال له ملك الموت يا طول الانبياء عمراً كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت وخرجت ولم يقبل تسعمائة وخمسين سنة لأنه لو قيل كذلك لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل هنا فإنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وفيه العدد إلا أن ذلك أخصر وأعذب لفظاً وأملاً بالفائدة ولأن القصة سبقت لما ابتلى به نوح عليه السلام من أمته وما كبده من طول المصابرة تسلياً لتبينا عليه السلام (٤٤٧) فكان ذكر الألف أخم وأوصل إلى الغرض

وجيء بالمعبر أولاً بالسنة ثم بالعام لأن تكرار لفظ واحد في كلام واحد حقيق بالاجتناب في البلاغة (فاخذهم الطوفان) هو ما أطف وأحاط بكثرة وغلبة من سبيل أو ظلام ليل أو نحوهما (وهم ظالمون) أنفسهم بالكفر (فأنجيناه) أي نوحاً (وأصحاب السفينة) وكانوا ثمانية وسبعين نفساً نصفهم ذكور ونصفهم إناث منهم أولاد نوح سام وحام ويافث ونسأؤهم (وجعلناها) أي السفينة أو الحادثة أو القصة (آية) عبرة وعظة (للعالمين) يتعظون بها (إبراهيم) نصب باضمار إذ كرر بدل عنه (اذ قال) بدل اشتغال لأن الأحيان تشتمل على ما فيها أو معطوف على

التي عملوها بانفسهم (وأثقالهم أثقالهم) أي أوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزار أنفسهم فإن قلت قد قال أولاً وما هم بمحملين من خطاياهم من شيء وقال ههنا وإحملان أثقالهم وأثقالهم فكيف الجمع بينهما قلت معناه أنهم لا يرفعون عنهم خطيئة بل كل واحد يحمل خطيئة نفسه ورؤساء الضلال يحملون أوزارهم ويحملون أوزار بسبب اضلال غيرهم فهو كقوله صلى الله عليه وسلم من سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء رواه مسلم (وأيستئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) أي سؤال توبيخ وتقريع لأنه تعالى عالم بأعمالهم وافتراهم ﴿قوله تعالى﴾ (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً) فإن قلت ما فائدة هذا الاستثناء وهلا قال تسعمائة وخمسين سنة قلت فيه فائدتان أحدهما أن الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فهو كقول القائل عاش فلان مائة سنة فقد يتوهم السائل أنه يقول مائة سنة تقريباً لا تحقيقاً فإن قال مائة سنة الأشهر أو السنة زال ذلك التوهم وفهم منه التحقيق الفائدة الثانية هي إبيان أن نوحاً صبر على أذى قومه صبراً كثيراً وأعلى مراتب العدد ألف سنة وكان المراد التكثير فلذلك أتى بعد الألف لأنه أعظم وأخف وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أعلم أن الانبياء قد ابتلوا قبله وأن نوحاً لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم فصبر في الدعاء ولم يؤمن من قومه الا قليل فانت أولى بالصبر لمدته لبثك وكثرة من آمن بك قال ابن عباس بعث نوح لاربعة سنين وبقى في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس فكان عمره ألفاً وخمسين عاماً وقيل في عمره غير ذلك ﴿قوله تعالى﴾ (فاخذهم الطوفان) أي فاغرقهم (وهم ظالمون) قال ابن عباس مشركون (فأنجيناه وأصحاب السفينة) يعني من الغرق (وجعلناها) يعني السفينة (آية) أي عبرة (للعالمين) قيل إنها بقيت على الجودي مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة ﴿قوله تعالى﴾ (إبراهيم) أي وأرسلنا إبراهيم (اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) أي أطيعوا الله وخافوه (ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون) أي ما هو خير لكم مما هو شر لكم ولاكنتم لا تعلمون (انما تعبدون من دون الله آوثاناً ونخلقون افكاً) أي تقولون كذباً وقيل تصنعون أصناماً بأيديكم وتسمونها آلهة (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً) أي لا يقدر أن يرزقكم (فاتبعوا) أي فاطلبوا (عند الله الرزق) فإنه القادر على ذلك (واعبدوه) أي وحدوه (واشكروا له) لأنه المنعم عليكم بالرزق (اليه ترجعون) أي في

نوح أي وأرسلنا إبراهيم أو ظرف لإرسلنا يعني أرسلناه حين بلغ من السن أو العلم مبلغاً صالح فيه لأن يعظ قومه ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ إبراهيم الضعيف وأبو حنيفة رضي الله عنهما وإبراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين إبراهيم (لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلك خير لكم) من الكفر (ان كنتم تعلمون) ان كان لكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم (انما تعبدون من دون الله آوثاناً) أصناماً (وتخلقون) وتكذبون أو تصنعون وقرأ أبو حنيفة والسلمي رضي الله عنهما وتخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق (افكاً) وقرئ أفكاً وهو مصدر نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من أصلهما واختلافهم الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء الله (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً) لا يستطيعون ان يرزقكم شيئاً من الرزق (فاتبعوا عند الله الرزق) كله فإنه هو الرزق وحده لا يرزق غيره (واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون) فاستعدوا للقاءه بعبادته والشكر له على أنعمه وبنح التاء وكسر الجيم يعقوب

(وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين) أي وان تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم فان الرسل قبل قدي كذبتم أممهم وما ضرهم وانما ضرروا أنفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذيبهم وأما الرسول فقد تم أمره حيث بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومجزاته أو وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الانبياء اسوة حيث كذبوا على الرسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب وهذه الآيات والآيات التي بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول ابراهيم عليه السلام لقومه والمراد بالام قبله قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول قصة ابراهيم وآخرها فان قلت فالجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه فلا تقول مكة وزيد قائم خير بلاد الله قلت نعم وبيانه ان اراد قصة ابراهيم عليه السلام ليس الارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون مسلاة بان أباه ابراهيم عليه السلام كان مبتلى نحو ما بتلى به من شرك قومه وعبادتهم الا وان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمد فقد كذب ابراهيم قومه وكل أمة نبيها لان قوله فقد كذب أمم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابراهيم وهو كما ترى اعتراض متصل ثم صار الآيات بعدها من توابعها لكونها ماطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده ووصفة قدرة الله تعالى وسلطانه ووضوح حجة وبرهانه (أولم يروا) (٤٤٨) وبالتاء كوفي غير حفص (كيف يبدى الله الخلق) أي قدراً وأذلك وعلومه

وقوله (ثم يعيده) ليس بمعطوف على يبدى وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء بل هو معطوف على جملة قوله أولم يروا كيف يبدى الله الخلق (ان ذلك) أي الاعادة (على الله يسير) سهل (قل) يا محمد وان كان من

الآخرة (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) أي مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فاهلكهم الله (وما على الرسول الا البلاغ المبين) قوله تعالى (أولم يروا) قيل هذه الآيات الى قوله فما كان جواب قومه محتمل أن تكون من تمام قول ابراهيم لقومه وقيل انها وقعت معترضة في قصة ابراهيم وهي في تذ كبر أهل مكة وتحذيرهم ومعنى أولم يروا أولم يعلموا (كيف يبدى الله الخلق) أي يخلقهم نطفة ثم علقه ثم مضغه (ثم يعيده) أي في الآخرة عند البعث (ان ذلك على الله يسير) أي الخلق الاول والخلق الثاني (قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) أي انظروا الى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي ثم ان الله الذي خلقهم ينشئهم نشأة ثانية بعد الموت والمعنى فكالم يتعذر عليه احد انهم مبدئاً كذلك لا يتعذر عليه انشاؤهم معياداً بعد الموت ثانياً (ان الله على كل شيء قدير) أي من البدء والاعادة (يعذب من يشاء) عدل منه (ويرحم من يشاء) تفضلاً (واليه تعلقبون) أي تردون (وما أتمم بمجزين في الارض ولا في السماء) قيل معناه ولا من في السماء بمجزز والمعنى انه لا يجزه أهل الارض في الارض ولا أهل السماء في السماء وقيل معنى قوله ولا في السماء أي لو كنتم فيها (وما لكم من دون الله من ولي) أي يمنعكم مني (ولانصبر) أي ينصركم من عذابي (والذين كفروا بآيات الله) يعني بالقرآن (ولقائه) أي البعث (وأولئك يشوا من رحمتي) يعني الجنة (وأولئك لهم عذاب أليم) فهذا آخر الآيات في تذ كبر أهل مكة ثم عاد الى قصة ابراهيم عليه السلام فقال تعالى (فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) قال ذلك بعضهم لبعض وقيل قال

كلام ابراهيم فتقديره وأوحينا اليه أن قل (سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) على رؤساء كثيرهم واختلاف أحوالهم لتعرفوا عجائب فطرة الله بالمشاهدة وبدأ أو بدأ بمعنى (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي البعث والمدحيت كان بكى وأبو عمرو وهذا دليل على انهما نشأتان وان كل واحدة منهما انشاء أي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود غير أن الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك والقياس أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة لان الكلام معهم وقع في الاعادة فاما قريرهم في الابداء بانه من الله احج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا لم يجزه الابداء وجب أن لا يجزه الاعادة فكانه قال ثم ذلك الذي أنشأ النشأة الاولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فللتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقفه مبتدأ (ان الله على كل شيء قدير) قادر (يعذب من يشاء) بالخذلان (ويرحم من يشاء) بالهداية أو بالحرص والقناعة أو بسوء الخلق وحسنه أو بالاعراض عن الله وبالاقبال عليه أو بمتابعة البدع وبلازمة السنة (واليه تعلقبون) تردون وترجعون (وما أتمم بمجزين) ربكم أي لا تفوتونه ان هر بتم من حكمه وقضائه (في الارض) الفصيحة (ولا في السماء) التي هي أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها (وما لكم من دون الله من ولي) يتولى أموركم (ولانصبر) ولاناصر يمنعكم من عذابي (والذين كفروا بآيات الله) بدلائله على وحدانيته وكتبه ومجززانه (ولقائه) أو أوائك يشوا من رحمتي (جنتي) (وأولئك لهم عذاب أليم) فما كان جواب قومه (قوم ابراهيم حين دعاهم الى الايمان) (الا ان قالوا اقتلوه أو حرقوه) قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعاً في حكم القائلين فانفقوا على تحريقه

(فأجابه الله من النار) حين قد فوه فيها (ان في ذلك) فيما فعلوا به وفعلنا (آيات لقوم يؤمنون) روى انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم ألقى ابراهيم في النار وذلك لذهاب حرها (وقال) ابراهيم لقومه (انما اتخذتم من دون الله آثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا) حزة وحفص مودة بينكم مدني وشامي وجمادو محبي وخلف مودة بينكم مكى وبصرى وعلى مودة بينكم الشمي والبرجي النصب على وجهين على التعليل أى لتوادوا بينكم وتتواصلوا الاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الله هو اه واما كافة أى اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم أى مودودة بينكم كقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله آثادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون خبرا لان وما موصولة وان يكون خبر مبتدأ محذوف أى هي مودة بينكم والمعنى ان الاوثان مودة بينكم أى مودودة أو سبب مودة ومن أضاف المودة جعل بينكم اسما لا ظرفا كقوله شهادة بينكم ومن نون مودة ونصب بينكم فعلى الظرف (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) تبرا الاصنام من عابديها (ويلعن بعضكم بعضا) أى يوم القيامة يقوم بينكم التلاعن (٤٤٩) فيلعن الاتباع القادة (ومأواكم

النار) أى مأوى العابد والمعبود والتابع والمتبوع (ومالك من ناصر بن) نمة (فأمن له) لابراهيم عليه السلام (لوط) هو ابن أخى ابراهيم وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه (وقال) ابراهيم (انى مهاجر) من كوفى هاجر الى الشام ومع لوط وامر أنه سارة وهو أول من هاجر الى الله تعالى وترك بلده وسار الى حيث أمره الله بالمهاجرة اليه قبل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة (انه هو العزيز) أى الذى لا يغلب والذى يمنعنى من أعدائى (الحكيم) الذى لا يأمرنى الا بما يصلحنى ﴿ قوله تعالى (وهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب) يقال ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله (وآتيناها أجره فى الدنيا) هو الثناء الحسن فكل أهل الاديان يتولونه و يحبونه ويحبون الصلاة عليه والذرية الطيبة والنبوة من نسله هذا فى الدنيا (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) أى فى زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل آدم ونوح ﴿ قوله عز وجل (ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) أى الفعلة القبيحة (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) أى لم يفعلها أحد قبلكم ثم فسر الفاحشة فقال (أنتم لتأتون الرجال) يعنى انكم تقضون الشهوة من الرجال (وتقطعون السبيل) وذلك بانهم كانوا يأتون الفاحشة بمن مر بهم من المسافرين فترك الناس المر بهم لاجل ذلك وقيل معناه تقطعون سبيل النسل بايثار الرجال على النساء (وتأتون فى نادىكم المنكر) أى محاسنكم والنادى مجلس القوم ومتحدثهم عن أم هانئ بنت أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله

الرساء للاتباع اقتلوه أو حرقوه (فأجابه الله من النار) أى بان جعلها عليه بردا وسلاما قيل ان ذلك اليوم لم ينتفع أحد بنار (ان فى ذلك آيات لقوم يؤمنون) يصدقون (وقال) يعنى ابراهيم لقومه (انما اتخذتم من دون الله آثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا) أى ثم تنقطع ولا تنفع فى الآخرة وقيل معناه انكم تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها فى الدنيا (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) تبرا الاوثان من عابديها وتبرا القادة من الاتباع ويلعن الاتباع القادة (ومأواكم النار) يعنى العابدون والمعبودون جميعا (ومالك من ناصر بن) أى مانعين من عذابه (فأمن له لوط) أى صدقه برسالة لما رأى مجزاته وهو أول من صدق ابراهيم وأما فى أصل التوحيد فإنه كان مؤمنا لان الانبياء لا يتصور فيهم الكفر (وقال) يعنى ابراهيم (انى مهاجر الى ربى) الى حيث أمرنى ربى فهاجر من كوفى وهى من سواد الكوفة الى حران ثم هاجر الى الشام ومع لوط وامر أنه سارة وهو أول من هاجر الى الله تعالى وترك بلده وسار الى حيث أمره الله بالمهاجرة اليه قبل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة (انه هو العزيز) أى الذى لا يغلب والذى يمنعنى من أعدائى (الحكيم) الذى لا يأمرنى الا بما يصلحنى ﴿ قوله تعالى (وهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب) يقال ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله (وآتيناها أجره فى الدنيا) هو الثناء الحسن فكل أهل الاديان يتولونه و يحبونه ويحبون الصلاة عليه والذرية الطيبة والنبوة من نسله هذا فى الدنيا (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) أى فى زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل آدم ونوح ﴿ قوله عز وجل (ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) أى الفعلة القبيحة (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) أى لم يفعلها أحد قبلكم ثم فسر الفاحشة فقال (أنتم لتأتون الرجال) يعنى انكم تقضون الشهوة من الرجال (وتقطعون السبيل) وذلك بانهم كانوا يأتون الفاحشة بمن مر بهم من المسافرين فترك الناس المر بهم لاجل ذلك وقيل معناه تقطعون سبيل النسل بايثار الرجال على النساء (وتأتون فى نادىكم المنكر) أى محاسنكم والنادى مجلس القوم ومتحدثهم عن أم هانئ بنت أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله

(٥٧ - (خازن) - ثالث) أعدائى (الحكيم) الذى لا يأمرنى الا بما هو خير (وهبنا له اسحق) ولدا (يعقوب) ولد ولد ولم يذكر اسمعيل لشهرته (وجعلنا فى ذريته النبوة) أى فى ذرية ابراهيم فإنه شجرة الانبياء (والكتاب) والمراد به الجنس يعنى التوراة والانجيل والزبور والفرقان (وآتيناها) أى ابراهيم (أجره) الثناء الحسن والصلاة عليه الى آخر الدهر ومحبة أهل الملل له وهو بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره (فى الدنيا) فيه دليل على انه تعالى قد يعطى الاجر فى الدنيا (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) أى من أهل الجنة عن الحسن (ولوطا) أى واذا كر لوطا (اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة) الفعلة البالغة فى القبح وهى اللواط (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) جملة مستأنفة مقررة الفاحشة تلك الفعلة كان قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان أحد اقبلهم لم يقدم عليها قالوا لم ينزذ كر على ذك قبل قوم لوط (أنتم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) بالقتل وأخذ المال كما هو عمل قطاع الطريق وقيل اعتراضهم السابلية بالفاحشة (وتأتون فى نادىكم) مجلسكم ولا يقال للمجلس نادى مادام فيه أهله (المنكر) أى المضارطة والجماعة والسباب والفحش فى المزاح والحذف بالحصى ومضغ العلك والفرقة والسواك بين الناس

(فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اتقنا عذاب الله ان كنت من الصادقين) فيأتعدنا من نزول العذاب انكم أنتم شامى وحفص وهو الموجود في الامام وكل واحدة بهمزتين كوفي غير حفص أيكم بهمزة مدودة بعد هاء ياء مكسورة أبو عمرو وأينكم أيكم بهمزة مقصورة بعد هاء ياء مكسورة مكى وياقغ غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد (قال ربي انصرني) بانزال العذاب (على القوم المفسدين) كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) بالشارة لابراهيم بالولد والنافلة يعني اسحق ويعقوب (قالوا انماهلكوا أهل هذه القرية) اضافة مهلكوا لعمدتها (بفالاتها) بمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها جور من قاضي سدوم وهذه القرية تشعربانها قرية من موضع ابراهيم عليه السلام قالوا انها كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع ابراهيم عليه السلام (ان (٤٥٥) أهلها كانوا ظالمين) أى الظلم قد استقر منهم في الايام السالفة وهم عليه مصررون وظلمهم

ونأتون في ناديتكم المنكر قال كانوا يحذقون أهل الارض ويسخرون منهم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب الحذف هورمى الحصى بين الاصابع قيل انهم كانوا يجاسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا امر بهم عاب سبيل حذوه فابهم أصابه قال أنا ولي به وقيل انه كان ياخذ ما معه وينكحه ويفرمه ثلاثة دراهم وقيل انهم كانوا يجامعون بعضهم بعضا في مجالسهم وقيل انهم كانوا يتضارطون في مجالسهم وعن عبد الله بن سلام كان يبرق بعضهم على بعض وقيل كان اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحناء وحل الازار والصفير والحذف والرمى بالجلايق واللوطية (فما كان جواب قومه) أى لانا نكر عليهم لوط ما ياتونه من القبائح (الأن قالوا) بمعنى استهزاء (اتقنا عذاب الله ان كنت من الصادقين) أى ان العذاب نازل بنا فعند ذلك (قال ربي انصرني على القوم المفسدين) أى بتحقيق قولى ان العذاب نازل بهم قوله عز وجل (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) يعنى من الله باسحق ويعقوب (قالوا انماهلكوا أهل هذه القرية) يعنى قوم لوط والقرية سدوم (ان أهلها كانوا ظالمين قال) يعنى ابراهيم اشفاقا على لوط وليعلم حاله (ان فيها لوطا قالوا) أى قالت الملائكة (نحن أعلم عن فيها النجيين وأهل الامم ان كانت من الغابرين) أى من الباقين في العذاب (ولما أن جاءت رسلنا لوطا ساء لهم) أى ظنهم من الانس تخاف عليهم ومعناه أنه جاءه ماساءه (وضاق بهم ذرعا) أى عجز عن تدير أمرهم فخرن لذلك (وقالوا لا تخف) أى من قومك (ولا تحزن) علينا (انما نجوك وأهلك) أى انماهلكوهم ومنجوك وأهلك (الامر أنك كانت من الغابرين انما نزلون على أهل هذه القرية رجزا) أى عذابا (من السماء) قيل هو الحسف والحصب بالحجارة (بما كانوا يفسقون واقدتر كنا منها) أى من قريات لوط (آية بينة) أى عبرة ظاهرة (للقوم يعقلون) يعنى أفلا يتدبرون الآيات تدبر ذوى العقول قال ابن عباس الآية بينة آثار منازلهم الحربة وقيل هي الحجارة التي أهلكوا بها أبقاها الله حتى أدركها أوائل هذه الامة وقيل هي ظهور الماء الاسود على وجه الارض قوله تعالى (والى مدين) أى وأرسلنا الى مدين ومدين اسم رجل وقيل امم المدينة فعلى القول الاول يكون المعنى وأرسلنا الى ذرية مدين وأولاده وعلى القول الثانى وأرسلنا الى أهل مدين (أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) أى افعلوا فعل من يرجو اليوم الآخر وقيل معناه اخشوا اليوم الآخر وخافوه (ولا تعشوا في الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة) أى الزلزلة وذلك ان جبريل صاح فرجفت الارض رجفة

كفرهم وأنواع معاصيهم (قال) ابراهيم (ان فيها لوطا) أى أتهلكوهم وفيهم من هو برى من الظلم وهو لوط (قالوا) أى الملائكة (نحن أعلم) منك (بين فيها النجيين) لتنجينه يعقوب وكوفى غير عاصم (وأهل الامم ان كانت من الغابرين) الباقين في العذاب ثم أخبر عن مسير الملائكة الى لوط بعد مفارقتهم ابراهيم بقوله (ولما أن جاءت رسلنا لوطا ساء لهم) ساء مجيئهم وان صلة كدت وجود الفعلين من نياأ حد هما على الآخر كأنهما وجدوا في جزء واحد من الزمان كأنه قيل كما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه أن يقتلوههم بالفجور سىء

بهم مدين وشامى وعلى (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وتدير أمرهم ذرعه أى طاقته وقد جعلوا ضيق الذرع (فأصبوا والذراع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا ربح الذراع اذا كان مطيقا والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القمير الذراع فحضر ذلك مثلا في الهجز والقدرة وهو نصب على التمييز (وقالوا لا تخف ولا تحزن انما نجوك) وبالتخفيف مكى وكوفى غير حفص (وأهلك) الكاف في محل الجر ونصب اهلك بفعل محذوف أى وتنجى أهلك (الامر أنك كانت من الغابرين انما نزلون) منزلون شامى (على أهل هذه القرية رجزا) عذابا (من السماء) كانوا يفسقون) بفسقتهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله (ولقد تر كنا منها) من القرية (آية بينة) هي آثار منازلهم الحربة وقيل الماء الاسود على وجه الارض (للقوم) يتعلق بتر كنا أو بينة (يعقلون والى مدين) وأرسلنا الى مدين (أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) وافعلوا ما ترجون به الثواب في العاقبة أو خافوه (ولا تعشوا في الارض مفسدين) قام ابن الفساد (فكذبوه فأخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة أو صيحة جبريل عليه السلام لان القلوب رجفت بها

(فأصبحوا في دارهم) في بلادهم وأرضهم (جائمين) باركين على الركب ميتين (وعادا) منصوب باضمار أهل كنانة قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لأنه في معنى الهلاك (وثمود) جزء وحفص وسهل ويعقوب (وقد تبين لكم) ذلك يعني ما وصفه من أهلاكهم (من مساكنهم) من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يرون عليها في أسفارهم فيبصرونها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والمعاصي (فصدهم عن السبيل) السبيل الذي أمروا بساواه هو الايمان بالله ورسوله (وكانوا مستبصرين) عقلاء متمكنين من النظر وتمييز الحق من الباطل ولكنهم لم يفعلوا (وقارون وفرعون وهامان) أي وأهلكناهم (ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين) فأتين أدركهم أمر الله فلم يفوتوه (فكلا أخذنا بذنبه) فيه رد على من يجوز العقوبة بغير ذنب (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) هي ریح عاصف فيها حصباء وهي لقوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) هي لمدين وثمود (ومنهم من خسفنا به الأرض) يعني قارون (ومنهم من أغرقنا) يعني قوم نوح وفرعون (وما كان الله ليظلمهم) ليعاقبهم (٤٥١) بغير ذنب (ولكن كانوا أنفُسهم

يظهرون) بالكفر والطغيان (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) أي آلهة يعني مثل من أشرك بالله الاوثان في الضعف وسوء الاختيار (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) أي كمثل العنكبوت فيما تتخذ لنفسها من بيت فان ذلك بيت لا يدفع عنها الجر والبرد ولا يقي ماتق البيوت كالأوثان لا تنفعهم في الدنيا والآخرة جعل بيت العنكبوت بيتا (وان أو هن البيوت لبيت امنكبوت) لايت أو هن من يتباعن على رضى الله عنه طهرا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه يورث الفقر (لو كانوا يعلمون) ان هذا مثلهم وان أمر دينهم بلغ هذه

(فأصبحوا في دارهم جائمين) أي باركين على الركب ميتين (وعادا أو ثمود) أي وأهلكنا عادا أو ثمود (وقد تبين لكم) أي من منازلهم بالحجر واليمن (وزين لهم الشيطان أعمالهم) أي عبادتهم لغير الله (فصدهم عن السبيل) أي عن سبيل الحق (وكانوا مستبصرين) أي عقلاء ذوي بصائر وقيل كانوا مجيبين في دينهم وضلالهم يحسبون أنهم على هدى وهم على باطل وضلالة والمعنى أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين (وقارون وفرعون وهامان) أي أهلكنا هؤلاء (ولقد جاءهم موسى بالبينات) أي بالدلالات الواضحات (فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين) أي فأتين من عذابنا (فكلا أخذنا بذنبه) فهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم قوم لوط رموا بالحصباء وهي الحصى الصغار (ومنهم من أخذته الصيحة) يعني ثمود (ومنهم من خسفنا به الأرض) يعني قارون وأصحابه (ومنهم من أغرقنا) يعني قوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) أي بالهلاك (ولكن كانوا أنفُسهم يظلمون) أي بالاشراك قوله تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) يعني الاصنام يرجون نصرها ونفعها (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) لنفسها تأوى اليه وان يدها في غاية الضعف والوهن لا يدفع عنها حر او برد او حصد او حرق لانها لا تعبد لها نفعا ولا ضرا وقيل معنى هذا المثل ان المشرك الذي يعبد الاصنام بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل العنكبوت تتخذ بيتا من نسجها بالاضافة الى رجل بنى بيتا باجر وحص أو نحتته من صخر فكما ان أو هن البيوت اذا استقرت يتايتا بيتا بيت العنكبوت فكذلك أضعف الاديان اذا استقرت يتايتا بيتا بيتا عباد الاوثان لانها لا تضرو ولا تنفع (وان أو هن البيوت لبيت امنكبوت) أشار الى ضعفه فان الريح اذا هبت عليه أولسه لا مس فلا يبقى له عين ولا أثر فقد صح ان أو هن البيوت بيت العنكبوت وقد تبين ان دينهم أو هن الاديان (لو كانوا يعلمون) أي ان هذا مثلهم وان أمر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن (ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء) هذا توكيد للمثل وزيادة عليه يعني ان الذي يدعون من دونه ليس بشيء (وهو العزيز الحكيم) معناه كيف يجوز للعاقل ان يترك عبادة الله العزيز الحكيم القادر على كل شيء ويستغل بعبادة من ليس بشيء أصلا (وتلك الامثال) أي الاشياء يعني أمثال القرآن التي شبه بها أحوال الكفار من هذه الامة باحوال كفار الامم السابقة (نضربها) أي نبينها (للناس) أي لكفار مكة (وما يعقلها الا العالمون) يعني

الغاية من الوهن وقيل معنى الآية مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا بالاضافة الى رجل بنى بيتا باجر وحص أو نحتته من صخر وكما ان أو هن البيوت اذا استقرت يتايتا بيتا بيت العنكبوت كذلك أضعف الاديان اذا استقرت يتايتا بيتا بيتا عباد الاوثان لو كانوا يعلمون وقال الزجاج في جملة تقدير الآية مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت (ان الله يعلم ما يدعون) بالياء بصري وعاصم و بالتاء غيرهما غير الاعشى والبرجي وما يعني الذي وهو مفعول يعلم ومفعول يدعون مضمرة أي يدعونه يعني يعبدونه (من دونه من شيء) من في من شيء للتبيين (وهو العزيز) الغالب الذي لا شريك له (الحكيم) في ترك المعاجلة بالعقوبة وفيه تجميل لهم حيث عبدوا جادا اعلم له ولا قدرة وتركو عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل كل شيء الا بحكمة وتدير (وتلك الامثال) الامثال نعت والخبر (نضربها) نبينها (للناس) كان سفهاء قريش وجهلهم يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال (وما يعقلها الا العالمون) بهو باسمائه وصفاته أي لا يعقل صحتها وحسنها ولا يفهم فائدتها الا هم

لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المستورة حتى تعرّفها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال
الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعلم بطاعته واجتنب سخطه ودلت الآية على فضل العلم
على العقل (خلق الله السموات والارض بالحق) أي محققا يعني لم يخلقهما باطلا بل لحكمة وهي أن تكونا مساكين عبادا وعبرة للمعتبرين منهم
ودلائل على عظم قدرته ألا ترى الى قوله (ان في ذلك لآية للمؤمنين) وخصصهم بالذكر لان تفاعهم بها (ان ما أوحى اليك من الكتاب) تقر با
الى الله تعالى بقراءة كلامه واتق على (٤٥٣) ما أمر به ونهى عنه (وأقم الصلاة) أي دم على اقامة الصلاة (ان الصلاة تنهى عن

ما يعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله عز وجل وروى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله
أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وتلك الامثال نضر بها للناس وما يعقلها الا العالمون قال العالم من
عقل عن الله فعلم بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والارض بالحق) أي للحق واطهار الحق
(ان في ذلك لآية) أي دلالة (للمؤمنين) على قدرته وتوحيده ﴿ وقوله تعالى (ان ما أوحى اليك من
الكتاب) يعني القرآن (وأقم الصلاة) فان قلت لم أمر بهذين الشيتين تلاوة الكتاب واقامة الصلاة فقط
قلت لان العبادة المختصة بالعبدة ثلاثة قلبية وهي الاعتقاد الحق ولسانية وهو اللسان كالحسن وبدنية وهي
العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتذكر فان من اعتقد شيئا لا يمكنه أن يعتقد مرة أخرى بل ذلك يدوم
مستمر ابقى الذكر والعبادة البدنية وهما يمكننا التكرار فلذلك أمر بهما (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء) أي
ما قبح من الاعمال (والمنكر) أي ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومتردد
عن معاصي الله فمن لم تأمره صلاته بالعرف ولم تنهه عن المنكر لم تزد صلاته من الله الا بعدا وقال الحسن
وقتادة من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وقيل من داوم على الصلاة جره ذلك الى ترك
المعاصي والسيئات كما روى عن أنس قال كان فتي من الانصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم لم يدع من الفواحش شيئا الا ركبته فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته ستنهاه يوما فلم
يترك شيئا الا ركبته ومعنى الآية انه مادام في صلاته فانها تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله ان
في الصلاة لشغلا وقيل أراد بالصلاة القرآن وفيه ضعف لتقدم ذكر القرآن وعلى هذا يكون معناه ان القرآن
ينهاه عن الفحشاء والمنكر كما روى عن جابر قال قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقرأ القرآن
الليل كله فاذا أصبح سرق قال ستنهاه قراءته وفي رواية أنه قيل يا رسول الله ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق
بالليل فقال ان صلاته لتردعه وعلى كل حال فان المراعى للصلاة لا بد وان يكون أبعد عن الفحشاء والمنكر عن
لا يراعيها (ولد كراثة كبر) أي انه أفضل الطاعات عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ألا انبئكم بخيرا أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من اقطاع الذهب والورق
وخير لكم من ان تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكراثة
أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد الخدري قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العباد أفضل درجة
عند الله يوم القيامة قال اذا كرون الله كثير قال يا رسول الله والغازي في سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه
الكفار والمشركين حتى ينكسرو ويختضب في سبيل الله ما كان الله كرون الله كثيرا أفضل منه درجة
(م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال
الذي كرون الله كثيرا والذاكرات يروى المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والتشديد أتم يقال فرد الرجل

(الفحشاء) الفعلة القبيحة
كلاهما مثلا (والمنكر) هو
ما ينكره الشرع والعقل
قيل من كان مراعي
للصلاة جره ذلك الى أن
ينتهي عن السيئات يوما
ما فقد روى أنه قيل يوما
لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان فلانا يصلي بالنهار
ويسرق بالليل فقال ان
صلاته لتردعه وروى أن
فتي من الانصار كان يصلي
معه الصلوات ولا يدع شيئا
من الفواحش الا ركب
فوصف له فقال ان
تجاه فلم يلبث ان تاب
وقال ابن عوف ان الصلاة
تنهى اذا كنت فيها فانت
في معروف وطاعة وقد
خرجت عن الفحشاء
والتكبر وعن الحسن من
لم تنه صلاته عن الفحشاء
والمنكر فليست صلاته
بصلاة وهي وبال عليه
(ولد كراثة كبر) أي
والصلاة كبر من غيرها
من الطاعات وانما قال

ولد كراثة يستقل بالتعليل كأنه قال والعلة كبر لانها ذكراثة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولد كراثة
اياكم برحمة كبر من ذكراثة اياه بطاعته وقال ابن عطاء ذكراثة لكم كبر من ذكراثة لان ذكراثة بلا علة وذكراثة مشوب بالعلل والاماني
ولان ذكراثة لا يفنى وذكراثة لا يبق وقال سلمان ذكراثة كبر من كل شيء وافضل فقد قال عليه السلام الا انبئكم بخيرا أعمالكم وأزكاها عند
مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من اقطاع الذهب والفضة وأن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وما ذكراثة يا رسول
الله قال ذكراثة وسئل أي الاعمال افضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكراثة أو ذكراثة كبر من أن تحوبه أفهامكم وعقولكم
أو ذكراثة كبر من ان تلقى معه معصية أو ذكراثة كبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من غيره

(والله يعلم ما تصنعون) من الخير والطاعة فيسببكم أحسن الثواب (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) بالتحصيلة التي هي أحسن للشواب وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم كما قال ادفع بالتي هي أحسن (الا الذين ظلموا منهم) فافرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او الا الذين أفتوا الولد والشريك وقالوا يد الله غالبة أو معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فجادلتم بالسيف والآية تدل على جواز المناظرة مع الكفرة في الدين وعلى جواز تعلم علم الكلام الذي به تتحقق المجادلة وقوله (وقولوا آمنا بالذي أنزل اليك) والمها والهمك واحد ونحن

(٤٥٣)

له مسامون) من جنس المجادلة بالاحسن وقال عليه السلام ما حدثتكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم (وكذلك) ومثل ذلك الانزال (أنزلنا اليك الكتاب) أي أنزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية أو كما أنزلنا الكتب الى من قبلك أنزلنا اليك الكتاب (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) هم عبد الله بن سلام ومن معه (ومن هؤلاء) أي من أهل مكة (من يؤمن به) وأراد بالذين أتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ومن هؤلاء

بتشديد الراء اذا تفقه واعتزل الناس وحده مراعى الامور والنهي وقيل هم المتخلفون عن الناس بذكر الله لا يخطون به غيره (خ) عن أبي هريرة وأبي سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فممن عنده وروى ان امرأيا قال يا رسول الله أي الاعمال أفضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله وقال ابن عباس معنى ولد ذكر الله أكبر ذكركم الله اياكم أفضل من ذكركم اياه وروى ذلك مرفوعا عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطاء ولد ذكر الله أكبر أي ان تبقى معه عصية (والله يعلم ما تصنعون) أي لا يخفي عليه شيء من أمركم قوله عز وجل (ولا تجادلوا أهل الكتاب) أي ولا تخصصوهم (الا بالتي هي أحسن) أي القرآن والدعاء الى الله بآياته والتذبية على تخججه وأراد بهم من قبل الجزية منهم (الا الذين ظلموا منهم) أي أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فاجفؤهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ومعنى الآية الا الذين ظلموكم لان جميعهم ظالم بالكفر وقيل هم أهل الحرب ومن لاعهده وقيل الآية منسوخة بآية السيف (وقولوا) أي للذين قبلوا الجزية اذا حدثوكم بشي مما في كتبهم (آمنا بالذي أنزل اليك والهمك والهمك واحد ونحن له مسامون) (خ) عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل اليك الآية قوله عز وجل (وكذلك) أي كما أنزلنا اليهم الكتاب (أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) يعني مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ومخابه (ومن هؤلاء) يعني أهل مكة (من يؤمن به) يعني من يؤمن به رسايح جدا بآيات الكافرون) وذلك ان اليهود عرفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي والقرآن حق فجدوا والجد دائما يكون بعد المعرفة (وما كنت تتلوا) يا محمد (من قبله من كتاب) معناه من كتب أي من قبل ما أنزلنا اليك الكتاب (ولا نخطه يمينك) أي ولا نكتبه والمعنى لم تكن تقرأ ولم تكتب قبل الوحي (اذ لأرتاب المبطون) معناه لو كنت تكتب أو تقرأ قبل الوحي اليك لأرتاب المشركون من أهل مكة وقالوا انه يقرؤه من كتب الاولين أو ينسخه منها وقيل المبطون هم اليهود ومعناه انهم اذا شكوا فيه واتهموك وقالوا ان الذي نجد نعتة في التوراة لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت (بل هو آيات بينات) يعني القرآن (في صدور الذين أتوا العلم) يعني المؤمنين الذين حلوا القرآن وقال ابن عباس يعني محمد صلى الله عليه وسلم ذوات بينات في صدور الذين

الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما يجحد بآياتنا) مع ظهورها وزوال الشبهة عنها (الا الكافرون) الا المتوغلون في الكفر الممومون عليه ككعب بن الاشرف واضرابه (وما كنت تتلوا من قبله) من قبل القرآن (من كتاب ولا نخطه يمينك) خص اليمن لان الكتابة غالباً تكون باليمين أي ما كنت قرأت كتابا من الكتب ولا كنت كاتباً (اذا) لو كان شيء من ذلك أي من التلا ومن الخط (لأرتاب المبطون) من أهل الكتاب وقالوا الذي نجد نعتة في كتبنا أي لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لأرتاب مشرك كما قالوا لعلمه تعلمه أو كتبه بيده وسماهم مبطلين لانكارهم نبوته وعن مجاهد والشعبي ما مات النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ (بل هو) أي انقرن (آيات بينات في صدور الذين أتوا العلم) أي في صدور العلماء به وحفاظهم وهم من خصائص القرآنية آيات بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور بخلاف سائر الكتب فانهم تكن مجزات ولا كانت تقرأ الا من المصاحف

(وما يجحد باياتنا) الواضحة (الالظالمون) أي المتوغلون في الظلم (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه) آية بغير ألف مسكى وكوفي غير حفص أرادوا اهلا أنزل عليه آيات مثل الذاقة والعصا ومائدة عيسى عليهم السلام ونحو ذلك (قل إنما الآيات عند الله) ينزلها أيها شاء ولست أملك شيئا منها (وإنما أنا نذير مبين) كلفت الانذار والباطة بما أعطيت من الآيات وليس لي ان أقول أنزل على آية كذا دون آية كذا مع علمي ان المراد من الآيات ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك (لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أي أولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبيين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول كما تزول كل آية بعد كونها أو تكون في مكان دون مكان (ان في ذلك) أي في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان الى آخر الدهر (لرحمة) لنعمة عظيمة (وذكرى) وتذكرة (لقوم يؤمنون) دون المنعنتين (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) أي شاهد اصدق ما أدعيه من الرسالة وانزال القرآن على وبتكذيبكم (٤٥٤) (يعلم ما في السموات والارض) فهو مطلع على أمرى وأمركم وعالم بحق وباطلكم

(والذين آمنوا بالباطل) منكم وهو ما يعبدون من دون الله (وكفروا بالله) وآياته (أولئك هم الخاسرون) المغبونون في صفتهم حيث اشعروا الكفر بالآيات ان الا ان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا أو اياكم لعل هدى أو في ضلال مبين وروى ان كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهدك بأنك رسول الله فزت (ويستجلبونك بالعذاب) بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء الآية (ولولا أجل مسمى) وهو يوم القيامة أو يوم بدر أو وقت فناءهم باجالتهم والمعنى ولولا أجل قد سماه الله وبينه في اللوح لعذبهم والحكمة تقتضي تأخيرهم الى ذلك الأجل المسمى

أتوا العلم من أهل الكتاب لانهم يجدون نعتهم وصفته في كتبهم (وما يجحد باياتنا الا الظالمون) يعني اليهود (وقالوا) يعني كفار مكة (لولا أنزل عليه آيات من ربه) أي كما أنزل على الانبياء من قبل وقيل أراد بالآيات معجزات الانبياء مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك (قل إنما الآيات عند الله) أي هو القادر على انزالها ان شاء أنزلها (وإنما أنا نذير مبين) أي إنما كلفت الانذار وليس انزال الآيات بيدي (أولم يكفهم أنا أنزلنا) هذا جواب لقولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قال أولم يكفهم أنا أنزلنا (عليك الكتاب يتلى عليهم) معناه ان القرآن معجزة أنهم من معجزة من تقدم من الانبياء لان معجزة القرآن تدوم على عمر الدهور والزمان ثابتة لا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها (ان في ذلك) يعني القرآن (لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) أي تذكرا وعظة لمن آمن به وعمل صالحا (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) قال ابن عباس معناه يشهد لي اني رسول الله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة الله اثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه (يعلم ما في السموات والارض) أي هو المطلع على أمرى وأمركم ويعلم حقى وباطلكم لا تخفى عليه خافية (والذين آمنوا بالباطل) قال ابن عباس بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله لان ماسوى الله باطل (وكفروا بالله) فان قلت من آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التأكيد قلت نعم فائدته انه ذكر الثاني لبيان قبس الاول فهو كقول القائل أتقول الباطل وتترك الحق لبيان ان الباطل قبيح (أولئك هم الخاسرون) أي المغبونون في صفتهم حيث اشعروا الكفر بالآيات بقوله عز وجل (ويستجلبونك بالعذاب) نزلت في النضر بن الحرث حيث قال فامطر علينا حجارة من السماء (ولولا أجل مسمى) قال ابن عباس ما وعدت اني لأعذب قومك ولا أستأصلهم وأخرج عذابهم الى يوم القيامة وقيل مدة أعمارهم لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وقيل يوم بدر (لجاءهم العذاب وليأتينهم) يعني العذاب وقيل الاجل (بغتة وهم لا يشعرون) باتيانها (يستجلبونك بالعذاب) أعادتها كيدا (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أي جامعة لهم لا يبقى منهم أحد الا دخلها (يوم يغشاهم العذاب) أي يصيبهم (من فوقهم ومن تحت أرجلهم) ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون) أي جزاء ما كنتم تعملون (بقوله تعالى) (يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فإياي فاعبدون) قيل نزلت في ضعفاء مسلمي أهل مكة يقول الله تعالى ان كنتم

(لجاءهم العذاب) عاجلا (وليأتينهم) العذاب عاجلا وليأتينهم العذاب في الاجل المسمى (بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) في وقت مجيئه (يستجلبونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أي استحيط بهم (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) له تعالى من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلال ولا وقف على بالكافرين لان يوم ظرف احاطة النار بهم (ويقولون) بالياء كوفي نافع وقوله (و اما كنتم تعملون) أي جزاء أعمالكم (يا عبادي) وبسكون الياء بصرى وكوفي غير عاصم (الذين آمنوا ان أرضي واسعة) وفتح الياء أي يعني ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه سلم قلبا وأصح ديناً وأكثر عبادة والبعض متفاوت في ذلك تفاوتنا كثر وقالوا لم نجد أعون على قهر النفس وأجمع للقلب وأحث على القناعة وأطر للشيطان وأبعد من الفسوق وأربط للدينين من مكة حرسها الله تعالى وعن سهل اذا ظهرت المعاصي والبدع في أرض فخرجوا منها الى أرض المطيعين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة (فإياي فاعبدون)

وبالبايع يعقوب وتقديره فاي اي فاعبدوا فاعبدوني وحيء بالفناء في فاعبدون لانه جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضى واسعة فان لم
تخلصوا العبادة لي في ارض فأخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عن حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص
والاخلاص ثم شجع المهاجر بقوله (كل نفس ذائقة الموت) أي واجدة مرارته وكرهه كما يجد الذائق طعم المذوق لانها اذا تيقنت بالموت
سهل عليها مفارقة وطنها (ثم الينا ترجعون) بعد الموت للثواب والعقاب يرجعون يحيى ترجعون يعقوب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنبوئهم من الجنة غرفا) لنزلهم من الجنة علالي لشبوئهم كوفي غير عاصم (٤٥٥) من الشواء وهو النزول للاقامة

وتمى غير متعدد فاذا
تعدى بزيادة الهمزة لم
يجاوز مفعولا واحدا
والوجه في تعديته الى
ضمير المؤمنين والى الغرف
اما جراؤه مجرى لنزولهم
أولئذ ينهم أو حذف الجار
واصل الفعل أو تشبيهه
الظرف المؤقت بلهم
(تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها نعم أجر
العاملين) وبوقف على
العاملين على ان (الذين
صبروا) خبر مبتدأ محذوف
أي هم الذين صبروا على
مفارقة الاوطان وعلى
أذى المشركين وعلى المحن
والمصائب وعلى الطاعات
وعن المعاصي والوصول
أجود ليكون الذين نعنا
للعاملين (وعلى ربهم
يتوكلون) ولم يتوكلوا في
جميع ذلك الاعلى الله ولما
أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أسلم من مكة
بالهجرة خافوا الفقر والضيعة
فتزلت (وكان من دابة) أي

في ضيق بمكة من اظهار الايمان فاخر جوامعها الى ارض المدينة فانها واسعة آمنة وقيل نزلت في قوم تخلفوا
عن الهجرة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله تعالى هذه الآية ولم يعذرهم بترك
الخروج وقيل المعنى فهاجر وافيهما أي فهاجدوا فيها وقال سعيد بن جبيرة اذا عملوا في الارض بالمعاصي فاهربوا
منها فان ارضى واسعة وقيل اذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا فان ارضى واسعة وكذلك يجب على كل من كان في
بلد يعمل فيه بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى بلد تنهيه فيها العبادة وقيل معنى ان ارضى واسعة
أي رزقي لكم واسع فاخرجوا (كل نفس ذائقة الموت) أي كل أحد ميت خوفهم بالموت لهمون الهجرة
عليهم فلا يقيموا ابدار الشرك خوفا من الموت (ثم الينا ترجعون) فنجز بكم باعمالكم قوله تعالى (والذين
آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئهم من الجنة غرفا) أي علالي جمع غرفة وهي العلية (تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها نعم أجر العاملين) أي لله بطاعته (الذين صبروا) على الشدائد ولم يتركوها منهم لشدة لحقتهم
وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة الاوطان وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن
المعاصي (وعلى ربهم يتوكلون) أي يعتقدون على الله في جميع أمورهم قوله عز وجل (وكان من دابة
لا تحمل رزقها) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون
هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بهادر ولا مال فمن بطعننا بها ويسقينا فانزل
الله وكان من دابة لا تحمل رزقها أي لا ترفع رزقها معها الضعفاء ولا تدخر شيئا لغد مثل البهائم والطيور (الله
برزقها واياكم) حيث كنتم (وهو السميع) أي لا قوالكم (العليم) بما في قلوبكم عن عمر بن الخطاب قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو
خفاصا وتروح بطانا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعناه انها تذهب أول النهار جيا عاضمة
البطون وتروح آخر النهار الى أوكرها شبعا عمتائة البطون ولا تدخر شيئا قال سفيان بن عيينة ليس شيء من
خلق الله يخبأ الا الانسان والفأرة والتملة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أيها الناس ليس
من شيء يقار بكم من الجنة ويباعدكم من النار الا وقد أمرتكم به وليس شيء يقربكم من النار ويباعدكم من
الجنة الا وقد نهيتكم عنه الا وان الروح الامين نفث في روعي الروع بضم الراء والعين المهملة هو القلب
والعقل وبفتح الراء هو الخوف قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع أي الخوف انه ليس من نفس
تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله وأجلوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصي الله
عز وجل فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته قوله عز وجل (وانن سألتهم) يعني كفار مكة (من خالق السموات
والارض وسخر الشمس والقمر) ذكر أمرين أحدهما اشارة الى اتحاد الذات والثاني اشارة الى اتحاد
الصفات وهي الحركة في الشمس والقمر (ليقولن الله فاني يؤفكون) قيل معناه انهم يعتقدون هذا فكيف

وكم من دابة وكان بالمد والهمز مكى والدابة كل نفس ديت على وجه الارض عقلت أم لم تعقل (لا تحمل رزقها) لا تطيق أن تحمله اضعفها عن
حمله (الله يرزقها واياكم) أي لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم أيضا الا قويا الهو وان كنتم مطيقين لجل أرزاقكم وكسبها
لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها الا تدخره انما تصبح في رزقها
الله وقيل لا بدخر شيء من الحيوان قوتا الا ابن آدم والفأرة والتملة (وهو السميع) لقولكم نخشى الفقر والعيبة (العليم) بما في ضمائركم
(ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر) أي ولئن سألت هؤلاء المشركين من خالق السموات والارض على
كبرها وسعتها ومن الذي سخر الشمس والقمر (ليقولن الله فاني يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيد الله مع اقرارهم بهذا كله

(الله يسقط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدره) أي لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء منهم غير معين فكان الضمير مبهما
 مثله قدر الرزق و قدره بمعنى اذا ضيقه (ان الله بكل شيء عليم) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم في الحديث ان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا
 الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحياه به
 الارض بعد موتها ليقولن الله) أي هم مقرون بذلك (قل الحمد لله) على ازالة الماء لاحياء الارض أو على أنه من أقر بنحو ما أقروا به ثم
 نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كقرار المشركين (بل أكثرهم لا يعقلون) لا يتدبرون بما فيهم من العقول
 فيما نرىهم من الآيات وتقيم عليهم من الدلالات أو لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب) أي وما هي لسرعة
 زوالها عن أهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وفيه ازدراء بالدنيا وتصغير لاهرها وكيف لا يصغرها وهي لاتزن عنده
 جناح بعوضة والله وما يتلذذ به (٤٥٦) الانسان فيأهيه ساعة ثم ينقضى (وان الدار الآخرة طهي الحيوان) أي الحياة أي ليس فيها

الاحياء مسخرة دائمة
 لاموت فيها فكانت في ذاتها
 حياة والحيوان مصدر حي
 وقياسه حيوان فقلبت
 الياء الثانية واو ولم يقل
 طهي الحياة لما في بناء فعلان
 من معنى الحركة والاضطراب
 والحياة حركة والموت
 سكون فحجته على بناء
 دال على معنى الحركة مبالغة
 في معنى الحياة ووقوف
 على الحيوان لان التقدير
 (لو كانوا يعلمون) حقيقة
 الدارين لما اختاروا الله و
 الفاني على الحيوان الباقي
 ولو وصل لصار وصف
 الحيوان معلقا بشرط علمهم
 ذلك وليس كذلك (فاذا
 ركبو في الفلك) هو متصل
 بمحذوف دل عليه ما
 وصفهم به وشرح من

يصرفون عن عبادة الله مع اقرارهم أنه خلق السموات والارض (الله يسقط الرزق لمن يشاء من عباده)
 لما ذكر الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الخلق بالرزق والله تعالى هو المتفضل بالرزق على
 الخلق فله الفضل والاحسان والطول والامتنان (و يقدره) أي يضيق عليه اذا شاء (ان الله بكل شيء عليم)
 أي يعلم مقادير الحاجات ومقادير الارزاق (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحياه الارض من بعد
 موتها ليقولن الله) ذكر سبب الرزق وموجد السبب موجد المسبب فالرزق من الله تعالى (قل الحمد لله) أي
 على ان الفاعل لهذه الاشياء هو الله تعالى وقيل قل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة عليهم بأنه خالق لهم (بل
 أكثرهم لا يعقلون) أي انهم يشكرون التوحيد مع اقرارهم بأنه خالق هذه الاشياء قوله تعالى (وما هذه
 الحياة الدنيا الا لهو ولعب) الله وهو الاستمتاع بلدات الدنيا وقيل هو الاشتغال بما لا يعنيه وما لا بهمه واللعب
 هو العبث وفي هذا تصغير للدنيا وازدراء بها ومعنى الآية ان سرعة زوال الدنيا عن أهلها وتقلبها فيها وموتهم
 عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم يصرفون (وان الدار الآخرة طهي الحيوان) أي الحياة الدائمة الخالدة التي
 لاموت فيها (لو كانوا يعلمون) فناء الدنيا وبقاء الآخرة لما آثروا الفاني على الباقي قوله عز وجل
 (فاذا ركبو في الفلك) معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبو في الفلك وخافوا الغرق
 (دعوا الله مخلصين له الدين) أي تركوا الاصنام ولجؤا الى الله تعالى بالدعاء (فلما نجاهم الى البر اذا هم
 يشركون) أي عادوا الى ما كانوا عليه من الشرك والعناد وقيل كان أهل الجاهلية اذا ركبو البحر حملوا
 الاصنام فاذا اشتد الريح ألقوها في البحر وقالوا يا رب يا رب (ليكفروا بما آتيناهم) أي ليحججوا نعمة الله
 في اجابته اياهم ومعناه التهديد والوعيد (وليتمتعوا) معناه لا فائدة لهم في الاشراك الا التمتع بما يستمتعون
 به في العاجلة ولا نصب لهم في الآخرة (فسوف يعلمون) يعني عاقبة أمرهم ففيه تهديد ووعيد قوله
 عز وجل (أولم يروا انا جعلنا حراما آمنا ويطغى الناس من حولهم) يعني العرب يسبي بعضهم بعضا وأهل
 مكة آمنون (أفبالباطل) يعني الشيطان والاصنام (يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) أي بمحمد صلى الله عليه
 وسلم والاسلام يكفرون (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أي فزعم أن له شريكا فانه منزله عن الشركاء

أمرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبو في الفلك (دعوا الله مخلصين له الدين) كائنين في صورة او
 من مخلص الدين لله من انؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معها آخر (فلما نجاهم الى البر) وأمنوا (اذا هم يشركون) عادوا
 الى حال الشرك (ايكفروا بما آتيناهم) من النعمة قيل هي لام كي وكذا في (وليتمتعوا) فيمن قرأها بالكر أي لكي يكفروا وكي تمتعوا
 والمعنى يعودون الى شركهم. ليكنوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة فاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف عادة المؤمنين
 المخلصين على الحقيقة فانهم يشكرون نعمة الله اذا أنجاهم ويحجلون نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التلذذ والتمتع وعلى هذا
 لا وقف على شركون ومن جعله لام الامر مثبتا بقراءه اذ ابن كثير وحزرة وعلى وليتمتعوا بسكون اللام على وجه التهديد كقوله فمن شاء
 فليؤمن ومن شاء فليكفر وتحقيقه في أصول الفقه يقف عليه (فسوف يعلمون) سوء تدبيرهم عند تدبيرهم (أولم يروا) أي أهل مكة (انا
 جعلنا) بلدكم (حراما) ممنوعا موصونا (آمنا) يامن داخله (ويطغى الناس من حولهم) يستلبون قتلا وسبيبا (أفبالباطل يؤمنون) أي
 بالشيطان والاصنام (و بنعمة الله يكفرون) أي بمحمد عليه السلام والاسلام (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا)

بان جعل له شريكاً (أو كذب بالحق) بنبوته محمد عليه السلام والكتاب (لما جاءه) أي تلغتموا في تكذيبه حين سمعوه (أليس في جهنم مثوى للكافرين) هذا تقرير لثبوتهم في جهنم لان همزة الانكار اذا أدخلت على النفي صار إيجاباً يعني ألا يشوبون فيها وقد افتر وأمثل هذا التكذيب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب أو ألم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حين اجترأ مثل هذه الجراءة وذكروا المثوى في مقابلة لنبوتهم يؤيد قراءة الثاني (والذين جاهدوا) أطلق (٤٥٧) المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليفتأول كل

ما تجب مجاهدته من النفس والشيطان وأعداء الدين (فينا) في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصاً (لنهديهم سبلنا) سبلنا أبو عمر وأي لنزيدهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقاً وعن الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهديهم إلى ما لم يعلموا فقد قيل من عمل بما علم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا نعمل انما هو لتقصيرنا فيما نعلم وعن فضيل والذين جاهدوا في طلب العلم لنهديهم سبل العمل به وعن سهل والذين جاهدوا في اقامة السنة لنهديهم سبل الجنة وعن ابن عطاء جاهدوا في رضانا لنهديهم إلى الوصول إلى محل الرضوان وعن ابن عباس جاهدوا في طاعتنا لنهديهم سبل ثوابنا وعن الجنيد جاهدوا في التوبة لنهديهم سبل الاخلاص أو جاهدوا في خدمتنا لنفخن عليهم سبل المناجاة معنا والانس بنا أو جاهدوا في طلبنا بحر الرضا لنهديهم سبل الوصول إلينا (وان

(أو كذب بالحق) أي بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين) معناه أما لهذا الكافر المكذب ما أدى في جهنم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (والذين جاهدوا فينا) معناه جاهدوا المشركين لنصر ديننا (لنهديهم سبلنا) لنثيبهم على ما قالوا عليه وقيل لنزيدهم هدى وقيل لنوفقهم لاصابة الطرق المستقيمة وهي التي توصل إلى رضا الله تعالى قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظر واما عليه أهل الثغور فان الله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا وقيل المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لنهديهم سبل العلم والعمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في اقامة السنة لنهديهم سبل الجنة وقال ابن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لنهديهم سبل ثوابنا (وان الله لمع المحسنين) أي بالنصرة والمعونة في دنياهم والمغفرة في آخرة وثوابهم الجنة والله أعلم ﴿ تفسير سورة الروم وهي مكية ﴾

وستون آية وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون حرفاً

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿

﴿ قوله عز وجل ﴾ (الم غلبت الروم في أدنى الارض) سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم لان فارس كانوا مجوساً أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشاً إلى الروم واستعمل عليهم رجلاً يقال له شهرمان وبعث قيصر رجلاً وجيشاً وأمر عليهم رجلاً يدعى بخين فالتقى بالذرعات وبصرى وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والحجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم أهل كتاب والنمائي أهل كتاب ونحن أميون وفارس أميون وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من الروم فانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله هذه الآيات فخرج أبو بكر الصديق إلى كفار مكة فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تقرحوا فوالله ليظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقام إليه أبي بن خلف الجحفي فقال كذبت فقال أنت كاذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا أجلاً أنا حبيبك عليه والمناجبة بالحاء المهملة القار والمراهنة أي أراهنك على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فاذا ظهرت فارس على الروم غرمت واذا ظهرت الروم على فارس غرمت ففعلوا وجعلوا الاجل ثلاث سنين ف جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك قبل تحريم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هكذا كرت انما البضع ما بين الثلاثة إلى التسع فزايده في الخطر ومادده في الاجل فخرج أبو بكر فلقى أياً فقال لعلك ندمت فقال لا فتعال أزيدك في الخطر وأمددك في الاجل فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص إلى تسع سنين فقال قد فعلت فلما خشى أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه ولزمه وقال اني أخاف أن تخرج من مكة فاقم لي ضامناً كفيلاً فكفله ابنه عبد الله بن أبي بكر فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال والله لأدعك حتى تعطيني كفيلاً فاعطاه كفيلاً ثم خرج إلى أحد قال ثم رجعت إلى مكة ومات بها من جوارحه التي جرحه النبي صلى الله عليه وسلم حين بارزه

(٥٨) - (خازن) - ثالث (الله لمع المحسنين) بالنصرة والمعونة في الدنيا والثواب والمغفرة في العقبى ﴿ سورة الروم مكية وهي ستون أو تسع وخمسون آية ﴾ والاختلاف في بضع سنين (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ (الم غلبت الروم) أي غلبت فارس الروم (في أدنى الارض) أي في أقرب أرض العرب لان الارض المعهودة عند العرب أرضهم والمعنى غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام أو أراد أرضهم على انابة اللام مناب المصاف إليه أي في أدنى أرضهم إلى عدوهم

(وهم) أي الروم (من بعد غلبهم) أي غلبة فارس إياهم وقرى بسكون اللام فالغلب والغلب مصدران وقد أضيف المصدر إلى المفعول (سيغلبون) فارس ولا وقف عليه لتعلق (في بضع سنين) به وهو ما بين الثلاث إلى العشرة قيل احتربت فارس والروم بين أذرعان وبصرى فغلبت فارس الروم والملك بفارس يومئذ كسرى ابرويز فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لأن فارس محوس لا كتاب لهم والروم أهل كتاب وفرح المشركون وشتموا وقالوا أنهم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهن عن عليكم (٤٥٨) فغزت فقال لهم أبو بكر والله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال

له أبي بن خلف كذبت فناحبه على عشر فلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام زد في الخطر وأبعد في الاجل فجعلها مائة قلوب إلى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية أو يوم بدر فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي فقال عليه السلام تصدق به وهذه آية بينة على صحة نبوته وان القرآن من عند الله لأنها أنباء عن علم الغيب وكان ذلك قبل تحريم القمار عن قتادة ومن مذهب أبي حنيفة ومحمدان العقود الفاسدة كعهد الربا وغيره جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتج على صحة ذلك بهذه القصة (لله الامر من قبل ومن بعد) أي من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء أوحين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني أن كونهم مغلوبين أو لا وغالبين آخر ليس إلا بأمر الله وقضائه وتلك الأيام نداولها بين الناس (ويومئذ) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعد الله من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغلبه من له كتاب على من لا كتاب له وغياض من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهر صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم والباء متصل بيفرح فيوقف على الله لا على المؤمنين (ينصر من يشاء

وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من مناخبتهم وقيل كان يوم بدر وربطت الروم خيوطهم بالمدائن وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية فقام أبو بكر أياً وأخذ مال الخطر من وورثته وجاء به للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل أن يحرم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به وكان سبب غلبة الروم فارس على ما قال عكرمة وغيره ان شهر مان لما غلب الروم لم يزل يطوهم ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخراج فيينا أخوه فرحان جالس ذات يوم يشرب قال لأصحابه لقد رأيت كافي جالس على سرير كسرى فبلغت كلمته كسرى فكتب إلى شهر مان اذا أتاك كتابي فابعث إلى برأس أخيك فرحان فكتب إليه أيها الملك انك لم تجد مثل فرحان ان له لسكابة وصول في العدو فلا تفعل فكتب إليه ان في رجال فارس خلفا عنه فجعل إلى برأسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه وبعث يريد إلى أهل فارس اني قد عزلت عنكم شهر مان واستعملت عليكم فرحان ثم بعث مع البريد صحيفة صغيرة وأمره فيها بقتل شهر مان وقال اذا ولي فرحان الملك واتقاده أخوه فاعطه الصحيفة فلما وصل البريد إلى شهر مان عرض عليه كتاب كسرى فلما قرأه قال سمعوا وطاعة ونزل عن سرير الملك وأجاس عليه أخاه فرحان فدفع البريد الصحيفة إلى فرحان فلما قرأها استدعى بأخيه شهر مان وقدمه ليضرب عنقه فقال له لا تجعل حتى أكتب وصيتي قال نعم فدعا بسفط ففخه وأعطاه ثلاث صحائف منه وقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت تريد قتلي بكتاب واحد فرد فرحان الملك إلى أخيه شهر مان فكتب إلى قيصر ملك الروم أما بعد ان لي اليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف فالقني في خمسين روميا حتى ألقاك في خمسين فارسيا فاقبل قيصر في خمسمائة ألف روميا وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق مخافة أن يريد أن يكرهه حتى أتاه عيونونه فأخبره وأنه ليس معه الا خمسون فارسيا فلما التقيا ضربت لهما قبة فيها ديباج فدخلاها ومع كل واحد سكين ودعيا بترجان يترجم بينهما فقال شهر مان ان الذي خرب بلادك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا وأراد أن يقتل أخي فأبيت عليه ثم أمر أخي بقتلي فأبى عليه وقد دخلناه جميعا ونحن نقاتله معك فقال قد أصبتا وأشار أحدهما إلى صاحبه ان السر بين اثنين فاذا جاوزهما فشاقتلا الترجان معا بسكينهما فاذا دلت الروم على فارس عند ذلك وغلبوهم وقتلوهم ومات كسرى وجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن كان معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل الم غلبت الروم في أدنى الارض يعني قرب أرض الشام إلى فارس وقيل هي أذرعان وقيل الاردن وقيل الجزيرة (وهم من بعد غلبهم) أي فارس لهم (سيغلبون) أي الروم لفارس (في بضع سنين) البضع ما بين الثلاثة إلى السبع وقيل إلى التسع وقيل ما دون العشرة (لله الامر من قبل ومن بعد) أي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعد هاتين غلب فهو بأمر الله تعالى وقضائه وقدره (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) أي للروم على فارس وقيل فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وفرحوا بظهور أهل الكتاب على أهل الشرك (ينصر من يشاء) أي بيده النصر

ينصر

بعد كل شيء أوحين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني أن كونهم مغلوبين أو لا وغالبين آخر ليس إلا بأمر الله وقضائه وتلك الأيام نداولها بين الناس (ويومئذ) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعد الله من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغلبه من له كتاب على من لا كتاب له وغياض من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهر صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم والباء متصل بيفرح فيوقف على الله لا على المؤمنين (ينصر من يشاء

وهو العزيز) الغالب على أعدائه (الرحيم) العاطف على أوليائه (وعد الله) مصدر مؤكداً لانه قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وعد من الله للمؤمنين فقوله وعد الله بمنزلة وعد الله للمؤمنين وعدا (لا يخلف الله وعده) بنصر الروم على فارس (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك (يعلمون) يدل من لا يعلمون وفيه بيان أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز عن تحصيل الدنيا وقوله (ظاهر من الحياة الدنيا) يفيد ان للدنيا ظاهراً وباطناً فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها وباطناتها مجازاً الى الآخرة يتزود منها اليها بالطاعة وبالاعمال الصالحة وتكثير الظاهر يفيد انهم لا يعلمون الا ظاهراً واحداً من جملة ظواهرها (وهم عن الآخرة هم غافلون) هم الثانية مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبرهم الاولى وفيه بيان أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها (أولم يتفكروا في أنفسهم) يحتمل أن يكون ظرفاً كأنه قيل أولم يثبتوا التفكر في أنفسهم أي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقوله اعتقده في قلبك وأن يكون صالة للتفكر نحو تفكر في الامر وأجال فيه ففكره ومعناه على هذا أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم باحوالها منهم باحوال ما عداها فابتدروا ما أودعها الله ظاهرها وباطناتها من غرائب الحكمة الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من الانتهاء الى وقت تجازي فيه على الاحسان احساناً وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة في التدبير وانه لا بد لها من (٤٥٩) الانتهاء الى ذلك الوقت (ما خلق الله

السموات والارض وما بينهما) متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلاً عليه (الابالحق وأجل مسمى) أي ما خلقها باطلاً وعبثاً بغير حكمة بالغة ولا تبتغي خالدة انما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب

ينصر من يشاء (وهو العزيز) الغالب (الرحيم) أي بالمؤمنين ﴿قوله تعالى (وعد الله) أي وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس (لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي ان الله لا يخلف وعده ثم قال تعالى (يعلمون ظاهر من الحياة الدنيا) يعني أمر معاشهم كيف يكسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويرزعون ويحصدون وقال الحسن ان أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكرو زنه لا يخطئ وهو لا يحسن يصلي وقيل لا يعلمون الدنيا بحقيقتها انما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعها وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فناءها (وهم عن الآخرة هم غافلون) أي ساهون عنها لا يتفكرون فيها ولا يعلمون بها قوله عز وجل (أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق) يعني لاقامة الحق (وأجل مسمى) أي لوقت معلوم اذا انتهت اليه فبنت وهو يوم القيامة (وان كثير من الناس بقاء ربهم لكافرون أولم يسيرا في الارض) أي يسافروا فيها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أي ينظروا الى مصارع الامم قبلهم فيعتبروا (كانوا أشد منهم قوة وأناروا الارض) أي حرقوها وقلبوها للزراعة (وعمروها) يعني الامم الخالية (أكثر ما عمروها) يعني أهل مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات) أي فلم يؤمنوا فاهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) أي بنقص حقوقهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي يبخس حقوقهم (ثم كان عاقبة الذين أساؤا) أي أساؤا العمل فاستحقوا (السوأى) يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السوء اسم لجهنم ومعنى الآية ان عاقبة الذين عملوا السوء النار (أن كذبوا) أي لانهم كذبوا وقيل معنى الآية ثم كان عاقبة المسيئين ان حلتهم

الأرى الى قوله أحسبتم انما خلقناكم عبثاً وأنكم اينالنا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثاً (وان كثير من الناس بقاء ربهم) بالبعث والجزاء (لكافرون) لجاحدون وقال الزجاج أي لكافرون ببقاء ربهم (أولم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) هو تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم وصف حالهم فقال (كانوا أشد منهم قوة وأناروا الارض) وحرثوها (وعمروها) أي المدمرون (أكثر) صفة مصدر محذوف وما مصدرية في (بما عمروها) أي من عمارة أهل مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات) وتقف عليها الحق المحذوف أي فلم يؤمنوا فاهلكوا (فما كان الله ليظلمهم) فما كان تدميره اياهم ظلمهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم (ثم كان عاقبة) بالنصب شامى وكوفي (الذين أساؤا السوأى) تأنيث الاسواء وهو الاقبح كما أن الحسن تأنيث الاحسن ومحلها رفع على أنها اسم كان عنده من نصب عاقبة على الخبر ونصب عنده من رفعها والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى الا أنه وضع المظهر وهو الذين أساؤا موضع المضمرة أي العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة وهي النار التي أعدت للكافرين (أن كذبوا) لان كذبوا أو بان وهو يدل على ان معنى أساؤا كفروا

(بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) يعني ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها (الله يبدأ الخلق) ينشئهم (ثم يعيده) يحييهم بعد الموت (ثم اليه ترجعون) وبالياء أبو عمرو وسهل (ويوم تقوم الساعة يبلس) يياس وينحير يقال ناظرته قابلس اذا لم ينبس ويش من أن يحج (المجرمون) المشركون (ولم يكن لهم من شركائهم) من الذين عبدوهم من دون الله وكتب (شفعوا) في المصحف بواو قبل الالف كما كتب لعنوا بني اسرائيل (٢٦٠) وكذلك كتبت السواى بالالف قبل الياء اثباتا للهزمة على صورة الحرف

الذى منه حركتها (وكانوا بشركائهم كافرين) أى يكفرون بأهلهم ويحجدون أو كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) الضعيف يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه حيث قال (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة) أى بستان وهى الجنة والتنعكبر لابهام أمرها وتفخيمه (يحبرون) يسرون يقال حبره اذا سره سرورا تهلل وجهه وظهر فيه أثره ثم اختلف فيه لاحتمال وجوه المدار فقيل يكرمون وقيل يحلون وقيل هو السماع فى الجنة (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أى البعث (فاولئك فى العذاب محضرون) مقيمون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقولهم وما هم بخارجين منها لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينهى من الوعيد

تلك الآيات على أن كذبوا (بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) قوله تعالى (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أى خلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت أحياء (ثم اليه يرجعون) أى فيجزئهم باعمالهم (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) قيل معناه أنهم يياسون من كل خير وقيل ينقطع كلامهم وحججهم وقيل يفتضحون (ولم يكن لهم من شركائهم) يعنى أصنامهم التى عبدوها (شفعوا) أى يشفعون لهم (وكانوا بشركائهم كافرين) أى جا حدين متبرئين يتبرؤن منها وتبرأ منهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) أى يتبرأ أهل الجنة من أهل النار وقيل يتفرقون بعد الحساب أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار فلا يجتمعون ابدا فهو قوله تعالى (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة) أى فى جنة وقيل الروضة البستان الذى هو فى غابة النضارة (يحبرون) قال ابن عباس بكرمون وقيل ينعمون ويسرون والحبرة السرور وقيل فى معنى يحبرون هو السماع فى الجنة قال الاوزاعى ليس أحد من خلق الله أحسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ فى السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم ونسب يحجهم وقال اذا اخذ فى السماع فلا يبقى فى الجنة شجرة الاوردته وسأل أباهر بره رجل هل لاهل الجنة من سماع فقال نعم شجرة أصلها من ذهب وأغصانها من فضة وثمارها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت يبعث الله رجا فيجابوب بعضها بعضا فما يسمع أحد أحسن منه (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أى البعث يوم القيامة (فاولئك فى العذاب محضرون) قوله تعالى (فسبحان الله) يعنى فسبحوا الله ومعناه صلواته (حين تمسون) أى تدخلون فى المساء وهى صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) أى تدخلون فى الصباح وهى صلاة الصبح (وله الحمد فى السموات والارض) قال ابن عباس بحمده أهل السموات والارض ويصلون له (وعشيا) أى وصلواته عشيا يعنى صلاة العصر (وحين تظهرون) أى تدخلون فى الظهر وهى صلاة الظهر قال نافع بن الازرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن قال نعم وقرأها تين الايتين وقال جمعت الصلوات الخمس ومواقينها واعلم انه انما خص هذه الاوقات بالتسبيح لان أفضل الاعمال أدومها والانسان لا يقدر أن يصرف جميع اوقاته الى التسبيح لانه محتاج الى ما يعشيه من مأكول ومشروب وغير ذلك فخفف الله عنه العبادة فى غالب الاوقات وأمره بها فى أول النهار ووسطه وآخره وفى أول الليل وآخره فاذا صلى العبد ركعتي الفجر فكانما سج قدر ستين وكذلك باقى الركعات وهى سبع عشرة ركعة مع ركعتي الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس فى اوقاتها فكانما سجد الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بقى عليه سبع ساعات فى جميع الليل والنهار وهى مقدار النوم والناثم من فروع عنه القلم فيكون قد صرف جميع اوقاته فى التسبيح والعبادة

فصل فى فضل التسبيح **ع** عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده ٣ فى كل يوم مائة مرة حطت خطاياها وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبغ وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه أخرجهما الترمذى وقال فيه ما حسن صحيح **ق** عن أبى هريرة قال قال رسول الله

فقال (فسبحان الله) والمراد بالتسبيح ظاهره الذى هو تزيه الله من سوء والثناء عليه بالخير فى هذه الاوقات لما صلى

يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة أو الصلاة فقيل لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن فقال نعم وتلا هذه الآية وهو نصب على المصدر والمعنى تزوه عملا لا يلىق به أو صلواته (حين تمسون) صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) صلاة الفجر (وله الحمد فى السموات والارض) اعتراض ومعناه ان على المميزين كلهم من أهل السموات والارض أن يحمدوه فى السموات حال من الحمد (وعشيا) صلاة العصر وهو معطوف على حين تمسون وقوله عشا متصل بقوله حين تمسون (وحين تظهرون) صلاة الظهر أظهر أى دخل فى وقت الظهر والقول الاكبر ان الصلوات الخمس فرضت مكة سنة له فى كل يوم ساقط من نسخة الطبع من الترمذى وفى بعض النسخ التى بايدىنا من الخازن بدون كل

(يخرج الحي من الميت) الطائر من البيضة أو الانسان من النطفة أو المؤمن من الكافر (ويخرج الميت من الحي) أي البيضة من الطائر أو النطفة من الانسان أو الكافر من المؤمن والميت بالتخفيف فيهما مكي وشامي وأبو عمرو وأبو بكر وجاد وبالشد يد غيرهم (ويحي الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (وكذلك تخرجون) تخرجون حمزة وعلى وخلف أي ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم والكاف في محل نصب بتخرجون والمعنى أن الابداء والاعادة يتساويان في قدرة من هو قادر على اخراج الميت من الحي وعكسه روى ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سبحان الله حين تمسون الى الثلاث وآخر سورة والصفات دبر كل صلاة كتب له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر اندمطار وورق الاشجار وتراب الارض فاذا مات أجرى له بكل (٤٦١) حرف عشر حسنة في قبره قال عليه السلام من

قبره قال عليه السلام من قرأ حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون أدرك ما فاتة في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاتة في ليلته (ومن آياته) ومن علامات ربو بيته وقدرته (ان خلقكم) أي أباكم (من تراب ثم اذا أتم بشر) أي آدم وذريته (تنتشرون) تتصرفون فيما فيه معاشكم واذا للمفاجأة وتقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها) أي لتقبلوا للزواج وتالفوهن (وجعل بينكم مودة ورحمة) أي جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف وما شئ أحب الي أحدهما من الآخر من غير تراحم بينهما الا الزوجان (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أي في عظمة الله وقدرته (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم) أي اختلاف اللغات العربية والعجمية وغيرهما وقيل أراد أجناس النطق وأشكاله خالف بينها حتى لا تكاد تسمع منطقتين متفقتين حتى لو تكلم جماعة من وراء حائط يعرف كل منهم بنطقه ونعمته لا يشبه صوت أحد صوت الآخر (والوانكم) أي أسود وأبيض وأشقر وأسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان وأتم بنور رجل واحد ومن أصل واحد وهو آدم عليه السلام والحكمة في اختلاف الاشكال والاصوات للتعارف أي ليعرف كل واحد بشكله وحمليته وصورته فلو اتفقت الاصوات والصور وتساكت وكانت ضربا واحدا لوقع التعاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وليعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق والقريب من البعيد فسبحان

صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث آخر صحيح البخاري (م) عن جويرية بنت الحرث زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وهي في مسجد ما فرجع بعد ما تعالي النهار فقال ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرار لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته (م) عن سعد بن أبي وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيجزأ أحدكم أن يكتب كل يوم ألف حسنة فسأله سائل من جلسائه قال كيف يكتب ألف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة وفي رواية غير مسلم يحط عنه أربعين ألفا ﴿ قوله تعالى (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) أي يخرج النطفة من الحيوان ويخرج الحيوان من النطفة وقيل يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وقيل يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن (ويحي الارض بعد موتها) أي بالمطر واخراج النباتات منها (وكذلك تخرجون) أي مثل اخراج النباتات من الارض تخرجون من القبور للبعث والحساب (ومن آياته ان خلقكم من تراب) أي خلق أصلكم وهو آدم من تراب (ثم اذا أتم بشر تنتشرون) أي تنبسطون في الارض (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا) أي جنسكم من نبي آدم وقيل خالق حواء من ضلع آدم (لتسكنوا اليها) أي لتقبلوا للزواج وتالفوهن (وجعل بينكم مودة ورحمة) أي جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف وما شئ أحب الي أحدهما من الآخر من غير تراحم بينهما الا الزوجان (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أي في عظمة الله وقدرته (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم) أي اختلاف اللغات العربية والعجمية وغيرهما وقيل أراد أجناس النطق وأشكاله خالف بينها حتى لا تكاد تسمع منطقتين متفقتين حتى لو تكلم جماعة من وراء حائط يعرف كل منهم بنطقه ونعمته لا يشبه صوت أحد صوت الآخر (والوانكم) أي أسود وأبيض وأشقر وأسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان وأتم بنور رجل واحد ومن أصل واحد وهو آدم عليه السلام والحكمة في اختلاف الاشكال والاصوات للتعارف أي ليعرف كل واحد بشكله وحمليته وصورته فلو اتفقت الاصوات والصور وتساكت وكانت ضربا واحدا لوقع التعاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وليعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق والقريب من البعيد فسبحان

والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر يقال سكن اليه اذا مال اليه (وجعل بينكم مودة ورحمة) أي جعل بينكم التواد والتراحم بسبب الزواج وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد وقيل المودة للشابة والرحمة للمجوز وقيل المودة والرحمة من الله والفرك من الشيطان أي بعض المرأة زوجها وبعض الزوج المرأة (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيعلمون ان قوام الدنيا بوجود التناسل (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم) أي اللغات وأجناس النطق وأشكاله (والوانكم) كالسواد والبياض وغيرها ولاختلاف ذلك وقع التعارف والافلو تشاكت واتفقت لوقع التعاهل والالتباس ولتعطلت المصالح وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وهم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله متفاوتون

(ان في ذلك لايات للعالمين) جمع عالم وبسر اللام حفص جمع عالم ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) هذا من باب اللب وترتبه أي ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين القرنين الاولين بالقرنين الآخرين والمراد منامكم في الزمان وابتغاؤكم فيهما والجمهور على الاول لتكرره في القرآن وأسد المعاني ما دل عليه القرآن (ان في ذلك لايات لقوم يسمعون) أي يسمعون سماع تدبر باذان واعية (ومن آياته يريكم البرق في يركم وجهان اضماران كافي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما ف المثل تسمع بالمعدي خير من ان تراه أي ان تسمع أو سماعك قوله (خوفا) من الصاعقة ومن الاخلاف (وظمعا) في الغيث أو خوفا للساافر وطمعا للحاضر وهم منصوبان على المفعول له على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه أي ارادة خوف و ارادة طمع أو على الحال أي خائفين وطماعين (وينزل من السماء) وبالتخفيف مكي وبصري (ماء) مطرا (فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون) يتفكرون بعقولهم (ومن آياته ان تقوم) تثبت بلا عمد (السماء والارض بامرهم) أي باقامته وتديبره وحكمته (ثم اذا دعاكم) للبعث (دعوة من الارض اذا اتمت تخرجون) من قبوركم هذا كقوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد (٤٦٢) على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والارض واستقسا كما بغير عمد ثم خروج الموفى

من خلق الخلق على ما أراد وكيف أراد في ذلك دليل على سعة القدرة وكمال العظمة (ان في ذلك لايات للعالمين) أي اعموم العلم فيهم (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) أي منامكم بالليل للراحة وابتغاؤكم من فضله وهو طلب أسباب المعيشة بالنهار (ان في ذلك لايات لقوم يسمعون) أي سماع تدبر واعتبار (ومن آياته يريكم البرق خوفا) أي للساافر ليستعد للمطر (وظمعا) أي للمقيم ليستعد المحتاج اليه من أجل الزرع وتسوية طرق المصانع (وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون) أي قدرة الله تعالى وانه القادر عليه (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامرهم) قال ابن عباس وابن مسعود قامة على غير عمد وقيل يدوم قيامهما بامرهم (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض) قال ابن عباس من القبور (اذا اتمت تخرجون) أي منها وقيل معنى الآية ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا اتمت تخرجون من الارض (وله من في السموات والارض كل له قانتون) أي مطيعون قال ابن عباس كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وان عصوا في العباداة (وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده) أي يخلقهم أو لا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث (وهو أهون عليه) أي هو هين عليه وما من شيء عليه بعزيز وقيل معناه وهو أيسر عليه فان الذي يقع في عقول الناس ان الاعادة تكون أهون من الانشاء وقيل هو أهون على الخلق وذلك لانهم يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفاتم علقاتم مضغالي أن يصيروا رجالا ونساء وهو رواية عن ابن عباس (وله المثل الاعلى) أي الصفة العليا قال ابن عباس ليس كمثل شيء وقيل هو الذي لا اله الا هو (في السموات والارض وهو) أي في ملكه (العزيز الحكيم) أي في خلقه قوله عز وجل (ضرب لكم مثلا) أي بين لكم شيئا بحالكم ذلك المثل (من أنفسكم

من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة يا أهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف وانما عطف هذا على قيام السموات والارض ثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا أهل القبور قوموا فلان تبتى نسمة من الاولين والآخرين الا قامت تنظر كما قال ثم نفتح فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون واذا الاولى للشرط والثانية للمفاجأة وهي تناوب مناب الفاء في جواب الشرط ومن الارض متعلق

بالفعل لا بالمصدر وقوله دعوته من مكان كذا يجوز أن يكون مكانك ويجوز أن يكون مكان صاحبك (وله من في السموات والارض كل له قانتون) متقادون لوجود أفعالهم لا يمتنعون عليه أو مقرون بالعبودية (وهو الذي يبدؤ الخلق) أي ينشئهم (ثم يعيده) للبعث (وهو) أي البعث (أهون) أيسر (عليه) عندكم لان الاعادة عندكم أسهل من الانشاء فلم أنكرتم الاعادة وأخوت الصلة في قوله وهو أهون عليه وقدمت في قوله هو على هين لقصد الاختصاص هناك وأما هنا فلا معنى للاختصاص وقال أبو عبيدة والزجاج وغيرهما الأهون بمعنى الهين فيوصف به الله عز وجل وكان ذلك على الله يسيرا كما قالوا الله أكبر أي كبريا والاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء أو هو أهون على الخلق من الانشاء لان قيامهم بصيحة واحدة أسهل من كونهم نطفاتم علقاتم مضغالي تكميل خلقهم (وله المثل الاعلى في السموات والارض) أي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره وقد عرف به ووصف في السموات والارض على السنة الخلاق والسنة الدلائل وهو انه القادر الذي لا يهجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات وبدل عليه قوله (وهو العزيز) أي القاهر لكل مقدر (الحكيم) الذي يجري كل فعل على قضايها حكمته وعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما المثل الاعلى ليس كمثل شيء وهو السميع البصير وعن مجاهد هو قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الرفع الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله (ضرب لكم مثلا من أنفسكم)

فهذا مثل ضرب به الله عز وجل لمن جعل له شريكا من خلقه ومن لا ابتداء كانه قال أخذ مثلا واتزعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم (هل لكم) معاشر الاحرار (مما ملكت أي مانكم) عبيدكم ومن للتبعيض (من شركاء) من مزبدة أتأ كيدا الاستفهام الجاري مجرى النبي ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم (فبما رزقناكم) من الاموال وغيرها (فاتم) معاشر الاحرار والعبيد (فيه) في ذلك الرزق (سواء) من غير تفصلة بين حر وعبيد يحكم مما ليكم في أموالكم تحاكمكم (تحافونهم) حال من ضمير الفاعل في سواء أي متساوون خائف بعضكم بعضا مشاركتهم في المال والمعنى تحافون معاشر السادة عبيدكم فيها فلا تخشون فيها حكا دون اذنتهم خوفا من لائمة تلحقكم من جهتهم (كخيفتكم أنفسكم) يعني كما يخاف بعض الاحرار بعضا فيما هو مشترك بينهم فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرّب الارباب ومالك الاحرار والعبيدان (٤٦٣) تجعلوا بعض عبيده له شركاء (كذلك)

موضع الكاف نصب أي مثل هذا التفصيل (نقصل الايات) نبينها لان التمثيل ما يكشف المعاني ويوضحها (لقوم يعقلون) يتدبرون في ضرب الامثال فلما لم ينزجوا أضرب عنهم فقال (بل اتبع الذين ظلموا) أنفسهم بما أشركوا كما قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم (أهواءهم بغير علم) أي اتبعوا أهواءهم جاهلين (فمن يهدي من أضل الله) أي أضله الله تعالى (وما لهم من ناصرين) من العذاب (فاقم وجهك للدين) فقوم وجهك له وعد له غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه واختمه باسبابه فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه ومدد اليه نظره وقوم له وجهه (حنيفا) حال من

ثم بين المثل فقال تعالى (هل لكم مما ملكت أي مانكم) أي عبيدكم وامانتكم (من شركاء فيما رزقناكم) أي من المال (فاتم فيه سواء) أي هل يشارككم عبيدكم في أموالكم التي أعطيناكم (تحافونهم كخيفتكم أنفسكم) أي تخافون أن يشارككم في أموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر من شريكه الحر في المال يكون بينهما ان ينفر دفيه بامر دون شريكه ويخاف الرجل شريكه في الميراث وهو يحب أن ينفر دبه وقال ابن عباس تخافونهم ان يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا فاذا لم تخافوا هذا من مما ليكم ولا ترضوه لانفسكم فكيف ترضون أن تكون آلهتكم التي تعبدونها شركاؤهم عبيدي (كذلك نقول الايات) أي الدلالات والبراهين والامثال (لقوم يعقلون) أي ينظرون في هذه الدلائل والامثال بعقولهم (بل اتبع الذين ظلموا) يعني أشركوا بالله (أهواءهم) أي في الشرك (بغير علم) جهلا بما يجب عليهم (فمن يهدي من أضل الله) أي عن طريق الهدى (وما لهم من ناصرين) أي مانعين يمنعونهم من عذاب الله ﷻ قوله تعالى (فاقم وجهك للدين) يعني أخلص دينك لله وقيل سدد عملك والوجه ما يتوجه الى الله تعالى به الانسان ودينه وعمله مما يتوجه اليه ليسدد ﷻ قوله تعالى (حنيفا) أي مائلا اليه مستقيما عليه (فطرت الله) أي دين الله والمعنى الزموا فطرة الله (التي فطر الناس عليها) قال ابن عباس خلق الله الناس عليها ولله الفطرة الدين وهو الاسلام (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة ثم قال اقرؤا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم زاد البخاري فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كانتنج البهيمه بهيمه جماعه هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرؤا فطرت الله الآية وطما في رواية قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيرا قال الله أعلم بما كانوا عاملين قوله ما من مولود يو له الا على الفطرة يعني على العهد الذي أخذ الله عليهم بقوله ألسنت بركم قالوا بلى فكل مولود في العالم على ذلك الا قرار وهي الخنيفة التي وضعت الخلقه عليها وان عبد غير الله قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وانكن لا اعتبار بالايان الفطرى في أحكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعى للمأمور به المكتسب بالارادة والفعل الا ترى الى قوله فابواه يهودانه أو ينصرانه فهو مع وجود الايمان الفطرى فانه محكوم له بحكم أبويه الكافرين وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر يقول الله عز وجل اني خلقت عبادي حنفا فاجتاتهم الشياطين عن دينهم وحكى عن عبد الله بن المبارك انه قال في معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته أي خلقته التي

المأمور أو من الدين (فطرت الله) أي الزموا فطرة الله والفطرة الخلقه ألا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله فالمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد والاسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجا وباللقل مساوق للنظر الصحيح حتى لو تر كوالما اختاروا عليه ديننا آخر ومن غري منهم فباعوا شياطين الجن والانس ومنه قوله عليه السلام كل عبادي خلقت حنفا فاجتاتهم الشياطين عن دينهم وأمرهم أن يشركوا بي ذبى وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه وقال الزجاج معناه ان الله تعالى فطر الخلق على الايمان به على ما جاء في الحديث ان الله عز وجل أخرج من صلب آدم كالدرو وأشهدهم على أنفسهم بانه خالقهم فقال واذا أخذ ربك الى قوله قالوا بلى وكل مولود هو من تلك الذرية التي شهدت بان الله تعالى خالقها فعسى فطرة الله دين الله (التي فطر الناس عليها) أي خلق

(لا تبدل خلق الله) أي ما ينبغي أن تبدل تلك الفطرة أو تغير وقال الزجاج معناه لا تبدل لدين الله وبذل عليه ما بعده وهو قوله (ذلك الدين القيم) أي المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) حقيقة ذلك (منيبين إليه) راجعين إليه وهو حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا الضمير أو من قوله فاقم وجهك لأن الأمر له عليه السلام أمر لامتة فكانه قال فاقموا وجوهكم منيبين إليه والتقدير كونوا منيبين دليلاً عليه قوله ولا تكونوا (واتقوه وأقيموا الصلاة) أي أدوها في أوقاتها (ولا تكونوا من المشركين) ممن يشرك به غيره في العبادة (من الذين) يدل من المشركين باعادة الجار (فرقوا دينهم) جعلوه دأباً مختلفة لا اختلاف أهوائهم فرقوا حجة وعلى وهي قراءة على رضي الله عنه أي تركوا (٤٦٤) دين الاسلام (وكانوا شيعاً) فرقاً كل واحدة تشايح امامها الذي أضلها (كل

حزب) منهم (بمالديهم فرحون) فرح بذهبهم مسرور بحسب باطله حقا (واذا مس الناس ضر) شدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك (دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا آذاهم من رحمة) أي خلاصاً من الشدة (إذا فرق منهم برهم يشركون) في العبادة (ليكفروا) هذه لام كي وقيل لام الأمر للوعيد (عما آتيناهم) من النعم فتمتعوا بكفركم قليلاً أمر وعيد (فسوف تعلمون) وبال: تمتعكم (أم أنزلنا عليهم سلطاناً) حجة (فهو يتكلم) وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الشهادة كأنه قال فهو شهد بشركهم وبصحته (عما كانوا به يشركون) ما مصدرية أي يكونهم بالله يشركون أو موصولة

خلقه الله عليها في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر في العاقبة إلى ما فطر عليه وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها فن امارات الشقاوة للاطفال ان يولد بين يهوديين أو نصرائيين فبصلا لانه على اعتقاد دينهما وقيل معناه ان كل مولود في مبدأ الخلق على الفطرة أي على الجيلة السليمة والطبع المهيء لقبول الدين فلوتركها بالاستمرار على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه في العقول السليمة وانما يعدل عنه من عدل إلى غيره لانه من آفات التقليد ونحوه فمن سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره ثم تمثل لاولاد اليهود والنصارى واتباعهم لا بائهم والميل إلى ادیانهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة بقوله كما نتج البهيمة بهيمة جمعاء أي كأنها البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها شيء وقوله هل تحسبون فيها من جمعاء يعني هل تشعرون أو تعلمون فيها من جمعاء وهي المقطوعة الاذن أو الانف ﴿ قوله عز وجل (لا تبدل خلق الله) أي لا تبدلوا دين الله وقيل معنى الآية الزموا فطرة الله ولا تبدلوا التوحيد بالشرك وقيل معنى لا تبدل خلق الله هو ما جبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد شقياً ولا الشقي سعيداً وقيل الآية في تحريم اخصاء البهائم (ذلك الدين القيم) أي المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ﴿ قوله عز وجل (منيبين إليه) أي فاقم وجهك أنت وأمتك منيبين إليه لان خطاب النبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيه الامم والمغني راجعين إلى الله تعالى بالتوبة ومقبلين إليه بالطاعة (واتقوه) أي ومع ذلك خافوه (وأقيموا الصلاة) أي داوموا على أدائها في أوقاتها (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) أي صاروا فرقاً مختلفة وهم اليهود والنصارى وقيل هم أهل البدع من هذه الامم (كل حزب بما لديهم فرحون) أي راضون بما عندهم ﴿ قوله تعالى (واذا مس الناس ضر) أي فحطوا شدة (دعوا ربهم منيبين إليه) أي مقبلين إليه بالدعاء (ثم إذا آذاهم من رحمة) أي خصبا ونعمة (إذا فرق منهم برهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم) أي ليحجدوا نعمة الله عليهم (فتمتعوا) فيه تهديد ووعيد خاطب به الكفار (فسوف تعلمون) أي حالكم في هذه الآخرة (أم أنزلنا عليهم سلطاناً) قال ابن عباس حجة وعندنا وقيل كتاباً (فهو يتكلم) أي ينطق (عما كانوا به يشركون) أي بشركهم وبأمرهم به (واذا آذنا الناس رحمة) أي الحصب وكثرة المطر (فرحوا بها) أي فرحوا واطروا (وان تصبهم سيئة) أي جذب وقلة مطر وقيل خوف و بلاء (عما قدمت أيديهم) من السيئات (اذا هم يقنطون) أي يياسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فانه يشكر به عند النعمة ويرجو عند الشدة (أولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) تقدم تفسيره ﴿ قوله عز وجل (فآت ذا القربى حقه) أي من البر والصلة

ويرجع الضمير إليها أي فهو يتكلم بالأمر الذي بسببه يشركون أو معنى الآية أم أنزلنا عليهم ذالسلطان أي ملكاً معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون (واذا آذنا الناس رحمة) أي نعمة من مطر أو سعة أو صحة (فرحوا بها) بطروا بسببها (وان تصبهم سيئة) أي بلاء من جذب أو ضيق أو مرض (عما قدمت أيديهم) بسبب شؤم معاصيهم (اذا هم يقنطون) من الرحمة واذا المفاجأة جواب الشرطيات عن الفاء لتأخيرها في التعقيب (أولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لقوم يؤمنون) انكر عليهم بانهم قد علموا بانه القابض الباسط فإلهم يقنطون من رحمة وما لهم لا يرجعون إليه تائبين عن المعاصي التي عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد إليهم رحمة ولما ذكر ان السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك فقال (فآت ذا القربى) أعط قريبك (حقه) من البر والصلة

(والمسكين وابن السبيل) نصيبهم ما من الصدقة المسماة لهم وفيه دليل وجوب النفقة للمخارم كما هو مذهبنا (ذلك) أي ابتداء حقوقهم (خير
 للذين يريدون وجه الله) أي ذاته أي يقصدون بمعرفتهم إياه خالصا (وأولئك هم المفلحون وما آتيتهم من رباليربوفى أموال الناس) يريد
 وما أعطيتهم أكلة الربا من رباليربوفى أموالهم (فلايربوعندالله) فلايزكوا عندالله ولايبارك فيه وقيل هو من الربا الخلال أي وما تعطونه
 من الهدية لتأخذوا أكثر منها فلايربوعندالله لأنكم تريدوا بذلك وجه الله (وما آتيتهم من زكوة) صدقة (تريدون وجه الله) تبتغون به
 وجهه خالصا لا تطلبون به مكافأة ولا رياء ولا سمعة (فأولئك هم المضعفون) ذوو الأضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوى والموسر لذى
 القوة واليسار آتيتهم من رباليربوفى أموالهم وقوله فأولئك هم المضعفون التفات
 حسن لأنه يفيد التعميم كأنه قيل من فعل هذا فسبيله سبيل المخاطبين والمعنى المضعفون به (٤٦٥) لأنه لا بد له من ضمير يرجع إلى ما

الموصولة وقال الزجاج في
 قوله فأولئك هم المضعفون
 أي فأهلها هم المضعفون أي
 هم الذين يضاعف لهم الثواب
 يعطون بالحسنة عسراً مثلاً
 ثم أشار إلى عجز آلهتهم فقال
 (الله الذي خلقكم) مبتدأ
 وخبر (ثم رزقكم ثم يميتكم
 ثم يحييكم) أي هو المختص
 بالخلق والرزق والامانة
 والاحياء (هل من
 شركائكم) أي أصنامكم
 التي زعمتم أنهم شركاء الله
 (من يفعل من ذلكم)
 أي من الخلق والرزق
 والامانة والاحياء (من
 شيء) أي شيئاً من تلك
 الأفعال فلم يجيبوا عجزاً فقال
 استبعدا (سبحانه وتعالى
 عما يشركون) ومن
 الأولى والثانية والثالثة كل
 واحدة منهن مستقلة بتأكيد
 لتجيز شركائهم وتجهيل
 عبدتهم (ظهر الفساد في البر
 والبحر) نحو القحط وقلة الأ

(والمسكين) أي حقه وهو التصديق عليه (وإبن السبيل) أي المسافر وقيل هو الضيف (ذلك خير للذين
 يريدون وجه الله) أي يطلبون ثواب الله بما كانوا يعملون (وأولئك هم المفلحون) قوله عز وجل
 (وما آتيتهم) أي أعطيتهم (من رباليربوفى أموال الناس) أي في اجتلاب أموال الناس واجتدابها قيل في
 معنى الآية هو الرجل يعطى غيره لعطية لينيبه أكثر منها فهو جائز حلال ولكن لا يثاب عليها في القيامة
 وهذا قوله (فلايربوعندالله) وكان هذا حراما على النبي خاصة لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر أي لا تعط
 وتطلب أكثر مما أعطيت وقيل هو الرجل يعطى صدقة أو قرية ليه ليكثر ماله لا يريد به وجه الله وقيل هو
 الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله لا لتماس عون له لوجه الله تعالى فلايربوعند
 عندالله لأنه لم يرد بعمله وجه الله (وما آتيتهم من زكوة) أي أعطيتهم من صدقة (تريدون وجه الله) أي
 بتلك الصدقة (فأولئك هم المضعفون) أي يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عسراً مثلاً فالمضعف
 ذو الأضعاف من الحسنات ﴿ قوله تعالى (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من
 شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) تقدم تفسيره ﴿ قوله تعالى (ظهر
 الفساد في البر والبحر) أي بسبب الشرك والمعاصي ظهر قحط المطر وقلة النبات في البراري والوادي
 والمفاوز والقفار والبحر قيل المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية والرب تسمى مصر بحر اتقول
 أجذب البر وانقطعت مادة البحر وقيل البر ظهر الأرض الامصار وغيرها والبحر هو المعروف وقلة المطر كما
 تؤثر في البر تؤثر في البحر بخلاف الأصداف من الأؤلؤ وذلك لان الصدف اذا جاء المطر ترتفع على وجه
 الماء وتفتح أفواهها فوقع فيه المطر صار أولؤا (بما كسبت أيدي الناس) أي بسبب شؤم ذنوبهم وقال ابن
 عباس الفساد في البر قتل أحد بني آدم أخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة قيل كانت الأرض خضرة
 موفقه لا يأتي ابن آدم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عند باوكان لا يقصد البقر الغنم فلما قتل قابيل
 هاويل اقشعت الأرض وشاكت الأشجار وصار ماء البحر ملحا زاعقا وقصد الحيوان بعضها بعضها وقيل ان
 الأرض امتلأت ظمأ وضلالة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث رجع راجعون من الناس وقيل
 أراد بالناس كفار مكة (لينذيقهم بعض الذي عملوا) أي عقوبة الذي عملوا من الذنوب (لعلهم يرجعون)
 أي عن الكفر وأعمالهم الخبيثة (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) أي اتروا
 منازلهم ومساكنهم خاوية (كان أكثرهم مشركين) أي فاهلكوا بكفرهم ﴿ قوله عز وجل (فأقم
 وجهك للدين القيم) أي للدين الاسلام (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) يعني يوم القيامة لا يقدر أحد

(٥٩ - (خازن) - ثالث) مطار والربيع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب
 بكثرة الحرق والفرق ومحق البركات من كل شيء (بما كسبت أيدي الناس) بسبب معاصيهم وشركهم كقوله وما أصابكم من مصيبة فبما
 كسبت أيديكم (لينذيقهم بعض الذي عملوا) أي لينذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة وبالنون عن قبل
 (لعلهم يرجعون) عما هم عليه من المعاصي ثم كد تسيب المعاصي لغضب الله ونكاله بقوله (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان
 عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) حيث أمرهم بأن يسيروا فينظروا كيف أهلك الله الامم وأذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم (فأقم
 وجهك للدين القيم) البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له) هو مصدر بمعنى الرد (من الله) يتعلق بيأتي
 المعنى من قبل أن يأتي من الله يوم لا يردده أحد كقوله تعالى فلا يستطيعون ردها أو يرد على معنى لا يردده هو بعد أن يحجب به ولا يردده من جهته

(يومئذ يصدعون) يتصدعون أي يتفرقون ثم أشار إلى غناء عنهم فقال (من كفر فعليه كفره) أي وبال كفره (ومن عمل صالحا فلا نفعهم يهدون) أي يسودون لانفسهم ما يسويه انفسه الذي يهد لنفسه فراشه وبوطته لئلا يصيبه في مضجعه ما ينقض عليه سر قدومه من تنوع وغيره والمعنى انه يهد لهم الجنة بسبب أعمالهم فأضيف اليهم وتقديم الطرف في الموضوعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لانجازته (ليجزى) متعلق بمهدون تعليل له وتكرير (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وترك الضمير الى الصريح لتقدير انه لا يفلح عنده الا المؤمن (من فضله) أي عطائه وقوله (انه لا يحب الكافرين) تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس (ومن آياته) أي ومن آيات قدرته (أن يرسل الرياح) هي الجنوب والشمال والصابا وهي رياح الرحمة وأما الدبور فرياح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الفوائد في ارساطها فقال (مبشرات) أي أرسلها للبشارة بالغيث (وليديقمكم من رحته) ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض وغير ذلك وليد يقمكم معطوف على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليدشركم وليد يقمكم (ولتجرى الفلك) في البحر عند هبوبها (بأمره) أي بتدبيره أو بتكوينه كقوله انما أمره اذا أراد شيئا الآية (٤٦٦) (ولتبتغوا من فضله) يريد تجارة البحر (واعلمكم تشكرون) أي واتشكروا نعمة الله

على رده من الخلق (يومئذ يصدعون) أي يتفرقون ثم ذكر الفريقين فقال تعالى (من كفر فعليه كفره) أي وبال كفره (ومن عمل صالحا فلا نفعهم يهدون) أي يوطئون المضجع وسوونها في القبور (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) قال ابن عباس لينبيهم الله ثوابا أكثر من أعمالهم (انه لا يحب الكافرين) فيه تهديد ووعيد لهم قوله تعالى (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) أي تبشر بالمطر (وليديقمكم من رحته) أي بالمطر وهو الخصب (ولتجرى الفلك) أي بهذه الرياح (بأمره) ولتبتغوا من فضله) معناه لتطلبوا رزقه بالتجارة في البحر (واعلمكم تشكرون) أي هذه النعم قوله تعالى (واقدم أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات) أي بالدلالات الواضحات على صدقهم (فاتقمننا من الذين أجمعوا) يعني اتاعذ بنا الذين كذبوهم (وكان حقنا علينا نصر المؤمنين) أي مع انجائهم من العذاب ففيه نبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر في العاقبة والنصر على الاعداء عن أبي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقنا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا هذه الآية وكان حقنا علينا نصر المؤمنين أخرجه الترمذي ولفظه من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وقال حديث حسن قوله عز وجل (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) أي تنشره (فيبسطه في السماء كيف يشاء) يعني مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على ما يشاء (ويجعله كسفا) أي قطعام متفرقة (فترى الودق) أي المطر (يخرج من خلاله) أي من وسطه (فاذا أصاب به) أي بالودق (من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون) أي يفرحون بالمطر (وان كانوا) أي وقد كانوا (من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبشرين) أي آيسين (فانظر الى آثار رحمة الله) أي المطر والمعنى انظر الى حسن تأثيره في الارض وهو قوله تعالى (كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك للحي الموتي) يعني ان الذي أحيا الارض بعد موتها قادر على احياء الموتي (وهو على كل شيء قدير) أي أرسلنا ريحا فأرأوه مصفرا) أي الزرع بعد الخضرة

فها (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات) أي فآمن بهم قوم وكفروهم قوم وبدل على هذا الاضمار قوله (فاتقمننا من الذين أجمعوا) أي كفروا بالاهلاك في الدنيا (وكان حقنا علينا نصر المؤمنين) أي وكان نصر المؤمنين حقا علينا بانجائهم مع الرسل وقد بوقف على حقا ومعناه وكان الاتقام منهم حقا مبتدئ علينا نصر المؤمنين والاول أصح (الله الذي يرسل الرياح) الريح مكي (فتثير سحابا فيبسطه) أي السحاب (في السماء) أي في سمت السماء وشققها

كقوله وفرعها في السماء (كيف يشاء) من ناحية الشمال أو الجنوب أو الدبور أو الصبا (ويجعله كسفا) قطعاما لظاوا جمع كسفة أي يجعله منبسطا يأخذ وجه السماء مرة ويجعله قطعام متفرقة غير منبسطة مرة كسفا يزيدوا بن ذكوان (فترى الودق) المطر (يخرج) في التارئين جميعا (من خلاله) وسطه (فاذا أصاب به) بالودق (من يشاء من عباده) يريد اصابة بلادهم وأراضيتهم (اذا هم يستبشرون) يفرحون (وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم) المطر (من قبله) كقولنا كيد كقوله فكان عاقبتهمما أنهما في النار خالد بن فيها ومعنى التوكيد فيها للدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تناول فاستحكم باسمه فكان الاستبشار على قدر اعقابهم بذلك (لمبشرين آيسين) (فانظر الى آثار) شامى وكوفي غير آبي بكر وغيرهم أثر (رحمت الله) أي المطر (كيف يحيي الارض) بالنبات وأنواع الثمار (بعد موتها ان ذلك) أي الله (لحي الموتي) يعني ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم فهذا استدلال باحياء الموات على احياء الاموات (وهو على كل شيء قدير) أي وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدمات بدليل الانشاء (ولئن أرسلنا ريحا) أي الدبور (فأرأوه) أي أثر رحمة الله لان رحمة الله هي الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سم به ما نبت (مصفا) بعد اخضاره وقال مصفا الا ذلك

صفرة حادثة وقيل فراوا السحاب مصفر الان السحاب الاصفر لا يمطر واللام في ثن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط فسد مسد
جوابي القسم والشرط (لظاوا) ومعناه ليظن (من بعده يكفرون) اي من بعد اصفراره او من بعد الاستبشار ذمهم الله تعالى بانه اذا حبس
عنه المطر فظنوا من رحته وضر بواذقاتهم على صدورهم مبلسين فاذا اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا فاذا ارسل ريحا فضر
زروهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة وكان عليهم ان يتوكلوا على الله وفضله فظنوا وان
يشكروا نعمته ويحمدوه عليها ففروا وان يصبروا على بلائه فكفروا (فانك لاتسمع الموتى) اي موتى القلوب وهو لاء في حكم الموتى
فلا تطمع ان يقبلوا منك (ولا تسمع الصم الدعاء) ولا يسمع الصم مكى (اذا ولو امدين) فان قلت الاصم لا يسمع مقبلا او مدبرا فما فائدة
هذا التخصيص قلت هو اذا كان مقبلا يفهم بالرمز والاشارة فاذا ولي لا يسمع ولا يفهم بالاشارة (وما انت بهادى العمى) اي عمى القلوب
وما انت تهدي العمى حزة (عن ضلاتهم) اي لا يمكنك ان تهدي العمى الى طريق قدضل عنه باشارة منك له اليه (ان تسمع) ما تسمع
(الامن يؤمن باياتنا فهم مسلمون) منقادون لاوامر الله تعالى (الله الذي (٤٦٧) خلقكم من ضعف) من النطف كقوله

من ماء مهين (ثم جعل من
بعد ضعف قوة) يعنى حال
الشباب وبلوغ الاشد (ثم
جعل من بعد قوة ضعفا
وشيبة) يعنى حال
الشيخوخة والهرم (يخلق
ما يشاء) من ضعف وقوة
وشباب وشيبة (وهو
العليم) باحوالهم (القدير)
على تغييرهم وهذا الترييد
في الاحوال ابين دليل على
الصانع العليم القدير فتح
الضاد في الكل عاصم وحزة
وضم غيرهما وهو اختيار
حفص وهما الغتان والضم
اقوى في القراءة لما روى
عن ابن عمر قال قرأتها على
رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ضعف فاقرأنى من ضعف
(و يوم تقوم الساعة) اي

(لظاوا من بعده) اي من بعد اصفرار الزرع (يكفرون) اي يجحدون ما سلف من النعمة والمعنى انهم
يفرحون عند الخصب ولو ارسلت عذابا على زرعهم لجدوا سلف نعمتى (فانك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم
الدعاء اذا ولو امدين وما انت بهادى العمى عن ضلاتهم ان تسمع الامن يؤمن باياتنا فهم مسلمون)
تقدم تفسيره قوله تعالى (الله الذي خلقكم من ضعف) اي بدأكم وانشأكم على ضعف وقيل من ماء ذى
ضعف وقيل هو اشارة الى احوال الانسان كان جنينا ثم طفلا مولودا ومفظوما فهذه احوال غاية الضعف
(ثم جعل من بعد ضعف قوة) اي من بعد ضعف الصغر شبابا وهو وقت القوة (ثم جعل من بعد قوة ضعفا)
اي هرما (وشيبة) وهو تمام النقصان (يخلق ما يشاء) اي من الضعف والقوة والشباب والشيبة وليس
ذلك من افعال الطبيعة بل بمشيئة الله وقدرته (وهو العليم) بتدبير خلقه (القدير) على ما يشاء قوله تعالى
(و يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) اي يحلف المشركون (مالبثوا) اي في الدنيا (غير ساعة) معناه انهم
استقلوا اجل الدنيا لما عاينوا الآخرة وقيل معناه مالبثوا في قبورهم غير ساعة (كذلك كانوا يؤفكون) اي
يصرفون عن الحق في الدنيا وذلك انهم كذبوا في قلوبهم مالبثوا غير ساعة كما كذبوا في الدنيا ان لا يبعثوا
والمعنى ان الله اراد ان يفضحهم فلفوا على شئ تبين لاهل الجمع انهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضاء الله وقدره
ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال تعالى (وقال الذين اتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى
يوم البعث) اي فيما كتب الله لكم في سابق علمه من اللبث في القبور وقيل معنى الآية وقال الذين اتوا العلم
في كتاب الله والايمان يعنى الذين يقيمون كتاب الله قالوا للمنكرين قد لبثتم الى يوم البعث اي في قبوركم
(فهذا يوم البعث) اي الذى كنتم تنكرونه في الدنيا (ولكنكم كنتم لاتعلمون) اي وقوعه في الدنيا فلا
ينفعكم العلم به الآن بدليل قوله تعالى (فيومئذ لاتنفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون) اي
لا تطلب منهم العتبي والرجوع في الآخرة وقيل لا تطلب منهم التوبة التى تزيل الجرم لانها لا تقبل منهم
قوله تعالى (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) فيه اشارة الى ازالة الاعذار والايان بما

القيامة سميت بذلك لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا ولانها تقع بغتة كما تقول في ساعة من تستعجله وجرت علمها كالنجم للثريا
(يقسم المجرمون) يحلف الكافرون ولا وقف عليه لان (مالبثوا) في القبور او في الدنيا (غير ساعة) جواب القسم استقلوا مدة لبثهم في
القبور او في الدنيا هول يوم القيامة وطول مقامهم في شدائد هاء وينسون او يكذبون (كذلك كانوا يؤفكون) اي مثل ذلك الصنف
كانوا يصرفون عن الصدق الى الكذب في الدنيا ويقولون ما هي الاحياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين (وقال الذين اتوا العلم والايمان) هم
الانبياء والملائكة والمؤمنون (لقد لبثتم في كتاب الله) في علم الله المثبت في اللوح اوفى حكم الله وقضائه (الى يوم البعث) ردوا ما قالوه وحلفوا
عليه اطعموهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريرهم على انكار البعث بقولهم (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم) في الدنيا
(لاتعلمون) انه حق لتفر يطكم في طلب الحق واتباعه والفاء لجواب شرط يدل عليه الكلام تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم
البعث الذى انكرتموه (فيومئذ لاتنفع) بالياء كوفى (الذين ظلموا) كفروا (معذرتهم) عذرهم (وهم لا يستعتبون) اي لا يقال لهم
ارضواو بكم بتوبة من قولك استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل

ولئن جنتهم بأية ليقولن الذين كفروا ان أتم الامبطلون) أي ولقد وصفناهم كل صفة كأنها مثل في غرابها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة
 الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصصهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعجابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم
 اذا جنتهم بأية من آيات القرآن قالوا اجتنابوا ورو باطل (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أي مثل ذلك الطبع وهو الختم
 يطبع الله على قلوب الجهلة الذين علم الله منهم اختيار الضلال حتى يسموا المحقين مبطلين وهم أعرق خلق الله في تلك الصفة (فاصبر) على
 أذاهم أو عداوتهم (ان وعد الله) ينصرك على أعدائك واطهار دين الاسلام على كل دين () لا بد من انجازه والوفاء به (ولا يستخفك
 الذين لا يوقنون) أي لا يحملك هؤلاء الذين لا يوقنون بالآخرة على الخفة والهجلة في الدعاء عليهم بالعذاب أو لا يحملك على الخفة والقلق
 جزاء ما يقولون ويفعلون فانهم ضلال (٤٦٨) شا كون لا يستبدع منهم ذلك ولا يستخفك بسكون النون عن يعقوب

والله الموفق للصواب
 ﴿سورة لقمان مكية وهي ثلاث وأربع وثلاثون آية﴾
 ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
 (الم تلك آيات الكتاب الحكيم) ذي الحكمة أو وصفه بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازي (هدى ورحمة) حالان من الآيات والعامل معنى الاشارة في تلك وحجزة بالرفع على أن تلك مبتدا وآيات الكتاب خبره وهدى خبر بعد خبر وأخبر مبتدا محذوف أي هو أو هي هدى ورحمة (للمحسنين) للذين يعملون الحسنات المذكورة في قوله (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) ونظيره قول أوس اللمى الذي يظن بك الظن كأن قدرأي

فوق الكفاية من الانذار (ولئن جنتهم بأية ليقولن الذين كفروا ان أتم الامبطلون) يعني ما أتم الاعلى باطل وذلك على سبيل العناد فان قلت ما معنى توحيد الخطاب في قوله ولئن جنتهم واجمع في قوله ان أتم الامبطلون قلت فيه لطيفة وهي أن الله تعالى قال ولئن جنتهم بكل آية جاءت بها الرسل ويمكن أن يقال معناه انكم كلكم أيها الرسل مبطلون (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أي توحيد الله (فاصبر ان وعد الله حق) أي في نصرك واطهارك على عدوك (ولا يستخفك) أي لا يحملك على الجهل وقيل لا يستخفن رأيك (الذين لا يوقنون) أي بالبعث والحساب والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده ﴿تفسير سورة لقمان﴾ وهي مكية وأربع وثلاثون آية وخمسة وثمان وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله عز وجل (الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين) أي الذين يعملون الحسنات ثم ذكرهم فقال (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) الآية قيل نزلت في النضر بن الحرث بن كلدة وكان يتجرفيأتي الخيرة ويشترى أخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول ان محمدا محدثكم يحدث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الا كاسرة فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن فانزل الله هذه الآية وقيل هو شراء القينات والمغنيات ومعنى الآية ومن الناس من يشتري ذات طها أو ذاهو الحديث وروى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى عليه وسلم لا يحمل تعام المغنيات ولا يبيعهن وأثمانهن حرام وفي مثل ذلك نزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله له شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت أخرجه الترمذي وهذا القظة عن أبي أسامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتبعوا القينات والمغنيات ولا تشتروهن ولا تعاموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام وفي مثل هذا نزلت ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمار وقال مكحول من اشترى جارية ضاربة ليمسكها الغنائم وضر بها مقبلا عليه حتى يموت لم أصل عليه ان الله تعالى

وقد سمعنا والذين يعملون جميع ما يحسن ثم خص منهم القائم بهذه الثلاثة لفضلها (أولئك على هدى) مبتدا وخبر (من يقول ربهم) صفة لهدى (وأولئك هم المفلحون) عطاف عليه (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) نزلت في النضر بن الحرث وكان يشتري أخبار الاكاسرة من فارس ويقول ان محمدا يقص طرفا من قصة عاد وثمود فانا أحدثكم باحاديث الاكاسرة فيميلون الى حديثه ويتركون استماع القرآن والله وكل باطل أظلم عن الخير وعمايغني وهو الحديث نحو السمر بالاساطير التي لأصل طها والغناء وكان ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما يحلفان أنه الغناء وقيل الغناء مفسدة للقلب منقذة للمال مسخطة للرب وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسقط والاشترى من الشراء كما روى عن النضر أو من قوله اشترى الكفر بالابمان أي استبدلوه منه واختاره عليه أي يختارون حديث الباطل على حديث الحق وازافة الله الى الحديث للتبيين بمعنى من لان الله ويكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث المنكر كما جاء في الحديث في المسجد يا كل الحسنات كنانا كل البهيمة الحشيش أو للتعريض كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهي

(ليضل) أي ليصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ليضل مكي وأبو عمرو وأي ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ويرد فيه (عن سبيل الله) عن دين الاسلام والقرآن (بغير علم) أي جهلامنه بما عليه من الوزرية (ويتخذها) أي السبيل بالنصب كوفي غير أبي بكر عظما على ليضل ومن رفع عطفه على يشترى (هزوا) بسكون الزاي والهمزة جزءة وبضم الزاي بلاهمز حفص وغيرهم بضم الزاي والهمزة (أولئك لهم عذاب مهين) أي مهينهم ومن لا يهامة يقع على الواحد والجمع أي النضر وأمثاله (واذتلى عليه آياتنا ولي مستكبرا) أعرض عن تدبرها متكبرا رافعا نفسه عن الاصغاء الى القرآن (كان لم يسمعها) شبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو حال من مستكبرا والاصل كأنه والضمير ضمير الشأن (كان في أذنيه وقرا) ثقلوا وهو حال من لم يسمعها أذنيه نافع (فبشره بعذاب أليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) ولا وقف عليه لان (خالدين فيها) حال من الضمير في لهم (وعدا لله حقا) مصدران مؤ كدان الأول مؤ كد نفسه والثاني مؤ كد غيره اذ لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فا كد معنى (٤٦٩) الوعد وحقا يدل على معنى الثبات

فا كد به معنى الوعد ومؤ كدهم لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذي لا يغلبه شيء فيهن أعداءه بالعذاب المهين (الحكيم) بما يفعل فيثيب أوليائه بالنعيم المقيم (خلق السموات بغير عمد) جمع عماد (ترونها) الضمير للسموات وهو استشهدا برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول للماحك أنا بلا سيف ولا رمح تراني ولا تحمل لها من الاعراب لانها مستأنفة أوفى محل الجر صفة لعمد أي بغير عمد مرئية يعني انه عمدها بعد لا ترى وهي احسن كما بقدرته (وألقى في الارض رواسي) جبالا ثوابت (أن

يقول ومن الناس من يشترى لهُ الحديث الآيه وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبيرة قالوا لهُ الحديث هو الغناء والآيه نزلت فيه ومعنى يشترى يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن وقال أبو الصهباء سألت ابن مسعود عن هذه الآيه فقال هو الغناء والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعي الغناء يلبث النفاق وقيل هو كل لهُ ولعب وقيل هو الشرك (ليضل عن سبيل الله) أي عن دين الاسلام وسماع القرآن (بغير علم) أي يفعله عن جهل وحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق (ويتخذها هزوا) أي يتخذ آيات الله مزحا (أولئك) يعني الذين هذه صفتهم (لهم عذاب مهين) واذا تلى عليه آياتنا ولي مستكبرا) أي لا يعابها ولا يرفع لها رأسا (كان لم يسمعها) أي شبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سماع (كان في أذنيه وقرا) أي ثقلوا ولا وقر فيهما (فبشره بعذاب أليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا) يعني وعدهم الله ذلك وعدا حقا وهو لا يخلف الميعاد (وهو العزيز الحكيم) قوله تعالى (خلق السموات بغير عمد) قيل ان السماء خلقت مبسوطة كصفحة مستوية وهو قول المفسرين وهي في الفضاء والفضاء لانها به له وكون السماء في بعضه دون بعض ليس ذلك الا بقدره قادر مختار واليه الاشارة بقوله بغير عمد (ترونها) أي ليس لها شيء يمنعها الزوال من موضعها وهي ثابتة لا تزول وليس ذلك الا بقدره الله تعالى وفي قوله ترونها وجهان أحدهما أنه راجع الى السموات أي ليست هي بعمد وأنتم ترونها كذلك بغير عمد الوجه الثاني أنه راجع الى العمد ومعناه بغير عمد مرئية (وألقى في الارض رواسي أن تميم بكم) أي لثلاث تحرك بكم (وبت فيها) أي في الارض (من كل دابة) أي يسكنون فيها (وأنزّلنا من السماء ماء) يعني لمطر وهو من انعام الله على عباده وفضله (فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) أي من كل صنف حسن (هذا) يعني الذي ذكرت مما تعابنون (خلق الله فاروقا ما ذا خلق الذين من دونه) أي آلهتكم التي تعبدونها (بل الظالمون في ضلال مبين) قوله عز وجل (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قيل هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارخ وهو آزر وقيل كان ابن أخت ايوب وقيل كان ابن خالته وقيل انه عاش ألف سنة حتى أدرك داود وقيل انه كان قاضيا في بني اسرائيل واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا لا عكرمة فانه قال كان نبيا وقيل خير بين النبوة

تميد بكم) لثلاث تطرب بكم (وبت) ونشر (فيها من كل دابة) وانزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) حسن (هذا) اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته (خلق الله) أي مخلوقه (فاروقا ما ذا خلق الذين من دونه) يعني آلهتهم بكنهم بان هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله فاروقا ما خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة (بل الظالمون في ضلال مبين) أضرب عن تبيكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال (ولقد آتينا لقمان الحكمة) وهو لقمان بن باعوراء ابن أخت ايوب أو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود وعليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود وعليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا كنتي اذا كفتي وقيل كان خياطا وقيل نجارا وقيل راعيا وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل وقال عكرمة والشعبي كان نبيا والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة وهي الاصابة في القول والعمل وقيل تتلمذ لآل نبي وتلمذ له ألف نبي وان في

(أن اشكر الله) مفسرة والمعنى أي اشكر الله لأن إتياء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله تعالى على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسرا إتياء الحكمة بالحث على الشكر وقيل لا يكون الرجل حكيمًا حتى يكون حكمًا في قوله وفعله ومعاشرته وصحبه وقال السري السقطي الشكر أن لا تعصى الله بنعمه وقال الجنيد أن لا ترى معشر يكافى نعمه وقيل هو الأقرار بالجزع عن الشكر والحاصل أن شكر القلب (٤٧٠) المعرفة وشكر اللسان الحمد وشكر الأركان الطاعة ورؤية الجز في الكل دليل

قبول الكل (ومن يشكر
فإنما يشكر لنفسه) لأن
منفعته تعود إليه فهو يريد
المزيد (ومن كفر)
النعمة (فإن الله غني) غير
محتاج إلى الشكر (حميد)
حقيق بأن يحمد وأن لم
يحمد أحد (وإذ) أي
وإذ كراذ (قال لقمان
لابنه) أنعم أو أشكم (وهو
يعظه يأنى) بالأسكان مكى
يأنى حفص بفضه في كل
القرآن (لا تشرك بالله إن
الشرك لظلم عظيم) لأنه
نسوية بين من لانهمة الا
وهي منه ومن لانهمة له
أصلا (ووصينا الإنسان
بوالديه حمته أمه وهناعلى
وهن) أي حمته تمنهن
وهناعلى وهن أي تضعف
ضعفا فوق ضعف أي
يتزايد ضعفها ويتضاعف
لأن الحمل كلما ازداد أو
عظم ازدادت ثقلا وضعفا
(وفصاله في عامين) أي
فطامه عن الرضاع لتمام
عامين (أن اشكر لى
ولوالبديك) هو نفسه ير

والحكمة فاختار الحكمة وروى أنه كان نائمًا نصف الليل فنودي بالقمان هل لك أن نجعلك خليفة في
الأرض فتصمك بين الناس فأجاب الصوت فقال إن خير في ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وإن عزم على
فسمعنا وطاعة وإني أعلم أن الله أن فعل بي ذلك أعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم بالقمان قال
إن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاها الظلم من كل مكان إن عدل فبالحرى أن ينجو وإن أخطأ الطريق
أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا لا خير من أن يكون شريفًا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه
الدنيا ولم يصب الآخرة فحجبت الملائكة من حسن منطقته فنام نومة فأعطى الحكمة فأنبه وهو يتكلم بهائم
نودي دواء بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهو في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان
لقمان يوازروا دوا الحكمة وقيل كان لقمان عبدًا حبشيا نجارا وقيل كان خياطًا وقيل كان راعي غنم
فروى أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال ألسنت فلانا الراعي قال بلى قال فبم بلغت ما بلغت قال بصدق
الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعينني وقيل كان عبداً أسود عظيم الشفتين مشفق القدمين وقيل خير
السودان بلال بن رباح ومهجع مولى عمر ولقمان والنجاشي رابعهم أوتي الحكمة والعقل والفهم وقيل
العلم والعمل به ولا يسمى الرجل حكيمًا حتى يجمعهما وقيل الحكمة المعرفة والأصابة في الأمور وقيل
الحكمة شيء يجعله الله في القلب ينوره كما ينور البصر فيدرك البصر ﴿وقوله (أن اشكر الله) وذلك لأن
المراد من العلم العمل به والشكر عليه (ومن يشكر فأنما يشكر لنفسه) أي عليه يعود نفع ذلك وكذلك
كفرانه (ومن كفر) عليه يعود وبال كفره (فإن الله غني) أي غير محتاج إلى شكر الشاكرين (حميد) أي
حقيق بأن يحمد وأن لم يحمد أحد ﴿وقوله تعالى (وإذ قال لقمان لابنه) قيل اسمه أنعم وقيل أشكم (وهو
يعظه) وذلك لأن أعلى مراتب الإنسان أن يكون كاملاً في نفسه مكملًا لغيره فقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة
أن اشكر لله إشارة إلى الكمال وقوله وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه إشارة إلى التكميل لغيره وبدءًا بالأقرب
إليه وهو ابنه وبدءًا في وعظه بالأهم وهو المنع من الشرك وهو قوله (يأنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم
عظيم) لأن النسوية بين من يستحق العبادة وبين من لا يستحقها ظلم عظيم لأنه وضع العبادة في غير موضعها
﴿قوله عز وجل (ووصينا الإنسان بوالديه حمته أمه وهناعلى وهن) قال ابن عباس شدة بعد شدة وقيل
إن ما أذا حلت توالى عليها الضعف والتعب والمشقة وذلك لأن الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف
والرضاعة ضعف (وفصاله في عامين) أي فطامه في سنتين (أن اشكر لى ولوالبديك إلى المصير) لما جعل الله
بفضلته للوالدين صورة التربية الظاهرة وهو الموجد والمربي في الحقيقة جعل الشكر بينهما فقال اشكر لى
ولوالبديك ثم فرق فقال إلى المصير يعني أن نعمتهم مختصة بالدين ونعمتي عليك في الدنيا والآخرة وقيل لما أمر
بشكره وشكر الوالدين قال الجزاء على وقت المصير إلى قال سفيان بن عيينة في هذه الآية من صلى الصلوات
الحسنة فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الحسنة فقد شكر الوالدين (وإن جاهدك على أن
تشرك في ما ليس لك به علم فلا تطعمهما) قال النخعي يعني إن طاعتهم وأجبتهم فإن أفضى ذلك إلى الأشرارك في

لوصينا أي وصينا بشكرنا وبشكر والديه وقوله حمته أمه وهناعلى وهن وفصاله في عامين اعتراض فلا
بين المفسر والمفسر لأنه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأم وتعاينيه من المشاق في حملة وفصاله هذه المدة الطويلة تذكيرا بحقوقها العظيم
مفردا وعن ابن عيينة من صلى الصلوات الحسنة فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الحسنة فقد شكرهما (إلى المصير) أي
مصيرك إلى حسابك على (وإن جاهدك على أن تشرك في ما ليس لك به علم) أراد بنى العلم به نفيه أي لا تشرك في ما ليس بشيء يريد
الاصنام (فلا تطعمهما) في الشرك

(وصاحبهما في الدنيا معروفًا) صفة مصدر محذوف أي صحابا معروفا وحسن خلق جميل وحلم واحتمال وبروصلة (واتبع سبيل من أناب إلى) أي سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا وقال ابن عطاء صاحب من ترى عليه أنوار خدمتي (ثم إلى مرجعكم) أي مرجعك ومرجعها (فانبتكم بما كنتم تعملون) فجاز بك على إيمانك وأجاز بهما على كفرهما وقد اعترض بهاتين الآيتين على سبيل الاستطراد تأكيديا في وصية لقمان من النهي عن الشرك يعني اننا وصيناك بالدين وأمرنا أن لا يطيعهما في الشرك وان جاهدنا كل الجهد لقبحه (يا بني انما انك مثقال حبة من خردل) بالرفع مدني والضمير للقصة وأنت المثقال لضافته إلى الحبة كما قاله كما شرقت صدر القناة من الدم * وكان تامة والباقون بالنصب والضمير للهيئة من الاساءة والاحسان أي ان كانت مثلا في الصغر حبة خردل (فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض) أي فكانت مع صنرها في أخفى موضع (٤٧١) وأحرزه بكجوف الصخرة أو حيث

كانت في العالم العلوي أو السفلي والاكثر على انها التي عليها الارض وهي السجين يكتب فيها أعمال الفجار وليست من الارض (يات بها الله) يوم القيامة فيحاسب بها عملها (ان الله لطيف) يتوصل علمه إلى كل خفي (خير) عالم بكنهه أو لطيف باستخراجها خير بمستقرها (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) في ذات الله تعالى اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر أو على ما أصابك من المحن فانها تورث المنح (ان ذلك) الذي وصيتك به (من عزم الامور) أي مما عزمه الله من الامور أي قطعه قطع ايجاب والزام أي أمر به أمرا حتما وهو من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الامور أي مقطوعاتها

فلا تطعهما في ذلك لانه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق (وصاحبهما في الدنيا معروفًا) أي بالمعروف وهو البر والصلة والعشرة الجميلة (واتبع سبيل من أناب إلى) أي اتبع دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل من أناب إلى يعني أبا بكر الصديق قال ابن عباس وذلك انه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وأمنت به قال نعم انه صادق فاتموا به ثم جملهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا فلهذا سلموا سابقا للاسلام أسلموا بآرصاد أبي بكر (ثم إلى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يا بني انما انك مثقال حبة من خردل) وذلك ان ابن لقمان قال لا يبيد يا بئ ان عمات الخطيئة حيث لا يراي أحد كيف يعلمها الله قال يا بني انما أي الخطيئة انك مثقال حبة من خردل أي في الصغر (فتكن) أي مع صغرها (في صخرة) قال ابن عباس صخرة تحت الارضين السبع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها وقيل خلق الله الارض على حوت وهو النون والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك وقيل على ظهر ثور وهو على صخرة وهي التي ذكر لقمان ليست في الارض ولا في السماء فلذلك قال (أو في السموات أو في الارض) والصخرة على متن الريح والريح على القدرة (يات بها الله) معناه الله عالم بها قادر على استخراجها وهو قوله (ان الله لطيف) أي باستخراجها (خير) أي بمكانها ومعنى الآية الاحاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها قيل ان هذه الكلمة آخر كلمة قالها لقمان فانثقت مرارته من هيبتها وعظمتها فات (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) من الاذى (ان ذلك من عزم الامور) يعني اقامة الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الاذى من الامور الواجبة التي أمر الله بها (ولاتصاعر) وقرئ تصعر (خذك للناس) قال ابن عباس لا تكبر فتحققر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه محبة فيلقاك فتعرض عنه وقيل هو الذي اذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحققر الفقراء فليكن الفقير والغني عندك سواء (ولاتمش في الارض مرحا) اي خيلاء (ان الله لا يحب كل مختال) في مشيه (خفور) أي على الناس (واقصد في مشيك) أي ليكن في مشيتك قصد بين الاسراع والتأني أما الاسراع فهو من الخيلاء وأما التأني فهو ان يري في نفسه الضعف تزهدا وكلا الطرفين مذموم بل ليكن مشيك بين السكينة والوقار (واغضض) أي اخفض وقيل انقص (من صوتك ان أنكر) أي أقمج (الاصوات اصوات الجبر) لان أوله زفير وآخره شهيق وهما صوت أهل النار وعن الثوري في هذه الآية قال

ومفروضاتها وهذا دليل على ان هذه الطاعات كانت مأمورا بها في سائر الامم (ولاتصعر خذك للناس) أي ولا تعرض عنهم تكبرا تصاعرا أبو عمرو ووافق وحزة وعلى وهو بمعنى تصعر والصعر داء يصيب البعير يلوى منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعله المتكبرون (ولاتمش في الارض مرحا) أي ترح مرحا وأوقع المصدر موقع الحال أي مرحا أو لاتمش لاجل المرح والاشتر (ان الله لا يحب كل مختال) متكبر (خفور) من يعدد مناقبه تطاولا (واقصد) التقصد التوسط بين العلو والتقصير (في مشيك) أي اعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لاندب ديب المتأوتين ولا تشب وثوب الشطار قال عليه السلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وأما قول عائشة في عمر رضي الله عنه كان اذا مشى أسرع فالتأخر اذت السرعة المرتفعة عن ديب المتأوت وعن ابن مسعود رضي الله عنه كانوا ينهون عن خيب اليهود وديب النصارى ولكن مشيا بين ذلك وقيل معناه وانظر موضع قدميك متواضعا (واغضض من صوتك) وانقص منه أي اخفض صوتك (ان أنكر الاصوات) أي أوحشها (اصوات الجبر) لان أوله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار وعن

الثوري صياح كل شيء تسبيح الاحجار فانه يصيح لرؤية الشيطان ولذلك سماه الله منكر او في تشبيه الرافعين اصواتهم بالخبر وتمثيل اصواتهم بالنهاق تنبيه على ان رفع الصوت في غاية الكراهة يؤثر به ما روى انه عليه السلام كان يهجه ان يكون الرجل خفيض الصوت ويكره ان يكون مجهور الصوت وانما وجد صوت الخبر ولم يجمع لانه لم يرد ان يذ كر صوت كل واحد من آجاده هذا الجنس حتى يجمع بل المراد ان كل جنس من الحيوان له صوت وانكر اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيد (الم تر وان الله سخر لكم ما في السموات) يعني الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك (وما في الارض) يعني البحار والانهار والمعادن والدواب وغير ذلك (واسبح) واتم (عليكم نعمه) مدني وبوعمر ووسهل وحفص نعمته غيرهم والنعمة كل نفع قصد به الاحسان (ظاهرة) بالمشاهدة (وباطنة) بالايظم الابدائي ثم قيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما شبه ذلك وروى في دعاء موسى عليه السلام الهى داني

(٤٧٢)

موسى عليه السلام الهى داني

صياح كل شيء تسبيح الاحجار وقيل معنى الآية هو العطسة القبيحة المنكرة قال وهب تكلم لقمان بالى عشر الف باب من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم وقضاياهم ومن حكمته قيل انه كان عبدا حبشيا فدفع اليه مولا شاة وقال له اذبحها واثنى بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب ثم دفع اليه أخرى وقال له اذبحها واثنى بأخبث مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فسأله مولا له فقال ليس شيء أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا وقال لقمان ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس وقيل للقمان أى الناس ثم قال الذى لا يبالي أن يراه الناس مسيا في قوله عز وجل (الم تر وان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبح) أى أتم وأكمل (عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) قال ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقرآن والباطنة ما ستر عليكم من الذنوب ولم يجعل عليكم بالنعمة وقيل الظاهرة تسوية الاعضاء وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد باللائكة وقيل الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت في النضر بن الحرث وأبى بن خلف وأمية بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله وفي صفاته بغير علم (ولا هدى ولا كتاب منير) واذا قيل لهم انزل الله قالوا بل نتبع معناه أيتبعونهم وان كان الشيطان يدعوهم (أولو كان الشيطان يدعوهم) أى يخلص لله دينه ويفوض اليه أمره (وهو محسن) أى في عمله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أى اعتصم بالعهد الاوثق الذى لا يخلف عهده ولا يخاف انقطاعه ويرتقى بسببه الى أعلى المراتب والغايات (والى الله عاقبة الامور) أى مصير جميع الاشياء اليه (ومن كفر فلا يحزنك كفره) أى كفرهم فنبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور) أى لا يخفى عليه سرهم وعلايتهم (قوله تعالى) (تمتعهم قليلا) أى غمهم ليقتنعوا بنعيم الدنيا الى انقطاع آجالهم (ثم نضطرهم) أى نلجئهم ونردهم (الى عذاب غليظ) الى النار فى الآخرة (ولئن

الشرائع وتضعيف الدرائع والخلق والخلق ونيل العطايا وصرف البلايا وقبول الخلق ورضا الرب وقال ابن عباس الظاهرة ما سوى من خلقك والباطنة ما ستر من عيوبك (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) نزلت في النضر بن الحرث وقدم في الحج (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فى حال دعاء الشيطان ايهم

الى العذاب (ومن يسلم وجهه الى الله) عدى هنا بالى وفي

سالتهم

بلى من أسلم وجهه لله باللام فعناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله أى خالصا ومعناه مع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه (وهو محسن) فيما يعمل (فقد استمسك) تمسك وتعلق (بالعروة) هى ما علق به الشيء (الوثقى) تأنيث الاوثق مثل حال المتوكل بحال من أراد ان يتدلى من شاة فاحتاط لنفسه بان استمسك بلوثق عروة من جبل متين مأمون انقطاعه (والى الله عاقبة الامور) أى هى صائرة اليه فيجازى عليها (ومن كفر) ولم يسلم وجهه لله (فلا يحزنك كفره) من حزن يحزنك نافع من حزن أى لا يهمنك كفر من كفر (الينامر جمعهم فنبئهم بما عملوا) فنعاقيهم على أعمالهم (ان الله عليم بذات الصدور) ان الله يعلم ما فى صدور عباده فيفعل بهم على حسب (تمتعهم) زمانا (قليلا) بدنياهم (ثم نضطرهم) نلجئهم (الى عذاب غليظ) شديد يشبه الزاهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشيء والغلاظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب (وانى

سألهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله) الزام لهم على اقرارهم بأن الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره ثم قال (بل أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك يلزمهم واذا نهبوا عليه لم يقنهبوا (الله مافي السموات والارض ان الله هو الغني) عن جدا الحامدين (الحمد) المستحق للحمد وان لم يحدوه قال المشركون ان هذا أي الوحي كلام سينفذ فاعلم الله أن كلامه لا ينفذ بقوله (ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) والبحر بالنصب أبو عمرو ويعقوب عطف على اسم أن وهو ما والرفع على محل أن ومعمولها أي ولو ثبت كون الاشجار أقلاما وثبت البحر بمدود ا بسبعة أبحر أو على الابتداء والاول للحال على معنى ولو أن الاشجار أقلام في حار كون البحر بمدود او قرى بيمده وكان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر بمداد لكن أغنى عن ذكر المداد قوله بيمده لانه من قولك مد الدواء وأمدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواء وجعل البحر السبعة بمداد افهني نصب فيه مدادها أبدأ صبا لا ينقطع والمعنى ولو أن أشجار الارض أقلام والبحر بمدود ا بسبعة أبحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله قل لو كان البحر مداد الكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي فان قلت زعمت أن قوله والبحر يمده حال في أحد وجهي (٤٧٣) الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذي الحال قلت هو كقولك

جئت والجيش مصطفى وما أشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف وانما ذكر شجرة على التوحيد لانه أريد تفصيل الشجر وتفصيلها شجرة شجرة حتى لا يدق من جنس الشجر ولا واحدة الا وقد ريت أقلاما وأثر الكلمات وهي جمع قلة على الكلام وهي جمع كثرة لان معناه ان كلماته لا تنفي بكتبها البحار فكيف بكلمه (ان الله عزيز) لا يجزه شيء (حكيم) لا يخرج من علمه وحكمته شيء فلا تنفذ كلماته وحكمه (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة)

سألهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون الله مافي السموات والارض ان الله هو الغني الحميد) تقدم تفسيره قوله تعالى (ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام) قال المفسرون لما نزلت بمكة ويستلونك عن الروح الآية وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه أخبار اليهود وقالوا يا محمد بلغنا أنك تقول وما أوتيتهم من العلم الا قليلا أتعدنا أم قومك فقال عليه الصلاة والسلام كلا قد عنيت قالوا أأنت تتلو فما جاءك انا أوتينا التوراة فيها علم كل شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد أنا كم الله بما ان علمتم به اتفغتم به قالوا كيف تزعم هذا وأنت تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فكيف يجمع علم قليل مع خير كثير فأ نزل الله هذه الآية فعلى هذا تكون هذه الآية مدنية وقيل ان اليهود امر واو فدق ريش ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا له ذلك وهو بمكة وقيل ان المشركين قالوا ان القرآن وما يأتي به محمد يوشك أن ينفذ فينقطع فأ نزل الله تعالى ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام أي فريت أقلاما وقيل بعد ذلك شجرة قلم (والبحر يمده) أي يز يده وينصب اليه (من بعده سبعة أبحر) أي مدادوا الخلاق يكتبون به كلام الله (ما نفدت كلمات الله) لانها لانهاية طبا (ان الله عزيز حكيم) قوله تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) أي الا خلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شيء (ان الله سميع) أي لا قوالكم (بصير) باعمالكم (ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق) أي ذلك الذي هو قادر على هذه الاشياء التي ذكرت هو الحق المستحق للعبادة (وأن ما يدعون من دونه الباطل) أي لا يستحق العبادة (وأن الله هو العلي) أي في صفاته له الصفات العليا والاسماء الحسنى (الكبير) في ذاته لانه أكبر من كل كبير (قوله تعالى (ألم تر أن الفلك) أي السفن والمراكب (تجري في البحر بنعمت الله) أي ذلك من نعمته الله عليكم (ليريبكم من آياته) أي من عجائب صنائه

(٦٠ - (خازن) - ثالث) الا خلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة فذف للعلم به أي سواء في قدرته

القليل والكثير فلا يشغله شأن عن شأن (ان الله سميع) لقول المشركين انه لا بعث (بصير) باعمالهم فيجازيهم (ألم تر أن الله يولج الليل في النهار) يدخل ظلمة الليل في ضوء النهار اذا أقبل الليل (ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر) لمنافع العباد (كل) أي كل واحد من الشمس والقمر (يجري) في فلكه ويقطعه (الى أجل مسمى) الى يوم القيامة أو الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر (وأن الله بما تعملون خبير) وبالبياء عياش دل أيضا بتعاقب الليل والنهار ويزادتهما ونقصانها وجرى النيران في فلكيهما على تقدير وحساب وباحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وكمال حكمته (ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون) بالبياء عراقى غير أبي بكر (من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير) أي ذلك الوصف الذي وصف به من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجناد الذي يدعونه من دون الله انما هو بسبب أنه هو الحق الثابت الالهية وأن من دونه باطل الالهية وأنه هو العلي الشأن الكبير (ألم تر أن الفلك) وقرى ذلك وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل (تجري في البحر بنعمت الله) باحسانه ورجته وبالريح لان الريح من نعم الله (ليريبكم من آياته) عجائب قدرته البحر اذا ركبتموها

(ان في ذلك آيات لكل صابر) على بلائه (شكور) لنعماته وهما صفتا المؤمن فالإيمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر فكانه قال ان في ذلك آيات لكل مؤمن (واذا غشبهم) أي الكفار (موج كالظلل) الموج يرتفع فيعود مثل الظلل والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحب أو غيرهما (دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاههم إلى البر ففهم مقتصد) أي باق على الإيمان والاحلاص الذي كان منه ولم يعد إلى الكفر أو مقتصد في الاخلاص الذي كان عليه في البصر يعني ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قطو المقتصد قليل نادر (وما يجحد بآياتنا) أي بحقيتها (الا كل ختار) غدار والختر أقبح العذر (كفور) لربه (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده) لا يقضي عنه شيئاً والمعنى (٤٧٤) لا يجزي فيه غداف (ولامولود هو جازعن والده شيئاً) وارد على طريق من التوكيد لم يرد

عليه ما هو معطوف عليه لان الجملة الاسمية أكد من الجملة الفعلية وقد انضم إلى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في ذلك ان الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر فارتد حسم اطماعهم ان ينفخوا آباءهم بالشفاعة في الآخرة ومعنى التأكيد في لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلاً ان يشفع لاجداده اذا الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك كذا في الكشاف (ان وعد الله) بالبعث والحساب والجزاء (حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا) بزيتها فان نعمتها دانية ولذتها قانية (ولا يعرنكم بالله الفرور) الشيطان أو الدنيا والامل

(ان في ذلك آيات لكل صابر) أي على ما أمر الله (شكور) لانعامه (واذا غشبهم موج كالظلل) أي كالجبال وقيل كالسحاب شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها (دعوا الله مخلصين له الدين) معناه ان الانسان اذا وقع في شدة ابتهل الى الله بالدعاء وترك كل من عداه ونسى جميع ما سواه فاذا نجح من تلك الشدة ففهم من يبقى على تلك الحالة وهو المقتصد وهو قوله تعالى (فلما نجاهم إلى البر ففهم مقتصد) أي عدل موقف في البر بما عاهد عليه الله في البحر من التوحيد والنبوت على الإيمان وقيل نزلت في عكرمة بن أبي جهل وذلك انه هرب عام الفتح إلى البحر فجاهاهم ربح عاصف فقال عكرمة لئن أنجنا الله من هذا الأرجح إلى محمد صلى الله عليه وسلم ولا ضمن يده في يدي فسكت الرجح ورجع عكرمة إلى مكة وأسلم وحسن اسلامه ومنهم من لم يوف بما عاهد وهو المراد بقوله (وما يجحد بآياتنا الا كل ختار) أي غدار (كفور) أي جحود لانعمنا عليه وقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا) أي وخافوا (يوماً لا يجزي والد عن ولده) ولا يغني (والد عن ولده ولا مولود هو جازعن والده شيئاً) قيل معنى الآية ان الله ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد فنبه بالاعلى على الادنى وبالادنى على الاعلى فالوالد يجزي عن ولده لكمال شفقتة عليه والولد يجزي عن والده لما له من حق التربية وغيرها فاذا كان يوم القيامة فكل انسان يقول نفسي نفسي ولا يهتم بقريب ولا بعيد كما قال ابن عباس كل امرئ تهمة نفسه (ان وعد الله حق) قيل انه تحقيق اليوم معناه اخشوا يوماً هذا شأنه وهو كائن لو وعد الله به ووعدته حق وقيل الآية تحقيق بعدم الجزاء يعني لا يجزي والد عن ولد في ذلك اليوم والقول الاول أحسن وأظهر (فلا تفرنكم الحياة الدنيا) أي لانها قانية (ولا يفرنكم بالله الفرور) يعني الشيطان قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصي ويتمنى المغفرة وقوله تعالى (ان الله عنده علم الساعة) الآية نزلت في الحرث بن عمرو بن حارثة بن حفصة من أهل البادية أي النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة ووقتها وقال ان أرضنا أجرت فقلت لي متى ينزل الغيث وتركت امرأتني حبلتي فتى نادى ولقد علمت أين ولدت فبأي أرض أموت فانزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير ومعنى الآية ان الله عنده علم الساعة فلا تدرى أحد من الناس متى تقوم الساعة في أي سنة أو أي شهر أو أي يوم ليلاً أو نهاراً (وينزل الغيث) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلاً أو نهاراً الا الله (ويعلم ما في الارحام) اذ كرام أتتى أحراماً أسود نام الخلق أم ناقص (وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً) من خيراً أو شر (وما تدرى نفس بأي أرض تموت) أي

(ان الله عنده علم الساعة) أي وقت قيامها (وينزل) بالتشديد شامياً ومدني وعاصم وهو عطف على ما يقتضيه الظرف أي من الفعل تقديره ان الله ينبت عنده علم الساعة وينزل (الغيث) في ابائه من غير تقديم ولا تاخير (ويعلم ما في الارحام) اذ كرام أتتى نام ناقص (وما تدرى نفس) برة أو فاجرة (ماذا تكسب غداً) من خيراً أو شروراً بما كانت عازمة على خير فعمات شر أو عازمة على شر فعمات خيراً (وما تدرى نفس بأي أرض تموت) أي أين تموت وربما أقامت بأرض وضربت أو نادها وقالت لا أبرحها فترمي بها امرأى القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها روى ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال له ملك الموت قال كانه يريدني وسأل سليمان عليه السلام أن يحمله على الرجح ويلقيه بيلاذ الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظري اليه تهجأ منه لاني أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبيد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان أعملت

الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان اعلمت حيلها ما يختص بها ولا شئ اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما كان معرفة ما عداهما ابعداً وأما المنجم الذي يخبر بوقت الغيث والموت فانه يقول بالقياس والنظر في الطالع وما يدرك بالدليل لا يكون غيباً على انه مجرد الظن والظن غير العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب ورأى المنصور في منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدة عمره فاشار باصابعه الخمس يعبرها المعبرون بخمس سنوات وبخمس أشهر وبخمس أيام فقال أبو حنيفة رضي الله عنه هو اشارة الى هذه الآية فان هذه العلوم الخمسة لا يعلمها الا الله (ان الله عليم بالغيب) (خير) بما كان ويكون وعن الزهري رضي الله تعالى عنه أكثر واقراءة سورة لقمان فان فيها أعاجيب والله أعلم ﴿سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية مدني وكوفي وتسع وعشرون آية بصري﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿الم﴾ على انها السورة مبتدأ وخبره

السورة مبتدأ وخبره (تنزيل الكتاب) وان جعلتها تعدد الحروف ارتفع تنزيل بانه خير مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ خبره (لا ريب فيه) أو يرتفع بالابتداء وخبره (من رب العالمين) ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك أي في كونه منزلاً من رب العالمين لانه مجزئ للبشر ومثله ابعده شئ من الريب ثم اضرب عن ذلك الى قوله (أم يقولون افتراه) أي اختلقه محمد لان أم هي المنقطة الكائنة بمعنى بل والهمزة معناه بل أي يقولون افتراه انكار القولهم وتجييباً منهم لظهور أمره في عجز بلغاتهم عن مثل ثلاث آيات منه (بل هو الحق) ثم اضرب عن الانكار الى

أي ليس أحد من الناس يعلم أين مضجعه من الارض في براو بحر في سهل أو جبل (ان الله عليم) أي بهذه الاشياء وبغيرها (خير) أي ببواطن الاشياء كلها ليس علمه محيط بالظاهر فقط بل علمه محيط بالظاهر والباطن قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفى فن ادعى انه يعلم شيئاً من هذه فانه كفر بالقرآن لانه خالفه والله تعالى أعلم بمراد وأسرار كتابه ﴿تفسير سورة السجدة وهي مكية﴾
قال عطاء الاثلاث آيات من قوله أفمن كان مؤمناً وهي تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية وثلاثمائة وثمانون كلمة وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفاً والله تعالى أعلم ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
﴿قوله عز وجل (الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه) أي لا شك فيه انه (من رب العالمين أم يقولون) أي بل يقولون يعني المشركين (افتراه) يعني اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه (بل هو الحق) أي القرآن (من ربك لتندرقوما ما أتاهم من نذير من قبلك) يعني العرب كانوا أمة أمية لم يهتم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فان قلت اذالم ياتهم رسول لم تقم عليهم حجة قلت أم اقيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا من جهة الرسل فلا أم اقيام الحجة بمعرفة الله وتوحيده فنع لان معهم أدلة العقل الموصلة الى ذلك في كل زمان (لعلمهم يهتدون) يعني تنذرهم راجياً لهدايتهم (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلاتندكرون) تقدم تفسيره ﴿قوله تعالى (يدبر الامر) أي يحكم الامر وينزل القضاء والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام (من السماء الى الارض ثم يعرج) أي يصعد (اليه) جبريل بالامر (في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) يعني مسافة ما بين السماء والارض خمسمائة سنة فيكون مقدار نزوله الى الارض ثم صعوده الى السماء في مقدار ألف سنة لو ساره أحد من بني آدم وجبريل ينزل ويصعد في مقدار يوم من أيام الدنيا وأقل من ذلك وكذلك الملائكة كلهم أجمعون وقيل معنى الآية انه يدبر الامر من السماء الى الارض مدة أيام الدنيا ثم يعرج اليه أي يرجع الامر والتدبير اليه بعد فناء الدنيا وانقطاع أمر الامر وحكم الحاكم في يوم كان مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة فان قلت قد قال في موضع آخر تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فكيف الجع بينهما قلت أراد بقوله خمسين ألف سنة مدة المسافة بين الارض وسدرة المنتهى التي هي مقام

اثبات انه الحق (من ربك) ولم يفتره محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوا تعصوا وجهلاً (لتندرقوما) أي العرب (ما أتاهم من نذير من قبلك) مالم تنق والجملة صفة لقوما (لعلمهم يهتدون) على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان له بتدكر على الترجي من موسى وهرون (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) استولى عليه باحدانه (مالكم من دونه) من دون الله (من ولي ولا شفيع) أي اذا جاوزتم رضاهم تجددوا لانفسكم ولياً أي ناصر ابنصركم ولا شفيعاً يشفع لكم (أفلاتندكرون) تعظون بعواظ الله (يدبر الامر) أي امر الدنيا (من السماء الى الارض) الى أن تقوم الساعة (ثم يعرج اليه) ذلك الامر كله أي يصير اليه ليحكم فيه (في يوم كان مقداره ألف سنة) هو يوم القيامة (مما تعدون) من أيام الدنيا ولا تمسك للمثبة بقوله اليه في اثبات الجهة لان معناه الى حيث يرضاه أو أمره كما لا تثبت لهم بقوله اني ذاهب الى ربي اني مهاجر الى ربي ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله

(ذلك عالم الغيب والشهادة) أي الموصوف بما مر عالم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه (العزيز) الغالب أمره (الرحيم) البالغ لطفه ونسيده
وقيل لا وقف عليه لان (الذي) صفته (أحسن كل شيء) أي حسنه لان كل شيء مرتقب على ما اقتضته الحكمة (خلقه) كوفي ومافع
وسهل على الوصف أي كل شيء خلقه فقد أحسن خلقه غيرهم على البذل أي أحسن خالق كل شيء (وبدأ خلق الانسان) آدم (من طين ثم
جعل نسله) ذريته (من سلاله) من نطفة (من ماء) أي مني وهو بدل من سلاله (مهين) ضعيف حقير (ثم سواه) قومه كقوله في أحسن
تقوم (ونفخ) ادخل (في من روحه) الاضافة للاختصاص كأنه قال ونفخ فيه من النبي الذي (٤٧٦)

اختص هو به وبعلمه
(وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة) لتسمعوا
وتبصروا وتعقلوا (قليلًا
ما تشكرون) أي تشكرون
قليلًا (وقالوا) القائل أبي
ابن خلف ورضاهم بقوله
أسند اليهم (أنذا ضلنا
في الارض) أي صرنا
ترابًا وذهبنا مختلطين بتراب
الارض لا يتميز منه كما
يضل الماء في اللبن أو
عشاق الارض بالدفن فيها
وقرأ على ضلنا بكسر
اللام يقال ضل يضل وضل
يضل واتصب الطرف
في انذا ضلنا بما يدل عليه
(أننا لفي خلق جديد)
وهو نبعث بلهم (بلقاء ربهم
كافرون) جاحدون لما
ذكر كفرهم بالبعث
اضرب عنه الى ما هو أبلغ
وهو انهم كافرون بجميع
ما يكون في العاقبة لا بالبعث
وحده (قل يتوفاكم ملك
الموت الذي وكل بكم ثم الى
ربكم ترجعون) أي

جبريل عليه السلام يقول يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم
واحد من أيام الدنيا وقيل كلها في القيامة فيكون على بعضهم مثل ألف سنة وعلى بعضهم خمسين ألف سنة
وهذا في حال الكفار وأما على المؤمنين فدون ذلك كما جاء في الحديث انه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة
صلاها في الدنيا قال ابراهيم التيمي لا يكون على المؤمنين الا كما يكون ما بين الظهر والعصر وقيل يحتمل ان
يكون هذا اخبارا عن شدته وهوله ومشتقته وقال ابن أبي مليكة دخلت انا وعبدة الله بن فيروز مولى عثمان
على ابن عباس فسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن مقدار خمسين ألف سنة فقال ابن عباس رضي الله عنهما
أيام مباحها الله تعالى لأدري ما هي وأكره ان أقول في كتاب الله ما لا أعلم (ذلك عالم الغيب والشهادة) يعني
الذي صنع ما ذكر من خلق السموات والارض هو عالم الغيب والشهادة أي ما غاب عن خلقه لا تخفى عليه
خافية والشهادة بمعنى ما حضر وظهر (العزيز) أي الممتنع المنتقم من أعدائه (الرحيم) باوليائه وأهل
طاعته (قوله تعالى) (الذي أحسن كل شيء خلقه) قال ابن عباس أتقنه وأحكمه وقيل علم كيف يخلق كل
شيء وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل في صورته
حسن في شكله وكل عضو من أعضائه مقدر على ما يصلح به معاشه وقيل معناه اتم خلقه ما يحتاجون اليه
وعلمهم اياه وقيل معناه أحسن الى كل خلقه (وبدأ خلق الانسان من طين) يعني آدم (ثم جعل نسله) يعني
ذريته (من سلاله) أي من نطفة تنسل من الانسان (من ماء مهين) أي ضعيف (ثم سواه) أي سوى خلقه
(ونفخ فيه من روحه) أضاف اليه الروح اضافة تشريف كيت الله وناقاة الله ثم ذكر ما يرتب على نفخ
الروح في الجسد فقال (وجعل لكم) أي خلق بعد ان كنتم تطفامواتا (السمع والابصار والافئدة) قيل
قدم السمع لان الانسان يسمع أولا كلاما فينظر الى قائله ليعرفه ثم يتفكر بقلبه في ذلك الكلام ليفهم
معناه ووجد السمع لان الانسان يسمع الكلام من أي جهة كان (قليلًا ما تشكرون) يعني انكم لا تشكرون
رب هذه النعمة فتوحدوه الا قليلا (قوله تعالى) (وقالوا) يعني منكرو البعث (أنذا ضلنا) هل كنا (في
الارض) والمعنى صرنا ترابا (أننا لفي خلق جديد) استفهام انكاري قال الله تعالى (بل هم بلقاء ربهم
كافرون) أي بالبعث بعد الموت (قل يتوفاكم) أي يقبض أرواحكم حتى لا يبقى أحد ممن كتب عليه الموت
(ملك الموت) وهو عزرائيل عليه السلام (الذي وكل بكم) أي انه لا يغفل عنكم واذا جاء أجل أحدكم لا يؤخر
ساعة ولا يشغل له الا ذلك روى ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد ياخذ منها صاحبها ما أحب من
غير مشقة فهو يقبض أرواح الخلائق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من الملائكة ملائكة الرحمة
وملائكة العذاب وقال ابن عباس ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت له الارض
مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ان ملك الموت على معراج بين السماء والارض فتزغ أعوانه روح
الانسان فاذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت عن معاذ بن جبل قال ان ملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق
والمغرب وهي تصفح وجوه الناس فامن أهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فاذا رأى انما
قد اتقضى أجله ضرب برأسه بتلك الحربة وقال له الآن تنزل بك سكرات الموت وقوله (ثم الي ربكم ترجعون)

يتوفاكم يقبض أرواحكم ثم ترجعون الى ربكم بعد ذلك مبعوثين للحساب
والجزاء وهذا معنى لقاء الله والتوفي استيفاء النفس وهي الروح أي يقبض أرواحكم أجمعين من قولك توفيت حتى من فلان اذا أخذته وافية
كلام من غير نقصان وعن مجاهد جويت ملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل ملك الموت يدعو الارواح
فتجيبه ثم يامر أعوانه بقبضها والله تعالى هو الأمر لذلك كما هو الخالق لافعال المخلوقات وهذا وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله توفيه
رسلا وقوله الله يتوفى الانفس حين موتها

(ولو ترى) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ولو امتناعية والجواب محذوف أي رأيت أمرا عظيما (إذا المجرمون) هم الذين قالوا أننا أضلنا في الأرض ولو واد للمضى وإنما جاز ذلك لأن المترقب من الله بمنزلة الموجود ولا يقدر لثري ما يتداوله كأنه قيل ولونكون منك الرؤية واذ ظرف له (نا كسوارؤسهم) من الذل والحياء والندم (عند ربهم) عند حساب ربهم ويوقف عليه لخلق الخذف إذا التقدير يقولون (ربنا ابصرنا) صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك (٤٧٧) تصديق رسلك أو كنا عميا

وصها فابصرنا وسمعنا (فارجعنا) إلى الدنيا (نعمل صالحا) أي الإيمان والطاعة (أنا موقنون) بالبعث والحساب الآن (ولوشئنا) لا يتناكل نفس هداها) في الدنيا (أي لوشئنا) أعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختيار ذلك لاهتدوا ولكن لم نعظم ذلك اللطف لما علمنا منهم اختيار الكفر وإيثاره وهو حجة على المعتزلة فإن عندهم شاء الله أن يعطى كل نفس ما به اهتدت وقد أعطاهما لكنها لم تهتدوهم أولوا الآية بمشيتة الجبر وهو تأويل فاسد لما عرف في تبصر الأداة (ولكن حق القول مني) لأن جنة من الجنة والناس أجمعين) ولكن وجب القول مني بما علمت أنه يكون منهم ما يستوجبون به جهنم وهو ما علم منهم أنهم يختارون الرد والتكذيب وفي تخصيص الأنس والجن إشارة إلى أنه عصم ملائكته عن عمل يستوجبون به جهنم (فذوقوا) العذاب (بما نسيتم

أي تصيرون إلى ربكم أحياء فيجزىكم بأعمالكم ﴿ قوله عز وجل (ولو ترى إذا المجرمون) أي المشركون (نا كسوارؤسهم عند ربهم) أي يطأطؤونها حياء من ربهم وندما على ما فعلوا عند ربهم يقولون (ربنا ابصرنا) أي ما كنا به مكذبين (وسمعنا) يعني منك تصديق ما اتقنا به رسلك وقيل ابصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل فيها (فارجعنا) أي فارددنا إلى الدنيا (نعمل صالحا أنا موقنون) أي في الحال آمناء ولكن لا ينفع ذلك الإيمان (ولوشئنا لا يتناكل نفس هداها) أي رشدها وتوفيقها للإيمان (ولكن حق القول مني) أي وجب القول مني (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أي من كفار الجن والانس (فذوقوا) أي فاذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة ذوقوا (بما نسيتم لقاء يومكم) أي تركتم الإيمان في الدنيا (هذا أنا نسيتكم) أي تركناكم بالكيفية غير ملتفت إليكم كما يفعل بالناس قطع الرجاكم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) أي من الكفر والتكذيب ﴿ قوله تعالى (انما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها) أي وعظوا بها (خروا سجدا) أي سقوا على وجوههم ساجدين (وسبحوا بحمدهم) أي صلوا بأمر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده (وهم لا يستكبرون) أي عن الإيمان به والسجود له (ق) عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة التي فيها السجدة فيسجد ويسجدون حتى ما يجد أحدا مكانا لوضع جبهته في غيره وقت الصلاة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلتنا أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار وهذه من عزائم سجود القرآن فقسن للقارى وللمستمع ﴿ قوله تعالى (تتجافى جنوبهم) أي ترتفع وتنبو (عن المضاجع) جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم المتهجدون بالليل الذين يقيمون الصلاة وقال أنس نزلت فينا معاشر الأنصار كنا صلى المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلى العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وفي رواية أبي داود عنه قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء أي يصلون وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر وقيل هي صلاة الأوابين وروى عن ابن عباس قال إن الملائكة تتحجب بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الأوابين وقال عطاءهم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الأخيرة والفجر في جماعة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله أخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلمون ما في العتمة والصبح لا توهموا ولو حبو أو أشهروا لا يلب أن المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والأوزاعي وجماعة

﴿ فصل في فضل قيام الليل والحث عليه ﴾ عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في

لقاء) بما تركتم من عمل لقاء (يومكم هذا) وهو الإيمان به (أنا نسيتكم) تركناكم في العذاب كالمفسى (وذوقوا عذاب الخلد) أي العذاب الدائم الذي لا انقطاع له (بما كنتم تعملون) من الكفر والمعاصي (انما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها) أي وعظوا بها (خروا سجدا) سجدوا لله تواضعا وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الإسلام (وسبحوا بحمدهم) ونزهوا الله عما لا يليق به واثنوا عليه حامدين له (وهم لا يستكبرون) عن الإيمان به والسجود له (تتجافى) ترتفع وتنحى (جنوبهم عن المضاجع) عن الفرش ومضاجع النوم قال سهل وهب

(بدعون) (داعين) (ربهم)
 عابدين له (خوفا وطمعا)
 مفعول له أي لاجل خوفهم
 من سخطه وطمعهم في
 رحمته وهم المتوجدون
 وعن النبي صلى الله عليه وسلم
 في تفسيرها قيام العبد من
 الليل وعن ابن عطاء أبت
 جنوبهم أن تسكن على
 بساط الغفلة وطلبت بساط
 القرية يعني بصلاة الليل
 وعن أنس كان أناس من
 أصحاب النبي صلى الله عليه
 وسلم يصلون من صلاة
 المغرب إلى صلاة العشاء
 الأخيرة فنزلت فيهم وقيل
 هم الذين يصلون صلاة العتمة
 لا ينامون عنها (ومما
 رزقناهم ينفقون) في طاعة
 الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى
 (لهم) ما بمعنى الذي أخفى
 على حكاية النفس حمزة
 ويعقوب (من قرأ عين)
 أي لا يعلم أحدا ما أعد هؤلاء
 من الكرامة (جزاء) مصدر
 أي جوز وجزاء (بما
 كانوا يعملون) عن الحسن
 رضي الله عنه أخفى القوم
 أعمالهم في الدنيا فأخفى الله
 لهم ما لا عين رأت ولا أذن
 سمعت وفيه دليل على أن
 المراد الصلاة في جوف الليل
 ليكون الجزاء موقفاً بين
 أن من كان في نور الطاعة
 والإيمان لا يستوى مع من
 هو في ظلمة الكفر والعصيان

سفرة فأصبحت يوم أقر يبا منه وهو يسير فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار
 قال سألت عن عظيم وأنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي
 الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفى الخطيئة
 وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأت تتجأ في جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون ثم قال ألا
 أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة
 وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله قال فاخذ بلسانه وقال أكف عنك
 هذا فقلت يا رسول الله واملأوا خدوني بما تنكحكم فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على
 وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم أخرجه الترمذي عن أبي امامة الباهلي عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى ربكم ونكفير للسيئات ومنهاة عن
 الآثام ومطرذة الداء عن الجسد أخرجه الترمذي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب
 ربنا من رجلين رجل ثار عن وطنه ولحقه من بين حبه وأهله إلى صلته فيقول الله عز وجل ملائكتنا انظروا
 إلى عبدي ثار عن فراشه ووطنه من بين حبه وأهله إلى صلته رغبة فيما عندي وشفقة بما عندي ورجل
 غزاقى سبيل الله وانهمزم مع أصحابه فعلم ما عليه في الانهزام وماله في الرجوع فرجع حتى أهرق دمه
 فيقول الله تعالى ملائكتنا انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة بما عندي حتى أهرق دمه أخرجه
 الترمذي بمعناه (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام
 بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تورمت قدماه فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من
 ذنبك وما تأخر قال أفلاً كون عبداً شكوراً عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة غرقاً
 يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها أعد الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام
 وصلى بالليل والناس نيام أخرجه الترمذي (خ) عن الهيثم بن أبي سنان أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه في
 قصة بذكر النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن أخاك لا يقول الرفث يعني بذلك ابن رواحة
 قال وفيما رسول الله يتلو كتابه * إذا انشق معروف من الفجر ساطع
 أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات ماذا قال واقع
 بيت يجافي جنبه عن فراشه * إذا استثقلت بالكافرين المضاجع
 أخرجه البخاري وليس للهيثم بن سنان عن أبي هريرة في الصحيحين غير هذا الحديث * وقوله تعالى
 (بدعون ربهم خوفاً وطمعا) قال ابن عباس خوفاً من النار وطمعاً في الجنة (ومما رزقناهم ينفقون) قيل أراد به
 الصدقة المفروضة وقيل بل هو عام في الواجب والتطوع * قوله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة
 أعين) أي مما تقر به أعينهم فلا يلتفتون إلى غيره قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له وقيل أخفوا
 أعمالهم فأخفى الله ثوابهم (جزاء بما كانوا يعملون) أي من الطاعات في دار الدنيا (ق) عن أبي هريرة
 رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
 رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وافرؤا ان شتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين * قوله
 تعالى (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستورون) نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عتبة بن أبي
 معيط كان بينهما تنازع وكلام في شيء فقال الوليد لعلي اسكت فانك صبي وأنا شيخ والله إنني أبسط منك
 لساناً وأحد منك سناناً وأشجع منك جناهاً وأملأ منك حشواً في الكتيبة فقال له على اسكت فانك فاسق
 فانزل الله هذه الآية وقوله لا يستورون أراد جنس المؤمنين وكنس الفاسقين ولم يرد مؤمناً واحداً ولا

(أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) هي نوع من الجنان تأوى إليها أرواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش (نزل بما كانوا يعملون) عطاء بما عملهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما (وأما الذين فسقوا فإوهم النار) أي ملجؤهم ومنزلهم (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها وقيل لهم) أي تقول لهم خزنة النار (ذوقوا عذاب النار) الذي كنتم به تكذبون) وهذا

(٤٧٩)

دليل على ان المراد بالفاسق الكافر اذ التكذيب يقابل الايمان (ولنديقنهم من العذاب الادنى) أي عذاب الدنيا من الاسر وما منحوا به من السنة سبع سنين (دون العذاب الاكبر) أي عذاب الآخرة أي نديقنهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الآخرة وعن الداراني العذاب الادنى الخلدان والعذاب الاكبر الخلود في النيران وقيل عذاب الادنى عذاب القبر (لعلهم لعل المعذنين بالعذاب الادنى (يرجعون) يتوبون عن الكفر (ومن أظلم ممن ذكر) وعظ (بآيات ربه) أي بالقرآن (ثم أعرض عنها) أي فتولى عنها ولم يتدبر فيها وتم للاستبعاد أي ان الاعراض عن مثل هذه الآيات في وضوحها وبارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل كما تقول لصاحبك وجدت منك تلك الفرصة ثم لم تنهزها استبعاد التركة

فاسقوا احدا (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) أي التي يأوي إليها المؤمنون (نزلا) هو ما يهب للضيف عند نزوله (بما كانوا يعملون) يعني من الطاعات في دار الدنيا (وأما الذين فسقوا فأوهم النار) كما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) قوله تعالى (ولنديقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر) أي سوى العذاب الاكبر قال ابن عباس العذاب الادنى مصائب الدنيا واسقامها وعنه انه الحد ودوقيل هو الجوع بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر والاكبر هو عذاب جهنم (لعلهم يرجعون) أي الى الايمان يعني من بقي منهم بعد القحط وبعده بدر (ومن أظلم) أي لأحد أظلم (ممن ذكر) بآيات ربه) أي بدلائل وحدانيته وانعامه عليه (ثم أعرض عنها) أي ترك الايمان بها (انما من المجرمين) يعني المشركين (منتقمون) معناه انهم لما لم يرجعوا بالعذاب الادنى فانما منهم منتقمون بالعذاب الاكبر قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (فلاتكن في سرية) أي في شك (من لقائه) أي من لقاء موسى ليلة المعراج قاله ابن عباس (ق) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسرى بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق الى الحجره والى البياض سبط الشعر ورأيت مالكا خازن النار والدجال في آيات أراهن الله اياه فلاتكن في سرية من لقائه (م) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة المعراج ليلة أسرى بي عند الكتيب الاحمر وهو قائم يصلي في قبره فان قلت قد صح في حديث المعراج انه رآه في السماء السادسة عند مراجعته في الصلوات فكيف الجمع بين هذين الحديثين قلت يحتمل أن تكون رؤيته في قبره عند الكتيب الاحمر كان قبل صعوده الى السماء وذلك في طريقه الى بيت المقدس ثم لما صعد الى السماء السادسة وجده هناك قد سبقه لما يريد الله عز وجل وهو على كل شيء قدير فان قلت كيف تصح منه الصلاة في قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو في دار الآخرة وليست دار عمل وكذلك رأى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الانبياء وهم يحجون فما الجواب عن هذا قلت يجاب عنه باجوبة أحدها ان الانبياء كالشهداء بل هم أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد أن يحجوا أو يصلوا كما صح في الحديث وأن يتقربوا الى الله بما استطاعوا وان كانوا أقدم ماتوا لانهم بمنزلة الاحياء في هذه الدار التي هي دار العمل الى أن تفتني ثم يرحلون الى دار الجزاء التي هي الجنة الجواب الثاني انه صلى الله عليه وسلم رأى حالهم الذي كانوا عليه في حياتهم ومثلوا له كيف كانوا وكيف كان نعيمهم وصلاتهم الجواب الثالث ان التكليف وان ارتفع عنهم في الآخرة لكن الذكر والشكر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحييتهم فيها سلام وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسييح كما يلهمون النفس فالعبد يعبد ربه في الجنة أكثر مما كان يعبد في الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار حاله مثل حال الملائكة الذين قال الله في حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية ما في الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي على مقتضى الطبع والله أعلم وقيل في قوله فلاتكن في سرية من لقائه أي من تلقى موسى كتاب الله بالرضا والقبول (وجعلناه) يعني الكتاب (هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم) أي من بني اسرائيل (أئمة) أي قادة للخير

الاتهاز (انما من المجرمين منتقمون) ولم يقل منه لانه اذا جعله أعظم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالاتقام منه فقد دل على اصابه الاظلم النصيب الا وفر من الاتقام ولو قال بالضمير لم يفد هذه الفائدة (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فلاتكن في سرية) شك (من لقائه) من لقاء موسى الكتاب أو من لقاء موسى ربه في الآخرة كذا عن النبي صلى الله عليه وسلم (وجعلناه هدى لبني اسرائيل) وجعلنا الكتاب المنزل على موسى لقومه هدى (وجعلنا منهم أئمة) بهمزتين كوفي وشامي

(يهدون) بذلك الناس ويدعونهم الى ما في التوراة من دين الله وشرائعه (باصبرنا) اي اياهم بذلك (لما صبروا) حين صبروا على الحق بطاعة الله وعن المعاصي مما صبروا حزمة وعلى اي صبرهم عن الدنيا وفيه دليل على ان الصبر ثمرته امامة الناس (وكانوا باياتنا) التوراة (بوقنون) يعلمون علما لا يخالف شك (ان ربك هو يفضل) يقضى (بينهم يوم القيامة) بين الانبياء وائمةهم أو بين المؤمنين والمشركين (فما كانوا فيه يختلفون) فيظهر الحق من البطل (أولم) الواو للعطف على معطوف عليه من جنس المعطوف أي أولم يدع (يهدي) يبين والفاعل الله بدليل قراءة يزيد عن يعقوب نهدي (لم) لاهل مكة (كم) يهدي لان كم للاستفهام فلا يعمل فيه ما قبله ومحل نصب بقوله (أهلكنا من قبلهم من القرون) كما دونهود وقوم لوط (يمشون في مساكنهم) أي اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم (ان في ذلك لايات أفلا يسمعون) المواظ (٤٨٠) فيتعظوا (أولم يروا أناسوق الماء) تجري المطر والانهار (الى الارض الجرز)

أي الارض التي جز نباتها أي قطع اما لعدم الماء أو لانه رعي ولا يقال للثي لا تثبت كالسباخ جز بدليل قوله (فخرج به) بالماء (زرعاً كل منه) من الزرع (أنعامهم) بن عصفه (وأأنفسهم) من حبه (أفلا يبصرون) بأعينهم فيستدلوا به على قدرته على احياء الموتى (ويقولون متى هذا الفتح) النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين أو يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون ذلك قالوا متى هذا الفتح أي في أي وقت يكون (ان كنتم صادقين) في أنه كائن (قل يوم الفتح) أي يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم أو يوم نصرهم عليهم أو يوم بدر أو يوم

يقتدى بهم وهم الانبياء الذين كانوا في بني اسرائيل وقيل هم اتباع الانبياء (يهدون باصبرنا) أي يدعون الناس الى طاعتنا (لما صبروا) أي على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر (وكانوا باياتنا بوقنون) أي أنها من الله تعالى (ان ربك هو يفضل) أي يقضى ويحكم (بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) قيل هم الانبياء وائمةهم وقيل هم المؤمنون والمشركون قوله تعالى (أولم يهد لهم) أي تبين لهم (كم أهلكنا) أي كثرة من أهلكنا (من قبلهم من القرون) أي الامم الخالية (يمشون في مساكنهم) يعني اهل مكة يسرون في بلادهم ومنازلهم اذا سافروا (ان في ذلك لايات أفلا يسمعون) أي آيات الله ومواعظه فيتعظون بها ﴿ قوله عز وجل ﴾ (أولم يروا أناسوق الماء الى الارض الجرز) أي الارض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها قال ابن عباس هي أرض اليمن وقيل هي أيبين (فخرج به) أي بذلك الماء (زرعاً كل منه أنعامهم) أي العشب والتبن (وأأنفسهم) أي من الحبوب والاقوات (أفلا يبصرون) أي فيعتبروا ﴿ قوله تعالى ﴾ (ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين) قيل أراد يوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم والقضاء بين العباد وذلك ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للكفار ان لنا يوم ماتتم منه فيه ونسريح ويحكم فيه بيننا وبينكم فقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح أي القضاء والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل هو بدر وذلك ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح (قل يوم الفتح) يعني يوم القيامة (لا ينفع الذين كفروا ايمانهم) أي لا يقبل منهم الايمان ومن حل يوم الفتح على فتح مكة أو القتل يوم بدر قال عنه لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا (ولا هم ينظرون) أي يمهلون ليتوبوا ويعتذروا (فاعرض عنهم) قال ابن عباس نسخها آية السيف (واتنظر) أي موعدي لك بالنصر عليهم (انهم منتظرون) أي بك حوادث الزمان وقيل معناه انتظر عذابنا اياهم فهم منتظرون ذلك (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب وهل أتى على الانسان عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الذي بيده الملك أخرجه الترمذي وقال طار من تفضلان عن كل سورة في القرآن بسبعين حسنة أخرجه الترمذي والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الاحزاب وهي مدنية ﴾

وثلاث وسبعون آية وألف ومائتان وثمانون كلمة وخمسة آلاف وسبعمات وتسعون حرفاً

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

فتح مكة (لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون) وهذا الكلام لم ينطبق جواباً على سؤالهم ظاهر اولكن لما كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استجبالاً منهم على وجه التكذيب والاستهزاء أجيوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستجلبوا به ولا تستهزؤا فإني كافي بكم وقد حدثتم في ذلك اليوم وأنتم فلا ينفعكم الايمان أو استنظرتهم في ادراك العذاب فلم تنظروا ومن فسره بيوم الفتح أو يوم بدر فهو يراد بالقتولين منهم فأنهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند الفرق (فاعرض عنهم واتنظر) النصر وهلا كهم (انهم منتظرون) الغلبة عليكم وهلاككم وكان عليه السلام لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال سورة الم تنزيل هي المانعة تمنع من عذاب القبر والله أعلم

﴿ سورة الاحزاب مدنية ﴾ وهي ثلاث وسبعون آية ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال أبي بن كعب رضي الله عنه لم نعدون سورة الاحزاب قال ثلاثا وسبعين قال فوالذي يحلف به أبي ان كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول
ولقد قرأنا منها آية الرجم والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبي ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن
وأما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضي الله عنها فكلها الداجن فن تأليفات الملاحدة والروافض (يا أيها النبي)
وباظمز نافع أي يا أيها المخبر عنا المؤمن على أسرارنا المبلغ خطابنا إلى أحببنا (٤٨١) وانما يقل يا محمد كما قال يا آدم يا موسى

تشر يفاله وتنورها بفضله
وتصريحه باسمه في قوله
محمد رسول الله ونحوه
لتعليم الناس بأنه رسول الله
(اتق الله) أثبت على
تقوى الله ودم عليه وازدد
منه فهو باب لا يدرك
مداه (ولانطع الكافرين
والمنافقين) ولا تساعدهم
على شيء واحترس منهم
فانهم أعداء الله والمؤمنين
وروى ان أبا سفيان
وعكرمة بن أبي جهل وأبا
الاعور السلمي قدموا
المدينة بعد قتال أحد
فنزلوا على عبد الله بن أبي
وأعطاهم النبي الامان على
أن يكلموه فقالوا ارفض
ذكر آلهتنا وقل انها تنفع
وتشفع ووازرهم المنافقون
على ذلك فهم المسلمون
بقتلهم فنزلت أي اتق الله
في نقض العهد ولا تطع
الكافرين من أهل مكة
والمنافقين من أهل المدينة
فيما طلبوا (ان الله كان
عليها) بنجبت أعمالهم
(حكيم) في تأخير الامر

قوله عز وجل (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة
ابن أبي جهل وأبي الاعور عمرو بن سفيان السلمي وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبي بن
سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الامان على أن يكلموه فقام معهم
عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبي ريق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب
ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان طه اشفاقا لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله ائذن لي في قتلهم فقال اني أعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا
في لعنة الله وغضبه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر أن يخرجهم من المدينة فانزل الله تعالى يا أيها النبي اتق
الله أي دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى
الله عليه وسلم والمراد به أمته ولا تطع الكافرين يعني من أهل مكة يعني أبا سفيان وعكرمة وأبا الاعور
والمنافقين يعني من أهل المدينة عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد وطعمة (ان الله كان عليا) أي بخلقه
قبل أن يخلقهم (حكيم) أي فيما دبره لهم (واتبع ما يوحى اليك من ربك) أي من وفاء العهد وترك طاعة
الكافرين والمنافقين (ان الله كان بما تعملون خبيراً وتوكل على الله) أي ثق بالله وكل أمرك اليه (وكفى
بالله وكيلاً) أي حافظاً لك وقيل كفيلاً برزقك ﴿قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) نزلت
في أبي معمر جسد بن معمر الفهرى وكان رجلاً ليلاً حافظاً لما يسمع فقال قريش ما حفظ أبو معمر هذه
الاشياء الا وله قلبان وكان يقول ان لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين
يوم بدر انهزم أبو معمر فيهم فلقبه أبو سفيان واحدى نعليه في يده والاخرى في رجله فقال له يا أبا معمر ما حال
الناس فقال انهزموا فقال له فما بال احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال أبو معمر ما شعرت الا
انهما في رجلي فعاثوا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسى نعله في يده وعن أبي ظبيان قال قلنا لابن عباس رأيت
قول الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ما عني بذلك قال قام نبي الله صلى الله عليه وسلم يوماً يصلي فخطر
خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه ألا تروا ان له قلبين قلباً معكم وقلبا معهم فانزل الله ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله خطر خطرة يريد الوسوسة التي تحصل للانسان
في صلاته وقيل في معنى الآية انه لما قال الله تعالى يا أيها النبي اتق الله فكان ذلك أمر بالتقوى فكانه قال ومن
حقها أن لا يكون في قلبك تقوى غير الله فان المرء ليس له قلبان حتى يتق الله باحدها وبالاخر غيره وقيل هذا
مثل ضرب به الله تعالى للظاهر من امر أنه وللتبني ولد غيره فكالمال يكون لرجل قلبان لانه لا يخلو ما أن يفعل
باحدهما ما يفعل بالآخر من أفعال القلوب فالآخر فضلة غير محتاج اليه واما أن يفعل بهذا ما لا يفعل بذلك
فذلك يؤدي الى اتصاف الجلة بكونه مريداً كارها عالماً جاهلاً موقناً شاكناً حالة واحدة وهما حالتان
متنافيتان فكذلك لا تكون امرأة المظاهر أمة حتى يكون له أمان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين ﴿قوله
تعالى (وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم) وصورة الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت

(٦١ - (خازن) - ثالث) بقتلهم (واتبع ما يوحى اليك من ربك) في الثبات على التقوى وترك طاعة الكافرين
والمنافقين (ان الله) الذي يوحى اليك (كان بما تعملون خبيراً) أي لم يزل عالماً بأعمالكم وأعمالكم قيل انما جمع لان المراد بقوله اتبع هو
وأصحابه وبإيحاء أبو عمرو أي بما يعمل الكافرون والمنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم (وتوكل على الله) أسند أمرك اليه ووكاله الى
تدبيره (وكفى بالله وكيلاً) حافظاً موكولاً اليه كل أمر وقال الزجاج لفظه وان كل لفظ الخبر فالمعنى اكتبف بالله وكيلاً (ما جعل الله لرجل من
قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم

وما جعل ادعياءكم أبناءكم) أي ما جمع الله قلوبين في جوف ولا زوجية وأمومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى أنه تعالى كما يجعل
 لإنسان قلوبين لأنه لا يعلم ما أن يفعل بالأخر فعلا من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج إليه وما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذلك فذلك
 يؤدي إلى انصاف الجملة بكونه مريدا كارهاعا لما ظاننا موقناشا كافي حالة واحدة لم يحكم أيضا أن تكون المرأة الواحدة أما الرجل زوجته لأن
 الأم مخدومة والمرأة خادمة وبينهما منافاة وإن يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنه لأن البنوة أصالة في النسب والدعوة الصاق عارض
 بالنسبة لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلا غير أصيل وهذا مثل ضرب به الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كابسي
 صغيرا فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له فطلبه أبوه وعمه غير فاختار رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فاعتقه وتبناه وكانوا يقولون زيد بن محمد فلما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زيد وكانت تحت زيد قال المنافقون تزوج محمد
 امرأة ابنه وهو ينهى عنه فأنزل الله هذه الآية وقيل كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان قلب معكم وقلب مع أصحابه وقيل كان أبو معمر أحفظ
 العرب فقيل له ذوالقلبين فأكذب الله قوهم وضربه مثلا في الظهار والتبني والتكفير في رجل وأدخال من الاستغراقية على قلبين وذكر
 الجواب للتأكيدي اللاتي بياء بعد الهزيمة حيث كان كوفي وشامي إلا نافع ويعقوب وسهل وهي جمع التي تظاهرون عاصم من ظاهر إذا قال
 لامرأته أنت علي كظهر أمي تظاهرون (٤٨٢) علي وحزرة وخلف تظاهرون شامي من ظاهر بمعنى تظاهر غيرهم

تظاهرون من أظهر بمعنى
 ظهر وعدى بمن تضمنه
 معنى البعد لأنه كان طلاقا
 في الجاهلية ونظيره آلى
 من امرأته لما ضمن
 معنى التباعد عدى بمن
 والافاكي في أصله الذي هو
 معنى حلف وأقسم ليس
 هذا يحكمه والدعى فعيل
 بمعنى مفعول وهو الذي
 بدعى ولدا وجمع على أفعلاء
 شاذ لأن بابه ما كان منه
 بمعنى فاعل كتنى وأتقيا
 وشقى وأشقياء ولا يكون
 ذلك في نحو رمى وسعى
 للتشبيه اللفظي (ذلكم

علي كظهر أمي يقول الله وما جعل نساءكم التي تقولون لمن هذا في التحريم كأمهاتكم ولكنه منكم منكر
 وزور وفيه كفارة وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله في سورة المجادلة ﴿ قوله تعالى (وما جعل ادعياءكم)
 يعني الذين يتبنونهم (أبناءكم) وفيه نسخ التبني وذلك أن الرجل كان في الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن
 المولود يدعو إليه الناس ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل
 الكلابي وتبناه قبل الوحي وأخى بينه وبين حزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن
 بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فأنزل
 الله هذه الآية ونسخ بها التبني (ذلكم قولكم بافواهمكم) أي لاحقيقة له يعني قوهم زيد بن محمد وادعاء
 النسب لاحقيقة له (والله يقول الحق) أي قوله الحق (وهو يهدي السبيل) أي يرشد إلى سبيل الحق
 (ادعوهم لآبائهم) أي الذين ولدوهم فقوهم زيد بن حارثة (هو أفسط عند الله) أي عدل عند الله (ق) عن
 ابن عمر قال إن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يدعو له إلا زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم
 لآبائهم هو أفسط عند الله الآية (فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين) أي فهم إخوانكم (ومواليكم) أي
 كانوا محررين وليسوا بآبائكم أي فسموهم باسماء إخوانكم في الدين وقيل معنى مواليكم أولياؤكم في الدين
 (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أي قبل النهي فنسبتموه إلى غير أبيه (ولكن ما تعدت قلوبكم) أي من
 دعائهم إلى غير آباءهم بعد النهي وقيل فيما أخطأتم به إن تدعوهم إلى غير أبيه وهو يظن أنه كذلك (وكان الله
 غفورا رحيما) (ق) عن سعد بن أبي وقاص وأبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ادعى إلى غير أبيه

قولكم بافواهمكم) أي إن قولكم للزوجة هي أم وللدعى هو ابن قول تقولونه بالسنتكم لاحقيقة له إذ
 الابن يكون بالولادة وكذا الأم (والله يقول الحق) أي ما هو الحق ظاهره وباطنه (وهو يهدي السبيل) أي سبيل الحق وهو قوله (ادعوهم
 لآبائهم هو أفسط) (عند الله) وبين إن دعاءهم بآبائهم هو أدخل الأمرين في القسط والعدل وقيل كان الرجل في الجاهلية إذا أعجبه
 ولد الرجل ضمه إلى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكركم من أولاده من ميراثه وكان ينسب إليه فيقال فلان ابن فلان ثم انظر إلى فصاحة هذا
 الكلام حيث وصل الجملة الطلبية ثم فصل الخبرية عنها ووصل بينهما فصل الاسمية عنها ووصل بينهما فصل بالطلبية (فإن لم تعلموا آباءهم) فإن
 لم تعلموا لهم آباءهم تنسبونهم إليهم (فإخوانكم في الدين ومواليكم) أي فهم إخوانكم في الدين وأولياؤكم في الدين فقوهم هذا أخي وهذا مولاي
 وأخي ويامولاي يريد الأخوة في الدين والولاية فيه (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أي لا أثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين
 جاهلين قبل ورود النهي (ولكن ما تعدت قلوبكم) ولكن الأثم عليكم فيما تعدتموه بعد النهي أو لا أثم عليكم إذا قلتم لولد غيركم يا بني علي
 سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن إذا قلتموه متعمدين وما في موضع الجر عطف على ما الأولى ويجوز أن يراد العقوب عن الخطأ دون العمد
 على سبيل العموم ثم تناول لعمومه خطأ التبني وعمده وإذا وجد التبني فإن كان المتبني مجهول النسب وأصغر سنانه ثبت نسبه منه وعتق إن
 كان عبد الهوان كان أكبر سنانه لم يثبت النسب وعتق عند أبي حنيفة رضي الله عنه وأما المعروف بالنسب فلا يثبت نسبه بالتبني وعتق إن
 كان عبدا (وكان الله غفورا رحيما) لا يؤخذكم بالخطأ ويقبل التوبة من المتعمد

(النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أي أحق بهم في كل شيء من أمور الدين والدنيا وحكمه أنفذ عليهم من حكمها فاعلم ان يبذلوا هادونه ويجعلوا هادءه أو هو أولى بهم أي أرف بهم وأعطف عليهم وانفع لهم كقوله بالمؤمنين رؤف رحيم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبي أبو أمته ولذلك صار المؤمنون أخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم أبوهم في الدين (وأزواجه أمهاتهم) في تحريم نكاحهن ووجوب تعظيمهن وهن فيما وراء ذلك كالارث ونحوه كالأجنبيات ولهذا لم يتعد (٤٨٣) التحريم الى بناتهن (وأولوا الارحام) وذوو القاربات (بعضهم أولى

ببعض) في التوارث وكان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لبالقربة ثم نسخ ذلك وجعل التوارث بحق القرابة (في كتاب الله) في حكمه وقضائه أو في اللوح المحفوظ أو فيما فرض الله (من المؤمنين والمهاجرين) يجوز أن يكون بيانا لاولى الارحام أي الاقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بان يرث بعضا من الاجانب وان يكون لابتداء الغاية أي اولوا الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين أي الانصار بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة (الا أن تفعلوا الى اولياتكم معروفًا) الاستثناء من خلاف الجنس أي لكن فعلكم الى اولياتكم معروفًا جاز وهو أن توصوا لمن أحببتن من هؤلاء بشئ فيكون ذلك بالوصية لالميراث وعدي تفعلوا بالي لانه في معنى نسوا والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية

وهو يعلم انه غير آييه فالجنة عليه حرام قوله عز وجل (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أي من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه عليهم ووجوب طاعته وقال ابن عباس اذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعوتهم أنفسهم الى شئ كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم أولى بهم من طاعة أنفسهم وهذا صحيح لان أنفسهم تدعوهم الى ما فيه هلا كههم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى ما فيه نجاتهم وقيل هو أولى بهم في الجمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الى الجهاد فيقول قوم نذهب فنستأذن من آباءنا وأمهاتنا فنزات الآية (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به في الدنيا والاخرة اقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإيمان مؤمن ترك ما لا فترته عصبته من كانوا من ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فإنا مولاه عصبة الميت من يرثه سوى من له فرض مقدر وقوله أو ضياعاً أي عيالاً وأصله مصدر ضاع يضيع ضياعاً وان كسرت الضاد كان جمع ضائع وقوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) يعني أمهات المؤمنين في تعظيم الحرمة وتحريم نكاحهن على التأييد لافي النظر اليهن والخلوة بهن فانه حرام في حقهن كما في حق الاجانب ولا يقال لبناتهن هن أخوات المؤمنين ولا لآخواتهن وأخواتهن هن أخوات المؤمنين وحالاتهم قال الشافعي تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر وهي أخت عائشة أم المؤمنين ولم يقل هي خالة المؤمنين وقيل ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن أمهات المؤمنين والمؤمنات الرجال والنساء وقيل كن أمهات الرجال دون النساء بدليل ما روى عن مسروق ان امرأة قالت لعائشة يا أمه فقالت لست لك بأم انما أنا أم رجالكم فبان بذلك ان معنى الامومة انما هو تحريم نكاحهن (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) يعني في الميراث قيل كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وقيل آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان يوثق بين الرجلين فاذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وقيل في معنى الآية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر (في كتاب الله) أي في حكم الله (من المؤمنين) الذين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (والمهاجرين) يعني ان ذوى القربات أولى بعضهم ببعض فنسخت هذه الآية الموارثة بالموخاة والهجرة وصارت الموارثة بينهم بالقرابة (الا أن تفعلوا الى اولياتكم معروفًا) يعني الوصية للذين يتولونه من المعاقدين وذلك ان الله تعالى لما نسخ التوارث بالحلف والاخاء والهجرة أباح أن يوصى لمن يتولاه بما أحب من ثلث ماله وقيل أراد بالمعروف النصر وحفظ الحرمة بحق الايمان والهجرة وقيل معناه الا أن توصوا الى قرابتكم بشئ وان كانوا من غير أهل الايمان والهجرة (كان ذلك) أي الذي ذكر من أن أولى الارحام بعضهم أولى ببعض (في الكتاب) أي في اللوح المحفوظ وقيل في التوراة (مسطورا) أي مكتوباً بميثاقاً وقوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) أي على الوفاء بما جملوا وان يصدق بعضهم بعضاً وينشر بعضهم ببعض وقيل على أن يعبدوا الله ويدعوا الناس الى عبادته وينصحو القوم بهم (ومنك) يعني يا محمد (ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) خص هؤلاء الخمسة بالذكور من بين النبيين لانهم أصحاب الكتب والشرائع وأولوا العزم من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في الذكور تفضيلاً ولما روى

في الدين (كان ذلك في الكتاب مسطوراً) أي واذا كرتوارث بالارحام كان مسطوراً في اللوح (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) حين أخذنا من النبيين ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم (ومنك) خصوصاً وقدم رسول الله على نوح ومن بعده لان هذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء لانهم أولوا العزم وأصحاب الشرائع فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء قدم عليهم ولولا ذلك لقد قدم من قدمه زمانه (ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم)

وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) وثيقا وأعاد ذكر الميثاق لانضمام الوصف اليه واءافعلنا ذلك (ليسأل) الله (الصادقين) أي الانبياء (عن صدقهم) عما قالوه لقومهم أو ليسأل الصادقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله وليسأل الانبياء ما الذي أجابتهم أمهم وهو كقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم (وأعد للكافرين) بالرسول (عذابا ألما) وهو عطف على أخذنا لان المعنى ان الله أكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل ائابة المؤمنين وأعد للكافرين عذابا ألما وعلى ما دل عليه ليسأل الصادقين كانه قال فاناب المؤمنون وأعد للكافرين (يا أيها) (٤٨٤) الذين آمنوا اذ كروا نعمة الله عليكم) أي ما أنعم الله به عليكم يوم الاحزاب كوهو

يوم الخندق وكان بعد حرب أحد سنة (اذ جاءكم جنود) أي الاحزاب وهم قریش وغطفان وقریظة والنضير (فارسلنا عليهم رجحا) أي الصبا قال عليه السلام نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (وجنود الم تررها) وهم الملائكة وكانوا ألقا بئس الله عليهم صابا باردة في ليلة شاتية فاخسرتهم وأسفت التراب في وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جواب عسكرهم انهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأقبالهم ضرب الخندق على المدينة بإشارة سلمان ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فحرب معكرو الخندق

البعث قال قتادة وذلك قول الله واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فبدأ به صلى الله عليه وسلم (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) أي عهدا شديدا على الوفاء بما جلاوا من تبليغ الرسالة (ليسأل الصادقين عن صدقهم) يعني أخذ ميثاقهم لكي يسأل الصادقين يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في سؤالهم مع علمه سبحانه وتعالى أنهم صادقون تكببت من أرسلوا اليهم وقيل ليسأل الصادقين عن صدقهم عن عملهم لله عز وجل وقيل ليسأل الصادقين بافواهم عن صدقهم في قلوبهم (وأعد للكافرين عذابا ألما) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) وذلك حين حوصر المسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة أيام الخندق (اذ جاءكم جنود) يعني الاحزاب وهم قریش وغطفان ويهود قریظة والنضير (فارسلنا عليهم رجحا) يعني الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلق تنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسرى بالليل فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقيل الصبار حج فيها روح ما عبت على محزون الاذهب خزنه قوله تعالى (وجنود الم تررها) يعني الملائكة ولم تقا تل الملائكة يومئذ فبعث الله عز وجل تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وكثرت كبر الملائكة في جواب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بنى فلان النجاء النجاء هلموا الى فاذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء فانهزموا من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب (وكان الله بما يعملون بصيرا) ﴿وذکر غزوة الخندق وهي الاحزاب﴾ قال البخارى قال موسى بن عقبة كانت في شوال سنة أربع من الهجرة وروى محمد بن اسحق عن مشايخه قال دخل حديث بعضهم في بعض ان نقر من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وحي بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهو ابن قيس وأبو عمار الوائلى في نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل وهم الذين حاربوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قریش بمكة فدعواهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا نسكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قریش يا معشر اليهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا مختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير أم دينه قالوا دينكم خير من دينه وأتم أولى بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم ألم ترالى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الى قوله وكفى بجهنم سعيرا قال فلما قالوا ذلك لقریش سرهم ما قالوا ونشطوا المادعواهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا على ذلك ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤا

بينه وبين القوم وأمر بالذراى والنسوان فرفعوا فى الآطام واشتد الخوف وكانت قریش قد أقبلت فى عشرة آلاف من الاحابيش وبنى كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبوسفیان وخرج غطفان فى ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل فى هوازن وضامتهم اليهود من قریظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر (وكان الله بما يعملون) أى بعملكم أيها المؤمنون من التحصن بالخندق والثبات على معاونة النبي صلى الله عليه وسلم (بصيرا) وبالياء أبو عمرو وأى بما يعمل الكفار من البنى والسى فى اطفاء نور الله

غطفان ٣ وقيس وعيلان فاجتمعوا على ذلك وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه وإن قر يشاقد بايعوهم
 على ذلك فأجابوهم وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن
 حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ومسعر بن زخيلة بن
 نيرة ابن طريف فيمن تابعه من قومه من أشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما
 اجتمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة وكان الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بالخندق سلمان الفارسي وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حرق قال
 يا رسول الله أنا كناية من إذا حوصرنا ضرب بنا خندقا علينا فعمل في رسول الله صلى الله عليه وسلم
 والمسلمون حتى أحكموه وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق عام الأحزاب ثم قطع لكل
 عشرة أربعين ذراعا فاختلف المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون
 سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف
 كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار في أربعين ذراعا فخرنا حتى إذا
 كنا تحت أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروية حتى كسرت حديدنا وشتت علينا فقلنا يا سلمان
 ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبر هذه الصخرة فإما إن يعدل عنها فإن المعدل قريب وإما إن
 يأمرنا فيها أمره فإنا لا نحب أن نجاوز خطه قال فرقى سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب
 عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مروية من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشتت
 علينا حتى ما يجي بنا منها شيء قليل ولا كثير فرفنا فيها بأمرك فإنا لا نحب أن نجاوز خطك فهبط رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مع سلمان إلى الخندق واستند على شق الخندق وأخذ يديه السلام المعول من سلمان
 وضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق أضواء ما بين لاتبها يعني المدينة حتى كأنه مصباح في جوف بيت
 مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الثانية فبرق منها برق حتى أضواء ما بين لاتبها حتى لكان مصباح في جوف بيت مظلم فكبر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسرها وبرق
 منها ما برق أضواء ما بين لاتبها حتى لكان مصباح في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير
 فتح وكبر المسلمون معه وأخذ بيد سلمان ورفق فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله
 قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القوم وقال أرايتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت
 ضربتي الأولى فبرق البرق الذي رأيتم فاضألى منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أبواب الكلاب
 وأخبرني جبريل إن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق البرق الذي رأيتم أضألى منها قصور
 قيصر من أرض الروم كأنها أبواب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة فبرق
 الذي رأيتم أضألى منها قصور صنعاء كأنها أبواب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا
 فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون ألا تعجبون بمن فيكم
 ويعدكم الباطل ويخبركم أنه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وأتم ائمة يحفرون
 الخندق من الفرق لا يستطيعون أن تبرزوا قال فنزل القرآن واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض
 ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وأنزل الله قل اللهم مالك الملك الآية (ق) عن أنس قال خرج رسول الله
 صلى الله عليه وسلم إلى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون
 ذلك لهم فلما رأى ما بهم من التعب والجوع قال اللهم ان العيش عيش الآحره فاغفر للانصار والمهاجرة
 فقالوا محبين له نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما حينئذ ابدا

٢ قوله غطفان الخ كذا
 بالأصل وفي المواهب خرج
 أولئك اليهود حتى جاؤا
 غطفان من قيس عيلان
 زاد شارحها بعين مهمة
 قال الجوهرى وابش في
 العرب عيلان نيره اه
 مصحح

عن البراء بن عازب قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ينقل معنا التراب وهو يقول
والله لولا الله ما هتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينتنا علينا * وثبت الاقدام ان لا قينا
والمشركون قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة ابينا

ويرفع بها صوته وفي رواية قد وارى التراب بياض ابطينه رجعتنا الى حديث ابن اسحق قال فلما فرغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة من الجرف والغابة
في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل نهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد
حتى نزلوا بذي نعيم الى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى جعلوا ظهورهم
الى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري
والنساء فرفعوا الى الآطام وخرج عدو الله حبي بن أخطب من بني النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظي
صاحب عقد بني قريظة وكان قد واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع
صوت ابن أخطب أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه حبي يا كعب افتح لنا فقال ويحك
يا حبي انك امرؤ مشؤم اني قد عاهدت محمد افلت بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه الا وفاء وصدقا فقال ويحك
افتح أكرمك قال ما أنا بفاعل قال والله ان أغلقت دوني الا خوف ان أكل معك فأحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك
يا كعب جئتك بعز الدهر وبحرطام جئتك بقريش على قادتها وسادتتها حتى أنزلتهم بمجتمع الاسيال من
رومة وبغطفان على قادتها وسادتتها حتى أنزلتهم بذي نعيم الى جانب أحد قد عاهدوني وعاهدوني أن لا
يرحوا حتى يستأصلوا محمد او من معه فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر وبجرام قد يهرق ماؤه ويرعد
ويبرق ايس فيه شيء دعني ومحمد او ما أنا عليه فاني لم أر من محمد الا صدقا ووفاء فلم يزل حبي بن أخطب بكعب
يفتله في الثرة والغارب حتى سمح له على ان أعطاه من الله عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش ولم يصيبوا محمد ان
أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك فنقض كعب بن أسد العهد ويرى مما كان عليه فيما بينه وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ احد بني عبد الاشهل وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عباد احد بني ساعدة
وهو يومئذ سيد بني الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة أخو الحرث بن الخزرج وخوات بن جبير أخو بني
عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا ما بلغنا عن هؤلاء القوم أحسق أم لا فان كان حقا فالحقوا الى هنا
أعرفه ولا تفتوا أعضاء الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس فخرجوا حتى أتوهم
فوجدوهم على أخيب ما بلغهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا نعقد بيننا وبينه ولا عهد
فشا تم سعد بن عباد وشاتموه وكان رجلا عنده حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاتمهم فابينا وبينهم
ربي من المشامة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وقالوا عضل والقارة
حذر عضل القارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر أشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم
من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن
قشير أخو بني عمرو بن عوف كان محمد بعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر أن يذهب الى
الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقال أوس بن قبيط أحد بني حارثة يا رسول الله ان بيوتنا لعورة من
العدو وذلك على ملاء من رجال قومه فأذن لنا فلنرجع الى ديارنا فانها خارجة من المدينة فأقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأقام المشركون عليها بضعا وعشرين ليلة فربما من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمي بالنبل

والخصي فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عينته بن حصن والى الحرب بن عوف وهما قائد اعظمان فاعطاهما ثلث عمارة المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخرج بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عباد فاستشارهما فيه فقالا ليارسول الله أشئ أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم أمر نحب فتصنعه أم شئ تصنعه لنا قال بلى شئ أصنع لكم والله ما صنع ذلك الا اني قد رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحد وكالبوكم من كل جانب فاردت أن أكرس عنكم شوكتهم فقال لسعد بن معاذ يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الاصنام لانعبد الله ولا نعرفه ولا يطعمون أن يأكلوا من اثمرة واحدة الا قري أو يبعافين أكرمنا الله بالاسلام وعزنا بك نعطيهم أموالنا ما لنا بهد من حاجة والله وما نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وذاك فتناول سعد الصحيفة فحاما فيها من الكتابة ثم قال ليجهدوا علينا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا أن فوارس من قريش عمرو بن عبد ود وأخو بني عامر بن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب الخزوميان ونوفل بن عبد الله بن ضار بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم فروا على بني كنانة فقالوا اتهموا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما رأوه قالوا والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيموا مكانا من الخندق ضيقا وضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحد اقلما كان يوم الخندق خرج معايل اليربي مكانه فلما وقف هو وخيله قال علي يا عمرو وانك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش الى خلتين الا أخذت منه احدا هما قال أجل قال له علي فاني أدعوك الى الله ورسوله والى الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال اني أدعوك الى النزال قال ولم يا ابن أخي فوالله ما أحب اني أقتلك فقال علي لكنتي والله أحب أن أقتلك خمي عمرو وعند ذلك فاقتحم عن فرسه فعفره أو ضرب وجهه ثم أقبل على علي فتناولا وتجاولا فقتله علي وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلا من مذبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة الخزومي وكان اقهم الخندق فتورط فيه فرمود بالحجارة فقال يامعشر العرب قتله أحسن من هذه فنزل اليه علي فقتله فغلب المسلمون على جسده فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا في جسده وثمانه فشانكم به فغلب بينهم وبينه قالت عائشة أم المؤمنين كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من أحرز حصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل أن يضرب علينا الجباب فرسعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعها في يده حربة وهو يقول لا بأس بالموت اذا حان الاجل فقالت له الحق يا بني فقد والله اخترت قالت عائشة فقلت يا أم سعد والله لو ددت أن درع سعد كانت أسبع مما هي وخفت عليه حيث أصاب السهم منه قالت فرمى سعد يومئذ بسهم فقطع منه الا كحل رماه خباب بن قيس بن العرقعة أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها وأنا ابن العرقعة قال سعد عرق الله وجهك في النار ثم قال سعد اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فابقني لها فانه لا قوم أحب الى أن أجاهد هم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمنني حتى تفر عيني من بني قريظة وكانوا احنفاءه ومواليه في الجاهلية قال محمد بن اسحق فيما باعنه ان صفية بنت عبد المطلب كانت في قارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنما

النساء والصبيان قالت صفية فر بنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حارت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحر عدوهم لا يستطيعون ان ينصرفوا اليئاعهم اذا اتانا آت قالت فقلت يا احسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن واني والله ما آمنه ان يدل على عورتنا من وراءنا من اليهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانزل اليه فاقبله فقال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئا اعتجرت ثم اخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فصرت بالعمود حتى قتله فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا احسان انزل اليه فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه الا أنه رجل قال مالي بسلبه حاجة يا بنت عبد المطلب قالوا واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم واتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فامرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان ندبما لهم في الجاهلية فقال لهم يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بغيرهم فقال لهم ان قريظة وغطفان جاؤا الحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وان قريظة وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونسأؤكم لا تقدررون على ان تتحولوا منه الى غيره وان قريظة وغطفان أموالهم وأبنائهم ونسأؤهم بغيره ان رأوا نهزة وغنيمة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلصوا بينكم وبين هذا الرجل والرجل يبلدكم لاطاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمد حتى تناجزوه قالوا لقد أشرت برأى وأصح ثم خرج حتى أتى قريظة فقال لابن سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريظة قد عرفتم ودي اياكم وفراق محمد فقد بلغني أمر رأيت حقا على ان أبلغكم نصحا لكم فاكتموا على قالوا ان فعل قال نعمون ان معشر يهود قد نذروا على ما صنعوا بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه ان قد نذروا على ما فعلنا فهل برضيك عنا ان نأخذ من قريظة وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم فإرسل اليهم ان نعم فان بعثت اليكم يهود يلمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان أتم أهلي وعشيرتي وأحب الناس الى ولا أراكم تهتموني قالوا صدقت قال فاكتموا على قالوا ان فعل فقال لهم مثل ما قال لقريظة وحذرهم مثل حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريظة وغطفان فقالوا لهم اننا لنسأب دار مقام قد هلك الخف والحافر فأعدوا للقتال حتى تناجز محمد وانفرغ مما بيننا وبينه فأرسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان أخذت فيه بعضنا حدثا فاصابهم ما لم يخف عليكم ولست نسمع ذلك بالذي نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكون بايدينا ثقة لنا حتى تناجز محمد فاننا نخشى ان ضررناكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تسيروا الى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة قالت قريظة وغطفان تعلمن والله ان الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا الى بني قريظة اننا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما بر بد القوم الا ان يقاتلوا فان وجدوا فرصة اتهمزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلصوا بينكم وبين الرجل في بلدكم فأرسلوا الى قريظة وغطفان اننا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا اليهم وخذل الله عز وجل بينهم وبعث عليهم الرجح في ليل شاتية شديدة

(اذجاؤكم) بدل من اذ جاءكم (من فوقكم) أي من أعلى الوادي من قبل المشرق (٤٨٩) بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من

أسفل الوادي من قبل المغرب قریش (واذ زاعت الاربصا) مالت عن سننها ومستوى نظرها حبرة أو عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها الشدة الروح (و بلغت القلوب الحناجر) الحنجرة رأس الغاصصة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا اتفتحت الرئة من شدة الفزع أو الغضب ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وقيل هو مثل في اضطراب القلوب وان لم تبلغ الحناجر حقيقة روى ان المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء تقول فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا (وتظنون بالله الظنونا) خطاب للذين آمنوا ومنهم اثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون فظن الاولون بالله انهم يتسلمون بخافوا الزلل وضعف الاحتمال وأما الآخرون فظنوا بالله ما حكى عنهم قريو عمرو وحزبة الظنون بغير ألف في الوصل والوقف وهو القياس وبالالف فيهما مدني وشامي وأبو بكر اجراء للوصل مجرى الوقف وبالالف في الوقف مكى وعلى وحفص ومثله الرسول والسبيل

البرد جعلت تكفا قدورهم وتطرح آيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا وروى محمد بن اسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي وروى غيره عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته وهو قال نعم يا ابن أخي قال كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولجئناه على أعناقنا وخدمناه وفعلنا معه ما فعلنا فقال حذيفة يا ابن أخي والله لقد رأيتني ليلة الاحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يذهب الى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الجنة فما قام من اجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هونا من الليل ثم التفت اليها فقال مثلها فسكت القوم وما قام من اجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هونا من الليل ثم التفت اليها فقال هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على أن يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حذيفة ولم يكن لي بد من القيام حين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت لبيك يا رسول الله وقت حتى أتيتته فأخذ بيدي ومسح رأسي ووجهي ثم قال انت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم ولا تحذثن شيئا حتى ترجع الي ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فأخذت سهمي وشدت على اسلابي ثم انطلقت أمشي نحوهم كما نمأ مشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد أرسل الله عليهم ريحا وجنودا وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لانقرهم قدر اولانار اولابناء قال أبو سفيان قاعد يصطلي فأخذت سهمها فوضعتها في كبد قوسي فاردت أن أرميه ولورميته لاصته فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحذثن حدنا حتى ترجع فرددت سهمي في كنانتي فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الرجح وجنود الله بهم لانقرهم قدر اولانار اولابناء قام فقال يا معشر قریش ليأخذ كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فأخذت بيد جليسي فقلت من أنت فقال سبحان الله أمانت عرفني أنا فلان بن فلان رجل من هوازن فقال أبو سفيان يا معشر قریش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكروا ولقينا من هذالريح ما نرى فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جله وهو معقول جلس عليه ثم ضرب به فوثب على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم وسيمعت غطفان بما فعل قریش فاستقروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنني أمشي في حمام فأتيتته وهو قائم يصلي فلما سلم أخبرته فضحك حتى بدت أنيابها في سواد الليل فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفاء فأداني النبي صلى الله عليه وسلم فأنامني عند رجليه وأتى على طرف ثوبه وألقى صدري ببطن قدميه فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال قم يا نومان فذلك قوله عز وجل (اذجاؤكم من فوقكم) أي من فوق الوادي من قبل المشرق وهم أسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النصرى وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الاسدي في بني أسد وحي بن أخطب في يهود قريظة (ومن أسفل منكم) يعني من بطن الوادي من قبل المغرب وهم قریش وكنانة عليهم أبو سفيان بن حرب من قریش ومن تبعه وأبو الأعمش وعمرو بن سفيان السلمي من قبل الخندق وكان الذي جرعزوة الخندق فيما قيل اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير من ديارهم (واذ زاعت الاربصا) أي مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شيء فلم تنظر الى عدوها (و بلغت القلوب الحناجر) أي زالت عن أماكنها حتى بلغت الحلقوم من الفزع والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف وقيل معناه انهم جنوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رتته واذا انتفخت رتته رفعت القلب الى الحنجرة فلها يقال لا يجبان انتفخ سحره (وتظنون بالله الظنونا) أي اختلفت الظنون بالله فظن المنافقون استئصال محمد وأصحابه وظن المؤمنون

(هنالك ابتلى المؤمنون) امتنعوا بالصبر على الايمان (وزلزلوا زلازلًا شديدا) وحركوا بالخوف تحريكًا بليغًا (واذ يقول المنافقون) عطف على الاول (والذين في قلوبهم مرض) قيل هو وصف المنافقين بالواو كقوله الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم وقيل هم قوم لا بصيرة لهم في الدين كان المنافقون يسقيونهم بادخال الشبه عليهم (ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) روى ان معتب بن قشير حين رأى الاحزاب قال بعدنا محمد قبح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقام هذا الا وعد غرور (واذ قالت طائفة منهم) من المنافقين وهم عبد الله بن أبي وأصحابه (يا أهل يثرب) هم أهل المدينة (لامقامكم) وبضم الميم حفص أي لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقومون فيه أو تقيمون (فارجعوا) عن الايمان الى الكفر أو من عسكر رسول الله الى المدينة (ويستأذن فريق منهم النبي) أي بنوحارثة (يقولون ان بيوتنا عورة) أي ذات عورة (وما هي بعورة ان يردون الا فرارا) العورة الخلل والعورة ذات العورة وهي قراءة ابن عباس يقال عور لمكان عور اذا بدا منه خلل يخاف منه (٤٩٠) العدو والسارق ويجوز أن يكون عوره تخفيف عورة اعتدروا أن بيوتهم

عرضة للعدو والسارق لانها غير محصنة فاستأذنه ليعصوها ثم يرجعوا اليه فأكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار من القتال (ولو دخلت عليهم) المدينة أو بيوتهم من فولك دخلت على فلان داره (من أقطارها) من جوانبها أي ولودخلت هذه العساكر المتعزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم أو بيوتهم من نواحيها كلها واتت على أهلهم وأولادهم ناهين ساين (ثم سئلوا) عند ذلك الفرع (الفتنة) أي الردة والرجعة الى الكفر ومقابلة المسلمين (لا توهها) لا عطاها لانوها بلامدحجازي أي لجاؤها

النصر والظفر لهم (هنالك ابتلى المؤمنون) أي عند ذلك اختبر المؤمنون بالحصر والقتال ليتبين المخلصون من المنافقين (وزلزلوا زلازلًا شديدا) أي حركوا حركه شديده (واذ يقول المنافقون) يعني معتب بن قشير وقيل عبد الله بن أبي وأصحابه (والذين في قلوبهم مرض) أي شك وضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) هو قول أهل النفاق بعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله هذا هو الغرور قوله تعالى (واذ قالت طائفة منهم) أي من المنافقين وهم أوس بن قيطي وأصحابه (يا أهل يثرب) يعني أهل المدينة وقيل يثرب اسم الارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في ناحية منها سميت يثرب باسم رجل من العماليق كان قد نزلها في قديم الزمان وفي بعض الاخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان تسمى المدينة يثرب وقال هي طيبة كانه كره هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقرير والتوبيخ (لامقامكم) أي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه (فارجعوا) أي الى منازلكم وقيل عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال (ويستأذن فريق منهم النبي) يعني بني حارثه وبنو سلمة (يقولون ان بيوتنا عورة) أي خالية ضائعة وهي ما يلي العدو يخشى عليها السراق فكذبهم الله تعالى بقوله (وما هي بعورة ان يردون الا فرارا) أي انهم لا يخافون ذلك انما يريدون الفرار من القتال (ولو دخلت عليهم من أقطارها) يعني لودخل هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتلهم وهم الاحزاب من نواحي المدينة وجوانبها (ثم سئلوا الفتنة) أي الشرك (لا توهها) أي لجاؤها وفعلا ورجعوا عن الاسلام (وما تلبثوا بها) أي ما احتبسوا عن الفتنة (الايسرا) أي لا سرعوا الاجابة الى الشرك طيبة به نفوسهم وقيل معناه وما أقاموا بالمدينة بعد اعطاء الكفر الا قليلا حتى يهلكوا قوله عز وجل (واتقوا الله واعاهدوا الله من قبل) أي من قبل غزوة الخندق (لا يولون الا دبار) أي لا ينهزمون وقيل هم بنو حارثة هو ايوم أحد ان يفسلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا والمثلها وقيل هم أماس غابوا عن وقعة بدر فاعاروا وأما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا نحن أشهدنا الله قتالنا لقاتلن فساق الله اليهم ذلك (وكان عهد الله مسؤلا) أي عنده في الآخرة (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل) يعني الذي كتب عليكم لان من حضر أجله مات أو قتل لا بد من ذلك (واذا لامتعون) أي بعد الفرار (الاقليلا) أي مدة آجالكم وهي قليل (قل من ذا الذي يعصمكم) أي يمنعكم

وفعلا (وما تلبثوا بها) باجانبها (الايسرا) ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف أو ما لبثوا بالمدينة (من) بعد اردادهم الايسر فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعلون باعورار بيوتهم ليفروا عن نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ماؤهم هولاء ورجعوا وهؤلاء الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وما تعلقوا بشئ وما ذلك الا لمتهم الاسلام وحبهم الكفر (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أي بنوحارثة من قبل الخندق أو من قبل نظرهم الى الاحزاب (لا يولون الا دبار) منهزمين (وكان عهد الله مسؤلا) مطلوبوا بمقتضى حتى يوفي به (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لامتعون الا قليلا) أي ان كان حضر أجالكم لم ينفعكم الفرار وان لم يحضر وفررتم لم تمتعوا في الدنيا الا قليلا وهو مدة أعماركم وذلك قليل وعن بعض الروايات انه من يحاط ماثل فاسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل تطلب (قل من ذا الذي يعصمكم

من الله) أي مما أراد الله انزاله بكم (ان أراد بكم سوا) في أنفسكم من قتل أو غيره (أو أراد بكم رحمة) أي اطالة عمر في عافية وسلامة أو من يمنع الله من أن يرجمكم ان أراد بكم رحمة لما في العصمة من معنى المنع (ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) ناصرا (قد يعلم الله المعوقين منكم) أي من يعوق عن نصره رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يمنع وهم المنافقون (والقائلين لاخوانهم) في الظاهر من المسلمين (هلم الينا) أي قربوا أنفسكم الينا ودعوا محمد اوهي لغة أهل الحجاز فاتهم يسوون فيه بين الواحد والجماعة وأما تم فيقولون هلم يارجل وهلموا يارجال وهو صوت سمي به فعل متعد نحو احضرو قرب (ولا ياتون البأس) أي الحرب (٤٩١) (الاقليلا) الايتانا قليلا أي

يحضرون ساعة رياء ويقفون قليلا مقدار ما يرى شهودهم ثم ينصرفون (أشحة) جمع شحيح وهو البخيل نصب على الحال من الضمير في ياتون أي ياتون الحرب بخلاء (عليكم) بالظفر والغنيمة (فاذا جاء الخوف) من قبل العدو ومنه عليه السلام (رأيتهم ينظرون اليك) في تلك الحالة (تدور أعينهم) يمينا وشمالا (كالذي يغشى عليه من الموت) كما ينظر للغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخوفا ولو اذا بك (فاذا ذهب الخوف) زال ذلك الخوف وأمنوا وجزت الغنائم (سلقوكم بالسنة حداد) خاطبوكم مخاطبة شديدة وآذوكم بالكلام خطيب مسلق فصيح ورجل مسلاق مبالغ في الكلام أي يقولون وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا

(من الله ان أراد بكم سوا) أي هزيمة (أو أراد بكم رحمة) أي نصرا (ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) أي ناصرا يمنعهم (قد يعلم الله المعوقين منكم) أي المشبطين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (والقائلين لاخوانهم هلم الينا) أي ارجعوا الينا ودعوا محمد ا صلى الله عليه وسلم فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك قيل هم أناس من المنافقين كانوا يشبطون أنصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم ما محمد وأصحابه إلا كفرة رأس ولو كانوا الجمال لثمهم أي ابتلعهم أبو سفيان وأصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقيل نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود أرسلت اليهم ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدا واننا نشفق عليكم فاتم اخواننا وجيراننا هلموا الينا فاقبل عبد الله بن أبي بن ساول وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه وقالوا لئن قدر اليوم عليكم لم يستبق منكم أحدا ما ترجعون عن محمد ما عنده خير ما هو الا ان يقتلنا ههنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعني اليهود فلم يزد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا واحسابا ﴿ وقوله تعالى (ولا ياتون البأس) يعني الحرب (الاقليلا) أي رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا (أشحة عليكم) أي بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة وصفهم الله بالبخل والجبن (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم) أي في رؤسهم من الخوف والجبن (كالذي يغشى عليه من الموت) أي كدوران عين الذي قرب من الموت وغشيه أسبابه فانه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف (فاذا ذهب الخوف) أي زال (سلقوكم) أي آذوكم ورموكم في حالة الامن (بالسنة حداد) أي ذر به تفعل كفعل الحديد قال ابن عباس معناه عضوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة وقيل بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فاننا شهدنا معكم القتال فلستم باحق بالغنيمة منا فمهم عند الغنيمة أشجع قوم وعند الحرب أجبين قوم (أشحة على الخير) أي يشاحون المؤمنين عند الغنيمة فعلى هذا المعنى يكون المراد بالخير المال (أولئك لم يؤمنوا) أي لم يؤمنوا حقيقة الايمان وان أظهروا الايمان لفظا (فاحبط الله أعمالهم) أي التي كانوا ياتون بها مع المسلمين قيل هي الجهاد وغيره (وكان ذلك على الله يسيرا) أي احباط أعمالهم مع ان كل شيء على الله يسير ﴿ قوله تعالى (يحسبون) يعني هؤلاء المنافقين (الاحزاب) يعني قريشا وغطفان واليهود (لم يذهبوا) أي لم ينصرفوا عن قتالهم جينا وفرقا وقد انصرفوا عنهم (وان يأت الاحزاب) أي يرجعوا اليهم للقتال بعد الذهاب (يودوا لو أنهم بادون في الاعراب) أي يتمنون لو أنهم كانوا في بادية مع الاعراب من الجبن والخوف (يسألون عن أنبيائكم) أي عن أخباركم وما آل اليه أمركم (ولو كانوا فيكم) يعني هؤلاء المنافقين (ما قاتلوا الا قليلا) يعني يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم فيقولون قد قاتلنا معكم وقيل هو الرمي بالحجارة وقيل رياء من غير احتساب ﴿ قوله عز وجل (لقد كان لكم في رسول

معكم وبكاتبنا غلبتكم عدوكم) (أشحة على الخير) أي خاطبوكم أشحة على المال والغنيمة وأشحة حال من فاعل سلقوكم (أولئك لم يؤمنوا) في الحقيقة بل بالسنة (فاحبط الله أعمالهم) أبطل باضارهم الكفر ما أظهره من الاعمال (وكان ذلك) احباط أعمالهم (على الله يسيرا) هينا (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) أي لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ولم ينصرفوا عنهم قد انصرفوا (وان يأت الاحزاب) كرة ثانية (يودوا لو أنهم بادون في الاعراب) البادون جمع البادية أي يتمنوا المنافقون لجبنهم انهم خارجون من المدينة الى البادية حاصلون بين الاعراب ليأمنوا على أنفسهم ويعتزلوا عافية الخوف من القتال (يسألون) كل قادم منهم من جانب المدينة (عن أنبيائكم) عن أخباركم وعماسوكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال (ما قاتلوا الا قليلا) رياء وسمعة (لقد كان لكم في رسول

الله أسوة حسنة) بالضم حيث كان عاصم أي فدوة وهو المؤسس به أي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون مناخدا أي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد وأوفيه خصلة من حقه ان يؤتى بها حيث قاتل بنفسه (ان كان يرجو الله واليوم الآخر) أي يخاف الله ويخاف اليوم الآخر أو يامل ثواب الله ونعيم اليوم الآخر قالوا لمن بد من لكم وفيه ضعف لانه لا يجوز البذل من ضمير المخاطب وقيل لمن يتعلق بحسنة أي أسوة حسنة كائنة لمن كان (وذكر الله كثيرا) أي في الخوف والرجاء والشدة والرخاء (ولما رأى المؤمنون الأحزاب) وعدهم الله أن يزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه بقوله أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم إلى قوله قريب فلما جاء

(٤٩٢)

ويستنصروه بقوله أم حسبكم أن

الله أسوة حسنة) أي فدوة سالحة أي اقتدوا به اقتداء حسنا وهو ان تنصروا دين الله وتوازرروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو إذ قد كسرت ربا عينته وجرح وجهه وقتل عمه وأوذى بضروب الأذى فصبر وواسا كم مع ذلك بنفسه فافعلوا أتم كذلك أيضا واستنوا بسنته (لمن كان يرجو الله) يعني ان الأسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله (واليوم الآخر) يعني ويخشى يوم البعث الذي فيه الجزاء (وذكر الله كثيرا) أي في جميع المواطن على السراء والضراء أتم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب فقال تعالى (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) أي قالوا ذلك تسليحا لأمير الله وتصديقا بوعدده (وصدق الله ورسوله) أي فيما وعدنا وهو في مقابلة قول المنافقين ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقولهم وصدق الله ورسوله ليس اشارة إلى ما وقع فانهم كانوا يعرفون صدق الله ورسوله قبل الوقوع وانما هو اشارة إلى البشارة في جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وقيل انهم وعدوا ان تلحقهم شدة وبلاء فلما رأوا الأحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله (وما زادهم الايمانا) أي تصديقا لله (وتسليحا) أي لامره ﴿قوله تعالى﴾ (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أي قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به (فمنهم من قضى نحبه) أي فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى نحبه يعني أجله فقتل على الوفاء يعني جزية وأصحابه وقيل قضى نحبه أي بذل جهده في الوفاء بالعهد وقيل قضى نحبه استشهد يوم بدر وأحد (ومنهم من ينتظر) يعني من بقى بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الأمرين اما الشهادة أو النصر على الأعداء (وما بدلوا) يعني عهدهم (تبدلا) (ق) عن أنس قال غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما صنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم اني أعتذر اليك بما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر اني أجد ربكما من دون أحد قال سعد فاستطعت يا رسول الله ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربه بالسيف وطعنه برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فاعرفه أحد الأخته بينانه قال أنس كنا نرى أو نظن ان هذه الآية نزلت فيه وفي اشباهه من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه إلى آخر الآية (ق) عن خباب بن الارت قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجهه الله فوق أجرتنا على الله فنامن مات ولم يأكل من اجرة شيأ منهم مصعب ابن عمير قتل يوم أحد وترك نمرقة وكنا اذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه واداغطينا رجليه بدت رأسه فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نعطى رأسه ونجعل على رجليه من الاذخر ومنامن أينعت له ثمرة فهو بهديهما النمرقة كساء ملون من صوف وقوله ومنامن أينعت أي أدركت ونضجت له ثمرة وهذه

الأحزاب واضطر بواور عبوا الرعب الشديد (قالوا) هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وعلموا ان الغلبة والنصرة قد وجبت لهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ان الأحزاب سائر ون اليكم في آخر ثلث ليل أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للبعاد قالوا ذلك وهذا اشارة إلى الخطب والبلاء (وما زادهم) مارا وامن اجتماع الأحزاب عليهم ومحبتهم (الايمانا) بالله وبمواعيده (وتسليحا) لقضائه وقدره (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أي فيما عاهدوا الله عليه فقاموا به في ما عاهدوه عليه فحذف الجار كما في المثل صدقني سن بكره أي صدقني في سن بكره بضرح الجار وايصال الفعل نذر رجال من الصحابة انهم اذا القوا حربا مع رسول الله صلى

استهارة

الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة وسعد بن زيد وجزرة ومصعب

وغيرهم (فمنهم من قضى نحبه) أي مات شهيدا كجزرة ومصعب وقضاء النعب صار عبارة عن الموت لان كل حي من المحدثات لا بد ان يموت فكانه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه أي نذره (ومنهم من ينتظر) الموت أي على الشهادة كعثمان وطلحة (وما بدلوا) العهد (تبدلا) ولا غير ولا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة وفيه نمر بض لمن بدلوا من أهل النفاق ومرض القلوب كما مر في قوله تعالى ولقد كان عاهدوا الله من قبل لا يولون الا دبار

(ليجزى الله الصادقين بصدقهم) بوقائهم بالعهد (ويعذب المنافقين ان شاء) اذ لم يتوبوا (أو يتوب عليهم) ان تابوا (ان الله كان غفورا) بقبول التوبة (رحيما) بعفوا لحوته جعل المنافقين كأنهم ما قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوقائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبها والسعي في تحصيلها (ورد الله الذين كفروا) الاحزاب (بغيبظهم) حال أي مغيبين كقوله تنبت بالدهن (لم ينالوا خيرا) ظفرا أي لم يظفروا بالمسلمين وسماه خيرا بزعمهم وهو حال أي غير ظافرين (وكنى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قويا عزيزا) قادرا (٤٩٣) غالبا (وأزل الله الذين ظاهروهم)

عاونوا الاحزاب (من أهل الكتاب) من بني قريظة (من صياصيمهم) من حصونهم الصيصية ما تحصن به روى ان جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الخيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعه قريش فقال يا رسول الله ان الله يأمرك بالسير الى بني قريظة وأنا معك اليهم فان الله دافعهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فاذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فحاصروهم خسا وعشرين ليلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمتي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم

استعاره لما فتح الله لهم من الدنيا وقوله يهدبها أي يجتنبها ويقطفها * عن أبي موسى بن طلحة قال دخلت على معاوية فقال ألا بشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب (خ) عن قيس ابن أبي حازم قال رأيت يد طلحة سلاء وفيها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ﴿ قوله عز وجل (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) أي جزاء صدقهم وصدقهم هو الوفاء بالعهد (ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم) أي فيهدبهم الى الايمان ويشرح له صدورهم (ان الله كان غفورا رحيمًا ورد الله الذين كفروا) أي من قريش وغطفان (بغيبظهم) أي لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا (لم ينالوا خيرا) أي ظفرا (وكنى الله المؤمنين القتال) أي بالملائكة والريح (وكان الله قويا) أي في ملكه (عزيزا) أي في انتقامه ﴿ قوله تعالى (وأزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب) أي عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة (من صياصيمهم) أي من حصونهم ومعاقبهم وأحدها صيصية (وقذف في قلوبهم الرعب) أي الخوف (فريقا تقتلون) يعني الرجال يقال كانوا ستمائة (وتأسرون فريقا) يعني النساء والذراري يقال كانوا سبعمائة قيل وخمسين (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضام تطوؤها) يعني بعد قيل هي خيبر ويقال انها مكة وقيل فارس والروم وقيل هي كل ارض تفتح على المسلمين الى يوم القيامة (وكان الله على كل شيء قديرا)

﴿ ذكر غزوة بني قريظة ﴾

قيل كانت في آخر ذي القعدة سنة خمس وعلى قول البخاري المتقدم في غزوة الخندق عن موسى بن عقبة أنها كانت في سنة أربع قال العلماء بالسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصبح من الليلة التي انصرف للاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عن الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم متعما بعمامة من استبرق على بغلة بيضاء عليها حاله وعليها قטיפه من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقه فقال جبريل يا رسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الآن الا من طلب القوم وروى انه كان الغبار على وجهه جبريل وفرسه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجهه وفرسه فقال ان الله تعالى يأمرك بالسير الى بني قريظة وأنا معك الى بني قريظة فانهم اليهم فاني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركهم في زلال ولبال فامر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا فاذن ان من مكان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب برأيه اليهم وابتدرها الناس وسار على حتى اذا

ان تقتل مقاتلتهم وتسي ذراريهم ونساءهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقد منهم فضرب أعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف وبضم العين شامى وعلى وأصب (فريقا) بقوله (تقتلون) وهم الرجال (وتأسرون فريقا) وهم النساء والذراري (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم) أي المواشي والنقود والامتعة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للهاجرين دون الانصار وقال لهم انكم في منازلكم (وأرضام تطوؤها) بقصد القتال وهي مكة أو فارس والروم وخيبر وكل ارض تفتح الى يوم القيامة (وكان الله على كل شيء قديرا) قادرا

دنا من الحصون وسمع منها مقالة في بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك أن لا تدنوا من هؤلاء الاغاب قال أظنك سمعت لي منهم أذى قال نعم
 يا رسول الله قال لو قدر أوتي لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال
 يا اخوان القرية قد أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله عليه
 وسلم على أصحابه بالصورة بن قبل أن يصل إلى بني قريظة فقال هل من بكم أحد فقالوا يا رسول الله مر بنا دحية
 ابن خليفة على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها قضيعة ديباج فقال صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل عليه السلام
 بعث إلى بني قريظة بزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني
 قريظة نزل على بئر من آبارها في ناحية أموالهم وتلاحق به الناس فاتاه رجال بعد صلاة العشاء الأخيرة ولم
 يصلوا العصر لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحد العصر الا في بني قريظة فصلاوا العصر بها بعد العشاء
 الأخيرة فاعابهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء حاصرهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حبي بن أخطب دخل
 على بني قريظة حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ووفى لكعب بن أسد بما كان عاهده فلما أيقنوا
 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يا معشر يهود انكم قد نزل
 بكم من الامر ما ترون واني عارض عليكم خلا لا ثلاثا نأخذوا أيها شتم قالوا وما هن قال تتابع هذا الرجل
 ونصده فوالله قد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فنامنونا على دياركم وأموالكم وأبنائكم
 ونساءكم فقالوا لا تفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا أبيتتم هذه فهدم فلنقتل أبناءنا ونساءنا
 ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصليين بالسيوف ولا نترك وراءنا نقلا يهمننا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد
 فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئا نخشى عليه وان ظهر فلعمري لننخذن النساء والابناء قالوا تقتل هؤلاء
 المساكين فما في العيش بعدهم خير قال فان أبيتتم هذه الليلة ليلة السبت وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد
 آمنوا فانزلوا فعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا انفسد سبتنا وتحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من قبلنا
 لامن قد علمت فاصابهم من المسخ ما لم يخف عليك قال ما بات رجل منكم منذ ولدته امه حازم ليلة من الدهر
 ثم انهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعت لنا بالبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا
 حلفاء الاوس نستشيرهم في امرنا فاسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال والنساء
 والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم فقالوا يا أبا لبابة أتري أن تنزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده إلى حلقه
 انه الذبح قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه
 ولم يات النبي صلى الله عليه وسلم حتى ر بطفي المسجد إلى عمود من عمده وقال والله لا أبرح مكاني حتى يتوب الله
 علي مما صنعت وعاهد الله لا يبطأ أرض بني قريظة أبديا ولا يراني الله في بلد قد خنت الله ورسوله فيه أبدا فلما
 بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وأبطأ عليه قال أما لو قد جاءني لاستغفرت له فاما ان فعل فإنا بالذي
 أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم ان الله أنزل توبة أبي لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في
 بيت أم سلمة قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقلت مم ضحكك يا رسول الله
 أضحك الله سنك قال نيب على أبي لبابة فقلت الا أبشره بذلك يا رسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على
 باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس اليه
 ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا إلى الصبح أطلقه قال ثم ان
 علبه بن سعيد وأسيدي بن سعيد وأسيدي بن عبيد وهم نضر من بني هذيل ليسوا من قريظة ولا النضير نسبهم من
 فوق ذلك هم بنوعم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وخرج في تلك الليلة عمرو بن السعدى القرظى فربح من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسلمة
 الانصارى تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال عمرو بن السعدى وكان عمر وقد أبى أن يدخل مع بنى قريظة
 في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا أغدر بمحمد صلى الله عليه وسلم أبدا فقال محمد بن مسلمة
 اللهم لا تحرمنى من عثرات الكرام نغلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه
 وسلم في المدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري أين ذهب من أرض الله فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه
 فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه وبعض الناس يزعم انه كان أوثق برمة فبين أوثق من بنى قريظة حين نزلوا
 على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبحت رمته ملقاة ولا يدري أين ذهب فقال فيه رسول الله صلى
 الله عليه وسلم تلك المقالة فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوايب الأوس وقالوا يا رسول
 الله انهم موالينادون الخزرج وقد فعلت في موالى الخزرج بالامس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قبل بنى قريظة حاصر بنى قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله اياهم عبد الله بن
 أبى ابن سلول فوجههم له فلما كلمه الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم
 فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان سعد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده
 في خيمة امرأة من المسلمين يقال طار فيدة وكانت تدوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به
 ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخذق اجعلوه في
 خيمة فيدة حتى أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنى قريظة أنه قومه فملوه
 على حمار قد وطؤ والهوسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون
 يا أبا عمرو أحسن في مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما اولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه
 قال قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بنى الاشهل فنعى
 لهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل اليهم سعد بن معاذ من كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم فانزلوه فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قد ولاك مواليك فتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم ما حكمت قالوا نعم قال
 وعلى من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم اجلاله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فاني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الاموال
 وتسبي الذراري والنساء فتعال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرفعة
 ثم استنزلوا خبثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحر من نساء بنى النجار ثم خرج رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخذق بها خنادق ثم بعث اليهم فضربت أعناقهم في
 تلك الخنادق يخرج بهم ارسالا وفيهم عدو الله ورسوله حبي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم
 ستمائة وسبعمائة والمكثرون يقول كانوا بين الثمانمائة الى التسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب
 بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا قال أفي كل موطن لا تعقلون الأترون
 الداعى لا ينزع وان من يذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبي صلى الله
 عليه وسلم وأتى بحبي بن أخطب عدو الله وعليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كوضع الأئمة أئمة
 أئمة لكلايسها المجموعة يدها الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما لمت نفسي في
 عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقد
 وملحمة كتبت على بنى اسرائيل ثم جلس فضرب عنقه وروى عن عائشة قالت لم يقتل من نساء بنى قريظة
 الا امرأة واحدة قالت والله انها العندى تتحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم

يقتل رجلا لم بالسيف اذ هتف هاتف باسمها ابن فلانة قالت انا والله قلت ويك مالك قالت اقتل قلت ولم قالت
 حدثنا حدثته قالت فاطلق بها فضرب عنقها وكانت عائشة تقول ما أنسى عجبها طيب نفس وكثرة ضحك
 وقد عرفت أنها تقتل قال الواقدي وكان اسم المرأة بشانة امرأة الحكم القرظي وكانت قتلت خلا بن سويد
 قال وكان علي والزبير يضربان أعناق بني قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك وروى محمد بن
 اسحق عن الزهري أن الزبير بن باطال القرظي ويكنى أبا عبد الرحمن كان قد من على ثابت بن قيس بن شماس
 في الجاهلية يوم بعث أخذه فزنا صيته ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن هل
 تعرفني قال وهل يجهل مثلي مثلك قال اني أريد أن أجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم قال
 ثم اني ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كان للزبير عندي يدوله على منة وقد أحييت
 أن أجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هولاك فأناه فقال له ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قد وهب لي دمك قال شيخ كبير لأهل له ولولده فباي صنع بالحياة فأني ثابت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال يا رسول الله أهله وأولاده فقال هم لك فأناه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني امرأتك
 وولدك فهم لك فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فابقاؤهم على ذلك فأني ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال ما له يا رسول الله قال هولاك فأناه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاني مالك فهو لك فقال أي
 ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية تراءى فيه عذارى الحى كعب بن أسد قال قتل قال فافعل مقدمتنا
 اذا شددنا وحميتنا اذا كررنا عزال بن شموال قال قتل قال فافعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني
 عمرو بن قريظة قال قتلوا قال فأني أسألك يدي عندك يا ثابت الاما لحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد
 هؤلاء من خير فانا ابصير حتى ألقى الاحبة فقدمه ثابت فضربت عنقه فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله حتى باقى
 الاحبة قال يلقاهم والله في نار جهنم خالد المخلد ابدأ قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل من
 أثبت منهم ثم قسم أموال بني قريظة ونساءهم على المسلمين وأغنم في ذلك اليوم سهمين للخيال وسهما للرجال
 فكان للفارس ثلاثة أسهم سهمان للفارس وللفارس سهم وللراجل من ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة
 وثلاثين فرسا وكان أول يوم وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصاري
 أخا بني الاشهل بسايا من سبايا بني قريظة الى نجد فابتاع لهم خيلا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قد اصطفى لنفسه من نساءهم ريحانة بنت عمرو بن خنانة احدى نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس على
 أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعلى فتركها
 وقد كانت حين سباها كرهت الاسلام وأبت الا اليهودية فعزها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه
 بذلك من أمرها فبينما هو بين أصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا التلعبية بن شعبة يبشرني باسلام
 ريحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد أسلمت ريحانة فسر ذلك فلما قضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن
 معاذ وذلك أنه دعا بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم فقال اللهم انك قد علمت أنه لم يكن قوم أحب الى أن
 وجاهدهم من قوم كذبوا رسولك اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئا فابقني له وان
 كنت قد أقطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني اليك فانفجر كله فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيمته
 التي ضربت عليه في المسجد قالت عائشة فخره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فوالذي نفس
 محمد بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وانى حجرتي قالت وكانوا كما قال الله تعالى فيهم رجاء بينهم
 (خ) عن سليمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين أجلي الاحزاب الآن تغزوهم
 ولا يغزونا نحن نسير اليهم (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده

(يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) أي السعادة في الدنيا وكثرة الاموال (فتعالين) أصل تعال أن يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوي ثم كثر حتى استوى في استعماله (٤٩٧) الا يمكنه ومعنى تعالين أقبلن بارادتك

واختياركن لاحد الامرين ولم يرد فهو ضمن اليه بانفسهن كقوله قام يهددني (أتممكن) أعطكن متعة الطلاق ونسحب المتعة لكل مطلقة الا المفوضة قبل الوطاء (وأسرحكن) وأطلقكن (سراحا جيلا) لا ضرار فيه أردن شيئا من الدنيا من ثياب وزينة نفقة وتفايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاخترت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرع في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختار جميعهن اختيارها وروى أنه قال لعائشة اني اذا كرك لك أمرا ولا عليك أن لا تجلي فيه حتى تستأمرى أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت اني هذا أستأمر أبوي فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وحكم التخيير في الطلاق أنه اذا قال لها اختارى فقالت اخترت نفسي أن تقع نطقه بانه واذا اختارت

لا شريك له أعز جنده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده فلا شيء بعده ﴿ قوله تعالى (يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن) أي متعة الطلاق (وأسرحكن سراحا جيلا) أي من غير ضرر (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) سبب نزول هذه الآية ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم سأله من عرض الدنيا شيئا وطلبن منه زيادة في النفقة آذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكى أن لا يقر بهن شهرا ولم يخرج الى أصحابه فقالوا ما شأنه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لا علمن لكم شأنه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أطلقتهن قال لا قلت يا رسول الله اني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أفاضل فاخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فقمتم على باب المسجد وناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الآية ولوروده الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت أنا استنبطت هذا الامر وأنزل الله آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أبي أمية وسودة بنت زمعة وأربع غير قريشيات وهن زينب بنت نجش الاسدي وميمونة بنت الحارث اهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاخترت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرع في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعتها على ذلك فلما اخترت الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال تعالى لا تحل لك النساء من بعد (م) عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا يباه لم يؤذن لاحد منهم فأذن لابي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وحوله نساؤه واجما ساكتا فقال لأقولن شيئا أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله لقد رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقلت اليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال هن حولي كما ترى يسألني النفقة فقام أبو بكر الى عائشة فوجأ عنقها وقام عمر الى حفصة فوجأ عنقها كلاهما يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده قلن والله لانسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ليس عنده ثم اعترظن شهرا أو تسعا وعشرين حتى نزلت هذه الآية يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن أمتعكن (م) عن عائشة اني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تجلي فيه حتى تستشيرى أبويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله أستشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك ان لا تخبر امرأة من نساءك بالذي قلت قال لا تسألني امرأة ممنهن الا أخبرتها ان الله لم يعثنى معنتا ولا امتعنتا ولكن يعثنى معلما مبشرا قوله واجبا أي مهتما والواجم الذي أسكته لهم وعلته الكآبة وقيل الوجوم الحزن قوله فوجأت عنقها أي دققته وقوله لم يعثنى معنتا العنت المشقة والصعوبة (م) عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهرا قال الزهري فاخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بي فقلت يا رسول الله أقسمت أن لا تدخل علينا

زوجها لم يقع شيء وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت

(٦٣ - (خازن) - ثالث)

زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن)

من البيان لا التبويض (أجرا عظيما)

يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة (سيئة بليغة في القبح) ظاهرة خشها من بين بمعنى تبيين وبفتح الياء مكي وأبو بكر قيل هي عصياتهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك (يضاعف لها العذاب) يضغف لها العذاب مكي وشامي فضغف أبو عمر ويزيد ويعقوب (ضعفين) ضغفي عذاب غيرهن من النساء لان ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل (٤٩٨) وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولذا كان الدم

للعاصي العالم أشد من العاصي الجاهل لان المعصية من لعالم أقبح ولذا فضل حد الاحرار على العبيد ولا يرجم الكافر (وكان ذلك) أي تضعيف العذاب عليهن (على الله يسيرا) هينا (ومن يقنت منكن لله ورسوله) القنوت الطاعة (وتعمل صالحا نؤتها) وبالياء فيها حزمة وعلى (أجرها مرتين) مثلي ثواب غيرها (وأعتدنا لها رزقا كريما) جليل القدر وهو الجنة (يانساء النبي لستن كأحد من النساء) أي لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء جماعة تقصبت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة نساويكن في الفضل وأحد في الاصل بمعنى واحد وهو الواحد ثم وضع في النسب العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراه (ان اتقين)

شهر او انك دخلت من نبع وعشرين أعدهن قال ان الشهر تسع وعشرون (فصل في حكم الآية) اختلف العلماء في هذا الخيار هل كان ذلك تفويضا للطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم الى أنه لم يكن تفويضا للطلاق وانما خبرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين أمتعن وأمر حكن بدليل أنه لم يكن جوابهن على الفور وانه قال لعائشة لا تجلي حتى تستشيرى أبو بك وفي تفويضا للطلاق يكون الجواب على الفور وذهب قوم الى أنه كان تفويضا للطلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقه التفريع على حكم الآية اختلف أهل العلم في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس واذا خير الرجل امرأته فاخترت زوجها لا يقع شيء وان اختارت نفسها يقع طلاقه واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلي وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي الا أن عند أصحاب الرأي يقع طلاقه بائنة اذا اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية وقال زيد ابن ثابت اذا اختارت الزوج يقع طلاقه واحدة واذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروى عن علي أنها اذا اختارت زوجها يقع طلاقه واحدة واذا اختارت نفسها فثلاثة وأكثر العلماء على انها اذا اختارت زوجها لا يقع شيء (ق) عن مسروق قال ما أبالي خبرت امرأتي واحدة أو مائة أو ألقا بعد أن تختارني ولقد سألت عائشة رضيت الله عنها فقالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان طلاقا وفي رواية فاخترناه فلم يعد ذلك شيئا قوله تعالى (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مينة) أي بمعصية ظاهرة قيل هو كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك لان منهن من أنت بفاحشة فان الله تعالى صان أزواج الانبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق (يضاعف لها العذاب ضعفين) أي مثلين وسبب تضعيف العقوبة لمن لشرفهن كتضعيف عقوبة الحررة على الامة وذلك لان نسبة النبي صلى الله عليه وسلم الى غيره من الرجال كنسبة السادات الى العبيد لكونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم فكذلك أزواجه بالنسبة الى غيرهن كنسبة الحررة الى الامة (وكان ذلك على الله يسيرا) أي عذابها (ومن يقنت منكن لله ورسوله) أي تطع الله ورسوله (وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين) أي مثلي أجر غيرها قيل الحسنة بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه إشارة الى أنهن أشرف نساء العالمين (وأعتدنا لها رزقا كريما) يعني الجنة قوله تعالى (يانساء النبي لستن كأحد من النساء) قال ابن عباس يريد كن عندى مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم على وثوابكن أعظم لدى (ان اتقين) يعني الله فاطعته فان الاكرم عند الله هو الاتقى (فلا تخضعن بالقول) أي لائنن بالقول للرجال ولا ترقصن الكلام (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى لا تغلقن قولا يمجذ المنافق والقاجر به سبيلا الى الطمع فيكن والمرأة مندوبة الى الغلظة في المقال اذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع فيهن (وقان قولنا معروف) أي بوجه الدين والاسلام عند الحاجة اليه ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى قوله عز وجل (وقرن في بيوتكن) أي الزمن بيوتكن وقيل هو أمر من الوفا رأى كمن أهل وقار وسكون

ان أردتن التقوى أو ان كنتن متقيات (فلا تخضعن بالقول) أي اذا كلمتن الرجال من وراء الحجاب فلا تجتن بقولكن خاضعا أي ليناختنا مثل كلام المربيات (فيطمع) بالنصب على جواب النهي (الذي في قلبه مرض) ريبة وفجور (وقان قولنا معروف) حسام كونه خشنا (وقرن) مدنى وعاصم غير هبيرة وأصله اقررن فقد فت الراء تخفيقا وألقت فتحتها على ما قبلها أو من قار يفار اذا اجتمع والباقون قرن من وقر يفرو قارا أو من قر يفرو حذفت الاولى من رأتى اقررن قرارا من التكرار وقتت كسرتها الى القاف (في بيوتكن) بضم الباء بصرى ومدنى وحفص

(ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) أي القديمة والتبرج التبخر في المشى أو اظهار الزينة والتقدير ولا تبرجن تبرج مثل تبرج النساء في
الجاهلية الاولى وهي الزمان الذي ولد فيه ابراهيم أو ما بين آدم ونوح (٤٩٩) عليهما السلام أو زمن داود وسليمان

والجاهلية الاخرى ما بين
عيسى ومحمد عليهما السلام
أو الجاهلية الاولى جاهلية
الكفر قبل الاسلام
والجاهلية الاخرى جاهلية
الفسوق والفجور في
الاسلام (وأقن الصلاة وآتين
الزكاة وأطعن الله ورسوله)
خص الصلاة والزكاة
بالامر ثم عم بجميع الطاعات
تفضيلا لهما لان من واطب
عليهما جرتاه الى ما وراءهما
(انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت)
نصب على النداء أو على
المدح وفيه دليل على أن
نساء من أهل بيته وقال
عنكم لانه أريد الرجال
والنساء من آله بدلالة
(ويظهركم تطهيرا) من
نجاسة الآثام ثم بين أنه إنما
سأهن وأمرهن ووعظهن
لثلايقار أهل بيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
المآثم وليتصونوا عنها
بالتقوى واستعاروا للذنوب
لرجس وللتقوى الطهر لان
عرض المقترف للمقدمات
يتلوث بها كما يتلوث بدنه
بالارجاس وأما المحسنات
فالعرض منها نقي كالثوب
الطاهر وفيه تفسيرا لاولي
الالباب عن المناهي وترغيب

(ولا تبرجن تبرج) قيل هو التكرس والتعنج والتبخر وقيل هو اظهار الزينة وابرار المحاسن للرجال
(الجاهلية الاولى) قيل الجاهلية الاولى هو ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو زمن داود
وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قيصا من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلفهما منه وقيل كان
في زمن نمرود الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي به وسط الطريق ليس عليها شيء غيره
وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس الجاهلية الاولى ما بين نوح وادريس وكانت ألف سنة وقيل ان
بطنين من ولد آدم عليه الصلاة والسلام كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكانت رجال
الجبال صباحا وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلا من أهل
السهل وأجره نفسه وكان يخدمه واتخذ شيئا مثل الذي يزر به الرعاة فجاء بصوت لم يسمع النساء مثله فبلغ
ذلك من حوهم فاتوهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النساء للرجال وتزين
الرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه
فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فزولوا معهم وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج
الجاهلية الاولى وقيل الجاهلية الاولى ما قبل الاسلام والجاهلية الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر
الزمان وقيل قد تدكر الاولى وان لم تكن لها أخرى (وأقن الصلاة) أي الواجبة (وآتين الزكاة) أي
المفروضة (وأطعن الله ورسوله) أي فيما أمر وفيما نهى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أي الأثم
الذي نهى الله النساء عنه وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا وقيل الرجس الشك
وقيل السوء (أهل البيت ويظهركم تطهيرا) هم نساء النبي صلى الله عليه وسلم لانهن في بيته وهورواية سعيد
ابن جبير عن ابن عباس وتلا قوله تعالى واذا كرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وهو قول
عكرمة ومقاتل وذهب أبو سعيد الخدرى وجاعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم الى أنهم على
فاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم يدل عليه ما روى عن عائشة أم المؤمنين قالت خرج النبي صلى الله
عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء على فادخله
فيه ثم جاء الحسن فادخله فيه ثم جاء الحسين فادخله فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويظهركم تطهيرا أخرجه مسلم المرط الكساء والمرحل بالحاء المنقوش عليه صور الرجال وبالجم المنقوش عليه
صور الرجال عن أم سلمة قالت ان هذه الآية نزلت في بينها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويظهركم تطهيرا قالت وأنا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله أأنت من أهل البيت فقال انك الى خير أنت
من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى فاطمة وحسن
وحسين فإلهم بكساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أخرجه الترمذى
وقال حديث صحيح غريب عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة
أشهر اذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة يا أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويظهركم تطهيرا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وقال زيد بن أرقم أهل البيت من حرم الصدقة
بعده آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس ﴿ قوله تعالى (واذا كرن مايتلى في بيوتكن من آيات
الله) يعني القرآن (والحكمة) قيل هي السنة وقيل هي أحكام القرآن ومواعظه (ان الله كان لطيفا)
أي باوليائه وأهل طاعته (خييرا) أي بجميع خلقه ﴿ قوله عز وجل (ان المسلمين والمسلمات) الآية وذلك

لهم في الاوامر (واذا كرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله) القرآن (والحكمة) أي السنة أو بيان معاني القرآن (ان الله كان
لطيفا) عالما بغوامض الاشياء (خييرا) عالما بحقائقها أي هو عالم بافعالكن وأقوالكن فاحذرن مخالفة أمره ونهيه ومعصية رسوله ولما
نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فأنزل فينا شيئا فنزلت (ان المسلمين والمسلمات) المسلم الداخل في السلم بعد الحرب

المنقاد الذي لا يعاند أو المفوض أمره إلى الله المتوكل عليه من أسلم وجهه إلى الله (والمؤمنين) المصدقين بالله ورسوله و بما يجب أن يصدق به (والمؤمنات والقاتين) القائمين بالطاعة (والقاتات والصادقين) في النيات والأقوال والأعمال (والصادقات والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن السيئات (والخاشعين) المتواضعين لله بالقلوب والجوارح أو الخائفين (والخاشعات والمتصدقين) (فرضا ونفلا) (والصائمين والصائمات) (فرضا (٥٠٠) ونفلا) وقيل من تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل

شهر فهو من الصائمين (والحافظين فروجهم) عمال يعمل (والحافظات) والذاكرين الله كثيرا) بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الله كرم المعنى والحافظات فروجهن (والذاكرات) الله فذو لاله ما تقدم عليه والفرق بين عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين لان الاول نظير قوله نيات وأبكارا في انهما جنسان مختلفان واشتركا في حكم واحد فلم يكن بد من توسط العاطف بينهما وأما الثاني فن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع ومعناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات (أعد الله لهم مغفرة وأجر عظيما) على طاعتهم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته أمية على مولاه زيد بن حارثة فابت وأبى أخوها عبد الله فزلت (وما كان لمؤمن

ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قان يارسول الله ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فافينا خيرنا ذكر به اننا نحاف أن لا تقبل منا طاعة فانزل الله هذه الآية عن أم عمارة الانصارية قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت مالي أرى كل شيء إلى الرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء فنزلت ان المسلمين والمسلمات أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل ان أم سلمة بنت أبي أمية وأبيسة بنت كعب الانصارية قالت النبي صلى الله عليه وسلم ما بال بنات يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه ونحشى أن لا يكون فيهن خير فنزلت هذه الآية وروى أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا قالت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان النساء في خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت لانهن لم يذكرن بخير كما ذكر الرجال فانزل الله ان المسلمين والمسلمات قد كرهن عشر مرات مع الرجال فدحهن بهما معهما الاولى الاسلام وهو الانقياد لامر الله تعالى وهو قوله ان المسلمين والمسلمات الثانية الايمان بما اراد به امر الله تعالى وهو تصحيح الاعتقاد وموافقة الظاهر للباطن وهو قوله (والمؤمنين والمؤمنات) الثالثة الطاعة وهو قوله (والقاتين والقاتات) (والقاتات) الرابعة الصدق في الأقوال والأفعال وهو قوله (والصادقين والصادقات) الخامسة الصبر على ما أمر الله وفيما ساء وسر وهو قوله (والصابرين والصابرات) السادسة الخشوع في الصلاة وهو أن لا يلتفت وقيل هو التواضع وهو قوله (والخاشعين والخاشعات) السابعة الصدقة مما رزق الله وهو قوله (والمصدقين والمتصدقات) الثامنة المحافظة على الصوم وهو قوله (والصائمين والصائمات) التاسعة العفة وهو قوله (والحافظين فروجهم) يعني عمال يعمل (والحافظات) العاشرة كثرة الذكر وهو قوله (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) وقيل لا يكون العبد منهم حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سبق المفردون قالوا يارسول الله وما المفردون قال الذكرا كرون الله كثيرا والذاكرات وقال عطاء بن أبي رباح من فوض أمره إلى الله فهو داخل في قوله ان المسلمين والمسلمات ومن أقر بان الله قربه ومحمد رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله والمؤمنين والمؤمنات ومن أطاع الله في الفرض والرسول في السنة فهو داخل في قوله والقاتين والقاتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله والصادقين والصادقات ومن صبر على طاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن شماله فهو داخل في قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو داخل في قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام في كل شهر أيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه عمال يعمل فهو داخل في قوله والحافظين فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات (أعد الله لهم مغفرة) أي بمحو ذنوبهم (واجرا عظيما) يعني الجنة في قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمر أن تكون لهم الخيرة من أمرهم)

ولا مؤمنة) أي وما صح لرجل مؤمن ولا امرأة مؤمنة (اذا قضى الله ورسوله) أي رسول الله (أمرا) نزلت من الامور (أن تكون لهم الخيرة من أمرهم) ان يختاروا من أمرهم ما شاءوا بل من حقهم ان يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه واختيارهم تلو لا اختياره فقالوا ربنا يارسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها وانما جمع الضمير في لم وان كان من حقه ان يوحد لان المذكورين وقعات النبي فصام مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير إلى المعنى لا إلى اللفظ ويكون بالياء كوفي واخيرة ما يتخير ودل ذلك على ان الامر

(ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) فان كان العصيان عصياناً رداً وامتناعاً عن القبول فهو ضلال كفر وان كان عصياناً فعل مع قبول الامر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ وفسق (واذ تقول للذي أنعم الله عليه) بالاسلام الذي هو أجل النعمة (وأنت على) بالاعتقاد والتبني فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة (٥٠١) (أمسك عليك زوجك) زينب بنت جحش وذلك

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصرها بعدما أنكحها اياه فووقت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفوع عنها قبل ذلك لا تريد لها وسمعت زينب بالنسيحة فذكرتها لزيد ففطن وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها الرسول الله فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني أريد أن أفارق صاحبتي فقال مالك أراك منهاشي قال لا والله ما رأيت منها الا خيراً ولكنها تعظم على لشرفها وتؤذي فقال له أمسك عليك زوجك (واتق الله) فلا تطلقها وهو نهى تزويه اذا اولى ان لا يطلق أو واتق الله فلا تدمها بالنسبة الى الكبر وأذى الزوج (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) أي تخفي في نفسك نكاحها ان يطلقها زيد وهو الذي أبداه الله تعالى وقيل الذي أخفى في نفسه تعلق قلبه بها ومودة مفارقة زيدا اياها والواو في وتخفي في نفسك (وتخشى الناس) أي قاله الناس انه

نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش الاسدية وأخيها عبد الله بن جحش وأمه أميمة بنت عبد المطلب عممة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيداً في الجاهلية بعكاظ وأعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد بن حارثة أبت وقالت أنا ابنة عمك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسي وكانت بيضاء جميلة وفيها حدة وكذلك كرهه أخوها ذلك فانزل الله تعالى وما كان لمؤمن يعني عبد الله بن جحش ولا مؤمنة يعني أخته زينب اذا قضى الله ورسوله أمر اي نكاح زيد لزيد ان تكون لهم الخيرة من أمرهم أي الاختيار على ما قضى والمعنى ان يريد غير ما أراد الله أو يمنع مما أمر الله ورسوله به (ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) أي أخطأ خطأ ظاهراً فاما سمعت بذلك زينب وأخوها رضيا وساماً وجعلت أمرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحها زيد اودخل بها وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها عشرة دنانير وستين درهماً وخماراً ودرعاً وملحفة وخمسين مداماً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر ﴿قوله عز وجل﴾ (واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك) الآية نزلت في زينب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجها من زيد مكثت عنده حينئذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى زيداً ذات يوم لحاجة فابصر زينب في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أم نساء قریش وقعت في نفسه وأعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكر له ذلك ففطن زيد وألقى في نفسه كراهيتها في الوقت وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني أريد أن أفارق صاحبتي فقال له مالك أراك منهاشي قال لا والله ما رأيت منها الا خيراً ولكنها تعظم على بشرتها وتؤذي بلسانها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله في أمرها ثم ان زيد اطلقها فذلك قوله عز وجل واذا تقول للذي أنعم الله عليه بالاسلام وأنعمت عليه أي بالاعتقاد وهو زيد بن حارثة مولاه أمسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش (واتق الله) أي فيها ولا تفارقها (وتخفي في نفسك) أي تسرو وتضمري في نفسك (ما الله مبديه) أي مظهره وقيل كان في قلبه لو فارقها تزوجها قال ابن عباس جهوا وقيل ودأنه طلقها (وتخشى الناس) قال ابن عباس تستحييهم وقيل تخاف لأنهم ان يقولوا أمر رجلاً بطلاق امرأته ثم نكحها (والله أحق أن تخشاه) قال عمر وابن مسعود وعائشة ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد عليه من هذه الآية وعن عائشة قالت لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي لكنتم هذه الآية واذا تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

(فصل) فان قلت ما ذكره في تفسير هذه الآية وسبب نزولها من وقوع محبتها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عندها ما رآها وارادته بطلاق زيد لها فيه أعظم الحرج وما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم من مدعيه لمنهبي عنه من زهرة الحياة الدنيا قلت هذا اقدم عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد فلا يشك في تزويجه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يأمر زيداً بما ساء كما هو محب تطبيقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح ما في هذا الباب ما روى عن سفيان بن عيينة عن علي

نكح امرأته ابنه (والله أحق أن تخشاه) واو الحال أي تقول لزيد أمسك عليك زوجك محفياً في نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفي خاشياً قاله الناس وتخشى الناس حقيقة في ذلك بان تخشى الله وعن عائشة رضي الله عنها لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً مما أوحى اليه لكنتم هذه الآية

ابن زيد بن جده ان قال سألني زين العابدين علي بن الحسين قال ما يقول الحسن في قوله تعالى ونحني في نفسك ما الله مبديه ونحشي الناس والله أحق أن تخشاه قلت يقول لما جاء زيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني أريد أن أطلق زينب أعجبه ذلك وقال أمسك عليك زوجك واتق الله فقال علي بن الحسين ليس كذلك فان الله عز وجل قد أعلمه انها ستكون من أزواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد قال اني أريد أن أطلقها قال له أمسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت أمسك زوجك وقد أعلمتك انها ستكون من أزواجك وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى أعلم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى زوجنا كما فلو كان الذي أضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها أو ارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه ولا يظهره فدل على أنه إنما عوتب على اخفاء ما أعلمه الله انها ستكون زوجته وإنما أخفي ذلك استحياء أن يخبر زيدا ان التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي وهذا قول حسن مرضى وكم من شيء يتعمظ منه الانسان ويستحى من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سائما الى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين وهو انما جعل الله طلاق زيدا طهورا ويوحى النبي صلى الله عليه وسلم اياها لالازالة حرمة التبنّي وابطال سنته كما قال الله تعالى ما كان محمد أباً أحدهم من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم فان قلت فما الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا بما ساء كما قلت هو ان الله تعالى أعلم بفيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها وأخفي في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس بتزوج امرأة ابنه فأمره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لامتة وقيل كان في أمره بما ساء كما فعل للشهوة ورد النفس عن هواها وهذه اذا جوزنا القول المتقدم الذي ذكره المفسرون وهو انه أخفي محبتها ونكاحها لوطلقها زيد ومثل ذلك لا يقدر في حال الانبياء مع أن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشياء وانه رأى حاجة فاستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه البشر من استئمان الحسن ونظرة الفجأة معقوعها ما لم يقصد ما ثم الان الودوميل النفس من طبع البشر والله أعلم وقوله أمسك عليك زوجك واتق الله أمر بالمعروف وهو حسن لانهم فيه وقوله والله أحق أن تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه الصلاة والسلام قد قال أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ولكن ما ذكرا الخشية من الناس ذكر ان الله أحق بالخشية في عموم الاحوال في جميع الاشياء ﴿ قوله عز وجل ﴾ (فلما قضى زيد منها وطرا) أي حاجته منها ولم يبق له فيها أرب وتقاشرت همتها عنها وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها وذكرا قضاء الوطر ليعلم ان زوجة المتبني تحل بعد الدخول بها (زوجنا كما) قال أنس كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أبأؤكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لأدل عليك بثلاث ما من امرأة من نساءك تدل بهن جدي وجدك واحدي واني أنكحنيك الله في السماء وان السفير جبريل عليه السلام (م) عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذا كرهنا على قال فانطلق زيد حتى أتاهوا وهي تخمر عينيها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر اليها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كرهنا فوليتها ظهري ونكصت على عقبى فقلت يا زينب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بك كرك قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي فقامت الى مسجد ها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن قال فلقد رأيتنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبنو أماس يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتبع حجر نساءه يسلم عليهن ويقفن يا رسول الله كيف وجدت أهلك قال فإدري أنا أخبرته

(فلما قضى زيد منها وطرا)
الوطر الحاجة فاذا بلغ
البالغ حاجته من شيء له فيه
همة قيل قضى منه وطره
والعنى فلما لم يبق لزيد فيها
حاجة وتقاشرت عنها
همته وطلقها وانقضت
عدتها (زوجنا كما) روى
انها لما اعتدت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لزيد
ما أجد أحدا أوثق في نفسي
منك أخطب على زينب
قال زيد فانطلقت وقلت
يا زينب ابشري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
يخطبك ففرحت وتزوجها
رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودخل بها وما أولم على
امرأة من نساءه ما أولم عليها
ذبح شاة وأطعم الناس الخبز
واللحم حتى امتد النهار

(لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أديعياهم اذا قضوا منهن وطرا) قيل قضاء الوطر ادراك الحاجة و بلوغ المراد منه (وكان أمر الله) الذي يريد أن يكونه (مفعولا) مكوونا لا محالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله) أحل له وأمر له وهو نكاح زينب امرأة زيد وأقدر له من عدد النساء (سنة الله) اسم موضوع المصدر كقولهم ترايا وجندا مؤكدا لقوله ما كان على النبي من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو أن لا يحرج عليهم في الاقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد (٥٠٣) كانت تحتم المهائر والسراري وكانت لداود

مائة امرأة وثلاثمائة سرية
ولسليمان ثلاثمائة حرة
وسبعمائة سرية (في الذين
خلوا من قبل) في الانبياء
الذين مضوا من قبل (وكان
أمر الله قدرا مقدورا)
قضاء مقضيا وحكما مبتوتا
ولا وقف عليه أن جعلت
(الذين يبلغون رسالات
الله) بدلا من الذين الاول
وقف ان جعلته في محل الرفع
أو النصب على المدح أي هم
الذين يبلغون أو أعني
الذين يبلغون (ويخشونه
ولا يخشون أحدا الا الله)
وصف الانبياء بانهم لا
يخشون الا الله تعريضا في
قوله وتخشى الناس والله
أحق ان تخشاه (وكفى بالله
حسوبا) كافيا للمخاوف
وتحسبا على الصغيرة
والكبيرة فكان جديرا
بان تخشى منه (ما كان
محمد أبأ أحد من رجالكم)
أي لم يكن أبا رجل منكم
حقيقة حتى ثبت بينه
وبينه ما ثبت بين الاب

أن القوم قد خرجوا أم غيري قال فانطلق حتى دخل البيت وذهبت لا دخل معه فالتقى السريين وبينه ونزل
الحجاب (ق) عن أنس قال ما أولم النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من نسائه ما أولم على زينب أولم بشاة وفي
رواية أكثر وافضل ما أولم على زينب قال ثابت بن أوفى قال أظعمهم خبزا ولما حتى تركوه ﴿ قوله عز وجل
(لكيلا يكون على المؤمنين حرج) أي أم (في أزواج أديعياهم) جمع الدعي وهو المتبني (اذا قضوا منهن
وطرا) يقول ز وجنال زينب وهي امرأة زيد الذي كنت تبنيته ليعلم ان زوجة المتبني حلال للمتبني وان كان
قد دخل بها المتبني بخلاف امرأة ابن الصلب فانها لا تحل للاب (وكان أمر الله مفعولا) أي قضاء الله ماضيا
وحكمه نافذا وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله تعالى (ما كان على النبي
من حرج فيما فرض الله) أي فيما أحل الله له من النكاح وغيره (سنة الله في الذين خلوا من قبل) معناه سن
الله سنة في الانبياء وهو أن لا يحرج عليهم في الاقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره فانه
كان لهم الحرائر والسراري فقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية
فكذلك سن محمد صلى الله عليه وسلم في التوسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم (وكان أمر الله قدرا مقدورا)
أي قضاء مقضيا ان لا حرج على أحد فيما أحل له ثم أثنى الله تعالى على الانبياء بقوله (الذين يبلغون رسالات
الله) أي فرائض الله وسنته وأوامره ونواهيها الى من أرسلوا اليهم (ويخشونه) أي يخافونه (ولا يخشون
أحدا الا الله) أي لا يخافون قالة الناس ولا أئمتهم فيما أحل لهم وفرض عليهم (وكفى بالله حسوبا) أي حافظا
لاعمال خلقه ومحاسبهم ﴿ قوله عز وجل (ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما تزوج زينب قال الناس ان محمد تزوج امرأة ابنه فانزل الله ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم يعني زيد
ابن حارثة والمعنى انه لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى ثبت بينه وبينه ما ثبت بين الاب وولده من حرمة
الصهر والنكاح فان قلت قد كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر و ابراهيم وقال للحسن ان ابني هذا سيد
قلت قد أخرجوا من حكم النبي بقوله من رجالكم وهو لآلم يبلغوا مبلغ الرجال وقيل أراد بالرجال الذين لم
يلد لهم (ولكن رسول الله) أي ان كل رسول هو أبو أمته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له ووجوب
الشفقة والنصيحة لهم عليه (وخاتم النبيين) ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده أي ولا معه قال ابن عباس يريد
لولم أختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا وعنه قال ان الله لما حكم أن لا نبى بعده لم يعطه ولدا ذكر
يصير رجلا (وكان الله بكل شيء عليما) أي دخل في علمه أنه لا نبى بعده فان قلت قد صح أن عيسى عليه السلام
ينزل في آخر الزمان بعده وهو نبى قلت ان عيسى عليه السلام من نبى قبله وحين ينزل في آخر الزمان ينزل عاملا
بشرية محمد صلى الله عليه وسلم ومصليا الى قبلته كانه بعض أمته (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بناقا حسنة وأجله الاموضع

ولده من حرمة الصهر والنكاح والمراد من رجالكم البالغين والحسن والحسين لم يكونان بالغين حينئذ والطاهر والقاسم و ابراهيم
توفوا صبيانا (ولكن) كان (رسول الله) وكل رسول أبو أمته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة
لهم عليه لافي سائر الاحكام الثابتة بين الآباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمه كحكمهم والتبني
من باب الاختصاص والتقريب لا غير (وخاتم النبيين) بفتح التاء عاصم بمعنى الطابع أي آخرهم يعني لا نبيا أحد بعده وعيسى من نبى قبله
وحين ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كانه بعض أمته وغيره بكسر التاء بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود
ولكن نبيا ختم النبيين (وكان الله بكل شيء عليما)

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (أثنا عليه بصر وب الشناء وأ كثر واذلك (وسبحوه بكرة) أول النهار (وأصيلا) آخر
النهار وخصا بالذكروا لان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فيهما وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والفعالان أي اذكروا الله وسبحوه موجهان الى البكرة والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح
من جملة الذكروا اذ اختلف من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ابانة لفضله على سائر الازكار لان معناه تنزيه ذاته
عما لا يجوز عليه من الصفات وجزان يراد (٥٠٤) بالذكروا كشاره تكثير الطاعات والعبادات فانها من جملة الذكروا ثم خص من ذلك

التسبيح بكرة وهي صلاة
الفجر وأصيلا وهي صلاة
الظهر والعصر والمغرب
والعشاء أو صلاة الفجر
والعشاءين (هو الذي يصلي
عليكم وملائكته) لما كان
من شأن المصلي ان يعطف
في ركوعه وسجوده
استعير لمن يعطف على
غيره نحو اعليه وترؤفا
كعائد المريض في اعطافه
عليه والمرأة في حنوها على
ولد هائم كثر حتى استعمل
في الرحمة والترؤف ومنه
قولهم صلى الله عليك أي
ترحم عليك وترأف والمراد
بصلاة الملائكة قولهم
اللهم صل على المؤمنين
جعلوا لكونهم مستجابي
الدعوة كأنهم قاعلون
الرحمة والرافقة والمعنى هو
الذي يترحم عليكم وترأف
حين يدعوكم الى الخير
ويأمركم باكثر الذكروا
والتوفر على الصلاة والطاعة
(ليخرجكم من الظلمات
الى النور) من ظلمات
المعصية الى نور الطاعة

لبنة من زاوية من زواياه جعل الناس يطوفون ويتحجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانما اللبنة
وأما خاتم النبيين وعن جابر نحوه وفيه جئت فحمت الانبياء (ق) عن جابر بن مطعم قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماسح الذي يمحو الله الكفر بي وأنا الحاشم الذي يحشر
الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله وفارحيما (م) عن أبي موسى
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى لنفسه أسماء فقال أنا محمد وأنا أحمد وأنا الملقني وأنا الماسح ونبي
التوبة ونبي الرحمة الملقني هو المولى الداهب يعني آخر الانبياء المتبع لهم فاذا قفي فلا نبي بعده قوله تعالى (يا أيها
الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة الا جعل
لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكروا فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر أحدا في تركه
الا مغلوبا على عقله وأمرهم به في الاحوال كلها فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال
تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا يعني بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية
وقيل الذكروا كثيرا ان لا ينساه أبدا (وسبحوه) معناه اذا كرموه ببني لكم ان يكون ذكركم اياه على وجه
التعظيم والتنزيه عن كل سوء (بكرة وأصيلا) فيه اشارة الى المداومة لان ذكروا الطرفين يفهم منه الوسط أيضا
وقيل معناه صلواته بكرة صلاة الصبح وأصيلا يعني صلاة العصر وقبل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء
وقيل معنى سبحوه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله زاد في نسخة
العلي العظيم فعبير بالتسبيح عن أخواته والمراد بقوله كثيرا هذه الكلمات بقولها الطاهر والجنب والحائض
والمحدث (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين وقيل
الصلاة من الله على العبد هي اشاعة الذكروا الجليل له في عباده والشناء عليه قال أنس لما نزلت ان الله وملائكته
يصلون على النبي قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فانزل الله هذه الآية
(ليخرجكم من الظلمات الى النور) يعني انه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم اخرجكم من ظلمة الكفر
الى نور الايمان (وكان بالمؤمنين رحيما) فيه بشارة لجميع المؤمنين واشارة الى ان قوله يصلي عليكم غير مختص
بالساعة من وقت الوحي بل هو عام لجميع المسلمين (تحيتهم) يعني تحية المؤمنين (يوم يلقونهم) أي يرون الله
يوم القيامة (سلام) أي يسلم الرب تعالى عليهم ويسلمهم من جميع الآفات وروى عن البراء بن عازب قال
تحيتهم يوم يلقونهم سلام يعني يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن الا يسلم عليه عن ابن مسعود قال اذا جاء
ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من
قبورهم تبشرهم (وأعد لهم أجرا كريما) يعني الجنة قوله عز وجل (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا
أي للرسول بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيامة (ومبشرا) أي لمن آمن بالجنة (ونذيرا)

(وكان بالمؤمنين رحيما) هو دليل على ان المراد بالصلاة الرحمة وروى انه لما نزل ان الله وملائكته يصلون على النبي
قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فنزلت (تحيتهم) من اضافة المصدر الى المفعول أي تحية الله لهم (يوم يلقونهم)
يردونه (سلام) يقول الله تبارك وتعالى السلام عليكم (وأعد لهم أجرا كريما) يعني الجنة (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا)
علي من بعث اليهم على تكذيبهم وتصديقتهم أي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم وهو حال مقدره كما تقول صررت
برجل مع صقر صائد اياه أي مقدر اياه الصيد غدا (ومبشرا) للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين بالنار

(وداعيا الى الله باذنه) بامرءه أو بتيسيره والكل منصوب على الحال (وسراجا منيرا) جلابه الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلي ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به والجمهور على انه القرآن فيكون التقدير وذا سراج منيرا وتاليا سراجا منيرا ووصف بالانارة لان من السراج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته أو شاهد ابوحدها ابتنا ومبشر ابر حمتنا ونذير ابتنا واداعيا الى عبادتنا وسراجا ووجه ظاهرة لحضرتنا (و بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) ثوابا عظيما (ولانطع الكافرين والمنافقين) المراد به التهييج أو الدوام والثبات على ما كان عليه (ودع أذاهم) هو بمعنى الابداء فيحتمل أن يكون مضافا الى الفاعل أي اجعل ابداءهم اياك في جانب ولا تبال بهم ولا تخف من ابدائهم أو الى المفعول أي دع ابداءك اياهم مكافأة لهم (وتوكل على الله) (٥٠٥) فإنه يكفيكم (وكفى بالله وكيفا) وكفى به مفوض اليه وقيل ان الله تعالى وصفه بخمسة أوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا عرض عنهم أقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير يدع أذاهم لانه اذا ترك أذاهم في الحاضر والاذى لا بدله من عقاب عاجل أو أجل كاثوا منذر ين به في المستقبل والداعى الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله فان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير يالا كتفاء به وكيفا لان من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بان يكفى به عن

أي لمن كذب بالنار (وداعيا الى الله) أي الى توحيد وطاعته (بأذنه) أي بامرءه (وسراجا منيرا) سماه سراجا منيرا لانه جلابه ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلي ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السراج ما لا يضيء فان قلت لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس أشد اضاءة من السراج وأنور قلت نور الشمس لا يمكن أن يؤخذ منه شيء بخلاف نور السراج فإنه يؤخذ منه أنوار كثيرة (و بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) أي ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل الفضل هو الثواب وقيل هو تفضيل هذه الامة على سائر الامم (ولانطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم) قال ابن عباس اصبر على أذاهم وقيل لانجازهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال (وتوكل على الله وكفى بالله وكيفا) أي حافظا ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أي تجامعوهن في الآية دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة أجنبية اذا نكحتك فانت طالق أو قال كل امرأة أنكحها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهذا قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة و به قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبيرة والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبي وقتادة وأكثر أهل العلم و به قال الشافعي وروى عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعي وأصحاب الرأي وقال ربيعة ومالك والاوزاعي ان عين امرأة وقع وان عمم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال كذبوا على ابن مسعود وان كان قاهما فزلة من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهي طالق والله يقول اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يقبل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طلاق فيما لا تملك ولا بيع فيما لا تملك أخرجه أبو داود والترمذي بمعناه (خ) عن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد النكاح أخرجه البخاري في ترجمة باب بغير اسناد وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح (فالمع عليهن من عدة تعتدونها) أي نكحونها بالافراء والاشهر أجمع العلماء انه اذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة وذهب أحمد الى ان الخلوة توجب العدة والصداق (فتعوهن) أي أعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا اذا لم يكن سمي لها صداق فلها المتعة وان كان قد فرض لها صداق فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة هذه الآية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وقيل هذا أمر نذير فالتعته مستحبة لها مع نصف المهر وقيل انها تستحق المتعة بكل حال

(٦٤ - (خازن) - ثالث) جميع خلقه (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات) أي تزوجتم والنكاح هو الوطء في الاصل وتسمية العقد نكاحا ملائسته له من حيث انه طريق اليه كنسمية الخمر اثم لانها سببه وكقول الرازي * أسنة الآبال في سحابه هسمى الماء بأسنة الآبال لانه سبب سمن الآبال وارتقاع أسنمتها ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله تعالى الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملاسة والماساة والقر بان والتغشي والاتبان وفي تخصيص المؤمنات مع ان الكتابيات تساوي المؤمنات في هذا الحكم إشارة الى ان الاولى بالمؤمن ان ينكح مؤمنة (م طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) والخلوة الصحيحة كالمس (فالمع عليهن من عدة تعتدونها) فيه دليل على ان العدة تجب على النساء للرجال ومعنى تعتدونها تستوفون عددها فتعلمون من العدة (فتعوهن) والمتعة تجب التي طلقها قبل الدخول بها ولم يسم لها مهر دون غيرها

(وسرحوهن سرا حجيلا) أي لانمكوهن ضرارا وأخرجوهن من منازلكم اذ لا عدة لكم عليهن (يا أيها النبي انا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) مهورهن اذ المهر أجر على البضع ولهذا قال السكرخي ان النكاح بلفظ الاجارة جائز وقلنا التأيد من شرط النكاح والتأقيت من شرط الاجارة وبينهما منافاة وإتاؤها عطاؤها عاجلا أو فرضها وتسميتها في العقد (وماملكت يمينك مما أفاء الله عليك) وهي صفة وجورية فاعتقهما وتزوجهما (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) ومع ليس للقران بل لوجودها حسب كقولها وأسلمت مع سليمان وعن أم هاني بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت فعذرني فانزل الله هذه الآية فلم أحل (٥٠٦) له لاني لم أهاجر معه (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي) وأحلنا لك من وقع لها ان

نهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذا نكرها قال ابن عباس هو بيان حكم في المستقبل ولم يكن عنده أحد ممن بالهبة وقيل الواهبة نفسها ميمونة بنت الحرث أوزيب بنت خزيمة أو أم شريك بنت جابر أو خولة بنت حكيم وقرأ الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه بغير ان (ان أراد النبي أن يستنكحها) استنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقيل نكح واستنكح بمعنى والشرط الثاني تقييد للشرط الاول شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاحها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قال أحلناها لك ان وهبت لك نفسها وأنت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة ومابته تم وفيه دليل جواز النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحكام وأتمه سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل (خالصة) بلامه حال من الضمير في وهبت أو مصدر مؤكد أي خاص لك احلال ما أحلنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعلة في المصادر غير عزير كالعاقبة والكاذبة (لك من دون المؤمنين) بل يجب المهر لغيرك وان لم يسمه أو نفاه عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله ان أراد النبي ثم رجع الى الخطاب ليؤذن ان الاختصاص تكملة له لاجل النسوة ونكر يره أي نكر بر النبي تفخيم له (قد علمنا ما فرضنا عليهم) أي أوجبنا على المؤمنين (في أزواجهم) أي من الاحكام وهو أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا الابولى وشهود ومهر (وماملكت أيمانهم) أي ما أوجبنا من

تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة ومابته تم وفيه دليل جواز النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحكام وأتمه سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل (خالصة) بلامه حال من الضمير في وهبت أو مصدر مؤكد أي خاص لك احلال ما أحلنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعلة في المصادر غير عزير كالعاقبة والكاذبة (لك من دون المؤمنين) بل يجب المهر لغيرك وان لم يسمه أو نفاه عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله ان أراد النبي ثم رجع الى الخطاب ليؤذن ان الاختصاص تكملة له لاجل النسوة ونكر يره أي نكر بر النبي تفخيم له (قد علمنا ما فرضنا عليهم) أي أوجبنا على المؤمنين (في أزواجهم) أي من الاحكام وهو أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا الابولى وشهود ومهر (وماملكت أيمانهم) أي ما أوجبنا من

نهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذا نكرها قال ابن عباس هو بيان حكم في المستقبل ولم يكن عنده أحد ممن بالهبة وقيل الواهبة نفسها ميمونة بنت الحرث أوزيب بنت خزيمة أو أم شريك بنت جابر أو خولة بنت حكيم وقرأ الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه بغير ان (ان أراد النبي أن يستنكحها) استنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقيل نكح واستنكح بمعنى والشرط الثاني تقييد للشرط الاول شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاحها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قال أحلناها لك ان وهبت لك نفسها وأنت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة ومابته تم وفيه دليل جواز النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحكام وأتمه سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل (خالصة) بلامه حال من الضمير في وهبت أو مصدر مؤكد أي خاص لك احلال ما أحلنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعلة في المصادر غير عزير كالعاقبة والكاذبة (لك من دون المؤمنين) بل يجب المهر لغيرك وان لم يسمه أو نفاه عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله ان أراد النبي ثم رجع الى الخطاب ليؤذن ان الاختصاص تكملة له لاجل النسوة ونكر يره أي نكر بر النبي تفخيم له (قد علمنا ما فرضنا عليهم) أي أوجبنا على المؤمنين (في أزواجهم) أي من الاحكام وهو أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا الابولى وشهود ومهر (وماملكت أيمانهم) أي ما أوجبنا من

(لكيلا يكون عليك حرج) ضيق متصل بخالصة لك من دون المؤمنين وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم جلة اعتراضية (وكان الله غفوراً رحيمًا) بالتوسعة على عباده (ترجي) بلا همز مدني وحزرة وعلى وخلف وحفص وهمز غيرهم تؤخر (من نشاء منهن وتؤوي اليك من نشاء) تضم بمعنى تترك مضاجعة من نشاء منهن وتضاجع من نشاء وتطلق من نشاء وتمسك من نشاء ولا تقسم لآيتهن شئت وتترك زوج من شئت من نساء أمتك وتزوج من شئت وهذه (٥٠٧) قصة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق واما ان

يمسك فاذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أول يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلى المعزولة لا يتنهبها أو يتنهبها وروى أنه أرجى منهن جوهرية وسودة وصفية وميمونة وأم حبيبة وكان يقسم لمن ماشاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب أرجى خساو آوى أربعا وروى انه كان يسوي مع ما أطلق له وخبر فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك (ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) أي ومن دعوت الى فراشك وطلبت صحبتها ممن عزلت عن نفسك بالارجاء فلا ضيق عليك في ذلك أي ليس اذا عزلتها لم يجزلك ردها الى نفسك ومن رفع بالابتداء وخبره فلا جناح (ذلك) التفويض الى مشيئتك (أدنى ان تقر أعينهن ولا يحزنن ويرضين بما آتيتن كلهن) أي

الاحكام في ملك اليمين (لكيلا يكون عليك حرج) وهذا يرجع الى أول الآية معناه أحلنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لكي لا يكون عليك ضيق (وكان الله غفوراً رحيمًا) أي بالتوسعة على عباده ﴿قوله تعالى﴾ (ترجي) أي تؤخر (من نشاء منهن وتؤوي اليك) أي تضم اليك (من نشاء) قيل هذا للقسمة بينهما وذلك ان التسوية بينهما في القسم كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار اليه فيهن وقيل نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهر حتى نزلت آية التخخير فأمره الله تعالى ان يخبرهن فمن اختارت الدنيا فارقها ويمسك من اختارت الله ورسوله على انهن أمهات المؤمنات لا ينكحن أبداً وعلى انه يؤوي اليه من يشاء منهن ويرجي من يشاء فيرضين به قسم لمن أول يقسم أو قسم لبعضهن دون بعض أو فضل بعضهن في النفقة والكسوة فيكون الامر في ذلك اليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واختارنه على هذا الشرط واختلفوا في انه هل أخرج أحداً منهن عن القسم فقال بعضهم لم يخرج أحداً بل كان صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله من ذلك يسوي بينهما في القسم الاسود فانه رضى بترك حقها من القسم وجعلت يومها عائشة وقيل أخرج بعضهن روى عن أبي رزين قال لما نزل التخخير أشفقن ان يطلقن فقلن يابني الله اجعل لنا من مالك ونفسك ماشئت ودعنا على حالنا فارجى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهن وآوى اليه بعضهن فكان ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وكان يقسم بينهما سواء وأرجى منهن خسا أم حبيبة وميمونة وسودة وجوهرية وصفية فكان يقسم لمن ماشاء وقال ابن عباس تطلق من نشاء منهن وتمسك من نشاء وقال الحسن تترك نكاح من شئت وتكح من شئت من النساء قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من نشاء من المؤمنات اللاتي يهينن أنفسهن فتؤويها اليك وتترك من نشاء فلا تقبلها (ق) عن عروة قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة أما تستحي المرأة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجى من نشاء منهن قات يارسول الله ما أرى ربك الا يسارع في هواك (ومن ابتغيت ممن عزلت) أي طلبت ان تؤوي اليك امرأة ممن عزلتهن عن القسمة (فلا جناح عليك) أي لا اثم عليك فاباح الله له ترك القسم لمن حتى انه ليؤخر من يشاء منهن في نوبتها ويأمن يشاء منهن في غير نوبتها ويردالي فراشه ممن عزل منهن تفضيلاً له على سائر الرجال (ذلك أدنى ان تقر أعينهن ولا يحزنن) أي ذلك التخخير الذي خيرتك في صحبتهم أقرب الى رضاهن وأطيب لانفسهن وأقل لحزنهن اذا علمن ان ذلك من الله تعالى (ويرضين بما آتيتن) أي أعطيتن (كلهن) من تريب وارجاء وعزل وايباء (والله يعلم ما في قلوبكم) أي من أمر النساء والميل الى بعضهن (وكان الله عليماً) أي بما في ضمائركم (حلياً) أي عنكم ﴿قوله تعالى﴾ (لا تحل لك النساء من بعد) أي من بعد هؤلاء التسع اللاتي اخترتك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خبرهن

أقرب الى قرعة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعاً لانهن اذا علمن ان هذا التفويض من عند الله اطمأنت نفوسهن وذهب التغاير وحصل الرضا وقرت العيون كلهن بالرفع نأ كيدنون يرضين وقرى ويرضين كلهن بما آتيتن على التقديم وقرى شاذاً كلهن بالنصب نأ كيدا لمن في آتيتن (والله يعلم ما في قلوبكم) فيه وعيد لمن لم يرض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسوله (وكان الله عليماً) بذات الصدور (حلياً) لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى ويحذر (لا تحل لك النساء) بالنساء أبو عمرو ويعقوب وغيرهما بالتذكير لان تأنيث الجمع غير حقيق واذا جاز بغير فصل فع الفصل أجوز (من بعد) من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأزواج كما

ان الاربع نصاب أمته (ولان تبدل بهن من (٥٠٨) أزواج) بالطلاق والمعنى ولا ان تبدل بهؤلاء التسع أزواجا آخر بكنهن أو بعضهن

كرامة لمن وجزاء على ما
اخترن ورضين فقصر
رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليهن وهن التسع التي
مات عنهن عائشة حفصة
أم حبيبة سودة أم سلمة
صفية ميمونة زينب بنت
جحش جويرية ومن في
من أزواج لنا كيد النبي
وقادته استغراق جنس
الازواج بالتحريم (ولو
أعجبك حسنن) في موضع
الحال من الفاعل وهو
الضمير في تبدل أي تبدل
لامن المفعول الذي هو من
أزواج لتوغل في التنكير
وتقديره مفروض العجائبك
بهن وقيل هي أسماء بنت
عميس امرأة جعفر بن
أبي طالب قاتها من أعجبه
حسنن وعن عائشة وأم
سلمة مات رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى أحل له
ان يتزوج من النساء ما شاء
يعني ان الآية نسخت
ونسخها ما بالسنة أو بقوله
انا حللتك أزواجك
وترتيب النزول ليس على
ترتيب المصحف (الاما
ملكك يمينك) استثنى عن
حرم عليه الاماء ومحل ما
رفع بدل من النساء (وكان
الله على كل شيء رقيبا)
حافظا وهو محذير عن
مجازة حدوده (بأبناها

فاخترن الله ورسوله شكر الله لمن ذلك وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال
بهن قاله ابن عباس واختلفوا هل أبيع له النساء بعد ذلك فروى عن عائشة انها قالت مات رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى أحل له النساء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وللنساء عنها حتى أحل له أن
يتزوج من النساء ما شاء وقال أنس مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم وقيل لابي بن كعب
لومات نساء النبي صلى الله عليه وسلم كان يحل له أن يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل له قوله تعالى لا يحل لك
النساء من بعد قال انما أحل له ضربا من النساء فقال تعالى يا أيها النبي انا حللتك أزواجك الآية ثم قال
لا يحل لك النساء من بعد وقيل معنى الآية لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات (ولان تبدل
بهن من أزواج) أي بالمسلمات غيرهن من الكتابيات لانه لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية
الامام ملكك يمينك أي من الكتابيات فتفسر بهن وقيل في قوله ولا ان تبدل بهن من أزواج كانت
العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول الرجل للرجل انزل لي عن امرأتك وانزل لك عن امرأتني
فانزل الله تعالى ولا ان تبدل بهن من أزواج أي تبادل بأزواجك غيرك بان تعطيه زوجته وتأخذ زوجته
فحرم ذلك الامام ملكك يمينك أي لا بأس ان تبادل بجارتك ما شئت فاما الخرافة (ولو أعجبك حسنن)
يعني ليس لك أن تطلق أحدا من نساءك وتكبح بدلا أخرى ولو أعجبك جاهلها قال ابن عباس يعني أسماء
بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب لما استشهد جعفر أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يخطبها فنهى عن ذلك (الامام ملكك يمينك) قال ابن عباس ملك بعدد ولاء مارية (وكان الله على كل
شيء رقيبا) أي حافظا وفي الآية دليل على جواز النظر الى من يريد نكاحها من النساء ويدل عليه ما روى
عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع ان ينظر الى
ما يدعوه الى نكاحها فليفعل أخرجه أبو داود (م) عن أبي هريرة ان رجلا أراد أن يتزوج امرأة
من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان في عين الانصار شيئا قال الحميدي يعني هو
الصفر عن المغيرة بن شعبه قال خطبت امرأة فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم هل نظرت اليها قلت لا قال
فانظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله عز وجل (يا أيها الذين
آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم) الآية قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية في شأن ولجة
زينب بنت جحش حين نبي بهار رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن أنس بن مالك انه كان ابن عشر سنين
مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال فكانت أم عاتق توظفني على خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقدمته عشر سنين وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر بن سنة وكنت أعلم الناس بشأن
الحجاب حين أنزل وكان أول ما نزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش حين أصبح النبي
صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا فبقوا رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم
فاطالوا المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فغشي النبي صلى الله عليه وسلم
ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب
فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى اذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن انهم قد
خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فاضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه بالسترو أنزل
الحجاب زاد في رواية قال دخل يعني النبي صلى الله عليه وسلم البيت وأرخى السترواني لني الحجرة وهو يقول
يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى قوله والله لا يستحي من الحق (ق) عن عائشة
ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناسع وهو صعيد أقيح وكان عمر
رضي الله عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم أحب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل

الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم

فخرجت

الى طعام غير ناظر بن اناه) ان يؤذن لكم في موضع الحال أي لا تدخلوا الا ما يؤذن لكم أو في معنى الظرف تقديره الا وقت أن يؤذن لكم وغير ناظر بن حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الحال والوقت معا كأنه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظر بن أي غير منتظرين وهو لاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لا دراهمه ومعناه لا تدخلوا أيها المتحينون للطعام الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظر بن اناه وانى الطعام ادرا كه يقال انى الطعام انى كقولك فلاه قلى وقيل اناه وقته أي غير ناظر بن وقت الطعام وساعة كاه وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أولم على زينب بتم وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجيا كل فوج ويخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقى ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله صلى (٥٠٩) الله عليه وسلم ليخرجوا فطاف رسول الله صلى

الله عليه وسلم بالحجرات وسلم عليهم ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما رآه تتوليا فخرجوا فرجع وزلت (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانثروا) فتفرقوا (ولا مستأنسين لحديث) هو محروور معطوف على ناظر بن أو منصوب أي ولا تدخلوها مستأنسين نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به (ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحي منكم) من اخرجكم (وانه لا يستحي من الحق) يعني ان اخرجكم حق ما ينبغي أن يستحي منه ولما كان الحياء مما يمنع الحبي من بعض الافعال قيل لا

فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طوية فناداها عمر ألقدر فذاك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب فانزل الله الحجاب المناصح ^{للحجاب} الخالية لقضاء الحاجة من البول والغائط والصعيد وجه الارض والافج الواسع (ق) عن أنس وابن عمر أن عمر قال وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزل واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل على نساءك البر والفاجر فلو أمرتهم أن يحتجبين فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة فقلت عسى ربه ان يطلقكن أن يبده أزواجهن منكن فنزلت كذلك وقال ابن عباس انها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام قبل أن يدرك ثوبا كلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذى بهم فنزلت الآية يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم يعني الا أن تدعوا (الى طعام) فيؤذن لكم فتأكلون (غير ناظر بن اناه) يعني منتظرين نضجه ووقت ادرا كه (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم) أي أكلتم الطعام (فانثروا) أي فخرجوا من منزله وتفرقوا (ولا مستأنسين لحديث) أي لا تطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم بحديث بعض وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون فهو اعن ذلك (ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحي منكم) أي فيستحي من اخرجكم (والله لا يستحي من الحق) أي لا يترك تاديبكم وبيان الحق حياء ولما كان الحياء مما يمنع الحبي من بعض الافعال قال لا يستحي من الحق بمعنى لا يمنع منه ولا يترك الحبي منكم وهذا أدب أدب الله به الثقلان وقيل بحسبك من الثقلان ان الله لم يحتملهم (واذا سألتموهن متاعا) أي واذا سألتم نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة (فاسئلهن من وراء حجاب) أي من وراء سترة بعد آية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متنتقة كانت أو غير متنتقة (ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن) أي من الريب (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) أي ليس لكم اذاه في شئ من الاشياء (ولا أن تنكحوا أزواجهن بعده أبدا) نزلت في رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تنكحن عائشة قيل هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله ان ذلك محرم وقال (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أي ذنبا عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم واجباب حرمة حياوميتنا واعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستفرغ شكره فان من الناس من تفرط غيرته على حرمة حتى يمتنى لها الموت

يستحي من الحق أي لا يمنع منه ولا يترك الحبي منكم هذا أدب أدب الله به الثقلان وعن عائشة رضي الله عنها حسبك في الثقلان ان الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانثروا (واذا سألتموهن) الضمير لنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لدلالة بيوت النبي لان فيها نساءه (متاعا) عليه أوجاهة (فاسئلهن) المتاع (من وراء حجاب ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن) من خواطر الشيطان وعوارض الفتن وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال وكان عمر رضي الله عنه يحب ضرب الحجاب عليهن ويودان ينزل فيه وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وكران بعضهم قال انتهى ان نكحتم بنات عمنا الامن وراء حجاب لئن مات محمد لا تزوجن فلانة فنزل (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجهن بعده أبدا) أي وما صح لكم اذاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نكاح أزواجهن بعده موتة (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أي ذنبا عظيما

(ان تبدوا شيئا) من ابذاء النبي صلى الله عليه وسلم أو من نكاحهن (أو تخفوه) في أنفسكم من ذلكم (فان الله كان بكل شيء عليا) فيعاقبكم به ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والاقارب يا رسول الله ونحن أيضا نكلمن من وراء حجاب فنزل (لا جناح عليهن في آباتهن ولا أبناهن ولا أخواتهن ولا أبناء أخواتهن ولا نساتهن) أي نساء المؤمنات (ولا ما ملكت أيمانهن) أي لا آتم عليهن في ان لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر الم (٥١٠) والحال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية الم ابا قال الله تعالى واله آباتك

ابراهيم واسماعيل واسحق واسماعيل عم يعقوب وعبيدهن عند الجمهور كالاجاب ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل فضل تشديد كانه قيل (واتقين الله) فيها أمرين به من الاحتجاب وأنزل فيسه الوحي من الاستتار واحتطن فيه (ان الله كان على كل شيء شهيدا) علما قال ابن عطاء الشهيد الذي يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أي قولوا اللهم صل على محمد ووصلى الله على محمد (وسلموا تسليما) أي قولوا اللهم سلم على محمد واتقوا لأمرة وحكمه اتقيادا وسئل عليه السلام عن هذه الآية فقال ان الله وكل بي ملكين فلا أذ كر عند عبد مسلم فيصل على الاقال ذاتك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لدينك الملكين آمين ولا

قبله ثلاث تكع بعده (ان تبدوا شيئا) أي من أمر نكاحهن على أنفسكم (أو تخفوه) أي في صدوركم (فان الله كان بكل شيء عليا) أي يعلم سرهم وعلايتهم نزلت فيمن أضر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة ما بالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا فنزلت هذه الآية ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والاقارب يا رسول الله ونحن أيضا يا رسول الله نكلمهن من وراء حجاب فانزل الله عز وجل (لا جناح عليهن في آباتهن ولا أبناهن ولا أخواتهن ولا أبناء أخواتهن ولا نساتهن) أي لا آتم عليهن في ترك الحجاب عن هؤلاء الاصناف من الاقارب (ولانساتهن) قيل أراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز للكآيات الدخول على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو عام في المسلمات والكآيات وانما قال ولا نساتهن لانهن من أجناسهن (ولا ما ملكت أيمانهن) اختلفوا في ان عبد المرأة هل يكون محرما لها أم لا فقال قوم بل يكون محرما لقوله تعالى ولا ما ملكت أيمانهن وقال قوم العبد كالأجانب والمراد من الآية الاماء دون العبيد (واتقين الله) أي أن يرا كن أحد غير هؤلاء (ان الله كان على كل شيء) أي من أعمال العباد (شهيدا) قوله عز وجل (ان الله وملائكته يصلون على النبي) قال ابن عباس أراد ان الله يرحم النبي والملائكة يدعون له وعنه أيضا يصلون تبركون وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فصلاة الله تناؤه عليه عند ملائكته وصلاة الملائكة الدعاء (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أي ادعوا به بالرحمة (وسلموا تسليما) أي حيوه بتحية الاسلام

فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها اتفق العلماء على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا في قيل تجب في العمر مرة وهو الاكثر وقيل تجب في كل صلاة في التشهد الاخير وهو مذهب الشافعي واحدى الروايتين عن أحمد وقيل تجب كلما ذكر ٢ واختاره الطحاوي من الحنفية والخليمي من الشافعية والواجب اللهم صل على محمد وما زاد سنة (ق) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدى لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد (ق) عن أبي حميد الساعدي قال قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك جيد مجيد (م) عن أبي مسعود البدرى قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عباد فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تئينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين انك جيد مجيد والسلام كما قد علمتم (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على

أذ كر عند عبد مسلم فلا يصل على الاقال ذاتك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لدينك الملكين آمين ثم هي واجبة مرة عند الطحاوي وكما ذكر اسمه عند الكرخي وهو الاحتياط وعليه الجمهور وان صلى على غيره على سبيل التبع كقوله صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيه وأما اذا أفرده غيره من أهل البيت بالصلاة فكروه وهو شعار الروافض ٢ قوله واختاره الطحاوي الخ ضعيف والمعتمد قول الكرخي انها واجبة مرة وأما كلما ذكر فستحبه أفاده في مجمع الانهر وبه تعلم ماني كلام النسفي اه

ورسوله عن فعل مالا
يرضى به الله ورسوله
كالكفر وانكار النبوة
مجازا وانما جعل مجازا
فيهما وحقيقة الابداء
يتصور في رسول الله لثلا
يجمع المجاز والحقيقة في
لفظ واحد (لعنهم الله في
الدنيا والآخرة) طردهم
الله عن رحمته في الدارين
(وأعد لهم عذابا مهينا) في
الآخرة (والذين يؤذون
المؤمنين والمؤمنات بغير
ما كتبوا) أطلق ابداء
الله ورسوله وقيده ابداء
المؤمنين والمؤمنات لان
ذاك يكون غير حق أبدا
وأما هذا فنه حق كالحد
والتعزير ومنه باطل قيل
نزلت في ناس من المنافقين
يؤذون عليا رضي الله عنه
ويسمعونه وقيل في زناة
كانوا يتبعون النساء وهن
كارهات وعن الفضيل
لا يحل لك أن تؤذي كلبا
أو خنزيرا بغير حق فكيف
ايداء المؤمنين والمؤمنات
(فقد احتملوا) تحملوا
(بهتانا) كذبنا عظيما (وانما
مبيننا) ظاهرا (يا أيها النبي
قل لازواجك وبناتك
ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلايبهن) (يا أيها النبي
الجلباب ما يسترا الكل مثل
الملحفة عن البرد ومعنى
يدنين عليهن من جلايبهن

واحدة صلى الله عليه بها عشرة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة واحدة
صلى الله عليه بها عشرة وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات أخرجه الترمذي وله عن أبي
طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشر في وجهه فقلت انما ترى البشر في وجهك قال
أتاني الملك فقال يا محمد ان ربك يقول أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد الا صليت عليه عشر او لا يصلي عليك
أحد الا صامت عليه عشر وله عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين
في الارض يبلغوني عن أمتي السلام عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أولى الناس
بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن علي بن أبي طالب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب صحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكال بالمكال الا وفي
اذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي الامي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته
كما صليت على ابراهيم انك جيد مجيد أخرجه أبو داود قوله عز وجل (ان الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود
فقالوا عزير ابن الله ويد الله مغالوة وقالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث
ثلاثة وأما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذبه
اي في قوله لن يعيدني كما بدتني وليس أول الخلق بأهون علي من اعادته وأما شتمه اي في قوله اتخذ الله ولدا
وأنا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (ق) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي أقبل الليل والنهار معني هذا الحديث
أنه كان من عادة العرب في الجاهلية أن يذمو الدهر ويسبوه عند النوازل لاعتقادهم ان الذي يصيبهم من
أفعال الدهر فقال الله تعالى أنا الدهر أي أنا الذي أحل بهم النوازل وأنا فاعل لذلك الذي تنسبونه الي الدهر في
زعمكم وقيل معني يؤذون الله يلحدون في أسمائه وصفاته وقيل هم أصحاب التصاوير (ق) عن أبي هريرة
قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقني فليخلقوا ذرة
أولي خلقوا حبة أو شعيرة وقيل يؤذون الله أي يؤذون أولياء الله كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
قال الله تعالى من آذني وليا فقد آذنته بالحرب وقال تعالى من آهان لي وليا فقد آذنته بالحرب ومعني
الاذي هو مخالفة أمر الله تعالى وارتكاب معاصيه ذكر ذلك على ما يتعارفه الناس بينهم لان الله تعالى منزه
عن أن يلحقه أذى من أحد وأما ابداء الرسول فقال ابن عباس هو أنه شج وجهه وكسرت ربا عيته وقيل
ساحر شاعر معلم مجنون (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما كتبوا) أي من غير أن عملوا
ما أوجب أذاهم وقيل يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم (فقد احتملوا بهتانا وانما مبيننا) قيل انها نزلت في
علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه وقيل نزلت في شأن عائشة وقيل نزلت في الزناة الذين كانوا
يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيتبعون المرأة فان سكنت تبعوها
وان زجرتهم اتبعوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرمة من الامه لان زى الكل
كان واحد اخرج الحرمة والامة في درع وخمار فشكوا ذلك الى أزواجهن فذكر واذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحر أن يتشبهن بالاماء فقال تعالى
(يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلايبهن) (عليهن من جلايبهن)
جمع جلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وقيل هو الملحفة وكل ما يستتر به من كساء

يدنين عليهن من جلايبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن يقال اذا زال الثوب من وجه المرأة دن ثوبك علي وجهك

ومن للتبويض أي ترخي بعض جلبابها وفضله على وجهها تنفع حتى تميز من الامة أو المراد أن يتجلبين ببعض ما هن من الجلابيب وأن لا تكون المرأة متبدلة في درع وخمار كالامة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها وذلك ان النساء في أول الاسلام على هجيراهن في الجاهلية متبدلات تبرز المرأة في درع وخمار لافضل بين الحررة والامة وكان الفتيان يتعرضون اذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن في النخيل والفيضان للاماء ور بما تعرضوا للحررة لحسان الامة فامر ان يخالفن بزمن عن زى الاماء بلبس الملاحف وسائر الرؤس والوجوه فلا يطعم فيهن طامع وذلك قوله (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أي أولى وأجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن (وكان الله غفورا) لماسلف منهن من التفريط (رحيما) بتعليمهن آداب المكارم (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض) فجور وهم الزناة من قوله فيقطع الذي في قلبه مرض (والمرجعون في المدينة) هم أناس كانوا يرجفون أخبار السوء عن سر ايارسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزمه واقتلوا وجري عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا اذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خيرا منزلا لا غير ثابت من الرجة وهي الزلزلة (لتفريتنك بهم) (٥١٢) لنامرتك بقتالهم أو انسلطتك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها) في المدينة وهو عطف على

لتفريتنك لانه يجوز أن يجاب به القسم لصحة قولك لئن لم يتهاوا لا يجاورونك ولما كان الجلاء عن الوطن أعظم من جميع ما أصبوا به عطف بهم لبعده حاله عن حال المعطوف عليه (الاقبلا) زمانا قليلا والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عصاوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجعون عما يؤلفون من أخبار السوء لنامرتك بان تفعل الافعال التي نسوهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى أن لا يساكنوك فيها الا زمانا قليلا ريثما يرتحلون

وغيره قال ابن عباس أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤسهن ووجوههن بالجلابيب الا عيننا واحدة ليعلم أنهن حارر وهو قوله تعالى (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أي لا يتعرض لهن (وكان الله غفورا رحيما) أي لماسلف منهن قال أنس مرت بعمر بن الخطاب جارية متنقبة فعلاها بالدرة وقال بالكاع أتتشمين بالحرائر ألقى القناع لكاع كلمة تقال لمن يستحقر به مثل العبد والامة والخامل والقليل العقل مثل قولك يا خبيس ﴿ قوله تعالى (لئن لم ينته المنافقون) أي عن نفاقهم (والذين في قلوبهم مرض) أي فجور وهم الزناة (والمرجعون في المدينة) أي بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سر ايارسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون في الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد اتاكم العدو ونحو هذا من الاراجيف ر قيل كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وتفشو الاخبار (لتفريتنك بهم) أي لتحرشنتك بهم ولنسلطتك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا) أي لا يساكنونك في المدينة الا قليلا أي حتى يخرجوا منها وقيل لنسلطتك عليهم حتى تقتلهم وتغلي منهم المدينة (ملعونين) أي مطرودين (أئمتا تقفوا) أي وجدوا أو أدركوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا) أي الحكم فيهم هذا على الامر به (سنة الله) أي كسنة الله (في الذين خلوا من قبل) أي في المنافقين والذين فعلوا مثل ما فعل هؤلاء أن يقتلوا حيثما تقفوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا) ﴿ قوله عز وجل (يستلك الناس عن الساعة) قيل ان المشركين كانوا يستلون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استججالا على سبيل الهزء وكان اليهود يسألونه عن الساعة امتحانا لان الله تعالى عمى عليهم علم وقتها في التوراة فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم بقوله (قل انما اعلمها عند الله) يعني ان الله تعالى قد استأثر به ولم يطلع عليه نبيا ولا ملكا (وما يدريك) أي أي شيء يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها (لعل الساعة تكون قريبا) أي انها قريبة الوقوع وفيه تهديد للمستجلبين واسكات للمتحنين (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب

فسمى ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز (ملعونين) نصب على الشتم أو الحال أي لا يجاورونك وجوههم الاملعونين فالاستثناء دخل على الظرف والحال معا كما مر ولا ينتصب عن أخذ والان ما بعد حروف الشرط لا يعمل فيما قبلها (أئمتا تقفوا) وجدوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا) والتشديد يدل على التكثير (سنة الله) في موضع مصدر مؤكدا أي سن الله في الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا أئمتا وجدوا (في الذين خلوا) مضوا (من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي لا يبدل الله سنته بل يجريها مجرى واحدا في الامم (يستلك الناس عن الساعة) كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استججالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب فامر رسوله بان يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به ثم بين لرسوله انها قريبة الوقوع تهديدا للمستجلبين واسكاتا للمتحنين بقوله (قل انما اعلمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) شيئا قريبا أولان الساعة في معنى الزمان (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا) نار أشد بدة الاتقاد (خالدين فيها أبدا) هذا يراد منه الجهمية لانهم يزعمون أن الجنة والنار قنبان ولا وقف على سعير الان قوله خالدين فيها حال عن الضمير في لم (لا يجدون وليا ولا نصيرا) ناصرا يمنهم اذ كر (يوم تقلب

وجوههم في النار) تصرف في الجهات كثرى البضعة تدور في القدر اذا غلت وخصت الوجوه لان الوجه اكرم موضع على الانسان من جسده أو يكون الوجه عبارة عن الجملة (يقولون) حال (يا ليتنا اطعنا الله وأطعنا الرسول) فنتخلص من هذا العذاب فتمنوا حين لا ينفعهم التمني (وقالوا ربنا اننا اطعنا ساداتنا) جمع سيد ساداتنا شامى وسهل ويعقوب (٥١٣) جمع الجمع والمراد رؤساء الكفرة الذين

لقنوهم الكفر وزيئهم لهم (وكبراءنا) ذوى الاسنان منا وعلما منا (فاضلونا السبيل) يقال ضل السبيل وأضله اياه وزيادة الالف لا طلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وقائدها الوقت والدلالة على أن الكلام قد انقطع وان ما بعده مستأنف (ربنا آثمم ضعفين من العذاب للضلال والاضلال) والغنم لعنا كبرا) بالباء عاصم ليدل على أشد اللعن وأعظمه وغيره بالناه تكثيرا لاعداد اللعان ونزل في شأن زيدوزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) ما مصدرية أو موصولة وأيهما كان فالمراد البراءة عن مضمون القول ومؤداه وهو الامر المعيب وأذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها وأتهمهم اياه بقتل هرون فأحياء الله

وجوههم في النار) أي تقلب ظهر البطن حين يسحبون عليها (يقولون يا ليتنا اطعنا الله وأطعنا الرسول) أي في الدنيا (وقالوا ربنا اننا اطعنا ساداتنا وكبراءنا) يعني رؤس الكفر الذين لقنوهم الكفر وزيئهم لهم (فاضلونا السبيل) يعني عن سبيل الهدى (ربنا آثمم) يعنون السادة والكبراء (ضعفين من العذاب) يعني ضعف عذاب غيرهم (والغنم لعنا كبرا) أي لعنا متتابعاً ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) أي فطهره الله مما قالوه فيه (وكان عند الله وجيها) أي كرم إذا جاءه وقد قال ابن عباس كان حظيا عند الله لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه وقيل كان مستجاب الدعوة وقيل كان محبوبا مقبولا واختلفوا فيما أذى به موسى فروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سواة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه أدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففرا الحجر بثوبه قال فجمع موسى باثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سواة موسى فقالوا والله ما يمنع موسى من باس فقام الحجر حتى نظر اليه قال فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرب باقال أبو هريرة والله ان بالحجر ندى باسته أو سبعة من ضرب موسى الحجر أخرجه البخاري ومسلم والبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حيا يستير الا يرى شيء من جسده استحياء منه فأذاه من آذاه من بنى اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا السترا من عجب بجلده اما برص واما أدرية واما آفة وان الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلاه وما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل الى ثيابه ليأخذها وان الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى العصا وطلب الحجر وجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا من بنى اسرائيل ورأوه عراة يانا أحسن ما خلق الله ورأوه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرب بابعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من أثر الضرب ثلاثا وأربعاً وخمساً فذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها الأدرية عظم الحصية لنفخة فيها وقوله فجمع أي أسرع وقوله ثوبي حجر أي دع ثوبي يا حجر قوله وطفق أي جعل يضرب الحجر وقوله ندبا هو بفتح النون والدال وهو الاصح وأصله أثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد فشبهه بالضرب بالحجر والمحدثون يقولون ندبا بسكون الدال وقيل في معنى الآية ان أذاهم اياه انه لما مات هرون في التيه ادعوا على موسى أنه قتله فامر الله تعالى الملائكة حتى مروا به على بنى اسرائيل فعرفوا أنه لم يقتله فبرأه الله مما قالوا وقيل ان قارون استأجر بغيا لتقذف موسى بنفسها على رأس الملائكة فصمها الله وبرأ موسى من ذلك وأهلك قارون (ق) عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم حين أتر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في القسمة فاعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك وأعطى ناسا من أشرف العرب وآثرهم في القسمة فقال رجل والله ان هذه قسمة ما عدل فيها وما أرى يد بها وجه الله فقلت والله لا خبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فابتته فاخبرته بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال يرحم الله موسى قد أذى باكثر من هذا فصبر الصبر بكسر الصاد صبغ أحمرا صبغ به الاديم ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) قال ابن عباس صوابا وقيل صدقا وقيل هو قول لا اله الا الله

(٦٥ - (خازن) - ثالث) تعالى فاخبرهم ببراءة موسى عليه السلام كبراً نبينا عليه السلام بقوله ما كان محمداً بأحد من رجالكم (وكان عند الله وجيها) ذاجاه ومنزلة مستجاب الدعوة وقرأ ابن مسعود والاعمش وكان عبد الله وجيها (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) صدقا وصوابا وقاصدا الى الحق والصدق الى الحق والقول بالعدل والمراد منهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على أن يسددوا قولهم في كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول رأس كل خير ولا تكلف

على سبب الان جواب الامر قوله (يصلح لكم أعمالكم) يقبل طاعتكم أو يوفقكم لصالح العمل (ويغفر لكم ذنوبكم) أي بمعها
والذي راقبوا الله في حفظ السننكم وتسد بقولكم فانكم ان فعلتم ذلك أعطاكم ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن
مغفرة سيئاتكم ونكفبرها وهذه الآية مقرررة التي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الامر باتقاء
الله في حفظ اللسان ليرادف عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام واتباع الامر الوعد البليغ
فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه ولما علق بالطاعة الفوز العظيم بقوله (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) أتبعه قوله (اما
عرضنا الامانة على السموات والارض (٥١٤) والجبال) وهو يراد بالامانة الطاعة لله وبحمل الامانة الحيانة يقال فلان حامل

للامانة ومحمّل لها أي لا
يؤديها الى صاحبها حتى
تزل عن ذمته اذ الامانة
كانها ركة للمؤمن
عليها وهو حاملها ولهذا
يقال ركبته الديون ولي
عليه حق فاذا أداها لم يبق
را كبة له ولا هو حامل لها
يعني ان هذه الاجرام العظام
من السموات والارض
والجبال قد اتقادت لامر
الله اتقياد مثلها وهو ما
يتأني من الجمادات
وأطاعت له الطاعة التي
طبق بها حيث لم تمتنع على
مشيته وارادته ايجادا
وتكوينا وتسوية على
هيات مختلفة وأشكال
متنوعة كما قال ثم استوى
الى السماء وهي دخان فقال
له وللارض انقيا طوعا أو
كرها قالتا نينا طائعين
وأخبر ان الشمس والقمر
والنجوم والجبال والشجر
والسحاب يسجدون لله

(يصلح لكم أعمالكم) قال ابن عباس يتقبل حسناتكم (ويغفر لكم ذنوبكم) ومن يطع الله ورسوله
فقد فاز فوزا عظيما) أي ظفر بالخير العظيم ﴿ قوله عز وجل (اننا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال) الآية قال ابن عباس أراد بالامانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده عرضها على
السموات والارض والجبال على أنهم اذا أدوها أتاهم وان ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود الامانة أداء
الصلوات وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيل والميزان
وأشد من هذا كله الودائع وقيل جميع ما أمر وناهى عنه وقيل هي الصوم وغسل الجنابة وما يخفى من
الشرائع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص أول ما خلق الله من الانسان الفرج وقال هذه الامانة استودعها
فالفرج أمانة والاذن أمانة والعين أمانة واليد أمانة والرجل أمانة ولايمان لمن لا أمانة له وفي رواية عن ابن
عباس هي أمانات الناس والوفاء بالعهد وخلق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمنا ولا معاهدا في شيء لا في قليل
ولا كثير فعرض الله تعالى هذه الامانة على أعيان السموات والارض والجبال وهذا قول جماعة من التابعين
وأكثر السلف فقال لمن أتحمّلن هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها قال ان أحسنن جوز يقن وان عصيتن
عوقبتن قلن لا يارب نحن مسخرات لامرك لانريدنوا بولاء عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما للدين الله
تعالى أن لا يقوموا بها الا معصية ولا مخالفة لامرءه وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو ألزمهن لم يمتنعن من
حملها والجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة لامرءه ساجدة له قال بعض أهل العلم ركب الله تعالى فيهن
العقل والفهم حين عرض عليهن الامانة حتى عقلن الخطاب وأجبن بما أجبن وقيل المراد من العرض على
السموات والارض هو العرض على أهلها من الملائكة دون أعيانها والقول الاول أصح وهو قول الطهلاء
(فابين أن يحملنها وأشفقن منها) أي خفن من الامانة أن لا يؤدبنها فيلحقهن العقاب (وحملها الانسان)
يعني آدم قال الله عز وجل لآدم اني عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تقبها فهل أنت آخذها
بما فيها قال يارب وما فيها قال ان أحسنن جوز يت وان أسأت عوقبت فتحملها آدم فقال بين أذني وعاتقي
قال الله أما اذا تحملت فأسعيتك وأجعل لبصرك حجبا فاذا خشيت أن لا تنظر الى ما لا يحل فأرخ عليه حجابه
وأجعل للسانك لحين وغلافا فاذا خشيت فأغلقه وأجعل لفرجك لباسا فلما تكشفه على ما حرمت عليك قال
مجاهد فما كان بين أن تحملها وبين أن خرج من الجنة الامتداد ما بين الظهر والعصر وقيل ان ما كلف
الانسان حمله بلغ من عظمه وثقل محمله أنه فرض على أعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام وقواه وأشد ما أن
يحمّله ويستقل به فأبى حمله وأشفق منه وحمله الانسان على ضعفه وضعف قوته (انه كان ظلوما جهولا) قال

وان من الحجارة لما يهبط من خشية الله وأد الانسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويطبق به من الاقياد
لاوامر الله ونواهي وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويطبق بها من الاقياد وعدم الامتناع وهذا معنى
قوله (فابين أن يحملنها) أي أبين الحيانة فيها وان لا يؤدبنها (وأشفقن منها) وخفن من الحيانة فيها (وحملها الانسان) أي خان فيها وأبى أن
لا يؤديها (انه كان ظلوما) لكونه نارا كالأداء الامانة (جهولا) لا خطاه ما يسعد مع تمكنه منه وهو أداؤها قال الزجاج الكافر والمنافق حلا
الامانة أي خانوا ولم يطيعوا من أطاع من الانبياء والمؤمنين فلا يقال كان ظلوما جهولا وقيل معنى الآية ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه أنه
عرض على أعظم ما خلق الله من الاجرام وأقواه فابى حمله وأشفق منه وحمله الانسان على ضعفه انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم
لم يلحها وضمنها ثم خان بضائه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن الاعلى أساليبهم من ذلك قولهم لو قيل لشجرهم

ابن تذهب لقال أسوي العوج واللام في (يعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) لتعليل لان التعذيب هنا نظير التاديب في قولك ضربته للتأديب فلا تقف على جهولا (ويتوب الله على المؤمنين (٥١٥) والمؤمنات) وقرأ الاعمش ويتوب الله بالرفع

ليجعل العلة قاصرة على
فعل الحامل ويتدى
ويتوب الله ومعنى الشهورة
ليعذب الله حامل الامانة
ويتوب على غيره ممن لم
يحملها لانه اذا توب على
الوافي كان نوعا من عذاب
الغادر والعاقبة أي جعلها
الانسان فال الامر الى
تعذيب الاشقياء وقبول
توبة السعداء (وكان الله
غفورا) للتائبين (رحيما)
بعباده المؤمنين والله الموفق
للسواب

سورة سبأ مكية وهي
أربع وخسون آية
بسم الله الرحمن الرحيم
(الحمد) ان أجرى على
المهود فهو بما حده نفسه
محمود وان أجرى على
الاستغراق فله لكل
الحامد الاستحقاق (لله)
بلام التملك لانه خالق
ناطق الحد أصلا فكان
ملكه مالك الحمد للتحميد
هلا (الذي له ما في السموات
وما في الارض) خلقا وملكا
وقهرا فكان حقيقا بان
بمحمد سرا وجهرا (وله الحمد
في الآخرة) كما هو له في الدنيا
اذ النعم في الدارين من
المولى غير أن الحمد هنا
واجب لان الدنيا دار
تكليف وثم لالعدم

ابن عباس انه كان ظلوما لنفسه جهولا بما يمر به وما تحمل من الامانة وقيل ظلوما حين عصي به جهولا أي
لا يدري ما العقاب في ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا حيث حل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ولم يف بضمانها
وقيل في تفسير الآية أقوال آخر وهو ان الله تعالى اتمن السموات والارض والجبال على كل شيء واتمن
آدم وأولاده على شيء فالامانة في حق الاجرام العظام هي الخضوع والطاعة لما خلقن له وقوله فابين أن
يحملها أي ادين الامانة ولم يخن فيها وأما الامانة في حق بني آدم فهي ما ذكر من الطاعة والقيام بالفرائض
وقوله وجعلها للانسان أي خان فيها وعلى هذا القول حكى عن الحسن انه قال الانسان هو الكافر والمنافق
حلا الامانة وخان فيها والقول الاوّل هو قول السلف وهو الاوّل

(فصل) في الامانة (ق) عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين فسرأيت
أحدهما وأنا أتتظر الآخر حدثنا ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعملوا من القرآن
وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل
الوقت ثم ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل الحمل كجمر دحر جته على رجلك فنفظ
فتراه منتبرا وليس فيه شيء ثم أخذ حصة فدحر جهاء على رجله فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدى
الامانة حتى يقال ان في بني فلان رجلا أميناً حتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقال
حبة من خردل من ايمان ولقد أتى على زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه على دينه ولئن كان
نصرانيا أو يهوديا ليردنه على ساعيه وأما اليوم فما كنت لا بايع منكم الا فلانا وفلانا قوله نزلت الامانة في
جذر قلوب الرجال جذر الشيء أصله والوقت الاثر البسير كالنقطة في الشيء من غير لونه والمجل غلظ الجلد من أثر
العمل وقيل انما هو النقطة في الجلد وقد فسره الحديث والمنتبر المنتفخ وليس فيه شيء (خ) عن أبي
هريرة قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم فجاء عرابي فقال متى الساعة فغضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم لم نسمع حتى
اذ قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله قال اذا ضيبت الامانة فانتظر الساعة قال
كيف اضعها يا رسول الله قال اذا وسد الامر الى غير أهلها فانتظر الساعة وعنه قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم اذا الامانة الى من اتمنك ولا تخن من خانك أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب
قوله تعالى (يعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) أي بما خانوا الامانة ونقضوا العهد
(ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) أي يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الامانة وقيل عرضنا الامانة
ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله و يظهر ايمان المؤمن فيتوب عليه أي يعود عليه بالرحمة
والمغفرة ان حصل منه تقصير في بعض الطاعات (وكان الله غفورا رحيما) والله أعلم بما راده وأسرار كتابه

تفسير سورة سبأ وهي مكية
أربع وخسون آية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة ٣ وألف وخمسة مائة واثنا عشر حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل (الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض) معناه ان كل نعمة من الله فهو الحقيقي بان
يحمد ويثنى عليه من أجلها ولما قال الحمد لله وصف ملكه فقال الذي له ما في السموات وما في الارض أي
ملكها وخلقها (وله الحمد في الآخرة) أي كما هو له في الدنيا لان النعم في الدارين كما هي منه فكما انه المحمود على نعم
الدنيا فهو المحمود على نعم الآخرة وقيل الحمد في الآخرة هو حمد أهل الجنة كما ورد عليهم من التسبيح والحمد

التكليف وانما يحمد أهل الجنة سرورا بالنعيم وتلذذا بما نالوا من الاجر ٢ قوله وثلاث وثلاثون كذا ببعض نسخ الخازن
وفي بعضها بدون ثلاث وفي الخطيب ثلاث وثمانون وعلم الصواب من ذلك عند العليم الخبير ٥١

العظيم بقوله الحمد لله الذي صدقنا وعده الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن (وهو الحكيم) بتدبير ما في السماء والأرض (الخير) بضمير من يحمده ليوم الجزاء والعرض (يعلم) مستأنف (ما يلج) ما يدخل (في الأرض) من الأموات والدفائن (وما يخرج منها) من النبات وجواهر المعادن (وما ينزل من السماء) من الأمطار وأنواع البركات (وما يعرج فيها) يصعد اليها من الملائكة والدعوات (وهو الرحيم) بانزال ما يحتاجون إليه (الغفور) لما يجتزون عليه (وقال الذين كفروا) أي منكروا بالبعث (لأننا نينا الساعة) نفي للبعث وانكار لمجيء الساعة (قل بلى) أوجب ما بعد النفي بلى على معنى ليس الأمر الاياتها (وربي لتأتينكم) ثم أعيد ايحاه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد القسمي بما أتبع المقسم به من الوصف بقوله (عالم الغيب) لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدته ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الأمر وكما كان المستشهد به أرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وأكد والمنشهد عاياه أثبت وأرسخ ولما كان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية كان الوصف بما يرجع الى علم الغيب أولى وأحق عالم الغيب مدني وشامي أي هو عالم الغيب علام الغيب حزة وعلى المبالغة (لا يعزب عنه) وبكسر الزاي على يقال عزب يعزب ويعزب ذا غاب و بعد (مثقال ذرة) مقدار أصغر من مثقال ذرة (ولا أكبر) (في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك) من مثقال ذرة (ولا أكبر)

من مثقال ذرة (الاقى كتاب مبین) الا في اللوح المحفوظ ولا أصغر ولا أكبر بالرفع عطف على مثقال ذرة ويكون الابعى لكن أو رفعا بالابتداء والخبر في كتاب واللام في (ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة) لما قصروا فيه من مدارج الايمان (ورزق كريم) لما صبروا عليه من مناهج الاحسان متعلق بآياتنا في كتاب (والذين سعوا في آياتنا) جاهدوا في رد القرآن (معجزين) سابقين ظانين انهم يفوتوننا معجزين مكي وأبو عمرو

كما يلهمون النفس (وهو الحكيم) أي الذي أحكم أمور الدارين (الخير) أي بكل ما كان وما يكون (يعلم ما يلج في الأرض) أي من المطر والكنوز والاموات (وما يخرج منها) أي من النبات والشجر والعيون والمعادن والاموات اذا بعثوا (وما ينزل من السماء) أي من المطر والثلج والبرد وأنواع البركات والملائكة (وما يعرج فيها) أي في السماء من الملائكة وأعمال العباد (وهو الرحيم الغفور) أي للمفرطين في أداء ما وجب عليهم من شكر نعمه ﴿قوله تعالى﴾ (وقال الذين كفروا الا تأتينا الساعة) معناه انهم أنكروا بالبعث وقيل استنبطوا ما وعده من قيام الساعة على سبيل الله والسخرية (قل بلى وربى لتأتينكم) يعني الساعة (عالم الغيب) أي لا يفوت علمه شيء من الخفيات واذا كان كذلك اندرج في علمه وقت قيام الساعة وانها آتية (لا يعزب عنه) أي لا يغيب عنه (مثقال ذرة) أي وزن ذرة (في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك) أي من الذرة (ولا أكبر الا في كتاب مبین) أي في اللوح المحفوظ (ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة) أي لذنوبهم (ورزق كريم) يعني الجنة (والذين سعوا في آياتنا) أي في ابطال أدلتنا (معجزين) أي يحسبون انهم يفوتوننا (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) قيل الرجز سوء العذاب (ويرى الذين أوتوا العلم) يعني مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (الذي أنزل اليك من ربك) يعني القرآن (هو الحق) يعني انه من عند الله (ويهدى) يعني القرآن (الى صراط العزيز الحميد) أي الى دين الاسلام (وقال الذين كفروا) يعني المنكرين للبعث المتحججين منه (هل ندلكم) أي قال بعضهم لبعض هل ندلكم (على رجل يبينكم) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم معناه يحدثكم بما عجبوا به من الاعاجيب وهي انكم (اذا منرقتم كل ممزق) أي قطعتم كل تقطيع وفرقتم كل فريق وصرتم ترابا (انكم لفي خلق جديد) أي يقول انكم تبعثون وتنشؤون خلقا جديدا بعد

أي منبطين الناس عن اتباعها وتاملها أو ناسين الله الى العجز (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) برفع أليم مكي ان وحفص و يعقوب صفة لعذاب أي عذاب أليم من سبي العذاب قال قتادة الرجز سوء العذاب وغيرهم بالجر صفة لرجز (ويرى) في موضع الرفع بالاستئناف أي ويعلم (الذين أوتوا العلم) يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطاء أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأصحابه والمفعول الاول ليرى (الذي أنزل اليك من ربك) يعني القرآن (هو الحق) أي الصدق وهو فصل والحق مفعول ثان وفي موضع النصب معانوف على ليجزى وليعلم أو لوالعلم عند محيى الساعة أنه الحق علما لا يزداد عليه في الايقان (ويهدى) الله أو الذي أنزل اليك (الى صراط العزيز الحميد) وهو دين الله (وقال الذين كفروا) وقال قريش بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما أنكروه مع انه كان مشهورا علما في قريش وكان اتيه بالبعث شائعا عندهم نجاه لابه وبامره وباب التجاهل في البلاغة والى سحرها (يبينكم اذا منرقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد) أي يحدثكم بما عجبوا به من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشؤون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا و يمزق أجسادكم بالبلاء كل ممزق أي يفرقتكم كل فريق فالتمزق مصدر بمعنى التمزيق والعامل في اذا ما دل عليه انكم لفي خلق جديد أي تبعثون والجديد فعيل بمعنى فاعل عند البصر بين تقول جديدا جديدا كقول قيس

ولا يجوز انكم بالفتح اللام في خبره (أفترى على الله كذبا) فهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك والهمزة للاستفهام وهمزة الوصل
 حذفت استغناء عنها (أم به جنة) جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) ثم قال
 سبحانه وتعالى ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهم ما بل هؤلاء القائلون الكافر ون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما
 يؤذيهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك أجن الجنون جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كأنهما
 كائنان في وقت واحد لان الضلال لما كان العذاب من لوازمه جعلاهما مقترنان ووصف الضلال بالبعيد من الاسناد المجازي لان البعيد
 صفة الضال اذا بعد عن الجاده (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم) وبالادغام على التقارب بين الفاء
 والباء وضعفه البعض لزيادة صوت الفاء على الباء (الارض أو نسقط) الثلاثة (٥١٧) بالياء كوفي غير عاصم لقوله أفترى على الله

كذبا (عليهم كسفا) كسفا
 حفص (من السماء) أي
 أعموا فلم ينظروا الى السماء
 والارض وانهما حينما كانوا
 وإنما ساروا أمامهم وخلفهم
 محيطتان بهم لا يقدران
 أن ينفذوا من أقطارهما
 وان يخرجوا عما هم فيه
 من ملكوت الله ولم
 يخافوا أن يخسف الله بهم
 أو يسقط عليهم كسفا
 لتكذيبهم الآيات وكفرهم
 الرسول وبما جاء به كما فعل
 بقارون وأصحاب الايكة
 (ان في ذلك) النظر الى
 السماء والارض والفكر
 فيهما وما تدلان عليه من
 قدرة الله تعالى (آية)
 لدلالة (لكل عبد منيب)
 راجع الى ربه مطيع له اذ
 المنيب لا يخلو من النظر في
 آيات الله على انه قادر على
 كل شيء من البعث ومن
 عقاب من يكفر به (ولقد

ان تكونوارفانا و ترابا (أفترى على الله كذبا) أي أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك (أم به
 جنة) أي جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه قال الله تعالى ردا عليهم ليس محمد صلى الله عليه وسلم من
 الافتراء والجنون شيء وهو مبرأ منهما (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعني منكري البعث (في العذاب
 والضلال البعيد) أي عن الحق في الدنيا (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) أي
 فيعلموا انهم حيث كانوا في ارضي وتحت سمائي فان ارضي وسمائي محيطت بهم لا يخرجون من أقطارها
 وأنقاد عليهم (ان نشأ نخسف بهم الارض) أي كما خسفنا بقارون (أو نسقط عليهم كسفا من
 السماء) أي كما فعلنا بصحاب الايكة (ان في ذلك) أي فيما ترون من السماء والارض (آية) أي تدل على
 قدرتنا على البعث بعد الموت (لكل عبد منيب) أي نائب راجع الى الله بقلبه ﴿ قوله عز وجل
 (ولقد آتينا داود منا فضلا) يعني النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل هو جميع ما أوتي من حسن الصوت
 وغير ذلك مما خص به (يا جبال أو بى معه) أي وقتلنا يا جبال سبحي معه اذا سبح وقيل رجعي معه اذا
 رجع ونوحى معه اذا نوح (والطير) أي وأمرنا الطير أن تسبح معه فكان داود اذا نادى بالتسبيح أو
 بالنياحة أجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه وقيل كان داود اذا لحقه ملل أو فتور أسمعه
 الله تعالى تسبيح الجبال فينشطه (وأنا له الحديد) يعني كان الحديد في يده كالسمع أو كالبحين يعمل منه
 ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة قيل سبب ذلك ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان
 من عادته أن يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى انسانا لا يعرفه تقدم اليه وسأله عن داود فيقول له
 ما تقول في داود واليكم هذا أي رجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فيفيض الله له ملكا في صورة آدمي
 فلما رآه داود تقدم اليه على عادته فسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود عليه الصلاة
 والسلام ذلك وقال ما هي يا عبد الله قال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى
 أن يسبب له سببا يستغنى به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فالان ان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع
 وانه أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفاخ وقيل انه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف فيأكل منها ويطعم
 عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين وقد صح في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان
 داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده (أن اعمل ساعات) أي دروعا كوامل واساعات طوالا تسحب في
 الارض قيل كان يعمل كل يوم درعا (وقدر في السرد) أي ضيق في نسج الدرع وقيل قدر المسامير في حاق

آتيناد اود منا فضا - لا يا جبال) بدل من فضلا أو من آتيننا بتقدير قولنا يا جبال (أو بى معه) من التأويل رجعي معه التسبيح
 ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا فيسمع منها كما يسمع من المسبح مجزة لداود عليه السلام (والطير) عطف على محل الجبال
 والطير عطف على لفظ الجبال وفي هذا النظم من الفخامة ما لا يخفى حيث جعلت الجبال بمنزلة العقلاء الذين اذا أمرهم بالطاعة أطاعوا واذا
 دعاهم أجابوا والشعار ابانه ما من حيوان الا وهو منقاد لمشيئة الله تعالى ولو قال آتيناد اود منا فضا لا تاويب الجبال معه والطير لم يكن فيه هذه
 الفخامة (وأنا له الحديد) وجعلناه له ليأكلنا كالطين المحجون بصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده
 لما أوتي من شدة القوة (أن اعمل) أن بمعنى أي وأمرناه أن اعمل (ساعات) دروعا واسعة نامة من السبع وهو أول من اتخذها وكان يبيع
 الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وبياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم

ما تقولون في داود فيثنا واعليه فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه وهو أنه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه أن يسببه (٥١٨) ما يستغنى به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع (وقدر في السرد) لا تجعل المسامير

دقا فافتلق ولاغلاظا
فتقسم الحلق والسرد
نسخ الدروع (واعملوا)
الضمير لداود وأهله
(صالحا) خالصا يصلح للقبول
(اني بما تعملون بصير)
فاجاز يك عليه (ولسليمان
الريح) أي وسخرنا لسليمان
الريح وهي الصبا ورفع
الريح أبو بكر وحاد
والفضل أي لسليمان الريح
مسخرة (غدوها شهر
ورواها شهر) جريها
بالغداة مسيرة شهر وجريها
بالعشى كذلك وكان يغدو
من دمشق فيقيل باصطخر
فارس وبينهما مسيرة شهر
وبروح من اصطخر فيبيت
بكايل وبينهما مسيرة شهر
للاكب المسرع وقيل كان
يتغدى بالري ويتعشى
بسمرقند (وأسلناه عين
القطر) أي معدن النحاس
فالقطر النحاس وهو الصفر
ولكنه أساه وكان يسيل
في الشهر ثلاثة أيام كما يسيل
الماء وكان قبل سليمان لا
يذوب وصاه عين القطر
باسم ما آل اليه (ومن الجن
من يعمل) من في موضع
نصب أي وسخرنا من
الجن من يعمل (بين يديه
بأذن ربه) بأمر ربه (ومن

الدرع ولا تجعل المسامير دقا فافتلق ولاغلاظا فتقسم الحلق وقيل قدر في السرد أي اجعله على
القصد وقدر الحاجة (واعملوا صالحا) يريد داود وآله (اني بما تعملون بصير) قوله تعالى (ولسليمان الريح)
أي وسخرنا لسليمان الريح (غدوها شهر ورواها شهر) معناه ان مسيرة غدوها شهرين قبل كان يغدو من دمشق
شهر ومسير رواحها مسيرة شهر فكانت تسير به في كل يوم واحد مسيرة شهرين قبل كان يغدو من دمشق
فيقيل باصطخر و بينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكايل و بينهما مسيرة شهر لراكب المسرع
وقيل انه كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند (وأسلناه عين القطر) أي أذنا له عين النحاس قال أهل
التفسير أجزيت له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجرى الماء وكان بأرض اليمن وقيل أذاب الله لسليمان
النحاس كما ألان لداود الحديد (ومن الجن من يعمل بين يديه بأذن ربه) أي بأمر ربه قال ابن عباس سخر
الله الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به (ومن يزغ) أي يعدل (منهم) من
الجن (عن أمرنا) أي الذي أمرناه به من طاعة سليمان (ندقه من عذاب السعير) قيل هذا في الآخرة وقيل
في الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فن زاعغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك
السوط ضربة أحرقتة (يعملون له ما يشاء من محاريب) أي مساجد وقيل هي الابنية المرتفعة والقصور
والمجالس الشريفة المصونة عن الابتدال وكان مما عملوا له بيت المقدس وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام
ابتدأه ورفع قامته رجل فأوحى الله اليه ألم أقض ذلك على يدك واكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان
أقضى أمامه على يديه فلما توفي داود عليه السلام واستخلف سليمان عليه الصلاة والسلام أحب أمم بيت
المقدس فجمع الجن والشياطين وقدم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل فأرسل الجن والشياطين في
تحصيل الرخام والبلور من معادنهما وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثني عشر ر بضا وأنزل على
كل ر بض منها سبطا من الاسباط فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا
منهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنهما ومنهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافي
من أما كنها ومنهم من يأتيه بالمسك والعنبر والطيب من أما كنها فأتى من ذلك بشئ كثير لا يحصى الا الله
تعالى ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الاشجار وتصويرها ألواحا واصلاح تلك الجواهر وتقب اليواقيت
واللآلئ فبنى المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين البلور الصافي وسقفه بانواع
الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه باللآلئ واليواقيت وسائر الجواهر وبسط أرضه بالواح
الغبر وزج فلم يكن على وجه تلك الارض يومئذ بيت أبهى ولا أتور من ذلك المسجد فكان يضيء في الظلمة
كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه أخبار بني اسرائيل وأعلمهم أنه بناء لله تعالى وان كل شئ فيه
خالص له واتخذ ذلك اليوم عيدا روى عبد الله بن عمر وبن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل حكما يوافق حكمه فأوتيه وسأل الله
تعالى ملكا لا ينفى لاحد من بعده فأوتيه وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد
لا ينهزه الا الصلاة فيه الا أخرجته من خطيئته كيوم ولدته أمه أخرجته النساء وغير النساء سأل ربه ثلاثا
فأعطاه اثنتين وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة ذكر نحو قوله لا ينهزه ماى لا ينهزه الا الصلاة قالوا فلم ينزل
بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه الصلاة والسلام حتى غزاه فاختصر فخرب المدينة وهدم المسجد وأخذ
ما فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر وحمله الى دار ملكه بالعراق وبنى الشياطين لسليمان باليمن

يزغ منهم) ومن يعدل منهم (عن أمرنا) الذي أمرناه به من طاعة سليمان (ندقه من عذاب
السعير) عذاب الآخرة وقيل كان معه ملك بيده سوط من نار فن زاعغ عن أمر سليمان عليه السلام ضربه ضربة أحرقتة (يعملون له ما يشاء
من محاريب) أي مساجد وما كن

(وتمثيل) أي صور السباع والطيور وروى أنهم عملوا الأسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران باجنتهما وكان التصوير مباحا حيثئذ (وجفان) جمع جفنة (كالجواب) جمع جابية وهي الحياض الجار قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل كالجواني في الوصل والوقف مكي ويعقوب وسهل وافق أبو عمرو في الوصل الباقيون بغيره اكتفاء بالكسرة (وقدور راسيات) ثابتات على الانافي لا تنزل عنها لعظمتها وقيل انها باقية باليمن وقلنا لهم (اعملوا آل داود شكرا) أي ارجوا أهل البلاد وأسألوا ربكم العافية عن الفضيل وشكرا مفعولا له أو حال أي شاكرين (٥١٩) أو اشكروا واشكرا لان اعمالوا فيه معنى اشكروا

من حيث ان العمل للنعم شكره أو مفعول به يعني اناسخرا لكم الجن يعملون لكم ماشتم فاعملوا أتم شكرا وسئل الجنيد عن الشكر فقال بذل الجهود بين بدى المعبود (وقليل من عبادي) بسكون الياء حمزة وغيره بفتحها (الشكور) المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكذا وعن ابن عباس رضي الله عنه من يشكر على أحواله كلها وقيل من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وحكى عن داود عليه السلام انه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي (فلم اقصينا عليه الموت) أي على سليمان (ما دلم) أي الجن وآل داود (على مونه الادابة الارض) أي الارضة وهي دويبة يقال لها سرفه والارض

قصورا وحصونا عجيبه من الصخر ﴿ وقوله عز وجل (وتمثيل) أي ويعملون له تمثيل أي صورامن نحاس ورخام وزجاج قيل كانوا يصورون السباع والطيور وغيرها وقيل كانوا يصورون صور الملائكة والانباء والصالحين في المساجد ابراهيم الناس فيزدادوا عبادا قيل يحتمل أن اتخذوا الصور كان مباحا في شريعتهم وهذا مما يجوز أن يختلف فيه الشرائع لانه ليس من الامور القبيحة في العقل كالقتل والظلم والكذب ونحوها مما يقبح في كل الشرائع قيل عملوا الأسدين تحت كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط له الاسدان ذراعيهما واذا جلس أظله النسران باجنتهما وقيل عملوا الطواويس والعقبان والنسور على درجات سريره وفوق كرسيه لكي يهابه من أراد النومه (وجفان) أي قصاع (كالجواب) أي كالحياض التي يجي فيها الماء أي يجتمع قيل كان يقعد على الجفنة الواحدة ألف رجل يأكلون منها (وقدور راسيات) أي ثابتات على ائافها لا تحرك ولا تنزل عن أما كنهها لعظمتها أو كان يصعد اليها بالسلام وكانت باليمن (اعملوا آل داود شكرا) أي وقلنا يا آل داود اعملوا بطاعة الله تعالى شكرا على نعمه قيل المراد من آل داود نفسه وقيل داود وسليمان وأهل بيته قال ثابت البناني كان داود نبي الله عليه الصلاة والسلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من ايل أو نهار الا وانسان من آل داود قائم يصلي (وقليل من عبادي الشكور) أي قليل العامل بطاعتي شكر النعمتي ﴿ قوله تعالى (فلم اقصينا عليه الموت) أي على سليمان قال العلماء كان سليمان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فدخله المرة التي مات فيها وكان سبب ذلك أنه كان لا يصبح يوما الا وقد نبتت في محرابه بيت المقدس شجرة فبساطها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيقول لا شيء خلقت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها وتقطع فان كانت لغرس أمر بها فغرست وان كانت له داء كتب ذلك حتى نبتت الخروبة فقال لها ما أنت قالت أنا الخروبة قال ولاي شيء نبتت قالت محراب مسجدك قال سليمان ما كان الله ليخبر به وأناحي أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس ثم نزعها وغرسها في حائط له ثم قال اللهم عم على الجن موتى حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس أنهم يعلمون من الغيب شيئا ويعلمون ما في غد ثم دخل المحراب وقام يصلي على عادته متكئا على عصاه فمات قائما وكان للمحراب كوى من بين يديه ومن خلفه فكان الجن يعملون تلك الاعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياة سليمان وينظرون اليه ويحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلواته وانقطاعه قبل ذلك فكثروا يداؤبون بعدموته حولا كاملا حتى أكلت الارضة عصا سليمان فخر ميتا فعملوا بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب فذلك قوله تعالى (ما دلم على مونه الادابة الارض) يعني الارضة (تأكل منسأته) قال البخاري يعني عصاه (فلما خربت بيت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) معناه علمت

فعلها فاضيفت اليه يقال أرضت الخشبة أرضا اذا أكلتها الارضة (تأكل منسأته) والعصا تسمى منسأة لانه ينسأ بها أي يطرد ومنسأته بغير همز مدني وأبو عمرو (فلما خرو) سقط سليمان (تبينت الجن) علمت الجن كلهم علما يبين بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا) بعد موت سليمان (في العذاب المهين) وروى أن داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس في موضع فستاق موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمه فوصى به الى سليمان فامر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمره سنة سأله الرب أن يعمي عليهم مونه حتى يفرغوا منه وتبطل دعواهم علم الغيب وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت

القدس لاربع مضي من ملكه وروى ان افر يدون جاء ليصعد كرسية فلما دنا ضرب الاسد ان ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعده ان
 يدنونه (لقد كان لسبا) بالصرف بتأويل الحى وبعدهما أبو عمرو وتأويل القبيلة (في مسكنهم) حزة وحفص مسكنهم على وخلف وهو
 موضع سكنهم وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا عيدين فيها باليمن أو مسكن كل واحد منهم غيرهم مساكنهم (آية) اسم كان (جنتان) بدل
 من آية أو خبر مبتدأ محذوف تقديره (٥٢٠) الآية جنتان ومعنى كونهما آية ان أهلها لما عرضوا عن شكر الله صلواتهم الله

النعمة ليعتبروا ويتعاطوا
 فلا يعودوا الى ما كانوا عليه
 من الكفر وغمط النعم أو
 جعلها آية أى علامة دالة
 على قدرة الله واحسانه
 ووجوب شكره (عن
 يعين وشمال) أراد جماعة من
 البساتين جماعة عن
 يعين بلدهم وأخرى عن
 شمالها وكل واحدة من
 الجماعتين في تقاربها
 وتضامها كلها جنة واحدة
 كما تكون بساتين البلاد
 العامرة أو أراد بستان كل
 رجل منهم عن يعين
 مسكنه وشماله (كلوا من
 رزق ربكم واشكروا له)
 حكاية لما قال لهم أنبياء
 الله المبعوثون اليهم أو لما
 قال لهم لسان الحال أو هم
 أحقاه بان يقال لهم ذلك
 ولما أمرهم بذلك أتبعوه
 قوله (بلدة طيبة ورب
 غفور) أى هذه البلدة
 التي فيها رزقكم بلدة طيبة
 وربكم الذي رزقكم وطلب
 شكركم رب غفور لمن
 شكره قال ابن عباس
 كانت سبا على ثلاث
 فراسخ من صنعاء وكانت

الجن وأيقنت أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في التعب والشقاء مسخرين لسايمان وهو ميت ويظنونه
 حيا أراد الله تعالى بذلك أن يعلم الجن أنهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم وقيل في معنى
 الآية أنه ظهر أمر الجن وانكشف للانس أنهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا قد شبهوا على الانس ذلك
 ذكر أهل التاريخ أن سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وتوفي في الملك مدة أربعين سنة وشرع في بناء
 بيت المقدس لاربع سنين مضي من ملكه وتوفي وهو ابن ثلاث وخمسين قوله عز وجل (لقد كان لسبا
 في مسكنهم آية) عن فروة بن مسيك المرادى قال لما نزل في سبا ما نزل قال رجل يا رسول الله وما سبا
 أرض أو امرأة قال ليس بارض ولا امرأة ولكنها رجل ولد عشرة من العرب فتيا من منهم ستة وتشام منهم
 أربعة فاما الذين تشاموا فلحم وجذام وغسان وعاملة وأما الذين تياثروا فالازد والاشعريون وجبر وكندة
 ومذحج وانمار فقال رجل يا رسول الله وما انمار قال الذين منهم خشم وبجيلة أخرجه الترمذي مع زيادة
 وقال حديث حسن غريب وسبا هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان في مسكنهم أى عارب من أرض
 اليمن آية أى دلالة على وحدانية ما وقدرتنا ثم فسر الآية فقال تعالى (جنتان) أى بستانان (عن يعين وشمال)
 أى عن يعين الوادى وشماله وقيل عن يعين من أنعموا وشماله وقيل كان لهم واد قد أحاطت به الجنتان (كلوا)
 أى قيل لهم كلوا (من رزق ربكم) أى من ثمار الجنتين قيل كانت المرأة تحمل مكنتها على رأسها وتغر
 بالجنتين فيمتلئ المكنت من أنواع الفواكه من غير أن تمس بيدها شيئا (واشكروا له) أى على ما رزقكم
 من النعمة واعملوا بطاعته (بلدة طيبة) أى أرض مارب وهي سبا بلدة طيبة فسيحة ليست بسبخة وقيل
 لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل يمر ببادتهم وفي ثيابه
 القمل فيموت القمل من طيب الهواء (ورب غفور) قال وهب أى وربكم ان شكرتم على ما رزقكم رب
 غفور لمن شكره قوله عز وجل (فاعرضوا) قال وهب أرسل الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعواهم الى الله
 تعالى وذكروا نعمه عليهم وأنذرهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف الله علينا نعمة فقولوا ربكم
 فليجس هذه النعمة عنا ان استطاع فذلك اعراضهم (فأرسلنا عليهم سيل العرم) العرم الذى لا يطاق
 قيل كان ماء أحر أرسله الله تعالى عليهم من حيث شاء وقيل العرم السكر الذى يحبس الماء وقيل العرم
 الوادى قال ابن عباس ووهب وغيرهما كان لهم سد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ماء وادبهم
 فأمرت بوادبهم قسد بالصخر والقار بين الجبلين وجعلت لهم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض وبنيت دونه
 بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدة أنهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغنوا
 عنه سدوها فاذا جاءهم المطر اجتمع عليهم ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب
 الاعلى ففتح فجرى ماؤه الى البركة فكانوا يستقون من الباب الاعلى ثم من الثانى ثم من الثالث الاسفل
 فلا ينقد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا بعد هامة فعاظفوا
 وكفروا سلط الله عليهم جزا يسمى الخلد فنقب السد من أسفله فغرق الماء جنانهم وأخرب أرضهم وقال
 وهب وأقبايز عمون ويجدون في علمهم ان الذى يخرب سددهم فأرة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الار بطوا

أخصب البلاد تخرج المرأة وعلى رأسها المكنت فتعمل بيدها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكنت مما يتساقط
 عندها
 فيه من الثمر وطيبها ليس فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ومن يمر بها من الغرباء يموت قلبه اطيب هو أنها (فاعرضوا) عن
 دعوة أنبيائهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف الله علينا نعمة (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أى المطر الشديد أرا العرم اسم الوادى أدهو الجرذ الذى
 هب عليهم السكر لما طغوا وسلط الله عليهم الجرذ فنقبه من أسفله فغرقهم

(و بدلناهم بجنبتهم) المذكورين (جنتين) وتسمية البدل جنتين للمشاكله وازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (ذوائى
 أكل خط) الا كل النمر يثقل ويخفف وهو قراءه نافع ومكى والخط شجر الاراك وقيل كل شجر ذى شوك (وأثل وشئ من سدر قليل)
 الاثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودا ووجه من نون الا كل وهو غير أبى عمرو ان أصله ذوائى أكل كل خط خذف المضاف
 وأقيم المضاف اليه مقامه أو وصف الا كل بالخط كأنه قيل ذوائى أكل بشع ووجه أبى عمرو ان أكل الخط فى معنى البربر وهو غير الاراك اذا
 كان غضا فكانه قيل ذوائى بربر والاثل والسدر معطوفان على أكل لاعلى خط لان الاثل لأكل له وعن الحسن قل السدر لانه أكرم
 ما بدلوا لانه يكون فى الجنان (ذلك جزيناهم بما كفروا) أى جزيناهم ذلك (٥٢١) بكفرهم فهو مفعول ثان مقدم (وهل يجازى

الا الكفور) كوفى غير
 أبى بكر وهل يجازى الا
 الكفور غيرهم معنى وهل
 يجازى مثل هذا الجزاء الا
 من كفر الذممة ولم يشكرها
 أو كفر بالله أو هل يعاقب
 لان الجزاء وان كان عاما
 يستعمل فى معنى المعاقبة
 وفى معنى الاباة لكن المراد
 الخاص وهو العقاب وعن
 الضحاك كانوا فى الفترة التى
 بين عيسى ومحمد عليهما
 السلام (وجعلنا بينهم) بين
 سببا (وبين القرى التى
 باركنافها) بالتوسعة على
 أهلها فى النعم والمياه وهى
 قرى الشام (قرى ظاهره)
 متوصلة يرى بعضها من
 بعض لتقاربها فهى ظاهرة
 لآعين الناظرين أو ظاهرة
 للسابلة لم تبعد عن
 مسالكهم حتى تخفى عليهم
 وهى أربعة آلاف
 وسبعمائة قرية متصلة من
 سبب الى الشام (وقدرنا فيها

عندها هرة فلما جاء زمان ما أراد الله تعالى بهم من التغريق أقبلت فيما يذكرون فأرة جراء كبيرة الى هرة
 من تلك الطرار فساو رتها حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت فى الفرجة التى كانت عندها فتغلغلت فى السد
 وحفرت حتى أو هنت المسيل وهم لا يعلمون بذلك فلما جاءه السيل وجد دخلا فدخل منه حتى اقتلع السد
 وفاض الماء حتى علا مواطهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل فغرقوا ومزقوا كل ممزق حتى صاروا مثلا عند
 العرب يقولون ذهبوا أيدي سبا وتفرقوا أيدي سبا فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم سيل العرم (وبدلناهم
 بجنبتهم جنتين ذوائى أكل خط) قيل هو شجر الاراك وثمره البربر وقيل كل نبت أخذ طعمها من المرارة
 حتى لا يمكن أكله فهو خط وقيل هو غير شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع
 به (وأثل) قيل هو الطرفاء وقيل شجر يشبه الطرفاء الا أنه أعظم منه (وشئ من سدر قليل) هو شجر
 معروف ينتفع بورقه فى الغسل وثمره النبق ولم يكن السدر الذى بدلوا مما ينتفع به بل كان سدر ابريا
 لا يصلح لشيء قيل كان شجر القوم من خير الشجر فصبره الله من شر الشجر باعمالهم وهو قوله تعالى
 (ذلك جزيناهم بما كفروا) أى ذلك الذى فعلناهم جزاء كفرهم (وهل يجازى الا الكفور) أى هل
 يكافأ بعمله الا الكفور لله فى نعمه قيل المؤمن يجزى ولا يجازى ويجزى بحسناته ولا يكافأ بسيئاته (وجعلنا
 بينهم وبين القرى التى باركنافها) أى بالماء والشجر وهى قرى الشام (قرى ظاهرة) أى متواصلة تظهر
 الثانية من الاولى لقربها منها قيل كان متجرهم من اليمن الى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقبلون باخرى
 وكانوا لا يحتاجون الى حمل زاد من سبب الى الشام وقيل كانت قرىهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة
 من سبب الى الشام (وقدرنا فيها السير) أى قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم فى العدو والرواح
 على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه وأشجار فكان ما بين اليمن والشام
 كذلك (سيروا) أى وقلنا لهم سيروا (فيها ليالى وأياما) أى فى أى وقت شتم (آمنين) أى لا تخافون عدوا
 ولا جوعا ولا عطشا فبطروا النعمة وسثموا الراحة وطغوا ولم يصبروا على العافية فقالوا لو كانت جناتنا بعد
 ما هى كان أجدر أن نشتهبها وطلبوا الكد والتعب فى الاسفار (فقالوا ربنا بعدين أسفارنا) وقرى
 باعدين أسفارنا أى اجعل بيننا وبين الشام مفاوز وفلوات لتركب فيها الرواحل وتزود الازواد فلما تمنوا
 ذلك عمل الله لهم الاجابة (وظلموا أنفسهم) أى بالبطر والطغيان (جعلناهم أحاديث) أى عبرة لمن
 بعدهم يتحدثون بامرهم وشأنهم (ومزقناهم كل ممزق) أى فرقناهم فى كل وجه من البلاد كل التفريق
 وقيل لما غرقت قرىهم تفرقوا فى البلاد فاما غسان فاحقوا بالشام ومر الازدالى عمان وخزاعة الى تهامة
 ومر الاوس والخزرج الى يثرب وكان الذى قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الاوس والخزرج

(٦٦ - (خازن) - ثالث) السير) أى جعلنا هذه القرى على مقدار معلوم يقبل المسافر فى قرية ويروح فى أخرى الى أن يبلغ
 الشام (سيروا فيها) وقلنا لهم سيروا ولا قول نمة ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه فكانهم أمروا بذلك (ليالى وأياما آمنين) أى
 سيروا فيها ان شتم بالليل وان شتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات أى سيروا فيها آمنين لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا
 وان تطاولت مدة سفركم وامتدت اياما وليالى (فقالوا ربنا بعدين أسفارنا) قالوا ياليتها كانت بعيدة ففسر على نجابتنا ونزوح فى التجارات
 ونفاخر فى الدواب والاسباب بطروا النعمة وملاوا العافية فطلبوا الكد والتعب بعد مكي وأبو عمرو (وظلموا) أى ظلموا (أنفسهم فجعلناهم
 أحاديث) يتحدث الناس بهم ويتحجبون من أحوالهم (ومزقناهم كل ممزق) وفرقناهم تفرقا اتخذوا الناس مثلامضروا ويقولون ذهبوا

أيدي سبا وتفرقوا أيدي سبا فلهن غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بنهامة والازد بعمان (ان في ذلك آيات لكل صابر) عن المعاصي (شكور) للنم أو لكل مؤمن لان الايمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر (واقدم صدق عليهم ابليس ظنه) بالثدي كوفي أي حقق عليهم ظنه أو وجده صادقاً والتخفيف غيرهم أي صدق في ظنه (فاتبعوه) الضمير في عليهم واتبعوه لاهل سبا ولبنى آدم وقلل المؤمنين بقوله (الافريقا من المؤمنين) لظنهم بالاضافة الى الكفار ولا نجد أكثرهم شاكرين (وما كان له عليهم) لابليس على الذين صار ظنه فيهم صدقا (من سلطان) من تسيط واستيلاء بالسوسة (الانعلم) موجودا ما علمناه معدوما والتغيير على المعلوم لا على العلم (من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) ورك على كل شيء حفيظ) محافظ عليه وفعل ومفاعل متأخيان (قل) لمشركي قومك (ادعوا الذين زعمتم من دون الله) أي زعمتموهم آلهة من دون الله فالمفعول (٥٢٢) الاول الضمير الراجع الى الموصول وحذف كما حذف في قوله هذا الذي بعث الله

استخفا فالطول الموصول بصلته والمفعول الثاني آله وحذف لانه موصوف صفة من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذا مفعولا زعم محذوفان بسببين مختلفين والمعنى ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله الاصنام والملائكة وسميتهم باسمه والتجووا اليهم فيما يعرفون كما تتجوون اليه وانتظروا استجابتهم له عائكم كما تنتظرون استجابته ثم اجاب عنهم بقوله (لا يملكون مثال ذرة) من خير أو شر أو نفع أو ضر (في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك) وما لهم في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك (وما له) تعالى (منهم) من آلهتهم (من ظهروا) من

ولحق آل خزيمه بالعراق (ان في ذلك آيات) أي لعبر او دلالات (لكل صابر) أي عن المعاصي (شكور) أي لله على نعمه قيل المؤمن صابر على البلاء شاكر للنعماء وقيل المؤمن اذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر ﴿ قوله عز وجل (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) قيل على اهل سبا وقيل على الناس كلهم (فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني المؤمنين كلهم لانهم لم يتبعوه في أصل الدين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة ان ابليس لما سأل النظرة فانظره الله قال لا غو بهم ولا ظنهم ولم يكن متقين وقت هذه المقالة ان ما قاله فيهم سمعتم وانما قاله ظنا فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنهم فيهم وقال الحسن انه لم يسل عليهم سيفا ولا ضربهم بسوط انما وعدهم ومناهم فاغتروا (وما كان له عليهم من سلطان) أي ما كان تسيطنا اياه عليهم (الانعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) أي لئري ونميز المؤمن من الكافر وأراد علم الوقوع والظهور اذا كان معلوما عنده لانه عالم الغيب (وربك على كل شيء حفيظ) أي رقيب وقيل حفيظ بمعنى حافظ ﴿ قوله تعالى (قل) أي قل يا محمد لكفار مكة (ادعوا الذين زعمتم) أي انهم آلهة (من دون الله) والمعنى ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع ثم وصف عجز الآلهة فقال تعالى (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) يعني من خير وشر ونفع وضر (وما لهم) أي لا آلهة (فيهما) أي في السموات والارض (من شرك) أي من شركة (وما له) أي الله (منهم) أي من الآلهة (من ظهروا) عوين (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) أي لمن أذن الله له في الشفاعة قاله تكذيبا للكفار حيث قالوا هو لاء شفعاؤنا عند الله وقيل يجوز ان يكون المعنى الا لمن أذن الله في أن يشفع له (حتى اذا فرغ عن قلوبهم) معناه كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم قيل هم الملائكة وسبب ذلك من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله تعالى (خ) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها فاذا فرغ عن قلوبهم (قالوا ماذا قال ربكم قالوا) الذي قال (الحق وهو العلي الكبير) وللمتدي اذا قضى الله في السماء أمرا ضربت الملائكة باجنحتها خضعوا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قال الترمذي حديث حسن صحيح قوله خضعوا خاضع وهو المنقاد المطمئن والصفوان الحجر الاملس عن ابن مسعود رضي الله عنه قال اذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السموات صلصلة كجمر المسلسلة على الصفاة فيصمقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فاذا جاء فرغ عن قلوبهم فيقولون عوين يعينه على تدبير خلقه يريد أنهم على هذه الصفة من العجز فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا

كبيرجي (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) أي أذن له الله يعني الامن وقع الاذن للشفيع لاجله وهي اللام الثانية في قولك أذن لزيد لعمره أي لاجله وهذا تكذيب لقولهم هو لاء شفعاؤنا عند الله اذن له كوفي غير عاصم الا الاعمش (حتى اذا فرغ عن قلوبهم) أي كشف الفزع من قلوب الشافعين والمنشوع لهم بكلمة يتكلم بهارب العزة في اطلاق الاذن وفرغ شامى أي الله تعالى والتفريع ازالة الفزع وحتى غاية لمافهم من ان ثم انتظار اللادن وتوقفوا فرغوا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أولا يؤذن لهم كأنه قيل يتر بصون ويتوقعون مليا فرغ عين حتى اذا فرغ عن قلوبهم (قالوا) سأل بعضهم بعضا (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق) أي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى (وهو العلي الكبير) ذو العلو والكبرياء ليس ملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وأن يشفع الا لمن ارتضى

(قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله) أمره بان يقررهم بقوله من يرزقكم ثم أمره بان يتولى الاجابة والافرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقلوبهم الا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لانهم ان تفوهوا بان الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم فقالكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق وأمره أن يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم يزد على اقرارهم بالسنة لم يتقاصر عنه (وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) ومعناه وان أحد الفريقين (٥٢٣) من الموحدين ومن المشركين لعلى أحد

الامر من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خطب به قد أتصفك صاحبك وفي درجه بعد ما تقدم ما قدم من التقرير دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو فى الضلال المبين ولكن التعريض أوصل بالمجادل الى الغرض ونحوه قولك للكاذب أحدنا الكاذب وخوفك بن حرق الجرد الداخلين على الهدى والضلال لان صاحب الهدى كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كأنه ينغمس فى ظلام لا يرى أين يتوجه (قل لا تستلون عما أجرمنوا ولا تستلون نعمالون) هذا أدخل فى الانصاف من الاول حيث أسند الاجرام الى المخاطبين وهو مزجور عنه محذور والعمل الى المخاطبين وهو مأمور به مشكور (قل يجمع بيننا ربنا) يوم

يا جبريل ماذا قال ربك فيقول الحق فيقولون الحق أخرجه أبو داود الصلوة صوت الاجراس الصلوة بعضها على بعض وقيل انما يفرعون حذر من قيام الساعة قيل كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمائة سنة أو ستمائة لم تسمع الملائكة فيها صوت وحى فلما بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم كلم جبريل بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملائكة ظنوا انها الساعة لان محمد صلى الله عليه وسلم عند أهل السموات من أشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر بأهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعنى الوحي وهو العلى الكبير وقيل الموصوفون بذلك هم المشركون وقيل اذا كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم فى الدنيا لاقامة الحجية عليهم قالوا الحق فاقروا به حين لم ينفعهم الاقرار وهو العلى الكبير أى ذوالعلو والكبرياء ﴿ قوله عز وجل (قل من يرزقكم من السموات والارض) يعنى المطر والنبات (قل الله) يعنى ان لم يقولوا ان رازقنا هو الله فقل أنت ان رازقكم هو الله (وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) معناه ما نحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال وهذا ليس على طريق الشك بل على جهة الالزام والانصاف فى الحجج كما يقول القائل أحدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب فالنبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه فى ضلال فكذبهم من غير أن يصرح بالكذب ومنه بيت حسان

أتهجوه ولست له بكفاء • فسر كما تحيركم القداء

وقيل أو بمعنى الواو ومعنى الآية ان العلى هدى وانكم فى ضلال مبين (قل لا تستلون عما أجرمنوا) أى لا تؤخذون به (ولا تستلون عما تعملون) أى من الكفر والتكذيب وقيل أراد بالاجرام الصغار والزلات التى لا يخولونها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصى العظام (قل يجمع بيننا ربنا) يعنى يوم القيامة (ثم يفتح) أى يقضى ويحكم (بيننا بالحق) أى بالعدل (وهو الفتح) أى القاضى (العليم) أى بما يقضى (قل أرونى) علمونى (الذين ألحقتم به) أى بالله (شركاء) أى الاصنام التى أشركوها معه فى العبادة هل يخلقون أو يرزقون وأراد بذلك أن يرهم الخطأ العظيم فى الحاق الشركاء بالله (كلا) كلمة ردع لهم عن مذاهبهم والمعنى أرتدعوا فانهم لا يخلقون ولا يرزقون (بل هو الله العزيز) أى الغالب على أمره (الحكيم) أى فى تدبير خلقه فأنى يكون له شريك فى ملكه ﴿ قوله عز وجل (وما أرسلناك الا كافة للناس) أى للناس كلهم عامة أحرهم وأسودهم عربهم وعجمهم وقيل ارسالة عامة لهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها أحد (ق) عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمساً يعطهن أحد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجداً وطهوراً فإيمارى رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة فى الحديث بيان الفضائل التى خص الله بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم دون سائر الانبياء وان هذه الخمسة

القيامة (ثم يفتح) يحكم (بيننا بالحق) بلا جور ولا ميل (وهو الفتح) الحاكم (العليم) بالحكم (قل أرونى الذين ألحقتم) أى ألحققوهم (به) بالله (شركاء) فى العبادة معه ومعنى قوله أرونى وكان يراهم ان يرهم الخطأ العظيم فى الحاق الشركاء بالله وأن يطلعهم على حالة الشركاء به (كلا) ردع وتنبية أى ارتدعوا عن هذا القول وتنبهوا عن ضلالكم (بل هو الله العزيز) الغالب فلا يشاركه أحد وهو ضمير الشأن (الحكيم) فى تدبيره (وما أرسلناك الا كافة للناس) الا ارسالة عامة لهم محيطه بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحسنهم وقال الزجاج معنى الكافة فى اللغة الاطاعة والمعنى أرسلناك جامعاً للناس فى الانذار والابلاغ فجعله حالاً من الكافة والتاء على هذا المبالغة كما

الراوية والعلامة (بشيرا) بالفضل لمن أقر (وذبيرا) بالعدل لمن أصر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيصلهم جهلهم على مخالفتك (ويقولون متى هذا الوعد) أي القيامة المشار إليها في قوله فل يجمع بيننا بنا (ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم) الميعاد ظرف لموعدهم من مكان أو زمان وهو هنا الزمان وبدل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فأبدل منه اليوم وأما الاضافة فاضافة تبيين كأنقول بعبرانية (لا تتأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) أي لا يمكنكم التأخر عنه بالاستمهال ولا التقدم اليه بالاستعجال ووجه انطباق هذا الجواب على سؤالهم أنهم سألوا عن ذلك وهم منكرون له تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا للسؤال على الإنكار والتعنت وأنهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخر اعنه ولا تقديما عليه (وقال الذين كفروا) أي أبو جهل وذووه (لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) أي ما نزل قبل القرآن من كتب الله أو القيامة والجنة والنار حتى أنهم محمدا وأن يكون القرآن من الله وأن يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون) محبسون (عند ربهم يرجع) يرد (بعضهم الى بعض القول) في الجدال أخبر عن عاقبة أمرهم وما آلمهم في الآخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم يخاطب ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجادبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم رأيت العجب (٥٢٤) خذف الجواب (يقول الذين استضعفوا) أي الاتباع (للذين استكبروا) أي

للرؤس والمقدمين (لولا أتم لكم مؤمنين) لولا دعاؤكم إيانا الى الكفر كما مؤمنين بالله ورسوله (قال الذين استكبروا والذين استضعفوا نحن صدقناكم عن الهدى) أولى الاسم أي نحن حرف الإنكار لأن المراد إنكار ان يكونوا هم الصادقين لهم عن الإيمان وثابت أنهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم أتوا من قبل اختيارهم (بعداذ جاءكم) انما وقعت اذ مضى اليها وان كانت اذ واذامن الظروف اللازمة للظرفية لانه قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فاضيف اليها

تكن لاحد من كان قبله من الانبياء وفيه اختصاصه بالرسالة العامة لكافة الخلق الانس والجن وكان النبي قبله يبعث الى قومه أو الى أهل بلده فعمت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم جميع الخلق وهذه درجة خص بها دون سائر الانبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقيل في معنى كافة أي كافة كفهم عما هم عليه من الكفر فتكون الهاء للبالغة (بشيرا) أي لمن آمن بالجنة (وذبيرا) أي لمن كفر بالنار (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يعني يوم القيامة (قل لكم ميعاد يوم لا تتأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) معناه لا تتقدمون على يوم القيامة وقيل عن يوم الموت ولا تتأخرون عنه بان يزداد في آجالهم أو ينقص منها (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) يعني التوراة والانجيل (ولو ترى) أي يا محمد (اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول) معناه ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجادبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم رأيت العجب (يقول الذين استضعفوا) وهم الاتباع (للذين استكبروا) وهم القادة والاشراف (لولا أتم لكم مؤمنين) يعني أتم منعقونا عن الإيمان بالله ورسوله (قال الذين استكبروا) أي أجاب المتبوعون في الكفر (للذين استضعفوا نحن صدقناكم) أي منعناكم (عن الهدى) أي عن الإيمان (بعداذ جاءكم بل كنتم مجرمين) أي بترك الإيمان (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) أي مكركم بنافي الليل والنهار وقيل مكر الليل والنهار هو طول السلامة في الدنيا وطول الأمل فيها (اذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أي هو قول القادة للاتباع ان ديننا الحق وان محمدا كذاب ساحر وهذا تنبيه للكفار أن تصير طاعة بعضهم لبعض في الدنيا سبب عداوتهم في الآخرة (وأسرؤا الندامة) أي أظهروها وقيل أخفوها وهو من الاضداد (لمارأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا)

الزمان (بل كنتم مجرمين) كافرين لا اختياركم وإيثاركم الضلال على الهدى لا بقولنا وتسوينا بنا (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) لم يأت بالعاطف في قال الذين استكبروا وأوأتى به في وقال الذين استضعفوا لان الذين استضعفوا أمرا ولا كلامهم فجى بالجواب محذوف العاطف على طريق الاستئناف ثم جى بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول (بل مكر الليل والنهار) بل مكركم بنا بالليل والنهار فانح في الظرف باجرائه مجرى المفعول به وضافة المكر اليه أو جعل ليهم ونهارهم ما كرم على الاسناد المجازي أي الليل والنهار مكر اطول السلامة فيهما حتى ظننا انكم على الحق (اذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أشباهها والمعنى ان المستكبرين لما أنكروا بقولهم نحن صدقناكم ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم واختيارهم كره عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فابطلوا اضرابهم باضرابهم كأنهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا اذ بالليل والنهار اوجلكم إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد (وأسرؤا الندامة) أضرؤا وأواظهوروا وهو من الاضداد وهم الظالمون في قوله اذ الظالمون موقوفون يتدم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين (لمارأوا العذاب) انجيم (وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا) أي في أعناقهم فجاء بالصرح للدلالة على ما استحقوا به الاغلال

(هل يجزون الاما كانوا يعملون) في الدنيا (وما أرسلنا في قرية من نذير) نبي (الا قال مترفوها) متنعموها وورواؤها (انما أرسلتم به كافرون) هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم مما نبي به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به وانه لم يرسل قط الى أهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة وافتخر واكثر الاموال والاولاد كما قال (وقالوا نحن أ كثر أموالا واولادا وما نحن بمعدين) أرادوا انهم أكرم على الله من ان يعذبهم نظر الى أحوالهم في الدنيا وظنوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم الله ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فابطل الله عليهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كيف يشاء فر بما وسع على العاصي وضيق على المطيع ور بما وسع عليهم ما وضيق عليهم افلا ينقاس عليهم ما أمر الثواب بقوله (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) قدر الرزق تضيقه قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه (ولكن أ كثر الناس لا يعلمون) ذلك (وما أموالكم ولا (٥٢٥) اولادكم بالتي تقر بكم عندنا زاني) أي وما

جماعة أموالكم ولا جماعة اولادكم بالتي وذلك ان الجمع المكسر عكس لآؤه وغير عكس لآؤه سواء في حكم التأنيث والزاني والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب على المصدر أي تقر بكم قربة كقوله أنبتكم من الارض نباتا (الامن آمن وعمل صالحا) الاستثناء من كم في تقر بكم يعني ان الاموال لا تقرب أحد الا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب أحد الا من علمهم الخير وفقهم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة وعن ابن عباس الامعنى لكن ومن شرط جوابه (فاولئك لهم جزاء الضعف) وهو من اضافة المصدر الى المفعول فاصله اولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف

أي في النار الاتباع والمتبوعين جميعا (هل يجزون الاما كانوا يعملون) أي من الكفر والمعاصي في الدنيا ﴿ قوله عز وجل (وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها) أي رساؤها وأغنياؤها (انما أرسلتم به كافرون وقالوا) يعني المترفين والاغنياء للفقراء الذين آمنوا (نحن أ كثر أموالا واولادا) يعني لو لم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل الصالح لم يخولنا أموالا واولادا (وما نحن بمعدين) أي ان الله قد أحسن اليانا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا في الآخرة (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني انه تعالى يبسط الرزق ابتلاء وامتحانا ولا يدل البسط على رضا الله تعالى ولا التضيق على سخطه (ولكن أ كثر الناس لا يعلمون) أي انها كذلك (وما أموالكم ولا اولادكم بالتي تقر بكم عندنا زاني) أي بالتي تقر بكم عندنا تقريبا (الا) أي لكن (من آمن وعمل صالحا) قال ابن عباس يريد ايمانه وعلمه يقرب به مني (فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) أي يصف الله لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة عشر الى سبع مائة (وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا) أي يعملون في ابطال حججنا (مجزين) أي معاندين يحسبون انهم يجزوننا ويفوتوننا (اولئك في العذاب محضرون) ﴿ قوله عز وجل (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) أي يعطى خلفه اذا كان في غير اسراف ولا تقير فهو يخلفه و يعوضه لا معوض سواء اما عاجلا بالمال أو بالقناعة التي هي كثر لا ينفدوا ما بالثواب في الآخرة الذي كل خلفه وونه وقيل ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم من خير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جيب مافي يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا في الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق ينفق عليك ولمسلم يا ابن آدم أنفق أنفق عليك (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منقفا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممكنا خلفا (م) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما تنقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزوا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله (وهو خير الرازقين) أي خير من يعطى ويرزق لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده أو سيد يرزق مملوكه أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجراه الله على أيدي هؤلاء وهو الرزاق الحقيقي الذي لا رازق سواه ﴿ قوله تعالى (و يوم نحشرهم جميعا) يعني هؤلاء الكفار

ومعنى جزاء الضعف ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرأ يعقوب جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء (بما عملوا) بأعمالهم (وهم في الغرفات) أي غرف منازل الجنة الغرفة حجرة (آمنون) من كل هائل وشاغل (والذين يسعون في آياتنا) في ابطالها (مجزين اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق) يوسع (لمن يشاء من عباده ويقدره وما أنفقتم) ما شرطية في موضع النصب (من شيء) بيانه (فهو يخلفه) يعوضه لا معوض سواء اما عاجلا بالمال أو آجلا بالثواب جواب الشرط (وهو خير الرازقين) المطعنين لان كل ما رزق غيره من سلطان أو سيد أو غيرهما فهو من رزق الله أجراه على أيدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التي بها يتفجع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي أوجدني وجعلني عن يشتهي فكم من مشته لا يجد وواجدا لا يشتهي (و يوم نحشرهم جميعا

ثم هول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) وبالياء فيها حنص ويعقوب هذا خطاب للملائكة وتقر يع للكفار وارد على المثل السار اياك أعني واسمى يا جاره ه ونحوه قوله أنت قلت للناس اتخذوني الآية (قالوا) أي الملائكة (سبحانك) تزيها لك أن يعبد معك غيرك (أنت ولينا) الموالاة خلاف المعادة وهي مفاعلة من الولي وهو القرب والولي يقع على الموالي والموالي جميعا والمعنى أنت الذي نواليه (من دونهم) اذ لا موالاة بيننا وبينهم فينبوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك (بل كانوا يعبدون الجن) أي الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله أو كانوا يدخلون في أجواف الاصنام اذا عبت فيعبدون بعبادتها أو صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها (أكثرهم) أكثر الانس أو الكفار (بهم) بالجن (مؤمنون فالיום لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) لان الامر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه أحد منفعه ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثوب وعقاب والطيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها يغفلون ويتنافعون والمراد انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر عاقبة الظالمين بقوله (وتقول للذين ظلموا) بوضع العبادة في غير موضعها معطوف على لا يملك (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) (٥٢٦) في الدنيا (واذ اتلى عليهم آياتنا) أي اذا قرئ عليهم القرآن (بينات) واضحات

(ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) أي في الدنيا وهذا استفهام تقر يع وتقر ير للكفار فتتبرأ الملائكة منهم من ذلك ه وهو قوله تعالى (قالوا سبحانك) أي تزيها لك (أنت ولينا من دونهم) أي نحن نتولاك ولا تتولاهم فينبوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لم (بل كانوا يعبدون الجن) يعني الشياطين فان قلت قد عبدوا الملائكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون الجن قلت أراد ان الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فاطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين عبادة لهم وقيل صوروا لهم صوروا وقالوا لهم هذه صور الملائكة فاعبدوها فعبدوها وقيل كانوا يدخلون في أجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها (أكثرهم بهم مؤمنون) أي صدقون للشياطين قال الله تعالى (فالיום لا يملك بعضكم لبعض نفعا) أي شفاعه (ولا ضرا) أي بالعذاب يريد أنهم عاجزون لانفع عندهم ولا ضرر (وتقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) واذا اتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا افك مفترى (يعنون محمد صلى الله عليه وسلم) (يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى) (يعنون القرآن وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الاسحرمبين وما آتيناهم) يعني هؤلاء المشركين (من كتب يدرسونها) أي يقرؤونها (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) أي لم يأت العرب قبلك نبي ولا أنزل اليهم كتاب (وكذب الذين من قبلهم) أي من الامم السالفة رسلنا (وما بلغوا) يعني هؤلاء المشركين (معار) أي عشر (ما آتيناهم) أي أعطينا الامم الخالية من القوة والنعمة وطول الاعمار (فكذبوا رسلنا فكيف كان تكبر) أي انكارى عليهم يحذر بذلك كفار هذه الامم الماضية ه قوله عز وجل (قل انما أعظكم) أي أمركم وأوصيكم (بواحدة) أي بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال تعالى (أن تقوموا لله)

(قالوا) أي المشركون (ما هذا) أي محمد (الارجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا) أي القرآن (الا افك مفترى وقال الذين كفروا) أي وقالوا والعدول عنه دليل على انكار عظيم وغضب شديد (الحق) للقرآن أو لامر النبوة كله (لما جاءهم) وعجزوا عن الاثبات (ان هذا) أي الحق (الاسحرمبين) بتوه على انه سحرم بتوه على انه بين ظاهر كل عاقل تام له سماء سحرا (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) أي ما

أعطينا مشركي مكة كتباً يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) ولا أرسلنا اليهم نذيرا أي بنذرهم بالعقاب ان لم يشركوا ثم نوعدهم على تكذيبهم بقوله (وكذب الذين من قبلهم) أي وكذب الذين تقدموهم من الامم الماضية والقرون الخالية الرسل كما كذبوا (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) أي وما بلغ أهل مكة عشر ما أوتي الاولون من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال والاولاد (فكذبوا رسلنا فكيف كان تكبر) لا يمكن بين الاولين فليحذروا من مثله وبالياء في الوصل والوقف يعقوب أي حين كذبوا رسلهم جاءهم انكارى بالتدمير والاستئصال ولم يفتن عنهم استظهارهم بما هم مستظرون فبالهؤلاء وانما قال فكذبوا وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم لانه لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل سببا عنه وهو كقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (قل انما أعظكم بواحدة) بخصلة واحدة وقد فسرهابقوله (أن تقوموا) على انه عطف بيان لها وقيل هو بدل وعلى هذين الوجهين هو في محل الجر وقيل هو في محل الرفع على تقدير وهي ان تقوموا والنصب على تقدير أعني وأراد بقيامهم القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم هذه أو قيام التصد الى الشيء دون النهوض والاتصاف والمعنى انما أعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي أن تقوموا (لله)

أى لوجه الله خالصاً لطلب الحق (مثنى) اثنين اثنين (وفرادى) فرداً فرداً (ثم تفكروا) فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما لمحصل فكره على صاحبه وينظران فيه نظر الصدق والانصاف حتى يؤدبهما النظر الصحيح الى الحق وكذلك الفرد يتفكر فى نفسه بعدل ونصفه ويعرض فكره على عقله ومعنى تفرقهم مثنى وفرادى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمى البصائر ويمنع من الروية ويقل الانصاف فيه ويكثر الاعتساف ويشور عجاج التعصب ولا يسمع الانصرة للذهب وتتفكر وامعطوف على تقوموا (ما بصاحبكم) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (من جنة) جنون والمعنى ثم تفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة (ان هو الاذير لكم بين يدي عذاب شديد) قدام عذاب شديد وهو عذاب الآخرة وهو كقوله عليه السلام بعثت بين يدي الساعة ثم بين انه لا يطالب أجر اعلى الا نذار بقوله (قل ما سألتكم من أجر) على انذارى وتبليغى الرسالة (فهولكم) جزاء الشرط تقديره أى شئ سألتكم من أجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة ومعناه نبي مسئلة (٥٢٧) الاجر رأساً نحو ما لى فى هذا فهو لك أى ليس لى

فيه شئ (ان أجرى) مدنى وشامى وأبو بكر وحفص وبسكون الياء غيرهم (الا على الله وهو على كل شئ شهيد) فيعلم انى لا أطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الامنه (قل ان ربي يقذف بالحق بالوحي والقذف توجيه السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعار لمعنى الالقاء ومنه وقذف فى قلوبهم الرعب ان اقدف فيه فى التابوت وهى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى أنبيائه أو يرمى به الباطل فيدمغه ويذقه (علام الغيوب) مرفوع على البدل من الضمير فى يقذف أو على انه خبر

أى لاجل الله (مثنى) أى اثنين اثنين (وفرادى) أى واحداً واحداً (ثم تفكروا) أى تجتمعوا جميعاً فتتفكران وتصارون وتفكران فى حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا أن (ما بصاحبكم من جنة) ومعنى الآية انما أعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهى ان تقوموا لله وليس المراد به القيام على القدمين ولكن هو الاتصاف فى الامر والنهوض فيه باطمة فتقوموا لوجه الله خالصاً ثم تفكروا فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما لمحصل فكره على صاحبه لينظرا فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع الهوى وأما الفرد فيفكر فى نفسه أيضاً بعدل ونصفه هل رأيت فى هذا الرجل جنوناً قط أو جربنا عليه كذباً قط وقد علمتم ان محمد صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل قد علمتم انه من أرجح قريش عقلاً وأرزهم حملاً وأحدهم ذهاناً وأرصنهم رأياً وأصدقهم قولاً وأزكاهم نفساً وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويعدحون به واذا علمتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بآية واذا جاء بها تبين انه نبي نذير مبين صادق فيما جاء به وقيل ثم الكلام عند قوله ثم تفكروا أى فى السموات والارض فتعلموا ان خالقها واحد لا شريك له ثم ابتداء فقال ما بصاحبكم من جنة (ان هو الاذير لكم بين يدي عذاب شديد) قل ما سألتكم) أى على تبليغ الرسالة (من أجر) أى جعل (فهولكم) أى لم أسألكم شيئاً (ان أجرى) أى ثوابى (الاعلى الله وهو على كل شئ شهيد) قل ان ربي يقذف بالحق) أى يأتى بالوحي من السماء فيقذفه الى الانبياء (علام الغيوب) أى خفيات الامور (قل جاء الحق) أى القرآن والاسلام (وما يبدى الباطل وما يعيد) أى ذهب الباطل وزهق فلم يبق منه بقية تبتدى شيئاً أو تعيده وقيل الباطل هو ابليس والمعنى لا يخلق ابليس أحد ابتداء ولا يعينه اذامات وقيل الباطل الاصنام (قل ان ضللت فاعمالى على نفسى) وذلك ان كفار مكة كانوا يقولون له انك قد ضللت حين تركت دين آباءك فقال الله تعالى قل ان ضللت فاعمالى على نفسى أى انى ضللت على نفسى (وان اهتديت فبما يوحي الى ربي) أى من القرآن والحكمة (انه سميع قريب) قوله عز وجل (ولو ترى) أى يا محمد

مبتدأ محذوف (قل جاء الحق) الاسلام والقرآن (وما يبدى الباطل وما يعيد) أى زال الباطل وهلك لان الابداء والاعادة من صفات الحى فعدمهما عبارة عن الهلاك والمعنى جاء الحق وزهق الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضى الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة أصنام فجعل يطعنهم بعود معه ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد وقيل الباطل الاصنام وقيل ابليس لانه صاحب الباطل اولانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذاهلك أى لا يخلق الشيطان ولا الصنم أحد ولا يعينه فإلله شئى والباعث هو الله ولما قالوا قد ضللت بترك دين آباءك قال الله تعالى (قل ان ضللت فاعمالى على نفسى) ان ضللت فنى وعلى (وان اهتديت فبما يوحي الى ربي) أى فبتسديده بالوحي الى وكان قياس التقابل أن يقال وان اهتديت فاعمالى أهتدى لها كقوله فن اهتدى فلنفسه ومن ضل فاعمالى على نفسها ولكن هما متقابلان معنى لان النفس كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها ما ينفعها فبهديتها بها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما أمر رسوله أن يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحتها مع جلاله محله وسداد طر يقته كان غيره أولى به (انه سميع) لما أقوله لكم (قريب) منى ومنكم مجازىنى وبمجازىكم (ولو ترى) جوابه محذوف أى رأيت أمراً عظيماً واحلاً هائلة

(اذفرعوا) عند البعث أو عند الموت أو يوم بدر (فلا فوت) فلامه رب أو فلا يفوتون الله ولا يسبقونه (وأخذوا) عطف على فرعوا أي فرعوا وأخذوا وأخذوا فلا فوت لهم أو على لا فوت على معنى اذفرعوا فلم يفوتوا وأخذوا (من مكان قريب) من الموقف إلى النار إذا ابتعوا أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا أو من صحراء بدر إلى القليب (وقالوا) حين عاينوا العذاب (آمنابه) بمحمد عليه السلام لم يورد ذكره في قوله ما يصاحبكم من الجنة أو بالله (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) التناوش التناول أي كيف يتناولون التوبة وقد بعدت عنهم يريدان التوبة كانت تقبل منهم في الدنيا وقد ذهبت الدنيا وبعدت من الآخرة وقيل هذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين إيمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريدان يتناول الشيء من غلوة كما يتناول الآخر من قيس ذراع التناوش بالهمزة أبو عمرو وكوفي غير حفص همزت الواو لأن كل واحد مضمومة ضمه لازمة إن شئت أبدتها همزة وإن شئت لم تبدل نحو قولك ادور وتقاوم وإن شئت قلت ادور وتقاوم وعن ثعلب التناوش بالهمزة التناول من بعد و بغير همزة التناول من قرب (وقد كفر وأبه من قبل) من قبل العذاب أو في الدنيا (ويقدفون بالغيب) معطوف على قد (٥٢٨) كفروا على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب أو بالشئ الغائب

(اذفرعوا) أي عند البعث أي حين يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت (فلا فوت) أي لا يفوتون تناول نجاه لهم (وأخذوا من مكان قريب) قيل من تحت أقدامهم وقيل أخذوا من بطن الأرض إلى ظهرها وحينما كانوا فاتهم من الله قريب لا يفوتونه ولا يحجزونه وقيل من مكان قريب يعني عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل هو حسد بالبيداء ومعنى الآية ولو ترى اذفرعوا لرأيت أمر اعتبر به (وقالوا آمنابه) أي حين عاينوا العذاب قيل هو عند اليأس وقيل هو عند البعث (وأنى لهم التناوش) أي التناول والمعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الإيمان والتوبة وقد كان قريبياتهم في الدنيا فضيعوه وقال ابن عباس يسألون الرد إلى الدنيا فيقول وأنى لهم الرد إلى الدنيا (من مكان بعيد) أي من الآخرة إلى الدنيا (وقد كفروا به من قبل) أي بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل أن يعاينوا العذاب وأهوال القيامة (ويقدفون بالغيب من مكان بعيد) قيل هو الظن لأن علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمد صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وهو قولهم أنه شاعر ساحر كاهن لا علم لهم بذلك وقيل يرجون بالظن يقولون لا بعث ولاجنة ولا نار (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) يعني الإيمان والتوبة والرجوع إلى الدنيا ونعيمها وزهرتها (كفعل بشياعهم) أي بنظراتهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار (من قبل) أي لم تقبل منهم التوبة والإيمان في وقت اليأس (إنهم كانوا في شك) أي من البعث ونزول العذاب بهم (مريب) أي موقع في الريبة والتهمة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة﴾
 ﴿وهي مكية وخمس وأربعون آية وتسعمائة وسبعون كلمة وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفاً﴾
 ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
 ﴿قوله عز وجل (الحمد لله فاطر السموات والأرض) أي خالقها ومبتدعها على غير مثال سبق (جاعل

يقولون لا بعث ولا حساب ولاجنة ولا نار) (من مكان بعيد) عن الصدق أو عن الحق والثواب أو هو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لأنهم لم يشاهدوا منه سحراً ولا شعراً ولا كذباً وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لأن أبعثني مما جاء به السحر والشعر وأبعثني من عادته التي عرفت بينهم وجرت الكذب ويقذفون بالغيب عن أبي عمرو على البناء للمفعول أي تأنيبهم به شياطينهم ويلقونهم آياه وإن شئت فقلقه بقوله وقالوا

آمنابه على أنه مثلهم في طاعتهم تحصيل ما عطاوه من الإيمان في الدنيا بقولهم آمنابه في الآخرة وذلك مطلب مستبعد الملائكة بمن يقذف شيأ من مكان بعيد لا مجال للظن في حقوقه حيث يريدان يقع فيه لكونه غائباً عنه بعيداً ويجوز أن يكون الضمير في آمنابه للعذاب الشديد في قوله بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين إن كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا قائلين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قد فهم بالغيب وهو غيب ومقدوف به من جهة بعيدة لأن دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف (وحيل) بينهم وبين ما يشتهون) من نفع الإيمان يومئذ والتجاة به من النار والفوز بالجنة أو من الرد إلى الدنيا كما حكى عنهم قوله أرجعنا نعمل صالحاً والأفعال التي هي فرعوا وأخذوا وحيل كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لتحقيق وقوعه (كفعل بشياعهم من قبل) بأشباهم من الكفرة (إنهم كانوا في شك) من أمر الرسل والبعث (مريب) موقع في الريبة من أراه إذا أوقعه في الريبة هذا رد على من زعم أن الله لا يعذب على الشك والله أعلم ﴿سورة الملائكة مكية وهي خمس وأربعون آية﴾
 ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الحمد لله) حمد ذاته تعالياً وتعظيماً (فاطر السموات) مبتدئها ومبتدعها قال ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدرى معنى الفاطر حتى اختصم إلى امرأين في بئر فقال أحدهما ما فطرتهما أي ابتدأتهما (والأرض جاعل

الملائكة رسلا) الى عباده (أولى) ذوى اسم جمع له وهو بدل من رسلا وأوعته له (أجنحة) جمع جناح (مثنى وثلاث ورباع) صفات
 لأجنحة وانما تنصرف لتكرار العدل فيها وذلك انها عدلت عن ألفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ آخر كما عدل عمر عن عامر وعن تكريم
 الى غير تكريم وقيل للعدل والوصف والتعويل عليه والمعنى ان الملائكة طائفة أجنحتهم اثنان اثنان أى لكل واحد منهم جناحان
 وطائفة أجنحتهم ثلاثة ثلاثة ولعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يدهما بقوة وطائفة أجنحتهم اربعة اربعة (يزيد في الخلق)
 أى يزيد في خلق الأجنحة وغيره (ما يشاء) وقيل هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن والخط الحسن والملاحة في العينين
 والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامته واعتدال صورته وعمام في الاعضاء وقوة في البطش وخصافة في العقل وجزالة في الرأي
 وذلاقة في اللسان ومحبة في قلوب المؤمنين وما أشبه ذلك (ان الله على كل شئ قدير) قادر (ما يفتح الله للناس من رحمة) نكرت الرحمة
 للإشاعة والابهام كأنه قال من أية رحمة رزق أو مطر أو صحة أو غير ذلك (فلا تمسك لها) فلا أحديقدر على امساكها وحسبها واستعير
 الفتح للإطلاق والارسال الأتري الى قوله (وما يمسك) يمنع ويحبس (فلا مرسله) مطلق له (من بعده) من بعد امساكه وأنت الضمير
 الراجع الى الاسم المتضمن معنى الشرط على معنى الرحمة ثم ذكره جلا على اللفظ (٥٢٩) المرجع اليه اذا لانا ثبت فيه لان الاول فسر

بالرحمة فمن اتباع الضمير
 التفسير ولم يفسر الثاني
 فترك على أصل التذكير
 وعن معاذ مرفوعا لا تزال
 يد الله مبسوطة على هذه
 الأمة ما لم يرفق خيارهم
 بشرارهم ويعظم بهم
 فأجرهم وتعن قراؤهم
 أمراءهم على معصية الله
 فإذا فعلوا ذلك نزع الله
 يده عنهم (وهو العزيز)
 الغالب القادر على الارسال
 والامساك (الحكيم) الذي
 يرسل ويمسك ما تقتضى
 الحكمة ارساله وامساكه
 (يا أيها الناس اذكروا)
 باللسان والقلب (نعمة الله

الملائكة رسلا) أى الى الانبياء (أولى أجنحة) أى ذوى أجنحة (مثنى وثلاث ورباع) أى بعضهم له
 جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة (يزيد في الخلق ما يشاء) أى يزيد في خلق الأجنحة
 ما يشاء قال عبد الله بن مسعود في قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستامة
 جناح وقيل في قوله يزيد في الخلق ما يشاء هو حسن الصوت وقيل حسن الخلق وتماحه وقيل هو الملاحة في
 العينين وقيل هو العقل والتمييز (ان الله على كل شئ قدير) أى مما يريد أن يخلقه ﴿قوله تعالى﴾ (ما يفتح الله
 للناس من رحمة) قيل المطر وقيل من خير ورزق (فلا تمسك لها) أى لا يستطيع أحد حبسها (وما يمسك فلا
 مرسله من بعده) أى لا يقدر أحد على فتح ما أمسك (وهو العزيز) أى فيما أمسك (الحكيم) أى فيما
 أرسل (م) عن المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده
 لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجود
 منك الجود والجدة الغنى والبخت أى لا ينفع المبخوت والغنى حظه وغناه لانهم منك انما ينفعه الاخلاص
 والعمل بطاعتك ﴿قوله عز وجل﴾ (يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم) قيل الخطاب لاهل مكة ونعمة
 الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم (هل من خالق غير الله) أى لا خالق الا الله وهو استفهام تقرير
 وتوبيخ (يرزقكم من السماء) يعنى المطر (والارض) أى النبات (لا اله الا هو فاني توفكون) أى
 من أين يقع لكم الافك والتكذيب بتوحيد الله وانكار البعث وأتم مقرون بان الله خالقكم ورازقكم
 (وان يكذبوك فقد كذبت رسلك من قبلك) يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم (والى الله ترجع الامور) أى
 فيجزى المكذب من الكفار بتكذيبه ﴿قوله تعالى﴾ (يا أيها الناس ان وعد الله حق) يعنى وعد
 القيامة (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) أى لا تغدعنكم بلدانها وما فيها عن عمل الآخرة وطلب ما عند الله

(٦٧ - (خازن) ثالث)

عليكم) وهى التى تقدمت من بسط الارض كالمهاد ورفع السماء بلا عمد
 وارسال الرسل لبيان السبل دعوة اليه وزلفه لديه والزيادة في الخلق وفتح أبواب الرزق ثم نبيه على رأس النعم وهو اتحاد النعم بقوله (هل
 من خالق غير الله) برفع غير على الوصف لان خالق مبتدأ خبره محذوف أى لكم وبالجر على وجزء على الوصف لفظا (يرزقكم) يجوز
 ان يكون مستأنفا ويجوز ان يكون صفة خالق (من السماء) بالمطر (والارض) بانواع النبات (لا اله الا هو) جملة مفصلة لا محل لها
 (فاني توفكون) فبأى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك (وان يكذبوك فقد كذبت رسلك من قبلك) نعى به على قريش سوء
 تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بان له فى الانبياء قبله اسوة وطئ انكر رسلك أى رسلك ذوو عدد كثير وأولو آيات ونذر وأهل اعمار
 طول وأصحاب صبر وعزم لانه أسلى له وتقدير الكلام وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك لان الجزاء يتعقب الشرط ولو أجرى
 على الظاهر يكون سابقا عليه ووضع فقد كذبت رسلك من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب بالتكذيب عن التأسى
 (والى الله ترجع الامور) كلام يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقه فانه ترجع
 بفتح التاء شامى وجزء على ويعقوب وخلف وسهل (يا أيها الناس ان وعد الله) بالبعث والجزاء (حق) كان (فلا تغرنكم الحياة الدنيا)

فلا تخدعكم الله نيا ولا يذعنكم المتع بها والتذذ بمنافعها عن العمل للأخرة وطلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) أي الشيطان فإنه يفتنكم الأمانى الكاذبة ويقول ان الله غنى عن عبادتك وعن تكذيبك (ان الشيطان لكم عدو) ظاهر العداوة فعل بايكم ما فعل وأتم تعاملونه معاملة من لا علم له بأحواله (فاتخذوه عدوا) في عقائدكم وأفعالكم ولا يوجد منكم الا ما يدل على معاداته في سرهم وجهرهم ثم خص سرهم وخطأ من أتبعه بان غرضه الذي يؤم في دعوة شيعته هو ان يوردهم موردا لهلاك بقوله (انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) ثم كشف العطاء فبنى الاصر كله على الايمان وتركه فقال (الذين كفروا لهم عذاب شديد) أي من أجابه حين دعاه فله عذاب شديد لانه صار من حزبه أي أتباعه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولم يجيبوه ولم يصيروا من حزبه بل عادوه (لهم مغفرة وأجر كبير) لكبر جهادهم ولما ذكر القرآن قال لنبيه عليه السلام (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) بتزيين الشياطين كمن لم يزين له فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال (فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وذكر الزجاج ان المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهب نفسك عليه حسرة حذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله حذف لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي (٥٣٠) من يشاء عليه فلا تذهب نفسك ير يد أي لانهلكها حسرات مفعول له يعني فلا تهلك

نفسك للحسرات وعليهم صلاة تذهب كما تقول هلاك عليه حبا ومات عليه حزنا ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لان الصدر لا تقدم عليه صلته (ان الله عليم بما يصنعون) وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم (والله الذي أرسل الرياح) الريح مكي وحسرة وعلى فتشرب سحبا فافسقناه الى بلديت) بالتشديد مدنى وحسرة وعلى وحفص وبالتخفيف غيرهم (فأحيينا به) بالمطر لتقدم ذكره ضمنا (الارض بعد موتها) ويسها وانما قيل فتشرب تحكى الحال التي

(ولا يغرنكم بالله الغرور) أي لا يقل لكم اعمالوا ما شئتم فان الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور من هو فقال الله تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) أي عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه فيما يامرهم به من الكفر والمعاصي (انما يدعو حزبه) أي أشياعه وأولياؤه (ليكونوا من أصحاب السعير) ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال تعالى (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) قوله عز وجل (أفمن زين لهم سوء عمله) قال ابن عباس نزلت في أبي جهل ومشركي مكة وقيل نزلت في أصحاب الأهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم وليس أصحاب الكبار من الذنوب منهم لانهم لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم اياها ومعنى زين له شبه له وموه عليه قبيح عمله (فرآه حسنا) وفي الآية حذف مجازه أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا كمن هداه الله فرأى الحق حقا والباطل باطلا (فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) ٧ وقيل مجاز الآية أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والحسرة شدة الحزن على ما فات والمعنى لا تنغم بكفرهم وهلاكهم ان لم يؤمنوا (ان الله عليم بما يصنعون) فيه وعيد بالعقاب على سوء صنيعهم (والله الذي أرسل الرياح فتشرب سحبا) أي تزججه من مكانه وقيل تجمعه ونحى به (فسقناه) أي فسوقه (الى بلديت) فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور) أي مثل احياء الموات نشور الاموات وروى ابن الجوزي في تفسيره عن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بواد أهلك محلا ثم مررت به ثم خضرا فقلت نعم قال كذلك يحيى الله الموتى وتلك آية في خلقه ﴿ قوله تعالى (من كان يريد العزة فلنتعهز بها جميعا) قيل معناه من كان يريد ان يعلم لمن العزة فنتعهز بها جميعا وقيل معناه من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله

تقع فيها اثاره الرياح السحاب ونستحضر تلك الصورة لله على القدرة البائية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية وهو بحال تغرب وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت وحياء الارض بالمطر بعد موتها ما كان من الدليل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيينا معد ولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه (كذلك النشور) الكاف في محل الرفع أي مثل احياء الموات نشور الاموات قيل يحيى الله الخلق بما يرسله من تحت العرش كمنى الرجال تنبت منه أجساد الخلق (من كان يريد العزة فلنتعهز بها جميعا) أي العزة كلها مختصة بالله عزه الدنيا وعزة الآخرة وكان الكافر ون يتعززون بالاصنام كما قال واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاء والذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافر بن أولياء من دون المؤمنين أيتنون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فيبين أن لا عزه الا بالله والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله لله العزة جميعا موضعا استغناء عنه به لدلالته عليه لان الشيء لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من أراد النصيحة فهي عند الابرار تريد فليطلبها عندهم الا انك أتت ما يدل عليه مقامه وفي الحديث ان ربكم يقول كل يوم أنا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز ثم عرف ان ما يطلب به العزة هو هوقوله وقيل مجاز الآية الخ يعلم مما ذكره الامام النسفي عن الزجاج انه غير ظاهر فليتأمل اه

الإيمان والعمل الصالح بقوله (إليه يصعد الكام الطيب والعمل الصالح يرفعه) ومعنى قوله إليه إلى محل القبول والرضا وكل ما أنصف بالقبول وصف بالرفعة والصعود أو إلى حيث لا ينفذ فيه الأحكام والكلام الطيب كلمات التوحيد أي لا اله الا الله وكان القياس الطيبة ولكن كل جمع ليس بينه وبين واحد الا التأييد كز ويؤنث والعمل الصالح العبادة الخالصة يعني والعمل الصالح يرفعه الكام الطيب فالرافع الكام والمرفوع العمل لأنه لا يقبل عمل الامن موحد وقيل الرافع الله والمرفوع العامل أي العمل الصالح يرفعه الله وفيه اشارة الى ان العمل يتوقف على الرفع والكام الطيب يصعد بنفسه وقيل العمل الصالح يرفع العامل ويشرفه أي من أراد العزة فليعمل عملا صالحا فإنه هو الذي يرفع العبد (والذين يمكرون السيئات) هي صفة لصدر محذوف أي المكرات السيئات (٥٣١) لان مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله والمراد مكر قر يش به

عليه السلام حين اجتمعوا في دار الندوة كما قال الله تعالى واذ يمكرون بك الذين كفروا واليئسوا بالآية (لم عذاب شديد) في الآخرة (ومكروا ولثك) مبتدأ (هو) فصل (يبور) خبر أي ومكروا ولثك الذين مكروا هو خاصة يبور أي يفسد ويبطل دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأنتهم في قلب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحق المكر السيء الا بأهله (والله خلقكم) أي أبائكم (من تراب ثم) أنشأكم (من نطفة ثم جعلكم أزواجا) أصنافا وذكرا وانا (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) هو في موضع الحال أي الامعونه له (وما يعمر من معمر) أي

وهو دعاء الى طاعة من له العزة أي فليطلب العزة من عند الله بطاعته وذلك ان الكفار عبدوا الاصنام وطلبوا بها التعز زفين الله ان لا عزة الا لله ولرسوله ولا ولياته المؤمنين (إليه) أي الى الله (يصعد الكام الطيب) قيل هو قول لا اله الا الله وقيل هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر روى البغوي باسناده عن ابن مسعود قال اذا حدثتكم حديثا أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وتبارك الله الا أخذهن ملك تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفر والقائلهن حتى يحجى بها وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله قوله إليه يصعد الكام الطيب هذا حديث موقوف على ابن مسعود وفي اسناده الحجاج بن نصير ضعيف وقيل الكام الطيب ذكر الله تعالى وقيل معنى إليه يصعد أي يقبل الله الكام الطيب (والعمل الصالح يرفعه) قال ابن عباس أي يرفع العمل الصالح الكام الطيب وقيل الكام الطيب ذكر الله والعمل الصالح اداء القرائن فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمنى وليس بالتحلى ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا يرفعه العمل ذلك بان الله يقول إليه يصعد الكام الطيب والعمل الصالح يرفعه وجاء في الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا قولا ولا عملا الابنية وقيل الهاء في يرفعه راجعة الى العمل الصالح أي الكام الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عملا الا ان يكون صادرا عن توحيد وقيل معناه العمل الصالح يرفعه الله وقيل العمل الصالح هو الخالص وذلك ان الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والافعال (والذين يمكرون السيئات) أي يعملون السيئات أي الشرك وقيل يعني الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وقيل هم أصحاب الرياء (لم عذاب شديد ومكروا ولثك هو يبور) أي يبطل وبهالك في الآخرة قوله عز وجل (والله خلقكم من تراب) يعني آدم (ثم من نطفة) يعني ذريته (ثم جعلكم أزواجا) يعني أصنافا ذكرا وانا وانا وقيل زوج بعضهم بعضا (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر) أي لا يطول عمرا أحد (ولا ينقص من عمره) أي عمر آخر وقيل ينصرف الى الاول قال سعيد بن جبير مكتوب في أم الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يوما ذهب ثلاثة أيام حتى ينقطع عمره وقيل معناه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب قال كعب الاحبار حين حضرت عمر الوفاة والله لو دعا عمر ربه أن يؤخر أجله لاخر فقيل له ان الله تعالى يقول فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال هذا اذا حضر الاجل فاما قبل ذلك فيجوز أن يزداد ذلك وقرأ هذه الآية (الافى كتاب) يعني اللوح المحفوظ (ان ذلك على الله يسير) أي كتابة الآجال والاعمال على الله هي قوله

وما يعمر من أحد وانما سباهم عمرا بما هو صائر إليه (ولا ينقص من عمره الا في كتاب) يعني اللوح أو صحيفه الانسان ولا ينقص زيد فان قلت الانسان امام عمر أي طول العمر أو منقوص العمر أي قصيره فأما أن يتعاقب عليه التعبير وخلافه فحال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتساع فيه ثقة في تاويله بافهام السامعين وانكالا على تسديد معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس يقولون لا يئيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق أو تاويل الآية انه يكتب في الصحيفة عمره كذا كذا سنة ثم يكتب في أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يوما حتى يأتي على آخره فذلك نقصان عمره وعن قتادة المعمر من يبلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة (ان ذلك) أي احصاءه أو زيادة العمر ونقصانه (على الله يسير) سهل

(وما يستوى البحرين هذا) أي أحدهما (عذب فرات) شديد العذوبة وقيل هو الذي بكسر العطنش (سائغ شرابه) مري وسهل
 الانحدار لعذوبته وبه يرتفع شرابه (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة وقيل هو الذي يحرق بلوحته (ومن كل) (ومن كل واحد منهما
 (تأكلون لحاظريا) وهو السمك (وتستخرجون حلية تلبسونها) وهي اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك فيه) في كل (مواخر) شواق
 للماء يجري بها يقال محرت السفينة الماء أي شقته وهي جمع ماخرة (لتبتغوا من فضله) من فضل الله ولم يجزله ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ولو
 لم يجز لم يشكك لدلالة المعنى عليه (واعلمكم تشكرون) الله على ما آتاكم من فضله ضرب البحر بن العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال
 على سبيل الاستطراد في صفة البحر بن وما علق بهما من نعمه وعطائه ويحتمل غير طريفة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين بالبحر بن
 ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بأنه قد شارك العذب في منافع السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في
 طريفة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشفق
 فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله (يوجل الليل في النهار ويوجل النهار في الليل) يدخل من ساعات أحدهما في الآخر حتى يصير
 الزائد منهما خمس عشرة ساعة والناقص تسعا (وسخر الشمس والقمر) أي ذال أنواء صورته لاستواء سيره (كل مجرى لاجل مسمى)
 أي يوم القيامة ينقطع جريهما (ذلكم) مبتدأ (الله بكم له الملك) أخبار مترادفة أو والله بكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله
 (والذين يدعون من دونه) يعني الاصنام التي (٥٣٢) تعبدونها من دون الله يدعون قتيبة (ما يملكون من قطمير) هي القشرة

الرقية المتلفة على النواة
 (ان تدعوهم) أي الاصنام
 (لا يسمعون دعاءكم) لانهم
 جاد (ولو سمعوا) على
 سبيل الفرض (ما استجابوا
 لكم) لانهم لا يدعون ما
 تدعون لهم من الاطية
 ويتبرؤن منها (و يوم
 القيامة يكفرون بشرككم)
 بانتم اياهم و يقولون ما كنتم
 ايانا تعبدون (ولا يفتك
 مثل خير) ولا يفتك اياها
 المفتون باسباب الغرور كما
 يفتك الله الخبير بخبايا
 الامور وتحقيقه ولا يخبرك

تعالى (وما يستوى البحرين) يعني العذب والملح ثم وصفهما فقال (هذا عذب فرات) أي طيب بكسر
 العطنش (سائغ شرابه) أي سهل في الخلق حتى مريء (وهذا ملح أجاج) أي شديد الملوحة
 يحرق الخلق بلوحته وقيل هو المر (ومن كل) يعني من البحرين (تأكلون لحاظريا) يعني السمك
 (وتستخرجون) أي من الملح دون العذب (حلية تلبسونها) يعني اللؤلؤ والمرجان وقيل نسب اللؤلؤ
 اليهما لانه يكون في البحر الملح عميون عذبة فتمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ منهما (وترى الفلك فيه
 مواخر) أي جوارى مقبلة ومدبرة برح واحدة (لتبتغوا من فضله) أي بالتجارة (واعلمكم تشكرون) أي
 تشكرون الله على نعمه (يوجل الليل في النهار ويوجل النهار في الليل) وسخر الشمس والقمر كل مجرى لاجل
 مسمى ذلكم الله بكم له الملك والذين يدعون من دونه) يعني الاصنام (ما يملكون من قطمير) هو لفاقة
 النواة وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة (ان تدعوهم) يعني الاصنام (لا يسمعون دعاءكم) يعني
 انهم جاد (ولو سمعوا) أي على سبيل الفرض والتمثيل (ما استجابوا لكم) أي ما أجابوكم وقيل ما تقومكم
 (و يوم القيامة يكفرون بشرككم) أي يتبرؤن منكم ومن عبادتكم اياها (ولا يفتك مثل خير) يعني نفسه أي
 لا يفتك أحد مثلي لاني عالم بالاشياء ﴿ قوله تعالى (يا أيها الناس أتمموا الفراء الى الله) أي الى فضله واحسانه
 والفقير المحتاج الى من سواه والخلق كلهم محتاجون الى الله فهم الفقراء (والله هو الغني) عن خلقه لا يحتاج
 اليهم (الجيد) أي المحمود في احسانه اليهم المستحق بانعامه عليهم أن يحمدوه (ان يشأ يذهبكم) أي لا تخاذكم
 أنداد او كفركم باياتنه (ويا تخلق جديد) أي يخلق بعدكم من يعبدوه ولا يشرك به شيئا (وما ذلك على الله

بالامر محبر هو مثل خير عالم به يريد أن الخبير بالامر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا
 الذي أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق لاني خير بما أخبرت به (يا أيها الناس أتمموا الفراء الى الله) قال ذو النون الخلق محتاجون اليه في
 كل نفس وخطرة وخطرة وكيف لا وجودهم به وبقاؤهم به (والله هو الغني) عن الاشياء أجمع (الجيد) المحمود بكل لسان ولم يسمهم بالفقراء
 للتحقير بل للتعريف على الاستغناء ولهذا وصف نفسه بالغني الذي هو مطعم الاغنياء وذكر الجيد ليدل به على أنه الغني النافع بغناه خلقه
 والجواد المنعم عليهم اذ ليس كل غني نافعاً بغناه الا اذا كان الغني جواداً منعماً واذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم قال سهل لما خلق الله الخلق حكم
 لنفسه بالغني ولهم بالفقر فمن ادعى الغني عن الله ومن أظهر فقره أو صله فقره اليه فينبغي للعبد أن يكون مفتقراً بالسر اليه ومنقطعاً عن الغير
 اليه حتى تكون عبوديته محضة فالعبودية هي الذل والخضوع وعلامته أن لا يسأل من أحد وقال الواسطي من استغنى بالله لا يفقر ومن تعزز
 بالله لا يذل وقال الحسين على مقدار افتقار العبد الى الله يكون غنياً بالله وكلما ازداد افتقارا ازداد غني وقال يحيى الفخر خير للعبد من الغني لان
 المدلة في الفقر والكبر في الغني والرجوع الى الله بالتواضع والذلة خير من الرجوع اليه بتكثير الاعمال وقيل صفة الاولياء ثلاثة الثقة بالله في كل
 شيء والفقر اليه في كل شيء والرجوع اليه من كل شيء وقال الشبلي الفقير يجرب اليبلاء وبلاؤه كله عز (ان يشأ يذهبكم) كلكم الى العدم فان غناه
 بذاته لا يكم في القدم (ويا تخلق جديد) وهو بدون حكم جيد (وما ذلك) الانشاء والافناء (على الله

بعزيز) بممتنع وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يه بده لا يشرك به شياً (ولا تزروا زرة وزراً أخرى ولا تحمل نفس آتمة ثم نفس أخرى والوزر
والوقر اخوان ووزر الشيء اذا حله والوزرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لاتواخذ نفس بذنب
نفس كما تاخذ جبارة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار وانما قيل وزرة ولم يقل ولا تزرنفس وزراً أخرى لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى
منهن واحدة الاحملة وزرها الا وزر غيرها وقوله وليحملن اثقالهم واثقالهم مع اثقالهم واراد في الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلال
الناس مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
بقوله وما هم بمحاملين من خطاياهم من شيء (وان تدع مثقلة) أي نفس مثقلة بالذنوب احدا (الى جملها) ثقلها أي زنوبها التي تحمل عنها بعض
ذلك (لا يحمل منه شيء ولو كان) أي المدعو وهو مفهوم من قوله وان تدع (ذاقربي) ذاقر ايه قريبة كاب أو ولد أو أخ والفرق بين معنى قوله
ولا تزروا زرة وزراً أخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ان الاول دال على عدل الله في حكمه وان لا يواخذ نفسا بغير ذنوبها
والثاني في بيان انه لا غيات يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد اثقلتها الازار لودعت الى أن يخفف بعض وقرها لم نجب ولم تغث وان كان
المدعو بعض قرابتها (انما تنذر الذين يخشون ربهم) أي انما ينتفع بانذارك هؤلاء (بالغيب) حال من

(٥٣٣)

ينتفع بانذارك هؤلاء (بالغيب) حال من

الفاعل أو المفعول أي يخشون
ربهم غائبين عن عذابه
أو يخشون عذابه غائبا
عنهم وقيل بالغيب في السر
حيث لا اطلاع للغيب عليه
(وأقاموا الصلاة) في
مواقينها (ومن تزكى) نظهر
بفعل الطاعات وترك المعاصي
(فانما يتزكى لنفسه) وهو
اعتراض مؤكدا تخفيفهم
واقامتهم الصلاة لانهم امن
بجدة التزكى (والى الله المصير)
المرجع وهو وعد للتزكى
بالثواب (وبما يستوى
الاعمى والبصير) مثل
للكافر والمؤمن أو

بعزيز) أي بممتنع (ولا تزروا زرة وزراً أخرى) أي ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته
لاتواخذ بذنب غيرها فان قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالهم مع اثقالهم
قلت هذه الآية في الضالين وتلك في المضلين انهم يحملون اثقال من أضلوه من الناس مع اثقال أنفسهم
وذلك كله من كسبهم (وان تدع مثقلة الى حملها) معناه وان تدع نفس مثقلة بذنوبها الى حمل ذنوب غيرها
(لا يحمل منه شيء ولو كان ذاقربي) أي ولو كان المدعو ذاقر ايه كالاب والام والابن والاخ قال ابن عباس
يعلق الاب والام بالابن فيقول يا بني اجعل عني بعض ذنوبي فيقول لا أستطيع حسبي ما على (انما تنذر الذين
يخشون ربهم) أي يخافون ربهم (بالغيب) أي لم يروه والمعنى وانما ينتفع بانذارك الذين يخشون ربهم
بالغيب (وأقاموا الصلاة ومن تزكى) أي أصلح وعمل خيراً (فانما يتزكى لنفسه) أي لها ثوابه (الى الله المصير
وما يستوى الاعمى والبصير) أي الجاهل والعالم وقيل الاعمى عن الهدى وهو المشرك والبصير بالهدى وهو
المؤمن (ولا الظلمات ولا النور) يعني الكفر والايمان (ولا الظل ولا الحرور) يعني الجنة والنار وقال ابن
عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) يعني المؤمنين
والكفار وقيل العلماء والجهال (ان الله يسمع من يشاء) يعني حتى يتعظ ويحجب (وما أنت بمسمع من في
القبور) يعني الكفار شبههم بالاموات في القبور لانهم لا يجيبون اذا دعوا (ان أنت الا نذير) أي ما أنت الا
منذر تخوفهم بالنار (انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً) أي بشيراً بالثواب لمن آمن ونذيراً بالعقاب لمن كفر
(وان من أمة) أي من جماعة كثيرة فيما مضى (الاخلا) أي سلف (فيها نذير) أي نبي منذر فان قلت كم من أمة
في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يخل فيها نذير قلت اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير

للجاهل والعالم (ولا الظلمات) مثل للكفر (ولا النور) للايمان (ولا الظل ولا الحرور) الحق الباطل أو الجنة والنار والحرور الريح الحار
كالسموم الا أن السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار عن الفراء (وما يستوى الاحياء ولا الاموات مثل) للذين دخلوا في الاسلام
والذين لم يدخلوا فيه وزيادة لالتأ كيد معنى النفي والفرق بين هذه الواوآت أن بعضها ضمت شفعاً الى شفع وبعضها ورا الى وتر (ان الله يسمع
من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور) يعني أنه قد علم من يدخل في الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدى من يشاء هدايته وما أنت تخفي عليك
أمرهم فلذلك تحرص على اسلام قوم مخذولين شبه الكفار بالموتى حيث لا ينتفعون بسموعهم (ان أنت الا نذير) أي ما عليك الا أن
تبلغ وتندرفان كان المنذر عن يسمع الانذار فرفع وان كان من المصرين فلا عليك (انا أرسلناك بالحق) حال من أحد الضميرين يعني محققاً و
محققين أو صفة للمصدر أي ارسالاً مصحوباً بالحق (بشيراً) بالوعد (ونذيراً) بالوعيد (وان من أمة) وما من أمة قبل أمك والامة الجماعة
الكثيرة وجد عليه أمة من الناس ويقال لاهل كل عصر أمة والمراد هنا أهل العصر وقد كانت آثار النذارة باقية فيما بين عيسى ومحمد عليهما
السلام فلم تخل تلك الامم من نذير وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث محمد عليه السلام (الاخلا) مضى (فيها نذير) بخوفهم
وخامة الطغيان وسوء عقاب الكفران واكتفى بالنذير عن البشير في آخر الآية بعد ما ذكرهم لان النذارة مشفوعة بالبشارة فعمل ذكر
النذارة على ذكر البشارة

(وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم) رسالهم (جاءتهم رسالهم) حال وقد مضى (باليينات) بالمعجزات (وبالزبر) وبالصحف (والكتاب المنير) أي التوراة والانجيل والزيور وما كانت هذه الاشياء في جنسهم أسند المجي بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها في جميعهم وهي اليينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم أخذت) عاقبت (الذين كفروا) بأنواع العقوبة (فكيف كان تكبير) انكارى عليهم وتعديبي لهم (لم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخر جنابه) بالماء (ثمرات مختلفا ألوانها) أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيآتها من الحرة والصفرة والخضرة ونحوها (ومن الجبال جدد) طرق مختلفة اللون جمع جدة ككدة وممدد (بيض وجر مختلف ألوانها وغرايب سود) جمع غريب وهو تاء كيد للاسود يقال أسود غريب وهو الذي أبعده في السواد وأغرب فيه (٥٣٤) ومنه الغراب وكان من حق التاء كيدان يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع الآته

الأ أن تدرس وحين اندرست آثار رسالة عيسى عليه السلام بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم وآثاره باقية الى يوم القيامة لانه لا نبي بعده (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسالهم بالبينات) أي بالمعجزات الدالة على نبوتهم (وبالزبر) أي الصحف (وبالكتاب المنير) أي الواضح قيل أراد بالكتاب التوراة والانجيل والزيور وقيل ذكر الكتاب بعد الزبر تائيدا (ثم أخذت الذين كفروا وكيف كان تكبير لم تر أن الله أنزل من السماء ماء) يعني المطر (فاخر جنابه ثمرات مختلفا ألوانها) يعني أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب والرطب ونحوها قيل يعني ألوانها في الحرة والصفرة والخضرة وغير ذلك مما لا يحصر ولا يعد (ومن الجبال جدد بيض وجر) يعني الخطط والطرق في جبال (مختلف ألوانها) يعني منها ما هو أبيض ومنها ما هو أحمر ومنها ما هو أصفر (وغرايب سود) أي شديدة السواد كما يقال أسود غريب تشبيها بلون الغراب (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) أي خلق مختلف ألوانه (كذلك) أي كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) قال ابن عباس يريد انما يخافني من خلقي من علم جبروتى وعزتى وسلطاني وقيل عظموه وقدره واقدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد به خشية (ق) عن عائشة قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه فتزده عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال أقوام يتزهون عن الشيء أصنعه فوالله انى لاعلمهم بالله وأشد هم له خشية قولا فرخص فيه أى لم يشدد فيه قولا فتزده عنه أقوام أى تباعد عنه وكرهه قوم (ق) عن أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ثم خنين الخنين بالحاء المهجمة هو البكاء مع غنة وانشقاق الصوت من الالف وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاعتزاز بالله جهلا وقال رجل للشعبى أفنى أيها العالم فقال الشعبى انما العالم من خشى الله عز وجل وقال مقاتل أشد الناس خشية لله أعلمهم به وقال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس بعالم (ان الله عزيز) أى فى ملكه (غفور) أى لذنوب عباده وهو تليل لوجوب الخشية لانه المنيب المعاقب واذا كان كذلك فهو أحق أن يخشى ويتقى قوله عز وجل (ان الذين يتلون كتاب الله) أى يداومون على قراءته ويعلمون ما فيه ويعملون به (وأقاموا الصلوة) أى ويقومون الصلوة فى أوقاتها (وأنفقوا

أضمر المؤكد كقوله والذي بعده تفسير للمضمر وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف فى قوله ومن الجبال جدد أى ومن الجبال ذو جدد بيض وجر وسود حتى يؤل الى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلفا ألوانها (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) يعنى ومنهم بعض مختلف ألوانه (كذلك) أى كاختلاف الثمرات والجبال ولما قال لم تر أن الله أنزل من السماء ماء وعند آيات الله واعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته انبع ذلك (انما

يخشى الله من عباده العلماء) أى العلماء به الذين علموه بصفاته فعظموه ومن ازداد علما به ازداد منه خوفا ومن كان علما به أقل كان آمن وفى الحديث أعلمكم بالله أشدكم له خشية وتقديم اسم الله تعالى وتأخير العلماء يؤذن ان معناه ان الذين يخشون الله من عباده العلماء دون غيرهم ولو عكس لكان المعنى انهم لا يخشون الا الله كقوله ولا يخشون أحدا الا الله وينهما تغاير فى الاول بيان ان الخاشعين هم العلماء وفى الثانى بيان ان الخشى منه هو الله تعالى وقرأ أبو حنيفة وابن عبد العزيز وابن سيرين رضى الله عنهم انما يخشى الله من عباده العلماء والخشية فى هذه القراءة استعارة والمعنى انما يعظم الله من عباده العلماء (ان الله عزيز غفور) تليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة أهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المنيب حقه ان يخشى (ان الذين يتلون كتاب الله) يداومون على تلاوة القرآن (وأقاموا الصلوة وأنفقوا

عمارزقناهم سراوعلائية) أى مسرين النفل ومعلنين الفرض يعنى لا يقتنعون بتلاوته عن حلاوة العمل به (برجون) خبران
 (تجارة) هى طلب الثواب بالطاعة (لن تبور) لن تكسد يعنى تجارة ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله (ليوفهم) متعلق بلن تبور
 أى ليوفهم بنفاقها عنده (أجورهم) ثواب أعمالهم (ويزيدهم من فضله) بتفسيح القبور أو بتشفيحهم فيمن أحسن اليهم أو
 بتضعيف حسناتهم أو بتحقيق وعد لقائه أو يرجون في موضع الحال أى راجين واللام في ليوفهم تتعلق يتلون وما بعده أى فاعلوا جميع
 ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والاتفاق لهذا الفرض وخبران (انه غفور) لفرطتهم (شكور) أى غفور لهم شكور لا عمالهم أى
 يعطى الجزيل على العمل القليل (والذى أوحينا إليك من الكتاب) أى القرآن ومن للتبيين (هو الحق مصدقا) حال مؤكدة لان الحق لا
 ينفك عن هذا التصديق (لما بين يديه) لما تقدمه من الكتب (ان الله بعباده خير بصير) فاعلمك وأبصر أحوالك وراك أهلالا ن يوحى
 إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عبارة على سائر الكتاب (ثم أورثنا الكتاب) أى أوحينا إليك القرآن ثم أورثناه من بعدك أى
 حكمنا بتوريته (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيامة لان الله اصطفاهم على
 سائر الامم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة (٥٣٥) الاتمء الى أفضل رسله ثم رتبهم على مراتب فقال

(فهم ظالم لنفسه) وهو
 المرجا لامر الله (ومنهم
 مقتصد) هو الذى خلط
 عملا صالحا وآخر سيئا (ومنهم
 سابق بالخيرات) وهذا
 التأويل يوافق التنزيل
 فانه تعالى قال والسابقون
 الاولون من المهاجرين
 الآية وقال بعده وآخرون
 اعترفوا بذنوبهم الآية
 وقال بعده وآخرون
 مرجون لامر الله الآية
 والحديث فقد روى عن
 عمر رضى الله عنه انه قال
 على المنبر بعد قراءة هذه
 الآية قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم سابقنا سابق
 ومقتصدنا ناج وظالمنا

عمارزقناهم) أى فى سبيل الله (سراوعلائية برجون تجارة لن تبور) أى لن تفسد ولن تهلك والمراد من
 التجارة ما وعد الله من الثواب (ليوفهم أجورهم ويزيدهم من فضله) قال ابن عباس سوى الثواب يعنى
 عمال ترعين ولم تسمع أذن (انه غفور شكور) قال ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من
 أعمالهم (والذى أوحينا إليك من الكتاب) يعنى القرآن (هو الحق مصدقا لما بين يديه) أى من الكتب
 (ان الله بعباده خير بصير) قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب) أى أوحينا إليك الكتاب وهو القرآن
 ثم أورثناه يعنى حكمنا بتوريته وقيل أورثناه بمعنى نورته (الذين اصطفينا من عبادنا) قال ابن عباس يريد
 أمة محمد صلى الله عليه وسلم لان الله اصطفاهم على سائر الامم واختصهم بكرامته بان جعلهم اتباع سيد الرسل
 وخصهم بحمل أفضل الكتب ثم قسمهم ورتبهم فقال تعالى (فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
 بالخيرات) روى عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة ذكره البغوى
 بغير سند وعن أبى سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذى
 اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة
 وكلهم فى الجنة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وعن عمر بن الخطاب انه قرأ هذه الآية على المنبر
 ثم أورثنا الكتاب الذى اصطفينا من عبادنا فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا
 ناج وظالمنا مغفور له قال أبو قلابة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وعن عمر بن الخطاب انه قرأ هذه الآية على المنبر
 بسنده وروى بسنده عن ثابت ان رجلا دخل المسجد فقال اللهم ارحم غر بتي وأنس وحشتي وسقى الى
 جنيسا صالحا فقال أبو الدرداء لئن كنت صادقا لانا أسعد بك منك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ
 هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذى اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات

مغفور له وعنه عليه السلام السابق يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد بحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وأما الظالم لنفسه فيحبس حتى يظن
 انه لا ينجو ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة رواه أبو الدرداء والاثرفعن ابن عباس رضى الله عنهما السابق المخلص والمقتصد المرأى والظالم الكافر
 بالنعمة غير الجاحد طه لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة وقول السلف فقد قال الربيع بن أنس الظالم صاحب الكبار والمقتصد صاحب الصغار
 والسابق المجتنب طه وقال الحسن البصرى الظالم من رجحت سياسته والسابق من رجحت حسنة والمقتصد من استوت حسنة وسياسته
 وسئل أبو يوسف رجه الله عن هذه الآية فقال كلهم مؤمنون وأما صفة الكفار فبعد هذا وهو قوله والذين كفروا لهم نار جهنم وأما الطبقات
 الثلاث فهم الذين اصطفى من عباده فانه قال ففهم ومنهم ومنهم والكل راجع الى قوله الذين اصطفينا من عبادنا وهم أهل الايمان وعليه
 الجمهور وانما قدم الظالم للايدان بكثرتهم وان المقتصد من قليل بالاضافة اليهم والسابقون أقل من القليل وقال ابن عطاء انما قدم الظالم لثلا
 يياس من فضله وقيل انما قدمه ليعرفه ان ذنبه لا يبعده من ربه وقيل ان أول الاحوال معصية ثم توبة ثم استقامة وقال سهل السابق العالم
 والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وقال أيضا السابق الذى اشتغل بمعاده والمقتصد الذى اشتغل بمعاشه ومعاده والظالم الذى اشتغل بمعاشه عن
 معاده وقيل الظالم الذى يعبد على الغفلة والعادة والمقتصد الذى يعبد على الرغبة والرغبة والسابق الذى يعبد على الهيبة والاستحقاق وقيل

الظالم من أخذ الدنيا حلالا كانت أو حراما والمقتصد من يجتهد أن لا يأخذها الا من حلال والسابق من أعرض عنها جلة وقيل الظالم طالب الدنيا والمقتصد طالب العقبى والسابق طالب المولى (٥٣٦) (بإذن الله) بامرء أو بعلمه أو بتوفيقه (ذلك) أى ابراث الكتاب (هو الفضل

الكبير جنات عدن) خبر
ثان لذلك أو خبر مبتدأ
محذوف أو مبتدأ والخبر
(يدخلونها) أى الفرق
الثلاثة يدخلونها أبو عمرو
(يحلون فيها من أساور)
جمع أسورة جمع سوار (من
ذهب ولؤلؤا) أى من ذهب
مرصع باللؤلؤ ولؤلؤا
بالنصب والهمزة نافع
وحفص عطف على محل من
أساور أى يحلون أساور
لؤلؤا (ولباسهم فيها حرير)
لما فيه من اللذة والزينة
(وقالوا الحمد لله الذى
أذهب عنا الحزن) خوف
النار أو خوف الموت أو
هموم الدنيا (ان ربنا
لغفور) يغفر الجنايات
وان كثرت (شكور)
يقبل الطاعات وان قلت
(الذى أحلنا دار المقامة)
أى الإقامة لا يبرح منها ولا
تفارقها يقال أقت إقامة
ومقاما ومقامة (من
فضله) من عطائه وفضاله
لا يستحقنا (لا يمسنا فيها
نصب) نصب ومشقة (ولا
يمسنا فيها الغوب) اعياء
من التعب وفقرة وقرأ أبو
عبد الرحمن السلمى لغوب
بفتح اللام وهو شئ

قال أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيحجب في المقام حتى يدخله الهضم ثم يدخل الجنة ثم قرأ هذه الآية الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال عقبه بن صهبان سألت عائشة عن قول الله عز وجل ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية فقالت يابني كلهم في الجنة أما السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأما المقتصد فمن تبع أثره من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم لنفسه فقليل ومثلكم جعلت نفسها معناه وقال ابن عباس السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرأتى والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها وقيل الظالم هم أصحاب المشأمة والمقتصد أصحاب الميمنة والسابق هم السابقون المقربون من الناس كلهم وقيل السابق من رجحت حسناته على سيئاته والمقتصد من استوت سيئاته وحسناته والظالم من رجحت سيئاته على حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد الذى استوى ظاهره وباطنه والسابق الذى باطنه خيرا من ظاهره وقيل الظالم التالى للقرآن ولم يعامل به والمقتصد التالى له العالم به والسابق القارى له العالم به العامل بما فيه وقيل الظالم أصحاب الكباثر والمقتصد أصحاب الصغائر والسابق الذى لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت قال جعفر الصادق بدأ بالظالمين اخبارا بانه لا يتقرب اليه الا بكماله وان الظالم لا يؤثر فى الاصطفاء ثم نثى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لثلايا من أحد مكره وكلهم فى الجنة وقيل رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان أحوال العباد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قرينة فاذا عصى الرجل دخل فى حيز الظالمين فاذا تاب دخل فى حيز المقتصدين فاذا صحت توبته وكثرت عبادته وبجاهدته دخل فى عدد السابقين وقيل قدم الظالم لكثرة الظلم وغلبته ثم المقتصد قليل بالاضافة الى الظالمين والسابق أقل من القليل فلهذا أخرهم ومعنى سابق بالخيرات أى بالاعمال الصالحة الى الجنة أو الى رحمة الله (بإذن الله) أى بامر الله وارادته (ذلك هو الفضل الكبير) يعنى ابراثهم الكتاب واصطفاءهم ثم أخبر بشواهم فقال تعالى (جنات عدن يدخلونها) يعنى الاصناف الثلاثة (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) تقدم تفسيره (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات وأنهم لا يدرون ما يصنع بهم وقيل حزن زوال النعم وتقلب القلوب وخوف العاقبة وقيل حزن أهوال يوم القيامة وهموم الحصر والمعيشة فى الدنيا وقيل ذهب عن أهل الجنة كل حزن كان لمعاش أو معاد روى البغوى بسند عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم وكفى باهل لا اله الا الله ينفسون التراب عن رؤسهم يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن (ان ربنا لغفور شكور) يعنى غفر العظيم من الذنوب وشكر القليل من الاعمال (الذى أحلنا) أى أنزلنا (دار المقامة) أى الإقامة (من فضله) أى لا بأعمالنا (لا يمسنا فيها نصب) أى لا يصيبنا فيها عناء ولا مشقة (ولا يمسنا فيها الغوب) أى اعياء من التعب (وقوله تعالى) (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فموتوا) أى فيستر بحوائجهم فيه (ولا يخفف عنهم من عذابها) أى من عذاب النار (كذلك نجزي كل كفور وهم

يلقب منه أى لا تكلف عملا يلعبنا (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فموتوا) جواب النفي ونصبه بصرخون
باضار أن أى لا يقضى عليهم موت ثان فيستر بحوا (ولا يخفف عنهم من عذابها) من عذاب نار جهنم (كذلك) مثل ذلك الجزاء (بجزى كل كفور) بجزى كل كفور أبو عمرو (وهم

بصطر خون فيها) يستغيثون فهو يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد ومشقة واستعمل في الاستغاثة لجهر صوت المستغيث (ربنا) يقولون ربنا (أخرجنا عمل صالحا غير الذي كنا نعمل) أي أخرجنا من النار ردنا إلى الدنيا ثم من بدل الكفر ونطمع بعد للعصية فنجابون بعد قدر عمر الدنيا (أولم نعمركم ما يتد كرفيه من تذ كر) يجوز أن يكون ما نكرة موصوفة أي تعبر أي تذ كر فيه من تذ كر وهو متناول لكل عمر تمكن منه المكلف من اصلاح شأنه وان قصر الا أن التو بيخ في المتناول أعظم ثم قيل هو ثمان عشرة سنة وقيل أر بعون وقيل ستون سنة (وجاءكم النذير) الرسول عليه السلام أو المشيب وهو عطف على معنى أولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه اخبار كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير (قد وقوا) العذاب (فالظالمين من نصير) ناصر يعينهم (ان الله عالم غيب السموات والارض) ما غاب فيهما عنكم (انه عليم بذات الصدور) كالتعليل لانه اذا علم ما في الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها وهي ثابتة ذوق في نحو قول أبي بكر رضي الله عنه ذوق بطن خارجة جارية أي ما في

(٥٣٧)

بطنها من الحبل لان الحبل يصحب البطن وكذا المضمرات تصحب الصدور وذو موضوع للمعنى الصحبة (هو الذي جعلكم خلائف في الارض) يقال للمستخلف خلفية ويجمع على خلائف والمعنى انه جعلكم خلفاء في أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها التشكره بالتوحيد والطاعة (فن كفر) منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية (فعلية كفره) فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله وخسار الآخرة كما قال (ولا يزيد الكافر بن كفرهم عند ربهم الامقتا) وهو أشد البغض (ولا يزيد

بصطر خون) أي يستغيثون ويصيحون (فيها) يقولون (ربنا أخرجنا) أي من النار (نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) أي في الدنيا من الشرك والسيئات فيقول الله تعالى تو بيخا لهم (أولم نعمركم ما يتد كرفيه من تذ كر) قيل هو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة وقيل أر بعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة و يروي ذلك عن علي وهو العمر الذي أعذر الله تعالى لابن آدم (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعذر الله إلى كل امرئ أخر أجله حتى يبلغ ستين سنة وعنه بإسناد الثعلبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين (وجاءكم النذير) يعني محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن قاله ابن عباس وقيل هو الشيب والمعنى أولم نعمركم حتى شبتم ويقال الشيب نذير الموت وفي الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لا ختها استعدادي فقد قرب الموت (فدقوا) أي يقال لهم ذوقوا العذاب (فالظالمين من نصير) أي ما لهم من مانع يمنعهم من عذابه (ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور) يعني انه اذا علم ذلك وهو أخفى ما يكون فقد علم غيب كل شيء في العالم (هو الذي جعلكم خلائف في الارض) أي يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم أمة خلفت من قبلها من الامم ورات ما ينبغي ان يعتبر به وقيل جعلكم خلفاء في أرضه وملككم منافعها ومقاليد التصرف فيها التشكره بالتوحيد والطاعة (فن كفر) أي حجب هذه النعمة وغمطها (فعلية كفره) أي وبال كفره (ولا يزيد الكافر بن كفرهم عند ربهم الامقتا) أي غضبا وقيل المقت أشد البغض (ولا يزيد الكافر بن كفرهم الا خسارا) أي في الآخرة (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام جعلتموها شركاء بزعيمكم (أروني ماذا خلقوا من الارض) يعني أي جزء استبدوا بخلقهم من الارض (أم لهم شرك في السموات) أي خلق في السموات والارض (أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه) أي على حجة وبرهان من ذلك (بل إن يعد الظالمون بعضهم) يعني الرؤساء (بعضا الاغرورا) يعني قو لهم هؤلاء الاصنام شفعاء عند الله (قوله عز وجل) ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) أي لكي لا تزولا فيمنعهما من الزوال والوقوع وكاتاجد يرتين بان تزولا وتهد هذا لعظم كلمة الشرك (ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده) أي ليس بمسكهما أحد سواه (انه كان حلما غفورا) أي

(٦٨ - (خازن) - ثالث)

الكافر بن كفرهم الا خسارا) هلاكا وخسارا (قل أرأيتم شركاءكم) ألهتكم التي أشركتموهم في العبادة (الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض) أروني بدل من أرأيتم لان معنى أرأيتم أخبر وني كأنه قيل أخبر وني عن هؤلاء الشركاء وعمما استحقوا به الشركه أروني أي جزء من أجزاء الارض استبدوا بخلقهم دون الله (أم لهم شرك في السموات) أم لهم مع الله شركه في خاق السموات (أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه) أي معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب بينات على وابن عامر ونافع وأبو بكر (بل ان يعد) (الظالمون بعضهم) بدل من الظالمون وهم الرؤساء (بعضا) أي لا تباع (الاغرورا) هو قو لهم هؤلاء شفعاء عند الله (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) بمنعهما من أن تزولا لان الامساك منع (ولئن زالتا) على سبيل الفرض (ان أمسكهما) ما أمسكهما (من أحد من بعده) أي بعد امساكهم من الاولى من بعده لتأ كيد النبي والثانية للابتداء (انه كان حلما غفورا) غير معاجل بالعقوبة حيث أمسكهما وكاتاجد يرتين بان تهدا الهد العظم

كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرون منه وتنشق الارض الآية (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) نصب على المصدر أي أقساما بليغا أو على الحال أي جاهدين في إيمانهم (لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الامم) بلغ قر يشا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ان أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أنار رسول لنكونن أهدى من إحدى الامم أي من الامة التي يقال فيها هي إحدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة كما قال للذهبية العظيمة هي إحدى الدواهي (فلما جاءهم نذير) فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (مازادهم الانفورا) أي مازادهم محي الرسل صلى الله عليه وسلم الاتباعا عن الحق وهو اسناد مجازي (استكبارا في الارض) (٥٣٨) مفعول له وكذا (ومكر السيئ) والمعنى ومازادهم الانفور الاستكبار ومكر السيئ

غير معاجل بالعقوبة حيث أمسكهم ما كاتفا قد هممتا بعقوبة الكفار لولا حلمه وغفرانه (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) يعني كفار مكة وذلك لما بلغهم ان أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم وأقسموا بالله لوجاء نذير لنكونن أهدى ديننا منهم وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فانزل الله هذه الآية وأقسموا بالله جهد أيمانهم (لئن جاءهم نذير) أي رسول (ليكونن أهدى من إحدى الامم) يعني اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (مازادهم) مجيئه (الانفورا) أي تباعدا عن الهدى (استكبارا في الارض) يعني عتوا وتكبرا عن الايمان به (ومكر السيئ) يعني عمل القبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يحيق المكر السيئ الا بهله) أي لا يحل ولا يحيط الا بهله فقطلوا يوم بدر قال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل الا لمن أشرك (فهل ينظرون) أي ينتظرون (الاسنت الاولين) يعني ان ينزل العذاب بهم كما نزل بمن مضى من الكفار (فلن تجدلنت الله تبديلا) أي تغيرا (ولن تجدلنت الله تحويلا) أي تحويل العذاب عنهم الى غيرهم (أولم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) معناه انهم يعتبرون بمن مضى وباركهم وعلامات هلاكهم (وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليجزه) أي ليفوت عنه (من شئ في السموات ولا في الارض انه كان علما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) أي من الجرائم (ما ترك على ظهرها) أي ظهر الارض (من دابة) أي من نسمة تدب عليها ير يدني آدم وغيرهم كما هلك من كان في زمن نوح بالطوفان الامن كان في السفينة (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) يعني يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ير بدأهل طاعته وأهل معصيته وقيل بصيرا بمن يستحق العقوبة وبمن يستحق الكرامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

أحوال يعني مستكبرين وما كرين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل قوله ومكر السيئ وأن مكر السيئ أي المكر السيئ ثم ومكر السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله (ولا يحيق) يحيط وينزل (المكر السيئ الا باهله) واقدا حاق بهم يوم بدر وفي المثل من حفر لآخيه جبا وقع فيه مكبا (فهل ينظرون الاسنت الاولين) وهو انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الامم قبلهم والمعنى فهل ينظرون بعد تكذيبك الآن ينزل بهم العذاب مثل الذي نزل بمن قبلهم من مكذبى الرسل جعل استقبالم لذلك انتظارا لهم (فلن تجدلنت الله تبديلا ولن تجدلنت الله تحويلا) بين ان سنته التي هي الانتقام من مكذبى

تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع أوله سورة يس عليه الصلاة والسلام

الرسل سنة لا بد لها في ذاتها ولا يحولها عن أوقاتها وان ذلك مفعول لا محالة (أولم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) استشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسيرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم (وكانوا أشد منهم) من أهل مكة (قوة) اقتدارا فلم يتمكنوا من الفرار (وما كان الله ليجزه) ليسبقه ويفوته (من شئ) أي شئ (في السموات ولا في الارض انه كان علما) بهم (قديرا) قادر اعليهم (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) بما اقترفوا من المعاصي (ما ترك على ظهرها) على ظهر الارض لانه جرى ذكر الارض في قوله ليجزه من شئ في السموات ولا في الارض (من دابة) من نسمة تدب عليها (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) الى يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) أي لم تخف عليه حقيقة أمرهم وحكمة حكمهم والله الموفق للصواب

صحيفة	صحيفة
١٥٨	٢
فصل في شرح بعض ألفاظ حديث المعراج وما يتعلق به	(تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام)
١٦٠	٧
فصل في ذكر الآيات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسيأتي أحاديث تتعلق بالاسراء	ذكر قصة ذهاب أخوة يوسف بيوسف عليه الصلاة والسلام
١٦٢	٥١
ذكر القصة في هذه الآيات (أي الآيات التي أولها وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب)	(تفسير سورة الرعد)
١٧١	٥٩
فصل ذكر الاحاديث التي وردت في بر الوالدين	فصل وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة (أي قوله تعالى والله يسجد من في السموات والارض الآية)
١٨٦	٧٣
فصل في الاحاديث الواردة في قيام الليل	(تفسير سورة ابراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام)
١٩٦	٩٣
(تفسير سورة الكهف)	(تفسير سورة الحجر)
١٩٨	٩٧
ذكر قصة أصحاب الكهف بسبب خروجهم اليه	فصل اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا على قولين
٢٢٨	١١٢
(تفسير سورة مريم عليها السلام)	(تفسير سورة النحل)
٢٣٩	١١٤
فصل وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن (أي قوله تعالى اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا)	فصل احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل أي آية (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة)
٢٤٨	١٢٦
(تفسير سورة طه)	فصل وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن أي قوله تعالى (والله يسجد ما في السموات وما في الارض الآية)
٢٦٦	١٤٥
الكلام على معنى الحديث وشرحه (أي حديث احتج آدم وموسى الخ)	فصل في حكم الآية أي قوله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه الامن أكره وقلبه مطمئن بالايمان)
٢٧٠	١٥٢
(تفسير سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام)	فصل اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قولين أي قوله تعالى (وان عاقبتهم فعاقبوا الآية)
٢٨٢	١٥٣
ذكر القصة في ذلك (أي قوله تعالى قالوا حر قوه وانصروا آلهتكم الآية)	(تفسير سورة الاسراء)
٢٨٦	١٥٤
ذكر قصة أيوب عليه السلام	فصل في ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الاحكام وما قال العلماء فيه
٢٩٨	١٥٨
(تفسير سورة الحج)	فصل قال البغوي قال بعض أهل الحديث ما وجدنا للبخاري ومسلم في كتابيهما شيئا لا يحتمل مخرجا لاحديث شريك بن أبي نمر عن أنس
٣٠٣	
فصل هذه السجدة من عزائم سجود القرآن (أي قوله تعالى ألم تر أن الله يسجد له الآية)	
٣١٨	
فصل في حكم سجود التلاوة هنا (أي في قوله يأيم الذين آمنوا اركعوا واسجدوا الآية)	
٣١٩	
(تفسير سورة المؤمنين)	
٣٣٣	
(تفسير سورة النور)	
٣٥٤	
فصل في بيان التمثيل المذكور في قوله الله نور السموات والارض الآية	

صفحة	صفحة
٤٦٨ (تفسير سورة لقمان)	٣٦٥ (تفسير سورة الفرقان)
٤٧٥ (تفسير سورة السجدة)	٣٧٨ فصل وهذه السجدة من عزائم السجديات
٤٧٧ (فصل في فضل قيام الليل والحث عليه)	أى قوله تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن
٤٨٠ (تفسير سورة الاحزاب)	(الآية)
٤٨٤ ذكر غزوة الخندق وهى الاحزاب	٣٨١ (تفسير سورة الشعراء)
٤٩٣ ذكر غزوة بني قريظة	٤٠٠ فصل في مدح الشعر
٤٩٨ فصل في حكم الآية (أى قوله تعالى يا أيها النبي	(تفسير سورة النمل)
قل لا زواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا	٤٠٨ فصل وهذه السجدة من عزائم السجود (أى
(الآية)	قوله تعالى ألا يسجدوا لله الآية)
٥٠١ فصل فان قلت ما ذكره في تفسير هذه الآية	٤٢٣ تفسير سورة القصص
(أى قوله تعالى واذا تقول للذى أنعم الله عليه	٤٢٤ ذكر القصة في ذلك (أى قوله تعالى وأوحينا
الح)	الى أم موسى الح)
٥١٠ فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه	٤٤٢ ذكر قصة فارون
وسلم وفضلها	٤٤٤ (تفسير سورة العنكبوت)
٥١٥ فصل في الامانة	٤٥٧ (تفسير سورة الروم)
(تفسير سورة سبأ)	٤٦٠ فصل في فضل التسييح
٥٢٨ (تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة)	

(تمت)